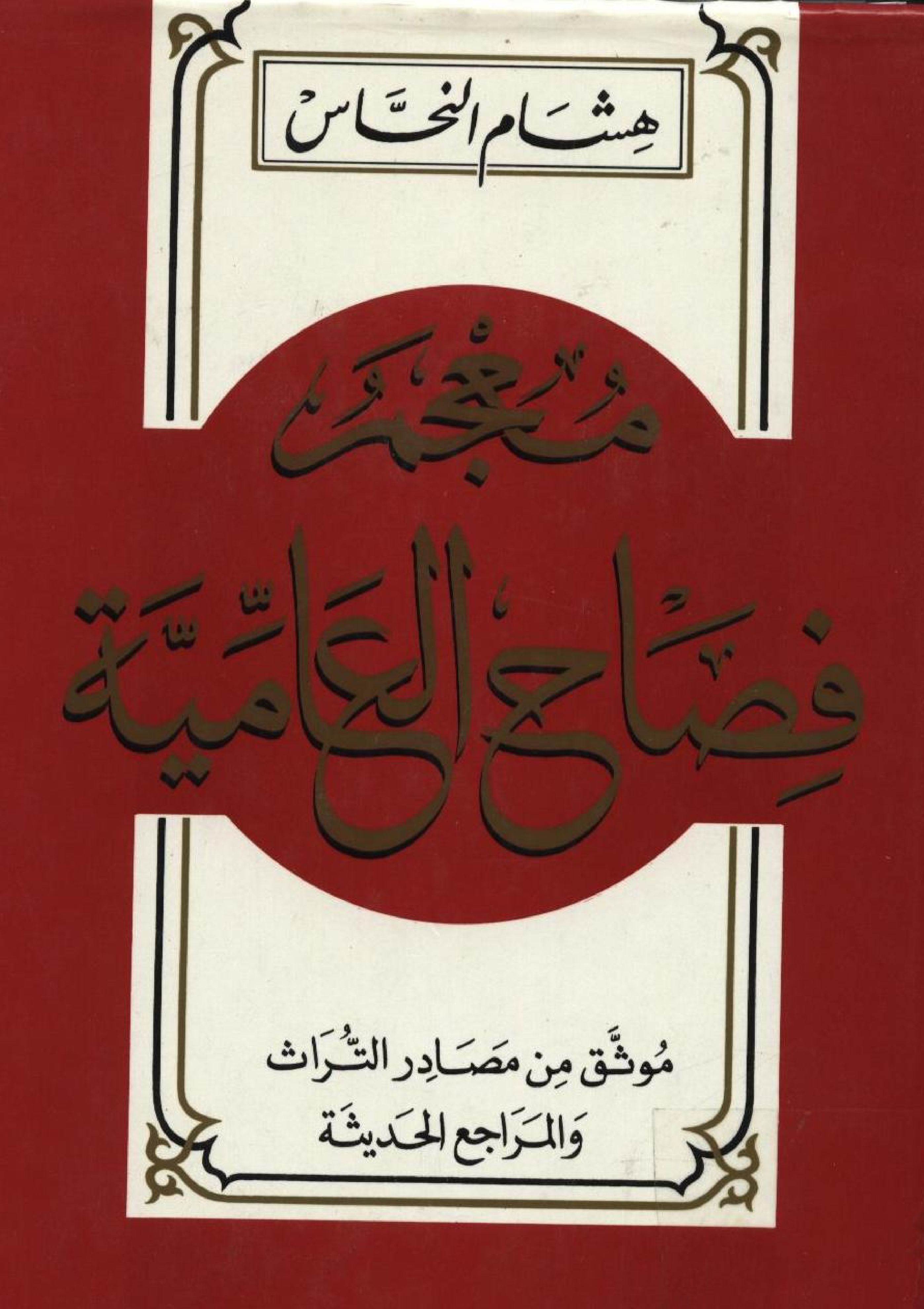


مكتبة لبنان ناشرون

مُعجَم
فِصَاح العَامِّيَّة

هشام النحاس



موثق من مصادر التراث والمراجع الحديثة

مكتبة لبنان ناشرون

مكتبة لبنان ناشرون ش.م.ل
زقاق البلاط - ص.ب: ١١-٩٢٣٢
بيروت - لبنان
وكلاء وموزعون في جميع أنحاء العالم

الطبعة الأولى ١٩٩٧
رقم الكتاب 01D120260
طبع في لبنان

إهـــــداء

منكم إهْدائي وإليكم

يا من سَعَيْتُم ما وَسِعَكُم المَسْعَىٰ وبذلتم ما في طاقَتكم.. حتّى يَتَحَرَّرَ نُور هذا الفِكْر من ظُلْمة الطَّيّ الخانِق المُطْفِئ الماحي..

يا من تَنْشُدون الصَّحائح والحقائق.. وتَعْرِفون النّاسَ بالحَقّ ولا تَعْرِفُون الحَقَّ بالنّاس؛ فقيمة العليم بمقدار عِلْمه، وليس تَوْثيقُ قيمةِ عِلْمٍ بمن قال به.. كائنًا مَن كان.. وليس مِقْياس الصّحيح بمَن يُنْسَب إليه من العُلماء مهما يكنْ من الرّاسِخِين في العِلْم.. وإنّما مقياس عِلْم العَلِيم بما يَصِحّ له ويُصَحَّحُ على كاهله.. حتّى لا يَصِحّ إلّا الصحيح؛ ﴿هذا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ السورة الخامسة: المائدة: الآية ١١٩.

فإليكم يا أَصْحابَ الفَضْل الصّادِق على هذا المُؤَلّف..

ويا من لا يَصْرِفكم عن تَنْوِير سَبيل المَعْرِفةِ صارِف..

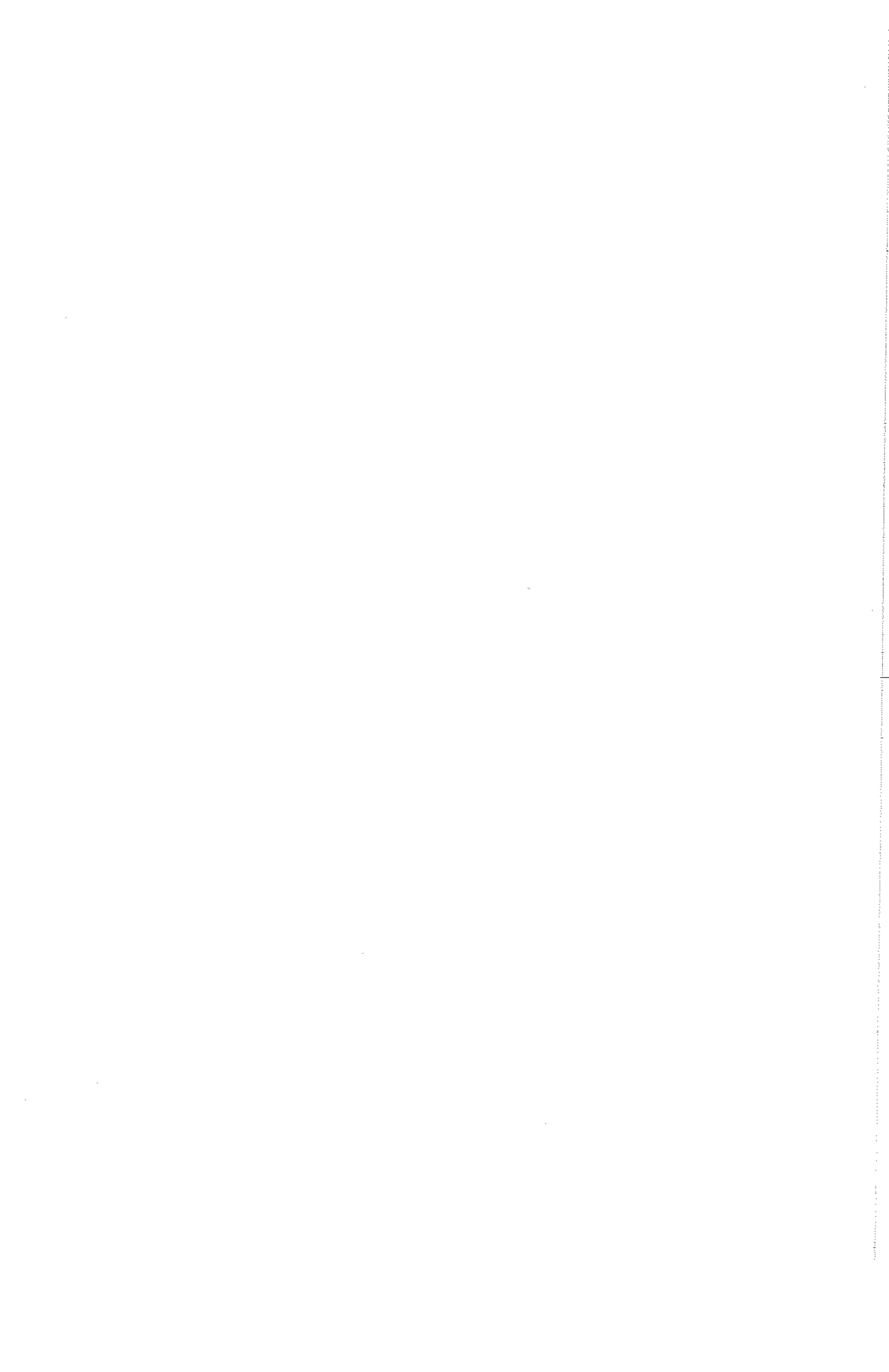
فلا الذين يَهْوَوْن المعرفة وَيَتَحَمَّسُون لها حماسة عَصَبِيَّة التَّكِيْر بِنافِعِيها..

ولا الذينَ مَلَكَت عليهم مَصالِحُهم الآنيّة السَّبيل، ومَلكُوا عليكم كلَّ سبيل.. وَضَيَّقُوا.. وَلَوَّثُوا.. وَسَدُّوْا.. ثمّ وَدُّوْا لو خَنَقوا كُلَّ مَنْفَذٍ لِشُعاعٍ من صِدْق ولو تَضاءل.. ثمّ اكْتَشَفُوا أنّهم لم يَصْرِفُوكم عن سبيل التّنوير..

ولا هذا الجُمْهور التّائه كالمَلك الضِّلّيل.. الذي تَعَوَّد أنْ يُتابع أهدافًا مُتَناقِضَةً تُرْسَم له.. ومعها ترسم نَقائضُها وَمناقِطها.. فَيَتدافع مُتَفانِيًا يُفْني بعضَ أَهْدافه ببعض.. ولا يكاد يَجِد صَوْتًا قادِرًا على أن يَذْكُر له الحقيقة الكاملة.. حتّى لا يَضْطَرَّ إلى القول: (نِصْف العِلْم لا ندري.. ونحن راضُون منه بِنِصْفِه هذا.. فلا ندقّق حتّى لا نَتْعَب..)! وعَلِيْمُهم المُضَيَّع يُنْشِد لِسَامعه لَوْ وَجَده:

لا أَلْفَيَنَّك بَعْدَ المَوْتِ تَنْدُبُنِيْ   وفي حَياتِي ما زوَّدْتَني زادا

فَإلَىٰ كُلّ مَنْ زَوَّدني زادًا هذا الإهداء.



مُقــــدّمَة

بِاللُّغَةِ تَقْوِيم إِنْسانِيَّةِ الإِنْسان

باللُّغَة يُمْكِنُ التَّعْبِيرُ عن الأَفْكارِ والحَقائقِ والعَواطف البَشَرِيَّة، ويُمْكِنُ بها إِخْفاءُ الأفكارِ والحَقائق والعَواطفِ.. ويُمْكِنُ التَّمْويه والتَّضْليلُ بها عن حقيقةِ ما في الأَفْكارِ والعُقولِ والنُّفوسِ.. أو تَغْييرُ ما فيها، أو تَشتيتُها وتَخْذيلُها.. أو تَطْهِيرُها.. أو تَلْوِيثها.. أو بِناءُ الأَنْفُسِ والعُقول.. أو تَغْييرُها وتَحْويلُها.. أو كَبْتُها.. أو إِخْمادُها.. أو تَنْشيطُها وإثارةُ وهجها.. أو غَرْس الأفكار والمَشاعِر وتَنْمِيتُها وتَثْمِيرُها.. أو العكس.. أو النّقل بين الضّدّ وضدّه.

والفكر والعلم والمَدَنِيَّة والرُّقيّ والحَضارة الإنسانيّة وَجُمْلَة الصّفات الإنسانيّة لا تَقُومُ لها قائمةٌ بغيرِ الأساس اللُّغويِّ الذي هو وِعاؤُها وظَرْفُها..

فاللُّغةُ أداةُ صياغَةِ العَقْلِ والشُّعورِ.. وبالتَّعبير اللُّغويّ فَقَط تَمَرُّ المَعْلوماتُ والعُلومُ والأفْكارُ والمَشاعرُ البَشَرِيَّة. ونحن مُحْتاجُون إلى التَّذْكيرِ بهذه البَدِيْهيَّة الكُلِّيَّةِ الأُولَى في الفِكْر الإنْسانيّ لِأَنّنا اعْتَدنا أنْ نَتَناسَىٰ البَديهيّات ونحن مُسْتَغْرِقون في التّفاصيل الكثيرة المُعَقَّدَةِ من أمورِ العَقْل والتّفكير فَنَجِد لدىٰ بعضنا ميلًا إلى الإقْلال من شَأنِ البُحوث اللُّغويّة ومَكانَتِها وضرورةِ التَّدْقِيق في التَّعامُل بها.. فَكَيْف تَتَوَلَّد المَشاعِرُ والأَفْكار؟ وَكَيْفَ تَنْمُو وَتَتكاثَرُ وتُتَناقَل من دُون العِبارة اللُّغويّة؟ أوَنَنْسَىٰ أنّ مِن أُسُسِ الفِكْر وَبدِيهيّاتِه أنّها الأَداةُ الوَحيدة لِاسْتِيعاب تَنَقُّلاتِ العِلْم والتَّفْكِير والإِحْساس الإِنْسانيّ؟ وَأَنّها الظَّرْف المُفْرَد القادِرُ على ضَبْط المَعْرِفة والتَّدْقِيق فيها؟ وعلى التَّسْديد نحو التَّوَجُّه الصَّحيح إلى العِلْم والفِكْرِ والشُّعور؟.. أَلَيْسَتِ الخِلافاتُ في الفَهْم اللُّغويّ من أهمّ أسبابِ الخِلافِ في الآراءِ والمَنَازِع حين لا يَكُونُ الخِلافُ علىٰ اقْتِسام المادَّة أو على اقْتِسام السَّطْوَةِ والتَّسَلُّط..؟

أَوَنُنْكِرُ أنّ لِمُشْكِلاتِ التَّعْبِيرِ اللُّغويّ أثَرَها في مُشْكِلاتِ العُلومِ والآدابِ والمَدَنِيَّات والبُنْيانِ الفِكريّ والثّقافيّ والتَّربويّ النّاتج عن العلاقاتِ الإنسانيّة أفرادًا وجماعاتٍ.. أوَنَجِدُ ما هو أهمّ من اللُّغة في تقويم إنسانيّةِ الإنسان؟ و(في البَدْء كانتِ الكلمة).

يقول – تَبارَكَ وتعالىٰ – في مُحْكم آياتِه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طيّبة كَشَجَرَةٍ طيّبة أَصْلُها ثابتٌ وفَرْعُها في السّماء (٢٤) تُؤْتي أُكُلَها كلّ حينٍ بإذْنِ رَبّها ويَضْرب الله الأمثالَ للنّاس لعلّهم يَتَذَكّرُون (٢٥) ومَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبيثَةٍ اجْتُثَّتْ من فَوْق الأرض ما لَها منْ قَرار (٢٦)﴾ السورة ١٤/ إبراهيم الآيات ٢٤ و٢٥ و٢٦.

تَخالُف العَبِير في طرائق التَّعبير

لعلّنا نواجه حَمْلة كلامِيّة ضدّ اللُّغة؛ تَصدُر عن بعض المُتَواجِدِيْن في الميادين الثّقافيّة.. يقولون: أَمِنَ المَعْقول أنْ نُهْمِلَ الاهْتِماماتِ الثّقافيّةَ المُعاصِرة بِتَنَوُّعها واتِّساعِها وَعُمْقِها؟ أو بِتَخَصُّصاتها وتَفَرُّعاتها.. من أَجْلِ أنْ نَعْمَل على إتْقان لُغَتِنا التي يَقْرَأُ فيها المُثَقَّف سَنَواتٍ وسَنَواتٍ ثم يَكْتُب فَيُقال له: أَخْطَأْتَ في كذا؟..

وقد نَجِدُ مَنْ يَحْلُم بِلُغَةٍ خَياليّةٍ عالَمِيّة يَصُوْغُها جهازُ حاسوبٍ آليٍّ أو عقل كَهْرُوبيّ (إليكترونيّ)؛ فَيَفْرِضُها على الإنسان في كلِّ زمانٍ ومكان.. وكأنّ الآلَةَ التي يُنْتِجُها التَّقدُّم البَشَرِيُّ يُمكِنُها أنْ تَطْمسَ الثّقافاتِ البَشريّة وتَقْتَلِعَ من النُّفوسِ والعُقولِ والعَواطِفِ كلَّ الْجُذُور الفِكْرِيّة والعاطِفِيّة والإنسانيّة التي كوّنَها تُراثُ أعظمِ الأذكياءِ والنّابِهِينْ وجَبّاري العُقول والأَنْفُس، من عُظماء العَبْقرِيّات البَشَرِيَّة في كلِّ زَمانٍ ومَكانٍ.. أو أن تَمْحُو كُنوزَ الثّقافاتِ الوطنيّة الشّعبيّة العريقة التي حَمَلَتْ أرقى مَشاعِرِ النُّفوسِ وأنضجَ ثَمراتِ الأفكارِ طَوال أحقابٍ وعصورٍ!

ولماذا؟.. لكي لا يقال في مَسْأَلةٍ قَوْلان؟ ولا يُفْتَى في جَوازِ وجْهَيْن؟ ولا يُقْبَل بِتَعَدُّد الآراء وتَنَوُّع الأفكار؟ ولكي تُحْسَم أسبابُ الخِلافِ ويُلْغى الرَّأْيُ الآخر إلغاءً..؟!... ولكنّ العقلَ البشريّ إذا لم تُوْقِظْه أسبابُ الخِلافِ ولم تُثِرْه، ولم يُتْعِبْه البَحْثُ في عوامل التَّناقُض ودواعي التَّضادّ فيما بَيْن الأبيض والأسْود، وبَيْنَ النّورِ والظّلامِ، فلن يَنْشَطَ ويتحمّسَ لإدراكِ معالم الصُّوَر والتَّصَوُّراتِ وتَغايُرات الآراء وتَنَوُّعات ثَمرات الأَفْكار.. إلّا قليلًا.. وهذا ممّا يُقَرِّبها من النَّمَطِيَّة المُمِلَّة التي يُمَثِّلها المُفَكِّر الإنكليزي أَلْدُوس هاكسلي[1] في روايته: (العالم الطّريف): Brave New World.

فالاخْتِلافاتُ الفِكْرِيَّةُ التي ليسَ لها دَوافعُ اقتصاديّةٌ ماديّة لَيْستْ دائمًا خلافات شِرّيرة.. وليست أسبابًا للمُنازَعات.. لا بل يَصْدُر عنها كثيرٌ من الخَيْرِ والازْدِهارِ الثّقافِيّ والتَّقدُّم الحضاريّ. وحُرّيّة الفِكْرِ ثَمَرَةٌ لِثَوْرات الفِكْر.. وربيع التَّقدُّم والحَضارة يَحْمِلُ من كلِّ زَهْرةٍ عبيرًا ويَفْتَحُ في كلِّ اتِّجاهٍ دُرُوبًا وآفاقًا..

(١) ألدوس هاكسلي Aldous Huxly مُؤَلِّف: (العالَم الطَّريف Brave New World. نَشَرَه سنة ١٩٣٢ ونَقَلَهُ إلى العربيّة الأستاذ محمود محمود ونَشَرَتْه(دار الكاتِبِ المِصْرِيّ) بالقاهرة سنة ١٩٤٧. وفيه سُخْرية بالمُدُن الفاضلة Utopias حينما ينتهي العالَم إلى الوحدة والتّنظيم بإشرافِ مصطفى مونْد وفورد الذي يُحرَّف أحيانًا إلى فرويد، وليسَ من حاجة في مِثْل هذا العالم إلى التَّثقيفِ العقليّ الشّامل، بل تُثير الثّقافة العقليّة فيه كثيرًا من الاسْتِياء، وعمّال ذلك العالَم الطّريف يَشْعُرُون بالكُرْه الشّديد للكُتُب ويحبّون حياة المُدُن ويبتعدون عن الطبيعة، ولا يصحّ تَشْجيعُ الدِّراسات والبحوث فيه، ولا يُعْجَبُ بِشِعْر شِكسبير فيه إلّا شَخْصٌ اسمُه (المُتوحِّش)... الخ.

متىٰ تخالَفت اللُّغىٰ واللُّغَيّات

خُذْ مثالًا من (ثِبْ) في اختلافِ لُغاتِ العَرَبِ و(عَرِبيَّتْ): في المَعاجِمِ أو المُعْجَمات، وفي كُتُبِ (الأَضْداد) في كلامِ العَرَبِ.. وغيرها.. أنّ مَعْنى الفِعْلِ.. وَثَبَ.. يَحْتَمِلُ التَّضادّ؛ واسْتَشْهَد محمّد بنُ القاسم الأنباريّ المُتوفّىٰ سنة ٣٢٧هـ سنة ٩٤٠ م. في كِتابِه (الأَضْداد)[1] بِقِصَّة (عَرَبِيَّتْ) لِلْمَلِكِ الظّفاريّ الحِمْيَرِيّ.. وَنَسَبها إلى الأصمعيّ.

وكذا في (الخَصائِصِ) لابن[2] جِنّي، كما في (مُعْجَم البُلْدان) لِياقُوت الحَمَوي: مادّة: ظ ف ر: ظَفارِ: وبَعْد قَوْل ابنِ جِنّي: «.. إنّما أُمِرَ بِحَمْلِ الأُمورِ على ما تبدو وإنْ كانَ في المُغَيَّب غيره. فإنْ لم تَأْخُذْ بها دَخَلَ عليك الشَّكُّ في لُغَة من تَستَفْصِحُه ولا تُنكِرُ شيئًا من لغته مخافةَ أنْ يكونَ فيها بعضُ ما يَخْفَىٰ عليك فيعترض الشّكّ على يَقِيْنِك، وتَسْقُط بكلّ اللُّغاتِ ثِقَتُك، ويكفي من هذا ما تَعْلَمُه من بُعْدِ لُغَة حِمْيَرَ من لغة ابْنَيْ نِزار» [ثمّ يبدأ النّصّ الذي يَلْتَقي نصَّ ياقوت وغيره]:

«رَوَيْنا عن الأَصْمَعيّ أنَّ رجلًا من العرب دَخَلَ على مَلك ظَفارِ – وهي مدينة لهم يَجِيْءُ منها الجَزْع الظَّفاريّ – فقال له المَلِكُ: ثِبْ والمَلِكُ على سَطْح له مُشْرِفٍ؛ فَوَثَب فَتَكَسَّرَ؛ فقال الملك: ليس عندنا عَرَبِيَّتْ[3]، مَنْ دَخَلَ ظَفارِ حَمَّرَ [قال ياقوت]: قوله: ثِبْ؛ أي: اقْعُد، بِلُغة حِمْيَرَ. وقَوْلُه: عَرَبِيَّتْ؛ يُريدُ: العَرَبِيَّة، فَوَقَف على الهاء بالتّاء، وهي لغةُ حِمْيَرَ أيضًا في الوَقْف»[4]. [وتابَع ابنُ جِنّي]:

«فإذا كان ذلك كذلك جازَ جوازًا قريبًا كثيرًا أنْ يَدْخُلَ من هذه اللُّغة في لُغَتِنا وإنْ لم يَكُنْ لها فَصاحتُنا، غيرَ أنّها لغةٌ عربيّةٌ قديمةٌ».

(١) الطّبْعَة الأخيرة لكتاب محمّد بن القاسم الأنباريّ (الأضْداد) في الكويت سنة ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م. حقّقه: محمّد أبو الفضل إبراهيم. انظرْ ص ٩٠ اللفظ ٥٣ من ألفاظ الأضداد.

(٢) ص ٢٨ من ج ٢ من (الخصائص) تأليف أبي الفتح عُثمان بن جنّي المُتوفّى سنة ٣٩٢ هـ سنة ١٠٠٢م. ط٢. دار الكُتُب بالقاهرة ١٣٧٤ هـ و١٩٥٥ م تح.. : محمّد عليّ النجّار.

(٣) في حاشية مُحقّق (الخَصائِص): قَوْلُه: عَرَبِيّت (يُريد العربيّة. فوقف على الهاء بالتّاء؛ وكذلك لُغَتُهم؛ ورَواه بعضُهم: ليسَ عِنْدَنا عربيّة كَعَرَبِيَّتِكُم. وقد صوّبها ابنُ سِيْدَه وقال: لأنَّ الملكَ لم يكنْ لِيُخْرِجَ نَفْسَه من العرب».

(٤) فقلت سائلًا: أتكون التّركيّة اقتبست من لغة حِمْيَرَ في الوُقوفِ على الهاء بالتّاء؟ كما في قولهم: (حُرِّيَتْ عَدَالَتْ مُساوَتْ حِكْمَتْ)؟ سُؤال مُسْتَطْرَد خارج الموضوع.

اللُّغة الحيَّة

أَيَصحّ أن أَطْلُبَ من معاصرينا اليوم استعمال كلمة: (مَأْتَم) للتعبير عن الأَعْراس والأفراح؟ فالمَأْتم: «النساء المجتمعات في فَرَح وسُرور»[1] كما في بيت عمرو بن أحمر الباهلي الذي أنشده أبو حاتم السجستاني[2] والمأتم: من الأضداد، كما في أغلب كتب اللُّغة والأضداد لقطرب والسجستاني وعبد الواحد الحلبي والأنباري.. والخ..

وأثارَت (الأَضْدادُ) في اللُّغَة وما زالت تُثيرُ إعْجاب المُعْجَبِيْنَ وَسُخْطَ الساخِطين المُطالِبينَ بِنَسْخِها وإلْغائها.. وكأنّ بالإمْكان السَّيْطَرَة على الأَلْسِنة واللُّغَيّات بالقَراراتِ والقَواعِدِ والقَوانِين والأَوامِرِ وَأَشْباهِها! أَوْ كَأَنَّ التَّطَوُّرات اللُّغَويَّة يمكن إخْضاعُها لِرَغَباتِنا...

إنَّ لغةً يَضَعُها العُلَماء (كالإسْبِيرانْتو) لَمْ تَجِدْ شَعْبًا يتَّفق على استعمالِها وجَعْلِها لُغَةً حَيَّةً.

وإنّ الألفاظ والعبارات اللُّغويّة تكون كائنات حَيَّة إذا كانت على الألسنة والأقلام... وليس على الأقلام فقط...

من أَزَمات التَّطَوُّر اللُّغويّ المُتخالِف بَيْن الأقطار:

ذكرَ ساطِع الحُصريّ في كِتابه (آراء وأحاديث في اللُّغة والأدب)[3] أنّه، وهو في تونُس سنة ١٩٥٠، قَرَأَ في الصُّحُف: (إعْلان مُناظَرَة في خُطَّة تعليم اللُّغة العربيّة الدّارجة). ففَهِم من

(١) والطَّرَب من ألفاظ الأضداد أيضًا، وفي (القاموس المحيط): «الطَّرَب: الفرح والحزن، ضِدٌّ، أو خِفَّة تلحقك تَسُرُّك أو تَحْزُنك، وتخصيصه بالفرح وَهَمٌ. والحركة والشوق.» وفي (الأضداد) لابن الأنباري ص١٠٢ الحرف ٥٧: «... وقال لبيد في معنى الحزن:

وأرانِي طَرِبًا في إثْرِهِم ... طَرَبَ الوالِهِ أو كالمُخْتَبَل

[وهذا البيت في (اللسان) من ثلاثة أبيات للنابغة الجعدي...

(٢) بيت عمرو بن أحمر الباهلي:

وَكَوْماءَ تَحْبُوا ما تُشَيِّعُ ساقُها ... لدى مِزْهَرٍ ضارٍ أَجَشَّ وَمَأْتَم

ما تُشَيِّعُ ساقها: أي لا تطيعها ولا تعينها على المَشْي؛ ويقال: ما تُشايعني رجلي ولا ساقي؛ أي: لا تتبعني ولا تعينني على المشي.. وفي (الأضداد) لعبد الواحد وللأنباري عن أبي حاتم السجستاني: «فهذا البيت في الفَرَح».

وقال الأنباري: «والعامّة تخطئ فتوهَّم أنّ المأتم: الاجتماع في الحزن خاصة، وقد عرّفتك مذاهب العرب فيه».

(٣) ص ١٦٠ من (آراء وأحاديث في اللغة والأدب) طبعة بيروت سنة ١٩٥٨. ومن المعروف أنّ مُؤَلِّفه ساطع الحُصريّ كان من مُؤَسِّسِي التَّربية الحديثة ومَنَاهِجِها في الأقطار الشّاميّة.

المُناظَرَة كما نفهمه في المَشْرِق العربيّ أنّها مُحاوَرَةٌ بَيْن العُلَماء المُتَخَصِّصين في هذا الموضوع الذي قضى في مُعالَجَتِه أكثر عمره. . فكان عليه أن يَحْضُرَها. . فيُفاجَأ بأنّ المقصود من (المُناظَرة) عندهم ما نُسمّيه في أقطارنا الشّاميّة: مُسابقة لِتَعْيين مُعلِّمين جُدُد يُنْتَقَون لِدُخول سِلْك وظيفة التّعليم. .

ومثل هذه المُشْكلات اللُّغويّة تَشْغَل أكثر من نِصْف موادّ الكِتَاب المذكور فهو يَسْتعرض مَظاهر التَّمزُّقِ الفكريّ اللُّغويّ الذي ما زِلْنا نجد الأمثلة الكثيرة على مَظاهرِهِ ونتائجه. .

وإذا كان هذا هو الواقع اللُّغويّ الخِلافيّ فيما بَيْن كِبار المسؤولين عن العلم والثّقافة والتّربية وتنشئةِ الأجيال في مُختلف أقطارنا. . . فماذا يكون حال اللُّغة بَيْن الشُّعوب وعلى مُسْتويات العَوَامّ. . ؟

التّخْت والدولاب والتُّرْتَة

(التَّخْتَةُ) في مِصْر اسم السّبّورة التي هي في مدارس الشّام: (اللَّوْح) أو اسم المَقْعد المدرسِيّ الذي كنّا نطلق عليه (الرَّحْلايَة)، فقد سمعت من مِصري يقول عن صديقه (كنت وإيّاه على تختة واحدة في المدرسة). أمّا (التَّخْتُ) في الشّام فهو سَريرُ النَّوْمِ [وليس سَريرَ النَّهْرِ كما في الاصْطلاحِ في عِلْم الْجُغرافية]. و(التَّخْتُ) في المُعْجَم القديم (كالقاموس المحيط): «وعاءٌ تُصانُ فيه الثّيابُ». ولم يَذْكُرِ القاموسُ أهو مُعَرَّبٌ؟! والوِعاءُ الذي تُصانُ فيه الثِّيابُ اسْمُهُ في لُغَةِ الشّامِ: (الخِزَانَة) وفي مِصْرَ: (الدُّولاب) والدّولابُ في الشّام هو ما يُسمَّى (العَجَل) في مِصْر، أوْ هو (العَجَلَة) في فصيح الكتّاب في الشّام، تقول: دواليب السّيارة وعَجَلاتُها. . . وَتَعودُ إلى (التَّخْتِ الشَّرقيّ) في المُصْطَلَحِ الموسيقيّ فإذا هو اسْمٌ لِنِظامِ الغُرْفَةِ للموسيقا الشّرقيّة. . . وبَعْدَ (التّخت) يذكر (القاموس المحيط): «التُّرْتَة: (بالضّم) رَدَّةٌ قَبِيْحَةٌ في اللِّسانِ من العَيْبِ» ولٰكِنَّ (التُّرْتَة) في الحَفَلات في المُسلسلاتِ المِصريَّةِ: قالب الحَلْوى الذي نقول عنه في الشّام (قالب الكاتُّو)!.

وارجع إلى ما تَيَسَّرَ لي نَشْرُه في مجلّة (المُعلِّم العربيّ) الصّادرة عن وزارة التّربية بدمشق في السّنةِ التّاسعةِ والثلاثين لها في سنة ١٩٨٦م. العدد الخامس ص١٠٤ بعنوان (من مُشْكِلات التَّطوُّر في فِصاح العامَّة): (القَطْر والكُبَّة) وتجدها تعالج تناقُضات التَّطوُّر في الفصيح بين مِصْر والشّام مثلًا، وتَجدُها في ترتيبِها من هذا المُعْجم، كما تجِدُ مثلَ هذا في أسماء: (المشمش) و(الخَوْخ) و(الإجاص) وتجد (الشّمندر السّكريّ) أو (البَنْجر) في: (السُّكَّر). . والاختلافات في أسماء الأشهر في السّنة الشّمسيّة في مثال: كانون وكذلك معاني الأشهر القمريّة في السّنة الهجريّة. . وانظر إلى عامِّيّات المثقّفين في مثل: اللوبي والصّراط والأوادم والودع. وتجد أمثلة أخرى كثيرة. .

مُشْكِلَة تاريخ حياة العِبارات

ويُقال لي: ما لَك ولِكُلّ هذا التَّوَقُّل فيما بَيْن الصَّخْر والوَعْر.. وهل تَجِدُ في زحزحة الصُّخور سوى الزّواحِف والحَشَراتِ التي كانت تكْمُن تحتها فأطلقْتَها.. أليسَ من الخير أن تتقيَّد بعناصر موضوعك؟ فَلِكلّ لفظةٍ من فِصاح العامّيّة شَكْلُها ومعناها فاضْبُطْهما وهاتِ الشّاهد على فَصاحَتِها وصِحَّتها.. واسْتَوْفِ ثمّ اكْتَفِ!

فهل أَمْتَنِعُ عن البَحْث والسُّؤال؟ وهل يَسْهُل وَيَثْبُت الحُكْمُ المُبْرَم على أيّ عبارةٍ ما بأنّها من فِصاح العامِّيَّة؟ وبهذه الآليّة..؟ وهل هي عامّيّة واحدة لا غير... إذا كُنْتُ ما أزال أكتشِفُ إلى اليوم في أحياءٍ أخرى من مدينتي ذاتِها عباراتٍ أسمعها من زميلي في مهنتي وهو ابن جِبْلي ورفيقُ دراستي. كما في لفظة: فَدار: وما معنى هذه العبارة: (الدُّولاب) في هذه العامّيّة أو تلك؟ ومتى اتَّفق العلماءُ حتّى يتَّفق العَوَامُّ على لَفْظٍ أو مَعْنًى أو استعمال؟ وهل من حُدود موضوعيَّة ومقاييس عِلْمِيَّة لِمُشافهات العامّة؟ وهل من دراسةٍ عِلْمِيَّة جاهزة بَيْن الأيدي في موضوع: حياة الألفاظ والتّعابير ومَوْلدها وَتَطَوُّر معانيها وانتشارها في الأمكنة والأزمنة الواسعة والمُتباعِدَة وبَيْن الأقطار والجماعات المُتَعدِّدة التي تَنَاوَلَت هذه العِبارات، فَأَعْطَتْها هذه المعاني أو هذه الإيْماءات والإيحاءات؟

أأبتعدُ عمّا اختُلِفَ فيه، وأتجافى عمّا تجافاه الذين يَرَوْن أنّه لا توجد مُشْكِلة إذا لم يَرَوْها ويُعانُوا منها؟

والأمثلة كثيرة وموفورة فيما بين يديك.. وتكاد تجد أنواعًا متخالفة من هذه الأمثلة في كثير من المُطَوَّلات التي بحثت فيها عن الألفاظ المتطوّرة في المعاني والدّلالات.

وخذ مثلًا ممّا كتبت في: أدم والأوادم، أو في: ق ف ش.

محاولات على طريق الوصول إلى معجم التطوُّر التّاريخيّ للُّغة:

أين المُعجم اللُّغويّ التّاريخيّ لِتَطَوُّر الألفاظِ والمعاني؟

لو كان لِتَاريخ نُشوء أيّ لَفْظة في اللغة وتطوُّر لفظِها ومعاني دلالاتها واختلافها في الزّمان والمكان مُعْجَمٌ عِلْميّ كبير يَضمُّها لَكان المَرْجِع الأوّل لِعَمَلي في (فِصاح العامّية).. ولٰكنّي لا أقف عن العمل مكتوف اليدَيْن، بل أقول: لعلّ عَمَلي يكون مُحاولة من كثير من المحاولات التي تطمحُ إلى المساهمة في تمهيد الطّريق أمام المُعْجم التّاريخيّ المنشود...

وقديمًا بدأ أحمد بن فارس؛ المُتَوفّى: سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م. في مُعْجَمِه (مقاييس اللغة) - وهو مُؤلّف مُعجَم (المُجمل) وكتاب (الصّاحبي في فِقْه اللغة) - فقاس أصول المعاني وحاوَلَ الكَشْف عن هذه الأُصول وكيف تطوَّرَت الدّلالات المُخْتَلِفة عنها. .

وعمل الزّمخشريّ؛ المُتوَفّى: سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م. على تمييز المَجاز وفَصْلِه عن الحقيقة في المعنى، في: (أساس البلاغة). وقد لاحظتُ في تتبُّعي لبعض هذه المَجازات أنّها كانت: أصل المعنى لدىٰ ابن فارس في (المقاييس. . .) أحيانًا. . كما في: خ ب ز: فقد قال الزّمخشريّ: «ومن المَجاز: خَبَطَني بِرِجْله وَخَبَزَني وَتَخَبَّطَنِي وَتَخَبَّزَنِي» ومن قَبْله في (مقاييس. .) ابن فارس: «أَصْلُ الخَبْزِ يَدُلُّ على خَبْط الشَّيْءِ باليَدِ، ومن ذلك: خَبَزَ الخَبّازُ الخُبْزَ». ومن الإطالة تَتَبُّع أمثلة أخرى.

وسار مُرْتَضى الزَّبيدي المُتَوفّى سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م. في مُعْجمه المَوْسوعيّ (تاج العروس. .) على خُطا الزَّمَخْشَريّ في تمييز المَجاز، وكذلك فَعَل أحمد رضا العامليّ في مُعجمه (مَتن اللغة) والعديد من المعاجم الحديثة كذلك. . .

وترك المُستشرق الألماني أ. فيشر، المُتَوفّى سنة ١٩٤٩م. جُذاذات مُعْجَمِه لِمَجْمَع القاهرة، وكان اهتمّ فيه بتطوُّر العربيّة وعلاقتها بالسّامِيّات الأُخْرَيات وبالتَّطوُّر التّاريخيّ لألفاظها. . كما سمعنا. .

ومَجْمَع القاهرة يُعِدّ (المُعجم الكبير) الذي أصدر منه بِضْعة أجزاء حتّى الآن، وما زال العمل فيه في البدايات. .

لا يخلو المعجم من النَّقض

من (عَيْن الخليل) إلى (المُعْجم المدرسيّ)

قد يندّ عن المؤلّفين في المعجم العربيّ بعضُ البديهيّات فيغفلون عن ذكرها؛ فَحِيْن أَرَدْتُ تحقيقَ صِحّة قول مُؤَلِّفي كُتُب القواعد النَّحْوِيّة والصَّرْفيَّة المدرسيّة، ككتاب (القواعد للصّف الأوّل الإعداديّ): «إيت بالفعل. . .»: وَجَدْتُ أكثر المُعْجمات وكُتُب اللغة تَذْكر (أتى) اللازم. و(أتاه) المُتَعدّي بِنَفْسِه، وتَذْكُر (أتى عليه) مُتَعدِّيًا بِعَليٰ، ولا تَذْكُر (أتى بـ. .) مُتَعدِّيًا بالباء التي تَفَرّد بِذِكْرها (المُعْجم المدرسيّ) أَحْدَث مُعْجَم مُعاصِر في طَبْعَتِه الأولى عن وزارة التّربية بدمشق سنة ١٤٠٦هـ = ١٩٨٥م. ولم يَذْكرها (المعجم الوسيط) مُعْجم المَجْمَع في مِصْر سنة ١٩٦٠. كما لم يَذْكُرْها أحمد رضا مُؤَلّف معجم مجمع دمشق (متن اللغة) وهو أوسع معجم حديث، ومثلهما أغفلها موسى الأحمَدي مُؤلّف (مُعْجَم الأفعال المُتَعَدِّية بحرف) مع أنَّها من اختصاصه، وأَغفلها أيضًا البُستانيّ في (محيط المحيط) والشّرتونيّ في (أقرب المَوَارد) ولويس

معلوف في (المُنْجد) وجبران مسعود في (الرّائد). . ، وكلُّهم يذكرون تَعْدِيَة الفِعْل (أتى) بِنَفْسه وبِعَليٰ، ويسكتون عن تعديته بالباء التي لم تَرِد في غير، (المعجم المدرسيّ).

وأمّا عند القُدماء فقد بَحَثْتُ عنها في أوثق مُعْجم قديم (لسان العرب) لابن منظور، فَوَجَدْته يُهْملها أيضًا مع أنّه يَسْتَشْهد بالآية الكريمة: ﴿. . أيْنما تكونُوا يَأْتِ بكم الله جميعًا﴾[1]. وأمّا الرّازي عن الجوهريّ في (مختار الصّحاح) فلا يذْكرها ولٰكنّه حين يشرح (آتاه) يقولُ: «آتاه أيضًا: أتى به. .». وكذا في مُعْجم الزّبيديّ (تاج العروس).

ولقد عَدَدْت في آي الذِّكر الحكيم أكثر من ثلاثين آية يتعدّى فيها الفِعْل (أتى) بالباء؛ من مثل: ﴿فأَتَتْ به قَوْمَها تحمله. .﴾[2] أو: ﴿. . وإنْ كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها. .﴾[3].

ومن عين على (العين) إلى ما بعد (الجاسوس..)

منذ أن بدأ التَّدوين في اللغة، أي منذ القَرْن الثّاني الهجريّ، والثّامن الميلاديّ بدأ معه تتبُّع هَفَوات العُلماء، وما يُتَوَهَّم عليهم، وما يَفُوتهم. . الخ. . وكان من الطَّبيعيّ أنّ كلّ مؤلِّف في اللغة يستوعب أعمال مَنْ سَبَقُوه. . ويُشير إلى ما فاتَهم أو تُوُهِّم ألّا تُصُحِّفَ عليهم ممّا لم يُشَرْ إليه بَعْد. .

وهكذا كان كلّما تقدّم الزّمن تصبح المُؤَلَّفات أَكْمَلَ وَأَقْوَمَ وأَصَحّ. . وتَجِدُ لَدىٰ ابن جنّي في (الخصائص)[4] مثلًا بابًا (في سَقَطات العُلَماء)، بل لديه أيضًا (باب في أغلاط العرب)[5]. .

وفي القَرْن الماضي اشْتُهِرَ كِتَاب (الجاسوس على القاموس) لأحمد فارس الشِّدياق. . ثمّ اشْتُهِر أحمد رضا العامليّ بتتبُّع أخطاء سعيد الخوري الشّرتوني المُتوفّى سنة ١٩١٢ في مُعْجَمِه (أقرب المَوارِد في فُصَح العربيّة والشَّوارِد) المطبوع في بيروت سنة ١٨٩٠ على أنّ مؤلّفه دقّقه فأَلْحَق به (ذيل أقرب الموارد) ثمّ أَلْحَق بالذّيل (فائت الذّيْل) ثمّ ألحق مُلْحقًا رابعًا. . . ومع ذلك نشر رضا في مَجَلَّة مَجْمَع دمشق - وكان عضوًا فيه - سلسلة بحوث في غَلطات الشَّرتوني، فكلّفه المَجْمع تَأليفَ مُعْجَمِه، فألّف رضا (مَتْن اللغة) وفي مقدّمته بحوث في غلطات العُلماء. . ويقول في ص٧٦ في السَّطْرَين الأخيرَيْن منها في مقدّمة المَتْن: «وجدت [للشرتوني] أكثر من أربعمائة

(١) ٢/ سورة البقرة/ ١٤٨.
(٢) ١٩/ سورة مريم/ ٢٧.
(٣) ٢١/ سورة الأنبياء/ ٤٧.
(٤) من ص: ٢٨٢ حتى ٣٠٩ من ج٣ من (الخصائص) لعثمان بن جني ط١ سنة ١٩٥٦.
(٥) من ص: ٢٧٣ حتى ٢٨٢ من ج٣ من (الخصائص) لعثمان بن جني ط١ سنة ١٩٥٦.

غلطة من ثلاثمائة صفحة نشرتها في مجلّة المَجْمَع العِلْميّ العربيّ بدمشق في المُجَلّد ٢١-٢٢».

وطُبع (متن اللغة سنة ١٩٥٨-١٩٦٠) بعد وفاة رضا سنة ١٩٥٣ ولعلّ ذلك كان السّبب في كثرة الأخطاء الطّباعيّة فيه. . . علماء اللغات و(الألسنية) كلّهم أئمّتي، حتّى الذين صحّحوا إلى (اللسانيّات) ولٰكنّي مع المعرّي:

كَذَب الظَنُّ. . لا إمامَ سوى العقـ ـلِ مُشيرًا في صبحه والمَسَاءِ

أَقْتَرح العَمَل الجماعيّ العامّ

ولَسْتُ أُجَرِّح المُعْجَم

مَعاذَ الله من أَنْ أَطْمح إلى إمساك مِبْضع المُداخَلة الجِراحيَّة لأواجه أَثْبَتَ وَأَصَحّ فِكْرٍ لُغَوِيّ إنسانيّ تالد وطريف؛ وهو ما في المعجم العربيّ العتيد. .

فمَنْ يَنْشُد أن يداخل فيما بين أَلْفَي مُعجم أو نحوها. . فعليه اليوم أنْ يُلْقِمَهَا كلّها إلى جهاز (حاسوب أو عقل إليكترونيّ) قادِر على التَّنْسيق فيما بينَها واسْتِخلاص المَنْشود منها. . وليس هذا في طاقة شخص فرد. .

وأَقْتَرح أنْ يكونَ العَمَل في المُعْجم المَنْشُود في قسم يُنْشَأُ للمعجم والموسوعة في أقسام الدّراسات العُليا في الجامعات المُنْتَشِرة في أقطار العالَم العربيّ. فَيَقُوم الدارس أو مُؤَلِّف الموضوع المُعْجَمِيّ بتأليف حرف، أو قِسم مِن حَرْف، أو مَوْضوع مَوْسوعيّ، مَثَلًا. . ويُدَقّقه أساتذته والمُشْرِفُون على رسالته ولِجَان المُناقشة. . ثمّ تُشْرف لِجان تنسيق وتدقيق بين جامعات البُلدان العربيّة؛ فتربط بَيْنها وبَيْن أصحاب مشروعات المُعْجمات والموسوعات. . ، المُتَكاثِرة بَيْن المُؤَسَّسات المُخْتَصَّة في أقطارنا الآن. . وفي خارجها. .

العرب والمَوْسوعات

والعرب أسبق الأُمَم إلى وَضْع المعاجم والفهارس والموسوعات ثمّ إلى إهمالها

يقول ابن منظور في سنة ٦٣٠ حتّى سنة ٧١١هـ = من سنة ١٢٣٢م حتّى سنة ١٣١٠م في مُقدّمة مُعْجَمِه المَوْسوعيّ (لسان العرب):

«. . وذلك لما رأيْتُه قد غَلَب، في هذا الأوان، من اخْتلاف الألسنة والألوان، حتّى لقد أصبح اللحنُ في الكلام يُعَدُّ لَحْنًا مَرْدُودًا، وصارَ النُّطْقُ بالعربيّة من المَعايبِ مَعْدودًا، وتنافس النّاس في

تَصانِيْف التَّرجمانات في اللغة الأعجميّة، وتفاصحُوا في غير اللغة العربيّة، فَجَمَعْتُ هذا الكتاب في زمنٍ أَهْلُه بِغَيْرِ لُغَتِهِ يَفْخَرُون وَصَنَعْتُهُ كما صَنَعَ نُوْحُ الفُلْكَ وَقَوْمُهُ منه يَسْخَرُون...».

ومن عَصْرِنا يقول شَيْخ المُحَقِّقِيْن أحمد محمّد شاكر:

«كان أئمّتُنا المُتَقَدِّمون... اخْترعُوا لِمُفردات اللغة العربيّة ترتيب مَعاجِمِها على الحُروف الهجائيّة، وسَبَقُوا إلى ذلك سائرَ الأُمَمِ، فإنَّ كِتابَ الْجَمْهَرةِ لابن دُرَيْدٍ معجمٌ لُغَويٌّ مُرَتَّبٌ على الحُروفِ، وهو مطبوعٌ في حَيْدرآباد، وابن دُرَيد مات في ١٨ شعبان سنة ٣٢١هجريّة (أغسطس سنة ٩٣٣ ميلاديّة) فقد ألّف كِتابه إذن قَبْل أوّل (مجموعة كلمات إنجليزيّة هجائيّة) بنحوِ سَبْعَةِ قُرونٍ، وقبلَ أوّلِ مُعْجم لاتينيٍّ ظَهَرَ في أوروبّة بأكثرَ من ثلاثةِ قُرون».

هذا النّصّ من الصّفحة خ من صَفَحات المُقَدّمة التي كَتَبَها أحمد محمّد شاكر سنة ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م لِكِتاب (مِفْتاح كُنوزِ السُّنَّة) الذي أَلَّفَهُ المُسْتَشْرِقُ الهولنديُّ الدكتور أ.ي فِنْسِنْك، (أو: ونْسِنك) أستاذ اللغات السّاميّة في جامعة ليدن ودعا أحمد محمّد شاكر إلى ترجمته إلى العربيّة سنة ١٣٤٧هـ وسنة ١٩٢٨م فعرّف به أخاه محمودًا محمَّدًا شاكرًا ثمّ عرّف محمّد رشيد رضا مُنْشِئ مَجَلّة المَنَار وعرّبه محمّد فؤاد عبد الباقي وأصدره سنة ١٣٥٣هـ- سنة ١٩٣٤م بالقاهرة، والطّبعة عِنْدي مُصَوَّرة في إيران سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

قُلْت: وبَعْد أَلْفٍ وخَمْسِمائةِ مُعْجَم من مَعاجِم التُّراث ثمّ ما تلاها من مئات المعاجم الحديثة ما زِلْنا نَشْكو من فُقْدان المُعْجم الكامل وفُقْدان المَعاجم المُناسِبَة لكلّ طَبَقَةٍ حتّى وقع هذا الْجفاء بَيْن المُثَقَّفِيْن وبَيْن المُعْجَم العربيّ!!.

الْجَفاء بَيْن المُثَقَّفين وبَيْن المُعْجَم

وقد نَتَج عن توسُّعِ المعاجِم وتكاثُرِ الخلافاتِ وتناقُضِ آراءِ العُلَماءِ أحيانًا أن انْصَرفَ عددٌ كبيرٌ من المُخْتَصِّين بغيرِ اللغةِ من فروعِ العلومِ والثّقافات عن الكَشْفِ في المُعْجمِ وَتتبُّعِ الدِّقّةِ اللغويّة حتّى جرى قولُهم (مَنْ يُدَقِّقْ يَتْعَبْ) مَجْرى الأمثال! وكيف يستطيع أيُّ عربيٍّ أن يُدَقِّقَ إذا كان عليه أنْ يَحْصَلَ على كلّ ما يُطبَع من مَراجِعِ موضوعه ولكنّ مُشْكِلة تنقُّل الكِتَاب العربيّ هي إحدى المُشْكلاتِ المعروفةِ التي تحتاجُ إلى دراسةٍ قد لا تكفيها موسوعة؟ هذا بالإضافة إلى غيرها من المُشْكلات التي لا يطولها حَصْرٌ.

وعامِّيَّة ابْتَدَعها بعضُ المُثَقَّفين

فعلينا، حين نعدّد العامّيّات واللُّغَيّات المُتخالِفة، ألّا نَنْسَىٰ لُغَةَ أولٰئك الكتّاب الذين يؤلّفون ما

يظنّونه من الفصيح المُبْتَكَرِ والمُبْتَدَعِ والمُحْدَث بالحداثة، والذي لا يَسْتَنِدُ على مُعْجم ولا يدري مُبْتَدِعُوه منْ أينَ وكيفَ أَشْرَقَتْ في أساليبهم الابتداعيّة مِثْلُ هذه العبارات.. والأمثلةُ على هذا كثيرةٌ مُحيطةٌ بنا من كلِّ جانب.. ولك أنْ تَرجِعَ إلى بَعْضٍ ما في هذا المُعْجم منه مثل: (اللُّوبي) و(الدَّجْوَنَة).. و...

لغة الحياة والترفّع عنها

وكان إهمالُ تسجيلِ العامّيّات، والتَّباعد في أَزْمنتها وأَمْكِنَتها من أسباب التَّباعُد والتَّخالُف بَيْن هذه اللهَجَات واللُّغَيّات بالإضافة إلى اخْتلاف الظُّروفِ السِّياسيّة والاجتماعيّة بَيْن الأقطار والأمصار العربيّة.. كما سنرى في البُحوث والفُصول التّالية... التي سَتَلْمَس فيها أنّي أَسْتَنْجِدُ بكم كافّة لإعادة هذه اللغة إلى الحياة اليوميّة والعِلْميّة والعَمَليّة لتكونَ لغةَ الكتابِ واللسانِ.. ولُغةَ الخُبز.. لا لُغة الحُجُبَ والحُرُوز كما يُقال أحيانًا.!.

أَلْفٌ ونصفُ أَلْفٍ من المَعاجِم:

وأينَ المُعْجَم الوافي؟

ولعلَّكَ تَقولُ هذه مُشْكلاتُ العامّيّات التي تخالِطُ الْجَهل، فانْظرْ إلى الحَرَكةِ العِلْميّة للتّأليفِ اللغويّ العلميّ[1] ومُعْجماتِ المُصْطلحات العِلْميّة في كلِّ علمٍ وفنّ وإلى مشروعاتِ المَوْسُوعاتِ ودوائرِ المعارِف؛ فَتُذَكِّرُني بأنّ في مُقابِل هذا الازدهارِ في حركة التّأليفِ المُعْجميّ ما نزالُ نعاني من فُقدان المُعجم الوافي الذي يُلَبّي القارئ - مثلًا - إذا كانَ يَقْرَأ في مَجَلّة[2] مترجمة عن (لوط القُضاعَة) وهو كلْب الماء، فيتذكّر أنّ قُضاعة اسمُ قبيلةٍ عربيّةٍ قديمةٍ قبلَ الإسلامِ فيقع أوثقَ مُعْجم

(١) انظرْ في فهرس المعاجم من مطبوعات مكتبة لبنان، هذا. بالإضافة إلى المعاجم التي كتبت عنها ونُشِرت في (مجلّة المعلّم العربيّ) العدد السّادس لسنة ١٩٨٦م السّنة التاسعة والثلاثين ص١٠٠-١١٣، بعنوان: (مصادر المُعْجم المدرسيّ ومَراجعُه: لمحة تاريخيّة).

(٢) كما ورد فيما نشرتُه في مجلّة (التّراث العربيّ) العدد ٤٧ شوال ١٤١٢هـ نيسان ١٩٩٢م الصّفحة ١٢٨ بعنوان فرعيّ (أينَ المُعْجم الوافي؟) من العنوان (قَبَسٌ من اللغة).

والمجلّة المُتَرْجَمة المذكورة والتي فيها الموضوع عن كلْبِ الماء أو لوط القضاعة هي مجلّة: (المختار من ريدرز دايجست) في عدد كانون الأوّل (ديسمبر) سنة ١٩٨٦ وعنوان الموضوع فيها: (الضّبيّ وثعلب الماء: لوط القُضاعة).

وإذا كاشفت (المعجم العربي الأساسي) الذي أصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة ١٩٨٩، فلن تجد فيه أيضًا سوى «قضاعة: قبيلة عربية حِمْيَرِيَّة تضم قبائل وبطونًا عديدة».

لمَجْمَع القاهرةِ (. . الوسيط) فلا يجدُ إلّا: «القُضاع والقُضاعة: غبارُ الدّقيق أو ما يتحتَّتُ من أصلِ الحائط». فيظنّ أنّ في لغة المَجلّة وَهْمًا من الأخطاء الشّائعةِ التي يَجْدُر أنْ يَكْتُبَ فيها مُؤَلِّفو (الأغلاط اللغويّة المُعاصِرة) لولا أنْ يتذكَّر أنَّ ألفًا وخمسمائة مُعْجَمٍ تُراثيّ لن يُغْنِي (. . الوسيط) غَناءها، وأوّل ما يذكر من معاجم التّراث (القاموس المحيط) وفيه يقول الفيروزأبادي: (القُضاعة كَلْب الماء أو غُبار الدّقيق) (فقاموس) مجد الدّين على إيجازه أكثرُ تلبيةً لتفسير لغة المجلّات المُتَرْجَمَة في عصرنا! وأشدّ حِرْصًا على ذِكْر المعاني المُشْتَرَكة في لفظٍ ممّا يُدْعىٰ بالمُشترَك اللفظيّ؛ من مُعْجم مَجْمع القاهرة المُعاصِر (. . الوسيط) الذي عَمِل فيه علماءُ مِصْرَ أكثرَ من أربعين عامًا . .

ومع ذلك كُتِبَتْ في نَواقصِ (المُعْجم الوسيط) وعُيوبِه بحوثٌ لِنُقّاد اللغة الكثيرين: . . وما زالُوا في كلِّ طَبْعة جديدة له يحاولون تحسينه على ضَوْء ما يُكتَب، ومع ذلك بقي ممّا لم يُكتَب الكثير الكثير . . . فالنّقص في ترجمة معاني: القُضاعة - مثلًا - في طبعاته الثّلاث.

ولنلتمس العُذْر لمُؤَلِّفي (. . الوسيط) وكلّ معجم آخر بأنْ نتذكّر أنّهم قديمًا ألَّفُوا نَحْوَ أَلْفٍ وَنصف ألف من المعاجم التّراثيّة العربيّة كما جاء في (معجم المعاجم) الصّادر في بيروت سنة ١٩٨٧م من تأليف: أحمد الشّرقاوي إقبال.

ولا يتدخّل التّوهّم في الرّغبة بالانْتقاصِ من القيمة العظيمة لحركة التّأليف في لُغَتِنا ومُعْجَمها التّالد والطّريف قديمًا وحديثًا . . . وأنا لا أكاد أظنّ أنّ لغةً أخرى حَظِيَتْ بعنايةٍ عِلْمِيَّةٍ واسعة وعميقة ودقيقة وشاملةٍ على مستوى ما حَظِيَتْ به العربيّةُ منذُ أقدمِ عصورِها إلى اليوم . . . ومع ذلك أجدُ في الاكْتفاء بالفَخْر دافعًا إلى إهْمال المُشْكِلات اللغويّة المُلِحَّة . . ففي بعض هذه المُشْكلاتِ خطورةٌ حقيقيَّةٌ على حركة التّقدّم الفكريّ الحضاريّ؛ إذْ إنّ التَّقدُّم اللغويَّ التَّعبيريّ أَساسه وظرفه الفريد.

تكاثُرُ العامّيّات

كُنْتُ أُحاورُ صديقًا لي أستاذًا للعربيّة زميلًا من جيلي ومنْ مَدينتي دمشقَ ومن بيئةٍ لا تختلفُ عن بيئتي إلّا أنّه نشأ في طفولتِهِ في حيٍّ قديمٍ آخرَ غيرِ الحيِّ القديم الذي نَشَأْتُ فيهِ، وكانَ الحديثُ عن مادّةٍ قلّتْ أو فُقِدَتْ منَ الأسواقِ، فقالَ: عِنْدي مِنْها في السَّقيفَةِ كمّيّةٌ كنْتُ تركْتُها لِتَكونَ (فدار) فلَمْ أَفْهَمْ ما (فدار) فاكتَشَفْنا أنَّها لفظةٌ مِنْ عامّيّةِ حَيِّهِ القديم في دمشقَ لا تُعْرَفُ في الأحياء الأخرى! ويقصدونَ بها المِيرةَ الاحْتياطيّة! وأنّها مُتَطوّرة من أصل فصيح . . وستجدها في: ف د ر . .

فهذِهِ العامّيّاتُ الكثيرةُ المُتَكاثِرَةُ والمُتَفَارِقَةُ، والمُفرّقةُ حتّى بينَ أحياءِ المدينةِ الواحدةِ ومع ذلكَ لا تجدُ لها جذورًا من تراثٍ حضاريٍّ أو ثقافيٍّ أو فكريٍّ، ولا تُشَكِّلُ، ولا يمكنُها أنْ تشكِّلَ غَرَضًا يُرمَى أو هَدَفًا يُقْذَفُ فيصابُ ويقاتَلُ حتّى يقلَّ تكاثُرُه الوَرَميُّ . . فتكاثُرُ هذهِ العامّيّاتِ

المُفَرَّقة، وتكاثُرُ اللُّغيّاتِ كتكاثُرِ الوباءِ المُتكاثِرِ بالانْقسامِ الخَلَويِّ السَّريع، أو كالتَّسَرُّطُنِ بالسّرطاناتِ غير الوَبائيّةِ، يظلُّ على كلِّ حالٍ تكاثُرًا لا يُلْهينا لأنَّهُ لا يَثْبُتُ أمامَ تَحدّياتِ الدّقّةِ والضّبطِ اللازمِ للتّعبير عن التّرقّي والتّقدّم الحضاريِّ أو الفِكْريِّ أو العِلْميِّ فتكاثُرُ الغُثاءِ كَغُثاءِ السَّيلِ المُدَمِّرِ ليسَ ظاهرةً صحِّيَّةً حيويّةً وأكثر ما يكونُ العكسُ هو الصحيحُ. ولو لم يكنْ من المُسْتحيل إحْلالُ اللغة التي نريدُها للنّاس فِي محلّ لغتهم التي ارْتَضَوها لهم لكنّا سَأَلنا: وما الفائدةُ مِنْ إحلالِ إحدى العامّيّات محلّ الفصيحةِ اليومَ فَتَنْقَسِمُ وتتكاثر وينشأ عنها عامّيّاتٌ أخرى في المستقبلِ بعدَ أنْ نكونَ خَسِرْنا وَحْدَةَ لسانِنَا وفِكْرِنا وثقَافَتِنا وأصالةَ تراثِنا وامتدادَهُ الواسعَ العميقَ في جذورِ التّاريخ؟ ولا نكادُ نكَوِّنُ بداياتٍ جديدةً حتّى تتطوَّرَ عن العامّيّاتِ القديمةِ حَدَاثةٌ مُحْدثةٌ فَتَبْدَأُ مِنْ جديدٍ؟! إنّها ليسَتْ تَطَوُّراتٍ هذهِ ولٰكنْ تكرارُ أسطورةِ (سيزيف)[١] و(غَزْلِ پينيلوپي)[٢] في الأُوذيسّة، وغزْل التي ﴿نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثًا﴾ السورة ١٦ النحل/ الآية ٩٢.

مِنْ أينَ أتَتِ العامّيّاتُ المُتخالِفةُ؟

لا أقصدُ الدّفاعَ عن اللُّغةِ الفصيحةِ، فقدْ أثْبَتَتْ وتُثْبِتُ دائمًا أنّها أقوى وأنضجُ وأمتنُ مِنْ أنْ تحتاجَ إلى أيِّ دفاعٍ عنها، منذُ أَنِ امتَصَّتْ واسْتَوْعَبَتْ هجماتِ الجَهَلَةِ والخاطئينَ والذينَ اسْتَسْهَلُوا طرائقَ الْجَهْلِ والغَلَطِ والعُزلةِ، من طرائقِ التّعبير اللُّغويِّ غيرِ المُسَجَّلِ؛ فمنذُ أنْ كانَ العربيُّ قد بدأَ يعلّمُ الأعاجمَ الكبارَ في السِّنِّ، لغتَهُ الفصيحةَ الدّارجةَ التي كانَتْ قد ذابَتْ فيها فروقُ اللهَجَاتِ الْجاهليّةِ القديمةِ، فكانَ هؤلاءِ الأعاجمُ كبارُ السِّنِّ مِنَ الذينَ يتعلّمونَ العربيّةَ بالدّراسةِ المُكْتَسَبَةِ والْجُهْدِ العقليِّ الْجهيد، وليسَ بالفِطْرةِ والسّماعِ، فكانوا يُخطئونَ أحيانًا وتتكاثَرُ الأخطاءُ على الألسنةِ وتَتَنَقَّلُ هذهِ الأخطاءُ بالاخْتلاطِ السّريعِ في أيّام الفتوحاتِ، حتّى تصلَ هذه الأخطاءُ إلى بعضِ الأطفالِ العربِ ممَّنْ لم تتحْ لهم الظروفُ أن يُرْسَلُوا مع المُرْضعاتِ البدويّاتِ إلى دُوْرِ حضانتِهمْ ورياضِهِمْ في مَضارِبِ الباديةِ لكي يُرَبَّوا على الصِّحةِ الْجسميّةِ واللِّسانيّةِ والفصاحةِ السّليقيَّةِ، فهؤلاءِ الذينَ لم يصلْهِم السَّماعُ اللغويُّ الصّحيحُ في طفولَتِهم وَصَلَتْهُم سماعاتُ الأخطاءِ اللغويّة مِنْ أولئكَ الأعاجمِ كبارِ السِّنِّ، حتّى وَصَلَتِ الأخطاءُ إلى ابْنَةِ عليٍّ أو عُمَر، الّتي رُوِيَ عنها أنّها قالَتْ لأبيها يومًا: يا أَبَتِ عطشتَ. فقالَ لا، فقالَتْ: أقصدُ أنّي أنا الّتي

(١) سيزيف: مِمَّا في (الميثولوجية) الإغريقيّة القديمة: أنّه قُضِيَ على سيزيف أنْ يظلّ أبدًا يعاود حَمْلَ الصَّخْرة إلى القِمَّة؛ وتظلّ الصّخرةُ تعاودُ سقوطَها منها إلى الهاوية أبدًا.

(٢) پينيلوپي: في (الأُوذيسَّة) إحدى مَلْحمَتَيْ هوميروس الشّاعر الإغريقي الضّرير؛ هي امرأةُ الغائبِ أوذيسيوس الميْئوس من عودته في رأي زُعماء القوم سواها؛ فهي تَعِدُهم، نهارًا، بِقَبُولِها الزّواج من أحدِهم حينما ستَنْتَهي من نَسْجِ غَزْلِها الذي تَنْقُضُه ليلًا لكي لا تَزَوَّج.

عطشتُ، فقال: إذًا ضُمّي شَفَتَيكِ (أيْ: قُولي: عَطِشْتُ).

ولٰكنَّهم بدلًا مِنْ أنْ يَضُمُّوا ضميرَ المُتَكَلِّم في (عطشتُ)، ويفتحُوا ضميرَ المُخاطَبِ المُذَكَّرِ في عَطِشْتَ؟، ويكسِرُوا ضميرَ المخاطَبةِ المُؤَنَّثَةِ في (عَطِشْتِ؟) لَجَؤُوا إلى تَسْكينِ تاءِ الضّمير (عطشْتْ) فضاعَ جزءٌ من المعنى المُوجَزِ البليغِ فعوّضُوا عنهُ بالشّرحِ والإطالةِ.. واسْتقامَ لهمْ هذا التَّرقيعُ بالتَّسكينِ حين كانَ الفِعْلُ لازمًا، أو حينَ لم يتَّصلْ بهِ ضميرُ النَّصْبِ، فإذا اتَّصلَ بهِ هذا كما في كَتَبْتُهُ فلا يستقيمُ لهم تَسْكينُ تاءِ الرَّفعِ، فبناهُ عامّة الشّامِ على الضّمِّ دائمًا (أنت كتبتُه وأنا كتبتُه وهو كَتَبُه) أمّا في مَناطِقَ أخرى فَبَنَوْهُ على الفَتْحِ (أنت كتبتَه وأنا كتبتَه) فبدأَتِ الاخْتلافاتُ في اللُّغواتِ، وتفرَّعَتِ الانْقساماتُ، وتكاثَرَتْ أسبابُ التَّخالُفِ في التّسهيلاتِ، وأكثرُها لا تعدو أنْ تكونَ طرائقَ من طرائقِ الغَلَطِ والْجَهْلِ بِنَتيجةِ إهمالِ المَعْرِفةِ اللغويّةِ الصّحيحةِ، فتكوَّنَتِ العامّيّاتُ وتفرّعتْ وتكاثَرتْ وتباعدَتْ، وتزايدَ تباعدُها طوالَ قرونِ التَّجهيلِ ورَفَدَت الاخْتلافات في أخطاءِ النّحوِ والصّرفِ وقواعدِ اللغةِ اختلافاتٌ أخرى من المفرداتِ والجُمَلِ والتّراكيبِ والتأثُّراتِ الإقليميّة باللغاتِ الأعجميّةِ على تطاوُلِ المدى الزّمانيِّ الذي امتدَّ خَمْسَةَ عَشَرَ قَرْنًا، والامْتدادُ المكانيُّ الذي شملَ القارّاتِ في العالَمِ القديمِ، فكانَتِ الفصحى رابطةً موحّدةً راقيةً متحضّرةً علميّةً فلا يصحُّ تفكيرٌ إلّا بها، ولا يجودُ كتابٌ بغير دقّتها وإصابَتِها ولقد رَفَدَت الفُصحى هذه العامّيّات بعد انتشار التّعليم والثّقافة فَزادَتها قوّةً.. ومع ذلك ظلّت أَضْعَفَ من تَحَمُّلِ عِلْمٍ وثقافة وحضارة و....

وخذْ مثالًا في ترجمة النُّصوص العربيّة إلى لغة أجنبيَّة، إذ لا يستطيع المُترجِم استخدام المُعْجم حين يكونُ في النّصّ حوار أو فقرة بإحدى العامّيّات.. فهذه العامّيّات المُتكاثِرة والمُتغايرة ليس لها مُعْجَماتُها...

مُعْجم البَحْث عن الضّائع

والْبَحْث في فِصاح العامّيّة يَقْتَضِي البَحْث عنها فيما بَيْن بَعْض الحَلَقات المفقودة من حَلَقات شَبَكَةِ التَّطوُّر اللغويّ المُهْمَلَة أو المُهْمَل بعضها... وهذا ما يدفعني إلى الإطالة والإكْثارِ من النُّقُول المُتَعَلِّقَةِ بِتَطَوُّر المعاني في العِبارات التي تعرّضَت لِمِثْل هذا الفُقدان كمثل: بابا وبَبّي وبابا..

فالعُلماء الذين يَتَعاظَمُون عن أنْ يُمْسِكوا بخيوط شَبَكات التَّطَوُّر اللغويّ قد أَفْلَتوا من أيديهم المَقْدِرَة على اكْتِشاف مَسارات هذا التَّطَوُّر الذي تعقّد وتَشابَك مُنْفَلِتًا عن سَيْطرة هؤلاء العُلماء مُنْذ زُهاءِ أَلْفِ عامٍ.. وضاعت مُنْطَلَقاتُه وآثارُها فاكْتَفَوا بإيجاز البحث عنها وتسجيل ضياعها كما يُسجّل الحدث المجهول الفاعل؛ فيُوجّه الاتّهام ضدّ مَجْهول.. ويُطوَىٰ المِلَفّ!.

وهكذا تَجِدُني أعيد دراسةَ مِلَفّ التَّطَوُّر اللغويّ لِجَذْر العبارة الواحدة فأتتبّع مساراتها وتَغَيُّراتها على مدىٰ الزّمان والمكان ما أمكنني. . فأخسر بلاغة الإيجاز أملًا في أنْ أربحَ اكْتشافَ مبادئ خُطوط التَّطَوّر وَمَسارِبها الخافية وحَلَقاتها المَفْقودة مُسْتعينًا بالقُرّاء الذين أَعْرِض لهم نصوص المَنْقُولات عنها لعلّ فيهم من يَتَنَبَّهُ إلى ما لم أَتَنبّهْ إليهِ مِنْ بَيْنِ طَيَّاتِها وحَلَقاتها وَتَشعُّباتها. .

وحقيقة التَّطَوُّر اللغويّ في شِباك من خُيوط وخُطوط مُعقّدة تعقيدًا لم يُكْشَف له نظام مُحَدّد تحديدًا عِلْميًّا صارِمًا لا مَحِيْدَ عنه على كثرة ما اكتُشِف من ظواهره؛ وانْظُر في تطوُّر الفِعْل (طَعَجَ) مثلًا. . . أو فَسِّر لي: لماذا يقول الدِّمشقيّ في كلّ يوم تقريبًا: (لقيت هذه الأكلة طَرِيّة مثل الهَلْيون) وهو لا يَجِد اليوم هِلْيونًا في سُوق الخُضْرة فلا أحدَ يزرعُه ولا يَأْكُله ولا أحدَ في دمشق يَطْلُبُه؟!

وإلَيْكَ مثالًا آخر من ثَمَر (الجانِرك) أو (الجارِنك) الذي يُؤْكل في الشّام فِجًّا قَبْل أنْ يَنْضج - على عكس بقيّة الثَّمرات - فمنذ صِغَري كان الباعةُ يُنادُون عليه: (يا مال الرَّبْوَة. . والله ولا واحدة من الرَّبْوَة. .) فَنَفْهَمُ السَّبَبَ أنّ مُنْتَزَهات رَبْوَة دِمَشْق الشَّهيرة لم يَتْرُك فيها تُجّار النُّزْهة والعَمارَة من بَساتين الأَشجارِ المُثْمِرَة إلّا النّذرَ اليَسِيْر؛ وما زِلْتُ اليومَ بعد نِصْف قَرْن ونَيِّف أَسْمَعُهم يُنادُون عَلَيه: (يا مال الرّبوة)! . فتطوُّر اللغة أبطأ من تطوّر الفكر البشريّ الذي يتطوَّر أيضًا بِأَبْطَأَ من تطوُّر الحياة الواقعيّة. . ولٰكن ليست هذه قاعدة مطَّردة فللتطوّر مسارات معقَّدة. .

وما أكثَرَ ما تُفْضِي بي الكَلِمة إلى كَلِمة أُخرى أو كَلِمات. . وهكذا (فالتَّعْتَعَة) - مثلًا - دلَّتْني على (التَّلْتَلَة) و(التَّلْتَلَة) على (المَزّ) و(المَزْمَزَة) و(التَّرْتَرَة) وهذا مِثال من مئات الأمثلة على أنّني قد أَخْسَرُ جَوْلاتٍ إذا حَصَرْتُ البَحْثَ ضِمْنَ مَنْهَج عِلْمِيّ صارم مُتَجَمِّدٍ ما دُمْت أَبْحَثُ بَيْن الشِّباك المشتركة في التَّداخل والتّكاثُر المُنْفَلِت على مَدَى الأَزْمان والأَمْكِنة انْفِلاتًا غَيْرَ مَنْهَجِيّ. . فهو انْفِلات أو تَعَقُّدٌ أو خَبْصٌ هو من نواتج الإهمال الطّويل المَدَى، والتَّجاهُل المُتَمادِي لِحاجات التَّطَوُّر وَطَبائِعِه. . أو هو التَّوسُّع في الإبْدال والقَلْب أو في التَّحْرِيفِ والتَّصْحيفِ كما في مِثْلِ فَرْكَعَ وفَرْطَحَ وَفَرْسَحَ وَفَرْشَحَ وَفَرْشَخَ وَفَشَخَ وَفَشَحَ وَفَلْطَحَ وَطَحْطَحَ وَطَرْشَحَ والفَرْفَح والخ. . وإذا وَجَدْتُ علاقة بَيْن بعضها وبعض آخر فما أكْثَرَ ما تَرَكْتُ من عَلائِق. .

فالقراءة في المُعْجَم تَفْتَح من أَبْواب البَحْث ومَسالِكِه ما يَتَزايدُ ويَتَشَعَّب ويَتَفرّع ويَتَشقَّق ثمّ يُعيد إلى البِداياتِ عِوَضًا عن الوُصول إلى النّهايات، فَنُرَدِّدُ مرَّةً بعد مَرّةٍ قولَ ذلك العالم اللغويّ الكبير: المُعْجَمُ يُبْدَأُ به ولا يُنْتَهى منه[1]. . .

(١) الدكتور جورج متري عبد المسيح في مقدمة (الخليل).

البَحْث في مُعْجَم البَحْث

اعتاد القُرّاء على أنّ المَعاجم والقواميس تُرْشِدُهم إلى العبارة وضَبْطِها لفظًا ومعنًى واستعمالًا وتُحَدِّد لهم ذلك تحديدًا موجزًا دقيقًا، وبِلُغَة العُلَماء الّذين يُقَدِّمون أحكامًا قاطعة وعلى القارئ أنْ يتلقّى ما قُدّم له وينتهي الأمر. . أمّا مُعْجَم يدعو القُرّاء إلى التَّفكير وإدامة النَّظَر وإطالَةِ أَمَد التَّفكير في مُشْكلات اللغة والفِكْر و. . عدم التَّسْليم بِبَعْض المُسَلّمات قَبْل إعادة الفَحْص والتَّدْقيق. . وإعادةِ ترتيب المفاهيم الْجاهزة أو التَّساؤُل عن صحّتها من جديد. . فهذا ما أظنّه بحثًا. . مُعْجَمِيًّا لِتَجْهيز الطّريق إلى مُسْتَقْبَل لُغَويٍّ فكريٍّ حَضاريٍّ تُشارِك في الاهْتداء إليه عُقول مَنْ لا يَسْتَسْلمون إلى مَزيدٍ من الضَّياع ولٰكنْ يصمِّمون على اسْتعادة ما كان ضيّعه أو فَرّط فيه المُسْتَسْلمون إلى بَعْض هذه الأمور التي ظُنَّت كلُّها مُسَلَّمات وجَمادات، لا موضوعات بَحْث.

ويكفي ألّا يُهْمَل الإبْدال أو الاشْتقاق الكبير فيما بَيْن: نَخَز ونَخَسَ ونَزَغ ونَسَغ ونَغَزَ ولَكَزَ ونَكَزَ ووكز. .

وكذلك فيما بين: آرَشَ وقارَشَ وحارَشَ وفاء وفاق. .

وفيما بين: . . . .

لعلّ اللَّفظ الغَريب عَنْك قَريبٌ من غَيْرك

وحين أبدأ بما لم تَبْدأ به المعاجم من معاني العِبارة، فذلك لأنّي أُريد إبرازَ المعاني المُقاربة لما في لغتنا المُسْتَعْمَلَة. . فلا أنقلُ ما في المادّة من المعاني التي لا نَعْرِفُها اليوم. . ولٰكنّي مع ذلك أتردّد في إغفالها كلّها خشْية أنْ تكون ما تزال مُسْتَعْمَلَة في بعض العامّيّات التي قد أَجْهَلُها، وكَمْ من لفظٍ غَريب عَلَيَّ ممّا كُنْت أَظُنُّه دفينًا في بَطْن المُعْجَم التّليد ففوجئت به حيًّا على ألسنة عَوَامّ الجَزائر مَثَلًا: كما في قول امرأة منهم صارخةً فيمن وَضَع يَدَه على رأسِ طِفْلَتها: (نَحِّ يَدَكَ وإلّا أُقَطّعها مثل الحَرْشَف هذا رأس ابن آدم وما هو دَلّاع. .).

فالحَرْشَفُ: الاسم العربيُّ الصَّحيح للنّبات الشّائك الذي انْتَقَل إلى الفرنسيّة فصار (آرتيشو - ARTICHAUT - ثمّ من الفرنسيّة أخذنا له في الشّام اسم (أرضي شوكي) وفي مِصْر (الخرشُوف) ونقول عنه في الشّام: أَنْكِنار، وقيل تُركيّة أو فارسيّة، وقِيْل اسمه في الفارسيّة: كَنْكَر؛ ولم أجدْهما في قاموس الفارسيّة. . فقلت: حافَظَتِ العامّيّة الجزائريّة على أصل اسْمه المُعْجَميّ التّليد: الحَرْشَف.

والدَّلّاع: اسم قديم مُعَرَّب - للبطّيخ الشّاميّ أَهْمَلَتْ ذِكْره بهذا المعنى أكثرُ المُعْجَمات

(كالقاموس المُحيط) وغيره، اختصارًا أو ذَكَرُوا أنَّه ضَرْب من صَدَف البَحْر، ثمّ وَجَدْتُه بمعنى البطّيخ أيضًا في (مُسْتَدْرَك تاج العروس) ومن العصر الحديث ذُكر الدّلّاع في (مُعْجَم الشّهابي لمُصْطلحات العلوم الزّراعيّة). وإذا وُجِدَ مَنْ يَسْتَنْكِر لفظة (الخوارِزْمات) التي لا يَجِدُها في مُعْجَم قديم أو حديث فإنّ إذاعة لندن في السّاعة الرّابعة والنّصف من بعد ظُهْر ١٩٩٣/٩/٤ بتوقيت غرينتش قد ذكر فيها العُلَماء المُتحدِّثون في القِسْم العربيّ: أنّ اسم علم (الجبر) و(اللوغاريتمات: نِسْبَةً إلى العالِم الرّياضيّ الخوارزميّ) والعديد من مُصْطلحات الرّياضيّات والعلوم، قد أَخَذَتْها اللغة الانكليزيّة ولغات أخرى عن اللغة العربيّة. . .

البحث بين الإيجاز والاستيفاء

لا يُساعِفُني أسلوبُ الإيجاز وبلاغتِه في علاج المُشْكلات اللغويّة المُفْضِيَة إلى تَبَعْثُر الفكر، واللغة أساس الفِكْر؛ فأَجِدُ نفسي مُضطَرًّا للاسْتِطْرادِ بعدَ الاسْتِطْرادِ، والتّداعي في الأفكارِ وتوارُدِ الخواطرِ، فأقولُ: إنّ التَّوَجُّهَ نحو فِصاحِ العامّيّة لا يُعْفي الباحثَ مِن تتبُّع الظَّواهرِ والاتّجاهات السّلبيّة المُفْضِيَةِ بنا نحو التَّلَوُّث اللُّغَويّ، وما يتبَعُهُ من التَّبَعْثُرِ الفِكْريّ. . وإنَّ الباحثَ الذي يَتَجاهَلُ هذه الظّواهِرَ لا يَبْحَثُ ولٰكنّه يُكرِّرُ تجربةَ طحْنِ الماءِ أو الحِراثَةِ في البَحْر أو ما أَشْبَهَ ذلكَ من تجارب التَّأْليفِ في الإعادَةِ والتَّكرارِ مِن أَجْلِ الوصولِ إلى بَلاغَةِ الإيجاز. . وبُلوغِ المُرادِ بأَقْصَرِ الطُّرُقِ. . وهذه البلاغَةُ لَيْسَ ممّا أَجْفُوْهُ وَلٰكِنْ ممّا لَمْ يَتَيَسَّر لي حين أَرَدْتُ التَّصَدِّي للمُشْكِلات بَدَلًا من تَجاهُلِها أو التَّعالي عليها أو السُّكوتِ والانْحراف عَنها أو إنْكار وُجودِها ممّا يَتَسَبَّبُ في زيادَةِ تَأَزُّمِها؛

والأَمثِلَةُ على ذلك مُحيطَةٌ بنا في كُلِّ ما حَوْلَنا. . وها أَنَاذا أَسُوْقُ بعضَها: فقد غدا أبناءُ الْجِيْل الصّاعِدِ يَتَنَبَّهُونَ إلى الخلافاتِ اللغويّة بينَنا وبَيْنَ مصْرَ؛ مَثَلًا، من خلال مُشاهَدَتِهِم القِصَصَ والحواريّاتِ والمُسَلْسَلات المُشاهَدَةِ على الشّاشَةِ، فلا يمكنُ تجاهُلُ هَذِهِ الخِلافاتِ: فارجع إلى ما وقع في مواقعه من الألفاظ التي اختلف تطوُّر فصاحها باختلاف تطوُّر العامّيّات بين مصر والشام. مثلًا. . ولأذكر عليها أمثلة هاهنا لتسهيل مراجعتها: القَطْر والكُبَّة. . واللوبي ثمّ انظر إلى تطوُّر عبارات أخرى كمثل: التَّخْت والدُّولاب والتُّرْتَة. . والمشمش والخوخ والإجاص والبنجر أو الشمندر، واختلاف أسماء الأشهر والأزمنة وانظر في: الصراط، والأوادم والوَدْع.

بَيْن لُغَة الكُتُب ولُغَة الحَياة

الذين يَقِفُون بِحَزْم ويُشَكّلون سدًّا منيعًا في وجه لُغَة الحياة العامّة واللهَجَات المَحْكِيَّة أو

المَقولة يوميًّا لِيَحُولوا بَيْنها وبَيْن لُغَة الكُتُب الفُصحى التي هي الأمّ الأولىٰ لها، كأنّهم يَرَوْن في هذا الخَلَف بِئْس الخَلَف.. وكان السَّلَفُ نِعْمَ السَّلَف.. وأنّ وَرْدَة العِلْم خلّفَتْ أشواكَ الْجَهْل.. الخ.. فهل هذا المَوْقِف الحازم في مَصْلحة مُسْتَقْبَلِنا اللغويّ والفِكْرِيّ والحَضاريّ، أوليست هذه الآراء ذاتها التي دَفَعَت اللغة اللاتينيّة إلى الانْعزالِ عن الحَياة وإلى النّوم في بُطون كُتُبِها وحيدةً مُنْذ بِدايَةِ عَصْر النَّهْضَة في أُورُبَّة..

ولٰكنّ هذه العُزلة في صُندوق التُّراث التَّليد.. تُوَاجِهُها عُزلةٌ مُعاكِسَة مُناقِضَة تَبْتَغي لِرياح الحَداثَةِ العَصْريّة أَنْ تَقْتَلِعَ الأُصول والْجُذورَ وتَذْرُوها وتَمْحُو آثارها.

وفي هذا الاتّجاه المُعاكِس نجد أيضًا أولئك الذين فَقَدُوا الثِّقَة بالنَّفْس بنتيجة فُقْدانهم الثِّقَة باللغة وبالْجَماعة المُنْتِجَة والمُسْتَهْلِكَة لهذا البُنْيان الفِكْرِيّ الذي تصُوغه وتسوغه اللغة تُراثًا وحداثةً.. فقُصارى جُهْدهم أنْ يَهْتِفُوا:

(هدّوا الخيام وئلّعوا النّاطورا..)

ثم يكتبون كُتُبًا لا حياةَ فيها.. ويَحْيا المُعْجَبُون بِهُتافهم حَياةً لا كُتُبَ فيها إلّا كُتُبهم وكُتُب الأباعد الأَغْراب.. وهي كُتُب فيها من الصُّعوبة والغرَابة ما يُزَهِّدهم بها أكثر مما زُهِّدوا بلغتهم...

لا يُنْتَهىٰ من المُعْجَم

... أكتُبُ في هذا المُعْجَم لتقرأَ وتُمْسِكَ قَلَمًا فتُشارِكَني الرَّأْيَ والنِّقاشَ، فالقائل[1]: «المُعْجَم يُبدَأ به ولكنْ لا يُنْتَهىٰ منه» كان يَقْصد أنْ يقولَ: إنّ المعاجِمَ مُؤلَّفاتٌ جماعيَّة تُشارِكُ الأُمَمُ والأجيالُ مُؤَلِّفيها وتُسْهم الأفرادُ والْجَماعاتُ في إغنائها وتَطْويرِها وتقويمِها وتَحْسِيْنِها وإذا كانَ فَرْدٌ من العُلَماء يَكْتُب مُعْجمًا فهو لا يأتي بشيء من عنده...

ولسْتُ أكتُبُ لِأَفْرِضَ رأيي..؛ ولٰكنْ لِأَسْأَلَ الآخرين أنْ يَتَفَحَّصُوه ويُقَوِّموه بمعاني التَّقويم كلِّها. لِنَتَلاقى ونَتَعاونَ في سبيلِ نُشْدانِ الحقِّ والصَّحيح، نبذل في هذا وُسْعنا فيبقى ما نَبْذُلُه عظيمًا بمقاييس العَمَل الفرديِّ، وصغيرًا بمقاس ضَخامةِ لُغَتِنا وعَظَمَتِها.. وضخامة مُشْكلاتِنا اللغويَّة أيضًا... وحاجتها إلى تَضافُر العقول والأفكارِ في مُواجهةِ هذه المُشْكلاتِ ونُشْدان الحلول الصَّحيحة لها...

لذلك لَسْتُ أرى أنْ يكونَ المُعْجَم مَرْجِعًا فقط بَيْن أيدي المُراجِعينَ والباحثينَ ولٰكنْ قبلَ ذلك وبعدَه لا بدّ أنْ نَجتذِبَ القارئ إلى مُشارَكَتِنا الرَّأْيَ ورَفْد الأفكارِ وتلاقُح المعلوماتِ والمَواهب

(١) الدكتور جورج متري عبد المسيح في مقدمة (الخليل).

والعقول وتَمازُجِ الثَّقافات للوُصول إلى الأفضلِ وتطويرِه وتحسينِه وتَعْبِيدِ السَّبيل إلى الأَرْقى فالأَرْقى. . . من البحوث اللغويَّة أساس البحوث كلّها. . وهَلْ مِن عِلْم وبَحْث عِلميّ بعيدًا عن المُصْطَلَح اللغويِّ العلميِّ؟ وعن اللَّفْظ اللُّغَوي العِلميّ والفِكريّ العامّ أيضًا؟

وكما كنّا نَقرأ عن أَجْيال جُلُّ أَفرادها من الشُّعراء الجاهليّين أو الأندلسيّين، أو من الأدباء المُحْدَثين. . . كذلك صرنا في حاجة إلى ابتعاث أجيال من الباحثين اللُّغَوِيّين العلميّين والفكريّين.

مَسائِل الخِلاف والمُعْجَم

والخِلافُ في فِصاحِ العامّيّة لا يَقْتَصِرُ على الخلافاتِ بَيْن العَوَامّ وَحْدَهم فالمعروفُ أنّ الخلافَ بَيْن الفُصحاءِ وبَيْن العُلَماءِ ممّا هو أشهرُ من أنْ يُنْكِرَه أحدٌ. . .

وكيف يَصِحُّ الاعْتمادُ على مُعْجَمٍ وحيدٍ أو على عَدَدٍ قليلٍ من المَعاجِم إذا كانوا قد عَدُّوا (ألفًا ونِصْفَ ألفٍ من المَعاجِم التُّراثيّة) كما ذُكِر في عنوان كتاب (مُعْجَم المَعاجِم)[1].

وكيفَ نُقَرِّرُ أنّ عبارةً ما لم تَرِدْ في اللغة، أو أنّ مادّةً ما أُهْمِلَت إذا كانَتْ مُقدّمة (القاموس المحيط)[2] تنصّ على أنّ «الكُتُب المؤلَّفَة فيها لا تُحصى والصّحاح، وإنْ كانَ أصحَّها، إلّا أنّه لم يَزِدْ عن أربعين ألفَ مادّة، والقاموسُ وإنْ لم يَبْلُغ الثّمانين ألفًا الّتي بَلَغها كتابُ (لسان العرب) للإمام القاضي ابن منظور. . بل ينقص عنه بعشرين ألفًا».

وخذ مثالًا على الخلاف بين المعاجم فانظر في الفعل خَسَّ يَخِسّ. . .

تَوْثيق الفِكْر العِلْميّ اللغويّ

ولا يشغَل بالَنا هَمُّ التَّكاثُر في هذه المَعاجِم فسوف يُلَقِّمها مصرفٌ لِأنظمة المعلومات اللغويّة إلى حاسِب إلِكترونيّ يَحْصر علوم أكبر المَكْتَبات في قُرصٍ صغيرِ الحَجْم. . . فنحن في عَصْر المعلومات المَوْسوعيّة الشّاملة. . ويُمكن أنْ تكونَ ذاكرةُ الحاسِب الإلِكْترونيّ هذه أفضلَ مُسَاعِفٍ لنا لَوْ وَثِقْنا بالفكر العِلْميّ. . .

(١) للمؤلِّف المَغْربيّ أحمد الشّرقاوي إقبال: معجم المعاجم: ألف ونصف ألف من المعاجم التّراثيّة ط١ بيروت سنة ١٩٨٧م.

(٢) محمّد بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم بن عُمَر الشّيرازيّ مجد الدّين أبو طاهر الفيروزأباديّ مؤلِّف (القاموس المحيط)، تُوفّي في مدينة زبيد باليمن سنة ٨١٧هـ. وهذا النص من ص ٣٢ من مقدّمات الطّبعة لديّ؛ وهي الطّبعة الخامسة في المكتبة التّجاريّة بالقاهرة: مُصطفى محمّد سنة ١٣٧٣هـ وسنة ١٩٥٤م في أربعة مجلّدات.

بلاغة الإيجاز

بلاغة الإيجاز آمنتُ ببلاغَةِ الإيجاز وبُلوغ المعنى المُراد قَبْلَ أنْ يطولَ سفر الكلام، ولٰكنَّ سفر كلامي لا يكادُ يَبْلغ إلى مَعْنى إقناع المُنْكِرين بأنّ هناك صخورًا من مُشْكِلات التَّعبير اللغويّ العِلْميّ والعَمَلِيّ.. الحَيَوِيّ والنَّظَرِيّ.. وأنّها تكاد تَسْحَق العُقُول والنُّفوس وإنكار وُجودِها لن يُزَحْزِحها أو يَحولَ دُون تَراكُمها وتَضَخُّمها، ولن يُفْضي الإيجاز إلى إقناع أولئك الذين ما زالُوا مُنْذ ألف سَنَةٍ ونَيِّف يُمْعِنون أكثرَ وأكثرَ في مُكافَحَةِ الغَلَط بأساليب تُؤَدّي إلى المَزِيْد من تكاثر الغَلَط... وتضخُّم الغلط.. والتَّأزُّم الذي يَقْمَعُونه بطرائق تُؤَدِّي إلى تَأَزُّمٍ أكبرَ وأَعْقَد وأَخْطر...

حرِّيَّة الألسنة

إنّ من طَبَائع الأُمور أنّ النّاس لا يَنْتَظِرُون حتّى تُقَرّر لهم المَجَامِع العِلْمِيّة اللغويّة صحائح التَّعبير.. ولقد حاول المُتَشَدِّدون أنْ يغلقُوا طرائقَ القِياس والاشْتِقاقِ، والتَّطوُّر اللغويّ بِظَواهره كافَّةً، فكان للنّاس ردَّةُ الفِعْل المُعاكِسَة المُناسِبة لهم، فأنشؤوا لأنفسهم لُغَيّاتهم العامّيّات على أنّها الرّدّة الشّعبيّة والهُجوم المُعاكِس على مَنْ حاوَلُوا أنْ يَحْجُرُوا على النّاس أَلْسِنَتهم.

الخلافاتُ المُعْجَمِيَّة أَنجبَتِ الأخطاءَ الشّائعة

أذكرُ بأنّ الخلافاتِ في اللغةِ أَنْجَبَتْ لنا أَلْفًا وخمسَمائةٍ من المَعاجم التُّراثيَّة وأنّ البحوثَ المُسْتَفيضَة في الأخطاءِ الشّائعة في نَقْدِنا اللغويّ المُعاصِر، قد تناقضت فيما بَيْن آراءِ الباحثينَ فيها لأنّ اطّلاعَهم على هذه المَعاجِم والكُتُبِ والخِلافاتِ مُتفاوِتٌ، وفُقدان المُعجم الكامل الْجامع المانع والذي لم يُوضَع بعدُ، وإيجاز الحذف الذي ابْتُلِيَتْ به كثيرٌ من معاجِمِنا لِتصغير حُجومِها.. كلُّ ذلك وأسبابٌ أخرى من اختلاف مقاييسهم النّحوية والصَّرْفيّة والبلاغيّة وغيرِها.. وغيرِها.. كانَتْ من أسبابِ الخلافاتِ التي شَجَرَتْ بَيْنَ النُّقادِ في بُحوثِ النّقدِ اللُّغويِّ والأخطاء الشّائعة.

تصحيح العامّيّ الفصيح

أم مُلاحَقَة الأخطاء الشّائعة؟

فمنذ: (إصلاح ما تَغْلَط فيه العامّة) للْجَواليقيّ إلى (لغة الجرائد) لليازجيّ، إلى (إصلاح الفاسد من لغة الجرائد) لسليم الْجُندي، إلى (أخطاؤنا في الصُّحُف والدّواوين) لِصَلاح الدّين سعدي الزّعبلاويّ وكتابه الآخَر (مَسالِك القَوْل في اللغة) إلى مُعْجَمَيْ محمّد العدنانيّ (مُعْجَم

الأخطاء الشّائعة) و(مُعْجَم الأغلاط اللغويّة المُعاصِرة) إلى (مُعْجَم الخَطأ والصّواب في اللغة) للدكتور أميل يعقوب. . إلى غيرهم. . من المُؤَلِّفِيْن الكُثُر. . فليْسَ ما ذَكَرْتُه إلّا غَيْضٍ مِنْ فيض في هذا الاتّجاه من التّأليف في النّقد اللغويّ[1]. . حتّى إنّهم كتبُوا عَشَرات الصَّفَحات في تفضيل جَمْع مُعْجَم على مُعْجَمَات. أمْ على مَعاجِم! وهم، في الأغلب، مِمّن يَرَوْن من الأنسب التّجاوز عن الجوازات الطّبيعيّة والنّاتجة عن التّطوُّر المَجازِيّ أو أنواع التَّطوُّر التي لا تُؤَثِّر في صُلْب بُنْيان اللغة. . وأنّ من الخير أنْ نَقْتَصِد في هَدْر الطّاقة اللغويّة ونُوَجِّهَا نحو المُفيد للُّغة وللنّاس. . فقد وصل الضّياع وعَدَم التَّمْييز بَيْن الفصيح والعامِّيّ أنْ صادَفَني تلميذ وأبوه وهما مُنْصَرِفان فقلت للطِّفل: إلى البيت يا شاطر؟ فقال لي الأب: فَصِّحْها يا أستاذ وقُلْ: إلى المَنْزِل. . ! فَأَجَبْتُه بالآية الكريمة: ﴿إنّ أوّل بَيْت وُضِعَ للنّاس. . .﴾.

مَنْ يُخَطِّئ مَنْ؟

وَكَمْ كُتِبَ في تصحيح أخطاء العامّة منذ (إصلاح المَنْطِق) لابن السّكّيت المُتَوَفّى ٢٤٤هـ و(ما يَلْحَن فيه العامّة) للسجستانيّ المُتوفّى ٢٤٨هـ و(أدب الكاتب) لابن قُتَيْبة ٢٧١هـ و(دُرّة الغوّاص في أوهام الخَوَاصّ) للحريريّ ٥١٦هـ. . .

وإذا قَرَأْتَ بَيْنَ طَيّات هذا المُعْجم في موضوع الفِعْل: (خَسّ) مثلًا، وفي الاختلافات بَيْن مُؤَلِّفِي المُعْجم العَرَبِيّ من القُدَماء والمُحْدثين حَوْل ضَبْط عَيْن هذا الفِعْل وتحديد معناه بدقّة. . . فإنّك سَتَجِد فيه واحدًا من أمثلةٍ كثيرة تَدُلّنا على أنّ أبواب الخِلاف ما تزال لم تُفْتَح كلّها لِيَلِج منها عُلَماء النّقد اللغويّ بَعْد. . .

إنّ الافتقار إلى المُعْجم الْجيّد الدَّقيق المُتَمَيِّز بالدّقّة والاسْتيعاب واحْتواء الحَلّ لمجموعة المُشْكلات اللغويّة المُعاصِرَة، والذي لا يَتْرك ثغرات لِظُنون عُلَماء النّقد اللغويّ، وخِلافاتهم، وكتاباتهم المُتناقِضَة في تَتَبُّع الأخطاء اللغويّة المُعاصِرَة والشّائِعَة. . كلّ هذا لا يَنْفي أنّ لِلُغَتِنا نَيِّفًا وألفًا ونصف أَلْف من المعاجِم التُّراثيّة القديمة كما وَرَد في (مُعْجم المَعاجم) الصّادر عن الْجَمْعيّة

(١) وَصَلَ النّقد اللغويّ إلى أنْ قَرَأْنا في زاوية لُغويّة عُنْوانها (قُلْ ولا تَقُلْ) في الصّفحة الأخيرة من صحيفة يوميّة، وبعنوان: التّوكيد: «. . كما نقول خطأً: نريد أنْ نَسْتَرْجِع كلَّ الأراضي العربيّة المُحْتَلّة. والصّواب: نريد أنْ نَسْتَرْجِع الأراضي المُحْتَلّة كُلَّها، أو جَمِيْعَها».

قلت: ولكنّ كاتِب هذه الزّاوية كان عليه أنْ يتذكّر الآية ٢٩ في السورة ١٧ ﴿ولا تَبْسُطْها كلَّ البَسْط. .﴾ والآية ٩٣ في السّورة ٣: ﴿كلّ الطّعام كان حِلًّا. .﴾ والآية ٩٣ في السّورة ١٩: ﴿إنّ كلّ مَنْ في السّماوات. .﴾ أمّا ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرات﴾ فهي مُكَرَّرة عدّة مرّات في آيات القرآن الكريم. وكاتبُ هذه الزّاوية ليس نكِرة، فقد نال شهادة الدكتوراه في علوم اللغة بمرتبة الشّرف على دِراسَته في مُعْجم من أكبر المَوْسُوعات، أي: دراسته معجم الزبيدي: (تاج العروس. . .).

المَغْربيّة للتّأليف والتّرجمة والنّشر: أحمد الشّرقاوي إقبال: ١٩٨٧ بيروت، عدا عن الأعمال اللغويّة المُعْجَمِيَّة المُعاصِرَة. . .

وإنّنا لَمُنْتَظِرون أَنْ يَسْتكمل الدكتور جورج متري عبدالمسيح مُعْجَمَه المُطَوّل المَوْسوعيّ (لغة العرب) لعلّه يُنهي هذا الافْتقار إلى المُعْجم الْجيّد الدّقيق المُتَمَيِّز بالاسْتِيْعاب واحْتواء الحَلّ لمجموعة المُشْكلات اللغويّة المُعاصِرَة. . .

إن شاء الرحمن الرحيم. . .

في نَقْد الأخطاء الشّائعة

. . . ولٰكنّ المجال الواسع من مَجالاتِ النّقْد اللغويّ والتّدقيق هو مَجَال البَحْث عن الأخطاء اللغويّة الشّائعة على الألسنة والأقلام، وهو الذي يُؤَثّر في التّربية اللغويّة تأثيرات مُتَعَدِّدة الجوانب، لمعجم المعجم العربيّ مستهدف استهدافًا مباشرًا لتدقيقه. .

وليس موضوع الأخطاء الشّائعة مُسْتَحْدَثًا، فقد ألّف الكِسائيّ المُتوفّى سنة ١٨٩هـ. سنة ٨٠٥م. كتابًا لم يَصِلْنا عن (لَحْن العامّة) وإنّما وصلنا ذِكْره في كُتُب المَراجع وذَكَره ابن السِّكّيت سنة ٢٤٤هـ. وسنة ٨٥٨م في كتابه (إصلاح المَنْطِق) وهو في موضوع أخطاء العامّة أيضًا، ثم السّجستانيّ ت سنة ٢٤٨هـ سنة ٨٦٢م في كتابِهِ (ما يَلْحَن فيه العامّة)، وابن قتيبة ت سنة ٢٧٦هـ سنة ٨٨٩م. في (أدب الكاتب).

أمّا الحريريّ صاحب المَقامات ت سنة ٥١٦هـ. سنة ١١٢٢م فكتب عن أوهام العُلَماء في (دُرّة الغوّاص في أوهام الخَوَاصّ) وشَرَحه شِهاب الدّين الخَفاجِيّ سنة ١٠٦٩هـ سنة ١٦٥٩م. ولٰكنّ عددًا من العُلَماء خَطّؤوا الحريريّ في بعض ما وَرَد في دُرّته هذه. وللخفاجيّ كتاب في الألفاظ المُوَلّدة والدّخيلة، وهو (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من المُوَلّد والدّخيل) وللسّيوطي سنة ٩١١هـ. سنة ١٥٠٥م فصل من كتاب (المُزْهر) اهتمّ فيه بأخطاء العامّة.

وفي عصر النّهضة الحديثة كان للمُخَطّئين مَنْ يُحاسِبُهم ويُخَطِّئهم، فحين كَتَبَ إبراهيم اليازجيّ كتابه (لغة الجرائد) ردّ عليه سليم الْجُنديّ بكتاب (إصلاح الفاسد في لغة الْجَرائد)، وكتبَ أسعد داغر ت سنة ١٩٣٥م = ١٣٥٣هـ (تذكرة الكاتب) فَقَوّم بعض عَمَله صلاح الدّين الزّعبلاوي في (أخطاؤنا في الصُّحُف والدّواوين) سنة ١٩٣٩، وللزّعبلاويّ صدر (مَسالِك القَوْل في النّقد اللغويّ) ط سنة ١٩٨٤ في دمشق. .

وكتب الشّاعر معروف الرّصافي ت. سنة ١٩٤٥م. كتاب (رفع الهجنة).

وكتب إبراهيم المُنذر ت سنة ١٩٥٠م (المنذر في نقد أغلاط الكتّاب).

ولِعالِمَي النّحو المعاصِرَيْن مُصطَفى الغلاييني من لبنان وعبّاس حسن من مصر كتابات في النَّقْد اللغويّ والأخطاء الشّائعة أيضًا. . وطَبَع المَجْمَع العِلْمِيّ العربيّ بدمشق كتابات في النَّقْد المَغْرِبيّ كتاب (عَثَرات اللسان) سنة ١٩٤٩م وهو توسيع لمحاضرته الشّهيرة (عَثَرات الأفمام).

ولٰكنّ محمّد العدنانيّ ألّف للأخطاء مُعْجَمَيْن كبيرَيْن أوّلهما: (معجم الأخطاء الشّائعة) ط سنة ١٩٧٣م في مكتبة لبنان ببيروت والآخر أكبر منه إذ بَلَغَت مَوادّه: ٢١٣٥ في ٨٦٠ صفحة من القَطْع الكبير، وهو (معجم الأغلاط اللغويَّة المُعاصِرة) ط سنة ١٩٨٤ مع أنّه انْتُقِد في الأوّل منهما، فكتب عن أخطائه فيه د. إبراهيم السّامرّائي في ص٣٩٩- ٤٢٤ في مَجلّة مَجْمع اللغة العربيّة بدمشق المُجَلّد ٥٦ ج٢ نيسان سنة ١٩٨١ فانتقد صبحي البصّام السّامرائيّ مُبَيِّنًا ما في نقده للعدنانيّ من خطإٍ وصواب في رأيه وذلك في المجلّة ذاتها: مجلّة مجمع دمشق المُجَلّد ٥٨ ج٤ تشرين الأول سنة ١٩٨٣ من ص ٨٢٢-٨٤٦ بعنوان: (تعليقات علىٰ انتقاد مُعْجَم الأخطاء الشّائعة). وما زال كثيرون من كُتّاب النَّقْد اللغويّ يَنْشُرون البحوث المُسْتَفِيْضَةَ في هذا الموضوع.

اللَّهَجَات العامّيّة ومَجْمَع اللغة العربيّة:

وفي الاتّجاه المُعاكِس لاتّجاه تصحيح الأخطاء الشائعة نجدُ أنّه: وَرَد في مجلّة مَجْمَع اللغة العربيّة بدمشق: الجزء الثّالث من المُجَلَّد السّادس والخمسين الصّادر في رمضان سنة ١٤٠١هـ تموز سنة ١٩٨١م. ص٦٩٢ ضِمْنَ فِقْرة من تقرير الدّكتور عدنان الخطيب أمين مَجْمَع اللغة العربيّة بدمشق والعضو المُنْدَب من هذا المَجْمَع إلى مُؤْتَمَر مَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة في دَوْرَته السّادسة والأربعين سنة ١٩٨٠م وبعد العنوان الفَرْعِيّ:

(ما بين الفُصحى والعامّيّة في الوحدة في الألفاظ):

(تُعنىٰ لجنة اللَّهَجَات بالحديثِ كما تُعْنَىٰ بالقديم، وقدَّمت هذه السّنة إلى المُؤْتَمَر طائفةً من الألفاظِ العامّيّة التي تجري في البيت والمَصْنَع والسُّوق والحقل، مُسْتَهْدِفَةً توثيقَ علاقاتِها بالفُصْحى، والتّنبيه إلى أنّه لا وَجْهَ لإغفالِها أو التَّرفُّع عنها في لغة الكتابة، وهي تعايش الحياة اليوميّة في التّفاهُمِ والتّحادُثِ والخِطاب.

وتَأْمَل اللجنةُ أنْ تواصلَ دراسَتَها لمجموعاتٍ مُتتابعةٍ من الألفاظ وَصْلًا لجهود الباحثين في مُختلف البلاد العربية خِلالَ قَرْن مضى في إبراز العُرْوة الوُثْقى بَيْن الفُصحى والعامّيّات في أوطان العروبة.

وقدَّمَتِ اللجنةُ قائمةً بمئةِ كلمة عامّيّة سجّلَتْها مُعْجَمات الفُصحى في مُفرداتها: وفيما يلي بعض منها:

العَيِّل: الوَلَد.

الشَّجيع: الشُّجاع.

الشَّبُّ والشَّبَّةُ: الشّابُّ والشَّابّة.

السُّبوع: الأسبوع.

الرّيحة: الرائحة.

حرّج: حرَّمَ وضيَّق.

زوّق: زيّن.

المَراجيح: الأراجيح.

محصور: حابس البول.

السُّفرة: المائدة.

الزّور: القوّة والشدّة.

الجَرْسَة: الفضيحة وسوء السمعة.

الأطرش: الأصمّ.

حَوَّش: جَمَع.

الشّطّ: الشاطئ.

بيّاع: بائع.

حَوّدَ: مال.

الصِّيغة: المَصُوغات.

وَجَرَتْ مُناقَشاتٌ طريفةٌ حَوْل بعضِ الألفاظِ ووُرُودِها في الشِّعر القديم، وشكرُوا للّجنة جُهودَها آملين مُواصَلَتها في سبيل التَّقْريب بَيْن لُغةِ النَّاشئين التي تَمَرَّسُوا بها وما يُعْرَض عليهم في الكُتُبِ المدرسيَّة في مَرْحَلَةِ التَّعليمِ الأساسيّ) ا.هـ.

(الفاخر) من ألسنة العامّة قَبْلِ اثني عَشَر قَرْنًا:

ولم يَكُنْ أوَّل من نَبَّهَ إلى ما في العامّيّة الدّارجة من (بقايا الفِصاح) أمثال الأستاذ شفيق جبري شاعر الشّام المرحوم في سلسلة مَقالاته التي كانت تَحْمِلُ عنوان (بقايا الفِصاح) مُتصَدِّرة جُمْلةً من أعداد (مَجلَّة مَجْمَع اللغة العربيّة بِدِمَشْقَ) في ذاك الوقت...

كما لم يكنْ أوَّلَهم أيضًا المرحوم الكاتب اللبناني مارون عبّود (أبو محمّد) الذي كان يؤْثر، في كتاباتِه، العبارةَ الشّعبيّةَ العامّيّةَ ذات الأصل الفصيح يُبْرِزها ويَسُوقُها بين الشَّواهد التي يَسْتَمِدُّها من ثقافته الموسوعيّة المُتَنَوِّعَة، ويَصْطفي فيها من العامّيّة الدّارجة ما يكون له جَذْره الصَّحيح الفصيح.. فكأنّه يبتغي من أسلوبه ذاك أنْ يَبْنِيَ جِسْرًا للتَّواصُلِ بَيْن الوجدان الشَّعبيِّ للعامَّةِ وبَيْن

كلٍّ مِن ثقافَتَي: التُّراث والمُعاصَرة.

بل لعلّ هذا التَّوجيه قديم. حتّى كادَ أنْ يُقارِبَ في قِدَمه قِدم اللُّغة والأَدَبِ والتُّراثِ..

حتّى إنّ مُؤَلِّفًا من القَرْنِ الثَّالِثِ الهِجْرِيِّ: التّاسع الميلاديّ: أي؛ منذ فَجْر حركةِ التَّدوين والتَّأليف في تُراثِنا؛ يَنْدَفِع نحو هذا التَّوجيه مُؤَلِّفًا فيه كتابَه (الفاخر)[1]، إنّه المُفَضَّل بن سَلَمة بن عاصم المُتَوَفّى سنة ٢٩١هـ. ويبدأ مؤلِّفَه هذا مُوَضِّحًا غَرَضَه من تأليفه فيُمْلي في الصَّفحة الأولى منه بعد المُقَدِّمة: (حدَّثنا أبو طالب المُفَضَّل بنُ سَلَمة بن عاصم قال: هذا كتاب مَعاني ما يَجْري على ألسنة العامّة[2] في أمثالهم ومُحاوراتِهم من كلام العَرَب، وهم لا يَدْرُون معنى ما يتكلّمون به من ذلك فَبَيّنّاه من وُجوهه على اختلاف العُلَماء في تفسيره، لِيكون مَنْ نَظَر في هذا الكِتاب عالِمًا بما يجري من لَفْظِه، ويَدُور في كلامِه، وبالله التَّوفيق)[3].

(١) إنّ عددًا من كتب التّراث تحمل اسم (الفاخر). والمقصود هنا: (الفاخر) المَطبوع في القاهرة سنة ١٩٦٠م في سلسلة (تراثنا) تأليف أبي طالب المُفَضّل بن سَلَمة بن عاصم المُتَوَفّى سنة ٢٩١هـ. حققه عبدالعليم الطّحاوي رئيس تحرير مَجلّة مَجْمَع العربيّة في مِصْر. مراجعة محمّد عليّ النّجّار، أَصْدَرَتْه وزارة الثّقافة في الجمهوريّة العربيّة المتّحدة، الطّبعة الأولى في دار إحياء الكُتُب العربيّة: عيسى البابي الحلبيّ وشركاه، نسخة مُحَقَّقةٌ من مخطوطة مَكْتَبَة نور عثمانيّة، ومخطوطة مَكْتَبَة الفاتح، من مخطوطات الجامعة العربيّة، ومخطوطة (كامبردج) التي اعتمدت عليها طبعةٌ سابقة من هذا الكتاب سنة ١٩١٥ حقّقها المُسْتَشْرِق تشارلز أنبروز ستوري مُعلّم اللغة العربيّة آنذاك في المعهد الإسلاميّ بعليكرة (بالهند) ونُسَخها مفقودة، أشارت إليها الصّفحة - ج - من مقدّمة هذه الطّبعة.

وقد وَرَد في الصّفحة - ز - من المُقدّمة:

(أنّ هناك كتابَيْن في اللغة وُسِما بالفاخر: أحدهما للفرّاء في لَحْن العامّة كما وَصَفه ابن النّديم في فِهرِسْته، وياقوت في مُعْجم الأُدباء، وكَشْف الظُّنون في إحصائيّاته. (كشف الظّنون: حاجي خليفة. طبع الأستانة ص١٢١٥ هامش الصفحة (ز) والآخر للمُنذري ذكره الأزهريّ في مقدّمة تهذيب اللغة (٦٨) تحقيق الأستاذ عطار؟ هامش الصفحة (ز). وأبو الفضل المنذري المُتَوَفّى سنة ٣٢٩هـ. ممّن رَوَوْا عن أبي طالب المُفَضّل بن سَلَمة: مقدّمة تهذيب اللغة ص٥٥).

وفي هامش الصّفحة - ح من المُقدّمة:

«ويوجد كتابان آخران ترجم عنوانهما بالفاخر: أحدهما في الطبّ للرّازي المُتَوَفّى سنة ٣١١هـ.: كشف الظّنون (١٤٥٥: وثانيهما الفاخر في شرح جُمَل عبدالقاهر تأليف عُمَر بن عبدالمجيد بن الحسن الأوديّ المهدويّ الرنديّ: كشف الظّنون: ١٥٢».

(٢) وَرَد في تحديد المَقْصُود في (العامّة) في هامش الصّفحة - هـ - من مُقدّمة (الفاخر) الطّبعة ذاتها: «ليس المُرادُ من العامّة الدّهماء والسّقاط، ولكنْ المثقفون الذين تسرّبَتْ إليهم أخطاءٌ من الدَّهماء أو مِنْ تصحيفات النُّسّاخ، وهم الّذين قال عنهم الْجاحظ في كتاب البيان والتّبيين: - ١٠٥ سندوبي سنة ١٩٢٧ -: [وإذا سَمِعْتُموني أذكر العَوَامّ فإنّي لَسْت أعني الفلاحين والحشوة والصُّنّاع والباعة ولسْتُ أَعْنِي الأكراد في الجِبال وسكّان الجزائر في البحار... وأمّا العَوامّ من أَهْلِ مِلّتِنا ودعوتنا ولُغَتِنا وأَدَبِنا وأخلاقنا، فالطّبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ولم يَبْلغوا منزلةَ الخاصّة منّا]».

(٣) الفاخر: الطّبعة المُشَار إليها: ص١.

ما حدود البحث في العامّيّة؟

إذا أَرَدْنا أنْ نُحَدِّد الحدود بَيْن العامّيّات وأنْ نحصُرَ بحوثنا في عامّيّة دمشق مثلًا. . . فهل يتيسَّر لنا أنْ نبنيَ حدودًا بين اللُّغات واللُّغَيّات؟

واللُّغات كما تتخالَف تتلاقى، فهل من حُدود تفصِل اللغاتِ الإنسانيّة بعضها عن بعض؟ لا . . حتمًا . . وخُذْ أقربَ مثال من (الأمثال) فأنت تقرأ في أيِّ كِتاب منشُور في الأمثالِ المنْتَشِرة في منطقة ما من المناطق قد لا تعرفها أحيانًا، فتجد أنَّ أكثر أمثالها مُماثِلَة لأمثالك وأمثال منطقتِك أنت؛ وإنْ كانت اختلفَتْ بعض الألفاظ فقد أدَّت إلى التَّقارُب في المعاني، والتَّماثُل فيما بينها غالبًا.

أتقوم إذًا الحُدود والسُّدود فيما بَيْن اللغات؟!

ومرّة أخرى أُسائل: أأقْتَصِر على عامِّيَّة دمشق؟ وكيف يتمُّ لي ذلك؟ ومِنْ أين آتي بالحُدود الفاصِلَة بَيْن اللغَيّات واللهَجَات في اللغة العربيَّة؟ وفي عصر الاتِّصالات المُؤَدِّية إلى انْفِتاح لُغاتِ الكون بَعْضِها على بعض؟! وهذا الانْفِتاح كانَتْ تشارِك فيه العربيّة منذ أقدم العصور! فما الحال في أيّام تبادُل اللَّهَجَات إذ تُشارِك فيه العربيّة وغيرُها؟ وبفروعها ولُغَيّاتها الشّائعة؛ في تَبادُل الحواريّات في المُسَلْسَلات والقِصص المُشاهَدة على الشَّاشة ووسائل الاتِّصال الأُخرى، بالإضافة إلى الهِجْرات بَيْنَ المُدُن والأرياف وبَيْن الأقطار والأَمْصار؟!

وأَمْرٌ آخَرُ أهمُّ هو أنَّ العامِّيَّة أو العامّيّات عُمومًا ليسَ لها تُراثٌ أو قواعد وضَوابِط مَدرُوسة مُقَنَّنة مَكتُوبة مُتوارَثة أو مُتَجَدِّدَة مُتَطَوِّرة، كما لِلُّغة الفصيحة ولِلُّغات الإنسانيّة المكتوبة عامّة؛ وهذا ممّا يَجْعَل المُتَكَلِّمين بها من أكثر المُتَكَلِّمين حُرِّيّةً في التَّلاعُب والهَزْل بالمنطوق اللغويّ وفي التَّخليط والمَزْج بَيْن اللغات واللغَيّات واللهَجَات وفي التَّضمين والاقْتباس والأخذ من كلِّ ما سَمِعُوه، أو من تُوُهِّمَ أنّهم سمعُوه. . ومن الوَضْع والابْتداع والابْتكار، أو تَوَهُّم الابْتكار والإبْداع والحَداثَةِ والإحداث والتَّلفيق و. . وانْظُرْ ما كَتَبْتُه بعنوان: بطّخ وتبطّخ والبطّيخ. . أو: تؤبشني يا حبيبي. . أو: هل آرَشْتَه وحارَشْته وقارَشْتَه وهارَشْتَه. . .

وحين كَتَبْت ونَشَرْت عن فصاح العامّة في الجزائر نَصَصْت فيما نَشَرْت[1]: «على أنّي مُقِرّ بالتَّقْصير سَلَفًا؛ فمعرفتي اللهجة الدّارجة الْجزائريّة مَعْرِفة ضئيلة محكومة بظروفي الخاصّة،

(١) انظرْ مجلّة (التُّراث العربيّ) الصّادرة بدمشق عن اتّحاد الكُتّاب العَرَب العدد المُزْدَوج ٢٧-٢٨ بتاريخ نيسان - تموز ١٩٨٧ السّنة السّابعة ص١٩٦ - ٢١١ بعنوان (فِصاح العامّة في الجزائر) بقلم هشام النّحّاس.

ولَسْتُ أَزْعُم أنّي أقوم بتجميع فِصاح العامّيّة الجزائريّة أو فِصاح العامّيّات الأخرى، ولٰكنّي أُثير الموضوع وأُنَوّه به وأَطْمَح إلى فَتْح الأبواب أمامه».

وكذلك حينما سَمِعْتُهم في مُسَلْسَل كُويتيّ عُرِض على شاشة الرّائي (التّلفزيون) في دمشق يقولون باللهجة الكُويتيّة: يَطَنِّزْني (أي تَهْزأ بي وتَسْخر منّي) تذكَّرْتُ أنّ الطَّنْزَ قد مرّ معي بهذا المعنى في القاموس المحيط فَقُلْت هذا من فصيح العامِّيَّة الكُوَيْتيَّة وفَتَحْت (لسان العرب) لابن منظور فوجْدت فيه وفي الْجَذْر: ط ن ز: «طَنَزَ يَطْنِزُ طَنْزًا: كَلَّمَهُ باستهزاء، فهو طَنّاز. قال الجوهري: أَظُنُّهُ مُوَلَّدًا أو مُعَرَّبًا. والطّنز: السُّخْرِيَة. وفي نوادر الأعراب: هؤلاء قَوْم مَدْنَقَة ودُنّاق ومَطنَزَةٌ: إذا كانوا لا خَيْرَ فيهم هَيِّنَةً أنفُسُهم عليهم» ا.هـ. ابن منظور.

أمّا عامّيّة العراق فَسَمِعْتُ فيها عبارة (الغشْمَرَة) منذ أربعين عامًا وأنا طالبٌ في الجامعة يقولها الطَّلَبَة العراقيُّون؛ ثمّ سَمِعْتُها في الْجزائر بمعناها الفصيح كما في المُعْجَم العربيّ؛ وانْظرْ قول ابن منظور في (لسان العرب): غ ش م ر «الغَشْمَرَة»: التَّهَضُّم والظُّلم، وقِيْل الغشمرة: التَّهَضُّم في الظُّلْم، والأَخْذ من فوق ومِنْ غَيْرِ تَثَبُّتٍ، كما يَتَغَشْمَر السَّيْلُ والجيش. كما يقال: تغشمر لهم، وقيل: (الغشمرة) إتيان الأَمْر من غير تثبُّتٍ. وَغَشْمَرَ السَّيْلُ: أَقْبَل. والتّغشمور [وفي الحاشية: كذا في الأصل بدون ضَبْطه، ونقله شارح القاموس]: ركوب الإنسان رأسَه في الحقّ والباطل لا يُبالي ما صَنَع؛ وفيه غَشْمَريَّةٌ وفيهم غَشْمَريّة.

وَتَغَشْمرَ لي: تَنَمَّرَ وأخذه بالغِشْميرِ أي الشِّدَّة. وَتَغَشْمَرهُ أَخَذَه قَهْرًا. وفي حديث جَبْر بن حبيب قال: «قاتَلَه اللهُ لقد تَغَشْمَرَها» أيْ: أَخَذَها بجفاءٍ وعُنْفٍ. ورأَيْتُه مُتَغَشْمِرًا.. أي غَضْبان ا.هـ. ابن منظور.

قُلْت وعامّة الجزائر أو العراق (ولم أتثبّتْ)؛ يَقْلِبون عينها قافًا فيقولون: القَشْمَرَة، وهذه غير واردة في المعجم العربي بالقاف.. أو في ما تيسّر لي منه، فأرجّح أنّها منقلبة من الغين، وهذه ظاهرة لُغويَّة قديمة فقد قرأت مرّة أنّ عالِمًا لُغَويًّا سَمِع بقبيلة يُبْدِلون بالغَيْن قافًا، وبالقاف غَيْنًا، فذهب يتحقّق من هذا وسأل شيخ القبيلة: أصحيح أنّكم تُبْدِلون بالقاف غَيْنًا، وبالغَين قافًا؟ فأجابه شيخ القبيلة: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ! مَنْ غَالَ هذا؟» قُلْت: في كثيرٍ من عامِّيّاتنا ظواهر من اللهَجات القديمة لما جاء في بحث سابق.. ولقد سَمِعْت في الإذاعة حديثًا لمُثَقَّف كبير من إحدى جهات القُطْر السُّودانيُّ، فكان يُبْدِل بالقاف غَيْنًا؛ فيلفظ الصِّدق: الصّدغ، والإفريقي: الأفريغي، والإقليميّة: الإغليميّة.. وهكذا.. وأعود من هذا الاسْتطراد غير المقصود فأجيبُ على السُّؤال: عن أيِّ عامِّيَّة أَكْتُب؟

يُمْكِنُ أَنْ أسْتفيد من معلوماتي في بيئتي وإقليمي، وممّا اكتَسَبْت من العبارات مِنْ صِلاتي العامَّة وما تيسّر لي من ظروفِ حياتي.. والظُّروف تتخالف وتتفارق ما بَيْن شَخْص وآخر وليس من

الضّروريّ أنْ أُحَرِّم على نفسي الحديث عن عِباراتِ الآخَرين: المُهِمَّ أنْ أكونَ اسْتوعبْتُ العبارةَ المَدْرُوسَة وصارَ لَدَيَّ ما يَهُمُّ النّاس ممّا أقوله وأكتُبُه لهم وأرغّبهم في مُشارَكَتي البَحث فيها، ثمّ أَتْرُك للبحوثِ أنْ تُسْتَكْمَل لَدَيَّ أو لدىٰ مَنْ هو أقدر منّي في هذا الموضوع أو ذاك. . المُهِمُّ ألّا نترك اللغة في تطوُّرها الفِطْريّ للْجَهَلَة من المُتَكَلِّمين كما فعلنا طوال نيّف وألف عام، لأنّ اللغة الأساس الأوّل في ابتداء التّفكير الإنسانيّ وتطوُّره والتَّواصُل الإنسانيِّ؛ ولا فِكْر بلا لُغَة، ولا عِلْم ولا حضارة ولا تقدُّم ولا عَمَل للعقل البشريّ بدون أداته اللُّغَوِيَّة كما هو معروف.

ولذا فأنا أتمنّى أنْ يتكاثَر الدّارسون لِفِصاح العامّيّات في الأقطار العربيّة كافّة، قَبْل أنْ يَكْثُرَ الذين يُطالِبون باخْتصار المُعْجَم العربيِّ بأنْ تُحْذَف منه العباراتُ التي يَرَوْن أنّها مماتَةٌ أو مُهْمَلَة، وقدْ لا يَدْرُون أنّها موجودة في عامّيّة ما من عامّيّات الأقطارِ العربيّة. . .

الحِيادُ بينَ اللغاتِ وعدمُ الانحيازِ اللغَوِيِّ

يقولُ ڤاندرييس:

«الألفاظُ - مهما اشتدَّ تأثيرُها يمكنُ أنْ تظلَّ مسألةً خارِجَةً عن اللغة»[1].

ويقول دافيد كريستل:

و«في اللغاتِ لا توجدُ لغةٌ أفضلُ أو أسوأُ من الأخرى، وإنّما توجدُ لغاتٌ مُخْتَلِفَةٌ فَحَسْب»[2].

ويقولُ مُفَسِّرُ القرآن المعروفُ الإمامُ القاضي ناصرالدّين البيضاويّ سنة ١٣٠٥هـ:

«العَقْلُ الصِّرْفُ لا يُجْدي نفعًا في اللغة».

أسلوب الدعاء على من نبدي إعجابنا به

تمهيد إلى: بلاغة الإدهاش بالخروج والمخالفة:

(يخْرب بَيْت عيُونها. . ما أَجْمَل عيونها. .).

الدُّعاء بِخَراب بَيْتِ مَن نُبْدي إعجابَنا به، وأحيانًا محبَّتَنا له. . وأَدْعِية أُخْرى مُشابِهة. . ليس من ظَواهر العامِّيَّة فَقَط. . فقد كانت في لُغَة التُّراثِ عِبارات تذكّرنا بهذا الأسلوب، كما في

(١) ص ٣٥٨ من كتاب: ڤاندرييس: (اللغة): ترجمة: الدّواخلي والقصاص: طبعة مكتبة الأنجلو مصرية بالقاهرة.

(٢) ص ٥٧ من كتاب: داڤيد كريستل: (التّعريف بِعِلْم اللغة). ترجمة د. حلمي خليل. طبع الهيئة العامّة للكتاب بالقاهرة سنة ١٩٧٩م.

قولهم: لا أَبا لَكَ وهي كلمة ذمّ كانت تستعمل في المدح.. وكذلك قولهم: قاتَلَهُ اللهُ ما أَمْلَحه... ولَحاهُ اللهُ ما أَظْرَفَه.. وثَكِلَتْهُ أُمُّهُ ما أَذْكاه.. وَتَرِبَت يَداه ما أَبْرَعَهُ...

وفي (تهذيب الألفاظ) ليعقوب بن السِّكّيت: «.. فلان يَخُمُّ ثياب فلان؛ أي: يُثْني عليه. قال أبو عمرو: يَخمُّ، من الأضداد: يُثْني وَيَهْجو». وفي (أساس البلاغة): «ومن المجاز.. وما لَه سَباهُ الله، أي: غَرَّبَه، قال امرؤ القيس:

فقالت: سَباكَ اللهُ إنك فاتِلِي ... أَلَسْتَ تَرى السُّمَّارَ والناسَ أَحْوالي».

والرائع:- في لغة الكُتّاب منذ القديم -: الجميل، وهو من الرَّوْعَة بمعنى الخَوْف؛ «والرَّوْعَة: الفَزْعَة، والمَسْحَةُ من الجمال» أيضًا وكما في (القاموس..) «وَراعَه أَفْزَعَهُ. وراعَهُ أَعْجَبَه».

والفَظِيع: البَشِع والكَرِيه والشَّنِيع وقد اشتدّت شَناعَتُه وجاوز المِقْدارَ في ذلك.. كما في المعاجم.. ولٰكنَّ العَمل العَظِيمَ يوصَف أحيانًا بالفَظِيع..

ولعلّ بعض أساليب المخالفة في التعبير كانت من الأسباب التي أدّت إلى تكاثُر أَلْفاظ الأَضداد في اللُّغة تكاثُرًا يَجْعلُها موضوعًا لِمُؤَلَّفاتِ الأَضْدادِ وَكُتُبِها...

بلاغَة الخُروج والمُخالَفَة والإدْهاش

قاعدة المُخالفة من قواعد التَّغيُّرات اللغويّة الواردة في مُصْطلحات عِلْم التَّطَوُّر اللغويّ؛ وهي لا تَقْتَصِر على المُخالَفَة بَيْن الأَحْرُف بإبدال حَرْف بحرف أو أكثر في داخل الكلمة الواحدة، ولٰكنّ المُخالفة الكبيرة بإبدال الألفاظ والتَّراكيب والجُمَل والأساليب والمَقاطع الشِّعرية والفقرات.. وذلك من أجل لَفْت الأنظار بوساطة الإدهاش والصَّدم..

وأحيانًا يكون في خروج المُتَكَلِّم والكاتب عن الفصاحة التَّقليديّة المألوفة خروجًا فجائيًّا ما يُعْجِب بعض الطّوائف من الّذين مَلّوا من تكرار قوالب العبارات الجاهزة من مثل: (الألفاظ الكتابيّة..، وفقه اللغة..) وما في مُعْجمات المعاني الشّهيرة التي مَلَّ منها الذين يُعادُون كلّ مُكَرَّر مُعاد:

فلا تُعِدْ لَهُمْ فَإِنَّ طَبْعَهُمْ ... موكَّلٌ بِمُعاداةِ المُعاداتِ

وأفضِّل القول في مثالَيْن من الشَّرق والغَرْب، ممّا لدىٰ حكيم المَعَرَّة أبي العَلاء وممّا لدى الأندلسيّين من الخَرْجَة في المُوشّحات لدىٰ تَطَوُّرِها.. ثمّ أَدَعُ للقارئ أنْ يَتَتَبّع الأمثلة الكثيرة المُتوافِرَة منذ أقدم عصور الأدب حتّى آدابنا المُعاصِرة..

آرىٰ

من ديوان (لزوم ما لا يلزم) لأبي العَلاء المَعَرّي[1]:

مَـتَـى آداكِ خـيـرٌ فـافْـعـلـيـه   وقُـولـي إن دَعـاكِ الـبِـرُّ آرَىٰ

وفي شرح د. طه حسين وإبراهيم الأبيَاري:

«آداك خير: أي توفَّرت لك أسْبابه وفاضَتْ بَيْن يَدَيْك وَسَائلُه. . .

وآرى: كلمة فارسيّة بمعنى: نَعَمْ، ومَرْحَى، وحَقًّا، وتكون بمعنى (لا) أيضًا. .»

قُلْت: ووجدت في (قاموس الفارسية) تأليف د. عبد النّعيم محمّد حَسَنين «آرى: بَلَىٰ»، فَعَرفت كيف تكون بمعنى (لا) أيضًا.

إذا قِـيْـل اخْـشَـى الـلـهَ مـولاك فَـقُـلْ آرَى
كـأنّ الأنـجـم الـسّـبـعـةَ فـي لُـعـبـة بُـقّـارَىٰ
خُـزامَـى وأقـاحِـيٌّ وصـفـراء وشُـقّـارَىٰ
وَمَـنْ فَـوْقَ الـثَّـرَى يَـصْـغـرُ فـي أجـزاء مـن وارَىٰ

أكان أبو العلاء المَعَرّيّ المشهور بتَملُّكه اللغة العربيّة كأنّها موضوعة أمامه في طَبَق يتخيّر منها ما يشاء، أكان في حاجة إلى اللجوء إلى (آرىٰ) الفارسيّة فلم يَجِدْ في العربيّة نظيرًا مُعَبّرًا تعبيرًا أبلغ من هذا التّعبير؟ آرى بمعنى بَلَىٰ. كما في (قاموس الفارسيّة)؟!.

بلى وآرى لقد كان يجد في العربية كلّ ما نعلم ولٰكنّه يريد (الخروج عن المألوف). .

(الخَرْجة) في المُوَشّحات الأندلسيّة

لعلّ من بلاغة الخروج عن المألوف ما سمِّيَ بالخَرْجة في اصْطلاح الوشّاحين من مُؤلّفي المُوَشّحات ودارسِيْها. . والخَرْجة عندهم لا بدّ أن تكون خروجًا عن صحيح اللغة إلى العامّيّة، وإلى العامّيّة اللاتينيَّة الإسبانيَّة أحيانًا في بعض الموشَّحات الأندلسيّة كما في قول عليّ بن بَسّام الأندلسيّ في كتابه (الذّخيرة في محاسن أهل الجَزِيرة) في حديثه عن مُؤَلّف الموشّحة: «إنّه كان

(١) أبو العلاء: أحمد بن عبد الله بن سُلَيمان التّنوخيّ المُتوفّى سنة ٤٤٩هـ. . وهذا النّصّ في دواوين شعره ممّا شرحه د. طه حسين وإبراهيم الأبياري بعنوان: (شرح لزوم ما لا يلزم) الجزء الأوّل المطبوع في دار المعارف بمصر في سلسلة (ذخائر العرب ١٣) ولم أجِدْ تاريخ طَبْعِه. وهذا النّصّ في ص١٩٥ من اللزوميّة الثّانية والثّلاثين والنّصّ التّالي أيضًا من مَطْلع اللزوميّة الثّالثة والثّلاثين ص٢٠٠ منه، كما وَرَد في ص٨٧ من كتاب (صَوْت أبي العلاء) تأليف طه حسين، وهو الرقم ٢٣ من كُتُب سِلْسِلة (اقرأ) مطبوع في القاهرة سنة ١٩٤٤.

يأخذ اللفظ العامّيّ والعَجَميّ ويُسَمّيه المركز، ويصنع عليه المُوَشَّحَة..». ويفسّر هذا ويشرحه د.أحمد هيكل من مِصْر في كتابه (الأدب الأندلسيّ من الفتح حتّى سقوط الخلافة).

.. عَرَف الشَّعْب الأندلسي العامّيّة اللاتينيّة كما عرف العامّيّةَ العربيّة، فكان هناك ازدواج لغويٌّ نتج عن هذا الازدواج العُنْصريّ. وكان لا بدّ أنْ يَنْشأ أدب يُمثّل تلك الثّنائيّة اللغويّة فكانت الموشّحات. فَمِن المُقَرّر أنّ الموشّحات كانت مُنْذ نشأتها إلى ما بعد ذلك بقرون تُنْظَم بالعربية الفُصحىٰ، إلّا الفِقرةَ الأخيرة منها وهي الخَرْجَةُ، فقد كانت تَعْتَمِد عامّيّة الأندلس.. واستوحت بعض أغاني الأندلسيّين الشّعبيّة التي لم يُسَجّلها المؤرّخون، فالمعقول أنْ يكون للأندلسيّين أغانٍ شَعبيّةٌ كأيّ شَعْب له أغانيه، والمعقول أنْ تكونَ هذه الأغاني مُنَوَّعة القافية، وقد نُظِمَت باللغة العامّيّة الأندلسيّة التي تمتزج فيها العربيّة بالعامّيّة اللاتينيّة، والمعقول أنّ مُخْتَرِع المُوَشّحات إنّما أفاد من هذه الأغنيات الشّعبيّة وقد كانت فترة نشأة الموشّحات كفترة نشأة أيّ فنّ، مِنْ حَيْث مُشاهدتها لِأُولَىٰ المحاولات التي يُعَفّي عليها الزّمن غالبًا. ومن هنا، ولِبُعد الزمن بتلك الفَتْرَة، لم تَبْق لنا من هذه الموشّحات التي نَظَمَها مُخْتَرِع المُوَشّحات مُقَدَّم بن مُعافَىٰ القَبْرِي [من عصر الخليفة الأندلسيّ عبدالرحمن النّاصر] وأمثاله أَيَّةُ نموذجاتٍ...

وقد تطوّرت الموشّحات بعد فترة نشأتها تطوُّرات مُتَعَدِّدة وكان من أهمّها تطوّر أصابها في القرن الخامس الهجريّ [الحادي عشر الميلاديّ] أيّام ملوك الطّوائف. ثمّ تطوّر آخر بعد ذلك بقليل فَرَّعَ عنها ما يسمّى بالزَّجَل، حتّى أصبح هذا الاتّجاه الشّعبيّ مُمَثَّلًا في لَوْنَيْن: لَوْن الموشّحات، وقد صارت تُكْتَب جميعًا باللغة الفُصحى، ولَوْنِ الأزجال، وقد صارت تُكْتَب جميعًا باللغة العامّيّة...

.... ونَعْرض أُنْموذجًا يَتَّضِح معه ما سَبَق... يقول بعض الأندلُسِيّين:

لَـحَـظـاتٌ بسابِـلـيّـهْ مَـتّـعـتْ قـلـبـي عِـشْـقـا
وَلَـمَـىٰ ثَـغْـرٍ مُـفَـلَّـجْ لائِـمِـي مـنـه مُـوَقَّـى

* * *

بـأبـي لـو رَقَّ قَـلْـبُـه سـاكِـنٌ مُـثْـواهُ قـلـبـي
قـلَّـمـا يَـأْمَـنُ سِـرْبُـه أو يـرى رَوعَـةَ سِـرْبـي

[السّربَ: القلب]

حَـسْـبُ عُـذّالـي وحَـسْـبُـهْ فـأنـا قـد ضـاع حَـسْـبِـي

* * *

هـذه يـا عـاذِلـيَّـة مـن سِـمـات الـحُـبِّ حَـقّـا

زَفَــرات تــتــوهَّـــــجْ وهــي فــي دَمْــعِــيَ غَــرْقَــىٰ

* * *

ويختم بهذه الخَرْجة:

أَلْـبَ دِيَّـهْ إشْـتُ دِيَّـهَ دِيَّ ذا الـعَـنْـصَـرُ حَـقّـا

بِـشْـتَـرَى مُـوَّ الـمُـدَبَّـجْ وأَشُـقُّ الـرُّمْـحَ شـقّـا

* * *

فهذا الختام الذي خُتِمَتْ به المُوشّحة مزيج من ألفاظٍ عربيّة وأُخرىٰ من العامّيّة اللاتينيَّة. والفِقْرة الأولىٰ معناها: (هذا اليوم يوم فجري)، أمّا الفِقْرة الثّانية فمعناها: (إنّه يوم العَنْصَرَةِ حقًّا) والعَنْصَرَة عيد من أعياد الأَندلسيّين أمّا الفِقْرة الثّالثة فمعناها: (سَأَلْبَسُ مُدَبَّجي) أي ثوبي المُزَيَّن. وأمّا الفِقْرة الأخيرة فهي عربيّة كلّها وعلى ذلك يكون معنى هذا الختام بجُملته:

هــذا الــيــوم يــوم فــجــري إنّــه يــوم عــيــد الــعَــنْــصَــرَة

ســوف ألــبــس ثــوبــي الـمُـزَيّـن وأشــقّ الــرّمــح شــقّــا.

ويقول هلال ناجي من العراق في مقدّمة كتاب: (جيش التّوشيح):

«افْتَرَض بعضُ المُسْتَشْرِقين، وتابعَهم في ذلك بعضُ الأساتذة العرب، أنّ الخرجات تمثّل بقايا الشّعر الغنائيّ الذي سبق الموشّحات، وهو شِعْر افترضوا وجوده بِلا دَليل. وفي رأيي أنّ الأمّة العربيّة قد جاورَت كثيرًا من الأمم والشّعوب، ونشأ فيها شُعراء يُحْسِنُون النَّظْم بلُغَتَيْن، فكانوا يُطَعّمون شِعْرهم بهذا اللون المُبْتَكر. ولم تكُنِ الخَرْجَة إلّا قفلًا لموشّحة كَتَبَها شاعر عربيّ بالعربيّة الفُصحىٰ، ثمَّ ختمها بِخَرْجَةٍ من نَظْمِه هو باللغة الرّومانيّة ليملّح بذلك مُوَشَّحَه ويزيدها مِسكًا وعنبرًا، فلا علاقة للشّعر الغِنائيّ الرُّوماني بذلك».

ما التَّغيُّراتُ اللُّغويَّةُ؟

وَرِثَتِ العامِّيَّاتُ الحَديثةُ بعضًا من مَظاهِرِ الخِلافاتِ في اللَّهَجاتِ الْجاهِلِيَّةِ السّالِفَةِ[1]، كَمِثْلِ الْكَشْكَشَةِ (وَهي الإِبْدَالُ بِالكافِ شِيْنًا في خِطابِ المُؤَنَّثِ؛ فيقولونَ في: عَلَيْكِ: عَلَيْشِ. وهي لَهْجَةٌ لِبَني أَسَدٍ وَرَبِيعَةَ) وَنَجِدُها اليومَ في لَهْجَةِ بَعْضٍ مِن أريافِنا ومِنها في عامِّيَّةِ عَربِ الْجَولان مَثَلًا.

كذٰلك وَرِثَتِ العامِّيَّاتُ كَثيرًا مِن مَظاهِرِ اللَّهَجاتِ عَن أُمِّهِنَّ العَرَبِيَّةِ الفَصيحَةِ وعن جَدّاتِهِنَّ من لَهَجاتِ[2] الجاهِلِيَّةِ، وَبَعْضًا مِن القَواعِدِ الصَّرْفِيَّة دونَ قواعِدِ النَّحْوِ، فَتَمَتَّعَتْ بِكَثيرٍ مِنَ الخَصائص العَرَبِيَّة وَمِن مَظاهِرِ التَّغَيُّراتِ، كما رَأَيْنَا في مَوْضوعِ (القِياس) وَيُمْكِن أَنْ أُذَكِّرَ بِبَعْضِ هٰذِهِ المَظاهِرِ التي حَظِيَتْ لَدَىٰ عُلَماءِ اللُّغَةِ بِدِراساتٍ مُوَسَّعَةٍ يَجِدُ القارئ الرّاغِبُ في العَوْدَةِ إِلَيْها مَراجِعَ عَدِيدَةً. وَمِنْ مَظاهِرِ التَّغَيُّراتِ:

– التَّطَوُّرُ بِالإِبْدالِ: كالإِبْدالِ الذي سَوْفَ نَراهُ في تَلاقي بَعْضِ مَعاني موادِّ الجُذورِ: أَرَشَ وَقَرَشَ وَحَرَشَ وَهَرَشَ وَوَرَشَ... وَقَدْ جَمَعَ العُلَماءُ القُدماءُ حُروفَ الإِبْدالِ بِقَوْلِهِم: (هَدَأْتُ مُوْطِيًا)؛ وَأُلاحِظُ أَنَّهُمْ لَمْ يَنُصُّوا على الإِبْدال المُتَبادَلِ بَيْنَ القافِ والهَمْزةِ، الذي يَقَعُ كثيرًا فيما بين عامّيّاتِنا، وقد اكتَشَفْتُ أنّه كان يَقَعُ كثيرًا في قَديمِ الفَصيحِ بِتَلاقِي المَعاني كما سَنَرَىٰ في: أَرَمَ وَقَرَمَ، وَفِي: أَصَرَ وَقَصَرَ، وفي: زَنَأَ وَزَنَقَ، وفي: أَرَشَ وَقَرَشَ.

وفي الإبدال قالَ ابْنُ فارِسٍ في كِتاب (الصّاحِبي) في فقه اللّغَةِ: «مِن سُنَنِ العَرَبِ إِبْدالُ

(1) (2) وبقايا اللَّهَجاتِ الجاهلية المُنْقَرِضَةِ، أو التي يُظَنُّ أنّها منقرضةٌ، ما تزالُ تَعيشُ في كثيرٍ من عامّيّاتنا المعاصرة كما في قولِهِم: بَقَى، ويقصدون: بَقِيَ، وسنرى أنّها من لغة بَني طَيِّئٍ، وفي (شرح أبيات سيبويْهِ لِلسّيْرافي/ ٢: ٢٧٨ قال زيد الخيل):

فَرُدُّوا عَلَيْنا ما بَقَى مِنْ نِسائِنا ... وَأَبْنائِنا واسْتَمْتِعُوا بِالأَباعِرِ

وَكَسْرُ الحَرْف الأوّل في المضارِع: يِكْتُب: ما يزال في كثيرٍ من عامّيّاتِنا، ومِن المشهور فكاهة العالم الراوِيَة الذي ذهبَ إلى قبيلة ممّن يكسرون حرف المضارعةِ فَسَأَلَ فَتاةً: أَأَنْتُم تَكْتَنونَ؟ فأجابت وكَسَرَت نُونَ المُضارَعَةِ في نِكْتَني.

وَذَهَبَ عالِمٌ راوٍ إلى قَبيلةٍ تُبْدِلُ بالقافِ غَيْنًا وبالغَيْنِ قافًا. فسأل شيخَ القبيلةِ عن ذلك فَأَنْكَرَ الشَّيْخُ قائِلًا للرّاوي: (أَسْتَقْفِرُ اللهَ! مَن غالَ هذا؟) وما نَزالُ نَسْمَعُ: غَال بدلًا من قال في بعضِ اللَّهَجاتِ اليومَ.

ويرى د. عبد المنعم سيّد عبد العال من مصر في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة أنّ: (عبارة: البارِحَة التي تُلْفَظ في مصر [كما في الشّام عندنا] إمْبارح، من بقيّة اللهجة التي ما تزال في جيران جنوبي شبه الجزيرة العربيّة إلى اليوم، والتي تُبْدَلُ فيها لامُ أل التّعريف ميمًا، وعليها سؤالُهُمْ رسولَ الله ﷺ: (أَمِنَ امْبِرِّ امْصِيامُ في امْسَفَر؟ أي: أَمِنَ البِرِّ الصِّيامُ في السَّفَر؟ ومن المشهور أنّ الرّسول ﷺ أجابَهم: «ليس من امْبِرِّ امْصِيامُ في امْسَفَر».

الحُروفِ وإِقامَةُ بَعضِها مَقامَ بَعْضٍ».

- القلبُ: كما في: الأوباش بمعنى الأوشاب...

وكما في فَعَصَ التّمرة وفَصَعَها..

- تبدُّلُ معاني الكلماتِ أو تطوُّرُ دَلالاتِها بالصُّورِ البيانيّة والمجازيّة، أو بالتّخصيص أو التّعميم، أو انتقالِ المعنى في المادّيّ الحِسّيّ إلى المجرَّدِ العَقْليّ، وأمثلةُ كلٍّ ذلك كَثيرةٌ معروفةٌ وسنرى منها الكثيرَ في دراسةِ مفرداتِ فِصاحِ العامّيّة في المُعْجم...

- النّحتُ: اختصارُ كلماتٍ في واحدةٍ كما في: بَسْمَلَ: قال: بسْم الله الرّحمٰن الرّحيم وَحَمْدَلَ: قال: الحمدُ للهِ ربِّ العالمين... وعامَّتُنا تقولُ: «لِسَّع ما عملت».. (أي: لهذهِ السّاعةِ ما عمِلْتُ..).

ومن المعروفِ أنَّ النّحْتَ في لغتِنا قليلٌ؛ لأنَّ توليد الألفاظِ عندَنا بالاشْتقاقِ، أكثرُ وأفضلُ فالخاصَّةُ الاشْتقاقيّة من أهمِّ خواصّ العربيّةِ التي تُغْنيها عن التوسُّعِ في النّحتِ كما تتوسّعُ فيه لغاتٌ أخرى.. وصِيَغُ الاشْتِقاقِ الصّرْفيِّ المُتوارَثةُ من الفصاحِ إلى العامّيّات.

- التّصغيرُ: والخُروجُ عن صِيَغِهِ القياسيَّةِ الثّلاثَةِ: فُعَيْلٌ وَفُعَيْعِل وفُعَيْعيلٌ، إلى صِيَغٍ أخرى، خروجٌ قديمٌ، ففي (القاموس المحيط) للفيروزابادي كثيرٌ من المفرداتِ المُصَغَّرَةِ علَى وزنِ: فَعّول؛ مثل: جَمّود، وخَرّوب. وَسَفّود.

وفَعْلُول: كَحَلْقُوم وحَنْجُور. وفَعْلُون: كَحَمْدُون؛ وَفِعْلَوَيه: كسِيْبَوَيْه ونِفْطَويه وذكرَ شهابُ الدّينِ الخفاجيِّ في (شفاء الغليل فيما في كلامِ العربِ من الدّخيل) أنّ وَيْهِ: في نَحْوِ: سِيْبَوَيْهِ: علامةُ تصغيرٍ.

- التَّرْخيمُ: حذفُ الحرفِ الأخيرِ مِنَ المُنادىٰ معروفٌ وفاشٍ ومُنْتَشِرٌ منذُ الجاهليَّةِ، وفي مُعلَّقةِ امرئ القيسِ التي ضُرِبَ المثلُ بشُهرتِها حتّى قيلَ: أَشْهَرُ من (قِفا نَبْكِ)؛ يقول:

أَفاطِمُ مَهْلًا بعضَ هذا التَّدَلُّلِ

وَمِن المَعْلُومِ أنَّ حذفَ تاءِ فاطِمَةَ وعليها ضَمَّةُ بناءِ المُنادىٰ المُفْرَدِ العَلَم، ممّا يَجْعلُ الرّاويَ والقارئَ حُرًّا بين لَفْظِ ميمِ (فاطم) مَفتوحةً على أصلِها وعلى لغةِ مَنْ يَنْتظرُ ظهورَ الضَّمَّةِ على التّاءِ المَحْذوفةِ، وبَيْن ضمِّ الميمِ على لغةِ مَنْ لا ينتظرُ، كما تقولُ مُصْطَلَحاتُ عُلماءِ النَّحْوِ في قَواعدِ التَّرخيمِ.. وقد رأيتُ التّرخيمَ ما يزالُ مُنْتَشِرًا وفاشِيًا في لهجةِ الجزائرِ المُعاصِرةِ.. وخُصوصًا ترخيمَ المنادَىٰ العَلَم.. فقد كنتُ أسمعُ الطالبَتَيْن: وِيزَة وَذَهَبِيَّة من ثانويّة عَميروش في مدينةِ تيزي أوزو مَرْكزِ ولايةِ القبائلِ الكبرى تَتَشادَيان: أَذَهَبِي.. أَلوِز.. فأقولُ.. هذا ترخيمُ المُنادىٰ والهمزةُ حرفُ النِّداءِ كما هو معروف.

دَوْرَةُ التَّنَقُّلات بَيْنَ الفَصيحِ وَالعامّيِّ

دَوْرَةُ التَّنَقُّلاتِ بَيْنَ الفَصيحِ والعامِّيِّ؛ بَيْنَ المَقُولِ مِنَ العِباراتِ، وَبَيْنَ المكْتوبِ مِنْها.. بينَ لُغَةِ المُشافَهَةِ.. وَلُغَةِ الكِتابَةِ.. ومِنْ بَيْنِ هٰذِهِ وهٰذه يَخْرُجُ تَيّارُ المَنْبوذاتِ مِنَ العِبارات..

في الإنْكليزيَّةِ مَثَلًا.. كما في كَثيرٍ مِنَ اللُّغاتِ المُعاصِرَةِ، يَسْتَعْمِلُ العامَّةُ ما يَخِفُّ على أَلْسِنَتِهِم مِنَ التَّراكيبِ والعِباراتِ المُعْجَمِيَّةِ فَيَتَوَسَّعُونَ في اسْتِعْمالِها وَيُوغِلونَ في ذٰلك حتّى يَأْتِيَ جِيْلٌ مِنَ الكُتّابِ والنُّقّادِ اللُّغَوِيِّيْنَ باحِثِينَ مُنَقِّبينَ عَن أُصولِها اللُّغَوِيَّةِ المُعْجَمِيَّةِ فَيَنْشُرُونَ بُحُوثَهم باسْتِعادَةِ هٰذه الصِّحاحِ، ثُمَّ بِإِدْخالِ المُوَلَّدِ والدَّخِيلِ والعامِّيِّ ذاتِهِ إلى صِحاحِ لُغَةِ المُعْجَمِ أو القاموسِ أو (دِيْكْشينيري).

فَيَشِيعُ وَيَتَنَقَّلُ اسْتعمالُ العباراتِ ما بين المَقُولِ المُتَداوَلِ وبَينَ المَكْتُوبِ..

أمّا نَحْنُ في العَرَبِيَّةِ فإنَّنا في مُعْجَمِنا العَرَبِيِّ نَضْطَهِدُ المُوَلَّدَ والدَّخيلَ وَنَنْبُذُ العامِّيَّ مِنَ العِباراتِ نَبْذًا، فَنُضْعِفُ الصِّلَةَ والتَّواصُلَ ما بَيْنَ مُسْتَعْمِلِي اللُّغَةِ وَبَيْنَ المُعْجَمِ العَرَبِيّ.. وَتَذْهَبُ فِصاحُ العامِّيَّةِ ضَحِيَّةً مِن ضَحايا هٰذا التَّيّارِ.. تَيّارِ المَنْبوذات من العِباراتِ.. مع أنَّ فِصاحَ العامِّيَّةِ تُمَثِّلُ العَناصِرَ الحَيَّةَ أو الأكْثَر حَيَوِيَّةً مِنْ بَيْنِ عَناصِرِ اللُّغَةِ المُعْجَمِيَّةِ لِأَنَّها اخْتِيرَتْ لِتَعيْشَ على الأَلْسِنَةِ وذٰلك بَيْنما العِباراتُ المُعْجَمِيَّةُ الأُخْرَى هاجِعَةٌ راقِدَة في أَعْماقِ بُطونِ المُعْجَمِ لِأَنَّ الأَلْسِنَةَ والأَفْهَامَ لا تَسْتَسِيغُها ولا تَتَقَبَّلُ مُحاوَلاتِ إِحْيائِها...

اختلاف لغاتِ العرب

قديمًا سجّلوا الخلافاتِ ولم يتجاهلوها أو يُنكِروها، كما نَفْعَل اليومَ، فكانوا يَسيرون بهذه الخلافاتِ في طريق الحَسْم وليس في طريق تضخيم الأزمات وتعقيدِها؛ انْظرْ إلى قَوْل ابن جِنّي في (الخصائص) بعنوان: اختلاف لغات العرب.

«وذهب إلى أنّ اختلافَ لغات العرب إنّما أتاها مِنْ قِبَل أنّ أوّل ما وُضع منها وُضِع على خِلافٍ، وإنْ كان كُلُّه مَسُوقًا على صحّةٍ وقياسٍ، ثمّ أحدثُوا من بَعْدُ أشياءَ كثيرةً للحاجةِ إليها، غيرَ أنّها على قياسِ ما كانَ وُضِعَ في الأصْل مُخْتلِفًا، وإنْ كان كلُّ واحدٍ آخذًا من صحّة القِياس حظًّا. ويجوز أيضًا أنْ يكونَ الموضوع الأوّل ضربًا واحدًا، ثمّ رأي من جاء من بعد أن خالف قياس الأوّل إلى قياسٍ ثانٍ جارٍ في الصحّة مَجْرىٰ الأوّل»،

(ج ٢ ص ٢٩ من (الخصائص) لابن جنّي ط٢ سنة ١٩٥٥ القاهرة تحقيق محمّد علي النّجّار).

قال ذلك ابنُ جنّي تعقيبًا على رواية (عَرَبِيَّتْ) التي وَرَدَت في كثيرٍ من مصادِرِ تُراثنا، ونَسْتَطيعُ

أنْ نقرأها كما هي، تقريبًا، في (معجم البلدان) لياقوت الحَمَوي الرُّوميّ، في ترجمة: ظَفَارِ.

عِلْم اللَّهَجَاتِ قديمًا وحديثًا

لسْتُ بالمُتَشَدِّد في الانْحياز إلى لغَةٍ أو لهجةٍ ما.. ولٰكنَّ البحثَ عن الحقيقة الواقعيّةِ.. والإقرارَ بوجودها.. في ظنّي أفضلُ من إنكارها أو اسْتنكارِها أو محاولة مقاومة تيّارِها كأنّني قَشَّةٌ تقاوم التَّيّار أو تظنُّ أنّها تقاومه..

وعلماؤنا القدماء ما كانوا يحاولون التَّشدُّد الذي يحاولُه بعضُ علمائنا اليوم؛ ولابن جِنّي في (الخصائص ٢/ ١٠): بِعُنْوان:

باب اختلاف اللغات وكلّها حُجّة

اعلم أنّ سعة القياس تُبيح لهم ذلك، ولا تَحْظُره عليهم؛ ألا ترى أنّ لغة التّميميّين في ترك إعْمال (ما) يَقْبلها القِياس، ولغة الحجازيّين في إعْمالها كذلك، لأنّ لِكلّ واحد من القومَيْن ضربًا من القياس يُؤخذ به، ويُخْلَدُ إلى مِثْله... أولا ترى إلى قول النّبيّ - ﷺ -: (نزل القرآن بِسَبْع لغات كلُّها كافٍ شافٍ).

[وفي حاشية النَّجار المُحقّق: وَرَد أصلُ هذا الحديث في حديثٍ طويلٍ في البخاري في كتاب فضائل القرآن]...

... فأمّا أنْ تقِلّ إحداهما جدًّا وتكثُر الأخرى فإنّك تأخذ بأوسعهما روايةً وأقواهُما قياسًا، ألا تراك لا تقول: مررت بَكَ ولا المال لِكَ، قياسًا على قول قُضَاعة: المال لِهُ: ومررت بَهُ ولا تقول: أَكْرَمْتُكِشْ [ولا أَكْرَمْتُكِس] قياسًا على لغة من قال: مَرَرْتُ بِكِشْ وعجبت مِنْكِسْ... إلّا أنّ إنسانًا لو استعملها لم يكنْ مُخْطِئًا لكلام العرب، لٰكنّه كان يكون مُخطئًا لأجود اللغتين. فأمّا إنِ احْتاج إلى ذلك في شِعرٍ أو سَجْعٍ فإنَّه مقبولٌ منه، غير مَنْعِيٍّ عليه. وكذلك إنْ قال: يقول على قياس من لغته كذا وكذا، ويقول على مَذْهب مَنْ قال كذا وكذا. وكيف تصرف الحال فالنّاطق على قياس لغةٍ من لغاتِ العَرَب مصيبٌ غيرُ مُخْطِئ، وإنْ كان غير ما جاء به خيرًا منه.»...

مَواقِع اللَّهَجَات

ممّا جاء في البيان والتّبيين بتحقيق الأستاذ عبدالسّلام هارون ٣:٢١٢ ورَوى الْجاحظ أنّ «معاوية سأل يومًا: مَنْ أفصحُ النّاس؟

فقال قائلٌ: قوم ارتفعوا عن لَخْلَخانِيَّة الفرات؛ [العُجْمَة في المَنْطق: يُقال: رَجُلٌ لَخْلَخانيّ؛

إذا كان لا يُفْصح]، وَتَيامنوا عن عَنْعَنَةِ تميم؛ [جَعْل الهمزة المبدوء بها عَيْنًا] [والرّيفيّون الصّعيديّون في صعيد مِصْر اليوم يجعلون الهمزة غَيْرَ المَبْدوء بها عَيْنًا]، وتَياسَروا عن كَسْكَسَةِ بَكْر؛ [جعل السّين في مكان الكاف أو بعدها في خطاب المُذَكّر]، ليست لهم غَمْغَمَةُ قُضاعَة؛ [الكلام غير المُبين] [وما تزال الغَمْغَمَة من فصاحِ العامِّيّة لفظًا ومَعْنًى] ولا طُمْطُمانِيَّةُ حِمْيَر [عُجْمَة في اللسان. ورجل طِمْطِم: لا يُفصح، كَطِمْطِمِيّ وطُمْطُمانِيّ]. قال: مَنْ هُم؟ قال: قُرَيْش».

قلت: وأَوْرَدَ هذا الرَّأيَ ابنُ جنّي في: (الخصائص ٢/ ١١) عَن أبي العبّاس أحمد بن يحيىٰ؛ ثعلب. [عن مجالس ثعلب ١٠٠ وعن الخزانة ٤/ ٤٩٥ عن حاشية مُحَقِّقِه محمّد عليّ النّجار]. وأضاف إليه ابنُ جنّي عددًا آخر من اللّهَجَات بعنوان: (اختلاف اللهجات وكُلُّها حجّة): فأضاف مثلًا: «تَلْتَلَة بَهْراء فإنّهم يقولون: تِعْلمون وتِفْعَلون وتِصْنَعون». . [قلت: كسر حرف المُضارَعَة واردٌ في بعض العامّيّات. . فنحن - مثلًا - نقول؛ بعامّيّتنا: نِشْتري ونِكْسَب. . ونِحكي. . الخ].

وقلت: وَكَتَبَ السّيوطيّ في (المُزْهِر. .) ١/ ٤٦٢-٤٨١ في أنواع الإبدال فيما بَيْن الأحرف، فلم يكتبْ عن الإبدال فيما بين الهمزة والقاف. . أو فيما بين القاف والكاف.

تسهيل الهمزة في لغة قريش

في (لسان العرب) و(تاج العروس) اللذَيْن يَنْقلان عن ابن الأثير في (النّهاية في غريب الحديث والأثر)؛ وفي مادّة الْجَذْر الثُّلاثي للتّركيب: د ف و:

«. . ودفا الجَريحَ دَفْوًا: أَجْهَزَ عليه؛ وفي الحديث: أَنَّ قَوْمًا من جُهَيْنَةَ جاؤوا بِأَسِيْرٍ إلى النّبيّ - ﷺ -، وهو يَرْعُدُ من البَرْد، فقال لهم: «اذهبوا به فَأَدْفُوه»؛ يريد الدِّفءَ من البَرْد، وهي لغته، عليه الصّلاة والسّلام، فذهبوا به فقتلوه، وإنّما أراد: أَدْفِئُوه من البَرْد فَوَداه رَسولُ الله ﷺ».

الإبدال والخلاف

أكاد أجد في الإبدال والإعلال والقلب وأشباهها من الخلافات أو التَّغيُّرات اللغويّة. . سببًا من أبرز أسباب اختلاف اللّهَجَات. . ثمّ اختلاف اللُّغَيّات. . ثمّ اللُّغات. . .

بَعْدَ أَنْ قرأتُ عن الدَّفْش في (بقايا الفِصاح: لشفيق جبري) فَتَحْتُ أكاشِفُ (اللسان) فيها مرَّةً سابعة أو أكثر، لأطمئنَّ إلى ذاكرتي عن إهماله الدَّفْش والدَّحْش والطَّفش والطَّحش. . وكلّها إبدالات منَ الدَّفْعِ تَتَجاهَلُها المَعاجِمُ على أنّ الإبدالاتِ الفصيحةَ لُغويًّا. . لها. . كثيرة مُتوافِرة في كلِّ مُعْجَم. . كالدّفْر والدّفْع وغيرها. . فوقعت عيني على ما يلي عَرَضًا وأنا أقلّب في (لسان العرب) دون هَدَف. . .

«د ن ق ش: أبو عبيد في باب العين: دَنْقَشَ الرَّجُلُ دَنْقَشَةً وَطَرْفَشَ طَرْفَشَةً: إذا نظرَ فكسَر عَيْنَيْه، وقال شمر: إنّما هو: دنْفَشَ، بالفاء والشين. أبو عَمرو: طَرْفَشَ الرّجل طَرْفَشَةً وَدَنْفَشَ دَنْفَشَةً إذا نظر فكَسَرَ عَيْنَيْه قال أبو منصور: وكان شمر وأبو الهيثم يقولان في هذا دَنْقَشَ بالقاف والسين..

د ن ق ش: الفَرّاء: الدَّنْقَشَةُ: الفَسادُ، رواه بالشّين ورواه غيره بالسّين، دَنْقَسَةُ..».

من الإبدال في اللَّهَجات العربيّة:

إبدال الهمزة عَيْنًا

في أرياف الصّعيد المصريّ ما زالوا يقولون: (أَسْعَلك سُعال) ويقصدون: أسألك سؤالًا وأمثلة أخرى كثيرة في إبدال الهمزة عَيْنًا.

وقد وَرَد في (المُزْهر..)[1] للسّيوطيّ ١/ ٤٦٢ من أمثلة كتاب الإبدال ليعقوب بن السِّكّيت:

«فمن إبدال الهمزة والعَيْن: آديته على كذا، وأعديته: أي قوّيته وَأَعَنْتُه. وكَثَّأ اللبنَ وَكَثَّعَ وهي الكُثْأَةُ والكُثْعَةُ، وهي أنْ يَعْلوَ دَسَمُه وخُثُورتُه على رأسه في الإناء [كَثّع وكثّأ: إذا خثر وعلاه دَسَمه]. وأردت أَنْ تَفْعَل وَعَنْ تَفْعَل...

* _ * _ * _ * _ * _ *

إبدال الهمزة واوًا

في لغة بادية الشّام ما زالوا يقولون: وكاد؛ ويقصدون: مؤكّد.. وأمثلة كثيرة أخرى من مثل هذا..

وفي نقل السيوطي في (المزهر..) عن ابن السِّكّيت:

«أَرَّخَ الكتاب وَوَرَّخَه.. وأكّدت العهد ووكّدته.. وآخيته وواخيته.. ووشاح وإشاح ووسادة وإسادة..

إبدالُ الْجيم ياءً

في بُلدان الخليج كالكويت وغيرِها ما زالُوا يُبدلون من الْجيم ياءً فيقولون (رِيّال) ويقصدون: (رجّال) أي: رَجُل...

(١) عبد الرّحمن جلال الدّين السّيوطيّ المُتوفّى سنة ٩١١هـ: المُزْهر في علوم اللغة وأنواعها: الطّبعة الثّالثة في مُجلّدَيْن عن دار إحياء الكُتُب العربيّة: عيسى البابي الحلبيّ بالقاهرة. تحقيق: محمّد أحمد جاد المولى بك، ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، وعليّ محمّد البجاويّ. ولم أجدْ عليه تاريخ الطّبع.

وفي (المُزْهر . .) للسّيوطيّ ١/ ٤٧٥.

«وفي شرح التّسهيل لأبي حيّان قال أبو حاتم: قلت لأمّ الهيثم - واسْمُها عثيمة: هل تبدلُ العربُ من الجيم ياءً في شَيْءٍ من الكلام؟ فقالت: نعم؛ ثم أنشدَتْني:

إذا لـم يَكُنْ فيكُنَّ ظِلٌّ ولا جَنًى   فـأبـعـدكـن الله مـن شَـيـرَات

ثلاث لغات من الإبدال

وقال السّيوطيّ في (المُزهر . .) ١/ ٤٧٤: «قال ثعلب في أماليْه: إذا جاءت الصّادُ ساكنةً، أو كانَ بعدَها طاءٌ أو حرفٌ من السّبعة المطبقة والمفردة جُعِلت صادًا أو سينًا أو زايًا أو مُمَالَةً بين الصّاد والزّاي - أربعة [أوجه]. [وقبْلَه رُوي عن أبي عُبيد في الغريب المصنّف: الصّندوق والسّندوق والزّندوق]. وفي الصّحاح يُقال: ما كدت أتَمَلّزُ من فُلانٍ وأتَمَلّس وَأتَمَلّص. . . . وقال القالي في أماليه: هَرَتَ الثّوبَ وَهَرَدَه وهَرَطَه: [مزّقه]. وقال ابنُ خَالَويْهِ في شرح الفصيح: أَخْبَرَنا ابنُ دُرَيْدٍ عن أبي حاتم الأصمعيّ قال: اختلفَ رَجُلان في الصَّقْر، فقال أحدهما بالسّين، وقال الآخر بالصّاد، فتحاكَما إلى أعرابيّ ثالثٍ، فقال: أمّا أنا فأقول الزّقر بالزّاي؛ قال ابن خالَوَيْهِ: فَدَلَّ على أنّها ثلاثُ لغاتٍ. .».

القَلْبُ والإبْدال بَيْن البُروزِ والاخْتِفاء

القَلْبُ والإبْدالُ فاشِيانِ في قَديمِ الفَصيحِ. . وقد وَرِثَتْهُما العامِّيّاتُ أو وَرِثَتْ فِكْرَتَهُما وَأبْدَعَتْ وَتَفَنَّنَتْ في تَجْديدِ ظَواهِرِهما وَتَطْبيقاتِهما. .

فَمِنَ الإبدالِ الذي كانَ في دِمَشْقَ في القَرْنِ الماضي مثلًا. . واخْتَفَى مع انْتِشارِ المَعْرِفَةِ والثَّقافَةِ في هذا القرنِ أو في أواخِرِه:

الزّوز؛ ويقصدونَ: الزَّوْجَ.

والسَّمس؛ ويقصدونَ: الشَّمسَ.

والسدّاجة؛ ويقصدونَ: السَّجّادَةَ.

والنِّيْرَة؛ ويقصدونَ: اللِّيْرَة.

والسَّجَرَة؛ ويقصدونَ: الشَّجَرَةَ. . . . الخ.

سُؤال في القَلْب والإبْدال

أكانَ القَلْبُ والإبدالُ والأنواعُ والأشكالُ الأُخرَىٰ من أشكالِ التَّلاعُبِ اللَّفْظِيِّ والتّحريفِ والتَّصْحيفِ والإمالَةِ والإدْغامِ والإشْباعِ والتَّرْخيمِ وتَخفيفِ الهَمْزة أو أيِّ حَرْف آخر، أو إبدال الهمزة ياء أو نَقْل حَرَكَتِها أو حَذْفِ غيرها أو نَحْتِ كلماتٍ في كلمةٍ أو تطوّر دَلالَةِ المعنىٰ بالنَّقْل مِنَ الحقيقةِ الحِسِّيَّةِ المادِّيَّةِ إلى الصُّوَرِ البَيانيَّة والمجازاتِ الشّعوريّة والفكريَّةِ المُجرَّدةِ بِأَساليبَ مُتَخالِفَةٍ وطَرائقَ شَتَّىٰ؛ ذلك ممّا يُمارِسُه ويُكْثِر منه المُتَكَلِّمونَ في شتّى الأمكنةِ والأزمانِ، أكان كلُّ هذا من أسبابِ اخْتِلافِ اللُّغاتِ واللَّهَجاتِ بين النّاسِ. كلُّ هذا الاخْتِلاف والتطوُّرِ المُتَمَثِّل في انقسام اللُّغَةِ الواحِدَةِ إلى لُغَيّاتٍ وَلَهجاتٍ منذُ العربية الجاهِلِيَّةِ ولٰكن تظلُّ لَهْجَةُ قُرَيْشٍ أَقْوَىٰ.. ثمّ تتوحَّدُ في مِحْوَرِ لَهْجَةِ قُرَيشٍ ثم تَنْتَشِرُ بانْتشار القرآنِ وَتَتَعَدَّدُ الشُّعوبُ التي تُسْهِم فيها، فَيَبْدَأُ الخَطأُ يُقَسِّمُها من جديدٍ إلى لَهَجاتٍ وَلُغَيّاتٍ ولٰكنّها تَظَلُّ تَسْتَقْطِبُها لُغَةُ الخَواصِّ والعُلَماءِ فَتَرْتَبِطُ بالفصيحَةِ الرّئيسةِ لا تنفصلُ عنها نهائيًّا، بل على العكس: تَتَعايَش..

حتّى إذا تقسَّمَتْ مَجموعةُ اللُّغاتِ الهنديَّةِ الأُوربِّيَّة، كالجرمانيّة واللاتينيّة - مثلًا - إلى عامّيّات مُتخالِفَةٍ، وقبرت أُمَّها في بُطونِ الكُتُبِ القديمةِ، ووَرِثَتْها في اللغات الأُوربِّيّة الحديثةِ، فعادَت تتخالَفُ فيها عامّيّاتٌ تتفرَّع عنها وتَختَلِفُ؛ كما تَفَرَّعَتْ واخْتَلَفَتِ الإنكليزيّةُ الأمريكيّة المُعاصِرَة عن الإنكليزيَّةِ القديمةِ لدى (تشوسر) مثلًا.

أم يكون الإفراطُ في القَلْبِ والإبدالِ والإعلالِ والإمالةِ والمُخالفةِ و...

والانْتِقال من المعنى المادّيِّ الحسّيِّ إلى المعنى العقليِّ أو العاطفيِّ أو التّجريدِ الذّهنيِّ أو الانْتقال بالمجازِ وبقيّة الصُّوَرِ البيانيّة وغيرها من فنون البلاغة والتَّصَوُّرات المجازيّة التي تغدُو بالاستعمالِ حقائقَ.. من خصائصِ تطوّراتِ العربيّة ولهجاتِها الجاهليّة القديمةِ أو لهجاتها العامّيّة الحديثة؟ أو إنّها تزيد منها عمّا في اللُّغات الأخرى؟

إنّ الجوابَ من اختصاصِ علماءِ اللُّغاتِ المقارنة...

بين الضّاد والظّاء

من قديم اللهجاتِ الفصيحةِ العامّيّةِ

أهلُ دِمَشْقَ اليومَ يُبدلونَ بالظّاء ضادًا فيقولون عن الظّهر والظُّهر: الضَّهر والضُّهر.. وهكذا..

وعلى النّقيضِ أهلُ ديرِ الزّور والشّمالِ الشّرقيِّ من سوريّة فهم يُبدلونَ بالضّادِ ظاءً فيقولونَ: النَّقيظ والظّدّ بَدَلًا من النَّقيضِ والضِّدِ وليس هذا بجديدٍ من اللّهجَاتِ العامّيّةِ، ولٰكنّهُ قَدِيمٌ قِدَمِ

العربيّة . .

قال ابنُ منظورٍ في (لسان العرب) ب ظ ر : «ومن العربِ مَنْ يبدلُ الظّاءَ ضادًا فيقولُ : البَضْرُ، وقد اشتكى ضَهْري ومنهم من يُبدلُ الضَّادَ ظاءً، فيقول: قد عَظَّتِ الحربُ بني تميم». [قلت: يقصدون: عَضَّت].

اللُّغَيّات في المَعاجِم

في رأي أحمد أمين

في (ضُحى الإسلام) ١/ ٣١٩ يأخذُ الأستاذ أحمد أمين على واضعي المعاجِم الذين حشرُوا اللُّغاتِ واللُّغَيّاتِ واللَّهَجَات والتّصحيفات والضّروراتِ معًا، فتضخَّمَتْ معاجمُهم تضخُّمًا زائدًا «وكان الأَوْلى أَنْ تُسْتَبْعَدَ اللُّغاتُ ويُحَقَّقَ التَّصحيفُ وتُترَكَ اللَّهَجاتُ». ويبيّن أحمد أمين أنّ الخليلَ بن أحمدَ خطَّط لهم مَنْهجًا رياضيًّا مُنَظَّمًا فانْحرَفوا عنه: (قال رجلٌ للخليل: أَخْبِرْني عمّا وضعْتَ ممّا سمَّيْتَ عربيّة: أيدخلُ فيه كلامُ العرب كلُّه؟ فقال: لا، فقال: كَيف تصنعُ فيما خالفَتْكَ فيه العربُ وهُمْ حجَّةٌ؟ فقال: أحملُ على الأكثرِ وأُسَمّي ما خالَفَني لُغاتٍ. (ضحى الإسلام ج ٢ ص ٢٥٩ وسعيد الأفغاني: في أصول النّحو ص ٥٥).

قلْتُ: ولٰكنّنا نجدُ نماذجَ من هذه اللُّغَيّاتِ في عامّيّاتنا اليومَ فنجدُ من الضّروريِّ أنْ يَحْتفظَ المُعجم والفصيحُ بها ريثما نُسَجِّلَها مع فصيح العَوامّ. . لأنّ هذه اللُّغيّات واللَّهَجاتِ التي ما زالَتْ تعيشُ على أَلْسِنَةِ العَوَامّ حتّى اليوم قد أثبتَتْ أنّها عناصرُ حيّةٌ شديدةُ الحَيَوِيَّةِ من عناصرِ اللغةِ حينما ثبتتْ للزّمنِ ولم تمُتْ على الرّغمِ من موت كثيرٍ من الفصاحِ التي سجّلَتْها الكُتُب . .

الاحْتجاج أم القياس؟

وهل من تناقُضٍ فيما بَيْنَ الاحتجاج وبينَ القياسِ؟ أوَلَيْسَا بالمبدأيْن المتكامِلَيْن من مبادئ ضبْطِ اللُّغة وتَصْحيحها؟ فكيفَ يكونُ بَيْنَهُما هذا التناقضُ؟

ومتى كان هذا التّناقُضُ؟

يُخَيَّلُ إليَّ أنّهُ لم يَكُنْ إلّا لدىٰ بَعضِ المُتَشدّدين من علماءِ اللُّغةِ في عصرِنا، ولم يكنْ لِلُغَتِنا مثلُ هٰؤلاءِ المُتَشَدِّدينَ المُتَعَصِّبينَ في عُصورٍ مَضَتْ، فالاحتجاجُ بنصوصِ الأعرابِ الفُصحاءِ الّذين كانوا مُستَوْفينَ لِشروطِ الاحْتجاجِ في عصرِ ما قبلَ مُنْتَصَفِ المئةِ الثّانيةِ للهجرةِ النّبويَّةِ؛ أيْ: ما قبل سنة ٧٦٤م؛ إنّما ذاكَ كانَ احتجاجًا على صِحَّةِ قواعدِ النَّحْوِ والصّرفِ وآلاتِ قياسِ الصّحيحِ منَ الخَطإِ في نظامِ تركيبِ الْجُمْلةِ العربيّة، وتأسيسِ أُسُسِ العلومِ النَّحْويّةِ والصَّرْفِيّة وأمثالِها

وأشباهِها من علومِ ضَبْطِ مقاييسِ التصّحيحِ والتّدقيقِ صَوْنًا لِبُنيانِ نظامِ التّراكيبِ والجُملِ لتحريك المفرداتِ في داخلِ الْجملةِ بالحركات المناسبةِ لعلاقاتِ المفرداتِ بعضِها ببعضٍ في داخلِ التّراكيبِ المؤسَّسَةِ على النّظامِ اللُّغويِّ العربيِّ الذي تُرَسِّخُهُ علومُ الآلاتِ والأدواتِ النَّحْويةِ والصَّرْفِيَّة . .

أريدُ أنْ أقولَ إنَّ الاحتجاجَ لم يكنْ احتجاجًا على صِحّةِ وُرُودِ المفرداتِ عنِ العربِ الفصحاءِ . .

أقولُ: لم يكنْ . . لأنَّ مِنَ العلماءِ المُعاصِرينَ الّذينَ أخبَرْتُهُمْ أنّي أشتغلُ في فِصاحِ العامّيّةِ مَنْ ألحَّ عليَّ أنْ أَجِدَ شَواهدَ منْ عُصورِ الاحتجاجِ ولِمَنْ يُحتجُّ بكلامِهم بلا خلافٍ، على كلِّ مفردةٍ أزعُمُ فصاحتَها من العامّيّةِ لكيْ أنزِّهَهَا وأُبرِّأَها من تُهمةِ العامّيّة! فإذا لم أجدْ شواهدَ من الشّعرِ القديمِ الذي يُحتجُّ بِشواهِدِه . . من امْرِئ القَيْسِ حتّى ابن هَرِمَةَ الذي هوَ آخِرُ مَنْ يُحْتجُّ بشعرِهِ أو شواهدَ مِنَ القرآنِ والحديثِ، على وُرُودِ لفظةِ: (بابا)[1] في كلامهم، مثلًا فهي كلمةٌ غيرُ فصيحةٍ عندَهم ولو وَرَدتْ في شعرِ العبّاسِ بنِ الأحنفِ ت: سنة(١٩٢هـ) فهذا لا يُحتجُّ بشعرِهِ، ولا يَحِقُّ لنا إيرادُه شاهدًا ولو على سبيل الاسْتئناسِ! ولست أزعُمُ قياسيّة العبارة (بابا)؛ وإنّما انتشارها وقِدَمها في التّراث.

وأقول: والاستئناسُ بشعرِ المُحْدَثينَ وكلامِهِمْ، بعدَ انْقِضاءِ عَصْرِ الاحتجاجِ، واردٌ كثيرًا في المعاجمِ التُّراثيَّةِ القديمةِ. وأضيف أيضًا:

عَجَبي أكثرُ للمُغالَطةِ التي أَرجو أنْ يُتنبَهَ إليها جيّدًا . . وهي أنَّهم تَناسَوْا ويتناسَوْنَ القاعدةَ التي نصَّتْ عليها قواعدُ علومِ اللُّغةِ، وتنصُّ عليها قواعدُ علمِ اللغاتِ وأنظِمَتُها العامّةُ: قاعدةُ القياسِ، وأَحَلُّوا في محلِّها قاعدةَ الاحتجاجِ . . وافْتَح أيَّ بحثٍ من بحوثِ فِقهِ اللُّغةِ عند القدماءِ . . أو غيرِهِمْ . . ولْيكن - مثلًا - بحثَ ابنِ جِنِّيٍّ[2] في (الخصائص) ط٢ ج١ ص٣٥٧ (باب في أنَّ ما قِيْسَ على كلامِ العَرَبِ فهوَ مِنْ كلامِ العربِ)؛ وأعتذرُ لأنّي أُطيلُ النَّقْلَ ليتأمّلَ القارئ فيما بَيْنَ القِياسِ وبَيْنَ الاحتجاجِ . .

الارْتِجالُ والقياس

قالَ ابنُ جِنِّي: «. . فإنَّ الأَعْرابِيَّ إذا قوِيَتْ فَصاحَتُهُ وَسَمَتْ طَبِيعَتُهُ تَصَرَّفَ وَارْتَجَلَ مَا لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ بِهِ؛ فَقَدْ حُكِي عَنْ رُؤْبَةَ وَأَبِيْهِ أَنَّهُما كانا يَرْتَجِلانِ أَلْفاظًا لَمْ يَسْمَعاها ولا سُبِقا إليها. وعلى

(١) أرجو أنْ يُراجَع ما كتبْتُ عن (بابا) في بابه من هذا المُعْجَم . .
(٢) عثمان بن جنّي: أبو الفتح المُتوفّى سنة ٣٩٢م أو ٣٩٣هـ. كتابُه (الخصائص) الطّبعة الثّانية في ٣ أجزاء من طبعة دار الكُتُب المِصْريّة بالقاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م - بتحقيق الشّيخ محمّد عليّ النّجّار.

نَحْوٍ مِنْ هٰذا قالَ أَبُوْ عُثْمانَ [المازنيّ]: ما قِيْسَ على كَلامِ العَرَبِ فَهُوَ مِنْ كَلامِ العَرَب. . . . لٰكِنْ لَوْ جاءَ شَيْءٌ مِن ذٰلِكَ عَنْ ظَنِيْنٍ أَوْ مُتَّهَمٍ أَوْ مَنْ لَمْ تَرْقَ بِهِ فَصاحَتُهُ، وَلا سَبَقَتْ إِلى الأَنْفُسِ ثِقَتُه كانَ مَرْدُوْدًا غَيْرَ مُتَقَبَّلٍ.

فَإِنْ وَرَدَ عن بَعْضِهِم شَيْءٌ يَدْفَعُهُ كَلامُ العَرَبِ وَيَأْباهُ القِياسُ على كَلامِها فإِنَّهُ لا يُقْنِعُ في قَبولِهِ أَنْ تَسْمَعَهُ مِن الواحِدِ وَلا مِنَ العِدَّةِ القَلِيلَةِ، إِلّا أَنْ يَكْثُرَ مَنْ يَنْطِقُ بِهِ مِنْهُمْ، فَإِنْ كَثُرَ قائِلُوهُ إِلّا أَنَّهُ معَ هذا ضَعِيفُ الوَجْهِ في القِياس فَإِنَّ ذٰلِكَ مَجازُهُ وَجْهانِ: أَحَدُهُما أَنْ يَكُونَ مَنْ نَطَقَ بِهِ لَمْ يُحْكِمْ قِياسَه عَلىٰ لُغَةِ آبائِهِم، وَإِمَّا أَنْ تكونَ أَنْتَ قَصَّرْتَ عَنِ اسْتِدْراكِ وَجْهِ صِحَّتِهِ. . . . .»[1].

قُلْتُ: وَمَجازُ الوَجْهَيْنِ وارِدٌ لَدَىٰ بَعْضِ مُعَاصِرِينا. . وَالحَمْدُ لِلَّذِي لا يُحْمَدُ عَلَىٰ مِثْلِ ذٰلِكَ سِواه! . . .

ابن جنّيّ والقياس

من كتاب ابن جنّيّ (الخَصائص) الصفحة ٣٥٧ من الجزء الأول في الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٩٥٢م: والحاشية للمحقّق محمّد علي النجّار. طبعة دار الكتب المصرية.

باب[2]

في أنّ ما قِيس على كلام العرب فهو من كلام العرب

هذا موضع شريف. وأكثر الناس يَضعُف عن احتماله؛ لغموضهِ ولطفهِ. والمنفعةُ به عامَّة، والتساننُد إليه مُقَوّ مُجْدٍ. وقد نصّ أبو عثمان عليهِ فقال: ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب؛ ألا ترى أنّك لم تسمع أنت ولا غيرُك اسم كلّ فاعل ولا مفعول، وإنَّما سمعْت البعض فقِسْت عليه غيره. فإذا سمعت «قام زيد» أجَزْتَ ظَرُفَ بِشْرٌ، وَكَرُمَ خالد.

قال أبو علي: إذا قلت: «طاب الخُشْكُتان»[3] فهذا من كلام العرب؛ لأنّك بإعرابك إيَّاه قد أدخلته كلامَ العرب.

(١) الخصائص ط ٢ ج ٢ ص ٢٥ و٢٦.

(٢) انظر الباب الثاني من تصريف المازني بشرح ابن جني ١٧٠ نسخة التيمورية.

(٣) فسّره داود الأنطاكي في التذكرة ١/ ١٢٩ بأنه: «خالص دقيق الحنطة إذا عجن بشيرج وبسط وملئ بالسكر واللوز والفستق وماء الورد، وجمع وخبز. وأهل الشام تسميه المكفّن». وانظر المعرّب للجواليقي ١٣٤. ويقابله في هذا العصر البسكويت. وانظر محاضر جلسات المجمع اللغوي: دور الانعقاد الأول ٤٣٣.

ويؤكِّد هذا عندك أنّ ما أعرِب من أجناس الأعجميَّة قد أجرتْه العرب مجرَىٰ أصول كلامها؛ ألا تراهم يصرفون في العلم آجُرّ، وإبْرَيْسَم، وفِرِنْدٍ، وفيروزجٍ، وجميعَ ما تدخله لام التعريف. وذلك أنّه لمَّا دخلته اللام في نحو الدِيباج، والفِرِنْدِ، والسُهريز[1]، والآجُرّ؛ أشبه أصول كلام العرب، أعني النكراتِ. فجرى في الصرف ومَنْعِه مجراها.

قال أبو علي: ويؤكِّد ذلك أنَّ العرب اشتقَّت من الأعجميّ النكرة، كما تَشتقّ من أصول كلامها؛ قال رُؤْبة:

هل يُنْجِيَنّي حَلِف سِخْتِيت أو فضَّة أو ذهب كِبريت[2]

قال: فـ«سِخْتيت» من السَخْت[3]؛ كـ«زحلِيل»[4] من الزحل.

وحكى لنا أبو علي عن ٱبن الأعرابي أظنّه قال: يقال دَرْهمت الخُبَّازَى؛ أي صارت كالدراهم، فاشتُقَّ من الدرهم وهو اسم أعجميّ. وحَكَى أبو زيد. رجل مُدَرْهَم[5]. قال ولم يقولوا منه: دُرْهِم؛ إلّا أنّه إذا[6] جاء اسم المفعول فالفعل نفسه حاصل في الكفّ. ولهذا أشباه.

وقال أبو عثمان في الإلحاق المطَّرِد: إنَّ موضعه من جهة اللام؛ نحو قُعْدُدٍ، ورِمْدِدٍ، وشَمْلَلَ، وصَعْرَرَ. وجعل الإلحاق بغير اللام شاذًا لا يقاس عليه. وذلك نحو جوهرٍ، وبَيْطَر، وجَدْول، وحِذْيَم، ورَهْوَك[7]، وأرْطًى، ومِعْزًى، وسَلْقَى، وجَعْبَى. قال أبو علي وقت القراءة عليهِ كتابَ أبي عثمان: لو شاء شاعر، أو ساجع، أو متَّسِع، أن يبني بإلحاق اللام اسما، وفعلا، وصفة، لجاز له، ولكان ذلك من كلام العرب. وذلك نحو قولك: خَرْجَجٌ أكرمُ من دَخْلَل، وضربَبَ زيد عمرا، ومررت برجل ضَرْبَبٍ وكَرْمم ونحو ذلك. قلت له: أفترتجل اللُّغة ارتجالًا؟ قال: ليس بارتِجال، لٰكنَّه مقِيس على كلامهم، فهو إذًا من كلامهم. قال: ألا ترى أنّك تقول: طاب الخُشْكُتَانُ؛ فتجعله من كلام العرب وإن لم تكن العرب تكلَّمت بِهِ. هكذا قال؛ فبرفعِك إيّاه كرفعها ما صار لذلك محمولًا على كلامها، ومنسوبًا إلى لغتها.

(١) السهريز - بكسر السين وتضمّ - ضرب من التمر، يقال: تمر سهريز؛ بالوصف والإضافة. ويقال: شهريز؛ بالشين أيضًا. وانظر معرَّب الجواليقي (طبعة الدار) ١٩٩.

(٢) حلف سختيت: موثق قوي. يقال كذب سختيت: خالص. والكبريت أراد به رؤية الذهب، وخطئ فيه، والعرب تخطئ في المعاني دون الألفاظ. وانظر شفاء الغليل واللسان وانظر الديوان ٢٥، والتقريب لأصول التعريب ١١.

(٣) السخت: الشديد.

(٤) هو السريع.

(٥) أي كثير الدراهم.

(٦) كذا في ش، ب. وفي ا، ج: «إلّا أنّه جاء».

(٧) يقال: رهوك في مشيه: مشى في ضعف كأنه يموج في سيره.

وممّا اشتقَّته العرب من كلام العجم ما أنشدَناه (من قول الراجز)[١]:

هل تعرِف الدار لأُمِّ الخزرجِ   مِنها فظَلْتَ اليوم كالمزرَّجِ

أي الذي شرب الزَرَجُون[٢]؛ وهي الخمر. فاشتقَّ المزرَّج من الزَرجُون؛ وكان قياسه: كالمزرْجَن، من حيث كانت النون في زَرَجُون قياسها أن تكون أصلًا؛ إذ كانت بمنزلة السين من قَرَبُوس. قال أبو علي: ولٰكن العرب إذا اشتقَّت من الأعجميّ خلَّطت فيهِ. قال: والصحيح من نحو هذا الاشتقاق قول[٣] رُؤبة:

* في خِدْرِ مَيَّاس الدُمَى مُعَرْجَنِ *

وأنشدَناه (المعرجن)[٤] باللام. فقوله (المعرجن) يشهد بكون النون من عُرْجُون أصلًا، وإن كان من معنى الانعِراج؛ ألا تراهم فسّروا قول الله تعالى: ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[٥] فقالوا: هي الكِبَاسة[٦] إذا قدُمت فانحنت؛ فقد (كان[٧] على هذا القياس يجب) أن يكون نون (عُرْجُون) زائدة، كزيادتها في (زيتون)، غير أنَّ بيت رؤبة الذي يقول فيه (المعرجن مَنَع هذا، وأعلَمَنا أنَّه أصل رباعيّ قريب من لفظ الثلاثيّ؛ كسِبْطرٍ من سَبِطٍ، ودِمَثْر، من دَمِث؛ ألا ترى أنَّه ليس في الأفعال (فَعْلَن) وإنَّما ذلك في الأسماء نحو عَلَّجَن[٨]، وخَلْبَنَ.

وممّا يدلّك على أنّ ما قيس على[٩] كلام العرب فإنَّه من كلامها أنّك لو مررت على قوم (يتلاقَون[١٠] بينهم مسائلَ) أبنية التصريف؛ نحو قولهم في مثال (صَمَحْمَح) من الضرب: (ضَرَبْرَب) ومن القتل (قَتَلْتَل) ومن الأكل (أَكَلْكَل) ومن الشرب (شَرَبْرَب) ومن الخروج (خَرَجْرَج) ومن الدخول (دَخَلْخَل). وفي مثل (سفرجل) من جعفر: (جَعَفْرَر) ومن صقعب[١١] (صَقَعْبَب) ومن زِبْرِجٍ (زَبَرْجَج) ومن ثُرْتُم[١٢] (ثَرَتْمَم) ونحو ذلك. فَقال لك قائل: بأيّ لغة كان

(١) ثبت في ا. وسقط في ش، ب.

(٢) وهو لفظ فارسيّ مركَّب من «زر» بمعنى الذهب، و«كون» بالكاف الفارسية ومعناه لون. فمعنى التركيب: لون الذهب. وانظر التقريب ٩.

(٣) من أرجوزة في ديوانه ٥٦.

(٤) سقط في ا.

(٥) آية ٣٩ سورة يس ٣٦.

(٦) الكباسة: العذق بشماريخه. وهو ما عليه الرطب ويقال له السباطة.

(٧) كذا في ا. وفي ش، ب: «كان القياس على هذا أن يكون».

(٨) العلجن: الناقة الكناز اللحم، والمرأة الماجنة. والخلبن: الخرقاء.

(٩) كذا في ا، ح وفي غيرهما: «من».

(١٠) أي يلقي بعضهم على بعض أسئلة.

(١١) الصقعب: الطويل، والمصوت من الأنياب والأبواب.

(١٢) الثرتم: ما فضل من الطعام، أو الإدام في الإناء.

هؤلاء يتكلَّمون؟ لم تجد بُدًّا من أن تقول: بالعربيَّة، وإن كانت العرب لم تَنطق بواحد من هذه[1] الحروف. ا.هـ. ابن جنّي.

مَوْهِبَة القياس في اللغة

أقوى ما في الموهبة اللغويّة قبل سِنّ السّادسة

إلى علماء التّربية اللغويّة

يَقولُ أَطْفالي: (سَرُعْنا): بِمعنى عَجَّلْنا، وهم يَسْمَعونَ الرُّباعيّ أَسْرَعَ؛ مِنّا ومن فَصيح المَدارسِ والكُتُبِ: أسرعنا وَعَجَّلنا. وَلَمّ أَقرأْ أو أسمعْ مَن اسْتعمل أمامَهُم الثُّلاثيّ: سَرُعَ، سوى أنّه وارِدٌ في المُعْجمِ من البابَيْن: سَرِعَ يَسْرَعُ سَرَعًا، وَسَرُعَ يَسْرُعُ سَراعَةً وَسُرْعَةً... كما في (..الوسيط) مُعْجَم مَجْمَع القاهرة ط٢ وكلُّها بمعنى أَسْرَعَ وَعَجّل.. ولن يزعم أحد أنَّهم كشفوا عنه في المعجم!

وما أَكْثَرَ الأفعَالَ الثُّلاثِيَّةَ الواردَةَ في المُعْجَمِ مِن الرُّباعيّات من الأفعالِ التي نستعملُها في كلامِنا وكتاباتِنا، بالرُّباعي، كَأَسْرَعَ.. ونُهْمِلُ الثّلاثيّ سَرُع فَنُفاجَأ بأنّ أطفالَنا يَسْتَعْملونَ الثُّلاثيَّ دونَ أن يَسْمعوه مِنّا.. فإذا كَبروا أَهْمَلوهُ مِثْلنا.. إذ لا ينتبهون إلى صحّة وجوده في المُعْجم.

هذه المُلاحَظَةُ في تطوّر العامّيّ نحو الفَصيح تُذَكِّرُني بنظريَّة التَّوْليدِيِّينَ Generativists نظريّة تشومسكي Chomsky وَجُمْهورِ عُلَماءِ اللُّغَةِ المُعاصِرينَ الذين ناصَرُوا هذه النّظريَّةَ وَتَخَلَّوْا عن نظريّةِ السُّلوكيّين Behaviorists القديمةِ في التّربيةِ اللُّغويةِ. وانظرْ في كتبِ تشومسكي الصّادرةِ في جامعَتَي كامبريدج وماساشوستس في السّنوات ١٩٥٩ - ١٩٦٥ - ١٩٦٦م.

فالأطفال حينما يَقيسونَ قواعدَ التَّصريفِ اللغويِّ بالفِطْرَةِ دون أن يَسْمَعوا شيئًا عن علمِ الصَّرْفِ، فقد يَصِلونَ إلى الصَّحيحِ إذا كانَ قياسيًّا وقد يصلونَ إلى الغَلَطِ إذا كانَ هناك خُروجٌ عن القياسِ، ومثالٌ على مِثْلِ هذا الخطإِ أنّكَ تسمعُ بعضَ الأطفالِ يؤنّثون الألوانَ بالتّاء فيقولونَ: (لعبةٌ أَحْمَرَةٌ.. أو.. أصفرةٌ.. أو.. أسوَدَةٌ) لأنَّهم يظنّونَ هذه التّاء علامةَ تأنيثٍ، ولم يسمعوا حَمْراءَ وصفراء وسوداء.. أوْ لَمْ يَنْتَبِهوا إلى اخْتلافِ علاماتِ التّأنيثِ.. ولٰكنَّ هذا القياسَ الخاطِئَ دليلٌ على قوّةِ السَّليقَةِ والمَوْهِبَةِ اللُّغويّةِ والمَقْدِرَةِ الصَّرْفِيَّةِ والقِياسيَّة..

وكذلك.. يَميلُ الأطفالُ إلى استعمالِ الْجَمع السّالم منَ الكلمات التي لم يَسْمعُوها من الكبارِ

(١) كذا في ا، ب وفي ش: «هؤلاء».

في صيغةِ الجمعِ إلّا بِجَمْعِ التَّكسير. . فيقولون مثلًا: (الغَزالِينَ والأرنَبِينَ والحِمَارِينَ والمَسْطَرات واللُّعْبات والضِّفدَعات) بَدَلًا من أن يقولوا: الغُزْلانُ والأَرانبُ والحَميرُ والمساطرُ والألعابُ والضَّفادعُ.

وعندما تُكَرِّرُ الآنسةُ المُرَبِّيَة كتابةَ العِبارةِ (أَحْسَنْتَ) على دفتر الطِّفل، يَعُدُّ الطِّفلُ عَدَدَ المرّات التي تكرّر فيها هذا الفعلُ (أحسنتَ) فيصوغ منه جَمْعًا مؤنّثًا سالمًا، وكأنّه اسم مؤنث! فيقول: (صار عندي في الدّفتر سبع «أَحْسَنَتات».. أو (كذا.. صار عدد «الأَحْسَنْتات» التي حَصَلْتُ عليها).

وهذا يدلّ على قوّة مَوْهِبَتِه في القياسِ اللغويِّ؛ من قياسه قواعد الصّياغة الصّرفيّة والنّحويّة من السّماع وَحْدَه.. وليسَ من دراسةِ قواعِدَ نظريَّةٍ غير مفهومة.. فالسّماع أساسٌ في اكتسابِ اللُّغةِ...

لغة الطُّفولة

كيفَ نُواجِهُ مشكِلَةَ تسهيلِ اللغةِ للطّفل؟!

وكيفَ نصوغُ مِن المناغاةِ لغةً للطّفولةِ؟!

أكانَ أحدٌ يَنْتَظِرُ أنْ تكونَ اللُّغةُ الطُّفوليَّةُ جاهزةً لإعادتِها إلى التّربيةِ اللغويّة؟ من غيرِ أنْ نواجهَ أيَّ مُشْكِلَةٍ؟ بعد هجرانٍ نَيَّفَ على ألفِ سنةٍ؟!

ولو كانَ لغيرِ العربيّةِ مثلُ هذا الهجْرانِ الطّويلِ والتّباعدِ عن الحياةِ؛ لكانتِ انْقرضَتْ كما ماتَتِ اللاتينيّةُ أو غيرُها من اللغاتِ المُنْقرِضَةِ.

ولٰكنّ للعربيّة نَفَسًا حَيَويًّا منَ الْجاهزيّة للتّطوّرِ والامْتدادِ واتِّخاذِ المواقعِ المُناسِبَةِ في الحياةِ الحديثةِ، والمُعاصِرةِ معَ المُحافَظَةِ على الارْتِباطِ بالأصولِ، وهي صفاتٌ لا تكادُ تُعرَفُ لغيرِها من اللغاتِ، كما هو معروفٌ ومسلَّمٌ به لَدَىٰ الأغلبيَّةِ..

ولغةُ الطّفولةِ هي لغةُ العاطفةِ والحنانِ والرّعاية والمَحَبَّةِ، ولِهٰذه المعاني عباراتُها التي ما تزالُ تتردّدُ كما هي، ولم تكدْ تتغيّرُ إلّا في النَّزْرِ اليسيرِ.

فمنذُ الْجاهليّةِ ما نزالُ نقولُ: يا حبيبي.. ويا حبّاب.. ويا عَيْني.. ويا أغلى من عَيني.. ويا قَلْبي ورُوحي وعُمري.. ويا وليدي ويا بُنَيَّ الغالي.. إلخ..

إنّها عباراتٌ لا اختلافَ فيها، على مرورِ الزَّمَنِ وتطوُّرِ الألسنةِ واللُّغيَّاتِ.. ومعَ ذلكَ فلا بدَّ منَ الاعترافِ بالحاجةِ إلى التَّسمياتِ الجديدةِ في بعضٍ من أسماءِ بعضِ الأشياءِ، وهذا ما يَدْفَعُنا إلى أنْ نَقبلَ بكلماتٍ أعجميّةٍ كمثلِ الڤيديو والبالون (النُّفَّيْخَة) وأشباهِها، قَبولًا مُؤقّتًا، على الأقلِّ، رَيْثَما

يَدْرُجُ لها اسمٌ عربيٌّ مُناسِبٌ ومأنُوسٌ وناجحٌ في الاسْتِعمالِ، وذلكَ ما ينبِّهُنا إلى أنَّ إدخالَ اللَّفظِ الدَّخيلِ وتعريبَ اللَّفظِ الأجنبيِّ ليسَ أمرًا محظورًا علينا، وإلى أنَّ التَّعصُّبَ ضدَّ الكلماتِ الأجنبيّةِ الأصلِ ليسَ له نصيبٌ في تاريخ تَطَوُّرِ اللغةِ، فلْننظرْ إلى ما وَرَد في القرآنِ الكريمِ منَ العباراتِ الأعجميّةِ مِنْ يونانيّة ورومانيّة وفارسيّةٍ وهنديّةٍ وعِبْريّةٍ وحَبَشيّةٍ وغيرِها؛ فلقد سَرَدَ السّيوطيّ في كتابِ (الإتقان. .)[1] مئةً وإحدى عشرةَ لفظةً ممّا وَرَدَ في القرآنِ الكريمِ من المُعَرَّب عن اللغاتِ الأجنبيَّةِ، وذكرَ أنَّهُ أَفْرَدَ في هذا النّوع كتابًا سمَّاهُ: (المهذَّبُ فيما وقعَ في القرآنِ من المعرَّب).

وهذا كانَ بعد كُتُبٍ عديدةٍ سبَقَت السّيوطيّ في هذا الموضوع الذي تخالفَتْ فيه آراءُ العُلَماءِ أحيانًا على بعضِ العباراتِ، ولٰكنَّهم لم يَختلِفوا يومًا في قبولِ مَبْدأ التّعريبِ؛ ففتحوا بابَ إدخالِ الدَّخيلِ ممّا نحتاجُ إليه مِنَ العباراتِ تجاوُبًا معَ تداخُلِ اللغاتِ وتمازُجِ الثَّقافاتِ، فاللُّغةُ تأخذُ من اللغاتِ كما تُعْطيها أيضًا، وهل بَقِيَتْ لغةٌ في العالَمِ الحديثِ لم تأخذْ من العربيّةِ شيئًا من أمثالِ أسماءِ: القُطْنِ والرُّزِ والقهوةِ والسُّكَّرِ والليمون والغَوْلِ أو الكحول. . وغيرها كثيرٌ. . حتّى إنّ المؤلِّفةَ الألمانيَّةَ زيغْريد هونكة بدأَتْ كتابَها الشّهير: (شمسُ الله، أو شمس العَربِ تَسْطَعُ على الغَرْبِ) مُنْذ صَفَحاتِه الأوائلِ؛ بمقالةٍ من الألفاظِ المُنْتَقاةِ كلِّها من العباراتِ الألمانيّة ذاتِ الأصلِ العربيِّ، كما هو مَشهورٌ ومعلومٌ.

الْجَهْل بِكُنوز الطِّفل يُضيِّعها

يعرفُ علماءُ التّربية اليومَ ما يُدْهشُ السّامعَ العاديَّ في كثيرٍ من شؤون الفكرِ البشريِّ، ولا سيّما في الشّؤون التّربويّةِ، وفي التّربيةِ اللغويّةِ بالذّات. .

يعرفون اليومَ أنَّ الأصواتَ التي يَنْطِقُ بها الأطفالُ في أوائلِ عَهْدِهم بالنُّطْقِ تزيدُ على مِئَتَيْ نوعٍ من أنواعِ الاختلافِ الصّوتيّ. . ولٰكنّ هذه الأنواعَ تتناقصُ تدريجًا، كما قال محمّد خليفةُ التّونسيّ[2]: «فإنّه كُلّما كَبِرَ صارَ أَمْيَلَ إلى التَّقيُّدِ بالأصْواتِ التي يسمعُها من كلامِ المحيطينَ بهِ، فَتَقِلُّ بالتّدريج الأصواتُ التي يَنطِقُ بها حتّى تكادَ تقفُ عندَ الأصواتِ أو الحروفِ التي ينطقُ بها مُخالِطوه، وهي حروفُ لُغَتِهِ القوميّةِ أو المَحَلِّيَّةِ، وإنْ كانتْ تبقى له قابليَّتُهُ للنُّطْقِ بحروفٍ أخرى غَيْرِ ما في لُغَتِهِ. ومهما تتّسعْ هذه القابليّة الخاصّة به، ويمتدَّ أمدُها عنده، ومهما يتّصلْ بآخرين غيرِ

(١) جلال الدّين السّيوطيّ عبد الرحمن بن كمال الدّين أبي بكر من سنة ٨٤٩هـ – سنة ٩١١هـ كتاب (الإتقان في علوم القرآن) تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم في القاهرة ١٣٨٧هـ = سنة ١٩٦٧م الطّبعة الثّانية في منشورات رضا بيدار بمطبعة أمير بطهران، إيران سنة ١٣٩٧هـش. الصفحة ١٢٥–١٤٣ من المجلّد الثّاني.

(٢) انظر في ص – ٢١٣–٢١٤ من كتاب محمّد خليفة التونسيّ (أضواء على لغتنا السّمحة) الكتابُ التّاسعُ من سلسلةِ (كتاب العربي) الصّادر في الكويت ١٥ أكتوبر سنة ١٩٨٥م.

قَوْمِهِ ممّن لهم أصواتٌ لُغَويَّةٌ غيرُ أصواتِ لغتِهِ فإنَّ هذه القابليّةَ - على أيّة حالٍ - لا تتَّسعُ للنّطقِ بكلّ ما يسمَعُ من الأصواتِ أو مُعْظَمه كما كانَتْ حالُه طفلًا حديثَ العهدِ بالنُّطق».

ومن هذا رأى العلماءُ لدى الطِّفلِ موهبةً لغويَّةً قادرةً على اكتسابِ عدّةِ لغاتٍ بالسّماعِ الفِطْريّ السّليقيّ؛ أيْ: من دونِ أنْ يَشْعرَ الطِّفل أنّنا نقصدُ تعليمَه وتدريسَه، فالذينَ يُلحّون على تعليمِ الطِّفلِ لغةً أجنبيَّةً يُصْبِحون على حقٍّ إذا بدؤوا بإسماعِ هذا الطِّفلِ لغةَ الكتابِ العربيّ، الفصيحةَ، مع العامّيّة، لا بل قَبْلَها، فإذا بَدَأَ في السَّنة الثّانية من عمره يَنْطِقُ ببعضِ العباراتِ المُناسِبَةِ لسِنّهِ فصيحةً مَرَّةً وعامِّيَّةً أُخْرى وبَدَأَ يُمَيِّزُ بَيْنَهما فعندئذ يُمْكن أنْ نُسْمِعَه بعضَ الكلماتِ الأجنبيّة ونُحاولُ إفهامَه أنّها لغةٌ ثالثةٌ مُخْتَلِفَةٌ قَبْلَ أنْ يَصِلَ إلى السّنة السّابعةِ من عمرِه لأنّ هذه الموهبَةَ اللغويّةَ الفِطْريّة السّليقيّةَ ستبدأ بالتَّجَمُّدِ والهُمودِ منذ السَّنةِ السّابعة لتحلَّ محلَّها المَقْدِرَة على التّعليم بالدّراسة.. وذلك كما وضّحنا سابقًا[1] في النّظريّة المعاصِرَة التّوليديّة Generativists التي حَلّتْ مَحَلّ السُّلوكيّة Behaviorists.

والمسؤولونَ المُتَمَلِّكُونَ المناصِبَ والمواقِعَ التي تتحكّم في التّخطيط التّربويّ وفي المَقْدِرةِ على تحريكِ المُنَفِّذينَ والعاملينَ في المؤسَّساتِ التَّربويَّة، لهم من مَوْهِبَتِهم الخارقةِ التي أَوْصَلَتْهم إلى مفاصلِ التَّحكُّم ما لا يَدُلُّهم ولا يَهْديهم إلّا إلى مَظاهرِ عَجْزِ الطِّفل التي تَحْجُبُ عَنْهُم الحقيقةَ العِلْمِيَّة وهذه الحقيقةُ يَعْرِفُها بالفِطْرة والتَّجرِبَةِ مَنْ مارَسَ دَوْرَ المُرَبّي في أسفلِ سُلَّمِ المناصِبِ والدَّرجاتِ مدّةً طويلةً لاحظَ فيها ما يُقرِّرُه علماءُ التّربيةِ مِنْ أنّ وليدَ الإنسانِ العاجز ظاهريًّا، والأشدّ عجزًا من مواليد الكائنات الحيّة الأُخرى ولٰكنّه أقدَرُ على مَوْهبةِ التَّجربةِ والتَّقدُّم والتَّرقّي منها كلّها.. وتَظْهَرُ مَوهبتُه في تَمَيُّزِه اللغويّ عن باقي الكائنات.. واللغة هي التي تُنْضِجُ الطِّفل فِكْريًّا، فالتَّرْبيةُ اللُّغويَّة هي أهمُّ (ممّا) في التّربية، وإهمالُها يَجعلُ المربّين مُرَبّي أجسام.. وكلّ أجسام الحيوانات أَقْدَرُ على التّربية الجسميّة.. ولٰكنّ الحيواناتِ ليسَتْ أَقْدَرَ على التّربية الفِكْريّةِ والشُّعوريَّة، وذلك لأنّها لَيْسَتْ أقدَرَ على التَّربيةِ اللغويّةِ التي هي الشَّرْطُ الأوَّل والطَّريقُ الوحيدُ إلى تربيةِ الفِكْرِ والشُّعورِ في الإنسان...

المشترك اللفظيّ في الفصاح

لَيْسَتِ العامّيّاتُ وحدَها التي تتكاثرُ فيها المعاني في اللفظة الواحدة، أو تتكاثر فيها الألفاظ

(١) راجع نظرية تشومسكي في:
Aspects of the theory of syntax 1965 Cambridge, Massachusetts.
وفي غير هذه الفقرة من مقدّمة هذا المعجم..

المترادفة للمعنى والاسم؛ فقد قال العلّامةُ عبدالله العَلايلي في مقدّمة موسوعتِه (المُعْجم) الّتي كان بَدَأها سنة ١٣٧٤هـ و١٩٥٤م ببيروت:

«فكثيرًا ما اتُّهِمَتِ العربيّةُ بأنّ الكلمةَ فيها تَنْشُرُ جَناحَيْها وتَطْويهما على مَعانٍ شتّى من كلّ وادٍ». قُلْتُ: هذا نوعٌ من اللفظِ سَمَّوْه المُشْتَرَك وعَدُّوا من أمثلتِه: الرُّؤية والعَيْن والهِلال والخال.. ولٰكنّ أمثلتَه التي لم يَعُدّوها أكثرُ من أنْ تُحْصىٰ وفي أحدِ الأمثلةِ الكثيرة لفظة (العجوز) التي تبارَتِ المَعَاجمُ في تكثيرِ معانيها كُلّما تأخّر الزمنُ حتّى قال مُحمَّد مُرتضى الزّبيدي في (تاج العروس من جواهر القاموس) في مادّة التّراكيب: ع ج ز:

«والعجوز.. قد أَكْثَرَ الأئمّةُ والأُدَباءُ في جَمْعِ معانيه كَثْرَةً زائدةً ذَكَر المُصَنّفُ منها سَبْعةً وسبعينَ مَعْنًى ومِنْ عجائبِ الاتّفاق أنّه حكّم أوّل العجوز وآخره وهما العَيْن والزّاي وهما بالعدد المذكور» [قلت: يقصد العدد المذكور للعَيْن والزّاي في حساب الجُمَّل؛ ولعلّهم وَضَعُوا بعضَ هذه المعاني لِيَسْتَكْمِلُوا هذا العدد واللهُ أعلمُ] وأستكمل ما قال الزّبيديّ فيها: «..وقال في (البصائر): للعجوزِ مَعانٍ تُنيِّفُ على الثَّمانين ذكرتها في (القاموس..) وغيرِه من الكُتُب المَوْضُوعَة في اللغة..» ثمّ روىٰ الزَّبيديّ «قصيدة للشّيخ يوسف بن عمران الحلبي يَمْدَح قاضيًا جَمَع فيها فأوْعَىٰ وكرّر كلمةَ (العجوز) في آخِرِ الأبيات كلّ مرّة بمعنًى من معانيها الثّمانين». ومِنْ تَدَاعِي الأفكار أنْ أقولَ: ..لم أذكر من (فِصاح العامّيّة في الجزائر)في البحث الذي كُنْتُ أَشَرْت إليه أنّ العامّيّة الْجزائريّة تَسْتَعْمِلُ عبارةَ العَجوزِ بمعنى المرأة المتزوّجة «شابّةً كانَتْ أو عجوزًا شيخةً» كما في المعاجم كالقاموس والتّاج؛ أمّا غيرُ المتزوّجة فهي في عامِّيَّتِهم طِفْلة.

من المشترك اللفظيّ لدى الآخرين:

ياها..... ياسو..

قَرَأْتُ للسّفيرِ جمالِ الفرّا في كتابِهِ عن السُّوَيْد (حيث تُشْرِقُ الشَّمْسُ في مُنْتَصَفِ اللّيْلِ) المَطْبوعِ في دمشق سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م: أسفار وسفارات دار المعرفة: في الصّفحة ٢٦-٢٧ تحت عنوان: (ياها..... ياسو).

«... لا يَخْطُرُ في بالِ السُّوَيْديِّ أَنْ يُقاطِعَ حديثَ صاحبه ولو أَدْرَكَ منذُ البِدايَةِ مُبتغاهُ. ولكي يَدُلَّ على تَمَتُّعِه بالإصْغاءِ، وعلى مُتابعةِ حديثِ صاحِبِهِ باهتمامٍ، فإنّه يُرَدِّدُ على مَسْمَعِهِ بينَ الفَيْنَةِ وَالفَيْنَةِ كلمةَ (ياها) ويُتْبِعُها بَعْدَ حِيْن بكلمةِ (ياسو) وليسَ لِهاتَيْنِ الكَلِمَتَيْنِ مِنْ مَعْنًى مُحدَّدٍ مُعيّن ولٰكنّهما تَعْنِيان كُلَّ ما يُرادُ وِفْقَ النَّغَمِ الذي تُلْفَظَانِ به، فقد تَعْنِيان المُوافَقَةَ أو التَّحْبيذَ أو العَجَبَ أو الاسْتِنكارَ أوالتَّساؤُلَ أو الإعجابَ... وكأنّهما رَكيزَتانِ أو شارتانِ تُطَمْئنانِ لِمُتابَعَةِ الحديث وللاسْتِزادَةِ منه...

. . . و. . لمّا وَصَلْتُ إلى رِيُو دو جانيرو [في البرازيل] تَبَيَّنَ لي أنّ سفيرَ السُّويدِ فيها محبوبٌ في الأوساطِ البَرازيليّة ومَوْضعُ تقديرٍ لإجادَتِهِ اللغةَ البُرْتُغاليَّة رغمَ مُقامِه القصير في البرازيل. فلمّا توطَّدَت صِلاتي بالزّميل السُّويْدِيّ وَجَدْتُ أنّ صاحِبَنا ليسَ مِنَ التَّمَكُّنِ في اللُّغَةِ البُرْتُغاليّة كما يُظَنُّ، فسألْتُه جَلِيَّةَ الأَمْر فقال لي في صَراحةٍ: إنّني أُصْغي إلى القَوْم يَتَحدَّثون وغالبًا لا أُدْرِكُ ما هم فيه، وأُرَدِّدُ على مَسامِعِهم: ياها. . . ياسو. . .».

وعلى نقيض المشترك اللفظي تجد في ك ب ب (الكُبَّة). . وفي ق ط ر (القَطْر) فانظر فيها هناك. .

أَوَليست تجربة مُهِمَّة؟

بين كتّابنا ومُثقّفينا وأساتذتنا وعلمائنا: نجد مَن يَرَوْن الفرصة سانحة لإرواء غليلهم في إظهار مواقف التَّرَفُّع عن كلّ ما هو شعبيّ، وهم يَلُومون ويتّهمون وينتقدون كلَّ مَنْ يُشير إلى الألفاظ أو الأساليب الدّارجة. .

وكِبارُ عُلَماء العربيّة لا يَسْلَمُون مِنَ الانْتقاد والاتّهام وهم يحاولون تصحيح عبارات العامّة أو الإرشاد إلى ما يقابلها في الفصيح، إذا لم يتيسَّر تصحيحها!!

يقول عالم من كبار علماء اللغة ودارسي المُعْجَم العربيّ، وهو يكتبُ في وصفِ مُعْجَم (متن اللغة) تأليف أحمد رضا العامليّ:

«فهو جيّد التّرتيب حَسَن الإخراج، إلّا أنّه أفرد في هوامشه محلًّا للعامّيّة» ثمّ يَضَعُ هذا العالِم اللغويّ الكبير لقوله هذا تتمّة في هامش يَسْتَمِرّ فيه في انْتقاد أحمد رضا العامليّ ولَوْمه فيقول: «مع أنّه يقول في مُقَدّمته إنّه ترك كُتُب المتأخِّرين والمُعاصِرين حتّى لا تسري إليه أغلاطهم، ويَسْتَشْهد بالشّرتونيّ الذي اسْتخرج له من مُعْجَمِه (أقرب الموارد إلى فُصَح العربية والشّوارد) أربعمائة غلطة في ثلاثمائة صفحة (انظر مقدمة متن اللغة)». وقد نشَرَها في مجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق المجلّد ٢١ و٢٤.

ورد هذا في كتاب: من تأليف عالِم لُغَويّ مُعاصِر من أَساتذتِنا الأَجِلّاء؛ قلت: لَسْتُ أظنّ أنّ هذا الانتقاد الذي يَصْدُر عن أستاذ كبير وعالِم لُغَويّ شهير ينتقد فيه مَوْقِف أحمد رضا العامليّ من العامّيّة؛ أقول: لست أظنُّ أنّه يَصْدر عن عَدَمِ دِراية بمكانة أحمد رضا من التّمكُّن من الفصحى وخدمتها والدّفاع عنها؛ فَلْنَعُدْ إلى فقرة الدارس المؤلّف: هذا العالم الجليل والناقد والمدرّس منذ بداية حديثه عن (مُعْجَم متن اللغة) بعد أنْ كان عاب على المُعْجَمات الحديثة التي سَبَقَت مُعْجم أحمد رضا أنّها «حافلة بالألفاظ المُوَلَّدة والدَّخيلة والدّارجة والعامّيّة» ثمّ قال: «وظَهَر للمختصِّين

أنّ هذه المُعْجَمات لا تفي بالغَرض ولا تُحقّق الغاية، فكلّف مَجْمَع اللغة العربيّة بدمشق الشيخ أحمد رضا - وهو أحد أعضائه - وَضْع معجم يُلَخِّص ما تناثر في المعجمات القديمة، ويُضيف ما اسْتحدث من ألفاظ، وظهر هذا المعجم باسم (متن اللغة) في سنة ١٩٥٨م وفيه الكثير من مزايا المعجمات القديمة والحديثة فهو جيِّد التَّرتيب، حَسَنُ الإخراج، إلّا أنّه أفرد في هوامشه مَحَلًّا للعامّيّة، ولم يُعْنَ بالمُصْطَلَحات الحديثة والعِلْميّة لخروجها عن (متن اللغة). ا.هـ.

وأقول: ولٰكنْ أليسَ هدف أحمد رضا العامليّ تصحيح أخطاء العامّة؟! ولْنَفْتَحْ، عَرَضًا، ولا على التَّعيين، في ما كتب أحمد رضا مثلًا عن المادّة النّفطيّة التي تُسمّيها عامّتنا (المازوت): «المازوت هو دردي زيت الحجر بعد أن يُكَرَّر ويُصَفَّى. ويَصِحّ أنْ يُسمّى الخضخاض. قال الأزهري: الخضخاض نفط أسود رقيق لا خثورة فيه وليس بالقطران، لأنّ القطران عُصارة شَجَر معروف وفيه خُثورة، يُداوى فيه دَبَرُ البعير. وأمّا الخضخاض فهو دَسَم رقيق يَنْبُع من عَيْنٍ تحت الأرض. وعلى هذا فيصحّ لنا أنْ نخصَّ الخضخاض بالمازوت، والنّفط بما هو أعمّ منه».

مثال آخر من كتابة أحمد رضا العامليّ عن العامّيّة: «طَسَّ ببصره: تقول العامّة: فلان يَطِسُّ ببصره إذا كان ضعيف البصر فلا يُبْصر إلّا قليلًا. وهو من الطُّشاش. وفسّروه بضعف البصر، ومنه المَثَل العربيّ: (الطُّشاش ولا العمى)».

وقد جَمَعَ أحمد رضا الهوامش التي كان صنعها لِمُعْجمه (متن اللغة)، والتي أشار إليها مُؤَلِّف كتاب (نحو وعي لُغَويّ) دون أنْ يُشير إلى أنّه جَمَعَها في الكتاب الذي أصدره أحمد رضا بعد انتهائه من العمل في المعجم (متن اللغة)، ولكنْ قبل نَشْر المعجم، فقد أصدر أحمد رضا لكتابه هذا: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) في حياته قبل سنة ١٩٤٥م أمّا مُعْجَمه (متن اللغة) فلم يُنْشَر قَبْل سنة ١٩٥٨م بعد وفاة مُؤَلِّفه، وهذه ملاحظة كانت جديرة بأنْ تدلَّ مُؤَلِّف (نحو وَعْي لُغَويّ) إلى هدَف أحمد رضا العامليّ أنْ يَرُدَّ العَوَامّ إلى الفصاحة؛ لو كان هذا المُؤَلِّف كتب دارسًا ومدرّسًا في حقيقة غرض أحمد رضا من كتاب (ردّ العامّيّ..).

ألَمْ تَكُنِ الفُصْحى عامّيّةً؟

التَّباعُد فيما بين النّظريّة والتّطبيقِ، والتّناقضُ فيما بينَ الأفعالِ والأقوالِ يُمْكِنُ أنْ ينطبقَ أيضًا على الواقِعِ اللغويِّ في ظواهرِه المُتخالِفَةِ، ولعلَّ منهُ العَصَبِيَّةَ المؤيِّدةَ للفصحى وحدَها، أو للعامّيّة وحدَها، لدى بعضِ الكُتّابِ الذين يَسْتخدمونَ اللغةَ بما يميّزُهم ويشهرُهم... مع أنّ الرّاسخينَ في العلمِ من المنظّرينَ اللّغويّينَ الكبارِ لا يَدْعونَ إلى شيءٍ من مِثْلِ هذه العصبيّاتِ.. وإنّما العكسُ عندَهم هو الصّحيحُ فجوهرُ الحقيقةِ اللُّغويَّةِ الصحيحُ هو الأقدرُ على البقاءِ ﴿فأمّا الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاءً وأمّا ما ينفعُ النّاسَ فيمكُثُ في الأرض﴾ ١٣ الرّعد/ ١٧.

وهذه الفُصحى ألَمْ تكنْ عامّيّةَ عصرٍ من العصورِ القديمةِ؟ أَوَلَمْ تكنْ - في أغلبِها - من لهجةِ قريشٍ في أواخرِ الْجاهليّة وأوائلِ العصرِ الإسلاميِّ؟ أَوَلَمْ تكُن العربيّةُ تتخالفُ لَهَجاتُها بينَ القبائلِ والبُلدانِ؟ أَوَلَمْ تترُكْ تلكَ الخلافاتُ فيما بينَ اللَّهَجَاتِ القديمةِ آثارَها على الخلافِ بين اللهجاتِ واللُّغَيَّاتِ التي نجدُها بين العربِ في عصرِنا هذا؟

إنّ هٰـذا الـقـديـمَ كـان جـديـدًا   وسـيـغـدو هٰـذا الْـجـديـدُ قـديـمـا

فالكشكشةُ - مثلًا - لهجةٌ قديمةٌ كانَتْ في الْجاهليّة «لبني أسد وربيعة؛ يجعلونَ الشّينَ في مكانِ الكافِ في خطابِ المُؤَنَّثِ فيقولون في عليكِ ومنكِ: (عَلَيْشِ) و(مِنْشِ)؛ وقيل: أنْ يُزادَ بعد الكافِ المكسورةِ شينٌ، يقولونَ في عليكِ: (عَلَيْكِشْ)». وذلك كما عرّفَها (المعجم الوسيط ط٢). فقلْتُ: إنّكَ لَتَسْمَعُ هذهِ (الكَشْكَشَة) حتّى اليوم لدى البَدْوِ والرّيفيّينَ المُحيطينَ ببادِيةِ الشّام والمحافظاتِ الْجنوبيّةِ والشّرقيّةِ من الدّيارِ الشّاميّةِ... ونحنُ نعلمُ أنّ قبائلَ ربيعةَ كانَتْ تُجاوِزُ أو تُساكِنُ قبائلَ أخرى فيما حولَ باديةِ الشّامِ...

والعَنْعَنَةُ - أسوقُها مثالًا آخرَ على آثارِ اللهَجَاتِ الْجاهِليّةِ في اللَّهَجَاتِ والعامّيّاتِ المُعاصِرَةِ - ذكرَها معجمُ مَجْمَعِ مصرَ (..الوسيطُ) أيضًا فقالَ: «عَنْعَنَ فلانٌ عَنعَنَةً: لفظَ في كلامِهِ الهمزةَ كالعينِ؛ وهي لغةٌ لتميمٍ.». فقلْتُ: هذا النّوعُ منَ العنعنةِ في لغةِ بني تميمٍ نسمعُهُ اليومَ في القصصِ والمُسَلْسَلاتِ الوارِدَةِ إلينا بلهجةِ صعيدِ مصرَ، أو: رِيفه.. حتّى قالُوا بَدَلَ حرفِ النَّفي (لا) الذي تَهْمزُه العامّةُ في أكثرِ العامّيّاتِ العربيّة (لأ) فجعلُوهُ في ريفِ الصّعيدِ المصريِّ (لع) (كما في أغنية العرقسوس المشهورة لعمر الجيزاوي).

وأكثرُ من ذلكَ ما نجدُهُ في عبارةِ (العبط) الشّاميّةِ واللبنانيّةِ والمصريّةِ العامّيّة: ولقد عدَّها كذلكَ كلٌّ منَ الأميرِ شكيب أرسلان، والشّيخ أحمد رضا العامليّ، الأوّلُ في (القولِ الفصلِ في ردِّ العامِّيِّ إلى الأصلِ) والثّاني في: (ردِّ العامِّيِّ إلى الفصيح) في قولِهِ: «ويقولونَ عَبَطَهُ إذا احْتَضَنَهُ... وأرى أنّ العَيْنَ في العبطِ العامّيّة مُبْدَلَةٌ وأصلُها الهمزةُ، فأصلُ عَبَطَهُ: أَبَطَهُ، وهو فعلٌ ثلاثيٌّ ولّدُوه من: تأَبَّطَهُ، إذا أَدْخَلَهُ تحتَ إبْطِهِ. والعبْطُ هو الإبْطُ تسميةً بما يَحْتَضِنُهُ ويَدْخلُ تحتَهُ، وهو مَجازٌ من تسميةِ الحالِ بِاسْمِ المحلِّ...» وأستكملُ من أرسلان في (القولِ الفصلِ..): «..قولُهم (فلانٌ جاء معبوط) وقولهم: (انعَبَطَ) بمعنى: اسْتعجَلَ، وبمعنى: أُخذَ فجأَةً، وهذه لها أصلٌ في اللُّغةِ لٰكنّهم في الاسْتعمالِ أبعدُوها كثيرًا عن أصلها، فإنّه يُقالُ عَبَطَتِ الدَّواهي فلانًا: نالَتْهُ منْ غيرِ استحقاقٍ، وعَبَطَ نفسَهُ في الحربِ: ألقى نفسَهُ فيها غيرَ مُكْرَهٍ، وأَعْبَطَهُ الموتُ: أَخذَهُ شابًّا صحيحًا من غيرِ علّةٍ، وأَعْبَطَ فلانٌ فلانًا. قَتَلَهُ ظُلْمًا لا عن قصاصٍ، أيْ الفعلُ الذي يقعُ بدونِ مُقدّماتٍ وبدونِ أسبابٍ وفي هذا من المناسَبةِ معَ «العَبَط» المصريّ و«العَبْطة» الشّاميّة ما لا يَخفى».

ويُعلّق محمّد خليل الباشا في الحاشية قائلًا:

«كثيرًا ما وقعَ إبدالُ الهمزةِ عَيْنًا، في الفصحى وعندَ العامَّةِ: ففي لسانِ العربِ ومتنِ اللغةِ وغيرِهما ورَدَ: أَكْعَفَتِ النَّخْلَةُ بدلًا من أَكْأَفَت؛ أي: انقلَعَتْ من أصلها، وذَعَتَهُ بدلًا من ذَأَتَهُ أي خَنَقَهُ، وكَثَعَ اللبنُ بدلًا من كَثَأَ أي ارتفَعَ فوقَ مائِهِ. ومن شفاءِ الغليلِ للخفاجيّ: أَنْزَروت: فارسيٌّ عرّبُوهُ عنزروت. وقديمًا نُسِبَ إلى تَميمٍ وقبيلةِ قَيْس عَيْلان وقبيلةِ أسد ظاهرةٌ صوتيةٌ سُمِّيتْ عنعنةَ تَميمٍ وهي قَلْبُ الهمزة المبدوء بها عَيْنًا، وقال ذو الرّمّة:

وَعِنْ تَرَسَّمْتَ من عَنقاءَ منزلةً ماءُ الصَّبابَةِ من عيْنَيْكَ مَسْجُومُ».

ا. هـ. الباشا

وأختصر فأقول لِمَنْ يريدُ التّوسّع في مثل هذه المباحث يمكنه أنْ يَرْجِع إلى مُقدّمة الدّكتور عبدالمُنْعم سيّد عبد العال لكتابه (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) من الصفحة ١٧ حتّى ١٠٤ من الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٣٩٢هـ و١٩٧٢م.

في تطوُّر الدَّلالة

أَنَرْفُضُ تَطَوُّرَ معاني المُفْرَداتِ؟

أَنَتَمَسَّكُ بالمَعْنَى الأَصْلِيّ لِكُلِّ عِبارَةٍ

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فيها﴾ السورة ١١ هود/ الآية٦١.

أَرَأَيْتَ إلى تَطَوُّرِ عِبارَةِ (الاسْتِعْمارِ) وَتَغَيُّرِ مَعْنَاها مُنْذُ نُزُولِ القُرْآنِ الكَرِيمِ في القَرْنِ السّابِعِ المِيْلادِيّ.. وَإِلَى أَنْ أَلَّفَ د. مُحَمَّدٌ عِوَضٌ مُحَمّد كِتابَهُ (الاسْتِعْمار والمَذاهِب الاسْتعماريَّة) المَطْبُوعَ في القاهِرَةِ في الخَمْسِيْنِيّات من هذا القرنِ والذي قَرَّرَتْهُ وَدَرَّسَتْهُ وِزارةُ التَّرْبِيَةِ السُّورِيَّةِ في كُتُبِ الأَدَبِ المُقَرَّرَةِ لِطُلّابِ شَهادَةِ الدِّرَاسَةِ الثّانَوِيَّةِ في السّتّيْنِيّات....

وَإِذا شِئْتَ وَأَنْتَ الأَدِيبُ المَشْهُورُ بِآدابِكَ أَنْ تُفَتِّشَ عَنْ أَصْلِ مَعْنَى الأَدِيْبِ فَهَلْ تُفَتِّشُ في (مُعْجَمِ الأُدَباءِ) لِيَاقُوت الحَمَوِيّ، أَمْ تَسْأَلُ اتِّحَادَ الأُدَباءِ أَمْ تُفَتِّشُ في شَوَاهِدِ الشّعْرِ القَدِيمِ فَتَجِدُ الأَديبَ: الجَمَلَ المُذَلَّلَ، كَما في قَوْلِ ابْنِ الدُّمَيْنَةِ:

غَرِيْبٌ دَعاهُ الشَّوْقُ فَاقْتادَهُ الهَوَى كَما اقْتِيدَ عَوْدٌ بالزِّمامِ أَدِيْبُ

والعَوْدُ: الجَمَلُ المُسِنّ.

وَلٰكِنَّ أَصْلَ مَعْنَى الأَدَبِ لَيْسَ كَأَصْلِ مَعْنَى الجَمَلِ الأَدِيْبِ، «فالأَدَبُ أَنْ تجمَعَ النّاسَ إلى

طَعَامِكَ. والآدِبُ: الدّاعي» كما في مَقايِيْسِ اللُّغَةِ لابْنِ فارِسٍ وَغَيْرِهِ مِن كُتُبِ اللُّغَةِ وَالأَدَبِ. وكما أَلْمَعَ عَميدُ الأَدَبِ العَرَبِيِّ د. طٰه حُسَيْنٌ في مُقدّماتِ كتابِهِ (في الأَدَبِ الجاهِلِيّ).

أنقف ثابتين على أصل المعنى؟

أنرفض تطوّر معنى الثّقافة والدّرس والمجد والشّرف وجراثيم الأمراض؟

فهؤلاء التّوقفيّون الّذين يرفضون حقيقة الواقع اللغويّ الذي يؤدّي، في اللغات جميعًا، وفي كلِّ زمان ومكان، إلى حُصول التَّطوُّر اللغويّ بالتّطوّر الفكريّ من الحقيقة إلى المَجَاز، ومن المعاني المادّيّة المُجَسَّمة إلى المعاني الفِكْريّة والتّجريديّة، هل يستطيعون أنْ يَظَلّوا يَرْفُضُون حتّى يَحصروا معنى (الدّراسة) مثلًا: في موضوع دراسة الحَبِّ لفصل قِشرِهِ عنه فقط؟ دون أيِّ (دراسة أخرى)؟!.. وكذا (الثّقافة) هل تقتصر على تثقيف الرّماح المُعْوَجَّة؟! والمَجْد: امْتلاء بَطْن الدّابة بالعَلَف فقط؟ دون أيِّ تَطَوُّر؟.. والشَّرَف: الوقوف في مُرْتَفَع من الأرض مُشْرِف.. ليس غير؟. والْجرَاثيم: الأصول.. كما في بيت أبي تمّام – على تجديد أبي تمّام:

خليفة الله جازى الله سعيك عن   جرثومة الدّين والإسلام والحَسَب

والنّبل: السِّمَن والضّخامة الجسميّة...

والكُفْر: السَّتر والتَّغطية. والجَنَّة أيضًا: السَّتْرَة ذات التّغطية. والخَمَرُ أيضًا: السّتر والتّغطية..

ولك أن تنظر إلى تطوّر معنى العقل والبحث والاختراع في مكانها من هذا المعجم. وكذلك تطوُّر معنى الحنفية والمصنع.

التَّطوّر في الرَّسم الإملائيّ..

لماذا قَبِل المُحافظون بتطوُّر الرّسم الإملائيّ نحو الخلافات؟

وأتساءل كيف قَبِلَ هؤلاء المُحافظون، ورَسَمُوا بالرّسم الإملائيّ الخارج عن رَسْم المَصَاحف (وهو رَسْم توقيفيّ) وكيف سمحوا بهذه التَّغيُّرات التي طرأتْ على قواعد الرَّسم الإملائيّ في الكتابة.. ويا لَيْتَهم اكْتَفَوا بالسّماح بتطوُّر قواعد الإملاء تَطَوُّرًا مُوَحَّدًا.. ولم يَتْرُكُوا الحَبْل على غارِبه حتّى وَصَل الأمر إلى هذه الانْقسامات الفوضويّة التي نراها اليوم فنرى كلّ قُطْر من أقطارنا يُمَتِّع نفسه ببعض الانْفراد بقواعد إملائيَّة وأحيانًا نحويّة

أيضًا[١] خاصَّة به!! ولعلّنا نجد في القُطْر الواحد أحيانًا نظريّات إملائيّة مُتخالِفَة في بعض الرّسوم[٢]. . فإذا كان يحقّ لهؤلاء المُحافظين قبول كلِّ هذا (التَّطوُّر) في الرّسم الإملائيّ. . فلماذا يحقّ لهم أنْ يَرْفُضُوا تطوُّر عبارة (التَّطَوُّر) ذاتها، وهي عبارة يخلو منها المُعْجم العربيّ التُّراثيّ، وهي مُتَطَوِّرة عن عبارة (الطَّوْر). . القديمة. .

تعريب الدّخيل

الورد - إبراهيم وإسماعيل

مُعْجمَاتنا اليوم لا تَذْكر أنّ (الوَرْد) كلمة مُعَرَّبَة عن أَصْلٍ فارسيّ فقد دَخَلت في العربيّة دخولًا لا رَجْعَة فيه ورَسَخَت في المُعْجم العربيّ رسوخ الأصابع في اليد. . .

أمّا كُتُب القواعد النّحويّة فما تزال إلىٰ يومنا هذا تدرّس تلاميذنا في المدارسِ الإعداديّة أنّ سَبَبَيْ مَنْع (إبراهيم) و(إسماعيل) من الصّرْف: العَلَمِيَّة والعُجْمَة؛ فهما عَلَمانِ أعجميّان على الرّغم مِنْ أنّنا نَنْتَسِبُ نحنُ العرب المُسْتَعرِبة، غير العرب العاربة أو البائدة، من العدنانيّين، إلى أولاد إسماعيل. . فما بَرِحَت قواعدنا النّحويّة تعطي إبراهيمَ وإسماعيل - عليهما السّلام - إقامة مُؤَقّتة وترفض مَنْحَهما الْجنسيّة، وكذلك دمشق قَلْب العروبة النّابض عَلَم أعجميّ في بحث الممنوع من الصّرْف في كتاب القواعد للصّف الثّاني الإعداديّ للعام الدّراسيّ ٨٧-١٩٨٨ والأعوام المقبلة بعده في مدارس دمشق والقطر العربيّ السوريّ. . وكذلك تَرِدُ في كتب النّحو القديمة والحديثة كافّة وبلا خلاف.

واقرأ في تعريب: الصراط و(الأوتوستراد) في مكانها من المؤلّف. .

(١) انظر ص ١١٤ من كتاب (النحو العربي من خلال النصوص) نحو الجمل السنة الثالثة الثانوية في تونس سنة ١٩٦٥ والذي كنا ندرّسه في الجزائر أيضًا تجدهم يخالفون قواعد إعراب الاسم الموصول، وجملة صلة الموصول التي يعطونها الوظيفة الإعرابية التي أعطاها النحاة للاسم الموصول، هذا في الموصول الاسمي، أما الموصول الحرفي وصلته فلماذا يتجاهلونهما؟!

ثم انظر في البحث الذي عقدته بعنوان: الخروج والتحول عن بعض قواعد الرسم الإملائي في بعض البلدان العربية وهو يتلو هذه الصفحة.

(٢) الخروج والتّحوُّل عن بعض قواعد الهمزة وقواعد الرَّسْم الإملائيّ في بَعْض الاستعمالات الدّارجة في بلدان عربيّة مُتخالفة =

=درَجت على الأقلام، وفي المطابع، بعض الاستعمالات المُتحوِّلة أو الخارجة عن القواعد الأصليّة في رسم الهمزة بعامّة، وفي رسم الهمزة المتوسّطة بخاصّة، أو في رسوم إملائيّة أُخر... وقد انتشرت هذه الاستعمالات واشتُهرت حتى صار من الضروريّ أن نذكُر بعضها؛ حتى إذا شاهدها القارئ لا يستغربها، ومنها ما لم تُشِرْ إليه كُتُب الإملاء، ومراجعُها من قبل! فمنها:

١- الهمزة المتوسّطة التي حركتها الضمّ، وبعدها يقع حرف الواو، وقبلها يقع حرف لا يتّصل بما بعده؛ ربّما رسموها مُفردة على السطر كما في:

رؤُوس: في الاستعمال الدّارج: رُءُوس.

يبوؤُونه (أي يُنزلونه منزلة): في الاستعمال الدارج: يبوءونه.

جزؤُوه: في الاستعمال الدّارج: جزءُوه.

المرزؤُون (الكرماء، أو قومٌ مات خيارُهم): في الاستعمال الدارج: المرزءُون.

رؤُوف: في الاستعمال الدّارج: رءوف.

يقرؤُون: في الاستعمال الدّارج: يقرءون.

يهدؤُون: في الاستعمال الدّارج: يهدءون.

يرووْؤُن (ينظرون في الأمر برويّة دون عجلة): في الاستعمال الدّارج: يُروِّءُونَ.

٢- الهمزة المتوسّطة المضمومة وبعدها واو، والحرف الذي قبلها يتّصل بما بعده، تُرسم أحيانًا على نَبْرة:

يتكؤُونَ الجُرْح (يقشرون الجرح قبل برْئه): في الاستعمال الدّارج: يتكئُونَ.

الأطفالُ يُبأبئُونَ (يقولون: بابا): في الاستعمال الدّارج: يُبَئبئُون.

يرقؤُونَ الدَّمعَ (يسكّنون الدمع): في الاستعمال الدّارج: يرقئُون.

شؤون: في الاستعمال الدّارج: شئُون.

كؤوس: في الاستعمال الدّارج: كئُوس.

حؤُول: في الاستعمال الدّارج: حئُول.

يتدفؤُون: في الاستعمال الدّارج: يتدفئُون.

يملؤُونَ: في الاستعمال الدّارج: يملئُون.

يرفؤُون (يوصلون): في الاستعمال الدّارج: يرفئُونَ.

هيّؤُوا: في الاستعمال الدّارج: هيّئُوا.

يكلؤُونَهُ (يحرسونه): في الاستعمال الدّارج: يكلئُونه.

أظمؤُوهُ (عطّشوه): في الاستعمال الدّارج: أظمئوه.

فاجؤُوه: في الاستعمال الدّارج: فاجئُوه.

يفقؤُونَ: في الاستعمال الدّارج: يفقئُون.

كافؤُوه: في الاستعمال الدّارج: كافئُوه.

خبّؤُوهُ: في الاستعمال الدّارج: خبّئُوهُ.

خطّؤُوه: في الاستعمال الدّارج: خطّئُوه.

مسؤُول: في الاستعمال الدّارج: مسئُول.

فؤُوس: في الاستعمال الدّارج: فئُوس.

٣- الهمزة المتوسّطة المفتوحة، بعد ياء ساكنة، تُرسم - أحيانًا - على نَبْرة وأحيانًا أخرى على ألِف، وهي في الأصل القاعديّ يجب أن تتبع قاعدة من الحالات الخاصّة للهمزة المتوسّطة المسبوقة بياء =

تَرْجِمْ في ذهنك ما تقرأ

اقرأ. . لا تتعب. . ترجم في ذهنك ما تقرأ:

في لُغَتنا. . كان أوّل أمر وجّهته العَظَمَة الإلٰهيّة إلى العالَمِين. . اقرأ. . ولٰكنْ في عصرنا، وبسبب التّباعُد الواقع ما بين الفصيحة لغة الكُتُب والثّقافة والعِلْم، وبَيْن العامّيّة التي ننشأ عليها، فهي اللغة الأمّ، ونعيش التّعبيرَ بها عن حياتنا اليوميّة، والتي يتعالى عنها كُتّابُنا، وينْظرون حتّى إلى ذوات الأصول الفصيحة المَجْهولة من عباراتها، على أنّها كلامٌ دارج على ألْسِنَة العَوَامّ والجُهّال. . صارت الأذهان تتعب من قراءة ما تحتاج إلى ترجمته ونَقْل معانيه من لغة الكُتُب إلى العامّيّة المألوفة. . فانصرفنا، أو انصرف كثيرون منّا، عن الإقبال على هذا الكدّ الذّهنيّ المُضاعَف الذي يَصْبِر عليه عشّاق المُطالعات حتّى يُدْمِنُوا عليه. .

والحقيقة المعروفة في عصرنا أنَّ الكُتُب، في غير لغتنا تُطْبع بملايين النُّسَخ، فإذا تذكّرنا

=ساكنة فتكون على نبرة:

هيْأَة كما في الاستعمال الدّارج: هيْئَة.

ييْأَس: كما في الاستعمال الدّارج والأصل: ييْئَسُ.

٤- الهمزة المتوسّطة المفتوحة وبعدها ألِفُ ترْسَم على نَبْرة، إذا كان ما قَبْلَها يتّصل بما بعدها مثل: مُنْشَئات، مُكافَئات، مُفاجَئات. فإذا كان ما قَبْلَها لا يتّصل بما بَعْدَها رُسمت على السّطر مثل: بُرْءَان، جُزْءَان، بَدْءَان.

٥- في رَسْم بعض كُتُب اللغة، كما في (القاموس المحيط)؛ وَرَدَت: مُرُوْأة، وفي القاعدة المعروفة: مروءة. وكذلك فيه رُسِمت: قَرَّاؤُنَ، بواوٍ واحدة، والمعروف أنّها بواوَيْن: قَرّاؤُوْن.

٦- الهمزة المُتطَرّفة التي يكون الحرف السّابق لها مكسورًا فحقّها أنْ ترْسَمَ فَوْق الياء غير المنقوطة، وقد دَرَجُوا على إخراجها إلى الطّرف الخارجيّ الأيسر للياء، كما هو آت:

في الرّسم القاعديّ	في الرّسم الدّارج في الاستعمال
بَرِئٌ	بَرِىءٌ
مُبْتَدِئٌ	مبتدىءٌ
قارِئٌ	قارىءٌ
كلّ امْرِئٍ	كلّ امرىءٍ
يلْجِئُ	يلْجِىءُ
السَّيِّئُ	السَّيِّىءُ

٧- درَجت بعض المطابع على إهمال تنقيط الياء الأخيرة في الكلمة، فلا نميّز المُنْتَقِي عن المُنْتَقَى إلّا بتشكيل القاف!.

تصريح الرّوائيّ نجيب محفوظ - أوّل حامل جائزة (نوبل) في الآداب عندنا - حين سُئِل ماذا أفاد من شُهْرة بَعْد حَمْلِه الجائزة؟ فأجاب: إنّ ناشر كُتُبه كان يَطْبع ثلاثة آلافٍ من نُسَخ الرّواية التي يُؤَلّفها محفوظ قَبْل نَيْله جائزة الشّهرة العالميّة (نوبل) فتزايد الرّقم بعدها إلى خمسة آلاف.. وهذا في فنّ الرّواية الذي لا تَفْضُل عليه مُطالَعة لَدى ثلاثمائة مليون عربيّ.. وآلاف من عشّاق العربيّة من غير العرب أيضًا!.

والّذين اطّلعوا على هذا التّصريح لمحفوظ تذكّروا أنّ القَصّاص الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز؛ نائل هذه الجائزة قَبْل محفوظ، تُطبَع من كُتُبه ملايين النُّسَخ، ويُهْمَلُ ذكر الآلاف من تَعدادها.. وكذلك هي طبعات شتّى الكُتُب في شتّى اللغات...

وأتذكّر قائدًا عسكريًّا من الغُزاة سنة ١٩٦٧ اتّهم العرب بأنّهم قوم لا يقرؤون.. مع أنّه كان يعرف أنّ الكُشوف التّاريخيّة تنسب إلى أجدادنا أوائل التّجارب في وَضْع الأحرفُ الهجائيّة وتطويرها، وتعليم القراءة والكتابة ونقلها إلى شعوب العالَم القديم.. وأوّل تجارب تأليف الكُتُب.. وأوّل مشروعات إنشاء المكتبات.. وتعريف الشّعوب القديمة بالحضارة والتّرقّي.. منذ نيّف وستّة آلاف عام!.

ولٰكنْ ماذا ينفعنا أنْ نُفاخر بماضي الأجداد السّبّاقين إلى الحضارة إذا لم نكن في عصرنا سبّاقين إليها أيضًا؟! فسوف يَظَلّ النَّظَر إلينا على أنّنا خَلْفٌ.. وبِئْس الخَلَفُ لِخَيْرِ السَّلَفِ، إذا بقينا نُنكر حقيقة واقعنا المُعاصِر، واقع الخِذلان الفِكْريّ والتَّخَلُّف الثَّقافيّ، وإذا لم نواجه السُّؤال: لماذا يَقِلّ عدد القرّاء لَدَيْنا عنهم لَدَى الشّعوب الأخرى في هذا العصر؟ عصر التّنوير.. ولقد كان أجدادنا من المُبْدِعين والمُؤَسِّسين والمُعَلِّمين ورُوّاد الثّقافة والفِكْر، وكانوا البادئين بإنشاء الحضارة والفِكْر البشريّ..

أنَرُدّ سبب انْصرافِ مُتَعَلِّمينا عن متابعة التَّثْقيف الذّاتيّ بالمطالعة إلى غلاء الكُتُب عندنا؟ ولٰكنْ أهي أرخص عند الأُمَم الأخرى حقًّا؟! أو انْصرف مُتَعَلِّمونا عن تنمية تَعَلُّمهم بالتَّثقيف الذّاتيّ والمُطالعة إلى الإقبال على تَمضية الوقت بالاسْتمتاع بأجهزة الإعلام المَرْئِيّة والمَسْموعة ولٰكنْ أَلَمْ تنتشر هذه الأجهزة بين قرّاء الشّعوب الأخرى أيضًا؟!

ومهما تكن الأسباب عديدةً ومُتَنَوِّعة فإنّ قليلًا من مُتابِعي هذه القضيّة يمكن أنْ يُنكروا أو يَنْسوا سببًا رئيسًا وأساسًا؛ هو أنّ الفصيحة لغة الكِتَاب العربيّ قد تراجعت عن الألسنة والأفواه منذ أنْ تراجعت عن أن تكون اللغة الأُمّ، اللغة الأولى، لغة الحديث ولغة الحياة اليوميّة التي يَنْشأ الطّفل على سماعها منذ أنْ يبدأ بالسّماع.. وصارت لغة الثّقافة والكُتُب اللغة الثّانية التي لا يبدأ النّاشئ بمعرفة شيء عنها قَبْل أَنْ يَبْلُغ سنّ الدّراسة في الكُتُب؛ وهذا وَضْع غريب لم يكن يتعرَّض له الطّفل يوم كانت الفصيحة هي عامّيّتهم القديمة، ومع ذلك كانوا يرسلون مواليدهم إلى مَضارب البَدْو

البعيدة عنِ المُدُن مع المُرضِعات البَدَويات ولا يطلبون من المُرْضعات البقاء في مُدُنهم للإرضاع! فلماذا؟ لينشؤوا على صِحّة الجسم وصحّة السّماع اللغويّ الفصيح، فتُحْرَم الأُمّ المدنيّة من رؤية طفلها في سنواته الأولى، كما حُرِمَت آمنة بنت وهب من وليدها محمّد - ﷺ - حتّى بلغ سنّ الرّابعة في مَضارِب بني سَعْد في عُمْق البادية، ولا يَظُنّنّ ظانّ أنّي أدعو إلى اسْتعادة دار الحَضَانة القديمة، فإنّ لدينا من الوسائل الحديثة والمُعاصِرة في أجهزة الإعلام العَصْريّة، وفي دُور الحَضانة الحديثة، وفي المُؤَسّسات الفِكْريّة والثّقافيّة وكتابات الكُتّاب المُعاصِرين، ما لَوْ أردنا أنْ نوجّهها نحو التّقريب بَيْن العامّيّات وبَيْن الفِصاح، من فِصاح العامّيّات أيْ من العبارات ذات الأصل الفصيح (كما في برنامج الأطفال: افتح يا سمسم مثلًا) لَجَنَيْنا نتائج أفضل ألف مرّة من تلك النّتائج التي كانُوا يَتَوَخّوْنها من التّربية في البادية قديمًا.. وهذا ما لا يُجادَل فيه ولا يُمارَى..

ولقد بَدَأ نَفَر من الكُتّاب والإعلاميّين - ولعلّ مُرَبّيِّنَ يبدؤون - بالاهتمام بفِصاح العامّيّة.. ولٰكنّ كثيرين من أنصار القديم ما زالوا يتنكّرون لمثل هذه الاهتمامات - كما ترى تحت عنوان: أوليست تجربة مُهمّة؟- ويَرَوْن أنْ يتباعد الكتّابُ عنها وعن كلّ عبارة عامّيّة دارجة.. وأنْ ينبذوها نَبْذًا.. مع أنّنا ننشأ على تَعَلُّمها في سنّ اكتساب اللغة الأُمّ.. سنّ الطّفولة فيما قبل السّادسة من العمر، وتبدأ عندنا الصَّدْمة منذ ما بعد انتهاء مرحلة الموهبة اللغويّة الفِطْريّة، حين نكتشف أنّ للقراءة والكتابة لغة أخرى مُخْتَلِفة، هي الفُصحى التي يغدو ذهننا يُتَرْجم منها إلى العامّيّة كلّما أردنا أنْ نقرأ أو نكتب؛ فقارئنا العاديّ يَظَلّ كلّما قرأ بالفصيح يكلّف ذهنه أنْ يترجم إلى لغته العامّيّة الأمّ.. ولذلك نرى منهم من يَتْعَبُون من كَثْرة القراءة.. ويفضّلون عليها الحديث الشّفويّ.. فيتكلّمون كثيرًا.. ويسمعون أحيانًا كثيرة وخصوصًا حين يكون السّماع بالعامّيّة.. ولٰكنّهم يقرؤون قليلًا.. أو أقلّ من القليل..

ثمَّ يقوم من يريد أنْ يشفينا من هذه (الازدواجيّة اللغويّة)، فَيُعْلِن أنّه: يضطرّ مُتَعَلِّم الفُصحى إلى أنْ يَفْهَم لِيَقْرأ، بينما جميع شعوب الأرض تقرأ فتفهم.

ولٰكنْ أَلَيْست القضيّة قضيّة التّجهيل؟ تجهيل الكُتّاب بفصيح العامّيّ، ثمّ ما يَنْتُج عنه من تجهيل الطّفل بلغة الكُتُب الفصيحة؛ وإبعاده عنها في دُور الحضانة ورياض الأطفال ومنذ نشوئه على اللغة الأُمّ التي تترسّخ عنده في مرحلة هي أهمّ مراحل التّربية اللغويّة لَدى الإنسان؛ مرحلة الاكتساب اللغويّ الفِطْريّ بالسّليقة والموهبة التي ستبدأ بالضّمور والتّراجع منذ السّنة السّادسة من العُمر كما أثبت تشومسكي Chomsky في كتابه: Aspects of the theory of Syntax «Cambridge, Massaschusetts 1965» من أصحاب النّظريّة التّوليديّة Generativists في التّربية اللغويّة، وهي النّظريّة السائدة في عالَم اليوم، بعد أنْ تغلّبت النّظريّة السُّلوكيّة Behaviorists وهي النّظريّة القديمة في التّربية اللغويُّة...

إنّ فصيح العَوَامّ الذي يتباعد عنه كثير من المُرَبّين والكُتّاب، يمكن أنْ يكون من أهمّ ما في

اللغة الفصيحة، لأنّه أثبت أنّه أَصْلَحُ للحياة، وأقدر بقاء على الألسنة، وفي الأفهام.. فهو جدير بأنْ يُعادَ اكتشافه قَبْل أنْ يَضيع.. لأنّ فيه قَدْرًا كبيرًا من سواغ الحلّ السّحريّ الذي يلوبون ويفتّشون عنه لدى التّصدّي لِحَلّ المُشْكلة اللغويّة.. وبالتّالي.. المُشْكلة الثّقافيّة والفِكْرِيّة عندنا...

التَّوسّع في الاشتقاق

«اسْتادَ»

كان القدماء يتوسّعون في الاشتقاق؛ ولم يكونوا يضيّقون على أنفسِهم في استعمالِ أساليبِ التّعبيرِ، ولم تكنْ قواعدُ الصّرفِ قد وُضِعَتْ فلم تجْمُدْ حركةُ الذِّهنِ في اتِّجاه استنباطِ المُشْتَقّاتِ من الأفعالِ ثمّ في استنباطِ أفعالٍ جديدة منها.

ففي (سود) يقول الزّبيديّ في «تاج العروس»: (يُقال: استادَ فلان في بني فلان؛ أي: خَطَب أو تزوّج سيّدة من عقائلهم).

فالسَّيّد من الفعل ساد - يسود، والفعل استادَ من التّعَامُل مع السّادة زواجًا أو حربًا:

قال الفيروزابادي في (القاموس المحيط): (واسْتادُوا بني فلان: قتلوا سيّدهم أو أسروه أو خَطَبُوا إليه، والتّسوّد التزوّج) فهو التّعامل مع السَّادة حبًّا أو حربًا.

ومن شِعْر جَزْء بن كُلَيْب الفَقْعَسِيّ الشّاعر المُخَضَرم الأسديّ:

تمنّى ابن كوزٍ والسّفاهةُ كاسْمها ليستادَ منّا أنْ شَتَوْنا لياليا[1]

فلا تَطْلُبَنْهَا يا ابْنَ كوزٍ فإنّه غَدَا الناسُ مُذْ قام النبيُّ الجواريا[2]

ما كلّ ما يُعرف يُبحَث فيه أو عنه

ماذا آخذ وماذا أُخْضِع للبَحْث والتَّنقيب من عبارات العَوَامِّ الفصيحة؟

(١) يقول: أراد أن يتزوّج منا سيّدة: لأن أصابنا شتاء جدب، فظن، من سفاهته، أن يطاول سادتنا بالإصهار إليهم. والنص في شرح الحماسة للتبريزي: (١: ٢٣٦-٢٣٨) تبَغَّى، وفي أمالي اليزيدي واللسان والتاج: تمنّى. وفي المعاني الكبير: أراد. وفي الأضداد للأنباري: أراد ابنُ كرز. وفي تهذيب اللغة: أراد ابن كوز من سفاهة رأيه. وفي التّاج (شتا): لينطح فينا. وابن كوز: هو يزيد بن حذيفة، أسدي أيضًا، وقال اليزيدي: هو بغثر بن لقيط (الأمالي: ٥٨)، وشتوتنا: أجدبنا، والشتاء: الجدب، وفي اللسان: (المجاعات).

(٢) قال ابن قتيبة في تفسير البيت: (كثرت الجواري مُذْ بُعث النبي ﷺ، وكانوا يئدون البنات؛ فانكح حيث شئت): (المعاني ١: ٥٠٥).

أَمِن الضّروريّ أنْ أُعَرِّفَ بالمعروف منها كالعرفان والعلم والفهم والدّراية والأكل والشّرب والحاجة. . وغيرها كثير من الكلمات العامّيّة ذاتِ الأصْل الفَصيح والتي لا تكادُ تُحْصى في كلِّ عامِّيَّة من عامّيّات الأقطار العربيّة. . وهي لا تحتاج إلى الكِتابة عنْها لأنّها معروفة، كما قُلْنا. . والباحثون الذين كتبُوا قَبْلي في هذا الموضوع كان لهم الحقُّ في أنْ يُهْمِلُوا ذِكْر ما هو معروف للْجميع. . لِيَفْرغُوا إلى ما يَحتاج إلى بَحْثٍ وتَنْقيبٍ، أو إلى ما ظنَّ الكُتّابُ والأُدَباءُ والمُثَقَّفون أنّه غلط، وهو صواب أو أقرب إلى التَّصْويب. والكُتّاب – وأخصّ بالذِّكر القَصّاصين والمَسْرَحِيِّين والمُرَبِّين وهُمْ مَن أَعْني بهذا. . فقد كان توفيق الحكيم يحاول أنْ يَكْتُب بِلُغَةٍ تُقال بالعامّيّة على المسرح والشّاشة، وفي الوَقْتِ نفسِه تُقْرَأ فَصيحةً في الكِتَاب المَطْبوع. . وكذلك يَفْعَل نجيب محفوظ وغيرُهما من كِبَار الكُتّاب. . فهم لا يحتاجون إلى هذه المعلومات. . والعارف لا يُعَرَّف.

ولعلّ من الممكن أنْ يُؤلَّف المُعْجَم الأكمل بعد اسْتكمال البُحوث في العامّيّات المُتَكاثِرة في الأقطار المُخْتَلِفَة في مُقْبِل الأيّام، إنْ شاءَ الله.

ولقد جرّبت دراسة الموادِّ المعجميّة في موادّ الجذور الواقعَة فيما بَيْن خ ف و، وبين خ ل د؛ فوجدتها في أغلبها تَقَعُ في فِصاح العامّيّات، إنْ لم أقل كلّها. . هذا مع أنّي لم أَنْتَقِ هذه الموادّ انتقاء؛ وإنّما خَبَطْت في المعاجم خَبْط عَشْواء.

وما الفائدة من (الأواعي)؟!

حين وَجَدْت: (الأسامي) في جَمْع الْجَمْع للأسماءِ في القاموس المُحيط، فَرِحْت بها وسَجَّلْتها في فِصاح العامَّة؛ لأنَّ عَوامّنا يَسْتَعملون الْجَمْع الفصيح فيتجنّبه الكُتّاب والمُرَبّون ظنًّا منهم أنّه عامّيّ مَغْلوط!؛ فإزالة هذا الظَّنِّ مفيدة للتَّربية والثَّقافة الشَّعْبِيّة والمُحْتاجين إلى التَّسهيل والتَّبْسيط وتخفيف أعباء المُشْكِلاتِ اللُّغوِيَّة عن كواهلهم لِيَتَفَرَّغُوا لأمورٍ ثقافيّة وحَضَاريّة أهمّ منها.

ولٰكنْ ما الفائدة مِنْ أنْ أقولَ مَثَلًا: تَسْتَعْمِل عامَّتُنا (الأواعي) بمعنى: الملابس. . وينادي بائع العتيق (أواعي عتيقة للبيع)؟ فكأنّهم غيّرُوا معنى الوِعاء وطوَّرُوه تطويرًا مَغْلُوطًا! في البنية والمعنىٰ إذ لم أجدْ لها تفسيرًا؛ وَوَجَدْتُهم يَجْعَلون مُفْرَدَها (واعة)!.

أمثال هذه العبارات إذا لم أجدْ لها تخريجًا إلّا على مَحْمَل الغَلَط والخَطَإ. . فهي في ضلالات الْجَهْل. . وهي ضَلالاتٌ كثيرة. ومُلَوِّثات. . للبيئة اللّغويّة يَحْسُن أنْ ننقّيَها منها ونحاول إنقاذ الألسنة والأقلام من آثارها المُضِرَّة. . إلّا إذا كان الأمل بإيجاد تخريج لها يفيدنا؛ أملًا لا ينقطع. . ولْيَكُنْ أمل الباحثين الّذين قد يرفضون هذا المعنى من التَّفكير والتَّدبير. . فيَتَصَدَّوْن للبَحْث فيها، ولقد وجدْتها في معجم من كتب فصاح العامّة. . معدودة في فصيح الأصل دون أنْ يُبَرْهِنوا على الفصاحة فلعلّ هناك مَنْ سَيَكْشِف عن أصلِها المُفَصَّح والله يوفّق. . لنصفّق. . فإنْ لم يوفّق إلى (الواعة) فَلْنَتَعَزَّ عنها بالعبارة المِصْرية العامّيّة الفصيحة: الهِدْم وجَمْعُهُ الأَهْدام والهِدام كما في

قاموس الفيروزابادي؛ أو صواب الهِدامِ: الهِدَم؛ بغير ألف كما صحَّحها وعقَّب عليها الزّبيديّ شارح القاموس في (تاج العروس من جواهر القاموس).

قَبَسٌ مِن نورِ لُغَتِنا مَعَنا

فصيح العَوَامّ أحقّ وأَجْدَرُ بالتَّربية اللُّغويَّة والفَنِّيَّة:

لا يَنْصرِفُ الذِّهن إلى أنّي أتعصَّب لِلُغَةٍ على لُغَة أو لِلَهْجَةٍ على لَهْجة. . . فَمَنْ يتعصَّب لِلعِلْم والمَعْرِفَة ضدّ الْجَهل والتَّجهيل، لا تكون له عصبيّة أُخرى لأنّ العَصَبِيَّات الأُخرى كلّها انحياز إلى الْجَهْل. . وعُدْوانٌ على المعرفة كما هو معلوم.

والعامّيّات ليست إلّا لُغَيَّات مُتَحَدِّرة من الأَصْلِ العربيِّ الفصيح ولٰكنّها خرجَتْ عن الصَّحائح وامْتَزَجَتْ بِنَقْص المعرفة فأصابَتْها بُثورُ الْجَهْل، ولٰكنّ بعضًا من أعضائها ما يزال سليمًا فلا يَجُوز قَطْعُهُ واسْتِئْصاله أيضًا. .

و[1](على مَطاوي الطّريق المُتَوَجِّه بنا نحو هَدَفِ الوَحْدَةِ اللسانيَّة والفكريَّة للعرب كافَّة؛ لا مَناصَ لنا مِنْ أَنْ نُحاول التَّدقيق فيما يَسْقُط من العباراتِ الدّارجةِ على أَلْسِنَة العامّة، والتي لا بُدَّ لها من أَنْ تتراجعَ أمام الثّقافة، وتَسْقُطَ حين تَطْغَى عليها الفُصْحى التي هي لُغَةُ العِلْم والحضارة والفِكْر؛ وَالفُصحى هي المَفْهومَة والدّارِجَة بَيْن المُثَقَّفين العرب جميعًا، وذلك على نقيض العامّيّات ذَوَاتِ الفُروع المُتَخالِفَة التي لا تَتَّفِق إلّا في افْتِقارِها إلى لُغَة العُلُوم والثَّقافات، ولذلك فهي آيِلَة إلى السُّقوط أمامَ انْتِشار فُتُوحاتِ المَعْرِفَة. . ولٰكنْ علينا أنْ نَتَجَنَّبَ إسقاطَ ما أَصْلُه مِنَ الفَصيح من هذه العامّيّات، بتأثير المُتَعالِين المُتَعاظِمِين على الْجَماهير، والّذين قد يَغيبُ عن بالهم أنّ أَبْعَدَ الألسنة العامّيّة عن اللغة الأمّ ما هو إلّا فَرْع من دَوْحَتِها أَغْفَلَتْه يَدُ التَّهْذيب والتَّشْذيب، وأنّ فِصَاحَ العامّة أحقّ بالاهتمام؛ والأقربون أَوْلى بالمَعْرُوف، والمَأْنُوسُ مِنَ العِبارات أحقّ بالرّعاية مِنْ غَرائِبِها. فالتَّسْهيلُ والإيضاح واجبُ اللُّغَوِيّين والمُرَبِّين والإعلاميِّين والأُدَباء والمُثَقَّفين لِتكون الثَّقافة في خِدْمة المُجْتَمَع، وكذلك مِنْ أَجْل أنْ نَسيرَ علىٰ طريق الشِّفاء من شكوى كُتّاب الفُنون القصصيَّة والمسرحيَّة من افْتقادِهم لُغَة الحِوار المُناسِبة والمَفهُومَة، بسبب هٰذه الازْدواجيّة اللُّغويَّة التي تقسم لغة الشَّخصيَّة الواحدة بَيْن حديث المُشافَهَة الدَّارجة وبَيْن أُسلوب الكِتابة، فنحن نقول ما لا نكتب!.).

وفِصاح العامّيّة: عباراتٌ دارجةٌ على الألسنة في الحياة اليوميَّة يَتباعَد الكُتّابُ عنِ اسْتِعْمالها

(١) فقرة من بحث نشرته لي مجلة (التراث العربي) الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق العدد المزدوج ٢٧-٢٨ في نيسان - تموز سنة ١٩٨٧ ص١٩٦-٢١١ بعنوان: الفصاح من عبارات العامة في الجزائر.

لأنَّها من كلام العَوَامِّ، معَ أنّها قد تكون فَصيحةَ الأُصول؛ وفصيح العامِّيِّ هو الْجِسْر والصِّراطُ الصّالِحُ لِعُبور العامّيّات إلى رِحابِ الفَصاحَة والثَّقافَة والعِلْم. . وليسَ علينا أنْ نُفَتِّش عن ماءٍ بعيد. . وماؤُنا مَهْدُور. . وكَمْ نَلُوب ونَسْأَل عن سواغ الحَلِّ السِّحرِيِّ لأَزْمَتِنا اللُّغويَّة التي عقّدناها على أنفُسِنا. . والسواغ المَنْشُود. . ميسورٌ ومَوجُود. . على رُؤوس أَلْسِنَتِنا. . أو بَيْن مَنْسِيَّاتِنا؛ في فصيحنا الشَّعبيِّ وهو لِلْمُرَبِّي ولِلْكاتب والمُؤَلِّف والمُثَقَّف أَسْهلُ وأَنْسَبُ وأَقْرَب والأقربون أَوْلى بالمَعرُوف. . ولكي أُشِير إلى أنّ المُضيَّع والمجهول من بقايا الفِصاح في العامّيّات الدّارجَة ليسَ نَزْرًا يسيرًا، وليسَ كمّيّةً قليلةً يَصِحُّ إهمالُها فلا يُؤْبَهُ لها كما قد يُظَنّ؛ جَمَعْتُ منها ما يُشَكِّل مُعْجَمًا مُخْتَصًّا بفصيح العَوَامّ، ودَعَوْتُكم إلى مُشاركَتي في البَحْث عنها وعن هويَّتها لإعادة الاعْتبار إلى ما يحقُّ له حُسْنُ الاِعْتبار منها. .

ولْنَأْخُذْ مثالًا[1]: (ففي كُتُبِنا المدرسيّة، وفي غيرها، وفي الكِتَابات الحديثةِ تَجِدُ الأحاديثَ تَسْتَفيضُ في موضوع: جفاف بيئتنا الصّحراويّة – مثلًا – ولا أكادُ أَتَذَكَّر كاتِبًا اسْتَعْمَل الفِعْل (نشف) أو ما في مادَّة مُشْتَقّاته الوَارِدَة في العامّيّة الدّارجة على الألْسُن، دُوْنَ الأقلامِ والوَرَق، فلماذا هذا الهجران؟ وما الذي يَدْفَعُ الكُتّاب والمُثَقَّفين المُعاصِرين إلى التَّباعُد عن اسْتخدامِ ما نَجِدْه مبْثُوثًا في المُعْجَمات وكُتُبِ الأُصُول اللُّغويَّة من مئاتِ العِباراتِ الفِصاح الواردة في اللَّهَجاتِ العامِّيَّة الشَّعْبِيَّة من أمثال؛ هذا الفِعْلِ الدَّارج على الألسنة؟ ولماذا أَتْعَبَ أساتِذَتُنا أَنْفُسَهم وأَتْعَبُونا مُنْذ طُفولَتِنا وهُمْ يُعَلِّموننا كَيْف نَسْتَبْدِلُ بِلَزَق: لَصَقَ، وبِهَنْدَز: هَنْدَسَ، وبِبَرْد قارِص: قارِس، وبِنَشف: جَفّ. . . و الخ. وبِكلّ ما هو عامّيّ دارج من فِصاح العبارات فِصاحًا أُخَرَ تَبْتَعِد بنا عن الألفاظ الشَّعْبِيَّة المَأْنوسة والدّارِجَة؟ مِنْ غيرِ أنْ يَخْطُرَ بالبالِ ضرورة التَّحَقُّق والتَّثَبُّت من دِقَّةِ الاخْتِيار وصَوابه، ومِقْدار مُوافَقَتِه المَقْصُود مِنَ التَّعبير؟ أَلَيْسَتْ هذه الْجُهودُ التَّرْبَوِيَّة التَّعليميّة المَهْدُورَة طاقةً لا بُدَّ من تَرْشِيْدِها؟

وكذلك هي جُهودُ الإعلاميِّين من الكُتّاب حين يتجنَّبُون الفِعْل العامّيّ الفصيح: دَعَسَ، ويَسْتَبْدِلون به فِعْلًا لا يُعَبِّرُ عن معناه بدقَّة؛ وهو: دَهَسَ! وانْظُرْ إلى فَصَاحة الدَّعْس في مَوْضِعِه منه.

وانْظُرْ إلى ما كَتَبْتُه عنِ (الآدميّ) و(الأوادم لا تضيع الأصول) وكثير من الأمثلة الأخرى. .

كيف نُرتِّب هذا المعجم؟

أروي للقارئ معلوماتي في هذا الموضوع لأطلب منه أن يشاركني الرّأي في حلّ المُشْكِلة. .

(١) فقرة من بحث لي نشرته مجلة التراث العربي بدمشق. العدد ٢٩– تشرين الأول سنة ١٩٨٧ ص ٢٠١– ٢١٥ بعنوان: قَبَس من اللغة: الفصاح من عبارات العامّة.

وذلك دأبي: فالمُشْكِلات العامّة التي تَنْشَأ عِنْدنا لا تكادُ تجدُ الحُلول.. وقد اشْتُهر بَيْننا - أنَّنا ونحنُ نَحُلُّ مُشْكِلَةً ما - نَتَسَبَّب في الكَشْف عن مُشْكِلاتٍ أكبرَ وأصعبَ.. فهل نُواجِهُ مِثْلَ هذا في مُشْكِلَةِ تَرْتيب المُعْجَم؟ والمَعْرُوف أنَّ المَعاجِم والمَوْسُوعاتِ عِنْد الأُمَم تُرَتَّبُ بِحَسَبِ تَرْتِيْب الأحرُف الهجائيَّة.. والسّلام، ولكنَّ طبيعة لُغَتِنا الاشْتِقاقيّة تَجْعَل من الصَّعْب شَرْح العِبارة وهي مَعْزُولة عن أُسْرَتِها التي اشْتُقَّت منها، وإلّا طال الشَّرْحُ والتَّكرار، وقد جَرَّب الأب جبران مسعود من لبنان في مُعْجَمه (الرَّائد) سنة ١٩٦٥ كما جَرَّب آخَرون في تونس والمَغْرب وفي غيرِها من بِلاد العَرَب أنْ يُطبِّقُوا ترتيب اللُّغاتِ الأُخرى وأنْ يَصْرِفوا النَّظر عن الأصول الاشْتقاقيَّة وجُذُورِها ويُرَتِّبوا بِحَسَبِ أَحْرُف كلِّ عِبارة أو تركيبٍ كما هو في حالته المَنْظُومَة لفظًا دون حَذْف أَحْرُف الزِّيادة الصَّرْفيَّة ودُون إعادة الأَحْرُف المُنْقَلِبَة بالقَلْبِ، والإبْدالِ، والإعْلالِ، والإدغام، والنَّحْت، والإشباع، والتَّرخيم، والمُخالَفَة، وتخفيف الهمزة، أو تخفيف حرف آخر للتَّخلُّص من الثِّقل أو من توالي الأمثال، وحذف الهمزة أو الإبدال ياء أو حرفًا آخر، أو نقل الهمزة بنقل حركتها، أو غيرها من القواعد الأخرىٰ المُعَقَّدة التي يُفترَض بِمَنْ يَكْشِفُ في المُعْجَم أنْ يُتْقِن مَعْرِفَتَها سَلَفًا، وأنَّ عليه أنْ يُفَتِّش عن مِثْل كلمة: اسم: في س م و، (وإنِ اختلف البَصْريُّون والكُوفيُّون في أنَّ أصْلَها من الوَسْم أمْ مِنَ السُّمُوِّ، كما في كِتاب الإنصاف في مسائل الخِلاف لأبي البركات ابن الأنباريّ) وأنّه يَجِدُ الآلة في أوَلَ، والْهِبَة في وَهَب، والضّمير (أنا) في: أن ن (لأنَّ الأَلِف في آخرها تُزاد مَدًّا لِفَتْح النُّون عند الوقوف عليها، وفي مُعْجَمات الأَوَاخِر تَجدُ (أنا) في باب النُّون). وفي قولهم: جاء الأقوام تَتْرى: نجد: تترى في الجذر: وتر، لأنّ تترى حال وليس فعلًا مضارَعًا، فالتّاء مُنقلبة عن واو: وَتْرى: أي تباعًا مُتتابِعين مُتواتِرين. والاسْت: من: س ت هـ (سَتِهَ يَسْتَهُ). وأمّا آلاء (الاسم العَلَم المُؤَنَّث الدَّارج بَيْن مُعاصِرينا اليوم) فيجوز أنْ يكونَ جَمْعًا مفرده الأَلْو وهي النِّعمة، أو الأَلْيُ وهي أيضًا النِّعمة، أو اللأي وهي الحاجة والْجهد.. وفي القاموس المُحيط للفيروزاباديّ في بابا الواو والياء فصل الهمزة.. في جذر التّركيب أ ل ي تَظَلُّ تقرأ حتّى تَصِلَ في نهاية هذا الْجَذْر إلى قول «الآلاء: النِّعَم، واحِدُها إلْيٌ وأَلْوٌ وَأَلًى وَإلًى».

ولُؤَيّ الذي لا نكاد نجده في كثير من المعاجم لأنَّ وزن فُعَيْل من أوزان التَّغيّر، وقلّما اهتمّ المُعجميُّون بالمُصغّرات.. وبرغم ما في هذه من صعوبات شَرْحها يَطُول وخطْبُها لا يحُول، فقد غَدَت هذه الطَّريقة هي المُتَّبَعَة في ترتيب أكثرِ كُتُب المُعْجَم العَرَبيِّ الذي بَلَغَ مِنْ تعدُّدِ كُتُبِه حدًّا جَعَلَ بعضَ المُؤَلِّفِين يتحدَّثون في (مُعْجَم المَعاجِم) الصَّادر في لبنان لمؤلِّف من المَغْرب عن (أَلْفٍ وَنِصْفِ أَلْفٍ من المَعاجم التُّراثيَّة). وذلك لأنّ شرح اللفظة الواحدة بَيْن ألفاظ أُسْرَتِها الاشْتقاقيَّة الواقعة ضِمْن جَذْرِها الثُّلاثيِّ مِمّا يُساعِدُ على إيجاز الشَّرْح واخْتِصارِه والتَّخَفُّفِ من تَكْرارِه وإعادتِه، ويُساعد بالتَّالي على التَّقليل من حَجْمِ المُعْجَم العَرَبيِّ الذي تَضَخَّم وكَبُر بسبب امْتدادِ الأزْمِنَة والأَمْكِنَة التي وَصَلَتْ إليها هذه اللغةُ البَحْرُ المُحيطُ.. ولعلّ المُخْتَصِّين يَعْرِفُون أنَّ

مَعاجِمَنا تُهْمِلُ أكثر الاشْتِقاقات القِياسِيَّة اخْتِصارًا واعْتمادًا على أنّ على مُسْتَعْمِلِ المُعْجَم أنْ يُحْسِنَ اسْتِعْمالَ القواعد الصَّرْفِيَّة، فلا يَذْكرون مِنَ القِيَاسيِّ إلّا ما كان فيه مَوَاطِنُ الْتِبَاسٍ أو خُروجٍ عن السَّهل البسيط من قواعده. . ومع ذلك يُطالِب كثيرون من علماء اللُّغة والنَّقْد اللغويّ المُعاصرَ بأنْ يحذفَ مُؤَلِّفُو المُعْجَم العربيِّ الحديث كلَّ ما ماتَ وانْتهى اسْتِعْمالُه من مُفْردات اللغة القديمة، دُون أنْ يَخْطُرَ في بال هؤلاء المُطالبين أنّ ما يَظُنّونه مات منها في بيئتهم قد يكون ما يزال حيًّا في البِيْئات العربيّة الأُخرى؛ أو في العامِّيَّات الأُخرى مَثَلًا. وأنّ كثرةَ الاخْتصارِ والْحَذفِ في المَعاجِم المُخْتَصَرة كانَتْ مِنَ الأسبابِ التي أدَّتْ بِبَعْض عُلَماءِ النَّقْد اللغويّ إلى كَثْرة الكتَابَة عن (أخطاء شائعة) يَتَوَهَّمُون خَطَأَها لأنَّهم لم يتحقَّقُوا منها إلّا في بَعْضِ هذا الوجيز والمُخْتَصَر من كُتُب اللغة ومَعاجِمِها! . . فإذا أَضَفْنا إلى كُلِّ هذا التَّطْويل المُتْعِب تطويلًا في الشَّرْح وتكرار الشَّرْح لِكلِّ عبارة وَحْدَها بعيدًا عن أُسْرَتها الاشْتقاقيّة التي تُشارِكها في جَذْرها الثُّلاثيّ التَّركيب؛ من أجل اتّباع نِظام الترتيبِ المُتَّبَع في اللغات الأُخرى؛ فقد وَصَلْنا إلى أنْ نَقْطَعَ ما بَيْن القَرابات في المَعاني، وأنْ لا نصلَ إلى شَرْحٍ وَجيزٍ كافٍ، وأنْ نُكَرِّر كثيرًا من الشُّروح والإيضاحات التي كُنّا في غِنًى عنها. . في داخِلِ الأُسْرَة الاشْتِقاقِيَّة لِلْجَذْر.

ولٰكنَّ مُؤَلِّفي المُعْجَمات الأَجْنَبِيَّة في اللغات الأُخرى بدؤوا يَشْعُرُون بالخَطَإ في قَطْع كلِّ لَفْظَة أو عِبَارة عن أُسْرَة أُصُولها وجُذُورها كائنةً ما كانَتْ هذه الأصول والْجُذور؛ وبَدَؤُوا يُفَكِّرون بإعادة هٰذه الرَّوابط في المَعاجِم والقواميس الأجنبيَّة!

فما بالُك بِلُغتنا ذاتِ المِيْزة الاشْتقاقيّة الّتي تُتيح لنا من الإيجاز والدِّقَّة في التَّعْبير ما نَعْلَم؟

هذا ولم نتحدَّث بَعْدُ عنِ اخْتلاف المُؤَلِّفين المُعْجَمِيِّين في ترتيب الأَحْرُف العَرَبِيّة ذاتِها. . فالخليل مُؤَلِّفُ (العَيْن) أَوَّل مُعْجَم جامع، أو البادِئ به قَبْل تلاميذه كالليث والأخفش وغيرهم؛ أقولُ لقد رتَّب الخليل الأَحْرُف بِحَسَبِ مَخارِجها من الْفَم، أو بحسب ما تبيَّنَ له من هذه المَخارِج إذْ وَجَد حَرْفَ العَيْن في أَعْمَق مَخْرَج حَلْقِيّ فَبَدأ به وسَمّىٰ كِتابَه به كما هو معروف[1]. ثمّ يقوم بقَلْب أَحْرُف الكلمة ويُرَتِّب على نظام المَقْلوبات الذي لم يُطْرَح أيضًا بعد الخليل مُباشرة، فاتَّبعه الأزهريّ في (تهذيب اللغة) وغيره. . ثمّ ذهبُوا بعدَه إلى التَّرتيب الألف بائيّ الهجائيّ لِلأحرف (وفي عصرنا يُخْطِئُ بعضُهم فَيُسمُّونه التَّرتيب الأبْجَدِيّ، لٰكنّ ترتيب أَبْجَدْ هَوَّزْ حِطِّي. . الخ من اللغات السَّامِيَّة؛ وهو يختلف عن التَّرتيب الهجائيِّ الذي وَضَعه نصر بن عاصم الليثيّ ومُعاصِرُوه في أيّام الحَجّاج في نهايات القَرْنِ الأَوَّلِ الهِجْرِيّ؛ هو المُتَّبَع في المُعْجَم العَرَبِيّ. ا ب ت ث. . . . الخ).

(١) انظرْ الفصلَ الأوّل من كتاب الدكتور عدنان الخطيب: (المُعْجَم العربيّ بَيْنَ الماضي والحاضر) الصّادر عن مَعْهَد البُحوث والدِّراسات العربيَّة بالقاهرة سنة ١٩٦٧م.

وانْفَرَد أحمد بن فارس (المُؤَلِّف الوحيد الذي يَتَغَيّا كشف أصول اللغة) والمُتَوَفّى سنة ٣٩٥هـ و١٠٠٤م؛ في (معجم مقاييس اللغة) وفي مُعْجَمِه الآخر، (المُجْمَل) بترتيب هجائيّ خاصٍّ به بَعْدَ أَنْ أخذ بِمَبْدأ أوائل الكلمات وَكَسَر لِكُلِّ حَرْف قسمًا سَمّاه كتابًا، وفي القِسْم أو (الكِتاب) ثلاثةُ أبوابٍ بِحَسَب الأبْنِيَة. أَوَّلها للثُّنائيِّ المُضاعَف والمُطابِق ثمّ للثُّلاثيّ ثمّ لِمَا جاء على أكثر من ثلاثة؛ ويبدأ فيه بالكلمة المَبْدُوءة بحرف الباب وبحسب الحرف التالي له، ثمّ بعد الوصول إلى الحرف الأخير يعود إلى ذكر الحروف السّابقة على حَرْفه.

كما انفرَدَتْ معاجمُ قديمة بتقديم الواو على الهاء في الفصول وليس في الأبواب (كالقاموس المُحيط) للفيروزابادي، والواو مُقَدَّمة في الفارسيّة الإيرانيّة على الهاء.

ثمّ انفرد مُؤَلِّف مُعْجَم (الكُلِّيّات)[1]– الذي لم يذكُرْه د. عدنان الخطيب بَيْن المَعاجِم العربيّة – وهو أبو البقاء: أيّوب الكَفَويّ؛ بالخروج على نظام التّرتيب المُعْجَمِيّ الْجَذريّ الذي اتَّبَعَتْه مَعاجِمُ الألفاظ السَّابقة لِلْكَفَويّ، ولعلّ ذلك لأنّه كان مُعْجمًا وَسَطًا بين معاجم المعاني المُرَتَّبة حسب الموضوعات، وبين معاجم الألفاظ. فجعل مُعْجَمَه فصولًا على حروف الهجاء وقسّم فصل الألف فقط فُصولًا فَرْعيّة مُراعيًا أوّل الكلمة وثانيها دون الرُّجوع إلى أصل اشْتقاقها. ولم يقسم فصول الأحرفُ الأُخرى، غير الألف، إلى فُصول ثانويّة. فكأنّه أَوْرَد الألفاظَ فيها بِحَسَبِ مَوْضوعات معانيها مثلًا.. أو إنّ له خُطّة أُخرى سيكشف عنها دارسُوه في المستقبل.

والمَعاجمُ الحديثة والمُعاصِرَة أقلُّ خِلافًا في ترتيب الأحرف الهجائيّة ولٰكنّ التَّأَثُّر بالطَّرائق الأجنبيَّة أدّى ببعض المُؤَلِّفِين إلى تجربة سُلُوكها كما ذَكَرْتُ منذ البداية؛ فَصَنَعُوا مَعاجمَ مُسَهَّلة لَفْظِيّة التّرتيب أَلِفْبَائِيًّا لا يحتاج مُسْتَعْمِلُها إلى المعلومات الصَّرْفيّة، فهي أسهل للتَّلاميذِ والشُّداة المُبْتَدِئين.. ولٰكنّها تُفَرِّق وتُفَكِّكُ عُرىٰ القرابة الاشْتقاقيّة؛ ولِذا فإنّ طريقة القُدماء في التّرتيب الْجَذْريّ ما زالت مُتَّبَعَةً في المُؤَلَّفات المُعْجَمِيَّة الكبيرة ذات الدِّقَّة والرّصانة العِلْمِيَّة؛ وفي اللغويّات الموسوعيَّة، لِما ذكرتُ من المِيْزة الاشْتقاقيّة للُّغة العربيّة، وقد تصدَّوْا إلى مُعالَجَة مُشْكِلَة المَعْرِفة الصَّرْفِيَّة باسْتعمال نظام الإحالات والتَّوسُّع فيه حتّى بلغ هذا النِّظام في مُعْجَم الدكتور جورج متري عبدالمسيح (لغة العرب) من التَّوسُّع ما جعل هذا المُعْجم الموسوعيّ الكبير أسهل وأقرب مثالًا للباحثين فيه من المعاجم اللفظيّة التَّرتيب، مع أنّه[2] «مُعْجَم جَذْريّ التَّرتيب صَوْنًا لطبيعة اللغة العربيّة التي تُشكِّلُ الْجذور فيها أُصُولًا لغويَّة هي وحدات مُتَماسِكة

(١) أيّوب بن موسى الحسيني الكَفَويّ أبو البقاء المُتَوَفّى سنة ١٠٩٤هـ= ١٦٨٣م: (الكُلِّيّات: مُعْجَم في المُصْطَلَحات والفُروق اللغويّة). الطّبعة الثّانية قابَلَه على نُسْخة خَطِّيّة (د. عدنان درويش ومحمّد المِصْري نشرته وزارة الثّقافة بدمشق في سلسلة إحياء التُّراث العربيّ ٥٦ في خمسة مُجَلَّدات.

(٢) من مقدمة معجم (لغة العرب) للدكتور جورج متري عبد المسيح طبع مكتبة لبنان..

وعائلات، يؤدّي التَّخلّي عنها إلى تفكيك عُراها». كما جاء في مقدِّمته..

ولقد تمنَّيت وَحَلَمْتُ ورغبت في تطبيق هذا النِّظام الْجَذْريّ التَّرتيب مع التَّوسُّع في الإحالات، لولا أنّي، في البحث اللغويّ مضطرّ أحيانًا، بل غالبًا، إلى جَمْع عبارات تبدأ بأَحْرُف مُتخالِفة، يَجْمَع بَيْن معانيها الاسْتعمال، ويفرِّق بين ألفاظها الإبدال وذلك كما في البحث الذي عَقَدْتُه بعنوان: «هل آرَشْتَه؛ أو حارَشْتَه، أو قارَشْتَه، أو وارَشْتَه، أو هارَشْتَه؟» مثلًا.

بين الجذريّة والألفبائيّة

ولقد فَرَّعَ مُؤَلّفو (المُعجم العربيّ الأساسيّ) في (المُنظَّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم في جامعة الدُّوَل العربيّة) فَرْعًا من الطّريقة الجذريّة الاشتقاقيّة في التّرتيب؛ يَلْتقي مع الطّريقة الألفبائيّة للقواميس الأجنبيّة التي كان اتَّبَعَها جبران مسعود في مُعْجَمه (الرّائد) وخليل الجر في (اللاروس العربي) ومُخرجو (المُنجد) في الطّبعة التي - لعلّها - الأخيرة، أو - لعلّها - الطّبعة العشرون في ثمانينيّات القرن العشرين ومعذرة عن خيانة الذاكرة..

وهذا الفرع الذي فرّعه مُؤَلّفو (..الأساسي) لأسماء الأعلام التي فيها ألِف لَيِّنَة مثل: رابعة العدويّة. فَيُفْرَد للعَلَم بعد انتهاء الرّاء والهمزة فرع للرّاء والألِف الليِّنة.. أمّا في: ر ب ع فَتوضَعُ إحالة أمام: رابعة بين قوسين: (انظر ألفبائيّا)..

معجم لفصاح المعاني العامِّيَّة

ترتيبات المُعْجمات التي ذكرناها بحسب أَحْرُف الألفاظ.. وهناك ترتيبات لِمَعاجِم المَعاني التي تمدّ الكُتّاب بألفاظ للمعاني التي يُريدون التّعبير عنها، كما في (فِقْه اللغة) للثّعالبيّ، و(الألفاظ الكتابيّة) لعبدالرحمن بن عيسى الهَمَذاني. و(المخصّص) لابن سِيْدَه، وهذه تُرَتَّب بحسب الموضوعات ويُوضع لها مَسَارِدُ وفهارِس بعناوين الموضوعات..

وفي فِصاح العامّيّة كثير من مثل هذه المعاني؛ وانْظُر إلى مثال منها في قول العامّة، (فلان قَلْبُه بارِدٌ وأنا قلبي على نار) ألا يُذَكِّرُك بِمَطْلَع قصيدة المُتنبّي المشهورة في مُعاتَبة سَيْف الدَّوْلة؟:

واحَرَّ قَلْباهُ مِمّن قَلْبُهُ شَبِمُ

وكذلك قَوْل العامّيّ حِيْن يُهدّد بأنْ يُرِيَ غيرَه (نُجوم الظُّهر) فقد تَجِدُه في مَثَلٍ قديم بمعناه: (لَأُرِيَنَّك الكواكِبَ بالنّهار) وفي شِعْر طَرَفَة بن العبد البَكريّ، بلفظه ذاته:

إنْ تُنَوِّلْهُ فَقَدْ تَمْنَعُهُ وَتُرِيْهِ النَّجْمَ يَجْرِيْ بالظُّهُرْ

ولقد ذَكَره الميدانيّ في (مَجْمع الأمثال)[١] وسَبَقه إلى ذِكْره المُفَضّل بن سَلَمَة بن عاصم في (الفاخر: فيما يجري على ألسنة العامّة ص١١٣) وذكر الفاخر في غير هذا المَوْضع.

وصِيغَة التَّعَجُّبِ (أَفْعِلْ بِهِ) ما تزال حَيَّة في عامّيتنا عندما نقول: (أَكْرِم وأَنْعِم بفلان).

بَعْضُ كُتَّابِنا والمُعْجَم

أَأَجِدُ مُشَوِّقاتٍ ومفاجآتٍ في الكَشْفِ في المُعْجَم؟!

حينَ أُطالِعُ في الكتاباتِ الأَدَبيَّةِ الحَدِيْثَةِ شِعْرًا ونَثْرًا؛ فُنونًا وأَفْكارًا، عِلْمِيَّةً أو أَدَبِيَّةً، أَوْ إبداعًا أو دراساتٍ وَنَقْدًا؛ وفي الموضوعات الاجْتماعيَّةِ أو الفَرْدِيَّةِ التّاريخيَّةِ أو المُعَاصِرَةِ أو غَيْرِ ذٰلِكَ كُلّهِ... حينَ أطالِعُ لا بُدَّ لي من الصَّبْرِ على شُعورِي بِالمَلَلِ؛ ولا بُدَّ لي من مُكافَحَةِ هذا الشُّعورِ لعلّني أَصِلُ إلى غيرِ هذا التَّكْرارِ المُتْقَنِ أو غَيْرِ المُتْقَنِ، الذي يَكادُ يَصْطادُ كُلَّ صيّادِ إبداعٍ وَتَجْدِيدٍ من المُتَحَمِّسِيْنَ لِعَبْقَرِيّاتِهِم الإبْداعِيَّةِ في الكتابةِ، مِنَ الذين قَرَؤُوا كُلَّ ما سَبَقَهُم وَهَضَمُوهُ وأعادُوا إبْداعَه بِأَقْلامِهِمْ وَمِن وُجهاتِ أَنْظارِهِمْ، أَوْ مِنَ الّذينَ تَجَنَّبُوا الوُقُوْعَ في هٰذِهِ المَصْيَدَةِ فَكَتَبُوْا قَبْلَ أَنْ يَقْرَؤُوا وَيَهْضِمُوا وَيَعْرِفُوا وَيَتَأَثَّرُوا وَتَظْهَرَ عَلَيْهِم المُؤَثِّراتُ المَقْرُوءَةُ... وَأَغْلَبُ هٰؤُلاءِ الذين كَتَبُوا قَبْلَ أَنْ يَقْرَؤُوا وَقَعُوا في فَضِيْحَةِ الْجَهْلِ أَوْ نَقْصِ الإتقان أَوْ إعادَةِ تَجارِبَ سُبِقوا إليها وَقَصَّرُوا عنها وهم لا يَعْلَمون أَنَّها مُجَرَّبَةٌ أو قَدِيمَةٌ.. الخ.

فَفِي أَيِّ المُطالَعاتِ أَكْتَشِفُ ولا أملُّ من الاكْتشافاتِ؟! فيما يَظُنُّهُ الآخَرونَ مُمِلًّا لِأَنَّهُ مُعادٌ ومَكْرورٌ مِن قُرونٍ.. في معاجِمِ اللغةِ التُّراثيَّةِ التي هُجِرَتْ وَتَغَرَّبَتْ وصارَتْ مِنْ عَمَلِ المُسْتَشْرِقينَ والمُسْتَعْرِبينَ يَدْرُسونَها فَيَكْتُبُ الهولَنديّ[٢] دوزي (تكملة المعاجِم العربيّة) أو (مُسْتَدْرَك المُعْجَمات)[٣] ويَكْتُبُ قَبْلَه الإنكليزيُّ لين: وليم إدوارد لين مُعْجَمَه (مَدّ القاموس) وبعدَه يكتبُ

(١) ذكره الميداني في ج ٢ ص ٣٠٢: الرقم ٤٠٢٨. ط ٣ دار الفِكْر سنة ١٩٧٢ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٢) (٣) تكملة المعاجم: رينهارت دوزي (١٨٢٠-١٨٨٣) المستشرق الهولندي الأستاذ في جامعة لايدن. «المرجع الأوحد في المفردات التي لم تَرِدْ في المعاجم العربيّة». صدر سنة ١٨٨١. قَبْل أَنْ يُصدِر المُستَشْرِقُ ستانلي لين بُول الكتابَ الثّاني من (مَدّ القاموس) للمستشرق الإنكليزي إدوارد وليم لين المُتوفّى سنة ١٨٧٦ وقد أصدَرَته مكتبةُ لبنانَ ببيروت في مُجَلَّدَيْن كبيرَيْن سنة ١٩٨٦م وكانت أصدرت قبله الكتابَ الأوّل من مُعْجَم لين (مدّ القاموس) بأجزائه الثّمانية الذي يُعْتَبرُ «ملحق دوزي» بالرغم من الفارق اللغوِي، تكملة واقعيةً بشهادةِ المستشرق ستانلي لين بول.

[ولعلّ دوزي مُهْتَمّ بالألفاظِ العامّيّة الواردةِ من التّركيّة أو اللغاتِ الأخرى إلى عربيّةِ القرن التّاسعَ عشر الميلادي (كالألاجة من النّسيج (من التركية) ص٣٢ والألاي جاويش من الألقابِ والرُّتَبِ العسكريّةِ. وألفاظٍ عربيّة أيضًا مثل: أَلَبَّ على فلان.. التي استعملها ابن خلدون) «وفي ص٩٨ بطّانيّة وبطّيني =

الألمانيُّ فيشر معجمَ التَّطوُّر التّاريخيِّ للعربيّة.

ولا أنكرُ أنّ المؤلّفينَ العربَ للمعاجمِ الحديثةِ وَعُلماءَ اللُّغَةِ يُطالعونَ كُتُبَ التُّراثِ اللُّغوي ويُتْقِنونَها حَتْمًا لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ العملِ فيها.. ولٰكنّي ألاحِظُ أنّ بَعْضًا مِنْ كُتّابِنا المُعاصِرينَ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْن كُتُبِ اللُّغَةِ والمَعاجِمِ تِلْكَ المَوَدَّةُ وذٰلِكَ التَّواصُلُ وَالتَّقارُبُ المُفْتَرَضُ أنْ يكونَ حتّى يَتَمَكَّنَ الكاتبُ مِنَ السَّيْطَرَةِ على الأَداةِ الوَحِيدَةِ للكِتابَةِ، أَعْني اللُّغَةَ.. واللُّغَةُ هي التَّعْبِيرُ الوحيدُ عن الفِكْرِ والشُّعورِ. ومِيْزَةُ الإِنْسانِ.. أَفَيُمْكِنُ إذًا ألّا تكونَ اللغةُ مِيْزَةَ الكاتِبِ؟

والذي يجعلُني أقولُ إنّ الاكْتِشافاتِ التي أَجِدُها تَتَحَقَّقُ لي فلا أملّ منها أبدًا هي في كُتُبِ التُّراثِ اللُّغَوِيِّ والمُعْجَمِ العَرَبِيِّ القَدِيْمِ، أَنَّني أَجِدُ فيها بَعْضَ الحَقائِقِ اللُّغَوِيَّةِ التي نَحتاجُ إليها.. وَنَجْهَلُ وُجُودَها فيها.. وَمِنْها (فِصاح العامِّيَّةِ) التي يَتَجَنَّبُها الكُتَّاب ظَنًّا مِنهم أَنَّها عامِّيَّةٌ مُبْتَذَلَةٌ غَيْرُ صَحِيْحَةٍ وَغَيْرُ فَصِيْحَة..

وَمِثْلُ هٰؤُلاءِ إذا سَمِعُوا أنَّ أَحَدًا يَعْمَلُ في مُؤَلَّفٍ مُعْجَمِيٍّ جديدٍ فإنَّهُم يَتَعَجَّبُونَ سائِلِينَ، وَهَلْ في اللُّغَةِ ما يُقالُ بعد (مُخْتارِ الصِّحاح) مَثَلًا؟! وهل غادَرَ الأَوَّلُ للآخر شَيْئًا؟! وهكذا يَصِلُ أَمْرُ القَطيعَةِ وفُقدانُ التَّواصُلِ فيما بَيْنَهُمْ وبَيْن المُعْجَمِ أو كُتُبِ اللُّغَةِ إلى نُضوبِ ينابيعِ الإبداعِ وانْقطاعِ حِبالِ التَّقَدُّمِ الفِكْرِيِّ والشُّعُورِيِّ فَكَيْفَ يَسْتَطِيعونَ أن يُرَدِّدوا: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْني عِلْمًا﴾؟ السورة ٢٠/ سورة طه - الآية ١١٤.

ولِلْمُعْجم مُكْتَشَفاتُه أيضًا!

كما فُوجِئْتُ بِتلاقي المعاني ما بَيْنَ: أَبَضَ وَقَبَضَ، وما بَيْن آرَشَ وقارَشَ وحارَشَ وهارَشَ ووارَشَ، وما بين أَرَمَ وَقَرَمَ، وما بين أَفَزَ وَقَفَزَ وَأَبَزَ وما بين زَنَأَ وَزَنَقَ وما بينَ فَأَىٰ وفَفَأَ.

كذلك فوجِئْتُ بالتَّفاريجِ في فَصْلِ التّاءِ من بابِ الجيمِ في (لسانِ العربِ) لابن منظورٍ وفي مادّةِ: ت ف ر ج وفي الْجَذْرِ ت ف ج وقبل ت ل ج، ولم تكنْ تخطر لي ببالٍ إلّا بالفاءِ وما كنت أعْرِفُها إلّا مِنْ: فَ ر ج؛ ولذا قُلْتُ إنّي فوجِئْتُ بِها لَدى ابنِ منظورٍ في ت ف ر ج. وفيها: «تفرج: التَّفاريجُ: فُرَجُ الدَّرابزين. قال: والتّفاريج فَتحاتُ الأَصابع وأفواتُها، وهي وَتائِرُها، واحِدُها

=وباطنه وبطونيكا وبطي وبطر وبعبر وبعبع.. وبعجر وبغثر وبعث وبعج)..

وفي مادّة خ ب ط: أشار إلى (يُخَبِّطُ) وإلى (التَّخْبِيط) ص٣٤٩، ولم تَرِدْ في معجم قبله إلّا في أضداد قطرب.

أمّا المُسْتَشْرِق الألماني فيشر المُتَوفّى سنة ١٩٤٩م فقد صنع للعربيّة المُعْجَمَ الذي تفتقدُه لتِبيانِ التَّطَوُّر التَّاريخيّ للمُفردَاتِ العربيّةِ وعلاقتها باللغاتِ السّاميّةِ الأخرى، وتُوفّي قبل أنْ يُتِمَّهُ، وَأَوْدَعَه في مَجْمَعِ اللغة العربية بالقاهرة...

تَفْراحٌ». وتابَعَهُ على ذلكَ في عصرِنا لويسُ مَعلوف في (المنجدِ) فذكرَ التَّفاريجَ في ت ف ر.

وقد أعادَها ابنُ منظورٍ في فصلِ الفاءِ بعدَ أن أوْرَدَها في التَّاءِ؛ . . واكتشفْتُ موضِعَها في التّاءِ بالمصادَفَةِ وأنا أمارِسُ عادتي التي يَسْتغرِبُها العديدونَ . . فهٰذِهِ العادَةُ التي حاولْتُ التَّخلُّصَ منها فلم أَقْدِرْ وَضَيَّعْتُ فيها من عمري وقتًا أكثرَ ممّا أظنّ . . عادة قَفْزِ عيوني بين سطورِ المُعجَمِ والمطالعةِ فيه في غيرِ مادّةِ الْجَذْرِ الذي أبحثُ فيه فعيوني تَتَنَقَّلُ وتُلَصْلِصُ الأَجفانَ وتُجَرِّرُ وراءَها انتباهي في التَّنقُّلاتِ بينَ الصَّفَحاتِ والسُّطورِ التي تَجْذبُني فلا أستطيعُ منها خلاصًا، ولا أكادُ أتمكّنُ من الرُّجوعِ إلى المَطْلَبِ الأصليِّ الذي دَفَعني إلى فتح المُعْجمِ والْكَشْفِ فيه . . .

وإنّها لَعادةٌ كانت تُسَبِّبُ لي الكثيرَ من المتَاعِبِ مع الذين كانوا يَنْتظرونَ منّي إنجازَ العملِ اللُّغويِّ وفي أقصرِ وقتٍ مُمْكِنٍ فأضيّعُ من الوقتِ أكثرَ ممّا كنْتُ أظنُّ . . ولٰكنّي بعدَ ذلكَ كنتُ أجدُ في عادَتي هذهِ نَفْعًا حينَ كُنْتُ أُسَجِّلُ في جُذاذاتٍ قُطوفًا من (العامّيّ الفصيحِ) ممّا وجّهني نحو هذا العملِ بعدَ أنِ اجْتَمَعَتْ لي من هذهِ الْجُذاذاتِ مادَّةٌ مُعْجَمِيَّةٌ حَسَنَةٌ طَوالَ عِشْرينَ عامًا . . .

في رحلات الألفاظ:

الإيْرُ: بين الإنكليزيّة والفرنسيّة والعربيّة

في الإنكليزيّة: AIR إير هواء جوّ

في الفرنسيّة: AIR إير (مفرد مذكّر) معناه: هواء. ريح. جوّ.

يمكن للقارئ أنْ يذكرَ كيفَ انتقلَ لفظُ الكحولِ أو الغولِ من العربيَّةِ إلى اللغاتِ العالميّةِ الأُخْرَياتِ كالإنكليزيّةِ والفرنسيّةِ، وكيف عادَ من اللغاتِ الأجنبيّةِ ALCOOL إلى العربيّة الحديثة. . . وكذلكَ لفظُ القَصْرِ: الذي يُتَرْجَمُ اليومَ عندَ المُحْدَثين إلى ألكازار. والحَرْشَفُ إلى الخَرشوف أو أرتيشو أو أرضي شوكي.

ونقلات العباراتِ ورحَلاتُها كثيرةٌ مُتكاثِرةٌ منذُ قديمِ الزّمانِ، وبعضُها معروفٌ مشهورٌ. . حتّى إنَّ دارَ (مكتبة لبنان) أصدرَتْ بينَ مجموعاتِ معاجِمِها مُعجمًا للألفاظِ العربيّةِ في اللغةِ الإسبانيّةِ. . ولا بدَّ أنْ يكونَ هناكَ مَنْ كَتَبَ مَعاجِمَ أخرى من هذه الأنواع من التَّنقُّلاتِ اللغويّة.

وقد اشتُهِرَتْ مقدّمةُ العالمةِ الألمانيةِ زيغريد هونكة لكتابِها الشّهيرِ (شمسُ الله . . ، أو شمسُ العربِ تسطعُ على الغربِ) فقد كتَبَتْ فيهِ المقالَة الأولى بالألفاظِ الألمانيةِ ذاتِ الأصولِ العربيّةِ . .

وأنقلُ إلى القارئ حرْفًا حرْفًا ممّا جاء في معجمِ (لسان العرب) لابن منظور الخزرجيّ في مادّة: أ ي ر:

«إيْرٌ ولغة أخرى أَيْرٌ، مَفتوحَةُ الألِف، وَأَيِّرٌ، كلّ ذلك من أسماء الصَّبا، وقيل: الشَّمال،

وقيل: التي بين الصَّبا والشّمال، وهي أخبث النُّكْبِ. (الفَرّاء: الأصمعيّ فيْ بابِ فِعْلٍ وفَعْلٍ: من أسماء الصَّبا إِيْرٌ وأَيْرٌ وهِيْرٌ وَهَيْرٌ وَأَيِّرٌ وَهَيِّرٌ، على مثال فَيْعِلٍ؛ وأنشد يعقوب:

وإنّا مَسَامِيحٌ إذا هَبَّتِ الصَّبا   وإنّا لَأَيْسارٌ إذا الإيْرُ هَبَّتِ

ويُقال للسَّماء: إِيْرٌ وَأَيْرٌ وأُوُورٌ. والإيْرُ: ريح الجَنُوبِ، وجَمْعُه إيَرَةٌ. ويُقال: الإيْرُ رِيحٌ حارّة من الأُوار، وإنّما صارَتْ واوُه ياءً لكسرة ما قبلها. وَرِيْحٌ إِيْرٌ وَأُوْرٌ: باردة..».

أقول: ما كنت لأنصر لغة على لغة.. ولٰكنّه البحث..

ما القِصَّةُ؟

وَرُبَّما صَحّتِ الأفكارُ بالعِلَلِ

هلْ أفادَ اللغةَ هؤلاءِ العشّاقِ المُتَشدِّدونَ الذين لا يَقْبَلونَ إلّا بِشَواهِدِ الاحْتِجاجِ بِمَنْ كان يُحْتَجُّ بِكَلامِهِم؟ وقد يرفضونَ أيضًا السّماعَ والاحتجاجَ بِبَعضِ ما سَمِعَهُ بعضُ الفُصحاءِ؛ كما في سماعِ القراءة: ﴿ما وَدَعَكَ﴾ وكَسَماعِ الأَزْهرِيّ والزَّمَخْشَرِيّ اللَّذَيْنِ سَمِعا مِنَ الفُصحاءِ استعمالَهم الفعلَ: اسْتَأْهَلَ بمعنى اسْتَحَقَّ واسْتَوْجَبَ. فَأَنْكَرَ هذا السَّماعَ كلٌّ من المازِنِيِّ والجَوْهَرِيِّ والأَصْمَعِيّ وَغَيْرِهِم؟!!

أَوَ ما كان الاحتجاجُ بشواهِدِ الفُصَحاءِ من المُتَوَفَّيْنَ قبل سنة ١٥٠هـ و٧٦٠م؟ لِتَقْعِيدِ قواعِدِ النَّحْوِ والصَّرْفِ وتَنْظيمِ النِّظامِ اللغويّ بعد بدايَةِ فُشُوِّ اللحنِ والغَلَطِ، وتكَوُّنِ العامّيّةِ إِثْرَ الاختلاطِ بالأعاجِمِ وفسادِ السَّلِيْقَةِ اللُّغَوِيّةِ الفِطْرِيّةِ؟.

فَلَمَّا انْتَهىٰ عَصْرُ الاحْتِجاج عادَ العُلماءُ إلىٰ قاعدَةِ (القياسِ). وقد كانَتْ مِن قَبْلِ عَصْرِ الاحْتِجاج كما كانَت، أيْ قاعدةُ القياسِ؛ في كُلِّ عَصْرٍ.. فلا يُمكنُ أن تكونَ لُغَةٌ و«عِلْمٌ بغيرِ القياس»..

أ- إغلاق أبواب اللغة

وقع إغلاق بابِ الاحتجاج بسبب فُشُوِّ اللَّحْنِ والغَلَطِ والعامِّيَّة أَغْلَقَ بعضُ المُتَشَدِّدِيْن والمُتَعَصِّبِيْنَ بابَ القياسِ أيضًا، وكأنَّ شُبْهَةَ مُزاودةٍ علىٰ اختلاطٍ بَيْن البابَيْنِ قد وَقَعَتْ لهم.. فانْدَفَعُوا في التَّشَدُّدِ حتّى صارُوا لا يُفَرِّقون ما بينَ تصحيحِ الخَطَإِ الكبيرِ الذي يَخْرِقُ أُسُسَ النِّظامِ اللغويِّ وخصائِصَهُ التَّعْبِيريَّةَ الدّقيقَةَ، وبَيْنَ أُمورٍ صَغائِرَ لا تَمَسُّ شيئًا من الأُسُسِ والخَصائِصِ وقواعِدِ الدِّقَّةِ والصِّحَّةِ في الأسْلوبِ الفصْيحِ وطاقاتِهِ التَّعبيْرِيَّةِ؛ كَأَنْ نُضَيِّعَ البُحوثَ والدِّراساتِ في: جَمْع زَهْرَةٍ علىٰ أَزْهارٍ كما في المعجم التليد؟ أَمْ على زُهورٍ كما هو القياس الصَّرْفيُّ؟ وجَمْعِ مُعْجَمٍ على مَعاجِمَ أم على مُعْجَماتٍ؟

ثُمَّ. . . ها نحن نشاهِدُ آثارَ إغلاقِ بابِ القياسِ – على إثْرِ إغلاقِ بابِ الاحتجاج – على صِحَّةِ اللغةِ وفَصاحَتِها وطاقاتها التّعبيريَّةِ. . إنَّها الآثارُ والنَّتائِجُ التي أَفْضَتْ بِنا وبِلُغَتِنا إلىٰ أَنْ نَشْهَدَ مَا نَشْهَدُهُ اليومَ من هذا الافْتِقارِ إلىٰ كُلِّ ما يَجْعَلُها لُغَةَ الحياةِ اليَوْمِيَّةِ. . حَتّى إذا دَخَلْتَ غُرْفَةً من غُرَفِ مَنازِلِنا اليومَ فإنَّكَ لا تكادُ تَجِدُ الأَسماءَ الفصيحةَ لِلْقِطَعِ المُحيطَةِ بِكَ من الأَجْهِزَةِ والأَثاثِ والمَتاعِ واللِّباسِ، فالّذين يُحْتَجُّ بكلامِهِم لم يَعْرفوها، والمُوَلَّدُ والدَّخيلُ من الألفاظِ مَرْفُوضٌ من سَدَنَةِ الفصاحَةِ!! وكذلكَ هو الشَّأْنُ إذا خَرَجْتَ إلى الطَّريقِ والسُّوقِ وإلى الأَعْمالِ والمَزارِعِ والمصانعِ والمَتاجِرِ والمُحْتَرَفاتِ والمُنْتَزَهاتِ والخ. . من مظاهِرِ الحياةِ الحديثةِ التي لن تَجِدَ لها ألفاظًا يُحْتَجُّ بِفَصاحَتِها مِن عَصْرِ الاحتجاج. فما بالك بمُصْطَلَحات العلوم والفنون؟!

ب – الازدواجيّة اللغويّة

فَاعْتَزَلَتِ الفُصْحَىٰ عن الحياةِ اليَوْمِيَّةِ. . والْتَزَمَتْ بَعْضَ مَعاهِدِ العِلْمِ ودورِ الكُتُبِ؛ وأَنشَدَ حافِظٌ إبْراهيمُ عَلى لِسانِ: (اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ تَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِها):

فَكَيْفَ أَضِيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلَةٍ؟ وَتَنْسِيقِ أَسْماءٍ لِمُخْتَرَعاتِ؟

وانْطَلَقَتِ العامّيّاتُ من كافَّةِ القُيودِ لِتَحْتَلَّ مَكانَ الفُصْحَىٰ على الأَلْسَنَةِ؛ إذْ أَوْصَلَها إلى ما أوصلَها إليه عُشّاقُها المُتَعَصِّبُونَ الذين يكادونَ يَخْنُقونها بمحبَّتِهم. . . واتَّسَعَتِ الهُوَّةُ الفاصلةُ ما بَيْنَ لُغَةِ الكُتُبِ ولُغَةِ الحياة. . . وأَنْشَأَتِ الأُمَّهاتُ ودورُ الحضانةِ أجيالَ الأطفالِ على لغة الحياة الشّفويّة وهي من بعض العامّيّاتِ. . فَنَشَأَ عليها أَطْفالُ ما قبلَ سِنِّ السّادِسَةِ من العُمرِ. . فَغَدَتْ تَصْعُبُ عليهم لغةُ الكُتُبِ التي يُفاجَؤون بها بعد انتهاءِ مَرْحَلَةِ اكتِسابِ اللُّغَةِ الأُمِّ بالمَوْهِبَةِ والفِطْرَةِ والسَّليقَةِ. . فَتَزايَدَت ازْدِواجِيَّةٌ لغويَّةٌ ضَحِيَّتُها نتيجةُ التَّربيةِ اللُّغوِيَّةِ للأطفالِ الذين يُنَشَّؤون على العامّيّة في أهمّ مراحل اكْتِساب اللُّغَةِ الأمّ؛ ثمّ يُطالِبُهم المُرَبّونَ باكتسابِ الفِصَاح بالتَّعَلُّم. . وكان على مُرَبِّيهِم إسْماعُهم الفصيحَ في سنِّ المَوْهبة اللُّغويَّةِ قبلَ السّادسةِ من العمر.

ج – صعوبة التّربية اللغويّة

فلم يكنْ إلّا هذا التَّدْبيرُ الدَّبَريّ!. . وبُذلت الجُهودُ العُظْمى وَهُدِرَت وأُهْدِرَتِ الطّاقاتُ الكُبْرى من أجلِ التَّرْبِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ العربيّةِ المُتَأَخِّرَةِ عن موعدِها المناسِبِ. . موعدِ إطْلاقِ اللسانِ باللغةِ الأمّ. . فكانَ اكتسابُ اللغةِ الفصحى – كالخالةِ امرأةِ الأبِ التي لا بُدَّ أَنْ يكرَهَها بعضُ الأبناء مهما حاوَلَت التَّحَبُّبَ إليهم – اكتِسابًا بالدّراسة والْجُهدِ؛ ولا سيّما أنّنا نعطي من برامِجِنا الدّراسيّةِ لِلُّغَةِ أكثرَ ممّا تُعْطي الأمُّ الأُخْرَىٰ. . . وزادَ المَيْلُ الإعلاميُّ إلى تَقْويةِ العامّيّاتِ وتغذيَتِها من الفُصْحَىٰ بما كان يَنْقُصُها. . إذ ينتشرُ العلمُ والإعلامُ في عَصْرِنا. . ومع ذلكَ فقد ظلّتِ العامّيّاتُ عَواجِزَ عن أنْ تكونَ لُغَةَ العلومِ والثّقافاتِ. . ولم تَسْتَطِعْ أَنْ تَتَسَلَّلَ إلى عالَمِ الكُتُبِ إلّا على ضَعْفٍ يَدُلُّ عليه ما يُلاحَظُ مِنْ أَنَّ الكِتابَ المُتَأَثِّرَ بالعامّيّةِ ضعيفُ المُسْتَوَىٰ عِلْمِيًّا. . . ولَم

تَتمكَّنِ العامّيّاتُ أنْ تَسْتَقِلَّ بِذاتِها عن الفصيح، وإذا سَمَّوْها باللغةِ المَحْكِيَّة.. فكأنّها من المُحَاكاةِ..؛ وكأنّها تُحاكي الفَصيحةَ وتطمَعُ في أنْ تُشابِهَها.. ولٰكنّها تعيشُ عيالًا على الأمّ الفُصحى ذاتِ التُّراثِ العِلميّ والثَّقافيّ والحضاريّ.. ولو أُحِلَّت - فَرَضًا - عامّيّةٌ ما مَحَلَّ الفصيحةِ؛ لنشأَتْ عنها عامّيّةٌ أخرى في المُسْتَقبَلِ.. بنتيجة التَّطَوُّرِ الحَتْميّ من خلال الاستعمالِ.. فهل يكون الحلُّ بإحلال فِراخ العامّيّاتِ وما تُفَرِّخُهُ هذه الكائناتُ الضَّعيفةُ عِلْميًّا؟ وهل لا يكونُ الحلّ بإعادةِ الأمورِ إلى طَبائِعِها؟.. أي: بإطلاقِ قِوى اللغةِ الفَصيحةِ وتَغْذِيَتِها بكلِّ ما هو صالحٌ للحياةِ والحَضارةِ من لغةِ الحياةِ ومُصْطَلَحاتِ الحضارة.. وقد اتَّجَهَتْ إلى ذلكَ المجامعُ اللُّغَوِيَّةُ العِلْمِيَّةُ كما نعلم.. وأصدرَتْ، أيضًا، القراراتِ بتشكيلِ لجانِ التَّقريبِ بَيْن الفُصْحىٰ والعامّيّة بالإضافةِ إلى لِجانِ ألفاظِ الحضارةِ ولِجانِ صُنْعِ مَعاجِمِ المُصْطَلَحات والمُعْجم الكبير وغيرها.. ولٰكنْ بقيَ المُتَشَدِّدون يَنْظُرونَ بِعَيْنِ الرِّيبَةِ إلى هٰذه اللجانِ.. فَتَلكَّأَتْ عن إنجازِ ما أُنِيطَ بها.. حَذَرًا من الاتّهام.. وهذا الاتّهام.. أَلَيْسَ من جَذْر مادّة الوَهْم وتَراكيبِها؟ كما يَعرفونَ أوثقَ المعرفَة؟!

د - تربية اللغة بالسَّماع

ولٰكنْ بقيَ أيضًا على المُرَبِّينَ وعلى الإعْلامِيِّينَ أنْ يُدْرِكوا أنَّ التَّرْبِيَةَ اللُّغَوِيَّةَ لا تكونُ إلّا بالسَّماعِ الصَّحيحِ الفَصيحِ.. وأنّ رَدْمَ الهُوَّةِ الفاصلةِ بين لُغَةِ الألسنةِ العامّيّةِ، ولغةِ العيونِ القارِئة؛ مُهِمَّتُهُم وَهَمُّهُم في دُورِ الحَضانة ورياضِ الأطفالِ ثمّ في المدارسِ والمعاهدِ وأَجْهِزَةِ الإعلام.. ولا سيَّما في أجهزة الإعلام[1].. وسوف يكونُ رَدْمُ الهُوَّةِ في مصلحةِ الفُصحى والعامّيّاتِ.. والصغيرِ والكبيرِ.. والجميعِ..

هـ - حاجة الحضارة والفكر

فلا يكونُ تَجاهُلُ لِحاجةِ النّاسِ إلى وَضعِ الألفاظِ المُوَلَّدَةِ وَغَيْرِها.. للتَّعْبيرِ عن حياتِهم وحاجاتِهم ومشاعِرِهم، وعن مظاهرِ الحداثةِ والتَّقدُّمِ في شتَّى الأَزْمِنةِ والأمكنةِ.. دونَ التَّفتيشِ عن شواهدَ لها من عصورِ الاحتجاجِ التي لا يُمكنُ أنْ تكونَ قد اسْتَوْعَبَتْ كلَّ ما ستأتي به الأزمنةُ التّاليةُ من تَطوُّرِ البَشَرِ في أَنْشِطَتِهِمْ وأَفْكارِهِمْ وتوسُّعِ علومِهم وفنونِهم.. ولا تُهْدَرُ - في الطَّرَفِ المقابلِ - أنظمةُ التَّركيبِ اللغويّ وقَواعدُه الرّاسخةُ المُؤَسَّسَةُ على تُراثٍ مَكينٍ طَوالَ عُصورٍ وعصورٍ.. فهو نِظامٌ دَقيقٌ عَبْقَرِيٌّ الدِّقَّةِ في طاقاتِه التَّعْبيريَّةِ؛ ولقد خَسِرَتِ العامّيّاتُ الكثيرَ حين

(١) يمكن - للتوسّع - النظر في هذا الموضوع للمؤلّف ذاته في مقال بعنوان: (التّربية اللغويّة والمعجم المدرسي) في مجلّة (المعلّم العربي) الصّادرة في دمشق - العدد الثّاني سنة ١٩٨٦م السّنة التاسعة والثلاثين - الصفحة ٦٩-٧٧. ومقال آخر له بعنوان: (مصادر المعجم المدرسيّ ومراجعه: لمحة تاريخيّة) في مجلّة المعلّم العربيّ أيضًا: العدد السّادس سنة ١٩٨٦م من ص١٠٠ حتى ص١١٣.

تهاوَنَتْ في تَحصيلِ النِّظامِ اللُّغويِّ والنّحْويّ والصَّرْفِيِّ الرّاقي. . لأنّه في رأي العَوَامّ - نظامٌ مُعَقَّد. . ولكنّ الحضارَةَ والثّقافة والمَدَنِيَّةَ تُعَقِّدُ كُلَّ ما يُطْلَبُ منه الدِّقَّةُ في الأداءِ. . ، والأجهزةُ الأرقَىٰ تكونُ أكثرَ تعقيدًا. . وكذلكَ الأداءُ اللغويُّ الأرقىٰ والأدقّ. . ولستُ أعْني أنّ كلَّ مُعقَّدٍ يكون أَرْقَىٰ وأَفْضَلَ، وإنّما الأمرُ على النّقيضِ أحيانًا، فإذا كانتِ التّرقيةُ تؤدّي إلى تَحَمُّلِ شيءٍ من التَّعْقيدِ مِن أجْلِ مَزيدٍ من التّدقيقِ وتحسينِ الأداءِ، فاحتمالُ التّعقيدِ لا بُدَّ لَهُ من أنْ يكونَ احتمالًا مُؤَقَّتًا ريثما يُتاحُ للمُعَقَّدات مُعالِجُونَ مَهَرَةٌ قادرونَ على حَلِّ مُعْضِلاتِ التَّعقيدِ وتسهيلِها وتبسيطها وتَهْوِيْنِها وإزالَةِ صُعوباتها وإقالَةِ عَثَراتِ المُتَعَثِّرينَ بها. . ولْأضربْ مثالًا حِسِّيًّا واقعيًّا من صعوبات مَوَاقعِ حركاتِ الإعرابِ: الرَّفْعِ والنَّصْبِ والْجَرِّ في الأَسْماءِ المُعْرَبَةِ.

و - مثال من: تسهيل النحو

فيمكنُ لِعُلَماءِ التّربيةِ اللغويّةِ أنْ يَحْصُرُوا لِلشُّداةِ من المُبْتَدِئينَ في التَّحصيلِ النّحْويّ والإعْرابيّ مَواقِعَ الْجَرِّ في مَوْضِعَيْنِ اثنَيْن: الجَرّ بالحرف والجرّ بالإضافةِ، ثمّ يَحْصُرون مواقعَ الرّفعِ في سِتّةِ مَواضعَ: المُبْتَدَإ وخَبَرِهِ والفاعِلِ ونائِبِه واسْمِ الفعلِ النّاقصِ وَخَبَرِ الحَرْفِ المُشَبَّهِ بالفعل، ثمّ يُقالُ: بَقِيَّةُ الأسماءِ مَنْصُوبَةٌ، ففي غير مَوْضِعَي الجَرِّ الاثْنَينِ ومَواضعِ الرَّفْعِ السِّتَّةِ لا بُدَّ أن يكونَ الاسمُ المُعْرَبُ مَنْصوبًا. . .

ز - التّربية اللغويّة بالإعلام

ولسْتُ أستطردُ إلى تسهيلِ أبوابِ النّحوِ والصَّرْفِ إلّا لتربية مقاييسِ الصّوابِ والخطإ؛ أمّا التّربيةُ اللغويّةُ الصحيحةُ - التي يُعَوَّلُ عليها في التّربيةِ الفكريّةِ السَّديدة - فتكونُ بالسَّماعِ الصّحيحِ من المُرَبِّي ومن أَجْهِزَةِ الإعلامِ - كما سلَفَ ذكرُه - فالتّربيةُ اللغويّةُ المُجْدِيَةُ تكونُ بالسَّماع. . السَّماعِ الصَّحيحِ الفصيح. . وما أَيْسَرَهُ اليومَ بأجهزةِ الاستماع الرّاقيةِ.

وقِصَّةُ الفِكْرِ العربيِّ ومُشْكلاتُهُ، لها علاقَةٌ مَبْدئيَّةٌ مع قِصَّةِ اللغةِ ومُشْكِلاتِها؛ وهذا أَمْرٌ بَديهِيٌّ من البديهيّات التي اعْتَدْنا أنْ نَتَناساها لِشِدَّةِ بَداهَتِها، ثُمَّ نُسْرِفُ في تناسيها حتّى إنّنا نَصِلُ إلى الضِّدِّ والنَّقيضِ منها، وكذلك يَفْعَلُ جُمهورُ المُتَعَلِّمينَ عِندَنا، فيهملونَ لُغَتَهم وشُؤونَها، ويَتناسَوْنَ أنّ اللُّغَةَ أَساسُ الفِكْرِ وظَرْفُهُ الوحيدُ، فلا تفكيرَ بغيرِ أداتِهِ من الألفاظِ والجُملِ والأساليبِ التَّركيبيَّةِ اللغويّةِ. . وفي إهْمالِها أو إهمالِ تَرْقِيَتِها إهمالٌ لِتَرْقِيَةِ الفِكْرِ، بالإضافةِ إلى إهمالِ ترقيةِ التَّواصُلِ البَشَرِيّ الذي لا سبِيلَ إليه إلّا باللغةِ، وبترقيةِ اللغة؛ فهي التي تُشكِّلُ ميزةَ الكائنِ الإنسانيِّ وطاقَتَهُ المُتَفَوِّقَةَ على الكائناتِ الحَيَّةِ. .

ح - الهدف التّربويّ الرّاقي

وترقيةُ اللغةِ هَدَفٌ يَسْعَىٰ إليه العَديدونَ، ولا سيّما أولئك النُّقّاد الّذين يَتَتَبَّعُوْنَ الغَلَطاتِ اللغويَّةِ

الشّائعةَ. . ولٰكنّهم يبالغون في نقدِهم اللغويِّ حتّى يصلُوا إلى تأليفِ الكُتُبِ الضَّخْمةِ الهائلةِ الحجمِ في موضوعِ هذه الغلطاتِ التي ليسَتْ كلّها غلطاتٍ خطيرةً على اللغةِ ونظامِها وسلامتِها ودقَّتِها ورُقِيِّها. . وتظلّ كُتُبُ النَّقدِ اللغويِّ يُخطِّئ بعضُها بعضًا، كما كانَتْ منذُ القديم. . فتقرأُ، مثلًا، في (شفاء الغليل. . . .) للشّهاب الخفاجيّ[1]: «آذَيْتُه: أذًى، ولا تَقُلْ إيذاءً؛ كذا في القاموس [للفيروزاباديّ] فَظَنَّها من الخطإ، والخطأُ منه؛ وإنّما غَرّهُ سُكوتُ الجَوْهَرِيِّ وهو كثيرًا ما يَتْرُكُ المصادِرَ القياسِيَّةَ لِعَدَمِ الحاجةِ إلى ذِكْرِها؛ وهي صحيحةٌ قِياسًا وَنَقْلًا: أمّا الأَوَّلُ فَلِأَنَّ قياسَ مَصْدَرِ أَفْعَلَ: إفْعالٌ. وأمّا الثّاني فَلِقَوْلِ الرّاغِبِ في مُفْرَداتِهِ والفَيّوميّ في مصباحِه: آذَيْتُهُ إيذاءً. وقد وَقَعَتْ في كلامِ الثِّقاتِ».

قلتُ: أَوْضَحَ د. أميل يعقوب في (معجم الخطإ والصَّوابِ في اللُّغَةِ) سنة ١٩٨٣م ببيروت[2] كثيرًا من مثلِ هذه التَّخْطيئاتِ وَتَصْويباتِها. .

ط - اللغة لتلبية العقل والحياة

وأمّا في (تهذيب المُقَدِّمَة اللغويّةِ للعلايلي)[3] لِ د. أسعد عليّ سنة ١٩٨٥م بدمشق فقد وَرَدَ قَوْلُهُ: «نشوءُ العامّيّةِ: وقد يُرَىٰ عجبًا أنْ أَعُدَّ تَشَدُّدَ اللُّغَوِيِّيْنَ لِلُّغَةِ، هذا التَّشَدُّدَ، جَرَّ إلى نُشوءِ العامِّيَّةِ، أو كان الأَثَرَ الفعّالَ إليها. ولٰكنّي - على ما يُرَىٰ من عَجَبٍ أُوَكِّدُهُ بِصورَةٍ لا تَقْبَلُ الرَّيْبَ. . وذٰلك لِأَنَّ الوَقْفَةَ المُتَزَمِّتَةَ بهذا الشَّكْلِ الذي لا يَكْفَلُ حاجةَ النّاسِ ولا يُعَبِّرُ عن أغراضِهم اليوميّة، وهي لا تَنْفَصِلُ عنهم بحالٍ، أو لا يَتأَتَّىٰ لهم أنْ يَنْفَصِلُوا عنها بِأَيِّ وَجْهٍ، جعلَ العامَّةَ يَهْجُرُونَ تِباعًا هٰذه اللغةَ التي للخاصّةِ رغْمَ أنَّها لغةُ التّشريع والابتهالاتِ، ورغمَ أنّ العامَّةَ لا تَهْجُرُ، عادةً، اللُّغَةَ التي يَتَمَيَّزُ بها الخاصّةُ إلّا لِأَسْبابٍ ماسَّةٍ لها حِدَّتُها وَلَها عُنْفُها، وإلّا فالعامَّةُ من الوجْهَةِ النَّفْسِيَّةِ تَرْغَبُ جِدًّا بهذا النّوعِ من التَّقْليدِ وتَمِيلُ إليه حتّى الفِتْنَةِ. .

فَالِانْصِرافُ الذي نَلْمَسُهُ في العامّيّةِ قد كانَ إذًا لِأَسْبابٍ لا يُحَقَّرُ أبدًا شَأْنُها. وكيف تُحَقَّرُ وقد سَبَّبَت انصِرافًا عامًّا؟».

وَيَحْسُنُ أَنْ نَعودَ إلى الفِقْرَةِ التي سَبَقَتْ هٰذِهِ في المَرْجِعِ السّابق ذاتِهِ فقد وُصِفَت لُغَتُنا الفُصْحَىٰ المُعاصِرَةُ بِـ«جُمودِ اللَّفْظِ في مَعناهُ فلا تَجِدُهُ على شيءٍ من المُرونَةِ كما يَجِبُ أن يكونَ. بل تَشْعُرُ

(١) أحمد الخفاجيّ المِصْريّ، شهاب الدين من سنة ٩٧٧هـ. حتى سنة ١٠٦٩هـ. في: (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدَّخيل) مراجعة: محمّد عبدالمنعم خفاجيّ. ط١ بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ وسنة ١٩٥٢م. ص٤١.

(٢) الدكتور إميل يعقوب في (معجم الخطأ والصّواب في اللغة) ط١ سنة ١٩٨٣م. بيروت.

(٣) د. أسعد عليّ في: (تهذيب المُقدّمة اللغوية للعلايليّ) ط٣ دار السّؤال بدمشق سنة ١٤٠٦هـ وسنة ١٩٨٥م وقد وردت هاتان الفقرتان ص٢٠٢-٢٠٣.

بأنَّهُ يَتَأَرَّحُ[1] على نَفْسِهِ وَيَنْكَمِشُ في طَبيعتهِ. حتّى يعودَ أَشْبَهَ شيءٍ بالحَصاةِ مَهْما تقاذَفَتْها السُّيولُ تبقى كما هي حَصاةً غير مُتَحَوِّلَةٍ شَكْلًا ولا اعتِبارًا. ومن هنا اتَّهَمَ بَعْضُ مُسْتَشْرِقَةِ الإِفْرَنْجِ، اللَّفْظَ العربيَّ بأنّه (إِكْليشّيه) لا أكثر وسَمَّى العربيَّةَ (لغة الإكليشات) وَجَرَّهُ إلى إنكارِ أن يكونَ في العربيّةِ أَدَبٌ بالمعنى الصحيح».

ما رَأْيُ كِبار العُلَماءِ من أَعضاءِ المجَامِعِ اللُّغَوِيَّة؟

ممّا يَراهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الخُضَريُّ من (مَجْموعة خُطَبِ نَدْوَةِ دارِ العُلوم) في مِصْر ص١٢: «المَقْصَد مِن اللُّغَةِ الإبانَةُ والإِفْصاحُ، وَهي مِن وَضْعِ الأَفْرادِ، وَتَتَجَدَّدُ بِتَجَدُّدِ الحاجاتِ.. وَمَتَى ثَبَتَ أنّها تَتَجَدَّدُ بِتَجَدُّدِ الحاجَةِ فالمُحْتاجُ مِنَ المُتَمَسِّكينَ بها إذا عَلِمَ أُصولَها ولَهْجَتَها حُقَّ له الوَضْعُ أو التَّعْريبُ بالضَّرُورَةِ كما كانَ هذا الحقُّ لِسَلَفِهِ».

ويقولُ د. شكري فيصل[2]: «إنّ العامَّةَ بِوَضْعِها المُصْطَلَحاتِ تُقَدّمُ المادَّة الأُوْلى للعُلَماءِ والمَجامِعِ».

ويَرَى أَحْمَدُ حَسَنُ الزَيّات[3] أنّ: «التَزَمُّتَ في الفُصْحَى يُضِرُّ، والتَّسَاهُلَ مع العامِّيَّةِ يُفِيدُ على شَرْطِ أَنْ تَظَلَّ الأُصولُ مَرْعِيَّةً والقَواعِدُ سَليمةً.... ولا بُدَّ مِن قبولِ الشَّائِعِ السَّائِغِ مِمّا تَصْنَعُهُ العامَّةُ على ما فيهِ مِن شائِبَةِ العُجْمَةِ أو مُخالَفَةِ القِياسِ أو تَغَيُّرِ المَدْلولِ، لِأَنَّ اللَّفْظَ متى شاعَ في مَعْنًى أَوْ ذاتٍ صَعُبَ مَحْوُهُ مِنَ الكَلامِ وَطَرْدُهُ مِنَ اللُّغَةِ».

ويُسَجِّلُ عِزُّ الدّين عَلَمُ الدّين التَّنُوخيُّ[4] ما مَضْمُونُهُ: «إنّ الكلِماتِ إذا خُيِّرْنا حِيْنَ وَضْعِها بَيْنَ أَنْ نَأْخُذَ ما أَماتَهُ الزَّمَنُ مِنها وما هو قَيْد الاسْتِعْمالِ، فَلا شَكَّ أَنّنا يَجِبُ أَنْ نَأْخُذَ ما هو حَيٌّ باسْتِعْمالِهِ، وَنَرْفُضَ ما هو مَيّتٌ على رغْمِ فَصاحَتِهِ، إِذْ مِنَ العِنادِ لَعَمْرِي وَضَعْفِ الرَّأْيِ أَنْ نَسْتَبْدِلَ الذي هو مَيّتٌ وَأَدْنَى بالذي هو خَيْرٌ وَأَبْقَى».

عن أحمد أبي سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) ص٧٣ يقول د. طه حسين في كتابِه: (خصام ونقد):

«أدباؤنا الشَّبابُ يتورّطونَ في خطإٍ أيّ خطإٍ حين يظنّونَ أنَّ اللغةَ العربيّةَ الفصحى لا يمكنُ أنْ تصحَّ وأنْ تستقيمَ إلّا إذا اتّخَذَتْ ذاكَ الشّكلَ القديمَ الذي يألفونَهُ في شِعْرِ القدماءِ ونثرِهم في أثناءِ القرونِ الثّلاثةِ أو الأربعةِ الأولى للهجرةِ. وهم حينَ يتورّطونَ في هذا الخطإِ - يَجْحَدونَ التَّطوُّرَ

(١) يتأرّح: في القاموس المحيط: أَرَحَ يَأْرَحُ أُرُوحًا تَقَبَّضَ وَدَنا بَعْضُهُ من بَعْضٍ وتباطأ وَتَخَلَّفَ كَتَأَرَّحَ والقَدَمُ زَلّتْ والعِرْقُ اضْطَرَبَ وَنَبَضَ. والأَرُوحُ المُتَخَلِّفُ عن المَكارِمِ والحَرونُ والتَّأَرُّحُ التباطؤُ والتَّقاعُسُ.

(٢) مجلّة مَجْمَع دمشق المُجَلّد ٤٧: ٣٨٧.

(٣) مجلّة مجمع دمشق المجلّد ٣٢: ١٨٥-١٨٧.

(٤) مجلّة مَجْمَع دمشق المُجَلّد ٢٣: ٣٦٥.

ويَنْسَوْنَ حقائقَهُ الأولى. فلغةُ القَرْنِ الأوّل للهجرةِ لم تكنْ مُطابِقةً كلَّ المُطابقَةِ للغةِ الفرزدق وجرير، واللغة التي أتحدّثُ بها الآن، والتي يتحدَّثُ بها غيري من الكُتّابِ ليست هي اللغةَ التي كانَ يتحدّثُ بها كُتّابُ القَرْنِ الثّالثِ إلى قُرّائِهم. ومعنى هذا كلِّه أنّ حياةَ اللغةِ شيءٌ وجمودَها واستعصاءَها على التَّطوُّرِ شيءٌ آخرُ.

وقد تعرَّضَتِ اللغةُ العربيّةُ الفُصْحى لِخُطوبٍ طوالٍ ثقالٍ حفظَتْها كُتُبُ التّاريخِ ولٰكنّها انتصرَتْ إلى الآن على هذه الخُطوبِ فلم تَمُتْ ولم يُدْرِكْها فتورٌ أو قصدٌ وإنّما قاومَتْ وغالبَتْ وأُتيحَ لها الغلبُ والانتصارُ، فظلَّتْ حيّةً قويّةً مُتَطَوِّرَةً، وظلَّتِ اللهَجاتُ العامّيّةُ ضعيفةً ضئيلةً، لا تَصْلُحُ للأداءِ الأدبيِّ قليلًا أو كثيرًا. وآيةُ ذلك أنّنا لا نعرفُ أَثَرًا أدبيًّا رائعًا خالدًا كُتِبَ في لهجةٍ من هذه اللهجاتِ إلى الآن.

وللُّغةِ الفُصحى مُشكلاتٌ خطيرةٌ ليسَ في ذلك شكٌّ. وقد تنبَّهنا لهذهِ المُشْكِلاتِ منذُ أواخرِ القرنِ الماضي، ولٰكنّا لم نجدْ الشّجاعةَ إلى الآن لحلّها في غيرِ تردُّدٍ ولا تلكُّؤٍ، وإنّما صانَعَ منّا الصّانعونَ، وداوَرَ منّا المُداوِرون، وتركْنا الأمورَ تَمْضي كما تستطيعُ فَعَرَّضْنا لُغَتَنا وأَدَبَنا لشرٍّ عظيمٍ.

ولسْتُ أذكرُ الآنَ من هذه المُشْكِلاتِ إلّا اثنتَيْنِ، كلتاهما خطيرةٌ أشدّ الخطورة. فأمّا أولاهما فهي الكتابةُ العربيّة التي طالبَ النّاسُ بإصلاحِها منذُ أواخرِ القرنِ الماضي فيما أذكرُ دونَ أنْ يظفَرُوا بشيءٍ. والثّانيةُ هي عِلْمُ النّحوِ الذي حاولَ النّاسُ إصلاحَه منذُ أوائلِ القرنِ فلم يظفرُوا بشيءٍ أيضًا.

والأصلُ الذي يجبُ أنْ يتنبَّهَ إليه النّاسُ هو أنّ الكِتابةَ كانَتْ فيما مضى كما كان النّحوُ مَقْصُورةً على قِلّةٍ من النّاسِ، فأصبحَتْ بحُكمِ النُّظُمِ الحديثةِ مفروضةً على الشُّعوبِ كلِّها. كانت ارستقراطيّةً فأصبحتْ ديمقراطيّةً إنْ صحّ هذا التَّعبيرُ. وإذا كانت الأرستقراطيّةُ تستتبعُ الصُّعوبةَ والعُسْرَ والضِّيقَ لأنّها تصوِّرُ الاستئثارَ والاحتكارَ وإقامة الحواجِز والمصَاعِبِ دُونَ ما يستأثرُ به السّادةُ المُمتازونَ، فإنَّ الدّيمقراطيَّة تستتبعُ السُّهولةَ واليُسْرَ وإزالةَ المصاعبِ وتذليلَ العقابِ. وإذا أردْتَ أن تطاعَ فاطلبْ ما يُستطاعُ. ونحنُ نريدُ أن يكونَ الشَّعبُ كلُّه كاتبًا قارئًا. فلْنُيَسِّرْ له الكتابةَ والقراءة حتّى يبلغَ حاجتَه منهما في سعةٍ ودعةٍ وفي يُسْرٍ ولِيْنٍ.

وأنا مطمئنٌّ كلَّ الاطْمئنانِ إلى أنَّ إصلاحَ الكتابةِ العربيّةِ وتيسيرَ النَّحوِ العربيِّ كفيلانِ بإراحةِ الْجِيلِ النّاشِئِ من شبابِنا من هذا العَناءِ الثقيلِ الذي ينوءُ بالكُتّابِ المُعاصِرينَ من شبابِنا الأُدَباءِ الذين تعلّموا اللغةَ العربيَّةَ في أساليبَ لا تلائمُ عقولَهم وأمزجتَهم فلم يُحْسِنوها، ولم يَطْمَئِنُّوا إليها، واضْطَرّهم ذلك آخرَ الأمر إلى ما يَشْقَون به، ويَشْقىٰ به معهم قُرّاؤهم من هذا الإنتاجِ الأدبيِّ الذي يَجْمعُ بين الجَمالِ والقُبحِ، والجودةِ والرّداءةِ، في وقتٍ واحدٍ، ومن هذه الشّكوى التي لا تنقضي من صعوبةِ اللغةِ الفصحى واسْتِعصائِها، ومن هذهِ المُطالبةِ المُمضَّةِ بالالتجاءِ إلى اللهجاتِ العامّيّةِ

وإقامتِها مَقامَ اللغةِ العربيَّةِ الفُصْحى التي تشقى بأساتِذَتِها ومُعَلِّميها.

وأُحبُّ آخرَ الأمرِ أن أَلفتَ أدباءَنا الذين يطالبونَ بالالتجاءِ إلى اللهجاتِ العامّيّةِ إلى شيءٍ خطيرٍ، ما أرى أنّهم قد فكّرُوا فيه فأَحْسَنوا التَّفكير، وهو أنّ اللغةَ العربيّةَ الفُصْحى هي وسيلةٌ للتّعبير وللتّواصلِ الصّحيحِ القَوِيِّ بينَ أقطارِ الوطنِ العربيِّ..

أحقّ الفصيح وأَجْدَرُه بالرّعاية

إذا كانَتْ فِصاحُ العامِّيَّة تُهْمَلُ على فصاحتِها لأنّ العَوامَّ اسْتَعملُوا هذا الفصيحَ فَكَيْفَ تَقْبَلُ غَيْرَ الفَصيحِ وكيفَ يُقالُ إذًا؟:

«فَأَخَذَت[1] المَجامِعُ باقْتراحِ قَبولِ الوَضْعِ مِنَ المُحْدَثينَ، وَقَبولِ السَّماعِ مِنهُم أُسْوَةً بالمُتَقَدِّمينَ، واتَّخذت دَعَواتُ الدّاعينَ إلى خِدْمَةِ لُغَةِ العامَّةِ صِفَتَها الرَّسْمِيَّةَ ونالَتِ الاعترافَ الشَّرْعِيَّ بِها باتّجاه نَظَرِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِمِصْرَ أخيرًا إلى الواقِعِ الحَيَوِيِّ لِلُّغَةِ بِدَعْوَتِهِ على لِسانِ أَحَدِ أعلامِهِ (إلى خِدْمَةِ لُغَةِ العامَّةِ بالخروجِ كُلَّ يَومٍ إلى المَتاجِرِ والمصَانِعِ والمَزارِعِ، وسؤالِ كُلِّ ذي سِلْعَةٍ وَكُلِّ ذي صَنْعَةٍ وكُلِّ ذي آلَةٍ عن اسمِها العامِّ وَاسْمِ كُلِّ جُزْءٍ من أَجْزائِها وَكُلِّ نَوْعٍ من أَنواعِها وَتَدْوينِ كُلِّ ذلك بِأَوْصافِهِ وَصُوَرِهِ)[2]؛ واشْتمالِ تقريرِ إحْدَى لِجانِ هذا المَجْمَعِ (لجنة العامّيّة والفُصْحى) على ما يتضمَّنُ (وجوبَ اسْتقراءِ الألفاظِ والتَّراكيبِ الجاريَةِ على أَلْسِنَةِ العامَّةِ مِنْ أَبْناءِ كُلِّ قُطْرٍ وَتَدْوينها في معاجِمَ خاصَّةٍ للانْتِفاعِ بِها)[3]».

في صِحَّةِ الحَرْفِ صِحّةِ الفِكْرِ

أَوَلَيْسَ في حرفِ الجرِّ يَكْمُنُ الفارقُ بَيْنَ أَنْ تكونَ للخيرِ على الشَّرِّ وَبَيْنَ أَنْ تكونَ على الخَيْرِ للشَّرِّ؟ أَلَيْسَ حرفُ الباءُ هو الفارقُ بينَ أَنْ تُناضِلَ ضِدَّ الفَقْرِ، وبينَ أَنْ تُناضِلَ ضِدَّ الفقيرِ؟

أَلَيْسَ الفارقُ بينَ قَدْرِكَ وبين قَدَرِكَ بِمِقدارِ الفارقِ ما بينَ السُّكونِ على الدّالِ، وبينَ الفَتْحَةِ على الدّالِ نَفْسِها؟

وهلْ خَطَرَ ببالِكَ أَنْ تَرْصُدَ الفارقَ ما بَيْنَ الجَدِّ والْجُدِّ والْجِدِّ؟ وما بينَ البَرّ والبُرّ والبِرّ؟! وبَيْن قولِكَ: رُدَّ الحَجَرَ وقولِكَ: رُدَّ الحَجَرُ؟!

(١) أحمد أبو سعد: ص ٧٤ من مقدّمة: (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة).

(٢) أحمد حسن الزيات: مجلّة مَجْمَع القاهرة؛ المُجلَّد التّاسع ٣٣–٣٥.

(٣) مجلّة مَجْمَع القاهرة، المُجلّد السّابع: ٢٢٩.

وهلْ خطرَ ببالِكَ أنْ تَرْصُدَ الفارقَ ما بَيْنَ حَسَبَ وحَسُبَ وحَسِبَ؟ وبَيْنَ العِلْمِ والعَلَمِ؟

وهلْ خَطَرَ ببالِكَ أن ترصُدَ الفارِقَ ما بَيْنَ الهَوَا وبَيْنَ الهَوَىٰ؟

أَوَكانَ أهلُكَ – لمّا وُلِدْتَ – سَمُّوك والعياذُ باللهِ؟ لا . . بَلْ سَمَّوْكَ (بفتحِ الميمِ الثّانِيةِ وليسَ بِضَمِّها).

وهلَّا فَرَّقْتَ ما بَيْنَ التَّرَبِ وبَيْنَ التُّرْبِ والتِّرْبِ. الأُوْلى بفتحِ الحَرْفَيْنِ. والثّانِيةُ بِضَمٍّ فَسُكونٍ، والثّالثةُ بكسرٍ فسُكونٍ . .

فكيفَ ترى ألا ندقِّقُ حتّى لا نتعبَ؟ وكيفَ تَنْسى أنَّ اللغةَ هيَ الظّرْفُ والأساسُ الوحيدُ الذي لا غِنى عنهُ لأيِّ عِلْمٍ وأيِّ تفكيرٍ وكلُّ شعورٍ إنسانيٍّ عظيمٍ أو صغيرٍ . . .

ومَنْ يستطيعُ أنْ يُفَكِّرَ بأيِّ شيءٍ من غيرِ أن يكونَ لِتفكيرِهِ ألفاظٌ وتراكيبُ لُغَوِيَّةٌ تُعَبِّرُ عنْ هذا التَّفكيرِ وتُشَكِّلُهُ ثمّ تحمِلُهُ إلى طريقِ التَّواصُلِ البَشَرِيِّ . .

والتَّطوُّرُ العَقْلِيُّ الذي يتميَّزُ بِهِ الكائنُ البَشَرِيُّ لا يكونُ بغيرِ اللغةِ وَلِذا عُرِّفَ الإنسانُ بأنَّهُ حَيَوانٌ ناطقٌ . . ومهما نَطَقَتْ أنواعٌ من الحَيَواناتِ بأنواعٍ وأنواعٍ من اللغاتِ وأشباهِ اللغاتِ ممّا اكتشفَهُ العُلَماءُ حديثًا فعرَفُوا أنَّ للنَّملِ لغةً مِنَ المُفْرَزاتِ الكيميائيّة تتفاهمُ بها جُموعُ النَّمْلِ . . وحاولَ العُلَماءُ دراسةَ لُغَةِ الإشاراتِ الكَهْربائيّةِ بينَ بَعْضِ الكائناتِ . . أو لغة الدَّلافِيْنِ والكائناتِ الذَّكيةِ . . ولٰكنّ لهذِهِ الأنواعِ من ذكاءِ الكائناتِ الحيَّةِ حُدودًا لا تتعدّاها، وليسَ لِلُغةِ الإنسانِ مثلُ هذه الحُدودِ، فليسَتِ اللغةُ البَشَرِيّةُ أداةً مُجَرَّدَةً للتَّواصلِ والتَّعبيرِ والإفهامِ فَحَسْبُ . . ولٰكنَّها أيضًا طريقةُ تفكيرٍ . . أيْ إنّها لسانُ العقلِ . . فهيَ عقلٌ وليسَتْ لسانًا فَحَسْبُ.

قالَ كونفوشيوس حكيمُ الصّينِ حين سُئِلَ عَمّا سَيَفْعَلُ لَوْ تَوَلّى إصلاحَ الأمورِ: «إصلاحُ اللغةِ» وسألوه: «لماذا يا حكيمُ»؟ فأجابَ: «ما لم تَكُنِ اللغةُ سليمةً» فالّذي يُقالُ لا يكونُ هو المقصودَ؛ فما يستحقُّ الإنجازَ لا يُنْجَزُ، ولذا فالمهاراتُ والفُنونُ تنحطُّ وتتخلَّفُ، ويقفُ النّاسُ مُضْطَربينَ لا حولَ لهم ولا طَوْلَ أهـ. وأقولُ: إنَّ اختلافَ الأفهامِ في اللغةِ يَنْتُجُ عنهُ أسبابٌ للخُصُوماتِ بينَ البشرِ:

وكَمْ مِنْ عائبٍ قولًا صحيحًا وآفَتُهُ مِنَ الفَهْمِ السَّقيمِ

وما أكثرَ الحروبَ التي نَتَجَتْ عنِ الخِلافِ حَوْلَ تفسيرِ ألفاظٍ أو أحرفٍ في اتِّفاقاتٍ ومُعاهَداتٍ وقَرارَاتٍ وبَياناتٍ دَوْليةٍ . . والشَّواهدُ على ذلكَ معروفةٌ مَرْوِيَّةٌ . .

فهل اللغةُ حركاتُ لسانٍ وأصواتُ أنفاسٍ؟ وَأَهْوِيَةٌ تخرجُ من حَناجِرَ فيها حبالٌ صوتيَّةٌ تخرجُ إيقاعاتٍ تحدِّدُها علومُ الصَّوْتيَّاتِ واللسانيّات؟ أَمْ يكونُ لهذه الصَّوْتِيّاتِ اللسانيّة الفَضْلُ في تحديدِ ميراثِ الفِكْرِ البَشَرِيِّ وتَوْضيحِهِ؟ وفي التّواصُلِ بَيْنَ الأفكارِ والتّوافُقِ بَيْنَ الأدْمِغَةِ إذا ما اتَّفَقَتْ؟! فإذا اخْتَلَفَتْ فباختلافِ الدِّقَّةِ في التَّفسيرِ اللغويِّ العِلْميِّ النّاتجِ عنِ اختلافِ العقولِ، وهو اختلافٌ

خَيّرٌ كريمٌ لأنّهُ يَنْتجُ عنهُ المزيدُ من الأنشطةِ العقليّةِ والبحوثِ والدِّراساتِ الفِكريَّةِ التي تؤدِّي إلى المزيدِ من ثَمَراتِ الأَدْمغةِ الذَّكيَّةِ.

أمّا تعميماتُ الجهلَةِ والمُتَعَصِّبينَ، بلُغَيَّاتهم الفَضْفاضةِ غيرِ العِلْميّة وغيرِ الدَّقيقةِ فِكْرًا ومَنْطِقًا فتنتجُ التَّعَصُّبَ الأعمى في تفسيرِ المعاني المُفْضِيةِ إلى اختلافِ المذاهبِ السِّياسيَّةِ والفِكْريَّةِ، والمَذْهَبِيَّةِ أحيانًا، مع تذويبِ أصولِ التَّفكيرِ العِلْميِّ الدَّقيقِ، واطّراحِ أسبابِ الدِّقَّةِ، والتَّمييزِ بينَ النَّقائضِ، ممّا يوصِلُ إلى سَفْكِ الدِّماءِ أحيانًا وإلى إزهاقِ الأرواحِ وإثارةِ الحروبِ التي يذهبُ ضَحِيَّتَها القادرونَ على إنتاجِ الخَيْراتِ وإنجازِ الحضاراتِ، وكذلكَ يَذْهَبُ ضَحِيَّتَها العُلَماءُ الحقيقيّونَ والمُتَنَوِّرونَ والمَوْهوبونَ والأذكياءُ الذينَ يَخْضَعونَ لِقُوّةِ الأقوياءِ واضْطِهادِ المُتَسَلِّطِيْنَ.. في ظُروفِ الاضْطراباتِ التي تَضْطَرِبُ لها المقاييسُ والقواعدُ الفِكْرِيَّةُ التي تحتاجُ إلى اسْتِقرارِ نُورِ العَقْلِ والمَنْطِقِ.. وصحَّةِ الفِكْرِ السَّليمِ..

أَلَا يَدْفَعُ اختلافُ التَّفسير في اللُّغَيَّاتِ غيرِ العِلْمِيَّةِ آلافًا من المُتحمِّسينَ إلى ارتكابِ أبشعِ الأعمالِ ضدَّ الفِكْرِ السَّليمِ؟ وإنْ وجدُوا لها أحلى العباراتِ وأجملَ التَّفوُّهاتِ وأفصحَ الخطاباتِ، في معاني الاسْتِشْهادِ، وفي الإيثار والتَّضحيةِ، والمعاني التي تُضْفي القداسَةَ على عَصَبِيَّاتٍ جَهْلاء؟!

هذا يذكِّرُني بالصَّداقةِ والْمَوَدَّةِ التي كانَتْ تربطُ بينَ شاعِرَيْنِ مُتَناقِضَيْنِ في... تاريخِ الشِّعْرِ السياسيِّ القديمِ هما: الكُمَيْتُ بنُ زَيْدٍ الأَسْديِّ شاعِرُ الشِّيعةِ في العَصْرِ الأَمَوِيِّ، وشاعرُ العراقِ وشاعرُ العدنانيَّةِ والقَيْسِيَّةِ، وصديقُهُ الوَدُودُ الطِّرِمَّاحُ بنُ حكيمٍ الطَّائيُّ شاعرُ الخوارجِ ألدِّ أعداءِ الشِّيعةِ، وشاعرُ الشّامِيِّينَ، وشاعرُ اليمانيةِ، والطائيُّونَ منسوبونَ إلى أصولٍ يمانيَّةٍ... فسُئِلا: «علامَ اجْتَمَعْتُمَا وتوادَدْتُما وكلُّ ما بينَكُما خلافٌ؟» فأجابا: «اجتمعنا على بُغْضِ الْجَاهِلِيْنَ من العامَّةِ»، وهما يقصدانِ حتمًا تحقيرَ المُتَعَصِّبِيْنَ والمُتَشَدّدينَ من الذين ﴿يُحَرِّفُوْنَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ السورة ٤ النساء الآية ٤٦، والسورة ٥ المائدة/ الآية ١٣.

إنَّ سوءَ العَلاقَةِ بَيْنَ المُتخالِفِينَ مِنَ النّاسِ إذا لم يَكُنْ بسببِ تَنَاقُضِ المَصالِحِ المادّيَّةِ فلا بدَّ لهُ أنْ يكونَ بسببِ إساءةِ الفَهْمِ، وإساءةُ الفَهْمِ هلْ يكونُ إلّا إساءةَ فَهْمِ اللُّغَةِ.. وكذلكَ صحَّةُ الْفَهْمِ وصحَّةُ العقلِ مِنْ صِحَّةِ اللغةِ..

وَلٰكِنْ تَأْخُذُ الْأَلْبابُ منها عَلَىٰ قَدْرِ القَرائِحِ والفُهُومِ

هل يَجِدُ العربيُّ لُغَتَهُ

لسْتُ أقصدُ إلى التَّصادُمِ قَصْدًا. وإنَّما الصَّدْمَةُ في هذا العنوانِ بنتيجةِ الحسابِ الفِكْريِّ

للبديهيّاتِ وتَسَلْسُلِها كالتّالي:

أليسَ من البديهيّاتِ المُسَلَّمِ بها أنَّ لوجودِ الفِكْرِ أساسًا لا غناءَ عنهُ ولا بديلَ لهُ؛ ألا وهوَ اللغةُ؟! أليسَتِ اللغةُ أساسَ الفكرِ؟؟ فلا يمكنُ لإنسانٍ ما أنْ يفكِّرَ إلّا بوساطةِ العباراتِ اللغويّةِ، ولا يصحُّ أنْ يَعملَ التفكير عملًا مجرَّدًا من الألفاظِ اللغويّةِ ذاتِ المعنى.؟!

وأنَّ الفكرَ يَرْقى بِرُقِيِّ اللغةِ، لهذا السَّببِ، ويَنْحَطُّ بانْحطاطِها؟

وأنَّ مِنَ المُسَلَّمِ في عصرِنا أنَّ النَّهضةَ الفِكْرِيَّةَ واللغويَّةَ للعربِ في العصورِ الحديثةِ قد بدأَتْ منذُ قرْنَيْنِ ونيِّفٍ؟ ولٰكنَّها ما تزالُ حتّى اليوم نهضةً مقصّرةً عن بلوغِ المُستوى المَنْشودِ لبلوغِ الرُّقيِّ العِلْمِيِّ الذي سُبِقْنا إليهِ في هذا العَصْرِ، وما كنّا نُسْبَقُ إليهِ في عصورٍ مَضَتْ؟

وأَنَّ هناكَ علاقةً لا تُنْكَرُ بينَ ضَعْفِ الرُّقيِّ العِلْمِيِّ والفِكْرِيِّ وبَيْنَ ضَعْفِ الرُّقيِّ اللغويِّ؟ ضَعْفًا مُنْتَشِرًا بَيْن مُثقَّفِيْنا؟!

وأنَّ هذا الضَّعفَ اللغويَّ الواضحَ الذي لا يُنكَرُ ولا يَحتاجُ إلى دليلٍ يَتمثَّلُ في مظاهرَ عديدةٍ وتدلُّ عليهِ شواهدُ واضحةٌ لا تحتاجُ، في وضوحِها، إلىٰ مُؤَيِّداتٍ من الإحصاءِ؟ هذا معَ أنَّ عنايةَ علمائِنا القدماءِ باللغةِ كانَتْ في عصورِ تفوُّقِ أجدادِنا الثَّقافيِّ، عنايةً نادرةَ المثيلِ بَيْنَ اللغاتِ..

وأنَّ الكثيرين مَن المُتَعَلِّمِينَ وحَمَلَةِ الشّهاداتِ العُليا عندَنا يوصَفونَ بِقِلَّةِ الإقبالِ على القراءَةِ والمُتابَعَةِ الثَّقافيّةِ بعدَ التَّخرُّجِ والانْصِرافِ إلى الحياةِ العَمَليّةِ؟ لأنَّ مَتاعبَ الحياةِ لا تَتْرُكُ لهمْ مجالًا لمتاعبِ القراءةِ والمطالعةِ والمُتابَعَةِ، كما يقولونَ.. وقد كانوا يعانون من متاعبِ تفسيرِ ما في الكُتُبِ خلالَ فترةِ الدِّراسةِ.

فما في الكتابِ العربيِّ يحتاجُ القارئُ العربيُّ إلى تفسيرِهِ إذا لم يكنْ هذا القارئُ شديدَ الوُلوعِ بالمُطَالَعَةِ مُدْمِنًا عليها، لأنَّهُ يجدُ لغةَ الكُتُبِ ليسَتْ لُغَيَّتَهُ الأمَّ التي رضعَها معَ لَبَنِ الأمِّ، والتي يفْهَمُها الإنسانُ فَهْمًا فِطْرِيًّا سليقيًّا ولأنَّ تربيةَ الفِطرةِ اللغويّةِ الحقيقيّةِ تكونُ قبلَ سنِّ السّادسة، وأطفالُنا لا يسمعونَ شيئًا من اللغةِ الفصيحةِ قبلَ السَّادسةِ. ولذلكَ تظلُّ تتردَّدُ على الألسنةِ هذهِ الشَّكوىٰ الدّائمةُ من صُعُوبةِ اللغةِ الفصيحةِ، ومنْ شِدَّةِ العناءِ الذي يُلاقيه كثيرونَ من القُرّاءِ وقد يُلاقيه الكثيرونَ من الكُتّابِ أيضًا.

حتّى تسرّبَ أو يكادُ يتسرّبُ جَهْلُ مُثقَّفِينا باللغةِ، إلى عَدَدٍ منَ المُخْتَصِّين بها أو بدراسَتِها أو تدريسِها أو العَمَلِ في اللسانيّاتِ (أو الأَلْسُنِيَّةِ) أو تنظيرِها أو ضَبْطِها، أو تحقيقِ نصوصِ تُراثِها لِتأصيلِها! ولٰكنْ أينَ هيَ اللغةُ التي تنافِسُها في أَصَالةِ تُراثِها بَيْنَ اللُّغاتِ الحيَّةِ اليومَ؟ وأينَ هوَ التُّراثُ الذي يجدُ بَيْنَ المُخْتَصِّينَ بهِ مَنْ يَعْملُ في تأصيلِه أو تحقيقِهِ أو تَنْظيرِهِ، عَمَلًا يتَّسِمُ بضَعْفِ الأداةِ اللغويّةِ لِفِكْرِهِ؟ فيخلو عملُهُ، بالضَّرُورةِ، مِنَ النَّجاحِ، ومِنَ الأصالةِ والتَّأصِيلِ، وفاقدُ الشَّيْءِ لا يُعْطيهِ؟

وإذا ألقيْنا نَظْرةً على ما نُشِرَ ويُنْشَرُ في مَجلّاتِ المَجامعِ العِلْمِيَّةِ اللغويَّةِ العربيّةِ في هذهِ الموضوعاتِ وأشباهِها، فإنَّنا نُدْرِكُ سعةَ انتشارِ المُشْكِلَةِ وعُمْقَها، وشُمُولَها وتعقُّدَها ولا نحتاجُ إلى الإحصاءاتِ شواهدَ وأدلّةً. . ومتى احتاجَ وُضوحُ الشَّمسِ في كَبِدِ السّماءِ الصّافيةِ ضُحًى إلى دليلٍ؟!

وكذلكَ إذا ألقيْنا نَظرةً إلى كُتُبِ (الأخطاءِ اللغويّةِ الشّائعةِ) وضخامتِها وإلى التَّناقُضاتِ فيما بينَ آراءِ مُؤَلِّفِيْها. . وما أكثرَهم. . وما أضخمَ مُؤلَّفاتِهم وما أَجَلَّ خَدَماتِهم في النَّقدِ اللغويِّ، والتي لا أريدُ أنْ أُنْكرَ فائدتَها التَّربويّةَ، ولاسيّما مَنْ أحسنُوا التَّفريقَ ما بَيْنَ الخطيئاتِ الأساسيَّةِ المُؤَثِّرةِ في صُلْبِ النِّظامِ اللغويِّ، وبَيْنَ الغَلطاتِ التي يمكنُ أنْ تُفَسَّرَ بأنَّها تطوُّرٌ مَجازِيٌّ أو تنويعٌ يمكنُ التَّسامحُ به إذ لا خُطورةَ منهُ على أُسُسِ بنيانِ نظامِ التَّركيبِ اللغويِّ وهو بنيانٌ ثَبَتَ ويَثْبُتُ لأشدِّ الهزّاتِ عُنفًا فلا خوفَ عليهِ.

فأنا لا أنكرُ ولا أنتقصُ من جهودِ مُؤَلِّفي (الأخطاءِ اللغويّةِ المعاصرةِ)، ولا مِنْ جَلالِ قِيْمتِها وقَدْرِها، وإنَّما أريدُ أنْ أُشيرَ فقط إلى مقدارِ ضخامةِ الْجُهودِ المَبْذُولَةِ في عصرِنا لِتَرقيةِ لُغَتِنا ثمَّ أسألُ؟

أليسَ مِنَ التَّناقُضِ الواضحِ أنْ تَكْثُرَ الشَّكوى من الضَّعْفِ اللغويِّ لدى مُثَقَّفِينا، بالرّغمِ من هذهِ الجهودِ التي تُبذَلُ والطّاقاتِ التي تُهْدَرُ لإكسابِهِمْ لُغَتَهُمُ الصَّحيحةَ الفَصِيحَةَ؟ وأكثرُهم يَعْتَرِفُونَ بأنَّ ضَعْفَ أداتِه اللُّغويَّةِ ليسَ بِسَبَبِ عَدَمِ إيمانِهم بأنَّ اللغةَ هي الأداةُ الوحيدةُ للفِكْرِ، وأنَّ ضَعْفَ الأداةِ اللغويّةِ لا بدَّ أنْ يُسَبِّبَ، بالضّرورةِ الحتْميَّةِ، ضَعْفَ الفِكْرِ، ويُمْكنُ أنْ تدلَّنا الأرقامُ والإحصاءاتُ على صِحّةِ ما نُحسُّ به جميعًا، ونتحدَّثُ فيهِ الآنَ دونَ أنْ نقومَ إلى عَدِّهِ وإحصائِهِ، وإنْ كانَتِ الإحصاءاتُ تَدُلُّ على أنَّ ما يَتَلَقَّاهُ طالبُ العِلمِ العربيُّ في مراحلِ الدّراسةِ الابتدائيّةِ والثّانويّةِ من دروسِ اللُّغةِ العربيّةِ وحِصَصِها وساعاتِها، يَزيدُ على مِقْدارِ ما يتلقّاهُ أبناءُ اللغاتِ الأخرى كافّةً، ثمَّ تكونُ حصيلتُهُ اللغويّةُ أقلَّ ممّا يحصِّلُ أبناءُ اللغاتِ الأخرى أيضًا. . فَيُدْعَمُ الاتِّهامُ بأنَّ العربيّةَ صعبةٌ عسيرةُ التَّحصيلِ، معَ أنَّ النَّظرةَ العِلْمِيّةَ إلى اللغاتِ وقواعدِها لا تؤيِّدُ هذا الاتِّهامَ وقد يصحُّ نقيضُه أحيانًا، فالطَّاقاتُ التَّوليديَّةُ والتَّنظيميَّةُ التي تختصُّ بها العربيّةُ في النّظامِ الموسيقيِّ الصَّرْفيِّ، مَثَلًا، ممّا يُعتَرَفُ لها بنُدْرَةِ المثيلِ بينَ اللغاتِ في المَقْدِرَةِ على التَّنظيمِ العِلْميِّ، والتّدقيقِ الفَنِّيِّ المُناسِبِ للتَّعبيرِ الصَّحيحِ السَّهْلِ المناسبِ عنْ أغراضِ الفكرِ والعِلْمِ والحضارةِ والتَّقدُّمِ، يَعرفُ ذلكَ عُلَماءُ عِلْمِ اللغاتِ المُقارَنِ، ممَّنْ جرَّبُوا الصِّينيَّةَ واليابانيّةَ والألمانيّةَ والفرنسيّةَ والإنكليزيّةَ والكُوريَّةَ وغيرَها، وممّن لا يَدفَعُهم حبُّ الأباعدِ الجارفِ، فهواهم كمثلِ هوى ذلكَ الذي سُئِلَ: ما بلغَ من حبِّكَ لمعشوقَتِكَ؟ فأجابَ: إنّي لأَرى شُعاعَ الشَّمسِ على حائِطِها أجملَ منهُ على حائطِ جارَتِها!

أمّا المَدْفُوعون بالأَهْواءِ فقدْ وَجَدُوا مِنَ الزَّعْمِ بصعوبةِ العربيّةِ ما يفيدُهمْ لِيَقُومُوا بالعَزْفِ على أوتارِ العامّيّاتِ، وهؤلاءِ يشغلونَنا ويُضيِّعُونَ علَيْنا الوقتَ والْجُهدَ والطَّاقَةَ التي تُنْفَقُ على مِثْلِ هذا (العَزْفِ) دونَ أنْ يُوصِلُونا إلى نتيجةٍ مفيدةٍ في أرضِ الواقعِ الحقيقيِّ، وعلى ذلكَ أرجُو ألّا يظنَّنا

ظَنّانٌ أنّنا ندعو إلى مُحاربَةِ أنصارِ العامّيّاتِ ولا إلى تأييدِهم، فنحنُ لسْنا أعداءَ التّجارِبِ أبدًا. . ولٰكنَّنا نريدُ لهمْ ألَّا يَنْسَوْا أنَّ دقَّ الماءِ وطَحْنَهُ تجارِبُ مجرَّبةٌ قبلَهم، وأنَّكَ لا تَجْني مِنَ الشَّوْكِ العِنَبَ، فمتى رأَوْا عِلْمًا أو فِكْرًا أو رُقِيًّا أو حضارةً يُعبَّرُ عنها بِمِثْلِ هذه العامّيّاتِ؟ ومتى ينتهي أنصارُ التّربيةِ اللغويّةِ العامّيّةِ من تجريبِ المُجرَّبِ، والذي ظلَّ طوالَ ألفِ عامٍ يُجرَّبُ، فلا تكونُ نتيجةُ التّجربةِ إلّا ﴿كالتي نقَضَتْ غَزْلَها من بعدِ قُوَّةٍ أَنْكاثًا﴾ النّحل سورة ١٦، الآية ٩٢. وهذِهِ التي نَقَضَتْ غَزْلَها قِيْلَ إنّها امرأةٌ حمقاءُ مِنْ مكّةَ كانَتْ تغزلُ طولَ يومِها ثمَّ تَنْقُضُهُ. . ونحنُ نتعلَّمُ العامّيّاتِ طولَ مَرْحَلَةِ السَّماعِ اللغويِّ الطُّفوليِّ الفِطْريِّ السَّليقيِّ. . ثم يُقالُ لنا في المدارسِ: هذهِ لغةٌ فاسدةٌ فانقُضُوها لِتقرؤوا في الكُتُبِ ولِتَكْتُبُوا. . . الخ. .

التَّدقيقُ اللغَوِيُّ يوجِّهُ نحوَ الفِكْرِ العِلْميِّ الحَضاريِّ المُترقِّي

في تَطَوُّرِ العباراتِ اللُّغَوِيَّةِ تَطَوُّرًا لَفْظِيًّا ومَعْنَوِيًّا يَقَعُ خلالَ الاستعمالِ على تَطاوُلِ الأزمنةِ واتّساعِ الآمادِ وتباعُدِ المسافاتِ وترامي أطرافِ الأقطارِ التي انْتَشَرَتْ فيها لُغَتُنا وخلالَ تنقُّلِها في الأمكنَةِ والأزْمِنَةِ أو تنقُّلِها بَيْنَ الفُصْحى والعامّيّةِ أو العامّيّاتِ، وبَيْنَ الحقيقةِ والمَجَازِ؛ ما يُصِيْبُ العبارةَ من التَّغَيُّراتِ وَمِمّا يَجْعَلُ الصِّفاتِ تَتَقارَبُ، بتداخُلِ المَعاني، حتّى يَكادَ يَصعُبُ التَّفريقُ بيْنَها والتَّمييزُ بَيْن ما سُمِّيَ خَطَأً بالمُترادِفاتِ، وهيَ مِن عُيوبِ مُعجمِنا العربيِّ ومِنْ ميزاتِهِ، وَلَعَلَّ كَثْرَةَ التّطوُّراتِ المجازيَّةِ والصُّوَرِ البيانيَّةِ ممّا أدّىٰ إلى ضَياعِ الفُروقِ الدّقيقةِ فيما بَيْنَ المُترادِفاتِ؛ باختلافِ الألفاظِ واتّفاقِ مَعانيها بِالتَّلاقي فيما بَيْنَ المَعاني حتّى نَظُنَّ الصِّفاتِ المُتَخالِفَةَ مُتَرادِفاتٍ!. وهكذا عَدُّوا للسَّيفِ كذا عددًا من مئاتِ الأسماءِ المُترادِفَةِ التي كانَتْ في أصلِها صفاتٍ، وكذلك عَدُّوا للنَّاقَةِ ولِلْأَسَدِ و. . الخ حتّى جاءِ أَحْمَدُ أَمِيْنُ في النِّصْفِ الأَوَّلِ من قَرْنِنا العِشْرين يَقولُ ما مَعناهُ: وماذا يَنْفَعُنِيْ من هذه المُترادِفاتِ؟ لِمُسَمَّيَاتٍ بَدَوِيَّةٍ لا أَحتاجُ إلَيها، وأَحْتاجُ إلى اسمٍ لِكُلِّ جُزَيْءٍ من جُزَيْئاتِ الطّائِرَةِ الحَدِيْثَةِ فلا أَجِدُ؟!!

فَتَطَوُّرُ الصِّفاتِ نَحْوَ تَكْوِيْنِ المُتَرادِفاتِ يُنْقِصُ المَقْدِرَةَ على التَّدْقيقِ اللُّغَوِيِّ فَتَنْقُصُ القُوَّةُ العِلْمِيَّةُ والحضَارِيَّةُ لِلُّغَةِ وهذا هو المَحْذورُ الذي وقعَ فيه مُؤَلِّفُوْ المُعْجَمِ العَرَبِيّ الحَديثِ، بِسَبَبِ اضْطِرارِهِمْ إلى الاخْتصارِ والإيجازِ؛ فكانَ إيجازًا مُخِلًّا غَيْرَ وافٍ كما كانَ إيجازُ الفَيْروزاباديّ في (القاموسِ المُحيطِ)، إلى أنْ شَرَحَهُ الزَّبيديّ في (تاج العروس. .).

وقد يَحْدُثُ العَكْسُ أحيانًا فَتَتَخَصَّصُ المُترادِفاتُ كلٌّ منها بِمَعْنًى مُعَيَّنٍ وهذا هو التَّطَوُّرُ الأَفْضَلُ لِأَنَّهُ يُؤَدّي إلى التَّدْقِيقِ في تَقْيِيدِ المَعْنَى، كَقَوْلِهِمْ: البُهْتانُ بِمَعْنَى الكَذِبِ، وَلٰكِنْ لا يَكونُ الكَذِبُ بُهْتانًا إلّا إذا كانَ في المُواجَهَةِ وَجْهًا لِوَجْهٍ ﴿فَبُهِتَ الذي كَفَر﴾ السورة ٢ البقرة الآية ٢٥٨.

ما الفصيح؟

– (هَلِ انْزَعَجْتَ لمّا رُحْتُ إلى البَيْتِ وَخَبَّطْتُ على الشُّبّاكِ قُدّامَكَ؟ أم أنت مَبْسُوطٌ لذٰلِكَ يا بابا؟! . .).

قالها طِفْلٌ مِن أَطْفالِ الرَّوْضَةِ ذاتِ الحِوارِ الفَصيحِ لِأَبِيْهِ؛ فالْتَفَتَ الأَبُ إِلَيَّ يَقولُ: لا أَكادُ أَسْمَعُ وَلَا أَرَىٰ وَلَدي إلّا وهو يَسْتَعْمِلُ الأَلْفَاظَ العامّيّة ويُحَرِّكُها – فَقَطْ – بِحَرَكاتِ التَّشْكيلِ الفَصيحِ فَتَظلُّ عَامّيّةً . . عامّيّة . . فلماذا لَمْ تَعلِّمُوهُ – يا أُسْتاذَنا – أَنْ يكونَ فَصِيحًا فيقول: (أَزُعِجْتَ إِذْ ما ذَهَبْتُ إلى المَنْزِلِ وَقَرَعْتُ النَّافِذَة أَمامَكَ؟ أم سَرَّكَ ذلكَ يا أَبَتِ؟!). أَلَمْ تَسْمَعْ – يا أُسْتاذَنا – بِخَبَرِ العالِمِ الصَّدِيْقِ فُلانٍ الذي حَفَّظَ طِفْلَهُ ابْنَ الرَّابِعَةِ الشِّعْرِ الجاهِلِيِّ مِن مِثْلِ تِلْكَ القَصِيدَةِ المَعْرُوفَةِ لِلْفِنْدِ الزِّمّانِيِّ في حَرْبِ البَسُوسِ والتي أَوْرَدَها أبو تَمَّامٍ ثانِيَةَ قَصِيدَةٍ في (حَماسَتِهِ) وَمَطْلَعُها:

صَـفَـحْـنـا عَـنْ بَـنِـيْ ذُهْـلٍ وَقُـلْـنـا الـقَـوْمُ إِخْـوانُ

وَيُرْوَى: صَفَحْنا عَن بَنِي هِنْدٍ . . .

فَسَأَلْتُهُ: وَمَا اعْتِراضُكَ على فَصاحَةِ كَلِماتِ طَفْلِكَ المَحْروسِ؟ سَلَّمَهُ اللهُ!؟

فقالَ: أَرْجُو أَنْ تُعْطِيَنِيْ شاهِدًا مِمَّا يُحْتَجُّ به وَمِمَّنْ يُحْتَجُّ بِكَلامِهِم، مِن عُصورِ الاحْتجاج؛ علىٰ فَصاحَةِ كلٍّ مِن العِباراتِ: انْزَعَجَ وَراحَ والبَيْتِ وَخَبَّطْتُ والشُّبَّاك وقُدَّام وَمَبْسُوْط وبابا. وَلَنْ أَكْتَفِيَ بِأَنْ تَقولَ: إنّها وَرَدَتْ في المُعْجَمِ!

فَقُلْتُ: لَيْسَ ذٰلِكَ مِن حَقِّكَ ولا يُمْكِنُكَ أَنْ تُحَجِّرَ اللُّغَةَ وَتَحْصُرَها فيما وَصَلَنا مِن الشَّواهِدِ؛ فَلَا تَقْبَلُ كَلِمَةً إلّا إذا قالَها شاعِرٌ بَدَوِيٌّ مَعْرُوفٌ في البَداوَةِ – وأَهْلُ الحَضَرِ لا يُحْتَجُّ بِكَلامِهِمْ لأَنَّهم خالَطُوا الأَعاجِمَ – فَالاحْتِجَاج في أَغْلَبِهِ علىٰ صِحَّةِ قَواعِدِ النَّحْوِ والصَّرْفِ وَآلاتِ اللُّغَةِ وَأَنْظِمَتِها التي قَعَّدُوها وَنَظَّمُوها وَتَخالَفُوا فِيها فَاحْتَكَمُوا إلى نُصوصِ هٰؤلاءِ الأَعْرابِ على صِحَّةِ ما قَعَّدُوا وَأَنْظِمَةِ ما نَظَّمُوا، ولَيْسَ على حَصْرِ كلِّ لَفْظَةٍ من أَلْفاظِ اللُّغَةِ حَصْرًا لا يَقبَلُ أَيَّ تَغَيُّرٍ أو تَطَوُّرٍ يُؤَدِّي إليه مَبْدَأُ القِياسِ ومَبْدَأُ الاشْتِقاقِ اللُّغَوِيِّ ومَبْدَأُ المَجازِ والاسْتِعَارةِ والكنايَةِ وهي مَبادِئُ بُنِيَتْ عليها اللُّغَة.

أ– انزعج

وَلْأَبْدأ مَعكَ مِن الفِعْلِ الخُماسِيِّ: انْزَعَجَ، على وَزْنِ: انْفَعَلَ، فَانْظُرْ إلىٰ ما قالَ فيه الخليلُ بنُ أحمدَ الفَراهيدِيُّ مُؤَلِّفُ أَوَّلِ مُعْجَمٍ في لُغَتِنا: (كِتاب العَيْن) وَقَدْ وَرَدَ قَوْلُهُ في مُعْجَمِ أَحْمَدَ بْنِ فارِسٍ (مَقايِيْس اللُّغَةِ) فَتَجِدُوهُ يَرْوِيْ في: ز ع ج: «. . قالَ الخليلُ: ولو قِيْلَ: انْزَعَجَ؛ لَكان صَوابًا». وَيَزيدُ ابنُ مَنْظورٍ في (لِسانِ العربِ): «. . قالَ: ولو قيلَ: انزعجَ وازْدَعَجَ لَكانَ قِياسًا». ولذٰلِكَ فإنّك تَجِدُ في مُقَرَّرَاتِ المَجامِعِ اللُّغَوِيَّةِ اليومَ مثلَ ذلك، وأَخُصُّ بِالذِّكْرِ منها مَجْمَعَ القاهرةِ؛ أي:

باسْتكمالِ الأوزانِ والصِّيَغِ النّاقصةِ من كُلِّ جَذْرِ مادَّةٍ ثُلاثِيَّةٍ حينَ الاحْتِياجِ إلى هٰذا؛ فقد كانَ العلماءُ منذُ القديمِ يَرْفُضونَ قولَ بعضِ المُتَشَدِّدينَ: لم يَرِدْ على وَزْنِ كَذا إلّا كَذا وكذا! فيُقال لهم: وَمَنْ جَمَعَ لكم اللُّغَةَ في طَبَقٍ فَأَحْصَيْتُموها عدًّا؟! وقد كانَ القُدَماءُ يَقولونَ للرُّواةِ: لم يَصِلْكُمْ مِن كلامِ العَربِ وَشِعْرِهِم إلّا أَقَلُّ مِن القليلِ؛ ولو جاءَكُم وافِرًا لَجاءَكُمْ عِلْمٌ وَخَيْرٌ كَثير.

ب - المبسوط

أمّا المَبْسُوطُ: المَسْرُوْرُ فَشاهِدُهُ مَعْرُوفٌ في الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: (فاطِمَةُ بِضْعَةٌ مِنّي يَبْسُطُنِيْ ما يَبْسُطُها وَيَقْبِضُنِي ما يَقْبِضُها)، وهو شاهَدٌ مَذْكورٌ في أَكْثَرِ المُعْجَمات، أَو المَعاجِم، القَدِيْمَةِ التُّراثِيَّةِ مِنْها بِخاصَّةٍ، وَلَعَلَّ تَقْصِيرَ بَعْضِ المَعاجِمِ الحَدِيْثَةِ غير (المعجم المدرسي) لأبي حَرب في شَرْحِ مَعْنَى: بَسَطَهُ: سَرَّهُ، جَعَلَكَ تَظُنُّها عامِّيَّةً..

ج - خَبَّط

وَالفِعْلُ خَبَّطَ الرُّباعِيُّ مَزِيدُ الثُّلاثيُّ بِتَضْعيفِ عَيْنِهِ: فَعَّلَ، ذَكَرَهُ عَبْدُالواحِدِ اللُّغَوِيُّ[1] عن قُطْرُبٍ في كِتابِهِ (الأَضْدادُ في كَلامِ العَرَبِ) وَقَدْ كانَ المُؤَلِّفونَ المُعْجَمِيُّونَ عِيالًا على أَمْثالِ قُطْرُبٍ وَعَبْدِالواحِدِ يَأْخُذُونَ مِن مِثْلِ هٰؤلاءِ الرُّواةِ المَادَّةَ اللُّغَوِيَّةَ لِتَأْلِيْفِ المُعْجَمِ العَرَبِيّ، فَإِذا أَغْفَلَ المُعْجَمِيُّونَ صيغَةَ فَعَّلَ، فَقَدْ كانَتْ أَمامَهُمْ في نَصِّ عَبْدِالواحِدِ عن قُطْرُبٍ: «..وكُلُّ شَيْءٍ ضَرَبْتَهُ بِيَدِكَ فَقَدْ خَبَطْتَهُ وَخَبَّطْتَهُ وَتَخَبَّطْتَهُ..».

د - قُدّامي

والقُدَّامُ في (القاموسِ المُحيط): «قُدَّام: كَزُنَّار ضِدُّ وَراء».

وَفِي القُدَّامِ تَجِدُ بَعْضَ التَّطَوُّرِ فِي أَصْلِ مَعْناها مُنْذُ وُرُودِها في الشِّعْرِ الجاهِلِيّ حَتّى اسْتِعْمالِها بِمَعْنَىٰ أَمَام في شِعْرِ هاشِمِ الرُّقاشِيّ:

قَدَّمْت قَبْلِي رِجالًا ما يَكُوْنُ لَهُمْ   فِي الْحَقِّ أَنْ يَلِجُوا الْأَبْوَابَ قُدَّامِي

وَكَذٰلِكَ كانَ اسْتِعْمالُها لَدَى الجَاحِظِ وَغَيْرِهِ في حِيْنِ أَنَّكَ قَدِيْمًا تَجِدُها في (لِسان العرب) في قَوْلِ مُهَلْهِلٍ:

إِنّا لَنَضْرِبُ بِالصَّوارِمِ هامَهُمْ   ضَرْبَ القُدارِ نَقِيْعَةَ الْقُدَّامِ

وَيُفَسَّرُ القُدّامُ هاهُنا بالمَلِكِ وَالقِدِّيْمِ الذي يَتَقَدَّمُ النّاسَ فَهُوَ المُتَقَدِّم؛ أَو: جَمْعُ قادِمٍ مِن سَفَرٍ،

(١) ص ٢٦٠ – ٢٦١ من ج١ من كتاب أبي الطَّيِّب عبد الواحد بن عليّ اللغويّ الحلبيّ المُتوفّى سنة ٣٥١هـ. (كتاب الأضداد في كلام العرب) من مطبوعات المجمع العلميّ العربيّ بدمشق سنة ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م. تحقيق د. عزّة حسن.

ثُمَّ تَطَوَّرَتْ بالاسْتِعْمالِ. . .

وَحِيْنَ اسْتَعْمَلَ القُدَّامَ في عَصْرِنا الشّاعِرُ المُهاجِرُ إِيليا أَبُو ماضِي في قَصِيدَةِ (الطَّلاسِمِ) فقال:

وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قُدّا مِيْ طَرِيقًا فَمَشَيْتُ

وَلَحَّنَها وَغَنّاها د. مُحَمَّدُ عَبْدُ الوَهّابِ الفَنانُ العِمْلاقُ ظَنّ (قُدّامِي) مِنَ الضَّعْفِ والعامِّيَّةِ التي قيلَ إِنَّها تَلْحَقُ شِعْرَ هٰؤُلاءِ المُهاجِرِيْنَ إلى العالَمِ الجَدِيْدِ؛ فَاسْتَبْدَلَ بِها (أَمامِي) في غِنائِهِ؛ فَأَفْسَدَ الوَزْنَ العَرُوْضِيَّ الإِيْقاعِيَّ لِلتَّفْعِيْلَةِ الثّانِيَةِ في مَجْزُوءِ الرَّمَلِ؛ وَلَوْ تَرَكَها (قُدّامِي) لَكانَتْ أَصَحَّ وَأَدَقَّ إِيْقاعًا.

هـ - بابا

وأَمّا: بابا ففي (القاموس. .) و(اللسان. .): «بَأْبَأَ الصَّبِيُّ: قالَ بابا. .» وَوَرَدَتْ في أَغْلَبِ المُعْجَماتِ أَوِ المَعاجِمِ؛ وَجاءَتْ في شِعْرِ العَبّاسِ بْنِ الأَحْنَفِ الْمُتَوَفَّىٰ سنة ١٩٢هـ في قَوْلِهِ:

تُنادِيْ كُلَّما رِيْعَتْ مِنَ العِزَّةِ يا بابا

وَمِثْلُ العَبّاسِ بْنِ الأَحْنَفِ مِنَ الذينَ كانُوا بُعَيْدَ عَصْرِ الاحْتِجاجِ يُسْتَأْنَسُ بِشَواهِدِهِمْ في كُلِّ مُعْجَمٍ، وَلَا يُسْتَغْنَى عَنْ ذِكْرِها، وَإِنْ لَمْ يَقْطَعُوا بِالاحْتِجاجِ بِأَقْوالِهِمْ. .

و - راح

أَمّا فِعلُ الرَّواحِ فَمُسْتَعْمَلٌ بِمَعْنى المَسِيْرِ والذَّهابِ في أيِّ وَقْتٍ مِن لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ مُنْذُ القَدِيْمِ؛ فَقَدْ تَوَسَّعُوا في اسْتِعْمالِهِ وَلَمْ يَقْصُرُوْهُ عَلَى المَسِيْرِ في العَشِيِّ فَقَطْ كَما تَعْرِفُ؛ وَقَدْ نَصَّ الزَّمَخْشَرِيُّ في (أَساس البَلاغَة) على: «راحُوا إِلىٰ بُيُوتِهِمْ رَواحًا».

ز - المنزل والبيت

وأمّا (البَيتُ)، فهذا النِّسْيانُ مِنْكَ، وَتَفْضِيلُكَ المَنْزِلَ عَلَيْهِ؛ بِسَبَبِ كَثْرَةِ انْشِغالِكَ - وَاعْذُرْنِي - بِمَنازِلِ الأَحْبابِ وَآثارِ الدِّيارِ في مَطالِعِ القَصائِدِ الجاهِلِيَّةِ في الوُقُوْفِ عَلَىٰ أَطْلَالِ مَنازِلِ الرّاحِلِيْنَ، وَهٰكَذا. . حَتَّى نَسِيْتَ أَنَّ البَيْتَ وارِدٌ كَثِيرًا في الشِّعْرِ الجاهِلِيِّ والقُرْآنِ الكَريم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للناس. .﴾ السورة ٣ آل عمران الآية ٩٦.

ح - الشّبّاك

والشُّبّاك - يا عزيزي - مَوْجودٌ في الْمُعْجَمِ العَرَبِيّ. . وإذا كانت النّافِذَةُ يَنْفُذُون مِنْها في بُيوتِ الوَبَرِ، فالشُّبّاك؛ كما في قَول ابن منظور في (لسان العرب): «اسْمُ لِكُلِّ شَيْءٍ كالقَصَبِ المُحَبَّكَةِ التي تُجْعَلُ على صَنْعَةِ البَواري. . والشُّبّاكَةُ واحِدَةُ الشَّبابِيكِ وهي المُشَبَّكَةُ مِنَ الحَديدِ. والشُّبّاكُ: ما وُضِعَ مِنَ القَصَبِ وَنَحْوِهِ على صَنْعَةِ البواري، فَكُلُّ طائِفَةٍ منها شُبّاكة. . . والشُّبّاكُ كَالشَّبَكَةِ؛

قال الرّاعي:

أو رَعْلَةٌ مِن قَطا فَيْحانَ حَلأَّها   مِن ماء يَثْرِبَةَ الشُّبّاكُ والرَّصَدُ».

ط - وقد يؤذي في الحُبّ الحبيبُ

وَأَنْتَ تُحِبُّ هٰذِهِ اللُّغَةَ حُبًّا شَديدًا فَتُرِيدُ لها أَنْ تَتَحَجَّرَ بالرَّغْمِ مِمّا وَسَّعَهُ اللهُ فيها، وَتَغارُ عَلَيْها فَتَخْنُقُها، فَيَنْطَبِقُ عَلَيْكَ قَوْلُ المُتَنَبِّي:

وَقَدْ يُؤْذِيْ مِنَ الحُبِّ الحَبِيْبُ

عَفْوًا.. ما قالَهُ المتنبّي:

وَقَدْ يُؤْذِي مِنَ المِقَةِ الحَبِيْبُ.

وَفَسَّرُوا المِقَةَ بِالحُبِّ فَرَوَيْتُهُ مُفَسَّرًا مُيَسَّرًا صَحِيحًا وَزْنًا ومَعنًى.

ي - جاهليّة القرن الحادي والعشرين

ثُمَّ إِنَّكَ لا تُرِيد لِطِفْلِكَ أَنْ يَقْتَصِرَ على الفَهْمِ والتَّواصُلِ مَعَ لُغَةِ الجاهِلِيَّةِ!؛ وَأَنْ تَحْصُرَ عَقْلَهُ وَلِسانَهُ في داخِلِ جاهِلِيَّةِ القَرْنِ الحادي والعِشْرِينَ الذي سَيَسْتَقْبِلُهُ وَتَسْتَقْبِلُهُ مَعَهُ - إِنْ شاءَ اللهُ تعالَى - بَعْدَ سَبْعِ سَنَواتٍ فَقَطْ.

ك - لا حُكْمَ للفردِ على اللغة

وَهَلْ أُذَكِّرُكَ بِأَنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتحَكَّمَ وَتَحْكُمَ في اللُّغَةِ كَمَا تُرِيْدُ أَنْتَ؛ فانْظُرْ إِلَيْهِمْ حِينَ اتَّخَذُوْا اسْمَ البَيْتِ مُنْذُ نُشوءِ اللُّغَةِ، لِأَنَّهُمْ يَبِيْتُونَ فيه، أَو العَكْسُ، اتَّخَذُوا الفِعْلَ: باتَ، مِنَ البَقاءِ فِي البَيْتِ... واتَّخَذُوا اسْمَ المَنْزِلِ مِنَ النُّزُولِ بِالمَكانِ.. فَهَلْ يَحِقُّ لَنا أَنْ نَسْأَلَ لِماذا لَمْ يَتَّخِذُوا اسْمَ المَصْعَدِ لِلْمَكانِ الذي يَسْكُنُونَهُ من قِمَّةِ الجَبَل مَثَلًا؟ فَيَصْعَدُون.

ر - أَماتُوا الفعل وَدَعَ: فبقي حيًّا

مِن أَجْلِ المَبِيْتِ فيه؟ وَهَلْ سَنُحَقِّقُ مَعَهُمْ لِأَنَّهُمْ تَرَكُوْهُ؟ كما كانَ حَقَّقَ وحقّق بَعْضُ قُدَماءِ النُّحاةِ كَسِيْبَوَيْهِ[1] مَعَ الذينَ اتُّهِمُوا مِنَ الفُصَحاء بِأَنَّهُمْ أَماتُوا الفِعْلَ الماضيَ (وَدَعَ) بمعنى: ترك؛ على أَنّ

(١) يَرَى سِيْبَوَيْهِ أَنَّ ماضِي (يَدَعُ) لَمْ يُسْتَعْمَلْ، وَذٰلِكَ فِي (الكِتابِ ٢/ ٢٥٦) وَوَجَدْتُ ابْنَ مَنْظُورٍ فِي (لِسانِ العَرَبِ) يَنْقُلُ مِنْ مَصادِرِهِ الخَمْسَةِ المَعْرُوفَةِ أَقْوالًا كَثِيرَةً مُضْطَرِبَةً فِي مَنْعِ اسْتِعْمالِ الماضِي والمَصْدَرِ وَاسْمِ الفاعِلِ مِنْ (وَدَعَ) وَيَنْقُلُ القِراءاتِ في الآيَةِ ﴿ما وَدَعَكَ﴾ فِي السورة ٩٣: الضحى الآية ٣ ثم يَنْقُلُ بَيْتَ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِي أَوْ مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْ رِوايَتِهِ مَعَ نِسْبَتِهِ لِأَنَسِ بْنِ زُنَيمٍ اللَّيْثِيِّ أَيْضًا، ثُمَّ فِي رِوايَةٍ مُقارِبَةٍ لِسُوَيْدِ بْنِ أَبِي كاهِلٍ.

وابن منظور مُحَمَّدُ بنُ مُكَرَّمٍ بن علي... الخَزرجي الأنصاريّ الإفريقي المصري ذكر في مقدمة (لسان =

ابن منظور في (لسان العرب) يرى في إحيائه «مراجعة أَصْل» وكما في الشّواهد التي أشارَ إليها الفيّوميُّ أيضًا . . في (المصباح المنير) ومنها قول أبي الأسود الدُؤَليّ وهو من أوائلِ واضِعي عِلم النَّحو، وقد نُسِبَ البَيْتُ أيضًا إلى بعض شُعَراءِ الْجاهليّةِ: في (لسانِ العرب):

ليتَ شعري عن خليلي ما الذي   غـالَـهُ فـي الـحـبِّ حـتـى ودَعَـه

وأعجب للفيروزاباديّ من الذينَ زَعَمُوا في (القاموس المحيط) أنّ الماضي وَدَعَ مُماتٌ ثمّ نَسَبَ القراءةَ مخفَّفةً إلى الرّسولِ - ﷺ!!.

وفي عامّيّةِ دمشقَ اليومَ يُستعملُ الماضي والمصدرُ واسمُ الفاعل من هذا الفعلِ الذي زَعَمُوا أنّه أُمِيْتَ. . استعمالًا يوميًّا فاشيًا مُنْتَشِرًا أوسعَ الانتشارِ كما تعلم. . .

وإنَّكَ لا تعدُّ العبارةَ من الفصيح إلّا إذا وردَتْ في نصٍّ ممّا وردَ عمَّن يُحتجُّ بكلامِهم، فهل كان معنى الفصيحِ محصورًا في عصرٍ من العصور؟ وما أصلُ معنى الفصيح؟

ش - فِصْح الفَصيح

خُذْ مادّةَ الْجَذْرِ ف ص ح من الْمُعْجَمِ العربيِّ، ولْيَكُنْ من (اللسان. .) و(القاموس. .) و(أساس البلاغة. .) وقبل ذلك من (مقاييس اللغة) لابن فارسٍ، فهو ابنُ بَجْدَتِها:

«الفاء والصّاد والحاء أصلٌ يدلُّ على خُلوصٍ في شَيْءٍ؟ ونقاءٍ من الشّوب: من ذلك: اللسانُ الفصيحُ: الطّليقُ. والكلامُ الفصيحُ: العربيُّ.

والأَصْلُ: أفصحَ اللبنُ: سكنَتْ رغوَتُهُ. وأَفْصَحَ الرَّجُلُ: تكلّمَ بالعربيّة وفصُحَ: جادَتْ لغتُهُ حتّى لا يَلْحَن. . .

وحكى: أفصحَ اللبنُ فهو فصيحٌ، إذا أُخذَتْ عنه الرّغْوةُ قال:

وتحتَ الرَّغوةِ اللبنُ الفصيحُ».

وفي (اللسان. .): «الفصاحة: البيان. . فهو فصيحٌ من قومٍ فصحاءَ وفِصاحٍ وفُصُحٍ. . وفَصُحَ اللبَنُ وأَفْصَحَ. . قال نَضْلَةُ السُّلَميُّ:

رأَوْهُ فـازْدَرَوْهُ وهـو خِـرْقٌ   ويَـنْفَـعُ أهـلَـهُ الـرَّجُـلُ الـقـبـيـحُ

فـلـم يَـخـشَـوْا مَـصَـالَـتَـهُ عـلـيـهـم   وتـحـتَ الـرَّغـوةِ الـلـبَـنُ الـفـصـيـحُ

=العرب) أنَّه جمعه من كتب اللغة الخمسة المشهورة. وهي: (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري إسماعيل بن حمَّاد أبو نصر. و(تهذيب اللغة) للأزهري محمد بن أحمد أبي منصور. و(المحكم والمحيط الأعظم) وابن سِيْدَه الأندلسي علي بن إسماعيل أبي الحسن. و(النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير الجزريّ المبارك بن محمد أبي السعادات. و(الجمهرة في اللغة) لابن دريد محمد بن الحسن الأزدي. وحواشي الشيخ عبدالله بن بَرِّي، أبي محمد على (صحاح. .) الجوهري.

ويُروى: اللبنُ الصَّريحُ. والرّغْوةُ بالضمّ والفَتْح والكَسْر.

وأَفصَحَ الصُّبْحُ: بدا ضَوْءُهُ وبانَ... وأَفْصَحَ الرَّجُلُ من كذا: إذا خرجَ منه».

والزّمخشريُّ في أساسِ البلاغةِ يتّفقُ مع ابنِ فارسٍ في المعنى الأصليِّ والمعنى المَجازيِّ، وقليلًا ما يتّفِقان كما في مادّة هذا الجذرِ الذي يَبْدَأُ فيه الزَّمَخْشَرِيُّ بقوله: سقاهم لَبَنًا فَصِيْحًا وهو الذي أُخِذَتْ رغوتُه أو ذَهَبَ لِباؤُه وخَلَصَ منه، وفَصُحَ اللبَنُ وأَفصَحَ وفَصَّحَ، وأفْصَحَتِ الشّاةُ: فَصُحَ لبنُها.

ومن المَجازِ: سَرَيْنا حتّى أفصحَ الصُّبحُ.. وهذا يومٌ مُفْصِحٌ وفِصْحٌ: لا غيمَ فيهِ ولا قُرّ.. وأَفْصَحَ العَجَمِيُّ: تكلّم بالعربيّةِ. وفَصُحَ: انطلقَ لسانُه بها وخَلَصَتْ لُغَتُه من اللُّكْنةِ. وأفصحَ الصَّبِيُّ في مَنْطِقِه: فُهِمَ ما يقولُ في أوّلِ ما يَتَكلّمُ... وأفصحَ عن كذا: لَخَّصَهُ.. وفلانٌ يتفصَّحُ في مَنْطِقِهِ إذا تكلّفَ الفَصاحةَ. وله مالٌ فصيحٌ وصامتٌ، قال:

وقد كُنْتُ ذا مالٍ فصيحٍ وصامِتٍ   وذا إبِلٍ قد تعلمين وذا غَنَمْ.

ففصاحةُ الكلامِ والفصاحةُ لغيرِ اللبَنِ صفةٌ مَجازيَّةٌ لَدى الزَّمخشريّ، ولم يشترطوا فيها غيرَ البيانِ وتجنُّبِ اللحنِ و....

في المسائل الخلافيَّة

في اللغة

قَدِيمًا قالوا: في هٰذه المَسْألةِ وَجْهان، أو قيل في ذلك قَوْلانِ، وَقَدِيمًا أَلَّف أبو البَرَكاتِ ابنُ الأَنْباري (الإنصاف في مسائِلِ الخلاف) وحدّثنا ابن هشام في (مُغْني اللبيب) عن أحَدِ أسبابِ وَفاةِ سِيْبَوَيْهِ من خِلافِهِ مَعَ الكِسائيّ على (المَسْأَلَةِ الزّنبوريَّةِ) الشَّهيرةِ التي خَلَّدَ شاعِرٌ قِصَّتَها أو مَسْأَلَتَها الخِلافيَّة... ولٰكنَّ ذلكَ الخلافَ مَحْسُومٌ مُنْذُ القديم لِصالحِ شهيد الزَّنْبوريَّة فقد كَتَبَ ابنُ هشام سِتَّ صَفَحاتٍ كبارًا في (مغني اللبيب..) في بَيانِهِ صِحَّةَ رَأْيِ سِيْبَوَيْهِ فقد دَفَعَ عُمرَهُ ثَمَنًا لِرَأْيِهِ فَكَأَنَّهُ كوفِئَ بَعْدَ مَوْتِه!.

أمّا في أيامِنا هٰذِهِ فَنَحْنُ نَجِدُ مَن يَخْشى العَواقِبَ فَيَرْفُضُ كُلَّ خِلافٍ أو يطلبُ قَمْعَهُ ومنعَه بالقُوَّةِ مَثَلًا، كأنَّ ذلك ليس مُسْتَحيلًا!، أو كَأَنَّ في إمكان مَلك القوّة المَنْعُ المُطْلَقُ، أو كَأَنَّ القُوّةَ لا تُعَجِّلُ بالعَواقِبِ غَيْرَ الحَضارِيَّة ذاتها التي كانت مصدر الخِشْيَة من الخلاف والدافع إلى منع الخلاف. مع أنَّ الخلافاتِ في الميادين الثّقافيّة قد يَنْتُجُ عنها من النَّشاط الثَّقافيّ والبحث العِلْمِيّ والتَّنقيب عن الحقائق؛ ممّا قد يعود بالخير في غالبِ الأحيانِ ولا يكونُ الخلافُ العقليُّ أو الثّقافيُّ مُضِرًّا إلّا إذا اتَّخذَ المُتخالِفون وسائلَ غيرَ إنسانيَّةٍ أو غيرَ حَضارِيَّةٍ أو غيرَ عَقْلِيَّةٍ أو غيرَ نَزيهَةٍ في التَّسابُق إلى فَرْض

الآراءِ مَثَلًا! . هذا في الخِلافات الثّقافيّة عُمومًا . فإذا انْتَقَلْنا إلى خُصوصِيَّةِ الخلافِ في الاجْتهاداتِ اللغويّة فلعلَّنا نَحْتاجُ إلىٰ أن نُميِّز بين الخلاف على أَنْواعٍ مُعَيَّنَةٍ من الاجْتِهَاداتِ أو الآراءِ . . ولعلَّ هُناكَ مِنَ الخِلافات اللُّغويَّةِ ما هو مُضِرٌّ وما هو نافِعٌ وما هو قليلُ الْجَدْوى . . فَمِنَ الاخْتلافاتِ المُضِرَّة الاختلافُ في تحديدِ معاني المُصْطَلَحاتِ الرّياضيّة والعِلْمِيّة، فعلينا أنْ نَخْضَعَ فيها لما يُقِرُّه اتِّحادُ المَجامِعِ العِلْمِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ بعْدَ أنْ يكلِّفَ العلماء المُتَخَصِّصين أن يَبْحَثُوا ويجهدُوا جهدَهُم في تقصّي الأَصحّ أو الأَنْسَب . . . أمّا آراء الأفراد واجتهاداتهم فلا يمكنُ أنْ تكونَ أكثرَ من اقتراحاتٍ تُقَدَّمُ إلى المَجامِعِ، وقد تنجحُ بعضُ تلكَ الاقتراحاتِ من غيرِ قرارٍ مَجْمَعِيٍّ في بعض الأحيان وخصوصًا في غِيابِ المجامعِ واشْتدادِ حاجةِ المُخْتَصّين، كما نجحَ الذي اشتقَّ اسم علمِ الفيزياء على غرارِ اصْطلاح القُدماءِ علم الكيمياء، ولعلّه الأستاذُ المرحومُ عزُّ الدينِ عَلَمُ الدينِ التَّنوخيّ . . . فعلينا أنْ نتعلَّمَ منه إذًا ألّا ننام مُسَلِّمين الأُمورَ إلى مَسْؤولين مَجْمَعِيّين نُحَمِّلُهم عبء اللغة والعِلم والثّقافة، وهو عبءٌ يقعُ على الجماعةِ لا على الأفرادِ، كما قلنا سابقًا، فَلِكُلِّ عَقْلٍ عِلْمِيٍّ أو لُغَوِيٍّ دَوْرُه، ولِلْمَجامِعِ أو عليها الاسْتفادةُ من العقولِ جميعًا والتّنسيقُ بَيْن الأزهارِ كافَّةً وتوجيهُ الرّياحِ والنّسائمِ كلِّها في الاتّجاهات المُفيدَة أقصى فائدةٍ مُمْكِنَةٍ في رِعايةِ حديقةِ اللغةِ أو بُنيانِ صَرْحِها العِلْميِّ والفَنِّيِّ والحَضَاريِّ أفضلَ بُنيانٍ مُمْكنٍ . .

ولا يُيْئِسنا أنْ يصادفَ ألّا نَطْرَبَ من قرارِ أحدِ المجامعِ مثلًا كقرارِ مَجْمَع دمشقَ بتسميةِ الرِّداءِ المَشْقوقِ من الخَلْفِ بالفَرّوجِ، كما جاءَ في مُعْجَمِ أحمد رضا: متن اللغة[1] وفي كتاب العدنانيّ (معجم الأخطاء الشّائعة)[2] فهذا قليلٌ نادرٌ، ولا يعجبُنا؛ من بينِ كثيرٍ كثيرٍ يعجبُ ويفيدُ ويَبْني لُغَةً وحضارةً، والكمالُ ليسَ من صفاتِ المجامعِ.

هذا على أنَّ مَجْمَعَ دمشقَ اعتمدَ على ما جاءَ في قديمِ المُعْجَماتِ وكُتُبِ اللغةِ. كما في (لسان العرب) لابنِ منظورٍ و(القاموس المحيط) للفيروزاباديّ وفي (تاج العروس من جواهر القاموس) للزّبيديّ.

«والفَرّوج؛ كتنّور: قَميص الصَّغير، وقيْلَ هو قِباءٌ فيه شَقٌّ من خلفِهِ وفي الحديث، «صلّى بنا النّبيُّ - ﷺ - وعليه فَرّوجٌ من حَريرٍ» والْجَمْعُ الفَراريجُ. والفَرّوجُ فرخُ الدّجاجِ، وهو الفَتِيُّ منه، ويُضَمّ؛ لغة فيه».

(١) ص ٣٧٧ من المُجلّد الرّابع من (مُعْجَم مَتْن اللغة) تأليف الشّيخ أحمد رضا العامليّ في خمس مُجلّدات ط١. بيروت سنة ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م، وذكر في مقدّمة المعجم من المُجلّد الأوّل ص١١٨ في الرقم ٩٢ مما عرّبه المجمع العلمي العربي بدمشق: سُترة «هو قِباء فيه شقّ من خلفِه، وضعَ لها المَجْمعُ كلمةً عصريةً هي (فَرّوج)».

(٢) محمد العدناني: (معجم الأخطاء الشائعة) ط٢ مكتبة لبنان. بيروت سنة ١٩٨٠م ص١١٥ الفقرة ٤٥٩ بعنوان: السُّتْرَةُ.

ويزيد ابنُ منظور في اللسان:

ويُقال: دجاجةٌ مُفْرِجٌ أيْ ذاتُ فَرارِيجَ.

التُّراثُ بَيْنَ التّقديس والتّخييس

فَمِنَ البِديهيّات المعروفة، والتي اعْتَدْنا أنْ نَتَنَكّرَ لها أو نتناساها، لِمَلَلِنا من كثرة من يعرفونها أنّ نظرة التّقديس إلى التُّراث تُسِيءُ إلى قيمته العِلْميّة، وتؤدّي إلى ما تؤدّي إليه النّظرة المُضادّة لها... من التَّخْييس.. وإليكم مثالًا من تحديد أمكنة الأعلام الْجُغرافيّة الشّهيرة في (مُعجم البُلدان)[1] لياقوت الحَمَويّ أشهر علّامة في الجغرافيا أو الجغرافية[2]، وأفتح لا على التَّعْيين، وأقرأ في:

«الدَّهْناء:... قال أبو منصور: الدّهناء من ديار بني تميم معروفة.. قال: وهي سبعة أَجْبُل من الرّملِ في عَرْضها، بين كلّ جَبَلَيْن شقيقة، وطولها من حزن يَنْسوعة إلى رمل يبرين، وهي أكثر بلاد الله كَلَأً مع قِلّة أَعداءٍ ومياه، وإذا أَخْصَبَتِ الدَّهْناء رَبَّعتِ العرب جمعًا لِسعتها وكثرة شَجَرِها.. وقال الهيثمُ بنُ عَدِيّ: الوادي الذي في بلاد بني تميم ببادية البَصْرة في أرض بني سَعْد يُسَمّونه الدّهناء، يمرّ في بلاد بني أسد فيُسَمّونه منعج ثمّ في غطفان فيسمّونه الرُّمَّة، وهو بَطْن الرُّمَّة الذي في طريق فيد إلى المدينة، وهو وادي الحاجر، ثمّ يمرّ في بلاد طيّئ فيسمّونه حائل، ثمّ يمرّ في بلاد كلْب فيسمّونه قراقر، ثمّ يمرّ في بلاد تَغْلِب فيسمّونه سُوَى، وإذا انتهى إليهم عطف إلى بلاد كلب فيصير إلى النّيل ولا يمرّ في بلاد قوم إلّا انصبّ إليهم كلّها؛ هذا قول الهيثم...».

قلت: فهل يمرّ هذا الوادي من بادية البصرة حتّى يصير إلى النّيل؟!.

وأفتح (معجم البلدان) مرّة أخرى فأقرأ:

ولبنانُ جبل مُطِلٌّ على حمص يجيءُ من العرج الذي بين مَكّة والمدينة حتّى يتّصل بالشّام، فما كان بفلسطين فهو جَبَل الحَمَل، وما كان بالأُرْدُنّ فهو جَبَل الجليل، وبدمشق سَنِير، وبحلب وحماه وحمص لبنان ويتصل بأنطاكية والمصّيصة فيُسمّى هناك اللُّكّامَ ثمّ يمتدُّ إلى مَلَطْيَة وسُمَيْساط وقالِيْقَلَا إلى بَحْر الخَزَر فيسمّى هناك القَبْق، وقِيْل: إنّ في هذا الجبل سبعين لسانًا لا يعرف كلّ قوم لسان

[illegible]

الآخرين إلا بِتَرْجُمان، وفي هذا الجَبَل المُسَمّى بلُبنان كورة بحمص جليلة وفيه من جميع الفواكه والزّروع من غير أن يزرعَها أحدٌ».

الأَبَأُ أم القَبَق؟ أم الكَبَك؟

ممّا في ذاكرتي الطُّفوليّة عن الأيّام الشّاميّة وبُيُوتاتها التّليدة: الأبأء والقبئ.. وكان لفظه بالألِف المهموزة اليابِسة وبالقاف وبالكاف أيضًا...

كان (الأبأء) عيدانًا مَنْسُوجة في شَكْل صينيّة كبيرة مُسَدَّسة أو مُسْتَدِيْرة تُرْبَط أطراف إطارها بِحِبَالٍ لتُوضَع فيها أطباق الطَّعام المَطْبُوخ وَتُعَلَّقُ عاليًا في وَسَط أَرْضِ الدِّيار العربيّة المَكْشُوفة بَيْن أعالي أغصان شَجَرها، حتّىٰ يَبْرُد الطَّعام لَيْلًا فلا يَفسُد الطّبيخ البائت، قَبْل اخْتراع البرّاد أو الثّلاجة الكهربائيّة ولم تكنْ في الأباء من عِلَّة سِوى أنّ القِطَط كانت تَسْتَغِلّ فُرصَة نَوْم أهلِ الدّار لِتَقْفِز بَيْن الأَشْجار قَفَزَاتٍ واسعة حتّى تَقَع بِثِقْلِها على الأبأ فَتَقْلِبه لكي يَنْسَكِب الطَّعام من أطباقه فتخطف القِطَط اللحم منه وتَفرُّ بها.. فَيَسْتَغْني أهل الدّار عن الأبَاءِ ويَسْتَعملون المِكَبَّةَ من قشّ القَصَب يُغَطُّون بها صِحاف الطّعام التي يَضَعونها في الطَّبَق وحَوْلها الماء يَجْري من (البَحْرَة) التي في وَسَط الدّار فيُكْسِبها بُرودة وحِمايةً من هَجَمات القِطَط..

ولأنّ هذا الأباء كان من المُحْتَمل أن يُصْنَع من القَصَب فأظنّ أنّ له علاقة بالأباء: القَصَب كما في المُعْجم العربيّ (كالقاموس.. واللسان.. والتّاج..) فَهُم يَبْدؤون مَعاجِمَهم بمادّة الْجَذْر: أ ب أ: «(الأباءة:.. القَصَبَة)»: أو هو أَجَمَة الحَلْفاء والقَصَب خاصّة. جَمْعُه أباء.

وأَصْلُه في صِحاح الجوهريّ أبايَة... فكأنّها أَبَتْ وامْتَنَعَت على سالكها.

وأَبَأْته بِسَهْم: رَمَيْتُه به.

(القبق في مُستدرك التّاج جبل بباب الأبواب لا في تخوم أذربيجان. والقَبِقَة كَفَرِحة التي صُوفها لبد).

قلت: هل نقل إلينا اسْتعمال القبق من جبل القبق؟

أمّا الكَبَك فلم أَجِدْها ولم أَجِدْ مادّة الْجَذْر: ك ب ك: إلّا عند البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط):

«ك ب ك: الكَبَكَة: خَشَبَة مُثَقَّبَة تُعَلَّق إلى السَّقْف يُجعَل عليها صُحون الطّعَام. عامّيّة.. ج كبكات».

ولم أَجِدْها في كُتُب العامّيّة والفِصاح بالهمزة ولا بالقاف ولا بالكاف!.

أ

أَبَّ وقَبَّ

أَبَّ الوَلَدُ في وَجْه الأَبِ صائحًا[1] فجاوَبه الأَبُ:

(فجأةً وبالصّوت العالي تَؤُبّ؟ (لَيْش): [أيْ: لأيِّ شَيْءٍ؟] وعَلامَ يا وَلَدِي تَؤُبّ؟ ومَنْ أبَّ على الأَب فهل يَكْسِبُ رضا الرَّبّ؟) (وهكذا أبّ الوَلَدُ عن الأَرْضِ ذِراعًا). هكذا يُقال في العامّيّة.

وفي (لسان العرب) لابن منظور[2]: أ ب ب وكذلك في (القاموس المُحيط) للفَيْروزاباديّ «أَبَّ: صاحَ... وأَبَبْتُ أَؤُبُّ: إذا عَزَمْتَ على المَسِيرِ وتَهَيَّأْتَ.. فَأَبَّ إلى وَطَنه يَؤُبُّ أَبًّا وأَبابَةً وإبابَة: نَزَع. وأبَّ للسّيْرِ يَئِبُّ ويُؤُبُّ: تَهَيّأَ. وتَأَبَّبَ به تَعَجَّبَ وتَبَجَّحَ... وأبَّ يَدَه إلى سَيْفِهِ: رَدَّها لِيَسُلَّهُ... وأبَّ: هَزَمَ بِحَمْلَةٍ لا مَكْذُوبَة فيها. وأَنْشَدَ لِهِشامٍ أخي ذِي الرُّمَّة:

وَأَبَّ ذو المَحْضَرِ البادي إبابَتَهُ
وَقَوَّضَتْ نِيَّةٌ أطْنابَ تَخْييمِ»

ولأحمد بن فَارس في معجم (مقاييس[3] اللغة) أنّ للمضاعَفِ: أَبَّ أَصْلَيْن: «أحدُهُما للمَرعَى والآخر لِلْقَصْد والتَّهيُّؤِ.... وقال الخليل وَحْدَه: أَبَّ هذا الشَّيءُ؛ إذا تَهَيَّأَ واستَقامَتْ طريقتُه: إبابَةً وأبابَة؛ وأنشد للأعشى:

صَرَمْتُ ولم أَصْرِمْكُم وكصارمٍ
أَخٌ طوَى كَشْحًا وأَبَّ لِيَذْهَبا».

ويَسْتَدْرِكُ الزّبيديّ[4] في (تاج العروس من جواهر القاموس): «أَبَّ؛ إذا حَرَّكَ، عن ابن الأعرابيّ؛ وائْتَبَّ: إذا اشْتاق».

وأحمد رضا العامِلِيّ، الذي صرّح في مُقدّمة كِتابِه (رَدّ العامّيّ إلى الفصيح) قائلًا: «أَكْثَرُ ما ذَكَرْتُه من العامّيّ إنّما هو من اللَّهْجَة التي أسمعها كلَّ يومٍ؛ بل كلّ ساعة، وهي لَهْجَةُ جَبَلِ عامِلَة وساحلِ دمشق وما يليه من سُفوح لبنان»: فَيَبْدَأُ في هذا الكتابِ بِقَوْله: «تقولُ العامّة: أَبَّ، وأَبَّ يَرْكُضُ يَئِبّ أَبًّا [وَيؤُبُّ]. إذا ذهب يَشْتَدُّ عَدْوًا».

قُلْتُ وهذه أيضًا من المَعاني الوَارِدَةِ في كُتُب اللُّغةِ والتُّراثِ و(المعَاجِمِ أو المُعْجمات) التُّراثيّة والمُحْدَثَة.

قُلْتُ: ولٰكنْ لا ننسَ أنّ الأَلِفَ اليابِسَةَ أو المَهْمُوزَةَ في أَوَّلِه يُمكنْ أنْ تكونَ مُنْقَلِبَةً عنِ

(١) في القاموس المُحيط للفيروزاباديّ: ج و ب: «وتجاوَبُوا: جاوَبَ بعضُهم بَعْضًا. ط. الخامسة: مصطفى محمّد ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م. والفيروزاباديّ: مُحمّد مَجْد الدّين بن يعقوب بن محمّد بن إبراهيم بن عمر الشّيرازيّ: من ٧٢٩هـ حتى ٨١٧هـ؛ ومن ١٣٢٩م حتى ١٤١٥م.

(٢) لابن منظور جمال الدين الأنصاريّ المصريّ: (لسان العرب) ط. دار صادر ودار بيروت: لبنان سنة ١٩٥٥م. وفاته ٧١١هـ = ١٣١١م.

(٣) لأحمد بن فارس بن زكريا وهو أبو الحُسين وتُوُفّي سنة ٣٩٥هـ: (معجم مقاييس اللغة) تحقيق عبدالسّلام محمّد هارون سنة ١٣٦٦هـ. طبعة: طهران.

(٤) محمّد مُرتضى الزّبيديّ المُتوفّى سنة ١٢٠٥هـ = ١٧٩١م. طبع معجمه: (تاج العروس..) ط١ في القاهرة سنة ١٣٠٦هـ = ١٨٨٩م. ويُطبَعُ الآن في الكويت طبعة مُحقّقة.

القاف كما في كثيرٍ من لَهجاتِ المُدُن، ومادّة ق ب ب كثيرة التَّراكيبِ في المُعْجَمِ العَرَبيِّ التُّراثيِّ فأتخيَّرُ ما يُناسِب أو يُقاربُ من (لسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس..):

«قَبَّ القَوْمُ يقِبّونَ قَبًّا: صَخَبُوا في خُصومَةٍ أو تَمارٍ. وَقَبَّ الأَسَدُ والفَحْلُ يَقِبُّ قَبًّا وقَبِيْبًا إذا سَمِعْتَ قَعْقَعَةَ أَنْيابِهِ. وقَبَّ نابُ الفَحْلِ والأَسَد...... قال أبو ذُؤَيْب:

كأنّ مُحَرَّبًا من أُسْدِ تَرْجٍ
ينازِلُهُم، لِنابَيْهِ قَبِيْبُ

وقال بعضُهم: القَبب: الصَّوْتُ، فَعَمَّ به. وما سَمِعْنا العامَ قابَّةً أيْ: صَوْتَ رَعْدٍ يُذْهَبُ به إلى القَبيب...

... الأصمعيّ: قَبَّ ظَهْرُه يَقِبّ قُبوبًا إذا ضُرِب بالسَّوْط وغيره فَجَفَّ، فذلك القُبوب. قال أبو نصر: سَمِعْتُ الأصمعيّ يقول: ذُكِرَ عن عُمَرَ أنّه ضَرَبَ رَجُلًا حَدًّا فقال: إذا قَبَّ ظَهْرُه فَرُدّوهُ إليّ؛ أي: إذا انْدَمَلَتْ آثارُ ضَرْبِه وجَفّت؛ مِن: قَبَّ اللَّحْمُ والتَّمْرُ إذا يَبِسَ ونَشِفَ. يَقِبُّ قُبوبًا: يَذْهَبُ طَراوُه ونُدُوُّه، ويَذْوِي، وكَذلك الجُرْحُ إذا يَبِسَ وَقَبَّهُ يَقُبُّه قَبًّا واقْتَبَّهُ: قَطَعَه... والقَبُّ: ما يُدْخَلُ في جَيْبِ القميصِ من الرِّقاع. والقَبُّ: الثَّقْبُ الذي يَدُور فيه المِحوَرُ من المِحَالَة؛ وقيل: القَبُّ: الخُرْقُ الذي في وَسَطِ البَكَرَةِ وفَوْقَها أَسنانٌ مِنْ خَشَب، والْجَمْع في ذلك أَقُبٌّ وهي البَكَرَةُ، وفي حديث عليٍّ - رضيَ الله عنه -: (كانَتْ دِرعُه صَدْرًا لا قَبَّ لها) أيْ: لا ظَهْرَ لها...... والقَبُّ: رئيسُ القَوْمِ وسَيِّدُهُم.....

والقَبَبُ دِقَّة الخَصْر وضُمورُ البَطْنِ ولُحُوْمُهُ. قَبَّ يَقَبُّ قَبَبًا، وهو أَقَبُّ، والأُنثى قَبّاء بَيِّنَةُ القَبَبِ.. وهو شِدَّةُ الدَّمْج الاسْتِدارة...،.. وفي حديث عليٍّ - رضي اللهُ عنه - في صِفَةِ امْرأةٍ: (إنّها جَدّاءُ قَبّاء)؛ القَبّاء: الخَمِيصةُ البَطْن... [قلتُ: قَلَبَتِ العامَّةُ معنى قَبَّبَ البَطْنُ إلى نقيضِه من حكايةِ صَوْتِه كما سنرى في ما يلي إذ أُكْمِلُ من اللسان]:

.... وحَكَى ابنُ الأعرابيّ: قَبِبَتِ المَرْأَةُ، بإظهار التَّضْعيف...

.. والقَبْقَبَةُ: صَوْت جَوْف الفَرَس، وهو القَبِيْبُ.

وسُرَّةٌ مَقْبوبَة، ومُقَبَّبَةٌ، ضَامِرَةٌ؛ قال:

جارِيَةٌ من قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَهْ
بيضاءُ ذاتُ سُرَةٍ مُقَبَّبَهْ
كأنّها حِلْيَةُ سَيْفٍ مُذْهَبَه

والقَبْقَبُ: البَطْنُ وقِيْل لِلْبَطنِ: قَبْقَبٌ، من القَبْقَبَةِ، وهي حِكاية صَوْتِ البَطْن.

... والقَبْقاب:... والنَّعْل المُتَّخَذَةُ مِن خَشَبٍ بِلُغة أهل اليَمَن.

والقُبَّة من البِنَاء.. مُشْتَقٌّ من ذلك.. والْجَمْع قِبَبٌ وقِباب.. وقَبَّبَها: عَمِلَها وَتَقَبَّبَها: دَخَلها. وَبَيْتٌ مُقَبَّبٌ: جُعِلَ فَوْقَه قُبّة..

قُلْتُ: ومِنَ التَّشْبيه بتَقَبُّب القُبَّة قَلَبَتِ العامّةُ معنى قَبَبِ البَطْنَ إلى عَكْسِه ونَقِيْضِه...

وأمّا القُبْقاب بِلُغِة اليَمَن فما زال على اسْمِه اليَمَنِيِّ في الشَّام: النَّعْلُ الخَشَبِيُّ. ولعلّه في مِصْر أيضًا، فَشَجَرَةُ الدُّرِّ في الرِّواية التّاريخيّة قَتَلَتْ زوجَها به وقُتِلَتْ به.. وأغاني مِصْر ما تزالُ تتحدَّثُ عن رَنَّة القُبْقاب.

وإبْدالُ القافِ هَمْزَةً في العامّيّة المَلفوظةِ شَفَوِيًّا في الدّارجة المُنْتَشِرةِ في القاهرة ودمشقَ وغيرِهما مِنَ المُدُنِ مِمّا لم يَرِدْ قديمًا في بُحوث الإبْدال.. ولكنّي لاحَظْتُ أنَّ بَعْضَ المعاني المُشْتَرَكةِ يُمْكِن

أنْ تتلاقىٰ أو تتقاربَ فيما بَيْن معاني: أبَّ وقبَّ في المُعْجَم القديم، كما تتلاقىٰ المعاني المُشْتَرَكة فيما بَيْن: آرَشَ وَقَرَشَ، وبَيْن: أَرَمَ وَقَرَمَ، وبَيْن: زَنَأَ وزَنَقَ.. وغيرها كثير كما سَتَرى في مَواقِعِها...

وحين نقولُ في العامّيّة: أبَّ الوَلَد... وأبَّ الْجِلْدُ في الوَجْه المُصابِ بالحَرْق والجرح والتَّورُّم» فهل يُمْكِنُ أنْ تكونَ الهَمزةُ مُبْدَلَةً بالقاف في الأصْل؟

وما قَوْل الكُتّاب الباحِثِيْن في فَصيحِ العَوامّ؟

أَبَجًا = أبدًا

كُنْتُ أحسبُ الذين يقولونَ: أَبَجًا وهم يَقْصدونَ: أبدًا ما هم إلّا مُبْدِلون إبدالًا هَزْليًّا... فقد تعوّدْنا من المُتَكَلّمينَ شَفَويًّا أنْ يَهْزِلُوا مِثْلَ هذا النَّوْعِ من الهَزْل.

إلى أنْ وَقَعَتْ عَيْني عليها مُصادَفَةً في (محيط المحيط) لبطرس البستانيّ «الأَبَجُ: الأَبَد؛ تقولُ: لا أفعلُه أَبَجًا؛ أيْ: أَبَدًا». وفتّشْتُ في المُعْجَماتِ الحديثةِ الأُخرى فلمْ أجدْهما في (المُنجد) للويس معلوف، ولا في (المعجم الوسيط) لمَجْمَع القاهرة ولا في (المعجم المدرسيّ) لمحمَّد خير أبو حرب بدمشق ووزارة التربية السوريّة وإنّما وجدْتُ عبدالله العلايلي في موسوعة (المعجم) يهتمّ بها وَيَشْتَقُّ منها ثماني مفرداتٍ على خطّته الاصْطلاحيّة؛ يقترِحُها بعد أنْ يَبْدأ بالقول: «أبج (حد) العَزْم العتيد في الهوامد، فاشْتق منه لمّا اكْتَسَب صفة الدّيمومة بظروف طبيعيّة.. والرَّأْيُ عند اللُّغويّين مُتّفِق على أنَّ هذا الْجَذْرَ مُحَوَّل عن (أَبَد) فالْجيم والدّال كثيرًا ما تَتَعاقبان، وهو مُماتُ الفعل، والمَحْفوظُ منه مُفْرَدٌ واحدٌ الأَبَج: الأَبَد». ا.هـ. العلايلي.. قلْتُ إذا كان الرّأيُ فيها عنْد اللغويّين متّفقًا... فأينَ هي في المُعْجَمِ التّراثيّ؟ لم أجدْها لَدى ابن منظور في (لسان العرب) ووَجَدْتُها لَدى الفيروزابادي في (القاموس المحيط): «الأَبَجُ مُحَرَّكَةً: الأَبَدُ». ولم أجِدْ فيه مَزيدًا فعُدْتُ إلى شارحِهِ محمّد مرتضى الزّبيديّ في (تاج العروس..) وفيه «أَبَجٌ: (الأبج: الأبد) لم يَذْكُره الْجوهريّ ولا ابن منظور وذَكره الصّاغاني في زوائدِ التّكملةِ وكأنّ الْجيمَ بدلٌ عن الدّال وهو غريب)! فإلى الصّاغاني؛ الحسن بن محمّد مُؤَلّف مُعْجَم (التّكملةِ والذّيل والصّلة لِكِتاب تاج اللغة وصِحاح العربيّة للْجوهريّ) يَعودُ ذِكْر الأبج، في (زوائد التّكملة..) والصّاغاني مُتَوَفّىٰ منذ أنْ كانَ ابن منظور في العشرين من عمره، أي سنة ٦٥٠هـ سنة ١٢٥٢م فكيف غاب الأبج عن معجم ابن منظور؟! فقد أهملته بعده كثير من المعجمات الحديثة (كالمعجم العربي الأساسي) للمنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم (طبعة: لاروس سنة ١٩٨٩) كما ذكرت.

أَبز وأخواتها

شَفيق جَبْري في (بقايا الفصاح)[1] وهي المَقالات التي كانَتْ تحتلُّ مَوْقعَ الافْتِتاحيّةِ في (مَجَلّة مَجْمَع اللغة العربيّة بدمشق) طوال عقدْ

(١) انْظُرْ في الْجُزْء الأوّل من المجلّد الثّالث والخمسين من (مجلّة مجْمَع اللغة العربيّة بدمشق) ص٥/ المحرّم من سنة ١٣٩٨هـ/ كانون الثّاني (يناير) من سنة ١٩٧٨م.

وقد كانَ شَفيق جبري مؤلّف افتتاحيات (بقايا الفِصاح) عُضْوًا قَريبًا من الأعضاء المؤسّسين للمَجْمَع وعَميدًا لكلّيّة الآداب في الْجامعة السّوريّة بدمشق، وكانَ يُلَقَّب بِشاعر الشّام تُوفّي سنة ١٩٨٠م وَطَبَعَ المَجْمَع ديوانه (نَوْح العَنْدليب) في مطبوعات المَجْمَع لِسنة ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م بِشَرْح قدري الحكيم.

ونيّف ما بَيْن السّتّينيّات والسّبعينيّات مِنْ هذا القَرْن؛ يقول:

«فلنَشْهَدِ الآنَ مَجالًا من مَجالات العَامّة يتّسِع فيه مَذْهبُها في المَجاز. إنّا نجدُ في اللغة: أَبَزَ الظّبْي: وَثَبَ، أو تطلّق في عَدْوِه، لا شكّ في أنّ العامّة إذا اسْتَعْمَلَت هذه المادّة في لُغَتها فقالَت: أَبَزَ فلان؛ فإنّها لا تكْتفي بالدّلالةِ على وَثْبِهِ وتَطَلُّقِهِ في العَدْوِ ولٰكنّها تُريدُ بها وَضْعًا مِنَ الأَوْضاع، فقد يَحْدُثُ في مَجْلِسٍ من المَجالسِ أنّ أحدَ رجالِ هذا المَجْلِسِ يَشْرَحُ أَمْرًا منَ الأُمورِ أو يُفَصِّلُ قَضِيَّةً منَ القضايا وهو مُتَمَكِّنٌ من مَوْضوعِهِ يَتَكلّم بشيءٍ من الرّصانة وفي كلامِه ما يَدُلّ على الفَهْمِ فَيَتَعرّض له في مِثْل هذا الحال رَجُلٌ آخرُ لَيْسَ مِنْ وَزْنِه إمّا حُبًّا للظُّهورِ أو مَيْلًا إلى التَّعْكيرِ، فيتكلّم وكلامه بَعيدٌ عن الصّواب فَيَخْلط في كَلامِه فيقولون في مِثْل هذا الوَضْع: وبَيْنَما فُلان يتكلّم أَبَزَ فلان، فَهُمْ لا يُريدون مُجرَّد الْوَثْب، وإنّما يُريدونَ مع هذا الوَثْب شَيْئًا آخر، إنّهم يُريدون الدّلالة على سُخْفِهِ، فَكَأنّه قال ما لا يجوزُ أنْ يُقال أو كأنّه قال ما لا مَعْنًىٰ له أو ما لا حاجةَ إليه، فمادّة: أَبَزَ التي تَسْتَعْمِلُها العامّةُ في هذا المَوْضِعِ لها دَلالةٌ قويّة، إنّها تُصَوّر وَضْعًا من الأوضاع الغريبة أو السّخيفة.». ا. هـ. شفيق جبري.

قُلْتُ: في مِثْلِ هذا المَوْقفِ الذي كان جِيْلُ شفيق جَبْري يَقولُ فيه: أَبَزَ فلان، كُنْتُ أَسْمَعُهم، في جيْلِنا، يقولون: نَبَزَ فلان، ولعلّ جِيْل جَبْري كانَ أَفْصَحَ لأنّي لَمْ أَجِدْ نَبَزَ لازمًا ولَيْسَ مَعْناه مُناسِبًا فَنَبَزَهُ عابَه وعَيَّره، ونَبَزَهُ بِكَذا: لَقَّبه به ﴿ولا تَنابَزُوا بالألقاب﴾ لو أنّنا قُلْنا: إنّهم يقصدون النّبْذَ بالذّال ولٰكنّ نبذَهم النّطقَ باللّثويّات جرّهم إلى لَفْظ الذّال زايًا، فإنّنا نَجِدُ معنى النّبْذ أيْضًا لا يُساعِفُنا هاهنا في إصابة المعنى المقصود.. لأنّ نَبَذَ: نبض القلب والعرقُ. والتّمْرُ صار نَبِيْذًا، وَنَبَذَهُ: طَرَحَهُ والعَهْدَ: نَقَضَه.. فأَيْن هذه المعاني من المعنى المَقْصود؟

فَأَعُودُ إلى الأَبْز في عامّيّةِ جِيْل جَبْري فأجدُها فصيحةً دقيقةً مُناسبةً للمعنى الذي قَصَدُوه، ولا سيّما إذا ما أَشرْنَا إلى مقدّمةِ الوحدة الاشتقاقيّة الكُبرى التي كتبَها العلايلي في (المعجم): أ ب ز: «العَزْم المُترادِف أيْ المُتَوارِدِ بِتَتالٍ، فاشْتُقَّ منه الأَبْزُ للتّطلّقِ وتعاقب السّرعة... و(مجازًا): الأخذ فجأة». وأذهب إلى (لسان العرب) القُدَماء، إلى ابن منظور وعنده: «أَبَزَ الظَّبْيُ يَأْبِزُ أَبْزًا وَأُبُوْزًا: وثَبَ وقَفَزَ في عَدْوِه، وقيل: تَطَلَّقَ في عَدْوِه؛ قال:

يَـمُـرُّ كَـمَـرِّ الآبِـزِ الـمُـتَـطَـلِّـقُ

والاسْم الأَبَزَى، وَظَبْي أَبّاز وأَبُوزٌ، وكذلك الأُنثى. ابن الأعرابي: الأبوز القَفّاز من كلّ الحيوانِ، وهو أبوزُ... قال ابن السّكّيت: الأَبّاز القَفّاز... وَأَبَزَ الإنْسانُ في عَدْوِهِ يأْبِزُ أَبْزًا وأُبُوزًا: اسْتراح ثمّ مضى. وَأَبَزَ يأْبِزُ أَبْزًا: لُغَة في هَبَزَ إذا مات مُعافَصَةً».

وأضيف من (معجم مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس: «قال الشّيباني: الآبز الذي يأبِزُ بِصَاحِبِه أيْ يَبْغِي عَلَيْه ويُعَرِّض به؛ يقال: أراكَ تَأْبِزُ به».

وقُلْت: الإبْدال فيما بَيْن الأَبْزِ والأَفْزِ والقَفْزِ، وهي بمعنًى أو بِمعانٍ مُتقاربَة ممّا يُذَكّرنا بالنَّقْزِ والوَفْز والأَفْر أيْضًا (وهذه بالرّاء) وكلّها تُفْضي إلى معنى الوَثْب والعَدْوِ بنشاط، أو قُلْ هي من أَنْواعِ الوَثْبِ.. فالتَّرادُفُ في اللغةِ لم يكنْ فيما مَضى تَرادُفًا وتَطابُقًا تامًّا في معاني الكلماتِ المُتَرادِفةِ، وإنّما كان بينَها من الفروقِ الدّقيقةِ أحيانًا ما يُمْكِنُ أنْ يُضَيِّعَهُ ويَتَسامح به مُسْتَعْمِلو اللغةِ من المُتَسَرّعينَ والمُتَسامحينَ والمُتَوسّعينَ

وغيرِ المُنْتبهينَ إلى دِقّةِ الفُرُوق الدّقيقةِ فيما بَيْن العِباراتِ؛ حتّى إذا طالَ الزّمنُ واسْتمرّتْ هذه الأسبابُ أو غيرها من الأسْبابِ الأُخرى - فلا مَجالَ للشّرح والتّعليل والإطالة هاهنا - بعد ذلك تَبْدو العِبارات المُتَقَارِبَة في بَعْضِ مَعانِيها وكأنّها مُترادِفاتٌ... وليس هذا في صالحِ الدّقةِ اللّغويّةِ التّعبيريّةِ المَنْشُودَةِ، أحيانًا...

ولا نَنْسى أنّ مِثْل هذا التّلاقي في حَرْفَيْن منَ الكَلِماتِ الثّلاثيّة مع التّلاقي في أَغْلب مَعانيها ممّا يؤدّي إلى الوُصول إلى الاشْتِقاق الأَكْبر، وإلى النّظريّة المُعْجَمِيّة الثّنائيّة أيْضًا لَدى بعض الباحثين؛ ولَيس هذا غَرَضي هاهنا، وعليّ أنْ أعودَ عن هذه الفَذْلكة النّظريّة إلى صُلْبِ مَوْضوعِ الأَبْزِ فأَجِدُ نَفْسي مُضْطَرًّا إلى مُلاحَظَةٍ أُخْرى: لأنّي لا أعرف الأَبْزَ في عامّيّتنا وإنّما عَرَفْتها في العامّيّة الّتي تحدّث عنها شفيق جبري في (بقايا الفِصَاح). فاللّهَجَاتُ العامّيّةُ واللُّغَيّاتُ الدّارجةُ والمَحْكِيّةُ لَهَجاتٌ ولُغَيّاتٌ كثيرةُ التّغيُّر سَرِيعَةُ التَّطَوُّرِ بالسُّيولَة اللفظيّة والتّخفُّف والانْطِلاقِ دونما قَيْد، ممّا يؤدّي إلى أساليب التّحريف والتّصحيفَ والتّلاعُب بالتّغيُّرات اللُّغويّة والإفْلاتِ من الحَصرِ والضَّبْطِ والتَّقْعيد والتّسْجيل والتّحديد... على أنّ المُتَكلّمينَ بها إذا دُعوا إلى تَسجيلها سُرعانَ ما يتّخذونَ كلامَ عِلْيَةِ القَوْم من المُتَنوِّرين والفُصَحاء نَمُوذجًا يُقَلِّدونَه أو يُحاوِلون احْتذاءه أوْ يَدّعون إحْسانه أو قد يُضَلِّلوننا بأَسْباب ووَسَائل أُخْرى عنِ الطّريق الصّحيح إلى تلمُّس هذه الأسباب وتعليلاتها. وعَنِ الوُصول إلى كَشْفِ مقاييسِ التّطَوُّرِ اللُّغَويّ... لأنّ العامّيّاتِ ذاتَها مِنْ نتائج إهْمالِ المَقايِيسِ اللُّغَوِيَّةِ أو عَدَم الدِّقَّةِ فيها.. ولِذا نَجِدُها تُبادِر إلى القَفْز على حِبَال التَّطَوُّرِ مع أنّها تظلُّ تَتَّكِئُ على الفُصْحى لغة العِلْم والإعْلام...

ولذلك أَقُول لِقارئٍ رُبّما يُنْكِرُ هذه العِبارة أو تلك من (فِصَاح العامّيّة) مِثْلما أَقُولُ لِنَفْسِي حِيْن أَجِدُني في مِثْل هذا المَوْقِف:

عَلِمْتَ شَيْئًا وغَابَتْ عَنْكَ أَشْياءُ

الأَبْش:

تَأْبُشُني يا حبيبي

في ظَنّ الّذين يستفْظِعون قَوْل الأمّ لوَلدِها: (تَقْبُرُني.. وتِشكُل آسي، ويَطْلَع على قبري، يا بَعْدي، ويا بَعْد عمري..) إلخ.. هؤلاء الذين يرَوْن في ذكرِ الموتِ والقبرِ تهوّرًا عاطفيًّا من الأمّهات في حبّهنّ الأبناء، يرَوْن أنّ الرّغبةَ في تلطيفِ العبارةِ (تقبُرُني) دَفَعَت الرّاغبين في هذا التّلطيف إلى أن يُبْدِلُوا بالرّاء شينًا؛ فقالوا: (تَأْبُشُنِي) بدلًا من (تَأْبُرُني) وذلك بعدَ إبدالِ الهمزة بالقاف كما هو معَروف في عامّيّتنا طبعًا..

وهذه الفَرضيّة تَجعل الأَبْشَ بغير معنى، أو: لا تهتمّ هذه الفرضيّة بعلاقة معنى الأَبْش بالمَوْقف العاطفيّ الذي تُستعمَل فيه، ولا نَنْسى أنَّ الفَرَضيّة عن: تَقْبُشُني - بالقاف.. ثمّ يُستَبْدَل بها همزة كما تُستَبْدَل في العبارة المُبْدَلَة منها: تقبرني التي تلفظ: تأبرني.

ولكنّ المُفاجأة القادِرة على إسقاط هذه الفرضيّة أو إضْعَافها، أنّ الأَبْشَ بالهمزة هو الوارد في المعجم العربيّ القديم، وبمعنى مناسب للمَوْقف.

أمّا القَبْش - بالقاف - فلم أَجدْه فيما توافر لي من المعاجم.

وإليكم ما ورد في معجم ابن منظور (لسان العرب) في أ ب ش: «الأَبْشُ: الجَمْعُ، وقد أَبَشَهُ وَأَبَشَ لِأَهْلِهِ يَأْبِشُ [والباء غير مشكولة] أَبْشًا:

كَسَبَ. ورجل أبّاش: مُكْتَسِب. ويقال: تَأَبَّشَ القوم وتَهَبَّشُوا إذا تَجَيَّشُوا وَتَجَمَّعُوا».

والزّمخشريّ في أساس البلاغة يقول: ما عنده إلّا أُباشَة وهباشةٌ وأشابة؛ أي: «أخلاط».

ويضيف الفيروزابادي في (القاموس المحيط): «..والأُباشَةُ: الجَماعَة من النّاس. والآبِشُ: الذي يُزَيِّنُ فِناءُ الرَّجُلِ وبابَ داره بطَعامه وشَرابه».

وفي عصرنا لم أجد الأبش في (المعجم العربيّ الأساسيّ) الذي أصدرته المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم، ولا في (المعجم المدرسيّ) الذي أصدرته لمحمَّد خير أبي حرب وزارة التربية العربيّة السوريّة بدمشق. ولكنّي وجدته في (المحيط المحيط) للبستاني، وفي (متن اللغة) لأحمد رضا العامليّ، وغيرهما..

فهل كان قولُهم: تأبُشُني، بمعنى: تجمَعني؟ أم بمعنى تكسِبني؟ أو تكسِب لي؟ أم بمعنى: تُزيّن فِنائي وباب داري بالطّعام والشّراب؟ فمِنَ المَعْلوم أنّهم كانوا قديمًا يَزْهون ويَزْدانون أمام الجيران والمعارف بتزيين أبواب دُورهم بعلائم الطّعام والشّراب. أم نعيدها إلى القَبش؟ والله أعلم..

أَبَض وَقَبَضَ

وتلاقي بعضِ المعاني ما بينَهما

- أَبَضَ وَقَبَضَ -

قال العلايلي في (المعجم): أ ب ض: «دلالَتُهُ الأَصْلِيَّةُ مُلتقى المُتقابِلَيْنِ وَلَيْسَ كما زَعَمَ اللغويّونَ فيه من دعوى التَّضادّ. أَبَضَ يَأْبِضُ أَبْضًا فهو آبِضٌ المُطْلَقَ من الحيوانِ: عَقَلَهُ بِشَدّ رُسُغ يَدَيْهِ إلى ذِراعَيْه.. وأَبَضَ المُقَيَّدَ: خَلّاهُ. وأَبَضَ مُصارِعَهُ: أَصابَ عِرْقَ إباضِهِ. وأَبَضَ الغُلامَ: احْتَمَلَهُ بِجَعْلِ يَدَيْهِ تَحْتَ رُكْبَتَيْهِ. وأَبَضَ المُتَحرِّكُ: سَكَنَ. وَأَبَضَ السّاكِنُ: تَحَرَّكَ.

ومن البابِ: أَبَضَ يَأْبُضُ لإفادَةِ التَّفَوُّقِيَّةِ في مَعْنَى الفِعْلِ قالُوا: أَبَضَ المُطْلَقَ مِنَ الحَيَوانِ: عَقَلَهُ (بِشَدِّ رُسْغِ يَدَيْهِ إلى ذِراعَيْهِ) أَشَدَّ عَقْلٍ.

ومن البابِ: أَبِضَ يأبَضُ فهو أَبِضٌ الفَرَسُ، تَقَبَّضَ نَساهُ وَتَشَنَّجَ: [مُتَعَدٍّ ولازمٌ].

وللمزيدِ تعودُ إليه أو إلى أيِّ معجمٍ تقرأُ فيه مادَّةَ: أ ب ض فتجدُ المعانيَ تُقارِبُ معاني: ق ب ض حتّى تَصِلَ إلى تفسيرِ التَّأبُّضِ بالتَّقَبُّضِ والانقباضِ لدى ابنِ منظورٍ في (لسانِ العربِ)، والزّمخشريِّ في (أساس البلاغة) والفيروزابادي في (القاموس المحيط) وفيه «وأَبَضَ نَساهُ: تَقَبَّضَ كَأَبِضَ بالكسر» أي: تَقَبَّضَ منه عِرْقُ النَّسَا؛ ويزيدُ ابنُ منظورٍ: «والتَّأَبُّضُ: انْقِباضُ النَّسَا، وهو عِرْقٌ؛ يقال: أَبِضَ نَسَاه وَأَبَضَ وتَأَبَّض: تَقَبَّضَ وشَدَّ رِجْلَيْهِ؛ قال ساعِدَةُ بْنُ جُؤَيَّةَ يهجو امْرَأَةً:

إذا جَلَسَتْ في الدَّارِ يَوْمًا تَأَبَّضَتْ
تَأَبُّضَ ذِيْبِ التَّلْعَةِ المُتَصَوِّبِ

قال أبو عُبَيْدَةَ: يُسْتَحَبُّ من الفَرَس تَأَبُّضُ رِجْلَيْهِ وَتَوْتِيرُهُمَا إذا مَشَىٰ، والإباضُ عِرْقٌ في الرِّجْلِ. يقال للفَرَسِ إذا تَوَتَّرَ ذلك العِرْقُ منه: مُتَأَبِّضٌ. وقال ابنُ شميلٍ: فَرَسٌ أبوضُ النَّسَا كَأَنَّمَا يَأْبِضُ رِجْلَيْهِ من سُرْعَةِ رَفْعِهِما عندَ وَضْعِهِما، وَقَوْلُ لَبِيْدٍ:

كَأَنَّ هِجانَها مُتَأَبِّضاتٍ
وفي الأَقْرانِ أَصْوِرَةُ الرَّغامِ

مُأَبِّضات: مَعْقُولاتٍ بِالأُبُضِ، وهي منصوبةٌ على الحالِ. والمَأْبِضُ: الرُّسُغُ.

ويقال: تَأَبَّضَ البَعيرُ مُتَأَبِّضٌ: وَتَأَبَّضَهُ غَيْرُهُ كما يقال: زاد الشيءُ وَزِدْتُهُ. ويقال للغرابِ مُؤْتَبِضُ النَّسَا لأنّه يَحْجِلُ كَأَنَّهُ مَأْبُوضٌ.».

وللزّمخشريّ في: (أساس البلاغة): «كَأَنَّهُ في الإباضِ من فَرْطِ الانقباضِ؛ وهو حَبْلٌ يُشَدُّ به رُسْغُ البعير أي عَضُدُهُ. وقد أبضته فهو مَأْبُوضٌ، وقد تَقَبَّضَ، كَأَنَّما تَأَبَّضَ وهو تَشَنُّجُ «في رِجْلَي الفَرَسِ وَنَسَاهُ وهو مَدْحٌ له. وَطَعَنَهُ في مَأْبِضِه: وهو: باطِنُ الرُّكْبَةِ».

قلْتُ: مِنْ عامَّتنا يلفظونَ القافَ همزةً كما هو معروفٌ في دمشقَ والقاهِرة وغيرِهما فَقَبْضُهُمْ أَبْضٌ. ولْكن من عَوامِّنا أيضًا مَنْ أَبْضُهُم قَبْضٌ.

وأعودُ إلى العَلايلي الذي يَأْخُذُ مِن مُشْتَقّاتِ العامّيّةِ ما هو قِياسِيٌّ صَحيحٌ قابِلٌ للتَّفصيحِ، وفي أب ض عنده «المِئْبَضَةُ: (مفعلة: مُوَلَّدٌ حديثٌ؛ لبنانيّ) في مقابل الفرنسيّة Clavette: جُذَّةٌ: (قطعة) خَشَبِيَّةٌ أو مَعْدَنِيّةٌ ذاتُ شكلٍ أسطوانيّ أو مخروطيٍّ، تُدفَع في ثقبٍ لشدِّ جسمٍ إلى آخرَ، أو تُلَزُّ بين قطعتينِ تكونانِ المَوْصِلَ أثناءَ الدَّوَرَانِ».

الأَبِيْلَة: (لا الأَبِّيلَة)

(بالهمزة وليس بالقاف)

يقال عندنا بالعامّيّة: (شَعَّلْنا أَبّيْلَة)، يقصدون أنّهم أَوْقدُوا نارًا بما جمعُوه من الأغصانِ والنّباتاتِ اليابسةِ. والأَبِيلَة في الفصيحِ حزمةٌ من الحطبِ كالإبّالة في المثل: ضِغْثٌ على إبّالة.. فتطوُّرُها في الاستعمالِ العامِّيِّ على سبيلٍ يعكسُ المجازَ المرسَلَ في علاقَتِهِ المستقبَليَّةِ كما في الآية الكريمةِ: ﴿إني أراني أعصرُ خَمْرًا﴾ سورة يوسف ١٢ الآية ٣٦، فحزمة الحطبِ والحشيشِ مآلُها إلى الإيقادِ!

وفي مادَّة: أب ل في (لسان العرب) لابن منظور:

«والأَبِيل والأَبِيلَةُ والإبالَة: الحُزْمة من الحَشيشِ والحطبِ. التهذيب: والإيْبالَةُ: الحزمةُ من الحطبِ. وَمَثَلٌ يضرَبُ: ضِغْثٌ على إيْبالَةٍ أي زيادةٌ على وِقْرٍ. قال الأزهريُّ: وسمعتُ العربَ تقولُ: ضغثٌ على إبَّالة، غير ممدود ليس فيها ياء، وكذلك أورَدَه الجوهريُّ أيضًا: أي: بَلِيَّةٌ على أخرى كانَتْ قبلَها؛ قال الجوهريُّ: ولا تقلْ إيبالة لأنّ الاسمَ إذا كان على فِعَّالة، بالهاء، لا يُبدَل من أحدِ حرفَيْ تضعيفِه ياء مثل: صِنّارة ودِنّامة، وإنّما يُبْدَل إذا كان بلا هاء مثل دينار وقيراط؛ وبعضهم يقول إبَالة مخفَّفًا، ويُنْشِد لأسماء بن خارجة:

لِيَ، كُلَّ يومٍ مِن، ذُؤالَه
ضِغْثٌ يَزيد على إبَالَهْ
فَلأَحْشَأَنَّكِ مِشْقَصًا
أَوْسًا، أُوَيْسُ، من الهَبالَهْ»

قُلْتُ: لم أجدْ الأَبيلَة لدى عبد المنعم، ولا أحمد رضا العامليّ، ولا أحمد أبو سعد، ولْكنّي وجدتُها لدى الأمير شكيب أرسلان في: (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) ص١٧٦ وعفوًا، فلم أجدْها: أَبِّيلة ولْكن بلهجاتِ لبنان: «أَبولة وَقَبّوْلَة: تقول العامّة في الجَبَل للنّارِ الكبيرةِ يوقدونَها في زينةٍ لَيْلًا: قَبُّوْلَة أو أَبّوْلَه. حسب عاداتِهم في قلْب القافِ همزةً وبالعكس. وحقيقتُها في فصيح اللغة: إبّالة؛ وَتُشَدَّدُ فَيُقالُ: إبّالة: وهي الحُزْمَةُ الكبيرةُ في الحطبِ».

وليس في (المعجم المدرسيّ) ولا في (المعجم العربيّ الأساسيّ): الأبيلة.

أُبّهَة

(شيء أُبَّهَة) في عامِّيّتنا بمعنى أنّه شيءٌ عظيمٌ أو فَخْمٌ أو جليل.

وهذا اللفظ بهذا المعنى؛ في أصل اللُّغة،

الأصل الصّحيح للْجَذْر الثّلاثيّ أب هـ كما يَتبيّن من معجم أحمد بن فارس (مقاييس اللغة) الذي ألّفه حصيص من أجل أن يَرُدَّ فيه مُفْرَدات كلّ مادّة من مَوادّ اللغة إلى أُصُولها المَعْنويَّة المُشْتَرَكَة؛ حِذقًا للاشتقاق الكبير في اللغة، وتَكنُّهًا لِكُنهِ أَسْرارها وفَهمًا لجُذُورها ومَبَادِيها.. الخ.. وابن فارس يقول في مؤلَّفه هذا، وفي أ ب هـ: «الهمزة والباء والهاء يدلّ على النّباهة والسموّ... والأُبَّهَةُ: الْجَلال».

وفي (مُخْتار الصّحاح) للرّازي: «الأُبَّهَةُ: العظمة والكبر». وتجد في (أساس البلاغة) للزَّمَخْشَرِي: «..وما عليه أُبَّهَةُ المُلْك؛ أي: ما عليه بهجَتُه وعَظَمَتُه. وفُلانٌ يتأبّه علينا؛ أي: يتعظّم. وَتَأَبَّهَ عن كذا: تَنَزَّهَ وتعظّم».

وما أظنّني في حاجة إلى مزيد من النّقول من كُتُب اللغة والمعجمات القديمة والحديثة؛ حتّى لا يتكرّر الكلام ويُعاد، وتقع مُعاداة المُعادات.

يا أبي يا بَيِّيْ ويابا

هكذا ينادِي الوَلَدُ أباه في الشّامِ: يا (بَيِّي) بحذفِ الهمزةِ تخفيفًا مِن أُبَيِّي على صِيْغَةِ التَّصْغيرِ، فالأُبَيُّ: تَصْغِيرُ الأبِ، وهو تصغيرُ التَّقَرُّبِ والتَّحَبُّبِ والتَّعْظيمِ، كما هو معروفٌ في أغراضِ التَّصغيرِ وقواعِدِهِ.. وما أكثرَ ما سَمَّوْا (أُبَيًّا) بالتَّصْغيرِ في أعلامِهِم المشاهير...

فهلْ في الفصيح التَّخفُّفُ من هذهِ الهمزةِ؟! لا أنفي أو على الأَقَلِّ أنّي أنا لم أَعْثُرْ على مَنْ يَنْفِي مِثْلَ هذا في نُقولِ المَرْوِيَّاتِ المُسَجَّلةِ التي صافَحَتْ نَظَرِي من كُتُبِ التُّراثِ... ولكنَّ هذا لا يُؤكِّدُ وجودَهُ فيها أو في غيرِ المَرْوِيّاتِ المُسَجَّلَةِ، فلا بدَّ من تذكُّرِ قولِهِم الحَقّ (إنَّ لُغَتَنا لم تُجْمَعْ في طَبَقٍ فَتُحْصَىٰ) ولا بدَّ منَ الاسْتئناسِ بِنُقولِ المَرْوِيّاتِ التُّراثيّةِ الكثيرةِ الَّتي يَتَكَرَّرُ فيها التَّخفُّفُ منَ الهمزةِ بحذفِها، ولا سيَّما في أوَّلِ الكلمةِ؛ وكذلكَ من الاستئناس بالنُّقولِ التُّراثيَّةِ التي تصرَّفُوا فيها بصيغةِ هذهِ الكملةِ بالذّاتِ: الأب.. ولْنتأمَّلْ في بعضِ هذه النُّقولِ في (لسان العرب) لابن منظور، ولْنأْخُذْ منهُ النّصَّ مثلًا:

«وقالُوا: لابَ لكَ؛ يُريدون: لا أبَ لك، فَحَذَفُوا الهمزةَ أَلْبَتَّة، ونظيرُهُ قَوْلُهُم: وَيْلُمِّهِ، يريدون: وَيْلَ أُمِّهِ».

[هكذا في (اللسان) ط. بيروت سنة ١٩٥٦ لامُ وَيْلُمِّهِ مَضْمومَةٌ، وَلام: وَيْلَ أُمِّهِ مَفْتوحة].

وَلَسْتُ أكتفِي من ابنِ منظورٍ وصَفَحاتِه العَشْرِ الكِبارِ التي عقدَها في: أب وَ: وما رُوِيَ فيها من غرائبِ التَّغَيُّراتِ التي تَدْخُلُ على صِيْغَةِ الأبِ في مَرْوِيَّاتِ لُغَيّاتِهِم وَلَهجاتِهِم لكي يَعُود إليها مَنْ رَغِبَ في التَّوَسُّعِ.. وأَعْرِض لكم ما قال ابن منظور في حَرْف الهمزة، وحذفها، في بداية معجمه ج١ ص٢٠: «وقال رُؤبة:

وأنت يابا مُسْلِم وَفَيْتا

تَرَكَ الهمزة، وكان وَجْهُ الكَلام: يا أَبا مُسْلِم، فَحَذَفَ الهمزةَ وهي أَصْلِيَّة، كما قالَوا لا أبَ لك، ولا أبا لك، ولا بَالك، ولا بَ لِغَيرك، ولا بَا لِشائِنِك.... قال: وَسَمِعْتُ أعرابيًّا من قَيْس يقول: يا أب أَقْبِلْ ويابَ أَقْبِل ويا أبة أَقْبِل ويا بَةَ أَقْبِل...».

وقَبْل ابن منظور بَحَث ابنُ جِنّي في (الخصائص) ١/ ٢٢٥/ ط٢ سنة ١٩٥٢ في هذا الحَذْف في «باب الرّدّ على مَن ادّعَىٰ على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني...... وعلى هذا حَشَوْا بحروف المعاني فحصّنُوها بِكَوْنها حَشوًا، وأمِنوا

عليها ما لا يُؤْمَن على الأطراف، المُعَرِّضَة للحَذْف والإجحاف وذلك كألِف التّكسير....... وما حَكاه أبو زيد من قولِهِمْ: لا بَ لك [أي لا أب لك] وَوَيْلُمِّه [أي: ويل أُمّه] ويابا المُغِيرة»... [وَرَدَ هكذا في قوله:

يا بالمغيرة رُبَّ أمرٍ مُعْضِلٍ
فَرَّجْته بالنّكر منّي والدَّها

يريد: يا أبا المغيرة، وانظر الخزانة ٤/ ٣٣٥] (عن حاشية محمّد علي النجار في الخصائص ط٢) قلت: لاحظت أنّه وَضَعَ ألف أل التعريف في نص ابن جني: يابا المغيرة، ولكنّه في الحاشية لم يَضَع هذه الألِف حين رَوى البَيْت كاملًا.

وأَنْقُل من (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «وَأَبَوْتُ فُلانًا وَأَمَمْتُه: كُنْتُ له أبًا وأُمًّا؛ قال:

تَؤُمُّهُمُ وَتَأْبُوهُم جميعًا
كما قُدَّ السُّيُور من الأَدِيمِ

وإنّه لَيَأْبُو يتيمًا، أي: يَغْذُوه ويُرَبّيْه فِعْل الآباء. وَتَأَبَّيْتُ فلانًا وَتَأَمَّمْت فُلانَةَ، كما تقول: تَبَنَّيْته».

وبعد زهاء أربعة قرون من الزّمخشريّ وابن منظور، نَجِدُ محمّد بن إبراهيم بن الحنبلي يُؤَلِّف (بَحْر العَوّام فيما أصاب فيه العَوَامّ)[1] وفي المسألة الثّالثة والسّبعين فيه: «ومن ذلك قَوْلُهُم: يابا يريدون بذلك: يا أبي، فَيَقْلبُون ياء المُتكلِّم أَلِفًا في ﴿يا حسرتا على ما فرّطت..﴾ [السورة الزمر: الآية ٥٦]، ويا غُلاما، ويَحْذِفون همزة أبا، كما في قوله - ﷺ - (يابا بَكرٍ لعلّك أَغْضَبْتَهُم..) الحديث. وليس ذلك في الأصل يا أبا مثل يا عصا على لغة مَنْ يَسْتَعْمل الأب مقصورًا كالأخ نحو قوله:

تَقُولُ ابْنَتي لمّا رَأَتْنِيَ شاحِبًا
كأنّكَ فينا يا أَباةُ غَرِيبُ

فيمن جَعَل تاءَ أَباة زائدة» وكان ابن الحنبليّ في المسألة السّابقة/ ٧٢/ يتحدّث عن فَتْح لام الجرِّ عند العَوَامّ في «قولهم: هذا لَأَبي وذاك لَأَخي، ونحو ذلك ممّا فتحوا فيه لام الجرّ مع الاسم الظّاهر في غير المُسْتَغاث به، ففي كتاب الفارقيّ أنّ ذلك لغة [في: الإفصاح/ ١١٢ وابن هشام في المُغْني ١: ٢٢٢: ومن فَتَحَ فهو على لغة من يقول: المالُ لَزَيْدٌ وقد أنشد فيه قول [النّمر بن تَوْلب]:

تُواعِدُني ربيعة كُلَّ يوم
لَأُهْلِكَها وَأَقْتَنِيَ الدَّجاجا..».

... وكان ابنُ الحنبليّ بدأ المسألة الأولى من كتابِه هذا: «مُشْتَمِلًا على ما يعتقدُ الجاهلُ أو النّاسي أنّه من أغلاط عَوَامّ النّاس، وليس في شيء من الغلط... من ذلك قولهم: أبٌّ وأخّ في تشديد الباء والخاء في أب وأخ بتخفيفهما؛ إذ هما لغتان فيهما على ما ذكره الشّهاب أحمد الحلبي المعروف بابن السَّمين في كتابه (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ) حيث قال: والأَبّ لغة في الأَبِ، قيل أبدلوا من الواو المحذوفة حرفًا يجانس العين ومن ذلك قولهم: اسْتَأْبَيْتُ فلانًا؛ أي: اتّخَذْته أبًا. ومثله: أخّ بتشديد الخاء. هذا كلامه.»...

(١) حقّق عزّ الدين علم الدين التنوخي سنة ١٩٣٤م كتاب (بَحْر العَوّام فيما أصاب فيه العَوامّ) تأليف رضيّ الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف المعروف بابن الحنبلي، والمُتوفّى سنة ٩٧١هـ. وطبعه المجمع العلمي العربي بدمشق، ثم أعاد دراسته وتحقيقه د. شعبان صلاح. وطبعه في دار الثقافة العربية بالقاهرة سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

وأُذكِّرُ بأنّ مَقْصَدي من هذه النُّقُول أنْ أَعْرِضَ بعضَ تَصَرُّفات القُدَماء في إدخال التَّغْييرات على صيغة هذه الكلمة؛ لأقول: إنّ حَذْفَ همزتِها مُصَغَّرَةً يمكن أنْ يكونَ أمرًا مأنوسًا وإنْ لم يَصِلْنا، أو لم يَصِلْني، من مَرْوِيّاتِهم[1] ما نَسْمَعُه اليومَ من قولهم: (يا بَيِّي) [وكذلك في قولهم: يابا بحذف المَقْطَع الأخير من: يا بابا أيضًا.. كما سأكتب في (بابا)..

وأكتبُ عن (خَيِّي) في: أ خ و.

وعن: (ماما، ويُمّا، ويامو، في: أ م م..].

أَتّىٰ له المَرَضَ وَتَأَتّاه المرضُ ووَاتاهُ أَكْلُ الحِمْيَةِ..

تقول العوامّ في الشّام: (تَأَتّىٰ عليه المرض)، و(الأكل البايت يُؤتي المرض) يلفظُونها (بِأَتّي المرض) كما نقلها العلاّمة خير الدين الأسدي في (موسوعة حلب) و«أتى الشيء هيّأه وسهّله» كما في معجم مجمع القاهرة (المعجم الوسيط) نقلًا عن المعجمات التّراثيّة.

و«تَأَتّى الأمر: تَهيّأ، وتَأتّى له: ترفّق وأتاه من وجهه، وأتيت الماءَ تَأْتِيَةً وَتَأَتِّيًا: سهّلت سبيلهُ». كما جاء في القاموس المحيط. وفي أساس البلاغة يزيد الزّمخشريّ توضيحًا: (وتَأتّيت لهذا الأمر: ترفّقت له، وقيل: تهيّأت. وتأتّيت له بسهم حتّى أصبته إذا تقصّدت له. وأَتّىٰ للسّيل: سَهَّل له سبيله. وفُتِحَ الماءُ فَأَتّ له إلى أرضك.. وتأتّى له أمره: إذا تسهّلت له طريقتُه).

وتقول العامّة في الحِمْية: هذا الطّعام يواتيني، أو لا يواتيني وأنا في هذه الحِمْية ضدّ المرض الفلاني. وفي (أساس البلاغة): «وهذا أمر لا يواتيني».

وابن منظور أورد في (لسان العرب) الحديث الشريف «خير النّساء المواتية لزوجها».

وأوضح أنّ الواو ليست أصليّة بل هي تخفيف وإجراء للهمزة؛ فاء الفعل: آتى يؤاتي، فقد ورد في مادّة الْجذر أتى يأتي، وقال ابن منظور في اللسان: «والمُواتاه: حسن المطاوعة والموافقة؛ وأصلها الهَمْز مُخفَّف وكَثُر حتّى صار يُقال بالواو الخالصة.. وأتى الأمر من مَأْتاهُ وَمَأْتاتِهِ؛ أي من جهته ووجهه الذي يُؤتَى منه، كما تقول: ما أحسن مَعْناةَ هذا الكلام، تريد معناه: وأتى للماء: وجّه له مَجْرى. ويقال: أَتِّ لهذا الماء.. وأتى على فلان أَتْوٌ؛ أي: موت أو بلاء أصابه.. أو المرض الشّديد أو كسريدٍ أو رجلٍ.. وجاء فلان يَتَأَتّى: أي: يتعرّض لمعروفك. وأَتَّيْتُ الماءَ تَأْتِيَةً وَتَأَتِّيًا؛ أي: سهّلت سبيله ليَخرُج إلى مَوْضع. وأتّاه الله: هَيَّأَهُ».

قلت: ولٰكنّي في المَعاجم العديدة للعامّيّات وفِصَاحها لم أجدْ شيئًا من هذه العبارات..

أَجّت النّارُ (وما وَجّت)

كثيرًا ما نجدُ العامّيّةَ تقلبُ الهمزةَ في أولِ الكلمةِ إلى واوٍ كما في (وَجَّت النارُ) وأصلُها أَجَّتْ، وكذلكَ (وَزَّت) القِدْرُ على النارِ: غَلَتْ وفصيحُها أزّت، و(وَزَّهُ) عليهِ: أي هيَّجَهُ وأثارَهُ عليهِ. وكذلكَ في الفصيحةِ: أَزَّهُ عليه، وقديمًا قلبُوا الواوَ الأولى همزةً ففي (مقاييسِ اللغةِ) لابنِ فارسٍ: أدد: «وأمّا أُدُ بنُ طانجةَ بنِ إلياسَ بنِ مصرَ فقالَ ابنُ دريد: الهمزةُ في أدٍّ واوٌ لأنَّهُ من الوُدّ...». وأعودُ إلى

الأجِّ:

وفي (المعجم الوسيط) أخذًا عن (اللسان..) و(التاج..) و(أساس البلاغة) و(المصباح المنير):

«أَجَّتِ النّارُ تَؤُجُّ أجًّا وأَجَّةً: تلهّبَتْ وتوقّدَتْ، وكانَ للَهيبِها صوتٌ. ويقالُ: مَرَّ يؤُجُّ في سيرِه: إذا كانَ لهُ حفيفٌ كحفيفِ اللّهبِ... وأجَّ الشيءُ: لمعَ وتوهَّجَ».

قلْتُ: وكذلك عامَّتُنا تقولُ (يَوُجُّ هذا الإناءُ اللّمّاع أَحْسَنَ وَجٍّ ويتوهّج أحلىٰ توهّجٍ ويُزَهْزِهُ زَهْزَهَةً ويَبْرُقُ بعدَ التّنظيفِ ببريقٍ وجّاج)..

يقولُ ابنُ فارسٍ في مقاييسِ اللغةِ: «الهمزةُ والجيمُ لها أصلان: الحفيفُ والشِّدَّةُ إمّا حَرًّا وإما مُلوحَةً.»..

اسْتَأْجَز الإجازَة وأَيْش؟

كنّا نظنُّ ابْنَ البَلَدِ الشّعبيّ المصريّ حينَ يقول: أَسْتَأْجِز: بالْجيم القاهريّة المَلْفُوظة كالْحَرف G الإنكليزيّ الفَرَنْسِيّ. وگ الفارسيّ؛ كنّا نَظُنُّه يَسْتَأْذِنُ، ويَتَصرّفُ بالإبْدال في لَفْظ الفِعْل: أَسْتَأْذِن.. ويُقَلِّدُ الشّابُّ عِنْدنا مُمَثّلي مِصْرَ في هذا الدوْرِ (البَلَدِيّ) فيقولُ: أَسْتَأْجِزُ أنا الآخر مُنْصَرِفًا.. يَعْني بها أَنْ يقول: أَسْتَأْذن..

ولم أجدْها في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذاتِ الحقيقة والأصول العربيّة) للدكتور عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال. ولا في كُتُب العامّيّ والفصيح الأُخْرى.

ولٰكنّ الذي يَقْرَأ في (لسان العرب) لابْن منظور و(القاموس المحيط) للفيروزابادي: أ ج ز نَجِدُ للاسْتِئْجَازِ مَعْنًى فصيحًا قديمًا لَعَلّ له تَخْريجًا على وَجْهٍ من وُجوه التّطوّر اللغويّ، ففيهما:

«أ ج ز: اسْتَأْجَزَ عن الوِسَادَة [وفي القاموس على الوسادة]: تَنَحَّىٰ عنها [وفي القاموس: تَنَحَّىٰ عليها] ولم يَتَّكئْ، وكانَتِ العَرَبُ تَسْتَأْجِزُ ولا تتّكِئ. وآجَزُ: اسْم» [انتهى ما في القاموس، ويَزِيدُ ابن منظور في اللسان قائلًا] التّهذيب: الليث: الإجازَةُ ارْتِفاق العرب، وكانَت تَحْتَبِئ [بالحاء المهملة] وَتَسْتَأْجِزُ على وِسَادةٍ ولا تتّكئُ على يَمينٍ ولا شِمالٍ؛ قال الأزهريُّ: لم أَسْمَعْه لِغَيْر اللَّيث ولعلّهُ حفظه. ورُوِيَ عن أحمدَ بنِ يحيى قال: «دَفَعَ إليّ الزُّبَيْرُ إجازةً وكَتَبَ بخطِّه وكذلك عبدُالله بنُ شبيب فَقُلْتُ: ايش أقولُ فيهما؟ فقالا: قُلْ فيه إنْ شئت حدّثنا، وإنْ شِئْتَ أخبرنا، وإن شئت كتب إليّ»[1].

وَقُلْتُ: والإجازة المَذْكُورَةُ في ترجمةِ مادّة الْجَذر أ ج ز ليسَتْ لها علاقةٌ بإجازَةِ الاسْتيرادِ أو بالإجَازة في (ليسانس) الآداب مثلًا أو بكلوريوس في الآداب، فهاتان الإجازتان من مادّة الْجَذْر ج و ز، والإجازةُ أَيْضًا في قَوْل اللَّيث السّابق وَوَضَعَه الصّاغاني في مادّة الْجَذْر: ج و ز، فقد جاء في (تاج العروس في جواهر القاموس) للزّبيدي: «..ثمّ رأيت الصّاغاني ذَكَر في ج وز ما نصُّه: قال الليثُ: الإجَازُ ارْتِفَاق العَرَب، كانَتْ تَحْتَبي أو تَسْتَأْجِز؛ أيْ: تَنْحني على وِسَادة ولا تَتّكِئ على يَمين ولا شِمال، هكذا قال الأزهري. وفي كتاب الليث: الإجزاءُ بَدَلُ الإجازِ فيكونُ مِنْ غيرِ هٰذا التَّركيب»...

(١) قُلْتُ: كذلك وَرَدَتِ الْجُمْلَةُ الأَخيرة: «كتب إلي». وكذلك وَرَدَ السُّؤال «ايش أقول فيهما؟ فقالا قُلْ فيه». في (لسان العرب) لابن منظور طبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٥٥ في الجزء ٢٣ من ٦٥ جزءًا ص٣٠٥، ونَقَلْتُ النّص كلّه لأحتجّ بها على اسْتعمالهم أيش في السّؤال. فقد كَتَبْتُ فَصْلًا في: أيْ شي.

الإجّاص

(غَيْر الكُمَّثْرى والخَوْخ والمِشْمِش (والمشمش: مُثَلَّثَة المِيْمَيْن)

ما يُسَمِّيهِ أَهْلُ الشّامِ اليَوْمَ بِاسْمِ الإجّاص أو (الإنْجاص) هو الفاكِهَة التي تُسَمَّىٰ اليَوْمَ في مِصْرَ بِاسْمِها الفَصيح مَع إمالَةِ الأَلِفِ فيه: كُمَّثْرَىٰ؛ وفي دارجتهم يُمِيلُونها نَحْوَ الياء، كَأَنَّهُ (كُمَّثْرِيّ).

وفي ص ٥٣٩ من (معجم المُصْطَلَحات الزِّراعِيَّة) للشِّهابي: «إجاص، برقوق Prunier.

الإجاصُ في المُعْجَماتِ الأَصْلِيَّةِ وفي كُتُبِ الزِّراعَة القَدِيمَة هو هذا الشَّجَر. وَغَلِطَ أَصْحاب بَعْض المُعْجمات(١) الحَدِيثَة فَأَطْلَقُوا الإجاص على الكُمَّثْرَىٰ Poir جَرْيًا مع العامّة في الشّام. والشّامِيُّون يُسَمُّون هذا الشَّجَر الذي نَتَكلَّم عَلَيه خَوْخًا، وهو غَلَط...». ا.هـ الشّهابيّ.

وفي (القاموس المحيط وتاج العروس..): «أ ج ص: ..ولا تقلْ إنْجاص، أو: لُغَيَّة من إجّاص أو غَلَط صَوَابُهُ إجّاص. وهو دَخيل لأنّ الجيم والصّاد لا يَجْتَمعانِ في كَلِمة. والإجّاص: **المُشْمُش** والكُمَّثْرَىٰ بلغة الشّاميّين».

وفي (لسان العرب:) «م ش ش: وأهل الشّام يسمّون الإجّاصَ مِشْمِشًا».

وَأَذْكُرُ وأنا تِلْمِيذ شادٍ مُبْتَدِئٌ قَبْلَ نِصْفِ قَرْن أنّي سَمِعْتُ بِعالِمٍ مُسْتَشْرِقٍ أو مُسْتَعْرِب طَلَبَ من الباعَةِ في السُّوقِ العَتيق بِدِمَشْقَ زِنَةً من الكُمَّثْرَى، فغضبوا وظنّوه يَشْتُمُهُم!.

أَحْأَحَ وَأَحَّ وَتَنَحْنَحَ

في القاموس الحيط: «أَحَّ: سَعَلَ. والأُحاحُ: العَطَشُ والغَيْظُ وحَزازة الغَمّ، أو حرارة الغَمّ.. وَأَحْأَحَ زيدٌ: أَكْثَرَ مِنْ قَوْلِهِ يا أُحاحُ. وَأَحَّىٰ تَنَحْنَحَ، وأصلُهُ أَحَّحَ..» وزادَ ابنُ منظورٍ في (لسان العربِ): «أَحّ: حكايةُ تَنَحْنُحٍ أو تَوَجُّع».

[وفي نَحَّ: ن ح ح في القاموس أيضًا: «نَحَّ يَنِحُّ نَحِيحًا: تَرَدَّدَ صَوْتُه في جَوْفِهِ كَنَحْنَحَ وَتَنَحْنَحَ.. والنَّحانِحَةُ: البُخَلاءُ؛ وشَحيحٌ نَحِيْحٌ (إتْباع).»].

واحتجَّ ابنُ منظورٍ في (اللسانِ..) والمرتضى الزَّبيديُّ في (تاج العروسِ..) ببيت رؤبةَ بنِ العجاجِ يصفُ بخيلًا إذا سُئِلَ تَنَحْنَحَ وأَحَّ وسعلَ، فذكر هذا الشاهد في بعضِ كُتُبِ فصاحِ العامِّيَّةِ في عصرِنا دونَ ذكرِ اسمِ الشاعرِ، ففي (رَدِّ العامِّيِّ إلى الفَصِيح) لِأَحْمَدَ رِضا العامِلِيّ.

وأنشدُوا في وَصْفِ بخيلٍ:

«يَـكـادُ مِـنْ تَـنَـحْـنُـحٍ وَأَحِّ
يَحْكِـي سُعالَ النَّزِقِ الأَبَحِّ»

قلت: وَلِعَرْضِ المادَّةِ المُعْجَمِيَّةِ في: أ ح ح مُنَظَّمَةً تَنْظيمًا حَديثًا؛ آخُذُ مِمّا في معجمِ د. جورج متري عبدالمسيح (لُغَةُ العربِ):

«أَحَّ - أَحَحَ - يَؤُحُّ أَحًّا وأَحيحًا وأُحاحًا: سَعَلَ وَتَنَحْنَحَ.

و- تَوَجَّعَ بِصَوْتٍ مِنَ الغَيْظِ أو الحُزْنِ. و- اشْتَدَّ عَطَشُهُ.

أَحَّىٰ: أَحَّ (أصله أَحَّحَ).

أَحْ: حكايةُ صوتِ السَّاعِلِ أوِ المُتَوَجِّع.

الأُحاحُ: مَصْدَرٌ. و-: اشْتِدادُ الحَرّ. و-: العَطَشُ. و-: الغَيْظُ.

الأَحِيحُ: مَصْدَرٌ. و -: الغَيْظُ.

الأَحِيحَةُ الأَحِيحُ، بالمعنى الثاني». اهـ. الدكتور جورج عبد المسيح.

(١) يُرجى الرّجوع إلى ص ٧ من كرّاس صغير صدر للشهابي ذاته بعنوان: (نظرة في (المُنْجد..)).

قُلْتُ: وأضيفُ من لغةِ الأطفالِ، والمُرَبِّيْنَ قول أحمد أبي سعد في ص١١٢ مِن: (قاموس المصطلحات والتعابير الشّعبية) بعنوان: «في الاصْطِلاحاتِ الخاصَّةِ بالأطفالِ:... أُخْ: لِتَخْويفِ الطِّفْلِ من مُحاوَلَةِ لَمْسِ النَّارِ وَلَذْعِ الحَرارَةِ. وَهِيَ كَلِمَةٌ عَرَبِيَّةٌ بِحسبِ ما وَرَدَ في (تَقْويمِ اللِّسان) لابنِ الجَوْزِيِّ؛ تُقالُ عندَ الحرقةِ ولذعِ الحرارةِ المُمِضَّةِ. وقد تقالُ عندَ الأَلَمِ».

أَخّ

الأَخُّ: لغة في الأَخِ كما في القاموس المحيط وفي كثير من المعاجم الأخرى، وكما هو في لغيّتنا الشّعبيّة العامّيّة واللغيّات العامّيّات الأُخرَيات. وتجدها في: أ خ و.

أمّا: أَخْ: «فاسمُ صوتٍ يدلّ على التوجّع والتأوّه من غيظٍ أو حُزن» كما في (المعجم الوسيط)، وكذلك في المعجم العربيّ التراثيّ (كالقاموس المحيط) وفيه: «وأَخْ كلمة تَكَرُّهٍ وَتَأَوُّهٍ». وكذلك في معجم أحمد بن فارس؛ (مقاييس اللغة): «أَخّ:... تأوّه أو تكرّه.. قال ابن دريد: أَخّ كلمة تقال عند التأوُّه، وأحسبُها مُحدَثة. ويقال إن أَخِّ كلمة تقال عند التكرُّه للشيء. وأنشد:

وكانَ وصْلُ الغانياتِ أَخَّا»

وفي (لسان العرب) لابن منظور ورد هذا البيت:

وانْثَنَت الرِّجْلُ فصارَتْ فَخّا

وصار وصل الغانيات أخّا

ويرى الحريري[1] في (دُرّة الغوّاص في أوهام الخوّاص)[2] أنّ العرب تنطقها بالحاء المُهمَلة، ولْكنّ الأُحاح في المعاجم كما في (القاموس المحيط) للعَطَش والغيظ وحزازة الفم. فيرد ابن الحنبلي في (بحر العوّام فيما أصاب فيه العوامّ) مُسْتَشهِدًا برواية الأنصاري في كتب اللغة.

ويلاحظ محقّق (مقاييس اللغة) وشيخ المحقّقين عبدالسلام محمّد هارون؛ في حاشيته على ابن فارس أنّ أخ «ضُبِطَت في اللسان بضمّ الخاء، وفي الْجَمهَرة بفتحها، وفي القاموس بالسّكون». قلت: وضبطها ابن فارس أو عن أستاذه ابن دريد بِكَسْرِ الخاء..

وقلت: ولْكنّ الشّاهد الذي أورده اللسان بفتح الخاء وليس بضمِّها! ومهما يكن فالعامّيّة عندنا تسكّن الخاء كالفيروزابادي في القاموس المحيط، أو لأنَّ العامِّيَّة عندنا تسكّن، والمهمّ أنّ عامّتنا يستعملونها بمعنى التوجّع والتأوّه والتكرّه كما في المعاجم، وكما في قول العامَّة: (أخّ منك)! وفي عصرنا أهمل (المعجم العربيّ الأساسيّ) الذي أصدرته المنظَّمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم: أ خ خ.

أُخُوَّة الإِخْوان والإِخْوَة والخُوَّة والخَيّ

مَرَّ ذِكْر الأخ في عامّيّتنا بتشديد الخاء، لغة منَ الأخ بالتَّخفيف رَوَتها معجمات اللغة عن ابن دريد والأزهري..

وفي عامّيّتنا يقالُ هذا خَيّي، يَقْصدون تصغيرَ أخي إلى أُخَيّي ثمّ يَحْذفون الهمزةَ تخفيفًا. كما حُذِفت الهمزةُ من الأُخُوَّةِ فقيلَ الخُوَّة، وقد وردت (خُوَّةُ الإِسْلام) في الحديثِ والأثرِ كما هو معروفٌ. وقد كتبَ في عصرِنا أحمدُ رضا العامليُّ عن الخُوَّةِ، ولْكنَّ وضعها في ص١٧٣ من (ردّ العامّيِّ إلى

(١) (٢) القاسم بن علي بن محمد الحريري؛ أبو محمد من سنة ٤٤٦هـ حتى سنة ٥١٦هـ. وقد صورت مكتبة المثنى ببغداد طبعة ليبزيغ سنة ١٨٧١م من كتابه (درّة الغوّاص).

الفصيح) في حرفِ الخاءِ: خ و و «الخُوَّةُ عند أهلِ الباديةِ العربيّةِ ما يدفعُهُ الغريبُ الطارئُ لشيخ القبيلةِ التي يمرُّ بأرضِها ليحميَهُ، أو يدفعُها الشيخُ الصغيرُ في قبيلةٍ مجاورةٍ لشيخٍ أقوىٰ منهُ ليقيمَ في حِماهُ. ويرادُ بها الأخُوَّةُ مصدر آخاه أخوّة أي اتَّخذه أخًا أي إنّ مَنْ يدفعُها يصبُح أخًا لمن يدفعُها إليه يجبُ عليه حمايتُه». اهـ. رضا.

وإليكم هذه النّقولَ من مادّةِ الجذرِ: أ خ و: في (لسان العرب) لابن منظور، لنتأمّلَ في مقدارِ اقترابِها من الاستعمالاتِ العامّيّةِ الدارجةِ حتّى اليوم في أغلبِ بلادِ العربِ كما هي عندَنا:

«أخا: الأخُ من النَّسَبِ: معروف، وقد يكونُ الصَّديقَ والصَّاحبَ، والأخا، مقصورٌ، والأَخْوُ لغتانِ فيهِ حَكاهما ابنُ الأعرابيّ؛ وأَنْشَدَ لخُلَيْجٍ الأَعْيَوِيِّ:

قد قلت يومًا، والرِّكابُ كَأَنَّها
قوارِبُ طَيْرٍ حانَ منها وُرودُها
لِأَخَوَيْنِ كانا خيرَ أَخْوَيْنِ شِيْمَةً
وَأَسْرَعَهُ في حاجَةٍ لي أُريدُها

... الْجوهريّ: الأخُ أَصْلُهُ أَخَوٌ، بالتَّحريك، لأنّه جُمِعَ على آخاءٍ مثل آباء، والذّاهب منه واوٌ لأنّكَ تقولُ في التّثنية أَخَوانِ، وبعضُ العربِ يقولُ: أَخانِ، على النّقص، ويُجمعُ أيضًا على إِخْوان... وعلى إِخْوَةٍ وأُخْوَةٍ عن الفراء.

وقد يُتَّسَعُ فيه فَيُرادُ به الاثنان كقوله تعالى: ﴿فإن كان له إِخْوَةٌ﴾ وهذا كقولك: إنّا فَعَلْنا وَنَحْنُ فعلْنا وأنتما اثنان.. والجمع من كلّ ذلك أَخُونَ وآخاءٌ وإِخْوانٌ وأُخْوانٌ وإِخْوَةٌ وأُخْوَةٌ بالضَّمّ...

وقولُهم: إخوانُ العَزاءِ وإخوانُ العملِ وما أشبهَ ذلك إنّما يريدونَ أصحابه ومُلازميه، وقد يجوزُ أن يَعنُوا به أنّهم إخوانُه، أي إخوتُه الذين وُلدوا مَعَه، وإنْ لم يولد العَزاءُ ولا العمل، ولا غير ذلك من الأغراض، غير أنّا لم نسمعْهم يقولونَ إِخْوَةُ العَزاءِ ولا إِخْوَةُ العَمَل ولا غيرُهما؛ إنّما هو إخوان، ولو قالوه لَجازَ، وكلُّ ذلك على المثَل؛ قال لبيد:

إنّـما يـنـجـحُ إخـوانُ الـعَـمَـلْ

يعني من دَأَبَ وتَحَرَّكَ ولم يُقِمْ؛ قال الرّاعي:

على الشّوقِ إخوانُ العَزاء هَيوجُ

... وقالُوا: الرُّمْح أخوك وربّما خانَك. وأكثر ما يُسْتَعملُ الإخوانُ في الأصدقاءِ والإخوة في الولادة، وقد جُمِع بالواو والنون، قال عَقِيلُ بْنُ عُلَّفَةَ المُرِّيّ:

وكـانَ بـنـو فـزارَةَ شَـرَّ قَـوْمٍ
وكنتُ لهم كَشَرِّ بني الأخِينا.

قال ابن برّي: وصَوابُه: وكان بنو فزارة شَرَّ عَمٍّ...

... التّهذيب: هم الإخوةُ إذا كانوا لأبٍ، وهم الإخوان إذا لم يكونوا لأب[1].

... والأختُ: أنثى الأخِ، صيغةٌ على غير بناء المذكّر، والتاء بدلٌ من الواوِ، وزنها فَعَلَةٌ فنقلوها إلى فُعْلٍ.. وليستِ التّاءُ فيها بعلامةِ تأنيثٍ كما ظَنَّ مَنْ لا خِبْرَةَ له بهذا الشّأن...

وآخى الرجلَ مؤاخاةً وإخاءً ووخاءً.. والعامّة تقول: واخاهُ [قلْتُ: العامّةُ في رأي ابن منظور؛ أمّا في رأي الفيّومي في (المصباح المنير) عن ابن السّكّيت فهي لغة اليَمَن].

(١) وفي (التاج...) للزبيدي عن الأزهري: يقال للأصدقاء وغير الأصدقاء إخوة وإخوان؛ قال الله عز وجل: ﴿إنّما المؤمنون إخوة﴾ ولم يَعْنِ النَّسَبَ، وقال: ﴿أو بيوت إخوانكم﴾ وهذا في النَّسَبِ.

ابن بَرّي: حكى أبو عبيد في الغَريب المصنَّف ورواهُ عن الزّبيديّين: آخَيْتَ وَوَاخيتَ وآسيتَ وواسَيْتَ وآكلت وواكَلْتَ، وَوَجْهُ ذلك حَمْلُ الماضي على المستقبَلِ إذ كانوا يقولونَ: يواخي،... ولغة طيِّئٍ واخَيْتُه. وتقول: هذا رَجُلٌ من آخائي.. ولقد تَأَخَّيْتَ وآخَيْت وَأَخَوْتَ تَأْخُو... وَتَأَخَّيْتُ أخًا؛ أي اتَّخذت أخًا.. والتَّأَخِّي: اتِّخاذ الإخوان، وفي صفة أبي بَكْرٍ: (لو كنت مُتَّخِذًا خليلًا لَاتَّخَذْتُ أبا بكر خليلًا، ولٰكن خُوَّةُ الإسلام) قال ابنُ الأثير: كذا جاءَ في روايةٍ وهي لغةٌ في الأُخُوَّة. وأَخَوْتُ عشرةً أي كنت لهم أخًا. وَتَأَخَّى الرَّجُلُ: اتّخذه أخًا أو دعاه أخًا..» الخ..

قلت: هذا غيضٌ من فيضٍ ممّا في (اللسان..) وفي غيره من تصرّفاتِهم في التَفَنُّنِ بِتغايُرِ اللُّغَيّات وتوليد الصِّيَغِ المُتَنَوِّعة في هذه العبارة[1]. وأحيل الرّاغب بالمزيد إلى (التاج) والمُطَوَّلاتِ الأُخَرِ من كتبِ التراث اللغويّ.. أمّا في اللُّغويّاتِ المعاصرةِ فيمكنُ أن أذكرَ (المعجم) للعلايلي في مادّة الجذرين: (أ خ و) و(أ خ ي)... في القسم الثّاني من أقسامِ حرفِ الألفِ الأربعة...

فقولُ العامّةُ في عصرِنا: خَيِّيْ؛ على التصغيرِ وحذفِ الهمزةِ من أوَّلِهِ تخفيفًا: أُخَيّي على مثالِ قولِهم: بَيِّي والأَصْلُ المصَغَّر أُبَيّي. وكذلك قولُهم: خيّوه إمالة وتفخيم للقول المصغَّر: أُخَيّاهُ.. على ما أظنُّ. وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليم...

أمّا (الخوّة) فتجدها في خ وو.

الإدام

ما يزالُ الإدامُ في عامّيّتنا على مَعْناه التّليد ولفظِه الفصيح..

كانُوا يقولُون لنا - ونحن صغار -: كُلُوا وَأَدِّموا، فَنَفْهَم أنّهم يَطْلُبون منّا أنْ نَقْتَصِدَ ونحرصَ على الاكْتِفاءِ بقليلٍ من الإدامِ مع الخُبْز..

وفي (لسان العرب): «الإدامُ والأُدْمُ: ما يُؤْكَلُ بالخُبْز؛ أيَّ شيء كان؛ وفي الحديث: (سيّد إدام أهل الدُّنيا والآخرة اللحم). والجمع آدمة. وجَمْع الأُدْم آدام. وقد ائْتَدَم به، وأنشد ابن بَرّي:

إذا ما الخُبْزُ تَأْدِمه بِلَحْم
فذاك أمانَة الله الثَّريد»

وكذلك في (القاموس.. والتّاج..) ومنهما أُكْمل: «الإدام: ما يُؤْتَدَم به مع الخُبْزِ؛ في الحديث: (نِعْم الإدامُ الخَلّ)... وقال الشّاعر:

الأَبْيَضانِ أَبْرَدَا عِظامي
الماءُ والفَثُّ بِلَا إدامِ

والأديمُ: الطّعَام المَأدُوم، ومنه المَثَل: سَمْنُكُم هريق في أديمكُم؛ أي: في طعامِكم المأدُوم، يَعْني: خَيْرُكم راجعٌ فيكم، ويُقال: في سِقائكم؛ قُلْتُ: والعامّة تقولُ: في دَقيقِكم..».

وفي كتابِ الأمير أرسلان (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) ص٣٥ «والإدامُ كلّ مُوافِق ومُلائم، أو ما تَيَسَّر من الطّعام بدون طَبْخ، أيْ أكلُ الخبْزِ بما تَيَسَّر، ولم يَتَعَنَّت.. وإنّما العامّة تُشَدِّدُ الدال.».

[1] أما ابن فارس في مقاييس اللغة: أخ و. فيقول «ليس بِأَصْلٍ لأنّ همزته عندي مبدلة من واو، فتجدها في كتاب الواو.

ولكن (كتاب الواو) في المجلَّد السادس أي الأخير من (مقاييس اللغة) عندي، والذي حققه عبدالسلام محمّد هارون، وطبعه في ستة مجلّدات في القاهرة ثم صور بإيران سنة ١٤٠٤هـ لم أجد فيه ما يتعلّق بالأخوّة!!

الآدمي والأوادم:

لماذا يَهْجُر الكُتّاب والمُفْصِحون في الفُنون القَصَصِيّة والتَّمْثيليّة والحِواريّات الفصيحة ومُؤلِّفو كُتُب الأخلاق التَّرْبَويّة والفِكْريّة والفَلْسَفِيّة، عِبارَةَ (الآدمي) وجمعها (الأَوادِم)؟ وهي المُسْتَعْمَلَة في أَكْثر العامّيّات العَرَبيّة؛ بِمَعْنَى: الإنسان الحَميد السّيرة المُحِبّ لِحُسنِ التّلاؤُم والوِفاق مع مَن حَوْلَه من النّاس. وقد أشار إلى فَصاحَتِها كلّ مَن كَتَب في فصيح العوامّ منذ أَوّل هذا القَرْن، فعقد لها أحمد رضا العامِليّ فصلًا، في كتابه (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) منذ أكثر من ستّين عامًا، ثمّ كَتَب عن فَصاحتها أيضًا د.عبد المُنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامِّيّة ذات الحقيقة والأصول اللُّغويّة العربيّة)، ثمّ الأستاذ أحمد أبو سعد في: (قاموس المصطلحات والتّعابير الشّعبيّة).

وفي المُعْجم اللُّغوي القديم، كما في (لسان العرب) لابن منظور الخزرجي المصريّ، وكما في معاجم أخرى كثيرة:

«الأُدْمَةُ: القَرابَةُ والوَسيلةُ إلى الشَّيءِ. يُقال: فلان أُدْمَتي إليك أي وَسيلتي. ويُقال: بينَهما أُدْمَةٌ وَمُلْحَةٌ؛ أي: خُلْطَة. وقيل: الأُدْمَةُ: الخُلْطَةُ، وقيل: الموافَقَة. والأُدْمُ: الأُلفة والاتّفاق. وأَدَمَ اللهُ بينهم يَأْدِمُ أَدْمًا. ويُقال: آدَمَ بينَهما يؤدِمُ إيدامًا أيضًا، فَعَلَ وأَفْعَلَ بِمَعْنًى؛ وأنشد:

والبِيْضُ لا يُؤْدِمْنَ إلّا مُؤْدَما

أي لا يُحْبِبْنَ إلّا مُحَبَّبًا مُوضِعًا. وأَدَمَ: لَأَمَ وَأَصْلَحَ وَأَلَّفَ وَوَفَّقَ وكذلك: آدَمَ يُؤْدِمُ، بالمَدّ، وكلّ مُوافِق إدامٌ.

وَرَجُلٌ مُؤْدَمٌ: أي مَحبوب. ورجلٌ مُؤْدَمٌ مُبْشَرٌ. حاذق مُجَرَّبٌ قد جَمَع لِيْنًا وشِدَّة مع المعرفة بالأمور.

أَلَا تَرَاهُم لمّا كَسَّرُوا قالُوا: آدم وأَوادِم كسالِم وسوالم؟..

... وفي الحديث عن النّبيّ - ﷺ - أنّه قال للمُغيرة بن شُعْبَة وخَطَبَ امرأةً: (لَوْ نَظَرْتَ إِلَيها فَإِنَّه أَحْرَى أن يُؤْدَمَ بَيْنَكُما)؛ قال الكسائي: يُؤْدَمَ بينكما: يعني أن يَكُون بَيْنَكما المَحَبَّة والاتّفاق».

ا.هـ. ابن منظور.

قلت: إنّه صار مِن حقّ (الآدَميّ والآدَمِيّة) أن يَدْخُلا في المادَّة المُعْجَمِيَّةِ الحَديثة؛ وأن يُقَرِّرَ المَجْمَعُ اللُّغَويّ إِدْخالَهما إلى مُعَجَمه، فَلِماذا لَمْ يَدْخُلا إلّا مَنْسُوبَيْنِ إلى (آدَم) أَبِي البَشَر، أو الصَّحيح أنّه دخل الذَّكَرُ فقط مَنْسوبًا إلى أَبِينا كما في (المعجم الوسيط) مُعجَم مَجْمع مصر؛ وَلَعلّ هذا هو السَّبَبُ الحَقِيقيّ الذي دَفَعَ الكُتّاب إلى أن يَتَجَنَّبُوا ويَتَباعَدُوا عن اسْتِعمال هذا الوَصْف العامّيّ للأَوادِم بِمَعْنى النّاس الطيّبين المُحِبِّيْنَ المُحَبَّبِينَ المُتَلائِمِين المُتَوافِقِين مع البِيئة الاجْتِماعِيّة، إذا كان الآدَمِيّ نِسْبَةً إلى أَبِينا آدَم، أمّا نقيض الآدميّ من المَيّالِين إلى الخِصام والكَراهِية والجَفاء والانْعِزال عن الجَماعَة وعَدَم التّلاؤم مع الحَياة الاجْتِماعيَّة، فهم يَسْتَحِقُّونَ أنْ يُسَبُّوْا ويُشْتَمُوا بكونهم لَيْسُوا مِن بَني آدَم الذين يَتَلاءَمون وَيَتَوافَقُون مع الآخَرِينَ في المُجْتَمَع، فهم (غَيْر أَوادِم)! إنَّ عَكْسَ هذا الظَّنِّ هو الصَّحيح كما سَنَرَى حين نَبْحَثُ عن أَصْل عِبارة الآدَمِيّ، وهذا الظَّنُّ المَعْكُوس سَبَبُه أَنَّ الغالِبِيَّةَ الكُبْرَى مِن مُؤَلِّفي المُعْجَم اللُّغَويّ العَرَبِيّ لم يُفَكِّروا كثيرًا بِأَصْلِ المَعْنَى في كُلِّ عِبارة، كما فَكَّرُوا بِأَصْل اللَّفْظ؛ فقد اهْتَمُّوا بالأُصولِ اللَّفْظِيّة اهتمامًا شَغَلَهُم عن الاهْتِمام بِأُصولِ المَعاني إلّا لِمامًا؛ وقد يَذْكُرُون أُصُولَ المَعاني في بعضِ العِباراتِ ذِكْرًا طارِئًا عارِضًا، ولٰكنّهم لا يَضَعُون أَصْل المَعْنى في

مَناهِجِهم التي وَضَعوها لِصناعَةِ المَعاجِمِ صِناعةً عِلْمِيَّةً مُسْتَقصِيَة الدِّقَّة والإحاطَة والشُّمُول، ما خَلا مُؤَلِّفًا مُعْجَمِيًّا وَحيدًا هو أَحْمَدُ بْنُ فارِس في (مُعْجَم مقاييس اللُّغة) فهو قد أَلَّفه لهذا الهدف بالذّات، كما قال في مقدّمته: «إنّ للغة العرب مَقايِيْس صَحيحة، وأصولًا تَتَفَرَّع منها فروع. وقد أَلَّفَ النّاسُ في جَوامِعِ اللُّغَةِ ما أَلَّفوا، ولَمْ يُعَبِّرُوا في شيء من ذلك عن مقياس تلك المقاييس، ولا أَصْلٍ من الأُصُول. والذي أَوْمَأنا إليه بابٌ من العلم جَليل وله خَطَر عَظيم. ولقد صَدَّرْنا كُلَّ فَصْلٍ بِأَصْلِهِ الذي يَتَفَرَّع منه سائله، حتّى تكون الجُمْلَة المُوجَزَة شامِلَة للتَّفْصِيلِ، ويكون المُجيبُ عمّا يُسْأَل عنه مُجيبًا عن الباب المَبْسُوط بِأَوْجَزِ لَفْظٍ وَأَقْرَبِه».

فماذا قال ابن فارس هذا في أ - د- م؟: «الهمزة والدّال والميم أَصْلٌ واحِدٌ، وهو المُوافقَةُ والمُلاءَمَةُ، وذلك قَوْل النَّبيّ - ﷺ - للمُغيرة بن شُعبة - وخَطَب المَرْأة -: «لو نظرت إليها، فإنّه أحرى أن يُؤْدَمَ بَيْنَكُما» قال الكِسائيّ: يُؤْدَم بمعنى أنْ يكون بَيْنَهُما المَحَبَّةُ والاتّفاق، يُقال: أَدَم يأدِم أَدْمًا. وقال أبو الجرّاح العُقَيْلي مِثْلَهُ. قال أبو عُبَيْد: ولا أرى هذا إلّا من أَدَمَ الطّعام، لأنّ صلاحَه وطِيبَه إنّما يكون بالإدام، وكذلك يُقال طَعامٌ مَأدُوم. وقال ابْنُ سِيرين في طَعامِ كَفّارَة اليَمين: «أَكْلَةٌ مأدومة حتّى يَصْدُّوا». قال: وَحَدَّثَني بَعْض أَهْل العِلْم أنّ دُرَيْد بن الصِّمَّة أَراد أَنْ يُطلّق امْرَأَته فقالت: «أبا فلان، أَتُطَلِّقُني، فَوَاللهِ لقد أَطْعَمْتُك مَأْدُومي وَأَبْثَثْتك مَكْتومي، وَأَتَيت باهِلًا غَيْر ذاتِ صِرار». قال أبو عبيد: ويُقال: آدَمَ اللهُ بَيْنَكُما يُؤْدِمُ إِيْدامًا، فهو مُؤْدَم بَيْنَهما....

وَمِن هذا الباب قَوْلُهُم: جَعَلْتُ فلانًا أَدَمَةَ أهلي؛ أي: أُسْوَتَهُم، وهو صحيح لِأَنَّه إذا فَعَلَ ذلك فقد وَفَّق بَيْنَهُم.

والأَدَمَةُ: الوَسِيلة إلى الشَّيْءِ، وذلك أنّ المُخالِفَ لا يُتَوَسَّلُ به. فإن قال قائل: فَعَلَى أَيّ شَيْء تَحْمِل الأَدَمَةَ وهي باطِنُ الجِلْد؟ قيل له: الأَدَمَةُ أَحْسَنُ مُلاءَمَةً لِلَّحْمِ مِنَ البَشَرَةِ، **ولذلك سُمِّيَ آدَمُ عليه السَّلام؛** لأنّه أُخِذَ من أَدَمَةِ الأَرْضِ، ويُقال: هي الطَّبَقَة الرّابِعَةُ. والعَرَبُ تَقُول: مُؤْدَمٌ مُبْشَرٌ، أي قد جَمَعَ لِيْنَ الأَدَمَةِ وَخُشونَة البَشَرةِ. فأمّا اللَّوْن الآدم فَلِأَنَّهُ الأَغْلَب على بني آدَم. وناس تقول: أَدِيم الأَرْض وَأَدَمَتها: وَجْهُها» ا. هـ. ابن فارس.

قلت: هكذا كَشَف ابنُ فارس المُتوفّى سنة ٣٩٥هـ أنّ آدَمَ سُمِّيَ من الفِعْلَيْنِ أَدَمَ وآدَمَ اللذَيْنِ يُؤَدّيان المَعْنَى المَقْصُود من عِبارَة العَوامّ: (الناس الأَوادِم)، فجاء المعجم الوسيط بعد ألف سنة أي سنة ١٣٩٢هـ ينصّ على أنّ الآدَميّ منسوبٌ إلى آدم أبي البشر!! فلا يعيد إلى الأوادم قِيمَتَهَم المَعْنَوِيَّة ولا يعيد لهم أَصْلَهم اللُّغَويّ الذي اشْتُقَّ منه اسمُ أَبينا آدم ذاته..

وقلت: لَوْ سَلَك المُعْجَمِيّون العَرَب بعدَ ابن فارس في الدَّرْبِ الذي رادَهُ لهم ومَهَّدَه وخَطا فيه نحو اكْتِشاف أَصْل المَعْنى في كلّ عِبارة أو لَفْظ أَوْ جَذْر ثُلاثيّ، أو ثُنائيّ، لكان لنا اليوم مُعْجَم لِتاريخ التَّطَوُّرِ اللُّغويّ، هو المُعْجَم المَنْشود المَفْقُود حتّى اليوم، والذي تَصَدّى لِتَأْلِيفه مَجْمَع مصرَ في (المعجم الكبير) وما زال في بداية العمل منذ ستّة عقود، وأُنْجِزَ من القَليل.. وأَقَلّ من القليل.. منه.. لم يُلَبِّ الحاجة الماسّة التي نَشْعر بها، من أجل حلّ المُشْكلات اللُّغَويَّة التي نتخبّط فيها اليوم.

وإذا عذرنا مُؤَلِّفي مَعاجم الأَلْفاظ لانشغالهم بالتَّرْتيب اللَّفْظيّ؛ فَمِن أَيْن نَلْتَمِس الأَعْذار لِمُؤَلِّفي مَعاجم المَعاني؟ وبخاصَّة المَوْسُوعيّون

منهم كابن سِيْدَه في (المُخصّص) مثلًا؟ ألم تكن فرصتُهم هذه لاكتشافِ المعنى الأصليّ لِكلّ جَذْر، ولِتَمييزِه عن المعاني الفَرْعِيّة أو المجازيّة أو المُتطوّرَة، والمُتغَيِّرة، والطّارئة، والعارضة؟ لقد كانوا - إذًا - جديرين بأن يُسَيْطِرُوا على الظّواهِر المُتغَيِّرَة في مسار التَّطَوُّر اللُّغويّ، فلا يتّجه هذا المَسَارُ في اتِّجاه التّكْرار العَفْويّ الذي هو النّتيجة الطّبيعيّة لإهمال الرَّبْط بين أَصْل المعنى وبين مَسالِك القول في الاسْتِعمال اليَوْميّ للعِبارة اللُّغويّة.. حتّى يَصِلَ هذا المَسَار إلى أَنْ يَظُنَّ النّاس، وحتّى المُتخصّصون منهم؛ أنّ المَعْنَى الأَصْلي للعبارة ليس إلّا استعمالًا عامّيًّا مَغْلوطًا.. وحتّى نضطرّ إلى هذه الدِّيْبَاجَة كلّها من أَجْل إعادة التَّقْدير والاعْتِبار إلى المَعْنَى الأَصْليّ الذي نَبَذَهُ الفُصحاء وَتَباعَدُوا عنه وَتَرَكُوه للعَوَامّ..

وَمَن أَرادَ التَّوَسُّع المَوْسُوعيّ في إخراج المَعْلُومات، في غَيْر هذا الاتّجاه، فَلْيَرْجِع إلى موسوعة (المُعْجَم) للشَّيخ عَبْدالله العَلايلي؛ القسم الثّاني من المُجَلّد الأوّل الذي صدرت منه أربعةُ أقسام عن دار المعجم العربيّ ببيروت - لبنان سنة ١٩٥٤م. الصفحات ١١٤-١١٨، وبخاصّة في ص١١٦ العمود الأوّل.

فَعَلى الرّغْم من أنّ العَلايلي - فيما قَرَأْت له - لم يَكُنْ مِن أَهْدافِهِ، الكَثيرة الواسِعةِ، هَدَف الوُقوف عِنْدَ فَصيح العَوَامّ، إذْ لم أَجِد له بادِرَة نحو هذا الأَمْرِ ومع ذلك فَبَحْثُه طَريف...

أَدّى أو قَدّى يُؤَدّي أو يُقَدّي بِمَعْنَى: يَكْفِي وَيُوَفِّي

يَقولونَ عِندَنا: (بِيأَدّي وبِكَفّي وبِيْوَفّي، بمعنى يَكْفِي وَيُؤَدِّي الغَرَضَ؛ فإذا أَرادُوا أَنَّهُ يُوصِلُ إلى القصدِ والهَدَفِ فهو (بِيْوَدّي) بقلب الهمزة واوًا!

وفي (لسانِ العربِ) أ د ي: «وأَدَّى الشَّيْءَ: أَوْصَلَهُ، والاسْمُ الأَداءُ، وهو آدَى لِلأَمانَةِ مِنْهُ، بِمَدِّ الأَلِفِ، والعامَّةُ قد لَهِجُوا بِالخَطَإِ فقالوا فُلانٌ أَدَّى لِلأَمانَةِ، وَهوَ لَحْنٌ غَيْرُ جائِزٍ.

ولا يُقَالُ أَدَى بالتَّخْفيفِ بمعنى أَدَّى بالتَّشديد، وَوَجْهُ الكَلامِ أَنْ يُقالَ: فُلانٌ أَحْسَنُ أَداءً.. وَيُقالُ: تَأَدَّيْتُ إلى فُلانٍ مِن حَقِّهِ إذا أَدَّيْتَهُ وَقَضَيْتَهُ. ويقال: لا يتأَدَّى عبدٌ إلى اللهِ من حُقوقِهِ ما يَجِبُ. وتقولُ لِلرَّجُلِ: ما أَدْرِي كَيْفَ أَتَأَدّى إِلَيْكَ من حَقِّ ما أَوْلَيْتَنِي. وَيُقَالُ: أَدّى فُلانٌ ما عَلَيْهِ أداءً وَتَأْدِيَةً. وَتَأَدَّى إِلَيْهِ الخَبَرُ: أَي انْتَهى...».

قلْتُ: هٰذِهِ الأَخيرَةُ: تَأَدَّى إِلَيْهِ الخَبَرُ؛ أي: انْتَهَى إِلَيْه، هي بذاتِها التي تُقال عِنْدَنا بِإِبْدالِ الهَمْزَةِ واوًا: (تَوَدَّى) أي أُوْصِلَ. وكذٰلك أَدَّيْتُ إِلَيْهِ تُقالُ: وَدَّيْتُ إليه. وأمّا في مِصْرَ فتظلّ في عامِّيّتهم همزةً وَتُخَصَّصُ لِمَعْنَى أَعْطَيْتُهُ إِيَّاهُ؛ قال د.عبد المنعم سيّد عبدالعال في: (مُعْجَم الأَلفاظِ العامِّيَّةِ ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العَرَبِيَّةِ): «نَقولُ في دارِجَتِنا: إدِّيْلُ كذا أَعْطِيه إيّاهُ، والأَصْلُ فيها أَدِّ لَهُ، ثُمَّ أُميلَتِ الهَمْزَةُ وَأُشْبِعت كَسْرَةُ الدّالِ، وفي القاموسِ: أَدّاهُ تَأْدِيَةً: قَضاهُ، وأَدِّ اقْضِ». ا.هـ. عبدالمنعم.

قلتُ: ونَحْنُ في الشّامِ نَسْتَعْمِلُ أَيضًا: أَدّى يُؤَدّي بمعنى: أَوْصَلَ إلى الغَرَضِ وَوَفّى الحَقَّ وَأَوْفَى على الغايَةِ وَكَأَنَّهُ إيجازُ حَذْفٍ لِقَوْلِهِمْ: يؤَدِّي الغَرَضَ أو كَأَنَّهُ تَطَوُّرٌ لِأَصْلِ مَعْنَى الفِعْلِ أَدّى إِلَيهِ طُولُ الاسْتِعْمالِ مُنْذُ أَنْ كانَ الزّادُ الذي يُهَيِّئُ المُتَرَحِّلُ لِحَمْلِهِ مَعَهُ مَحْسُوبًا لِتَكْفِيْهِ وَيُؤَدّي أَيْ يُوصِلُ المُتَرَحِّلَ إلى تَأْدِيَةِ الرِّحْلَةِ؛ فَأَصْلُ الفِعْلِ لَدَى ابْنِ

فارِسٍ في: (مقاييسِ اللُّغَةِ): «أ. د. ى: أَصْلٌ واحِدٌ وَهوَ إيصالُ الشَّيْءِ إلى الشَّيْءِ أَو وُصُولُهُ إِلَيْهِ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِهِ؛ قالَ أَبُو عُبَيْدٍ: تَقُولُ العَرَبُ لِلَّبَنِ إذا وَصَلَ إلى حالِ الرُّؤُوْبِ، وَذٰلِكَ إذا خَثُرَ: قد أَدَى يَأْدِي أُدِيًّا. قال الخليلُ: أَدَّى فُلانٌ يُؤَدّي ما عَلَيْهِ أَداءً وَتَأْدِيَةً.».

قُلْتُ: وَلٰكِنْ مِنَ اللبنانيّينَ ومن السوريّينَ أيضًا من يقولونَها بالقافِ بدلًا من الهمزةِ: قَدَّى يُقدّي أو (بِيْقَدّي)، وهكذا تجدُها في بابِ القافِ لدى كلٍّ من أحمد رضا وشكيب أرسلان الذي يقولُ في: (القول الفصل في ردِّ العامّيِّ إلى الأصلِ) ص١٧٧: ق د ي: «ويقولون في لبنان (هذا بيقدّي) أي يكفي، و(فلان يا أخي قدّانا) أي جاء كُفؤًا لنا، و(أمَا قدّاك الذي فَعَلْتَهُ إلى الآن؟) أي ما كَفاكَ؟ إذ لا يوجدُ (قدى) بمعنى كفىٰ أصلًا، إنَّما أُخِذَ هذا الفَعْلُ من قَدْ بمعنى حَسْبُ، فإنّ قد، كما لا يَخفى على من يعرفُ الصَّرْفَ تأتي اسمًا وحرفًا، وقد الاسْمِيَّة إمّا أن تكون اسمًا مرادِفًا لِحَسْبُ مِثل: قَدْ زَيْدٍ درهمٌ، بالسكون على لغةٍ ضَعيفَةٍ، وإمّا أن تجيءَ اسمَ فعلٍ، ويقعُ الاسمُ بعدَها مَنْصوبًا على المَفْعوليَّة، نحو: قَدْ زيدًا دِرْهَمٌ أي يَكْفيهِ، فالعامَّةُ أخذُوا الفعلَ من هنا». وكذٰلك لدى رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) الذي يَرِيْدُ أَنّ قد (بمعنى قطّ حين تلحقُها ياءُ المتكلِمِ يُزادُ عليها نُونُ الوقايَةِ: قَدْني أَوْ بِدونِ نونٍ: قَدِي..».

قلتُ: هذا فيهِ ما فيهِ فإذا أردنا علاجَها بالقافِ لا بالأداءِ والتأدية.. فلعلّ من المُفيدِ أن نَذْكُرَ قولَهُم: «هذا على قَدِّ ذاك:؛ يراد المساواةُ والمماثلةُ». كما في قولِ الفيّومي في (المصباح المنير).

آذانُ الحيطانِ

لِلأُذُنِ في كَلامِ العامَّةِ والفُصحاءِ مَعانٍ مِنَ الكِناياتِ والمَجازاتِ.. منها قَوْلُهُم: لِلْحِيْطانِ آذانٌ؛ يُوْمِئُونَ به إِلَيْكَ أَلّا تَتَوَرَّطَ في الكلامِ الخَطيرِ الذي تُريدُ أَلّا يُذاعَ على لسانِكَ وأنت تَظُنُّ أَنَّهُ لا يُوجَدُ من يَنْقُلُ عَنْكَ فَتُفاجَأُ بِأَنَّ هناك من يَتَنَصَّتُ عليكَ وَيَنْقُلُ كَلامَكَ إلى مَنْ لا تُريدُهُ أَنْ يَسْمَعَ.. فَيُحَذِّرونَكَ بِقَوْلِهِم هذا.

وكنْتُ أَظُنُّ هذه الكِنايَةَ مِن أيّامِنا.. أيّام أَجهزة التَّسَمُّع والاسْتِخْبارات العالميَّةِ الشهيرةِ بالعَسَسِ والعُيونِ و.. الآذانِ.. ولٰكن يَظْهَرُ الآنَ لي أَنَّ هذا الجديدَ كانَ قَديمًا، إذ قَرَأْتُ لقاضي القُضاة شِهاب الدين الخفاجي[1] في (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل): «آذانُ الحيطانِ: النَّمّامُ وَمَنْ يَسْتَرِقُ السّمع؛ يقال: للحيطانِ آذان. قال الأَبِيْوَرْدِي:

سِرُّ الفتى مِن دَمِهِ إنْ فشا
فَأَوْلِهِ حِفْظًا وكِتْمانا
وَاحْفَظْ على السِّرِّ بَإِخْفائِهِ
فإنّ للحيطانِ آذانا».

وَأَسْتَرْسِلُ لِأَجِدُ في مادّة الْجَذر أذن كثيرًا من عباراتِ العامّيّة الفصيحة، فآخذُ عن الزمخشريِّ في (أساس البلاغة): «..وآذَنْتُه بِالأَمْرِ فَأَذِنَ به.. واسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ فَحَجَبَني الآذِنُ.. وَمِنَ المجَازِ: فُلانٌ أُذُنٌ مِنَ الآذانِ إذا كانَ سُمَعَةً، وهي أُذُنٌ وهُمَا أُذُنٌ. وَخُذْ بِأُذُنِ الكوزِ: وهي عُرْوَتُهُ.. وجاءَ لابِسًا أُذُنَيْهِ: أي مُتغافِلًا» ا.هـ.

(١) أحمد الخفاجي المصري، شهاب الدين شيخ الإسلام وقاضي القضاة فيما بين سنة ٩٧٧ وسنة ١٠٦٩هـ في كتابه: (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) والتصحيح والتعليق والمراجعة لمحمد عبدالمنعم خفاجي بالقاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٣٧١هـ وسنة ١٩٥٢م.

وهذه يقولونَ فيها عندَنا المثل: أُذُنٌ مِن طِينٍ وَأُذُنٌ من عَجين. أي مُغْلَقُ الأُذُنَيْنِ. وَنَقِيْضُ هٰذا قَوْلُهُمْ: عَيْنُهُ في الطَّبَقِ وأُذُنُه لِمَنْ زَعَقَ. وما أَكْثَرَ هذه المَجازاتِ التَّعْبِيرِيَّةَ التي هي أَدْخَلُ في بابِ الأمثالِ الشّعبيّةِ، فَأَعَدِّي عنها الآنَ لِأَسْتَطْرِدَ إلى ذِكْرِ غَلْطَةٍ إِعْلامِيَّةٍ كَتَبْتُ عنها في (مَجلّة المُعَلّم العربيّ)[1] قَبْلَ سَنَواتٍ وما زالت أَجْهِزَةُ الاستماعِ والإراءَة العربيّة في غالِبِ الأَحْيانِ تُعيدُها في كُلِّ يَوْمٍ مَرّاتٍ حين يعلنونَ عن (آذان الظهر) أو (آذان المغرب) الخ.. فيَمُدّون همزةَ أَلِفِ الأَذانِ بالمَدَّةِ كأنَّهم لم يَسْمَعوا قول شَوْقِيٍّ:

فَـلا الأَذَانُ أَذَانٌ فـي مَـنَـارَتِـهِ
إذا تَـعَـالَـىٰ ولا الآذَانُ آذانُ

وأَنَا المُتَمَنِّي أن يَظْهَرَ وَجْهُ جَوازٍ لِكُلِّ غَلْطَةٍ شائِعَةٍ تَسْهيلًا على النّاس، والمُضْطَرُّ هاهُنا أن أُسَجِّلَ اعْتِذارِي عن هذا الاِسْتطرادِ إلى غَلْطَةٍ لا أَسْمَعُها من العَوَامِّ فَتَراني مدافعًا عن صِحاحِهِمُ الفِصاحِ... ولٰكنْ لِأَعْتَرِفَ بِهجرانِ الأَحْرُفِ اللِّثوِيَّةِ فَيَسْتَبْدِلُونَ بِالذّالِ دالًا في العامِّيَّة وزايًا في فصيحِ الإعلامِيِّيْنَ!.

الأَرْبِيَّة: القرابة

يقول أحمد أبو سعد في (قاموس المصطلحاتِ والتّعابيرِ الشّعبيّة): «أُرْبِيّة: أهلُ بيتِ الشخصِ وبني عمِّهِ. يقولون: (كُلُّنا أُرْبِيّة) أي من أصلٍ واحدٍ». وهي صحيحة كما في (لسان العرب).

قلت في (اللسان): أَرَبَ: والأُرْبِيَّةُ أصلُ الفخذِ، تكونُ فُعْلِيَّةً، وتكونُ أفعولةً، وهي مذكورةٌ في بابِها.

وفي: ر ب ا (وهذه الألف واويّة أو بائيّة عنده) يقول ابن منظور مضيفًا إلى السّابق: «..وأُرْبِيَّةُ الرَّجُلِ: أهلُ بيتِهِ وبنو عَمّه لا تكونُ الأُرْبِيَّةُ من غيرِهم، قال الشّاعر:

وَإِنّي وَسْطَ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو
بِـلا أُرْبِـيَّـةٍ نَـبـتَـتْ فُـرُوعـا

ويقال: جاء في أُرْبِيَّةٍ من قومه، أي: في أهلِ بيتِه وبني عَمِّه ونحوِهم».

والأُرْبِيَّةُ: الأُرْمِيَّة

وحينَ كتبَ أحمد رضا العامليّ في جذر مادّة: أَرَمَ: في هوامشِ التّعليقاتِ عن العامّيّةِ في مُعجمه (متن اللغة) كتبَ عن «الأُرْمِيَّة: أصلُ الشجرةِ: مَحَرَّفَة من أرومة، أو من الأُرْبِيَّةِ وهيَ أصلُ الفخذِ، بإبدالِ الباءِ ميمًا، والراجحُ أنَّ أصلَها أُرمولة، وأرمولة العَرْفَجِ: جذورُه، وجمعُها: أرامل».

وذكرَ وفصَّلَ القولَ في ذلك في كتابِهِ (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) وربَطَ بينَها وبينَ (أَرْمِيّة العائلة).

قلْتُ: وفي دمشقَ يسمُّون أصلَ الجذرِ المتضخّمِ للنّباتِ: أُرْمِيَّةً ويَسْتعيرون العبارَةَ: أرميّة العائلة. وأنا أميل إلى أنّها من الأُرْمِيَّةِ.. أصلُ الفخذِ أو مشبّه به وإنْ كانَ أبو سعد يرى أنّها من الأرومةِ في (قاموس المصطلحات) ص٢٧٤ وص٣١٥ ولٰكنّه في ص١٩٩ قال:

من الأرومة أو من الأُرْبِيَّة وكلاهما معناه «الأصل».

(١) هشام النحاس في مقالة بعنوان: (التربية اللغوية والمعجم المدرسي) في ص٧٤ من العدد الثاني للسنة التاسعة والثلاثين من مجلة: (المعلّم العربي) الصادرة عن وزارة التربية السورية بدمشق سنة ١٩٨٦م.

الأَرْشُ والمُؤَارَشَةُ والمُحارَشَةُ والمُقارَشَةُ والمُهارَشَةُ والمُوارَشَةُ

هل آرَشْته أم حارَشْته أم هارَشْته أم وارَشْته (لا تُؤارِشْ فلانًا ولا تُحارِشْه ولا تَتَحَرَّشْ به) كذلك يقول لك الشعبيُّ الشاميّ مُحَذِّرًا من سوء عَلاقات التَّعامُل مع هذا الفُلان. .

وللقارئ أنْ يَصْبر على مشقّات الطّريقِ الطّويلةِ الوَعرة التي أدعوه إلى مُشارَكتي في سُلُوكها لِكَشْف عَلاقاتِ الإبدالِ بينَ حرْفٍ وحرْف، والتّداخل والاشْتِجار والتّلاقي فيما بينَ الألْفاظ والمعاني. . أو التّبادل والتّفرع والتّفرق والتّباعد فيما بينَها.

وخصوصًا أنّ الأرْش (الذي أوّله ألف مهموزة) يُشارِك الحَرْش في المُعجم العربيّ القديم، في حَمْل المعاني المناسبة، ولٰكنّ صيغة المُفاعَلَة في (المُؤارَشَة) في العامّيّة الشاميّة تجدُها في المُحارَشَة بفَصيحها وعامّيّها، كما تجدُها في المُقارَشَة والمُهارَشَة. .

ولم أجدْ المؤارَشة في مَعاجم العامّيّات المُعاصِرَة، ممّا يوحي أنّها ليست بالهمزة إلّا في عامّيّة دمشقَ، ولٰكنّي أتذكّر أنّ المُمَثّلين المصْريّين على الشّاشة يقولون: (فلان دائمًا آرِش ملحتي) كأنّهم يَقصُدون أنّه يحرّشُني أو يتحرّش بي أو شيئًا من قَبيل هذه المعاني التي كان يمكنُ للدكتور عبدالمنعم سيّد عبد العال أنْ يوضِحَها خيرًا منّي لو كان كَتَب عنها، لأنّه ابن البيئة المصْريّة. . والأَرْش موجودٌ في المعجمِ العربيّ التراثيّ، وفاؤه همزة، وإليكم ما في أوسع معجم قديم:

في لسان العرب لابن منظور: أرش: «أَرَّشَ بينهم: حَمَل بعضَهم على بعضٍ وَحَرَّشَ.

والتَّأْريش: التَّحْريشُ. قال رُؤبة:

أَصْبَحت من حِرصٍ على التَّأْرِيش

وَأَرَّشْتُ بين القوم تَأْرِيشًا: أَفْسَدت. وتأريش الحرب والنّار: تَأْرِيثُهما.

والأَرْش منَ الْجراحات: ما ليسَ له قَدْرٌ مَعلوم، وقيل: هو دِيَةُ الْجراحات وقد تكرّر في الحديث ذكرُ الأَرْشِ المَشْروع في الحُكومات، وهو الذي يأْخُذه المُشتري منَ البائع إذا اطَّلعَ على عَيْب في المَبيع، وأُرُوْشُ الْجنايات والْجراحات جائزة لها عمّا حَصَل فيها من النَّقص، وسُمِّي أَرْشًا لأَنّه من أَسباب النّزاع. يقال: أَرَّشْتُ بين القوم إذا أَوْقَعْت بينهم؛ وقَوْل رُؤبَة:

أَصْبِحْ، فَمَا مِنْ بَشَرٍ مَأْروشِ

يقول: إنّ عِرضي صحيح لا عيب فيه. والمَأْرُوش: المَخدوش؛ وقال ابن الأعرابيّ: يقول انْتَظِرْ حتّى تَعْقِل فليس لك عندنا أَرْش إلّا الأسِنَّة، يقول لا نَقْتُل إنسانًا فَنَدِيه أبدًا. قال والأَرْش الدِّيَةُ.

شمر عن أبي نَهْشلٍ وصاحبه: الأَرْش الرّشْوة، ولم يَعْرفاه في أَرْش الْجِراحات، وقال غيرُهما: الأَرْش منَ الْجراحات كالشَّجَّة ونحوها. وقال ابنُ شميل: ائْتَرِشْ من فلان خُماشتك يا فلان أي خذ أَرْشَها. وقد ائْتَرَشَ للخُماشة واستَسْلم لِلْقصاص. وقال أَبو منصور: أَصل الأَرْش الخَدْش، ثمّ قيل لِمَا يُؤخذ دِيَةً لها: أَرْش، وأهل الحجاز يُسمّونه النَّذْر. . . ، وقال القتيبي: يقال لِمَا يُدْفَع بين السّلامة والْعيب في السِّلْعَةِ: أَرْش، لأنّ المُبْتاع للثّوب على أَنّه صحيح إذا وَقَف فيه على خَرْقٍ أو عَيْب وَقَع بينه وبين البائع أَرْش؛ أي: خُصومة واخْتلاف، من قولك أَرَّشْتُ بين الرّجُلَيْن إذا أَغْرَيت أحدَهما بالآخر وأوقَعْت بينهما الشّرّ فسمّي ما نَقَص العيبُ الثوبَ أرشًا إذا

كان سببًا للأرش».

وفي هـ ر ش في اللسان والقاموس: «والتّهريش التّحريش بين الكِلاب والإفسادُ بينَ النّاس، والمُهارَشَةُ تحريش بعضها على بعضٍ». وفي اللسان أيضًا: «وفي الحديث: (يتهارَشون تَهارُشَ الكِلاب) أي: يتقاتلون ويتواثبون».

وفي ورش يقول ابن منظور أيضًا: «. . والتّوريش: التّحريش، يقال: وَرَّشْتُ بين القوم وَأَرَّشت».

وكذلك في: ق ر ش يقول ابن منظور ذاته: «. . والمُقَرِّشُ: المُحَرِّشُ. والتَّقْريشُ مثل التَّحْريش. وَتَقَرَّشَ عن الشيء: تَنَزَّهَ عنه. . والقَرَشَةُ: صوت نحو صوت الْجُوْزِ والشَّنِّ إذا حَرَّكتهما. وَتَقَرَّشْتَ الرّماحَ وتَقَرَّشَتْ وتقارشت: تطاعنوا بها فَصَكَّ بَعْضُها بعضًا ووقَع بعضُها على بعض فسمعْتَ لها صوتًا، وقِيل: تَقَرُّشها وَتَقارُشُها: تَشَاجُرها وتَداخُلُها في الحرب. . وتقارَشَت الرّماحُ: تداخلَتْ في الحرب. والقَرْشُ: الطّعنُ. وتقارش القومُ: تطاعنوا». . .

وفي أساس البلاغة للزّمخشري: «أَجَلُّ من الحَرْش، أنْ يُجْرَح ويُؤخذ بالأَرْش».

قلت: قول ابن منظور: «المُقرّش: المُحَرّش والتّقريش: التّحريش بعد قوله: أَرّش: حَرَّشَ والتّأريش: التّحريش» يُوصِلنا بالنتيجة إلى أنّ أَرَّشَ: قَرَّش. وأنّ التّقريش: التّأريش. . وهذا يوصلنا إلى عَلاقة الإبدال ما بين الهمزة والقاف في الفصيح، كمثل علاقة الإبدال بين القاف والهمزة بالعامّيّة. . فهذه ظاهرة مِنَ الظّواهر المُشترَكة بين الفُصحى والعامّيّات نكشِفُها ونُبَرْهِن عليها ونحنُ نكشِف الأصْل الفصيح للأرش والمؤارشة.

فنقول فاؤها همزة، أو حاء، أو قاف، وليست ببعيدة عن الهاء أيضًا كما ترى. .

وفي مادّة: أرش تجد في (المعجم) موسوعة عبد الله العلايلي سنة ١٩٥٤ - ١٩٥٥م في الصفحة ١٥٥ من القسم الثّاني من الأقسام الأربعة التي صدرت من المجلَّد الأوَّل منه عن دار المعجم العربيّ في بيروت لبنان: «المُؤارشة: (بالمعنى المَصْدَريّ): ملاحَقَة الإجرام ومُعاقبَتها، وبالفرنسيّة Vindicte. والإراش: ملاحقة جُرْمٍ باسم المُجتَمَع». ويرى العلايلي أنْ يُشْتَقَّ من الأَرْش بمعنى دفع الدِّيَةِ فيما دونَ النّفس، في القانون الْجزائيّ.

وتفيد مراجعة مادَّة الْجَذر: أرش في موسوعة العلايلي: (المعجم).

ولم أجد مادَّة الجذر: أرش في (المعجم العربيّ الأساسيّ) الذي أصدرته المنظَّمة العربيَّة للتَّربية والثَّقافة والعلوم.

الأَرِيضَة أَمِ القَرِيضَة؟

في عبارات الشّام العامّيّة: (الأريضة تأرضهُ): دعاءٌ عليه. .

وفي كتب اللغة كما في (مختار الصحاح) للرّازي عن الْجوهريّ:

«أَرْضٌ أَرِيضَةٌ: أي زكيَّةٌ بَيِّنَةُ الأراضَة. وقال أبو عَمْرٍو: الأرضُ الأريضة: المُعْجِبَةُ للْعَيْن»؛ قلت: ليس المعنى المطلوب ولْكنّه سيأتي الآن فلْنكمل مُتابِعين الرّازي:

«والأَرْض أيضًا: النُّفْضَةُ والرِّعْدَة. قال ابن عبّاس - رضي الله عنه - وقد زُلْزِلَت الأرض أَزُلْزِلَتِ الأَرْضُ أم بي أَرْضٌ؟

والأَرَضَةُ بفتحتين دُوَيْبَّة تأكل الخشب. يقال:

أُرِضَتِ الخشبة، على ما لم يُسَمَّ فاعله تُؤْرَضُ أَرْضًا بالتّسكين فهي مأروضة».

وزاد الفيروزابادي في (القاموس المحيط):

«والمأروض: المزكومُ أُرِضَ - كَعُنِيَ -، وَمَنْ به خَبَلٌ.... والمُحرِّكُ رَأْسَه وَجَسَدَهُ بلا عَمْدٍ... وأَرِضَتِ القَرْحَةُ - كَفَرِحَ -: مَجِلَتْ وَفَسَدَتْ كاسْتَأْرَضَتْ.... وَآرَضَهُ اللهُ: أَزْكَمَهُ..».

وتقرأ لابن منظور في (لسان العرب) سِتّ صفَحات في: أرض؛ فلا تجد مَزيدًا ممّا له علاقَة بهذه العبارة؟

أمّا في: قَرَضَ؛ ففي القاموس: «القَرْضُ - وَيُكْسَرُ -: ما سَلَّفْتَ من إساءة أو إحسان، وما تُعطيه لِتُقْضاهُ، ﴿تَقْرِضُهُمْ ذاتَ الشِّمالِ﴾ السورة ١٨/ الكهف/ الآية ١٧؛ أي: تُخَلِّفُهُمْ شِمالًا وتُجاوِزهم وتَقْطَعُهم وتَتْرُكهم على شِمالها.

وقَرِضَ - كسمع - زالَ مِن شيءٍ إلى شيء.

والتَّقْريضُ: المَدْحُ والذَّمُّ؛ ضِدٌّ.. وهما يتقارضان الخَيْرَ والشَّرَّ».

وفي معجم أحمد رضا العامليّ؛ (متن اللغة):

أَرَض يَأْرِض: نام علَى الإرَاضِ - البساط - وأرضت الأرض كَثُر فيها الكَلأ.

أُرِضَ أَرضًا الخشبُ أكَلَتْه الأَرَضة. وأُرِض الرّجل: زُكِمَ: أُرْعِدَ، فهو مأروض.

آرَضَهُ اللهُ: أَزْكَمَهُ. وأَرَضَهُ: داواهُ منَ الأَرَض - الزُّكام - فهو مَأروض.

أَرِضت تَأْرَضُ أَرَضًا: القَرْحَةُ: مَجِلت وفسدت وتقطّعت.

قلت: وأهملها صاحب (متن اللغة) في كتابه: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح).

فلعلّها عامّيّة دمشقيّة لم يُسمع بها في جبل عامِلَةَ وجنوبيّ لبنان.

أرم وقرم

وتلاقي المعاني فيما بين بعض معانيهما:

في القاموسِ المحيطِ: أَرَمَ «أَرَمَ ما على المائدةِ: أَكَلَهُ فلم يَدَعْ شيئًا».

وفي القاموسِ المحيطِ أيضًا في: ق ر م: «وقرمَ الطعامَ: أكلَه، والبعيرُ يقرمُ قرمًا وقرومًا وقَرَمانًا: تناولَ الحشيشَ وذلكَ في أوّلِ أكلِه، أو هو أكلٌ ضعيفٌ، كتَقَرَّمَ والتَّقريمُ: تعليمُ الأكلِ بعد قولِه: القرم يحركه - شدةُ شهوةِ اللحم وكَثُرَ حتّى قيلَ في الشَّوقِ إلى الحبيبِ.. وقَرمَهُ: قَشَرَهُ، وفلانًا: سَبَّهُ».

أمّا أحمدُ رضا فقدْ قالَ في (ردّ العامّيِّ..) أصلُ الأرميّة هو القرميّة (في أربعةِ أسطرٍ من أصل ٣٢ سطرًا كتَبَها بعنوانِ: الأرميّةِ)، ولٰكنَّهُ لم يربطْ بينَ الفعلينِ أرمَ وقرمَ معَ أنَّه كتبَ عنِ الفعلِ أَرَمَ أحدَ عشرَ سطرًا وعن (قَرَمَ) فِقرتينِ في تسعةِ أسطرٍ.. ولعلَّهُ لم يخطرْ ببالِهِ أنْ يكونَ تبادلُ الإبدالِ بينَ الهمزة والقافِ في الفصيحِ القديمِ من الإبدال التراثيِّ الفصيح كما هو في العامّيّاتِ..

ود: عبد المنعم سيّد عبد العال في (معجمِ الألفاظ العامِّيّةِ ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العربيّة) كَتَبَ عن الفعلِ (أرمَ) سبعةَ أسطر معجميَّةً نصفيَّةً (لأنَّ في الصفحةِ عَمُودَين) وعن الفعلِ: قَرَمَ (وهو يضعُ فوقَ القافِ همزةً بدلَ النّقطتينِ ليدلَّ على أنّ العامّةَ تلفظُ هذه القافَ همزةً) كتبَ عنْ (قَرَمَ) ستّةَ أسطرٍ نصفيّةً وكذلكَ كتبَ عن الأرمةِ ثمانيةَ أسطرٍ نصفيّةً، وعن القَرمةِ اثني عشر سطرًا ولم يفكّرْ في الربط بالإبدال بينَ الهمزةِ والقافِ فيهما.

فالمُحْدَثونَ كالقدماءِ أيضًا لم يخطرْ لهم أن

يُلاحظوا هذا الإبدالَ القديمَ الْجديدَ بينَ الهمزةِ والقافِ ولم يَنْتَبهوا إلى تكرارِ معنى أرمَ ما على المائدةِ في قرمَ الطعامَ أكَلَه. . .

ولستُ أتمنّى أن يُظنَّ أنّي أقصدُ إلى إضاعةِ الفروقِ الدَّقيقةِ في المعنى بينَ أَرَمَ وَقَرَمَ، وإنّما الأمرُ على العكسِ. . فجوهرُ العبقريّةِ اللّغويّةِ في الفروقِ الدّقيقةِ. . . وقد أطلْتُ النُّقولَ من اللسانِ من أجلِ تبيانِ هذه الفروقِ ودقَّتِها.

ولكنّ ظاهرةَ إبدالِ القافِ همزةً في عامّيّاتِ الشّامِ ومصرَ وغيرِهما تبدو لي جديرةً بالاكتشافِ وبالانتباه إلى أنّ مثلَها يقعُ في الفصيحِ في بعضِ الأحيانِ. . فليستْ ظاهرةً عامِّيَّةً خالصةَ العامِّيَّة. .

ولا تظنَّنَّ الفيروزابادي وحدَه في (القاموس المحيط) يكرّرُ معنى الأكل في الأرمِ والقرمِ دونَ أن يَذْكُرَ ما بينَهما من تلاقٍ في المعنى نلاحظُه مع التَّلاقي اللفظيِّ وتبادلِ الإبدالِ بين القافِ والهمزةِ. .

فانظرْ إلى ابنِ منظورٍ المصريِّ في (لسانِ العربِ) يكرّرُ ويشرحُ أكثرَ: ففي أَرَمَ:

«أَرَمَ على المائدةِ يَأْرِمُه: أَكَلَهُ؛ عن ثعلب. وأَرَمَتِ الإبلُ تأرِم أرْمًا: أكَلَتْ. وأَرَمَ على الشيءِ يأرِمُ، بالكسر، أي: عَضَّ عليه.

وأَرَمَهُ أيضًا: أَكَلَهُ؛ قال الكُمَيْتُ:

وَيَأْرِمُ كلَّ نابتةٍ رِعاءً
وَحُشّاشًا لَهُنَّ وحاطبينا

أي من كَثْرَتِها.

ومنه سَنَةٌ آرِمَةٌ أي مُسْتَأْصِلَةٌ. ويُقَال: أَرَمَتِ السَّنَةُ بأموالنا: أي أَكَلَتْ كلَّ شيءٍ. وقال أبو حنيفةَ: أَرَمَتِ السّائِمَةُ المَرْعى تأرِمُه: أَتَتْ عليهِ حتّى لم تدعْ منه شيئًا.

وما فيه إِرْمٌ وأَرْمٌ أي ضرسٌ. والأُرَّمُ الأضراسُ قال الجوهريُّ: كأنَّهُ جمع آرِمٍ. ويقال: فلان يَحْرِقُ عليك الأُرَّمَ إذا تَغَيَّظَ فَحَكَّ أضراسَهُ بعضَها ببعضٍ، وقيل: الأُرَّمُ أطرافُ الأصابع. ابن سِيْدَه: وقالُوا هو يَعْلِكُ عليه الأُرَّمَ أي يَصْرِفُ بأنيابِهِ عليه حَنَقًا. . . . . . والأَرْمُ القَطْعُ وأَرَمَتْهُمُ السَّنَةُ أَرْمًا: قَطَعَتْهُمْ. وأَرَمَ الرَّجُلَ يَأْرِمُهُ أرْمًا: ليَّنه؛ عن كراع.

وأرضٌ أَرْماءُ وَمَأْرومةٌ: لم يُتْرَكْ فيها أصلٌ ولا فَرْعٌ. . . وأَرِمَ المالُ إذا فَنِيَ. . وقالَ ابنُ الأثيرِ: والأَرُومةُ بوزنِ أَكُولَة - الأصلُ».

وفي: قَ رَ مَ يقولُ ابنُ منظورٍ في اللسانِ أيضًا: «والقَرْمُ: الأكلُ ما كان؛ ابنُ السِّكِّيتِ: قَرَمَ يَقْرِمُ قرمًا إذا أكلَ أكلًا ضعيفًا. ويُقالُ: هو يَتَقَرَّمُ تَقَرُّمَ البَهْمَةِ. وقَرَمَتِ البَهْمَةُ تقرِم قرمًا وقُرومًا وقَرَمانًا وتَقَرَّمَت: وذلكَ في أوّلِ ما تأكلُ، وهو أدنى التّناولِ، وكذلك الفَصِيلُ والصبيُّ في أوّلِ أكلِهِ. وَقَرَّمَهُ هو: عَلَّمَهُ ذلك؛ ومنه قولُ الأعرابيّةِ ليعقوبَ تذكُر لهُ تربيةَ البهمِ: ونحنُ في كلِّ ذلكَ نُقَرِّمُهُ ونُعَلِّمُهُ. قال عديّ:

فظِباءُ الرَّوْضِ يَقْرِمْنَ الثَّمَر.

وَقَرَّمَ القِدْحَ: عَجَمَهُ».

ويمكن أن يُضَاف في أرم ملاحظات الشيخ عبد الله العلايلي في مادَّة الْجذر الثّلاثيّ للأرم لمن يرغب أن يراجعها في ص١٧١- ١٧٤ من القسم الثّاني من موسوعته (المعجم) التي أصدرها في أربعة أجزاء من المجلَّد الأوَّل سنة ١٩٥٤- ١٩٥٥م ببيروت - لنبان.

أمّا في ق ر م فلا يُمكنُكَ أن تَعود إلى مَوْسوعة العلايلي، فقد توقّف إصدارها قبل إنهاء حرف الألف.

الآزح

بعض العوامّ المُتَقدِّمين في السّنّ في الأحياءِ الشّرقيّة من مدينةِ دمشقَ يقولون: «لا أُحِبُّ التَّحَدُّثَ إلى فلانٍ لأنّه أَزِحُ الطَّبْعِ».. أو: (..آزح). سمعْتها - عَرَضًا بالمُصادَفةِ في حديثِ أبٍ إلى ابنتهِ - ولم أكنْ أعرفُها حتّى وصلْتُ إلى سنِّ السّتين، وسألتُهم عن معناها فاضْطَرَبَتِ الإجاباتُ، وسألْتُ في الأحياءِ الأخرى فوجدْتُهم لم يسمعُوا بها، فَنَقّبْتُ في كتبِ فصاحِ العامّيّةِ في لبنانَ ومصرَ فلم أجدْها، ولكنْ حينَ كاشفْتُ المعجمَ العربيَّ القديمَ وأنا أفترِضُها بالألفِ المهموزةِ أو بالقافِ وجدْتُهم لا يوافقونَ على كلِّ ما جاءَ في ق ز ح بالقاف وإنّما يُوافقون على ما وَرَدَ في أزح بالألفِ المهموزة:

وأحافظُ في هذا النّقلِ من نُقولي عنِ الزّبيديِّ، على الأقواسِ التي يحصرُ الزّبيديّ في داخلِها نصوصَ الفيروزابادي في (القاموس المحيط)، ثمّ يضعُ نقولَهُ الأخرى في خارجِ الأقواسِ. وفي: أزح وغيرها: - يَجمعُ الزّبيديّ في (تاج العروس من جواهر القاموس) بين ما في (القاموس المحيط) للفيروزابادي، وما في (لسان العرب) لابن منظور، وفيه: «(أَزَحَ) الإنْسانُ وغيرُه (يَأْزِح) من حدّ ضرب (أُزوحًا) بالضمّ، وكذلك أَرَزَ يَأْرِزُ أُرُوزًا: إذا (تَقَبَّضَ وَدَنا بَعْضُهُ من بَعْضٍ) قالَهُ الأصمعيُّ، وأزح: إذا (تَباطَأَ وَتَخَلَّفَ) وهذا من [الأزهري في معجمه]: التَّهْذِيب (كَتَأَزَّحَ) وعن الأصمعي أَزَحَتِ (القَدَمُ) إذا (زَلَّتْ) وكذلك أَزَحَتْ نَعْلُه؛ قال الطِّرِمّاحُ يَصِفُ ثَوْرًا وَحْشِيًّا:

تَـزِلُّ عـنِ الأرضِ أَزْلامُـه
كـمـا زَلَّـتِ الـقَـدَمُ الآزِحـه

(و) أَزَحَ (العِرْقُ) إذا (اضْطَرَبَ وَنَبَضَ) أي تَحَرَّكَ. (و) أنشد الأَزْهَرِيّ:

جرى ابن ليلى جِرْيَةَ السَّبُوحِ
جِـرْيَـةَ لا كـابٍ ولا أَزُوحِ

(الأَزُوح) - كَصَبُور: الرّجلُ المُنْقَبِضُ الدّاخلُ بَعْضُهُ في بَعْضٍ، وحكى الجوهريّ عن أبي عَمْرٍو: هو المُتَخَلِّفُ، وقال الفنوي: الأزوحُ من الرّجالِ: الذي يَتَأَخَّرُ (عن المكارِمِ) قال: والأَنُوحُ مِثْلُه وأنشد:

أَزُوحٌ أَنُوحٌ لا يَهَشُّ إلى النّدى
قَرى ما قَرى للضِّرْسِ بين اللَّهازِمِ

(و) قيل الأَزُوح: (الحَرون) كالمُتَقاعِسِ عن الأَمْرِ؛ قاله شمر، قال الكُمَيْت:

وَلَمْ أَكُ عِند مَحْمَلِها أَزُوحًا
كما يَتَقاعَسُ الفَرَسُ الحَزَوَّرْ

يصفُ حِمالَةً احتمَلَها. (والتّأزّح: التّباطُؤُ) عن الأمرِ. (والتقاعسُ) وفي التّهذيبِ: الأَزوحُ: الثّقيل الذي يَزْحَرُ عند الحمل.

واسْتَدْرَكَ شيخُنا: أَزَحَ بمعنى كَلَّ وأَعْيا عن أَرْبابِ الأفعال.

قلت: وهو قريب من معنى التَّقاعس». اهـ. الزّبيديّ.

وفي عَصْرنا قَدَّمَ الشّيخ عبد الله العلايلي في القسم الثّاني من المجلّد الأوّل من موسوعته (المعجم): «الوحدة الاشتقاقيّة وحكاية تطوُّر الْجَذر في أ ز ح: التَّحَرُّكُ المُتَداخِل بَعْضُه في بعض، فاشْتُقّ منه: الآزح لِلْمُتَقَبِّض.... و(مجازًا) نقل إلى معنى الحُرون والتَّقاعُس..» ثمّ يَشْتَقّ منه طائفة من المفردات المُلائِمَة، والمُصطلَحات الطِّبِّيَّة المُناسِبَة من: «أَزَحَ العِرْقُ

إذا نَبَضَ واضْطَرَب وتحرّك..».

أَزّهُ (لا: وَزّهُ)

يُقالُ في عاميّتنا: (فلانةٌ تَوُزُّ زَوْجَها على ضرَّتها)؛ وفي مِصْر يقول د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العاميّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقولُ في دارِجَتِنا: وَزَّ فلانٌ على فُلانٍ: حَرَّضَهُ ضِدَّهُ ومَلأَ نَفْسَهُ بما هَيَّأَها لِتَنْفيذ الخُطَّةِ المَرْسُومةِ. والأصلُ فيها: وَزَّأَ. وسُهِّلَت الهمزة. وفي القاموس: وَزَّأَ فُلانًا، حَلَّفَهُ بِكُلِّ يَمينٍ، وَوَزَّأَ القِرْبَةَ: مَلأَها فَتَوَزَّأَت. تَطَوُّرٌ دَلاليٌّ علاقَتُهُ المُشابَهة». قُلْت: لكنّني أَسْأَل عمّا هو أَقْرَب مِنْ التَطَوُّر الدّلاليّ.. فالواوُ مُبْدَلَةٌ من همزةِ الْقَطْعِ في أَوّل الكَلِمَةِ كما رأيت في: أَجَّ التي يَلْفُظُونَها: وَجَّ،.. فالتّطَوّر لَفْظِيّ فقط... وكذلك حينَما يقولونَ: (وَزَّهُ يوُزُّه فكلامُه كلُّهُ وَزٌّ).. فكأنّهم يسهلونَ همزة الفعلِ: أَزَّهُ يَؤُزُّهُ الوارِدُ في المَعاجمِ بمعنى: أَغْراه وَهَيَّجهُ وَحَثَّهُ فيُبْدلون بها واوًا، فالأَصْلُ: الفِعْلُ الوارِدُ في الآية الكريمة: ﴿إنّا أرسَلْنا الشياطينَ على الكافرينَ تَؤُزُّهُم أَزًّا﴾ السورة ١٩ مريم الآية ٨٤.

قال ابنُ فارس في (مقاييسِ اللغة): «الهمزةُ والزّاءُ يدلّ على التَّحَرُّك والتَّحْريك والإزْعاج. قال الخليل: الأَزُّ حَمْلُ الإنسانِ الإنسانَ على الأَمْر بِرِفْقٍ واحْتِيال....

قال أبو عُبَيد: الأزّ ضمُّ الشّيْءِ إلى الشّيْءِ. قال الخليل الأَزُّ غَلَيانُ القِدْرِ، وهو الأزيزُ أيضًا؛ وفي الحديث كان يُصَلِّي وَلِجَوْفه أزيزٌ كأَزِيْز المِرْجَلِ من البُكاءِ».

قُلْتُ: والغَلَيانُ تُسَمِّيهِ العامّةُ أيضًا (الوَزُّ) و(الوَزْوَزَةُ) و(الوَزِيزُ) بالواوِ في أوّلِه عِوَضًا عن الهمزة..! بمعنى نَشيش القِدْر وصَوْت الغَلَيان...

وبمعنى الغَلَيان يَبْدأُ ابن منظور مادّةَ أَزَزَ في (لسان العرب):

«أَزَّتِ القِدْرُ تَؤُزّ وَتَئِزُّ أَزًّا وأَزِيْزًا وأَزَازًا وائْتَزّت: اذا اشْتدّ غليانُها، وقيل: هو غليانٌ ليس بالشّديد..... وصوتُ الرَّعْدِ.. وصوتُ امْتِلاءِ المَجْلِسِ بالنّاسِ فهو يَأْزَزُ لأنَّه امْتلأ فَكَثُرَتْ فيه الأصْواتُ وارْتَفَعَتْ...».

وفي (ردّ العاميّ إلى الفصيح) لأحمد رضا العامليّ وفي حرف الواو (١١) وزز: «ويقولون وَزَّهُ على فُلان إذا أَغْراه به وحَرّشه. والفصيح أَزّه (بالهمزة) بمعنى: أَغْراه وهيّجه، وبمعنى حَثَّهُ وحَمَلَه بِحيلَةٍ وَرِفْقٍ على الأَمْرِ لِيَفْعَلَه.». ا.هـ أحمد رضا.

وكذا يقول الأمير شكيب أرسلان في: القول الفصل في ردّ العاميّ إلى الأَصْل ط١ سنة ١٩٨٨. لٰكِنْ في حَرْف الهمزة (الحرف الأول):

«أَزَّهُ على الشّيْءِ: أَغْراه به، والعامّة في مِصرَ والشّام تقول «وزّه».

ثمّ يُضِيف مُحَقِّقُه مُحمّد خليل الباشا في الحاشية:

من معاني أَزَّ في اللغة قَوْلُهم: أَزَّ بَيْنَ القوم: أَغْرى وأَفْسَد، وأزّ النّار: أَلْهَبها وَأَزَّ القِدْرَ أَلْهَبَ النّارَ تَحْتَها، وأَزَّ الرَّجُلَ: أَغْراه وهيّجه.

أمّا الإبْدال بَيْن الهمزة والواو، ففي العربيّة الفصحى كثير منه؛ فقالوا: أَوْصَدَ البابَ وآصَدَهُ، والإكاف والوكاف، والإشاح والوِشاح، وأَنَّبَهُ وَوَنَّبَهُ، وَوَشَرَ أَسْنانه وَأَشَرَها، وَوَكَّدَهُ وَأَكَّدَهُ، وفي القرآن الكريم: ﴿ولا تَنْقُضُوا الأيمانَ بعد توكيدها﴾». ا.هـ. محمّد خليل الباشا.

والأَصْل: أَزَّ وارِدٌ في القاموس المحيط للفيروزابادي: «أَزَّتِ القِدْرُ تَئِزُّ وَتَؤُزُّ أَزًّا وأزيزًا

وأَزازًا بالفتح وَتَأَزَّتْ: اشْتَدَّ غَلَيَانُها، أو هو غَلَيان لَيْس بالشّديد. والنّارَ أوقَدَها. والسّحابةُ صَوَّتت من بعيد..» وأكْتفي في القاموس بهذا لأنْتَقِل إلى الزّمخشريّ في (أساس البلاغة) الذي يَذْكُر ما نَقَلْتُه من القاموس، ويُضيف: «وَصَدَّعَني أَزِيْزُ الرّحا[1] وهَزِيزُها. وأَزَّهُ على كذا: أَغْراهُ به وَحَمَلَهُ عليه بإزعاجٍ. وهو يَأْتَزُّ مِنْ كذا: يَمْتَعِضُ منه ويَنْزَعِجُ.

ومن المَجاز: لِجَوْفِهِ أزيز».

أَسامي

العامّة تجمع الاسم على الأسامي، فيتجنّب الكتّاب هذا الجمع ويستعملون: الأسماء، ولكنّ الذين يعرفون أن يستخرجوا كلمة اسم من (س م و) في المعجم يجدون في (القاموس المحيط) في باب الواو والياء، وفصل السّين؛ أن الْجمع أسماء وأسماوات، ولكنّ جَمْع الْجَمْعِ أسامِي وأسامٍ.

وقد ذكرها د. عبد المنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة...) في (باب الألف) فهي في عامّيّة مصر الدّارجة أيضًا: (أسامي النّاس).

الأسامي وإسماعين وأسامة

أريدُ أن أحيلَ المُنَقِّبَ عنِ (الأسامي) إلى س م و لأنَّ المؤلِّفينَ في المعجم تابَعُوا نحاةَ البَصْرةِ واختاروُا هذا الأصلَ ولَمْ يختارُوا: و س م كما قالَ بعضُ العلَماءِ[2] في الكوفةِ ولكنّي أحبَبْتُ أن أستوثِقَ من خُلُوِّ مادّة الْجَذْرِ أ س م من فصاحِ العامِّيّةِ فاكتشفْتُ عدمَ خلوِّها وإن اختلَفَتْ مفرداتُها فيما بينَ معجمَيْنِ قديمَيْنِ هما: (لسانُ العرب) لابن منظورٍ الذي وجدتُهُ يقولُ فيها: «إسْمٰعيلُ وإسْمٰعينُ: اسمان». فقلت: عوامُّ دمشقَ يلفظونَ هذا الاسمَ العَلَمَ بالنُّونِ، وكُنْتُ أظنُّ - و﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ - أنَّ هذا الإبدالَ باللامِ نونًا من تحريفاتِهم العامّيّةِ للاستسهالِ اللفظيِّ..!

والثّاني (مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس فوجدْتُهُ يقولُ في مقياسِ هذه المادَّةِ: «الهمزةُ والسّينُ والميمُ كلمةٌ واحدةٌ، وهو أُسامَةُ، اسم من أسماء الأَسَدِ». فقلْتُ: هذا حسن أن أعرِّفَ مَنْ يسألونَ عن معنى هذا الاسْمِ العَلَمِ الواسع الانتشار؛ ولٰكنْ لماذا الأسدُ أسامَةُ؟ وهل كانَتْ صفةً من صفاتِهِ ثمّ حلَّتِ الصِّفةُ محلَّ الموصوفِ مثلًا؟ فأفتشُ في معاجمَ أخرى؛ وفي (أساسِ البلاغةِ) للزّمخشريّ «أجرأُ من أسامةَ» فقط، فقد اكتفى الزمخشريّ بها.

وفي (القاموس المحيط): والأسامة لغة فيه، وسامَةُ لُغَةٌ فيه. وفي (المصباح المنير) أُسَامة علمُ جِنْسٍ على الأسدِ فلا ينصرفُ. وكذا في المنجدِ وغيرِهِ.

ولا أجد تفسيرًا إلّا في المعجمِ الموسوعيِّ الذي أَلَّفَ منهُ العلّامةُ عبدُاللهِ العلايلي أربعةَ أقسامٍ من المُجلَّدِ الأوَّلِ في حرفِ الألفِ سنة ٥٤-١٩٥٥م.

(١) وَرَدَتِ الرّحا في (أساس البلاغة) هاهنا بالألِف الممدودة، وفي مَوْضعها: ر ح ي فيه كذا مرّة وباليائيّة مرّات...

(٢) انظر (الإنصاف في مسائل الخلاف) لأبي البركات كمال الدين ابن الأنباري، عبدالرحمن بن محمد ابن عبدالله بن أبي سعد الأنباري النّحويّ المولود سنة ٥١٣هـ. والمتوفّى سنة ٥٧٧هـ. طبع في القاهرة سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م بتحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. في جزأين. والخلاف حول اشتقاق كلمة اسم من السّموّ كما قال البَصْريّون أم منَ الوَسْم كما قال الكوفيّون. وهذا الخلاف في المسألة الأولى في مفتتح كتاب الإنصاف هذا.

وفيه: «والملحظ الاشتقاقيّ فيه، أنّ (فُعالَة) تدلُّ على الكُتْلَةِ المُسْتَخلَصَةِ منَ الشّيءِ، وإطلاقُهُ على الأسدِ يَعْني الكُتْلَةَ من الحركةِ النّاشطةِ القويّةِ حيثُ الأَجَمَاتُ..».

أَشَرَ

قد يُفاجَأ الدّمشقيّ إذا قرأ للفيروزابادي في مادَّة الْجذر: أ ش ر: في القاموس، كما في غيره من كُتُب اللغة والمعجمات: «..وأشر الخشب بالمئشار: شَقَّهُ. والآشرةُ: المأشورة».

فهل يَختلِط هذا الفعلُ في عامّيّتنا مع الفعل أشر الذي فيه الإبدال من قَشَرَ؛ . المعروف؟ سؤال كان يمكنُ أن نَلْمح شيئًا من الإجابة عليه في علم اللغة المُقارَن، وكنت على أمل أنْ أهتدي إلى أيِّ بصيصٍ أو ظلّ يُضيء ولو شُعاعًا كأضعف خيط لِتَلَمُّس السّبيل المُؤدّي إلى جُزْء من الإجابة العِلْمِيّة الصّحيحة المَنْشودة لو كنْتُ وجدت في كُتُب العامّيّات الأخرى وعلاقتها بالفصيح، أعني لو وجدت شيئًا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) لأحمد رضا العاملي، أو (معجم الألفاظ العامِّيّة...) للمصريّ د.عبد المنعم سيّد عبدالعال أو غيرهما.. رشيد عطيه اللبنانيّ أو حليم دموس أو شكيب أرسلان ولٰكنّي رجَعْت من الرّجوع إليهم في مادّة هذا الْجذر خالي الوِفَاض فقلت: أقبل أنْ أترُك للقرّاء والباحثين في العامّيّات العربيّة من حولنا حتّى يُتاح لِمَن يَسْتَكْمِل هذا البحث ما لم يُتَح لي من السّماع أو القراءة، ولٰكنّي أنقل من (المعجم الوسيط) لمَجْمَع القاهرة ما أكاد أُحِسُّ أنّ له علاقة بفِصاح العامّيّة من مادّة التّركيب: أشر.

أشر

في (المعجم الوسيط) معجم المَجْمَع في مصر ط٢:

«أَشَرَ الخشبة وغيرها يأشُرها أشرًا: نَشَرها. والأسنان: حزّها ورقّق أطرافها.

أشَّرَهُ: أشَرَهُ. ويقال: ثَغْر مُؤَشّر. وأشّر على الكتاب: وضع عليه إشارة برأيه. (مُحْدَثَة)».

فهل اختلط هذا الفعل مع الفعل أشر الذي فيه إبدال من قَشَرَ المعروف؟

أمّا أشر بمعنى مَرِحَ وبَطِرَ ونشط فلا أجد ما يقرّبه إلى موضوعنا هذا.

أَمَّرَ

أَمَّرَ الخبز لعلَّه من جَمَّرَ وليس من خَمَّرَ كما لدى د. عبد المنعم سيّد عبدالعال.

أَشَّ الأَشّ وأشأشه؟ أم قَشْقَشَهُ؟

(تؤشّ الأكلَ وتؤشّ كُلَّ غَرَضٍ وكل حاجةٍ، ولا تترك لغيرك أي شيء)؟ كذلك يعاتبك العامّيّ الشاميّ إذا رآك تأكل كل ما لَك وما لِغيرك، أو تجمع كلّ شيء وتُؤْثِر نفسَك به وتحرِم منه الآخرين.

فإذا اطمأنَنْت إلى الإبدال بهمزتها قافًا فستجد المعجم العربيّ يستجيب لك سريعًا دون أيِّ عائق.

أمّا إذا أصْرَرْت على أنّها في الفصيح بالهمزة أيضًا فستجدها في المعجم ولٰكنْ بِمَعَانٍ أُخَر غير مُتناسِبَة مع المعنى العامّيّ.. كيف ذلك؟ تأمَّل معي إذًا فيما قال ابن منظور في (لسان العرب): أ ش ش: «الأَشُّ والأَشاشُ والهَشاش: النّشاط والارتياح، وقيل: هو الإقبال على الشّيء بنشاط. أَشَّهُ يَؤُشُّهُ أَشًّا؛ وأنشد:

كيف يُؤَاتِيهِ ولا يَؤُشُّهُ

والأَشَّاش: الهشّاش [وفي: هـ ش ش قال ابن

منظور: والهشاش والأشاش واحد] وفي الحديث أنّ علقمة بن قيس كان إذا رأى من أصحابه بعض الأشاش وَعَظَهم، أي إقبالًا بنشاط» وكذلك نصّ مختار الصّحاح للرّازي، ثمّ يزيد ابن منظور في اللسان.. «والأشاش والهشاش: الطّلاقة والبشاشة. وأَشّ القومُ يَؤُشّون أشًّا: قام بعضهم إلى بعض وتحرّكوا؛ قال ابن دريد: وأحسبهم قالوا: أشَّ على غَنَمه يَؤُشُّ أشًّا مثل: هَشَّ هشًّا، قال: ولا أقف على حقيقته. ابن الأعرابيّ: الأَشُّ: الخبز اليابس الهشّ وأنشد شَمِر:

رُبَّ فتاةٍ من بني العِناز
حَيّاكَةٍ ذات هَنٍ كِناز
ذي عَضُدَيْنِ مُكْلَئِزٍّ نازي
تأَشُّ لِلْقُبْلَةِ والمَحازِ

شمر عن بعض الكلابيّين: أَشَّت الشَّحْمَةُ وَنَشَّتْ، قال: أَشَّتْ إذا أخذت تَحَلَّبُ، ونَشَّتْ إذا قَطَرَت».

وزاد الفيروزاباديّ في القاموس المحيط: «وأَلْحِقِ الحِشَّ بالإشّ لغة في السين وذكر». وفي القاف نجد هذه المعاني وأكثر منها ممّا يوحي بأنّ الإبدال بين الهمزة والقاف في الفصيح أحيانًا أيضًا..

ولم أجد شيئًا عن: أشّ يؤشّ في أساس البلاغة والمصباح المنير وكذلك لن تجدها في معاجم فصيح العامّيّ للدكتور عبدالمنعم وأحمد رضا والأمير شكيب أرسلان وغيرهم...

إنّما حين تنتقل إلى قَشَّ يَقُشّ فأنت - كما ذكرنا - واجد بُغْيتك في إعطائها اللفظ والمعنى الفصيح العامّيّ المَنشود؛ وأنت واجد قشقش أيضًا:

وقد كان من الحقّ أن نؤخّر إدراجها إلى القاف لولا أنّنا احتجنا إلى البرهان على نفيها من الألف.

ففي القاموس المحيط للفيروزاباديّ:

«قَشَّ الرَّجُلُ: أكل من هاهنا وهاهنا وَلَفَّ ما قدر عليه ممّا على الخوان والشَّيْءَ: جَمَعَهُ، والنّاقة: أَسْرَع حَلْبها. والشّيء: حكّه بيده حتّى يتحاتَّ وأكل ممّا يلقيه النّاس على المزابل، أو: أَكَلَ كِسَرَ الصَّدَقَةِ.. والقومُ انطلقوا فَجَفَلُوا كانْقَشُّوا.. وأقشَّ من الْجدري: بَرَأَ منه كَتَقَشْقَشَ، والمُقَشْقِشَتَانِ: ﴿قل يا أيّها الكافرون﴾ و﴿الإخلاص﴾ أي: المُبَرِّئتانِ مِنَ النِّفاق والشِّرْكِ أو تبرئان كما تُقَشْقِشُ الهِناءُ الجَرَبَ».

وفي أساس البلاغة للزَّمخشريّ:

«فلان يَقُشُّ الأموالَ: يَجْمَعُها. وَأَخَذَ قُماشَ البَيْتِ وَقُشاشَةُ.. وهو قَشّاش وَقَشوش: يَلُفّ ما قَدَر عليه. ورأيته يَقُشُّ الأحاديث...».

فهل على ما يقارب هذه المعاني حمل العامّة وطوّروا قولهم: (قَشّ ذِئنه) أي حَلَقَ لحيته؟!

ولم أجد لدى ابن منظور في ق ش ش في اللسان مزيدًا ممّا يهمّنا في هذا الموضوع. وقد أهملت موضوع القَشّ بمعنى النَّبات اليابس وما يتفرّع عنه من المشتقّات والعبارات المجازيّة والمعاني المُتولّدة منها لأنّ كلَّ ذلك من المعروف الذي لا يُعَرَّف به.

أَصَرَهُ: حَبَسَهُ وحَصَرَهُ وقَصَرَهُ

مضى لي زمنٌ وأنا على ظنّي - كغيري - أنّ قولَ العامّةِ: (أَصَرْتُ عن فلانٍ وعن شرِّهِ، وأرجو أن تأصروهُ وتأصروا شَرَّهُ عنكم) فاءُ فعلهِ همزةٌ في العامِّيَّةِ، مُبدَلَةٌ من القافِ الفصيحةِ.. حتّى وقعَتْ عيني على: (أَصَرَهُ: حَبَسَهُ) في مُختارِ الصّحاح.. ووجدْتُ حينَ عُدْتُ إلى المعاجمِ الأخرى، أنَّ: حَبَسَه من معاني قَصَرَه وحَصَرَه

وأصَرَه، بل هيَ أكثرُ من ذلك، فهي أصلُ المعنى في: الأَصْر - المهموز الفاء - لدى أحمد بن فارس صاحبِ (معجم مقاييسِ اللغةِ) وهو المعجمُ الوحيدُ في أصولِ المعاني، كما نعلمُ، وفيه ينصُّ على أنَّ: «الهمزةَ والصّادَ والرّاءَ؛ أصلٌ واحدٌ يتفرّعُ منه أشياءُ متقاربةٌ.

فالأَصْرُ: الحَبْسُ والعَطْفُ وما في معناهما... والمَأصِر (بفتح الصادِ وبكسرِها) من هذا لأنّه شيءٌ يُحبسُ به.. فأمّا قولُهم إنّ العهدَ الثقيلَ إصرٌ، فهوَ من هذا لأنَّ العَهْدَ والقرابَةَ لَهُما إصْرٌ ينبغي أن يُتَحَمَّلَ، ويقالُ:

أَصَرْتُهُ، إذا حَبَسْتهُ». قلْتُ: هذه المعاني التي ذكرَها ابنُ فارسٍ يتكرَّرُ مثلُها في عامّةِ المعاجمِ كاللسانِ والتاجِ، وأعودُ إلى القاموسِ المحيطِ فأجدُ: «الأُصْرُ: الكَسْرُ والعَطْفُ والحَبْسُ و... وَيُضَمُّ ويُفتحُ في الكُلِّ..

والمَأْصِرُ: المَحْبِسُ. جمعُها مَآصِرُ، والعامَّةُ تقولُ: معاصر..» قلْتُ: وهذهِ مُكرَّرَةٌ في (لسان العربِ) لابنِ منظورٍ أيضًا، وقلْتُ: لا أعرفُ المعاصر بمعنى المَحَابس، فأترُكُ هذه لِمَنْ يعرفُ العامِّيَّةَ التي كانَتْ في زمنِ ابنِ منظورٍ والفيروزابادي، على أنّني أذكّر أنّهم اليومَ، وفي المسلسلاتِ والتمثيليّاتِ والحواريّاتِ الناطقةِ بلغةِ جنوبِ مصرَ وصعيدِها يُبدلونَ بالهمزة عينًا فيقولون: (لَعّ)؛ ويقصدون (لأَّ) في لغةِ الشّمالِ وغيره..

وأعودُ بالقارئِ إلى أَصَرَ وقَصَرَ، فأقرأُ معَه للزَّمخشريِّ في (أساسِ البلاغةِ): «وَحَمَلَ عنهم الإصْرَ، أي الثّقلَ و﴿لا تَحْمِلْ علينا إصْرًا﴾ - [الآية ٢٨٦ من السورة ٢ البقرة]. وفلان إصارُ بيْتي إلى إصارِ بيتِهِ، وهو الطُّنُبُ. وهو جاري مُطانِبِيْ ومؤاصِرِي ومُكاسري ومُقاصِري، بِمَعْنى: ومضى فلان إلى المَأصِرِ، وهو مَفْعِلٌ منَ الإِصْرِ أو فاعل من المِصْرِ بمعنى الحاجز. ولعنَ اللهُ أهلَ المآصِرِ أو المَواصِرِ». والمَأْصِر في (لسان العربِ): «الحاجزُ في طريقِ العابرِ لمنعِ المرورِ وأخذِ العُشُورِ؛ أو سلسلةٌ تمتدُّ على النّهرِ لمنعِ السُّفُنِ من المُرورِ».

قلْتُ: أمّا معاجمُ فصيحِ العامّيّ فلم أجدْ فيها شيئًا منْ هذا كلِّه ومنَ الطبيعيِّ ألّا أجدَ فيها: قَصَرَ بمعنى حَبَسَ، لأنَّهم يجدونَها معروفةً لا تحتاجُ إلى تعريفٍ.. ولٰكنّي لم أجدْ فيها أيضًا: أَصَرَ.. فكأنَّها لم تخطرْ علىٰ بالٍ بهمزةٍ أصليّةٍ غيرِ مُبْدَلةٍ من القافِ كعادةِ العامّةِ، فكأنَّ هذا الإبدالَ قديمٌ وموجودٌ في الفصيحِ، كما كنّا رأينا في (قارَشْتُه وآرشْتُهُ وحارشْتُهُ وهارشْتُهُ ووارَشْتُهُ).. وكأنّه انتقلَ من الفصيحِ إلى عامِّيّاتِ مصرَ والشامِ وغيرِهما..

إحالة: أش (قَش). ستأتي في باب القاف لأنّ ترقيق القاف ولفظها همزة في دمشق وبيروت والقاهرة صار إبدالًا أو كالإبدال، لأنّها تلفظ في الأرياف والبوادي گافا فارسيَّة أو G في اللاتينيَّة.

إحالة: أَشْمُهُ نحيف. ستأتي في باب القاف لأنّ أصلها: قَشْمُهُ قليل الأكل..

إصْطفل: من الإصْطَفْلِين؟!

يفاجئُني الفيروزابادي في (القاموس المحيط) كما يفاجِئُني ابنُ منظورٍ في: أ ص ل من (لسان العرب) بعد عنوان: إِصْطَبْل، بهذا العنوان: «إِصْطفل: الإصْطَفلينَ: الجزر الذي يُؤْكَل، لغة شاميّة، الواحدة إصطفلينة... وفي حديث القاسمِ بن مُخَيْمَرَة: (إنَّ الوالي لَيَنْحِتُ أقاربُهُ أمانَتَهُ كما تَنْحِتُ القَدُوْمُ الإصطفلينةَ) أي: الجزرة... قال ابنُ الأثير: وأوردَها بعضُهم في

حرفِ الهمزة على أنّها أصيلةٌ وبعضُهم في الصّادِ على أنَّ الهمزةَ زائدةٌ؛. قال شِمر: الإصطفلينَةُ كالجزرةِ ليسْت بعربيَّةٍ محضةٍ لأنَّ الصّاد والطّاء لا يكاد يجتمعانِ في محضِ كلامِهم قال: وإنّما جاءَ في الصِّراط والإصطبْل والأُصْطُمَّةُ أنَّ أصلَها كلَّها السين». ويرى العلايلي في موسوعتِه (المعجم) أنّها معرَّبَةٌ من اليونانيّة Staflinas.

قلت: فهل للإصْطَفْلِينَة: الجَزَرَةِ علاقةٌ ما بالفعلِ اصْطفِل؟ الذي كنا نظنُّهم نحتوه نحتًا من قولهم: (اصْطفِ لك)؟! من الاصْطفاء، أو من القلبِ في الفعلِ افْتَصَلَ، ففاءُ الفعلِ فاءٌ كما يرى أحمدُ رضا العامليُّ في ردِّ العامّيِّ إلى الفصيحِ في حرفِ الصّادِ: ص ف ل. وسوف أفصِّلُ فيها في الصّادِ، وإن كنْتُ لا أظنُّ قولَهُم يصطفل أي فلْيَضَعْ جزرَةَ الإصطفلينَ في فمِهِ فيُسْكِتُهُ قَضْمُها ويُلهيهِ!! وإنّما هي فكرةٌ تَخْمينيَّةٌ أخرى تُذْكَرُ لتُضافَ إلى ما كان...

أَتَسْتَأْصِلُني وَأَصْلُك أَصِيْل؟

لا أكتبُ في أ ص ل لأعرِّفَ فصاحتَها في استعمالاتِها العامّيّة، فذلك أمرٌ معروفٌ، ولْكنْ لكي ألاحظَ أنّنا نجهلُ أصلَ الأصلِ وتطوّراتِه المتغايرةَ على الطّريقينِ المتناقِضَيْنِ اللّذَيْنِ يُفْضِي إلى تناقضِهما طَريقُ التَّطوُّرِ بطبيعتِهِ.. أو بطبيعةِ التَّطوُّرِ اللُّغويِّ فالشجرةُ تَسْتَأصِل أي: تَثْبُتُ أصولُها، وتُسْتَأصَلُ أي: تُقْتَلَعُ.. وأرجو ألّا يُظَنَّ أيضًا أنّها من الأضْدادِ أصلًا، وقد فَتَّشْتُ عنها في كُتُبِ الأضدادِ وأنا مُوقِنٌ مِن قَبْلِ البَحْثِ عنها أنّي لن أجدَها فيها لأنَّ تناقض طَرِيقَيْ التّطوّرِ اللُّغويّ هو الذي أدّى بها إلى هذا، وليسَ من طبيعةِ أصلِ العبارةِ؛ الأصل: أن تتناقضَ وتتضادَّ أصْلًا وفَصلًا...

والعلّامة عبدُ الله العلايلي فيما كانَ أصدرَ من المُجلّدِ الأوّلِ في موسوعتِهِ (المعجم) أوردَ في مادّةِ الْجذْرِ أ ص ل ثماني صَفَحاتٍ كبار من ص٢٥٠ حتى ٢٥٨ في القسمِ الثّالثِ. وعلى الرّغمِ من أنّها ليسَ فيها - وليس في كلِّ ما قرأتُ لهُ - ما يُوحي بأنَّه يفكّرُ في فِصاحِ العامِّيَّةِ، ولو من بعيدٍ إلّا أنَّ تفريعاتِه في تطوّراتِ هذا الْجذرِ ممّا يُحيِّرُ الألبابَ ويوقدُ نورَ التّفكير.

وفي مادّةِ الْجَذْرِ أ ص ل أجدُ ابنَ منظورٍ في (لسان العرب) يَتَنَقَّلُ بين النّقيضَيْنِ النّاتِجَيْنِ عن التَّطَوُّرِ فيبدأُ بالقولِ: «الأصلُ أسفلُ كلِّ شيءٍ» كما في (القاموس المحيط) للفيروزابادي.. فيتَّضحُ لي منْ هذهِ البدايةِ أنَّ منَ الأرجحِ والأقربِ أن يكونَ هذا هو المعنى الأصليُّ للأصلِ فمنَ الأسفلِ حيثُ الْجذرُ يُطلِقُ النَّباتُ والشّجرُ فروعًا شتّى في اتّجاهَيْن مُتناقِضَيْنِ أو اتّجاهاتٍ شتّى. وأعودُ إلى ابنِ فارسٍ مُفسِّرِ الأصولِ في (مقاييس اللغة) فأجدُ ما ليسَ مُجدِيًا.. لا كَالعَادَةِ!...

وأستمرُّ في الاختيارِ من ابنِ منظورٍ: «ويقالُ اسْتَأصَلَتْ هذهِ الشجرةُ أي: ثبت أصْلُها. واسْتَأصَلَ اللهُ بني فلانٍ إذًا لم يدعْ لهم أصلًا. واسْتأصَلَهُ؛ أي: قَلَعَهُ من أصلِهِ. وفي حديثِ الأُضْحِيَةِ: (أنَّهُ نَهَى عنِ المُسْتَأْصَلَةِ) وهي التي أُخِذَ قَرْنُها من أصلِه، وقيل: هي من الأصيلةِ بمعنى الهلاكِ.. واستأصَلَ القومَ: قَطَعَ أصْلَهُمْ. واسْتَأصَلَ اللهُ شأفَتَهُ: وهي قَرحةٌ تخرُجُ بالقدمِ فتُكوى فَتَذْهبُ، فدَعا اللهَ أن يُذهِبَ ذلك عنه[1].

(١) [قوله: «أن يذهب ذلك عنه» كذا بالأصل، وعبارته في ش أ ف: «فيقال في الدّعاء: أذهبهم اللهُ كما أذهبَ ذلك الدّاءَ بالكَيِّ»]. نصًّا عن حاشيةِ هذه الصفحة في (اللسان..) أ ص ل. طبعة بيروت سنة ١٩٥٦م.

وقَطْعٌ أَصيل: مُسْتَأْصِلٌ. وَأَصَلَ الشَّيْءَ: قَتَلَهُ عِلْمًا فَعَرَفَ أَصْلَهُ.

ويقالُ: إن النَّحلَ بِأَرْضِنا لَأَصِيْل؛ أي: هو به لا يزالُ ولا يَفْنَىٰ.

وَرَجُلٌ أَصيلٌ: له أصلٌ. وَرَأْيٌ أَصيلٌ: له أَصْلٌ ورجلٌ أصيلٌ ثابتُ الرَّأْيِ عاقلٌ. وقد أَصُلَ أَصالَةً...

ابنُ السِّكِّيت: جاؤوا بأصيلَتِهِمْ أي بأجْمَعِهِمْ.

والأَصيلُ: الهَلاكُ: قال أَوْس:

خافُوا الأَصيلَ، وَقَدْ أَعْيَتْ ملوكُهُمُ
وَحُمِّلُوا من أذى غُرْمٍ بأثقالِ

وأتينا مُؤْصِلينَ. وَقَوْلُهُم: لا أَصْلَ له ولا فَصْلَ؛ الأَصْلُ: الحَسَبِ، والفَصْلُ اللسانُ.. والأَصْلَةُ: حَيَّةٌ قَصيرَةٌ كالرِّئةِ حمراءُ ليستْ شديدةَ الحُمرةِ... وقال ابنُ الأنباريِّ: الأصَلَةُ الأَفْعَىٰ.. وَأَخَذَ الشيءَ بِأَصَلَتِهِ وَأَصيْلَتِهِ؛ أي: بِجَمِيْعِهِ لم يَدَعْ منه شيئًا، الأوّلُ عنِ ابنِ الأعرابيِّ.

وأَصِلَ الماءُ يَأْصَلُ أَصَلًا: كَأَسِنَ: إذا تَغَيَّرَ طَعْمُهُ وريْحُه من حَمْأَةٍ فيه. ويُقال: إنّي لَأَجدُ من ماء حُبِّكم طَعْمَ أَصَلٍ.

وأَصِيلَةُ الرَّجُلِ: جميعُ مالِه. ويقالُ: أَصِلَ فلانٌ يفعلُ كذا كقولِكَ طَفِقَ وَعَلِقَ». اهـ. ابن منظور.. ومثلُ ذلكَ في (أساس البلاغة) و(القاموس المحيط).

قلت: اقتربَ كثيرًا من (قولِ العامّةِ للتحدّي: أصلك تعمل كذا)؛ كما ذكرَ محمَّد خليل الباشا في حاشيتِهِ على قولِ الأميرِ شكيب أرسلان في ص٣٥ من (القول الفصل:): «أَصَّلَهُ: بَيَّنَ أَصْلَهُ»؛ وشرح الباشا تَخْرِيْجَهُ: «أنَّكَ تكونُ أصيلًا إذا فَعَلْتَ كذا»...

أُغُ = أُغّ = كُغْ = انْكُغَا في لُغَةِ الطُّفولة

في (قاموس المُصْطَلَحات والتَّعابير الشَّعبيَّة)[1]:

«أُغّ: حِكَايَةُ صَوْتِ الطِّفْلِ حين يُريد الكَلامَ، به يَبدأُ، وربَّما يُقالُ له ذلك، ويبدو أنَّ اللفظَ استعمالٌ قَديمٌ، ذَكَرَهُ البلوي (توفّي عام ١٢٠٧م في كتابِهِ ألف باء ج٢: ٣٧٥) قالَ: وفي ذلكَ يقولُ الشّاعرُ وكانَ له طفلٌ يقوله:

فِلْذَةُ قَلْبِي أَمَسُّها بِيَدي
إذا أرادَ الكَلامَ قَالَ أُغُ
لو وَصَفَ الواصِفونَ كُلُّهُمُ
مِقدارَ حُبّي لَهُ لما بَلَغوا».

قُلْتُ: أَسْمَعُهُمْ عندنا يقولون أُغْ وأُغُو وكِغْ وكِغّي وكِغّا وانْكِغّا وَذَكَرَها (قاموسُ المصطلَحَات..) بالكافِ المضمومَةِ أيضًا: كُغ، وذكر أنَّهم اشْتَقّوا منها الفعلَ «كاغى، وكاغَتِ الأُمُّ طِفلَها»؛ فقلْتُ: ويقالُ: بَدَأَ الطِّفْلُ يُكاغي أي: بَدَأَ يُجَرِّبُ أن يُصَوِّتَ ويقول: أُغّ...

أَفَرَك يَأْفِرُك

يقولُ العامّيُّ الشّعبيُّ في دمشقَ: «أَفَرَكَ فلانٌ» يقصدُ أنَّهُ اكتشفَ أمرًا منْ أمورِكَ. والفعلُ أَفَرَ فصيحٌ ووارِدٌ في المعجمِ التّراثيِّ، ولٰكنْ بمعنًى غيرِ هذا المعنى المجازيِّ المُسْتَخدَمِ استخدامًا بلاغيًّا بالمجازِ المُرْسَلِ الذي علاقَتُهُ السّببيَّةُ وذلكَ لأنَّ معنى الفعلِ أَفَرَ الفصيحِ يمكنُ أن يؤدّي إلى هذا المعنى بالنتيجةِ، وذلكَ إذا استخلَصْنا هذا مِنْ

(١) أحمد أبو سعد: (قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية) معجم لَهْجِيّ تأصيليّ فولكْلوريّ، أصدرته مكتبة لبنان: بيروت سنة ١٩٨٧. انظر ص١١٢ منه.

قولِ ابنِ فارسٍ في معجمِ مقاييسِ اللغةِ في أ ف ر:

«الهمزةُ والفاءُ والراءُ يدلُّ على خِفّةٍ واختلاطٍ. يُقالُ: أَفَرَ الرَّجُل، إذا خَفَّ في الخدْمةِ. والمِئْفَرُ الخادم. والأُفْرَةُ: الاختلاطُ..».

ومنَ المعروفِ أنَّ مَنْ يَخِفُّ في خِدْمَتِك ويَخْتَلِطُ بِكَ اختلاطًا لا بدَّ أنْ ينكشِفَ له أمرٌ أو أمورٌ من أمورِكَ.. عَرَضًا.. أو غيرَ عَرَضٍ من خلالِ الاختلاطِ والخدمةِ، وهذانِ المعنيَانِ واردانِ مع معانٍ أُخَرَ أيضًا، كالوَثْبِ والعَدْوِ وغَلَيانِ القِدْرِ ونشاطِ البعيرِ وَسِمَنِهِ، وذلك كما في القاموسِ المحيطِ للفيروزابادي. أمّا لدى ابنِ منظورٍ في لسانِ العربِ فأفرَ عَدَا وَوَثَبَ..

ولم أجدْ هذهِ العبارةَ في ما اطّلَعْتُ عليهِ من المؤلَّفاتَ عنِ العامّيّاتِ.. ولعلَّها غيرُ معروفةٍ إلّا عندَنا وليسَ عندَ جميعِنا أيضًا.. ولعلَّ فصيحها أيضًا: فَرَّك. فَانظر ف ر ر.

غير أنّي وجدتُ بين كتاباتِ علماءِ اللغةِ المعاصرين، فيما بدأَهُ الشيخُ عبداللهِ العلايلي من (الموسوعة..) التي سمّاها (المعجم) وأصدرَ منها عدَّة أقسامٍ من المجلّدِ الأوّلِ ثمَّ توقّفَ قبل أن يُنهيَ حرفَ الألِفِ، وفي أ ف ر يبدأ بالقول: «تدور المادّة في كلِّ مشتقّاتِها على النّشاطِ البالِغ ولا سيّما في اللطائف».

ولٰكن لم أقرأ للعلايلي اهتمامًا بفصاح العامِّيّة.

أَفَزَ: أَهُو مُقَارِب: قَفَزَ؟ وَأَفَرَ؟

الأَفْز والقفز في عامِّيّتنا بمعنى الوثب!

وفي القاموس المحيط: أ ف ز:

«الأَفْزُ: الوَثْبُ كَأَنَّهُ مَقْلوبٌ من الوَفْزِ.

وَأَنا على إفازٍ وَوِفازٍ كَإشاحٍ وَوِشاح».

وَأَهْمَلَ الأَفْزَ كلٌّ من (أساس البلاغة) و(مقاييس اللغة) و(المعجم الوسيط) و(المصباح المنير) و(مختار الصحاح) وأعود إلى (القاموس..) وفيه في: ق ف ز: «قَفَزَ يَقْفِزُ قَفْزًا وقَفَزانًا وَقُفازًا وقُفوزًا: وَثَبَ.. وخيلٌ قافِزَة وقَوافِزُ: سِراعٌ تَثِبُ في عَدْوِها».

وفي: و ف ز من (القاموس..) ذاته.

«الوفز [الأفز] العجلة. وَوَفَزَ: استقلَّ على رِجْليه ولم يَسْتَوِ قائمًا وقد تهيّأ للوثوب».

وفي: أ ف ر في باب ألراء في (القاموس.. وفي لسان العرب):

«الأَفْرُ: الوثوب والعَدْوُ والنَّشاط».

ويبدأ العلايلي في القسم الرّابع من موسوعته (المعجم) ص٢٧٦ مادَّة الْجذر: أَفَرَ، بالقول: «تدور المادَّة في كلّ مُشتقّاتها على النّشاط البالغ ولا سيّما في اللطائف..».

وفي (لسان العرب): أ ف ز (باب الزاي):

«الأَفزُ: الوَثْبَةُ بالعَجَلَةِ. والأفرُ [بالراء المهمَلة]: العَدْوُ».

إذًا ففي القاموس واللسان: الأفز والوفز والأفر والقفز والأَبْزُ: بمعنى الوَثْب[1]، وكذلك نَفَرَ يَنْفِرُ.

(١) قلت: وقد لاحظ هذا الإبدال بين الأَفْز والقفز د. عبد المنعم سيد عبدالعال في ص٤٨ من مقدمة (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربية). ط٢/ القاهرة سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. ولٰكنّه لم يلاحظ هذا الإبدال ما بين الهمزة والقاف إلّا في عبارتَيْن فقط: في هذه. وفي: زَنَّأ وزَنَّق على عياله؛ أي: ضيّق بُخلًا؛ في حين أن د. عبدالمنعم ملأ صفحتين في الإبدال ما بين الهمزة والواو، وفي مقدّمة معجمه هذا.. وأنا أذكر أني رأيت عشرات الأمثلة عما بين الهمزة والقاف من الإبدال.. في المعجم القديم.. ولعلَّ من الممكن البحث عن مئات الأمثلة فيه! عن هذا الإبدال فيما بين الهمزة والقاف.

أمّا أحمد بن فارس فلم يذكر أفز بالهمزة ولٰكنّه ذكر «القَفَزان مصدر قَفَزَ. ويقال للضفادع: قَوافِز».

تَأَفَّفَ ونَفَخَ: أُفْ

في عامّيَّتِنا الدّارجةِ يَكثُرُ استعمالُ هٰذا التَّأَفُّفِ المُشْتَقّ في أصلِهِ الفصيحِ من اسمِ الصَّوْتِ، أو ما سُمِّيَ عند النُحاةِ باسْمِ الفعلِ: أُفٍّ بِمَعْنى: أَتَضَجَّرُ.. وقد وَرَدَ في الحَديثِ الشَّريفِ ساكنَ الفاءِ كما في عامِّيَّتِنا اليومَ: (فَأَلْقَىٰ طَرَفَ ثَوْبِهِ على أَنْفِهِ وقالَ: أُفْ أُفْ) وَيُرْوَىٰ بِالتَّشديد مُنَوَّنًا كما في الآيةِ الكريمةِ: ﴿وَلَا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ﴾ السورة ١٧/ الإسراء: الآية٢٣.

ويقولُ العلايلي في القسم الرّابعِ من مَوْسُوْعَتِهِ (المُعْجَمِ) ص٢٨١: «وَتَأَفَّفَ بِهِ: ضاقَ وفي المَأْثورِ: (لا تَجِدْ في نَفْسِكَ من أَخْذِ بني أَخيكَ دونَك، لأنّهم كانوا صِبْيانًا فَخَشِيْتُ أن تَتَأَفَّفَ بهم نِساؤك فكنت أَلْطَفَ بهم وأصبرَ عليهم)...

وَلِهٰذه الكَلِمَةِ: أي (أُف) خمسونَ وَجْهًا مِن وُجوهِ النُّطْقِ، فقد أَحْصَى الأَخْفَشُ سِتَّةً مِنْها، وارْتَفَعَ بها ابْنُ مالِكٍ إلى العَشَرَةِ، والفَيْروزابادي إلى الأربعينَ، ثمّ جاء المُرْتَضَى الزَّبيدي فانْتَهَى بالعَدَدِ إلى سَبْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ تارَةً وإلى الخَمْسينَ تارَةً».

قلْتُ: وَابْنُ منظورٍ في (لسان العرب) يَجْعَلُها عَشَرَة وُجُوهٍ ويَرْوي «بيتَ جمالِ الدّينِ بْنِ مالِكٍ في جَمْعِ اللُّغاتِ العَشْرِ في أُفٍّ:

فَأُفَّ ثَلِّثْ وَنَوِّنْ إن أَرَدْتَ، وَقُلْ
أُفَّىٰ وَأُفِّي وَأُفْ وَأُفَّةً تُصِبِ

.. الجَوْهَرِيّ: يقال أُفًّا له وَأُفَّةً له أي قَذَرًا له، والتّنوين للتّنكير، وأُفَّةً وتُفَّةً وقد أَفَّفَ تَأْفِيفًا إذا قال أُفّ. ويقال أُفًّا وتُفًّا وهو إتباعٌ له...

وأصلُ هذا نَفْخُكَ للشّيءِ يسقطُ عليكَ من ترابٍ أو رمادٍ وللمكانِ تريدُ إماطةَ أذًى عنه؛ فَقِيْلَتْ لِكُلِّ مُسْتَثْقَلٍ. وقِيلَ أَصْلُ الأَفَفِ مِن وَسَخِ الأُذُنِ والإِصْبَعِ إذا فُتِلَ.... وَرَجُلٌ أَفّافٌ: كثير التَأَفُّفِ، وقد أَفَّ يَئِفُّ وَيَؤُفُّ أَفًّا.... وقال بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ: مَعْنَى الأُفَّةِ المُعْدِمُ المُقِلُّ من الأَفَفِ وهو الشّيءُ القليلُ.... واليأفوفةُ: الفَراشةُ.. واليأفوفُ: العَيِيُّ الخَوّار، قال الرّاعي:

مُغَمَّرُ العَيْشِ يَأْفُوفٌ، شَمائِلُهُ
تَأْبَى المَوَدَّةَ لا يُعْطِي وَلَا يَسَلُ».

الأَكِيْلُ يَسْتَأْكِل

الأكّال الكثير الأكل تقول في وصفه عوامّنا: أَكّيل؛ يضعفون الكاف، وهو في الفصيح أَكِيْلٌ على وزن فعيل، كما ورد في بيت الشاعر الجاهليّ عروة بن الورد العبسي يخاطب امرأته:

إذا ما صَنَعْتِ الزّادَ فَالْتَمِسِيْ لَهُ
أَكِيلًا فَإِنّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي

وفي أساس البلاغة للزمخشريّ ما أنتقي منه ممّا تستعمله العامّة: «رُبَّ **أَكْلَةٍ** مَنَعَتْ **أَكَلاتٍ**. وكان لُقمان من **الأَكَلَةِ**. وبُليت منه **بِأَكِيْلِ** سُوءٍ. **وأُكُلُ** بُسْتانِكَ دائم؛ أي: ثَمَرُهُ. ومن المجاز: فلان.. أَكَّلَ مالي وشَرَّبَه؛ أي: أَطْعَمَهُ النّاسَ.. وأَكَلَتْ أظفارَهُ الحِجارَةُ: قال أَوْسُ بنُ حَجَرٍ:

وقد أكلت أظفارَهُ الصَّخْرُ كُلَّما
تَعَنّى عليه طولُ مَرْقًى تَوَصَّلا

..وأكلت النارُ الحَطَبَ.. وهو مِن ذوي الآكال، أي من السّادات الذين يأكلون المِرْباعَ ونحوَه. وَأَكَّلْتُكَ فلانًا: أَمْكَنْتُكَ منه. ولمّا قال المُمَزَّق:

فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ
وَإِلّا فَأَدْرِكْنِي وَلَمّا أُمَزَّقِ

قال النُّعمانُ: لا آكُلُكَ ولا أُوَكِّلُكَ غيري. وفلان يستأكِلُ القومَ: يأكل أَمْوالَهُم. وهذا حديث يأكل الأحاديثَ.. وأَكَلَني مَوضع كذا من جسدي.. وبه إِكْلَةٌ وأُكالٌ وأَكِلَةٌ؛ أي: حِكَّةٌ. وهم أَكَلَةُ رأسٍ؛ أي: قليل. وانْقَطَعَ أُكْلُهُ إذا مات. وإنّه لعظيم الأكل من الدنيا؛ إذا كان حظيظًا». اهـ. الزمخشريّ.

أَلَبَ وقَلَبَ: أَلْبي معك!

تلاقي المعاني فيما بين: أَلَبَ وقلب

أَلَبْتُ كما قَلَبْتُ وألبي معك

وللمعجم مكتشفاته أيضًا...

ففي (لِسانِ العَرَبِ) لابْنِ مَنظورٍ الخَزْرَجِيّ المِصْرِيّ بِذاتِهِ، وفي مادّة الْجَذْرِ: أ ل ب: «..والأَلْبُ مَيْلُ النَّفْسِ إلى الهَوَىٰ، وَيُقالُ: أَلْبُ فُلانٍ مَعَ فُلانٍ أي صَفْوُهُ مَعَهُ».

وَأَقْطَعُ نَقْلَ المادَّةِ مِن ابْنِ مَنْظورٍ لِأَقُولَ لِلْقارِئ: أَنَا أَيْضًا مِثْلُكَ أَمْضَيْتُ سِتّينَ سَنَةً مِن عُمرِي وَأَنَا أَحْسَبُ هٰذِهِ العِبارَة (في قلبي) بالقافِ حينما أَلْفِظُها بالأَلِفِ بِحَسَبِ العادةِ الدّارجةِ في لفظ أَغلب المدن الشّاميّة والمصريّة كدِمَشْقَ والقاهرةِ وغيرهما في الإبدالِ بالقافِ أَلِفًا ولٰكنّي فوجِئْتُ وأنا أُكاشِفُ المَعاجِمَ وَمَصادِرَ التُّراثِ أنّ الأَلِفَ المَهْمُوزَةَ قَبْلَ اللّامِ التي بعدَها باءٌ تُشَكِّلُ مادَّةً كبيرةً في تُراثِنا اللُّغَوِيِّ الفَصيحِ التّليدِ.. وَتَحْتَوي على مَعانٍ ما يَزالُ أَغْلَبُها في العامِّيِّ الدَّارِجِ اليومَ بالهمزةِ، وكُنّا نَظُنُّ فصيحَها بالقافِ!.. ولقد لاحَظْتُ تَلاقي المعاني فيما بين قَلَبَ وَأَلَبَ في كثير من التّراكيب..

وَأَعودُ إلى ابْنِ مِنْظورٍ لِأَتَخَيَّرَ التّراكيبَ الواردةَ في العامِّيَّةِ أو المُقارِبَةَ لها في: أ ل ب والتي كنا نظنّها من ق ل ب: «أَلَبَ إِلَيْكَ القَوْمُ: أَتَوْكَ مِن كلِّ جانبٍ. وأَلَبْتُ الْجيشَ إذا جَمَعْتَه وَتَأَلَّبُوا: تَجَمَّعُوا. والأَلْبُ: الجَمْعُ والكثيرُ من الناسِ... والأَلْبُ الطَّرْدُ. وأَلَّبَهُمْ جَمَّعَهُم. وهمْ عليه أَلْبٌ واحدٌ، وإِلْبٌ، والأولى أَعْرَف... وفي الحديث: «إنَّ النَّاسَ كانوا علينا إِلبًا واحدًا»... قال رؤبة:

قَدْ أَصْبَحَ النّاسُ علينا أَلْبا
فالنّاسُ في جَنْبٍ وَكُنّا جَنْبا

وَأَلَّبَ بينَهم: أَفْسَدَ. والتَّأْلِيبُ: التَّحْرِيْضُ.. والأَلْب: التَّدْبِيْرُ على العَدُوِّ مِن حَيْثُ لا يَعْلَمُ. وَرِيْحٌ ألوبٌ: باردةٌ تَسْفي التّرابَ. وأَلَبَتِ السّماءُ تَأْلِبُ، وهي ألوبٌ: دام مَطَرُها، والأَلْبُ: نَشاطُ السَّاقي. وَرَجُلٌ أَلُوْبٌ: سَرِيْعُ إخراجِ الدَّلْوِ، عن ابنِ الأعرابيِّ، وأَنْشَدَ:

تَبَشَّري بِماتِحٍ أَلوبِ
مُطَرِّحٍ لِدَلْوِهِ غَضُوبَ

والأَلْبُ: العَطَش، وَأَلَبَ الرَّجُلُ: حامَ حَوْلَ الماءِ، وَلَمْ يَقْدِرْ أن يَصِلَ إليه، عن الفارسيِّ. أبو زيد: أصابَتِ القَوْمَ أُلْبَةٌ وجُلْبَةٌ أي مَجاعَةٌ شَدِيدَةٌ.

والأَلْبُ: ميل النَّفْسِ إلى الهوى...

والأَلْبُ: ابتداءُ بُرْءِ الدُّمَّلِ، وأَلِبَ الجُرْحُ أَلَبًا وَأَلَبَ يَأْلِبُ أَلْبًا كلاهما بَرِئَ أَعْلاهُ؛ وَأَسْفَلُهُ نَغِلٌ، فَانْتَقَضَ. وأَوالِبُ الزَّرْعِ والنَّخْلِ فِراخُهُ وقد ألبت تألب». ا.هـ. ابن منظور.

قُلْتُ: فهلِ الأَوالِبُ مُقارِبَةٌ للقوالِبِ؟ وهل من تلاقٍ ما بين: قَلَبَ يَقْلِبُ وبين: أَلَبَ يَأْلُبُ ويألِب؟ وما أصل معنى الأَلْبِ؟

يقول أحمدُ بنُ فارسٍ في (معجم مقاييس اللغة):

«الهمزةُ واللامُ والباءُ يكونُ من التَجمُّعِ والعطفِ والرُّجوعِ وما أشبهَ ذلك. قال الخليلُ: الألْب والإلْبُ: الصَّغو [؛أي: المَيْل]. يقال: إلْبُهُ معه، وصاروا عليه إلبًا واحدًا في العداوة والشَّرِّ. قال:

والناسُ إِلبٌ علينا فيكَ ليسَ لنا
إلّا السيوفَ وأطرافَ القَنا وَزَرُ

الشّيباني: تَألَّبُوا عليه اجتمعُوا، وَأَلَبُوا يأْلِبونَ أَلْبًا... وقال: ابنُ الأعرابيِّ: أَلَبَ: رَجَعَ. قال: وحدَّثني رجلٌ من بني ضبّة، بحديثٍ ثمّ أخذ في غيرهِ فسألتُه عن الأوّلِ فقال: (الساعةَ يألِبُ إليك)؛ أي: يرجعُ إليك.... ومن هذا القياس قولُهم: فلان يَأْلِبُ إبلَه؛ أي: يطردُها.

ومنه أيضًا قولُ ابنِ الأعرابيِّ: رَجُلٌ إلْبُ حَرْبٍ، إذا كانَ يُؤَلِّبُ فيها وَيُجَمِّع.

ومنه قولُهُم: أَلَبَ الجُرْحُ يَأْلُبُ أَلْبًا إذا بدأ بُرْؤُهُ ثمّ عاوَدَه في أَسْفَلِهِ نَغَلٌ..».

قُلْتُ: ولكنْ لماذا لم يُدْرِجْ معجمُ مَجْمَعِ مصرَ (المعجم الوسيط) أَلَبَ بمعنى رَجَعَ، بين المعاني التي عدَّها؟ في: أَلَب يألُبُ؟ ولماذا - أيضًا - أَهْمَلَ: يألِبُ: المكسورُ العَيْنِ في المضارعِ؟ والذي أجمعَتْ على ذكرِهِ المعجماتُ؟

قُلْتُ: الظَنُّ الشّائعُ بينَ مُثَقَّفينا المُعاصرين أنَّ همزةَ: (أَلَبَ) بمعنى: رَجَعَ لا بدّ من أن يكونَ أصلُها قافًا من (القلب والتقلّب). [وهذا الشّائعُ فيهم من الظّنّ الذي يذكّر - وبطريقِ التّداعي - أنّهم صارُوا يستعملونَ (الاعتقاد) حين يقصدونَ التّعبيرَ عن الظّنّ أيضًا.. فلا يفرّقونَ فيما بين هذينِ الفعلينِ: اعْتَقَدَ وَظَنَّ، فكلاهما عندَهم: اعتَقَدَ؛ كذا] كما لا يفرّقونَ بين الألْبِ والقلبِ؛ وذلك كما في المَثَلِ العامّيِّ الشائعِ: [أَلْفُ أَلْبَةٍ ولا غَلْبَة]. فهل نقولُ في القولِ: (القَلْبُ قُلّبٌ) و(الألْبُ أُلّبٌ أيضًا)؟! أو أترُكُ لغيري مزيدًا من التقليبِ في هذا؟

الألْس والمَأْلَسَة

تسمعُ الصّغيرَ يسخرُ من الكبيرِ عندَنا فيقولُ لهُ: (لا تتَمَأْلَسْ به ولا تَسْخَرْ منه فَالْمَأْلَسَةُ مع الكبارِ عيبٌ عليك):

أكانتِ العوامُّ قد صاغَتِ المَأْلَسَة على وزنِ مَفْعَلَةٍ من الفعلِ أُلِسَ يُؤْلَسُ أَلْسًا فهو مألوسٌ بمعنى: أصابه الكِبَرُ وضَعْفُ العَقْلِ فصار سخريةً للسّاخرين وعبثًا للعابثين وهزوًا ومهزلةً للهازئينَ والهازلينَ؟

اهتمَّ أحمدُ رضا العامليُّ في معجمِه (متن اللغة) بوضعِ حاشيةٍ لفِصاحِ العامِّيّةِ فقال بعدَ: «أُلِسَ الرَّجُلُ: اختلطَ وذهبَ عقلُهُ، والمألوسُ المجنون» (1). وفي الحاشية (1) من الصَّفحة ذاتها: «العامّةُ تقولُ: هوَ يَتَمَأْلَسُ فلانًا، أي يهزأُ بِهِ، لأنّها مُشتَقّةٌ منَ المألوسِ أي المجنونِ» ثمّ يوسِّعُها العامليُّ ذاتُه في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«..والأُلاسُ الْجنونُ.. وَتَمَأْلَسَهُ؛ هذه: جَعَلَهُ كالمأْلُوس فعبثَ بِهِ وسخِرَ منه كما يعبَثُونَ بالمجنونِ (والميمُ زائدةٌ لأنّها صيغَتْ من المألوسِ على تَوَهُّم الأصالة). كما جرى ذلك في تَمَنْدَلَ وتَمَسْكَنَ بمعنى أخَذَ المنديلَ وتشبَّهَ بالمِسْكينِ وتمسخَرَ: أي جاءَ بالسُّخريةِ..»..
اهـ. أحمد رضا.

وأعود إلى ما يقوله ابن منظور في (لسان العرب): ألِس: الأَلْسُ والمُؤَالَسَة: أَلَسَ يَأْلِسُ، بالكسر، أَلْسًا والأَلْسُ الأُلْس: ذهابُ العقل وتَذْهيلُه؛ عن ابن الأعرابيّ، وأنشدَ:

فقلت: إن أَسْتَفِدْ عِلْمًا وتَجْرِبَةً
فقد تردَّدَ فيكَ الخَبْلُ والألْسُ

وفي حديثِ النّبيِّ - ﷺ - أنّهُ دعا فقال: (اللهمَّ إنّي أَعوذُ بكَ من الألْسِ والكِبْرِ)، قال أبو عبيد: الألْسُ هو اخْتِلاطُ العَقْلِ، وخطَّأَ ابنُ الأنْباريِّ مَنْ قالَ هوَ الخِيانةُ. والمألُوس: الضّعيف العقل. وأُلِسَ الرّجلُ ألْسًا، فهو مألوس أي مجنون ذهب عقله؛ عن ابن الأعرابيّ؛ قال الرّاجز:

يَتْبَعْنَ مِثْلَ العُمَّجِ المَنْسُوسِ
أَهْوَجَ يَمْشِي مِشْيَةَ المَأْلوسِ

الألْسُ الْجُنونُ. يقال: إنّ به لألْسًا أي جُنونًا؛ وأنشد:

يا جرَّتَيْنا بالحَبابِ حَلْسا
إنَّ بِنا أو بِكُمُ لألْسا

وقيل: «الألْسُ الرِّيْبَةُ وَتَغَيُّرُ الخُلُقِ مِنْ رِيْبَةٍ، أَوْ تَغَيُّرُ الخُلُقِ مِن مَرَضٍ. يقال: ما أَلَسَكَ، ورجلٌ مَأْلوسٌ: ذاهبُ العقلِ والبدنِ». اهـ ابن منظور.

قلت: تتوزّعُ غيرُ هذه المعاني بينَ المعاجمِ الأخرى فلا تكادُ تجدُ مَنْ يجمعُها ويُحسِنُ عَرْضَها مثلَ ابنِ منظورٍ.. وأكثرُهم ينشغلُ بالقولِ الذي أوردَهُ ابنُ منظورٍ أيضًا (.. فلانٌ لا يُدالِسُ ولا يُؤالِسُ) و(المُدالسةُ الإخفاءُ، والمؤالسةُ الخيانةُ).. ويعدِّدونَ من معاني الألْسِ: الخِداعُ والخيانةُ والغِشُّ والسَّرَق وهو بهذا المعنى بالإبدالِ من الوَلْس. أمّا ألْسُ المألوسِ الذي كثرَتِ المعاجمُ التي أهملَتْه فهو ما يوصلُنا إلى مقصودِ العوامِّ مِنَ المألسةِ. والله أعلم..

إلْياس

لَسْتُ أقصدُ إلى معجمِ للأسماءِ والأعْلام...
ولُكنّ ملاحظات لغويّة لَفَتَتْني إليْه أوّلُها أنَّ خِلافًا بَيْنَ الفيروزابادي في (القاموس المحيط) وبَيْنَ ابنِ منظورٍ في (لسان العرب) الذي تَرْجَمَ له في: ي و س مُفَصَّلًا وكان قَبْله في ترجمة: ي أ س قال. وإلياس اسم!! أمّا الفيروزابادي فقال في: ي أ س «اليَأْس واليآسة: القُنُوط ضِدُّ الرّجاء... واليَأْسُ ابن مُضَرَ بنِ نزارٍ أَوّلُ مَنْ أصابَه اليَأْسُ، مَحرَّكَةً؛ أي: السِّلُّ...».

أمّا ابن منظور في ي وس: الْيَاس: السِّل [ولم تُوْضَع لِلام السّل شدّة وإنّما وُضِعَت فَوْق السّين].

وإلياس بن مُضَرَ: معروف؛ وقول أبي العاصِيَةِ السُّلَمِيِّ:

فلو أنّ داءَ الياسِ بي، فأعانَني
طبيبٌ بأرواحِ العقيقِ شَفانِيا

قال ثعلب: داءُ الْيَاس؛ يعني: إلياس بن مُضَرَ، كان أصابه السِّل فكانَتِ العَرَب تسمّي السِّل داءَ اليَاس.

قُلْتُ: يَترتّب على هذا الخلاف في أَصْل الاسْم أنْ يكون عربيًّا من اليأس كما في القاموس، أم هو معرّب كإبراهيم وإسماعيل.. وفي عصرنا يقولونَ بدل إلياس إيلي.. وإيليّا وإيلوش في لغة أخرى وعندنا أسرة آل إيلوش ولَسْتُ أدري إذا كان منه الأسماءُ الأجنبيّة الأخرى مثل إيلياهو...

أَمّر التُّؤْمُرِيِّ وليسَ (الدُّومَرِيّ)

تقولُ عامَّةُ دمشقَ: ما لقِيتُ الدُّومريّ في هذا المَحَلّ والمعنى ما لَقِيتُ أحدًا من النّاس.

[وقد قدّم يوسفُ الصّيداويُّ حَلَقاتٍ من بَرنامَجِه المَرْئيّ: (اللغةُ والنّاسُ) في مُعالجةِ موضوعِ هذه العبارة سنة ١٩٩٢م.].

وأحمد رضا العامليّ يقولُ في: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) ص١٩٧ من ط٢ وفي مادّة: د م ر:

«ويقولون: ما في الدّار دُومَريٌّ، أي: ليس فيها أَحَدٌ. ولا يكونُ إلّا في حَيِّز النَّفْي. وهو كذلك في اللغةِ، وتجيءُ بالدّالِ وبالتّاءِ إذ تقولُ العربُ: ما فيها تُومَريّ، وما رأيتُ تومريًّا أَحْسَنَ مِنْه».

وفي مادّة أ م ر من (لسان العرب) لابن منظور:

«والتّامُورِيُّ والتَّأْمِريُّ والتُّؤْمرِيُّ: الإنسانُ؛ وما رأيتُ تامريًّا أَحْسَنَ من هذهِ المرأةِ. وما بالدّار تَأْمُورٌ؛ أي: ما بها أحدٌ. وما بالرَّكِيَّةِ تامورٌ، يَعني الماءَ؛ قال أبو عُبَيْد: وهو قياسٌ على الأوّل؛ قال ابن سِيْدَه: وقضَيْنا عليهِ أنَّ التّاءَ زائدةٌ في هذا كلِّهِ لِعَدَم فَعْلول في كلامِ العربِ. ». فقلْتُ كما قالُوا من قبلي: عَجَبي! ومَنْ جَمَعَ لَك كلامَ العَرَبِ في طَبَقٍ يابنَ سِيْدَه؟

ولٰكنّي مع ذلك، أَضَعُها في أ م ر على مسؤوليَّة ابن سيده، ولأنّ ابن منظور وضعها كذلك.

تَأَمَّعَ

تقول عامّتنا: (تَتَأَمَّعُ) في الدّعاء على مَنْ يثير الغيظ.

ويظهر أنّ في مصر شيئًا قريبًا من هذا، فقد ورد في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة. .) للدكتور عبدالمنعم سيّد عبدالعال: في أ م ع بعنوان: أُمع، وَتَأَمَّعَ «نقول في دارجتنا: فلان أُمْعُ (بضمّ الهمزة) أي: مُتعالٍ من غير صنعة أو عمل. وتأَمَّعَ صار أُمْعًا. والأصل فيها: إمَّعٌ. وفي القاموس: الإمَّع: المتردِّد في غير صنعة، ويقال: تَأَمَّعَ: صار إمّعةً». ويقول الزّمخشريّ في أساس البلاغة: «لا يكوننّ أحدكم إمَّعَةً» اهـ. د.عبد المنعم. قلت: قول الزّمخشريّ ورد عند ابن منظور في (لسان العرب) منسوبًا إلى عبدالله بن مسعود وتتمّته: «قيل: وما الإمَّعَة؟ قال: الذي يقول: أنا مع الناس. قال ابن برّي: أراد ابن مسعود بالإمَّعة: الذي يتبع كلّ أحدٍ على دينه».

وقلت: ولدَى العودة إلى القاموس وجدت فيه عبارات حذفها د. عبد المنعم، وإذا أضفنا إليها عبارات الزّبيديّ شارح القاموس في (تاج العروس من جواهر القاموس) وجدنا شرحًا لِلإمَّعَةِ والتأمّع، يهمّنا؛ قال: «تأمّع الرجل صار إمَّعَةً، فالإمَّعَةُ والإمَّعُ: والأَمَّعُ والأَمَّعَةُ (بالكسر والفتح): الرَّجُلُ يُتابعُ كُلَّ أحد على رأيه ولا يَثْبت على شيء، وَمُتَّبِعُ النّاسِ إلى الطّعام من غير أن يُدْعَى، والمُحْقِبُ الناسِ دينه. . . ومَنْ يقول: أنا مع الناس. . ورجال إِمَّعُون ولا يجمع بالألف والتاء». اهـ. الزّبيديّ، ويلاحظ أنّه مَنعَ جمعَهُ المؤنَّث السالمَ.

وكأنّ د. عبد المنعم وجّهنا إلى إهمال القاعدة العامِّيَّة في إبدال القاف همزة، فإذا عدنا إليها وجدنا أنّ قول عامّتنا (تتأمّع) في الدعاء على مَنْ يثيرُ الغيظ، قد تكون من القَمْعِ بالمِقْمَعَة وهي كما في القاموس: «العمود من حديد أو كالْمِحْجَنِ يُضرَب به رأس الفيل، وخشبة يُضرَب بها الإنسان على رأسه. . وَقَمَعَهُ: ضَرَبَهُ بها وقهره وذَلَّلَهُ كَأَقْمَعَهُ. وجَمْعُها المَقامِعُ. .» وكذلك في اللسان «والقَمِعُ والقِمْع: ما يوضع في فم السّقاء والزّقّ والوَطْب ثمّ يُصبّ فيه الماءُ والشّراب واللَّبنُ». قلت: ما زال اسم هذه الأداة: القِمْع في عامّيّتنا كما ورد في المعجم القديم ولٰكن بإبدال قافه همزة أيضًا.

وفي أساس البلاغة تقرأ للزّمخشريّ:

«قَمَعَ خَصْمَهُ: قهره وأذلّه، فانقمع وتَقَمَّعَ. والنّاس على باب القاضي مُتَقَمِّعُون. وانْقَمَعَ في بيته وتقَمَّعَ: جَلَس وحده.

وَتَقَمَّعَتِ الدوابُّ: ذَبَّتْ عن رؤوسها القَمَعَ هي ذِبّان كبار زُرق من ذبّان الكلإ التي تغنّي. الواحدة قَمَعَةٌ.

ومن المجاز: تَرَكْتُهُ يَتَقَمَّعُ: يَطْرُدُ الذّباب من فَرَاغه.

و(ويل لأقماع القول)؛ وهم الذين يسمعون ولا يعون.

وتقول: ما لكم أسماع، إنّما هي أقْماع». ا.هـ. الزّمخشريّ.

أُمّي = ماما

يقول الأستاذ أحمد أبو سعد في (قاموس المصطلحات والتعابير الشعبيّة)[1]:

«ماما: الأم بلغة الأطفالِ، وهي عند العَرَب اسْتعمالٌ قديمٌ (راجع بابا) وفي: (بابا) يقول: ذَكَر الْجَاحظ (البَيان والتَّبيين ج١: ٣٥) أنّ الميم والباء أوّل ما يَتَهَيَّأ في أفْواه الأطفال كقولهم: «ماما وبابا» لأنّهما خارجان من عَمَل اللسان، وأنّهما يَظْهران بالْتِقاء الشّفتين».

قُلْتُ: ما قاله الْجَاحظ في الميم والباء أَثْبته عُلَماء اللسانيّات في عصرِنا؛ وهذانِ حرفانِ شَفَويّانِ يَسْهُلُ نُطْقُهما على الطِّفلِ الذي يُشاهدُ حَرَكة الشَّفَتَيْنِ حين يَسْمعُ هذه الأصواتَ ممَّنْ حَوْلَه، كما ذكر جورج كلاس في ص٨٠ من كتاب (الألسنيّة ولغة الطّفل العربيّ). وعلّل د.إبراهيم أنيس في كتاب (الأصوات اللغويّة) ص٢١٦-٢١٧ تلك السّهولةَ في النّطقِ: بأنَّ الطّفْل لا يرى حَرَكَةَ الشّفَتَيْنِ فقط؛ ولكن عضلات النّطق بهذه الأصواتِ هي العَضَلاتُ نفسُها التي يَسْتَخْدِمُها في الرّضاعةِ.

وَقُلْتُ: وغريبٌ أمرُ المعْجَمَيْن التّراثيَّيْن الرئيسَيْن: (لسان العرب) لابن منظور و(القاموس المحيط) للفيروزابادي اللذَيْن أَوْرَدا: (بأبأ الصّبيّ: قال بابا و... الخ..) كيف أهملا ذِكْر: مَأْمَأَ الصّبيُّ أُمّه. مع أنَّ العبارتَيْن وَرَدَتا معًا في المَصْدر الذي اعْتَمَدَه المُعْجَمَان ومَنْ قَبْلَهما مِنْ أمّات المَعاجم التّراثيّة التي كان من مصادِرها كتاب أبي زيد الأنصاريّ[2] المُتَوفّى سنة ٢١٥هـ، وهو الثّقةُ المقصودُ بقولِ سِيْبَوَيْه في (الكتاب): (حدَّثَني الثِّقةُ)، وهذا الكتابُ لأبي زَيْد الأنصاريّ: (النّوادر في اللغة) وفيه (ص٢٥٤):

«وقال العنبريّون: بأبأ الصّبيُّ أباهُ، وبأبأه أبوه: إذا قال له: يا بابا. ومَأْمَأَ الصبيُّ أُمَّهُ فهو يُمَأْمِئُها ويبأبئ أباه بَأْبَأَةً ومَأْمَأَةً. ويُقال: دَأْدَأتُ الصّبيَّ دَأْدَأَةً إذا سَكَّتَّه تَسْكِيتًا».

فلو اسْتَكْمَل المُعْجَمان العِمادان التّراثيّان الأساسان: اللسان والقاموس الأَخْذ من نوادر أبي زيد الأنصاريّ، فاسْتَمَدّا مأمأ كما اسْتَمدّا منه: بأبأ.. لما تركها (المعجم الوسيط) مُعْجَم مَجْمَع مِصرنا في عَصْرنا وانْصَرف إلى: (مَأْمَأَتِ الشّاةُ أو الظَّبْيَةُ: واصَلَتْ صَوْتَها فقالَتْ مِئْ مِئْ).

وماما.. مثل بابا.. عبارتان عالميّتان قديمتان.. من الإنسانيّ المُشْتَرَك.. بين لغات أطفال البشر...

ولم أجد: (ماما) في (المعجم العربيّ الأساسيّ) ولا في (المعجم المدرسيّ).

(١) ص ١١٤ من كتاب أحمد أبو سعد (قاموس المُصْطلحات والتّعابير الشّعبيّة) الصّادر عن مكتبة لبنان ١٩٨٧.

(٢) سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاريّ، أبو زيد ت ٢١٥هـ: كتاب النّوادر في اللغة طُبع في المطبعة الكاثوليكيّة ببيروت سنة ١٨٩٤م.

أَتَأَنَّف وَتَقَنَّف؟!

والأَنَّفُ غير القَنْف

لم أَكُنْ أَرْغَبُ في الكتابَةِ عن عبارَتِهم العامِّيَّةِ: (فُلانٌ يَتأَنَّفُ وَيَتَكَبَّرُ على مِثْلِ هذا الأَكْلِ) فالتَّأَنُّفُ مِن الأَنَفَةِ والتَّرَفُّعِ والتَّكَبرِ وشُموخِ الأَنْفِ وهو مِنَ الفَصاحَة القَديمةِ والبَلاغَةِ الْجَاهِلِيَّةِ من قَبْلِ رِوايةِ أَنَفَةِ أَمّ الشّاعر عَمْرو بْنِ كُلثُومِ مِن خِدْمَةِ أُمِّ المَلِكِ عَمْرو بْنِ هِندٍ حتّى قَتَلَ عَمْرو الشّاعرُ عَمْرًا المَلِكَ.

ولا أَكادُ أَتَخَيَّلُ أَنْ يَجْهَلَ فَصاحَتَها إلّا من كانَ أَنْفُهُ راغِمًا وكانَ جَهْلُهُ على الرّغْمِ مِنْهُ!.

ولٰكِنْ فاجَأَني أَحْمَدُ رِضا العامِليّ حين رَبَط ما بَيْنَ هَمْزَةِ تَأَنَّف وَبَيْنَ القافِ، بالإبدال الذي اكْتَشَفْتُ وَأَكْشِفُ أَقْدَمِيَّتَهُ وَرُسُوخَهُ في الوَفْرَةِ الوافِرَةِ مِن العِبارات الفَصيحَةِ القَديمةِ الهاجِعَةِ في أَعْماقِ كُتُبِ التُّراثِ وَبُطونِ المَعاجِمِ القَديمَةِ والموسُوعاتِ العَرَبِيّةِ التَّلْيْدَةِ كما في: أَرَشَ وَقَرَش، وَأَرَمَ وَقَرَمَ، وَأَصَرَ وَقَصَرَ، وَرَوْأً وَرَوْق، وَزَنْأً وزنْق، والأخِيرةُ اكتشفَها د.عبدالمنعم سيّد عبدالعال وغيرها مِن الأَمْثِلَةِ الكَثيرَةِ التي مَرَّتْ وَسَتَمُرُّ مَعَنا بِإِذْنِ الله..

قال أَحْمَدُ رضا في: تَأَنَّف في كِتابِهِ (رَدّ العامّيّ إلى الفَصيح): «..ويقولونَ فُلان يَتَأَنَّفُ في الأَكْلِ إذا كانَ يَتَسَخَّطُ على بَعْضِ أَلوانِ الطَّعامِ أو يَتَأَبّاهُ، أو إذا كانَ يَأْكُلُ قَليلًا كالمُتكارِهِ الآبي. وَهيَ مِنَ الأَنَفَةِ وهي الإباء أو الكَراهَة. يُقالُ: أَنِفَ مِنه إذا كَرِهَهُ».

ولٰكنَّه جاءَ في اللُّغَةِ لِلْقَليلِ الأَكْلِ: القَنِيْف «وزان أَمير». وعلى هٰذا فَتَكُونُ تَأَنَّفَ جاءَتْ مكانَ تَقَنَّفَ بالإبْدالِ المعروفِ عِنْدَهم؛ أَيْ يَجْعَلُ نَفْسَهُ قَنيفًا.

وَرُبَّما كانَ مِن تَأَنَّفَت الحامِلُ. قالَ صاحبُ اللِّسانِ «وَيُقالُ لِلْمَرْأَةِ إذا حَمَلَتْ واشْتدّ وَحْمُها وتشهَّتْ على أهلِها الشّيءَ بعد الشّيءِ إنّها لَتتأنّفُ الشّهَوات تأنُّفًا». ا.هـ. رضا.

قُلْتُ: نعم!! فالقَنيفُ في (القاموس المحيط) وفي (لسان العرب) - القليلُ الأكلِ، والقُنافُ - بكسر القاف وضمِّها - الكبيرُ الأنفِ كالأنافِيِّ: العظيمِ الأنفِ ولٰكنّي لم أجدْ في أيِّ زمانٍ أو مكانٍ فصيحًا أو عامِّيًّا يقول: إنّ الأَنْفَ هو **القَنْفُ!!** أو ما هو قريبٌ من ذلك!! على الرغمِ من أنّ عبارةَ القُنافِ بمعنى الأُنافيّ لو كان ذَكَرَها أحمدُ رضا لكانَتْ دعمَتْ قولَه: «وعلى هذا فَتَكُونُ: تَأَنَّفَ جاءَتْ مَكان تَقَنَّفَ بالإبدالِ المعروفِ عندَهم».

قلْتُ: ولٰكنْ لَوْ أَفادَ أحمد رضا من أحمد بن فارس الذي سَبَقَهُ بِأَلْفِ عامٍ إلى (مقاييْسِ اللغة) فكشفَ عن الأصول وتتبّعَ فُروعَها وتفرُّعَها، لَكان رضا جديرًا بأنْ يَجْتَنِبَ الرّبطَ بالإبْدالِ فيما بَيْن المُؤَنَّفِ والقنيفِ.. قال ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة): «قَنَف: القاف والنون والفاء أُصَيلٌ يدلّ على تجمُّعٍ في شيء من ذلك القنيفُ: الجماعَة من النّاس، والقنيفُ فيما ذكره ابنُ دُرَيْدٍ [في الجمهرة] القِطْعَةُ من اللَّيْلِ يُقالُ: مَرَّ قنيفٌ من الليل.

ومنَ البابِ: القَنَفُ: صِغَرُ الأُذُنَيْنِ وَغِلَظُهما. وهو ذٰلِكَ القِياسُ، وكذلك القِنافُ وهو الغليظُ الأنفِ». ا.هـ. ابن فارس.

والمُؤَنَّفُ في (لسان العرب) و(أساس البلاغة): «النَّصْلُ المُحَدَّدُ الطَّرَف» و«الكَلأُ لم يُؤْكلْ منهُ شيءٌ» و«طالِب المَرْعَىٰ الأُنُفِ» و«طالبُ الإخوانِ ممّنْ لم يُعاشِرُوا أحدًا».

وهي مَعانٍ تُقَرِّبُنا من المعنى العامّيّ الذي صِيغَ على القاعِدَةِ الصَّرْفِيَّةِ الصّحيحةِ فَيَصِحُّ قَبولُ

فصاحتِهِ مِن غيرِ أنْ نحتاجَ إلى ذِكْرِ الإبدالِ مِنَ المُقَتَّفِ!.

أَنَيْتُ.. وتَأَنَّىٰ واسْتَأْنَىٰ

يقولُ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «اسْتَنَّىٰ: وقالوا لِمَن يَتَعَجَّلُ الشّيْءَ: اسْتَنَّىٰ: بصيغةِ الأمرِ، وهي مُحَرَّفةٌ من: اسْتَأْنِ (للأمرِ أيضًا) أيْ: انْتَظِرْ وَتَمَكَّثْ، وقد جاءَ في (متنِ اللغة): استأنَى به: انتظر به ولم يعجلْ؛ والأَمْرُ مِنْهُ: اسْتَأْنِ».

ومثلُ ذلكَ يقولُ د. عبد المنعم سيّد عبدالعال، من مصر، في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) «.. والأصلُ فيها: اسْتأنَى، وسُهِّلت الهمزة وَضُعِّفَتِ النُّوْنُ عِوَضًا عن التّسهيل. ففي القاموس: أ ن ي: اسْتَأْنَىٰ: تَثَبَّتَ، وأبطأَ وتَأَخَّرَ، ويقولُ الزّمخشريُّ في (أساس البلاغة): اسْتَأْنَيْتُ فُلانًا: لم أُعْجِلْهُ».

قلتُ: في الشّامِ ومصرَ اسْتعملُوا الفعلَ الماضيَ فصيحًا ولٰكنّه محذوفُ الهمزةِ تسهيلًا.. ولٰكنّهم حرّفوا وخرجُوا عن قواعدِ النّحوِ والصّرفِ في المضارعِ والأمرِ، فحينَ تقولُ المُغَنِّيَة: (أنا بَسْتَنَّاك) فالصّحيحُ: أَسْتَأْنيكَ.

أمّا في الجزائر فَسَمِعْتُهُمْ يستعملونَ الأمرَ منه فصيحًا صحيحًا مُسَهَّلًا بحذف الهمزة، فيقولون (ها اسْتَنِّ يرحم والديك) والأصل: اسْتَأْنِ.

فهذه مظاهرُ من مظاهرِ عَجْزِ العامّيّاتِ عن الدّقّةِ اللغويّةِ في التّعبير عن الأزمنةِ باختلافِ الحركاتِ أحيانًا...

ولْنتأمَّلْ في هذه النّقولِ القريبةِ من عامِّيّاتِنا في (لسان العرب) لابن منظور: «.. وأَنَىٰ أُنِيًّا فَهو أَنِيٌّ: تَأَخَّرَ وأبطأَ. وآنَى كَأَنَىٰ». وفي الحديثِ في صلاةِ الْجُمعَةِ: «قال لرجلٍ جاءَ يومَ الْجُمعةِ يتخطّى رقابَ النّاس: رأيْتُك آنَيْتَ وآذيتَ؛... ومنه قيل للمُتَمَكِّثِ في الأمور: مُتَأَنٍّ.. وآنَيْتَ وأَنَّيْتَ بمعنًى واحدٍ.. وتَأَنَّيْت واسْتَأْنَيْتَ.

ويُقال: اسْتَأْنِ في أمرِك؛ أي: لا تَعْجل.. ولا تُؤنِ فرْصتَك: لا تُؤَخِّرْها إذا أمكنتك.. وآنيت الشّيءَ أخّرته، والاسْمُ منه الأَناء، على فَعال بالفتح؛ قال الحُطَيْئَة:

وآنَيْتُ العَشاءَ إلى سُهَيلٍ
أو الشّعْرى فطالَ بيَ الأَناءُ

... ويُقال: أَنَّيْتُ الطّعامَ في النّار إذا أطلت مُكْثَه، وأَنَّيْتُ في الشّيءِ إذا قصّرت فيه».. قلْتُ: ومثلُ هذه في (القاموس..) و(الأساس..) و(مقاييس اللغة..) و(التاج..).. وغيرها..

قلتُ: في عامّيّتِنا اليومَ يُقال: (أَنَّيْتُ في هذا). أي أَقْرَرْتُ بتقصيري وخَضَعْتُ بعدَ أنْ كنْتُ أنوي المُعارضةَ فيه! فربّما يكونونَ قد أخذُوا من المعنى الفصيح الاستعمال:

«أَنَّيْتُ في الشّيْءِ، إذا قَصَّرت فيه». فخصّوه بمعنى الخضوعِ بسببِ الشّعورِ بالتّقصيرِ والله أعلم..

- (أَهَرَ) -

لم أجدْ قولَهم: (أهرَهُ فماتَ من الأهرِ) أي غَلبَهُ أو أزعَجَهُ أو أحزَنَهُ واضْطرّه إلى ما لا يُرضيه بالإكراهِ والإجبارِ فهذه المعاني في: قَهَرَهُ، بالقاف. أمّا بالهمزةِ فليسَ لدى ابنِ منظورٍ في (لسان العرب) والفيروزابادي في (القاموس المحيط) فِعْلٌ منَ: «الأَهَرة: متاع البيت وَجَمْعُها أَهَرٌ وأَهَرَاتٌ. وعن ابن سِيدَه: والأهرةُ الهَيْئَةُ».

ويزيد الفيروزابادي: «الأَهَرَةُ: الحالُ الحسنةُ».

ووجدْتُ المعنى العامّيَّ المقصودَ في: ق هـ ر: قَهَرَهُ يَقْهرُهُ قَهْرًا: غَلَبَهُ.

ولم أكتفِ في الأَلِفِ - هاهنا - بالإحالةِ على بابِ القافِ؛ ذلك أنّي وجدْتُ من بينِ الكُتّابِ المُعاصِرين في فصاحِ العامّيّةِ د.عبد المنعم سيِّد عبدالعال يسجِّلُ في (معجم الألفاظِ العامّيّةِ ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العربيّةِ): «أهرَ: نقولُ في دارِجَتنا: أهرَ فلانٌ فلانًا: غيَّرَ نفسَهُ وبدَّلَ حالَهُ وهيئتَهُ، بما ساقَ إليه من أمرٍ أحزَنَهُ وآلمه؛ وفي القاموس:

الأَهَرَةُ - مُحَرَّكةً - الحالُ والهيئةُ الحسنةُ».

ولم يقلْ كيفَ انقلبَ المعنى إلى نقيضِهِ؟!

أَهَّلَ بالأهالي ويَسْتَأهِلُ الجائزةَ...

العَدِيْدُ من عِباراتِ مادَّةِ هذا الجَذْرِ في العامِّيَّةِ وارِدةٌ في الفِصاحِ، ولا يعرفُ من الجمهور هٰذا إلَّا المُتَتَبِّعُ؛ فأعْرِضُ ما وردَ منها في الكُتُبِ التُّراثيَّةِ ولا سيَّما ما وَرَدَ بِشأْنِ المُسْتَأْهِلِ التي تَلْفُظُها العامّة بِمَدّ الهَمْزَةِ أَلفًا قُرَشِيَّةَ القِياسِ تَخْفِيفًا، فهو مُسْتَاهل النَّجاحَ والمُكافَأَةَ أو العِقابَ أَوْ.. الخ وقد كان بَعْضُ عُلَماءِ اللغةِ قديمًا يَرْفُضونَ هذا المَعْنَى الفِكْرِيَّ لِلْفِعْلِ اسْتَأْهَلَ، ويَقْصُرونَه على المعنى المادِّيِّ الحِسِّيِّ: اسْتَأْهَلَ: أَكَلَ الإهالةَ وهي الدَّسَمُ الذّائبُ من شَحْمٍ وزَيْتٍ وغيرِهما.

ولقد رَأَيْتُ في (المُعْجَمِ المَدْرَسِيِّ) الذي أصدَرَتْه وزارةُ التَّربيةِ السُّوريّة سنة ١٩٨٦م لمحمَّد خير أبو حرب يقبلُ: اسْتَأْهَلَهُ بمعنى: اسْتَحَقَّ كما وَرَدَتْ في (المِصباحِ المُنِيْرِ) للفيّوميّ، وبمعنى اسْتَوْجَبَهُ في (القاموس المُحيطِ) لِلْفَيْرُوزابادي الذي يقول: «واسْتَأْهَلَهُ اسْتَوْجَبَهُ لُغَةٌ جَيِّدَةٌ وإِنْكارُ الجَوْهَرِيِّ باطِلٌ».

فَالجَوْهرِيُّ مُؤَلِّفُ (تاج اللغة وصحاح العربيّةِ) الذي لَخَّصَهُ الرّازي في (مختار الصحاح) يُنكِرُها فيقولُ فيهما: «وَتَقُوْلُ: فُلانٌ أَهْلٌ لِكَذا، ولا تَقُلْ: مُسْتَأْهِلٌ». والعَامَّةُ تَقولُهُ. أمّا الزَّمَخْشَرِيُّ في (أساس البلاغة) فيقولُ: «..وَفُلانٌ أَهْلٌ لِكَذا وقد اسْتَأْهَلَ لِذَلك وهو مُسْتَأْهِلٌ له، سَمِعْتُ أَهْلَ الحجازِ يَسْتَعْمِلونَهُ اسْتعمالًا واسِعًا».

ولٰكنّ «المازِنِيّ أَنْكَرَهُ وقال: يَسْتَأْهِلُ لا يَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنَى يَسْتَوْجِبُ؛ وإنّما معناهُ تَطَلَّبَ أنْ تكونَ من أهلِ كذا» أَوْرَدَ هذا القولَ للمازِنِيّ الخَفاجيُّ في (شِفاء الغليلِ) ثمّ رَدَّ عَلَيْهِ: «وَلَيْسَ بِوارِدٍ لِأَنَّ الاسْتِفْعالَ لا يَلْزَمُهُ الطَّلَبُ كما بُيِّنَ في الصَّرْفِ، على أَنَّهُ قد يكونُ تَقْدِيرِيًّا كاسْتخرَجَ، لِأَنَّ تَخَيُّلَهُ في الإخراجِ نَزَلَ مَنْزِلَةَ الطَّلَبِ، فيجوزُ أنْ يكونَ اسْتِحْقاقُهُ نَزَلَ مَنْزِلَةَ طَلَبِهِ. وأمّا إبدالُ الهَمْزَةِ أَلِفًا فَقِياسِيٌّ». اهـ. الخفاجيّ.

وقال ابنُ منظورٍ في (لسان العرب): «أَهْلُ الرَّجُلِ وَأَهْلُ الدّار... وحكى سِيْبَوَيْهِ في جَمْعِها: أَهْلُوْن وقال الخليلُ: وقالوا أَهَلات، وأنشد بيتَ المُخَبَّل السَّعْدِيّ:

وهم أَهَلاتٌ حولَ قَيْسِ بنِ عاصمٍ
إذا أَدْلَجُوا بالليلِ يدعونَ كَوْثَرا

والأَهالي جَمْعُ الْجَمْعِ.

وَقِيلَ لما أَلِفَ النّاسَ والقُرَىٰ أَهْلِيٌّ وآهِلٌ؛ ولما اسْتَوْحَشَ بَرِّيّ وَوَحْشِيٌّ. وَأَهَّلَ به: قال له: أهلًا...

وفي التّنزيلِ العزيز: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾. [السّورة ٧٤ المُدَّثِّر. الآية/ ٥٦] الأزهريّ: وخَطَّأَ بَعْضُهُم قَوْلَ مَنْ يَقولُ: فُلانٌ يَسْتَأْهِلُ أَنْ يُكْرَمَ أو يُهانَ بمعنى يَسْتَحِقُّ، قالَ:

ولا يكونُ الاسْتِئْهالُ إلّا مِنَ الإهالَةِ؛ قالَ: وأمّا أنا فلا أُنْكِرُهُ، ولا أُخَطِّئُ مَن قالَهُ لِأنّي سَمِعْتُ أعْرابيًّا فَصِيحًا مِن بَنِي أَسَدٍ يقولُ لِرَجُلٍ شَكَرَ عنده يدًا أُوْلِيَها: تَسْتَأْهِلُ يا أبا حازِمٍ ما أُوْلِيْتَ، وَحَضَرَ ذلِكَ جَماعَةٌ من الأَعْرابِ فما أَنْكَرُوا قَوْلَهُ، قالَ: وَيُحَقِّقُ ذٰلكَ قَوْلُهُ ﴿هو أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾.

المازِنِيُّ: وَلا يَجُوزُ أَنْ تَقولَ: أَنْتَ مُسْتَأْهِلُ هذا الأمر، ولا مُسْتَأْهِلٌ لِهٰذا الأَمْرِ، لأنّك إنّما تُرِيدُ: أَنْتَ مُسْتَوْجِبٌ لِهٰذا الأمرِ، وَلا يدلُّ مُسْتَأْهِلٌ علىٰ ما أَرَدْتَ. . . .

وَرَوَى أَبُو حاتِمٍ في كِتابِ: المُزالِ والمُفْسِدِ عَنِ الأَصْمَعيّ: يُقالُ اسْتَوْجَبَ ذٰلك وَاسْتَحَقَّهُ ولا يُقالُ: اسْتَأْهَلَهُ. . . .

وَمَنْ قالَ: وَهَّلْتُهُ ذَهَبَ بِهِ إلىٰ لُغَةِ مَنْ يَقولُ: وامَرْتُ وَوَاكَلْتُ.

وَأَهْلُ الرَّجُلِ وَأَهْلَتُهُ: زَوْجُهُ. وَأَهَلَ الرَّجُلُ يَأْهِلُ ويأهُلُ أَهْلًا وَأُهُولًا، وَتَأَهَّلَ: تَزَوَّجَ. وَأَهَلَ فلانٌ امْرَأَةً يَأْهُلُ: إذا تَزَوَّجَها فهي مَأْهُوْلَةٌ. والتَّأَهُّل: التَّزَوُّج.

وفي الحَديثِ: (أَنَّ النَّبيَّ - ﷺ - أعطى الآهِلَ حَظَّيْنِ والعَزَبَ حَظًّا)، والآهِلُ: الذي لَهُ زَوْجَةٌ وَعِيالٌ، والعَزَبُ الذي لا زَوْجَةَ لَهُ، ويُرْوَى الأَعْزَب، وهي لُغَةٌ رَدِيْئَةٌ، واللُّغَةُ الفُصْحَىٰ: العَزَبُ.

وفي الحديث: (لقد أَمْسَتْ نيرانُ بني كَعبٍ آهِلَةً) أي كثيرةَ الأَهْلِ. . . وَأَهَّلَكَ اللهُ للخير تَأْهِيلًا.

وآلُ الرَّجُلِ: أَهْلُهُ. . أصلُها أهل ثمّ أُبْدِلتِ الهاءُ همزةً فصارتْ في التّقديرِ أأل، فلمّا توالت الهمزتان أبْدَلُوا الثّانية ألفًا كما قالوا آدم وآخر، وفي الفعل: آمَنَ وآزَرَ.

والإهالَةُ: ما أَذَبْتَ من الشَّحْمِ، وقيل: الإهالَةُ: الشَّحْمُ والزَّيْتُ وكلُّ دُهْنٍ ائْتُدِمَ بِهِ. . وَالْوَدَكُ واسْتأهل الرَّجُلُ إذا ائْتَدَمَ بالإهالَةِ، والمُسْتَأْهِلُ: الذي يأخذ الإهالَةَ أو يَأْكُلُها؛ وأَنْشَدَ ابْنُ قُتَيْبَةَ لِعَمْرِو بْنِ أَسوى:

لا بَلْ كُلِيْ يا أُمُّ واسْتَأْهِلِي
إنّ الذي أَنْفَقْتُ من مالِيَه

قال الْجَوهريّ: فُلان أَهْلٌ لِكذا ولا تَقُلْ مُسْتَأْهِلٌ، والعامَّةُ تقولُهُ». اهـ. ابن منظور.

قلت: ليت شِعري! منذ أَلْفِ عام غلّط المازنيُّ والأَصْمَعِيُّ والجوهريُّ من يقول: مُسْتَأْهِلٌ بمعنى: مَنْ هُوَ أَهْلٌ لِكَذا. . فَدافَعَ عَنْهُ أبو مَنصورٍ الأَزْهِرِيّ في تَهْذِيبِ اللُّغَةِ، وقَدَّمَهُ ابنُ منظورٍ على الآخرينَ. . وكذٰلِكَ سمِعَهُ الزّمخشريُّ أنَّ أهلَ الحجازِ الذين يستعملونَهُ استعمالًا واسعًا. ثمّ برهنَ الشِّهابُ الخفاجيُّ على صحَّتِهِ قياسيًّا وَصَرْفِيًّا. . .

أها..أو: أهىٰ: ضَحِكَ

لابنِ منظورٍ في (لسان العرب): أ ها ÷ حيُ (أي في باب الألف اللَّيِّنة التي قد يكون أصلها واويًّا أو يائيًّا).

«أها: حِكاية صَوْتِ الضَّحِكِ؛ عن ابن الأعرابيّ؛ وأنشد:

أَهَا أَهَا عند زادِ القَوْمِ ضِحْكَتُهُم
وأَنْتُمُ كُشُفٌ عِنْدَ الوَغَىٰ، خُورُ»

ا.هـ. ابن منظور.

وفي (القاموس المحيط) للفيروزابادي: أ هـ ي: «أَهَىٰ - كَرَمَى ÷ قَهْقَهَ في ضَحكه». ا.هـ.

قلت: فَمُضارِعُه: يأهِي: كَيَرْمِي.

وقُلْت: حين يقولُ العامّيُّ ضاحكًا: أها. . ، فقد تظنّ أنّ أصلَها: القهقهة، بالقاف، وأنّه على عادةِ بعضِ أبناءِ المدنِ يقلبُ القافَ همزةً. . وها أنتذا تراها بالهمزةِ في الأصل. .

إحالة

(أوتوستراد) انظر في: الصراط: ص ر ط.

الإِوَزُّ هو الوَزُّ

من صحاح الجوهريّ في مادّة الجذر: و ز ز: «الوَزُّ لُغَة في الإِوَزِّ، وهو من طَيْر الماء».

وتسمّي العامّةُ في الشّامِ ومصر وغيرهما طائر الإوزّ: الوَزّ، والإوزّة، الواحدة: وَزَّة، بحذْفِ الألِف المهموزة مِنْ أوّلها، وهذا الحذفُ وارِدٌ في لغةٍ قديمةٍ ذكَرَتْها أكثرُ المعاجمِ التّراثيّةِ، وأفتحُ (المصباحَ المنيرَ) للفيّوميّ فأجدُ:

«الإِوزُّ: معروف على فِعَلٍّ بِكَسْرِ الفاء وفتح العَيْن وتشديد اللام، الواحدة إِوَزَّة. وفي لُغَةٍ يُقال: وَزٌّ: الواحدة وَزَّةٌ مِثْلُ تَمْرٍ وتَمْرةٍ، ولهذا يُذْكرُ في البابَيْن، وحكيَ في الجمع إِوَزّونَ وهو شاذّ».

ولٰكنّه لم يَذْكُرْه في باب الواو، وإنّما الذين ذكروه في المَوْضِعَيْنِ كالجوهريّ كثيرونَ ومنهم (اللسان. .) و(القاموس. .) و(التّاج. .) ولٰكنّهم لم يُشيروا إلى اللغة بالواو عندما ذكروه بالألِف في: أوز، وإنّما في: وزز؛ قالوا: «والوَزّ: الإِوَزّ». إلّا أنّهم في: أَوَزَ كانوا قد عَرَّفوا الإِوَزّ بأنّه البَطّ، والمعروف الآنَ أنّهُ يُشْبهُ البطَّ ولٰكنَّهُ أَكْبرُ جِسْمًا وأَطْوَلُ عُنُقًا. . وهذه من مُشْكلاتِ عِلْمَيْ: الحَيَوانِ والنّباتِ في معاجِمنا وكان بدأ بالتّصدّي لها كُلّ من الدّكتور أمين المعلوف في (معجم الحيوان) والأمير مُصطفىٰ الشّهابيّ في (مُعْجم المُصْطلحات الزّراعيّة) وما تَزالُ هذه المُشْكلاتُ محتاجةً إلى المزيدِ من مُتابَعَةِ جُهودِ العُلَماءِ. .

وأعود عن هذا الاسْتِطْرادِ إلى فصاحَةِ العامّيّةِ في الوَزّ. فأرى أنّ كتّابَنا ومُرَبّينا يَبْذلون جُهودًا لإعادة الهَمْزة التي اتُّهِمَتِ العامّيّةُ بِحَذْفها، فأقول: حَذْفُها فصيحٌ تالدٌ، وآخِر مَن أشارَ إلى هذا من القدماء محمّد بن إبراهيم. . رضيّ الدّين بن الحنبليّ المُتَوفّى سنة ٩٧١هـ = ١٥٦٣م في كتابه: (بحر العَوّام فيما أصاب فيه العوامّ)[1]، واحتجّ (بصحاح الجوهريّ).

وفي العامّيّةِ المصريّةِ أيضًا يحذِفونَ همزتَها، ولٰكنّهم يكسرونَ واوَها المفتوحة أيضًا ويقولون (هزّي يا وِزّ. .) وقد كان أَحْسَن لِمُعْجَمِ مَجْمَع القاهرة (. . الوسيط) لَوْ ذَكر في بابِ الهمزةِ أنّه من البابَيْن؛ وقد ذَكَر الوزّ فِعْلًا في باب الواو وأَحالَ على باب الهمزة. . .

أمّا د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات. .) فلم أجدْها عنده.

تأَوّى والأُوَّةُ والتَّأَوُّه و....

هل تكونُ الهمزةُ أصليَّةً في ألفاظٍ نَحْسَبُها فيها مُنْقَلِبَةً عنِ القافِ منَ الفصيح إلى العامّيِّ؟ فانْظُرْ إلى هذهِ العباراتِ التي وردَتْ في (لسان العرب) في فصلِ الهمزةِ من بابِ الواوِ والياءِ، وكيفَ أنّها ما تزالُ إلى اليوم في لَهْجتِنا الدّارجةِ المَحْكيَّةِ لا تكادُ

(١) طبع المَجْمع العِلْمِيّ العَرَبِيّ، أيْ مجمع اللغة العربيّة بدمشق، كتاب ابن الحنبلي: (بحر العوّام. .) في سنة ١٩٣٧م في المُجلّد الخامس عشر من مجلّته - بتحقيق عضو المجمع الأستاذ عزّ الدين عَلَم الدّين التّنوخيّ. ثم أعاد تحقيقه ونشره في القاهرة د. شعبان صلاح سنة ١٤١٠هـ = ١٩٩٠م.

تختلفُ في اللَّفظِ والمعنى إلّا قليلًا؛ ونَظَلُّ نَحْسَبُ فصيحَها بالقافِ، ولا يَخْطرُ ببالِنا إلّا أنّ عامِّيَّها بالهمزةِ المُنْقَلِبَةِ عن القافِ:

«وتأوّتِ الطيرُ تأوِّيًا: تَجَمَّعَتْ بعضُها إلى بعضٍ، فهي مُتَأَوِّيَةٌ ومُتَأَوِّياتٌ قال أبو منصورٍ [الأزهريُّ صاحبُ تهذيبِ اللغةِ]: ويجوزُ: تَآوَتْ بوزنِ تَعاوتْ على تفاعَلَتْ: قالَ الجوهريُّ: وَهُنَّ أُوِيٌّ جَمْعُ آوٍ مِثْلُ بالٍ وَبُكِيٌّ، واسْتعملَهُ الحارثُ بنُ حِلِّزَةَ في غيرِ الطَّيرِ فقالَ:

فَتَأَوَّتْ لهُ قَراضِبَةٌ مِنْ
كُلِّ حَيٍّ، كأنّهمْ ألْقاءُ

وَطَيْرٌ أُوِيٌّ: مُتَأَوِّياتٌ [قلت: ونحن نُظُنُّها: مُتقوِّيات توهُّمًا] [ويكمل ابنُ منظور]: على حذف الزّائد. قال أبو منصور: وقرأتُ في نوادرِ الأعرابِ تأوَّى الجُرْحُ وَأَوَى وَتَآوَىٰ وآوَىٰ إذا تقاربَ للبُرْءِ. التّهذيب: وروى ابنُ شميلٍ عن العربِ: أَوَّيْتُ بالْخَيْلِ تَأْوِيَةً إذا دَعَوْتَها آوُوه لتَريعَ إلى صَوتِك... ومنْ هذا قولُ عديّ بنِ الرِّقاعِ يصفُ الخَيل:

هُنَّ عُجْمٌ وقد عَلِمْنَ من القَوْ
لِ: هَبي واقْدُمي وآوُو وقومي

... وربَّما قيل لها من بَعِيد: آيْ، بِمَدَّةٍ طويلة.

ويقال: أَوَّيْتُ بها فَتَأَوَّتْ تَأَوِّيًا إذا انْضَمَّ بعضُها إلى بعضٍ كما يَتَأَوّىٰ النّاسُ؛ وأنشد بيتَ ابنِ حِلِّزَة، وإذا أَمَرْتَ من أَوَى يأوى قلت: ائْوِ إلى فلانٍ أي انضمَّ إليه وَأَوِّ لفلانٍ أي: ارحمْهُ، والافْتِعال منهما إِتَّوى يَأتوي وأَوى إليهِ أويةً وأَيَّةً ومأويةً ومأواةً: رَقَّ ورثىٰ له... واسْتَأْوَيْتُه أي: اسْتَرْحَمْتُهُ اسْتِيْوَاءً؛ قال ذو الرُّمَّة:

على أَمْرِ من لم يُشْوِني ضُرُّ أَمْرِهِ
ولو أَنّيَ اسْتَأْوَيْتُهُ ما أَوَى لِيا

... أبو عمرو: الأُوَّةُ: الدّاهيةُ، بضمِّ الهمزةِ وتشديدِ الواوِ. قالَ: ويقالُ ما هي إلّا أُوَّةٌ من الأُوَوِ يا فتى! أي داهيةٌ من الدّواهي؛ قالَ: وهذا منْ أغربِ ما جاءَ عنهم حتّى جعلُوا الواوَ كالحرفِ الصّحيحِ في مَوْضِعِ الإعرابِ فقالوا: الأُوَوُ، بالواوِ الصّحيحةِ، قال: والقياسُ في ذلك: الأُوَى مِثالُ قُوَّةٍ وقُوَى، ولٰكنْ حُكِيَ هذا الحرفُ مَحْفُوظًا عن العربِ... ابنُ سِيْدَه: أَوَّلَهُ كقولك أَوْلى له: أَوِّ مِن كذا، على معنى التَّحَزُّنِ، على مِثال: قَوِّ، وهو من مُضاعَفِ الواو؛ قال:

فأَوِّ لذكرِها، إذا ما ذَكَرْتُها
وَمِنْ بُعْدِ أَرْضٍ دونَنا وسماء

قال الفرّاءُ: أَنْشَدَنِيه ابنُ الجرّاحِ:

فَأَوْه مِنَ الذِّكْرَى إذا ما ذكرتُها

... وقال أبو طالبٍ: قولُ العامّة آوَّهْ، ممدود، خَطَأٌ إنّما هو أَوَّهْ من كذا وأَوْهِ منه، بقَصْرِ الأَلفِ. الأزهريّ: إذا قالَ الرّجلُ أَوَّهْ منْ كذا رَدَّ عليه الآخرُ: عليكَ أوهتُك.... وقالُوا: أَوَّتا عليك، بالتاء، وهو التّلهّف على الشّيءِ، عزيزًا كان أو هيّنًا... وتقولُ: دَعِ الأَوَّ جانبًا...

... وقول العرب: أَوِّ من كذا، بواو ثقيلة، وهو بمعنى تَشَكِّي مَشَقَّةٍ أو هَمٍّ أو حزنٍ». ا.هـ. ابن منظور.

أَيّ

في: (لسان العرب) لابنِ منظور: أي: «والعربُ تقولُ: أَيّ وأَيّانِ وأَيُّونَ؛ إذا أَفْرَدُوا أَيًّا ثَنَّوْهَا وَجَمَعُوها وأَنّثُوها فقالوا أَيَّة وأَيَّتان وأَيَّاتٌ... ويقول لك قائلٌ: رأيتُ ظَبْيًا فَتُجيبُهُ: أَيًّا؛ ويقولُ: رأيتُ ظَبْيَيْنِ، فتقولُ: أَيَّين، ويقولُ: رأيْتُ ظِباءً، فتقولُ: أَيّات. ويقولُ: رأيْت ظَبْيَةً فتقول: أَيَّةً،

قالَ وإذا سَأَلْتَ الرّجُلَ عن قبيلتِه قلت: المَيِيُّ، وإذا سألته عن كُورَتِه قُلْتَ: الأَيِيُّ، وتقولُ مَيِيٌّ أنتَ وأَيِيٌّ أنت... ويُقالُ لا يعرفُ أيًّا من أيٍّ: إذا كان أحمقَ... وقال الفرّاء: أصل أيّان: أيّ أوانٍ...

..وتقولُ في التّثنيةِ والْجَمعِ والتّأنيثِ كما قيلَ في مَن، إذا قال: جاءني رجالٌ، قلتَ: أَيّونْ، ساكنة النون، وأَيِّينْ في النَّصْبِ والْجَرّ، وأَيَّهْ للمؤنّث، قال ابن بَرّي: صوابُه: أَيُّونَ بفتح النّون، وأَيِّينَ بفتح النّون أيضًا، ولا يجوزُ سكونُ النّونِ إلّا في الوَقْفِ خاصّة، وإنّما يجوزُ ذلك في مَنْ خاصّة، تقول: مَنونْ وَمَنينْ، بالإسْكان لا غير. قال: فإنْ وصلت قلتَ أيَّة يا هذا وأيّات يا هذا، نوّنْتَ»....

أَيا

أسمعُ بعضَ العَوَامّ في بَعْض الأَحْيان يَصْرخون في نداء الزّجْر: (أَيا...) أو: (هَيا...) أو: (أيايَهْ...).. ولهذه الصَّرَخاتِ الزّجريّةِ أصولٌ فصيحةٌ:

ابن منظور في (لسان العرب): «أيا حرفُ نداء، وتُبدلُ الهاء من الهمزةِ فَيُقال: هَيا؛ قال:

فانصرَفت، وهي حَصان مُغْضَبَهْ،

وَرَفَعَت بِصَوْتِها: هَيَا أَبَهْ

.......وأيَايا وأيايَهْ ويَايَهْ، الأخيرة على حذف الفاء: زَجْرٌ لِلإبِلِ، وقد أيّابها. اللَّيث: يُقال: أَيَّيْتُ بالإبل أُأَيّي بها تَأْيِيةً إذا زجرتها تقولُ لها أيَا أيَا؛ قال ذو الرّمّة:

إذا قال حادِينا، أيا يا اتَّقَيْنَهُ

بِمِثْلِ الذُّرى مُطْلَنْفِئاتِ العَرائِك

وانْظُر في: دع ك إلى: (أيايَهْ) في أُرْجوزةٍ يَرْويها ابنُ منظور وفي آخرها:

زعمْتِ أَنْ لا أُحْسِنُ الحُدايَه

فـيـا يَـهٍ أيـايَـهٍ أيـايَـهْ!»

آيَسَ مُؤايَسَةً

يقولُ الشّامِيّ: (آيَسْتُ مُؤَايَسَةً حينَ يَئِسْتُ فَوَقَعْتُ في هذا الأمْرِ غَيْر مُبالٍ) وَمَقصدُهُ أنّه بَلَغَ اليَأْسَ فَتَهَوَّرَ وَوَقَعَ في مِثْلِ هذه الأُمورِ.. مِن يَأْسِهِ، فَقَدْ (آيَسَ من اليَأْس).

وفي القاموس المحيط: أَيِسَ منه يَأْيَسُ إياسًا: قَنِطَ. وآيَسْتُهُ وَأَيَّسْتُه. والأَيْسُ الْقَهْرُ.

وفي (مختار الصحاح) للرّازي: «أَيِسَ وآيَسَ، وآيَسَهُ منه غَيْرُهُ؛ مثل أَيْأَسَهُ وَأَيَّسَهُ».

وفي (لسان العرب) لابْنِ مَنْظور: أ ي س: «الجَوْهَرِيّ: أَيِسْتُ منه آيَسُ يَأْسًا لُغَةٌ في يَئِسْتُ منه أَيْأَسُ يَأْسًا، وَمَصْدَرُهُما واحِد. وآيَسَني مِنْه فُلانٌ مثل أَيْأَسَني، وكذلك التَّأْييس. ابْنُ سِيْدَه: أيِسْتُ من الشَّيْءِ مقلوب عن يَئِسْتُ، وَلَيْسَ بِلُغَةٍ فيه، ولولا ذلك لأَعَلّوهُ فقالُوا إِسْتُ أَآسُ كَهِبْتُ أَهابُ.... وقال اللَّيث: أَيْسَ كَلِمَةٌ قد أُمِيْتَتْ إلّا أَنَّ الخَليلَ ذَكَرَ أنّ العربَ تقولُ: جِيء به من حيث أَيْسَ وليسَ، لم تُستعمل أَيْسَ إلّا في هذه الكلمةِ، وإنّما معناها كَمَعْنَى حَيْثُ هو في حال الكَيْنونَة والوُجْدِ، وقال: إنَّ مَعْنَى لا أَيْسَ أي لا وُجْدَ».

قُلْتُ: (وَفي بَعضِ بُحوثِ الخِلافِ في لَيْس، قالوا: أَصْلُ: لَيْسَ لا أَيْسَ). وهذه العبارةُ المُمَاتَةُ: الأَيْسُ: في رَأْيِ اللَّيْثِ تِلْمِيذِ الخَليلِ؛ وَأَحْياها أُسْتاذُهُ وَصاغُوا منها الفِعْل الرّباعيّ آيَسَ وَرَواهُ الْجَوْهَرِيُّ في (الصِّحاح) كما رَأَيْنا في رِوايَةِ نَصِّهِ (وآيَسني منه فُلان مثل أَيْأَسَني) وهي ما تَقولُهُ عامَّتُنا اليومَ. وَأَشارَ إلى فَصاحَتِها الأَمِيْر

شَكِيب أَرْسلان في لبنان في كتابه: (القول الفصل.. في ردّ العامّيّ إلى الأَصْل)[1]. فَأَيْنَ قَوْلُ اللَّيْثِ مُنْذُ أَلفٍ وثلاثمائة عام: (أيس كلمة قد أُمِيْتَتْ)؟ فهل عَرَفْنا لماذا لا نُوافق المُطالِبِيْن باختصارِ المُعْجم العربيّ وحَذْف مامات مِن عباراتِه التي لا نعرفُ في أيّ عامّيّة ما زالَتْ تعيشُ.

أَيْش

مِنَ الإنْجازِ بالنَّحْتِ القَدِيمِ في الفَصِيحِ.

مِن قَديم تَكَلَّمَتِ العربُ بِعِبارَةِ السُّؤالِ: أَيْشٍ؟ المَنْحوتَةِ مِن:

أَيِّ شَيْءٍ؟ وَعُدَّتِ العِبارَةُ: أَيْشٍ فَصِيحَةً مِنْ فِصاحِ العُصورِ القَديمةِ..

وَلٰكِنّهم في عَصْرِنا يَهْجُرونَها لِأنَّ العامَّةَ ما تَزالُ تَسْتَعْمِلُها فَيَظُنُّ كُتّابُنا أَنَّها لَيْسَتْ مِنَ الفَصِيحِ! مع أنّ مُعْجَمَ مَجْمَع القاهرة (المعجم الوسيط) في طبعتِهِ الثّانيةِ قد نصَّ عليها وذَكَرَ أَنّها ممّا «تكلَّمَتْ بِهِ العربُ».

قال الشِّهابُ الخفاجيُّ في (شفاءِ الغليلِ...):

«أَيْش: بمعنى أيِّ شيءٍ، خُفِّفَ منهُ، نصّ عليه ابنُ السّيّد في شرحِ أدبِ الكاتبِ، وَصَرَّحوا بأَنّهُ سُمِعَ منَ العربِ، وقالَ بعضُ الأئمّةِ: جَنِّبُونا أَيْش؛ فذهبَ إلى أَنَّها مُولَّدةٌ، وقولُ الشّريفِ في حَواشي الرّضى، إنّها كلمةٌ مُسْتعمَلةٌ بمعنى أيِّ شيءٍ وليسَتْ مُخفَّفةً منها؛ ليسَ بشيءٍ. ووقع في شعرٍ قديمٍ أنشدوه في السِّيَرِ:

مِـنْ آلِ قَـحْـطـانٍ وَآلِ أَيْـشٍ

وقال السّهَيْليُّ في شرحِهِ الأَيْش: يُحْتملُ أنّه قبيلةٌ من الْجِنِّ يُنسبونَ إلى أَيْش ومعناه مَدْحٌ، يقولونَ: فلانٌ أَيْشٌ وابْنُ أَيْشٍ، معناهُ شيءٌ عظيمٌ؛ وأَيْشٌ في معنى أيِّ شيءٍ كما يقالُ: وَيْلُمِّهِ في معنى ويلٌ لِأُمِّهِ؛ على الحذفِ لِكَثْرةِ الاسْتِعمالِ». ا.هـ. الخفاجيّ.

أمّا بطرسُ البُسْتانيُّ في (محيطِ المحيطِ) ط١: سنة ١٨٧٠م وآخر طبعاتِهِ في مكتبةِ لبنانَ سنة ١٩٧٧م فقدِ اكتفى بالقولِ: «أَيْشٌ: تحريفُ أيِّ شيءٍ».

ولٰكنَّ (المعجمَ الوسيطَ) لمَجْمَعِ القاهرةِ لا يَعُدُّهُ تحريفًا ففيه:

«أَيْشِ: مَنْحوتٌ من (أيِّ شيءٍ)، بمعناه: وقد تكلّمَتْ به العربُ».

وألاحظُ أنَّ العامّيّاتِ في البلدانِ العربيّةِ قد توسَّعَتْ في هذا النَّحْتِ فقالُوا: (بَلاش) مِن: بِلا شيءٍ[2].. و(إيْشْكون؟) من: أيِّ شيءٍ يكونُ؟

وفي الشّامِ قالُوا: (عُدّنّه) من قولِهم: (عُدَّ أَنَّه). وقالُوا في الشّامِ (إيْشْلون؟) من: أي شيءٍ اللونُ؟ وقالوا في الجزائر (إسْشْحالُه؟) من: أيّ شَيْءٍ حالُهُ؟ و(إيْشْ رَاكْ؟) من: (أي شيءٍ أَرَاكَ؟) وقالوا: (ما كانْشْ) من: ما كانَ شَيْءٌ.

إِيْ واللهِ..

إي: في العامّيّة الشّاميّة بمعنى نعم.. وفي القاموس المحيط «إي (بالكسر) بمعنى نَعَمْ، وتُوْصَل باليمين». وكذلك في مختار الصحاح: «إيْ كلمة تتقدَّم القَسَمَ ومعناها بلى؛ تقول: إي وَرَبِّي. إي واللهِ».

وفي القرآن الكريم: ﴿ويستنبئونك أَحَقٌّ هُوَ قل إِيْ وربِّي﴾.

(١) محمد خليل الباشا؛ شارح كتاب (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م الدار التقدّمية في لبنان: المختارة.

(٢) سترد في بلا شي.

ولعلّ العامّة في الشّام قد يهملون أحيانًا شرط النّحاة أنْ يَتْبَعها قَسَم، أو يَحذفونه ويُضمرونه إذا قالوا: (إي)؛ أو قالوا: (إي نعم)، وقد يقولون بغير حذف أو إضمار: (إي والله).

وأَسْتطرد فأقول: لعلّ العامّيّة المصريّة أَدْغَمَتْ فيها القَسَم واخْتصرتها حين قالت: (أَيْوَهْ) وإن كان د.عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) يرى أنّ: «الأصل فيها إيهِ وأُبْدلت الياء واوًا (إوَه) ثمّ أُشْبعت كَسْرةُ الهمزة (فكانت سَبَبًا في وجود ياء المدّ) وفي القاموس: إيْ بالكَسْر بمعنى نَعَم».

وقلت: وفي قُسَنْطِيْنة شرقيّ الْجزائر يقولون: هِيْه، فهلْ أخذوها من (إيهِ حديثًا: استزادةٌ) كما وَرَدَ في أساس البلاغة؛ نصًّا؟ ولٰكنْ فيه أيضًا: (وإيهًا لا تُحَدِّثْ: كُفَّ) فَنَنْتَقِلُ إلى العَكْسِ والضِّدّ!! وفي الجزائر العاصمة يقولون: إي نَعَمْ. أمّا في وَهْران وغربيّ الجزائر فيُقال: (وا) بمعنى نعم، وهي جزء من عبارة المغاربة (وَخَّى). ولٰكنْ في مدينة تيزي أوزو؛ وهي مركز ولاية القبائل في الْجزائر.. وَجَدْتهم يستبدلون بكلمة نَعَم نَغْمَةً تَخرُج من طَرْقِ أعلى مُقدِّمة اللّسان على مُقدِّمَة الفكَّيْن! حتّى تَوهّمت في أوائل أيّامي في التّدريس عندهم، أنّهم يَسْخرون، فإذا هم جادّون في إعطاء هذه الطَّرْقة باللّسان على الفكّيْن معنى نَعَم! أَذْكر كلَّ ذلك اسْتطرادًا وإطْرافًا..

أَيْوَهْ

في الشّام ومِصرَ وفي كثيرٍ من العامّيّات العربيّة ما زالَ النّاسُ يستعلمونَ (أَيْوَه) في الإجابةِ بالموافقةِ وكنتُ أظنُّها من انْحِرَافاتِهم نَحْو الغَلَطِ حتّى قرأتُ في (شفاء الغليل..) للشّهابِ الخفاجيّ: «أَيْوه: أيْ بمعنى نَعَمْ في القَسَمِ خاصّةً، كما أنَّ هلْ بمعنى قدْ في الاستفهام. قال الزّمخشريُّ في: (الكشّافِ): (سَمِعْتُهم في التّصديقِ يَقولونَ أيْوَ فيصلونَه بواوِ القسمِ يَنطِقونَ به وَحْدَه)، انتهى.. والنّاسُ تزيدُ عليهِ هاءَ السّكتِ فليسَ غَلَطًا كما يُتَوَهَّم» ا.هـ. الخفاجيّ.

وبَعْد الخفاجيّ كتبَ عنها بطرسُ البُسْتانيُّ في (محيط المحيط): «إِي: حرفُ جوابٍ بمعنى نَعَمْ ولا تقعُ إلّا قَبْلَ القَسم. وإذا قيل: إي واللهِ ثمّ أُسْقِطَتِ الواوُ جازَ سكونُ ياَءِ إيْ فَيَلْتَقي ساكِنَانِ على غيرِ حدِّهما، وجاز فتحُها وحذفُها.

وقول العامّةِ (أَيْوَهْ: قَسَمٌ أَصْلُهُ: إي واللهِ. وقد تُبْدَلُ همزةُ إي هاءً فيقالُ: هِي.» ا.هـ. البستانيّ.
قلت: هذا كما في (لسان العرب) و(القاموس المحيط) في إيْ يروي ابنُ منظورٍ في تفسيرِ الزّجّاج لقولِه تعالى: ﴿قل إي وربّي إنّه الحقُّ﴾ «إي: يَمينٌ... والمعنىٰ: نَعَمْ وربي».

ب

بابا

يقول الفيروزابادي في القاموس المحيط:

«بَأْبَأَ الصَّبِيُّ: قال بابا».

ويزيد ابن منظور في (لسان العرب):

«وَبَأْبَأْته أيضًا، وَبَأْبَأْتُ به: قلت له: بابا. وقالوا: بأبأ الصّبيَّ أبوه إذا قال له بابا.. وَبَأْبَأَهُ الصّبيُّ إذا قال له بابا... قال ابن جِنِّيٍّ: سألت أبا عليّ: بأبأت الصَّبيَّ بَأْبَأَةً إذا قلت له بابا، فما مِثال البَأْبَأَةِ عِنْدك الآن؟ أَتَزِنُها على لَفْظها في الأصل؟.. فقال: بل أَزِنها على ما صارت إليه وأترك ما كانت عليه، فأقول: الفَعْلَلَة..». وفي عصرنا ذكر الدكتور عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) من الأعلام التراثيّة: (بابا: مولى العبّاس، ومولى لعائشة، وعبدالرحمن بن بابا).

وأنا مع الذين قد يعتبون عليّ أنْ أُدْرج (بابا) مع فِصَاح العامّيّة، وهي عبارة معروفة موجودة في كُتُب اللغة والتّراث، ويعرفها مُسْتَعْمِلو المُعْجَم، كما يعرفها الكتّاب والشّعراء المعاصِرون ويُكْثرون مِنْ إيرادها في أناشيد الأطفال.. ولٰكنّي آسِفٌ لأنّي رأيت كثيرين مِمَّنْ يَنْتَقِدُون هذه الأناشيد مُدَّعِيْن أنّ العبارتَيْن: ماما وبابا دخيلتان مُسْتَوْرَدَتانِ مِنَ اللغات الأوروبيّة الحديثة!! فأقول: أنسيتم أنّ ابن جِنِّيٍّ وأستاذه أبا عليّ الفارسيّ من أكابر علمائنا اللُّغويِّين في القَرْن الرّابع الهجريّ؛ العاشر الميلاديّ؛ أيْ من قبلِ أنْ تتكوّن هذه اللغات الأوروبيّة الحديثة..؟!

أَوَلَيْسَ في اللغة البشريّة عبارات مُشْتَرَكة بَيْن أبناء الإنسانيّة؟! وعلى ذلك أَذْكُر ما وَرَدَ في (مُسْتَدْرَك المُعْجمات) للمُسْتَشْرِق دوزي[1]: «..وبابا بالبربريّة والتركيّة: الأب (ابن بطوطة ٢/٤١٦) وكذلك في لغة الفولة أو الفولان (هجسون) وكذلك هي في العربيّة.. محيط المحيط».

وكَتَب الأستاذ حسّان الطيّان في مجلّة (نهج الإسلام) الصّادرة عن وزارة الأوقاف تشرين ١/ ١٩٨٩ بدمشق: العدد ٣٧ السنة العاشرة مقالة بعنوان (بابا: من بقايا الفصاح على ألسنة الأطفال) من ص١٥٠ إلى ١٥٣ ردّ فيها على الذين يَرَوْن أنّها تَسَرّبت إلَيْنا مِنَ الفرنسيّة Papa وذكر أنّه قرأ في كتاب (النّوادر) لأبي زيد الأنصاريّ (ص١١٩ إلى ٢١٥هـ.) وهو المَعْنِيّ بقول سِيْبَوَيْهِ في (الكتاب): «حدّثني الثّقة»:

«وقال العَنْبَريّون: بَأْبَأَ الصّبيّ أباه، وبأبأه أبوه: إذا قال له يا بابا. وَمَأْمَأَ الصّبيّ أُمَّهُ فهو يُمَأْمِئُها ويُبَأْبِئُ أَباه بَأْبَأَةً وَمَأْمَأَةً. ويُقال: دَأْدَأْتُ الصَّبِيَّ دَأْدَأَةً إذا سَكَّتّه تَسْكيتًا».

وأُوْرِد أبياتًا رقيقة للعبّاس بن الأحنف المُتوفّى سنة ١٩٢هـ:

(١) تُرجم (مستدرك المعجمات) لدوزي فحمل اسم (تكملة المعاجم العربية). انظر ج١ ص٢٢٥.

وكانت جارةً للحُو
رِ في الفردوس أحْقابا
فأمْسَتْ وهي في الدّنيا
وما تَألفُ أتْرابا
لا لُعَبٌ مُصَفَّفَةٌ
تُلَقِّبُهُنَّ ألْقابا
تُنادي كلّما رِيعَتْ
من الغِرَّةِ يا بابا

وذكر الجاحظ في (البيان والتّبيين ج١ : ٣٥) «أنّ الميم والباء أوّل ما يَتَهَيَّأُ في أفواه الأطفال كقولهم: «ماما وبابا» لأنّهما خارجان من عملِ اللسان، وأنّهما يَظْهران بالْتِقاء الشّفَتَيْن».

وفي (المعجم العربيّ الأساسيّ) الذي أصدرته المنظَّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم في الجامعة العربيّة: «بابا: نداء للوالد. I بابا غنوج: أكلة تصنع من الباذنجان شائعة خاصة في سورية ولبنان». وفي (المعجم المدرسيّ) الذي أصدرته وزارة التّربية السوريّة بدمشق: «البابا: الحَبْر الأعظم ورئيس الكنيسة الكاثوليكية في العالم. (د) لاتينيّة. (ج) بابوات».

البَتُّ بَتاتًا

يقولونَ عندنا في الشّام: هذه قضيّةٌ مبتوتةٌ بتاتًا. وهذا قَطْعٌ بَتٌّ. وفي مِصرَ يُقالُ كما في (مُعجمِ الألفاظِ العامّيّةِ ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العربيّةِ) للدّكتور عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال: «نقولُ في دارِجَتنا: بَتّهْ تبتّك؛ أي: قَطْعَةٌ تَقْطعُك، أو قضاءٌ يَقْضي عليكَ، وفي القاموسِ: البَتُّ: القَطْعُ، وبَتَّ عليه القضاءُ: قَطَعَهُ».

وفي (لسان العرب) لابن منظور: «البَتُّ: القَطْع المُسْتَأْصِل. يقال: بَتَتُّ الحَبْلَ فانْبَتَّ. ابن سيدَه: بَتَّ الشيءَ يَبُتُّه، وَيَبِتُّهُ بتًّا، وَأَبَتَّهْ... وَبتَّتَهُ تَبْتِيتًا: شُدِّدَ للمُبالَغَةِ وبَتَّ هو يَبِتُّ وَيَبُتُّ بَتًّا وَأَبَتَّ. وقولهم: تَصَدَّقَ فلانٌ صَدقَةً بَتاتًا وَبَتَّةً بَتْلَةً إذا قَطَعَها المتصدّقُ بها من مالِه، فهي بائنةٌ عن صاحبِها، قد انقطعَتْ منهُ..

وبَتَّ وَأَبَتَّ فلانٌ طَلاقَ امْرأتِهِ.. وطلَّقها ثلاثًا بَتَّةً وبَتَاتًا أي قَطْعًا لا عَوْدَ فيها... وفي الحديثِ (لا تَبِيتُ المَبْتُوتَةُ إلّا في بَيْتِها) هي المُطَلَّقَةُ طَلاقًا بائنًا.

ولا أَفْعَلُهُ البَتَّةَ.. وبَتَّ عليه القَضاءَ بَتًّا، وَأَبَتَّهُ: قَطَعَهُ.

وَحَلَفَ على ذلك يمينًا بَتًّا وَبَتَّةً وبَتَاتًا، وكلُّ ذلكَ منَ القَطْعِ. والانْبِتَاتُ الانقِطاعُ.

والمُنْبَتُّ في حديثِ الذي أَتْعَبَ دابَّتَهُ حتّى عَطِبَ ظَهْرُهُ، فَبَقِيَ مُنْقَطِعًا به..؛.. ومنه قول مُطرِّفٍ: (إنَّ المُنْبَتَّ لا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى).

وفلانٌ على بَتاتِ أَمْرٍ إذا أشرفَ عليه؛ قال الرّاجزُ:

وحاجَةٍ كُنْتُ على بَتَاتِها».

وفي (المصباح المنير) للفيوميّ[1]: «بَتَّه [يَبُتُّه] بتًّا في باب ضَرَبَ وقَتَلَ - قَطَعَه، وفي المُطاوِع: فَانْبَتَّ كما يُقال: فانْقَطعَ وانْكسَر. وَبَتَّ الرَّجُلُ طلاقَ امْرأتِهِ فهي مَبْتُوتةٌ.. وطلّقها طلْقةَ بَتَّةٍ، وَبَتَّها بَتَّةً إذا قَطَعَها عن الرّجعةِ. وَأَبَتَّ طَلاقَها؛ بالألِفِ لغة، قال الأزهريُّ: ويُسْتَعْمَلُ الثّلاثيُّ والرّباعيُّ لازِمَيْنِ متعدِّيَيْنِ.. ويُقال لا أفعلُه بَتَّةً. وبَتَّتْ يمينُهُ في الحلفِ تَبِتُّ بالكَسْر لا غير، بتوتًا: صدقت وَبَرّتْ فهي بَتَّةٌ وَبَاتَّة وبتَّ شهادَتَه وأبَتَّها بالأَلِف: جَزَم بها».

(١) أحمد بن محمّد بن عليّ الفيّوميّ المقرئ (المصباح المنير) طبعة مكتبة لبنان ببيروت سنة ١٩٨٧م.

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «. . وبَتَّ النِّيَّةَ: جَزَمَها. . وخُذْ بَتَاتَك، أي: زَادَك. وأنا على بَتاتٍ منَ الأمرِ إذا أَشْرَفَ عليه. قال أبو محمّد الفقعسيّ:

وحاجَةٍ كُنْتُ على بَتَاتِها.».

في التّطوّر المَجازيّ:

البَتْع

ممّا لم يَرِدْ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ. .) ولٰكنْ وَرَدَ عند الأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) كما وَرَد أيضًا عند د. عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة)؛ وممّا يقولونه في عامّيّتنا الدّارجة: «فلان قد بَتَعَ أَحْسَنَ بَتْع» يُعَبِّرون عن إعجابِهم بِعَمَل قام به هذا الفلان. . و«فلان من أولياء الله. . سرُّه باتع». قلت: البَتْع: - عندنا -: القوّة، أو الصحّة، أو الاعتماد على الذّات في أداء العمل الجيّد.

وفي المعجم العربيّ القديم كالقاموس واللسان تَجِدُهم يَعُدّون من معاني: «البَتِعِ: الشّديد المفاصل والمواصل من الجسد ومن الرّجال، وفِعْله [بَتِعَ] (كَفَرِح) وهو أَبْتَع وهي بَتْعاءُ والْجَمْع بُتْعٌ» كما في القاموس المحيط للفيروزابادي، وكما في لسان العرب لابن منظور أيضًا «البِتْعُ: الطّويل من الرّجال. . والبَتَعُ: طُول العُنُق مع شِدّة مَغْرِزِها؛ بَتِعَ الفَرَسُ (كفرح) فهو بَتِعٌ وهي بَتِعَةٌ؛ وَجَمْعُها: بُتُعٌ. ورُسُغٌ أَبْتَعُ: مُمْتَلِئ. وبَتَعَ في الأرض: تباعَدَ ومنه بُتوعًا: انْقَطَعَ كانْبَتَعَ. . وَبَتَعَ النّبيذَ يَبْتِعُ: اتّخذه وصَنَعَهُ. وبَتِعَ بأمرٍ لم يؤامرني فيه: قَطَعَهُ. .» اهـ. .

ويزيد ابن منظور في (اللسان): «وَأَبْتَعُ: كلمة يُؤَكَّد بها؛ يقال: جاء القوم أَجْمَعونَ أَكْتَعون أَبْصعون - أَبْتَعون».

بَجَّ وانْبَجَّ وَتَبَجْبَجَ

يُقال عِنْدَنا: (هل انبجّ كرشُكَ من كثرةِ ما أَكَلْتَ؟) للأكولِ يشعرُ أنّ بطنَهُ يكادُ أنْ يَتفجَّرَ من الأكلِ. و(بودّي لو أَبُجُّ بَطْنَك بهذهِ السّكّينِ). أيْ أفتحُ جُرحًا في بطنِك بها. . تهدِّدُهُ بطَعْنةٍ بالسّكّينِ.

كما يقالُ أيضًا: وجهُكَ مُبَجْبجٌ أي مُنتفِخٌ من السِّمَنِ.

وذلكَ كلُّه من فصيحِ العامَّةِ. . وقد كَتَبَ فيه الأميرُ شكيب أرسلان في (القولِ الفصلِ في ردِّ العامّيِّ إلى الأصل): «ويقولونَ في مصرَ والشّامِ (بَجَّت المياهُ) و(انبجّت بمعنى: انبجَسَتْ، ويقولونَ مَجازًا: كِدْتُ أنبجُّ) أي: أنشقُّ من غَضَبٍ أو أَسَفٍ أو حُزْنٍ، وهذا صحيحٌ فصيحٌ من: بجَّ القَرْحَةَ بجًّا: شقَّها. وبجَّ فلانًا بالرّمحِ: طَعَنَهُ. وانبجَّ. مُطاوِع: بَجَّهُ».

وقولُهُ: (في مصرَ والشّام) ذكّرني أنْ أبحثَ في (معجمِ الألفاظِ العامّيَّةِ ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العربيّةِ) فلم أجدْ شيئًا من ذلكَ فيهِ.

وأمّا لدى: أحمد أبو سعد من لبنان في (قاموس المصطلحاتِ والتّعابيرِ الشّعبيّةِ) فـ«بَجّ صوت الانفجار» فقط. [ممّا يذكِّرنا بأنّه كتَبَهُ خلالَ الحربِ الأهليَّةِ وانفجاراتِها!!].

وأمّا أحمد رضا العامليّ فكَتَبَ في بَجْبَجَ وتَبَجْبَجَ البَجْباجُ؛ وأشارَ إلى أنَّ وُرودَها في السّريانيّةِ لا يَنْفِي أصلَها العربيَّ.

وفي معجم مَجْمَع مِصر (. . الوسيط): بجَّهُ يبجُّهُ بجًّا: شقَّهُ أو قطعَهُ، وبالرّمح طعنَه، وبمكروهٍ: رماهُ وبجَّهُ في المُبارَزَةِ: غَلَبَهُ. يُقالُ باجّهُ فَبَجَّهُ

والبَجَّةُ: البَثْرَةُ في العَيْن. وتَبَجْبَجَ لحمُهُ: كَثُرَ واسْترخى. وتَبَجْبَجَ: تَورَّمَ في اسْترخاء.

وفي (لسان العرب) لابن منظور.

«بَجَّ الجُرْحَ والقُرْحَةَ يَبُجُّها بَجًّا: شَقَّها، قال جُبَيْها الأَشْجَعِيُّ في عَنْزٍ له مَنَحها لِرَجُلٍ ولم يَرُدُّها:

فَلَوْ أنَّها طافَتْ بِنَبْتٍ مُشَرْشَرٍ
نَفَى الدِّقَ عنه جَدْبُهُ، فهو كالحُ
لجاءَتْ كأنَّ القَسْوَرَ الجَوْنَ بَجَّها
عَساليجُه، والثّامِرُ المُتَناوِحُ

. . . ويقال: انْبَجَّتْ ماشيَتُكَ من الكَلإِ إذا فتَقَها السِّمْنُ من العُشْبِ، فأوسَعَ خواصِرَها، وقد بَجَّها الكَلأُ؛ وأنشدَ الجَوهريُّ وابن برّيّ بيتَ جُبَيْهَا الأشجعيّ. . يقول: لَوْ رَعَتْ هذه الشّاةُ نَبْتًا أَيْبَسَهُ الجَدْبُ قد ذَهَبَ دِقُّهُ، وهو الذي تنتفعُ به الرّاعيةُ، لجاءَتْ كأنّها قد رَعَتْ قَسْوَرًا شديدَ الخُضْرَةِ، فَسَمِنَتْ عليه حتّى شَقَّ الشّحمُ جِلْدَها . . ».

بَجَجْتُهُ أَبُجُّهُ بَجًّا أي طَعَنْتُه؛ وأَنْشَدَ الأصمعيُّ لِرُؤْبَةَ:

قَفْخًا، على الهامِ، وبَجًّا وخْضا

ابن سِيْده: بجَّهُ بجًّا طَعَنَهُ؛ وقِيْل طَعَنَه فخالطَتِ الطّعنةُ جَوْفهُ. وبجَّهُ بجًّا: قَطَعهُ؛ عن ثعلب.

وقوله، ﷺ: (إنّ اللهَ قد أراحَكُم من الشَّجَّةِ والبَجَّةِ).

وفسَّرَهُ ابنُ الأثيرِ فقالَ: البَجُّ الطَّعْنُ غيرُ النّافِذِ، كانوا يَفْصِدونَ عِرْقَ البَعيرِ ويأخذونَ الدَّمَ، يتبلَّغونَ به في السّنةِ المُجْدِبَةِ، ويسمُّونَهُ الفَصِيْد، سُمّي بالمرَّةِ الواحدة من البَجِّ:

والبَجُّ: الطَّعنُ يخالطُ الْجَوفَ ولا يَنْفُذُ؛

والبَجَجُ: سعةُ العينِ وضَخْمُها. بجّ يبجُّ بَجًّا، وهو بَجِيجٌ، والأنثى بجّاء. وفلانٌ أَبَجُّ العينِ. وعينٌ بجّاءُ: واسعةٌ.

والبَجْبَجَةُ: شَيْءٌ يَفْعَلُهُ الإنسانُ عندَ مناغاةِ الصّبيِّ بالفمِ.

قلْتُ: ومُعْظمُ نُقولاتي هذهِ عن ابنِ منظورٍ وارِدَةٌ لدى الزَّمخشريِّ في (أساس البلاغة) وكذلكَ في أكثرِ كُتُبِ التُّراثِ اللغويِّ العربيِّ، فلا يَمْنع مانعٌ من أنْ تكونَ مُشْتَركةً بينَ السِّريانيَّةِ والعربيَّةِ كما قال أحمد رضا.

البَجاحَةُ والتَّبَجُّحُ

عندَنا في الشّامِ كما في مصرَ، وكما يقولُ د. عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتِنا: بَجَّحَ فلانٌ في فلانٍ، وتَبَجَّحَ: خَرَجَ عن حَدِّ الأَدَبِ، وازْدادَ في شَطَطِهِ تَباهِيًا وفَخْرًا»، ويقولُ الزّمخشريُّ في: أساس البلاغة: «أَنَا مُتَبَجِّحٌ بمكانِ فلانٍ، وَبَجِحٌ به وقد بَجَّحَني ذلك. والنِّساءُ يَتَباجَحْنَ فيما بينهنَّ إذا تَبَاهَيْنَ وتَفاخَرْنَ وَعَدَّت كُلُّ واحِدَةٍ حُظْوَتَها. وَلَقِيْتُ منه المناجِحَ والمباجح» ا. هـ الزمخشريّ.

قُلْت: وأَصْل البَجَحَ: الفَرَح كما في (القاموس واللسان . . .) وكما في (مقاييس اللغة) لابن فارس: «يُقال: بَجَحَ بالشّيءِ إذا فَرِحَ به. وَيُبَجِّحُ بكذا. وفي حديث أُمِّ زرع: (بَجّحني فَبَجَحْتُ). أيْ: فَرَّحَني فَفَرِحْتُ. قال الرّاعي:

فما الفَقْرُ من أرضِ العشيرةِ ساقَنا
إليكَ ولٰكِنّا بِقُرْباكَ نَبْجَحُ

وكذلك في (لسان العرب):

« . . وتَبَجَّح به: فَخَرَ. وفلان يَتَبَجَّحُ علينا». وَيَتَبَجَّحُ: إذا كان يَهْذي به إعجابًا وكذلك إذا تَمَزَّحَ بِهِ. اللحياني: . . أي يُباهي ويفتخرُ بشيء

ما. وقيل يَتَعَظَّمُ. وقد بَجِحَ يَبْجَحُ؛ قال الرّاعي:

وما الفَقْرُ عن أَرْضِ العَشيرَةِ ساقَنا
إليكَ ولٰكِنَّا بِقُرْباكَ نَبْجَحُ»

البَحْتَرَة من البَحْثَرَة؟

هِجْرانُ الثّاءِ اللِّثَوِيَّة (المثلّثة) واسْتبدالُ التّاء (المُثنّاة) بها من ظواهرِ عامّيّتنا في دمشقَ؛ وأظنُّها في القاهرة كذلك؛ إذ يقول د.عبد المنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتِنا: بَحْتَرَ فُلانٌ الحَبَّ. فَرَّقَهُ وَبَدَّدَهُ، والأصل فيها بَحْثَرَهُ».

في لسان العرب: ب ح ت ر لا أجدُ المعاني التي نَعْرِفُها بالعامّيّة، وسنرى أنّنا نجدُها في بَحْثَر بالثّاء «البُحْتُرُ. بالضمِّ: القَصِيرُ المُجْتَمِعُ الخَلْقِ، وكذلك الحُبْتُرُ، وهو مَقْلُوبٌ منه، والأُنْثى بَحْتَرة والْجَمْعُ البَحاتِرُ.

وَبُحْتُرٌ: أبو بطن من طَيِّئ.. والبُحْتُرِيّة من الإبل مَنْسُوبة إليهم..» وكذلك في القاموسِ المُحيط الذي يُضيفُ ذِكْرَ جَدِّ الشّاعر البُحْتُريّ.

وفي (اللسان..) لابن منظور أيضًا في: ب ح ث ر:

«بَحْثَرَ الشّيْءَ: بَحَثَهُ وَبَدَّدَهُ كَبَعْثَرَهُ، وقُرِئَ: ﴿إذا بُحْثِرَ ما في القبور﴾ أيْ بُعِث المَوْتىٰ. وَبَحْثَرَ المَتاعَ: فَرَّقَهُ. الأزهريّ: بَحْثَرَ متاعَه وبَعْثَرَه إذا أثارَهُ وقلبَه وفرَّقَه وقَلَبَ بعضَه على بعضٍ.. أبو الجرّاح: بَحْثَرْتُ الشَّيْءَ وَبَعْثَرْتُهُ إذا استخرجتَه وكشفتَه؛ قال القَتّال العامِرِيّ:

ومَنْ لا تَلِدْ أسماءُ من آلِ عامرٍ
وكَبْشَةَ تُكْرَه أمّه أن تُبَحْثَرا».

قلت: فألاحظُ الإبدالَ فيما بين البعثرةِ والبحثرةِ في الفصيح التّليد..

وألاحظ أيضًا في (المُعْجم الوسيط) لِمَجْمَع مِصْرَ أنّهم لم يُورِدوا إلّا: (تَبَخْتَرَ) بالتّاء المثنّاة، وليس بالمثلّثة، وهي بمعنى بَخْتَرَ في مَشْيه وتبختر، وكلتاهما بمعنى: مَشَىٰ مِشْيَةَ المُعْجَبِ بِنَفْسِهِ أو تمايَلَ وَتَثَنّىٰ..

البَحّ والبَحْبُوْحَة

يقولُ الأبُ عِنْدنا (صَوْتي مَبْحوحٌ من كثرةِ صُراخي في هؤلاءِ الأولادِ أنْ يُوفِّروا ويُقتّروا فلسْنا في بَحْبوحَةٍ من العيشِ؛ ولٰكنْ إذا طلبَ الرَّضيعُ المزيدَ من المَوْزِ فلا تقولوا له: بَحْ الموز وأنتم تأكلونَه وحدَكم وتقولونَ للصغير: الموزُ بَحْ).

والبُحَّة في الصّوتِ والبُحْبُوحةُ في العيشِ معروفانِ في العامّيّ الفصيح...

أمّا (بَحْ) في لُغَةِ الطّفولةِ المُبَكِّرةِ بمعنى نَفِدَ وانتهى فهذهِ أيضًا وردَ ما هو قريبٌ منها في كلامِ بني عامرٍ الذي نقلَه الكسائيُّ وإذا كذّبَه اللحيانيّ فزَعَم أنّه زَعَمَ - والزَّعْمُ مَطِيَّةُ الكذِب كما قيل - فبقاء العبارةِ حتّى أيّام أطفالِنا لعلَّه يؤكّد أنَّ كلامَ الكسائيّ لم يَكُنْ مَطِيَّةَ كَذِبٍ.

ففي (لسان العرب) لابنِ منظورٍ: ب ح ح: «وقال اللحيانيّ: زَعَمَ الكِسائيُّ أنّه سمعَ رَجُلًا من بني عامرٍ يقول: إذا قِيْل لنا أَبَقي عندكم شيءٌ؟ قلنا: بَحْباحِ؛ أيْ: لم يبقَ». وروايةُ الكسائيِّ عن العامريِّ هذهِ قد اشْتُهِرَتْ وردَّدتْها كُتُبُ اللغة، فَقَوْلُه: بَحْباحِ. ما زالَ إلى اليومِ في لغةِ الأطفالِ ومُرَبِّيهم على صورةِ بَحْ في الشّامِ ومصرَ وقد كَتَبَ عنها د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في مصرَ في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) فقال في «بَحْ: أَصْلُها: بَحْباح وحَدَثَ ترخيمٌ». وكذلك كتبَ

فيها الأميرُ شكيب أرسلان في ص٣٨ من: (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) فأوْرَدَ روايةَ الكسائيِّ عن العامريِّ أيضًا في بُحَّةِ الصّوت قولَ الشّاعر:

بُـحَّ صَـوتُ الـمـالِ مِـمّـا
مِـنْـكَ يَـشْـكـو وَيَـصـيـحُ

أمّا أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلحات والتّعابير الشّعبيّة) فتحدَّثَ عن (البَحْبُوح) وهي في عامِّيّتهم تدلُّ على الواسعِ النّفقةِ في مَنْزلة الكريمِ على عِيالِه، فقال: «فصيحُها البَحْبَحِيُّ». وقد عُدْتُ إلى (اللسان..) فوجدْتُ عن «الفَرَّاء: البَحْبَحِيُّ: الواسعُ في النّفقةِ الواسعُ في المنزلِ وتبحبحَ في المَجْدِ أيْ إنَّهُ في مجدٍ واسعٍ. وجَعَلَ الفَرَّاءُ التَّبَحْبُحَ من الباحةِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ من المُضاعَف... وبُحْبُوحَةُ الدّارِ: وَسَطُها؛ قال جرير:

قَوْمِي تَمِيْمٌ هُمُ القَوْمُ الّذينَ هُمُ
يَنْفُونَ تَغْلِبَ عن بُحْبُوحَةِ الدّارِ

وفي الحديثِ: أنَّه، ﷺ قال: (مَنْ سَرَّهُ أنْ يَسْكُنَ بُحْبوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلزَمِ الْجَماعة...) وَبُحْبوحَةُ كُلِّ شَيْءٍ وَسَطُهُ وَخِيارُه. ويُقال: قد تَبَحْبَحْتُ في الدّار: إذا توسّطْتها.. والتَّبَحْبُحُ: التَّمكّنُ منَ الحُلولِ والمُقام.. وفي حديث خُزَيْمَةَ: تَفَطَّرَ اللِّحاءُ وَتَبَحْبَحَ الْحَياءُ؛ أيْ: اتَّسَعَ الغَيْثُ وَتَمَكَّنَ من الأرض. قال الأزهريُّ: وقال أعرابيٌّ في امرأةٍ ضَرَبَها الطَّلْقُ: تَرَكْتُها تبحْبحُ على أيدي القوابل...» اهـ. ابن منظور. ومن المَجاز لَدى الزّمخشريّ في (أساس البلاغة):

وَتَبَحْبَحَتِ العَرَبُ في لُغاتِها: اتَّسَعَتْ فيها..

وأعود إلى كُتُبِ الفِصَاحِ المُعاصِرَةِ:

يقولُ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«وعندَهم البحبوحُ (بالفتح، وتُضمّ الباء) الواسعُ النّفقةِ فلا يُقَتِّرُ على أهلِه. وهو في اللغة البَحْبَحِي...

والبَحْبَحَة عِنْدَ العامّة السَّعَةُ. وقالَتِ العَرَبُ: تَبَحْبَحَ بالمكانِ إذا تمكّن في المقامِ والحلولِ، وإذا توسَّطَ في المنزِلِ. وبُحبوحَةُ المكانِ: وَسَطُه... وتبحبحَ في المجد.. وهو في بُحبوحةِ المجدِ والشّرفِ. وتقولُ العامّةُ: ثوبٌ مُبَحْبَحٌ أي: واسعٌ، وكلُّ هذا صحيحٌ فصيحٌ».

(بَحَشَ وَبَخَشَ)

لم أجدهما في (اللسان..) ووجدت في (القاموس..): «بَحَشُوا: اجتمعوا، قاله الليث وَخُطِّئَ، والصواب: تَحَبَّشُوا». فأظنُّ أنَّ شِيْنَها مُبْدَلة من الثاء في: بَحَشَ؛ لأنّ عامَّتَنا يقصدون البحث في قولهم: البحش كما ترى في المادّة التالية.

أمّا (بَخَشَ: بمعنى: ثقب؛ فقيل: إنّها سريانيَّة.. ولم أجدها في المعاجم العربيّة فليست تُدْرَج في الفصاح هاهنا حتّى الآن.

البَحْثُ عن البَحْش

تطوُّرُ: «البحثِ» وأصلُهُ:

يقول ابنُ منظور في «لسان العرب»:

«البَحْثُ: طَلَبُكَ الشَّيْءَ في التُّرابِ؛ بَحَثَه يَبْحَثُه بَحْثًا، وابتحثَهُ. وفي المَثَلِ: كالباحثِ عنِ الشَّفْرةِ. وفي آخَرَ: كباحثةٍ عن حتفِها بظِلْفِها؛ وذلك أنَّ شاةً بَحَثَتْ عن سِكِّينٍ في التُّرابِ بِظِلْفِها ثمّ ذُبِحَتْ به.

الأزهريّ: البَحوثُ من الإبِل التي إذا سَارَتْ بحثَتِ التُّرابَ بأيديها أُخُرًا أي تَرْمي إلى خلفِها...

. . . والبَحْثُ: الحَيَّةُ العظيمةُ لأنّها تَبْحَثُ التُّرابَ.

وتَرَكْتُه بمباحِثِ البَقَر أي بالمكانِ القَفْر؛ يَعْني بِحَيْثُ لا يُدْرَى أينَ هو. . . وسورةُ براءة كان يُقالُ لها سُورةُ البحُوث، سُمِّيَتْ بذلكَ لأنّها بَحَثَت عن المُنافِقِيْن. . . . وفي حديثِ المِقْداد: أَبَتْ علينا سُورةُ البُحوث، انْفِروا خِفافًا وثِقالًا؛ يَعْني سورةَ التَّوْبَة. . . . قال ابنُ الأثيرِ: وَرَأَيْتُ في الفائقِ سورةَ البَحوث، بفتح الباء. . . قال ابنُ شميل: البُحَّيْثَى مثال خُلَّيْطى: لُعْبَةٌ يَلْعَبُونَ بها بالتّرابِ كالبُحْثَة. قال شَمِر: جاءَ في الحديثِ أنَّ غُلامَيْن كانا يلعبانِ البُحْثَة وهو لعبٌ بالتُّرابِ.

قال: البَحْث: المَعْدِنُ يُبْحَث فيه عن الذَّهب والفِضَّةِ.

قال: والبُحاثَةُ: التُّرابُ الذي يُبْحَثُ عمّا يُطْلَبُ فيه».

كنت أظُنّ، ولَيْس كلّ الظّنّ إثمًا، أنّ عوامّنا أبْدَلُوا مِنْ ثاء البَحْث شِيْنًا تَجَنُّبًا للثّاء اللّثوِيّة التي اعْتادُوا على الإبدال بها أوْ تَجَنُّبها؛ فَقالُوا: (بَحَشَ في الْخِزانة. .) مَثَلًا. . أيْ فَتّش فيها وبَحَثَ عَنْ غَرَضِه، وَكِدْتُ أنْ أُرجّح هذا الظّنّ حِيْن لَمْ أَجِدْ بَحَشَ في (لسان العرب) لابن منظور؛ في ب ح ش وَوَجَدْتُ أنّ الفيروزابادِيّ في (القاموس المحيط) يُورِدُها: «بَحَشُوا، كَمَنَعُوا: اجْتَمَعُوا، قاله الليث وخُطِّئَ؛ أو الصّواب: تَحَبَّشُوا». فتوجّهْت إلى ما ظنّه الفيروزابادي صوابًا: تَحَبَّشوا. .

ولٰكنّ محمّدًا مُرتضى الزّبيديّ شارح القاموس في (تاج العروس. .) حرّضَني على أنْ أعاودَ البَحْث في البَحْش. . قال مُرتضى: (بَحَشُوا كَمَنَعُوا اجْتَمَعُوا)، أهْمَلَه الْجوهريّ، و(قاله اللَّيث) في العَيْن[1]؛ ونَصُّه: بَهَشُوا وَبَحَشُوا جميعًا: اجْتَمَعُوا. (وخُطِّئَ، أو الصّواب تحبّشُوا) وتَهَيَّعُوا[2] كما سيأتي قريبًا. قاله الأزهريّ؛ قال ولا أعرف بَحَشَ في الكلام. وأوْرَدَه الصّاغانيّ وصاحب اللسان في ب هـ ش اسْتِطْرادًا. ولا يَخْفَى أنّ هذا لا يكون مُسْتَدْرَكًا به على الْجَوْهريّ.

قُلْتُ: أتأمَّل في قَوْل الزّبيديّ: «وَأَوْرَدَه الصّاغاني[3] وصاحب اللسان في: ب هـ ش اسْتِطْرَادًا» ولَسْت أُشْغل طويلًا ذِهْن القارِئ بما يأْخُذُه ابن منظور في (اللسان. .) عن الصّاغاني مُكَمّل الْجوهريّ في التّكْمِلة[4]، مع أنَّ ابن منظورٍ لا يَذْكرُ اسْم الصّاغانيّ حِيْن يَأْخُذ عنه، ومع أنّ ابن منظورٍ يَنْسبُ مُعْجَمَهُ كلّه إلى مَعاجِم العُلَماء الخَمْسَةِ المَذْكُورِيْن سابِقًا، فيُبَرّئ في

(١) لعلّه يقصد في: (كتاب العين) الذي قِيْل إنّ الليث أكْمَل نَقْصه بعد وفاة أسْتاذِه المُؤلِّف: الخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٢) فَتّشْت في التّاج: هـ ي ع فوَجَدْتُ: (هَيَعَ العامُ: أَخْصَبَ، وأَهْيَعَ القومُ كذلك» في ما يُسْتَدْرَك عليه. ثم افْتَرَضْت نقطة الغَيْن المُعْجَمَة زائدة من التَّصْحِيْف فَبَحَثْتُ في هـ ي ع بالعَيْن المُهْمَلَة فَوَجَدْتُ ما لا يُناسِب ولا يُفيْد شَرْحَها هاهنا. . فالغَيْنُ المُعْجَمَة أَنْسَبُ.

(٣) (٤) الحَسَن بن مُحمّد بن الحَسَن الصّغاني أو الصّاغاني المُتَوفّى سنة ٦٥٠هـ، أيْ حِيْن كانَ ابن منظور في العشرين من عمره الذي امتدّ إلى سنة ٧١١هـ، وللصّاغاني بالإضافة إلى مُعْجَمه (العُباب) كِتاب: (التّكْمِلة والذّيْل والصّلة لِكتاب تاج اللغة وصِحاح العربيّة للْجوهريّ) طَبَعه مَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة سنة ١٣٩٤هـ و١٩٧٤م في دار الكُتُب في سِتّة مُجَلّدات بِتَحْقيق عبدالعليم الطّحاوي، والسّادس بتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم.

(اللسان..) نَفسَه من أيّ تَخْطِئَة أو نَقْدٍ فلا شَيْءَ من عنده، وهو يَنسبُ إلى ابن برّي كلّ تَعْقِيْب على (صحاح... الجوهريّ)، ولا يَنسبُه إلى الصّاغانيّ.. فهذا الاسْتِطْراد كان له مَوْضِعه،.. ويُوجِبُ عليّ الاعْتِذار إلى القارِئ..

وأَجِدُ في (اللسان..) ب هـ ش: «ويُقَال: بَهَشُوا وبَحَشُوا أيْ اجْتمعُوا، قال: ولا أعْرِف بَحَش في كلام العَرَب» وكان قد بدأ يَرْوي عن الليث من أوّل الفِقْرة.

وفي كُتُبِ فصيح العَوَامّ في عَصْرِنا يَذْكُرُها أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) بَعْدَ أَنْ نَفَىٰ عن البَحْشِ العُجْمَةَ والنَّقْلَ مِنَ السِّريانيّةِ كما ظنَّ بَعْض مُعاصِرِيه قال: «أمّا تَعاقُبُ الشّين والثّاءِ فَنَظيرُهُ في الفَصيح: شَلَغَهُ وَثَلَغَهُ إذا شَدَخَ رَأْسَهُ ومِثْلُه لَطَّهُ ولَطَشَهُ، وَحَثَّهُ وَحَشَّهُ.

ويُمْكن أنْ يُقال: إنّ بَحَشَ مِن: بَهَشَ عنه إذا بَحَث عنه (نُقِلَ عن الصّاغانيّ)[1]». اهـ العامليّ...

قُلْتُ: فالإبْدال هو فيما بين البحْشِ والبَحْثِ والبَهْشِ.. وإنْ كانَتْ مَعاني البَهْشِ في (لسان العرب) ممّا يساعد كثيرًا في مُقارَبَة معاني البَحْث، وللفيروزابادي في (القاموس المحيط) في ب هـ ش: «وبَهَشَ عنه - كَمَنَعَ - بَحَثَ».

ما بَحْلَقَ ولٰكنْ حَمْلَقَ

من أَمْثالنا الهازِلَة: (أكلة.. وانْحَسَبَت عليك.. فَكُلْ وَبَحْلِقْ عَيْنَيْك)، نَقُولها ضاحِكين للضّيف إذا غضّ بَصَره حَيَاءً على الطّعام وتَظاهَر بِعَدَمِ الرّغبة في الأَكْل أو بالاكْتِفاء والشّبَع..

و(بَحْلَق) في العامّيّات العديدَة في الشّام ومِصرَ وغيرِهما كلُّها بمعنى فَتَح عَيْنَيْه ونظَر وأَدام النَّظَرَ وأَنْعَمَه وأَمْعَنَ فيه...

ولم يَذْكُرْها مِنَ القُدَماء إلّا الزّبيديّ في (مُسْتَدْرَك تاج العروس..) وهو أَقْرَب إلى الحَدِيث فلَمْ يَمْض عليه ثلاثة قُرون.. وكلُّ ما ذَكَره: «بَحْلَقَ عَيْنَيْه إذا قَلَّبَهُما؛ عامّيّة».

وفي عَصْرِنا سَجّلها د. عبدالمُنْعم سيّد عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذاتِ الحقيقة والأصول العربيّة) فقال: «..وَالأَصْل فيها حَمْلَقَ وأُبْدِلَتِ الميمُ باءً فصارَتْ حَبْلَقَ ثمّ حَدَث قَلْبٌ مَكانيٌّ فأَصْبَحَتْ بَحْلَقَ..».

أمّا الأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) ص٣٩ فيرى «..أصْلها بالهاء، وَرَد في اللغة: جاءَ بِهْلِقًا؛ أي: مُواجَهةً لا يَسْتَتِر؛ والبَحْلَقَةُ العامّيّة بمعناها: النّظَر مُواجَهَة بدون اسْتِتَار».

وفي حاشيةِ محمّد خليل الباشا عليه: «وفي رأي أحمد رضا وأنيس فريحة أنّ فَصيح الكَلِمَة حمْلَق..».

يَتَبَخْتَر (ولا يَتَمَخْتَر)

البَخْتَرَةُ وليس المَخْتَرَة

تتثنّى تتبخترُ وتتمختر وتتشوّف بجمالها وتتباهى بمَنْظرِها وتَروحُ وتجيءُ في بَخْتَرَةٍ وبَغْدَدَةٍ... كأنّها بهذا التبخترِ بوُدّها أنْ تأْخُذَ عقولَنا..

والبَخْتَرَةُ فصيحةٌ كاملةُ الفصاحةِ وإنْ لم أجدْها في معاجِمِ فصاحِ العامّيّاتِ الأُخْرَياتِ.. غيرِ الشاميّاتِ..

لم أجدْ (المَخْتَرَة) في (لسان العرب) أمّا: (البَخْتَرَةُ) فقالَ فيها ابنُ منظور:

(١) راجع المصدر السابق.

«البَخْتَرَةُ والتَّبَخْتُرُ: مِشيَةٌ حَسَنَةٌ؛ وقد بَخْتَرَ وتَبَخْتَرَ، وفلانٌ يمشي البَخْتَرِيَّة، وفلانٌ يَتَبَخْتَرُ في مِشْيَتِهِ وَيَتَبَخْتَى؛ وفي حديث الحَجّاج لمّا أُدْخِلَ عليه يزيدُ بن المُهَلَّبِ أسيرًا فقال الحجّاج:

جَمِيلُ المُحَيّا بَخْتَرِيٌّ إذا مَشَى

فقال يزيد:

وفي الدِّرْعِ ضَخْمُ المَنْكِبَيْنِ شِناقُ

البَخْتَرِيُّ: المُتَبَخْتِرُ في مَشْيِهِ، وهي مِشْيَةُ المُتَكَبِّرِ المُعْجَبِ بنفسِهِ. وَرَجُلٌ بِخْتِيرٌ وبَخْتَرِيٌّ: صاحبُ تَبَخْتُرٍ، وقيل حَسَنُ المَشْيِ والجِسْمِ، والأُنْثى بَخْتَرِيَّةٌ...».

بَخَصَ عَيْنَهُ وبَخَسَهَا وبَخَقَها (أما بَخَشَ؛ فيظنّ أنّه من السريانيّة)

في عامّيّتنا الدّارجة: بَخَصَ عَيْنَهُ. أي قَلَعَها وهذا صحيح وارد في صِحاحِ اللغة، كما هو في المُعْجَم العربيّ، ففي مختار الصّحاح للرّازي عن الْجَوهريّ: «بَخَصَ عينَه: قلعها مع شَحْمَتِها؛ وبابُه قَطَعَ، ولا تَقُلْ بخس». وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: عين مبخوصة: عوراءُ؛ وبَخِصَتْ عينُه، وَبخَصَها: عَوَّرَها. وبِعَيْنِهِ بَخَصٌ وَلَخَصٌ وهما لَحْمَتانِ: البَخَصُ بِالجَفْنِ الأَسْفَلِ، واللَّخَصُ بالأعلى. وبَخِصَتْ عَيْنُهُ وَلَخِصَتْ».

ونجد مزيدًا في: (القاموس.. واللسان.. والتاج..) ولٰكنّ وروده في العامّيّة قليل.. وروى ابن منظور في (لسان العرب) عن الأصمعيّ: «بَخَصَ عَيْنَه وبَخَزَها وَبَخَسَها، كلّه بمعنى: فَقَأَها».

قُلْتُ: إلى بَخَصَ يردّ الأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) قولَهم: بَخَسَ وبَخَشَ، وقد وَرَدَت في المعجم العربيّ بَخَسَ وبَخَقَ عَيْنَه، بمعنى بَخَصَ. أمّا بَخَشَ فقد ذكر مُحَقِّق (القول الفصل..) محمَّد خليل الباشا في حاشيته أنّ أحمد رضا في حاشية متن اللغة يراها من فِعْل بَخَش في السّريانيّة...

قلت: لذا لم يَذْكُر أحمد رضا هذه العبارات في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح).

وكذا لم يَذْكُرْها د. عبد المنعم سيّد عبدالعال في: (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) ولٰكنّه ذكر: بَخَشَ بمعنى أنقص.

ويقولونَ عندَنا في دمشقَ: (اللهُ يبخصُ عينَهُ لتخلَّصَ من نَظَراتِهِ الوَقِحَةِ) ويَقْصدونَ من قولِهم هذا الدّعاءَ على نَظَراتِهِ بالإيذاءِ.

ولم أجدْها في كُتُبِ (العامّيّ الفصيح) للّبنانيّين والمصريّين. ولٰكنْ وجدْتُها في معاجمِ التّراثِ الفصيحِ مثل: (أساس البلاغة) للزّمخشريّ وفيه: «عَيْنٌ مَبْخُوصَةٌ: عَوْرَاءُ، وبَخِصَتْ عينُه، وبَخَصَها: عَوَّرَها وبِعَيْنه بَخَصٌ ولَخَصٌ وهما لَحْمَتَان: البَخَصُ بالْجَفْن الأَسْفَل، واللَّخَصُ بالأعلى، وَبَخِصَتْ عَيْنُه وَلَخِصَتْ».

في (لسان العرب) لابن منظور: ب خ ص.

البَخْصُ: «مَصْدر بَخَصَ عَيْنَه يَبْخَصُها بَخْصًا أَغارها»؛ قال اللحياني: هذا كلام العرب والسّين لغة.

البَخْصُ لحمٌ ناتِئٌ فَوْقَ العَيْنَيْنِ أو تحتَهُما كهيئةِ النَّفْخة.

وبَخَصْتُ عَيْنَه أَبْخَصُها بَخْصًا إذا قَلَعتُها مع شَحْمَتِها.

وروى الأَصمعي: بَخَصَ عَيْنَه وبَخَزَها وبَخَسَها.

بَخَعَ والبَخْعُ

«جاوَبتُه بِجَوابٍ بَخَعْته فيه أقوى البَخْعِ» كذا يقول المُتَحَدِّث الشّعْبيُّ بالدّارجة عندنا.

وفي (لسان العرب) لابن منظور: «بَخَعَ نَفْسَهُ يَبْخَعُها بَخْعًا وَبُخُوعًا: قَتَلَها غَيْظًا وغمًّا، وفي التّنزيل العزيز ﴿فلعلّك باخِعٌ نَفْسَك على آثارهم﴾.

وبَخَعَ له بِحَقِّه يَبْخَعُ بُخوعًا وبَخَاعَةً: أَقَرَّ بِهِ وَخَضَعَ له، وكذلك بَخِعَ؛ قال ابن الأثير: قال الزّمخشريّ: هو مَنْ بَخَع الذّبيحةَ إذا بالَغ في ذَبْحِها... وبخعْتُ الرّكيّةَ [البئر] بَخْعًا (إذا حَفَرْتها حتّى ظَهَرَ ماؤها» اهـ. ابن منظور. ولٰكنْ لماذا لم يَأْخُذْ ابن منظور مِن (أساس البلاغة): مباشرةً بدلًا من قوله: «قال ابن الأثير: قال الزّمخشريّ»؟! وماذا في أساس البلاغة للزّمخشريّ؟

«بَخَعَ الشّاةَ: بَلَغَ بِذَبْحِها القَفا؟

ومِنَ المَجاز: بَخَعَهُ الوَجْدُ إذا بَلَغ منه المَجْهودَ؛ قال ذو الرُّمَّةِ أنشده سِيْبَوَيْهِ:

ألا أَيُّهَذا الباخِعُ الوَجْدِ نَفْسَه
لِشيءٍ بَحَتْهُ عن يَدَيْهِ المَقادِرُ

وبَخَعْتُ له نَفْسِي وَنُصْحي: جَهَدْتُهُما له... وبَخَعَ أَرْضَه بالزِّراعةِ: نَهَكَها ولم يُجِمَّها. وبَخَعَ لي بِحَقِّيْ إذا أَقَرَّ إقرارَ مُذْعِنٍ بالِغٍ جُهْدَه في الإذْعان به».

هذا المَجاز الذي اشْتُهِرَ به الزّمخشريّ في (أساس البلاغة) هو الدّليل إلى الوصول إلى فصاحة العبارة الشّعبيّة (بَخَعْتُهُ) والكُتُب والمَعاجِم الأُخرى لا أجد فيها مَزيدًا من البَحْث المَنْشود إلّا عند أحمد رضا العامليّ الذي يُجِبّ أنْ يَفْتَرِضَ الإبْدال حتّى حين لا نحتاج إلى الإبْدال للوُصول إلى فَصاحة أصْل العبارة؟ ففي (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) يقول في ص٣٠/٣١: بعنوان: (بَخَعَهُ وبَخَّعَهُ):

«ويقولون بَخَعَه إذا ردّه بكلامٍ خَشِنٍ فَجْأَةً على غير ما يَنْتَظِر ويَتَرَقّب.

ويقولون بَخَّعَه بالتّشديد إذا أَكْثَر من ذلك له.

وفي اللغة بَكَعَه إذا بكّتَه واسْتَقْبَله بما يَكْره. وفي مُسْتَدْرَك التّاج كلّمْته فَبَكَعَني بكلام خَشِن.

والعامّة أَبْدلَت بالكاف خاءً كما تبدل في الفصيح مثل أَكْبَن وأَخْبَن: إذا خبّأ شيئًا في خبنة سراويله. ومثل خظأ لحمه وكظأ: إذا اشْتَدّ».

قُلت: أكانت للإبْدال حاجة هاهنا؟ والعبارة: بَخَعَ فصيحة اللفظ دونما إبْدال وإنّما طوّرت العامّة معناها المجازيّ في خلال الاسْتعمال. وقد ذكرَ بطرس البُسْتانيّ في (محيط المحيط) هذا التَّطوُّر الذي بدأ في الفصيح القديم حين اسْتعملت العبارة «في كلِّ مبالغة فقيل: بَخَعْت له نُصْحي وجُهْدي وطاعتي. قيل: ومنه ﴿فلعلّك باخِعٌ نَفْسَك﴾ (السورة ١٨ الآية ٦ والسورة ٢٦ الآية ٢) أي مُهْلكها مبالغًا فيها حرصًا على إسلامهم. وبالحقّ بخوعًا: أَقَرَّ به وخضع له.. والعامّة تقول: بَخَعه؛ أي: رَدَّهُ خائبًا: أو خَجَّلَه. وَبَخَّعَهُ. أي: بالغ في تقريعه ولَوْمِه».

بَدِيت بمعنى: بَدَأْتُ

والبَادي والمُبَدّاة

هل قرأت لِكَاتب من عَصْرنا: بَدِيْتُ.. كما نَلْفُظها في عامّيّتنا؟.. مع أَنّها صَحِيْحَة كما ترى في المُعْجَم العَرَبيّ التُّراثيّ؟ ولٰكنّ التّرفُّع عن فصيح العوامّ دَأْب مُثَقّفِيْنا مَهْمَا كانُوا شَعْبِيّين..

كأنّهم يُريدون أنْ يَفْصِلوا بَيْن المُشافَهَة العامّيّة وكُتُب الفَصِيحة.. فَصْلًا..

والعامّة تَقول: البَادِي، تُخَفِّف الْهَمْزَة وتُجْريها ياءً وهٰذا وارِد في قديم الفَصيح، ولٰكنّ الكتّاب المُحْدَثين يُعِيدُونَها إلى الهَمزة. والعامّة تَقُول لك (نَفْسُك مُبَدّاة) تَتَخَفَّف مِنَ الهَمْزَةِ في مُبَدَّأَة؛ وتَمُدُّها أَلِفًا، وهذا جَائِز..

يَذْكر ابن منظور في الْجُزء الأَوّل من (لسان العرب) في صَدْر مادّة الْجَذْر ب د أ؛ ما بِمَعْنى ب د ى أو يَجُوز فيها الأَلِف الواويّة واليائيّة، وأنّه سَيَعُود إليها في الْجُزء الأخير في باب الأَلِف الليّنة. وقد أَنْجَزَ ما وَعَد حقًّا فَكرَّر في الباب الأخير أمثال قَوْله:

«... وَبَدِيْتُ بالشَّيْءِ: قَدَّمْتُهُ، أَنْصارِيَّةٌ. وبَدِيْتُ بالشّي وبَدَأْتُ: ابْتَدَأْت» قالَهُ بَعْد «والبَدِيئة والبَداءة والبَداهَة: أوّلُ ما يَفْجؤُك الهَاء فِيه بَدَل مِنَ الهَمْز». وأعَادَها مَعَ الاسْتشهاد والاحْتجاج لها في الباب الأخير، باليائيّة ... قال ابن رَوَاحَة:

بـاسْـم الإلـه وَبِـه بَـدِيـنـا
ولَـوْ عَـبَـدْنـا غَـيْـرَه شَـقِـيْـنـا..

...وأَهْل المدينة يقولون: بَدَيْنا بِمَعْنى بدأنا [قُلْت: في هذه ضُبِطَتِ الدّال بالفَتْح ولَيْسَ بالكَسْر].

وأعود إلى الباب الأوّل: الهمزة: «وفي الحديث: (الخَيْلُ مُبَدَّأَةٌ يومَ الوِرد) أي: يُبْدأ بها في السّقي قبل الإبِلِ والغَنَم، وقد تُحْذَف الهمزة فَتَصِير أَلِفًا سَاكِنَةً».

قُلْت: أيْ: فَتَصِير مبدّاة؛ وهذه كما نَقُولُها في عامّيّتنا...

وأَعُودُ إلى الباب الأخير في (اللسان..): «وكلُّ شيءٍ أَظْهَرْتَه فَقَدْ أَبْدَيْته وَبَدَيْته...

... قال ابن خالَوَيْهِ: لَيْسَ أَحَدٌ يقول بَدِيْتُ بمعنى بَدَأْتُ إلّا الأنصار، والناس كلّهم بَدَيْتُ وَبَدَأْت».

وَقَبْلها في البَابَيْن: وَبَادي الرّأي: ظاهِرُهُ؛ عن ثعلب.. وأنت بادي الرّأي تَفْعَلُ كذا، حَكَاه اللحيانيّ بِغَيْر هَمْز، ومَعْناه أنت فيما بَدا مِنَ الرأي وظَهَر. وقوله عزّ وجلّ: ﴿ما نراك اتَّبَعَك إلّا الّذين هم أَرَاذِلُنا باديَ الرّأي﴾ السورة ١١ هود الآية ٢٧؛ أيْ في ظاهِر الرّأي، قرأ أبو عَمْرو وَحْدَه بادئَ الرّأي، بالهَمْز، وسَائر القُرّاء قَرَؤُوا باديَ، بِغَيْرِ هَمْزٍ...

...يُقال: افْعَل هذا بادِيَ بَدِيٍّ، قال: ومِنْ كلام العَرَب باديَ بَدٍ. وَبَدَأَهُ ذي بَدِيٍّ... أيْ: أوّلًا...

(بِدّي): بِوُدّي

في دمشق، كما في القاهرةِ نَقولُ (بِدِّيْ أَعمل كَذا) أي: بِوُدِّيْ لَوْ أَفْعَلُ كَذا..

وكُنْتُ أَرَاهُ اخْتصارًا بِحَذْفِ الواو، فالعامّيّة تَميلُ إلى الاخْتِصار بالحَذْفِ كما حَذَفُوا: وَيْلَكَ، فبقيَتْ: (وُلَك)، وأحيانًا: (..لَك). ولٰكن د.عبدالمنعم سيّد عبدالعال يَرْبُطُهُ بالبُدَّة! يقول في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقولُ في دارجتِنا: بدّي أعمَلُ كذا: غايتي وغرضي أنْ أَعْمَلَه، والأصلُ فيها البُدَّةُ بضمّ الباء. وفي القاموس: البُدَّةُ: الغاية». قلْتُ ولٰكنّ دارسَ جَذْرِ المادَّةِ: ب د د في (القاموس المحيط) وفي (لسان العرب) لا يجدُ مُناسبةً لهذا المعنى وهذه المادّة في (اللسان) خَمْسُ صَفَحاتٍ طِوالٍ لَيْس فيها ما يُوحي بالغايةِ

التي هيَ الرّغبةُ والإرادةُ وكلُّ ما فيها قولُه في (اللسان): «. . وبيني وبينَك بُدَّةٌ: أي غاية وَمُدَّة».

وقلْتُ: ولٰكنّ المُسَلْسَلاتِ التي تعرِضُ حوارَها باللهجةِ البدويّةِ تَسْتَعْمِلُها: (وُدّي افعل كذا) فتحذف الباء وتُبْقي الواو. .

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: ودد: «. . وَوَدَدْتُ لو كان كذا وَدادَةً، وَبِوُدّيْ لَوْ كان». وليس فيه ما يَقْرُبُ من المعنى المُناسِبِ في: ب د د، على اسْتِفاضةِ الزّمخشريّ في ذلك الْجَذْرِ. . . وابن منظور في (اللسان. .) ودد: «وَوَدِدْتُ الشَّيْءَ. . أَوَدُّ. . وهو من الأُمْنِيَّةِ كما في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُم لو يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السّورة ٢ البقرة الآية ٩٦] وتقول: بِوُدّي أنْ يكونَ كذا. فأمّا قولُ الشّاعرِ:

أَيُّها العائِدُ المُسائِلُ عَنّا
وَبِوُدّيْكَ لَوْ تَرَىٰ أَكْفاني

فإنّما أَشْبَعَ كَسْرَةَ الدالِ لِيَسْتقيم له البَيْتُ فصارَتْ ياءً». ا.هـ. ابن منظور.

وكُنْتُ على أنْ أكتُبَ عنها في باب الواو لولا أنْ قالَ د.عبد المنعم أصْلُها البُدَّة!.

بَدْري وبَكَّرْت وبَكِّير

يقومُ الضَّيْف مُنْصَرِفًا من بيوتِنا فنَلْتَمِسُ منهُ أنْ يبقى وَقْتًا أطولَ قائِلين: (بكّير أو بَكَّرْت) أي ما زَالَ الوقتُ مُبَكِّرًا، وقد نقولُ لهُ مُتَأَثّرينَ بأفلام مصرَ ومُسَلْسَلاتِها وحوارِيّاتِها: (بَدْري)، وهذه العبارةُ قديمةٌ في لهجةِ مصرَ الدّارجةِ، فقد تحدّثَ فيها الشّهابُ الخفاجيّ[1] في (شِفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل): «بَدْرِي: أَهْلُ مِصْرَ تَسْتَعْمِلُهُ لِأَوّلِ كُلِّ شَيْءٍ حتّى الوَقْتِ والفاكِهَةِ. والذي ذَكَرَهُ الصّاغانيّ في الذَّيْلِ والصِّلَةِ أَنَّهُ يُقال: غَيْثٌ بَدْرِيٌّ لِما كانَ قَبْلَ الشِّتاءِ. وفَصِيْلٌ بَدْرِيّ: سَمِينٌ. قال الفَرّاءُ: أَوّلُ النّتاج البَدْرِيَّةُ ثمّ الرَّبِيْعِيَّةُ ثمّ الدَّفِيئَةُ ثمّ الرَّمِيْضَة». . اهـ. الخفاجيّ.

ثُمَّ تَحَدَّثَ عن هٰذِهِ العِبارَةِ أيضًا الشَّيْخُ عبدُالقادر المَغْرِبيّ أَحَدُ مُؤَسِّسي مَجْمَع دِمَشْقَ، وكانَ قد ضَمَّنَها كِتَابَه (الاشْتقاق والتّعريب) الذي أَلَّفَه وطَبَعَه في مصر سنة ١٩٠٩م، وتجدها في ط٢ سنة ١٩٤٧م في ص٦٧. ثمَّ كَتَبَ في لُبنانَ الشّيخُ أحمدُ رضا العامليّ في (رَدّ العامّيّ إلى الفصيح): «وتقولُ العامَّةُ لأوّلِ النّاتجِ: بَدْرِيّ. وفي اللغةِ: بَدَرَتِ النّاقةُ في النّاتجِ: إذا جاءَتْ به أَوّلَ الزّمانِ. والبَدْريّ من النّاتجِ: الذي يكونُ أَوّلَ الزّمانِ. والبَدْرِيُّ من الغَيْثِ: ما كانَ قَبْلَ الشّتاءِ، جمْعُه: البَداريّ. وهو من البِدارِ؛ وهو الإسْراعُ. وبَدَرَهُ وبَدَرَ إليه، إذا أَسْرَعَ وسَبَقَ». ا.هـ. أحمد رضا.

أمّا في (لسان العرب) لابن منظور فإنّك تقولُ: «وناقةٌ بَدْرِيَّةٌ: بَدَرَتْ أُمُّها االإبِلَ في النِّتاجِ فَجاءَتْ بها في أَوَّلِ الزّمانِ، فهو أغزرُ لها وأكرمُ». من الفِعْل. «بَدَرَهُ إليه يَبْدُرُهُ: عاجَلَهُ؛ وقول أبي المُلَثَّم:

فَيَبْدُرها شَرائِعَها فَيَرْمِي
مَقاتِلَها، فَيَسْقِيها الزُّؤاما

أرادَ إلى شرائِعِها فَحَذَفَ وَأَوْصَل. وبادَرَهُ إليه كَبَدَرَهُ. وَبَدَرَ في الأمر وَبَدَر إليّ: عَجَّلَ إليَّ واسْتَبَقَ. واسْتَبَقْنا البَدَرَيّ، أي: مبادرين. . .».

(١) أحمد الخفاجيّ المصريّ، شهاب الدّين من سنة ٩٧٧ حتى سنة ١٠٦٩هـ. مؤلّف (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل) حقّقه عبدالمنعم خفاجي في ط القاهرة سنة ١٣٧١هـ وسنة ١٩٥٢م.

البَرْبَرَة

يُقالُ في لَهْجَتِنا الدّارجةِ: (لا تُبَرْبِرْ ولا تُثَرْثِرْ فَنَحنُ لا نُحبُّ كَثْرَةَ البَرْبَرَةِ والبَرْبَارِين والثَّرْثرةِ والثَّرْثارِين).

والبَرْبَرَةُ العامّيّةُ كالفَصِيحةِ لَفْظًا ومعنًى.

وفي (لسان العرب): «البَرْبَرَةُ: كَثْرَةُ الكَلامِ والجَلَبَةُ باللسان، وقِيل: الصّياحُ: وَرَجُلٌ بَرْبارٌ إذا كان كذلك.

وقد بَرْبَرَ: إذا هَذَىٰ.

الفَرّاء: البَرْبَرِيّ: الكثيرُ بلا مَنْفَعَةٍ، وقد بَرْبَرَ في كلامِهِ بَرْبَرَةً إذا أكْثَرَ. والبَرْبَرَة: الصّوْت وكَلامٌ من غَضَبٍ، وقد بَرْبَرَ مثل ثَرْثَرَ فهو ثرثار وفي حديثِ عليٍّ كَرّمَ اللهُ وَجْهَهُ، لمّا طَلَبَ إليه أهلُ الطّائفِ أنْ يَكْتُبَ لهم الأمانَ على تحليل الزّنا والخمرِ فامْتَنَعَ: (قاموا ولهم تَغَذْمُرٌ وَبَرْبَرَةٌ)؛ البَرْبَرَةُ: التّخليط في الكلام مع غَضَبٍ ونفورٍ؛ ومنه حديث أُحُدٍ: فَأَخَذَ اللّواءَ غُلامٌ أَسْوَدُ فَنَصَبَهُ وَبَرْبَرَ».

وكذلك في أغلبِ المعاجِمِ...

البَرْجيس

وليس (البَرْسيس)

(البَرجيس): بِفَتْح الباءِ، لُعْبةٌ من أنواع اللّعبِ بالنَّرْدِ، كانتْ تُمارسُها نساءُ دمشقَ في البُيوتِ في القرنِ الماضي، وما زِلْنَ يمارِسْنَها في السَّهَرات على قِلّةٍ، لِغَلَبَةِ التّسْليات الحَديثةِ.. وتَعْتَمِدُ على رَمْيِ وَدَعاتِ الحظِّ السّتّةِ المعروفةِ.. الّتي تُوصَفُ بعباراتٍ فارسيةٍ كالدَّسْتِ والبَنْجِ والبارَةِ والدُّوّاقِ!

ولعلَّ الحظَّ الذي كانَ يُظَنُّ أنَّ له ارتباطًا بالنُّجوم وأبراجِها هوَ ما أعطى هذهِ اللّعبةَ اسمَ البرجيسِ، وقد يَلْفُظونَهُ: البَرْسيس فيُبْدلونَ بالْجِيمِ سِيْنًا... ولعلَّ الاسمَ كانَتْ لهُ رَحَلاتٌ بَيْنَ الفارسِيَّةِ والعربيَّةِ بينَ أسماءِ النّجوم، ولا يُمْكِنُني المُضِيُّ أكْثَر في المُصْطَلَحاتِ الفَلَكِيَّةِ فَلَسْتُ مُخْتَصًّا بالفَلَكِ وإنّما باللُّغةِ، وكُتُبِ اللغةِ، وكُتُبِ فصيحِ العامِّيَّةِ لم تُنْجِدْني بِغَيْرِ ما كنْتُ وَجَدْتُ في (القاموسِ المحيطِ) و(لسان العرب).

وفي اللُّغةِ القديمةِ التُّراثِيَّةِ نَجِدُ البَرْجِيسَ في مادّةِ الْجَذْرِ الرُّباعيِّ: برجس ففي (تاج العروس من جواهر القاموس) للمُرْتَضى الزَّبيديّ، كما في (لسان العرب)، لابن مَنْظور القائل:

«البَرْجِيسُ والبِرْجِيسُ: نَجْمٌ قِيْل هو المُشْتَرِي. وقِيْل المِرِّيخُ، والأعرف البِرْجيسُ. وفي الحديثِ: أنَّ النَّبيَّ - ﷺ- سُئِلَ عنِ الكواكبِ الخُنَّسِ، فقالَ: (هي البِرْجِيسُ وَزُحَلُ، وبَهْرامُ وعُطارِدُ والزُّهَرَةُ)؛ البِرْجيسُ: المُشْتَرِي، وَبَهرامُ: المِرِّيخُ». ويزيدُ الفيروزابادي في (القاموس المحيط): «والبِرْجِيسُ النّاقةُ الغَزيرَةُ».

قُلْت: بعضُ الدّمشقيّات يُرَقِّقْنَ لَفْظَه فَيَقُلْنَ (البَرْسِيْس) كما يَقُلْن عن الشّمس: (السَّمْس) والزَّوْج (الزّوز).. إلخ.. وليس شيء من هذا فصيحًا؛ أو لم أعرفه فيه...

امْبارحة أو امْبارح: البارِحَة

لام أل التّعريف تُبْدَل ميمًا في لَهَجاتٍ عربيّةٍ قديمةٍ مُنْذ عهدِ الرّسول الكريم.

وعندَنا في الشّامِ كما في أغْلَبِ الأقطارِ العربيّةِ يقولونَ عن الأَمْس: امْبارِح أو امْبارِحة؛ ويَقْصدونَ اليومَ الْبَارِحَ أو الليلةَ الْبَارِحَة على عَكْسِ ما يقولون: بُكْرَة عن الْغَد وهم يَقصدون بُكورَ اليومِ التالي..

تذكّرْتُ هذا بالمُصادَفةِ وأنا أُكاشِفُ مُعجمَ (لسان العرب) لابن منظور في مادّة الْجَذْر: ص

ق ع وفيها:

«وفي الحديث: (مَنْ زَنَى منَ امْبِكرِ فاصْقعوه مئة) أي اضْربوه.. قوله: مِنَ امْبِكْرِ لُغَة أَهْل اليَمَن يُبْدِلون لام التّعريف ميمًا».

وفي مصرَ يقولُ د.عبد المُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة):

«نَقُول في دارجتِنا امْبارِح.. بِقَصْد الأَمْس.. أُبدِلَت لام التّعريف ميمًا وهذا يتّفقُ وقَوْل النّبي - ﷺ-: (ليسَ مِنَ امْبِرّا مصِيامُ في امْسَفَرَ).. وما زال الإبدال لامِ التّعريف ميمًا يُسْتَخْدَمُ إلى الآن في منطقةِ جيزان التي تَقَعُ في جَنوبِ المَمْلَكَةِ العربيّةِ السّعوديّةِ، حيثُ تَسْمَعُهم يقولونَ: أتى فلان من أمْسُوقِ، وهاتِ أمْزَمْبيل: أيْ أَتَى فُلان من السوق، وهاتِ الزّمبيل. بإبْدالِ لام التّعريف ميمًا».

قُلْتُ: هذا الحديثُ الشّريفُ كان في خِطَابِ الأَشَاعرةِ أو الأَشْعَرِيّين.

وفي (لسان العرب): ف ر س ك: كما في (القاموس.. والتاج..): «الفِرْسِك كالفِرْسِق: الخوخ، يَمانية... قال شمر: سمعت حِمْيَرِيَّةً فصيحة سألتها عن بلادها فقالت: النَّخْلُ قُلٌّ ولْكن عيشتنا امْقَمْحُ امْفِرْسِكُ امْعِنَبُ امْحَماطُ طُوبٌ؛ أي: طَيِّبٌ، فقلت لها: ما الفِرْسِكُ؟ فقالت: هو امْتِيْنُ عندكم».

بَرّا والبَرَّاني والبَرِّيَّة

عبارةُ (البَرّاني) نقيضُ عبارةِ (الجُوَّاني) المُسْتَعْمَلَتيْنِ في عامّيّةِ الشّامِ بالمعنى ذاتِهِ الذي كانتا عليهِ منذُ عُصورِ الاحتجاجِ بفصاحةِ الكلامِ، ويَكْفِي أنْ نَتَذَكَّرَ الحديثَ المَنْسُوبَ إلى سلمانَ الفارسيّ رَضِيَ اللهُ عنهُ: لكلِّ امْرِئٍ جُوَّانيٌّ وَبَرَّانيٌّ، أَيْ باطنٌ وظاهرٌ. وقد أشارَ الخفاجيُّ (في شفاءِ الغليل..) إلى ذلكَ قائلًا: «برّا: في قولهم جِئْت برّا، وقال الزَّبيديُّ مُؤَلّفُ التّاج في كتابِ لحنِ العوامِّ: الصّوابُ: مِن بَرّ. والبَرُّ خِلافُ الكاذبِ، وهو أيضًا ضِدُّ البحرِ، والبَرِّيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إلى البَرِّ والْجَمْعُ بَراري. انتهى قولُ الزَّبيديِّ. وكذا قالَ الأزهريُّ: هو كلامُ المُوَلَّدينَ؛ قال في الدُّرِّ الْمَصُونِ: وفيه نظرٌ لقولِ سلمانَ الفارسيِّ رضيَ اللهُ عنهُ: لكلّ امْرَئٍ جوّانيٌّ وبرّانيٌّ، أيْ باطنٌ وظاهرٌ وهو مَجَازٌ».. اهـ.

قُلْتُ وكذلكَ العبارةُ: قاعد بَرّا أصْلُها: بَرًّا فَأُطْلِقَ التَّنْوِيْنُ، وهي من فِصَاحِهِم فقدْ وَرَدَتْ في (القاموسِ المحيطِ) و(لسانِ العربِ)، و(أساس البلاغةِ) الذي جَعَلَ فيهِ الزَّمخشريُّ هذه العباراتِ من الفِصاحِ على الحقيقةِ وليسَ من المَجَازِ فيقولُ قَبْلَ أنْ يَصِلَ إلى المَجازِ: «..ونَزَلُوا بالبَرِّيَّةِ. وَجَلَسْتُ بَرًّا وَخَرَجْتُ بَرًّا: إذا جَلَسَ خارِجَ الدَّارِ أو خَرَجَ إلى ظاهِرِ البَلَدِ. وافْتَحِ البابَ البَرّاني.... ويقال: أُرِيدُ جَوًّا وَيُرِيدُ بَرًّا؛ أي: أُرِيدُ خِفْيَةً وهو يُرِيدُ عَلانيةً. وقد أَبَرَّ فلانٌ وأَبْحَرَ؛ أيْ: هو مِسْفارٌ قد رَكِبَ البَرَّ والبَحْرَ».

فلابْنِ منظورٍ في (لسان العربِ): ب ر ر: «..التّهذيب: وَمِنْ كلامِ سُلَيْمانَ: مَنْ أَصْلَحَ جُوَّانِيَّتَهُ بَرَّ اللهُ بَرّانِيَّتَهُ.. أُخِذَ مِنَ الجَوِّ والبَرِّ، فالجَوُّ كُلُّ بَطْنٍ غامِضٍ، والبَرُّ المَتْنُ الظّاهرُ، فهاتانِ الكلمتانِ على النِّسْبَةِ إليهما بالأَلِفِ والنّونِ.. كما قالُوا في صَنْعاءَ صَنْعانِيّ، وَأَصْلُهُ من قولِهم: خَرَجَ فُلانٌ بَرًّا إذا خَرَجَ إلى البَرِّ والصَّحْراءِ، وليسَ منْ قديمِ الكلامِ وَفَصِيحِه».. ابن منظور عن الأزهريّ.

قُلْتُ: واعَجَبي؛ فبَعْدَ أنْ أقْنَعَنَا ابنُ منظورٍ وقَبْلَهُ الأزهريُّ على قِدَم البَرَّانيِّ والجُوَّانيِّ سماعًا، وفَصَاحَتِها قياسًا، عادا يقولانِ الضّدّ..

وكذلك يفعلانِ حين يَقولانِ في العبارةِ بَرًّا: «..والبَرِّيَّةُ مِن الأرضَين بفتح الباء، خلافُ الرّيفية، والبَرِّيَّةُ: الصَّحْراء نُسِبَتْ إلى البَرِّ، كذلك رواهُ ابنُ الأعرابيِّ بالفَتْح، كالذي قبلَهُ. والبَرُّ نقيض الكِنِّ، قال اللَّيْثُ: والعَرَبُ تَسْتَعْمِلُهُ في النَّكِرَةِ، تقولُ العَربُ: جَلَسْتُ بَرًّا وَخَرَجْتُ بَرًّا؛ قال أبو منصُور [أي: الأزهريُّ ذاتُه]: هٰذا مِن كَلامِ المُوَلَّدِينَ وما سمَعتُه من فُصَحَاءِ العَرَبِ البادِيَةِ». ا.هـ. ابن منظور.

قُلْتُ: مَرَّةً أُخْرَى يُنْكِرُ الأَزْهَرِيُّ ما لم يَسْمَعْهُ من العربِ البادِيةِ وإنْ سَمِعَهُ منهم اللَّيْثُ تِلْميذُ الخليلِ ومُسْتَكْمِلُ (كتابِ العَيْنِ) أَوَّلِ مُعْجَمٍ عَرَبِيّ! فأبو منصور لا يَقْبلُ في الفصيح إلّا ما سَمِعَهُ بنفسِهِ!!.

وهذا الشَّكُّ في فَصاحَةِ الْجَوّانيِّ والبرّانيِّ عند الأَزْهَرِيِّ وناقلِهِ ابْنِ مَنْظورٍ، شَكٌّ غَريبٌ أَنْ يَصْدُرَ عنهما بعد روايةِ الحديثِ الشّريف.. ولٰكنَّ هذا الشَّكَّ يَنْتَهِي وَيَتَبَدَّدُ وَتَعودُ الفَصاحةُ والأَقْدَمِيَّةُ إلى الْجَوّاني والبَرّاني لدى الأزهريِّ وابنِ منظورٍ في مادّة الْجَذْرِ: ج و و، بعد مضيِّ ابن منظورٍ من بداياتِ مُعْجَمِهِ إلى نهاياتِه..

وفي: ج و و: قال ابن منظور في (اللسان): «...وفي حديث سُلَيْمانَ: (:إنَّ لكلِّ امرِئٍ جَوّانِيًّا وَبَرَّانِيًّا فَمَنْ أَصْلَحَ جَوّانِيَّهُ أَصْلَحَ اللهُ بَرّانيَّهُ)؛ قال ابنُ الأثيرِ: باطنًا وظاهرًا وسِرًّا وعَلانِيَةً وَعَنىٰ بِجَوّانِيِّهِ سرَّهُ وبِبَرّانِيِّهِ عَلانِيَتَهُ، وهو مَنْسُوبٌ إلى جَوِّ البَيْتِ وهو داخلُهُ، وزيادَةُ الأَلِفِ والنّونِ للتّأكيدِ. وَجَوُّ كُلِّ شَيْءٍ بَطْنُهُ وداخِلُه، وهو الجَوَّةُ أيضًا، وأَنْشَدَ بَيْتَ أبي ذُؤَيْبٍ:

يَجْرِيْ بِجَوَّتِهِ بَطْنُ الفُراتِ كَأَنْ
ضاحِ الخُزاعيّ حازت رَنْقَهُ الرِّيح

وَجَوَّتُه: بَطْنُ ذلك المَوْضِعِ». قُلْتُ: وكانَ قبلَها روَىٰ بيتَ أبي ذُؤَيْبٍ روايةً مُخْتَلِفَةً... وقلْتُ: أَرَى ابْنَ منظورٍ لم يَأْخُذْ من ابْنِ الأَثيرِ حَديثَ سُلَيْمانَ في: ب ر ر. بل أَخَذَ فَقَطْ من التّهذيبِ للأزهريِّ. أمّا في: ج و و فقد أَخَذَ مِنَ ابنِ الأثيرِ والأزهريِّ. فلم يَقُلْ: «ليسَ من قديمِ الكلامِ وفصيحِهِ» لأنَّ ما يَرْوِيهِ ابنُ الأثيرِ في (النّهايةِ) لا يتعرَّضُ إلى أيِّ شَكٍّ في صِحَّتِهِ عندَ الأَزهريِّ وابنِ منظورٍ أو غيرِهما ولذلك فَلَعَلّني أَظُنُّ ابنَ مَنظورٍ نَسِيَ أَنْ يَحْذِفَ ما كانَ كَتَبَهُ من قَبْلُ عَنِ الأَزْهَرِيِّ الذي لعلّه نَسيَ قَبْلَه أَيْضًا... كما نَسِيَ ابْنُ مَنْظورٍ أَنَّهُ يَنْقُلُ فَصاحةَ: «جَوّ البَيْتِ: داخِلُهُ» عَمَّنْ يَنْقُلُ عَنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يقول في آخرِ هذه المادّةِ: «وَجَوُّ البيتِ: داخِلُه: شامِيَّة».

وقد اعتادَ قُرّاءُ (لسان العرب) أَنْ يَجدُوا كثيرًا من التَّناقُضاتِ في نُقُولِهِ لأَنَّهُ يَنْقُلُ عن الكُتُبِ في البِدَايَةِ ما يُعَبِّرُ عَنْ رَأْيِهِ ثُمَّ لا يُحِبُّ أَنْ يُهْمِلَ الآراءَ المُتعارِضَةَ - بِحَسَبِ ظنّي - فَيَسْرُدُها أَيْضًا مُسْتَأْنِفًا وَمُضيفًا آراءً شَتّى مُخَالفةً.

وَهٰذه العِبَاراتُ فَصِيحةٌ في (القاموس المحيط) وَغَيْرِهِ في كُتُبِ اللُّغَةِ، وَلَمْ يُشَكِّكْ في فَصاحَتِها - فيما اطَّلَعْتُ عليه إلّا ما سَلَفَ مِنَ الأَزْهريِّ في ب ر ر فقط دُونَ ج وو كما رَأَيْتَ.

وَقُلْتُ: أَعْتَذِرُ لإطالتي فهٰذِهِ عِباراتٌ مُنْتَشِرَةٌ في أَغْلَبِ العامّيّاتِ المُعاصِرَةِ في شتّى البُلْدانَ العربيّةِ، وقد ذكرَها د.عبدالمُنعِم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظِ العامّيّة ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العربيّةِ). وكذلك ذكرَها الأميرُ شكيب أرسلان في ص٤٢ من كتابه: (القَوْلُ الفَصْلُ في ردِّ العامّيّ إلى

الأصلِ) وذكرَ مُحَقِّقُهُ محمّد خليل الباشا في الحاشيةِ أنَّ: «الأَرْجَحَ أنَّهما من السَّاميِّ المُشْتَرَكِ بِدَليلِ بقائِهما في العربيّةِ وفي السِّريانيّةِ بِمَعْنَى: داخِلٍ وخارِجٍ؛ وَالبطريركُ أَغْناطيوسُ يَعقوبُ الثّالثُ في كتابِهِ (البَراهِينُ الحِسِّيَّةُ على تَقارُضِ السِّرْيانِيَّةِ والعربيَّةِ). المطبوع في دمشق ١٩٦٩ ص٦٥ و٧٩ يَذْكُرُ أنَّهما من المُتَشابِهِ؛ أي: البَرّانيُّ والجوّانيُّ».

البَرازِقُ

في معجمِ متنِ اللغة: لأحمدَ رضا العامليّ: البَرازيقُ والبَرازِقُ: (في مادّة الْجَذر: ب ر ز وفي ترجمة ب ر زق):

«الْجَماعاتُ مِنَ النّاسِ أو مِنَ الخَيلِ دونَ المَرْكبِ، واحدُها برزيق (فارسيّ مُعَرّب) و- الطرُق المُصْطَفَّةُ حَوْلَ الطّريقِ الأعظمِ». وفي حاشيةِ الصّفحةِ التي خصَّ بها المُؤَلِّفُ الموازنةَ بَيْنَ العامّيِّ والفصيحِ: «والبرازقُ ضَرْبٌ من الخبزِ الفُرْنيّ محرَّفٌ خرازق جَمْع خرزوق لِقطْعةِ العَجينِ والرّغيفِ ولعلّهُ المعروفُ باسْمِ الخُشْكُنان. اطْلُبْ مادّة: خ ش ك ن» اهـ. أحمد رضا.

فقلْتُ لم أجدْ في (قاموس الفارسيّة) تأليف د.عبد المنعم محمَّد حسنين طبعة سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م بالقاهرة وقُمْ المقدّسة بإيران وناشِره ببيروت سوى: (فَرزدَن): رغيفُ الخبزِ الذي يَسقِطُ من التّنورِ، قطعة من الخميرة. (أوله فاء).

فقلْتُ: لعلّ البرزيقَ المعرّبَ قديمًا هجرته لغةُ إيران الحديثة! فأترُكُ لغيري من علماءِ اللغاتِ أنْ يُجيبَ.. وأعودُ إلى (المُنجِد) للويس معلوف وليسَ فيه برزقة وفي عدّةٍ من معاجمَ حديثة فلا أجد أَثَرَها، فأبحثُ في كُتُبِ (فصيح العوامّ):

يقول أحمد رضا العامليّ مُؤَلِّف (متن اللغة) ذاته في: البرازق في: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) ص٣٧.

«البرازقُ تُقال اليوم لِضَرْب من الخُبزِ المُعالَج بالسَّمنِ والسُّكرِ والسّمسمِ ونحو ذلك. وأرى أنَّها مُحَرَّفةٌ عن الفرازق (على البدل) والفرازق جمع فَرَزْدَق. قال في التّاج: الفَرَزْدَقَة: القِطْعَةُ من العجينِ الذي يُسَوّى منه الرّغيفُ وبه سُمِّيَ الرّجلُ وقال الفرَّاء (يقال للجردقِ العظيمِ الحروفِ: فرزدق وفارسيّته (برازده). أو هو عربيٌّ منحوتٌ من كَلِمَتَيْنِ من فَرَزَ ومِنْ دَقَّ لأنّهُ دقيقٌ عُجنَ ثمّ أُفرزَتْ قطعةٌ منهُ فهي من الإفرَاز أو الدّقيق، هذا قولُ ابن فارسٍ، جَمْعُهُ فرَازق والقياس فرَازد) ا.هـ. وقال الأمويّ إنّه يُقالُ للعجينِ الذي يُقطّعُ ويُعْملُ بالزيتِ.

فتكونُ العامّةُ خصَّصَتْ هذا الضّربَ من الخبزِ» ا.هـ. أحمد رضا.

وفي (مُحيط المُحيط) لبطرس البُسْتانيّ: «...والبَرازِق ضَرْبٌ من الكَعْك الرّقيق بسمسم واحِدَتُه بُرْزُقَةٌ. والبَرْزقةُ تحديدُ النّظَرِ وكلاهما عامّيّ».

قلْتُ: في عامّيّةِ دمشقَ البُرْزَقَةُ: تحديدُ النَّظرِ، كما ذكر البستاني والبَرْزَقَةُ ضَرْبٌ من الكعكِ الرقيقِ بسمسمٍ وسكَّرٍ وسمنٍ كما ذكرَ كلٌّ من رضا والبُسْتاني، وجمْعُها البَرْازق كما هو معروفٌ. ولٰكنَّ هذا الضَّرْبَ من الأطْعِمَةِ كأنّه لم يكنْ في القديم، ولذلكَ لا أجدُ له ذكرًا قبلَ البستاني ثمّ رضا..

ولذا لم أجدْ لَدى ابنِ منظورٍ في ترجمةِ مادَّةِ ب ر ز ق في بابِ القافِ من (لسان العرب) شيئًا ممّا يؤكلُ، ولٰكنْ وجدْتُ.. «جماعات الناسِ والخيلِ.. وتَبَرْزَقَ القومُ: اجتمعوا بلا خيلٍ ولا

رِكابٍ، عن الهَجَرِيّ . . ».

أمّا شارحُ (القاموس المحيط) للفيروزابادي وهو الزّبيديّ في (تاج العروس) فيُضيفُ: «البِرْزِيق: قال ابنُ دريدٍ هو فارسيٌّ مُعَرَّب واحدُ الجماعاتِ أو الفُرْسانِ دون المَوْكبِ. . والبرازِيقُ: الطُّرُقُ المُصْطَفَّةُ حَوْلَ الطّريقِ الأعظمِ نقلَهُ الصّاغانيّ. . ».

البِرْطِيل

ما زالتْ هذه العِبارةُ في عامّيّتنا في الشّام ومِصرَ من قَبْلِ عَهْدِ الزّمخشريِّ المُتَوَفّى سنة ٥٣٨هـ.

فقد قالَ في (أساسِ البلاغةِ): «رَأْس مُبَرْطَلٌ: طويلٌ من البِرْطيل وهو الحَجَرُ المُسْتَطيل. . . ومنه: أَلْقَمَهُ البِرْطيلَ وهو الرّشْوَة. وإنّ البَراطيل تَنْصرُ الأَباطيل. وبُرْطِلَ فلان رُشِيَ». ثمّ قال الفيروزاباديّ في (القاموس المحيط): «. . وبَرْطَلَ فُلانًا: رشاهُ فَتَبَرْطَلَ فَارْتَشى». ثمّ قال الشّهابُ الخفاجيُّ في شِفاءِ الغليل: «. . وقيلَ أصلُهُ أنَّ رجلًا وَعَدَ آخرَ بِحَجَرٍ إذا قضَى حاجتَه، فلمّا قضاها أتاه بِحَجَرٍ، ثمّ قيلَ لكلِّ رشوةٍ».

وفي عَصْرِنا تحدَّث عنها أصْحابُ كُتُبِ فِصاحِ العامّيّةِ، وقال محمّد خليل الباشا في حاشِيَتِهِ على الصّفحةِ ٤٢ من كتابِ الأميرِ شكيب أرسلان: (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأَصْل): «. . وفي معانيه المِعْوَل وكان يُصْنَعُ من الحَجَرِ وكنَّوا به عن الرّشْوَةِ لأنّها تَفْعَلُ في الشّخْصِ الصَّلْدِ ما يَفعل المِعْوَلُ في الأَرْضِ». قُلت: وقَبْلَ كلِّ ذلك كيفَ كانتْ عِبارةُ البِرطِيلِ قَبْلَ هذا المعنى المَجَازِيّ؟ إنّنا نجد ذلك مُوَضّحًا في مُعْجَمِ ابنِ مَنْظورٍ:

(لسان العرب): «البِرطيل: حَجَرٌ أو حَدِيْدٌ طَوِيْلٌ صُلْبٌ خِلقَةً لَيْسَ مِمّا يُطَوِّلُهُ الناسُ ولا يُحَدِّدُونَهُ، تُنْقَرُ به الرَّحَى، وقد يُشَبَّهُ به خَطْمُ النَّجِيبَةِ، والْجَمْعُ بَراطيل. . .

قال السّيرافي: هو حَجَرٌ قَدْرُ ذِراعٍ. أبو عَمْرٍو: البَراطيلُ المَعاوِل، واحدُها بِرْطِيلٌ والبِرْطيلُ: الحَجَرُ الرَّقيقُ وهو النَّصِيلُ. . .

قال كعبُ بنُ زهيرٍ:

كَأَنَّ ما فاتَ عَيْنَيها وَمَذْبَحَهَا
مِنْ خَطْمِها وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ

قال: الْبِرْطِيلُ حَجَرٌ مستطيلٌ عظيمٌ شَبَّهَ به رأسَ النّاقةِ».

قُلْتُ: ولا أتْرُك اللسانَ هاهنا قَبْلَ أنْ أَسْتَطرِدَ كما يَسْتَطْرِدُ فأذكر ما لَعلّني أظنُّهُ واردًا في عامّيّةٍ من عامّيّاتِ العَرَبِ، ولا نَعْرِفُها، فلعلَّ قارئًا هناك يُعَرّفُنا بشَيْءٍ من قَوْلِ ابنِ منظورٍ مُسْتَكْمِلًا: ب ر ط ل: «والبُرْطُلَة: المظَلَّةُ الصّيفيّةُ [وفي الحاشية عن القاموس المِظَلَّةُ الضَّيِّقَةُ]. نَبَطِيَّةٌ، وقد اسْتُعْمِلَتْ في لَفْظِ العَرَبِيَّةِ. وقال غيرُه: إنّما هوَ ابْنُ الظُّلَّةِ.

والبُرْطُلُ، بالضّم قَلَنْسُوَةٌ. وَرُبّما شُدِّد. قال ابنُ بَرّي: ويقال: البُرْطُلَّةُ. . . ».

البَرْطَمَة

للفيروزابادي في القاموس:

«البِرْطام: الضَّخْمُ الشَّفَةِ كالبُراطِمُ، والشَّفَةُ الضّخمةُ. والبَرْطَمُ: العَيِيُّ اللسانِ، والبَرْطَمَةُ: الانْتِفاخ غضبًا. وَتَبَرْطَمَ تَغَضَّبَ من كلامه. وَبَرْطَمَهُ: غاظَهُ (لازم مُتَعَدٍّ). والليلُ اسْوَدّ». واسْتدرك عليه الزّبيديّ في (تاج العروس من جواهر القاموس): «البَرْطَمَة عُبوس الوجه. . وبَرْطَم الرّجلُ: أَدْلى شَفَتَيْه من الغضب. . ».

وأزيد عليه من ابن منظور في (لسان العرب): «والبَرْطَمَةُ عُبُوس في انْتفاخ وغَيْظ. يقال: ما أدري ما الذي بَرْطَمَهُ.. وجاء فلان مُبْرَنْطِمًا.. الكِسائيّ: البَرْطَمَةُ والبَرْهَمَةُ كهيئة التخّاوص.. وفي حديث مجاهد في قوله عزّ وجلّ: ﴿وأنتم سامِدُون﴾ [السورة ٥٣ النجم الآية ٦١] قال: هي البَرْطَمَةُ وهو الانْتفاخ من الغَضَب ورَجُلٌ مُبَرْطِمٌ: مُتَكَبِّر.. والسّامِدُ: الرّافع رَأْسَه تَكَبُّرًا». اهـ.

قُلْتُ: في الشّام تقول عامّيّتنا الدّارجة: البَرْطَمَة ضَخامة الشَّفَةِ وقد بَرْطَمَ شَفَتَيْهِ غَضَبًا أو غَيْظًا أو ما هو قَرِيب من هذا.. وكذلك في الدّارجة المصريّة أيضًا فقد كَتَب عنها د. عبد المنعم سيّد عبدالعال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة..).

أمّا شاعر الشّام شفيق جبري فكَتَب في (بقايا الفِصاح) في (مجلّة مَجْمَع اللغة العربيّة بدمشق) ص٤٦١-٤٦٢ من الجزء الثّالث في المُجَلّد الحادي والخمسين: رجب سنة ١٣٩٦هـ = تموز ١٩٧٦: «من طرائف الأمور أنْ تعيشَ في لُغة العامّة لَفْظَة وهي غاية في الغَرابة، وأنْ تموتَ هذه اللفظةُ الغريبة في لغة الخاصّة أي في لغة الأدب، فإنّ لَفْظَة: فلان مُبَرْطَمٌ تَستَفيض في أحاديثنا ونكادُ لا نرى لها أَثَرًا في كتابات هذا العصر.. فالمُبَرْطِم العابس، المُنْقَبِض، الغضبان، إذا حيّاه أحد فلا يَرُدّ عليه التّحيّة. أفرأينا خِصْب معاني هذه المادّة في لغتنا؟.. ولٰكنّها في لغة العامّة أَخْصَب دلالةً وأَفْسَحُ آفاقًا، ولا أبالغ إذا قُلْت: إنّ هذه المادّة في لُغة العامّة لا تكادُ تَقُومُ مَقامَها مادّة أخرى في الدّلالة على معناها في مُصْطَلَحات العامّة، ولٰكنْ مَنِ الذي يَسْتَعْمِلُها في كِتاباته إذا كان كاتبًا؟ أو في شِعْره إذا كان شاعرًا؟ وإذا اسْتَعْملها أحدٌ فلا يَنْجو مِنْ ناقدٍ يَرْميه بالمَيْل إلى اسْتعمال الغريب الذي يَحْتاج إلى شَرْحٍ وتفسير؛ وقد تَكونُ لَفْظَةُ المُبَرْطِم شائعةً في دمشقَ مثلًا ولا تكون شائعةً في بَلَدٍ آخرَ مِنْ بُلْدان العَرَب، ففي كلِّ بلد مُصْطَلَحات خاصّة للعامّة في لغتها يَفْهَمُها أَهْلُ البَلَد ولا يَفْهَمُها أهلُ بَلَدٍ آخر».

البُرْغُلُ والشَّكْلُ المُبَرْغَلُ

جَرْشُ البُرْغُلِ في الأقطارِ الشّاميّةِ من طُوروسَ إلى طُورِسينا؛ ونقرأُ للزَّبيديِّ في: (مُسْتَدْرَك تاجِ العروسِ من جواهرِ القاموسِ) «البُرْغُلُ: الفَرِيْك: سامِيَّة».. ثمّ لأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«البُرْغُل هو القَمْح المَسْلُوقُ وهي كَلِمَةٌ شاميّة،.. وهي دَخِيلَةٌ مُعَرَّبة من «بلغور». وصاغَتِ العامّةُ منها فِعلًا فقالُوا: لَوْن مُبَرْغَل إذا كان يُشْبِهُ حبَّ البُرْغلِ (الجَرِيْشِ). ولعلَّ البُرْغُلَ هو المعروفُ باسْمِ «الخَضِيمَةِ» عِنْدَ العربِ، وقد جاءَ في اللّسانِ: «الخَضيمةُ حِنْطَةٌ تُؤْخَذُ فَتُنَقَّى وَتُطَيَّبُ ثمّ تُجْعَلُ في القِدْر وَيُصَبّ عليها ماءٌ فَتُطْبَخُ حتّى تَنْضِجَ». ويُكملُ رضا والظّاهر أنّ العربَ عَرَفُوا البُرْغُلَ الطَّرِيَّ في مَأْكَلِهِم ولم يَعْرِفُوا المُجَفَّفَ وَيَكْفي هذا القدر في صحّةِ إطْلاقِ الخَضيمَةِ على البرغلِ». ا.هـ. أحمد رضا.

ولٰكنْ أحمد أبو سعد في (قاموس المصطلحات والتّعابير الشّعبيّة) يرى أنّ: «البُرغلَ (من الفارسيّةِ: بَرغول بحسَب دوزي ج١: ٢٩٧، ومن التّركِيّةِ بُلْغُر بحسَبِ تيمور ج٢: ١٥٣) جَريشُ الْقَمحِ المَسْلوقِ خَشِنًا وناعمًا، عَرَبِيَّةٌ: (البربور)». ا.هـ. أبو سعد ص١٢٨.

قُلْتُ: ولٰكنّ البُرْبُورَ لدى الزّبيديّ في (تاج العروس) «عن ابنِ الأعرابيِّ واحدُ البَرابِيْر، وهي

طعامٌ يُتَّخَذُ من فَريكِ السّنبلِ والحَليب كما في القاموس فَيَفْرِكُ منه ما أَحَبَّ ويَنْزعُه من قُنْبُعِهِ ثمّ يصبُّ عليه اللبنَ الحليبَ ويغليه حتّى يَنْضجَ ثمّ يَجْعلُه في إناءٍ واسعٍ ثمّ يُبَرِّدُه فيكونُ طعامًا أَطْيبَ من السَّميد، قال: وهي العَذِيْرَةُ، وقد اعْتَذَرْنا». فهذا الوَصْفُ للبُرْبُورِ يَدُلُّنا أنّه يَخْتَلِفُ عن البُرْغُلِ الذي نَعْرِفُهُ في أيّامِنا. ولٰكنّ الذي جعلَ أبا سعد يظنُّهُ هو هو قَوْلُ الفيروزاباديّ في (القاموس المحيط): «البُرْبُورُ بالضمّ الجَشيشُ من البُرّ».

وأعودُ إلى البُرْغُلِ فأقول: أَمِنَ الْحَتْم أنْ تكونَ لَفْظَتُه فارسيّة أو تركيّة مُعَرّبة؟ أَلَيْسَ لها أَصْلٌ عَرَبيٌّ يُمْكنُ أنْ يَكُونَ قد حقَّقَ دورتَهُ في الفارسيّةِ والتُّركيّةِ ثمّ عادَ منهما إلى العربيّةِ؟ فَلْنَنْظُرْ في مادّةِ العِبارةِ برغل في القاموسِ واللسانِ فماذا نجدُ؟ في (القاموس المُحيط) يقولُ الفيروزاباديُّ: «البراغيلُ: القُرى والأراضي القريبةُ من الماءِ (وهذه يَنْسبُها اللسانُ والتّاجُ إلى ثعلب مؤلِّفِ «الفصيح»)، أو: البلاد بَيْن الرّيفِ والبَرِّ في القاموس [كالأَنْبار والقادسيّة] وفي اللسان: الواحد بِرْغيل - بالكَسْر - عن أبي حنيفة، أمّا ثعلب فَعَمَّمَ ولم يَذْكر لها واحدًا. وَبَرْغَلَ الرَّجُلُ: سَكَنَها». وزاد الزّبيديّ في (تاج العروس..) عن ياقوت: «البراغيل: أَمْواهٌ تَقْرب من البَحْر».

قلت: أليسَ شكلُ ترابِ الأرضِ شكلًا مُبَرْغِلًا في البَراغيل؟ أيْ في القُرى والأراضي القريبةِ من الماءِ أو البلادِ بينَ الرّيفِ والبرِّ كما في اللسانِ والقاموسِ عن فصيحِ ثعلب وعن أبي حنيفة؟!.

وهذا خروج إلى البرغل في الأمثال:

في قديم الأمثال الشّاميّة: (لما قالوا العزّ للرّزّ شنق البرغل نفسه) ولٰكن البرغل اليوم أغلى من الرّز لأنّ لقمحنا القاسي سُوقًا عالَمِيّة فهو أصلح للمُعجَّنات الإيطاليّة: (المعكرونة). فَغَلا ثمنُ البرغلِ فَعُكِسَ المَثَل وشَنَقَ الرّزّ نفسَهُ حَسَدًا منه..

البُرْنُس

في دمشقَ لَباسُ الخُرُوجِ من الحمَّامِ له قَلَنْسُوَةٌ مُلْتَصِقَةٌ بهِ ولذلك يُسمّى البُرْنُس، وهي تسميةٌ فصيحةٌ بسببِ الرّأسِ المُلْتَصِقِ كما سنرى في (لسان العرب) لابنِ منظورٍ و(القاموس المحيطِ) للفيروزابادي وشارحه المُرتضى الزّبيديّ في (تاج العروس...).

وفي كثيرٍ منَ البلدانِ العربيَّةِ تسمِّي الثّوبَ الذي رأسُهُ مِنْهُ بالبُرْنُسِ، وفي بعضِ أقطارِ المَغْربِ العربيِّ يلفُظُونَها (البَرْنُوس)، ولعلَّ بعضَهُمْ يلفظُ السّينَ صادًا للتّفخيمِ.

قالَ ابنُ منظورٍ في (اللسان..):

«برنس: البُرْنُسُ: كلُّ ثوبٍ رَأْسُهُ منه مُلْتَزِقٌ بِهِ، دُرَّاعَةً كان أو مِمْطَرًا أو جُبَّةً. وفي حديثِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عنه - (سقط البُرْنُسُ عن رأسي) هو من ذلك.

الْجَوْهريُّ: البُرْنُسُ قَلَنْسُوَةٌ طويلةٌ، وكان النُّسّاكُ يَلْبَسُونَها في صَدْرِ الإسلام، وقد تَبَرْنَسَ الرَّجُلُ إذا لَبِسَهُ، قال: وهو من البِرْس[1]، بِكَسْرِ الباء، القطن، والنّونُ زائدةٌ، وقيل: إنّه غير عربيّ»[2].
وجمعه في (المعجم الوسيط): بَرانِسُ.

(١) قلت: البِرْنس بكسر الباءِ نصًّا في (اللسان..) وقد رأيتُه بضمّ الباءِ في مُعْجَم مَجْمَعِ مِصْرَ (..الوسيط): الطّبعة الثّانية. فَعُدْتُ إلى ب ر س في (اللسان..) فإذا هو يقول: «البِرْسُ والبُرْسُ: القطن»!!.

(٢) لم أَجِدْه في (قاموس الفارسيّة) تأليف د. عبدالمنعم محمد حسنين الطّبعة الأولى ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م.

البَزْر

نَظُنُّ أنَّنا، كَعَادَتِنا في اللفْظِ الشّاميِّ، نَتَجَنَّبُ لَفْظَ الذّالِ، فَنُبْدِلُ بها زايًا حين نَقُولُ: (برز من سوق البزوريّة). ونتعلّم في المدرسةِ أنْ نُعيدَ لَفْظ الذّال! وَنَظُنُّ أنَّ من العامّيّةِ قَولهم: فلانٌ مِنْ بَزْرِ أَبَوَيْه أو مِنْ بِزْرَتهما.

وفي (لسان العرب) لابن منظور كما في أيِّ مُعْجَم آخرَ: «البَزْرُ بَزْرُ البَقْلِ وغَيْره. ودُهْنُ البَزْرِ والبِزْرُ، وبالكَسْرِ أَفْصَحُ. قال ابن سِيْدَه: البِزْرُ: كلّ حَبٍّ يُبْزَرُ للنّبَات. وَبَزَرَهُ بَزْرًا: بَذَرَهُ. ويُقالُ: بَزَرْتُهُ وَبَذَرْتُه.

والبُزورُ: الحُبُوبُ الصِّغارُ مِثْل بُزُورِ البُقولِ وما أَشْبَهَهَا وقِيْلَ: البَزْرُ: الحَبُّ عامَّةً.

والمَبْزُورُ: الرَّجُلُ الكثيرُ الولَدِ؛ يُقالُ: ما أَكْثَرَ بَزْرَه، أيْ: وَلَدَه. والبَزْراءُ المَرْأَةُ الكَثِيرةُ الوَلَدِ..

... والبَزْر: الأَوْلادُ. والبَزْرُ والبِزْر: التّابَلُ، قال يعقوب: ولا يَقُولُه الفُصَحاءُ إلّا بالكَسْرِ، وجَمْعُه أَبْزارٌ، وأبازيرُ جَمْع الْجَمْع».

وبزرَ القِدْرَ: «رمىٰ فيها البَزْرَ». قُلْت: وأُضِيْف من (القاموس المحيط) للفيروزابادي ومِنْ شارِحِه والمُسْتَدْرك عليه مُرتضى الزّبيدي في: «تاج العروس من جواهر القاموس» لِمَنْ يحبُّ الأبزارَ والتّوابلَ: إلّا أنَّ الأبزارَ للأشياءِ الرّطْبَةِ واليابِسَةِ، والتّوابلَ لليابسةِ فقط.... (والبَزّار: بَيّاع بَزْر الكَتّان؛ أي: زَيْتُه بِلُغَةِ البَغادِدَة).. وفي المَجاز: مِثْلي لا يَخْفى عليه أَبازيرك وِوِشَاياتك، أيْ: زياداتُك في القَوْل؛ وبَزَّرَ فلان كلامَه إذا تَوْبَلَهُ. ومنه قيل للرّجل المُريب: بازور؛ كذا في (أساس البلاغة).

البِزّ والبِزْباز والبَزْبُوز

لا يَكْتَفي عوامّنا بتسمية الثَّدْي بـ(البِزّ)، فقد يُشَبِّهون به أو بِحَلَمَتِهِ ما يُسَمُّونه، (بزّ السّيچارة) وهو الأنبوب الصّغير الذي تُرَكّب عَلَيْه لَفِيْفة التَّبغ.. وقد يُصَغِّرون العِبَارة تَصْغيرًا مَصُوغًا بصِيْغة ابْتدعُوها على غيرِ صِيَغ التَّصْغيرِ القياسيّة المعروفة فيقولون: (لهٰذا الشّيء بَزْبُوزَة بارزة مِثْل بَزْبُوزَة البِزِّ..).. فمتى تَصرّف العَوَامّ في مادّة: دزز مِثْل هذا التَّصَرُّف؟

نَجِدُها فيما قالَه الزّبيديّ في (تاج العروس..): «..وممّا يُستدرَك عليه... والبَزْباز والبُزابِز: السّريع في السّيْر والحَرَكة..

..والبِزّ، بالكسر: ثَدْي الإنسان [قُلْت: في عامّيّتنا ولِغَير الإنسان أحيانًا]. هكذا يَسْتَعْملُونه ولا أدري كيف ذلك؛ وكذلك البُزْبُوز، كَسُرْسُور، لِقَصَبَةٍ من حديد أو صُفْر أو نُحاس تُجْعَل في الحِياضِ يُتَوَضّأ منها، كأنّه على التّشبيه فيهما بِبَزْبازِ الكِيْر أو غير ذلك».

[قُلْت: وفي الشّام ومصْر اليوم يُقال: البَزْبُوز، لِقَصَبة من المَعْدن أو نحوه لِسَكْب الماء..] وفي أوّل هذه المادّة كان الزّبيديّ يَنْقُل عن ابن منظور في (اللسان..) وغيرِهِ لِيَشْرح ما قاله الفيروزاباديّ في (القاموس): «البَزُّ: الغَلَبَة والغَصْب والنَّزْع والسَّلْب؛ يُقال بَزَّ الشَّيءَ يَبُزُّهُ بَزًّا: انْتَزَعَه، وَأَخَذَ الشّيءَ بِجَفاءٍ وقَهْر.... والبِزِّيزَىٰ السَّلْبُ والتَّغَلُّبُ وَرَواه بَعْضُهم بَزْبَزِيّا...

... والبَزْباز: الرَّجُلُ الكثير الحَرَكة والغُلام الخفيفُ في السَّفَرِ. قاله ابن دُرَيد.. كالبُزْبُزِ والبُزابِزِ بِضَمِّها وقال ثَعْلب: غلام بُزْبُز: خفيف في السَّفَر، وقال أبو عمرو: ورجل بَزْبَزٌ وَبُزابِزٌ من البَزْبَزَةِ وهي شِدّة السَّوْق والبَزْباز قَصَبَة من

حَدِيد على فَمِ الكِيْرِ تنفخ النّار وأنشد للأعشى:

إيـهًـا خُـثَـيْـمُ حَـرِّكِ الـبَـزْبـازا
إنّ لـنـا مَـجـالِـسًـا كِـنـازا

وقِيْل المُراد هنا بِالْبَزْباز: الفَرْج بِسَبَبِ حَرَكَتِهِ وكِنازًا مُكْتَنِزَةٌ بِأَهْلِها. يُحْكى عن الأعشى أنّه تَعَرَّىٰ بِإِزاءِ قَوْم وسمَّىٰ فَرْجَهُ البَزْباز وَرَجَزَ بِهِم.. والبَزْبَزَةُ كَثْرَةُ الحَرَكَةِ وَسُرْعَتُها ومعالجةُ الشَّيء وإصْلاحه، والبُزابِزُ والبُزْبُزُ: القَوِيّ الشّديد إذا لم يكن شجاعًا.

وَبَزْبَزَ الرَّجُلُ: تَعْتَعَهُ، والشّيء: سَلَبَهُ كابْتَزَّهُ، وَرَمَىٰ به وَلَمْ يُرِدْهُ». وتكاد تَتَوازَعُ هذه المعاني في المَعَاجِم..

قُلْت: ولٰكنّ هذه المعاني تكاد تُقارِب أحيانًا ما قاله فيه الزّبيديّ: (والبِزّ ثدي الإنسان، هكذا يَسْتعملُونَه ولا أدري كيف ذلك)، ولٰكنّ هذه المُقارَبة مع شيء من الاعْتِساف في تَكَلُّف المَجَاز والتَّصْوير البَيَانيّ البَعيد.

ولَدىٰ ابن فارس في (مقاييس اللغة): «الباء والزّاء أصْلٌ واحدٌ، وهو الهَيْئة من لِباسٍ أو سِلاح...» فنقول: لَعَلّهم تَجاوزُوا هذه الهيئة إلى هَيْئات توسَّعُوا فيها كما في قَوْله: «بَزَزْتُ الرَّجُلَ؛ أي: سَلَبْته، من هذا لأنّه فعل وَقَعَ بِبَزّه، كما يُقال: رَأَسْتُه: ضَرَبْتُ رَأْسَه».

أمّا البَزْبوز فقد تَبَيَّنَتْ فصاحتُه في المُعْجم التُّراثيّ كما رأينا:

وَوَضَّحَ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) كيف: «اسْتعارت العامّة البزباز لِحَلَمَة الثَّدْي التي يَمْتَصّها الرَّضِيع، ثُمَّ عَمَّ عندهم للثّدي كلِّه من إطلاق الْجزء على الكُلّ، واخْتَزَلوا اللفظ بكثرة الاسْتعمال كما هو شَأْنُهم في كثير من كَلِمَاتِهم؛ فقالوا: البزّ...». قلت: ولقد نصّ حليم دمّوس في (قاموس العوامّ)[1] على أنّ: «بِزّ الثّدي: صحيحُهُ: حَلَمَةٌ».

ويرى أحمد أبو سعد في ص٧٨ من (قاموس المُصْطلحات والتّعابير الشّعبيّة)[2] أنّهم: «أخذوه من الإبزاز وهو في اللغة إرضاع المرأة للطفل. وقيل: هو آراميّ قاله الأب روفائيل نَخْلَة في ص٦٧ من: (غرائب اللهجة اللبنانيّة السّوريّة) ط بيروت سنة ١٩٦٢م. وربّما كان من السّاميّ المُشْتَرَك».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «والبِزُّ للحَيَوان كالثّدي للإنسان مأخوذ من الإبزاء وهو الإرضاع ج بزابز وأبزاز».

والبُزُّ «عند العامّة الثّدي من الإنسان وحلمة ما يقابله من الحيوان ومنه بزّ قصبة الدّخان وهو ما يركَّب في طَرَفها الذي يَلي فَمَ الشّارب من كهرباء وغيره».

بَسّ وَبِيْسْ

(بَسّ): في عامّيّتنا الدّارجة بمعنى يَكْفي وَحَسْبُك وحَسْبُنا، وبمعنى انتهى الأمرُ وَنَفَذَ أوِ انْقطعَ.. وإذا قالُوا للمُتَكَلِّمِ: (بَسّ) فقد يَقْصدونَ إسْكاته حينًا؛ ولٰكنْ يُمكنُ أن يكونُوا يطلبونَ منه العكسَ.. أي المزيدَ من الكلامِ إذا قالوها بلهجةِ السّؤال (بَسّ هذا؟) و(البِسّةُ أو البيسة) عندهم هي القِطّةُ وقد يُنادونَها: (بِيسْ بِيْس) وحين يَزْجُرونَها يقولون (بِسْتْ).

وتُوحي هذه العِبارُات بأنّها من أسماءِ الأصواتِ،

(١) طُبع (قاموس العَوامّ) تأليف: حليم دمّوس، في مطبعة التّرقّي بدمشق سنة ١٩٢٣م. ط١.
(٢) نُشرت (مكتبة لبنان) في بيروت سنة ١٩٨٧ (قاموس المُصْطلحات والتّعابير الشّعبيّة)، تأليف: أحمد أبو سعد.

وقد ورَدَتْ في مَعاجِم التّراثِ اللغويِّ القديم بما يُقارِبُ هذا فكانوا يقولونَها للإبِلِ والدّوابِّ ولم يَذْكروا الهِرَّة؟

في (لسان العرب): لابن منظور: (وبِسْ بِسْ: ضَرْبٌ مِنْ زَجْرِ الإبلِ) وقد أَبَسَّ بها. وَبَسْ وَبِسْ بِسْ: من زَجْرِ الدابَّةِ: بَسَّ بها يَبُسُّ وَأَبَسَّ؛ . . . ودَعاها لِلْحَلْبِ، . . وهو صَوْتُ الزَّجْرِ للسَّوْقِ. . فَيُقالُ على هذا يَبُسُّون وَيَبِسّون وَأَبَسّ بالغَنَمِ إذا أَشْلاها [دعاها] إلى الماء. . إبْساسًا. . وَأَبْسَسْتُ بالمَعز. وَأَبَسّ بالإبلِ عند الحَلْبِ إذا دعا الفَصيلَ إلى أُمِّهِ، وَأَبَسَّ بِأُمِّهِ له. . . وَبَسْبَسَ بالنّاقةِ كذلك. . ويُبَسْبِسُ. . والإبْساسُ بالشّفَتَيْنِ دونَ اللسانِ، والنَّقْر باللسانِ دُونَ الشَّفَتَيْنِ. والإبساسُ عند الحَلْبِ: أنْ يُقالَ للنّاقة بَسْ بَسْ. . .

أبو سعيد: يُبِسّون أيْ يَسيحون في الأرضِ. وانْبَسَّ الرَّجُلُ: إذا ذهبَ. وَبُسَّهُمْ عَنْكَ، أيْ اطرُدْهم. وبَسَسْتُ المالَ في البلاد فانْبَسَّ، إذا أَرْسَلْتَهُ فَتَفَرّق فيها، مِثْل بَثَثْته فانْبَثّ.

وقال ابنُ دُريد: بَسَسْتُ الْغَنَم: قُلْتُ لها: بَسْ بَسْ. والبَسوس: النّاقةُ التي لا تَدُرُّ إلّا بالإبْساس، وهو أنْ يقالَ لها بُسْ بُسْ بالضّم والتَّشديد، وهو الصُّوَيْتُ الذي تُسَكَّنُ به النّاقةُ عِنْدَ الحَلْبِ، وقد يُقالُ ذلكَ لِغَيرِ الأبِلِ. . وبُسْ: زَجْرٌ للحافر.

وَبَسْ: بمعنى حَسْبُ، فارسيّة.

وقد بَسْبَسَ به وَأَبَسَّ به وَأَسَّ به إلى الطّعامِ: دعاه.

وَبَسَّ الإبِلَ بَسًّا: ساقَها؛ قال[1]:

لا تَـخْـبِـزَا خَـبْـزًا وَبُـسَّـا بَـسّـا
وَلَا تُـطِـيـلا بِـمُـنـاخٍ حَـبْـسـا

وقال ابنُ دُريدٍ: معناه لا تُبْطِئا في الخَبْزِ وبُسّا الدّقيق بالماءِ فَكُلاه. وفي ترجمة خبز: الخَبْزُ: السَّوْقُ الشّديدُ بالضَّرْبِ. والبَسُّ: السّيرُ الرّقيقُ. بَسَسْتُ أَبُسُّ بَسًّا، وَبَسَسْتُ الإبِلَ أَبُسُّها، بالضَّمِّ، بَسًّا: إذا سُقْتُها سَوْقًا لَطيفًا: والبَسُّ: السَّوْقُ اللَّيِّنُ، وقيل: البَسُّ أنْ تَبُلَّ الدّقيقَ ثُمَّ تأْكُلَهُ، والخَبْزُ أن تَخْبِزَ المَليلَ:

والبَسِيْسَةُ عِنْدَهم: الدَّقِيق والسَّوِيْقُ يُلَتُّ وَيُتَّخَذُ زادًا. ابنُ السِّكِّيت: بَسْبَسْتُ السّويقَ والدّقيقَ أَبُسُّه بَسًّا إذا بلّلته بشيء من الماء، وهو أشدُّ من اللّتِّ.

وَبَسَّ الرَّجُلُ يَبُسُّه: طَرَدَهُ وَنَحّاه. وانْبَسَّ: تَنَحَّى.

وَبَسَّ عَقارِبَهُ: أَرْسَلَ نمائِمَهُ وأذاه.

وانْبَسَّتِ الحَيَّةُ: انْسابَتْ على وجه الأرضِ.

وانْبَسَّ في الأرض: ذَهَبَ؛ عن اللِّحياني وَحْدَهُ. . والمعروف: ارْبَسَّ.

وفي حديث الحَجّاج: قال للنّعمان بن زُرْعَةَ: (أَمِنْ أهل الرَّسِّ والبَسِّ أَنْتَ؟)؛ البَسُّ: الدَّسُّ. يُقال: بَسَّ فلان لفلانٍ مَنْ يَتَخَبَّرُ له خَبَرَهُ ويأتِيْهِ

(١) حقّق هذا الرجزَ وخرّجَهُ الأستاذ عبد السلام محمد هارون في حاشية: بسّ في (معجم مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس. فكتب «الرّجز للهفوان العقيلي أحد لصوص العرب. انظر معجم المرزباني ٤٩٢ ونوادر أبي زيد ١٢، ٧٠ والحيوان (٤: ٤٩٠) والمخصّص (٧: ١٢٧) وتهذيب الألفاظ ٦٣٦». قلت: حقّقته في: كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ لابن السِّكِّيت: تهذيب. الخطيب التّبريزيّ ضبطه لويس شيخو عن نسختَي لَيْدِن وباريس. والرواية فيه: لا تخبزا خبزًا. . بضم خاء الخُبز. وفي الحاشية عدّة روايات وتفاسير.
وقلت: أخذت الشّطر الثّاني من ابن منظور ذاته في أوّل المادّة: ب س س حيث قال: وذكر أبو عُبيدة أنّه لصٌّ من غَطَفانَ أرادَ أنْ يخبز فخاف أن يُعجِلَ عن ذلك فأكله عجينًا، ولم يجعل البَسَّ من السَّوقِ اللّيِّن». قلتُ: وكذلك في (مقاييس اللغة) وفي كثير من كتبِ اللغة. . . .

بِهِ، أيْ: دَسَّهُ إليه.

والبَسُّبَسَةُ: السِّعايَةُ بَيْنَ الناسِ...

والبَسابِسُ: الكَذِبُ. والبَسْبَسُ: القَفْرُ. والتُّرَّهاتُ والبَسَابِسُ هي الباطِلُ، وَرُبَّما قالوا: تُرَّهاتُ البَسابِسِ، بالإضافة وقَبْلها قال ابن منظور: «وفي التّنزيل العزيز ﴿وَبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا﴾ قال الفرّاء: صارت كالدّقيق... وبُسَّتْ: فُتَّتْ فصارت أرضًا».

قُلْت: تَخيّرتُ من ابن منظور المعاني المُقارِبات لما في عامّيّاتنا العديدة، ففي مصرَ يقول د.عبد المُنْعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقولُ في دارجتِنا: بَسَّ الكَعْكَ: لَتَّ دقيقَهُ بالسّمْنِ ونحوِه، ونقولُ للقِطّة: بِسْ: عِنْدَ زَجْرها، ويقول صِغارُنا: البِسَّةُ يُطلقونَها على القِطّة، ونقول بَسْ لِمَن نريدُ إسْكاتَه (بمعنى كفى)... ويُطْلِق أهل الحجاز لَفْظ بِسْ على الهرّ الذَّكر، والأنثى يقولون لها بَسَّة ويَسْتعملون هذا اللفظ لزجرِهما». وفي قولِ الفيروزابادي في (القاموس المحيط): «والبَسُّ: الهِرَّةُ الأهليّة، والعامّة تكسِرُ الباء، الواحدة بِهاءٍ، وجاء به من جُسِّه وَبُسِّه؛ مُثَلَّثي الأوَّلِ؛ من جَهْدِهِ وطاقته.. وَبَسْ بمعنى حَسْبُ، أو هو مُسْتَرْذَلٌ.» قُلْت: هذان المَعْنيان ذَكَرَهما الأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأَصْل)، وفي حاشية مُحقِّقهِ محمَّد خليل الباشا: «يرى أدي شير أنَّ البَسّ معرَّبَة عن بِسْك الفارسيّة، وهي من الكُرْديّة (بسِّيك). وأنّ بَسّ بمعنى كفى مُعرَّبة.. من الفارسيّة والتُّركيّة والكُرْديّة والسّريانيّة المَحْكِيَّة. أمّا البِسِّيْنَة فالنّونُ فيها مَزيدةٌ بعد التّصغير».

قُلْت وفي (قاموس الفارسيّة) للدّكتور عبدالنّعيم محمّد حسنين ط سنة ١٤٠٢هـ. وسنة ١٩٨٢م.: «بَسْ: الكافي، الوافر، حَسْبُ، فقط.».

مَبْسُوط؛ الله يَبْسُطُك

تَقْرأُ في (النّهاية في غريب الحديث والأَثَر) لابنِ الأثيرِ الجَزَرِيّ، وفي أكثرِ كُتُبِ الحديثِ الشّريفِ وكذلكَ في أَغْلَبِ كُتُبِ اللُّغَةِ والتُّراثِ وكُتُبِ المُعْجَمِ العَرَبيِّ، نصَّ الحديثِ النبويِّ الشّريفِ «فاطمةُ بضعةٌ منّي يَبْسُطُني ما يَبْسُطُها فَتَتَذَكّرُ قَوْلَ العوامِّ: (مبسوط، الله يبسطك).. فتقول مع الفيروزاباديّ في (القاموس..) وبَسَطَ فلانًا: سَرَّه، كما في مَجازات (أساس البلاغة) وكما في أكْثرِ كُتُبِ اللغةِ وكذلكَ في (شفاءِ الغليل) للخفاجيّ.

ويكادُ يكونُ كلُّ ما في العامّيّةِ من مادّةِ الْجَذْر ب س ط فصيحًا،.. وفي أَغْلَبِ العامّيّاتِ العربيّةِ وبخاصةٍ الشّاميّة والمصريّة وفي الصّحافةِ تَجِدُهم يُكْثِرونَ من السّخريةِ من الشّارِبِ (المبسوط شويّة) و(المبسوط جدًّا) كما يقول د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) ٤٩٢١: «وفي هذا يقول محمّد ابن يسير (الأغاني ٤٩٢١):

قد كنْتُ مُنْقَبِضًا وأنتَ بَسَطْتَني
حتّى انبسَطْتُ إليكَ ثمّ قَبَضْتَني

وفي أخبارِ سعيد بن عبد الرّحمٰن (الأغاني ٣٠٢١) «أنّ الوليدَ بنَ يزيدَ أَمَرَ بإنزالِه معه، وَبَسَطَهُ، ولم يَأْنَسْ بأحدٍ أُنسَه».

وفي لبنان أشارَ إلى بَسْطِ المبسوطِ ضدّ قَبْضِ المَقْبوضِ الأمير شكيب أرسلان ومُحقِّقُ كتابِه (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) محمّد خليل الباشا وكذلكَ فصَّلَ القَوْلَ فيها وفي البِساط

والبَسيط والبَساطة أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح). وكذلك محمّد خير أبو حرب في (المعجم المدرسيّ) بدمشق سنة ١٩٨٦م.

ولٰكنَّ بعضَ المعاجمِ الحديثةِ قصَّرَتْ في إبرازِ فصاحةِ العبارةِ الشّاميّةِ المصريّة هذه، و(المُنْجِد) للويس مَعْلوف لم يَقْتَرِبْ منها ولم يَمَسّها إلّا في معنًى واحدٍ من المعاني الكَثيرةِ التي ساقَها في: بَسطَ؛ حين قالَ: «..وَبَسَطَ الرَّجُلَ: جَرَّأَهُ وسَرَّهُ».. ولٰكنّ بطرس البستاني في (محيط المحيط)[1]: ب س ط يقول: «...والمبسوط عند الحِسابيّينَ المُجَنَّس. ومَبْسوط الْوَجْه بسيطُه والعامّةُ تقولُ: فلانٌ مبسوطٌ في جسمِه أيْ: مُتَعافٍ وفي حالهِ؛ أي فَرِحٌ وفي الدّنيا: أيْ غنيّ».

وأنتقي من (لسان العرب) لابن منظور:

بَسَط: في أسماءِ الله تعالى: الباسطُ، هو الذي يَبْسُطُ الرّزقَ لِعبادهِ ويُوَسّعه عليهم بجُودِه ورحمتِه ويَبْسُطُ الأرواحَ في الأجسادِ عند الحياة.. وانبسَطَ الشّيْءُ على الأرْض.. وقيل: البسيطةُ الأرضُ اسمٌ لها.. ابن الأعرابي: التبسُّط التّنزُّه.. ابن السّكّيت: فَرشَ لي فلانٌ فراشًا لا يَبْسُطُني إذا ضاقَ عنك. هذا فراشٌ يبسُطُني إذا كانَ سابغًا وهذا فراشٌ يبسُطُك إذا كانَ واسعًا.. وإنه لَيَبْسُطُني ما بَسَطك ويقبِضُني ما قبَضَك أي يسُرُّني ما سَرَّك ويسوءُني ما ساءَك وفي حديثِ فاطمةَ رِضْوانُ الله عليها: يَبْسُطني ما يبْسطُها أيْ يسرُّني ما يسرُّها لأنّ الإنسانَ إذا سُرَّ انْبَسَطَ وجهُهُ واسْتَبْشَرَ..

والبَسْطَةُ: الزّيادةُ. والبَصْطةُ، بالصّاد: لغةٌ في البَسْطةِ: والبَسْطَةُ: السَّعةُ.. وامْرأة بَسْطَةٌ: حسَنَةُ الْجِسمِ سَهْلَتُهُ، وظبيةٌ بَسْطَةٌ كذلك..».

وفي ب ص ط يقولُ ابن منظور: البَصْطةُ بالصّادِ لغةٌ في البَسْطةِ. وقُرِئَ: (وزاده بصطه).. وأصلُ صادِه سينٌ قُلِبَت مِثْل مُصَيْطِر، فالسّينُ قُلِبَتْ مع الطّاءِ صادًا لِقُربِ مَخرَجِهما.

وفي (تاج العروس...) في مادّة التّركيب س ب ط، كأنّه من بقايا نظام المَقْلوب الذي تداخل في ترتيب الخليلِ أوّلَ مُعْجم؛ في (كتاب العَيْن): «..ويُقال: ضَرَبْته حتّى أَسْبط؛ أيْ: انْبَسَط».

قُلْت: كُنْت أسمع هذا المعنى للبَسْطة: بَسْطَة الضَّرْب؛ في العامّيّة العراقيّة حين كان معنا في الْجامعة السّورية القديمة (جامعة دمشق) طُلّاب عراقيّون فيما بين سنة ١٩٥١ و١٩٥٨م.

التَّبْشِيْر والتَّباشِير

ما كنتُ لأعرّفَ أحدًا بفصاحةِ الفعلِ (بَشَّرَ) المضعَّفِ الشينِ، عينه، ولا فصاحة كلِّ ما هو حيٌّ متداولٌ في العامّيّاتِ من فصاح مادَّةِ الباءِ والشين والراء فالمعروفُ لا يُعَرَّفُ به! ولٰكنّي قرأتُ عن التّباشير أنَّ هناكَ من يظنُّ أنّهُ منَ الدخيلِ وأنَّه منقولٌ عن الفارسيّة أو السّنسكْريتيّة.. معَ أنَّ الزّمخشريَّ في (أساس البلاغة) يقولُ في التّباشيرِ: «كأنّه جمعُ تبشير مصدر: بَشَّرَ».

أفصحيحٌ قولُهم إنَّ العوامَّ همُ الذين اشتقُّوا الفعلَ (بَشَّرَ)؟! في قولِهم: (بَشَّرَ العِنبُ وبَشّر التّفاحُ.. و...)؟ أي بدأَ بالنُّضج..؟!

وأنّهم أخذوهُ من (التَّباشير) بمعنى «أوائل كلِّ شيءٍ، ولا يكونُ منه فعلٌ» كما في مقاييسِ اللغةِ لابن فارسٍ وكما في (اللسانِ.. والقاموسِ.. والتاج..).

(١) بطرس البستاني ١٨١٩ - ١٨٣٣ (معجم محيط المحيط) طَبْع مَكْتبة لُبْنان بيروت سنة ١٩٧٧م وسنة ١٩٨٧م.

أيصحُّ القولُ[١]: ومن ذلك الدّخيل قولُهم (تباشيرُ) الصبحِ.. واللَّفظةُ فارسيَّةُ الأصلِ مركّبةُ من (تبا) بمعنى مثل و(شير) بمعنى: لبن، أي أبيض كاللبن. وكان الفرسُ يدلّون بها على بياضِ الصبح عندَ أوّلِ شروقِ الشّمسَ فاقتبَسَها العربُ منهم ودلّوا بها على أوائلِ كلِّ شيءٍ، وعلى البشريّ..

فقولُ ابن فارس: (وكذلك أوائل كلّ شيء) يقطعُ بأنَّهم عمَّمُوا دلالةَ اللفظ من وضعِها الأصليِّ (مثل اللبن) إلى (أوائل كلِّ شيء) وسببُ مثلِ هذا التعميم يرجعُ إلى تقاربِ الجذر اللغويِّ ممّا أوهمَ العربَ أنّه من (بشر) الذي يدلُّ على ظهورِ الشَّيءِ مع حسنٍ وجمالٍ، لكنَّ هذا الوهمَ مدفوعٌ بقولِ ابنِ فارسٍ نفسِه، وقولِ غيرِه: (ولا يكونُ منه فعل).

أُنظُرْ جُرجي زيدان «اللغة كائنٌ حيٌّ»: ٧٣-٧٤ وقد علّق مُراجِعُ الكتاب د. مراد كامل عليها بقوله: (هي من السّنسكريتيّة (تراكشيرا) وهي مادَّة تشبه السُّكر تكون داخل القنا. عُرِفَت عند الفُرسِ والعَربِ باسمِ الطّباشير ولٰكن هذا لفظٌ آخرُ ومعنًى آخرُ ولا علاقةَ له بالتباشير. ولفظة تراكشيرا تعني دواء كان يُستعمَل في العصورِ الوسطى كما في (معجم الألفاظ الهنديّة. مجلّة اللسان العربيّ: المجلد. ١ ج١ ص١٢٥).

فقلت: والقرآنُ حافلٌ بالفعلِ: بشّر، وكذا كتب اللغة قديمِها والحديث، تجدُ في التباشير: جمعًا للاسم المحوّل عن مصدرِه، والمصدر إذا تحوّل إلى الاسميّة جُمع كالأسماء.. ولا أجد في ب ش ر: لفظًا أعجميًّا أو دخيلًا.

ثمّ رأيت في كتاب (الاشتقاق والتعريب)[٢] لعبدالقادر بن مصطفى المغربي أحد مؤسّسي مَجْمَعَيْ دِمَشْقَ والقاهرة القديمين - مجمع دار العلوم قبل مجمع القاهرة - «وممّا عُرِّب عن الفارسيّة.. و(طباشير)[٣] معناه: مثل اللبن» وفي الحاشية (٣) من الصفحة ذاتها له: «التباشير في فصيح اللغة معناها: أوائل الصبح التي تُبَشِّرُ به. والظاهر أن يكون عربيّ الأصل من البشارة. ويقول هنا إنّه فارسيّ، فيكون العرب أو الفرس أنفسهم أطلقوه على أوائل الصبح لبياضها المُشْبِه اللبن».

بشّ

(سَلامَة الأَغْواني) الزّجال الشَّعبيّ الذي اشْتُهر بَيْنَنا في النِّصف الأوّل من القَرْن العِشْرين كان يُنْشد:

[عِنْدي نَقْفِة دِيْن سِتْ.. بِشْ.. يا عِيْن! مِنْ أَحْلىٰ السِّتَّات]

وقد أَوْرَدْتُ العِبَارة بِشْ في هذا الزَّجَل غيرِ الفَصِيحِ لِأُحَاوِل تَوْضيح مَعْنى بِشّ التي لَعَلَّ أَصْلَها مِنْ فِعْل الأَمْر الفَصِيْح مِنْ بَشَّ يَبِشّ، ونحن اعْتَدْنا أَنْ نقول: بِشّ عِنْد الإعْجَاب والابْتِهاج بِمَنْظَرٍ أو رَسْمٍ أو شَكَلٍ أَوْ زِيْنَةٍ.. وكأنّ بِشّ اسْم صَوْت أَوْ اسم فِعْل!!.

وكثيرٌ من المَعَاجم تُهْمِلُ يَفْعِلُ المكْسُور عَيْن المُضَارِع، في هذا الفِعْل، وتَكْتَفي بِذِكْرِ: أَبَشُّ

(١) من الصفحتين ٣٣٧ و٣٣٨ من كتاب (أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج) الصادر بدمشق ١٩٨٢. فقلت: ما كان جرجي زيدان من عصر الاحتجاج!.

(٢) (٣) طبع كتاب (الاشتقاق والتعريب) طبعة ثانية بالقاهرة سنة ١٣٦٦هـ سنة ١٩٤٧م؛ ومنها أخذ هذا النص من ص٣٨ وفيها الحاشية (٣) المذكورة. وكانت الطبعة الأولى سنة ١٩٠٨م.

وقبل هذا النص في بداية الفصل كان المؤلّف وضع عنوانًا: (كلمات مشكوك في عروبتها) وأدرج بعده: «وقد رأينا لبعض الفضلاء المعاصرين كلامًا نفيسًا لتحقيق بعض الكلمات المعرّبة..».

المَفْتُوح عَيْن المُضَارِع، فَتصِيْغ فِعْل الأَمْر العامّيّ منه بِشّ؛ ولعلّه في الحقيقة فِعْل الأَمْر من بَشّ يَبِشُّ، الوارِد بِكَسْر عَيْن مُضارِعِه في بَيْت ذي الرُّمّة الذي أَوْرَدَه ابنُ مَنْظور في (لسان العرب):

أَلَم تَعْلَمَا أَنّا نَبِشُّ إذا دَنَتْ
بِأَهْلِك مِنّا طِيَّةٌ وحُلُول؟

بِكَسْر البَاء، فإمّا أنْ تكونَ بَشَشْت مَقولَةً، وإمّا أنْ يَكونَ ممّا جاء على فَعِلَ يَفْعِلُ.

والبَشِيْشُ: الوَجْهُ. يُقَال: فُلان مُضِيءُ البَشيشِ، والبَشِيْش كالبَشَاشَة؛ قال رُؤْبَة:

تَكَرُّما، والهَشّ للتَّهْشِيشِ
وَاري الزِّنادِ مُسْفِرِ البَشْيشِ

يعقوب: يُقَال: لَقِيْتُهُ فَتَبَشْبَشَ بي، وأصله: تَبَشَّشَ...

... البَشُّ: فَرَحُ الصّديق بالصَّدِيق...

[وقَبْل ذلك في اللسان]: البَشُّ: اللُّطْفُ في المَسْألة والإقبالُ على الرّجل... والبشاشَةُ: طَلاقَةُ الْوَجْه...

وَرَجُلٌ هَشٌّ بَشٌّ وَبَشّاش: طَلْق الْوَجْه طَيِّب. وقد بَشِشْتُ به، بالكَسْر، أَبَشُّ بَشًّا وَبَشاشَةً، وتُكَرِّر المَعَاجِم هذا ويُمكن أنْ تَخْتارَ من سَجْع الزّمخشري في أساس البلاغة: «وَاقْرِ ضَيْفَكَ بِوَجْهِ البَشاشَة ثمّ بالبُرْمَةِ النَّشّاشَة».

بَصّ وبَصْبَصَ والبَصّاصَة

تَنْتَشِرُ في العامّيّاتِ الشّاميّة والمصريّةِ كما في دمشقَ، هذه الكلماتُ بالمعنى الفصيح ذاتِه، وهيَ من فِصاحِ العامّيَّةِ مع قليلٍ منَ التغيُّرِ بتغيُّرِ الزّمنِ..

وفي (القول الفصل في ردِّ العامّيِّ إلى الأصلِ) «ويقولون: (بَصّ) بمعنى لَمَعَ وبَرَقَ، وهو لُغويٌّ صحيحٌ. ويقولون للعَيْنِ (بصّاصة) و(له عَيْن يبصُّ بها قليلًا)، فأمّا البصّاصة للعينِ فهي صحيحة، وأمّا (بصّ بعينِه) فهو من اللمعِ.

وقد جاءَ (بَصْبَصَ الْجَرْوُ) إذا فَتَحَ عينَيْهِ، والبَصّاصُ في مصرَ الْجاسوسُ».

قُلْتُ وكذلكَ ما كَتَبهُ أحمد رضا العامليّ، ود.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال المصريّ الذي تحدَّثَ أيضًا عن: «البَصْبَصَةِ مَكْشُوفة تمثِّلُها ألفاظٌ غَزَلِيَّةٌ كأوّلِ خُطْوةٍ يُظْهِرُها المُبَصْبِصُ لِتَوضيحِ مَيْلِهِ وتأكيدِه؛ وفي القاموس: بَصْبَصَتِ الأَرْضُ: ظَهَرَ منها أوّل ما ظَهَرَ..».

وفي (مُعْجم مَتْن اللغة) لأحمد رضا ذاته: «بَصَّ الجَرْوُ: فَتَحَ عَيْنَيْهِ» وفي حاشيتِهِ: «يقولونَ: بُصّ (بصيغة الأمر) أي: أُنْظُرْ، وفلانٌ بصّاصٌ: ينظرُ جيّدًا».

قلت: والشبّان المُشَجِّعونَ في حفلات مصر ثمّ الشّام وغيرهما يهتفون بالعامّيّة: (بُصّ.. شوف.. فلان يعمل إيه!..)..

وفي (لسان العرب) لابنِ منظورٍ:

«البَصيصُ: البَريقُ. وبَصَّ الشّيْءُ يَبِصُّ بَصًّا وبَصِيصًا: بَرَقَ وتَلأْلأَ ولَمَع وبَصْبَصَ بِسَيْفِه: لَوَّحَ. وبَصَّ الشّيْءُ يَبِصّ بَصًّا وبَصِيصًا: أَضاءَ. وبَصَّصَ الْجَرْوُ تَبْصِيصًا: فَتَحَ عَيْنَه. وَبَصْبَصَ لُغَةٌ. والبَصِيصُ لَمَعانُ حَبّ الرُّمّانة.

وبَصْبَصَ الكَلْبُ وتَبَصْبَصَ: حَرَّكَ ذَنَبه. والبَصْبَصَةُ: تحريكُ الكَلْب ذنَبه.

والبَصْبَصَةُ: تحريكُ الظِّباءِ أَذْنابَها. بَصْبَصَتِ الإِبلُ: قَرَبَها[1] إذا سارت فأَسْرَعَتْ. قال رُؤْبةُ يَصِفُ الوحشَ:

(١) قَرَبها: اقترب منها.

بَصْبَصَ بالأذنابِ من لَوْحٍ وبَقْ

والتَّبَصْبُصُ: التَّملُّقُ، وأَنْشَدَ ابنُ بَرّيّ لأبي دُواد:

ولـقـدْ ذَعَـرْتُ بـنـاتِ عَـمِّ
الـمُـرْشِفَـاتِ لـهـا بَـصَـابِصُ».

وفي مجازاتِ (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «بَصَّصَ النّور إذا تَفَتَّح، وبَصْبَصَ عِندي بذَنَبِه إذا تَمَلَّقَ». ولٰكنْ هذا أصلُ المعنى لَدى أحمد بن فارس في (مَقاييس اللغة).

وهذا الذي لعلّهُ اشْتقَّ منه (. . الوسيط) مُعْجم المَجْمَع في مِصرَ هذا المعنى المُحْدَث «وبَصْبَصَ الرّجُلُ للمرأةِ: تملّقها وغازَلَها». دونَ أنْ يُشيرَ إلى أنّها مُحْدَثَةٌ. . . والبَصّاصةُ العَيْنُ صِفَةٌ غالبةٌ لَدى ابن سِيْده ولٰكنّها في أصل المعنى لَدى ابن فارس: (البصَّاصةُ: العَيْنُ) فَأَخذ (. . الوسيط) صِفَة العَيْنِ البصّاصة لأنَّها في (القاموس المحيط) تَنْظرُ بِتَحديقٍ وتَبصّ. فَقُلْت: وفي المَثَلِ العامّيِّ عِنْدنا (العَيْنُ البصّاصةُ تُبْلَى برصاصة).

وكذلك لعلّ د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال أخَذَ مِثْلَما أَخَذَ مُعْجَمَ المَجْمَعِ (. . الوسيط) وفسَّرَ به كلَّ ما في عامّيّةِ مصرَ من فِصاحِ هذا الْجَذرِ، وقال شكيب أرسلان وأحمد رضا في (البصّة) التي تُقال عندنا أيضًا لِجذْوَة النّار أو الْجَمْرة:

«وبصَّةُ النَّارِ: أصلُها: البَصْوَة». قُلْت: أَفَهِيَ من الْجَذْرِ: ب ص و؟!

وكذلك في القاموس المحيط (وما في الرّمادِ بَصْوَةٌ؛ أيْ: شَرَرَةٌ ولا جَمْرَةٌ). ويُعَقّب عليها شارحه الزّبيديّ في (التّاج. .): «والعامَّةُ تقول: بَصَّة فتحذف الواو». فقُلْتُ: ولٰكنّ المعاني في ب ص و أبعد منها في ب ص ص ففي القاموس والتّاج: «بَصَا، كَدَعَا، أَهْمَله الجوهريّ، وقال الفرّاء: أيْ: اسْتَقْصَى على غَريمِهِ، وقال أبو عمرو: البِصاء، بالكَسْرِ والمَدِّ، اسْتِقْصاءُ الخِصاء، وقال اللِّحياني: يُقال: خَصاهُ اللهُ وبَصاهُ ولَصاهُ. وَيُقال: خَصِيٌّ بَصِيٌّ، ولم يُفَسِّرْ بَصِيًّا، وقال ابن سِيْدَه: أُراهُ إتباعًا»[1].

قُلْت: فأَيْن هذا المعنى مِن مَعْنَى البَصْوَة التي تقولها العامّة: بَصَّه؟! وفي أَصْل المعنى في ب ص ص: لَمَعَ وَتَلأْلأَ وَبَرَقَ وتَفَتَّحَ النّور؟! أَوَتَرَىٰ - يا قارِئي الكريم - بَصِيْصَ نورٍ - كما تقول العامَّةُ والفُصحاءُ في بَصِيصِ النّور - حين نَقْبِسُ البَصْوَةَ؛ التي هي: الْجذوة، والتي تقولها العامّة بَصَّة، من مادّة الْجَذْر: ب ص و، وليس من: ب ص ص؟!

وكنت أتمنّى لو لم يُهْمِلُ شفيق جبري البَصْوة أو البَصّة حينما تحدّث عن بَصْبَصَ وبَصَّ والعَيْن البَصّاصة، في (بقايا الفِصاح) في ص٤٦٤ من (مجلّة مَجْمَع اللغة العربيّة بدمشق) - الجزء الثّالث من المجلّد الحادي والخمسين: رجب ١٣٩٦هـ - تموز سنة ١٩٧٦م.

بَطَحَ البَطْحَة

في عامّيّتنا الدّارِجَةِ: بَطَحَه يَبْطَحُه: أَلْقاهُ على وَجْهِهِ. وبَطَحَ الشّيءَ: بَسَطَهُ. وانْبَطَحَ اسْتَلْقَى على وَجْهِه. وكلُّها من الفِصَاحِ التي دلَّتْني عليها

(١) وقد تَحَقّقت من هذا الإتْباعِ في (كتاب الإِتْباع) تأليف أبي الطّيّب عبدالواحد بن علي اللغوي الحلبي المُتَوَفّى سنة ٣٥١هـ. وهو مَطْبوع في مطبوعات مَجْمَع اللغة العربيّة بدمشق سنة ١٣٨٠هـ = ١٩٦١م حقّقه عزّ الدّين التّنوخيّ، ثم طُبِع مُصَوَّرًا ومُضافًا إليه تصحيحات محمّد راتب النّفّاخ سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م. وقد صَحّح النّفّاخ النّصّ في الصّفحة ١٨ من (خَصِيَ بَصِيَ) إلى: (خَصِيٌّ بَصِيٌّ) كما في ص٧٧ من كِتاب الإتْباع نَفْسِه، وكما في حاشية ص١٨ نَفْسِها عن اللحياني وابن سِيْده.

قراءتي في (أساس البلاغة) مُعْجَم الزّمخشريّ وفيه: «بَطَحَهُ على وجهِهِ فانْبَطَحَ. ونَظَر حُوَيْصٌ إلى قَبْرِ عامِرِ بن الطُّفَيْلِ فقال: (هو في طُول بَطْحَتِي) أراد: في طُول قَدِّي مُنْبَطِحًا على الأَرْضِ، وهي من البَطْح كما أنَّ القامَةَ من القِيامِ.

تقولُ للرَّجُلِ كيف بَيْتُكَ؟ فيقول: قامَةٌ في بَطْحَةٍ؛ يريد سَمْكَه وَسَعَتَهُ».

وفي مُعْجَم ابن منظور: (لسان العرب): «البَطْحُ: البَسْطُ. بَطَحَهُ على وجْهِه يَبْطَحُهُ بَطْحًا أي أَلْقاه على وَجْهِهِ فانْبَطَحَ.

وَتَبَطَّحَ فلانٌ إذا اسْبَطَرَّ على وَجْهه مُمْتَدًّا على وَجْهِ الأَرْض؛ وفي حديث الزَّكاةِ: (بُطِحَ لها بقاعٍ) أي أُلْقِي صَاحِبُها على وَجْهِهِ لَتَطَأَهُ...».

... أبو عُمْرو: البَطْحُ: رَمْلٌ في بَطْحاء، وَسُمِّيَ المكانُ أَبْطَحَ لأنّ الماءَ يَنْبَطِحُ فيه؛ أي: يذهبُ يَمينًا وشِمالًا، والبَطْحُ بِمَعْنَى الأبْطَحِ؛ وقال لَبيد:

يَزَعُ الهَيَامَ عَنِ الثَّرَىٰ وَيَمُدُّهُ
بَطِحٌ يُهايِلُهُ عن الكُثْبانِ

وفي الحديث: (كان عمرُ أوَّلَ مَنْ بَطَحَ المَسْجِدَ، وقال: ابْطَحُوهُ من الوادي المُبارَكِ، وكان النّبيُّ - ﷺ - نائمًا بالعَقِيقِ، فَقِيل: إنّك بالوادي المُبَارَك)...

وفي الحديث: (كان كِمامُ أصحابِ النَّبِيّ -ﷺ- بُطْحًا) أي لازِمَةً بالرَّأْسِ غَيْرَ ذَاهِبَةٍ في الهواء. والكِمام جمع كُمَّةٍ، وهي القَلَنْسُوَةُ).

قُلْتُ: والعامّة سَمَّتِ القَنِّينَةَ المُنْبَسِطَةَ بَطْحَةً، وهي تَسْمِيَةٌ قِياسِيَّةُ الاشْتِقاقِ.

وقُلْت: وفي عامّيّة مصرَ ما هو قريبٌ من هذه المعاني، ففي (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) لعبدالعال.. «نقولُ في دارِجَتِنا: بَطَحَ فلانٌ فلانًا: ضَرَبَه بِحَجَرٍ أو عَصًا فَأَصَابَ جَبْهَتَهُ أو رَأْسَهُ فَشَقَّهُ وأَدْمَاه، وفي القاموس: بَطَحَهُ أَلْقاهُ على وَجْهِه فَانْبَطَحَ...».

قُلْت: وقد سَمِعْتُ من أمثالِ المصريّينَ في حِوارِيّاتِهِم: (الذي على رَأْسِهِ بَطْحَةٌ يَتَحَسَّسُ مِنْها).

ما بَطَّخ ولا تَبَطّخ.. ولا بطّيخ

ممّا يُقال في عامّيّتنا الدّارجة مَجازًا أو كِناية: «ما عنده كذا.. ولا بطّيخ.. ولا يَفْعل كذا.. ولا يُبَطّخ.. أو.. ولا يَتَبَطَّخ..».

فماذا يمكِنُنا أنْ نجد من الأصول اللغويّة لهذا المَجَاز الذي لم أَجِد مَنْ كَتَب عنه شيئًا من بين كتابات الباحثين في فصيح العَوَامّ؟ ولٰكن اسْتَرعَى نظري في (القاموس.. والتاج): ط ب خ: مقلوبًا: «..وتطبّخ الرَّجُلُ: أَكَلَ الطِّبّيخ، كَسِكّين، وهو البِطّيخُ بلغة أهل الحجاز، وفي (الأساس): بلغة أهل المدينة، وقيّده أبو بكر بفتح الطاء»..

وفي: ب ط خ: في المُعْجَم القديم كَمِثْل: (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «وتَبَطَّخَ: أَكَلَ البِطِّيخ. وتقول: التَبَطُّخُ خَيْر من التَبَطُّخ؛ أي: النّزول بمكّةَ خَيْرٌ منه بِخُوارَزْمَ» قلت: ولعل ذلك القَوْل لأنّ مَكّة في بَطْحاء وخُوارزم في ما بَيْن المَباطِخ مَثَلًا!

ولْأَعُدْ إلى: ب ط خ: من بِدايَتِها في أساس الزّمخشريّ: «أَبْطَخَ القومُ وَأَقْثَؤُوا[1]: كَثُرا عِنْدهم. ونَظَر الليثُ إلى قَوْم يأكلون بِطّيخًا فقال:

(١) في طبعة القاهرة سنة ١٩٥٣م (وأَقْثَوا). والمعنى: كثر عندهم البطّيخ والقثّاء.

لمّا رَأيْتُ المُبْطِخِيْنَ أَبْطَخُوْا

فأكلوا منه ومنه لَطَّخُوا

ورأيته يَدُور بَيْن المَطابخ والمبَاطِخ. وتَبَطَّخَ... الخ» اهـ. الزمخشريّ.

والمباطخ جمع المَبْطَخة وهي (مَوْضِع البِطّيخ) كما في القاموس المُحيط، وفيه (وتُضَمّ الطّاء)، وكذلك في (لسان العرب) أيضًا: «والبَطْخُ: اللَّعْقُ. وباطِخ الماء: الأَحْمق. ورجل بُطاخيٌّ، كقُرابيّ: ضَخْم وإِبِل ورجالٌ بَطِخَةٌ، كَفَرِحَةٍ».

ونَقَل الفيّوميّ في (المصباح المُنير) عن ابن السّكّيت في باب ما هو مكسور الأوّل: «تقول: هو البِطّيخ والطِّبّيخ، والعامّة تَفْتَح الأوّل، وهو غَلَط، لِفَقْد فَعّيْل بالفَتْح».

أقول: إذا كانوا يَفْتحون البِطّيخ فتحًا وحقّهم أنْ يَكْسروه، من أوّله، كسرًا؛ فَمِنْ حقّ القارئ عليّ أن أَرْويَ له ظَمَأه إلى مَعْرِفة عَلاقة أهل الشّام قِدْمًا بالبِطّيخ لعلّ ذلك ممّا دفعهم، بعد ذلك، إلى صِياغَةِ هذه الكِناية المَجازيّة: (يتبطّخ، أو لا يُبْطِّخ، ولا بطّيخ).. ذلك أنّه وَرَد في كتاب (القراءات واللهَجَات) (ص١٠٩) لعبدالوهّاب حمّودة (ط. القاهرة سنة ١٩٤٨م): «كان أهل الشّام يقرؤون (إبراهام) بألِف في مَواضع دُون مَواضع (وهي لغة أهل الشّام قديمًا) ثمّ تركُوا القراءة بالألف وقرؤوا جميع القرآن بالياء... فَرَوَوا أنّه قيل لِمالِك بن أَنَس: إنّ أهل دمشق يقرؤون (إبراهام). فقال: أهل دمشق بِأكل البِطّيخ أبْصَرُ منهم بالقِراءة. فَقِيْل: إنّهم يدّعون قراءة عُثْمان. فقال مالك بن أَنَس: ها مُصْحَف عثمانَ عندي. ثمّ دَعا به فإذا فيه كما قَرَأ أهلُ دمشق...». وعلّق الأستاذ سعيد الأفغاني في الحاشية في ص٢٩ من كتابه (في أصول النّحو) (ط. دمشق ١٩٥١): «فَثَبَت أنّ بَصَر أهل دِمَشْق بالقراءة لا يَقِلّ عن بَصَرِهم بِأَكْلِ البِطّيخ». وأيضًا أَسْتَطْرِد فأقول:

واسم البِطّيخ في الْجزائر: الدَّلّاع، وهو اسْم فَصيح وارِدُ في المُعْجَم[1] القديم ولٰكنّ البِطِّيخ الأَصْفر يُكنون عنْه مُبْتَسِمين بكناية (المَرْحوم)!

بَعْبَعَ.. والبُعْبُع

في دمشقَ كما في لبنانَ ومصرَ يَرِدُ هذانِ اللّفظانِ كما كَتَبَ لفظَهما ومعناهُما كُتّابُ فِصاحِ العامّيّةِ؛ فقد كَتَبَ الأميرُ شكيبُ أرسلانَ في: (القولُ الفصلُ في ردّ العامّيِّ إلى الأصلِ):

«ويقولون (بَعْبَعَ) لِمَنْ يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ غليظٍ أَشْبَهَ بأصواتِ الوحوشِ، وقد يأخذونَ منه اسْمًا هو (البُعْبُعُ) بضمِّ الباءَيْن: الأولى والثّانيةِ، ويَعنون به شيئًا مُخِيفًا يُخَوِّفون به الأَطْفالَ. والحقيقةُ أنّ بَعْبَعَ تأتي في اللُّغةِ حِكايةً للأصواتِ التي تشبهُ لَفْظَهَا، وإنّها تأتي بمعنى مُتابَعةِ الرّجُلِ كَلامَهُ في عَجَلَةٍ، وهي هنا من الشّقّ الأوّل».

و: د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (مُعْجَمِ الألفاظِ العامّيّةِ ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العربيّة): «بَعْبَعَ: نقولُ في دارِجتِنا: بَعْبَعَ فلانٌ في النّهايةِ بكلِّ ما في قلبِهِ: باحَ بما كانَ يُخفيهِ من سِرٍّ بعد ضَعْفِ نَفْسِهِ عن الكِتْمانِ، وانْهزمَ تبعًا لما يُحيطُهُ من أحداثٍ، ونَقُولُ: لم يَحْتَمِلْ فلانٌ عملَهُ فَبَعْبَعَ: صَرَّحَ بِعَجْزِهِ وانْهزامِهِ، وهي مقلوبُ: عَبْعَبَ. وفي القاموس عَبْعَبَ: انْهَزَمَ».

وكذلك يقول د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في:

(١) انظر للمؤلّف في مجلّة (التراث العربي) العدد ٢٧/٢٨ بعنوان: (فصاح العامة في الجزائر) ص/٢٠١.

«بُعْبُعْ: نقول في دارِجتِنا: البُعْبُعُ شخصيَّةٌ وَهْمِيَّةٌ نُخِيْفُ بها الأَطْفالَ، وَيُقَرِّبُها إلى أذهانِهم ما يَصْطنِعُهُ أولياءُ الأمورِ من أصواتٍ غريبةٍ مُنْكَرَةٍ تَصْدُرُ عنهم، ويَسْمَعُها الأطفالُ فيصدِّقون خُرافَةَ البُعْبُعْ».

قال الخليلُ بنُ أحمدَ في (كتاب العَيْنِ) ٣٢: «البَعْبَعَةُ صَوْتُ التَّيْسِ والبَعْبَعَةُ حِكايةُ بعضِ الأصواتِ».

أمّا لَدى أحمد أبو سعد في ص٢٤٦ من (قاموس المُصْطَلحاتِ والتّعابيرِ الشّعبيّة) في لبنان:

«بِعْباعٌ: كثيرُ الصّراخِ. منَ البَعْبَعَةِ ومَعْناها في الأصل: العَجَلَةُ في الكلام بِتَتالٍ وثَرْثَرةٍ، وهم طوّرُوا الدَّلالةَ. مؤنّثهُ بَعْباعة، وَالْجَمْعُ بَعْباعِين [كذا ذكرها بالياء].

بِعْبُع: حَيَوانٌ وَهْمِيٌّ يُخَوَّف به الأولادُ؛ (مأخوذٌ من كلمةِ بوبو القِبْطِيَّةِ وهي اسْم لِعِفْرِيْتٍ مِصْرِيٍّ قديم، مُعْجم عطيّة ٣١) يقابله في الفصحى: الضَّبَغْطَى».

وفي (لسان العرب) لابن منظور: «..والبَعْبَعُ: صَوْتُ الماء المُتَدارِكِ، قال الأَزْهريُّ: كأنَّهُ أرادَ حكايةَ صوتِهِ إذا خرجَ من الإناءِ ونحوِ ذلك. وبَعَّ الماءَ بعًّا إذا صَبَّهُ؛ ومنه الحديث: (أَخذها فَبَعَّها في الْبَطْحاء)، يَعْني الخمر صبّها صَبًّا. والبَعاعُ شِدّة المَطَرِ.. وبَعَّ المَطَرُ من السَّحاب: خَرَجَ.. وبَعَّ السَّحابُ يَبَعُّ بعًّا وبَعاعًا ألحَّ بِمَطَرِهِ.

والبَعابِعَةُ: الصّعاليكُ الّذينَ لا مالَ لهم ولا ضَيْعَة...

والبَعْبَعَةُ: حِكايةُ بعضِ الأصْواتِ، وقِيْلَ: هو تَتابُعُ الكلامِ في عَجَلَةٍ.

والبَعاعُ: ثِقَلُ السَّحابِ من الماء. أَلْقت السّحابة بَعاعَها أي ماءَها وثِقَل مَطَرِها؛ قال امرؤ القيس:

وألقى بِصَحْراءِ الغَبِيطِ بَعاعَهُ
نُزولَ اليمانيّ ذي العِيَابِ المُخَوَّلِ».

قُلْت: هذه معانٍ مُتداوَلَةٌ في عامّيّتِنا أيضًا.

وكان شفيق جبري قد كتب عن (البُعْبُع) والبَعبَع، في: (بقايا الفصاح) في (مجلَّة مجمع اللغة العربية بدمشق: في الجزء الثالث من المجلَّد السابع والأربعين ص٥٢٢). فوجد صلة البَعْبَع صوت الماء إذا خرج من الإناء (بالبُعْبُع) صِلةً ضَعيفة «فلم تلتفت العامّة إلى المعنى الفصيح، واسْتَخْرَجَت وَتَصَرَّفت في اللفظ والمعنى».

بَعَتَ وَخَبُتَ

من فِصاح اللهَجَات العامّيّة ما كان قديمًا:

الإبدال من الثّاء تاءً: بعت وخبت

من المعلوم أنّ الثّاء تُبْدَل بها التّاء في عدد من العامّيّات في الشام ومصر، فانْظُر أَصْلَ ذلك في لَهَجَات عربيّة قديمة إذ تجدهم قالوا: بَعَت وخَبُتَ:

قال الصَّغاني في (التكملة..)[1]: «..ويقال: خَبَت ذِكْرُه: إذا خَفِيَ [قال] اللَّيْث: الخِبَيتُ من الأشياء: الحقير الرّديء. وأنشد للسَّمَوْءل:

يَنْفَعُ الطَّيِّبُ القَليلُ مِنَ الرِّزْ
قِ ولا يَنْفَعُ الكَثيرُ الخَبيتُ

قال الأزهريّ: أظنّ هذا تَصْحيفا، والشّيء الحقير الرّديء يُقال له الخَتِيت، بتاءين، وهو

(١) ص ٣١٠ من ج ١ من مُعجم الحَسن بن محمد بن الحَسن الصّغاني المتوفى سنة ٦٥٠هـ: «التكملة والذّيل والصّلة لكتاب تاج اللغة وصِحاح العربيّة [للجوهري]». حقّقه عبدالعليم الطّحاوي: خبير بمجمع اللغة العربية بمصر. راجَعَه: عبدالحميد حسن عضو المجمع. ط. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، في: مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٠م.

بمعنى الخسيس فَصَحَّفَه وجعله خبيثًا. قال الصَّغانيّ مُؤَلِّف هذا الكتاب: أصابَ الليْثُ في الإنشاد وأَخْطَأَ في التّفسير، وأَخْطَأَ ظَنُّ الأزهريّ وقال ابن عَرَفة: أراد الخبيثَ، بالثّاء المُثَلَّثَة فأبدل منها التّاءَ للقافية، كما أبدل منها أيضًا في قوله:

وأَتـانِـي الـيَـقِـيـنُ أَنّـي إذا مـا
مُتُّ أو رَمَّ أَعْظُمي مَبْعُوتُ».

[بالتاء] أ.هـ. الصغانيّ.

[وفي حاشية المحقِّق أنَّ البيت الأوَّل في اللسان، وفي الفائق: ٣٢٦/١ والبيت الثّاني في ديوانه باختلاف في الرّواية، وفي الفائق ٣٢٦/١].

تَجِد هذا النّص يَتداوله مؤلِّفو المعجَمات في نُقولِهم كمثل الزّبيديّ في (تاج العروس..) كما يَتَداولون حَديث أبي عامر الراهب «لَمّا بَلَغَه أنّ الأنصار قد بايَعُوا النبيّ ﷺ تغيّر وخَبُتَ» كما ورد في (النّهاية في غريب الحديث) لابن الأثير، الذي يقول بَعْدَه: «قال الخطّابي: هكذا رُوِيَ بالتّاء المُعْجَمَة بنقطَتَيْن من فوق. يقال رجل خَبِيتٌ أي فاسد. وقيل: هو كالخبيث بالثاء المثلّثة..»[1].

بَعَجَ

المعنى الحقيقيُّ الأصْليُّ لهذا الفعلِ: بَعَجَ يبعجُ ما زالَ كما هوَ في عامِّيّتنا الشّاميّةِ وليسَ في المصريّةِ، لم يتغيَّرْ منه شَيْءٌ.. حتّى مصدر الفعلِ وحرَكَة عَيْنِهِ في ماضيهِ ومُضارعِهِ ومُشْتقّاتِهِ والتي كثيرًا ما تَلْحقُها الأخطاءُ العامّيّةُ، ولم تَلْحقْها في هذا الفِعْلِ..

وإنّما تغيّرَتِ المعاني المَجازِيّةُ العديدةُ التي تغيَّر إليها في خِلالِ مَراحلِ تطوُّرِهِ المُتباعِدةِ المُتطاوِلةِ مع تَطاوُلِ أزمانِ التّطوُّرِ في لغتِنا العريقةِ إلى أنْ قَلَّلَ بعضُ كتّابنا وأهلُ الحداثةِ من الإعلاميّينَ من استعمالِه ظنًّا من (بعضهم) ومن هؤلاءِ وكالعادةِ، بأنَّهُ عامّيٌّ مَرْذولٌ يَحْسُنُ اجْتِنابُه في ظنِّ مُثَقَّفِيهم.

ولْنبدَأْ بالمعنى الحقيقيِّ الأصليِّ الحيِّ المُعَمّرِ من أقدمِ عصورِ لُغَتِنا إلى ألْسِنةِ اليومِ، ثمّ نتأمّلُ في طرائقِ التّطَوُّرِ اللّغويِّ بالمَجازِ والاسْتعارةِ وأساليبِ التّعبيرِ البلاغيّةِ المُخْتَلِفةِ... وهو تَطَوُّرٌ يَسْتحقُّ دراسةً عميقةً لعلّني مُسْتطيعٌ أنْ أبدأَ خُطْوَتَها الأولى ثمّ ألْتمس من القُرّاءِ والباحثينَ أنْ يُوغِلوا فيها حتّى يَسْتخلِصُوا نَظْرةً علميّةً أو نظريّةً في تَطَوُّرِ اللُّغةِ.

وأصلُ المعنى موجودٌ في أيِّ مُعْجمٍ ولٰكنْ يَحْسُنُ أَخْذُهُ من (مقاييسِ اللغةِ) لابنِ فارسٍ لأنَّهُ فارسه ولأنّهُ ابن بَجْدَتِها وَحْدَهُ ولأنّه أَلَّفَ هذا المُعْجَم لهذا الهَدَفِ:

«الباء والعَيْن والْجيم أصْلٌ واحدٌ وهو الشَّقُّ والفَتْحُ، هذا والبابُ الذي ذكرناهُ في الباء والعَيْن والقاف من وادٍ واحدٍ لا يكادانِ يَتَزَيَّلانِ: قال الخليلُ: بَعَجَ بَطْنَهُ بالسِّكّيْنِ، أيْ: شَجَّهُ وَشَقَّهُ وخَضْخَضَه. قال: وقد تَبَعَّجَ السَّحابُ تَبعُّجًا، وهو انْفراجُهُ عن الوَدْقِ..» قال العجّاج:

حَيْث اسْتَهَلَّ المُزْن أو تَبَعَّجا..

وقَبْل أنْ أَمضيَ وأُوغِلَ في الأخْذِ من ابنِ فارسٍ ألاحظُ أنّ قولَه: وقد تبعَّجَ السّحابُ؛ قد أَوْرَدَه الزَّمَخْشَريُّ بنصِّهِ وشاهدِهِ في (أساس البلاغة)

(١) ص ٤ من ج ٢ من كتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر. تأليف: مجد الدين أبي السعادات المبارك ابن محمد الجزري؛ ابن الأثير المتوفّى سنة ٦٠٦هـ. تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي. طبع عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٨٣هـ وسنة ١٩٦٣م.

ولٰكنْ مع المعاني المَجَازِيّةِ. وما أكثرَ ما كُنْتُ أرى الزّمخشريَّ يَعُدّ مَجَازًا ما عَدَّهُ ابنُ فارسٍ المعنى الأَصْليّ.

قال الزّمخشريُّ في (أساسِ البلاغةِ): «..ومن المجازِ: بَعَجَ أَرضَهُ: شقَّها. وبَعَجَهُ حُبُّ فلانةٍ إذا أُبْلِغَ إليهِ. وبَعَجْتُ له بَطْني إذا أفْشَيْتَ إليه سرَّك قال الشَّمَّاخُ:

بَعَجْتُ إليهِ البَطْنَ ثمّ انْتَصَحْتُه
وما كلُّ مَنْ يُفْشَى إليه بِناصِحِ

أيْ اسْتَنصَحْتُه. وبَعَجَتِ الأَرضَ عَذَاةٌ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ: تَوَسَّطَتْها.

وقال أعرابيٌّ: أرضٌ بعجَتْها العَذَوَاتُ وحَفَّتْها الفَلَوَاتُ؛ فلا يَمْلَوْلِحُ ماؤُها، ولا يُمْعِرُ جَنابُها. وَبُعِجَتِ الأَرْضُ آبارًا: حُفِرَتْ فيها آبارٌ كثيرةٌ. وفي الحديث: (إذا رَأَيتَ مَكَّةَ بُعِجَتْ كَظَائمَ وسَاوَى بِنَاؤُها رؤوسَ الْجِبالِ فاعْلَمْ أنَّ السّاعةَ قد أظلَّتْ) وتبعَّجَ السّحابُ: انفرَجَ عن الوَدْقِ.

وانْبَعَجَت دُفْعَةً من مَطَرٍ، وانْبَعَجَ عَلَيَّ بِالكَلامِ، ودَفَقَتْ مَباعِجُ الوادي وبَواعِجُهُ وهي مُتَّسَعاتُهُ التي يَتَبَعَّجُ فيها السَّيلُ.».

وأَنْتقي الآنَ من ابنِ منظورٍ في (لسان العرب):

«بَعَجَ بطنَهُ بالسِّكينِ يَبْعَجُهُ بَعْجًا، فهو مَبْعُوجٌ وبَعِيجٌ، وبعَّجَهُ: شقَّهُ فزالَ ما فيهِ من مَوْضِعِهِ وبَدا مُتَعَلِّقًا. وفي حديث أُمِّ سُلَيْم: (إنْ دنا مِنّي أحدٌ أَبْعَجْ بَطْنَهُ بالخِنْجَرِ) أيْ: أَشُقُّ، قال أبو ذُؤَيب:

فذلك أَعْلَى مِنْكَ فَقْدًا لأَنّه
كريمٌ، وَبَطْني بالكرامِ بَعِيجُ

ورجلٌ بَعِيجٌ مِنْ قومٍ بَعْجَى، والأُنثى بعيجٌ، بغير هاء، من نِسْوةٍ بَعْجَى، وقد انبَعَجَ هو، وبطنٌ بَعِجٌ: مُنْبَعِجٌ؛ أراه على النّسب. وامرأةٌ بَعِيجٌ أي بَعَجَتْ بطنَها لزوجِها ونَثَرَتْ. ورجلٌ بَعِجٌ: ضعيفٌ، كأنّه مَبْعُوجُ البَطْنِ مِنْ ضَعْفِ مَشْيِهِ والانبِعاجُ: الانشِقاقُ.

وتقولُ: بعجَهُ حُبُّ فلانٍ إذا اشْتَدَّ وَجْدُهُ..

يُقالُ: بَعَجَ بطنَهُ بالسّكِّينِ إذا شقَّهُ وخَضْخَضَهُ فيهِ، قال الهُذَليّ:

كـأَنَّ ظُبـاتِـهـا عُـقُـرٌ بَـعِـيـجُ

شَبّه ظُباتِ النِّصال بنارِ جَمْرٍ سخِيّ فَظَهَرَتْ حُمْرَتُه، يُقالُ: اسْخُ النّارَ أي افْتَحْ عَيْنَها. وفي الحديثِ: إذا رأيْتَ مكّة قد بُعِجَتْ كظَائمَ، وساوَى بناؤُها رؤوسَ الْجبالِ، فاعْلَمْ أنّ الأمرَ قد أَظَلَّكَ؛ بُعِجَتْ أيْ شُقَّتْ، وفُتِحَتْ كظَائِمُها بَعْضُها في بعضٍ، واسْتُخْرِجَ منها عيونُها.

وبَعَجْتُ بَطْني لفلانٍ: بالَغْتُ في نصيحتِهِ؛ أي نُصحِي لهم مُبْذُول.

إنّ ابنَ حَنْتَمَةَ بَعَجَتْ له الدُّنيا مِعَاها. هذا مَثَلٌ ضَرَبَهُ؛ أرادَ أنّها كَشَفَتْ لهُ عمّا كانَ فيها من الكُنوزِ والأمْوالِ والفَيْءِ، وحَنْتَمَةُ أُمُّهُ. وفي حديثِ عائشةَ، رضي اللهُ عنها، في صِفَةِ عُمَرَ، رضي الله عنه: بَعَجَ الأرضَ وبَجَعَها أيْ شقَّها وأذلَّها؛ كَنَّتْ بهِ عن فتوحِهِ. وتَبَعَّجَ السّحابُ وانْبَعَجَ بالمطر.

وتَبَعّجَتِ السّماءُ بالمطرِ، وكلُّ ما اتّسَعَ فقد انْبَعَجَ.

وباعِجَةُ الوادي: حيثُ ينبعِجُ فيتَّسِعُ. والباعِجَةُ: أرضٌ سَهْلَةٌ تُنبِتُ النَّصِيَّ؛ وقِيل: الباعِجَةُ آخِرِ الرَّمْلِ، والسُّهولةُ إلى القُفِّ. والبَواعِجُ: أماكنُ في الرَّمْلِ تَسْتَرِقُّ، فإذا نَبَتَ فيها النَّصِيُّ كانَ أرقَّ له وأَطْيَبَ؛ وقال الشّاعرُ يصفُ فَرَسًا:

فأَنى له بالصَّيْفِ ظِلٌّ باردٌ،

ونَصِيٌّ باعِجَةٍ ومَحْضٌ مُنْقَعُ

وبَعَجَهُ الأَمْرُ: حَزَبَهُ». ا.هـ. ابن منظور.

قُلْتُ: كلُّ هذهِ المعاني المَجَازيّةِ في العصورِ القديمةِ ما زالَتْ حيّةً لَدَيْنا وأضافَتْ إليها عامّتُنا ما يُمْكنُنا أنْ نُلِمَّ به من (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) وفيه يقولُ أحْمدُ رضا: «..تَبَعَّجَ فُلانٌ: بمعنى: تَجَشَّأَ عن بِطْنَةٍ أو كِظَّةٍ.. وانْبَعَجَ من كثرةِ ما أكلَ؛ أيْ: كادَ يَنْفَطِرُ بَطْنُهُ.. تقولُها العامّةُ على الاسْتعارةِ.. أو: جاءَ في اللغةِ: بَجِعَ بَجَعًا إذا أكثَرَ منَ الأكلِ. والعامَّةُ قَلَبَتْ».

قُلْتُ: وهلْ فَضّلَ الآخرونَ القَلْبَ أم الاسْتعارةَ؟ فلم أجدْ شيئًا لدى د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال ولا لدى أحمد أبو سعد، وكلّ ما وَجَدْتُه لَدى أرسلان: «بَعَجَ: بمعنى شَقَّ فصيحٌ». وَوَجَدْتُ نفسي أقول: الاسْتعاراتُ والبلاغيّاتُ القديمةُ لهذا الفِعْلِ كثيرةٌ، فلْنَقْبلْ اسْتعارةً أُخْرَى مِنَ المُحْدَثِيْنَ..

أمّا القَلْبُ الذي تحدّثَ فيه أحمد رضا في ب ع ج وأيضًا في ب ج ع حَيْث قال في حاشية: بَجِعَ يَبْجَعُ بَجَعًا: «والعامّة تقولُ: انْبَعَجَ مِنْ كَثْرَةِ الأكْلِ». فقد أَوْحَى في قَوْله، وكَأَنَّ العبارةَ العامّيّةَ: انْبَعَجَ، ليسَتْ فصيحةً. مع أنّه يَرْويها مع الفصيح في ب ع ج.

بَعَّدَ واسْتَبْعَدَ الأَبْعَدَ

في الحديث الشّريف: «أنّ رجلًا قال للرّسول - ﷺ-: إنّ الأَبْعَدَ قد زَنَى». وقد أَوْرَدَ ابْن منظور في (لسان العرب) هذا الحديث في ب ع د، ومن المعروف عند عُلَماء اللغة أنّ كلًّا منه ومن الزّبيديّ مُؤَلِّفِ مُعْجَم (تاج العروس من جواهر القاموس) قد احْتَوَيا كِتَابَ ابْن الأثير (النّهاية من غريب الحديث والأثر)، وقد أَخَذا من شُروحه، وقد شُرِح الأَبْعَد بأنّه «المُتَبَاعِدُ عنِ الخَيْرِ والعِصْمة» قُلْت: كذلك مَعْنى الأَبْعَد في عامِّيّتنا، وكذلك في عامّيّات لُبنان ومِصر كما في مَعاجِمها؛ فمَثلًا: الأستاذ أحمد أبو سعد أصدر في بيروت (مُعْجَم فصيح العامّة) سنة ١٩٩٠ وله (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) سنة ١٩٨٧. وقد أشار في (فصيح العامّة) إلى هذه الكناية الشّعبيّة عن الذّمّ: (الأَبْعَد). وكتب عنها الأستاذ محمَّد خليفة التّونسيّ في (كتاب العربيّ) العدد التّاسع: (أضواء على لغتنا السّمحة) أوكتوبر سنة ١٩٨٥م. الصفحة ٥٤.

وقُلْتُ: وفي عامّيّة مِصْر إذْ ذَكَرَها د. عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة). كما ذَكَرَ اسْتِعْمالَهم الفِعْلَيْن: بَعَّدَ بمعنى أَبْعَد وكذلك: اسْتَبْعَدَه بمعنى عَدَّه بعيدًا كما يُسْتَعْملان في عامّيّة الشّام أيضًا، وكما وَرَدَ في (القاموس المُحيط) وغيره من كُتُب اللغة..

وفي دمشق يَجْمَعون الأَبْعد على البُعَداء (أو بالتّخفيف في الهمزة بعد الألِف المَمْدودة: البُعَدا). وهو جَمْع وَارِد في (لسان العرب) جَمْعًا لِبَعيدٍ وبُعادٍ مَنْسوبًا إلى سِيْبَوَيْه.

وأُضِيْف من (اللسان) قَوْلهم للْمَرأة: (هلكت البعدى) عن النّضر، ولم يوافق الأزهريّ في (تهذيب اللغة) على التّأنيث.

وفي أساس البلاغة للزّمخشريّ: «..وأَبْعدَ الله الأَبْعَد و(مَثَل العالِم كَمَثَلِ الحَمَّةِ يَأْتيها البُعَداء ويَتْركها القُرَباء). وأَبْعَدَ في السَّوْم: أَشَطَّ فيه».

قُلْتُ: وهذه الْجُمْلَة: «أَبْعَدَ في السَّوْمِ أَشَطَّ فيه» يُقال مِثْلُها في عامِّيّتِنا؛ إذ يَقُولها لك البائِعُ إذا

ساوَمْتَهُ فَأَبْعَدْتَ وشَطَطْت في السَّوْمِ وبَخَسْت الثَّمن وماكَسْتَه في البَيْع مِكاسًا أَبْعَدْت فيه عمّا اسْتامَك من الثّمن.. وعِنْدَئذٍ قد يَقول: إنّك كاسَرْتَه في السِّعْر مُكاسَرةً تَشْتطّ فيها بعيدًا عن السِّعْر الحقيقيّ..

بَعْزَق

أَمِنَ الفِصاحِ في مِصْرَ والشّام؟

وفي مُسَلْسَلاتِهم: (العُمْر مشْ بَعْزَئَة)... وفي عامّيّتنا الشّاميَّةِ أيضًا: البَعْزَئَة: التَّبْديدُ والتَّبْذيرُ لِلْخَيْراتِ على قِلَّةِ فائدةٍ.. ومعروفٌ أنَّهم يُبْدلونَ القافَ بالهمزةِ في دمشقَ والقاهرةِ.. ولٰكنْ لم أجدْها في مصدرٍ بالهمزة..

ولم أجدْ في (لسان العرب) ب ع ز ق ولٰكنْ وجدْتُ فيه ب ع ث ق: «البَعْثَقَةُ: خروجُ الماءِ من غائلِ حَوْضٍ أو جابيةٍ.

وتَبَعْثَقَ إذا انكسَرَتْ منهُ ناحيةٌ ففاضَ منها، والله أعلم». ا.هـ.

قلْتُ: وهكذا البَعْثَقَةُ وتَبَعْثَقَ في (القاموس المحيط).

ولٰكنّ (القاموس المحيط) يورد في: ز ع ب ق: «زعبقَ القومَ والشّيءَ فَرَّقَهُ وبَدَّدَهُ كَبَعْزَقَهُ» بعد أنْ يُورد (القاموس..) في: ب ع زق: «بَعْزَقَ الشّيءَ: زَعْبَقَهُ».

وفي عَصْرِنا كَتَبَ محمّدٌ العَدْنانيُّ في (مُعْجَم الأغلاط اللغويّة المُعاصِرة):

بَعْزَقَ:... أَهْمَلَهُ الصِّحاحُ والمقاييسُ والأساسُ والمُختارُ واللسانُ والمصباحُ والقاموسُ والمدُّ: [يقصد مدّ القاموس الذي أَلَّفَهُ المُسْتَشْرِقُ إدوار وليم لَيْن] وَيُفَصِّحُهُ العدنانيُّ الذي لم يَجِدْهُ في (القاموس..) وَوَجَدْتُهُ فيه، لأنّه وَجَدَهُ فيما: «ذَكَرَهُ ابنُ عَبّادٍ، والتّاج، ومحيط المحيط، وأقرب المَوارد، والمَتْن، والوسيط، والتَّكْمِلَة للصّغانيّ الذي قال: (تَبَعْزَقْنَا النِّعَمَ تَقَسَّمْناها)».

قُلْتُ: والعَدْنانيُّ يَذْكُرُ أَنَّ مُؤَلِّفَ (المَتْنِ) أيْ مُعْجَم مَتْن اللغة وهو أحمد رِضا العامليّ مِمَّنْ ذَكَرُوا: بَعْزَقَ، ولٰكنّي وجدْتُ العامليَّ في: (رَدّ العامّيّ إلى الفَصيح) يقولُ في: تَبَعْزَقَ: وهو في الفصيح: تَبَعْثَقَ... وإبدالُ الثّاء زايًا هنا لأنّ الزّايَ أختُ السّينِ، وجَعْلُ الثّاءِ سينًا سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ في أكثرِ المُدُنِ الشّاميّةِ والمصريّةِ وقد سَمِعْتُها من جَهابِذَةِ الأُدَباءِ في البَلَدَيْنِ وهم لا يَتَحرّجون من هذا الإبدالِ في خُطَبِهم لجَريانِ أَلْسِنَتِهم عليه.

قُلْتُ: فالإبدالُ يَجْتَذِبُ أحمد رضا فَيَحْصُر البَحْثَ فيه..

أمّا د. عبد المُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) فهو يُقَرِّرُ (القَلْبَ) فيقولُ: (وهي مقلوبُ زَعْبَقَ).

وفي (محيط المحيط) لبطرس البستانيّ، والمُنجد للويس معلوف: «بَعْزَقَ القومَ والشّيءَ فَرَّقَهُ وبَدَّدَه كَزَعْبَقَهُ». ويُضيف (..الوسيط) مُعْجَم مَجْمَع مصر ط٢ «وَتَبَعْزَقَ: تَفَرَّقَ».

ويُلاحِظُ الأميرُ شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأَصْل): أَنّها من فصيحِ العامّيّ في مصرَ والشّامِ و«أمّا في طرابلسَ فيقولونَ بَزْعَقَ».

البُعاق والانْبعاق

عامّتنا تَسْتبدل بالقاف همزة، ولا تُغيِّر شيئًا من المعنى التُّراثيِّ الفصيح: شِدَّة الصّوت..

وفي (لسان العرب) لابن منظور:

«البُعاق: شِدَّة الصّوت، وقد بَعَق الرَّجُل وغيرُه

وانْبعق وبَعَقتِ الإبِل بُعاقًا. والباعق: المُؤَذِّن وقد بَعَقَ... والباعق: المَطَر يُفاجئ بِوابِل..

وانْبَعق الشَّيْءُ انْدَرَأَ مُفاجأةً وأنت لا تَشْعر مِنْ حَيْث لا تَحْتَسِبُه وفي الحديث: (إنّ الله يَكْره الانْبِعاق في الكلام، فَرَحِم الله امْرَأً أَوْجَزَ في كلامه)؛ أيْ: التَّكَثُّرُ منه والتَّوَسُّعُ فيه، ويُروى: (.. التَّبَعُّق في الكلام)...

وبَعَقَ النّاقةَ: نَحَرَها وأَسَال دَمَها.

والبَعْقُ: البَعْجُ؛ الشَّقّ».

وقريب من هذا ما وجدته في (القاموس المحيط)، وفي (تاج العروس من جواهر القاموس).

التبغيل

لا يُمْكِنُنا أنْ نَتَجاهَلَ في الدِّراساتِ اللُّغويّةِ سيِّئاتِ الكَلامِ الشَّتّام... فمثلًا في دمشق يُقالُ (فلانٌ مُبَغِّلٌ فمن أين لهُ هذا التَّبْغيل؟) وواضحٌ أنّهم يُبالغونَ في الشَّتمِ فَيَسْتَعملونَ الفِعْلَ المضعَّفَ بَغَّلَ، اسْتِعْمالًا مَجازيًّا، ومِثْل هذا وَارِدٌ في (لسان العرب). وقد أشارَ أحمد أبو سعد في ص٣٤٥ إلى تَشْبيهِ الإنسانِ الحَقودِ الغَضوبِ ذي التَّصرُّفِ السَّيِّئِ بالْبَغْل، هذا الحَيَوانُ الذي أمُّهُ فَرَسٌ وأبوه حِمارٌ، ولٰكنْ لم يذكرْ اسْتِعْمالَ الفِعْلِ بَغَّلَ والتَّبْغيل، وهي من فِصاحِ العَوامِّ وقد أجادَ فيها الزَّمخشريُّ في (أساسِ البلاغةِ): «البَغْلُ نَغْلٌ وهو لذلك أهلٌ، وفُلانة أَعْقَرُ من بَغْلة. وطريقٌ فيه أبوالُ البِغالِ؛ إذا كان صَعْبًا.

ومِنَ المَجَاز: يَقول أَهْلُ مِصْرَ: اشترى فلانٌ بَغْلَةً حَسْناءَ، يُريدون الْجَارِيَةَ. وفي بَيْتِ فُلانٍ بِغالٌ كثيرٌ... ونَكَحَ فُلانٌ من بني فُلانٍ فَبَغّلَ أولادَهم وبَغَّلْتَ في المَشْي: بَلَّدْتَ وَأَعْيَيْتَ. وَبَغُلَ بُغولَةً إذا بَلُدَ. وهو من الثّورِ أَبْغَلُ، ومن الْحِمَار أَنْغَلُ..».

وفي (لسان العرب):

«البَغْلُ: هذا الحَيَوانُ السَّحّاج الذي يُرْكَبُ... والبَغّال صاحبُ البِغالِ.. وَنَكَحَ فيهم فَبَغَلَهُم وَبَغَّلَهُم: هَجَّنَ أولادَهُم. وتزوّجَ فلانٌ فلانةً فَبَغَّلَ أولادَها إذا كانَ فيهم هُجْنَةٌ، وهو من البَغْلِ لأنّ البَغْلَ يَعْجَزُ عن شَأْوِ الفَرَسِ. والتَّبْغِيْلُ مِن مَشْيِ الإبِلِ: مَشْيٌ فيه سَعَةٌ، وقِيْل: فيه اخْتلافٌ واخْتلاطٌ بَيْنَ الهَمْلَجَةِ والعَنَقِ، قال ابنُ برّيّ؛... وأَنْشَدَ لأبي حَيَّةَ النُّمَيْرِيّ:

نَضْحُ البَرِيّ وفي تَبْغيلها زَوَرُ

وأنشدَ للرّاعي:

وإذا تَرَقَّصَتِ المَفَازَةُ غادَرَتْ
رَبِذًا يُبَغِّلُ خَلْفَها تَبْغيلا

وفي قصيد كَعْب بنِ زُهَيْر:

فيها على الأيْنِ إرْقالٌ وَتَبْغِيلُ

وهو تَفْعيل من البغل كأنّه شبّه سَيْرَها بِسَيْر البَغْل لِشِدَّتِهِ». ا.هـ. ابن منظور.

بَغَىٰ البَغْو

الثَّمَرَةُ البَغْوَةُ، في عامّيّة دمشقَ، بمعناها ذاته في المُعْجَم العربيّ القديم والحديث وفي ص٥٣ من: (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأَصْل) أنّها تُقال في مصر والشّام وفلسطين وطرابلس، كما ورد في (لسان العرب):

«..والبَغْوَة: الثَّمَرَةُ قَبْلَ أنْ تَنْضَجَ. وفي التّهذيب: قَبْل أَنْ يَسْتَحْكِمَ يُبْسُها والْجَمْعُ بَغْوٌ..».

والفِعْلُ بَغَىٰ شيئًا يَبْغِيه؛ أي: طَلَبَه؛ فهو بُغْيَتُه: تَجِدُهُ مُسْتَعْمَلًا في عامّيّات عربيّة عديدة ولا سيّما في الأرْياف والبَراري.. كما في أَرْياف الْجَزائر..

وفي (لسان العرب):

«..بَغَى الشيءَ، ما كان: خيرًا أو شرًّا، يَبْغيه بُغاءً وبُغًى..

... والبُغْيَةُ: الْحَاجَة. الأصمعي: بَغَىٰ الرّجل حاجَتَه أو ضالَّته يَبْغيها بغاءً وبُغْيَةً وبُغايةً...

.. فالبِغْيَة مِثْل الجِلْسَة التي تَبْغيها. والبُغْيَة الحاجَة نَفْسُها».

... الأصمعيّ: ويُقال: ابْغِني كذا وكذا أي اطْلُبْه لي، ومعنى ابْغِني وابْغِ لي سَوَاء....

وفي (أساس البلاغة) شاهد لِرُؤْبَة:

واذْكُرْ بِخَيْرٍ وابْغِني ما يُبْتَغَىٰ

أيْ اصْنَعْ بي ما يَجِبُ أنْ يُصْنَعَ

وفي (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) يقول د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال: «نَقُولُ في دَارِجَتنا: فُلان له بُغيَةٌ في كذا: له فيه غَرَضٌ وَرَغْبَةٌ...».

بَقَىٰ : بَقِي

من بَقِيَّةِ اللَّهَجَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ في فِصاحِ العامِّيَّةِ (لغةُ قبيلةِ طيّء): بقَىٰ.

وَعِنْدَنا في الشّامِ كما في اللَّهَجَاتِ العربيَّةِ الأُخرى. يَفْتَحونَ الحَرْفَ الثّانيَ (عَيْن الفعل: بَقِيَ) فيقولون: بَقَىٰ - يَلْفُظُونَ القافَ همزةً أوْ قافًا بِحَسبِ لَهَجاتِ المَناطِقِ - وكذلكَ هيَ في لَهَجاتٍ عربيّةٍ أُخرى كالمصريّة.. والمُعْجَمُ العَربيُّ القديمُ يَنُصُّ عليها، ولْكنْ يُهْمِلُها المُعْجَمُ الحديثُ، (كالوسيطِ) مُعْجمِ المَجْمَعِ أمّا (القاموسُ المحيطُ) مثلًا، فيقولُ: «بَقِيَ يَبْقى بَقاءً وَبَقىٰ بَقْيًا: ضِدّ فَنِيَ وأَبْقاهُ وَبقّاهُ وَتَبَقّاهُ واسْتَبْقاهُ، والاسْمُ البَقْوَى كدَعْوَى ويُضَمّ والبُقْيا بالضَّمِّ والبَقِيَّةُ..» أَرَدْتُ من هذا الاسْتِطْرادِ أنْ أقولَ إنَّ أغلبَ ما في عامِّيَّتِنا من مادّة هذا الْجَذْرِ: ب ق ي من فِصاحِ العامّيّةِ:

قالَ زَيْد الخيل الطّائيّ:

فَرُدُّوْا عَلَيْنَا ما بَقَى مِنْ نِسائِنا

وأَبْنائِنا، واسْتَمْتِعُوا بالأَبَاعِرِ

وبَقَىٰ: بَقِيَ، لُغةُ طَيِّئ. أُنْظُرْ شَرْحَ أبياتِ سِيْبَوَيْهِ للسِّيرافيِّ ٢ :٢٧٨.

وقد كَتَبَ عنها الأميرُ شكيبُ أرسلانَ في (القولُ الفصلُ في ردِّ العامّيِّ إلى الأصلِ) ولم أَجِدْها لَدَى د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال؛ مع أنّي أَسْمَعُ في المُسَلْسَلاتِ المصريّةِ.. بَقَىٰ كِدَه وأَظُنُّ كِدَه أصلُها كَذَا!.

البَكْبَكَة

كأنّ عوامّنا قد غَيَّروا في معنى البَكْبَكة.. وكأنّي أَسْمَعُهم يَسْتَعْمِلُونَها دونَ أَنْ يُدَقّقوا في إدراكِ حقيقةِ معناها، لأنّي أسْمعُها في مرّاتٍ مُتخالِفةٍ من قائِلِين مُخْتَلِفي التّعبير والتّفسير... ولذلك أَظُنُّ أنّها بَقِيَتْ على أَلْسِنَتِهم على قِلَّةٍ في اسْتِعْمالِها حتّى إنّي أَتَخَيَّلُ قُرّاء لم يَسْمَعُوها فَيَسْتَنْكِرُون أنْ أدّعي عامّيّتها.. ولٰكن يَتَذَكّرون أنّ في العامّيّة أو العامّيّات من التّفرُّق والتّنوُّعِ كمِثْل ما جَعَلَني أُفَاجَأ بِلَفْظَةِ (الفادار) في عامّيّةِ حيّ صديقي أستاذ العربيَّة الدمشقي بمعنى المِيْرَة أو التّموين الاحْتياطيّ المَخْبُوء من زَمَن إلى زَمَن.. وأنا لمْ أسْمع بها طَوال نِصْف قَرن، كما ذكرت.. ولم أَجِدْها في مَصْدر أو مَرْجِع..

ولذلك فإنّني أظنّ من المُفيد أنْ أبدأ بعرضِ ما قالَه أحمد رضا العاملي في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) في ب ك ب ك:

«يقولون: تَبَكْبَكَ له وتَبَكْبَكَ حَوْله، إذا ضَرَعَ له

في الطَّلَبِ واسْترحم بِرقّةٍ واسْتِعْطافٍ. وفي التّاج: البَكْبَكَةُ حنينُ النّاقةِ وصَوْتُها، وقال الليث: البَكْبَكَةُ شَيء تَفْعَله العَنْز بِوَلَدِها ولعلّه مِنْ نَحْو الصّوت والْحَنِين. وبَكْبَكَةُ الضّارِع تكون بما يُشْبهُ هذا الصّوت.

وَجَاء في اللغة: بَكَّهُ يَبُكُّهُ بَكًّا: ردَّ نَخْوَته ووضعه، فَتَبَكْبَكَ أي اتّضَع وارتدّت نَخْوَتُهُ. أقول: وهذه حال الضّارِع المُتَبَكْبِك فَتكونُ مِنْ بَكَّ، وجاءَ التّضعيف للتّكرار كما في: صَرَّ البازيُّ وَصَرْصَرَ». ا.هـ. العامليّ.

قُلْتُ: أَسْمَع مثلَ هذهِ المعاني لِلْبَكْبَكَةِ.. وأَسْمَعُ أحيانًا مَعاني أخرى.. ولم أَجِدْها لدى أرسلان ولا أبي سعد ود.عبدالمنعم سيّد عبدالعال.

فَأَعُود إلى مَصَادر التّراث وأَتَخَيَّرُ من ابن منظور في (لسان العرب): «ب ك ك: البَكُّ: دَقُّ العُنُق. بَكَّ الشّيءَ يَبُكُّهُ بَكًّا: خَرَقَهُ أو فَرَّقَهُ. وَبَكَّ فلان يَبُكُّ بَكَّةً؛ أي زَحَم. وَبَكَّ الرّجلُ صَاحِبه..: زاحَمَه أو زَحَمَه..؛ وقال: ابن دريد: كأنّه من الأضْداد؛ يَذْهب في ذلك إلى أنّه التّفريق والازْدِحَام؛ وكلّ شَيْء تراكبَ فقد تباكّ.. وفي الحديث: (فَتَبَاكَّ النّاسُ عليه) أي ازْدَحَموا. والْبَكْبَكَةُ: الازْدِحَام، وَقَدْ تَبَكْبَكُوا.

وَبَكْبَكَ الشّيءَ: طَرَحَ بَعْضَه على بَعْضٍ كَكَبْكَبَهُ. وَجَمْعٌ بَكْبَاكٌ: كَثيرٌ. وَرَجُلٌ بَكْبَاكٌ: غليظ.. وقيل القَصِير..

والبُكُك: الأَحْداث الأَشِدّاد.. والْحُمْرُ النّشيطة.. ويقال: بَكَكْتُ الرَّجُلَ: وَضَعْتُ منه وَرَدَدْتُ نَخْوَتَهُ، ذكره ابن برّي في ترجمة رَكَك.. وَبَكَّةُ: مَكَّةُ سُمّيت بذلك لأنّها كانت تَبُكُّ أَعْناق الْجَبابرة إذا أَلْحدوا فيها بِظُلْمٍ، وقِيل: لأنّ النّاس يَتَبَاكّون فيها مِنْ كلّ وَجْه؛ أيْ: يَتَزاحَمون، وقال يعقوب: بَكَّهُ ما بَيْن جَبَلَيْ مَكَّةَ لأنّ النّاس يَبُكُّ بعضُهم بعضًا في الطّوافِ، أيْ يَزْحم....

... وبَكَّ الشّيءَ: فَسَخَه.. وبكّ الرّجُلُ: افتقر. وبَكَّ إذا خَشُنَ بَدَنُه شجاعةً. ويُقال لِلْجارِيَةِ السّمينةِ: بَكْباكَة وكَبْكابَةٌ وَوَكْواكَةٌ وَكَوْكاةٌ وَمَرْمارَةٌ وَرَجْراجة.

والأَبَكُّ: العام الشّديد لأنّه يَبُكُّ الضعفاءَ المُقِلّين...

...والبَكْبَكَةُ شَيْءٌ تَفْعَلُهُ العَنْزُ بوَلَدِها: والبَكْبَكَةُ: المَجِيْءُ والذَّهابُ..

أبو عبيد: أَحْمَقُ باكٌّ تاكٌّ وبائِك تائِك، وهو الذي لا يدري ما خَطَؤُه وَصَوَابُهُ». اهـ. ابن منظور.

قُلْت: أترى كَثْرةَ اسْتِعمالاتِ البَكّ والبَكْبَكَة؟ وتَنَوُّع هذه الاسْتِعْمالات في قديمِ الفصيح حتّى قال ابن دُريد: «كأنّه من الأَضْداد»؟!

أمّا ابن فارس في مقاييس اللغة فيرى أنّه «أَصْل يَجْمَع التّزاحُمَ والمُغَالَبَة»!

بَكَتَهُ

في عامّيّة الشّامِ: بَكَتَهُ: ضَرَبَهُ فَنَثَرَ أَجْزاءَه نَثْرًا، أو بَعْثَرَهُ. وَبَكَتَ الكِيْسَ الذي كانَ في يده، أو فَتَحَهُ من وَسَطِهِ.. فَنَثَر وبَعْثَر جُلَّ ما فيه.

هذا المَعْنَىٰ في عامّيّتِنا.. لَعَلَّ فيه زِيادَةً عن المعنى الفَصِيح الأَصْلِيّ: هي زيادةٌ جاءَتْ مِن علاقَةِ السَّبَبِيَّةِ في هذا المَجازِ.. فإذا ضَرَبَهُ فقدْ تَسَبَّبَ في نَثْرِ ما فيهِ وَبَعْثَرَتِه...

أمّا التَّبْكِيت المَعْنَوِيُّ بمعنى اللَّوْمِ والتَّقْرِيعِ والتَّوْبِيخِ، فهو من الفَصِيحِ المُنْتَشِرِ في أغلبِ العامِّيّاتِ، وفي مِصْرَ، وكَتَبَ عنه د.عبدالمُنْعم

سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظِ العاميّة ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العربيّةِ).

وفي (لسانِ العرب) لابن منظور: ب ك ت:

«بَكَتَهُ يَبْكُتُه بَكْتًا، وبَكَّتَه: ضَرَبَه بالسَّيف والْعَصا وَنَحْوِهِما. والتَّبْكِيْتُ: كالتَّقْريعِ والتَّعْنيفِ. اللَّيث: بَكَّتَه بالعصا تَبْكِيتًا، وبالسَّيْفِ وَنَحْوِهِ؛ وقال غَيْرُهُ: بَكَّتَهُ تَبْكِيتًا إذا قَرَّعَه بالعَذْل تَقْريعًا. وفي الحديث: أَنّه أُتِيَ بِشَارِبٍ، فقال: (بَكِّتُوهُ)؛ التَبْكِيتُ: التَّقْرِيعُ والتَّوبِيخُ، يُقال له: يا فاسِقُ، أَما اسْتَحَيْتَ؟ أَما اتَّقَيْتَ اللهَ؟ قال الهَرَوِيُّ: ويكون باليَدِ وبِالعَصا وَنَحْوِهِ.

وبَكَتَه بالحُجَّةِ أيْ غَلَبَهُ...

وبَكَتَهُ يَبْكُتُه بَكْتًا وبَكَّتَهُ: كِلاهُما اسْتَقْبَلَهُ بما يَكْرَهُ»...

وَلَيْسَ في (القاموس..) إلّا بَعْضُ هذه المَعاني.

أمّا الزَّمَخْشَرِيّ في (أَساس البَلاغَة) فَقَدْ بَدَأَ بِمَعاني التَّبْكِيْتِ والإسْكاتِ والتَّقْرِيع، وَانْتَهىٰ إلى الأَصْلِ المادِّيِّ الحِسِّيِّ لِلْمَعْنَى: «بَكَّتَهُ بِالعَصا: ضَرَبَهُ».

إحالة: بَكَّرْت وبَكِّير في ب د ر بعنوان: بَدْري وبَكَّرْت وبَكِّير.

بَكَسَهُ وقَهَرَه

أَذْكُرُ أَنّنا في صِغَرِنا لَمّا كنّا سَمِعْنا بِرياضةِ ضَرْبِ (البوكس) صِرنا، كلّما تغلّبَ أحدُ الأولادِ على الآخرِ بضربِهِ لَكْمًا بقبضاتِ الأيدي حتّى يَقْهَرَه؛ نقولُ إنّه بَكَسَهُ. ولَسْتُ أَزْعُمُ أنّها من فِصاحِ العامّيّةِ – وحاشَ لله – وإنّما لفتَتْ نَظَرِيَ المُشابَهَةُ والمُقارَبَةُ، فأحبَبْتُ أنْ أعرِضَها للقارئ، إذْ لم أجدْ مَنْ عَرَضَها بَعْدُ.. وأَدَعُ لِمَنْ يُريدُ أنْ يُتابِعَ هذا الأمر...

وفي (القاموس المُحيط) وفي (لسان العرب) عن التّهذيب للأزهريّ عن ابنِ الأعرابيِّ: «بَكَسَ خَصْمَهُ إذا قَهَرَه. قال: والبُكْسَةُ خِرْقَةٌ يُدَوِّرُها الصِّبْيانُ ثمّ يَأْخُذون حَجَرًا فيدوِّرونه كأنّه كُرَةٌ، ثمّ يَتَقامَرُون بهما، وتُسَمّى هذه اللُّعْبَةُ الكُجَّة، ويُقال لهذه الخِرْقة أيضًا: التُّونُ والآجُرَّةُ».

بَلَسَ والتَّلْبَسَة: من: ب ل س؟ أم من: ل ب س؟

يُقالُ في عامّيّتِنا: (فلانٌ مُتَلْبَسٌ، تَظْهَر عليه التَّلْبَسَةُ) أيْ التَّظاهرُ بالتُّقى والوَرَعِ، فهو يَلْبِسُ[١] الحقَّ بالباطلِ لأنّه خلّاط كذّاب خدّاع... ينطبقُ عليه قولُ أبي العلاءِ المَعَرِّيّ:

وَتَقِيُّهُم بِصَلاتِهِ يَتَصَيَّدُ

وفي لبنانَ يقولونَ تلبيس فقد كَتَب أحمد أبو سعد في: (قاموس المُصْطلحات والتّعابير الشّعبيّة) ص٢٤٨ «تلبيس: شيطان وهي في الأصلِ مَصْدر: لَبَسَ عليه الأمر، أي: خَلَطه وَسَتَر عنه الحقيقةَ وأظهرَها بِخِلافِ ما هي عليه. مؤنّثُهُ تلبيسَة. وبعضُهم يرى أَنّ عامّتَنا اشْتَقُّوها من إبليس وَعَنَوْا بِها الوَلَدَ الكثير الحَرَكةِ: (عيسى المعلوف، مجلّة مَجْمع مصر. المُجَلّد

(١) وأرى أنّ علينا أنْ نُعيدَ النّاسَ إلى دِقّة اللغةِ الفصيحةِ، وخصوصًا في ضَبْطِ عَيْنِ الفِعْلِ المُضارع يَلْبَس الذي يُخطِئون فيَكسِرون عَيْنَه: الياء بمعنى يَرْتدي الثّياب فَحَقُّ عَيْنِه الفتح يَلْبَس لأنّ كَسْرَ عَيْنِ مُضارِعِه يجعلُه بمعنى يَخْلطُ بيْن الحقِّ والباطلِ ﴿ولا تَلْبِسوا الحقَّ بالباطلِ﴾ صدقَ الله العظيم.

– ففي ارْتداءِ الثّياب: تُكْسَرُ عَيْنُ الماضي (الباء هاهنا) وتُفْتَح عَيْنُ المُضارع: لَبِسَ يَلْبَسُ.

– وفي (التَّلْبَسة والتَّلْبيس) أيْ: خَلْطِ الحقِّ بالباطل: تُفْتَحُ عَيْنُ ماضيه وتُكْسَرُ عَيْنُ مُضارعه: لَبَسَ يَلْبِس.

٤ : ١٠١٣)».

قُلْتُ: التَّلْبَسَةُ لَدَيْنا يُمْكِنُ أنْ تكونَ من الإبْلاس، أيْ مَقْلوبة من: ب ل س، إلى، ل ب س.

وفي (لسان العرب) لابن منظور: ل ب س:

اللُّبْسُ، بالضَّمِّ: مصدرُ قولِك لَبِسْتُ الثّوبَ أَلْبَس، واللَّبْسُ، بالفتح مصدرُ قَوْلكَ لَبَسْتُ عليه الأَمر أَلْبِسُ خَلَطْت. واللِّباس: ما يُلْبَس، وكذلك المَلْبَس واللِّبْس. ويُقالُ: لَبِسْت فُلانَة عُمْري أَي كانت معي شَبابي كلَّه. وتَلَبَّسَ حُبُّ فلانة بِدَمِي ولَحْمِي أيْ اخْتَلَطَ.

واللَّبْسُ واللَّبَسُ: اخْتِلاطُ الأَمْر. لَبَسَ عليه الأَمرَ يَلْبِسُهُ لَبْسًا فالْتَبَسَ إذا خَلَطَه عليه حتّى لا يعْرف وِجهَتَهُ...

والتَّلْبِيسُ: كالتَّدليسِ والتَّخليطِ ورَجُلٌ إِلْبِيسٌ: أحمق. والأخيرةُ في (تاج العروس) ورجل لِبِيْسٌ.

وفي مادّة الْجَذْر: ب ل س أنْتَقي ما يُناسبُ من (لسان العرب):

«أَبْلَسَ الرَّجُلُ: قُطِعَ به؛ عن ثعلب. وَأَبْلَسَ: سَكَتَ. وَأَبْلَسَ من رحمةِ الله أيْ: يَئِسَ ونَدِم، ومنه سُمِّيَ إبليس وكان اسْمُه عزازيلَ. وفي التّنزيل العزيز ﴿يومئذٍ يُبْلِسُ المُجْرِمون﴾ وإبْليس لَعَنَه الله: مُشْتَقّ منه لأنّه أُبْلِسَ من رحمة الله أيْ أُويِسَ... والمُبْلِسُ: اليائسُ، ولذلك قِيْلَ للّذِي يَسْكُت عند انْقطاعِ حُجَّتِهِ ولا يكونُ عنده جواب: قد أَبْلَسَ... والمُبْلِسُ: السّاكِتُ من الخَوْف. والإبْلاس: الحَيْرَة».

ويَزيد الفيروزابادي (القاموس المحيط) ب ل س: «البَلَسُ: مَنْ لا خيرَ عنده، أو عندَه إبلاسٌ وشَرٌّ...».

يا بَلاش

تَنْتَشِرُ هذه العِبارةُ في أكثرِ العامّيّاتِ وتَتَجنَّبُ المَعاجِمُ ذِكْرَها فَتُهْمِلُها!

يقولُ البائعُ: (أُعْطِيكَ بالرّخصةِ وأُنْزِلُ السِّعْرَ و.. يا بَلاش). وهي مَنْحوتةٌ في لفظةٍ واحدةٍ من: بِلا شَيْءٍ ومُرَخَّمَةٌ بِحَذْفِ حَرْفَيْ المَقْطَعِ الأخير.. والمَقْصودُ مِنَ (البَلاش) هاهنا أنَّكَ إذا دفَعْتَ لِلْبائعِ مِثْلَ هذا الثّمنِ المُخَفَّضِ فَكأنَّكَ لا تَدْفعُ شَيْئًا يُذْكرُ في مُقابِلِ أَخْذِكَ هذهِ السِّلْعَةَ وفي مِصْرَ قد كَتَبَ عنها د. عبد المُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة...) نقولُ في دارِجَتِنا: «أخذَ فلانٌ كذا بَلاش (أو بَلا شي أو بَلُّوشي بتَصْغِيرها) أيْ: مجّانًا دُوْنَ دَفْعِ ما يُقابِلُ ما أخذَ، والأَصْلُ فيها بِلا شيءٍ...».

وفي لبنانَ ذكرَها أحمد أبو سعد في القِسْمِ الثّاني من (قاموس المُصْطَلَحاتِ والتّعابير الشّعبيّة) ص٣٨٦ «رَاح فُلان بَلاش، أي بِلا شَيْء، كِنايَةٌ عنِ الذَّهابِ سُدًى بِلا ثَمَنٍ».

وفي أمثالنا الشَّعْبِيّةِ في دمشقَ: (البَلاشْ لاش) أيْ: الذي بِلا شَيْءٍ لا شَيْء، بمعنى الذي بلا ثَمَنٍ لا يُساوي شيئًا..

وهذا النَّحْتُ تَلْجَأُ إليه العامّيّةُ في مِثْل: (عُدُّنُّه) أي: عُدَّ أنّه... وفي أمثلةٍ أُخرى عَديدةٍ يُمْكِنُ أنْ تجدَ بَعضَها في مادّة: أيش...

بَلَصَ

نَقولُ في الشّام: (فلانٌ يَبْلُصُني من المالِ) أيْ يَتَحايَلُ عَلَيَّ ويَحْصَلُ على مالي.

ويَظْهَرُ أنّهم في لبنانَ يقولونَ كذلك وكَتَبَ الأميرُ شكيب أرسلان في ص٥٦ من كتابه: (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل): «بَلَصَ:

يقولون (بلَصَهُ) أي اغْتَصَبَ مالَهُ، وهذا صحيحٌ، ففي اللّغةِ: بَلَصَهُ من مالِه: خَلَّصَه الحاشية» (٤١).

ويُحَشّي الحاشِيَةَ على هذا النّصِّ محمّد خليل الباشا مُحقّقُ كِتَابِ الأميرِ شكيب أرسلان «(٤١) لم تَرِدْ في المُعْجَماتِ إلّا مُضاعَفَةً: بَلَّصَهُ: لذلكَ اعْتَرَضَ العدنانيّ في (مُعْجَم الأغلاط اللُّغويّةِ المُعاصِرة) على مَنْ يَسْتَعْمِلُونَ المُجرَّد، وخَطَّأَهُم. إلّا أنّنا نقولُ مع الأميرِ بِصِحَّتِها، ونُقِرُّ اسْتِعْمالَها، ونرى أنّ الوَزْنَ المُضاعَفَ آتٍ حَتْمًا مِنَ المُجَرَّدِ، لأنّه الأَصْلُ، وما كانَ لذاكَ أنْ يُوجَدَ لولا وجودُ هذا وعدمُ وُرُودِ الفِعْلِ في المُعْجَماتِ لا يَعْني عَدَمَ وُجودِه في اللغةِ، فَضْلًا عنْ أنَّ مَجْمَعَ اللغةِ العربيّةِ في القاهرةِ أجازَ تَكْمِلَةَ المادّةِ اللغويّة إذا وَرَدَ بعضُها ولم يرِدْ بعضُها الآخر، ثمَّ ذكَرَ فِعْلَ بَلَصَ في مُعْجمِه (الوسيط) وهذا يَعْني اعْتِرافَ المَجْمَعِ بِصِحَّتِهِ، وقد سَبَقَ أنْ أوْرَدَه (مُحيطُ المُحيطِ)، لذلكَ لا نرى غُبارًا على قَوْلِ الأميرِ: (وهذا صحيحٌ)». ا.هـ. محمد خليل الباشا.

قُلْتُ: وجدْتُ (الوسيط) ط٢ يُهْمِلُ ذِكْرَ مُضارعِهِ ومَصْدرِهِ، على غير نظام بابِ الفِعْلِ الذي في مِنْهاجِ هذا المُعْجَمِ المَجْمَعِيِّ؛ فما دامَ المجمعُ أجازَ تَكْمِلَةَ المادَّةِ اللغويّةِ النّاقصةِ فلماذا ما زالَتْ التَّكْمِلَةُ ناقصةً؟!

وأحمدُ رِضا العامِليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «يقولونَ: بَلَصَ الوالي فلانًا إذا أَخَذَ منهُ مالَهُ مُصادَرَةً، وعلى غيرِ طريقةٍ مَشْروعَةٍ، بل ظُلْمًا واعْتِسافًا. والاسْمُ البَلْصُ والبَلْصَةُ، والفِعْل منه بَلَصَ مأخوذٌ من بلَّصَتِ الغَنَمُ الأَرْضَ إذا رَعَتْ ما فيها أَجْمَع». ا.هـ. رضا العامليّ.

قلْتُ: نعم. لقد وَجدْتُ (تَبَلَّصَتِ الغَنَمُ الأَرْضَ) في القاموس المُحيط للفيروزاباديّ، وفيه أيضًا: «وَبَلَّصْتُهُ من مالي تَبْلِيصًا: لم أَدَعْ عِنْدَهُ شَيْئًا. وبَلَّصَتِ الغَنَمُ: قلَّتْ أَلْبانُها. وَتَبَلَّصَ: تَبَرَّصَ، والشَّيْءَ: طَلَبَهُ في خَفاءٍ، وله: أراغَهُ وأرادَهُ. والغَنَمُ الأرضَ: رَعَتْ ما فيها أَجْمَع. وَابْلَنْصَى: ذَهَبَ، ومن ثِيابِهِ خَرَجَ. وبالَصَهُ: واثَبَهُ. وَبَلأَصَ: هَرَب». ا.هـ. الفيروزابادي.

وأهمَلَ: ب ل ص كلٌّ من (أساس البلاغة) و(مختار الصِّحاح) و(المِصْباح المُنير). وذَكَرَها ابنُ فارسٍ في: (مقاييس اللغة) وذكرَ المعاني التي فيها تَبَلُّصُ الغَنَم الأَرْض وَتَبْليصها، وطلب الشّيء في خَفاء. أمّا ابن منظور في (لسان العرب) فلم يُوْرِدْ شَيْئًا عن هذا التَّبَلُّص، الذي في القاموس والمقاييس، أو تبليص المالِ، واكْتفَى باسْم «طائرِ البِلَّصِ والبَلَصوص والبَلَنْصَى وَبَقْلَةَ البِلَنْبصاة».

وفي دمشقَ اليومَ يقولونَ أيضًا: بَلْبَصَهُ، كما في لبنانَ إذْ ذكرَها أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) ص٢٠٣: «..بَلْبَصَهُ بكذا: أيْ: أَخَذَ منهُ مَبْلغًا من المالِ بطريقِ الابْتزازِ، وهي من فِعْلِ: بَلَصه على سبيلِ الزِّيادة..». وكتب فيها شفيق جبري في (مجلّة مجمع دمشق ج٣ مج٤٦ ص٤٦١ بعنوان: لغة دمشق في عصر المماليك).

أمّا في مِصْرَ فقدِ اخْتلفَ معناها في الاسْتِعمالِ الدّارِجِ عندَهم؛ يقول د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) ط٢ ص١٣٩: «نقولُ في دارِجَتِنا: بَلَصَ فلانٌ فلانًا فَأَبَتْ نَفْسُهُ: أَعطاهُ مالًا في خفاءٍ لِرِشْوَتِهِ فَأَبَتْ نَفْسُهُ ولم يَقْبَلْ، وفي القاموس: بَلَصْتُهُ... الخ».

بقيَ أنْ أَذْكُر أنّي أُفَتِّشُ في المَعاجِمِ وكُتُبِ اللغةِ عن (بَلْصِ المعادن) ذلك المُصْطَلح الذي كُنْتُ

أَسْمَعُهُ في أيّام صِغَري من مُحْترِفي الصِّناعاتِ المَعْدنيّةِ، إذْ يَدُلّونَ به على تَشْكيلِ شَكْلِ الصَّفيحَةِ المعدنيّةِ على أشكالٍ لها أجوافٌ مُعيَّنةٌ... ولَعلَّ مُصْطلحَ هذه العبارةِ قد تغيَّر عندهُم اليومَ فقالوا: (التَّصْويج) من تغييرِ شكلِ (الصّاجِ) أو تَشْكيلِهِ بالشَّكلِ الذي يَرْغبون.. ولٰكنّي أَدَعُ الآن هذه العباراتِ الصّناعيّةَ لِيقولَ المُتَخَصِّصُون فيها كَلِمَتَهم...

البَلْعُ والبَلاليع وسَعْدُ بُلَعَ

عامّتُنا تَقُول: (أَبْلِعْني رِيْقي: أَيْ أَمْهِلْني بِمِقْدارِ ما أَبْلَعُه) كما وَرَدَ في مُعْجَم (تاجِ العروس..) نصًّا.. و(لا يَصْلُح رَفِيقًا مَنْ لم يَبْلَعْ ريقًا).. وَبُلَعٌ كَصُرَدٍ وهُمَزَةَ ومِنْبَرٍ وجَوْهَرٍ هو الرَّجل الأَكُولُ (..وَرجُل بَلَعٌ، بالفتح؛ كأنّه يَبْلَعُ الكَلامَ..) ومن ذلك قالوا[1]: (فلان بَلَعَ الشتيمة والإهانة).

وبَعْضُ كُتّابنا ومُثَقّفينا المُعَاصِرين لا يَذْكُرون (البَلاليع) التي تَبْلَعُ مياه الصَّرْف الصّحّيّ وتُصَرِّفُ أسبابَ النّظافة.. مع أنّها في العامّيّات كما هي في المُعْجَم التّليد.

وللزّبيديّ في (تاج العروس..): «وَقِدْرٌ بَلُوعٌ.. واسِعَةٌ تَبْلَعُ ما يُلْقى فيها. والبَالُوعَة، في لُغَة البَصْرة، والبلّاعَة، في لُغَةِ مِصْرَ، والبَلُّوعَة [لم يَقُلْ: في لُغَة الشّام، كالبالوعَةِ، فأقولُهما ثمّ أعود إلى الزّبيدي لِيُكْمِل] مُشَدَّدتين، وكذلك البُلَّيْعَة كَجُمَّيْزَةٍ في لُغَةِ مِصْرَ أيضًا: بِئْرٌ تُحْفَرُ في وَسَطِ الدّار ضَيِّقُ الرَّأْسِ، يَجْري فيها ماءُ المَطَرِ ونَحْوِه. وفي الصِّحاح ثَقْبٌ في وَسَط الدّار. جَمْعُها بَواليع وبَلاليع؛ نَقَلَهُما الصّاغانيّ، واقْتَصَر الْجَوْهَرِيّ على الأخير [كما في عامِّيّتِنا: أقولُها].».

«وسَعْدُ بُلَعَ..» أَجِدُهُ في (لسان العرب) أخَفّ وَصْفًا ممّا في (التّاج..).

«..مِنْ مَنازِل القَمَرِ.. وهُما كَوْكَبانِ مُتقارِبان مُعْتَرِضَانِ خَفِيَّان، زعمُوا أنّه طَلَعَ لمّا قال الله تعالى للأَرْض ﴿يا أرضُ ابْلَعِي ماءَكِ﴾ ويُقال: إنّه سُمِّيَ بُلَعَ لأَنّه كأنّه لِقُرْبِ صاحِبِهِ منه يكادُ يَبْلَعُه يَعْني الكَوْكَبَ الذي معه». وأُكْمِلُ من التاج عن ابن قُتَيْبَةَ: «وطُلُوعُهُ لِلَيْلَةٍ تَبْقى من كانون الآخِرِ من الشُّهورِ الرّوميّة، وسُقُوطُه لِلَيْلَة تَمْضِي من آب». ويُكْمِلُ الزّبيديّ من أَقْوال ساجِعِ العَرَب فَأَسْتَبْدِلُ بها قولَ عَوامِّنا: (في سَعْدِ بُلَعَ السَّماءُ تُمْطِرُ والأَرْضُ تَبْلَعُ..).

بَلَّمَ

مِن فَصيحِ مِصرَ المُنْتَشِرِ في الشّام.

حَمَلَتْ إلينا الأفلامُ والمُسَلْسَلاتُ المِصْريّة قولَهُمْ: بَلَّم، أَيْ: عَبَسَ وَصَمَتَ واجِمًا.. وَقَدْ وَجَدْتُ المُفضَّل بْنَ سَلَمَة[2] بْنَ عاصِمٍ مِن أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ عام يَعُدُّها مِنْ فِصاحِ عامِّيَّتِهِم في ذٰلِكَ الوَقْتِ المُبَكِّرِ؛ قال المفضَّلُ في كتابِهِ: (الفاخِر):

«قَوْلُهم: لا تُبَلِّمْ عَلَيْه:

قالَ الأَصْمَعِيُّ: مَعْناهُ: لا تُقَبِّحْ فِعْلَهُ وَتُفْسِدْهُ. قال: وَهوَ مَأْخُوذٌ من قولِكَ: أَبْلَمَتِ النّاقَةُ: إذا وَرِمَ حَيَاؤُها. وقالَ بَعْضُهُمْ: لا تُبَلِّمْ عَلَيهِ، أَيْ: لا تَجْمَعْ عَلَيْهِ أَنواعَ المَكْروهِ، وَهوَ مَأْخُوذٌ مِنَ الأَبْلَمَةِ وَهِيَ خُوصَةُ البَقْلِ؛ يَقول: لَا تَجْمَعْ عَلَيْهِ

(١) انظر في مقالة شفيق جبري: (المجاز في لغة العامّة) في (مجلّة مجمع دمشق مج٤٧ ج٤ ص٧٢٥).

(٢) ص ١٧ من كتاب (الفاخر) للمُفَضّل بن سَلَمَة بن عاصم. وانْظُر للتّوسُّع في التّعريف بكتاب (الفاخر.) وفي مُقدّمة هذا المُعْجَم.

أنْواعَ المَكْروهِ كَجَمْعِ الأَبْلَمَةِ أَنْواعَ البَقْلِ. يُقالُ: أَبْلَمَةٌ وإِبْلِمَةٌ. وَبَعْضُهُم يَقولُ هي خُوصَةُ المُقْل».

وفي القاموس المُحيط: «التَّبْليمُ: التَّقْبِيحُ كالإبلام. وأَبْلَمَ: سَكَتَ. والأَبْلَمُ الغَليظُ الشَّفَتَيْنِ» وكُلُّ ما سَبَقَ قد فَصَّلَ القولَ فيه ابْنُ مَنْظورٍ في (لسانِ العَرَبِ)؛ وفيه: «والمُبْلِم والمِبْلام: النّاقةُ التي لا تَرْغو من شِدَّةِ الضَّبَعَة».

«الجَوْهَريّ: أَبْلَمَتِ النّاقَةُ إذا وَرِمَ حياؤها من شِدَّةِ الضَّبَعَةِ، وَقيلَ: لا تُبْلِمُ إلّا البَكْرَة ما لم تُنْتَجْ. وَأَبْلَمَتْ شَفَتُهُ: وَرِمَتْ، والاسْمُ البَلَمَةُ... وَرَأَيْتُ شَفَتَيْهِ مُبْلَمَتَيْنِ إذا وَرِمَتا. والتَّبليمُ: التَّقْبيح. يُقال: لا تُبَلِّم عليه أَمْرَهُ؛ أيْ: لا تُقَبِّحْ أَمْرَهُ... ابْنُ بَرّيّ: قالَ أَبُو عَمْرٍو يُقالُ: ما سَمِعْتُ لَهُ أَبْلَمَةً أيْ: حَرَكَةً؛ وَأَنْشَدَ:

فما سَمِعْتُ بَعْدَ تِلْكَ النَّأَمَةْ
مِنها ولا مِنْهُ هُناكَ أَبْلَمَةْ

وفي حَديثِ الدَّجّالِ: رَأَيْتُه بَيْلَمانِيًّا أَقْمَرَ هِجانًا؛ أي: ضَخْمٌ مُنْتَفِخٌ، وَيُرْوَى بالفاء».

والبَلْماءُ: لَيْلَةُ البَدْرِ لِعِظَمِ القَمَرِ فيها لأنّه يَكونُ تامًّا.

وَأَعودُ إلىٰ لُغَةِ عَصْرِنا فَأَجِدُ د. عبدالمُنْعِم سيّد عبدالعال من مِصْرَ يَقول في: (مُعْجَم الأَلْفاظِ العامِّيَّةِ ذاتِ الحقيقةِ والأُصولِ العَرَبيَّةِ) «نَقولُ في دارِجتِنا سَمِعَ فُلانٌ الخَبَرَ فَبَلَّمَ، وأَرَدْنا مُحادَثَتَهُ فَكان مُبَلِّمًا: أي سَكَتَ وَلَمْ يَنْطِقْ لِفَرْطِ ما أَصابَهُ مِنْ أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهُ. وفي القاموسِ: أَبْلَمَ: وَبَلَّم: سَكَتَ».

ومِنْ لُبنانَ يَقولُ الأَميرُ شَكيبٌ أَرْسَلانُ في: (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) ص٥٨:

«وَتَقولُ عامَّةُ لُبْنانَ ومِصْرَ (بَلَمَ الثَّوبَ) بِمَعْنَىٰ كَمَّهُ، وَيَقُولونَ لِلكُمامَةِ (بلام) وَلَمْ أَجِدْه بِهٰذا المَعْنَى، بَلْ جاءَ في اللُّغَةِ الأَبْلَمُ: الغَليظُ الشَّفَتَيْنِ، وَأَبْلَمَتْ شَفَتُهُ: وَرِمَت، وَلَعَلَّهُمْ سَمَّوا الشَّيْءَ بِما يَؤُولُ إِلَيْهِ، فَإِنَّ الكِمامَةَ قَدْ تُحْدِثُ وَرَمًا في الشِّفاهِ، أو الثَّوْرُ المَكْمُومُ أَشْبَهُ بِالأَبْلَمِ أَي الغَليظِ الشَّفَتَيْنِ»...

وَيُعَلِّقُ شارِحُ (القَوْلِ الفصل..) وهو مُحَمَّدٌ خَليلُ الباشا، في الحاشية: «وَفي مَتْنِ اللُّغَةِ: البِلامُ والبَليمُ حَديدَةٌ تُوضَعُ في فَمِ الفَرَسِ لكَبْحِهِ وَهيَ غَيْرُ اللِّجامِ. وجاءَ في السريانِيَّةِ وفي العِبْرِيَّة: بَلم وَضَعَ البِلام في فَمِ الثَّوْرِ فالمادَّةُ مِنَ السّاميّ المُشْتَرَك».

البَلاء.. ولا أُبالي.. البَلِيَّةَ والبَلايا

(.. أنا أتعذَّب بهذه البَلْوىٰ وتلك البَلِيَّة. وبالبَلايا.. وأنت: ولا أُبالي.. ثمّ تقول: أَبْعَدَ الله البَلاءَ وَدَفَعَ الله شَرّ ما كان أَعْظم؟).

يَقُولُها لك العامّيُّ كأنّهُ يَقصدُ أنّ لِسانَ حالِكَ يَقول:.. ولا أُبالي والعامّةُ نادرًا ما يُحافِظُونَ على ضَمِّ حرفِ المُضارعةِ في الرّباعيِّ من الأفعالِ فلا يقولونَ مثلًا: أُكلِّم أو أُبارِك، بل يُبْدلون بهذه الضّمّةِ باءً فيقولونَ (بْكَلِّم وبْبارِك) ولٰكنّهم في هذا التّركيب: (ولا أُبالي) يُحافظونَ على اللفْظ الفَصيح كما هو.. وفي هٰذين السّطرينِ تكادُ تجدُ العامّيَّ عِنْدنا لا يَكادُ يُحرِّف حَرْفًا من الفصيح!

ولَكَ أَنْ تعودَ إلى أيِّ مُعْجَمٍ لِتَجدَ ما أَتَخَيَّر منه في (لسان العرب) مثلًا: «.. وابْتلاهُ اللهُ: امْتَحنه، والاسْم البَلْوَىٰ والبِلْوَةُ والبِلْيَةُ والبَلِيَّةُ والبَلاء، وبُلِيَ بالشّيء بلاءً وابْتُلِيَ؛ والبَلاءُ يكون في الخَير والشَّرِّ يُقال: ابْتَلَيْتَهُ بَلاءً حَسَنًا وبَلاءً سيِّئًا [قُلْت.. ولٰكنّ عامّتنا اكْتَفَوا بالبَلاءِ السّيّئ. ثمّ.. أعودُ إلى (اللسان..)]:... والجَمع البَلايا... وبالىٰ

بالشّيءِ يُبالي به إذا اهتمَّ به، وقِيلَ: اشْتِقاق بالَيْتُ من البالِ بالِ النَّفْسِ، وهو الاكْتراثُ؛ ومِنْه أيضًا لم يَخْطِرْ بِبَالي ذلك الأمْرُ أيْ لم يُكْرِثْني. وَرَجُلٌ بِلْوُ شَرٍّ وبِلْيُ خَيْر أيْ قَوي عليه مُبْتَلًى به. وإنّه لَبِلْوٌ وَبِلْيٌ من أبلاء المالِ؛ أي قَيِّمٌ عليه.. [قُلْتُ: وعامّتنا تقول: فُلان بَلْوى.. أي لا يُسْتَهان بِمَقْدِرَته، وقد يَلْفُظونها بالهاء (بَلْوَة)]. والبِلاء هو أنْ يقولَ لا أُبالي ما صَنَعْتُ مُبالاةً وبِلاء، وليس هو من بِليَ الثّوب. ومن كلام الحَسَنِ: (لم يُبالهم اللهُ بالةً)... قال الْجَوهريّ: فإذا قالوا لم أُبَلْ حَذَفُوا الألِفَ تخفيفًا لكثرةِ الاسْتعمالِ كما حَذَفُوا الياءَ من قولهم: لا أَدْرِ، كذلك يَفْعلون بالمَصْدر فيقولون ما أباليه بالةً».
قلت: فالْحَذف للتّخفيف قديم من الفَصيح كما في عامّيّاتنا اليوم.

البَنْدَرُ والبَنْديرة

(مَيِّلْ عالبَنْدَرْ وَتَغَنْدَرْ خَلِّيْك بْلِبْسَكْ يا اسْكَنْدَر).

هذا مَطْلَع أغنيةٍ شعبيّةٍ مَشْهورةٍ من الأغاني الرّيفيّة في أقاليمِ بلاد الشّام حَيْث تُدعَى البَلْدَةُ التي تُشَكِّلُ مَرْكَزَ أريافِ الإقليمِ وقُراهُ بالبَنْدَر.

في (محيط المحيط) لبطرسَ البُسْتانيّ: «البَنْدَر: المَرْسَىٰ والميناءُ والمُكَلَّأُ والمدنُ البَحْرِيَّة ومَقَرُّ التُّجّارِ مِنَ المُدُنِ فارِسيٌّ مُعَرّب. جَمْعُها بَنادر».

والشّاهَ بَنْدَرُ: رئيسُ التّجّار. (مُرَكّب كرامَ هرمز).

وفي مصرَ أيضًا يقولُ د. عبد المُنْعِم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة...).

«نقولُ في دارِجَتِنا البَنْدر: نُطْلِقُه على عواصِم المراكزِ والبلادِ الكبيرةِ في الأقاليم حيثُ يَتَمَرْكَزُ رِجَالُ الأَمْنِ والشُّرطةِ وغيرِها من مَرافِق الدّولة.

وفي القاموس: البَنْدَر مَرْسَى السُّفن في الميناء».

قُلْتُ وأضيفُ مِنَ الزّبيدي شارح القاموس في (تاج العروس..): «والبَنْدير، بالفَتْح، دَفّ فيه جَلاجِلُ؛ مولّدة.». قُلْت: فَلَعَلَّ المُمَثِّلَ المصريَّ عِزّة العَلايْلي حينما اشتَرى (البنديرة) في الفيلم الذي حَمَلَ اسم (البَنْديرة) وهي سيّارةُ أُجْرَة (تكسي) صغيرة عَمِلَ عليها سائقًا لِيَزيد دَخْله للإنفاق على أُسْرتِهِ، ولَعَلّ كاتبَ هذه القصّةِ وأصحابَ هذا العَمَلِ الفَنّيّ، قد أخذُوا هذه الكِنَايَةَ مِنَ التّطوراتِ المَجَازِيّةِ التي تَشْهَدُها العامّيّةُ المصريّةُ في أيّامِنا ثمّ تُعَمِّمُها على العامّيّاتِ العربيّةِ باشْتِهارِ قصصِهِم التّمثيليّةِ الرّائجةِ بَيْنَ شبّانِ الأقطارِ العربيّةِ...

والّذين يَشْعُرونَ الآنَ أنّي شَطَطْتُ وبَالَغْتُ في دخولِ لغةِ الشُّبّانِ والأَحْداثِ، أَعودُ مَعَهم إلى المُعْجَمِ التُّراثيّ المَوْسُوعيِّ التَّليدِ (لسان العرب) لابنِ منظور: ب ن د ر:

«البَنادِرَةُ، دخيل: وَهُم التُّجّارُ الذين يَلْزَمونَ المَعَادِن، واحِدُهم بُنْدارٌ. وفي النَّوادِر: رَجُلٌ بَنْدَرِيٌّ وَمُبَنْدِرٌ وَمُتَبَنْدِرٌ، وهو الكثيرُ المالِ».

البَنْك

أَرْجو ألّا تَلُومَني على هذا العُنوان إذا كُنْتُ ممّن يلومون بطرس البستانيّ الذي ذَكَر في (محيط المحيط) أنّ (الْبَنْك) لَفْظَة مُعرَّبة، ولِذا أَبْدأ مَعَك ممّا في (لسان العرب) لمحمّد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاريّ الإفريقيّ المصريّ جمال الدين أبي الفضل المُتَوَفّى سنة ٧١١هـ.

«ب ن ك: البُنْكُ: الأَصْل أَصْل الشّيْء وقِيل خالِصُهُ. الليث: تقول العَرَب كلمة كأنّها دخيل، تقول: رَدّه إلى بُنْكِهِ الخبيث؛ تُريد به أَصْلَهُ، قال

الأزهريّ: البُنْك بالفارسيّة الأصل. . .

. . وَتَبَنَّكَ بالمكان: أقَامَ به وَتَأَهَّلَ. وَتَبَنَّكُوا في مَوْضِع كذا: أَقَامُوا به؛ قال الفَرَزْدَق يَهْجو عُمَرَ بن هُبَيْرَةَ:

تَبَنَّكَ بالعراقِ أبو المُثَنّى
وَعَلَّمَ أَهْلَهُ أَكْلَ الخَبِيْصِ

وأبو المُثَنّى: كُنْية المُخَنَّث. وَتَبَنَّكَ في عِزِّهِ: تَمَكَّنَ. يقال: تَبَنَّكَ فلان في عِزٍّ راتبٍ النّضر بن شميل: تَبَنَّكَ الرَّجُل إذا صَارَ له أَصْل. . . .

. . . . ويُقَال: هؤلاء قَوْم مِنْ بُنْكِ الأَرْض. والبُنْكُ ضَرْبٌ مِنَ الطِّيْبِ عربيّ، قال: هو دَخيل». ا.هـ. ابن منظور.

قُلْتُ: وَمِثْل هذا الذي تَخَيَّرْتُه من ابن منظور في (لسان العرب) تَجِده أيضًا في مَعَاجِمَ أُخرى كما في (القاموس المحيط) للفيروزابادي وفي قول شارحه مُرْتَضَىٰ الزَّبيدي في (تاج العروس. .): «(البُنْكُ أَصْل الشَّيء أو خالِصُه) وهو مُعَرَّب، يُقَال: هؤلاء من بُنْكِ الأرض، كما في الصِّحاح، وقال الليث: تقول العربُ كلمة كأنّها دخيل، تقول رَدَّه إلى بُنْكِهِ الخَبيث. . . (و) البنك (السَّاعَةُ مِنَ الليلِ) وقال ابن دُرَيْد: البُنْك (طِيْبٌ. .) مَعْروف عربيّ صَحيح، وقال الليث هو دَخيل. . .

. . .(وَبَانَك كَهَاجَرَ) هكذا ضُبِط في العُباب وقَيّده ياقوت بضمّ النّون. . . قرية بالرّي و[أسماء أعلام من رجالات زمانهم. . . .]. . . . (والبُنْبُكُ كَقُنْفُذٍ. . وَجَنْدَلٍ) قال ابن عبّاد (دابّة) من دَوابِّ الماء (كالدُّلْفينِ أَوْ سَمَك) عظيم (يَقْطَعُ الرَّجُل نِصْفَيْن). . (والبابونَكُ: الأُقْحُوان) وهو البَابُونَجُ؛ قال الصّاغاني: هو دَخيلٌ (و) قال الفرّاء في نوادره (التَّبْنِيكُ أَنْ تَخْرُجَ الْجَارِيَتان، كُلٌّ من حَيِّها فَتُخْبِرَ كُلٌّ) واحدةٍ (صاحِبَتَها بأخبار أَهْلِها و) يُقال: (اذهبي فَبَنِّكِيْ حاجَتَنا) أي (اقْضِيْها). .

وممّا يُسْتَدْرَكُ عليه: البنك هو البنج مُعَرَّبَة وأَنْشَدَ ابن بزدج:

وصاحبٍ صاحَبْته ذيْ مَأْفَكَهْ
يَمْشي الدَّوالِيك ويَعْدو البُنَّكَةْ
كأنّه يَطْلبُ شَأْو البروكة

أَرادَ بالبُنَّكَةِ ثقله إذا عدا. . . .».

وأمّا ابن فارس في (مقاييس اللغة) وهو مُتَقَدِّم على (اللسان. .) و(القاموس. .) وعنه أَخَذَت المَعَاجِم؛ فقال: «الباء والنّون والكاف كلمة واحدة، وهو قولهم: تَبَنَّكَ بالمكان: أقام وهي شبه التي قَبْلَها.» والتي قَبْلَها كانَتِ: «البَنِيْقَةَ: وهو جِرِبّانُ القميص، ويُقال: كُلُّ رُقْعَةٍ في الثَّوْب كاللِّبِنَةِ ونَحْوِها، على أنّها قد جَاءَت في الشِّعر. قال: [وفي الحاشية: البَيْت للمَجْنُون كما في اللسان: ب ن ق]:

يَضُمُّ إلَيَّ الليلُ أطفالَ حُبِّها
كما ضَمَّ أَزْرارَ الْقَميصِ البَنائقُ»

أقول: أجْبَرَني ابنُ فارس على الاسْتِطْراد إلى البَنِيْقَة حين قال في ب ن ك: «وهي شِبْه التي قَبْلَها». .

فإذا انْتَقَلْنا إلى مَعَاجِم عَصْر النَّهضة والعَصْر الحَديث وَجَدْناها تَتَوَجَّس وتَحْذَر مِنَ المَعْنَيَيْن العامِّيَّيْن السّائِدَيْنِ في أَغْلَب اللهَجَات العربيّة المَحْكِيَّة: معنى المِنْضَدةِ واللوحِ الخَشَبِيّ المُسَطَّح كالمقْعدِ الطّويل أو المعنى الآخر الأعَمّ وهو المعنى الذي أَوْرَدَه (المعجم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة: «البَنْكُ: مُؤَسَّسَة تقوم بعمليّات الائْتِمان بالاقْتِراض والإقْراض. (مج)» ومعنى (مج) أنَّ المَجْمَع اتّخَذَ قَرارًا بِتَثْبِيت فَصَاحة هذه الكلمة

بهذا الضَّبْطِ ولهذا المعنى. وبالرّغم من أنّ الوَسِيط صَدَر سنة ١٩٦٠ فأحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلَحَات والتّعَابير الشّعبيّة) الصّادر عن مَكْتَبَة لُبنان ببيروت سنة ١٩٨٧ في القسم ١٦ - «في لُغَة السّوق ومُصْطَلَحات التّجارة» ص٢٠٣ يُسجّل: «بَنْك: (إنكليزيّة مِنْ أَصْل ألمانيّ أو هي من (بنكا) الإيطاليّة، مُعْجَم عطية٢٠٤): المَحَلّ الذي يُدْفَع فيه مَالٌ لمن يُريد الانْتِفَاع به، أو تُقْبَضُ فيه أَمْوالٌ بموجِب فائدَةٍ أو بِربًا مُقَرَّرٍ. ج بُنوك وبنوكة. عَرَبِيُّها المَصْرِف».

قُلْتُ في قَوْله: «عَرَبِيُّها المَصْرِف» هذه قالها قَبْلَه البُسْتَانيّ منذ سنة ١٩٠٧ في (محيط المحيط) وكذلك قَالَها في (المُنْجِد) لويس مَعْلُوف.. وغيرهما أيضًا. ولم أَجِدْها لَدَى د.عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة...). بالرّغم من قَرَار مَجْمَع القاهرة الذي نصّ عليه (المُعْجَم الوَسِيْط).

وقال أبو سعد في ص٣١٠ القسم ٢٣ - «في أَدواتِ النِّجارَةِ: بنك: (من الفرنسيّة banc) ومَعْنَاه مَقْعَدٌ طَويل، وهم يُطْلِقونَهُ على المِنْجَرَةِ أو النَّضَدُ الذي يؤدّي النّجّار عليه أَعْمَاله».

وفي (قاموس الفارسيّة) يقول د. عبد النّعيم محمّد حسنين: «بانك: المَصْرِف (البنك)».

بَهَتَه..فَلَوْنُهُ باهتٌ

ممّا يُقالُ في دِمَشْقَ: أَفْحَمْتُهُ حينَ فاجَأْتُه بكلامٍ فانْبَهَت واصْفرّ لونُ وَجْهِهِ وارْتَجَفَتْ عُرُوقُه ورَاحَ الدّمُ منها، فصار وَجْهُهُ باهِتَ اللَّوْنِ؛ وَبَعْدَ لحظَاتٍ عادَ يصرَخُ: (هذا بُهْتانٌ).

ومِنْ عاداتِهِمُ الكلاميّةِ اسْتِعمالُ الخُماسيِّ (كانْبَهَتَ مِنْ وزنِ انْفَعَلَ) بدلًا من الثّلاثيّ المَبْنيّ لِلْمَجْهولِ (بُهِتُ). ولم أجدَ الخُماسيَّ في المُعْجَمِ، أمّا الثّلاثيُّ فوجدْتُ فيهِ أَغْلَبَ المعاني التي تُورِدُها عامَّتُنا في مادَّةِ هذا الْجَذْرِ.

وأعودُ إلى ب هـ ت في كُتُبِ التُّراثِ: فأقرأ في (لسانِ العربِ) لابن منظورٍ، وأنتقي ما يُناسبُ أصلَ هذا التطوُّرِ:

«ب هـ ت: بَهَتَ الرّجلَ يَبْهَتُه بَهْتًا، وبَهَتًا، وبُهْتانًا، فهو بَهّات أي قال عليهِ ما لَمْ يَفْعَلْهُ، فهو مَبْهُوتٌ.

وبَهَتَه بَهْتًا: أخذَه بَغْتَةً. وفي التّنزيلِ العزيز: ﴿بل تأْتيهم بغتةً فتَبْهَتَهُم﴾ والبُهتانُ: افْتراء. وفي التّنزيلِ العزيز ﴿ولا يَأْتِينَ ببُهْتانٍ يَفْتَرِينه﴾.

وباهَتَهُ: اسْتَقبَلَهُ بأَمْرٍ يَقْذِفُهُ بهِ، وهو منه بريءٌ، لا يَعْلَمُهُ فيَبْهَتُ منه، والاسْمُ البُهْتانُ...

والبُهتانُ الباطلُ الذي يُتَحَيَّرُ من بُطْلانِهِ... وبَهَتَ فلانٌ فلانًا إذا كذَبَ عليه، وبَهِتَ إذا تَحَيَّر.

والبَهوتُ: المُبَاهِتُ، والْجَمْعُ بُهُتٌ وَبُهُوتٌ؛ قالَ ابنُ سِيْدَه: وعندي أنّ بُهُوتًا جَمْعُ باهتٍ لا جَمْع بَهُوتٍ.

والبُهْتُ والبَهِيتَةُ الكَذِبُ، وفي حديث الغِيبَةِ وإنْ لم يَكنْ فيهِ ما نقولُ، فقد بَهَتَّهُ أي كَذَبْتَ وافْتريْتَ عليه.

والبَهْتُ: الانْقطاعُ والحَيْرَةُ. رأى شيئًا فَبُهِتَ: يَنْظُرُ نظرَ المُتَعَجِّبِ. وقد بَهُتَ وبُهِتَ الخَصْمُ اسْتولَتْ عليهِ الحُجَّةُ.

وفي التّنزيلِ العزيزِ: ﴿فَبُهِتَ الذي كَفَرَ﴾؛ أراد فَبَهَتَ إبراهيمُ الكافرَ.

الْجَوهريّ: بَهِتَ الرَّجلُ، بالكسر، وعَرِسَ وبَطِرَ إذا دَهِشَ وَتَحَيَّرَ. وبَهُتَ، بالضَّمّ مثلُه، وأفْصحُ منهما بُهِتَ».

وأَنْتَقلُ إلى الزّمخشريّ في (أساس البلاغة): «. . وبينهما مُباهَتَةٌ. ومن عادتِهِ أنْ يُبَاحِتَ ويُبَاهِتَ. . ورآهُ فَبُهِتَ ينظرُ إليه نظر المتعجِّبِ، وكلّمتُه فبقي مَبْهُوتًا، قال:

وما هيَ إلّا أنْ أُراها فُجاءَةً
فَأُبْهَتَ حتّى ما أكادُ أُجيب»

ولَدى ابن فارس في مقاييس اللغة: «ب هـ ت أصل واحد، وهو كالدَّهَش والحَيرة. . فأمّا البُهْتانُ فالكَذِبُ؛ يقول العربُ: يا لَلْبَهِيْتَةِ، أيْ: يا لَلْكَذِب».

وقد أوْرَدَها الأميرُ شكيب أرسلان في (القولُ الفصلُ في ردِّ العامّيِّ إلى الأصلِ): «ويقولون: (فلانٌ بُهِتَ سوقُه)، أو (بُهِتَ بزاره)، أي خَفَّتْ قيمتُه، وقد يقولونَ: (بُهِتَ) فقط؛ بمعنى: خَفَّ رَوْنَقُهُ وبَهاؤه، وهذا من الأفعالِ النّادرةِ التي تَبْنيها العامّة للمجهول. .».

وعلَّقَ شارحُه محمّد خليل الباشا في الحاشيةِ: «وتقولُ العامّةُ: «بَهَت لونُ الشيءِ»: تَغيَّر وَنَصَلَ، أوْرَدها (المرجع) وذكر أنّها من العامّيّ». قُلْتُ: ولكنّ العبارة العامِّيّة في صفة اللّونِ الباهتِ: أي اللّونِ الشّاحِبِ والنَّاصلِ والنَّافِضِ. . قد قَبِلَها (المُعْجم الوسيط) لمَجْمَع القاهرة، وفيه: «اللونُ الباهتُ: الشّاحبُ (مُحْدَثَةٌ)، وكذلك وَرَدَ فيه اللّونُ الغامقُ: المائلُ إلى السَّوادِ (مَجْمَعِيَّةٌ). ». . وكذلك في المُعْجمِ المَدْرسيِّ أيضًا، وقد حَشّى لها بحاشية فيها: وانْظُرْ مَجلّة المَجْمَع العدد ١٥ و١٦. .

وكذلكَ ذكرَ د. عبدالمُنْعم سيّد عبد العال من مِصْر في (مُعْجَمِ الألفاظِ العامّيّةِ ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العربيّةِ).

بَهَتَ الثّوبُ: نقولُ في دارجتنا: بَهَتَ الثَّوْبُ لم يَثْبُتْ على لونِهِ الأصليِّ فتغيَّرَ لَوْنُهُ وَبَطَل، وإذا نظرَ إليه شخصٌ تحيّرَ في مَعْرِفةِ لونِهِ إذ كُلُّ جُزْءٍ فيه يَحْكي لَوْنًا يَخْتَلِفُ عمّا يُجاورُه مِنَ الأجزاءِ، وفي القاموس: بَهَتَ كَنَصَرَ وكَرُمَ وَعَلِمَ: تَحَيَّرَ وَكَذَبَ.

بَهِجَ وَبَهَشَ وبَشَّ وَهَشَّ وَبَشِرَ وَبَسَمَ

الأفعالُ الثّلاثةُ بَهِجَ وَبَهَشَ وبَشَّ: من فِصاح العامّيّةِ ذاتِ التّقارُبِ اللفظيِّ والمَعْنويِّ. . وما أظنُّني في حاجةٍ إلى أنْ أُطيلَ الوقوفَ والنُّقولَ من المعاجمِ فكلُّها معروفةٌ مشهورةٌ فيها كما هي معروفةٌ في العامّيّاتِ أو أغلبِها. . وأرى أنْ أكتفيَ بنقلِ (بَهَشَ) وَبَهَجَ من أحد المعاجم. .

في (أساس البلاغة) للزَّمخشريِّ: «ب هـ ش: أَتَيْنا بني فُلان فَبَهَشُوا إلينا إذا أقبلُوا مَسْرورينَ ضاحيكنَ. . . وأنت كالحَيَّةِ تبهش ثمّ تنهش.».

وفي مقاييس اللغة لابن فارس: «. . قولُهم بَهَشَ إليه إذا رآه فَسُرَّ به وضَحِكَ إليه، ومنه حديث الحَسَنِ (أنّ النبيّ - ﷺ- كان يُدْلِعُ لسانَهُ فَيَبْهَشُ الصَّبِيُّ له)». وَوَرَدَ هذا الحديث في (لسان العرب) عن ابن الأثير في (النّهاية. .) على روايةٍ قريبةٍ من هذه: «(. . كان يُدْلِعُ لسانَهُ للحَسَنِ بن عَلِيٍّ، فإذا رأى حُمْرَةَ لسانِهِ بَهَشَ إليه)».

وفي (مقاييسِ اللغةِ) لابنِ فارسٍ: «ب هـ ج: أصلٌ واحدٌ هو السّرورُ والنَّضْرةُ. يقالُ: نباتٌ بهيج، أي ناضرٌ حسنٌ. قال الله تعالى: ﴿فأنبَتْنا فيها مِنْ كلِّ زَوْجٍ بَهيجٍ﴾ والابْتهَاج: السُّرُور؛ من ذلك أيضًا».

ويَزيد الزّمخشريّ في: (أساس البلاغة): «. . وأبهَجَهُ الأمرُ: سرَّهُ؛ فَبَهِجَ به وابْتَهج. . قال النّابغة:

كَمُضيئةٍ صدفيّة غوّاصها
بَهِجٌ متى يَرَها يَهِلَّ وَيَسْجُدِ

وجِئْتُهم فَتَباهَشُوا إليّ وَتَباهجوا بي. وَأَبْهَجَتِ الأرضُ: بَهُجَ نباتُهَا. وامْرَأَةٌ مِبْهاجٌ: ذاتُ بَهْجَةٍ غالِبَةٍ. ونساءٌ مباهِجُ قال ابْنُ مُقْبِلٍ:

وَبِيْضٍ مباهِيجٍ كأنَّ خدودَها
خُدودُ مَهًا آلَفْنَ من عالِجٍ هِجْلَا

وباهجَهُ مباهجةً إذا باهاهُ».

البَهْدَلَة

في مَسْرَحِيَّةِ (ضَيْعة تشرين) تحدَّثَ الفنّانُ دُريد لحّام عن (الانْتصار المُبَهْدَل) وتَسْمَع العامّةَ عندنا يقولون: (بهدَلَهُ على مَشْيِهِ أو على لُبْسِهِ أو على فِعْلِهِ كذا)، ومعنى بَهْدَلَهُ عندهم: هَزَّأَهُ وسَخِرَ به أو احْتَقَرَهُ أو عَيَّره وتنقَّصَ من قدْرِه. فماذا في كُتُبِ التُّراث؟

في (لسان العرب) يقولُ ابنُ منظورٍ كما يقولُ الفيروزاباديّ في (القاموس المحيط): ب هـ د ل: «البَهْدَلَةُ: الخِفَّةُ والإسراعُ في المَشْيِ. وطائرٌ أخضرُ. وبنو بهدل: حيٌّ من بني سعد. وَبَهْدَلَ: عَظُمَتْ تَنْدُوَتُهُ. وبهدلة رَجُلٌ من تميم. واسم أمّ عاصم.» ويُضيف القاموس: «والبَهْدَلُ: جَرْوُ الضَّبُع».

وقَبْلَه فيْ: ب أ د ل يقول الفيروزاباديّ كما يقول ابن منظور:

«البَأْدَلَةُ مِشْيةٌ سريعةٌ، واللَّحْمَةُ بَيْنَ الإبْط والنَّدوَةُ أو لَحْمُ الثَّدْيِ... وَجَمْعُها بَآدِل». ويُضيفُ ابنُ منظورٍ في (اللسان..): ويُقال للمرأة «إنّها ذاتُ بَهادِلَ وبَآدِلَ؛ وهي لَحَماتٌ بَيْن العُنُق والتَّرْقُوَةِ».

وفي مراجِعِنا المُعاصِرَةِ يقولُ أحمد رضا العامليّ وهو يَكْتُبُ مُعْجَمَه (مَتْن اللُّغة) وحواشِيَهُ التي رَبَطَ فيها ما بَيْن الفُصْحى وبَيْن عامِّيَّة جَبَلِ عامِلَة وما يَليه مِن سَواحِلِ دِمَشْقَ - كما كَتَبَ في مُقَدِّمَةِ كِتابِهِ (رَدّ العامّيّ إلى الفصيح)، وفيه بَحَثَ (البَهْدَلَة) في صَفْحَتَيْنِ رَبَطَ فيهما بَيْنَ المعنى العامّيِّ وبينَ ما وَرَدَ في كُتُبِ اللُّغةِ عن البَهْدَلَةِ جَرْوِ الضَّبُعِ.. أو «يُمْكِنُ أنْ يكونَ للبَهْدَلةِ تَعْليلٌ آخَرُ وهوَ أنّ أَصْلَ تَبَهْدَلَ تَهَدَّلَ أيْ صار هَديلًا، والهَديلُ: الرَّجُلُ الكثير الشّعرِ الأشْعَثُ الأغْبَرُ الذي لا يُسَرّحُ شَعْرَهُ ولا يَدْهُنُهُ...». أ.هـ. ولٰكنّ العَجَبَ لا يكادُ يَنْقضي. من أحمد رضا وإهمالِهِ طريقَتَهُ في الإبدالِ الذي غَلَبَ على أكْثَرِ مُعالجاتِه وبُحوثِه في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) إلّا في القليل من العِباراتِ وكان الإبدالُ هاهنا مع البَأْدَلة أَقْرَبَ إلى المَأْنُوسِ ومنصوصٌ عليه، والله أعلم أنَّ للبأدلة صِلَةً أشدّ من التَّهَدُّلِ والهَديلِ، بالبَهْدَلَة؛ والتي أحْسَنَ (المعجم الوسيط) لمَجْمَع القاهرة تخريجَها حينما قال: «بَهْدَل في مَشْيِه: أسرعَ واهتزّتْ بَهْدَلَتُهُ؛ وهي: أصْلُ ثَدْيِهِ، أو لَحْمَةٌ منْ عُنُقِهِ فوق التَّرْقُوَةِ».

والأميرُ شكيب أرسلان في: (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) لا يرى: «لها وَجْهًا فَصِيحًا إلّا إذا كانتْ مَأْخُوذَةً من جَرْوِ الضَّبع كأنّه مثلُهُ في المَهانةِ. هذا في الشّامِ ومصرَ والمَغْرِبِ».

ولٰكنّ د. عبد المُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) يأخذُ من القاموس: «البَهْدَلَةُ: الخِفَّةُ والإسْراعُ في الشيء؛ وفي هذا يقولُ الفَرَزْدَق (٢/ ١٩٥ العقد الفريد):

فما ثَمَّ في سعدٍ ولا آلِ مالِكٍ
غُلامٌ إذا ما سِيْلَ لم يَتَبَهْدَلِ.»

وكذلك أحسنَ مُؤَلِّفُ (المعجم المدرسيّ) محمَّد خير أبو حرب، لوزارةِ التّربيةِ السّوريّةِ حينما اقْتَصرَ على القَوْل: «بَهْدَلَ في مَشْيِهِ: أَسْرعَ». فهذا الإيجازُ مُناسِبٌ لِغَرَضِه المدرسيِّ.

أمّا أحمد أبو سعد في (قاموس المصطلحاتِ والتّعابيرِ الشّعبيّةِ) فيكادُ لا يَذْكرُ الأفعالَ، وإنّما يذكرُ الصّفاتِ المشتقّاتِ منها، وأكثرُ ما يذكرُهُ في صِيغَةِ اسمِ المفعولِ، فالمُبَهْدَلُ عندَه «منسوبٌ إلى البَهْدلِ، وهو في اللغةِ جَرْوُ الضَّبُعِ فشبَّهُوهُ به لِقَذارتِه.» قُلْتُ: الضَّبُعُ قَذِرَةٌ، وفيها قيل:

وليسَ تأكُلُ إلّا المَيْتَةَ الضَّبُعُ

ولٰكنَّ عَوَامَّ الشّامِ ومِصرَ اسْتَعْمَلُوا الفِعْلَ بَهْدَلَ ومُشْتَقّاتِه، والمُعاجمُ ذَكَرتِ الفِعْلَ الحيَّ بَهْدَلَ فلا تَأْكُلُهُ الضَّبُعُ؛ وجَرْوُها منسوبٌ إلى هذا الفِعْلِ وليسَ ناسبًا له ولا سيَّما أنَّ ابنَ منظورٍ في (اللسان..) لَمْ يَذْكُرْ جَرْوَ الضَّبُعِ ولعلَّه لم يجدْه في مصادرِهِ الموثوقةِ الخمسةِ كما ذكر في المقدّمة[1].

بَهَرَهُ فهلْ تبَهْوَرَ؟!

حينَ نقولُ: بَهَرَتْهُ بِجَمالِها فانْبَهَرَ أيْ: دُهِشَ إعجابًا وكأنَّ ضَوْءًا بَهَرَهُ أو تَتَابَعَ نَفَسُه أو انْقَطعَ نَفَسُه وَجْدًا.. وهذا المعنى معروفٌ في العامّيّ الفصيحِ ولٰكنْ حين نقولُ: (تَبَهْوَرَ فلانٌ). أيْ تَفَاخَرَ بِنَفْسِهِ أو بمالِهِ مُتَباهِيًا ومُتَفاخِرًا فيه مُبالَغَةٌ وصيغةُ الفَوْعَلَةِ دراجةٌ في عامِّيّاتِنا الدراجةِ فهذه مثلُ قولِهم في مصرَ بَهَرَهُ وانْبَهَرَ وتَبَهْوَرَ كما في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) حَيْثُ يقولُ د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال: «تَبَهْوَرَ فلانٌ في نَفَقَتِهِ: توسَّعَ فيها وزادَ إسرافًا». ثمّ يَخْرجُ د.عبد المُنْعم سيّد عبدالعال إلى معنى نقيضٍ ومُضادٍ لما ذكر «ونقولُ: أخذَتِ الفتاةُ تتبهورُ عندما وُوْجِهَتْ بالحقيقةِ، أيْ: أَخَذَتْ تَبْكي وَتَتَّسِعُ في بكائِها». قلْتُ: ولٰكنَّ هذه الباكيةَ لَيْسَتْ بالمُتَبَهْوِرَةِ عندَنا في الشّام ولو اتّسَعَتْ في بكائها.. ويُكمل د.عبدالعال: «والأصل فيها بَهَّرَ وَتَبَهَّرَ وفُكَّ إدغامُ الهاءِ المُضَعَّفة وأُبْدلَتِ الثّانيةُ واوًا - وِفْقَ قاعدةِ المُخالَفَة - فصارَتْ بَهْوَرَ وَتَبَهْوَرَ. وفي القاموس: البُهْرُ بِضَمّ الباءِ: ما اتّسَعَ من الأَرْضِ وَتَبَهَّرَ. امْتَلأ». ا.هـ. د. عبدالعال الذي عالجَ: بَهَرَ وَانْبَهَرَ قَبْلَ تَبَهْوَرَ بِسَبْع مَوَادَّ ففصلَ بينها وباعدَها.. وقلْتُ: ولٰكنّي أجدُ في (القاموس المحيط) للفيروزاباديّ ما هو أقربُ: «..وقد انْبَهَرَ وبُهِرَ [كعُنِيَ] فهو مبهورٌ وبَهِيْرٌ والبَهْرُ: الإضاءَةُ كالبُهورِ. والغَلَبَةُ والمَلْءُ والبُعْدُ والحُبُّ والكَرْبُ والقَذْفُ والبُهْتانُ والتّكليفُ فَوْقَ الطّاقةِ والعَجَبُ.. والبَهيرةُ: السّيدةُ الشّريفةُ... وَأَبْهَرَ: جاءَ بالعَجَبِ واسْتَغْنى بَعْد فَقْرٍ... وابْتَهَرَ: ادَّعَىٰ كَذِبًا وقال فَجَرْتُ ولم يَفْجُرْ... وابْتُهِرَ بِفُلانة: شُهِرَ بها.. وباهَرَ: فاخَرَ. وانْبَهَرَ السّيفُ: انْكَسَرَ نِصْفَيْن...

والبَهْوَرُ [كَجَرْوَلَ] الأَسَدُ..». اهـ. الفيروزاباديّ ولعلّ البَهْوَرَ الأَسَدَ ممّا يُوحي بكثيرٍ من تطوّراتِ معنى البَهْوَرَةِ ولم أجدْه في غير (القاموس المحيط).

مِثْلُ هذا في (أساس البلاغة) عدا البَهْوَرِ الأَسَدِ. وكذلك في (مقاييس اللغة) لابن فارس الذي اسْتَشْهَدَ بِبَيْت الكُمَيْت:

(١) مصادر (اللسان) لابنِ منظورٍ، كما ذكرها في المقدمة هي: (التَّهذيبِ) للأزهري، و(المُحْكَم..) لابنِ سِيْدَه، و(الصَّحاحُ..) للجَوْهرِيِّ، وحاشيتِه، و(الجمهرةُ..) لابنِ دريدٍ، و(النهايةُ في غريبِ الحديثِ والأثرِ) لابنِ الأثيرِ.

قَبِيْحٌ بِمِثْلِيَ نَعْتُ الفَتاةِ
إِمّا ابْتِهارًا وإِمّا ابْتِيارا

كما اسْتَشْهَدَ به ابن منظور في (لسان العرب) بعد أَنْ قال: «الابْتهارُ أَنْ يَقْذِفَها بنفسِه فيقولُ فَعَلْتُ بها كاذبًا، فإنْ كان صادقًا قد فَعَلَ فهو الابْتِيارُ على قَلْب الهاء ياءً».

وقَبْلَ ذلك قال ابنُ منظور: «..وبُهْرَةُ كلِّ شَيْءٍ: وَسَطه. وبَهْرَةُ اللَّيْلِ والوادِي والفَرَسِ: وسطُه.. وبُهْرَةُ الوادي سَرارَتُهُ وَخَيْرُهُ...

وَبَهَرَتْ فُلانةُ النّساءَ: غَلَبَتْهنّ حُسْنًا. وبَهَرَ القَمَرُ النُّجومَ بُهُورًا: غَمَرَها بِضَوْئِهِ... قال ذو الرُّمَّةِ يَمْدَحُ عُمَرَ بْنَ هُبَيْرَة:

حَتّى بَهَرْتَ فما تَخْفى على أَحَدٍ
إِلّا على أَكْمَةٍ لا يَعْرِفُ القَمَرا

وبَهَرَ الرَّجُلُ: بَرَعَ؛ وأنشدَ البيتَ السّابق...

وبَهْرًا له أَيْ: عَجَبًا. وَأَبْهَرَ: إذا جاءَ بالعَجَبِ. والبَهْرُ الغَلَبَةُ. ويَبْهرُ العيونَ بحُسنِه...

والابْتِهارُ قَوْلُ الكَذِبِ والحَلْفُ عليه. والابْتهارُ ادّعاءُ الشّيء كَذِبًا؛ قال الشّاعر:

وما بِيَ إِنْ مَدَحْتُهُمُ ابْتِهار

والأَبْهَرُ عِرْق إذا انْقَطَعَ ماتَ صاحِبُهُ؛ وهما أَبْهَرانِ يَخْرُجانِ من القَلْبِ ثُمَّ يَتَشَعَّبُ مِنْهُما سائرُ الشَّرايين...

والبُهار: الحِمْل، وقيلَ هو ثَلاثُمِائَةِ رِطْلٍ بالقُبْطِيَّةِ... والمُجَلَّد سِتُّمِائَةِ رِطلٍ.

قال الأزهريّ: وهذا يَدُلُّ على أنّ البُهارَ عربيٌّ صحيحٌ وهو ما يُحْمَلُ على البَعيرِ بِلُغَةِ أهل الشَّأْمِ، قال بُرَيْقٌ الهُذَلِيُّ يصفُ سحابًا ثقيلًا:

بِمُرْتَجِزٍ كَأَنَّ على ذُراهُ
رِكابَ الشَّأْمِ يَحْمِلنَ البُهارا»

وأعودُ من رحلةِ توثيقِ مادّة الجذْر ب هـ ر في معاجمِ التّراثِ لأقولَ: أَطَلْتُ قاصدًا أنْ أوضِّحَ عَراقةَ هذا الْجَذْرِ في لُغَتِنا، مَعَ أنَّ مِنَ المُعاصِرينَ مَن يَراهُ مِنَ السّاميّ المُشْتَرَكِ، أو الآراميّ..

ففي (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) يقول أحمد أبو سعد في ص٢٤٧: «بَهْوَرْجي: مَنْ يَتَشامَخُ على النّاسِ ويُوهِمُهم بِعَظَمَتِه وجَبَروتِه، قِيْل هو مِنْ بَهَرَ الآراميّة ومعناها تَشامَخَ (نخلة ل٦٨) وأَرَى أنّه مِن جَذْرٍ ساميٍّ مُشْتَرَك...».

فالأبُ روفائيل نَخْلة في كتابِه (غرائب اللهجة اللبنانيّة السّوريّة) الصّادر في بيروت سنة ١٩٦٢م يَرى أنّه من الآراميّة...

ولٰكنْ في لبنانَ أيضًا مَنْ يَجِدُها من أَصْل اللغةِ العربيّةِ الفصيحةِ كما ذَكَرَ الأمير شكيب أرسلان في ص٦٠-٦١ من (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل).

بَهْلَلَ البُهلولُ

تَسْمَعُهم يقولونَ (ظلَّ البُهلولُ يُبهلِلُ له حتّى خَرَطَ مِشْطَهُ) يقصدونَ بالبُهلولِ وَصْفَ الشَّخْصِ الخَدُومِ الضّاحِك المُتَهلّل وهو يؤدّي خِدْمةً لِغيرِه... ويَشْتَقّونَ منها الفِعْلَ يُبهلِلُ له. كأنّهم يَقْصِدونَ أنْ يمدحَهُ أو يُمالئَهُ أو يُسايرَهُ مُظهِرًا له المودَّةَ حتّى يصلَ إلى ما يريدُهُ منهُ وهذهِ الصِّفةُ في (البُهلولِ) مُتَطَوِّرةٌ عنِ الصِّفةِ القديمةِ للبُهلولِ في تُراثِنا القديم.

في (لسان العرب) لابنِ منظور: «والبُهْلُول من الرِّجالِ: الضّحّاك، وأنشد ابن برّي لِطُفَيْلٍ الغَنَوِيّ:

وغارَةٍ كَحَرِيْقِ النّارِ زَعْزَعها
مِخْراقُ حَرْبٍ، كَصَدْرِ السَّيْفِ، بُهْلُولُ

والبُهْلول: العزيزُ الْجَامعُ لكلِّ خيرٍ؛ عن السّيرافيّ والبُهْلولُ: الحَيِيُّ الكريمُ، ويُقالُ: امرأةٌ بُهْلول».

وفي (أساسِ البلاغةِ) للزّمخشريِّ: «وهو بُهْلُوْلٌ وهم بَهالِيْلُ، وهو الحَيِيُّ الكَريمُ. قال:

كم فيهمُ مِنْ فارسٍ ذي مَصْدَقٍ
عِنْدَ اللِّقاءِ سَمَيْدَعٌ بُهْلُوْلُ

وقال حَسّانٌ:

بَهالِيلُ منهم جَعْفَرٌ وابْنُ أُمّهِ
عَلِيٌّ ومنهم أَحْمَدُ المُتَخَيَّرُ

وفي عَصْرِنا كَتَبَ أحمدُ أبو سعد من لبنان في ص٢٤٧ من (قاموس المُصطلَحات والتّعابير الشَّعبيّة): بَهْلول: (معرَّب قديمٌ من الفارسيّة، شير ٢٩): أَصْلُ معناهُ السَّيدُ الْجَامعُ لكلِّ خيرٍ. الضّاحِك. وعامّتُنا يُطلقونَه على المُهرِّج المُضْحِك».

قلْتُ: وجدْتُه في (قاموس الفارسيّة) تأليف د.عبدالنّعيم محمَّد حسنين. ولٰكنّه لا يذكرُ أصلَهُ من أيِّ اللغتين عادة.

باخَ يَبوخُ..وبَخَّ

يُسْتَعْمَلُ عِنْدَنا الفِعْلُ: باخَ لَوْنُهُ يَبُوخُ، كمِثْلِ: جَرَدَ اللّونُ يَجْرُدُ، وَبَهَتَ وَضَعُفَ وقَلَّ وُضُوْحُهُ، وخصوصًا من أَثَرِ ضَوْءِ الشَّمْسِ فيه أو أَثَرِ مرُورِ الزَّمَنِ، أَو بِسَبَبِ الغَسْلِ بِالماءِ وَغَيْرِهِ، فَيَنْفُضُ اللّونُ وتَذْهبُ عنهُ النَّضارَةُ والإِشْراقُ، أو يَنْصُلُ اللّونُ ويَمَّحي..

ومِمَّنْ ذَكَرَ هذا المعنى للْفِعْلِ باخَ أَحْمدُ رضا العامليُّ في: (ردّ العامّيِّ إلى الفصيح) فقالَ: «ولعلّهُ مِن: باخَتِ النّارُ إذا سَكَنَتْ وَفتَرَتْ.. أَوْ تكُونُ من باخَ اللَّحْمُ بُؤوخًا إذا تَغَيَّرَ وَفَسَدَ، عن القاموسِ. وقيلَ بِأَنّها سِرْيانيَّة ولا حاجةَ إلى ذلكَ ما دام يُمْكِنُ إرجاعُها إلى أَصْلٍ عَرَبيّ». فقلْتُ: وما يمنعُ مِنْ أنْ تكونَ مُشْتَرَكَةً؟!

أمّا في مِصرَ فيقولُ د. عبد المُنْعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «باخَ: نقولُ في دارِجتِنا: باخَ كلامُ فلانٍ: فَتَرَ، وأَصْبَحَ مُمِلًّا لِسامِعيهِ. فهو بايِخٌ - بتسهيلِ الهمزة - وبَوَّخَ: خَرَجَ عن عاديّ الأمورِ، فَصَدَفَ الناسُ عنهُ وضَعُفَتْ حماسَتُهُم لهُ، وفي القاموسِ: باخَ الحَرُّ: سَكَنَ، ويقولُ الزَّمَخْشريُّ في أساسِ البلاغَةِ: عدا فُلان حتّى باخَ، وَبَوَّخ مُضَاعَفُ بَوَخ، وفي هذا يقولُ كعبُ بنُ مالِكٍ الأنصاري:

فَلَوْ خِلْتُمُ مِن دونِهِ لم يَزَلْ لكم
مَدَى الدَّهْرِ لا يَبُوخُ ولا يَسْرِي...»

قلتُ: وهذه المعاني انْتَقَلَتْ إلينا من الأفلامِ والمُسَلْسَلاتِ الفَنِّيَّةِ.. وراجَت عندنا صِفَةُ الحديثِ البايخِ والنّادِرَةِ البايِخَةِ غَيْرِ الطَّرِيفةِ...

وفي (لسان العربِ) يقول ابنُ منظورٍ: «باخَتِ النّارُ والحربُ تَبوخُ بَوْخًا وبُؤُوخًا وَبَوَخانًا: سَكَنَتْ وَفَتَرَتْ، وكذلك الحَرُّ والغَضَبُ والحُمّى؛ قال رُؤْبَةُ:

حتَّى يَبُوْخَ الغَضَبُ الحِمَيْتُ

وَأَباخَها الذي يُخْمِدها، وَأَبَخْتُ الحَرْبَ إباخةً. وباخَ الرَّجلُ يبوخُ: سَكنَ غَضَبُهُ. وباخ الحَرُّ يَبوخُ إذا فَتَرَ؛ وقيلَ؛ باخَ الحَرُّ إذا سَكَنَ فَوْرهُ. وأبِخْ عنك مِنَ الظَّهِيرَةِ أَيْ أَقِمْ حتَّى يَسْكُنَ حَرُّ النَّهارِ ويَبْرُدَ. وعَدا حتَّى باخَ أَيْ أَعْيا وانْبَهَرَ. وهم في بُوخٍ في أَمْرِهِمْ أَيْ في اخْتِلاطٍ».

أمّا أحمدُ بْنُ فارسٍ في (مُعْجَمِ مقاييسِ اللُّغَةِ) فيقول: «ب و خ كلمة فَصيحةٌ، وهو السُّكونُ.

يُقال: باخَتِ النّارُ بَوْخًا سَكَنَتْ، وكذلك الحَرُّ. ويُقال: باخَ: إذا أعيا؛ وذلك أنَّ حَرَكاتِهِ تَبُوخُ وَتَفْتُرُ». وَأَعُودُ إلى ما قالَهُ الأميرُ شَكِيب أَرْسَلان الذي خَرَّجَ منها أيضًا الفِعْلَ: بَخَّ الماءَ فقال: «وَرُبَّما تَكونُ (بَخَّ) أيْ رَشَّ الماءَ؛ مُحَرَّفَةً عنْ أباخَ النّارَ: أَطْفأَها؛ فإنّه يُمْكِنُ أَنْ يُقالَ: أَباخَ النّارَ بالماءِ». واللهُ أعلم..

البُوْر والبائِر والبُورِي وما البُوري؟

(الحائر البائر)؛ من السّجعات المُرَدَّدَة في أَغْلَب المَعَاجم وما تَزَال في عامّيّتنا فصيحة مَضبوطَة لفظًا ومعنى.. وكذلك (الْبَوار) بمعنى الْكَساد والْخَسارة.. وكذلك (الأرض البُور): التي لم تُزْرَع.. كلُّ هذه الفِصاح لا تحتاجُ إلى ذِكرٍ فهي من فِصَاح العامّيّة الشّهيرة...

والبُورِيُّ الطّريق أو الحصيرُ المنسوج فارسيٌّ مُعَرَّبٌ قديمًا وفي (اللسان..) و(التّاج..) عن (النّهاية) لابن الأثير أنّ في الحديثِ الشّريفِ أنّه (كان لا يرى بَأْسًا بالصّلاة على الْبوريِّ).

ولٰكنّ (البوري) الذي نسمّي به الأنبوب المُسْتَعمَل في نَقْل دُخانِ المِدفَأَة إلى المَدخَنَةِ المَبْنِيَّة، فيكونُ من المَعدِنِ، وقد نتحدَّثُ عن بوري الماء.. ونقصد الأُنْبوب أو الماسورة، ولم أقرّر الكتابَة فيه إلّا حين وَجَدْتُ ابن منظور في (لسان العرب) في غير جَذْر مادّةِ هذا التّركيب.. يَذْكُر الْبواري في شَرحِهِ (الشّبّاك) في مادّة الْجَذر: ش ب ك والشُّبّاك اسم لكلّ شيء كالقصب المُحَبَّكَةِ التي تُجْعَلُ على صَنْعَةِ البواري «والشُّبّاكة واحدة الشّبابيك وهي المُشَبَّكَةُ من الحديد. والشّبّاك ما وُضِع من القصب ونحوِه على صَنْعه البواري..»

ا.هـ. ابن منظور.

قلت: أقف على (البواري) سائلًا أهي التي مُفْرَدُها البوري في عامّيّتنا؟ وفتّشت حتّى عنّاني التّفتيش وأعياني الْبَحْث.. فلم أجدْ إلّا ذلك النَّوْع من الأسماك المَشْهورة باسْم سمك البوري، فقلت: هل اسْتُعْمِل البوري الأسطوانيّ على التّشبيه بكفّ الحصير أم بهذا النّوع من الأسماك؟ ومُنْذ عَهْدِ ابن منظور قبل نيّف وسبعة قرون؟ أم قبلَ ذلك؟ وهل اسْتَعمَله مؤلّف (لسان العرب) في شُروحه وأَهْمَلَه وأَغْفَلَه في مَوادّه؟ ثمّ أَغْفَلَه كلُّ مَنْ كَتَبَ مُعْجَمًا بعدَه وَأَهْمله مع أنّه على الألسنة عِندَنا ما يزالُ حيًّا إلى اليوم؟

إلّا أنّ شِهاب الدين أحمد الخَفاجي في (شِفاء الغليل..) ص٦٢ قال: «بوريا: (فارسيّ معرَّب) وهي بالعربيَّة باري وبوري». ولم أجد في (قاموس الفارسيّة) إلّا (بوريا: الحصير).

والبستانيّ في (محيط المحيط) «ب و ر: ألمح إلى: البُورياء والبُورِيّ والبُوْريّة: الحَصِير المَنْسُوج من القَصَب، والطَّريق: (فارسيّ معرّب).. وقال الأصمعي: البارِيّ والبُورِيّ عَرَبيّ؛ وأنشد للعجّاج:

كالخصّ إذا جَلّلهُ الباريُّ

والبُوريُّ ضَرْب من السَّمَك نِسْبة إلى بورةَ: بلد بِمِصْر. الواحدة: بوريَّة وَقَصبةٌ من النُّحاس مُنْعَطِفَة الرَّأْس يَنْفُخُ بها الصائغ. وأرسله بِبُوريّة إذ تُرِكَ ورأيَه ولم يُؤَدَّب».

وكتب البُستانيّ عن (البُورانِيَّة): وهي الطّعام الذي يدعوه أهل دمشق اليوم: البُوراني؛ فقال: «..طعام يُنسب إلى بُورانَ بِنْتِ الحَسَن بن سهلٍ زوجة الخليفة المأمون العباسيّ وهي التي يقول فيها الشاعر:

بارَكَ اللهُ للحَسَنْ
ولبُورانَ في الخَتَنْ

يـا إمـامَ الـهُـدىٰ ظَـفِـر
تَ وَلٰـكِـنْ بِـبِـنْـتِ مَـن؟»

فقيل: لم يَعْرِف البلاغِيُّون أَمَدَح أباها أم ذمّه!

وأعود إلى البوري في (المعجم الوسيط) لمجمع القاهرة؛ ففيه: «البوري: الباري. والبوري: نوع من السمك... إلخ».

وإلى (قاموس المصطلحات والتّعابير الشّعبيّة) لأحمد أبي سعد ص٣٦١ «سمك البوري: الاسم نسبة إلى قرية بورة.. (شفاء الغليل ٥٢) أو هي قبطيّة من (برو) بالمصريّة القديمة (معجم الحيوان ص١٦٤) ومنهم من يرجعه إلى اللاتينيّة (انظر: نحو تفصيح العامِّيَّة ص٧٧)».

ولم أجد مزيدًا أو جديدًا في (المعجم العربيّ الأساسيّ).

البُوز

حينَ يقول العامّيّ: هذا (بُوْز) الطّائر، ويَقْصد مِنْقاره، ثمّ يشبّه به علىٰ التّشبيه فم الإبريق أو (زنبوعته) وأحيانًا فم الإنسان المَشْتُوم فيُقال فيه (خلّيه يَسُدّ بوزه)، فهذا (البُوز) ليسَ من الفصيح وإنّما قيْل هو مُعرّب قديم من الفارسيّة، وفي (قاموس الفارسيّة) تأليف د.عبدالنّعيم محمّد حَسَنين: وفي:

«پ و ز: پوز (پوزة): فم الحيوان. أنفُ الحَيَوان مِنْقار الطّير».

قلت: أمّا في العربيّة فاسْتدرك الزّبيديّ في (تاج العروس من جواهر القاموس) على الفيروزاباديّ في (القاموس المحيط) في: ب و ز: «وممّا يُسْتدرَك عليه في التّهذيب: البَوْزُ الزَّوَلان من مَوْضِع إلى مَوْضع، ويُقال: بازَ يَبُوز: إذا زال من مكان إلى مكان آمِنا». وابن منظور في (اللسان..) يَنْقل النّصّ ذاتَه عن الأزهريّ في التّهذيب، كما نعرف من قوله في مُقَدّمته.. ولا علاقة لمَصْدر الفِعْل بازَ بَوْزًا بالبوز الذي يقول فيه بطرس البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط): «..والبوز الفم خاصّ أيضًا بالخنزير، وهو من كلام العامّة ومنه يقولون: بَوَّزَ فلان أي قَطَّبَ وَجْهه أو حَرِد».

أمّا أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلحات والتّعابير الشّعبيّة) فيرى: أنّها: «..في الأصل: مُقَدّم أنف الدّابّة وفمها، واسْتُعِيْرت للإنسان وأُطْلِقَت على فَمِه ازْدِراء. ج: بواز. قِيْل إنّها فارسيّة (نخلة ل١٣٧) عُرِّبَت قديمًا واسْتَعْمَلها العَرَب في كتاباتِهم. يقولُ أحمد تيمور (المعجم الكبير ٢٤٩): وَرَد في (عيون التّاريخ ج١٢ ص١٤٩): بوز بمعنى فم. وفي (فصل الكلاب علىٰ الكثير ممّن لَبِس الثّياب ص٣٠) مُلَوَّث بالدّم وجهه وبوزه. وفي (الأغاني ج١٥ ص١٣٠) قول أشعب للسّيّدة سكينة: امْسَحِي بُوْزَك.

وقد اشْتَقّوا منها فِعْلًا فقالوا: (بَوَّز فلان) بمعنى: مَطَّ فمه من الغَضَب». ا.هـ. أبو سعد.

باس يَبُوس

أذكر - من أَجْل تسهيل التّربية اللغويّة لأطفال الحضانة والرّياض ما عرّب الأقدمُون:

باس يبوس

وباس يبوس من المُعرّبات الأَكْثر ذُيوعًا في العامّيّات الشّاميّة والمِصريّة وغيرهما من العامّيّات الأُخرى. وفي تصانيف الفيروزاباديّ[1] صاحبِ

(١) الفيروزابادي: محمّد مَجْد الدّين بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشّيرازي ٧٢٩-٨١٧هـ: كِتاب (تحبير الموشين في التّعبير بالسّين والشّين) تحقيق محمد خير محمود البقاعي ط. دمشق ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

القاموس كتابٌ لطيفٌ (تَحْبير الموشين في التّعبير بالسّين والشّين). يقول فيه في باب الباء: «البَوْسُ والبَوْشُ: باسه بَوْسًا وباشه بَوْشًا إذا خَلَطَه». ولم يذكر فيه البَوْس: التّقبيل؛ أمّا ما بمعنى قَبَّل، فقد قال الفيروزاباديّ ذاتُه في قاموسه المُحيط: «البَوْس: التّقبيل، فارسيّ مُعَرَّب».

والخلط. ومِنْ قَبْله قالها الْجوهريّ في (الصّحاح) ثمّ الرّازي في (المختار من صِحاح اللغة)، وابن منظور في (لسان العرب)، وبَعْدَه المُرتضى الزّبيديّ في (تاج العروس) ثمّ المُعْجَمات الحديثة ومُعْجَم المَجْمَع (الوسيط) الذي نصّ على: «باسه يبوسه بَوْسًا: قبّله (فارسي مُعَرّب)».

ولٰكنّ الذي ذكر «باس الأرض بَوْسًا. وتقول: اليَوْمَ بِساطُك مَبوس، وغدًا أنت محبوس. وتقول: أيُّها البائس ما أنت إلّا بائس»، فأظنُّك عَرَفْتَه من أسلوبه وأمثاله، فهو الزّمخشريّ في (أساس البلاغة)[1]. وبالرّغم من أنّه سابق عليهم جميعًا فهو لا يذكر أنّها فارسيّة مُعَرَّبة، ولَعَلّه يَشْعر بِرُسوخِها في العربيّة كرسوخ تعريب الورد وآمين وإبراهيم وإسماعيل وأمثال ذلك..

أمّا في عصرنا فقد اختارت العامّيّات (البَوْس) فَهَجَرها الكُتّاب المُلازِمون للفصيح الذي ظَنُّوهُ يُنْكِرُها، فلم يَقْبَلوا بغير التَّقْبيل، فكأنّ الزّمخشريّ إمام القَرْنَيْن الخامس والسّادس الهِجْرِيَّين - العاشر والحادي عشر الميلاديَّيْن، أقلّ حرصًا على العربيّة الفصيحة من هؤلاء المُعاصرين لنا! حتّى إنّه يُدْرِجها في (أساس البلاغة) عربيّة عربيّة..

بَوْش و(خُوش بُوش) وَأَوْباش

(يا.. نصيب.. ما فيه بوْش).

هكذا كان بائعُ النَّصيب، أو اللاعِبُ بالنَّصيب والحظّ يُنادي، في أيّام العيد في طُفُوْلَتِنا؛ (حظّك.. يا.. أبا الحُظوظ.. ما فيه بَوْش).

أُلاحظ أنّ العامّيّة خصّصت (ما) للنّفي فقط دون المعاني الأخرى لها.

وهو يَقْصدُ بالبَوْشِ عَدَمَ الرِّبح وعَدَم الحُصول على أيِّ شَيْءٍ، فقد كانَ بائعُ الحظِّ والنَّصيب يَسْترضي الخاسِرينَ في (السَّحْب) فيَلْتَمِسُ لهم ولو خاتَمًا من حديد أو نُفّاخةً أو أيَّ شَيْءٍ يُسَلُّون به طفولَتَهم. وهٰكذا كنّا نقول أحيانًا مُعَبِّرين عمّا كنّا نسعى فيه فَيَضِيْعُ مَسْعانا بِلا جَدْوى: ذَهَبَت الْجُهود والمَساعي في (البَوْش)! فهل تطوّرت العبارةُ في العامّيّة إلى نَقِيْض أصْلِها الفصيح؟

يا تُرى أكانتِ النَّقائضُ في اللغة قديمًا تتكاثَرُ وتُؤَلِّف لها الكُتُب والمَعاجم بسبب التَّفاؤل في الحظّ والنّصيب؟ أَلَمْ يُحَدِّثْنا عُلَماءُ اللغة القُدماء أنّ العرب كانت تُكنّي عن المَلْدوغ بالسَّليم؟ تَيَمُّنًا بِشِفائه؟! وذاك الأمير الذي بَهَرَه جَمال جارِيَةٍ وأرادَ أنْ يَخْتار لها اسْمًا مُناسبًا فسمّاها: قبيحة؟! فهل فَعلَتِ العامِّيّة عندنا بعبارة (البَوْش) مِثْل ذلك؟ أم كان تَنَقُّل هذه العبارة بين العربيّة والتركيّة هو ما فعل هذا بها؟

تأمّلُوا في قَول الزّمخشريّ في (أساس البلاغة):

«جاؤوا[2] في هَوْشٍ وبَوْش، وهو الْجَمْع

(١) الزّمخشريّ محمود بن عمر المُتَوفّى سنة ٥٣٨: (أساس البلاغة) ط: ١٣٧٢هـ- ١٩٥٣.

(٢) همزة: جاؤوا: التي نكتُبها نحن على الواو، مكتوبة على السّطر من غير كرسيّ في مُعْجم (أساس البلاغة) للزّمخشريّ محمود بن عمر المُتوفّى سنة ٥٣٨هـ تحقيق عبدالرحيم محمود، طبعة مُصَغَّرة (بالفوتوأوفست) عن طبعة دار الكتب المصريّة عام ١٣٤١هـ، عرّف به أمين الخولي سنة ١٩٥٣م.

والكَثْرة، وقد بَوّشُوا».

ويُنَوّع ويَزِيد الفيروزاباديّ في القاموس المُحيط: «البَوْشُ: الجماعة المُخْتَلِطة؛ أو: لا يكونون إلّا مِنْ قبائلَ شَتّى؛ أو: الكثرة من النّاس، ويُضَمّ فيهنّ [بُوْش]. ومنه: بَوْش بائشٌ. وبنو الأب إذا اجتمعُوا. وطعامٌ بمصرَ من حَنْطَةٍ وعَدَسٍ يُجْمَعُ ويُغْسَلُ في زنْبيلٍ وَيُجْعَلُ في جَرَّةٍ ويُطَيَّن ويُجْعَل في التَّنُّوْر. وضجيج الأخلاط من النّاس وقد بَاشُوا. وتَرَكْتُهُم هَوْشًا بَوْشًا: مُخْتَلِطين... والبَوْشِيُّ: الفقير المُعيلُ وَمَنْ هو مِن خُمَّانِ النّاسِ وَدَهْمائِهِم؛ ويُضَمُّ [البُوْشيّ]. وباشَ فلانًا: أَهْوى له بِشَيْءٍ. وتَباوَشَا: تَناوَشَا. ولا يَنْباش ولا يَنْحاش: ولا يَنْقَبِض. وَبَوَّشُوا تبويشًا وَتَبَوَّشُوا: اخْتَلَطُوا..».

وللفيروزاباديّ غير (القاموس..) مُصَنَّف لطيفٌ من مُصنَّفاته الكثيرة؛ هو (تحبير المُوَشّين في التّعبير بالسّين والشّين)[1] وفي باب الباء منه «البَوْس البَوْش: يُقال: باسَه بَوْسًا وباشَهُ بَوْشًا إذا خَلَطَهُ». وأُلاحظ هنا أنّه لم يَقْصِدْ البَوْس بمعنى التَّقبيل؛ المُعَرَّبَة عن الفارسيّة..

والمُرتضى الزّبيديّ في (تاج العروس من جواهر القاموس) يَسْتَدْرِك على الفيروزاباديّ قائلًا:

«وممّا يُسْتَدْرَك عليه: باش يَبُوش بَوْشًا إذا خَلَطَ؛ قاله الفَرّاء، وباش يَبُوش بَوْشًا إذا صخب البَوْش، وهم الغوغاء، عن ابن الأعرابيّ، وجاء بالبَوْش البائش: الكثير... ورجل بَوْشيّ: كثير البَوْش، وأنشد الجوهريّ لأبي ذُؤَيْب:

وَأَشْعَثَ بَوْشِيّ شَفَيْنا لِحاحَه

غداتئذ ذي جردة مُتماحِلِ»

قُلْت: إنّ العامّة عندنا قَلَبَت المعنى إلى نقيضه. أمّا العامّة في جبل عاملة وساحل لبنان مِنَ الذين كَتَبَ في عامّيّتهم أحمد رضا كِتابَهُ: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) فقد قال عنهم فيه: «البَوْش عند العامّة: الأنعامُ الكثيرة من إبِلٍ وبقرٍ وغَنَمٍ، يُقال: عند فلان بَوْش.. وبَوْش كثير..».

ثمّ قال أيضًا: «..وقالُوا: أخذه بَوْش؛ أي على حين غَفْلَةٍ وبلا رَوِيّة، وفي اللغة: بَأَشَهُ بَأْشًا: صَرَعَهُ على غَفْلة... والهَمْزُ ليس مِن لغة قريش». ا.هـ. رضا.

وقلت: أمّا قولُ عامّتنا: أنا وفلان (خوش بوش) أي بمعنى: مُتحابّان؛ فإنّ خوش كلمة فارسيّة معناها الحَسَن والجيّد والعَذب كما في كثير من المعاجم في اللغتين فهل يجوزُ أن يكونَ مُحَرَّفًا من قَوْل الفُرس: (خوش باش) أي: «كن فرحًا، كن مرتاحًا لا تهتمّ بحوادث الدّهر»؟! وهذا معنى: (خوش باش) في قاموس الفارسيّة..

وأعود إلى مَنْ قالوا بِعُجْمَة (البوش)

فابن فارس في (مقاييس اللغة: ب و ش): «..وليس هو عندنا من صميم كلام العرب».

ولِلْبُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط): «..وأَمْرٌ بَوْش: باطل لا طائلَ من تحتِه، وهو من كلامِ العامّة مأخوذٌ من بَوْش بالتّركيّة بمعنى فارغ...» وذلك بعد أن يَسْرُد البُستانيّ جملةَ المعاني العربيّة التي ذُكرت في (القاموس..) ففي كتابه (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «بُوش: نقول في دارجتنا: فلان بُوش، بضمّ الباء: حقير الأصل وَضيعُ النَّسَب، أو عديمُ النَّفْع لا يُحقّق فائدةً ولا يَعْمَل خيرًا.

(١) الفيروزابادي محمّد مجد الدّين يعقوب المُتَوفّى سنة ٨١٧هـ. (تحبير المُوشّين في التّعبير بالسّين والشّين) تحقيق محمد خير محمود البقاعي. ط. دار قتيبة. دمشق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

ونقول: هذه السِّلْعة بُوش رَدِيْئة غير جيّدة، وفي (القاموس..): بَوْش وبُوش: القوم المُخْتَلِطون من قبائلَ شتّى».

و(المعجم الوسيط) لمَجْمَع القاهرة يُورِد الفِعْل «باش الرَّجُلُ يَبُوش: صَخِب الغوغاء... وباوَشَه: أَوْمَأَ له بشَيْء.. وانْباشَ من كذا: انْقَبَضَ ونَفَر منه... وجَمْعُ البَوْش أَبْواش وَأَوْباش (على القَلْب)».. ويُورد (..الوسيط) جملة المعاني له على أنّها عربيّة النِّجار لأنّه كان يذكر أنّه يكون مُوَلَّدًا أو مُعَرَّبًا أو دَخيلًا لو كان يراه من ذاك.. وحين يَجْمَعُها على: (أوباش) على القَلْب فهذه أيضًا من فِصاح العامّيّة لفظًا ومَعْنًى كما في: و ب ش: «الوَبَش والوَبْش، واحد الأوباش، أي: سَفِلَةُ النّاسِ وأوغادُهم وأَراذَلُهُم ورِعَاعُهم».

وكما في مُعْجَم مَجْمَع القاهرة (..الوسيط) كذلك في (المعجم المدرسيّ) لمحمّد خير أبو حرب ووزارة التّربية بدمشق، في ب و ش ومقلوبها: و ب ش.

الباع والبُوع والتَّبَوُّع

(هُوَ لا يَدْرِي بُوعَهُ من كُوعِهِ) أو (لا يَعْرِفُ بوعَه من كُرْسُوعه) مَثَلٌ شَعْبيّ دارِجٌ على أَلْسِنَتِنا، على تَخَالُفٍ في بَعْض الألفاظ وتَوَافُقٍ في المَغْزَى الذي يَدلُّ على تَمام الْجَهل.

وفي (القاموس المحيط): ب و ع: «البَوْعُ وَيُضَمُّ [البُوع] والبَاعُ: قَدْرُ مَدِّ اليَدَيْن. جَمْعُها أَبْواع. والشَّرَفُ والْكَرَمُ. والْبَوْعُ: مَدُّ الْبَاع بالشَّيْءِ كالتَبَوُّع. وإبعاد خَطْو الفَرَس في جَرْيِه. وَبَسْطُ الْيَدِ بالمال... وما يُدْرَكُ تَبَوُّعُهُ؛ أي: شَأْوُهُ».

وفي (لسان العرب): «الباع والبَوْعُ والبُوع: مَسَافَة ما بَيْنَ الكَفَّيْن إذا بَسَطْتَهُما، الأَخِيْرَةُ هُذَلِيَّةٌ، قال أبو ذُؤَيْب:

فلو كانَ حَبْلًا من ثَمانينَ قامَةً
وَخَمْسِينَ بُوعًا نالَها بالأَنامِلِ».

وأَشْرَحُ الكُوع والكُرْسُوع ثمَّ أتوسّع في مادّة: ب و ع الحافِلَةِ بِفِصَاح العامّيّة.

والكُوع في: (القاموس..) «طَرَفُ الزَّنْد الذي يلي الإِبْهام، كالكاعِ، أَوْ هُما طَرَفا الزَّنْدَيْنِ في الذِّراع ممّا يَلِي الرُّسُغَ، أو: الكُوع: طَرَفُ الزَّنْد الذي يَلي الإبْهام والكاعُ: طَرَفُ الزَّند الذي يَلي الخِنْصَرَ وهو الكُرْسوع أو الكُوع... وَتَكَوَّعَتْ يَدُه: أَصَابَها الكَوَعُ.. وقَد كَوِعَ [يَكْوَع] كفَرِح. والأَكْوَعُ: العَظِيم الْكَاعِ وَمَنْ أَقْبَلَ رُسْغاه على مَنْكِبَيْه... وَكَوَّعَهُ بالسَّيف: ضَرَبَه به حتّى اعْوَجَّتْ أَكْوَاعُه، وتكَوَّعَتْ يَدُهُ: أصابَها الكَوَعُ».

قُلْتُ: والكُرسوع في: ك ر س ع من (القاموس..): «طَرَف الزَّنْدِ الذي يلي الخِنْصَرَ النّاتِئَ عند الرُّسُغ؛ أو: عُظَيْمٌ في طَرَف الوَظِيف ممّا يَلِي الرُّسُغَ من وَظِيف الشّاءِ وَنَحْوِها مِنْ غَيْر الآدميّين..».

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشري: ك و ع: «رَجُلٌ أَكْوَعُ، وبِهِ كَوْعٌ هو خُروجُ الكُوع، وفُلانٌ لا يُفَرِّق بين الكُوع والكُرْسوع؛ الكُوْع: من ناحية الإبْهام، والكُرْسوع من ناحية الخِنْصر».

وأعودُ إلى البُوع والتَّبَوُّع في (أساس البلاغة): «باعَ الثَّوْبَ يَبُوْعَه: إذا قَدَّرَهُ بباعه، نحو: ذَرَعَهُ إذا قَدَّرَهُ بِذِراعِه. وتَقُول كَمْ بَوْعُ ثوبِكَ؟ وكَمْ ذَرْعُ ثوبك؟

وباعَ البَعيرُ والفَرَسُ وَتَبَوَّعَ: إذا مَدَّ باعَه في سَيْرِه. وَفَرَسٌ طَيِّعٌ بَيِّعٌ: بَعيدُ الخَطْو.. وَمَرَّ يَتَبَوَّعُ.. ومِنَ المَجَاز: لفلانٍ سابِقَةٌ وباعٌ. وتَبَوَّعَ للمَسَاعي: مَدَّ باعَه. قال الطِّرِمّاح:

يـمـانِـيٌّ تَـبَـوَّعُ لِـلـمَـسـاعـي

يَدَاه وكلُّ ذي حَسَبٍ يَمَاني».

قُلْتُ: وعوامُّنا في دَمَشْق يَقُولونَ: فُلانٌ باعُهُ طَوِيل، يَقْصِدُون أنّ يَدَهُ طائِلَةٌ، أي له نُفُوذ، فإذا تَفَاخَر بالكَلام عن طُوْل باعِهِ دُونَ أَنْ يكونَ لَهُ مِنْه غيرُ الكَلام يَزْجُرونه قَائِلين: لا تَتَبَوَّع!.

وإذا كُنْتُ أَسْمَعُ مِنْ عامّة جِيْلِنا هذا المعنى المَجَازيّ في التَّبوُّع، فإنّ جِيلَ شفيق جبري كانَ له معنى مَجَازِيّ آخر للتبوُّع، ففي (بَقايا الفِصَاح) في ص٤ من الْجُزْء الأوّل من (مجلّة مَجْمَع اللغة العربيّة بدمشق) المُجَلَّد ٥٣ بتاريخ المُحَرّم سنة ١٣٩٨هـ وكانون الثّاني (يناير) سنة ١٩٧٨م كَتَبَ شفيق جبري: «فقد يَحْدُث في وَليمةٍ مِنَ الوَلائم أو على مائدةٍ مِنَ المَوَائِد أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ كثيرًا وَأَفْرَطَ في الأَكْلِ حتّى تَعِبَتْ مَعِدَتُه مِنْ كَثْرَةِ الأَكْل أو مَرِضَتْ فَتَقُول العامّة في مِثْل هٰذه الحالَة إنّ فُلانًا أَكَلَ وتَبَوَّع في الأَكْل، وهم يُرِيدُون بذلك أنّه أَكَل كثيرًا حتّى أَتْخَمَه الطّعامُ... لا نَجدُ تَوافُقًا كثيرًا بَيْنَ لُغَة العامّة واللغة الفَصيحة في هذه المادّة: التّبوّع، ولٰكنّ العامّة لها مَذْهَبُها في المَجَاز فإذا كانَ مِنْ مَعَاني التّبوّع مَدّ البَاع بالمَشْي فما الذي يَمْنَع العامّة عَنْ أَنْ تَنْقُلَ هذه المادّة مِنَ الحَقيقة إلى المَجَاز فَتَعْني بالتّبوُّع مَدَّ الْبَاع إلى الأَكْلِ والإِكْثار منه، وكَيْفَ كانَ الأَمْر فإنّ مادّة التَّبوُّع الدّارِجَة في لُغَة العامّة إنّما هي فَصِيحة».

وَيَذْهَب إلى مِثْل هٰذا أو قَريب منه الأمير شكيب أرسلان في ص٦٣ من (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل): «وتقول العامّة: تبوّع الشّيء؛ أي: أَكْثَرَ منه، ويَسْتَعْمِلُونَه في الأَكْل كثيرًا. وأحيانًا يَلْفُظُونَه بالْحَاء (تَبوَّح) وحَقِيقَتُه بالعَيْن، وهو في اللغة: تَبَوَّع الشّيء: امْتدّ فيه وأَدْرَك غَايَتَه». وفي حاشية المُحَقِّق محمَّد خليل الباشا شاهد بيت الطِّرِمّاح:

لقد خِفْتُ أنْ أَلْقَىٰ المَنَايا ولَمْ أَنَلْ

مِنَ المالِ ما أَسْمُوْ بِهِ وأُبَوِّعُ

قُلْتُ: هذا الشّاهد يَصِحّ للمعنى المجازيّ المُسْتَعْمَل في جيلِنا: التّبوّع: التّباهي والتّفاخر.

وأحمد رضا العامليّ لم يَكْتُب في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) عن التّبوُّع، ولٰكنّه كَتَبَ عن: (بَوّع تَبْويعًا: إذا أَطْلَقَ يَدَهُ يَفْعَلُ ما يَشَاء).

وأمّا الذي أَشَار إلى المَثَل: لا يَدْرِي كُوْعَه مِنْ بُوعِهِ فَهو بطرس البُسْتانيّ في (محيط المحيط).

البال

المُفَضَّلُ بنُ سَلَمَة بنِ عاصم مُؤَلِّفُ (الفاخِر) الذي تَحَدَّثْتُ عنه في المُقدّمة[1] ووضَّحْتُ فيها أنّي أراهُ من أوائِلِ المؤلِّفينَ في فِصاحِ العامّيّة منذُ بداياتِ خروجِ العَوَامّ عن الفَصيح قَبْلَ نيِّفٍ وألفِ سنةٍ. في (الفاخر) هذا يرى المُفَضَّل في قول العامّةِ في عصرِه (خَطَرَ ببالي) قولًا فصيحًا صحيحًا تقولُهُ العامّةُ دون أنْ تَعْرِفَ أنّهُ صحيحٌ فصيحٌ...

وفي (لسان العرب) لابن منظور: ب و ل

«والبال: الحالُ والشّأنُ، وفي الحديثِ: (كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبْدأُ فيه بِحَمْدِ الله فهو أَبْتَرُ).. والبالُ في غيرِ هذا: القَلْب، ومنه حديث الأحنف: (نُعِيَ له فلانٌ الحنظليُّ فما ألقى له بالًا أيْ ما اسْتمعَ إليه ولا جَعَلَ قلبَهُ نَحوَه). والبال: الخاطِر. والبالُ: المَرُّ الذي يُعْتَمَلُ به في الأَرْضِ... والبالُ: رَخَاءُ العَيْشِ [وفي الحاشية: كتب هنا بهامش الأصل: في نسخة رخاء النّفْس].

(١) انظر مقدّمة هذا المُعجَم ففيها المزيد عن كتاب (الفاخر) ومؤلّفه المُفَضَّل بن سلمة.

يُقال: فلانٌ في بالٍ رَخِيٍّ وَلَبَبٍ رَخِيٍّ؛ أي: في سَعَةٍ وخِصْبٍ وأَمْن، وإِنَّه لَرَخِيُّ البالِ ناعم البالِ [وأقطعُ النَّقْلَ من ابن منظور لأقولَ: هذه عبارةٌ فاشيةٌ كثيرًا في عامّيّتنا فَيُقالُ: فلانٌ فارغُ البالِ. بالُه فاضٍ وعَيْشُه راضٍ، ثمّ أعودُ أستكملُ من ابن منظور]: يُقَال: ما بالُكَ؟ والبال: الأَمَل: يُقال فلانٌ كاسفُ البالِ. وكسوف بالِهِ: أنْ يَضيقَ عليه أَمَلُهُ. وهو رخيُّ البالِ إذا لم يَشْتَدَّ عليه الأمرُ ولم يَكْتَرِثْ له وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سيهديهم ويصلح بالَهُمْ﴾ السورة ٤٧ محمَّد الآية ٥ أيْ حالهم في الدنيا. وفي المُحْكَم: أيْ يصلحُ أمْر مَعاشِهِم في الدنيا مع ما يُجازيهم به في الآخرةِ، قالَ ابنُ سِيْده: وإنّما قضَيْنا على هذه الألِفِ بالواوِ لأنها عَيْنٌ مع كَثْرةِ (ب و ل)، وقِلّةِ (ب ي ل): والبالُ. القَلْب، ومن أسماءِ النّفسِ: البال. والبالُ بالُ النّفْسِ وهو الاكتراثُ، ومنه اشْتُقَّ: بالَيْتُ، ولم يَخْطُرْ ببالي ذلكَ الأمرُ أيْ لم يَكْرِثْني. . وليسَ هذا من بالي؛ أيْ: ممّا أُباليه، والمَصْدَرُ البالةُ. . ومن كلام الحَسَن: لم يُبالِهِم اللهُ بالَةً. ويُقال: لم أبالِ ولم أُبَلْ، على القَصْر؛

. . بالَيْت: كَرِهْتُ. . . وهما يَتَبالَيان؛ أيْ يتباريان؛ قال الْجَعْديّ:

وتَبَالَيَا في الشَّدِّ أيَّ تَبَالي

وقَوْل الشّاعر:

ما لي أراكَ قائمًا تُبالي،
وأنتَ قَدْ مُتَّ منَ الهُزال؟

قال: تُبالي: تَنْظُرُ أيُّهم أَحْسَنُ بالًا وأنت هالِك. يُقالُ: المُبالاةُ في الخيرِ والشّرِّ، وتكونُ المبالاةُ الصّبرَ. وذكرَ الْجَوْهريّ. ما أباليه بالةً في المُعْتلّ؛ قال ابن بَرّي: والبال: المبالاة». . . ابن منظور ب و ل.

وأنتقل إلى الزّمخشريّ في (أساس البلاغة) ولٰكن من ب ل و: وهما يَتَباريان ويَتَبالَيان: أيْ يَتَخَابَران. ومنه قولُهم: لا أُباليه: أيْ لا أخابرُه لِقِلَّةِ اكْتراثي له، وهو أَفْصَحُ مِن: لا أبالي به؛ قال زُهَيْر:

لقد بَالَيْتُ مَظْعَنَ أُمِّ أَوْفَى
ولٰكِنْ أُمُّ أَوْفَى لا تُبالي

وقِيْلَ: هو قَلْبُ لا أُباوِلُهُ من البالِ، أي: لا أُخْطِرُهُ ببالي ولا أُلقي إليه بالًا. ولذلكَ قالُوا: لا أُباليه بالةً، وقيل: أَصْلُها بالِيَةً. وناقةِ بِلْوُ سَفَرٍ: قد بلاها السَّفَرُ أو أبلاها. . وقريبٌ من ذلك ما لدَى الفَيّوميّ في (المصباح المُنير): ب ل و. وأُلاحظُ أنَّ ابنَ منظورٍ في (اللسان). . ساقَ شاهِدَ زُهير في ب و ل أمّا الزّمخشريّ في (الأساس. .) فساقَهُ في: بَلَوَ ولٰكنَّ الْجُمَلَ والعباراتِ التي أَخَذْتُها من الزّمخشريّ والفيّوميّ في: ب ل و، وأعادَها ابنُ منظورٍ في ب ل و: وأيضًا بَعْد ذِكْرها في ب و ل: الذي أهمَلَهُ الزّمخشريّ في (الأساس. .) ولم يُهْمِلْهُ الفَيّوميّ في (المصباح. .) وأحسن التّفريق بَيْن مادَّتَي الْجَذْرَيْنِ كَمِثْلِ ابن فارس في (مقاييس اللغة) الذي أُضِيفُ منه: «والمَصْدر البَالَةُ والمُبالاةُ ومنه قول ابْنِ عَبّاسٍ وسُئل عن الوُضوءِ باللَّبن: (ما أُبالِيْهِ بالَةً، اسْمح يُسْمَحْ لك). . . وممّا حُمِل على هذا: البال، وهو رَخاءُ العَيْش، يُقَالُ: إنّه لَرَاخِي البال وناعِم البال».

أقول: في عامِّيَّتنا وعامّيّةِ مصرَ والْجَزائرِ وغيرِهما. . تجدُ أغلبَ هذه العباراتِ ما تزالُ مُسْتَعْمَلَةً بمعانيها الفصيحةِ وفي شَيْءٍ من التّوسُّعِ فيها أحيانًا، ومِثالٌ على هذا التَّوسُّعِ موجودٌ في العامّيّةِ الْجزائريّةِ التي تَسْتعملُ عبارةَ (بالك) للتّنبيه والتّحذيرِ وتَسْتَعملُها للتَّخمينِ والتّخرير. .

وتَسْتَعْمِلُها اسْتعمالاتٍ عديدة أُخرى يُمْكنُ أنْ أدعَها لِعُلَماءِ الْجزائريّينَ والمَغارِبَةِ فقد يكونونَ أَقْدرُ على ضَبْطِ دِراسَتِها. . واقرأ ما كتبت في المقدّمة.

أَبِالْبَالَةِ أَشْغَل بالي؟

البَالَةُ – في عصرنا – رُزْمَةُ الأَلْبِسَةِ المُسْتَعْمَلَةِ المَعْرُوضَةِ للبَيْعِ؛ وقد كانتْ قديمًا: الجِرابُ الضَّخْمُ، وقِيْل إنَّها مِنْ قديمِ المُعرَّب عن الفارسيّةِ، منذُ عصُورِ الاحْتجاجِ بكلام الفُصَحَاءِ، فقد رَوَاها ابنُ منظورٍ عنِ الأزهريِّ والْجَوهريِّ وشاهِدَيْن لأبي ذؤيبٍ، ففي (لسان العربِ) ب و ل: «البالةُ: القارورةُ والجِرابُ، وقيل: وعاءُ الطِّيْبِ، فارسيٌّ مُعَرَّبٌ أصلُهُ پاله. التّهذيبُ: البالُ جَمْع بالَةٍ وهي الجِرابُ الضَّخْمُ؛ قال الْجَوْهريُّ: أصْلُهُ بالفارسيَّةِ: پيله؛ قال أبو ذؤيبٍ:

كَأَنَّ عليها بالَةً لَطَمِيَّةً
لها من خِلال الدَّأْيَتَينِ أريجُ

وقال أيضًا:

فَأُقْسِمُ ما إنْ بالَةٌ لَطَمِيَّةٌ
يَفُوحُ بِبابِ الفارِسِيِّين بابُها

أراد باب هذهِ اللَّطميةِ قالَ: وقيلَ هي بالفارسيّة پيله التي فيها المِسْكُ فَأَلِفُ بالةٍ على هذا ياءٌ. وقال أبو سعيدٍ: البالةُ الرّائحةُ والشَّمَّةُ، وهو من قولِهم: بَلَوْتُهُ إذا شَمَمْتَهُ وَاخْتَبَرْتَهُ، وإنّما كان أَصْلُها بَلْوَةٌ ولٰكِنَّهُ قَدَّمَ الواوَ قَبْلَ اللام فَصَيَّرها أَلِفًا، كَقَوْلِكَ قاعِ وَقَعَا؛ ألا تَرَىٰ أنَّ ذا الرُّمَّةِ يقولُ:

بِأَصْفَرَ وَرْدٍ آل، حَتَّىٰ كَأَنَّما
يَسُوقُ به البالي عُصارَةَ خَرْدَلِ

أَلَا تَرَاهُ جَعَلَهُ يَبْلُوهُ؟». ا.هـ. ابن منظور: مُؤَقَّتًا أَقْطعُ النَّقْلَ منهُ لأقولَ:

إنَّ ابنَ منظورٍ يَهْتَمُّ بِرأيِ أبي سَعيدٍ الذي يَنْفِي عنها التَّعْريبَ عن الفارِسيَّة حينما يَرَاهَا عربيّةَ النِّجارِ إذْ يَراها من قَوْلِهم: بَلَوْتُهُ، وَيَسْتَشْهِدُ بِبَيْتِ ذي الرُّمَّةِ الذي يُحْتَجُّ بِفَصاحَتِهِ فأيْنَ هذا مِمَّنْ يراها إيطاليَّةً؟ وهو طوبيا العنيسي في: (تفسير الألفاظِ الدّخيلةِ في اللغةِ العربيّةِ) الطبعة الثّانية في القاهرة سنة ١٩٣٢م. وأيضًا بطرسُ البُسْتانيُّ في مُعْجَمِهِ (مُحيطُ المُحيطِ) طبعة سنة١٩٠٨م. فهل كانَتِ اللُّغةُ الإيطاليَّةُ قد انفصلَتْ عن أُمِّها اللّاتينيَّةِ حينمَا كتبَ عنْها الأزهريُّ والْجَوهريُّ وانْتَظمها أبو ذؤيبٍ في شِعْرِهِ؟!

أمّا أحمدُ رضا العامليُّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) ب و ل فيرى: «أنَّها مُخْتَزَلَةٌ من الإبّالةِ، وهي الحِزْمةُ الكبيرةُ من الحَطَبِ وبهِ فُسِّرَ المَثَلُ (ضِغْثٌ على إبّالةٍ) فتكونُ عربيّةَ النِّجارِ» وهو يتحدَّث عن البالةِ بمعنى: «الحزْمَة الكبيرة من البَزِّ والقُطْنِ ونَحْوِ ذلك تُنَضَّد وَتُحْزَمُ، فهي البالةُ في الدِّيارِ الشّاميَّةِ (خفيفةُ اللّامِ)».

ويَذْكرُ أنَّها في (تاج العروس وشفاء الغليل) (فارسيّة). ثمَّ يذكرُ أحمدُ رضا عبارةً أخرى هي «البالَةُ: مُفَخَّمَةُ اللّام: تُقالُ للسّيف الصّغير المُسْتطيلِ، وأَحْسَبُ أنّها دخيلةٌ. وقد جاءَ في اللُّغَةِ: البالةُ بغيرِ تفخيمٍ حديدةٌ أو عصًا لها زُجٌّ تكونُ معَ صيّادِي البَصْرةِ، وَرُبّما تكونُ عصا الصّيادِ سَيْفًا. أقولُ وغيرُ بعيدٍ أنْ تكونَ أُخِذَتْ من هنا ولٰكنّها لم تكنْ معروفةً عن العَرَبِ القُدماءِ فيما أَحْسَبُ فهي موَلَّدَةٌ علىٰ كلِّ حالٍ». ا.هـ. أحمد رضا.

قُلْتُ: ولٰكنَّ ابنَ منظورٍ في (لسانِ العربِ) ذَكَرَها «والبالُ: جَمْعُ بالةٍ وهي عَصًا فيها زُجٌّ تكونُ مع صيّادي أهلِ البَصْرةِ، يقولونَ: قد أَمْكنَكَ الصَّيدُ فَأَلْقِ البالَةَ. وفي حديثِ المُغيرةِ: (أنّه كَرِهَ ضَرْبَ

البالةِ)؛ وهي بالتّخفيف حَديدةٌ يُصادُ بها السَّمَكُ، يُقال للصَّيَّادِ: ارْمِ بها فما خَرَجَ فهوَ لي بكذا، وإنّما كرهَهُ لأنّه غررٌ ومجهولٌ».

البيت والبايت والخُبز البَيّوْت

ما كنتُ أرغبُ في الكتابةِ في ب ي ت لولا أنّي وجدْتُ في كتابِ (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهانيّ المعروف، وفي النصِّ المشهورِ (أعرابيٌّ في عُرْسٍ) من سنة ١٤٣هـ. أنّه يقولُ: (أربعةُ بيوتٍ) ويقصدُ الغُرَفَ أو الحُجُراتِ، وكنتُ أظنُّ أنَّ من أخطاءِ العامَّةِ في أريافِنا أنْ يقولَ الرّيفيُّ: (في داري أربعةُ بيوتٍ...) مَثَلًا.. أو يقول: (طفلَتي الرّضيعةُ نائمةٌ في بَيْتِها) يَقْصُد في الغُرفةِ المُخصَّصَةِ لِتَنْويمِها.

أمّا الفِعْلُ باتَ - التامُّ والناقِصُ - فاهْتَمَّ بِهِ كُلٌّ مِن د. عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة)، والأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل في رَدّ العامّيّ إلى الأصل)، فقال: «ويقولونَ (بَيّتو العدوَّ) أي أخذوه ليلًا وهو غافلٌ، وهذا فصيحٌ» ثمّ عَقَّبَ عليه شارحُه مُحمّد خليل الباشا في الحاشيةِ: «كثيرًا ما تَسْتعملُ العامّةُ كلمةَ البَيّوتِ للخُبز وغيره، وهو فصيحٌ، فقد قال العربُ: ماءٌ بَيُّوتٌ؛ أيْ: باتَ فَبَرَدَ، وقال غَسّان السُّلَيْطي:

كفاكِ فأغناكِ ابْنُ فَضْلَةَ بعدها
عُلالَةَ بَيُّوت من الماءِ قارسِ»

فَقُلْتُ: في قراءة هذه المادّةِ في كُتُبِ التراثِ أكادُ أجدُ كلَّ صيغةٍ أو أغلبَ الصِّيَغِ والمعاني المُنْتَشِرةِ في العامّيّاتِ، وإليكَ مِمّا في (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «ما لَهُ بَيْتُ لَيْلَةٍ وبِيْتَةُ ليلةٍ. وفلان لا يَسْتَبِيْتُ، أي لا يَمْلِكُ البِيْتَةَ. وتَبَيَّتَ الطَّعامَ: أَكَلَهُ عند المَضْجَعِ، وَشَرُّ الطَّعامِ المُتَبَيَّتُ، وَبَيَّتَهُ العَدُوّ، وَمِنْ عاداته البَيَاتُ... وخِفْتُ بَيْوْتَ أَمْرٍ؛ قال جَرِيْرٌ:

أُعِدُّ لِبَيُّوتِ الهُمومِ إذا سَرَتْ
جُمالِيَّةً حَرْفًا وَمَيْسًا مُفَرَّدا

وبِتُّ عِنْدَهُ في مَبِيت صِدْق وَبَيْتُوْتَةً طَيِّبَةً... وتزوّجَتْ فُلانَةُ على بَيْتٍ؛ أي: على فَرْشٍ يَكْفي البَيْت».

وفي (لسان العرب) لابن منظور كثيرٌ من المعاني التي ما تزالُ مُسْتَخْدَمَةً في عامّيّاتِنا إلى اليومِ فأختارُ منها: «البَيْتُ من الشَّعَرِ: ما زادَ على طرِيقَةٍ واحدةٍ، يَقَعُ على الصَّغيرِ والكَبيرِ؛ وقد يُقالُ للمَبْنِيِّ مِنْ غَيْرِ الأَبْنِيَةِ التي هي الأَخْبِيَةُ بَيْتٌ، والخِبَاءُ: بَيْتٌ صَغِيرٌ مِنْ صُوْفٍ أَوْ شَعَرٍ، فَإذا كان أَكبرَ من الخِباء: فهو بَيْتٌ، ثمّ مِظَلَّة إذا كَبِرَتْ عَنِ البَيتِ، وَهِيَ تُسَمّى بَيْتًا أيضًا إذا كان ضَخْمًا مُرَوَّقًا. الْجَوْهريُّ: التّهذيب: وَبَيْتُ الرَّجُلِ دارُهُ، وَبَيْتُهُ قَصْرُهُ، ... وفي التَّنْزِيلِ العَزيزِ: ﴿وإِنَّ أَوْهَنَ البُيُوتِ لَبَيْتُ العَنْكبُوْتِ﴾.

وَتَصْغِيْرُهُ بُيَيْتٌ وبِيَيْتٌ، بِكَسْرِ أَوَّلِهِ، والعامَّةُ تَقولُ: بُوَيْتٌ.

والبيت من أَبْياتِ الشِّعْرِ سُمِّيَ بَيْتًا، لِأَنَّهُ كَلامٌ جُمِعَ مَنْظومًا، فَصارَ كَبَيْتٍ جُمِعَ مِن شُقَقٍ، وَكِفَاءٍ، وَرِواقٍ، وُعُمُدٍ؛ وَقَوْلُ الشّاعِرِ:

وَبَيتٍ، على ظَهْرِ المَطِيِّ، بَنَيتُه
بأَسْمرَ مَشْقُوقِ الخَياشِيم، يَرْعُفُ

قال: يَعْنِيْ بَيْتَ شِعْرٍ كَتَبَهُ بالقَلَمِ.

وقال نُوْحٌ، على نَبيِّنا وَعَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاةِ والسَّلام، حينَ دَعَا رَبَّهُ: رَبِّ اِغْفِرْ لِيْ وَلِوَالِدَيَّ، وَلِمنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا؛ فسمَّى سَفِينَتَهُ الَّتي رَكِبَهَا أَيَّامَ الطُّوفَانِ بَيْتًا.

وبَيْتُ العَرَبِ: شَرَفُها، والجَمْعُ البُيُوتُ، ثمَّ يُجْمَعُ بُيُوْتَاتٍ جَمْعُ الجَمْعِ.

وقَوْلُهُ تَعالى: ﴿إنّما يُريْدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ﴾، إنّما يُرِيْدُ بَيْتَ النَّبيِّ (ﷺ)، أَزْواجَهُ وَبِنْتَهُ وعليًّا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَفُلانٌ بَيْتُ قَوْمِهِ شَرِيْفُهُمْ؛ عن أبي العَمَثْيَلِ الأَعْرابيِّ. وبَيْتُ الرَّجُلِ: امْرَأَتُهُ، ويُكْنَى عن المَرْأَةِ بِالبَيْتِ؛ وَقالَ:

أَلَا يَا بَيْتُ، بِالعَلْياءِ بَيْتُ،
وَلَوْلاَ حُبُّ أَهْلِكَ، ما أَتَيْتُ

أَرَادَ: لي بالعَلْيَاءِ بَيْتٌ. ابْنُ الأَعْرابِي: العَرَبُ تَكْني عن المَرأَةِ بالبَيْتِ، قالَ الأَصْمَعِيُّ وأَنْشَدَ:

أَكِبَرٌ غَيَّرَني، أم بَيْتُ

الجوهريّ: البَيْتُ عِيالُ الرَّجُلِ؛ قالَ الرَّاجِزُ:

ما لي، إذا أَنْزِعُها، صَأَيْتُ؟
أَكِبَرٌ غَيَّرني، أَم بَيْتُ؟

والبَيْتُ: التَّزْوِيجُ؛ عن كراعٍ.

يُقال: باتَ الرَّجُلُ يَبِيتُ إذا تَزَوَّجَ. ويُقال: بنى فلانٌ على امرأَته بَيْتًا إذا أَعْرَسَ بها وأَدْخَلَها بَيْتًا مَضْروبًا، وقد نَقَلَ إليه ما يحتاجونَ إليه من آلةٍ وفراشٍ وغيره. وفي حديثِ عائِشَةَ رضي اللهُ عنها: تَزَوَّجَني رسولُ الله ﷺ على بَيْتٍ قيمتُهُ خمسون درهمًا؛ أَيْ: مَتاعَ بَيْتٍ فَحَذَفَ المُضافَ، وأَقامَ المُضافَ إليه مَقامَه.

وَمَرَةٌ مُتَبَيِّتَةٌ: أَصابتْ بَيْتًا وَبَعْلًا.

وهو جاري بَيْتَ بَيْتَ. وهو جاري بيتًا لبيتٍ، وبَيْتٌ لِبَيْتٍ أَيْضًا. الجوهريّ: وهو جاري بَيْتَ بَيْتَ أي مُلاصقًا، بُنيا على الفَتْح لأَنَّهُما اسْمانِ جُعِلا واحدًا.

الصِّحاح: بات يَبِيْتُ ويَباتُ بَيْتُوتَةً... أَيْ ظَلَّ يفعلُه لَيْلًا، وليسَ من النَّوم... وقال الزَّجّاج كُلُّ مَن أَدْرَكَهُ الليلُ قد بات، نامَ أَو لم يَنَم... وقال الليث: البَيْتُوتة دُخُولُك في الليل... وهذا أَمرٌ دُبِّرَ بلَيْلٍ وبُيِّتَ بِلَيْلٍ.

وفي الحديث: (أنّه كانَ لا يُبيِّتُ مالًا ولا يُقَيِّلُه) أَي إذا جاءَه مالٌ لا يُمْسِكُه إلى الليل، ولا إلى القائلة، بل يُعَجِّلُ قِسَمَتُه.

وبَيَّتَ القَوْمَ والعَدُوَّ: أَوْقَع بهم ليلًا؛ والاسْمُ البَياتُ. و(أتاهم الأَمْرُ بَياتًا) أَيْ أتاهم في جَوْفِ الليل. ويُقال: بَيَّتَ فلانٌ بني فلانٍ إذا أَتاهم بَياتًا، فَكَبسَهم وهم غارُّونَ... وفي الحديث أنَّه (سُئل عن أهلِ الدارِ يُبَيَّتون) أي يُصابون ليلًا.

وتَبْيِيتُ العدُوِّ: هو أَن يُقْصَدَ في الليل من غيرِ أَن يَعْلَمَ، فَيُؤخَذَ بَغْتَةً، وهو البَيَاتُ؛ وَمِنْهُ الحَديث: (إذا بُيِّتُّم فقولوا: هم لا يُنْصَرونَ)، (لا صِيامَ لمن لم يُبَيِّت الصِّيامَ) أَيْ: يَنْوِهِ مِنَ الليلِ؛ يُقال: بَيَّتَ فُلانٌ رَأْيَهُ: إذا فَكَّرَ فيه وَخَمَّرَهُ؛ وكُلُّ ما دُبِّرَ فيه، وفُكِّرَ بِلَيْلٍ: فقد بُيِّتَ.

قال ابن كيسان: بات: يَجوزُ أن يَجْري مُجْرَى نامَ، وأنْ يَجْرِيَ مُجْرَى كانَ؛ قاله في كان وأخواتِها..

وماءٌ بَيُّوتٌ: باتَ فَبَرَدَ، قال غَسّانُ السُّلَيْطِيُّ:

كَفاكَ، فَأَغْناكَ ابْنُ نَضْلَةَ بَعْدَها
عُلالَةَ بَيُّوْتٍ، من الماءِ، قارِسِ

قال الأزهريُّ: سَمِعْتُ أَعْرابيًّا يقول: اسْقِني مِن بَيُّوتِ السِّقاء، أيْ مِن لَبَنٍ حُلِب ليلًا.. وكذلك الماءُ إذا بَرَدَ في المَزَادَةِ ليلًا بَيُّوتٌ.

والبائتُ: الغابُّ؛ يقالُ؛ خُبْزٌ بائتٌ، وكذلك البَيُّوتُ.

والبَيّوتُ أيضًا: الأَمْرُ يُبَيِّتُ عليه صاحبُه، مُهْتَمًّا

به؛ قال الهُذَليّ:

وَأَجْـعَـلُ فِـقْـرَتَـهـا عُـدَّلا
إذا خِفْتُ بَيُّوتَ أَمْرٍ عُضالْ

وَهَمٌّ بَيُّوتٌ: باتَ في الصّدرِ، قال:

علـى طَرَبٍ بَيُّوتَ هَمّ أُقاتِلُهْ

والمَبِيْت: المَوْضِعُ الذي يُباتُ فيه.

وما لَهُ بِيْتُ لَيْلَةٍ وبِيْتَةُ لَيْلَةٍ. بِكَسْرِ الباءِ؛ أي: ما عِنْدَهُ قُوْتُ لَيْلَةٍ.

وَيُقالُ للفقير: المُسْتَبِيْتُ. وفلان لا يَسْتَبِيْتُ ليلةً أي: ليس له بِيْتُ لَيْلَةٍ من القُوْت.

والبِيْتَةُ حال المَبيت؛ قال طَرَفَةُ:

ظَلِلْتُ بِذِي الأَرْطَىٰ، فُوَيْقَ مُثَقَّفٍ
بِبِيْتَةِ سُوْءٍ هالِكًا أو كَهَالِكِ».

ا. هـ. ابن منظور في ب ي ت

قلت: فالبائت: من الأشياء والأحياء، ما باتت عليه ليلة، فهو غير (الطّازج).

ت

تَأْتَأَ

في عامّيّة الشّامِ ومِصْرَ.

يُتَأْتِئُ ويُتَهْتِهُ: يتكلّم بِصُعوبةٍ بسببِ اضْطرابِ لَفْظِهِ واخْتلاجِ لِسانِهِ.

وفي (قاموس المُصطلحاتِ والتّعابيرِ الشَّعبيَّةِ) يقولُ أحمد أبو سعد في: أسماءِ الأصواتِ ص١٠٨ (تَأْتَأَ: حكايةُ تعثُّرِ النُّطقِ، وفي القاموس: التأتأةُ حِكايةُ الصّوتِ وتردُّدِ التّأتاءِ).

أمّا أحمد رضا في (ردِّ العامّيِّ . .) فالعامَّةُ عندَهُ تقولُ «تَأْتَأَ تَأْتَأَةً إذا قَرَعَ قَرْعًا له صوتٌ ضعيفٌ» . . وقالتِ العامّةُ فيها الطَّقْطَقَة أيضًا . .

«تَأْتَأَ: يُتَأْتِئُ تأتأةً وتِئتاءً ورجلٌ تَأْتأٌ، عل فَعلالٍ، وفيه تأتأةٌ: يتردَّدُ في التاءِ إذا تكلَّمَ.

والتّأتأةُ حِكايةُ الصّوتِ.

والتَّأتاءُ[1]: دُعاء الحِطَّانِ إلى العَسْب، والحِطّانُ التَّيْسُ، وهو الثّأثاء أيضًا بالثاء.».

تَبَعَهُمْ

كادَتْ أَنْ تبقى العِبارةُ الفَصيحةُ (التّبَعَ) في عامّيّةِ الشّاميّين، على أصلِها القديمِ تقريبًا، ولولا أنْ تخصّصَتْ في معنى التّخصيص: فهذا تَبَعي: أي لي، وتَبَعُك: لك وتبَعُهم: لَهُم . . .

وفي (القاموس المُحيط): «والتَّبَع - مُحرّكَةً - التّابعُ، يكون واحدًا وجمعًا، ويُجمعُ على أتباع».

وفي (أساسِ البلاغةِ): «تبِعَه تَبَعًا، قال مُصرِّف ابنُ الأَعْلَمِ العُقَيْليُّ:

فَلَعَمْرُ عاذِلَتِيْ عَلَى تَبَعِ الصِّبا
إنّي بِحُبِّ الغانِياتِ لَمُولَعُ

. . . وهو له تَبَعٌ وهم له تَبَعٌ، لأنّه مصدر».

وابن فارس في (مقاييس اللغة) يرى أنّ: «ت ب ع: أصلٌ واحدٌ لا يَشُذُّ عنه شَيْءٌ وهو التُّلُوُّ والقَفْوُ . . . غيرَ أَنَّهُمْ فَرَقوا بين القَفْوِ واللُّحوقِ فغيَّروا البناءَ أدنى تغييرٍ. قال الله: ﴿فأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ [الآية ٨٥ من السورة ١٨ الكهف] و﴿ثمَّ أَتبعَ سبَبًا﴾ [الآية ٨٩ من سورة الكهف، وقد كُرِّرَتْ في السّورةِ عَيْنِها، وهي الآية ٩٢. وهذهِ القراءةُ قراءةُ ابنِ عامرٍ وعاصمٍ وحمزةَ والكسائيّ وخَلَفٍ والأعْمش. وقرأ الباقونَ بِوَصْلِ الهمزةِ وتشديدِ التّاءِ مفتوحةً. انْظُرْ إتحاف فُضَلاء البَشرِ ٢٩٤ واللسان (تبع)] [هذا نقل من حاشية عبدالسّلام محمّد هارون مُحقّقُ مُعْجَمِ مقاييسِ اللغةِ] فهذا معناهُ على هذه القراءةِ اللُّحوقُ، ومن أهلِ العربيّةِ مَنْ يَجْعَلُ المعنى فيهما واحدًا». ا. هـ. ابن فارس.

وفي عصرِنا يقولُ الأمير شكيب أرسلان في: (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل): «يقول أهلُ الشّام: (هذا تَبَعي)، أي لي، كما يقول المِصْريّ (هذا بتاعي) مُحَرَّف: مَتَاعِي.

وكما يقولُ التّونسيُّ: (هٰذا مْتَاعي) ويقول

(١) قوله: (والتّأتاء مَشْيُ الصّبي إلى آخر الجملة . . .) هو الذي في النُّسخ التي بأيدينا وتهذيب الأزهري وتكملة الصاغاني، ووقع في القاموس التأتأة.

المرّاكشيّ (هذا ذيالي) وهي مُرَكَّبةٌ من (ذو) و(لي) أو من (ذيا) و(لي) أو من (ذوي) بالتّصغير و(لي) أي الذي لي (وذو هنا طائية من قبيل:

وبئري ذو حَفَرْتُ وذو طَوَيْتُ)

وكما يقول الحجازيُّ (هذا حقّي) وكما يقولُ العراقيُّ (هذا مالي) وكما يقولُ الْجَزائريّ: (هذا نْتاعِي) وكما يقول النَّجديُّ (هذا مِتي)».

وفي مصر يقول د. عبد المنعم: «بتاع فلان: أي ملك فلان» والأصل فيها مَتاع. أُبْدِلَتِ الميم باء.

التحتاني والفوقاني

في (تاج العروس..): «ت ح ت... قال شَيْخُنا: والنِّسبة إلى تحت: تَحْتانيّ، وإلى فَوْق: فَوْقانيّ؛ فكأنّهم زادُوا في آخِرِهما الأَلِفَ والنُّون لأنّهما كثيرًا يُزادان في النَّسَب حتّى كاد أنْ يَطَّرِد لِكَثْرَته، أشارَ إليه الخَفاجيّ في (العناية... في عبس)».

وفيه في: «ف و ق.. الفَوْقاني: ما يَلْبَسه الإنسان فوق شِعَاره، مَكّيّة مُوَلَّدة».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «والفَوْقاني: نِسْبة شاذّة إلى فوق، نقيض التَّحْتاني».

وفي (المنجد) لمعلوف: «التَّحتاني: المنسوب إلى تحت أو ما كان تحت والفَوْقاني: نقيض التّحتاني».

تَخَّ...وَتَخْتَخَ والتَّخّان

قالَ أحمدُ رضا في (ردّ العامّيّ...):

وتقولُ العامَّةُ: تَخَّ العُوْدُ، وَتَخْتَخَ: إذا بَلِيَ وَنَخَرَهُ السُّوسُ، وكَذٰلك تُقال لِعِظامِ المَيّت إذا أَبْلاها قِدَمُ العَهْدِ. قِيلَ إنَّها مِنَ السِّرْيانِيَّةِ.

وَيُمْكِنُ أَنْ تكونَ عَرَبِيَّةً مِن تَخَّ: بِمَعْنَى: اسْتَرْخَى. والشَّجرُ التَّخِرُ والعَظْمُ البالي الدّارِسُ يَسْتَرْخيانِ بِمَعْنى يَفْقِدانِ صَلابَتَهُما حَتَّى إنَّهُما يُفَتَّتان باليَدِ، ولٰكِنّها اسْتِعارةٌ بَعيدَةٌ بهذا المَعْنَى ا.هـ. هذا ما وَرَدَ عندَ أَحْمَد رِضا العامِلِيّ.

قُلْتُ: ما لَدَىٰ عامَّةِ لُبنانَ كَمِثْلِ ما لَدَى عامَّتِنا في دِمَشْقَ في تَخَّ وَتَخْتَخَ وأُضِيْفُ أَنَّهم في دِمَشْقَ يَصِفونَ الخَيْطَ الضَّعِيفَ، السَّرِيعَ القَطْعِ، بِأَنَّهُ خَيْطٌ تَخّانٌ، وَكَذٰلِكَ ثَمَرُ السَّفَرْجَل إذا عَتِقَ وَتَحَوَّلَ اصْفِرارُهُ إلى سَوادٍ وَصارَ طَرِيًّا هشًّا شِبْهَ مائِعٍ كالهُلامِ فَهوَ سَفرجَلٌ (مُعاينٌ) وَتَخّانٌ؛ ومن ذٰلِكَ المَثَلُ المَشْهُورُ: (ما فِي هذه الدّكّانِ إلّا زَعْبُوبٌ مُدَوِّدٌ وَسَفَرْجَلٌّ تخّانٌ). وقد ذَكَّرَنِي بِهٰذا الفَنّانُ ياسِرُ العظْمَة إِذِ اسْتَخْدَمَهُ في مُسَلْسَلِهِ المَرْئِيِّ: (مَرايا).

أمّا في مِصْرَ فالتَّخْتَخَةُ تَرَهُّلُ الْجِسْمِ كما جاءَ في (مُعْجَم الأَلْفاظِ العامِّيَّةِ ذاتِ الحَقيقَةِ والأُصولِ العَرَبِيَّةِ) وَضْع: د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال: «نَقولُ في دارِجَتِنا: تَخْتَخَ فُلانٌ. زادَ لَحْمُهُ وكَثُرَ شَحْمُهُ، حتّى تَرَهَّلَ واسْتَرْخَى»، وفي القاموس: «تَخَّ العَجِينُ، وَنَحْوُهُ تَخًّا: لانَ واسْتَرْخَى لِكَثْرَةِ الماءِ فيهِ، وقد تَخَّ تُخُوخَةً، وَتَخْتَخَ تَخْتَخَةً».

قُلْتُ: وَلٰكنّ التَّخْتَخَةَ في القاموسِ المُحيطِ؛ اللُّكْنَةُ.. وقد كانَ مِنَ المُفيدِ أنْ أَذْكُرَ أَيْضًا قَوْلَهُ في القاموسِ المحيطِ: «وأَصْبَحَ تَخًّا: أي: لا يشتهي الطعامَ، وَتَخْ تِخْ: زَجْرٌ للدَّجاجِ»، وكذٰلك الفيروزابادِيّ بقولِهِ في القاموسِ أيضًا: «التَّخُّ: عُصارَةُ السِّمْسِمِ والعَجِينُ الحامِضُ». وأُضيفُ من (مُعجَم مقاييسِ اللغةِ) لأحمد بن فارسٍ: «والتَّخْتَخَةُ حِكايَةُ صَوْتٍ...» فهذا من المَعاني التي أَدَّتْ إلى ما هو قَريبٌ من هٰذِهِ الاسْتِعَارَةِ البلاغيّةِ

التي أَبْدَعَتْها العامَّةُ فقالَ عنها أحمدُ رضا العامِليُّ (ولٰكنّها استعارةٌ بَعيدةُ المعنى).
فَقُلتُ: وإذا راجَعْنا (لسانَ العربِ) لابنِ منظورٍ؛ وجدْنا ما يَقْرُبُ مِنَ اسْتعمالِنا العامِّيِّ لها حتّى تكاد تكونُ هي؛ وذلكَ في قولِهِ: (تَخَّ العجينُ يَتُخُّ تخوخًا وأَتَخَّه صاحِبُهُ إتْخاخًا. والتَّخُّ: العَجِينُ المُسْتَرْخي. وَتَخَّ العَجِينُ تَخًّا إذا أُكْثِرَ ماؤُهُ حتّى يلينَ، وكذلك الطِّينُ إذا أفرِطَ في كَثْرَةِ مائِهِ حتّى لا يُمْكِنُ أن يُطَيَّن بِهِ؛ وأَتَخَّهُما هوَ فعلَ بهما ذلك).

قُلْتُ: ولٰكنَّ نونَ (التَّخّان) التي لم أجدْها في مَصْدَرٍ أو مَرْجِعٍ لا تَخْرُجُ بنا إلى مادَّةٍ: تخِن ت خ ن: أو إلى مُحاولاتِ الإبدالِ الأُخَرِ لِأَنَّ تخِنَ أو ثخُنَ ث خ ن أو ما هو قريبٌ منها لا تَحْمِلُ من المعاني ما يُقَرِّبُها من صِفَةِ التَّخّانِ مِنَ السَّفَرْجَلِ والخِيطانِ.. فلا سبيلَ أمامَنا سوى أنْ نقولَ إنّها مِن صياغةِ العامِّيَّةِ الدِّمَشْقِيَّةِ، ولٰكنّها صياغةٌ صرفيّةٌ فصيحةٌ صحيحةٌ من الفِعْلِ تَخَّ قياسًا على القاعدَةِ الصَّرْفِيَّةِ التي تُجيزُ لنا أنْ نَشْتقَّ الصِّفَةَ المُشَبَّهَةَ على وَزْنِ فَعلانَ كاشْتقاقِ الجَوْعانِ والعَطْشانِ والهَيْمانِ... وعامِّيَّةُ الشّامِ مَيّالَةٌ إلى الإكثارِ والتَّوَسُّعِ في اسْتعمالِ الصِّفَةِ المُشَبَّهَةِ على وزن فَعْلان..

ولعلَّ التَّخَّ يكونُ مِن المُشْتَرَكِ بين اللُّغاتِ السّامِيَّةِ أو الشّامِيَّةِ.. وتشارِكُ فيه المِصْريَّةُ أيضًا كما رأينا..

(تَرَسَ البابَ وَتَرْبَسَه)

أم تَرَصَ البابُ وأَتْرَصَهُ وَتَرَّصه

يُقال في العامّيّة: (تَرَسَ) البابَ في وجهي، وطبْعُه كَدِماغه (تَرْس) وبابُه (مُتْروس). وتَسْتَعْمِلُ عوامُّنا الفِعْلَ الثُّلاثي: (تَرَسَ) بمعنى: أغلق، وكأنّه تَتَرَّسَ بالتُّرْسِ. وفي التّليد الفصيح نجدُ الفعل الرُّباعيّ والخماسيّ كما في (اللسان..) وغيره: «تَرَّسَ وتَتَرَّس: تَسَتَّرَ بالتُّرْسِ.. والمَتْرَسُ: الخَشَبَةُ التي تُوضع خَلْف الباب» وقالُوا: المَتْرَس: فارسيّ ومعناه: لا تَخَفْ: فقلت: رأيت في (قاموس الفارسيَّةِ): «تَرْس: الخوف، الرُّعب، الفَزَع، الخَشْية». والميم عندهم علامة النَّهي. وفي (محيط المحيط) عدد من المفردات العامّيّة والدّخيلة التي حَوَتْها المادّة... ويشرح «التُّرْس: صفحة من الفولاذ مُسْتَدِيرةٌ تُحْمَل في اليد للوِقايَةِ من السَّيف ونحوه... المِتْراس: ما تُتُرِّس به أي تُسُتِّرَ من حائط ونحوِه من العَدُوّ (ج) مَتارِيْس..».

ويقول بعضُ عوامّنا: (تَرْبَسَ) البابَ؛ كما يُقال في مصر، ويرى د.عبدالعال أنّ «الأَصْل فيها تَرَّس..». ولم أجدْ شيئًا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

ولو جرّبت الإبدال لوجدته ولٰكن مع الفعل: «تَرُص يَتْرُصُ تَراصَةً فهو تَريص: مُحْكَم شَديد وأَتْرَصَه وَتَرَّصه: سوّاه وَعَدَّله» كما في (القاموس..) ولٰكنّ هذا الثّلاثيّ لازم، فلا يصحّ إبداله دَوْمًا، فأعود إلى: ت ر س:

وفي (التّاج..) عن (القاموس..) و(اللسان..) و(الأساس..):

«..تَتَرَّسَ بالتُّرْسِ؛ أي: تَوَقَّى. والمَتْرَس: ضبطُوه كمِنْبَر ومَقْعَد.. وقد وقع في الحديث الصّحيح الذي أخرجه البُخاري واختلفُوا في ضَبْطه... وقيل بتشديد المُثَنّاة [المَتَّرَس].. وفي (التّهذيب..) المَتَّرَسُ الشّجار الذي يوضع قِبَلَ الباب دِعامةً وليس بعربيّ. ومعناه [بالفارسيّة] مَتَرْس؛ أي: لا تَخَفْ مَعَها.. ويُقال إنّ اسم هذه

الخَشَبَة بالعربيّة التُّرْس بالضّمّ. . وكلّ ما تَتَرَّسْتَ به فهو مِتْرَسَةٌ لك. . بكسر الميم وهذا يُشْعِرُ أنّه التُّرْس الذي ذُكر قبل ذلك. وفي (الأساس. .) هو مَتْرَسَةٌ لك، وهو مَجَاز؛ أيْ: كأنّه يَتَوقّىٰ به من النّوائب. . . وممّا يُسْتَدْرَك عليه: رَجُل تارِس: ذو تُرْس؛ تقول: لا يَسْتَوِي الرّاجِل والفارِس والأَكْشَف والتّارِس. وحكىٰ سيبويه: اتَّرَسَ الرَّجُلُ اتِّراسًا، من باب الافتعال، إذا توقّىٰ بالتُّرْس والتُّرْس: هو المِتْرَس خلف الباب هذا هو الأصل ثمّ اسْتُعْمِل في غَلْق الباب كيف كان؛ يقولون: تَرَسَ البابَ وبابٌ مَتْروس، والعامّة تقول بالشّين المعجمة. .». أعامّتُهُم تقول؟

وليس في (المعجم الوسيط) تَرَسَ الثّلاثيّ ولٰكن فيه «تَرَّس: تَوَقّىٰ بالتُّرْس كَتَتَرَّسَ وفي التُّرْسِ اشتقّت مشتقّات الثّلاثيّ أيضًا: فالتّارس: ذو التّرس. والتَّرَّاس: صاحب التّرس أو صانعه، والمِتْراسُ (مُوَلَّدة) ما يُوضع في طريق العدوّ لعرقلته (ج) مترايس.

والمِتْرَسُ: التُّرْسُ ذاته (ج) متاريس» (المعجم الوسيط).

إذًا نقولُ: «إنّنا نَتْرُسُ البابَ وراءَنا»؛ أي: نُغْلِقُه.

ويمكنُ أنْ تكونَ من: المِتْرَس وهو «خَشَبَةٌ تُوضعُ خَلْفَ البابِ فارسيّة أي لا تخف معها» كما جاء في (القاموس المحيط) و(لسان العرب) و«تَتَرَّسْتَ بالتُّرْس، فهو مِتْرَسَةٌ لك. ورجلٌ تارسٌ: ذو تُرْسٍ. والتَّتَرُّس. التَّسَتُّر بالتُّرْسِ، وكذلك التّتريسُ. . والمتروسةُ: ما تُتَرِّسُ به.

والتُّرْسُ: خَشَبَةٌ تُوْضَع خَلْفَ الباب يُضَبَّبُ بها السَّرير، وهي المَتَرْسُ بالفارسيّة». الْجَوهريّ: المَتْرَسُ خَشَبَةٌ تُوضعُ خلفَ البابِ. .

قُلْتُ: ولم يَرِدِ الثّلاثيُّ: تَرَسَ، وإنّما وَرَدَ مضعّفُهُ: تَرَّسَ ولذا أقولُ: ويجوزُ أنْ تكونَ من تَرُصَ يَتْرُصُ: وفي اللسانِ والقاموسِ وأساس البلاغةِ: «تَرُصَ الشّيءُ تراصةً، أي أُحْكِم، والتَّريصُ المُحْكَمُ فهو مُتْرَصٌ. . . وأترصه هو وَتَرَصَهُ وَتَرَّصَهُ: أَحْكَمَهُ وَقَوَّمَهُ؛ قالَ ذو الإصبعِ العدوانيّ يصفُ نَبْلًا:

تَرَّصَ أفواقها وَقَوَّمَها
أَنْبَلُ عَدْوانَ كُلِّها صَنَعا

أَنْبَلُها: أعلمها بالنَّبْل. . . وميزانُ تَريص؛ أي: مُقَوَّم. وفي الحديث: (لو وُزِنَ رجاءُ المؤمنِ وخوفُهُ بميزانِ تريصٍ ما زادَ أحدُهما على الآخر) أي بميزانٍ مُسْتَوٍ. . وفَرَسٌ تارِصٌ: شديدٌ وثيقٌ. وأنشدَ ثعلب:

قد أغتدي بالأعوجيّ التّارص»

قُلْتُ: فنكونُ قد حوَّلْنا الإحكامَ إلى إحكامِ الإغلاقِ لِمِزْلاجِ البابِ، ولا سيَّما أنّ أحمدَ بنَ فارسٍ في (مقاييس اللغة) يَسْتَشْهِدُ بما أنشدَه الخليلُ:

وَشُدَّ يديك بالعَقْدِ التَّرِيصِ

وفي مصرَ يقولُ د. عبد المُنْعم سيّد عبدالعال: «نقولُ في دارجتِنا تَرْبَسَ فلانٌ البابَ: أحكمَ قَفْلَه بالتّرباسِ، وتربَسَتِ الآلةُ توقّفَتْ عن السّيرِ، والأصل فيها تَرَّسَ. . . .».

تَرَىٰ يا هَلْ تَرَىٰ

للقتال الكلابيّ: عبدُ الله بنُ المضرّجي بن عامر في ابنِهِ عبدالسلام:

يا هَلْ تَرَوْنَ بِأَعْلَى عاصِمٍ ظُعُنًا
نَكَّبْنَ فَحْلَيْنِ واسْتَقْبَلْنَ ذا بَقَرِ

أبو الفرج الأصفهانيّ في (الأغاني) الجزء الأخير: أخبارُ القتالِ في الأغاني ج٢٤/ ١٨٩ يا

هَلْ تَرَوْنَ: تقدير: المحذوفُ منه: يا قَوْمي هلْ تَرَوْنَ أو يا ناسُ هل تَرَوْنَ قلتُ: كذلكَ في عامّيّةِ الشّامِ يقولونَ: يا هل ترى...

لَدى التّساؤلِ: يا هل تراه قد وصلَ أم لم يصلْ؟

والفِعْلُ المُضارعُ: تَرى تسمَعُهُ من الحِمْصيّ ومن أهلِ محافظتِهِ المُتوسِّطةِ في المُنْتَصَفِ بَيْنَ المحافظاتِ السّوريّة... فالحماصِنَةُ يكادونَ يكرِّرونَهُ بينَ كلِّ جُمْلَتَيْنِ والثّالثة.. (ترى.. أنا كذا.. وترى.. نعمل كذا.. وترى.. هو موصوف بكذا... وهكذا)...

التَّفاريجُ والفُرْجَةُ: (بالتاء لدى ابن منظور: ت ر ج)

في (لسان العرب) لابن منظور: «ت ف ر ج: التَّفاريجُ: فُرَجُ الدّرابزين قال: والتَّفاريجُ فَتَحَات الأَصابِع وأَفواتُها، وهي وَتائِرُها. واحدها تِفْراج».

وأَرْجو أَلّا أُتَّهَم بالْجَهْلِ إذْ أذكرُ التّفاريجَ في غير بابِ الفاءِ، فعُذْري أنّي وَجَدْتُه في أكبرِ مُعْجَمٍ مَوْسوعيٍّ تراثيٍّ (لسان العرب) لابن منظور في فَصْلِ ذلك توكيدًا.. وقد تابَعَهُ على ذلكَ من المعاجمِ الحديثةِ لويس معلوف مُؤلّف (المُنْجِد)، وأيضًا: لابن منظور في (لسان العرب): ف ر ج: في فصل الفاءِ من باب الجيم: «الفَرْج: الخَلَلُ بينَ الشَّيْئَيْنِ.. والفُرْجَةُ والفَرْجَةُ: كالفَرْج. وقيلَ؛ الفُرْجَةُ: الخَصاصَةُ بين الشَّيْئَيْنِ.. ابنُ الأعرابيّ: فَتَحاتُ الأصابع يُقالُ لها التَّفارِيج، واحدها تِفْراج[1]. وحُزُوق الدَّرابِزِينِ يُقالُ لها التَّفاريجُ والحُلْفُق. النّصر. فَرْجُ الوادي ما بين عُدْوَتَيْه، وهو بَطْنُه، وفَرْجُ الطّريقِ منه وفُوْهَتُه. وفَرْجُ الْجَبَل فَجُّه.. وهو الوَساعُ المُفَرَّجُ الذي بان مِرْفَقُه عن إِبْطِه. والفُرْجَةُ، بالضّمّ: فُرْجَةُ الحائطِ وما أشبهَهُ، يُقال: بينَهما فُرْجَة، أي انفراج: وفي حديثِ صَلاةِ الْجَماعةِ: (ولا تَذَرُوا فُرُجاتِ الشّيطانِ) جَمْع فُرْجة، وهو الخَلَلُ... وفي رواية: (..فُرُجَ الشّيطان)... والفَرْجة: الرّاحة من حُزْنٍ أو مَرَضٍ قال أميّة بن أبي الصّلْت:

رُبَّما تَكْرَهُ النُّفوسُ من الأمـ
ـرِ له فَرْجَةٌ، كَحَلِّ العِقالِ

ابن الأعرابيّ: فُرْجةٌ اسْم، وفَرجَةٌ مَصْدر.

والفرْجة: التَّفَصِّيْ من الهَمِّ، وقيل: الفَرْجَة في الأمر، والفُرْجَةُ، بالضَّمِّ، في الجدارِ والبابِ، والمَعْنيانِ مُتقاربانِ.

التّهذيب: ويقال ما لهذا الغَمِّ من فَرْجَةٍ ولا فُرْجَةٍ ولا فِرْجَةٍ.

...والفَرْج: الثَّغْر المَخُوف، وهو مَوْضعُ المَخَافةِ، قال:

فَغَدَتْ كِلا الفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ
مَوْلى المَخافَةِ خَلْفُها وأَمامُها

والفَرْج ما بَيْن اليدَيْنِ والرِّجْلَين:

شِعَبُ العِلافِّياتِ بَيْنَ فُروجِهِمْ
والمُحْصَناتُ عَوازِبُ الأَطْهارِ

«العِلافيّات: رجالٌ منسوبةٌ إلى عِلافٍ، رجلٌ من قُضاعَة. والفُروج جمعُ فَرْج وهو ما بين الرِّجْلَين؛ يريد أنّهم آثروا الغزو على أطْهارِ نِسائهم».

..وفُرُوج الأرض: نواحيها. وباب مَفْرُوج: مُفَتَّح... والفُرُجُ والفِرْج: الذي لا يكتم

---

(١) قوله: (واحدها تِفراج) عبارة القاموس جمع تفرجة كزبرجة: [عن حاشية (اللسان) ط بيروت سنة ١٩٥٦ وذلك أيضًا في: ف ر ج. وكان ذكر واحدها وجمعها أيضًا في نص اللسان في ت ف ر ج].

السّرّ. . . والفَرَج انكشاف الكَرْب وذهابُ الهَمّ. والفَرِيج: الظّاهر البارز المُنْكَشِف، وكذلك الأُنْثَى. . ».

وأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) يقول بعنوان (ف ر ج): (تفرّج: الفرْجة): «ويقولون: تَفَرَّجَ على كذا والاسم الفُرْجَةُ (بالضمّ والكَسْرِ) وهي النّظر إلى ما تنبسط إليه النَّفْسُ وتَنْفرج به من همومِها.

والفصيح: تَفَرَّج بالشّيْء أي طلب الفَرَجَ والتّخلّص من غمّه وكربه بالنّظر إليه وانْبِساط نَفْسه».

وكَتَب شفيق جبري في (مجلّة مَجْمَع اللغة العربيّة بدمشق الجزء الثّاني من المُجَلّد الرّابع والخمسين سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م ص٣٠٠) في سلسلة مقالاتِه: بقايا الفِصاحِ فأشارَ إلى الفُرْجةِ بمعنى: التَّفَصّي من الْهَمِّ: أيْ التَّخلُّص منه، قديمًا فتوسّع معناها الحديث.

التَّكْتكَة

أتوهّم أنّه نَقَل د. عبد المُنْعم سيّد عبدالعال في ص١٥٨ من (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) من (القاموس. .):

«نقول في دارِجتِنا: تَكْتَكَ فلان من البَرْد: اصْطكّت أسْنانُه. . . وفي (القاموس. .): التَّكْتَكَة، كالكَتْكَتَة: صَوْت في صَدْر الرَّجُل. وكَتّ البعير يكتّ صاح صِياحًا ليّنا». قلت: ونحن نقول أيضًا: تَكْتَكَ من البَرْد. . ونَسْتَعْمل غيرها من التَّكْتَكات أيضًا. . . وقلت ولٰكنّي وجدت في (القاموس. .) هذا في: ك ت ت والكَتْكَتَة. . ولم أجِدْه يقول كالتَّكْتَكَة، كما لم أَجِدْه في ت ك ك يقول مِثْل كَتّ أو كَتْكَتَ وإنّما وَجَدْت في فصل التّاء من بابا الكاف من (اللسان. . والتّاج. .) كما؛ في (القاموس. .): ت ك ك: «تَكَّهُ: قَطَعَه أو وَطِئَهُ فَشَدَخَهُ كَتَكْتَكَهُ، والنّبيذُ فُلانًا: بَلَغَ منه. والتّاكُّ: المَهزُول والهالِك والأحمق. وقد تَكَكْتُ كضربت تُكوكًا ج تاكُّونَ. وتَكَكَةٌ وتُكَّاكٌ وَتُكَّكٌ. . والتِّكَّةُ - بالكَسْر - رِباط السَّراويل ج تِكَكٌ واسْتَتَكَّ التِّكَّةَ: أَدْخَلَها فيه».

وكذلك في (اللسان. .): «وتَكْتَكْتُ الشَّيْءَ؛ أي: وَطِئْته حتّى شَدَخْته. . والتَّكِيك: الذي لا رَأْيَ له وهو بَيِّنُ التَّكاكة؛ عن الهَجَري، وأنشد:

ألم تَأْتِ التَّكاكةُ قد تراها
كقَرنِ الشَّمْس باديةً ضُحْيّا؟»

وفيه كما في (مُسْتَدْرك تاج العروس. .) للزّبيديّ:

«. . وقال أبو عَمْرو بن العَلاء: تقول العرب: ما فيه حاكَّة ولا تاكَّة؛ فالحاكَّة الضِّرْس والتّاكَّة: النّاب.

نَقَلَهُ الصّاغاني: والتَّكْتَكَة في الفَرَس: أن يَمْشِي كأنّه يَطَأ على شَوْك أو نارٍ مُوَلّدة».

ويكتب أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«. . وقالُوا: تكّت السّاعة وتَكْتَكَت (الثّانية للتّكْرار) بمعنى أَحْدَثَتْ تَكَّة، وقالُوا: تَكْتَكَ الفَرْخ إذا زقا لأُمِّهِ. . وتَكْتَكَتْ له أُمُّه إذا حَدَبَتْ وحَنّت بصَوْتها إليه.

وهو في كلّ ذلك حكاية الصّوت. واستعماله مُوَلَّد صحيح. وقيل إنّها إرميّة سريانيّة بمعنى هَدَرَ وثَرْثَرَ. . .».

التِّكَّة

التِّكَّة رباط السّراويل. تلفظها عامّتُنا بالدّال؛

ولٰكنّ الفصيح من المادّة د ك ك وصّحتْه في مَوْضعه فهو بعيد عن هذا.

وفي (محيط المحيط):

«..واسْتَكَّ التِّكَّة: أدخلها في حجزة السّراويل...، والتِّكَّةُ رِباط السّراويل، والعامّة تقول: دِكّة. جَمْعها تكَك. المِتَكُّ آلة تُستَكُّ بها التّكّة، والعامّة تقول: يَدكّ».

وفي (لسان العرب): «تَكَّ الشَّيءَ يَتُكُّه تكًّا: وَطِئَه فَشَدَخَهُ، ولا يكون إلّا في شَيْء لَيِّنٍ.. والتِّكَّةُ: واحدة التِّكَكِ، وهي تِكّة السّراويل وهي رِباط السَّراويل. قال ابن دُريد: لا أَحْسَبُها إلّا دخيلًا وإنْ كانوا تكلّموا بها قديمًا؛ وقد اسْتَتَكَّ بها..».

وفي (أساس البلاغة): «يَسْتَتِكُّ بالحرير» أي يتّخذ منه تِكّة.

وفي مُسْتَدْرَك (تاج العروس): «والمتِكّ: ما تدخل فيه التِّكَّةُ في السّراويل».

تَعْتَعَهُ وتَلْتَلَهُ

في الشّام ومصر يُقالُ: تَتَعْتَعَ وهو يَحْمِلُ هذه الأثقالَ، وتَتَعْتَعَ وهو يقرأُ فَتَرَدَّدَ وتَأتَأَ وتَعْتَعَ وتَلَعْثَم وخَلّط و... وقد ذَكَرَها د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظِ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

وأُلاحِظ تَعْتَعَتَيْنِ تَتلاقَيانِ في المَعنى إحداهُما مُبْدَلَةُ العَيْنِ بِالهَمْزةِ من التَّأْتَأَة والأُخرى عَيْنُها أَصْلٌ من حُرُوفِها وهي التي تَتَحَدَّثُ عنها هاهنا، وهي التَّلْتَلَةُ بمعناها المُوَحّد في العامّيّة والفَصِيْحة والتي نَذْكُرُ في مَحَلِّها ت ل ت. أمّا التَّعْتَعَةُ:

ففي (القاموس المحيط): «..والتَّعْتَعُ: الفَأفاءُ. وَوَقَعُوا في تعاتِعَ: أراجيفَ وَتَخْلِيط وَتَعْتَعَهُ: تَلْتَلَهُ وَحَرَّكَهُ بِعُنْف، أو أَكْرَهَهُ في الأَمْر حتّىٰ قَلِقَ. وفي الكلام تَرَدَّدَ من حَصَرٍ أَوْ عِيٍّ كَتَتَعْتَع. والدّابّة: ارْتَطَمَتْ في الرَّمْل».

وفي أَصْلِ المَعْنى: قال ابنُ فارس في (مقاييس اللغة): «التّاء والعَيْن من الكلام الأصيلِ الصَّحيح، وقياسُه القَلَقُ والإكْراه. يُقالُ: تَعْتَعَ الرَّجُلُ إذا تَبَلَّدَ في كَلامِه وكلُّ مَنْ أُكرِهَ في شَيْءٍ حتّى يَقْلَق فقد تُعْتِعَ. وفي الحديث: حتّى يُؤْخَذَ للضَّعِيْف حَقُّهُ من القَوِيّ غيْرَ مُتَعْتَعٍ. ويُقال: تَعْتَعَ الفَرَسُ إذا ارْتَطَمَ. قال:

يُتَعْتِعُ في الخَبار إذا عَلاهُ
وَيَعْثُر في الطَّرِيق المُسْتَقيمِ

ويُقال: وَقَعَ القَوْمُ في تَعاتِعَ؛ أيْ: أراجِيفَ وَتخْليط». ويَذْكُرُ ابن منظور في (لسان العرب) مِثْل ابن فارس قَبْلَه ويَزيدُ شَرْحًا: «..والتَّعْتَعَةُ: الحَرَكَةُ العَنيفَةُ وتَعْتَعَهُ إذا عَتَلَهُ وَأَقْلَقَهُ. أبو عَمْرو: تَعْتَعْتُ الرَّجُلَ وَتَلْتَلْتُه: وهو أنْ تُقْبِلَ به وَتُدْبِرَ وَتُعَنِّفَ عليه في ذلك، وهي التَّعْتعة والتَّلْتَلَةُ أيضًا... وتَعْتَعَهُ العِيُّ. ومنه الحديث: (الذي يَقْرَأُ القُرآن وَيَتَتَعْتَعُ فيه..) أي يَتَرَدَّدُ في قِراءَتِه ويَتَبَلَّدُ فيها لسانُه. وَتُعْتِعَ فلانٌ إذا رُدّ عليه قَوْلُه، ولا أدري ما الذي تَعْتَعَهُ... وتَعْتَعَةُ الدّابّةِ: ارتِطامُها في الرَّمْل والخَبار والوَحْل من ذلك. وقد تَعْتَعَ البَعِيْرُ وغيره إذا ساخ في الخَبار: في وُعُوثَةِ الرِّمال».

ولا أكاد أجد ما تضيفه كتب اللغة مثل (محيط المحيط) و....

التَّلْتَلَة: (مُرْتَبِطَة بالتَّعْتَعة)

(التَّلْتَلَة) في عامّيّتنا تَخْتَلِف عن التَّعْتَعَة، ولٰكنّهما تتلاقيان في الدّلالة في مَعاجِم الفِصاح:

في دمشق نُسَمّي تَوَالي الزّيادات في الكلام والإخبار والإضافات على ما يَتْلو تَوالي الإجابات وتَناقُل المَوْضوعات والتَّزيُّد من الأحاديث عنها: تَلْتَلَة. ونَجْمَعُها على تلاتل. ونَشْتَقّ منها الفِعْل (تَلْتلوا في المَوْضوع) أَكْثَروا من تَبادُل الكلام والحِوار والأَخْذ والعَطاء في القصص والحوادث والإضافات والزّيادات على هذا الموضوع حتّى فَسد من كثرة (التّلاتل..).. وفي مِصْر يُقال: (بَلْوىٰ متلتلة)..

وقد تكون التَّلْتَلَةُ مَقْلوب (اللَّتْلَتَة) بمعنى كثرة لَتّ الكلام وعَجْنه، ممّا هو وارد في ل ت ت. أو يكون بَيْنهما تَلاقٍ وتَقَارُب في بعض المعاني والدّلالات... ولٰكن لكلّ فِصاح معانيها..

والزّمخشريّ في (أساس البلاغة) يُقارِب الدّلالة العامّيّة للتَّلْتَلَةِ فيقول: «تَلْتَلَه: أَزْعَجَهُ. وهو يُتَلْتِل الأقرانَ. ولَقُوا منه التّلاتل.

وتلاحظ في تَطَوُّر معنى التَّلْتَلَة من الفُصحى إلى العامّيّة أثر الاسْتعمال في حَياة العِبارة وتَغَيُّر دَلالَتِها؛ وَلْنَرَ كيف يقول بعد أنْ يَعرض البُستانيّ في (مُحيط المُحيط) زُبْدَة ما في التُّراث اللغويّ للمادّة، ففيه:

تَلْتَلَ الرَّجُلُ: سار شديدًا، و- الشّيءَ: حَرَّكَهُ وقَلْقَلَهُ وَزَعْزَعَهُ وَزَلْزَلَهُ، و- الدابّةَ: ساقَها عَنيفًا.. والرَّجُل التُّلاتِل: التارُّ الغليظ.

التَّلْتَلَةُ: مصدر: تَلْتَل. والشِّدَّة، يُقال: لَقِيَ منه تَلْتَلَة، أي شِدَّةً، والعجلة وكثرة الحَرَكَة...

وتَلْتَلة بَهْراء: كَسْرُهُم تاء: تفعلون، أو: حَرْفَ المُضارَعة مُطْلَقًا... والتَّلْتَلَةُ عند العامّة كلام لا معنى له ككلام الأطفال، أو كلام طويل لا طائل تَحْتَه. ج تلاتل. قال الأصمعيّ: التَّلاتِل: الشّدائد مثل الزّلازل، ومنه قول الرّاعي:

واخْتَلَّ ذُو المالِ والمُثْرُونَ قد بَقِيَت
على التَّلاتِلِ من أَقْوالِهِم عُقَدُ

وقيل: التّلاتل: الشّدائد المُقْلِقَة، ولا واحِدَ لها».

وأُضِيْف من (لسان العرب): ت ل ل: «والتَّلَلُ والبَلَلُ.. شَيْء واحد.. من قولهم: تلَّ أي صَبَّ، ومنه قِيْل للمِشْرَبَةِ التَّلْتَلَة لأنّه يُصَبُّ ما فيها في الحَلْق.

والتَّلْتَلَة: التّحريك والإقلاق. التّهذيب في ترجمة ترر: التَّرْتَرَة أنْ تُحَرِّك وتُزَعْزِع، قال: وهي التَّرْتَرة والتَّلْتَلَة والمَزْمَزَة؛ قال ذو الرُّمّة يَصِف جَمَلًا:

بَعيد مَسافِ الخَطْوِ عَوْجٌ شَمَرْدَلٌ
يُقَطِّعُ أنفاس المَهارِي تَلاتِلُه

وتَلْتَلَه أيْ زَعْزَعَهُ وأَقْلَقَه وزَلْزَلَه، وفي حديث ابن مسعود: أُتِيَ بشارب فقال: تَلْتِلُوه؛ هو أَنْ يُحَرَّك وَيُسْتَنْكَهَ لِيُعْلَمَ أَشَرِبَ أَمْ لا. وهو في الأَصْل السَّوْق بِعُنْف. وتَلْتَل الرَّجُلُ: عَنُف بِسَوْقِه...

...ورَجُلٌ ضالٌّ تالٌّ آلٌّ، وقد ضَلِلْتَ وَتَلِلْتَ ضَلالَةً وتَلالة، وجاء بالضَّلالَةِ والتَّلالَةِ والأَلالة، وهو الضَّلال بن التّلال، قال الْجَوهريّ: وكلّ ذلك إتباع..».

وفي (القاموس.. والتّاج..) مثل ذلك.

التَّنْبَلُ

هو تَنْبَلٌ من تَنابِلَةِ السُّلْطانِ، كَأَنَّهُ قاعِدٌ في (التَّنْبَلْخَانَة) لا يَتْرُكُها وَيَتَمَنَّى لو شَبَّ الحَريقُ فيها حتّى يُشْعِلَ مِنْه (السِّكَارة) التي في فَمِهِ!

كُنْتُ على أنْ أُهْمِلَ (التَّنْبَلَة) لِأَنَّها عِبارَةٌ تُرْكِيَّةٌ في ظَنِّ الأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل:

ص٦٨) وفي ظنّي؛ أو فارِسيَّةٌ، وميدان بحوثِنا هذه في الألفاظ العَرَبِيةِ الأَصْلِ والنِّجار.. ولٰكِنَّ كَثْرةً كاثِرةً من الزّملاءِ المُتَعاطِين مِثْلَ هذه المُباحثاتِ أَلَحُّوْا عَلَيّ أَنْ أَبْحَثَ في المُعْجَمِ فَقَدْ صادَفوا التِّنْبُولَ والتِّنْبِلَ بكسر التّاء بمعنَى الرّجل القصير كالتِّنبال والتِّنبالةِ بكسر التّاء أيضًا بمعنى القصير وليس الكسول..

والتِّنْبَلُ في اللسان والتّاج:

«التِّنْبَلُ (كَدِرْهَمٍ وقِرطاسٍ وقِرطاسَةٍ وَزَنْبُورٍ) أَهْمَلَهُ الْجَوهريُّ والصّاغانيُّ وقال غَيْرُهما هو (القَصير) قال شيخُنا: التِّنْبَلُ كَدِرْهَمٍ يُلْحَقُ بِنظائِرِ مِيزاتِهِ كالتِّنتل الذي بعده. والتّاء في تِنبال زائِدة اتّفاقا؛ وفي المُحْكَم هو رباعيٌّ على مَذْهَبِ سِيْبَوَيْهِ لِأَنَّ التّاءَ لا تُزاد أوّلًا إلّا بِثَبَتٍ، وكذٰلِكَ النّونُ لا تُزاد ثانيةً إلّا بذٰلك، وعند ثعلب ثُلاثيٌّ، وَذَهَبَ إلى زِيادةِ التّاءِ؛ ويشتقّه من النَّبَلِ الذي هو الصِّغَرُ، وَرَواهُ أَبُو تُرابٍ في بابِ الباءِ والتّاءِ من الاعْتِقاب، وَذَكَرَهُ الأَزْهرِيُّ في الثُّلاثيّ وَجَمْعُهُ التَّنابيلُ وَأَنْشَدَ لِكَعْب:

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمال الزُّهرِ يَعْصِمُهُم
ضَرْب إذا عَرَّد السُّود التَّنابِيلُ

أي القصار... والتّنبُل والتّانبول اليقطين الهنديّ.....

وممّا يُسْتَدْرَكُ عَلَيْهِ: التِّنبوليّ بائع التّنبُل، والتِّنْبَلُ كَجَعْفَرٍ البَليدُ الثَّقيلُ الوَخِمُ: لُغَةٌ عامِّيَّةٌ، وَتِنْبَلُ اسْمُ مَوْضِعٍ قالَ الأَخْطَلُ:

عَفَا واسِطٌ مِنْ أَرْضِ رَضْوَىٰ فَتِنْبَلُ
فَمُجْتَمع الحَرَّيْنِ فالصَّبْرُ أَجْمَلُ..».

وفي (يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر) للثّعالبيّ[1] «قال أبو دُلَف الخَزْرَجيّ مِسْعَرُ بْنُ مُهَلْهِلٍ في القَصيدةِ السّاسانِيَّةِ:

إلـى أنْ يَـقـعَ الـتِّـنـبـ
ـلُ فـي مـحـصـدة الـجَـزْر

التّنبل هو الأَبْلَهُ الذي يَقْبَلُ المَخارِيقَ على نَفْسِهِ، وَيَغْتَرُّ بما يُورِدُ المُنَجِّم عليه فَيُخْرِجُ هو أَيْضًا دَراهِمَهُ طَمَعًا في رَدّها، فَيَأْخُذُها منه وَيَسْخَرُ بِهِ». ا.هـ. الثّعالبيّ.

قُلْتُ: يمكنُ أنْ تكونَ العامّيّةُ قد اسْتمدَّتْ من الأَدَبِ الفَصيحِ في القَرنِ الرّابعِ الهجريِّ؛ العاشِرِ الميلاديّ حِينَ كانتْ بِدْعَةُ الخُروجِ على لُغَةِ المُعْجَمِ تجديدًا في مذاهِبِهِم الشِّعْرِيَّةِ، أو في مذاهبِ بَعْضِهِم.

ثمّ زادَني رَغْبَةً في المَزيدِ مِنَ البَحْثِ د. عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال؛ في مصر، في كتابِهِ (معجمُ الألفاظِ العامِّيَّةِ ذاتُ الحقيقةِ والأُصُولِ العربيَّة) حيثُ يقولُ في ص١٥٩: «نَقولُ في دارِجَتِنا: فلان تَنْبَلٌ صلْبُ التَّفْكير، عَدِيمُ الإِدْراك، لا يَخْضَعُ لِلِينٍ ولا يَتَأَثَّرُ بِشِدَّةٍ»؛ وفي القاموس: «التَّنْبَلُ كَجَعْفَرٍ: الصَّلْبُ الشَّديد». ا.هـ. عبدالمنعم.

قُلْتُ: فهلْ هذا معناها في مِصْرَ؟ مع أنَّ مُعجمَ مَجْمَعِ القاهرةِ (الوسيط) نصَّ على «التَّنْبَل: الكسلان - تركيّة»!.

وقُلْتُ: ولٰكنّي لم أجدْ هذا المعنى الذي أَوْرَدَهُ د. عبدالمنعم: الصّلب الشّديد؛ عن القاموس، في نسختي من (القاموس المحيط) الذي اعْتَدْتُ أنْ أجدَ فيهِ ما يقولُه د. عبدالمنعم حينَ يقولُ: (وفي القاموس..) فمن أيِّ قاموسٍ مَقْصدُهُ في هذه

(١) أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل الثّعالبيّ النّيسابوريّ من: (يتيمة الدهر...) ج٣ ص٣٦١ من طبعة سنة ١٣٦٦هـ وسنة ١٩٤٧م بالقاهرة بتحقيق محمّد مُحيي الدّين عبدالحميد.

المرَّةِ؟ وهل اخْتلفَ الأمرُ عن المرَّاتِ الأخرى؟ فعدا عنْ أنَّ المعنى قد ابْتَعدَ وانْقلبَ، فأقولُ مِنْ أينَ أتى به؟ فلَقَد رجَعْتُ أيضًا إلى الزَّبيديّ في (تاج العروس من جواهر القاموس) مرّةً ثانيةً لأتثبَّت، وعُدْتُ إلى حيثُ استدرَكَ على الفيروزابادي فقال: «التَّنْبَلُ: الوَخِم الثَّقيلُ البليدُ؛ لغة عامّيّة» فَتَذَكَّرْتُ أنَّ منَ العباراتِ العامِّيَّةِ القديمةِ ما يُمكنُ أنْ أجدَها عندَ المُسْتشرقِ دوزي في (تكملة المعاجم العربيّة) وهو ما يسمّيه محمّد العدنانيّ: (مُسْتَدْرَكُ المُعْجَماتِ) ففي ١/ ١٥٣ منه: «التَّنْبَلُ: فارسيّةٌ، معناها: الكسولُ الغَبِيُّ» وفِعْلًا وجدْتُ في (قاموس الفارسيّة). للدّكتور عبدالنعيم محمّد حسنين أستاذ اللغات في جامعة عين شمس بمصر: «تَنْبَل: الكسولُ البليد: تنبلى: الكسلُ،». ولا أعرفُ هذه الأخيرةَ بالياءِ أم بالألِفِ المرسومةِ ياءً؟ فمطابعُ مصرَ لا تضعُ نقطتَيْن للياءِ الأخيرةِ. وهو مطبوعٌ في مصر سنة ١٤٠٢هـ و١٩٨٢م.

ويرَجِّحُ فارسيَّتها أحمد رضا العامليّ في: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) ويُضيفُ: «ولعلّها مأخوذةٌ من: طَيْبَلَ الرَّجلُ إذا تَحامَقَ بعد تَعَقُّلٍ».

ولَمْ أَجِدْ طَيْبَلَ؛ التي أوْردها أحمد رضا العامليّ.. ووجدْتُ في (القاموس المحيط): «طَنْبَلَ: تَحامَقَ بعد تَعاقُلٍ». فلعلّها غَلْطَةٌ طِباعِيَّةٌ في (ردّ العامّيّ) لأنّي وجدْتُ مؤلّفَهُ في مُعْجَمه(مَتْنُ اللُّغةِ) يكتبُ: «الطَّنْبَلُ: البليدُ الأحمقُ الوخِمُ الثّقيلُ».

وكذلك وَرَدَت هذه العبارة «الطَّنْبَلُ» في (المُنْجِدِ) للويس معلوف الّذي حينَ كتبَ عن التَّنبل لم يُشِرْ إلى عامّيّتها أو غيرها، ولٰكنَّهُ جَعَلَ الطَّنْبَلَ اسْمًا؛ والحقُّ أنّها فِعْلٌ كما في (القاموس المحيط).

أَمّا التَّنْبُلُ أو التّانَبُوْل أو التّامول؛ فهو: اليَقْطين الهنديّ المذكورُ في: (لسان العرب) و(القاموس المحيط) و(تاج العروس...) وفي أغلب كتب اللغة التي تقول: هو نَبات تُمْضَغُ أوْراقُهُ للتَّطَيُّبِ. وقد أوردَ الزَّبيديّ في (التّاج..) قول البَدْرِ الدّمامينيّ:

بعثت بأوراقٍ من التَّنْبُلِ الذي
نراهُ بأرضِ الهندِ قاطبةً قُوتا
إذا مَضَغَ الإنسان منه وُرَيقَةً
تَقَلَّبَ في فيه عقيقًا وياقوتا

وقال الفيروزابادي في: ت م ل: «والتَّامُول: والتَّانَبُوْل وهو ضرب من اليقطين... طعْمُ وَرَقِهِ كالقَرَنْفُلِ يَمْضَغونَهُ بقليلٍ من كِلْسٍ وهو مُشَهٍّ مُطْرِبٌ باهيٌّ مُقَوٍّ لِلِّثَة والمعدةِ والكبدِ وهوَ خَمْرُ الهند يُمازِجُ العقلَ قليلًا، وهو يَنْبت كاللوبياء ويَرْتَقي في الشّجر».

قلْتُ: أكانَ الكسلُ في التَّنْبَل بِسبب القُعود لمضغ أوراقِ التّانبول أو التَّنْبُل؛ خمرِ الهند الذي يمازِج العقلَ قليلًا كما ذكر في القاموس المحيط، يمضغونه بقليل من كلْسٍ فيكون ماضِغُهُ مُتكاسِلًا فاتِرَ الهِمَّة؟ فقيل عنه: إنَّه تَنْبَل؛ ثمَّ عمّ اسْتعمالُها مَجازيًّا بعد ذلك؟ حتّى دَخَلَت في الفارسيّة والتركيّة والعربيَّة العامّيّة؟!

أم من الفعل طَنْبَلَ: تَحامقَ بعد تَعاقُلٍ كما في القاموس؟

أمّا ظَنّ التّصحيف لدى د. عبدالمُنعم سيّد عبدالعال فقد اكتشفْتُهُ حينما قرأتُ في (القاموس المحيط) وفي غيره أيضًا، في مادّة: ن ب ل أي في فصل النّون من باب اللام: «النَّبْتَلُ: الصُّلْبُ الشّديد». فهذا النَّبْتَل الذي أوّله نون وثانيه باء ليس هو المقصود.

التَّنُّور والتَّنُّورَة

ما زالَ العَوَامُّ يُحافِظُونَ على لَفْظِ التَّنُّورِ ومَعْناهُ كما كانَ مُنذُ أنْ كانَ المُعْجَم العَرَبيُّ؛ ففي (المِصباح المُنير): للفيّوميّ: ت ن ر: «التَّنُّور: الذي يُخْبَزُ فيه، وافَقَتْ فيه لغةُ العرب لُغةَ العَجَم، وقال أبو حاتم، لَيْسَ بعربيٍّ صحيحٍ، والجَمعُ التّنانيرُ»...

وكذلك تجدُ في (اللسانِ..) و(القاموسِ..) و(تاجِ العروسِ..) في: ت ن ر: «التَّنُّورُ: نوعٌ من الكَوانِينِ، وفي الصِّحاحِ: التَّنُّور: الكانُونُ الذي يُخْبَزُ فيه، يُقال: هوَ في جميعِ اللغات كذلك. وقال الليثُ: التَّنُّورُ عَمَّتْ بكلِّ لسانٍ. قال أبو منصور [الأزهريّ في (التّهذيب)]: وهذا يدلُّ على أنَّ الاسْمَ في الأَصْلِ أَعْجَمِيٌّ، فَعَرَّبَتْها العَرَبُ، فصار عربيًّا على بِناءِ فَعّول، والدَّليلُ على ذلك أنّ أَصْلَ بنائِهِ: تَنَرَ؛ قالَ: ولا نَعْرِفُه في كلامِ العَرَبِ لأنَّهُ مُهْمَلٌ؛ وهو نظيرُ ما دخلَ في كلامِ العَرَبِ من كلامِ العَجَمِ مِثْلِ الدِّيباجِ والدِّينارِ والسُّنْدُسِ والإِسْتَبْرَقِ وما أشبَهَها، ولمّا تكلّمَتْ بها العَرَبُ صارَتْ عربيّةً، وفي الحديث: (قال لِرَجُلٍ عليه ثَوْبٌ مُعَصْفَرٌ: لو أنّ ثوبَكَ في تَنُّورِ أهلِكَ أو تَحْتَ قِدْرِهم كان خيرًا).. و.. وصانِعُه: تَنّار.. وقال: أحمدُ بنُ يَحْيى: التّنّورُ: تَفْعولُ من النّارِ: قال ابن سِيدَه: وهذا من الفَساد بِحَيْثُ تَراه، وإنّما هو أَصْلٌ لم يُسْتَعْمَل إلّا في هذا الحَرْفِ وبالزّيادةِ. وفي التَّنزيلِ العزيزِ: ﴿حَتَّىٰ إذا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ﴾ [السورة ١١ هود: الآية ٤٠ والسورة ٢٣ المؤمنون: الآية ٢٧]».

قُلْتُ: لِأَعْرِضْ للقارئِ الباحِثِ مَواقِفَ اللغويّينَ القُدَماء من هذا اللفظِ الذي «وافقَتْ فيه لغةُ العربِ لغةَ العَجَم» و«يُقالُ: هو في جميع اللغات كذلك».. لِأُوازن بَيْن مَواقِف القُدماء منه وبَيْن مَواقِف المُحْدَثين من تَسْمِية (التَّنُّورَة) وهي ثَوْب نِسَائيّ من الخَصْر إلى ما حَوْلَ ما يُقارِبُ الرّكْبَة، وكُنْتُ أسمعُ اسْمها (الخَرّاطَة) أيّامَ طُفولتي، ولَعَلَّه اسْم مأخوذٌ من شَكْلها أيضًا.

ولئلّا أُطيلَ أَكْتَفي بقولِ محمّد خليل الباشا في حاشيةِ الصّفحةِ ٦٩ من كتابِ (القَوْل الفَصْل في ردّ العامّيّ إلى الأصل): «قيل: التَّنُّور لفظةٌ فارسيّةٌ أو عبرانيّةٌ أو سريانيّةٌ فَعُرِّبَت...

...أمّا التَّنُّورَةُ التي يُشْبِهُ شَكْلُها شَكْلَ التَّنُّورِ، واسِعةٌ من أَسْفَلِها وضيّقةٌ من أَعْلاها وقد أخذَتْ اسْمَها عنه، فهي ما بَرِحَتْ تَتَجافى عن ذِكْرِها المُعْجَماتُ وَتَعُدُّها من كلام المُوَلَّدِين. إلّا أنّ مَجْمَع اللغة العربيّة في القاهرةِ في جلْسته ١٧ شباط (فبراير) سنة ١٩٧١ أقرَّ أن يُطْلِقَ على التَّنُّورةِ الاسْم الذي اقْتَرَحَتْه لَجْنةُ ألفاظِ الحضارةِ. وهو النِّصْفيَّة، لُكنّ (المعجم الوسيط) لم يَذْكرها. وأشار (مُعْجَم الأغلاط اللغويّة) للعدنانيّ إلى كلمةِ النّقبةِ، وهي من المُعْجَمات سَراويلُ بلا ساقَيْن، واقْتَرَحَ إطْلاقَها على التَّنُّورةِ. لكنّني أرى [يقول الباشا] أنّ النّصفيّة ستبقى في ربائد المَجْمَع، والنّقبةَ في مُعْجَم العدنانيّ، ولن يَسْتَعملَ النّاسُ، وأنا منهم، إلّا التَّنُّورَة، وكان أَوْلى بالمَجْمَع أَنْ يُعرِّبَ كلمةَ التَّنُّورةِ كما عرّب الأقدمونَ التَّنُّور. وكفى اللهُ المؤمنينَ شَرَّ القتال». ا.هـ. الباشا.

تَهْتَهَ

د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة):

«نقول في دارجتنا: تَهْتَهَ فلانٌ في حديثِهِ: تَرَدَّدَ كلامُه في حَلْقِهِ لِعِيٍّ في لسانِهِ أو لمرضٍ أَثَّرَ فيهِ،

وفي القاموس: التَّهْتَهةُ: اللُّكْنَةُ».

قلت: والتَّهْتَهَة في عامّيّة الشّام كما هي في المِصريّة الدّارجة..

في (لسان العرب) لابن منظور:

«التَّهْتَهَةُ: الْتِواءٌ في اللِّسانِ مثلُ اللُّكْنَةِ. والتَّهاتِهُ: الأباطيلُ والتُّرَّهاتُ.. ويُقالُ: تَهْتَهَ في الشَّيْءِ أيْ رَدَّدَ فيهِ. ويُقالُ: تَهْتَهَ فلانٌ إذا رَدَّدَ في الباطِلِ؛ ومنه قولُ رُؤبَة:

في غائلاتِ الحائرِ المُتَهْتَهِ

وهو الذي رُدِّدَ في الأباطيلِ.

وَتُهْ تُهْ: حكايةُ المُتَهْتِهِ».

التُّوَلَةُ

عندنا في دمشقَ حينما تكونُ غضبان على ولدِكَ لطولِ سَهَرِهِ ولِتَهرُّبِهِ من الذّهاب إلى النّوم (رُحْ نَمْ وانْتَوِل تَوْلَة إن شاء الله) وفي مِصرْ يقول د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال «تَولَتْ فُلانةُ زوجَها: سَحَرَتْهُ بجمالِها ودلالِها وَحُسنِ حديثِها، ونقولُ: فلان مَتْوولٌ: ساهٍ شاردٌ يعملُ بغيرِ وعيٍ».

وفي لبنانَ يقولُ أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة): ص٢٦٤:

«مَتوْتَل، مَتْوُوْل: صِفَةُ السَّاهِي الذي يَعْمَلُ بِغَيْرِ وَعْيٍ، أو الذي انْصَبَّتْ عليه الأَحْزانُ فكادَتْ تَذْهَبُ بِعَقْلِهِ، وَأَظُنُّهُ مَأخُوذًا من التُّوَلَةِ وهي في اللُّغَةِ السِّحْرُ وما أَشْبَهَهُ».

ومن قبلِهِ يقول الأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) ص٧٠:

«ويقولونَ في لبنانَ (تَوَلَهُ) أو (ثَوَله) أي: أفقدَهُ عقلَهُ، وهذا من الأَثْوَلِ في الفصيح [بالثاء] بمعنى: الأحمق».

قلتُ: ولٰكنَّ هذه المعاني السّابقةَ واردةٌ في التّراثِ اللغويِّ المُعْجَمِيّ القديمِ بالتاءِ المثنّاة في: ت و ل كما نرى في (لسان العرب) لابن منظور:

التُّوَلَة: الداهية، وقيل هي بالهمز، يقال: جاءنا بتُولاته ودُولاته وهي الدّواهي. ابن الأعرابيّ: إنّ فلانًا لَذُو تُولات إذا كانَ ذا لُطْفٍ وتَأَتٍّ حتّى كأنّه يَسْحَرُ صاحبَهُ. ويقالُ: تُلْتُ به أي دُهيتُ ومُنِيت؛ قال الرّاجز:

تُلْتُ بساقٍ صادقِ المَرِيس

وفي حديث بدر: (قال أبو جَهْل إن الله قد أرادَ بقريشٍ التُّوَلَةَ)؛ وهي بضمِّ التّاءِ وفتحِ الواوِ الدّاهيةُ، قال: وقد تُهْمَزُ.

والتُّوَلَةُ والتِّوَلَةُ ضَرْبٌ مِنَ الخَرَز يُوضعُ للسِّحر فتُحَبَّبُ بها المرأةُ إلى زوجها، وقيل هي مَعَاذَةٌ تُعَلَّق على الإنسان، قال الخليل: التِّوَلَة والتُّولة؛ بكسر التاء وضمّها، شبيهة بالسِّحْر. وحكى ابن برّي عن القزّاز: التُّوَلة والتِّوَلة السِّحْر.

وفي حديث عبد الله بن مسعود: (التِّوَلة والتمائمِ والرُّقَى من الشِّرْك... ابن الأعرابيّ: «تال يَتول إذا عالجَ التِّوَلة وهي السِّحْر.».

تَيَّسَ

(تَيَّسَ المُحَمَّقُ مِثلَ التَّيْسِ النّطّاح.. وتَيَّسَتْ معه فلا تَفْهمُ ما يُقال... فهي تَيْسا.. وهي مُسْتَتْيِسة).

يَشْتَقّون من اسم التَّيْس فِعْلًا، فهل في الفَصيح مِثْلُ هذا الاشْتقاق؟ نعم.. ففي (لسان العرب) لابن منظور: «وفي حديث عليّ رضي اللّٰهُ عنه: (واللهِ لَأُتَيِّسَنَّهُم عن ذلك) أي لَأُبْطِلَنَّ قولَهُم وَلَأَرُدَّنَّهُمْ عن ذلك» وقَبْلَه قال: «واسْتَتْيَسَتِ الشّاةُ: صارت كالتّيس».

في: (أساس البلاغة) للزّمخشريّ:

«ومِنَ المَجَاز: تتايَسَ الماءُ: تَناطَحَتْ أمْواجُه.

وتايَسَ قِرْنَه: مارَسَه. وبينهم مُتايَسَةٌ وتِياسٌ.

وتَيَّسَ البعيرَ وَخَيَّسَهُ: ذَلَّلَهُ.

و(تِيسِي جَعَارِ) أي: كوني كالتَّيْسِ في حُمْقِهِ يا ضَبُعُ؛ مَثَلٌ في الأحمق.

و(عَنْزٌ اسْتَتْيَسَتْ) مَثَلٌ في ذَليلٍ عَزَّ.

ويُقال للنَّكّاح: هو مِن مَتْيُوساءِ بَنِيْ حِمّانَ».

وقبل ذلك بدأ بالقول: «عَنْزٌ تَيْساءُ: إذا كان قَرْناها طويلين كَقَرْنَيْ التَّيْس».

قلْتُ: ولعلّ تَشْبيهَهم الغَبيَّ اللئيمَ بالتَّيْسِ؛ ذَكَرِ المِعْزَى قديم أيضًا فقد ذكره شهاب الدين الخفاجي[١] في شفاء الغليل رواية عن محاضراتِ الرّاغب.

وفي عصرِنا كتبَ أحمد رضا العامليّ وأحمد أبو سعد من لبنانَ في موضوع هذا التشبيه، أمّا في مصر فالفعل تَيَّسَ في عامّيّتِهم يختلفُ قليلًا في مَعْناه عمّا لدينا فقد كتبَ د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العاميّة ذات...): «نقول في دارجتنا: تَيَّسَ فلانٌ: ذلَّ، وَأَصْبَحَ غيرَ قادرٍ على دفعِ الأذى عن نفسِهِ بيدٍ أو لسانٍ أو حتّى بقلبٍ... وفي القاموس: تَيَّسَ فرسَه: راضَهُ وَذَلَّلَهُ».

التِّين

في العامّيّة الجَزائريّةِ التي يَظُنُّها الآخَرُون أبعدَ العامّيّات العربيّةِ عن الفصيح سَجّلْت اثنَتَيْن وخمسين عبارةً فصيحةً[٢] في صَفْحَتَيْن حِوارًا مع بائعِ خُضرٍ وفواكه في (تيزي أوزو) مَرْكَز وِلايَة القبائل (من بني زُواوة) وكَتَبْتُ فيها البَحْث المذكور[٣]، ولم آنف، وأنا أبحثُ عن الحقيقة، أنْ أَذْكُرَ السَّلْبِيّات، فالأمثلةُ عليها أكثرُ من أنْ تُحصىٰ.. ولْنَأْخُذْ أَقْرَبَها، فبائعُ التّيْن في (تيزي أوزو) مركز ولاية القبائل؛ يُنادي: على الكَرْطُوص، على الكَرْمُوس، على البَخْسِيْس، على الخريف، على الـ(لي فيغ Les Fig)؛ يَضَعُ لهذا الاسْمِ الفَرنسيّ الإنكليزيّ الأخير أل التّعريف العربيّة وأل التّعريف الفرنسيّة مَعًا، ويُكَرِّرُ هذه الأسماءَ الخَمْسَةَ وغيرَها أيضًا ممّا لم أحفظْه، ليفهمَ كلُّ سامعٍ غريبٍ أو قريبٍ ما معه، ثمّ يَذْهَبُ بائعُ التِّيْنِ مُصَلّيًا وَيَقْرَأُ الآية الكريمة ﴿والتِّيْن والزَّيْتُون..﴾ وهو لا يعرف ما التِّيْنُ؟ ولا يُصَدِّقُني أنّه ما يَبِيْعُه، وما اتَّفَقَ الفرنسيُّون والإنكليز معًا على اسْمٍ واحدٍ له (فيغ Fig).

---

(١) أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري المتوفّى ١٠٦٩هـ في (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل) راجعه مُحمّد عبدالمنعم خفاجي. الطّبعة الأولى في القاهرة سنة ١٣٧١هـ و١٩٥٢م.

(٢) منشور في مجلة (التراث العربي) الصادرة بدمشق في شعبان سنة ١٤٠٧هـ ونيسان سنة ١٩٨٧ العدد المزدوج ٢٧ و٢٨ في الصفحات من ١٩٦ حتى ٢١١ بعنوان: قبس من اللغة: فصاح العامّة: الفصاح في العاميّة الجزائرية.

(٣) في الطبعة التي لديّ من (ردّ العامي إلى الفصيح) ط٢. دار الرّائد العربيّ بيروت سنة ١٤٠١هـ = ١٩٨١م وردت بعنوان: جَفْرَة. في ص١٠٢.

ث

الثُّفْل

ثاءُ الثُّفْلِ تُلْفَظُ تاءً في لهجتِنا العامّيّةِ التي دَرَجَتْ على تَرْكِ الثّاءِ واللِّثَوياتِ من الأحرفِ، أو الإقلالِ منها واسْتِبْدالِ غيرِها بها ما أمكنَ؛ وعلى هذا مِغبارَتُهم: (التُّفْل) تُسْتَعْمَلُ بالمعنى الفصيح للثُّفْلِ.. ولعلّ أحمد أبو سعد لم يَضَعْ حرفَ الثّاء في (فهرس المُفردات الاصْطلاحيّة) في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) لأنّ العَوَامَّ عندَنا جميعًا تُبْدِلُ بكلِّ ثاءٍ تاءً مُثنّاةَ التّنقيط. ولم يَكْتُبْ فيها أصحابُ فِصاحِ العامّيّةِ كرضا وأبو سعد إلّا أرسلان: في ص٧٣ بعد أن كَتَب عن الفِعْل: تَفَلَ الذي أصله بالتّاء في ص٦٧ من (القول الفصل..).

وفي (لسان العرب) يقولُ ابنُ منظورٍ: ث ف ل: «ثُفْلُ كُلِّ شَيْءٍ وثافِلُه: ما اسْتَقَرَّ تحتَه من كَدَرِهِ. الليث: الثُّفْلُ ما رَسَبَ خُثارَتُهُ وَعَلَا صَفْوُهُ في الأشياءِ كُلِّها، وَثُفْلُ الدّواءِ وَنَحْوِهِ. والثُّفْلُ ما سَفَلَ من كلِّ شيءٍ». وأَقْطَعُ ما أَنْقُلُ عن ابن منظور لأقولَ معَ القارئِ: لم يقلْ: ثَفَل، بالثاء بل قالها سَفَلَ بالسّين.. فتأمّلْ.. ولأقولَ أيضًا: هذا ما في عامّيّةِ دمشق من هذه المادّة.. وأنا أعاودُ الاخْتيارَ من (اللسان..) فيها لِيَنْظُرَ أصحابُ العامّيّاتِ واللغَيّاتِ الأُخرى فيما هو قريبٌ من هذهِ المادّةِ، وهو قريبٌ أيضًا ممّا في عامّيّةِ دمشقَ مع شَيْءٍ من التّصرُّفِ والتّحريف: «والثّافِلُ الرَّجِيعُ، وقِيْلَ هو كنايةٌ عنه. والثُّفْلُ الحَبُّ. وَوَجَدْتُ بني فُلانٍ مُتَثافِلِينَ أيْ يأكلونَ الحَبَّ وذلكَ أَشَدُّ ما يكونُ من الشَّظَفِ»، وفي الصِّحاح: وذلكَ إذا لم يكنْ لهمْ لَبَن... ويُسَمُّون كُلَّ ما يُؤْكَل من لَحْمٍ أو خُبْزٍ أو تَمْرٍ ثُفْلًا. ويُقال: بنو فلان مُثافِلون، وذلك أَشَدُّ ما يكون حالُ البدويّ أبو عُبَيْد وغيره: الثِّفالُ: الْجِلْدُ الذي يُبْسطُ تحتَ رَحى اليدِ لِيَقِيَ الطّحينَ من التُّراب... ومنه قول زهيرٍ يصفُ الحربَ:

فَتَعْرُكُكُمُ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفالِها
وَتَلْقَحْ كِشَافًا ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِم

قال: وربّما سُمِّيَ الحَجَرُ الأَسْفَلُ بذلك. وفي حديث عليّ: (وَتَدُقُّهُمُ الفِتَنُ دَقَّ الرَّحَى بِثِفالِها)... وفي حديث غَزْوَةِ الحُدَيْبِيَة: (مَنْ كانَ مَعَهُ ثُفْلٌ فلْيَصْطَنِعْ)؛ أراد بالثُّفْلِ الدّقيق والسَّوِيْقَ وَنَحْوَهُما، والاصْطِناعُ: اتّخاذُ الصَّنيع، أرادَ: فَلْيَطْبُخْ ولْيَخْتَبِزْ... وإنّما سُمِّيَ ثُفْلًا لأنّهُ من الأقواتِ التي يكونُ لها ثُفْلٌ بخلافِ المائعاتِ؛ ومنه الحديث: (أَنَّهُ كان يُحِبُّ الثُّفْلَ)؛ قِيْل؛ هو الثَّريدُ؛ وأَنشدَ:

يَحْلِفُ باللهِ وَإِنْ لَمْ يُسْأَلِ
ما ذَاق ثُفْلًا مُنْذ عامِ أَوَّلِ

...والجَمَلُ الثَّفالُ: البطيءُ الثّقيلُ الذي لا ينبعثُ إلّا كَرْهًا.. قال ابنُ برّيّ: وكذلك الثّافلُ؛ قال مُدرك:

جَرُورُ القِيادِ ثافل لا يَرُوعُهُ
صِياحُ المُنادي، واحْتِثاثُ المُراهِنِ

. . والثَّفْلُ: نَثْرُكَ الشَّيْءَ كُلَّهُ بِمَرَّةٍ.

والثِّفالَةُ الإبريق. . وهو في التّهذيب الثّفالُ، عن ابن الأعرابيّ، وذكرَه ابنُ الأثيرِ في النّهايةِ بالكَسْرِ والفَتْحِ: الثّفال الإبريق.

أبو تُراب عن بعض بني سليم: «في الغِرَارة ثُفْلَةٌ من تَمْرٍ وثُمْلَةٌ من تمرٍ أي بَقِيَّةٌ مِنْهُ». ا.هـ. ابن منظور. . وتتوازعُ هذه المعاني في المعاجمِ الأخرى. . وكذلك تتوزّعُ في اسْتعمالات العَوَامِّ.

ج

جَأْجَأَ

إذا دَخَلْت مكانًا مَغْسُولًا بالماء النّظيف فَدُسْت فيه بِحذاءٍ غيرِ نظيف فقد (جَأْجَأْتَ) المكانَ. .

وإذا غَسَلْت أواغْتَسَلْتَ فانْسَكَبَتْ منك كَمِيّةٌ أو قَطَرات من الماء فلا تَدُسْ عليها حتّى لا (تُجَأْجِئ). . .

أهذه (الْجَأْجَأَة) في العبارة الشّاميّة الدّارجة مُتَطَوِّرَة عن العبارة الفصيحة الواردة في مُعْجَم ابن منظور (لسان العرب): ج أ ج أ.

«. . وقد جَأْجَأَ الإبِلَ وجَأْجَأَ بِها: دعاها إلى الشُّرْب.

وقال جئْ جئْ. وجَأْجَأ بالحمار كذلك، حكاه ثعلب».

ونحنُ نَعْلَم أنّ الدّوابّ حين تَشْرَبُ لا تُحافظ على نَظافة الأَرْض ونَقائها، وإنّما على العكس، فالحَوْض الذي تَخْبِطُه الإبِلُ فتهدِمه سمّاه الفيروزاباديّ: الخَبيط وَجَمَعَهُ على خُبُطٍ. كما في جَذْر مادّة التّركيب خ ب ط في القاموس للفيروزاباديّ. . . .

جُئِرَ أم: جائِر

يقول أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) ص٢٤٩:

«جُئِر: من يوسعُ عَيْنَيْه في الناسِ أو يُحدّدْ النّظرَ فيهم غَضَبًا. وربّما كان كما قال أحمد رضا من جَفَرَ وهي في اللغة بمعنى: اتّسع.».

ورجعْتُ إلى (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) لأحمد رضا فوجَدْتها بعنوان جقر بالقاف. ولم أجدْ في (لسان العرب) لابن منظور ج ق ر، وكذلك لم أجدْ مادّة هذا الْجذر: ج ق ر في (القاموس المحيط) ولدى شارحه الزّبيديّ في (تاج العروس. . .)!. أمّا بالكاف: ج ك ر فهذه عِبَارةٌ أخرى من فصيح العوامّ سيأتي البَحْثُ عنها. . .

قلْت: ولٰكنّ الجآرَةَ في عامّيّتنا بمعنى رَفْع الصّوت والتّحدّي وربّما تكون من جَأَر أو جَهَر. أمّا الجفر، بالفاء، فليسَ فيه مَعنى التّحدّي ورَفْع الصّوت مع رَفْع النّظر عن الأرض. فالوَلَدُ الْجِئِر عندنا يَرْفُع بَصَرَه وصَوْتَه في وَجْهِ مُرَبِّيهِ مع أنّه ولد مُذْنِب.

ومع أنّي سمعْتُ في الدّارجةِ اللّبنانيّةِ، وفي مسرحيّة (المحطّة) للأخوَيْن عاصي ومنصور الرّحباني (والحرامي شحّاد جِئِر). فرجعت إلى مادَّة ج أ ر في (محيط المحيط) لبطرس البستانيّ فلم أَجِدْ فيه ما يزيدُ عن المَعاجِم مع أنّي أعرِفُ أنّه ينصُّ على أنّ اللفظة العامّيّة: عامّيّة، فلم أجدْه يَذْكر سِوى: «جأر الثّورُ: صاح، والعامّة تقول: جَعَرَ». قلت نعم تقول العامّة جَعَرَ، بمعنى صاح، وتقول: (شحّاذ جِئِر) بمعنى وَقِح فهل كلاهما من ج أ ر؟

وفي (لسان العرب) لابن منظور: ج أ ر: «جَأَرَ يَجْأَرُ جَأْرًا وَجُؤَارًا: رَفَعَ صَوْتَه مع تَضَرُّعٍ واسْتِغاثةٍ. وفي التّنزيل: ﴿إذا هم يَجْأَرُون﴾

[السورة ٢٣ المؤمنون الآية: ٦٥]؛ وقال ثعلب: هو رَفْعُ الصّوتِ إليهِ بالدعاءِ... وفي الحديث: (كأنّي أنظرُ إلى مُوسىٰ له جُؤَارٌ إلى ربّه بالتّلبِيَة)..

...الْجوهريّ: الْجُؤارُ مثلُ الْخُوار، جَأَرَ الثّورُ والبقرةُ يَجْأَرُ جُؤارًا: صاحا، وخارَ يَخورُ بمعنى واحد: رَفَعا صَوْتَهُما؛ وقرأ بعضُهم: عِجْلًا جَسَدًا له جُؤَارٌ، حَكاهُ الأَخْفَشُ؛ وغيث جُؤَرٌ مثل نُغَرٍ؛ أي: مُصَوِّتٌ، من ذلك، وفي الصِّحاح: أي غزير كثير المطر؛ وأنشد لِجَنْدَل بن المُثَنّى:

يا ربُّ رَبَّ المسلمينَ بالسُّوَر

لا تَسْقِهِ صَيِّبَ عَزَّافٍ جُؤَرْ

...وقيل: غَيْثٌ جُؤَرٌ طال نَبْتُهُ وارتفع. وجأرَ النّبتُ: طالَ وارْتَفَع، وَجَأَرَتِ الأرضُ بالنّبات... قال جندل:

وَكُلِّلَتْ بأُقْحُوانٍ جَأْرِ

وهذا البيتُ في التهذيب معرّف

وكُلِّلَتْ بالأُقْحُوانِ الْجَأْرِ

قال: وهو الذي طالَ واكتهلَ. ورجلٌ جَأْر: ضخم، والأنثى جأرة. والجائر جَيَشَانُ النَّفس. وقد جُئِرَ. والجائرُ أيضًا: الغَصَصُ، والجائِرُ: حَرٌّ في الْحَلْق».

وكذلك في (القاموس المحيط) وشرحه (تاج العروس..) للزّبيديّ وفيهما:

«(والْجَأْرُ: الضَّخْم) السَّمينُ.. (كالجَأّرِ ككتّان) والجَئِر مثل (كَتِف) وهذه عن الفَرّاء ويقال: هو جَأّر بالليل (و) يقال: (هو أَجْأَرُ منه) أي (أَضْخَمُ والجائِرُ جَيَشانُ النَّفسِ) وقد جَئِرَ (و) الْجَائر أيضًا (الغَصَصُ و) الجائر (حَرٌّ) في (الحَلْق أو شِبْهُ حُموضَةٍ فيه من أَكْلِ الدَّسَم. و) من المَجَاز (غيث جَأْرٌ وَجَأّر) ككتّان (وَجُؤَرٌ كَصُرَدٍ)... (غَزير وكثيرٌ) المَطَرُ يَجْأَرُ عنه النَّبْت كذا في الصِّحاح...

(وَجَئِرَ كسمع غصَّ في صدره...).. والجُؤار أيضًا (قَيْءٌ وسُلاح يأخُذُ الإنسانَ فَيَجْأَرُ مِنْهُ)».

قلت: أرأيت العِباراتِ العامّيّة؟ هو جَئِرٌ وهو أَجْأَرُ منه!؟

ومن المُفيد أنْ أضيفَ من (أساس البلاغة) للزّمخشريّ:

«ومن المجاز: جَأَرَ النَّباتُ: طالَ ارتفعَ، كما يقالُ: صاحتِ الشّجرةُ إذا طالَتْ».

المُجاحَشَةُ والجَحْشُ

في أَغْلَبِ العامّيّاتِ العربيّةِ يُستعمَلُ تشبيهُ إنسانٍ بالجَحْشِ أو يُشْتَمُ بأنّه جَحْشٌ، وعِلْمُ اللغة لا يُهمِل لغة الشَّتْم، وقد ذَكَرها في مِصر د.عبد المنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

ولا تكادُ أسماعُنا ترتاحُ من صُراخِ شَتّامٍ يَصيحُ بالمَشْتوم يَسُبُّه هذا السّبّ المَشْهور (يا.. صِفَتُك، يا.. نَعْتُك، يا.. جَحْش) ومن المعروف في كلامِنا ما نجدُه لدى ابن منظور في (لسان العرب) في: ج ح ش:

«الجَحْشُ من أولاد الْحَمِيرِ حين تَضَعُهُ أُمُّهُ إلى أن يُفْطَمَ من الرِّضاع، فإذا اسْتَكْمَلَ الحَوْلَ فهو تَوْلَبٌ والجَمْعُ جِحاش وَجِحَشَةٌ وجِحشانٌ، والأنثى بالهاء جَحْشَة وفي المثل: الجحشَ لمّا بَذَّك الأَعْيارُ؛ أي سبَقَك الأعيارُ فعَلَيْك بالْجَحْش؛ يُضْرَبُ هذا لِمَنْ يَطْلُبُ الأمرَ الكبيرَ فيفوتُه فيُقال له: اطلُب دون ذلك...

ويقال في العَيِيّ الرأي المُنْفَرِدِ بِهِ: جُحَيشُ وَحْدِهِ كما قالوا: هو عُيَيْرُ وَحْدِهِ يشبّهونَه في ذلك

بالجَحْش والعَيْر، وهو ذمٌّ، يُقالُ ذلكَ في الرَّجُلِ يَسْتَبِدُّ برأيه. والجَحْشُ ولدُ الظَّبْيَةِ، هُذَلِيّة.. والجَحْشُ أيضًا: الصَّبِيُّ بِلُغَتِهِم والجحشُ: سَحْجُ الجلد؛ ... قال ابْنُ سِيدَه: جَحَشَه يَجْحَشُهُ جَحْشًا خَدَشَهُ، وقِيل: هو أنْ يُصيبَه شيء يَتَسَحَّجُ منه، كالخَدْشِ أو أكبر منه ورويَ عن النبيّ - ﷺ- أنّه سَقَطَ من فرسٍ فَجَحَشَ شقُّهُ؛ أي: انْخَدَشَ جلده.

وَجَحَشَ عن القَوْمِ: تنحّىٰ، ومنه قول النّعمان بن بشير: فَبَيْنا أسيرُ في بلاد عُذْرَة إذا ببيتٍ جَرِيدٍ جاحشٍ عن الحَيّ، والجَحِيشُ: المُتَنَحِّي عن النّاس؛ قال الأعشى يصفُ رجلًا غيُورًا على امرأته:

إذا نَزَلَ الحَيُّ جَلَّ الجَحيش
سَقِيًّا مُبِينًا غَوِيًّا غَيُورا

..... وقال أبو حَنِيْفَةَ: الجَحِشُ الفَرِيد الذي لا يَزْحَمُه في دارِهِ مُزاحِم. يُقال: نزل فلان جحيشا إذا نزل حريدًا فريدًا».

قلت: وكذلك ما ورد في (القاموس..) و(أساس البلاغة) و(التّاج..) وغيرها..

وقُلْتُ: وعندنا أيضًا يُقال فيمن يَحْرَد ويَنْفَرِد وَحْدَهُ: هذا مُجَحِّشٌ وقد جَحَّشَ عندما أردْنا أن نتعاملَ معه... فتأمّل... في توسُّعِهِم في المعاني المجازيّةِ للعباراتِ خلالَ الاسْتِعمالِ، وكيفَ يَتَوَلّد التّضادّ والتّناقضُ بينَها فعلى عكسِ الجَحْشِ الفريد الذي لا يَزْحَمُهُ في داره مُزاحِم قالوا أيضًا: «جاحَشَ القومَ جِحاشًا: زَحَمَهُمْ.. وقاتَلَهُم ودافَعَهم.. والجَحْش: القِتال؛ عن ابنِ الأعرابيّ».. كما في (اللسان..) وغيره...

ويذكر الأمير شكيب أرسلان في ص٧٧ من (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) أنّهم: «يستعملون المُجَاحَشَة بمعنى المُدَافَعة عن النّفس، وأحيانًا بمعنى المُنازَعة، وجاحَشَ عن نَفْسِه، أو عن خيط رقبتهٰ: دافع وهو من الفصيح».

الْجَخُّ

أيكونُ من تطوُّرِ الفصيحِ؟

يقولُ لكَ الشّاميُّ إعجابًا بشَيْءٍ عندَكَ (ما هذا الْجَخُّ.. واللهِ شيءٌ جخّ.. بيتُكَ أو لِباسُكَ جخّ، فأنت تعرفُ كيفَ تجخُّ، فأنتَ - فعلًا - جَخّيْخ).

وفي القاموس المحيط: ج خ خ:

«وجَخَّ رفعَ بطنَهُ وفتحَ عَضُدَيْهِ في السُّجودِ».

«جَخّ: تحوَّلَ من مكانٍ إلى آخرَ». كما في اللسان.

«وجخّ بِبَوْلِهِ رمى، وبرجلِهِ نسَفَ بها التّرابَ»، كما في اللسان عن ابن دُرَيْد، كَخَجَّ، قال: وجخّ [بتقديم الجيم على الخاءِ] أعلى.

«وجَخّ: اضْطَجَعَ مُتَمَكِّنًا مُسْتَرْخِيًا».

وجخَّ جاريَتَه: مَسَحَها كَجَخْجَخَ وَتَجَخْجَخَ [وفي الحاشيةِ والتّاج: وخَجْخَجَ].

«وَجَخْجَخَ: كَتَمَ ما في نفسِهِ». وزادَ في اللسان: كَجَخْجَخَ [وفي (النّوادرِ) لأبي مسْحَل الأعرابيّ][1] «قلْ ما في نفسِكَ ولا تُخَجْخَجْ، ولا تُجَمْجَمْ، بمعناها أي لا تُظهرْ سواهُ وأَفْصِحْ به».

وفي القاموسِ واللسانِ: «جَخْجَخَ: نادى وصاحَ: جَخْ جَخْ؛ وزادَ في اللسانِ؛ وفي الحديثِ: إنْ أردْتَ العزَّ فَجَخْجِخْ في جُشَمَ،

(١) أبو مَسْحَل الأعرابيّ: عبدُ الوهّابِ بنُ حَرِيْش المُتوفّىٰ في أوائلِ القرنِ الثّالث الهجريِّ؛ التّاسع الميلاديّ؛ وهو تلميذُ الكسائيِّ وأستاذُ ثعلب. من كتابِهِ (النّوادر في اللغة) تحقيق د. عزّة حسن طبعة المَجْمَع العِلْميّ العربيّ. معجم اللغة العربيّة بدمشق سنة ١٩٦١م. انظر ص٥٠٨ منه.

وقال الأغلب العجليّ:

إنْ سَرَّكَ العِزُّ فَجَخْجِخْ في جُشَمْ
أَهْلِ التَّباءِ والعَدِيْدِ والكَرَمْ

أي ادْعُ بِجُشَمَ تُفاخِر مَعَك.

«وَتَجَخْجَخَ: اسْترخى، وَتَجَخْجَخَ اللّيْلُ تراكَمَ ظَلامُه».

وفي اللسان: «وَجَخْ جَخْ بمعنى بَخْ بَخْ عند تفضيلك الشّيْء».

وجَخْ: بمعنى: بَخْ: أيْ: عَظُمَ الأمرُ وفَخُمَ... كلمةٌ تُقالُ عندَ الرّضاءِ والإعجابِ بالشّيءِ أو الفخرِ والمدحِ». قلْتُ: [وهذا هو المعنى المُسْتَعْمَلُ في عامّيّةِ دمشقَ اليومَ لِلْجَخِّ].

أمّا أحمدُ رضا في: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): (ويقولونَ جخَّ فلانٌ وهو جخّاخٌ إذا اخْتالَ وباهى بأكثرَ ممّا عندَهُ مُتظاهِرًا بالنّعمةِ إعجابًا وكِبْرًا. وهذه إمّا مِنْ جخَفَ بمعنى تكبَّر وافْتَخرَ، أُبْدِلَتِ الفاءُ خاءً مُعْجَمَةً وأُدْغِمَتْ في أختِها كما فَعَلَ أهلُ اللغةِ في مثلِ حَذَف وحَذَّ بمعنى قَطَعَ.

أو تكون من جخَّ في صَلاتِه إذا رَفَعَ بطنَهُ وفَتَحَ عَضُدَيْهِ مُجافِيًا جَبينَه عند السُّجودِ. أو من جخَّ إذا نَسَفَ التّرابَ برجلِهِ، وهاتان الحالانِ تَبْدُوانِ من المُختالِ المُتكبِّرِ المَزْهُوِّ إعجابًا بنفسِه حالَ اخْتيالِه)[١]. ا.هـ. أحمد رضا العامليّ.

وأمّا مُؤلِّف (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) الأمير شكيب أرسلان فَكَتَبَ: (وتقولُ عامَّتُنا: جخَّ بمعنى: تعظَّمَ وتَأَلَّهَ ولَبِسَ الثّيابَ الفاخرة.. وأصلُه من جخَّ في اللغةِ، بمعنى اضْطَجَعَ وتمكَّنَ واسْترخى، وذلكَ فِعْلُ الكِبارِ الذينَ لا يُبالونَ إلّا براحةِ أنفُسِهِمْ، فأخذَها العامّةُ من هنا وتوسَّعُوا في معناها حتّى صارَتْ عندَهم للأُبَّهةِ والظُّهورِ. وفي مِصْرَ: جَخَّ: افْتخرَ بالباطل) (٥).

(٥) ويُعلّقُ محمّدٌ خليل الباشا شارحُ (القول الفصل...) في الحاشية (٥): «وثمّة فِعْل جَخَفَ بمعنى تَكَبَّر، فقد يكونُ العامّةُ أبْدلوا بالفاءِ خاءً وأَدْغَموا الخاءَيْن. ولا أجدُ وَجْهًا لقولِ العلايلي في المرجعِ إنّها تعودُ في الأصلِ إلى لُبْس الْجوخ وكان علامةَ ثراءٍ ونعمة»[٢]. ا.هـ محمّد خليل الباشا.

قلْتُ: أو تكونُ مَراحلُ التَّطَوُّرِ الطَّبيعيِّ قدْ مَرَّتْ على العبارةِ في الوصفِ الحِسّيّ المادِّيِّ في فَتْحِ العَضُدَيْن أو الرِّجْلَيْنِ إلى نَسْفِ التُّرابِ بالأَرْجلِ اخْتيالًا ثمَّ إلى القولِ «جَخْ جَخْ بمعنى بخْ بخْ أي عَظُمَ الأمرُ وفَخُمَ كلمةٌ تُقالُ عند الرّضا والإعجابِ بالشّيءِ، أو الفخر والمدح» كما في القاموس المحيط: أو «عندَ تفضيلِكَ الشّيءَ» كما في (لسان العرب).

ولا يفوتُنا الرّأيُ التّالي في (الجَخّيْخ) للعَلَّامَة الشَّيخ عبدالله العَلايلي مُؤلِّف مُعْجمِ (المَرْجِع) وصاحب مشروع موسوعة (المعجم) وقد أَوْرَدَ رأيَهُ أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلحات والتّعابير الشّعبيّة) ص٢٤٨ خِلال قوله: «جَخّيْخ: المُتَجَمِّل بأفخرِ الملابسِ. وهي من (جَخَّ)؛ وتَعْني في اللغةِ: مالَ في انْحناءٍ، أو: عَظُمَ وفَخُمَ. ويَظُنّ العلايلي (المَرْجع ٧٣٦) أنَّها ترجعُ في الأصلِ إلى

(١) ص ٨٧ من كتاب أحمد رضا العامليّ (ردّ العامّي إلى الفصيح) الطّبعة الثّانية. دار الرّائد العربيّ بيروت سنة ١٩٨١م.

(٢) ص ٧٧ - ٧٨ من كتاب الأمير شكيب أرسلان (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) شرحه وعلّق حواشيه: محمّد خليل الباشا. الطّبعة الأولى في الدّار التّقدّميّة في المُختارة - لبنان سنة ١٩٨٨م.

لِباسِ الْجُوخِ، وكانَ عَلامةَ ثَراءٍ ونعمةٍ. مُؤَنَّثُها: جَخِّيخَة. وَجَمْعُها: جَخِّيْخَة، وَجَخِّيْخِيْنَ. وصوابُها: جخّاخ».

أمّا شفيق جبري في (بقايا الفصاح) في (مجلّة مجمع دمشق: المجلّد ٤٨ ج١ ص٤) فيرى أنّ: «العامّة قد قَلَبت مَعْنى هذه المادّة في لغتها دون الاهتمام بأَصْل مَعْناها في اللغة الفصيحة، وقد يقع مثل هذا القلب في لغة الخاصّة أيضًا، فإنّا نجد في كتب أدبنا المشهورة ألفاظًا كانت تستعمل في عصر من العصور ولها معنى خاصّ، ثمّ تحوّل هذا المعنى في عصر آخر من وجه إلى وجه، والشواهد على ذلك غير قليلة...».

الجَذَع (فَصِيح: الكَدَع أو الغَدَع أو الجِدَع)

الجَذَعَ من فِصاح العامّة - في مِصْر والشّام.- وقد أُبْدِلَتِ الذّال دالًا على عادَة العَوَامّ.. وانْتَقَلَت إلى الشّامِ بِلَفْظها القاهِريّ، فمن المشهور المعروف لفظها: الجِدَع في الأقطار الشّاميّة..

ففي (الصّحاح.. واللسان.. والقاموس.. والتّاج..) وأغلب كتب اللغة، تَجِد الأَصْل الفَصيح لِعبارة العامَّة (الكَدَع أو الجدع أو الغدع) بالجيم المصريّة G:

«..والجذع من الرجال: الشّاب الحَدَث؛ ومنه قول وَرَقَة بْنِ نَوْفَل في حديث المبعث (يا لَيْتَنِيْ فِيْها جَذَعْ....)

أي ليتني أكون شابًّا حين تظهرُ نُبُوَّةُ الرّسول حتّى أُبالِغَ في نُصْرتِهِ.

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّة في يوم هَوازن:

يَا لَيْتَنِي فِيْهَا جَذَعْ
أَخِبُّ فِيهَا وَأَضَعْ
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ
كَأَنَّها شَاةٌ صَدَعْ

خَبَّ يخُبُّ خَبَبًا: أسرع في العَدْوِ؛ وراوَحَ بَيْن يَدَيْه وَرِجلَيْهِ.

ومن المَجاز: أَهْلَكَهُم الأَزْلَم الجَذَع أي الدّهر، قال لَقيط الإياديّ:

يا قَوْمُ بَيْضَتُكُم لا تُفْضَحُنَّ بها
إنّي أخاف عليها الْأَزْلَمَ الجَذَعا

والأخطلُ يمدح بِشْرَ بن مَرْوان:

يا بِشْرُ لَوْ لَمْ أَكُنْ مِنْكُمْ بِمَنْزِلَةٍ
أَلْقَى عَلَيَّ يَدَيْهِ الْأَزْلَمُ الجَذَعُ

ويُقال: (لا آتِيكَ الأَزْلَمَ الجَذَعَ) أي لا آتيك أبدًا، لأن الدَّهْرَ أَبَدًا جديد كأنّه فَتِيٌّ لم يُسِنّ. ومن المَجاز: (أمّ الجَذَع الدّاهية) وهو من ذلك، ومن المَجاز: (الدَّهْر جَذَع أَبَدًا) أي جَديد كأنّه شابٌ لا يَهْرَم.

وقولهم: فلان في هذا الأمر جَذَع، إذا كان أخذ فيه حديثًا. وأعدت الأمرَ جذعًا: أي جديدًا كما بدأ... وتجاذع الرَّجُل: أرى أنّه جذع، على المثل؛ قال الأسود:

فَإِنْ أَكُ مَدْلُوْلًا عَلَيَّ، فَإِنَّنِيْ
أَخُوْ الحَرْبِ لَا قَحْمٌ وَلَا مُتَجَاذِعُ

والأنثىٰ جَذَعة والجَمْع: جِذاع وجُذْعان». والعامّة تَجْمَع على جِدْعان.

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ:

«..وأَجْذَعَ المُهْرُ: صار جَذَعًا. ولا تستوي الجُذْعانُ والثُّنْيانُ. والخَروف المُتجاذِع: الدّاني من الإجْذاع.. وطَفِئَت حربٌ بين قوم فقال أحدُهم: إنْ شِئْتُم أَعَدْناها جَذَعة. ويُقال: فُرَّ له الأَمْرُ جَذَعا: إذا عاوَدَه من الرَّأْس. وَغرَّق الآل

جُذعان الجبال».

وفي (المصباح المنير) للفيّوميّ: «والجَذَعُ - بفتحتَيْن -: ما قبلَ الثَّنِيّ وَأَجْذَعَ وَلَدُ الشّاة في السّنة الثّانية».

وقد ذكر الجذع كُتّاب فصاح العامّيّة ومنهم أحمد رضا العامليّ في لبنان في (ردّ العامّيّ..) ود. عبدالعال في مصر في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

الْجَرْد والجُرُودُ... وجَرَدَ اللونُ وَجَرَدَ البِضاعةَ

(ثوبُك جَرَدَ لَوْنُه من الشَّمسِ، فَلَوْنُهُ جارِدٌ كأنّه بايِخٌ).

يَسْتعملونَ عندنا الفعلَ جَرَدَ بمعنى نَصَلَ أو بَهَتَ أو نَفَضَ لونُه وحالَ وَتَغَيّرَ وشَحُبَ فهو فِعْلٌ لازمٌ وكذلك يقولونَ: (جَرَدَ السِّلَعَ الموجودةَ في المحلِّ والمُسْتَوْدَعِ): ضَبَطَها عدًّا وإحصاءً. فهو فِعْلٌ لا يلزمُ فاعلَهُ فقط كالسّابِق، بل يتعدّاهُ إلى المفعولِ وكأنّهم أخذُوا المعنى من: (جَرَدَهُ يَجْرُدُهُ جَرْدًا: قَشَرَهُ وأزالَ ما عليه)؛ كما في المُعْجَم الوسيط.

وقد بيّن مَأْخذَه محمّد خليل الباشا في حاشيتِه على كتابِ الأميرِ شكيب أرسلان: (القولُ الفصلُ في ردِّ العامّيِّ إلى الأصلِ) الذي فصّلَ القولَ في موادّ الفِعْلِ جَرَدَ ومُشْتَقّاته.

وكذلك قد أوردَ أحمدُ رضا هذهِ المعاني في (ردّ العامّيّ..).

ولٰكنْ (:جرد لونُه) لازم. وجَرَدَه مُتَعَدٍّ. ممّا يَجْعلُنا نلتمسُ للّازمِ تطوُّرًا للمعنى في: (جَرِدَ الثّوبُ: أَخْلَقَ) كما في المُعْجم الوسيط أيضًا.

قُلْتُ: وفي العامِّيّةِ المِصريّةِ المُعاصرة، كما في عامّيّةِ الدّيار الشّاميّةِ فقد قالَ د. عبد المُنْعم سيّد عبدالعال في: (مُعْجَمِ الألفاظِ العامِّيَّةِ ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العربيّة): «نقولُ في دارِجَتِنا: جَرَدَ العُوْدَ: قَشَرَهُ، وجَرَدَ الطّينَ: جَرَفَهُ. وجَرَدَ المَخْزَنَ أَحْصَى ما فيهِ وحَصَرَهُ، وَجَرَدَ لونُ البِساطِ والثّوبِ: تَغَيّرَ..».

قُلْتُ: أعودُ إلى القُدماءِ فأَنْتقي من القاموس المُحيط للفيروزاباديّ ما لَهُ علاقةٌ بالمعاني التي في عامّيّتنا المُعاصِرةِ في مادَّةِ الْجَذْرِ:

«الجَرَدُ: فَضاءٌ لا نَباتَ فيهِ، مَكانٌ جَرْدٌ وأَجْرَدُ وجَرِدٌ.. وأرضٌ جرداءُ وجَرِدَةٌ.. وجَرَدَها القَحْطُ وسَنَةٌ جارودٌ، وَجَرَدَهُ وَجَرَّدَهُ: قَشَرَهُ، والجِلْدَ: نَزَعَ شَعْرَهُ، والقَوْمَ: سَأَلَهُمْ فمنعوهُ أو أَعْطَوْهُ كارِهينَ، وزَيْدًا من ثوبِهِ: عَرّاهُ فَتَجَرَّدَ وانْجَرَدَ والقُطْنَ حَلَجَهُ. وثَوْبٌ جَرْدٌ: خَلَقٌ. ورَجُلٌ أَجْرَدُ: لا شَعْرَ عليهِ. وَفَرَسٌ أَجْرَدُ: قصيرُ الشَّعرِ رَقِيقُهُ....

وتَجرَّدَتِ السُّنْبُلَةُ: خَرَجَتْ من لفائِفِها...

وانْجَرَدَ الثّوبُ: انْسَحَقَ.

والجَرْدُ: البقيّةُ من المالِ، والْجَريدةُ سعَفَةٌ طويلةٌ والبقيّةُ من المالِ أيضًا، وخَيْلٌ لا رَجّالَةَ فيها. والْجَراد معروفٌ وأرضٌ مَجْرُودَةٌ: كثيرَتُهُ..».

وفي (أساسِ البلاغةِ) للزّمخشريِّ مَعانٍ مجازيَّةٌ كثيرةٌ مُسْتَفِيضَةٌ للفِعْلِ جَرَدَ ومنها قولُه: «..وجَرَدَنا القَحْطُ. وناقةٌ جَرودٌ: أَكُول.

وَرَجُلٌ جاروْدٌ: يجرُدُ الخيرَ بشُؤْمه... وما عليه إلّا بُرْدَةٌ جَرْدٌ، وقد جَرُدَتْ؛ لأنّها إذا خَلُقَتْ انْتَقَضَ زِئْبِرُها وامْلاسَّتْ».

قلْتُ: (الزِّئْبِرُ: ما نُسَمّيهِ خَمْلَةَ المُخْمَلِ، أو: الزِّئْبِرُ: الزَّغَبُ والوَبَرُ الذي يعلُو المَنْسوجاتِ؛ وعامَّةُ دمشقَ تُسَمّيهِ: الزَّغْبَرَة).

الجُرْزَة وليس (الجورسيه)!

كانَتْ تتحدّث عن عَمَلِها الزّراعيّ في قَطْع النّعْناع والبَقْدونس وأشباهها من النّباتات التي تُحْزَمُ كلّ قَبْضَة من عُروقِها المقطوعة في حِزْمة أو باقةٍ أو طاقة وهي ما تسمّيه العامّة في دمشق جُرْزَة، وفي حَلَب باقة، فكانَتْ تَصِفُ كيف تَجْرُزُ هذه الجُرَزَ وَتَحْزِمها بخيوط.. وتقضي أيّامَها تَجْرُزُ وَتَحْزِم... فوجَدْتها تُعيد الفعل جَرَزَهُ يَجْرُزُه جَرزًا إلى أصْلِه المُعْجَمِيّ الصّحيح، وإذا اشْتُقَّ منه اسمُ جُرْزَةِ البَقْدونِس أو النَّعْناع فليس من حقّ أَحَد نْ يَرْفُض صِحَّة هذه الجُرَزِ المَقْطوعة وقد ذَكَرَتْها مُعجماتُ التُّراث..

وفي (مقاييس اللغة) يقولُ ابنُ فارس:

«الجيم والرّاء والزّاء أَصْل واحِد، وهو القَطْعُ. يُقال: جَرَزْتُ الشّيءَ: قَطَعْتُه وَسَيْف جُراز؛ أي: قَطّاع. وأَرْضٌ جُرُزٌ لا نَبْتَ بها كَأَنَّهُ قُطِعَ عنها». قال الكِسائيّ والأصمعيّ: أَرْضٌ مَجْرُوزَة من الجرز، وهي التي لم يُصِبْها المطر، ويُقال: هي التي أُكِلَ نباتُها. والجَرُوزُ: الرّجُل الذي إذا أَكَلَ لم يَتْرك على المائدة شَيْئًا؛ وكذلك المَرْأة الجَروز؛ والنّاقة، قال:

تَرىٰ العَجوز خَبَّةً جَروزا

والعربُ تقول في أمثالها: (لن ترضى شانئة إلّا بِجَرْزَة) أيْ إنّ المُبْغِضة من شِدّة بَغضائها لا تَرْضى للّذين تَبْغُضُهم إلّا بالاسْتِئصال...

وفي (لسان العرب) لابن منظور: «جَرَزَ يَجْرُزُ جَرْزًا: أَكَل أَكْلًا وَحِيًّا.. وقد جَرُزَ جَرازَةً.. ويُقال للنّاقة إنّها لَجُراز الشّجَر: تَأْكُلُهُ وَتَكْسِرُه.. قال اللهُ تعالىٰ: [في السورة ٣٢/ السّجدة/ الآية ٢٧]: ﴿أَوَلَمْ يَرَوا أَنّا نَسُوْقُ الماءَ إلى الأَرض الجُرُزِ﴾ قال الفرّاء: الجُرُز أنْ تكونَ الأرضُ لا نَبات فيها؛ يُقال: قد جُرِزَت الأرضُ فهي مَجروزَةٌ جَرَزَها الْجَرادُ والشّاءُ والإِبِلُ وَنَحْوَ ذلك. ويُقال: أَرْضٌ جُرُز وَأَرَضُوْنَ أَجْراز. وسَنَةٌ جُرُزٌ إذا كانت جَدْبَة.. وفي الحديث أنّ رسول الله - ﷺ - (بَينما هو يَسِيْرُ إذْ أَتَىٰ على أَرْضٍ جُرُزٍ مُجْدِبَةٍ مثل الأَيّم التي لا نبات بها).

...وفيها أربعُ لُغاتٍ: جُرْزٌ وَجُرُزٌ مثل عُسْرٍ وَعُسُرٍ، وَجَرْزٌ وَجَرَزٌ مثل نَهْرٍ وَنَهَرٍ. وجَمْع الجُرْز جِرَزَة. وجمع الجَرَزِ أَجْراز.

والجُرُز: العَمود من الحديد، معروف عربيّ؛ والجمع أَجْرازٌ وَجِرَزَة...

والجُرْزَةُ: الحُزْمَةُ من القَتّ ونحوه».

قُلْتُ: ها قد نصّ ابن منظور في اللسان على صحّة اشْتقاق: «الجُرْزَةِ: الحزمة من القَتّ ونحوه».

في (أساس البلاغة): وجمعها كما تجمعها العوامّ على جُرَز، وكذلك أكثرُ المَعاجم (كالقاموس المحيط) وغيره...

وأحمد رضا في (ردّ العامّيّ..) يقول: «..الحزمة الكبيرة من الحَصِيْد عند العامّة.. والجرزة أيضًا من لباس النّاس في الفصيح، وهي عند العامّة: (الجورسيه) في اللفظ الفرنسيّ» كما يلي:

يقول أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «ج ر ز:.. والجُرْزة أيضًا من لباس النّساء تكون من وَبَر أَوْ مِنْ صُوف أو مِنْ حرير يُقال لها: (جورسيه) بياء مُخَفَّفة، جاؤوا به كلفظها بالإفرنسيّة... والحرير في العامّيّة، وفي اللسان أو من الفَرْو الغليظ..

وغير بعيد أنْ تكونَ إفرنسيّتُها مُحَرَّفة عن العربيّة ولٰكنّهم أَرْجَعُوها مُحَرَّفَة، ونظيرُ هذا تَسْمِيَتُهم حوضَ الماء بالحاووز بعد أَنْ أخذوه عن لفظه

التّركيّ المُحَرَّف عن العربيّ: (الحَوْض)...».

قُلْتُ: وفي (القاموسِ المحيط): «والجِرْز، بالكَسْرِ، لِباس النّساء من الوَبَرِ وَجُلودِ الشّاء. جَمْعُها جُروزٌ» وكذلك نصّ (اللسان.. والتّاج..) ويَزيد (اللسان..) «..ويُقال: هو الفَرْو الغليظ». فيرويها (التّاج..) أيضًا.

الجَرْشُ والجَرِيشُ

الجَرْشُ في عامِيَّةِ مِصْرَ والشّام فَصيحَةٌ، كما وَرَدَتْ في المعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ القَدِيمَةِ، ومَا زَالَ مَعْناها العامِّيُّ عندَنا يَنْطَبِقُ على المَعْنَى الأَصْلِيّ كما جاءَ لَدَى ابْنِ فارِسٍ في مَقايِيْسِ اللُّغةِ: «الْجيم والرّاء والشّين أَصْلٌ واحِدٌ وهو جَرْشُ الشَّيْءِ: أن يُدَقَّ وَلَا يُنْعَم دَقُّهُ.

يُقالُ: جَرَشْتُهُ، وهو جَرِيْشٌ، والْجُراشَةُ ما سَقَطَ مِنَ الشَّيْءِ المَجْرُوشِ. وَجَرَّشْتُ الرَّأْسَ بِالمِشْطِ حَكَكْتُهُ حَتّى تُسْتَكْثَرَ الإِبْرِيةُ[1]. وذَكَرَ الخَليلُ أنّ الجَرْشَ الأَكْلِ... فأمّا قَوْلُهُم: مَضَىٰ جَرْشٌ مِن اللَّيْلِ فَهيَ الطَّائِفَةُ، وَهُو شاذٌ».

وَتَجِدُ (القاموسَ المُحيطَ) و(أَساسَ البَلاغةِ) وَأَمثالَها من المَعاجِمِ يُكَرِّرُون مِثْلَ هٰذِهِ المَعاني المَوْجُودَةِ في العامِّيَّةِ إلى الآن، وَأَزِيدُ من (لسان العرب): «الجَرْش حَكُّ الشَّيْءِ الخَشِنِ بِمِثْلِهِ وَدَلْكُهُ كما تَجْرِشُ الأَفْعَى أَنْيابَها إِذا احْتَكَّتْ أَطواؤُها، تَسْمَعُ لِذٰلِك صَوْتًا وجَرْشًا. وَقِيلَ: هُو قَشْرُهُ: جَرَشَهُ يَجْرُشُه ويَجْرِشه جَرْشًا فهو مَجْرُوشٌ وَجَرِيشٌ.. والمِلْحُ الجَرِيشُ: المَجْروشُ.. كأنّه قد حَكّ بعضُه بَعْضًا فَتَفَتَّتَ..».

قلتُ: وجَرْشُ البُرْغُلِ الْجَرِيش في الدِّيارِ الشّامِيَّةِ مِن طوروس إلى طُورِ سيناء. (راجع البُرْغُلِ). وَأَعُودُ إلى الاسْتِزادَةِ من (اللّسان..) «..مضى جَرْشٌ مِنَ اللَّيْل: هُوَ ما بَيْنَ أَوَّلِهِ إلى ثُلُثِهِ..».

فقلت: فقولُ العامّة في دمشق: (..كنّا في السّهرة نَجْرِشُ الأحاديثَ والمُسامرات) لَعلَّهُ يَكونُ مُشْتَقًّا مِن أَنَّ طِيْبَ الحَدِيْثِ والسَّمَرِ يُتَداوَلُ في أَفْواهِ السّاهِرين لَيْلًا... والله أَعْلَمُ..

الجُرْن

من تَلِيْد الفَصِيْح ما نُسَمّيْه الجُرْن في حمّاماتِنا وقد ذَكَرَتْه كُتُب التُّراث على أنّه من الحَجَر المَنْقُور يُمْلَأُ بالماءِ لِيُتَطَهَّر منه، وما يَزال في كثير من بيوتاتنا، بينما نَدَرَ وجود الْجُرْن الحَجَرِيّ المُخَصَّص لِهَرْس اللحم ودَقّ الكُبّة، الذي كان ذَكَرَه البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط)، وأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح)، وأحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة). إذ حلّت محلّه مَطْحَنَة كهربائيّة، وكذلك الْجُرْن الخَشَبِيّ لِطَحْن البُنّ. أمّا الجُرْن في المَزَارِع والأَرْياف فما زال قريبًا من البَيْدر أو عِنْده ويُسْتَعْمَل لِتَخْفِيف الغِلال والثَّمرات.. وكذلك يُسَمَّىٰ في أرياف مِصْرَ وقد ذكره د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

وفي (لسان العرب):

«الجُرْن: حَجَرٌ مَنْقُور يُصَبّ فيه الماء فيُتوضَّأُ به، وتُسَمِّيه أهل المدينة المِهْراس الذي يُتَطَهَّرُ منه...

...قال ابن سِيْدَه: والجِرْن: الجِسْم... والْجَمْع أجران. والجُرْن والجَرِيْن: مَوْضِع التَّمر الذي يُجَفَّف فيه.. ومَوْضِع تجفيف التَّمرِ ومَوْضِع

(١) الإبرية كالهِبْرِيَة وزانًا ومَعنًى.

البَيْدَرِ بلُغَةِ اليَمَن وعامّتهم بكسر الْجيم: [الجِرين] وجَمْعُهُ جُرُنٌ.

والجُرُن جمع الجِران»[1] وفي (أساس البلاغة): «جَرَنَ التَّمْرَ في الجَرْين أي في المِرْبَد».

جَعَزَ المَجْعُوز

حين نقول: (جَعَزْتَني فأنا مجعوز) بمعنى: زعجتني فأنا مزعوج، أيكون القلب في الأحرف فقط؟ أم يكون هناك إبدال مِن: جَأَزَ؟ مع نقل المعنى إلى المجاز؟

ج ع ز: في (القاموس المحيط): «الجَعْز كالجَأْز إلى آخره» وفي: ج أ ز: «الجَأْزُ: اسم الغَصَص في الصَّدْر، وإنّما يكون بالماء وبالتَّحْريك: المَصْدَر. وقد جَئِزَ، كَفَرِحَ». وفي (محيط المحيط): «الجَعْز كالجأز إلى آخره. وبعضُ العامّة يقولون: جَعِز بمعنى: عَجِز، وانْجَعَز بمعنى: انْزَعَج» وفيه في ج أ ز: «جَئِز يَجْأَز جَأْزًا: أخذه غَصَصٌ في صَدْرِه. أو إنّما يكونُ بالماء. والاسم: الجَأْز». فهل تَطَوّر جَأْز الغَصَص إلى الجَعْز والإزعاج؟

وكذلك في (اللسان.. والتّاج..) وفيهما شاهدٌ على الجَأْز لرُؤبة:

يَسْقِي العِدَىٰ غَيْظًا طَوِيلَ الجَأْزِ

أي طويل الغَصَص لأنه ثابتٌ في حُلُوقِهم.

وقال صاحبُ (التّاج) في «الجَعْز: أَهْمَلَهُ الجَوْهريّ وذَكَرَهُ صاحبُ (اللسان..) ولم يَعْزُه، ونَقَلَهُ الصّاغانيّ عَن ابنِ دُرَيْد وقالَ: كأنّهم أَبْدَلُوا من الهمزة عَيْنًا».

قلتُ: والعامّة قَلَبَتْ: زَعَج؟ والمعاني تقارَبَتْ..

ولم أجد لِكُتّاب فصيح العوامّ اهتمامًا بهذا..

جَفَرَ الخبزُ الجافِر

لدى عوامّنا إذا تعرّض الخبزُ للرِّيح (يَجْفَرُ فهو خُبزٌ جافِرٌ).. ولسْتُ أَزْعُمُ أنّ القدماءَ الفُصَحَاءَ قالُوها لفظًا ومعنى ولٰكنّي أجدُ نصَّ العبارةِ ما زال فصيحَ اللفظ وقد تطوّرَ معناه تَطَوُّرًا مَجازِيًّا مُناسِبًا ومَعْقُولًا... ولا يَبْعُدُ أن يكون الجَفْرُ: الواسعُ الوسَطِ هو بَعْضُ المعنى الذي تَطَوَّر عنه ولٰكن بما تفرَّعَ عنه من مَعْنى المُتَّسِع الذي تَدْخُلُه الرّيح فتجفُّ منه الرّطوبة، فهو أَحَد المَعْنَيَيْنِ الأَصْليَّيْن اللذَيْن ذَكَرَهما ابن فارس في (معجم مقاييس اللغة): «نَعْتُ شَيْءٍ أَجْوَف، والثّاني: تَرْكُ الشّيءِ».

وفي مُعْجَم الزّمخشريّ (أساس البلاغة) وغيره مِنَ المَعَاجِم ما يُفضي إلى تَلَمُّس السَّبيلِ إلى هذا التَّطوّرِ ولٰكنْ بعدَ تأمُّلِ المعاني المُناسِبَةِ لكشفِ

(١) والجِران: باطن العُنُق أو مُقَدَّم العُنُق، ولَقَبُ الشّاعر المُسْتَوْرِد النُّمَيْرِيّ [وفي الحاشية غَلَّطَهُ الصّاغانيّ حَيْث قال: وإنّما اسْم جِران العود: عامر بن الحارث بن كُلفة. أي بالضّم، وقيل كَلْفة بالفَتْح]. وإنّما لقّب بذلك لِقَوْله يُخاطِب امْرأتَيْه:

خُذا حَذَرًا يا جارَتَيَّ، فإنّني
رَأَيْت جِرانَ العَوْد قد كادَ يَصْلَحُ

أراد: سَوطًا قَدَّه من جِران عَوْدٍ نَحَرَه وهو أَصْلَبُ ما يكون.

الأزهري: ورَأَيْتُ العَرَبَ تُسَوّي سِياطَها من جُرُن الجِمال البُزْل لِصلابَتِها. وإنما حذّر امْرأَتَيْه سَوْطَهُ لنُشُوزِهما عليه».

قُلْتُ: ويراجع المُزْهِر للسّيوطي ٢: ٤٤١.

وفي (أساس البلاغة) «ومن المَجاز: ضَرَب الإسلام بِجِرانه، أيْ: ثَبَتَ واسْتَقَرّ، وهو من المَجاز المَنْقُول من الكِنايَة من قولهم: ضَرَب البَعِيرُ بِجِرانِه وأَلْقَى جِرانَه: إذا بَرَك». ولكنّ رأي ابن فارس في (مقاييس اللغة) أنّ أَصْل الجيم والرّاء والنون يَدُلّ على اللِّيْن والسُّهولَة.

هذا الطّريقِ النّاقِص الوُضُوحِ بسبب إهمالِ علماءِ التَّطَوُّرِ اللغويّ زهاءَ ثمانية قرونٍ منه.. فعلينا أنْ نَبْذُلَ مزيدًا من الْجُهدِ تعويضًا عمّا فات، فلْنَتَأمَّلْ في هذه النُّقول:

وممّا يقول ابن منظور في (لسان العرب):

«...والجَفِيرُ: جَعْبَةٌ من جلودٍ لا خَشَبَ فيها، أو من خَشَبٍ لا جِلْدَ فيها. والجفيرُ أيضًا: جَعْبَةٌ من جُلودٍ مَشْقُوقَةٌ في جَنْبِها، يُفْعَلُ ذلك بها لِيَدْخُلَها الرِّيحُ فلا يَأْتَكِلُ الرِّيش... الليث: الْجَفير شِبْه الكِنَانة إلّا أنّه واسعٌ أوسع منها يُجْعَلُ فيه نُشّابٌ كثير. وفي الحديث: (مَنِ اتّخذ قوسًا عربيّة وَجَفِيْرَها نفى اللهُ عنه الفَقْرَ)...».

... ابن الأعرابي: أَجْفَرَ الرَّجُلُ وَجَفَرَ وَجَفَّرَ واجْتَفَرَ إذا انقطعَ عن الْجِماع، وإذا ذَلَّ قِيل: قد اجْتَفَرَ... وأنشد:

وَتُجْفِروا عن نساءٍ قد تَحِلّ لكم
وفي الرُّدَيْنِيِّ والهنديِّ تَجْفِيرُ

.... وفي الحديث أنّه قال لعثمانَ بْنِ مظعون: (عليكَ بالصّومِ فإنّه مَجْفَرَةٌ).. وفي الحديث أيضًا: (صُوموا وَوَفِّرُوا أشعاركم فإنّها مَجْفَرَةٌ) قال أبو عُبَيْد: (يعني مَقْطَعَةً للنّكاح ونَقْصًا للماء).. فهو جافرٌ؛ وقال ذُو الرُّمَّةِ في ذلك:

وقد عارض الشِّعْرَى سُهَيْلٌ، كأنّه
قَرِيْعُ هِجَانٍ، عارَضَ الشَّوْلَ جافِرُ

....والمُجْفِرُ: المُتَغَيِّرُ لرِيْح الجَسَدِ، وفي حديث المُغِيْرَةِ: (إيّاكم وكُلَّ مُجْفَرةٍ)...

الفَرّاء: كُنْتُ آتِيْكُم فَقَدْ أَجْفَرْتُكُمْ؛ أي: تَرَكْتُ زيارَتَكُم وَقَطَعْتُها.

ويُقال: أَجْفَرْتُ ما كُنْتُ فيه، أي: تركتُه...

... وَأَجْفَرَ الشّيءُ: غاب عَنْكَ ومن كلام العَرَبِ: أَجْفَرَنا هذا الذِّئْبُ فما حَسَسْناهُ مُنْذُ أيّام....

.... وإبِلٌ جِفار إذا كانت غِزارًا، شُبِّهَتْ بجفار الرَّكايا...

... والجَفائِرُ: رمالٌ معروفة؛ أنشد الفارسيّ:

أَلِمَّا على وَحْشي الجَفائِرَ فانْظُرا
إليها، وإنْ لم تُمْكِنِ الوَحْشُ رامِيا

وأضيفُ من (تاج العروس من جواهر القاموس) للزّبيديّ: «...ومن المَجاز: رجل (مُنْهَدِمُ الجَفْر لا عَقْلَ لَهُ) وفي الأساس لا رأيَ (له) كما يقال: مُهْنَدِم الحال.

(والجُفُرَّى كَكُفُرَّى) وزنًا وَمَعْنًى (وَيُمَدّ) والجَفَرَاةُ، وهذان حكاهُما أبو حَنيفة الكافور من النخيل وهو (وعاء الطَّلْعِ)».

الجَفِس وليس (الجِفِص)

من الإبدال بالمُصاقَبَةِ

أَخذَ (المُعْجم الوسيط) من (القاموس المُحيط) ومن (لسان العرب) ومن غيرهما في مادّة ج ف س:

«الجَفِسُ والجِفْسُ من النّاس: اللَّئِيمُ مع ضَعْفٍ ونَذالةٍ وفَدَامَةٍ. وهو الضّعيف الفَدْمِ واللئيمُ كالْجَفيس.

والجَفِسُ: الضَّخْمُ الْجافي».

قلت: إذا كان المعنى الأوّل قد دارَ حَوْلَ الاسْتِعمال العامِّيِّ عِنْدنا للجِفِص (بالصّاد تفخيمًا وتوكيدًا) ولامَسَه أو قارَبَه وكادَ يتداخل معه؛ فإنّ المعنى الثّاني قد انْطبق عليه انْطباقًا: الجَفِس: الضّخم الْجافي.

ولعلّ العامّة أَبْدلت بالسّين صادًا لكي تَغْدُوَ اللفظةُ أكثرَ تعبيرًا، وأقوى وَصْفًا.

ولم أجدْها بالصّاد فيما توافر لي من كُتُب اللغة.

ووجدت لها فِعْلها وأُسْرَتَها التي تحدّرت منها، فقد قال الوسيط عن القاموس واللسان أيضًا:

«جَفِسَ من الطعامِ يَجْفَسُ جَفَسًا، وجفاسة: اتَّخَمَ. فهو جَفِسٌ». «وَجَفِسَتْ نفسُه: خَبُثَتْ». عبارة ابن منظور هذه: جَفِسَتْ نَفْسُهُ: خبثت، قد انْطبقت مرّة أخرى على العبارة العامّيّة: «فلان جِفِص»...

ولٰكن:

لماذا أعاد أحمد رضا العامليّ قوله: «يقولون: فلان جِفِص وجِبِصٌ «بالفاء والباء» أي: يابسُ الطّبع، ثقيلُ الرّوح. وهو مُحَرَّفٌ من جِبْس. قال في اللسان: الجِبس (بالكسر) الْجامد من كلِّ شَيْءٍ، والثّقيل الرّوح، والثّقيل الذي لا يُجيب إلى خَيْر». ا.هـ.

فهذه أعادها أحمد رضا مرّتَيْن في كتابِه (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): ص٨٦ في الْجِبص وص١٠١ في الْجِفِص.

أمّا الجَفِس فلم أجدْ لها ذِكْرًا في (ردّ العامّيّ..). ولٰكنْ ذَكَرها أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) ص٢٤٩ بعنوان: جفص؛ فذكر رأي أحمد رضا ثمّ رأيه: «ورأى أنّها من الجَفِسْ، وهو في اللغة الضَّخْم الْجافي كما في (محيط المحيط). المؤنث جِفْصة والجمع جَفِصِيْن. والاسم الْجَفَاصَة».

جاكَرَ فهو جكر

(فلان جكِر وقد جاكَرني) هكذا يقولُ العامّيّ عندَنا في الشّام وهو يَقْصدُ المعنى الفصيح: لَجُوج، ويَشْتَقُّ منَ الثّلاثيّ رُباعيًّا على صيغةِ الْمُشارَكةِ في الْمُفاعَلةِ فيُبالغُ في تَقَصُّدِ المعنى وتوجيههِ نحو معنى الكَيْدِ والمُكايَدَة... والإثارةِ والعصبيّةِ...

وفي (لسان العرب) لابن منظور: «ج ك ر: ابن الأعرابيّ: الجُكَيْرَةُ تصغير الجَكْرَةِ وهي اللَّجَاجَةُ، وقال في مَوضعٍ آخَر: أَجْكَرَ الرَّجُلُ إذا لَجَّ في البيعِ، وقد جَكِرَ يَجْكَرُ جَكَرًا».

وأَزيدُ في الفيروزابادي في (القاموس:..) وشارِحِه الزّبيديّ في: (التّاج...):

«(الجُكَيْرَة) أهمله الْجَوْهريّ، وقال ابن الأعرابيّ هي (تصغير الجَكَرَة اللحاحة) وفي حاشية القاموس (اللجاجة). هكذا في الشّيخ. وَنصُّ نوادرِ ابن الأعرابيّ اللجاجة. (وقد جَكِرَ كَفَرِحَ) يَجْكَرُ جَكَرًا: لَجَّ.

(و) جَكّار (كَكَتّان: اسم رَجُل) و.... ونَقَل شيخُنا عن المصباحِ أنّ الكاف والْجيم لا يجتمعانِ في كلمةٍ عربيّةٍ إلّا قولهم رجلٌ جكر وما تصرف منها..».

قلت: وَجَدْت هذا في المصباح.. ولٰكن في: كُندوج في باب الكاف أمّا مَوْضعُه في باب الْجيم فيخلو منه كما تخلو مَعاجمُ عديدة.

وفي (محيط المحيط) للبستانيّ: «جَكِرَ الرَّجُل يجكَر جَكَرًا: أَلَحَّ؛ والعامّة تستعمله بمعنى: غَضِب واغْتاظ».

وفي كتابِ الأميرِ شكيب أرسلان: (القولُ الفصلُ في رَدّ العامّيّ إلى الأصل):

«تقولُ العامَّةُ (جَكِرَ) بمعنى: نَفَرَ وامْتَعَضَ، مع معنى الحَرَن.

وفي كُتُبِ اللُّغةِ: جكر جكرًا: لَحَّ، وأَجْكَرَ إجكارًا: أَلَحَّ في البَيْعِ.

ولٰكنَّ لَحَّ تأتي بمعنى حَرَنَ؛ يقالُ: لَحّ الجَمَلُ؛ أيْ: حَرَنَ أو وَقَفَ لا يُريد أنْ يُنْقادَ، ويُقال: حَرَنَ

في البَيْعِ: لم يَزِدْ في الثَّمنِ ولم يُنْقِصْ. فأنتَ ترى أنَّ جَكِرَ وأَجْكَرَ وَحَرَنَ ولحَّ كلُّها مُتقارِبَةٌ».

وأحمد أبو سعد في ص٢٦٤ في (قاموسُ المُصْطَلَحات والتَّعَابيرِ الشّعبيّةِ):

«وفي لُغَتِهِمْ: جاكَرَهُ: ناكَدَهُ وضايَقَهُ وأغاظَهُ فهو مُجاكِرْجي أي مُناكِد ومُضايِقٌ ومُغيظٌ. والاسمُ المُجاكرةُ والْجَكَارَةُ والْجكَرُ. يقولونَ: فَعَلْتُ ذلكَ جَكَرًا فيكَ وجَكارةً أي نِكايةً فيك وإغاظةً لكَ». ولعلّه مأْخوذٌ من جكر ومعناها في اللغة ألحَّ؛ وهم طوَّروا الدّلالةَ..

وأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيِّ إلى الفصيح): «يقولونَ جاكَرَهُ. وعملَ هذا الشّيءَ مُجاكَرَةً وذلكَ إذا لاحّه ولاجّه. وفي اللغةِ كما في اللسانِ عن ابنِ الأعرابي: الجُكَيْرَةُ (بتصغير جَكْرَة) وهي اللَّجاجة. وقال في موضعٍ آخرَ: أَجكرَ الرّجلُ إذا لَجَّ في البَيْعِ، وقد جَكِرَ يجكَرُ جَكَرًا». ا.هـ.

قُلْتُ: وهذا ما رأيتُهُ في اللسانِ نَصًّا.

جَلأَ وَجَلَعَ وَدَلَعَ وَجَلَقَ

لعلّ العامّيّة في الشّام الطّبيعيّة (من جبال طورس إلى طور سيناء) مُتّفِقة لفظًا ومعنًى فيما جعله أحمد رضا العامليّ عنوانًا: (جَلأَ الصبيَّ، وهو مجلوء وَجَلَعَهُ وَدَلَعَهُ) في كتابه: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«يقولون: جَلأَ الولَدَ وَجَلَعَهُ وَدَلَعَهُ، وكلّ ذلك إذا ربّاه على قلّة الحَياء. والوَلَدُ مَجْلوءٌ وَمَجْلوع ومدلوع. والاسم الجَلآن والجَلاعَةُ والدَّلاعَةُ والدَّلْعَنَةُ والدَّلَعُ؛ وكلّها مأخوذَة من جَلَعَتِ المرأةُ وجالَعَتْ: إذا تركَتِ الحياءَ وتكلّمت بالقبيح فهي جَلِعَةٌ وجالعٌ وجليع، والاسم الْجلاعة، وجَلَعتِ المرأة تَبَرَّجَت».

وكذلك يقول أحمد أبو سعد في ص٢٦٤ من (قاموس المصطلحات والتّعابير الشّعبيّة) يكتب عن: «مجلوء: صفة المتربّي على قلّة الحياء، وَلَعَلَّهُ من: جَلَعَ؛ ففي اللغة: جَلَعَت المرأةُ إذا تركت الحياءَ.

ويخالف هذانِ اللبنانيّان لبنانيًّا أسبقَ هو الأمير شكيب أرسلان في ص٨٧ من كتابه (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل)؛ بعنوان: جلق: وتقول العامّة: (رجل جلق) أي: فاتِحٌ شِدْقَهُ و(عينه جلقا) أي مُسْتَرْخيَةٌ مُنتفخَة دومًا لا يقدر أن يُغمِضَها، وهذا ذو أصل في اللغة: انجلق فمه وتجلّق عند الضحك: انفتح حتّى بدا أقصى أضراسه.

وتقول العامّة (انجلق) بمعنى انفتح واسترخى، وهو من اللغة، ففيها: انجلق فمه عند الضَّحك وتجلّق: انفتح جدًّا. وسَمِعت في لبنان قولهم (لا تَدَعُوا الأولاد يتجولقوا في الأكل) وبحثت عنها فلم أجدْها في اللغة ولٰكنْ وجدت الشَّوْلَقِيّ بمعنى: المُحِبّ للحَلاوَة، فعرفت أنّها من هناك، وأنّ العامّة اشتقّت من هذا الاسم فعل (تَشَوْلَقَ) ومن هناك لفظها بعضهم بالْجيم لأنّ هذين الحرفَيْن يجيء أحدهما كثيرًا محلّ الآخر ولاسيّما في كلام العامّة».

قلت: نعم في (القاموس المحيط): «الشَّوْلَقِيُّ: مَن يتتبّع الحَلاوة وكَمِنْديل: مَن يفتح فاهُ إذا ضَحِكَ». وقلت: (جَلقَ) التي لدى أرسلان بالقاف، هي ذاتها في دمشق جَلأَ بالهمزة، والأولاد (يَتَجَوْلَؤُونَ في الأكل والكلام)، و(البنت جَلأة وجَلِعَة وجَلِقَة وَمَجْلُوعَة وَمَجْلوءَة وَمُجَلْوَقَة ومَدْلُوعَة وَمُدَلَّعَة...) وكلُّ هذه العبارات العامّيّة لدينا بالمعنى ذاته أو بمَعَانٍ مُتقارِبَة تكاد أنْ تتطابَق على ألسنةِ النّاس.. في

مُجتَمَع دمشق الذي تَتَلاقَى فيه العامّيّات من شتّى الدّيار الشّاميّة والدّيار العربيّة.. في الثّلث الأخير منَ القرن العشرين.

وقبْل الانتقال إلى مَعاجِم التّراث القديم أروي لمحمَّد العدناني[١] في (معجم الأغلاط اللغويّة المعاصرة) «إذا تركَتْ فَتاةٌ الحياءَ، وتكلّمَت بالْقبيح، تقول العامّة: جلِعت فلانة، فيظنّون أنّ هذه الكلمة عامّيّة، مع أنّها فصيحة، كما يقول الأصمعيّ، و(التّهذيب، والصّحاح، والعُباب، واللسان، والقاموس، والتّاج، ومحيط المحيط، وأقرب الموارد، والمَتْن، والوسيط،..) وجاء في معجم (مقاييس اللغة..)... أمّا فِعْلُهُ فهو: جَلَعَ يَجْلَعُ جُلُوعًا وَجَلِعَ يَجْلَعُ جَلْعًا وجَلاعة».

لم يذكر الزمخشريّ في (أساس البلاغة) وذلك لأنّ (الأساس..): أهمل الموادّ: ج ل أ، و: ج ل ع، و: ج ل ق؛ أما: د ل ع فكتب فيها ما سأذكر في الدّلع (بالدال).

وفي (اللسان..) و(القاموس) في: ج ل أ: «جَلأَ بالرَّجُلِ يَجْلأُ جَلْأً وجَلاءةً: صَرَعَهُ. وجَلأَ بثوبه جَلاءً: رَمَى به». ا.هـ. الْجلاء من جَلأَ غيره مِن جَلَيْ.. وكلاهما لم تَهْدِني إلى العبارة المَطلوب تفصيحُها، فلْأعد إلى: ج ل ق، وإلى ج ل ع:

كتب ابن منظور في ج ل ق صفحة عن جِلّق والجُوالق [وهي في عامّيّتنا الشُّوال] ثمّ نقل في (اللسان..) عن ابن الأعرابيّ «جَلَقَ رَأْسَهُ وجَلَطَهُ إذا حَلَقَهُ. التّهذيب: رجل جُلاقةٌ وجُراقة، وما عليه جُلاقَةُ لَحْم». قلت: هذه عبارات قريبة من عامّيّتنا ولٰكنّها بعيدة عن الموضوع المَبْحوث هاهنا..

وإذا كان (اللسان..) على ضَخامَته المَوْسُوعِيَّة قد خَيَّبَ أَمَلَنا في: ج ل ق، (فالقاموس المحيط) للفيروزابادي على صغره وشدّة اختصاره يَسُدّ خَلَل ابن منظور في هذه المادَّة، وَيُعْطِينا المَصْدَرَ الذي اسْتَمَدّ منه أرسلان: «..وَجَلَقَتِ المَرْأَةُ عن مَتاعِها وثَناياها: كَشَفَت. والجَلَقَةُ مُحَرَّكةً: الجَلَعَةُ. وَرَجُلٌ مِجْلِيقٌ [كَمِسْكين] يَجْلِقُ فَمَهُ عند الضَّحك؛ أي: يَكْشفُهُ. والتَّجْلُّقُ ضَحِكٌ يَفْتَحُ الفَمَ حتّى يَبْدُوَ أَقْصَىٰ الأَضْراس..». قُلْتُ: فها هي ذي المعاني العامّيّة قد ظَهَرَت فصيحةً كلّها؛ وها هي كتب المعجم العربيّ تبدو لنا مهما اتّسع كلّ منها وتضخّم فلن يغنينا عن نُشدان المَطالِب في أحدها دون غيره، فلُغَتنا بحرٌ مُحيط وأصل معنى (القاموس) في الفارسيّة: البحر؛ كما نعرف..

وفي جَلِع كتب ابن منظور: «جَلِعَتِ المرأة [بكسر اللام وفتحها] جَلَعًا فهي جَلِعَةٌ وجالعة وجالِع، وجالَعَتْ وهي مُجالِعٌ: كلّه إذا تركتِ الْحياءَ وتكلّمَتْ بالقَبيح، وقيل: إذا كانت مُتَبَرِّجَةً... والاسم الْجَلاعة. وكذلك الرَّجُلُ جَلِعٌ وجالع. وجلعت عن رأسِها قِناعَها وخِمارَها وهي جالِعٌ: خَلَعَتْهُ، وانْجَلَعَ الشّيءُ: انكشَف... وقال الأصمعيّ: جَلَعَ ثوبَه وخَلَعَهُ بمعنى، وقال أبو عَمْرٍو: الجالِع السّافر، وقد جَلَعَتْ تَجْلَعُ جُلوعًا... وأصله الكشف وقيل: الجَلَعَةُ والجَلَقَةُ: مَضْحَكُ الأَسْنان».

قلت: ها قد أَوْرَدها ابن منظور بالقاف (الجَلَقَة) ولٰكنْ في باب العَيْن مع أنّه لم يأتِ بالجلقة في موضعها من باب القاف كالفيروزابادي، وأعود إلى ابن منظور أستكمل المعنى الحِسّيّ المادّيّ للْكشف الذي لعلّه الأصل كما قال:

(١) ص ١٢٤ من (معجم الألفاظ اللغوية المعاصرة) تأليف: محمد العدناني طبع مكتبة لبنان بيروت سنة ١٩٨٤م.

«وَجَلِعَتِ المرأة كَشَرَتْ عن أَنْيابِها. والجَلَعُ انقلابُ غِطاء الشَّفَة إلى الشّارِب، وشَفَةٌ جَلْعاءُ، وجَلِعَتِ اللِّثَةُ جَلَعًا، وهي جَلْعاء إذا انْقَلَبَتِ الشَّفَةُ عنها حتّى تَبْدُوَ، وقيل: الجَلَعُ أن لا تنضمّ الشّفتان عند المَنْطِقِ بالباء والميم، تَقْلِصُ العُلْيا فيكون الكلامُ بالسُّفْلى وأطرافِ الثّنايا العُليا.

ورجل أَجْلَعُ: لا تنضمّ شَفَتاه على أسْنَانه، وامرأة جَلْعَاءُ، وتقول منه: جَلِعَ فمه جَلَعًا فهو جَلِعٌ، والأنثى جَلِعَةٌ، وكانَ الأخفش الأصغر النّحْويّ أَجْلَعَ. وَجَلَعَ الغُلامُ غُرْلَتَه وفصعها إذا حَسَرَها عن الحشفة جَلْعًا وفَصْعًا. وجَلَعُ القُلْفَةِ: صَيْرورَتُها خَلْفَ الحَوْقِ، وغُلام أجلع...».
ا.هـ. ابن منظور.

قلت: هذه المعاني كلّها تُعَبّر عنها عامَّتنا بالجَلا والجَلَع والْجَلَقِ.. وقد رأينا الهمزة أَقَلّ إقناعًا من القاف والعين، لأنّها أقلّ استعمالًا في العامِّيّات الدّارجات... وليسَتْ من الفصيح بالهمزةِ ولٰكنَّ الفصيح الأغلب الجلع بالعين ثمّ بالقاف الجلق... ثمّ الدَّلَع الذي كتب فيه شفيق جبري في (بقايا الفصاح)[1]: «..فكما أنّ اللِّسان يندلع فيخرج، فكذلك الولد الذي تظهر عليه آثار طَمَعِهِ في محبّة أهله له فيندلع إمّا في حركاته وإمّا في كلامه؛ فَيَشْتَطّ.. ويخرج عن حدّه..».

وسأعود إلى الدَّلَع أيضًا في موضعه.

جَلَط وَجَلَّطَ الجَلّيط

يقول أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) ص٢٤٩:

«جَلّيط: كذّاب، وهي صحيحةٌ فصيحةٌ. ففي اللغةِ جَلَطَ يَجْلِطُ إذا حَلَفَ وَكَذَبَ. ومنها التَّجْليطُ بمعنى الكَذِب. يقولون: (بلا تجليط) أي بلا كَذِب». ا.هـ. أبو سعد.

قلْت: نعم هذه وَرَدَت في (لسان العرب) والقاموس المحيط مع الإلحاح على أنّها (من كلام العرب الصحيح).

قلت: وفي ج ل ط مَعانٍ أخرى في (القاموس المحيط) ممّا يَرِد في عامّيّتنا صحيحًا فصيحًا أيضًا، ومنه: «جَلَطَ رَأْسَه: حَلَقَه [وهذه وردت في اللسان أيضًا]، والْجِلْدَ عن الظَّبْيَةِ كَشَطَهُ. والشّيءَ: جَرَدَهُ والجُلْطَةُ الجُزْعَةُ الخاثرةُ من الرّائبِ.

واجْتَلَطَهُ: اخْتَلَسَهُ. وما في الإناء: شَرِبَهُ أَجْمَعَ.

والجَلوطُ: القليلةُ الحَياءِ.

وجالَطَهُ: كابَدَهُ.

وناب جَلْطاء: رَخْوَةٌ ضعيفة».

وقد رأيْت ما كتبَ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) فألَمّ بالتَّجْلِيط: الكذب وذكر: الجِلاط: المكاذَبة [وهذه ذكرها اللسان أيضًا]. ثمَّ وضع رضا عنوانًا آخر: «مُجَلّط، مشلّط: ويقولون للقليلِ الحياء: هو جَلِطٌ ومجلِّط، وهو مُشَلِّط أيضًا (على البَدَل). في اللغة: الجَلوط: المرأة القليلة الحَياء، ونصّ العُباب: البعيدة من الحياء». ووضع رضا عنوانًا ثالثًا: «انْجَلَطَ: وقالوا: انْجَلَط الجُرْحُ والدُّمَّلُ ونحوهما إذا تَهَرَّأَ عند الجِلْدِ وارْتَخى اللحم... وانجلط للمطاوعة من جَلَطَ الجِلْدَ».

وأمّا د. عبد المنعم في مصر فيقول في (معجم الألفاظ العامِّيَّة...)

«نقول في دارجتنا: جَلَطَ فلانٌ الدُّمَّلَ ونحوه:

(١) شفيق جبري في (مجلة اللغة العربية بدمشق) الصفحة ١٩٧ من الجزء الرابع في المجلد التاسع والأربعين: شعبان سنة ١٣٩٤هـ وأيلول (سبتمبر) سنة ١٩٧٤م.

كَشَطَ قِشْرَتَهُ وأزالَها. وحَلَقَ جَلْطًا: كَشَطَ شَعْرَ رأسه بالموسى فلم يُبْقِ منه شيئًا. وجلَّطَ الطين ونحوَه: جَرَده».

قلت: ونحن في دمشق نقول: (حَلَقَ جَلطًا) نلفظ جيمها غافًا G قاهريَّةً وكأنّنا أخذناها وَحْدَها منهم سَمَاعًا منذ ما قبل انتشارِ الأفلام والمُسَلْسَلاتِ المَصريّة، ولعلّها وصلَت إلينا منذ تاريخ وصول الجنود الذين يحلقون (چَلْطًا) وقد اصطلح د.عبدالمنعم نقطتين للجيم القاهريّة التي تلفظ مثل g أو G الإنكليزيّة أو مثل الكاف الفارسيّة كما في ص٢١ من مقدّمتِهِ حيثُ عَقَدَ فصْلًا بعنوان: (أَصْوات جديدة لِحُروفِنا العَرَبيّة).

جَلْفَطَ

جَلْفَطَ وقَلْفَطَ وَقَفْلَطَ

القَلْفَطَةُ في عامّيّة الشّام التّنظيف، فيقال: قَلْفَطَ البَيْتَ: جَعَلَهُ نظيفًا، ويقولُون على المَجاز: قَلْفَطَ الصُّحُون قَلْفَطةً؛ أيْ: أَكَلَ كلَّ ما فيها من الطَّعامِ فكأنّه نظّفَها وأَجْلَى عن وَجْهِها..

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: قَلْفَط والقِلْفاط: تحريف جَلْفَط والجِلْفاط.

وفي (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) يقول د.عبدالعال: «نقول في دارِجَتنا: قَلْفَطَ فلانٌ العَمَلَ: أَتَمَّهُ في غيرِ إتقانٍ. وأَخَذَ السِّلْعَة قَلْفَطَةً: أي اخْتَطَفَها خَطْفًا. والأصْل فيها قَلْفَطَ وَحَدَثَ قَلْبٌ مَكانيٌّ. وفي (القاموس..): قَفْلَطَهُ من يَدِه: اخْتَطَفَه. والقِلْفاط كخِزْعال لَقَبُ محمّد بن يحيىٰ الأديب».

قلتُ: هذا صحيح وذِكْرُ لَقَب القِلْفاطِ قد يَدُلُّ على أنّ القَلْبَ فيه قديمٌ أو احتمالٌ آخرُ. والمادّتان ذُكِرَتا في (القاموس..) دُوْنَ (اللسان..) وفي لبنانَ لدىٰ أحمد رضا العامِليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«قالُوا قَلْفَطَ السَّفِيْنَةَ إذا سَدّ خُرُوزَ أَلْوَاحِها باللِّيف وقَيَّرَها بالقارِ - الزِّفْت - والفاعِلُ القِلْفاطُ عِندَ العامّة.

وفي كُتُبِ اللُّغَةِ الجِلْفاط. وفي (القاموس..) أنّ الجِلْفاطَ هو سادُّ دُرُوزِ السُّفُن الجُدُدِ بالخُيوط والخِرَق بالتَّقْيِيْرِ. وقال ابنُ دُرَيْد: إنّها لغةٌ شاميّة. ويقولُ صاحبُ (التّاج..) إنّ العامّةَ يُسَمُّونَه القِلْفاط بالقاف بَدَل الجيم». ا.هـ. رضا.

قلتُ: وأَزِيْدُ في (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..): «ج ل ف ط:.. وفِعْلُهُ الجَلْفَطَة. جَلْفَطَها جَلْفَطَةً: سَوّاها وَقَيَّرَها وقِيْل: أَدْخَلَ بَيْن مَساميرِ الألواحِ وخُرُوزِها مشاقة الكتّان وَمَسَحها بالزِّفْت والقار».

وفي (التّاج..) «وقد وَرَدَ ذلك في الحديث: (كَتَبَ مُعاوِيَةُ إلى عُمَرَ - رضي الله عنهما - يَسْأَلُه أنْ يَأْذَنَ له في غَزْوِ البَحْرِ؛ فَكَتَبَ إليه إنّي لا أَحْمِلُ المُسْلِمين على أعْوادٍ نَجّرَها النّجّار وجَلْفَطَها الجِلْفاط) وأصحابُ الحديث يقولُون: جَلْفَظَها الجِلْفاظ بالظّاء المُعْجَمَة وهو بالطّاء المُهْمَلَة».

ما جَلْمَطَ؟ وما الْجَلامِيْط؟!

في القاموس المحيط: «جَلْمَطَ رَأْسَه: حَلَقَهُ» وكذلك في (لسان العرب) و(تاج العروس) عن صِحاحِ الجوهريِّ الذي قالَ: والميمُ زائدةٌ نَقْلًا عن الفرّاء.

ولٰكنَّ عَوَامّ دِمَشْقَ الشّامِ يقولونَ عن الطَّبيخ المُدَهَّنِ بالدُّهْنِ إذا بَرَدَ وبدأ يَتَجَمَّدُ: (جَلْمَطَ الطّعامُ فهو مُجَلْمِط).

وَلَعَلَّ مِن الْممكِنِ أنْ يكونَ شَكْلُ المَلاسَةِ في

الدُّهنِ البارِدِ مِثْلَ شَكْلِ جِلْدَةِ الرَّأسِ المَحْلوقِ، أو كَصَلْعَةِ الأَصْلَعِ.. في اللَّمَعَان القليلِ.

و(الجَلامِيطُ) في عامِّيَّةِ الدِّمَشْقِيِّينَ فتاتٌ من جِلْدٍ دُهْنِيٍّ تكون مُخْتَلِطَةً مع اللَّحْمِ المُقَطَّعِ أو المَطْحونِ - وقد أقولُ كالدِّمَشقيّينَ: (المَفْرُوم) بعدَ أنْ وَضَعَ (المُعْجَمُ الوسيط) إشارةَ المَجْمَعِ على (الفَرَّامَة) - ويكونُ هذا النَّوْعُ من اللحمِ سَيِّئًا رخيصًا وَيَبِيعُهُ قَصّابٌ سَيِّئُ السُّمْعَةِ، كما لوحِظ في إنْشادِ مجموعةِ الفَنّانين مع دُرَيْد لَحّام في الحلقةِ الأخيرةِ من مُسَلْسَلِ (صَحّ النَّوْم) واصِفين سِلْعَةَ مِثْلَ هٰذا القَصّابِ:

شَحْمٌ ودُهْنٌ وجَلامِيطُ
كُلُّه ينزِلُ في المِيزان

ولم أجدها في كتبِ (فصاح العامّيّةِ) اللبنانيّةِ والمِصْريّةِ.

الجُلَّنار

الجُلَّنار عندَنا هو زهرُ الرّمّانِ قبلَ أن يعقدَ ثمرًا...

وذكرَهُ ابنُ منظورٍ ولٰكنّه اكتفى منه في موسوعته الموسَّعة (لسان العرب) مادّة التّراكيب: ج ل ن ر: «الجُلّنار: معروف» ا.هـ. ابن منظور!

وقال الفيروزابادِيّ في (القاموس..) وشارحه الزبيديّ في (تاج العروس..)... «الجُلَّنار: بضمِّ الجيم وفتح اللام المُشَدَّدَة أهمله الجوهريّ، وقال الصّغانيّ: هو فارسيٌّ معناه (زهرُ الرُّمّان) وهو مُعَرَّبُ (گلنار) بضمّ الكاف الممزوجَة بالقاف والسكون، قال شيخنا: وهي القاف التي يُقال لها المَعقُودة لغةٌ مشهورةٌ لأهلِ اليَمنِ، وقد سألَ الحافظ بن حجر شيخَه المُصَنّف رحمهما الله تعالى عن هذه القاف ووقوعها في كلامهم فقال إنّها لغةٌ صحيحةٌ، ثمّ قالَ شيخنا: وقد ذكرَها العلّامةُ ابن خلدون في تاريخِه وأطالَ فيها الكلام وقال إنّها لغةٌ مُضَرِيَّةٌ، بل بالغَ بعضُ أهلِ البيتِ فقال: لا تصحُّ القراءةُ في الصّلاةِ إلّا بها ورأيتُ فيها رسالةً جيِّدةً بخطّ الوالد قدّس الله روحه، ولا أدري هل كانت له أو لغيره، ثمّ نقل شيخُنا عن ابنِ الأنباريّ بعدَما أنشدَ لبعضِ المُحدَثين:

غَدَتْ في لباسٍ لها أخضر
كما يلبسُ الورق الجلنار

ولا أعلمُ هذا الاسمَ جاءَ في شعرٍ فصيحٍ، وإنّما هوَ لفظٌ مُحدَثٌ وكأنّه في الأصلِ جاء على معنى التّشبيه، شبّهوا حُمرَتَه بحمرةِ الجَمْر؛ وهو جلّ النار، ثمّ تصرّفوا في نقلِه وتغييره. قال شيخُنا: هذا الكلامُ مبناه على الحدسِ والتّخمينِ والحكمِ بغير يقين إذ لا قائلَ ببقاءِ الجلِّ على معناه العربيّ فيه... بل إن الجُلّنار كلّه لفظ فارسيّ...».

فلان جماش

أإلى نقيضِ المعنى الأصليِّ للجَمْشِ تَذْهَبُ العامّة في قولها: (فلان جماش)؟ فَيَقصدونَ أنّه غليظُ السّلوكِ ثقيلُ الصّفاتِ قليلُ اللّباقةِ.. كما ذهبُوا إلى نقيضِ المعنى في السَّماجةِ أيضًا؟ وإلى نقيضِ الفعلِ: اسْتُهتِرَ، وأصلُ معناه: أولع؟

أم انتقلُوا من الجَمْشِ: حِلاقَة الشعر عن الرَّكَبِ؟ ثمّ من «الجميش المكان الذي لا نبْتَ فيه كأنّه حَليق»؟ ثمّ إلى: «: الْجِماش ما يُجْعَلُ تحتَ الطَّيِّ والجالِ في القَلِيْبِ[1] إذا طُوِيَتْ

(١) القليب: البئر. والجال: جدار البئر أو ناحيته. والطّيّ: ما يقام بجانب البئر لمنع انهياره، من بناء.

بالحِجارة وقد جَمَشَ يَجْمِشُ ويجمُشُ..» كما روى ابن منظور عن أبي عَمْرو في (لسان العرب)؟ وأنتقلُ إلى الزّبيديّ في (تاج العروس من جواهر القاموس):

«والجموش من السّنين: المحرِقةُ للنّباتِ.. والجَمْش: الصّوتُ الخفيُّ، عن أبي عبيدة. والجمْشُ ضَرْبٌ من الحَلْب بأطرافِ الأصابع، عن الليث. والجَمْشُ: المُغازَلةُ والمُلاعَبَةُ؛ وهو ضربٌ منها بقرصٍ ولعبٍ كالتجميش، عن ثعلب؛ وقد جَمَّشَه وهو يُجَمِّشُها أي يقرصُها ويلاعبُها، وقال أبو العبّاس: قيل للمُغازَلةِ تجميشٌ من الجَمْشِ وهو الكلامُ الخَفِيُّ وهو أن يقول لِهَواهُ: هَيْ هَيْ وقال ابنُ الأعرابيّ رجل جَمَّاش، كَشَدّاد، أي مُتَعَرِّض للنّساء كأنّهُ يطلبُ الرَّكَبَ الجَميش.... والجَمْشاءُ: العظيمةُ الرَّكَبِ... وقال أبو عبيدة: لا يُسْمِعُ فُلانٌ أُذُنًا جَمشا، بالفتح، أي: أدنى صوت، أي لا يقبلُ نصحًا ولا رُشْدًا، أو معناه: متصامٌّ عنكَ وعمّا لا يلزمُهُ.. و.. لا يَسْمَعُ أُذُنٌ جَمْشًا..

وممّا يُسْتَدْرَكُ عليه: رجلٌ جِماشٌ غزيلٌ وامرأةٌ جِماشةٌ كذلك»...

وفي (القول الفصل في ردّ العاميّ إلى الأصل) لأرسلان: «..وفي حوران يستعملون (الجَمَش) بمعنى قَطْع الحجارة، ويقولون: تَضارَبْنا بالجَمَشِ».

الجَوْب: الخَرْق أو النَّقْب أو القَطْع..

في الثّوب جَوْب؛ وفي أساس البلاغة للزّمخشريّ: «جابَ الثوبَ واجتابه: قطعه. وجابَ القميصَ: قوَّر جَيْبَهُ. وَجَوَّبَ القُمُصَ..» ويقول ابن منظور في (لسان العرب): «الجَوْبُ قَطْعُكَ الشّيءَ كما يُجاب الجَيْب». لكنّ (المعجم الوسيط) معجم مجمع مصر سنة ١٩٦٠ في ترجمة (جوب) لم يذكر الخَرْقُ والنّقْب ربّما لأنّه ذكره في ترجمة الفِعْل: جابَ الشيءَ يَجُوبه جَوْبًا:.. وقطعه وجابه خَرَقَه. وجاب الصخرَة: نَقَبَها؛ وفي القرآن الكريم: ﴿وثَمودَ الذين جابُوا الصَّخر بالواد﴾[1]. فلا يُعيد ذِكْر المَصْدر حين تَرْجَم للاسم. ولٰكنّه اسمٌ مُستخدَم على ألسنة العامّة عندنا بمعنى الخَرق والنَّقْب والقَطْع.. وقد ذكره أحمد رضا العامليّ في الحواشي التي خصّها بلغة العامّة في مُعجَمِه (متن اللغة) فقال في حاشية (الجَوْب) ج١ ص٥٩٥: «والعامّة تسمّي البَزّ المتخرّق في تضاعيفه، والذي هو غير بريء من العيوب جوبًا ومُجَوّبًا، وهو من جَابَه أي خَرَقَه أو قَطَعَه في وَسَطه». ثمّ حينما ألّف أحمد رضا كتابه (ردّ العاميّ إلى الفصيح) أضاف فيه: «أمّا الْجُوب فيمكن أنْ يكون من التّسمية بالمصدر، والمُجَوَّب اسم المفعول من جَوَّبَهُ إذا خرّقه، والمُجَوّب هو الثّوب المُخَرَّق».

وحسن كامل الصَّيرَفيّ شارح ديوان البحتري يقول في تَحْشِية بيت الشاعر:

وكأنّ الإيوان من عجب الصّنـ
ـعَةِ جَوْب في جَنب أرعنَ جِلْسِ

«الجَوْب: من معانيه التّرس، وقد فسّر بعض الأدباء هذا البيت بهذا المعنى، وليس كذلك، لأنَّ (الْجَوْب) مصدر جاب الشّيء خَرَقَه والصخرةَ نَقَبها، والشاعر هنا يشبّه القصر بأنّه لِضَخَامَته كأنّه خَرْق أو نحت في الجبل الأرعن

(١) سورة الفجر/ ٩.

العالي» أي: الجبل له رعن؛ وهو أنف يَتَقَدَّم الجبل، الجِلْس أي العالي.

الجوّاني

نقيض البرّاني فانظر في عنوان برّا والبرّاني والبرِّيّة.

ح

حَبَّ و(مَنْ حَبّ طبّ)

المَثَلُ العامّيُّ: (مَنْ حَبَّ طَبّ) ذكرَه المُفضّلُ بنُ سَلَمَةَ بن عاصمٍ في القرنِ الثّالثِ الهجريّ، العاشِرِ الميلاديّ في كتابه (الفاخر)[1] في معاني ما يجري على ألسنةِ العامّةِ في أمثالِهم ومُحَاوراتِهم من كلامِ العربِ، وهم لا يدرونَ معنى ما يتكلّمونَ به من ذلك... يقول في الصفحة ١١٤ وبالرقم١٩٣: «قولُهم: من حَبَّ طَبَّ: يقالُ: أَحَبَّ وَحَبَّ بمعنًى واحدٍ (هذا رأيُ الكوفيّينَ)، أمّا البَصريّونَ فلا يُجيزونَ إلّا أحبَّ - على أنّ المَثَلَ يؤيّد الكوفيّينَ [قلت: وعامّيّتُنا تتّفقُ والرأي الكوفيّ أيضًا]. وطَبَّ: فَطِنَ واحتال. والطِّبُّ: الفِطْنَةُ والحِذْق، ومنه سُمِّي الطَّبيبُ لِعِلْمِهِ وحِذْقِه... فمعنى الكلامِ: من أَحَبَّ أَحْسَنَ أنْ يَحتالَ، فكان فَطِنًا لِمَن يحبُّ». وذكر هذا المثلَ الميداني في (مجمع الأمثال) ج٢ ص٣٠٢ الرقم ٤٠٢٨ ط٣. تحقيق محيي الدين عبدالحميد.

وفي (القاموس المحيط) «وَحَبَبْتُهُ أَحِبُّه، بالكسر، شاذٌّ حُبًّا بالضمِّ وبالكسر». ويعقبُ على الفيروزاباديّ شارحُهُ الزّبيديّ في (التّاج...): «قال الجوهريّ: [أَحِبُّه] شاذٌّ لأنّهُ لا يأتي في المضاعَفِ بفعِلِ الكسر إلّا ويشركه يفعُل بالضمِّ إذا كان متعدّيًا مَا خلا هذا الحرفَ. وكَرِهَ بَعْضُهُم: حَبَبْته؛ وأنكرَ أن يكونَ هذا البيتُ لفصيحٍ؛ وَهُوَ قَولُ غَيلانَ بنِ شجاعٍ النّهشليّ:

أُحِبُّ أبا مروانَ من أجل تَمْرِهِ
وَأَعْلَمُ أنّ الْجارَ بِالْجارِ أرفقُ
فَأُقْسِمُ لولا تمرُه ما حَبَبْتُهُ
ولا كانَ أَدْنى من عبيد ومشرقِ

---

(١) عدد من كتب التراث يحمل اسم (الفاخر)، والمقصود هنا (الفاخر) المطبوع في القاهرة سنة ١٣٨٠هـ و١٩٦٠م في سلسلة: (تراثنا)؛ وهو تأليف أبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم المتوفّى سنة ٢٩١هـ بتحقيق عبدالحليم الطّحاوي رئيس تحرير مجلّة مجمع اللغة العربية بمصر، ومراجعة محمد علي النجّار عضو المجمع. إصدار وزارة الثقافة بمصر. نسخة مُحقَّقَة من مخطوطَتَي: مكتبة نور عثمانية، ومخطوطة مَكتبة الفاتح من مخطوطات الجامعة العربية، ومخطوطة (كمبردج) التي اعتمدَتْ عليها طبعة سابقة من هذا الكتاب سنة ١٩١٥ حقّقَها المُسْتَشْرِق تشارلز آنبروز ستوري معلم اللغة العربية آنذاك في (عليكره) بالهند ونسخها مفقودة أشارت إليها الصفحة ج من هذه الطبعة.

وجاءَ في الصفحة (ز) من المقدّمة أنّ: «هناك كتابَيْن في اللغة وُسِما بالفاخر: أحدهما للفرّاء في لحن العامّة كما وضعه ابن النّديم في فهرسته، وياقوت في معجم الأدباء، وكشف الظّنون في إحصائياته ط. الآستانة ص١٢١٥ والآخر للمنذري ذكره الأزهري في مقدّمة تهذيب اللغة والمنذري ممّن رَوَوْا عن ابن سَلَمَة. ويوجد كتابان آخران عنوانهما (الفاخر) أحدهما في الطبّ للرازي: (كشف الظنون ١٤٥٥) وثانيهما: (الفاخر في شرح جمل عبدالقاهر) تأليف عمر بن عبدالمجيد بن الحسن الأزدي المهدوي الرندي: (كشف الظنون: ١٥٢): حاشية الصفحة ج من مقدمة محقق كتاب (الفاخر) لابن سَلَمَة بن عاصم.

وكان أبو العبّاس المُبَرّد يروي هذا الشعر:

وكان عياض منه أدنى ومشرقُ

وعلى هذه الرّوايةِ لا يكونُ فيه إقواءٌ.

وحكى سيبويه: حَبَبْتُه وأحببْتُه بمعنى. واسْتَحْبَبْتُهُ كَاسْتَحْسَنْتُهُ والاسْتِحْبابُ كالاسْتِحْسَان..».

قلْتُ: الزّبيديّ في شرحه (القاموس..) يَنْقُلُ من (اللسان..) لابن منظور رأي الجوهريّ وقول غيلان والاعتراضات وروايةَ المُبرّد وما حكاه سيبويه، ويَتْرك الزّبيديّ رواية ابن منظور عمّا حكاهُ «..الأزهريّ عن الفرّاء قال: وَحَبَبْتُهُ: لغة»، «وحَبَّهُ يَحِبُّه، بالكسر، فهو مَحْبوب. قال الجوهريّ: وهذا شاذّ...».

يحبشُ ويهبشُ

مِنَ الحُباشاتِ

(هو يَحْبِشُ وَيَهْبِش): أي يَجْمعُ من هاهنا وهاهنا: عندَ عامَّتِنا.

و(الحُباشاتُ) في بعضِ أطعمةِ دمشقَ القديمةِ: تَجميعُ أَنْواع المُكَسَّراتِ من جَوْزٍ ولَوْز وفُسْتُقٍ وبُنْدُقٍ وجوزِ هندٍ تُوضعُ على سَطْحِ فنجانِ (الكَراوِيَةِ) التي تُقَدَّمُ فَرَحًا بالمولودِ وتَغْذيةً لأُمّه المُرْضِعِ؛ أو الحُباشاتُ مِنَ الحُبوبِ المَطْبوخةِ مع السُّكَّرِ تتجمَّع فيها الحبوبُ والبُقولُ الْجافَّةُ المَسْلُوقَةُ أو ما يُجَمَّعُ وَيُحَبَّشُ من أشياءَ تُوضَعُ معًا.. أو ما هو قريبٌ من هذا المعنى.

وفي عامِّيّةِ لُبْنانَ يقولُ أحمدُ رضا العامليُّ في (رَدِّ العامّيِّ إلى الفصيح):

«وقالوا: حَبَّشَ فلانٌ على المئةِ أو على الألفِ إذا جَمَعَ ما يُقارِبُها.

وفي اللغةِ حَبَشَ يحبِشُ حَبْشًا الشّيءَ جَمَعَهُ، وحَبَّشَهُ أيضًا. شُدِّد للكَثْرة».

وفي عامّيّةِ مِصْرَ وَرَدَتْ لدى د. عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعجَمِ الألفاظِ العامّيّةِ ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العربيّةِ): «نقولُ في دارجَتِنا: حَبَّشَ الشّيءَ: جَمَعَهُ، وربَطَهُ ربْطًا جيِّدًا، ونقولُ: التَّحبيشُ، ونقصدُ به الرَّبط الجيّد لما يُرادُ نقلُه من أَثاثٍ، أو سِلَعٍ وفي القاموسِ: حَبَّشْتُ تحبيشًا: جَمَعْتُ لَهُ، وتحبّشُوا: تَجَمَّعُوا، والحُباشَةُ: الْجَماعَة».

قُلْت: كُلُّ هذا أَوْرَدَهُ ابنُ منظور في (لسان العرب) ومن ذلك قَوْلُه:

«والتَّحْبِيشُ: التَّجَمُّعُ. وحَبَش الشّيءَ يَحْبِشُه حَبْشًا وَحَبَّشَه وَتَحَبَّشَه واحْتَبَشَه: جَمَعَهُ؛ قال رُؤْبَةُ:

أُولاكَ حَبَّشْتُ لهم تَحْبِيشي

والاسْمُ الحُباشةُ. وحَبَشْتُ له حُباشةً إذا جَمَعْتُ له شيئًا، والتَّحْبِيْشُ مثلُه... واحْتَبَشَ لِأَهْلِهِ حُباشَةً: جَمَعَها لهم. وَحَبَشْتُ لِعِيالي وَهَبَشْتُ أي كَسَبْتُ وجَمَعْت، وهي الحُباشةُ والهُباشةُ؛ وأَنْشَدَ لِرُؤْبَةَ:

لولا حُباشاتٌ من التَّحْبِيشِ
لِصِبْيَةٍ كَأَفْرُخِ العُشُوْشِ

وفي المَجْلِسِ حُباشاتٌ وهُباشاتٌ مِنَ النّاسِ؛ أَي: ناسٌ لَيسوا مِن قَبيلَةٍ واحدةٍ. وهم الحُباشةُ: الْجَماعةُ وكذلك الأُحْبوشُ والأحابيشُ، وتحبَّشُوا عليه: اجْتمعُوا، وكذلك تَهَبَّشُوا. وحَبَّش قومَه تحبيشًا أي: جَمَعَهم.

والأَحْبَشُ: الذي يأكلُ طعامَ الرَّجُلِ ويجلسُ على مائدتِهِ ويزينهُ».

وقبلها أَوردَ ابنُ منظورٍ في المادّةِ ذاتِها:

«والأُحْبوشُ: جَماعةُ الحبش، قال العجّاج:

كَـأَنَّ صِيْـرانَ الـمَهَـا الأَخْـلاطِ

بـالـرَّمْـلِ أُحْـبـوشٌ مـن الأَنْـبـاطِ

وقيلَ: هم الجماعةُ أيًّا كانوا لأنّهم إذا تجمّعوا اسْوَدُّوا.. والأحابيشُ أحياءٌ من القارة... فلمّا سُمِّيَتْ تلك الأحياءُ بالأحابيشِ من قِبَلِ تَجَمُّعِها صارَ التَّحْبِيشُ في الكلامِ كالتّجميعِ. وحُبْشِيّ: جَبَلٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ يُقالُ منه سُمِّيَ أَحابيشُ قُرَيشٍ..». ا.هـ. ابن منظور.

وتَجِدُ بَعْضَ هذه الموادِّ مُكَرَّرَةً في المَعاجِمِ الأُخرى كمعجم (مَقاييس اللُّغَةِ) و(القاموس المُحيط) وغيرِهما..

والباءُ؛ وهي عينُ المضارعِ يَحْبِشُ مَضْمومةٌ ومَكْسورةٌ في بعضِ هذهِ المعاجِم، ولم أَحْظَ بِضَبْطِ حَرَكَتِها في طَبعةِ (لسانِ العرب) التي عندي. (ط: دار صادر ودار بيروت سنة ١٩٥٦م).

الحَواجِب

تشبيهُ أطرافِ الأمورِ بالحواجبِ فوقَ العيونِ، تشبيهٌ مُسْتَخْدَمٌ في عامّيّتِنا، بالإضافةِ إلى المعروفِ من فصيحِ العَوامِّ في مادّة الحَجْبِ... كلّها أو أغلبها... وقد كتبَ في بعضِها د.عبدالمُنْعِم سيّد عبدالعال من مصر في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) ص١٨٥. ولٰكنّهُ لم يَكْتبْ عن تشبيهِ أطرافِ الأمورِ بالحواجِب.

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «..ومن المَجاز: بدا حاجِبُ الشَّمْس، وهو حَرْفُها، شُبِّهَ بحاجِبِ الإنسان. قالَ؛

تراءَت لنا كالشَّمْسِ بينَ غَمامةٍ

بدا حاجِبٌ منها وضنَّت بحاجِبِ

ولاحَتْ حواجبُ الصُّبْحِ: أوائلُه. قال عبدُالرحمن بنُ سيحانَ المُحارِبيُّ:

حتى إذا الصُّبْحُ لاحَتْ لي حَواجِبُه

أَدْبَرْتُ أَسْحَبُ نحوَ القومِ أثوابي

ونظرَتْ أعرابِيَّةٌ إلى رَجُلٍ يأكلُ الرّغيف؛ فقالت: عليكَ بحواجبِ الرّغيفِ». قلْتُ: هذه روايةُ الأَصْمَعِيّ: «عليكَ بحواجبِ الرّغيفِ» وذلك كما قال الزّبيديّ؛ وفي (تاج العروس..) للزّبيديّ: «..والحاجبان: العَظْمانِ اللذانِ فوقَ العيْنَيْنِ بِلَحْمِهما وَشَعْرِهما، صفة غالبة، أو الحاجبُ هو الشّعرُ النّابتُ على العظمِ سُمِّيَ بذلكَ لأنّهُ يَحْجُبُ عن العَيْنِ شُعاعَ الشَّمسِ... جمْعُه الحواجبُ. والحاجبُ من كلِّ شيءٍ حَرْفُهُ».

حَرِدَ

كأنّ كتّابَنا المُعاصِرِيْنَ يتباعدونَ عن اسْتِخْدامِ الفِعْلِ حَرِد بمعنى اغْتاظ وغَضِبَ واعْتَزَلَ عن الآخرينَ، وهو المعنى الذي ما يزالُ حيًّا في عامّيّتنا الشّاميّة فيحردون منه... إذ يظنّونه معنًى عامِّيًّا لأنَّ أغلبَ المعاجِم القديمةِ، وبعضَ الحديثةِ، عدا (المعجم المدرسيّ) تبدأُ بذكرِ الفِعْلِ: حَرَدَهُ يَحْرِدُهُ حَرْدًا. قَصَدَهُ. ومعاجمنا تقدّمُ في الذِّكْر أفعالَ البابِ الثّاني؛ باب: (ضَرَبَ) على أفعال الباب الرّابع؛ باب: (عَلِمَ). وإذ وَرَد الفِعْلِ حَرَدَ: (بفتح عَيْن ماضيه) بالمَعْنَيَيْن، وبِمعانٍ أُخْرَيات مُفصَّلَة في (لسان العرب) وغيره. واختصّ (حَرِد) بالمعنى العامّيّ: اغْتاظ وغَضِبَ واعْتزل ولفظه العامّيّ بكسر الرّاء كالفصيح.

أو لعلّ المعاجمَ اهْتَمَّت بالحَرْدِ: القَصْد أكثر لأنّه المعنى البعيدُ عن المألوفِ من لغةِ النّاسِ عندَنا في الشّام، وليسَ المألوف في كلّ مكان...

فالمعنى المألوف في مِصْر؛ كما يقول د. عبد المُنْعم سيّد عبدالعال في: (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «حَرَد الخيّاطُ الثّوبَ: شقَّهُ.. والأصل فيها هَرَدَ». فهذا أمرٌ بعيدٌ عن كلّ ما ذُكِر...

يبدأُ ابنُ منظورٍ في (لسان العرب) صَفَحاتِه الخمسَ الكبارَ في هذه المادّةِ بالقولِ: «الحَرْدُ الْجِدُّ والقَصْدُ..» وكذلك أغلبُ المعاجم. إلّا (المُعْجَم المدرسيّ) الذي أصْدَرَتْه وزارة التّربية السّوريّة سنة ١٤٠٦هـ و١٩٨٥م فيكتفي بالحَرَدِ المَألُوف الدّارج في عامّيّة الشّام؛ وكأنّه كان المعنى المألوف الدّارج منذ القديم، فقد وَرَد في الشّعر الْجَاهليّ:

في (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهانيّ[1].

«قال: المُعَقِّر بنُ أوسِ بنِ حمار البارقيّ حليف بني نُمَيْر بن عامر في الْجاهليّةِ، واسْمُه سُفْيَان بن أوس الأزْديّ، من قصيدة أوّلُها:

أَمِنْ آلِ شَعْثاءَ الحَمُولُ البَوَاكِرُ

ومنها:

وأَلْقَتْ عَصاها وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النّوىٰ
كما قَرَّ عَيْنًا بالإيابَ المُسافِرُ

ومنها:

تَخافُ نِساءً يَبْتَدِرْنَ حَلِيلَها
مُحَرَّدَةٌ[2] قَدْ حرَّدَتْها الضَّرائِرُ

وفي الحاشية (٢) التَّحْريد هنا: مِنَ الحَرَدِ بِمَعْنَىٰ الغَيْظِ وَالغَضَبِ، أَيْ إنَّ ضَرائِرَها أَغْضَبْنَها وغِظْنَها.

وسُمِّيَ مُعَقِّرًا بقولِهِ قبلَ هذا البيت:

لها ناهضٌ في المَهْدِ قد مَهَدَتْ لَهُ
كما مَهَدَتْ لِلْبَعْلِ حَسْناءُ عاقِرُ

وبهذا البيت سُمِّي مُعَقِّرًا، واسمه سُفْيانُ بْنُ أَوْسٍ، وإنَّما خَصَّ العاقِر لأنّها أَقَلُّ دَلًّا على الزّوجِ من الوَلودِ فهي تَصْنَعُ له وَتُدارِيهِ».

وفي (الوسيط). ج١ ص١٦٥ ومثله في (..المحيط) للفيروزابادي و(اللسان..) لابن منظور وغيرهم:

«حَرَده يَحْرِدُه حَرْدًا: قَصَدَهُ. وبه فسَّر قوله تعالى في السورة ٦٨ القلم/ الآية ٢٥: ﴿وَغَدَوا على حَرْدٍ قادرين﴾ وحَرَدَ فُلان عن قومِهِ اعتزَلَهم.

وَحَرِدَ عليه يَحْرَدُ حَرَدًا: غَضِبَ وحَرَدَ: اغتاظ فتحرّش بالذي غاظَهُ وهمّ به فهو حَرِدٌ وحَرْدانٌ». وفي اللسان: «ويجوزُ أنْ يكونَ هذا كلّه معنى قولِه: ﴿وغدَوْا على حَرْدٍ قادرين﴾».

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ؛ مثلُ ذلك و: وأسدٌ حارد.. قال الفرزدق:

لعلّكِ يومًا أَنْ تَريني كأنّما
بَنيَّ حَوالَيّ الأسودُ الحَوارِدُ

وفلانٌ فَرِيدٌ حَرِيدٌ، وحَلَّ حَريدًا: مُنْتَحِيًا عَنِ القَوْمِ. وحارَدَتِ النّاقَةُ: قَلَّ لَبَنُها، وناقة مُحارِد وحَرود. وحارَدَتِ السَّنةُ: قَلَّ مطرُها. وحارَدَ فلانٌ: كانَ يُعطي ثمّ أمسَكَ.

حَرَّ يَحُرُّ؛ والحريرة والتَّحرير والحُرّ

تقولُ العامةُ: (أنتَ تَحَرّ في هذا فتؤذي، فكُفَّ عمّا تحرُّ فيه).. وقولُهم هذا يذكّرني ببيت المتنبّي الشّهير:

(١) الأغاني للأصفهانيّ ج١١ ص١٦٣ ط. دار الكُتُب المِصْريّة بالقاهرة سنة ١٣٥٧هـ = ١٩٣٨م في ختام الحديث عن: يوم شِعب جَبَلة بعد سنة من يوم الرَّحرحان بين تميم وحلفائها وبين بني عامر بن صَعْصَعَة من هَوازِنَ ومعهم عَبْس، قبل ذي قار.

بأجسامٍ يَحَرُّ القتلُ فيها
وما أقرانُها إلّا الطّعامُ

وفي شرح البرقوقي: (بأجسام: أي مع أجسام. ويحرّ: يشتدّ: من قولهم حرَّ يومنا يحرّ حرارة والأقران: جمع قِرن - بكسر القافِ - وهو الكفُؤ في الحرب؛ يقول: إنّهم لا يحفلونَ إلّا بالمآكلِ، ومن ثمّ يموتونَ بالتّخمة من كثرةِ الأكلِ لا في وقائعِ الحروبِ).

وفي كتبِ اللغةِ والمعاجمِ كالوسيط مثلًا: «حَرَّ يَحرُّ القتلُ: اشتدَّ وحرَّ الماءُ والهواءُ وغيرهما حرارةً سَخُنَ فهو حارٌ. وحرَّ الشّيءَ: سَخَّنه.

وحرَّ الرجلُ يَحَرُّ حِرَّةً وحرارةً: عَطِشَ، فهو حرّان، وهي حَرَّى. وصرّت كَبدُه يَبِسَتْ من عَطَشٍ أو حزنٍ. فهي حرّى ج حِرارٌ، وحَرارَى. و- العبدُ حَرارًا خلصَ من الرِّقِّ. و- فلانٌ حرّيّةً: كان حُرَّ الأصل. و- فلانٌ حَرًّا: طبخ الحَريرة».

ولم يكتب أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) إلّا عن [(حَرْحَرَهُ) بمعنى جعلَهُ يتحرّقُ شوقًا وألما، فيعدّها من: أَحَرَّهُ، من الحرارة: النّهاية من الحزنِ والغيظِ. وقد تكونُ من أَوْحَرَه إذا أسمعَهُ ما يغيظُه فهو وَحِرٌ؛ أي: وَغِر وهذه في معناها أقرب للمُراد العامّيّ.] ص١١٩ ط٢ من (ردّ العامّيّ. . . .).

وفي (لسان العرب): ح ر ر:

«والحَريرَة: الحَسَا من الدَّسَم والدَّقيقِ، وقيلَ: هو الدّقيقُ الذي يُطبخُ بِلَبنٍ، وقال شمر: الحَريرةُ من الدّقيقِ والخَزيزةُ من النّخالةِ، وقال ابن الأعرابيّ: هي القصيدةُ ثمّ التَّحيرَة ثمّ الحريرةُ ثمّ الحَسُو. وفي حديث عمَر: ذُرِّي وأنا أَحَرُّ لك؛ يقول: ذُرِّي الدَّقيقَ لأتّخذَ لكِ منه حَرِيْرَةً.

وحرَّ الأرضَ يَحَرُّها حَرًّا: سوّاها.

وتحريرُ الكتابةِ: إقامةُ حروفِها وإصلاحُ السَّقَط.

وتحريرُ الحِسَاب: إثْباتُه مُسْتويًا لا غَلَتَ فيه ولا سَقَطَ ولا مَحْوَ. [قلت: ما زالَ تحريرُ الحِسَاب في عامّيّة الأسواق، وكذلك تحريرُ الأرضِ وتحريرُ الكتابة وما زالَتْ عصيدةُ الحَرِيْرَةِ تصْنَعها الأمّهاتُ للأبناء كما في (لسان العرب) أمّا المِحَرُّ. . والعباراتُ التاليةُ بعدَه أيضًا. . فَقَريبةٌ من استعمالاتِ العامّياتِ المُختلِفَة]: والمِحَرُّ شَبَحَة فيها أسنان، وفي طرفها نَقْرانِ يكونُ فيهما حَبْلان، وفي أعلى الشَّبَحَة نَقْرانِ فيهما عودٌ مَعْطوفٌ، وفي وَسطِها عُودٌ يقبضُ عليه ثمّ توثّق بالثَّوْرَيْن فتغرز الأسْنانُ في الأرضِ حتّى تَحمِلَ ما أُثيرَ من التُّراب، إلى أن يأتيا به المكانَ المُنخفِضَ.

وتحرير الوَلَد: أن يُفْرِدَه لطاعةِ الله عزّ وجلّ وخدمةِ المَسْجدِ. وقوله تعالى: ﴿إنّي نذرت لك ما في بطني مُحَرّرًا فَتَقَبّلْ مني﴾ والمحرَّر: النّذير السورة ٣ آل عمران الآية ٣٥ والحُرُّ من الناس: أَخيارُهم وأَفاضلُهم. وحُرِّيَّةُ العَرَب: أشرافُهم يقالُ: هو من حُرِّيَّةِ قومِهِ: أي خالصهم. وفرسٌ حرٌّ: عتيقٌ وَحُرُّ الفاكِهةِ: خِيارُها والحرّ: كلّ شيء فاخرٍ من شِعر أو غيره، وحَرُّ كلِّ أرض وسطُها وأطيبُها. وحرّ الرملِ وحرّ الدارِ: وَسَطُها وخَيْرُها. وطينٌ حُرٌّ: لا رملَ فيه، ورملة حُرَّةٌ: لا طينَ فيها والحُرّ: الفعلُ الحسنُ يقالُ ما هذا منك بِحرّ: أي بحسنٍ ولا جميل، قال طَرَفَة:

لا يَكُنْ حُبُّك داءً قاتِلًا
ليس هذا منكِ، ماوِيّ بِحُرّ:

أي بفعل حسن. وَحُرّ الوَجْهِ: الوَجْنَةُ، والحُرَّتانِ: الأُذْنانِ.».

حُرْمَة المُحْتَرَم

[نشرت في مجلّة المعلم العربي
العدد الثاني لسنة ١٩٨٢ السنةُ الخامسَةُ والثلاثون]

حُرْمَةُ المُحْتَرَم

(إنْ شاءَ اللهُ لا نَحْتَرِمُك)[١]

أو (إن شاء الله ما نحترمك)

عِبارةٌ يدعو لك بها المُواطِن العربيّ الشّعبيّ، بلهجته الدّارجة، فحذارِ من أن تظنّ أنّه يَعْني بها مثلما أصبحَ المعاصرونَ من جُمهور المثقّفين في البلاد العربيّة يَعْنون. حينما يستخدمون عبارة (حضرة المحترم) بمعنى: الجليل الموقّر.. أو: المكرَّم أو: المبجَّل.. أو نحو ذلك.. فالمعنى المقصود من (حضرة المحترم) معنى مُحْدَث مولَّد محرَّف عمّا ورد في المعجمات القديمة وكُتُبِ الصِّحاح، وذلك على نقيض المقصود من العبارة الشعبيّة الدّارجة: (لا نحترمك) فقائلها يودُّك، ويتودَّد إليك، فهو بعيد جدًا عن أن يُزْري بك أو يدعو عليك بالزّراية، وإنّما يقصد أنّه يتمنّى على الله أن يُديمَك ويَمُدّ في عمرك فلا يحْرِمَنا وجودَكَ بيننا، وهو المعنى الوارد في الأغنية: «ما اتْحِرِمْشِ العُمْر منك».

وهذا معنى مأخوذ من المعنى الأصليّ لمادَّة: (حرم) كما ورد في الذّكر الحكيم: ﴿للسائل والمحروم﴾[٢] وورد فيه أيضًا: ﴿بل نحن محرومون﴾[٣].

وفي (القاموس المحيط) للفيروزأباديّ:

«وحرمه الشَّيءَ، كضربه وعلمه حريمًا وحرمانًا، بالكسر، وحِرْمًا وحِرْمة، وحريمة، بكسر رائهنَّ: منعه. وأحرمه: لغيَّة. والمحروم: الممنوع من الخير، ومن لا ينمى له مال وحريمة الرّبِّ: التي منعها من شاء. وحَرِم كفرح: قُمِر».

وفي (أساس البلاغة) للزمخشريّ:

«هتك حرمته، وفلان يحمي البيضة ويحوط الحريم، وهي له محْرَم: إذا لم يحل له نكاحها، وهو لها مَحْرَم، والحاجَّة لا بدَّ لها من مَحرم (بفتح فسكون ففتح).

وهو ذو رحم مَحْرَم، وهي من ذوات المحارم.. وهو حرام محرَّم وحرامَ الله لا أفعل، وأحرم الحاجُّ فهو حَرَام وهم حُرْم، ولبس المِحْرَم: وهو لباس الإحرام، وأحرَمْنا: دخلنا في الشّهر الحرام، أو البلد الحرام، وفلان مَحْرَم: له ذمَّة وحُرْمة، وتحرّم فلان بفلان: إذا عاشره ومالحه، وتحرَّمتُ بطعامك ومجالستك أي: حَرُم عليك منّي بسببهما ما كان لك أخذه.

ومن المجاز:

جلد مُحَرَّم: لم يدبغ، وسوط مُحَرَّم، لم يمرَّن. وأعرابي محرَّم: جاف لم يخالط الحضر، وسرى في محارم الليل: وهي مخاوفه التي يحرم السُّرَى معها». ا.هـ الزمخشريّ.

والملاحظة الهامّة هنا أنَّنا لا نجد الفعل الخماسيّ: احترم، على وزن (افتعل) أو مشتقّاته في مكانها من المعجمات القديمة، حتّى إنَّك تقرأ لابن منظور في (لسان العرب) إحدى عشرة صفحة من القطع الكبير في هذه المادَّة (حرم) فلا تجده

(١) ما كتبه أحمد رضا في (ردّ العاميّ إلى الفصيح) في (المحرمة والحرام) [البطانية] وثياب الإحرام.

(٢) سورة الذاريات: الآية (١٩)، وسورة المعارج: الآية (٢٥).

(٣) سورة الواقعة: الآية (٦٧)، وسورة القلم: الآية (٢٧).

يأتي فيها على ذكر الخماسيّ (احترم) أو ما يشتقّ منه.

وإنّما ورد الفعل (احترم) في (محيط المحيط) للبستانيّ و(الوسيط) و(المنجد) من المعجمات الحديثة المعاصرة، ففي (محيط المحيط): «المُحْتَرَم لقب اعتبار في مكاتبات المولَّدين»، وفي المنجد تقرأ للويس معلوف:

«احترمه: هابه ورعى حرمته، واحترمه: منعه، واجتمع المعنيان في قولهم: لا تحترِمْ فتحتَرِمَ، أي: لا تَهَبْ فيفوتك الخير».

وفي (المعجم الوسيط) الصادر عن مجمع اللغة العربيّة بمصر ١٩٦٠م ورد: «احترمه: كرَّمه».

وقد وضع المعجم الوسيط على هدي قرارات اتَّخذها مجمع اللغة العربيّة في القاهرة «لإنهاض اللغة العربيّة وتطويرها» كما جاء في مقدِّمة الجزء الأوَّل منه: في طبعة مطبعة مصر، وإخراج كلّ من أعضاء ذلك المجمع: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبدالقادر ومحمَّد علي النجار، وأشرف على طبعه عبدالسلام هارون، ومن تلك القرارات الواردة في الصّفحة العاشرة من مقدّمة (الوسيط):

«١ - فتح باب الوضع للمحدثين، بوسائله المعروفة من اشتقاق وتجوُّز وارتجال.

٢ - إطلاق القياس؛ ليشمل ما قيس من قبل وما لم يُقَس.

٣ - تحرير السّماع من قيود الزّمان والمكان، ليشمل ما يسمع اليوم من طوائف المجتمع، كالحدّادين والنجّارين والبنّائين، وغيرهم من أرباب الحرف والصّناعات.

٤ - الاعتداد بالألفاظ المولَّدة، وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء.» ا.هـ.

* * *

إلّا أنّ الكثيرين من الباحثين والمشتغلين باللغة ما برحوا يتكرَّهون مع ذلك، أو يتحرّجون من استخدام الفعل: (احترَم) بمعنى: كرَّم، أو: هاب، أو إنَّ منهم من لا يزال يكتفي بإصدار الحكم على هذه العبارة فيقرِّر أنَّها مولَّدة أو دخيلة.. أو أنَّها من الأخطاء الشائعة... فهل يصحّ للباحث اللغويّ أن يجزم ويحكم ويبرم وهو يغلق أبواب النّقاش؟ أوليس يدفعنا رقيّ المستوى في علوم اللغة، أو اللِّسانيّات، وتاريخ تطوّرها، أو تطوُّر استعمالاتها، إلى أن نسائل متأمِّلين؟ وما الذي دفع بهذه العبارة (الاحترام) باتِّجاه التَّطوُّر نحو هذا المعنى الشّائع من التّكريم أو الإجلال والتّهيُّب؟ وهو تطوُّر أدّى بمعجمات حديثة من مثل (الوسيط) و(المنجد) إلى أن تتقبَّلها على أنَّها من الصحاح دون أن تلفت هذه المعجمات نظرنا إلى خلوّ معجمات الأصول القديمة من هذا المعنى ومن هذا الوزن أيضًا؟ فهذا الالتفات إلى تطوُّر حياة الألفاظ والعبارات خلال المراحل المختلفة لها، من مهمَّات المعجم التّاريخيّ لمفردات اللغة، وهو ما لا نزال نفتقده، إذ إنّ هذا المستوى من البحث يدفعنا إلى أن ندرس الفعل (احترم) من ناحيتي التّطوُّر في الوزن والمعنى:

أ - في الوزن:

حينما فصلت كتب الصّرف الكلام على (معاني صيغ الزّوائد) أوردت أنَّ صيغة (افتعل) تأتي لأغراض ومعان عديدة أهمّها:

- اتِّخاذ الفعل من الاسم:

كاختتم: اتَّخذ له خاتمًا

واختدم: اتَّخذ له خادمًا

واحترف: اتَّخذ له حرفة

وامتهن: اتَّخذ له مهنة.

- الطّلب والاجتهاد: كاكتسب واكتتب، أي: اجتهد وطلب الكسب والكتابة، وَاكْتَدَّهُ: طلب منه الكدّ.

- التّشارك: أي بمعنى: التّفاعل: مثل: افترق واختصم واختلف واحترب.

- الإظهار: كاعتذر: أظهر العذر، واعتظم: أظهر العَظَمَة، [ولعلّ هذا ما دفع المعاصرين الى معنى: (احترم) أظهر الحرمة].

- المبالغة في معنى الفعل: اقتدر وارتدّ واحتبس، أي: بالغ في القدرة والردّة والحبس.

- مطاوعة الثّلاثيّ فعل: والمطاوعة: حصول الأثر عند تعلّق الفعل المتعدّي بمفعول له مثل: عَدَلْته فاعتدل، ووضعته فاتّضع، وجمعته فاجتمع.

وربَّما أتى مطاوعًا لمهموز الثّلاثيّ: أنصفته فانتصف.

وربّما أتى مطاوعًا للمضعَّف: قرَّبته فاقترب ويمكن أن يكون قولهم «احترم» من مطاوعة القول: حرَّم على نفسه إيذاءه، فاحترمه.

- وروده بمعنى (فَعَل) لعدم وروده: ارتجل الخطبة واشتمل الثّوب، أو مع وروده بمعنى أصله أيضًا: اصطحب: بمعنى صحب.

وأبنية المزيدات سماعيّة لا تُلتزَم فلا يلزم في كلّ مجرَّد أن يستعمل له مزيد، ولا في كلّ مزيد أن يُستعمل له مجرّد، ولا فيما استعمل فيه بعض المزيدات أن يستعمل له بعضها الآخر، بل المعول والمدار في كلّ ذلك على السماع، وعلى كتب اللغة، ويستثنى من ذلك الثّلاثيّ اللازم، فتطَّرد زيادة الهمزة في أوّله للتّعدية، فيقال في: ذهب: أَذْهَبَ، وفي: خرجَ أَخْرَجَ.

ب - في المعنى:

وحينما نعود لقراءة مادَّة (حَرَمَ) مرَّة أخرى، متأمِّلين، نلاحظ العبارات التي تقترب من معاني التّقدير والوقار والإجلال والإكرام والمهابة في مثل عبارات:

الحرمة، والحريم، والمِحرم: لباس الإحرام، والحرم الشّريف، والبيت الحرام، والأشهر الحُرُم، والتّحرُّم بطعامك وشرابك: أي: أن يحرم عليك بسببهما ما كان يحلُّ لك أخذه قبلهما، والحاجَّة لا بدَّ لها من مَحْرَم، بفتح الميم الأولى، وليس بضمِّها كما هو شائع.

ولعلّ التّأمُّل في هذه التّطوُّرات التي طرأت على العبارة خلال المراحل المختلفة، يؤدّي إلى بصيص نور من جملة الأنوار التي لا بدَّ منها لكشف الطّريق نحو الاتِّجاه الى وضع معجم من المعجمات المتخصِّصة بتاريخ التّطوُّر اللغويّ، لكلِّ لفظة أو عبارة، من خلال مسار حياتها، عبر المراحل المختلفة.

بعد نَشْر هذا وَجَدت في (أَساس البَلاغة) وأنا أكْشِف في مادّة الجَذْر م ل ح: «وقيل [في قولهم: مِلْحُهُ مَوْضُوعٌ على رُكْبَتَيْه]: المِلْح: الحُرْمَة، وإنّ مَعْناه أنّه يَحْتَرِمُكَ ما دام جالسًا معك، فإذا قام عنك رَفَضَ الحُرْمَة».

قُلْتُ: على الرّغم من أنّ بعض المُؤَلّفين واللُّغَوِيِّين كانُوا يقولون: لغة مُؤَلِّفي المُعْجم في أساليب شُروحِهم لَيْسَتْ حُجَّة يُحْتَجّ بها على الصِّحَّة والفَصاحَة، فقد يَتَسَرَّب إليها من المُوَلَّد والدَّخيل، وهم ليسوا من عصور الاحتجاج لدينا، ولا سيّما حين يَرِدُ اللفظ عَرَضًا في أثناء الشُّرُوح وليس في مَوْضِعِه من مادّة التّركيب كما

وَرَد هذا الفِعْل: (يحترمك) على ذِهْن الزّمخشريّ في شرحه قولًا في غير مادّة الجذر: حَرَم..

ولٰكنّي على الرّغم من هذا، أَسْتَأْنِسُ بهذا النَّصّ من القَرْن السّادسِ الهِجريّ، والثّاني عشرَ الميلاديّ، وللعلّامة الزّمخشريّ جارِ اللهِ مُوَثِّق لغة الحجاز في ذلك العَصْر ومُؤَسِّس (أساس البلاغة) و(الكَشّاف..) في التَّفسير و(ربيع الأبرار) و(المفصّل..) الذي شرحه ابن يعيش في التّصريف وغيرها.. ممّا يُلقي ضَوْءًا سَاطِعًا على مَسَارِ التَّطوُّر للفِعْل: احترم.

الحَرامي

في المعجم المدرسيّ لِمُحَمَّدٍ خَيْرِ أَبي حَرْبٍ:

الحَرامي: «فاعلُ الحَرامِ، وغَلَبَ على اللصِّ في اصْطلاحِ العامّة.».

قُلْتُ: ولٰكنّه منسوبٌ إلى قبيلة بني حَرامٍ في رأي أحمد أبو سعد ص٢٤٩ من (قاموس المُصْطلحات والتّعابير الشّعبيّة).

الذي يروي عن: «أحمد عيسىٰ (ص٦٢) عن ذَيْلِ تاريخِ مِرآةِ الزّمانِ لِسِبْطِ ابن الْجَوْزي في حَوادِثِ سَنَةِ ٦٧٢هـ إذْ جاءَ في ترجمةِ قاضي القُضاةِ عزّالدّين مُحَمّد بن الصائغ قالَ: وإذا القَفْلُ يقولون: قد طلَعَ علينا حرامِيَّةٌ، فَأَخَذْتُ قَوسي الخ.. فهذا الاسْتعمالُ المَجَازيُّ في القَرْنِ السّابعِ الْهِجْريِّ:

وللأديبِ محمود تيمور رأيٌ حَوْلَ كلمةِ حَرامي: وهناكَ من يخطئ في التَّسَهُّلِ خَطأَ المُبْعِدِ في التَّصَعُّبِ، مثالُ ذلكَ فهمُ كلمةِ (حرامي) بمعنى اللصِّ على أنّها نِسْبَةٌ إلى الحَرَامِ مع أنّ الكلمةَ من بقايا حقيقةٍ تاريخيّةٍ في عصرٍ بعيدٍ، تلكَ هيَ أنَّ قبيلة بني حَرَامٍ كانَتْ تُتَّهَمُ بالخُبْثِ والتَّلَصُّصِ؛ فَقِيْل في كلِّ من يَسْرُق هو حَرَامِيّ (انْظُرْ مجلّةَ مَجْمَعِ مِصْرَ مجلة ١٣ ص١٣٠ وما بعدها)».
ا.هـ. أبو سعد.

قُلْتُ: حقًّا إنَّكَ لا تحتاجُ إلى (مُعْجَم قبائل العَرَب) لعُمَر رضا كحّالة لِتُدْرِكَ قَبِيلَةَ بني حَرامٍ، فيكفي أنْ تَعودَ إلى: ح ر م في (لسان العرب):

«وحَرَام: قَبِيْلَةٌ من بَنِي سُلَيْمٍ؛ قال الفَرَزْدَق:

فَمَنْ يَكُ خائِفًا لِأَذَاةِ شِعْرِيْ
فَقَدْ أَمِنَ الهِجاءَ بَنُوْ حَرَامِ

وَحَرامٌ أيضًا: قبيلةٌ من بني سَعْدِ بنِ بكرٍ».

وأُمُّ حَرامٍ: «هي خالةُ أَنَس بن مالِك، من بني النّجّار أخوال عبدِالله أبي النّبيّ - ﷺ - وما كان النّبيّ يَدْخُل بيتًا ينام فيه إلّا عِنْدَها وعِنْد أُخْتها أمّ أَنَسٍ لأنّهم من أخوالِه، رضي الله عن الجميع»[1].

و«ابنُ حَرام الصَّحابيّ من رُواة الأَحاديث إلى سنة ٦٩٧م أي ٧٨ للهجرة، قَضَى بعدَ تسعينَ عامًا وله ألفٌ وأربعمائةٍ وخمسون حديثًا. شَهِدَ بدرًا وشَهِدَ مع الرّسولِ ثماني عشرة غَزْوةً.. واسمُه جابِرُ بنُ عبدالله بن عمرو بن حَرَام الأنصاريّ الخَزْرَجيّ السّلميّ..» كما في الأعلام للزّركلي عن مصادرِ علمِ الحديثِ والأَثَرِ كالإصابة.. وغيره..

قُلْتُ: ولٰكنَّ تطوُّرَ اللغةِ في عصرِنا أدّى بنا إلى عباراتٍ من أمثال: حَرامٌ عليك.. ويا حَرام.. وابن الحَرام.. وفيلم (الحرام) الذي ألّف قِصَّتَه الأديب د. يوسف إدريس، ولعبَتْ دورَهُ الأساس فاتن حمامة..!

(١) الحاشية (٨) من الصفحة ٣٢٩ في الجزء الرّابع من كتاب (التّاج الجامع للأصول من أحاديث الرّسول)؛ تأليف الشّيخ منصور عليّ ناصيف من علماء الأزهر ١٣٢٨هـ = ١٩٦٢م.

الحِرْدَوْن حَرَنَ

في مِصْرَ والشّام حافَظَ العوَامّ على اللفظ والمَعْنى في الفِعْل حَرَنَ كما وَرَد في المُعْجم العربيّ التُّراثيّ.. وكما وَرَد في (مُعْجم الألفاظِ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) ل.د. عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال..

في (لسان العرب):

«ح ر ن: حَرَنَت الدّابّةُ تَحْرُنُ حِرانًا وحُرانًا وَحَرُنَتْ، لُغَتان، وهي حَرون: وهي التي إذا اسْتُدِرَّ جَرْيُها وَقَفَت... وفي الحديث: (ما خَلَأَت ولا حَرَنَت ولٰكنْ حَبَسها حابسُ الفيل). وفَرَسٌ حَرُونٌ من خَيْلٍ حُرُنٍ: لا يَنْقادُ، إذا اشتدّ به الْجَرْي وَقَفَ...

... والمَحارين جَمْعُ مِحران وهو ما حَرُن على الشَّهْدِ من النّحل فلا يَبْرَح عنه، وما يموتُ من النَّحل في عَسَلِه.. أُخِذَ من قولك: حَرُنَ بالمكان حُرونة: إذا لَزِمه فلم يُفارِقْه.».. وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ:

«..وقِيْل لِحَبيب بن المُهَلَّب: الحَرُون؛ لأنّه كان يَحْرُن في مواقف القِتال؛ لا يَريم من مكانه.. وَحَرَن فلان في البَيْع: لا يزيد ولا يَنْقِصُ.. وما أَحْرَنَك هاهنا..».

الحردون

والحَردون في عامّيّتنا هو الضَّبّ، وفي (القاموس المحيط): «الحِرْدَوْن بالمُهْمَلةِ لغةٌ في الحِرْذون بالمُعْجَمة لِذَكَرِ الضّبِّ أو دُوَيْبّةٌ أخرىٰ». فالعامّة تفتح الحاء عندنا، ولعلّ منهم من يكسرها كما في القاموس.

حَزَرَ

في عامّيّتنا كما في المُعْجَم التُّراثيّ كما في (لسان العرب)

«الحَزْرُ؛ حَزْرُك عددَ الشّيء بالحَدْس.

الْجَوهريّ: الحَزْر: التَّقْدير والخَرْص. والحازر: الخارِص.

ابنُ سِيْدَه: حَزَرَ الشّيءَ يحزُرُه ويَحْزِره حَزْرًا: قدَّرَهُ بالحَدْسِ؛ تقول: أنا أحزرُ هذا الطّعام كذا وكذا قَفِيزًا.

والمَحْزَرَة: الحَزْرُ، عن ثعلب.

والحَزْر من اللَّبن: مَذْقُ الحامض. ابن الأعرابيّ: هو حازر وحامز بمعنى واحدٍ. وقد حَزَر اللَّبَنُ والنَّبيذُ أيْ: حمض. وَحَزْرَةُ المالِ: خِيارُه.

والحَزْوَرَةُ: الرّابِيَةُ الصّغيرةُ، والفتى، والحَزَوَّرُ: الغُلامُ إذا قَوِيَ واشْتَدّ وبَلَغَ وراهَقَ».

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ:

«ومن المَجازِ: حَزَرْتُ قُدومَهُ يومَ كذا: قَدَّرْتُه، وحَزَرْتُ قراءَته عشرين آيةً. واحزُرْ نفسَك هل تقدِرُ عليه.».

الحَزّة والحَزّ

الحَزّ: - في (لسان العرب) لابن منظور كما في (القاموس.. وأساس البلاغة) وغيرها من كُتُب اللغة..-:

«الْحِين والوَقْت؛ قال أبو ذؤيب:

حتّى إذا حَزَرَتْ مِياهُ رُزونِهِ
وبِأيِّ حَزِّ مُلاوَةٍ يَتَقَطَّعُ

حَزّت [في اللسان: رزن].

أيْ بأيّ حِيْنٍ من الدّهر، [وأي هنا للتّعجُّب]، وإضافة الحَزّ إلى المِلاوة هي لِبَيانِ أنّ هذا الحِيْنَ طَويلُ الأَمَدِ.

والحَزّة: السّاعةُ؛ يُقالُ: أيَّ حَزَّة أَتَيْتَني قَضَيْتُ حَقَّكَ؛ وأنشد:

وَأبَنْت للأَشْهاد حَزَّةَ أَدَّعي

أي: أَبَنْتُ لهم قَوْلي حِيْن ادَّعيْتُ إلى قَوْمي فقُلْت: أنا فُلان بن فُلان.».

قُلْتُ: الحَزّ والحَزّة بمَعنى الوَقْت والحِيْن والسّاعة؛ تعبيرٌ ما يزالُ مُنْتَشِرًا في العامّيّاتِ الكَثيرةِ بَدْءًا من الكويت والخليج وإلى البَوادي والفَلوات والبَراري المُحيطة بمدينة دِمَشْق حَيْث يقولون: ها الحَزّ. وها الحزَّة أي: هذا الحِيْن.. أو الآن.. وإذا دَخَلْت دمشق سَمِعْتهم يقولون: (عند الحَزَّة واللَّزَّة طَهِّروا المَقْيُول!)[1] يقْصدون أنّك تَطْلُب منهم عَمَلًا يَجُوزُ تأْجيلُه وكانَ مُؤجَّلًا فَتَطْلُبُ إنْجَازه عندَ حُلولِ وَقْت أعمالٍ أَهَمّ وفي وقتِ ازْدِحامِ الْوَقْتِ والالْتِزازِ والتَّلاصُقِ بَيْن أَوْقاتِ الأَعمال الهامّة التي لا تُؤَجَّل، والتّراحُم واشْتِداد التَّأَزُّم في الأمورِ الهامَّةِ وكَثْرة اسْتعجال إنْجازها...

والمَعْنى الأصليُّ للحَزّ تَسْتَعْمِلُه العامّةُ في المُدُنِ كما وَرَدَ في مَعَاجِمِ اللغة فقد وَرَدَ في: (مُعْجَم مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس: «الحاء والزاء أَصْل واحد هو الفَرْضُ في الشّيءِ بِحَديدةٍ أو غيرها، ثمّ يُشْتَقُّ منه. تقولُ من ذلك: حَزَزْت في الخَشَبَة حَزًّا. وإذا أصابَ مِرْفَقُ البَعِيْرِ كِركِرتَه فَأَثَّر فيها، قِيْل: به حازٌّ. [والكِرْكِرَة: صَدْرُ كلِّ ذي خُفٍّ]. والحُزّازُ: ما في النَّفْسِ من غَيْظٍ، فإنَّهُ يَحُزُّ القَلْبَ، وغيرَه حَزًّا. قال الشَّمَّاخ:

فلمّا شَراها فَاضَتِ الْعَيْنُ عَبْرَةً

وفي الصّدرِ حُزّازٌ مِنَ اللومِ حافِزُ

والحَزازَة من ذلك». وفي اللسان قَبْل هذا البيت أنّ «الشَّمّاخ يَصِفُ رَجُلًا باعَ قَوْسًا مِنْ رَجُلٍ وغُبِنَ فيه... والحَزّازة: ما حَزَّ في القَلْب.. أوْ وَجَع في القَلْب من غَيْظٍ ونَحْوِه.. وأَخَذَ بِحُزَّتِهِ أيْ بِعُنُقِه، قالَ: وهو السّراويلُ حُزَّة وَحُجْزَةٌ. الأصمعيّ.. ولا تَقُلْ حُزّة. ابن الأعرابيّ: يُقال: حُجْزَتُه وَحُذْلَتُه وَحُزَّتُهُ وَحُبْكَتُهُ.. وفي الحديث: (آخذ بِحُزَّتِهِ) والحُزَّةُ من السّراويل الحُجْزَة. وفي الحديث عن ابن مَسْعودٍ رضي الله عنه: الإثْم حُزّاز القُلوب.. ويُرْوى: (..حَزّاز القلوب).. وهو فَعّال من الحَزّ..

والحَزحَزة: من فِعْل الرّئيس في الحَرْب عند تَعْبِيَةِ الصّفوف، وهو أنْ يُقدّم هذا ويؤخّر هذا؛.. وتَحَزْحَزَ عن الشّيءِ: تَنَحّى..» ا.هـ. ابن منظور.

قُلْتُ: الحَزْحَزَةُ تُقْلَبُ في الفَصِيح وفي عامّيّتنا إلى الزَّحْزَحَة ويُقالُ: تَزَحْزَحَ عن الشَّيْءِ؛ بمعنى: تَنَحّى.. عامّيّ فَصِيح..

والحَزُّ: القَطْعُ في غير فَصْلٍ في عامّيّة مِصْرَ أيضًا، وذَكَرَهُ د. عبد المُنْعِم سيّد عبد العال في (مُعْجَمِ الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة)، ولم يَذْكُر الحَزّ والحَزّة بمعنى الْحِين والسّاعة والآن، ولٰكنْ ذَكَر هذا أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ) وأَجادَ فيه...

(١) (اللَّزّة): التّزاحم والتّلاصُق.. و(طَهِّرُوا) في لُغَة دمشق بمعنى: اخْتِنوا لأنّ الطُّهُور عِنْدَنا بمعنى خِتَانِ الصَّبيّ، والمَقْيُول: لعلّه يُمكنُ أنْ يكونَ الّذي يَرْضَعُ قَيْلًا أي في مُنْتَصَفِ النّهارِ عِنْد القائلة أو القَيْلولة؛ وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «.. قالَتْ أُمُّ تَأَبَّطَ شرًّا: ما سَقَيْته غَيْلًا، ولا حَرَمْتُه قَيْلًا؛ وهي رَضْعَة نِصْفِ النّهار.. وقَيَّلْتُه: سَقَيْتُه القَيْلَ وَتَقَيَّلَهُ: شَرِبَهُ». وقُلْتُ: أَتَمَنّى أنْ يَدُلّني مَنْ يَجِدُ تَفْسِيرًا آخَر للمَقْيُول..)

الحَشْك

(الحقيبةُ مَحْشُوكَةٌ بالكُتُبِ والكرّاساتِ والطعامُ محشوكٌ في فمِهِ، والتّلاميذُ في قاعةِ الصفِّ أكثرُ من استِيعابِ القاعةِ فهم قد انحشكُوا فيها وإدارةُ المدرسة تحشكُ التلاميذَ بكثرة.. و..) الخ..

يقول عوامُّنا هذا فيحافظونَ على المعنى الأصليِّ للحشْكِ بلفظِهِ الصحيح ويُغَيّرون بالمثل: (يَضْرِبُه بِضَرْب حَشْك وَلَبْك) كما كنت كتبت في (مجلّة المعلِّم العربيّ)[1].

وفي معجم (مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس: «الحاء والشين والكاف أصلٌ واحدٌ، وهو تجمُّعُ الشيءِ. يقالُ: حَشَكْتَ الناقةَ، إذا تركتَها لا تحلبُها فتجمَّع لبنُها، وهي محشوكةٌ. قال:

غَدَت وعي مَحْشوكَةٌ حافِلُ

وحَشَك القومُ، إذا حَشَدُوا. وحَشَكَتِ السّحابةُ: كثُر ماؤُها. ومنه قولُهم للنّخلةِ الكثيرةِ الحَمْل: حاشِك. وَحَشَكتِ السماءُ: أتَتْ بمطرِها. وربّما حملُوا عليه فقالُوا: قوسٌ حاشكةٌ، وهي الطّروحُ البعيدةُ المَرْمَى».

وتتكرّرُ هذه المعاني في أمّهاتِ المعاجِم التُّراثيّة (كاللسان.. والتاج.. والقاموس..) الذي أزيدُ منه «..وجاؤوا بِحَشَكَتِهِم - مُحَرَّكَةً - بجماعَتِهِم. وَأَحْشَكَ الدّابةَ: أقضمَها فَحَشِكَتْ هي».

فالثّلاثيّ لازمٌ ومتعدٍّ في معاجمِ التُّراث، ولٰكنَّ عوامّنا يستعملونَ الثّلاثيَّ منه متعدّيًا، فإذا أرادُوا نقلُوه إلى وزنِ الخماسيِّ المطاوعِ: انْحَشَكَ، على وزنِ انفعلَ.. فهلّا استعملَهُ الكتّابُ الفصحاءُ؟

الحَشْو والحَشْي[2]

الحَشْو والحَشْي

في مادَّتَيْ: الحَشْوِ والحَشْيِ، عَدَدٌ مِنَ العِبارات العامّيّة الفصيحة، كما سنرى من الشواهد، ولقد بلغ من إهمال كتّابنا ومثقّفينا لها ما، لعلّه، جعل أصحاب (الوسيط) معجم المجمع في مصر، يهملون هاتين المادَّتين، في الطبعة الأولى منه عام ١٩٦٠ إهمالًا تامًّا، تداركوه في الطبعة الثّانية التي استدركوا فيها كثيرًا ممّا كان وُجِّهَ إليهم من النَّقْد.

وأكاد أَمِيل إلى الاكْتِفاء فيهما، بِقَليل من النُّقول عن عُلَماء اللغة، أُضيفها الى كَثير من الاسْتِشْهاد بابن مَنْظور في (لسان العرب) الذي كتب فيها خمس صفحات كِبار، ولٰكن أُشِير أيضًا إلى أنّ المعجمات كافّة، وكُتُب اللغة، حافلة بالمادَّتَيْنِ، إلّا أنّي أجِد ابنَ مَنْظور فيهما كأنّه يَتَحَدَّث عن فصاح عامّتنا في عَصْرِنا، مع أن المَعْروف أنّه سَبَقَنا بِنَحْو سَبْعِمائة عام، فهو مُتَوَفَّى ٧١١هـ، وممّا أَوْرَدَه في (لسان العرب):

«... قال الأزهريّ: وبه سمّي القطن الحَشْوَ لأنّه تُحْشَى به الفُرُش وغَيْرُها. ابن سِيْدَه: وَحَشا الوِسادَةَ والفِراش وغيرهما يَحْشُوها حَشْوًا مَلأَها، واسم ذلِك الشيء الحَشْو، على لفظ المصدر. والحَشِيَّة: الفراش المَحْشوّ، وفي حديثِ عَلِي: من يَعذِرني من هؤلاء الضيَّاطرة[3] يَتَخَلَّف

(١) انظر في ص ٩٤-٩٥ من العدد الثاني سنة ١٩٨٧ السنة الأربعين من (مجلة المعلم العربي) الصادرة بدمشق عن وزارة التربية العربية السورية.

(٢) منشورة في مجلّة (التراث العربي) العدد ٢٩ صفر سنة ١٤٠٨هـ تشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩٨٧م السنة الثامنة من ص ٢١٠ إلى ٢١٥.

(٣) يشرح ابن منظور في اللسان: الضياطرة في مادة

أَحَدَهم يتقلَّب على حَشاياه، أي على فَرْشِه، واحدتها حَشِيّة، بالتّشديد. ومنه حديث عَمْرو بن العاص: ليس أخو الحَرْب من يَضَع خُورَ الحشايا عن يَمينه وشِماله.

وحَشْو الرجل: نَفْسُه على المَثَل، وقد حُشِيَ بها وحُشِيَها؛ وقال يَزيد بن الحَكَم الثَّقفِيُّ:

وما بَرِحَتْ نَفْسٌ لَجوجٌ حُشِيتَها
تُذيبُك حتّى قيلَ: هل أنتَ مُكْتَوِي

وحُشِيَ الرجلُ غَيْظًا وكِبرًا، كلاهما على المَثَل: قال المَرَّارُ:

وحَشَوْتُ الغَيْظَ في أَضْلاعِهِ
فهو يَمْشِي حَظَلانًا كالنَّقِر

وأنشد ثعلب:

وَلَا تَأْنَفَا أَنْ تَسْأَلَا وَتُسَلِّمَا
فَمَا حُشِيَ الإنْسانُ شَرًّا من الكِبْرِ

ابن سِيْدَه: وحُشْوَة الشاةِ وحِشْوَتُها: جَوْفُها، وقيل: حُشْوَة البَطْنِ ما فيه مِن كَبِدٍ وَطِحال وَغَيْرِ ذلك.

والمَحْشَى: مَوْضِع الطَّعام. والحَشا: ما في البَطْن، وتَثْنِيتُه حَشَوانِ، وهو من ذَواتِ الواوِ والياء، لأنَّهُ ممّا يُثَنَّى بالياء والواو، والجَمْع أَحْشاء.

وحَشَوْتُه: أصبتُ حَشاه. وحَشْو البيت من الشِّعْر: أَجْزاؤه غير عَرُوضه وَضَرْبِه، وهو مِن ذلك. والحَشْو من الكَلامِ: الفَضْل الذي لا يُعْتَمَد عليه، وكذلك هو من الناس. وحُشْوَة الناس رُذالَتُهُم... وحاشية كلّ شيء: جانِبُه وطَرَفُه... وأرض حشاة: سَوْداء لا خَيْر فيها... وتَحَشَّى في بني فُلان اذا اضْطَمُّوا عليه وآوَوْه. وجاء في حاشِيَتِه أي في قومه الذين في حَشاه. وهؤلاء حاشِيتُه أي أَهْلُه وخاصَّتُه. وهؤلاء حاشِيَتَه، بالنّصب، أي: في ناحيته وظِلِّه... وحاشِيَتا الثَّوْبِ: جانِباه... وفي الحديث: أنّه كان يُصَلِّي في حاشِيَةِ المَقام أي جانِبِه وطَرَفه، تَشْبيهًا بحاشية الثَّوب... وعَيْشٍ رَقِيق الحَواشي أي ناعِم في دَعَةٍ.... وأمّا المَحاشُ، بفتح الميم، فهو أَثاث البَيْت وأَصْله من الحَوْش وهو جَمْع الشَّيْء وضَمّه...

والحَشِيُّ، على فَعِيل: اليابِسُ... وحاشَيْتُ من القَوْم فُلانًا: اسْتَثْنَيت... وحاشَىٰ لله وحاشَ للهِ أي براءةً لله ومعاذًا لله... وقال أبو إسحٰق في قوله تعالى: ﴿قُلْن حاشَ لله﴾؛ اشتقّ من قولك كنتُ في حَشا فلانٍ أي في ناحية فلان... كذلك تَحاشى من حاشِيَة الشَّيْء، وهو ناحِيَتُه...

الجوهريّ: يقال: حاشاكَ وحاشى لك والمعنى واحد...

ابن الأعرابيّ: تَحَشَّيْتُ من فُلان أي تَذَمَّمْتُ...

التّهذيب: وتقول: انْحَشَى صوت في صوت، وانْحَشَى حَرْف في حرف...

الجوهريّ: حُشْوَة البطن، أمعاؤه. وفي حديث المَبْعَث: ثمّ شَقّا بَطْني وَأَخْرَجا حُشْوَتي.

الأصمعيّ: الحُشْوَة موضع الطعام وفيه الأَحْشاء والأَقْصاب و... أسفل مَواضِع الطَّعام الذي يُؤَدّي

=ضطر [... الجوهرة: الضيطر الرجل الذي لا غناء عنده، وكذلك الضوطر والضوطري، وفي حديث علي: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة. هم الضخام الذين لا غناء عندهم، الواحد ضيطار، والياء زائدة].

جمال الدين بن منظور: (لسان العرب). ط. دار صادر ودار بيروت. لبنان سنة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.

إلى المَذْهب المَحْشاة، بِنَصْب الميم، والجمع المحَاشي... وفي الحديث مَحاشي النِّساء حرام... قال: ويجوز أن تكون المَحاشِي جمع المِحْشَى، بالكسر، وهي العُظَّامَة التي تُعَظِّم بها المَرْأَة عَجِيْزَتها... واحْتَشَت المُسْتَحاضَةُ: حَشَت نَفْسها بالكُرْسُف أو بالمَفَارِمِ ونَحْوِها...

والحشَى: الرَّبْوُ؛ قال الشمّاخ:

تُلاعِبُني إذا ما شِئْتُ خَوْد
على الأَنْماطِ ذاتُ حَشًى قَطِيع

أي ذات نَفَسٍ مُنْقَطِعٍ من سِمَنِها، وقطيعٍ نَعْت لِحَشى. وفي حديث عائشة، رَضي اللهُ عنها: أنّ النّبيّ لله، خَرَجَ مِنْ بَيْتها ومضى إلى البَقِيع فَتَبِعَتْه تَظُنُّ أَنَّه دَخَل بعضَ حُجَرِ نِسائه، فلمّا أَحَسَّ بسوَادِها قصَدَ قصْدَه فعَدَتْ فَعَدا على أثرها فلم يُدْرِكْها إلّا وهي في جَوْفِ حُجْرَتِها، فَدَنا مِنْها وقد وقَعَ عليها البُهْرُ والرَّبْوُ فقال لها: ما لي أراكِ حَشْيا رابِيَةً أي ما لَكِ قد وَقَعَ عَلَيْك الحَشَى[1]، وهو الرَّبْوُ والبُهْرُ والنَّهِيجُ الذي يَعْرِض للمُسْرِع في مِشْيَتِه والمُحْتَدِّ في كلامه من ارتفاع النَّفَس وتَواتُره، وقيل: أَصْلُه من إصابة الرَّبْو حَشَاه. ابن سيده: ورجل حَشٍ وحَشْيانُ من الرَّبْو، وقد حَشِي... والأُنْثَى حَشِيَةٌ وحَشْيا، على فَعْلى.. والاحْتِشاء: الامْتِلاء، تَقول: ما احْتَشَيْتُ في معنى امْتَلأْتُ...».

أَعْتَذِر عن إطالتي النُّقول عن ابن منظور، ولٰكن أعتذر أيضًا عن كثرة ما حَذَفْتُه منها، فقد اضْطُرِرْت الى اسْتِبْعاد كلِّ ما ظَنَنْت صِلَتِهِ بالعامّيّات ضَعِيفَةً... وما زِلْتُ مُحْتاجًا إلى إضافة قَليل ممّا وَجَدْته في غير اللِّسان، كما في قول الزَّمَخْشَرِيّ في أَساس البلاغة:

[... وأَخْرَجَ القَصّابُ حُشْوَةَ الشاةِ وهي ما في بَطْنِها. وَضَرَبَه فانْتَشَرَت حُشْوَتُه. واحْتَشَى مِنَ الطَّعام... وهو من العامَّة والحُشْوَة. واحْتَشَت الرُّمّانة بالحَبِّ، وعن بعض العرب: رأيت أرزًا كأزز الرمّانة المُحْتَشِيَة...].

وأَعُود إلى تَعْرِيف ابن فارس صاحب (معجم مقاييس اللغة) مادَّة (حشوى): [الحاء والشين وما بعدها مُعْتَلّ أَصْل واحِد، وربّما هُمِز فيكون المَعْنَيان مُتَقارِبَيْن أيضًا]. وهو أن يُودَع الشَّيْءُ وعاءً بِاسْتِقْصاء... والحَشا الناحِيَة؛ وهو مِن قِياس الباب، لأنَّ لِكُلِّ ناحِيَةٍ أَهْلًا فَكَأَنَّهُم حشَوها. يقال ما أدري بأَيِّ حشًا هو. قال: «بأيِّ الحَشا أَمْسَى الخَلِيطُ المبايِن».

ومن المهموز وهو من قياس الباب غير بعيد منه، قولهم: حَشَأْتُه بالسَّهْم أَحْشؤه إذا أصبت به جَنْبَه. قال:

فَلأَحْشَأَنَّكَ مَشْقَصًا
أَوْسًا أُوَيسُ من الهَبالة[2]

وأزيد ممّا في (محيط المحيط) «الحاشِيَة: جانبَ الثّوب أو الكتاب... المَحْشيُّ: اسْمِ مفعول،

(١) ولعل منه الاحتشاء بمعنى الانبهار وانقطاع النفس، الذي اشتق منه علماء الطب المعاصرون اصطلاحهم احتشاء عضلة القلب.

(٢) في اللسان؛ مادة: حشا: [قال أسماء بن خارجة يصف ذئبا طمع في ناقته وتسمى هبالة:

لي كل يوم من ذؤاله
ضغث يزيد على اباله
فلأحشأنك مشقصًا
أوسًا، أويس من الهباله

أويس: تصغير أوس وهو من أسماء الذئب، وهو منادى مفرد، وأوسًا منتصب على المصدر، أي عوضًا، والمشقص: السهم العريض النصل؛ وقوله: ضغث يزيد على اباله، أي بلية على بلية، وهو مثل سائر].

ومنه الكوسى المَحْشِيّ ونحوه.. ويُحْشَى باللحم والأرزّ، وهو من اصطلاح العامّة».

وأخيرًا، أظنّ أنّه حينما اكْتَفَى أحمد رضا، منذ نصف قَرْن مَضَى، بما كان ذَكَرَه في مُعْجَمه (مَتْن اللُّغَة) من هذه المادّة، ولم يَذْكُرها في الحَوَاشي التي كان خَصَّ بها فِصاحَ العامّةِ، كما لم يَذْكُرْها في كتابه (ردّ العامّيّ إلى الفَصيح)؛ فَلِأنّهُ ظَنّ فصاحتها من البَديهيّات التي لا يَحْتاج أَحَدٌ إلى التَّذْكيرِ بها.. ولم يَخْطُر بِبالِه أن يَتَحاشاها الكتّاب حتّى يُهْمِلَها مَجْمَع مِصْرَ في الطَّبْعَة الأُولى من معجمه (..الوسيط). وقد ذَكَرَها د.عبدالمنعم سيّد عبدالعال في: (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نَقُول في دارِجَتِنا: حَشَا المِخَدَّةَ أو اللِّحاف ونَحْوَهما بالقُطْن أو الرّيش أو الصُّوف: مَلَأَهما به.. وفي القاموس: الحَشْو: مَلْءُ الوِسادَةِ وَغَيْرها بِشَيْءٍ ما..».

يَحُفُّني - والحافْ

ما زالَ المثلُ العامّيُّ الشّعبيُّ: (فلانٌ يَحُفُّني وَيَرُفُّني)؛ بلفظِهِ ومعناه كما وردَ في كُتُبِ الأمثالِ واللغةِ، وفي (لسان العرب) لابن منظور:

«ح ف ف: حَفَّ القومُ بالشيء وحواليه يَحُفُّون حَفًّا وَحَفُّوه وحَفَّفُوه: أحدقُوا به وأطافوا به وعكفُوا واسْتداروا.. وحَفَّه.. كما يُحَفُّ الهودجُ بالثِّيابِ.. وهو يَحُفُّنا وَيَرُفُّنا؛ أي: يُعطينا ويَميرُنا. وفي المَثَل: (مَنْ حفّنا أو رَفّنا فلْيَقْتَصِدْ) يقولُ: مَنْ مَدَحَنا فلا يَغْلُوَنَّ في ذلك ولكن لِيتكلَّمْ بالحقِّ منه. وقال الجوهريُّ: أيْ مَن خَدَمَنا أو تعطَّفَ علينا وحاطَنا. الأصمعيّ: هو يَحِفُّ ويَرِقُّ أي يَقومُ وَيَقْعُدُ وَيَنْصَحُ وَيُشْفِقُ... ويقالُ: ما لِفُلانٍ حافٌّ ولا راقٌّ». والحَفُّ في (مقاييس اللغة) لابن فارس «ثَلاثَةُ أُصولٍ: الأوّلُ ضربٌ من الصّوت والثاني أن يطيفَ الشيءُ بالشيءِ والثالثُ شِدَّةٌ في العيشِ» ومن الثالثِ الخبزُ الحَافُّ في لُغتِنا العامّيّة الشّعبيّة.. والمَثَل في الأصْل الثّاني، وحفيفُ الشّجرِ من الأوّل.. وكذلك هي معاني المادَّة في (أساس البلاغة) و(القاموس المحيط) و(تاج العروس..) وغيرها.

أمّا في مصرَ فيقولُ د. عبد المنعم عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذاتِ الحقيقة والأصول العربيّة): «نقولُ في دارِجَتنا: حَفَّ فلانٌ في الأكلِ. غمسَ لقمتَه أو ملعقتَه في الطّعامِ وأخرجَها مملوءةً إلى غايَتِها منه. وفي القاموس: الحَفّافُ: الملآنُ في الأواني أو ما بلغَ المكيل حَفَافِيه... ونقولُ: حَفَّفَتِ المرأةُ وجْهَها أو شعرَها أو ذراعَيْها أو رجلَيْها نَتَفَتْها وأزالَتْ ما عليها من شعرٍ بسكّرٍ معقودٍ بالليمون... وفي القاموس: حَفَّفتِ المرأةُ وجْهَها من الشّعر...

ونقولُ: أكل فلانٌ الخبزَ حافًا: أكلَه دونَ إدامٍ.. والأصلُ فيها جافّ، وفي القاموس: سوقٌ حافٌّ أي غيرُ ملتوتٍ؛ أي جافّ».

حَقُّ الحاجَةِ وَثَمنُها وَسَوْمَتُها

لیس أفصحَ منه: سِعْرُ السِّلْعَة

والمِيْرَة ليسَتْ أَقَلَّ فَصاحةً من التَّمْوين...

كانَ النّاسُ عندَنا يقولونَ (ثَمَنُ الحاجة وحقُّ الغَرَضِ صاير بالنّار والكِوا) يُكْنونَ عن غَلاء الحاجاتِ وانْخفاضِ القيمةِ الشّرائيّة للنَّقدِ، يَلْفِظون ثاء الثّمن بالتّاء لأنَّ مِن عاداتهم تَجَنُّبَ اللِّثَوِيَّات، وَيَلفِظون الممدودَ كِواء مقصورًا، والقَصْر من التَّخفيفِ اللفظيِّ بِحذْفِ همزةِ

الممدودِ واردٌ في تَلِيدِ الفَصيح كما نعلم. . .

والسِّعْرُ والتَّسْعيرُ ممّا وَرَدَ في الفصيح أيضًا؛ لِتَسْعيرِ النّار وتشديد إسعارِها وإحراقِها، ولِتَسعير أسعارِ الحاجات أيضًا لأنّه من تَسْعير النّار في الأَصْل اللغويّ الواردِ في مُعْجَم (مقاييس اللغة) لابن فارس: «السّين والعَيْن والرّاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على اشْتِعالِ الشّيء واتِّقادِه وارْتفاعِه من ذلك السّعير.. سعير النّار. واسْتعارُها: توقُّدُها. والمِسْعَرُ: الخَشَبُ الذي يُسْعَرُ به. والسُّعار: حَرُّ النّارِ. ويُقالُ: سُعِرَ الرَّجُلُ إذا ضَرَبَتْهُ السَّمُوم.. وَسَعَرْتُ النّار وَأَسْعَرْتُها فهيَ مُسْعَرَةٌ وَمَسْعُورَة.. ويُقال: سَعَرَهُم شَرًّا.. والسُّعُرُ: الْجُنون.. لأنّه يَسْتَعِرُ في الإنسان. ويقولون: ناقَةٌ مَسْعورَةٌ، وذلك لِحِدَّتِها كأنّها مَجْنونَةٌ. فأمّا سِعْرُ الطَّعامِ فهو مِن هذا أيضًا، لأنّه يَرْتَفِعُ وَيَعْلو».

فَلَفْظُ (السِّعْر) و(التَّسعيرَة) هو الذي اختارَهُ فُصَحاءُ كتّابِنا ومُرَبّينا وَمُثَقَّفينا وإداريّينا في الوِزارَة التي سَمَّوها (وِزارة التَّموين) مُتَوَهِّمينَ أنّ (المِيرَة) كما كانَ النّاسُ يُسمّونَها قَبْلَ التَّموين، ميرة أعجميّة الاسْم!؛ وهي من الفِعْلِ مارَ وَامْتارَ الذي كانَ في العربيّةِ قَبْلَ أن تتكوّنَ اللُّغاتُ الأعجميَّةُ التي يتوهَّمونَه منها! لأنَّ إيقاعَها مُسْتعجمٌ، وهم في بُعْدِهم أو مُجانَبَتِهم اسْتِعمالَ المعاجِمِ يُداخلُهم أيضًا شُعورُ الرَّغبةِ في التّعريبِ، كما داخلَ هذا الشّعور مَنْ عرّبوا الإدارات في الْجَزائر فظنّوا أنّ (السُّومَةَ) من الفرنسيّة Lasomme[1] فَتَبَنَّوا (تَعْريبها) إلى التَّسْعيرة مع أنّ (لاسومّ) الفَرنسيّة يَصِحُّ أنْ تكونَ في أصلِها من الفِعْلِ العربيِّ سامَ يَسومُ.. ولٰكنّي مع ذلك لا أريدُ أنْ أَزْعُمَ وأفاخِرَ بالأُصولِ اللغويّةِ العربيّةِ، وليسَ من أغراضي أنْ أُحاورَ في أصلِ الدَّجاجَة من البَيْضةِ أو العكس. . .

وإذا أَرَدْنا التَّفاخُرَ فَلْنُفاخِرْ بالأَلفاظِ الأَكْثرِ انْتِشارًا بين الأَقوامِ والْجماعاتِ البَشَرِيَّةِ لأنّ الأَكْثرَ إفهامًا من العِباراتِ هو الأَفْصَح في مقاييس الفَصاحةِ الحقيقيّةِ.

وأَعودُ إلى: (حَقِّ الحاجةِ) فإذا لم يكن القُدَماءُ قالوه لفظًا، فلَيْسَ فيه من خَطَإٍ يؤدّي إلى نَبْذِهِ. و«وحقَّ الشَّيْءُ يَحِقُّ وَيَحُقُّ: وَجَبَ وَثَبَتَ» كما في (المصباح المُنير) وغيرِه من المَعَاجِم، وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس «أَصْلُ الحَقِّ: إحكامُ الشّيءِ وصِحَّتُه».

حَكَشَ وَبَحَشَ

نَقولُ في دِمَشْق: (حَكَشَ في الخزانةِ وَبَحَشَ) أي: بَحَثَ وَأَخَذَ وَجَمَّعَ. .

أمّا (بَحَشَ) فلم يَذْكُرْها إلّا الفيروزاباديّ في القاموس المحيط: «بَحَشُوا [كمنعوا] اجتمعوا؛ قاله الليث وخُطِّئَ، أو الصّواب: تَحَبَشُوا». قُلْتُ: أَظُنُّ أَصْلَها: بَحَثَ فوقع الإبدالُ من الثّاءِ شِيْنًا؛ فالتّخلّص من الثّاء في مَلافِظِ عامّتنا معروف مشهور، وسبق الحديث فيها في: ب ح ث.

ولم أجدْ: حكشَ في كُتُبِ اللبنانيّين: رضا وأبي سعد وأرسلان.

ولٰكنّي وَجَدْتُها في العامّيّةِ المصريّةِ بمعنًى مُخْتَلِفٍ، في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) ل: د. عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال: «نقول في دارجتنا: حَكَشَ فلانٌ فلانًا:

[1] في فصاحة السَّوْم والسَّوْمة انْظر في ص١٩٩ و٢٠٠ من (مَجَلَّة التّراث العربيّ) العدد ٢٧-٢٨ الصّادر بدمشق في شعبان - ذي القعدة ١٤٠٧هـ ونيسان - تمّوز سنة ١٩٨٧م من بَحْثٍ لي بعنوان: (قَبَسٌ من اللغة: فِصاح العامّة في الْجَزائر).

أحاطَ به وأمسكَهُ؛ والأصلُ عَكَشَ وأُبدلتِ العَيْنُ حاءً، ففي القاموس: عكشَتِ الكلابُ بالثّورِ: أحاطتْ به (ومِنّا مَن يقول: عَكَش)».

قُلْتُ: ولٰكن في القاموس المحيط للفيروزابادي وَرَدَتْ بالحاءِ: «الحكْشُ: الْجَمْعُ والتَّقَبُّضُ. ورجلٌ حَكِشٌ عَكِشٌ [كَكَتِفٍ] مُلْتَوٍ على خَصْمِهِ». وقُلْت: فالمُلْتوي على خَصْمه حَكِشٌ عَكِشٌ. . .

وقُلْت كان من حقّ د. عبد المُنْعم أنْ يُشيرَ إلى بعض ما أوردَهُ القاموسُ في فصلِ الحاء، بدلًا من أن يَرى أنّ أصلَها بالعَيْن بأنَّ أحد معنييها هو هذا المعنى الأوَّل الذي أهمله. ثمَّ إنّ معناها الذي أورده القاموس، هو معنى قريب ممّا في عامّيّتنا بدمشق. .

أمّا ما في (لسان العرب) لابن منظور ح ك ش: فهو قريب من المعنى المِصْريّ لدى د. عبدالعال: «ابن سِيْدَه: الحَكْشُ: الظُّلْم. ورجلٌ حاكِشٌ: ظالِمٌ، أراه على النّسب. وَحَوْكَشٌ: اسمٌ. الأزهريّ: رجلٌ حَكِشٌ مثلُ قولهم: حَكِر، وهو اللَّجُوج. والحَكِشُ والعَكِشُ: الذي فيه الْتواءٌ على خصمِه».

قُلْت: فالحكشُ لدى الفيروزاباديّ بمعنى: الْجَمع والتّقبّض، ممّا يناسب ما في عامّيّة الشّام.

حَلَأَ يَحْلأُ

يتحدَّثُونَ عن الحِلاقَةِ؛ فيكتبونَها بالقافِ - ولا شكَّ. . - ولٰكنّهم يلفُظونَها في عامّيّةِ دمشقَ والقاهرةِ وغيرِهما بالهمزةِ.

فهلْ وَرَدَ في قديمِ الفصيح ما هوَ قريبٌ من معنى الحلاقةِ، بالهمزةِ وليسَ في معناها حتمًا؟! وإنّما نلتمسُ وجهَ التّشابُهِ أو الاقترابِ من ظنّ التّشابهِ فيهما. . وهو ظنٌّ غيرُ يقينيٍّ وليس اعتقادًا، ولٰكنّه شُبْهَةُ تَقارُبٍ في شيءٍ من صِفاتِ العَمَلَيْن وتَواردِ بعضِ خواطرَ فيما بين الفِعْلَيْنِ:

في (لسان العرب):

«. . وَحَلَأْتُ الأَدِيْمَ إذا قَشَرْتُ عنه التَّحْلِئ. والتِّحْلِئ: القِشْرُ على وجهِ الأَدِيم ممّا يَلي الشَّعَر. [والأديم: الجِلْد].

وَحَلَأَ الجِلْدَ يَحْلَؤُهُ حَلأً. . : قَشَرَهُ وبَشَرَهُ.

وَالحُلاءة: قِشْرةُ الْجِلدِ التي يَقْشُرُها الدَّبّاغُ ممّا يلي اللحمَ.

والتِّحْلِئُ: ما أَفْسَدَهُ السِّكّينُ من الْجِلْدِ إذا قُشِرَ. . . وفي المَثَل: لا ينفعُ الدَّبْغُ على التِّحْلِئ.

والمِحْلأَةُ: ما حُلِئَ به.

وفي المَثَلِ في حَذَرِ الإنسانِ على نَفْسِهِ ومُدافعتِه عنها: حَلَأَتْ حالئةٌ عن كُوعِها. . لأنّ المرأةَ الصَّناع ربّما اسْتَعجلَتْ فَقَشَرَتْ كُوعَها؛ وقال ابنُ الأعرابيِّ: حَلَأَتْ حالئةٌ عن كوعِها معناهُ أنّها إذا حلأَتْ ما على الإهابِ [الجِلْدِ] أخذتْ مِحْلَأَةً من حديدٍ، فُوْها وَقَفاها سَوَاءٌ، فَتَحْلأُ ما على الإهابِ من تِحْلِئَةٍ، وهو ما عليهِ من سَوادِه ووَسَخِه وشَعرِه، فإنْ لم تُبالغِ المِحْلأَةُ ولم تَقْلَعْ ذلك عن الإهاب [الجِلْدِ]، أخذَتْ الحَالِئةُ نَشْفَةً؛ وهو حَجَرٌ خَشِنٌ مُثَقَّبٌ، ثمّ لَفَّتْ جانبًا من الإهابِ على يَدِها، ثمّ اعْتمدَتْ بتلكَ النَّشْفَةِ عليه لِتَقْلَعَ عنه ما لم تُخْرِجْ عنه المِحْلأَةُ، فيُقالُ ذلك للّذي يَدْفَعُ عن نَفْسِهِ وَيَخُصُّ على إصلاحِ شأنِه، وَيُضْرَبُ هذا المَثَلُ له؛ أي: عن كوعِها عَمِلَتْ ما عَمِلَتْ وَبِحيْلَتِها وَعَمَلِها نالَتْ ما نالَتْ، أيْ فهي أَحَقُّ بِشَيْئِها وَعَمِلِها، كما تقول: عن حيلتي نِلْتُ ما نِلْتُ، وعن عَمَلي كانَ ذلك؛ قال الكُمَيْتُ:

كَحالِئَةٍ عن كُوعِها، وهي تَبْتَغِي
صَلاحَ أَدِيْمٍ ضَيَّعَتْهُ، وَتَعْمَلُ».

وقال الأصمعيُّ: أَصْلُهُ أنَّ المرأةَ تَحْلأُ الأديمَ [الْجِلْدَ]، وهو نَزْعُ تِحْلِئِهِ، فإنْ هي رَفَقَتْ سَلِمَتْ، وإنْ هِيَ خَرُمَتْ أَخْطَأَتْ، فَقَطَعَتْ بالشَّفْرَةِ كُوعَها.

وَرُوِيَ عن الفَرَّاءِ: يُقَالُ: حَلأَت حالِئَةٌ عن كوعِها؛ أيْ: لِتَغْسِلْ غاسِلَةٌ عن كوعها؛ أيْ: لِيَعْمَلْ كُلُّ عامِلٍ لِنَفْسِه؛ قال: ويُقال: اغْسِلْ عن وَجْهِك وَيَدِك، ولا يقال اغْسِلْ عن ثَوْبِك.

حَلأَ وحَلَّأَ يُحَلِّئُ

كنتُ في أيّامِ الطّفولةِ والفتوّةِ المُبَكّرةِ أَسْمَعُ مَنْ يدفعُ للبَقّال دَيْنًا مُسَجّلًا عليه في الدّفتر؛ يقولُ بعدَ الدفعِ: حَلِّئْهُ أو حَلِّئها، بقصد أنْ: احْذِفْ من دفترِكَ تَسْجيلَها.. فيُجيبُه البقّالُ: إليكَ كيفَ أنّي حَلأْتُها ويُريه كيف حذفَ ذلك من الدّفترِ حقًّا..

أقولُ إنّي كنتُ أسمعُ ذلك منذُ نصفِ قرنٍ مضى... والكلامُ العامّيُّ سريعُ التَّغيُّرِ والتَّطَوُّرِ..

والآنَ أسمعُهم يقولون: حَلأْنا لِفلانٍ: كنايةً يُكنونَ بها عن أنّهم اسْتَغْنَوا عنه أو طردوهُ أو تخلّصوا منه أو صدّوه!.

وكنْتُ أظنُّ أنَّ أصلَ الهمزةِ في هذه الكناياتِ قافٌ حتّى وقعتُ على المادّةِ بالهمزةِ في كُتُبِ التّراثِ، وليسَتْ بالمعنى ذاتِه، طبعًا، ولكنّها مُتطوِّرةٌ تَطَوُّرًا مَجازيًّا واسعًا كبيرًا... يَجْعَلُها تتباعدُ عنِ المعنى الأصليِّ حتّى تكادَ تنقطعُ صِلَتُها به..

في (لسان العرب):

«أبو زَيْدٍ، يُقال: حَلأْتُهُ بالسَّوْطِ حَلأً إذا جَلَدْتُهُ به.

وحَلأَهُ بالسَّوْطِ والسَّيْفِ حَلأً: ضربَهُ به؛ وعَمَّ به بَعْضُهُم فقال: حَلأَهُ حَلأً: ضَرَبَهُ.

وحَلَّأَ الإبِلَ والماشِيَةَ عن الماءِ تَحْليئًا وَتَحْلِئَةً: طَرَدَها أو حَبَسَها عن الوُرُودِ وَمَنَعَها أنْ تَرِدَهُ، قال الشّاعرُ إسحقُ بنُ إبراهيمَ المَوْصِليّ:

يا سَرْحَةَ الماءِ قد سُدَّت مَوارِدُه
أما إليكِ سبيلٌ غيرُ مَسْدُودِ
لحائمٍ حامَ حَتّى لا حوامَ به
مُحَلَّإٍ عن سَبيلِ الماءِ مَطْرودِ

... وكذلك حَلَّأَ القومَ عن الماءِ؛ وقال ابنُ الأعرابيّ: قالت قُرَيْبَةُ: كان رجلٌ عاشقٌ لمرأةٍ فتزوّجَها فجاءَها النِّساءُ فقال بعضُهن لبعضٍ:

قد طالما حَلأْتُماها لا تَرِدْ
فَخَلِّياها والسِّجالَ تَبْتَرِدْ

وقال امرُؤ القيس:

وأعجبني مَشْيُ الحُزُقَّةِ، خالدٍ
كَمِشْيِ أَتانٍ حُلِّئَتْ عن مناهِلِ

وفي الحديث: (يَرِدُ عليَّ يومَ القيامة رَهْطٌ فَيُحَلَّؤونَ عن الحَوْضِ)[1] أي يُصَدُّون عنه وَيُمْنَعونَ من وُرودِهِ....

... وَحَلأَ به الأَرْضَ: ضَرَبَهَا به، قال الأزهريُّ: ويجوزُ: جَلأَتْ به الأرضَ، بالجيم.

وَحَلأْتُهُ مئةَ درهمٍ إذا أَعْطَيْتُهُ. التّهذيب: حكى[2] أبو جعفر الرُّؤاسيّ: ما حَلِئْتُ منه بطائل؛ فَهَمَزَ؛ ويُقال: حَلأْتُ السَّوِيْقَ؛ قال الفَرَّاء: هَمَزُوا ما ليسَ بمهموزٍ لأنَّه من الحَلْواء...» وقبلَه: «ومنهُ حديثُ

(1) يلاحَظ أنه استَشْهد أو استأنس استئناسًا بشِعْرِ إسحْق بن إبراهيم المَوْصليّ، ثم بشِعْرِ النّساء يُنْشِد بَعْضُهنّ بَعْضًا في الفَرَح، ثم بامْرِئِ القَيْس، ثم بأحاديث الرّسول ﷺ.

(2) يلاحَظ أنّ ابن منظور الخزرجيّ، كأغلب رُواة المُعْجَم العربيّ وكتّابه، لا يتجافَوْن عن استعمال الفِعْل حَكَى يحكي، بمعنى رَوى وقال وتحدّث. وأصل معنى: حَكَى: أشبه.

سَلَمَةَ بنِ الأكوعِ (فَأَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ، وهوَ على الماءِ الذي حَلَّيْتُهُم عنه بذي قَرَدٍ» هكذا جاءَ في الرّوايةِ غيرَ مهموزٍ، فقُلبَتِ الهمزةُ ياءً وليس بالقياسِ لأنَّ الياءَ لا تُبْدلُ منَ الهمزةِ إلّا أنْ يكونَ ما قبلَها مَكْسورًا نحو: بيرٍ وإيلاف؛ وقد شذَّ: قَرَيْتُ في قرأت، وليس بالكثير، والأصل الْهَمْز.

الحَلْفاء

(أنْتَ تَأْكُلُ الحَلْفاء) أيْ: تأكلُ ما هو كثير لا ينتهي من كثرته فَتُنْهيه أو إنّك تأكل كلّ شيْءٍ حتّى ما لا يُؤكل كالحَلْفاء..

وكنت أفتّش عن القَصَب لأتتبّع صناعة السُّكَّر عند العرب في (اللسان..) فما وجدت، ولٰكنْ وَجَدْتُه يَذْكُر أنّ القصبَ هو الحَلْفاء.

«.. قال سِيْبَوَيْهِ: الطَّرْفاء، والحَلْفاء، والقَصْباء، ونحوها اسم واحد يقعُ على جميع؛ وفيه علامة التّأنيث، وواحدُهُ على بِنائِه ولَفْظِه، وفيه علامَةُ التَّأنِيْث التي فيه؛ وذلك قَوْلُك للْجَميع حَلْفاء وللواحدة حَلْفاء.».

وفي: ح ل ف يقول ابن منظور ذاته: «والحَلَف والحَلْفاء من نبات الأَغْلاث [الأخلاط..] واحِدتُها حَلِفَة وحَلَفة وحَلْفاءُ وحَلْفاةٌ وأرض حَلِفَةٌ ومُحْلفة: كثيرة الحَلْفاء.. وتُنْبت الحَلْفاء. الليث: الحَلْفاء نَبات حَمْلُه قَصَبُ النُّشابِ. قال الأزهريّ [في التّهذيب]: الحَلْفاء نَبْتٌ أَطْرافُه مُحدّدة كأنّها أطراف سَعَفِ النّخل والخُوص، يَنْبُت في معايض الماء والنُّزوزِ،...وفي حديث بَدْر: (أنّ عُتْبَةَ بن رَبيعةَ بَرَزَ لعُبَيْدَةَ فقال: مَنْ أنت؟ قال: أنا الذي في الحَلْفاء) أراد: أنا الأسد لأنّ مَأْوى الأسَد الآجامُ ومنابت الحَلْفاء، وهو نَبْت مَعْروف، وقيل: هو قَصَب لم يُدْرِكْ.

والحَلْفاء: واحدٌ يُراد به الْجَمع كالقَصْباء والطَّرْفاء، وقيل: واحِدَتُه: حَلْفَاة».

وأضيف من (القاموس المحيط) «وأَحْلَفَت الحَلْفاء: أَدْرَكَت... والحَلْفاء: الأَمَةُ الصَّخَّابة».

ومن (أساس البلاغة): «وَوَقَع الحَرِيق في الحَلْفاء، وكأنّه أَخُو الحَلْفاء أي: الأَسَد». ومن (تاج العروس..):

«... وقال أبو النَّجم:

إنّا لَنُعْمل بالصُّفوف سُيُوفَنا
عَمَل الحريق بيابس الحَلْفاءِ

وقال الشّاعر:

يَعْدُو بِمِثْلِ أُسُودِ رِقَّةَ والشَّرَىٰ
خَرَجَت مِنَ البُرْدِيّ وَالْحَلْفاء

... ووادٍ حُلافيٌّ، كغُرابيّ: يُنْبِتُه.... وقلّما نَبَتَتِ الحَلْفاء إلّا قريبًا من ماء أو بَطْن وادٍ؛ وهي سَلَبَة غليظة المَسّ لا يكاد أحد يَقْبِض عليها مَخافَةَ أنْ تَقْطَع يَدَه، وقد يأكل منها الإبِلُ والغَنم أكلًا قليلًا، وهي أحبّ شجرة إلى البقر. الواحدة منها: حَلِفَةٌ.. وقِيْل: حَلَفَة».

حَمِشَ

منْ فِصاحِ العامّة المُنْتَشِرَةِ في ألسنةِ الْجِيْلِ الشّاميِّ من مِصْرَ بطريقِ انتشارِ القِصَصِ والحِواريّاتِ المُشاهَدَةِ على الشّاشةِ:

يقولُ ابنُ منظورٍ في (لسانِ العرب) ح م ش:

«وَحَمِشَ الشَّرُّ: اشْتدَّ، وَأَحْمَشْتُهُ أنا. واحْتَمَشَ القِرْنان: اقْتَتَلا، والسّين لغة. وَحَمَش الرّجلَ حَمْشًا وأَحْمَشَهُ فاسْتَحْمَشَ: أَغْضَبَه فَغَضِبَ، والاسْم الحَمْشَةُ والحُمْشَةُ.

الليث: يُقالُ للرّجلِ إذا اشْتدَّ غضبُه قد استحْمَشَ غَضَبًا، وأنشدَ شمر: إنّي إذا حَمَّشَني تحميشي.

واحْتَمَشَ واسْتَحْمَشَ إذا الْتَهَبَ غَضَبًا. وفي حديثِ ابن عبّاسٍ: رأيتُ عَلِيًّا يومَ صِفّين وهو يُحْمِشُ أَصْحابَه أيْ يُحرِّضُهُم على القِتال وَيُغْضِبُهُم. وأحْمَشْتُ النّارَ: أَلْهَبْتُها ومنه حديث أبي دُجانَة: رأَيْتُ إنسانًا يُحْمِشُ النّاسَ، أي يَسوقُهم بِغَضَبٍ...

وأَحْمَشْتُ الرَّجُلَ: أَغْضَبْتُهُ، وكذلك التَّحْميشُ، والاسْمُ الْحِمشَةُ مثلُ الحِشْمَة مَقْلوبٌ منه.

واحْتَمَشَ الدِّيكانِ: اقْتَتَلا. والحَميشُ: الشَّحْمُ المُذابُ.

وأَحْمَشَ الشَّحْمَ وَحَمَّشَهُ: أذابَهُ بالنّارِ حتّى كادَ يُحْرِقُه».

حَنْتَرَ حَنْتَرَةً

(حَرِدَتْ وحَنْتَرَتِ الفَتاةُ وَتَضايَقَتْ مِن سَماعِ كَلِمَتِنا وَأَظْهَرَتِ الرَّغْبَةَ في العصيانِ والامْتِناعِ عن الأخْذِ بِنَصِيحَتِنا لها ونحنُ أَبَواها اللذان نَعْرِفُ مَصْلَحَتها أَكْثَرَ مِمّا تَعْرِفُ هي صالِحَ نَفْسِها..).

وَلٰكِنْ ما لَنَا من حَنْتَرَتِها وَضِيقِها بكلامِنا سوى أَنْ نَقُولَ لها (يا بِنْتِي عَيْبٌ عَلَيْكِ أَنْ تُحَنْتِرِي أَمامَ والِدَيْكِ وَتَضْرِبِي الأَرْضَ بِقَدَمَيْكِ ضِيقًا بآرائهما..).

يَقولُ ابْنُ مَنْظور في: (لسانِ العرب) في حَنْتَرَ كما في القامُوسِ المُحيط للْفَيْرُوزاباديّ: «الحَنْتَرُ: الضَّيِّقُ. والحِنْتَرُ القَصير. والحِنْتارُ: الصَّغير.

ابن دريد: الحَنْتَرَةُ الضِّيقُ واللهُ أَعْلَمُ.».

ثمّ يَقول ابْنُ مَنْظور أَيْضًا في (اللسان): «حَنْثَرَ: فَتُلاحِظُ تَقارُبَ الإِبْدالِ حتّى تَكادَ تَكون الثّاءُ الفصيحةُ هي نفسُها التّاءُ العامّيّةُ الفصيحةُ أيضًا:

رجل حَنْثر وحَنْثريٌّ: مُحَمَّقٌ. والْحَنثرةُ: الضّيقُ؛ قال الأزهريّ في حَنْثَرَ: هذا الحرف في كتاب الجَمْهَرَةِ لابْنِ دُرَيْدٍ مَعَ غَيْرِهِ وما وَجَدْتُ لِأَكْثَرِها صِحَّةً لأحدٍ من الثِّقاتِ، وَيَنْبَغِي لِلنّاظِرِ أنْ يَفْحَصَ عَنْها، وَمَا وَجَدَهُ منها لِثِقَةٍ أَلْحَقَهُ بِالرُّباعِيّ وَمَا لَمْ يَجِدْ مِنْها لِثِقَةٍ كانَ منها على رِيبَةٍ وحَذَرٍ.».

قُلْتُ: إِذَا كانَتِ الأَمانَةُ العِلْمِيَّةُ والرَّغْبَةُ في اسْتِقْصاءِ البَحْثِ وَاكتِمالِهِ مِمّا يَدْفَعُني لِأَنْ أَذْكُرَ رَأْيَ الأَزْهَرِيّ في هٰذا الحَرْفِ لابْنِ دُرَيْدٍ فَذٰلِك لا يَنْفِي أَنْ يكونَ ابنُ دُرَيْدٍ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ عام قد ذَكَرَ واسْتَفْصَحَ عبارةَ الحَنْتَرَة أو الحَنْتَرَة الشّائِعَةً بَيْنَنا في قَرْنِنا العِشرينَ، مِمّا يُشَكِّكُنا في جَدْوَى شَكّ ابن منصور الأَزْهَرِيّ صاحب التّهذيب في فَحْصِهِ لأُسْتاذِ أَساتِذَتِهِ ابْنِ دُرَيْدٍ صاحِبِ (الجَمْهَرَةِ في اللُّغَةِ) فالحَنْتَرَةُ بالتّاء المُثَنّاة والحَنْثَرَة بالثّاء المُثَلّثة ما زالت على أَلْسنَتِنا عَرِيقَةَ الفَصاحَةِ مُنْذُ نَيِّفٍ وأَلْفِ عامٍ، وَإِنْ لم تَرِد في أغلبِ مُعْجماتِ عصرِنا فقد أُهْمِلَتْ فَلَمْ أجدْها في (المُنْجِدِ) لِلوِيسَ مَعْلوفٍ وَلَا في (المُعْجَمِ المَدْرَسِيّ) لِمُحَمَّدٍ خَيْرٍ أَبي حَرْبٍ في وزارَةِ التَّرْبِيَةِ السّورِيَّةِ وَلَا فِي المُعْجَمِ الوَسِيطِ لِمَجْمَعِ مِصْرَ ولا في مَعاجِمِ فِصاحِ العامِّيَّةِ في لُبْنانَ وَمِصْرَ؛ وَلٰكِنَّ أَحْمَدَ رِضا في (رَدّ العامّيّ..) يَذْكُرُ حَنْطَرَ (بِالطّاءِ) فهو مُحَنْطِر إذا امْتَلأَ غَضَبًا وَهُوَ فِي اللُّغَةِ المُحَمْطِرُ (بالميم) وَفَسَّروهُ بِأَنَّه المملوءُ غَضَبًا!.

وَتَذَكَّرْتُ أَنّ المُعلِّمَ بُطْرُسَ البُسْتانِيَّ صاحِبَ مُعْجَمِ (مُحِيطِ المُحيطِ) يُعْنَى أَحْيانًا بِبَعْضِ فِصاحِ العامِّيَّةِ اللُّبْنانِيَّةِ فإذا هو يُدْرِجُ حَنْتَرَ بالتّاءِ المُثَنّاةِ ثمّ حَنْثَرَ بالثّاءِ المُثَلَّثَةِ وَيُسَجِّل فيهما كُلَّ ما وَجَدَهُ في (القاموسِ المحيطِ) وَلٰكِنْ دُونَ أَنْ يُشيرَ بُطْرُسُ إلى استعمالِها في العامِّيَّة اللُّبْنانِيَّة ممّا يَجْعَلُني أَظُنُّ أَنَّها لَيْسَتْ إلّا في فِصاحِ العامِّيَّةِ الدِّمَشْقِيَّة..

حَنْتَفَ

مِمّا يُقَالُ في دمشقَ كما يُقَالُ في لبنانَ ومصر:

«إنّه يُحَنْتِفُ حَنْتَفَةً فلا يُزَوِّدُ أيَّ زِيادَةٍ، وإنّما يدقّقُ ويحاسبُ ويسيرُ على رُؤُوسِ الأَذْرُعِ». يَقْصِدون بالحَنْتَفَةِ كما يقولُ بطرس البستانيّ في (محيط المحيط): «الحَنْتَفَةُ عند العامّة: شِدّةُ الحِرْصِ على الشّيءِ الطّفيفِ من البُخْلِ، أو التّعنّتُ الشّديدُ في الأمور».. وكذلك المعنى لدى الأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل): «دقّق كثيرًا أو تعنّت في الاختيار كما يقولون في مصر والشّام ولا يُوجَد هذا الفعلُ بهذا المعنى، ولعلّهم أخذوه من الحنتف بمعنى الْجَراد الْمُنَقَّىٰ للطّبْخ» ثمّ يُحَشّي الحاشيةَ شارحُهُ محمَّد خليل الباشا «ويقول العامّة: حَنْتَفَ أي قَتَّرَ وأَقَلَّ، وربّما كانَتْ هذه من قولِهِم (نُتْفَةٌ)» وكذلك يرى أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) «من النّتْفِ والنُّتُوفَةِ».

ولٰكنّ أحمد أبا سعد في (قاموس المصطلحات والتّعابير الشّعبيّة) يَرَى أنّها آراميّة الأصل بمعنى البخيل...

قلْتُ: ولٰكن لهٰذا الفعل حَنْتَفَ معنًى آخر في العامّيّة المصريّة، ذلك أنّ د.عبدالمنعم يقولُ في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتنا: حَنْتَفَ فُلانٌ نَفْسَهُ: تألّق في مَظْهَرِهِ، واعْتَنَى بِمَلْبَسِهِ، ونَضارة وَجْهِهِ، وهو حَنْتُوف، وهي حَنْتُوفَة ومُحَنْتَفَةٌ. وفي القاموس: تَحَنْتَفَ: نَظَّفَ وَجْهَهُ وَزَيَّنَ ملابِسَهُ، والحُنْتُوفُ: مَنْ يَنْتِفُ لِحْيَتَهُ في هَيَجانِ المِرارِ به، والحَنْتَفَ: الْجَراد الْمُنَتَّف الْمُنَقّى للطّبْخ». قلت: لم أجد في (القاموس المحيط) ولا في (لسان العرب) ولا في غيرهما المعنى الأوّل: تَحَنْتَفَ: نَظَّفَ وجهه وزَيَّن ملابِسَه.. وجدت الباقي ووجدتهم يسمُّون أعلامًا باسم «حَنْتَف. والحَنْتَفانِ: حَنْتَفٌ وأخوه سَيْفٌ أو الحَرِثُ ابنا أوسِ بْنِ حِمْيَرِيٍّ».

يَتَحَنْدَلُ وَيتَمَنْدَل

إذا سَأَلْت العامّيّ: لماذا تَقولُ عن الذي يَنْصَرِفُ إلى العنايَةِ بِنَفْسِهِ كثيرًا قَبْلَ أنْ يَعْمَلَ العَمَلَ المَطْلوبَ اسْتِعْجالُهُ: يَتَحَنْدَل وَيَتَمَنْدَل؟ ما مَعناها؟ فلعلَّه يُجِيبُك: لا أدري فقد سَمِعْتُها هكذا...

وفي (القاموس المحيط): «تَمَدَّلَ وتَمَنْدَلَ: تَمَسَّحَ بالمِنْديل.

والمَنْدَلُ: العُودُ أو أَجْوَدُه، كالمَنْدَليّ، أو هو منسوب إلى بلدة مَنْدَل بالهِنْد».

وفي (الوسيط): المَنْدَلُ: العُودُ الطَّيِّبُ الرّائحةِ...

وقالَ أحمد رضا في: (رَدّ العامّيّ إلى الفصيح) ص٥٤٣ من ط٢:

«المِنْدَل عندَ العامّةِ المُشَعْوِذِ لاسْتِخْراجِ الخفايا بِماءٍ يَضَعُه في إناء فَيَتَمَثَّلُ الخَفِيُّ في الماء بالرُّقَىٰ والعَزائم.

والمِنْدَلُ اسمُ آلةٍ من نَدَلَ إذا اخْتَلَسَ لأنَّ المُشَعْوِذَ بِشَعْوَذَتِه الباطلةِ يَخْتَلِسُ أَمْوالَ النّاس». ا.هـ.

قُلت: [وفي جَلْسَةِ ضَرْبِ المَنْدَلِ عندَ المُشَعْوِذينَ يُحْرِقونَ أَعْوادَ المَنْدَلِ على المَجَامِرِ وَيَمْسَحونَ عَرَقَهُم الكثيرَ بِهِ فَيَتَمَنْدَلونَ، أو يَتَمَدَّلون، بالمِنْديل..!

أَمْ إنّه يَتَمَنْدَل من: النَّدل، العامّيّة المُخَفّفة من النَّذْلِ أيْ الْخَسيس؟

والحَنْدَلَةُ أَيكُون فيها إبدالٌ من الحَنْكَلَةِ في المَشْيِ بِمَعْنَى التَّباطُؤِ والتَّثاقُلِ كما وَرَدَ في (الوسيط)، وكذلك في (القاموس المحيط): الحَنْكَل: اللَّئيم، والقَصير، والْجَافي الغَليظ، والحَنْكَلَةُ: الدَّمِيمَةُ السَّوْداءُ والْجافِية، وَحَنْكَل في المَشْيِ: تَثاقَلَ وَتَباطأ].

وفي (المُحيط) أيضًا: «الحَنْدَل: القَصِيْر» قال هشام: [ولٰكنّي لم أجدْ لها ارتباطًا بالفِعْلِ (يَتَحَنْدَلُ) العامّيّ إلّا أنْ تكونَ (الحَنْدَلَةُ) بمعنى التَّقاصُر.. ويُؤَدّي هذا إلى التَّباطُؤِ أو التَّهاون أو التَّراخي عن العَمَلِ والتَّقْصيرِ عن أدائه!.....].

وللصَّدِيقِ المَرْحومِ سيمون إبراهيم الحمصيّ المُهْتَمِّ[1] بالأمثال:

«وَرُبَّما كانَت: يَتَحَنْدَرُ، لِقُرْب مَخْرَجِ الرّاء من اللام وهذا الْجِناسُ النّاقِصُ كثيرُ الوُرودِ في كَلامِ العامَّة.

والحَنْدَرُ: الحَدَقَةُ؛ والحَنَادِر حَديد النَّظَر عن اللسان. وأَرَى أنّ الذي «يَتَحَنْدَرُ» إنّما يَنْظُرُ بِحِدَّةٍ. وفي ذلك زَهْوٌ وَكِبْرِياء.

يَتَمَنْدَلُ يَتطَيَّبُ بالمَنْدَلِ، والمَنْدَلُ عُودٌ مَنَ الهِنْدِ طَيِّبُ الرّائحةِ عن اللِّسانِ».

وعلى هذا، فالذي يَتَحَنْدَرُ وَيَتَمَنْدَلُ: إنسانٌ مَزْهُوٌّ بنفسه، يظهر ذلك الزَّهْوُ بِنَظَرِهِ الحَديد وَبِتَعَطُّرِهِ المُتْرَف. وهذا هو المُراد من معنى المَثَلِ، والله أعلم؟

الحَنَفِيَّة

لا أسمعُ ولا أقرأُ في كِتاباتِ أصحابِ حِرَفِ البِنَاء والمهندسين وفيما له علاقة بهم من أوراقِ الحكومة في التَّموين والتِّجارة والإعمار وما إلى هذا كلّه.. إلّا عن (الحَنَفيّات) التي يُكْرَهُ ذِكْرُها في (الكُتُب المدرسيّة) -وهي أوسعُ الكُتُب انتشارًا عندنا إذ تُطْبَعُ بملايين النُّسَخ - وإذ فيها يُتَفَصَّحُ الصُّنْبور، وليس (الحَنَفيّة) المُتَّهَمة بأنّها عامّيّة، على الرّغم من أنّ في (المعجم الوسيط) لِمَجْمَعَ القاهرة ط٢: «الحَنَفِيَّة: الصُّنْبور. نِسْبَةً إلى الحَنَفِيّ». ولم يَنْعَتْها بأنّها مُوَلَّدة كما نَعَتَها الزّبيديّ في (تاج العروس..) ثمّ البُستانيّ في (مُحيط المُحيط) ثمّ أخيرًا (المُعْجَم المَدْرسيّ) لمحمّد خير أبي حرب ووزارة التّربية السّوريّة بدمشق سنة ١٩٨٥ والذي خصّصها الحَنَفِيّة: «صُنْبور الماء مُوَلَّد». إذ لا يكفي ترجمتها بالصُّنْبور وهو في أصل اللغة؛ كما قال ابن فارس في (مقاييس اللغة) مَوْضُوع للنَّخْلَةِ وَضْعًا غير مُنْقاسٍ: «وأمّا الذي وُضِعَ وَضْعًا، وهو غير مُنْقاس عندي، فالصُّنْبور: النَّخْلَة تَبْقىٰ مُنْفَرِدَةً وَيَدِقّ أسفلها. والصُّنْبور: مَثْقبُ الحوض. والصُّنْبور: الرَّجُل الفَرْد الذي لا وَلَدَ له ولا أخ. والصّنْبور: القَصَبَة التي تكونُ في الإداوَة من حديدٍ أو رصاصٍ يُشْرَب بها». وفي (اللّسان.. والقاموس.. والتّاج..): «الصُّنْبورة والصُّنْبور جميعًا: النَّخْلَة التي... قَلَّ حَمْلُها وقد صَنْبَرَت. والصُّنْبور: سَعَفات يَخْرُجْن من أصل النَّخْلة. والصُّنْبور أيضًا: النَّخْلَة تَخْرُجُ من أَصْلِ النَّخْلة الأُخرى من غيرِ أن تُغْرَسَ فَيَقْطَعُونها حتّى لا تُضْوِيَها بأَخْذِ غِذائها.. والنَّخْلة المُنْفَرِدَة من جماعة النَّخْل. وقال أبو حنيفة: الصُّنْبور بغيرِ هاءٍ أَصْل النَّخْلة الذي تَشَعَّبَتْ منه العُروق... ورَجُلٌ صُنْبُور: فَرْدٌ ضَعِيفٌ ذليلٌ لا أهلَ له ولا عَقِبَ ولا ناصر.. من قريب ولا غَرِيْب.. فهو وَحِيْد..

(١) ألّف سيمون الحمصي كتابًا في الأمثال الشامية أصدرته دار طلاس بدمشق سنة ١٩٨٥ بعنوان (ألف ومئة من الأمثال الشامية).

ووصف الكُفّارُ الرّسولَ - ﷺ - بأنّه صُنْبور. . والصُّنْبور فَمُ القناة. . وقيل صُنْبور الحَوْض هو ثَقْبه الذي يَخْرُج منه الماء إذا غُسِلَ. . والصُّنْبور: الدّاهية. واللَّئيم. . .».

قلت: فلهذه المعاني المُتَنَوِّعة أَجِدُ تخصيصَه بصُنْبورِ الماء أدقّ. فماذا في تَطَوُّر مادَّة ح ن ف وأصلها التّالد؟

في (مقاييس اللغة): «ح ن ف: أَصْلُ مُسْتَقِيْم هو المَيْل: يقال للذي يَمْشي على ظُهور قَدَمَيْه: أَحْنَف، وقال قومٌ - وأراه الأَصَحَّ - إنّ الحَنَفَ اعْوِجاجٌ في الرِّجْل إلى داخل. . والحَنِيْف: المائل إلى الدِّيْن المُسْتَقِيْم؛ قال الله تعالى: ﴿ولكن كان حنيفًا مُسْلِمًا﴾ [السورة ٣ آل عمران الآية ٦٧] [وتكرَّر الوصف بالحنيف والحنفاء في القرآن الكريم في عشرة مواضع].

والأصل هذا، ثمَّ يَتّسِعُ تفسيره فيُقال: الحَنيف: الطّريق النّاسك، ويُقال: هو المُستقيم الطّريقة، ويُقال هو يَتَحَنَّف، أي يَتَحرّى أَقْوَمَ الطَّريق»: [وفي (المُجْمَل. .)[1]: أَقْوَم الطُّرُق].

وفي (القاموس. . والتّاج. . واللسان. . والأساس. .):

«. . وحَنَفَ يَحْنِف حَنَفًا وتَحَنَّفَ: مالَ، قالت دايَةُ[2] الأحنف بن قيس:

والله لـولا حَـنَـفٌ بِـرِجْـلِـه
ما كان في فِتْيانِكُم مِنْ مِثْلِهِ

وإنّما قيل للمائل الرِّجْل أَحْنَفَ تفاؤلًا بالاسْتِقامة. . وحَنِيْفَة أبو حَيّ من العرب. . وهم قَوْمُ مُسَيْلِمَةَ الكَذّاب. . . وحَسَب حنيف أي: حديث إسلاميّ لا قديم له؛ قال ابن حَبْناء التّميميّ [وفي أساس البلاغة: قال البُعَيْث]:

ومـاذا غَـيْـرَ أَنَّـكَ ذو سِـبـالٍ
تُمَسِّحُها، وذو حَسَبٍ حنيف

وتَحَنَّف فلان إذا أَسْلم، قال جِران العَوْد:

وَأَدْرَكْنَ أَعْجازًا من اللَّيْل بعدما
أقام الصَّلاةَ العابِدُ المُتَحَنِّفُ

والحَنيفيّة: ضَرْب من السّيوف منسوبةٌ إلى الأحنف بنِ قَيْس. . والقِياس: الأَحْنَفيّ. . .

وأَبُو حَنِيفة كُنْيَة عِشْرين رجلًا من الفقهاء أشهرهم النعمان بن ثابت الكوفيّ صاحب المَذْهب. . والحَنَفِيَّةُ: المنسُوبُون إلى هذا المَذْهب، ويقال لهم أيضًا: الأَحْناف. . .».

قلت سائلًا: أكانت سُمِّيَت (الحنفيّة) لأنّها تميل بِمَجْرَى الماء مَيْلًا مُفيدًا لِمُسْتَعْمِلِه؟ أم لاستعمال الأحناف أصحاب مذهب الحنفيَّة لها في وُضوئهم؟ ففي (تاج العروس) أشار الزَّبِيدي إلى أنّ «تَسْمِيَة المِيْضَأَة بالحنفيّة مُوَلَّدة».

فالصُّنْبُور أَقْدم وَضْعًا ولٰكنّه «غير منقاس» كما ذَكَر ابن فارس، وكثير من المَعاجِم وكُتُب اللُّغَة القديمة تُهْمِل المادّة الرُّباعِيَّة: ص ن ب ر كمثل (أساس البلاغة) و(مختار الصِّحاح) و(المِصْباح المُنير)، ولم أجد مُعْجمًا يُهْمِل مادّة الجذر: ح ن ف.

حاحَيْت

يقولون عِنْدَنا (حاحَيْت وما زِلْت أُحاحِي عليه من حِرْصي عليه واعْتِنائي به وحِمَايَتِه).

(١) (المجمل في اللغة) معجم آخر لابن فارس مؤلّف (المقاييس. .) ذاته.

(٢) دايته: في رواية (اللسان. .) وفي (التاج): «قالت حاضنته: . . . ما كان في صبيانكم كمثله» والأحنف بن قيس تابعيّ ولد في عهده - ﷺ - ولم يدركه؛ افتتح الروزنات سنة ٦٧هـ بالكوفة.

وفي (القاموس. .).

«حاحَيْتُ حِيحاءً: مُثِّلَ به في كُتُب التَّصْريفِ ولم يُفَسَّر.

وقال الأَخْفَشُ: لا نَظِيْر له سِوى: عاعَيْتُ وهاهَيْتُ». وفي حاشية شارِح على هامش الصَّفْحة في: ح ي ح من (القاموس): «قوله لم يُفَسَّر؛ قال ابن جنّي في: (سرّ الصّناعة)، في مَبْحَث اشْتقاق العَرَب أفعالًا من الأصْوات ما نَصُّه: وهذا من قولهم في زَجْر الإبل: حاحَيْت وعاعَيْت وهاهَيْت؛ إذا صِحْت فقُلْت: حا وعا وها. وبه تَعْلَم أنّها أفعالُ بُنِيَتْ من حِكاية أصوات. وأمثاله مشهورة في مُصَنَّفات النَّحْوِ، فما معنى قوله: لم تُفَسَّرْ؟ فتأمّل». ويُضِيْف الزّبيديّ في (التَّاج. .): «وأشَار إلى مِثْله ابن مالِك وغيره».

حَوْشٌ وحاشَ يَحُوشُ أو يَحِيْش والتَّحْوِيْش

الحَوْش: (في برّ الشّام) الدّار أو فِناؤها. والفِعْل حاش وانْحاش مُسْتَعْمَلٌ في الدّارجة المِصْريَّة: وفي (الوسيط) مُعْجَم المَجْمَع في القاهرة ط١ سنة ١٩٦٠م «حاش الدّوابَّ يحوشها حَوْشًا جَمَعَها وساقَها. وحَوَّشَ المال ونحوه: جَمَعَه وادَّخَره.

الحَوْش: حَوْش الدّار: فِناؤها. والحَوْش شِبْه حَظيرة تُحْفَظ فيه الأشياء والدَّوابُّ. الحَوْش: الإبل المُتَوحِّشة. ويُقال: رَجُلٌ حَوْش الفؤاد: حديده وذَكِيُّهُ». وقيلَ بفصاحتها محمَّد خليفة التّونسيّ في ص١٩-٢٠ من (كتاب العربي - الكتاب التاسع) أوكتوبر سنة ١٩٨٥م وعنوانه: (أضواء على لغتنا السّمْحة).

وفي قديم المُعْجمات ما يُفْضي إلى هذه المعاني، ففي مُعْجم أحمد بن فارس المُتَوفَّىٰ سنة ٣٩٥هـ (معجم مقاييس اللغة): «. . . وأصل الكلمة إنْ صَحَّت فمن التَّجَمُّع والْجَمْع، يُقال: حُشْتُ الصَّيْد وأَحَشْتُه إذا أخذته من حَواليه وجمعته لِتَصْرفه إلى الحبالة. واحْتَوَشَ القومُ فلانًا: جعلوه وسطهم. ويُقال: تَحَوَّشَ عنّي القوم: تَنَحَّوْا. وما ينحاش فلان من شيء، إذا لم يتجمّعْ له؛ لِقِلّة اكْتِراثِه به. قال [ذو الرّمّة]:

وبيضاء لا تَنْحاشُ مِنّا وأُمّها
إذا ما رأتنا زال منها زَوِيلها

ويُقال إنّ الحُواشَةَ الأمرُ يكون فيه الإثم؛ وهو من الباب لأنّ الإنسان يتجمّع منه وينحاش. وأنشد:

أرَدْت حُواشةً وجَهِلت حقًّا
وآثرت الغَواية غيرَ راض

ويُقال: الحواشة الاسْتِحْياء؛ وهو من الأصل، لأنّ المُسْتَحْيِيْ يَتَجَمَّعُ من الشّيء.

والحَوْشُ: أن يَأْكُلَ الإنسانُ من جَوانبِ الطَّعام حتّى [ينكهه] أو [ينهكه].

والحائش: جماعة النّخل: ولا واحد له» وتجدُ مثل ذلك في أغلب المُعْجمات القديمة كـ(أساس البلاغة) و(القاموس المُحيط) و. . . . . وبعد أن يَشْرَح ابن منظور محمّد بن مكرم المصريّ المُتَوَفّى سنة ٧١١هـ في مُعْجَمِه المَوْسوعيّ (لسان العرب) المادّة السّابقة، يُضيف نقلًا: «. . وفي الحديث: أنّه دخل حائِشَ نَخْلٍ فقضى فيه حاجته؛ وهي النّخل المُلْتَفّ المُجْتَمِع كأنّه لالتفافه يحوش بعضَه إلى بعض». وابن منظور في ذلك ناقل من محمَّد الجزريّ ابن الأثير المُتوفّىٰ سنة ٦٠٦هـ في كتابِهِ: (النّهاية في غريب الحديث والأثر)، وفي كتاب ابن الأثير وَرَدَ هذا الحديث في التّركيب: ح ي ش كما ورد في التّركيب ح وش قول الجزريّ ابن الأثير أيضًا: ومنه حديث سُمره: «وإذا عنده

ولدان فهو يَحُوْشُهُمْ ويُصْلِحُ بَيْنَهُم». ومنه حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أنّه دخل أرضًا له فرأى كلبًا فقال: أَحِيْشُوْهُ عَلَيَّ». ومن المعروف أنّ مُؤلّفي المعجم العربيّ كاللسان والتّاج قد احتَوَوْا كتاب (النّهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير الجزريّ، واستوعبوه كلّه في معاجمهم.

وفي (القاموس): «التّحويش: التّجميع.. قلت: أمن هذا تحويش الثّمر من الشّجر كما في عاميّة الشام؟

ففي الواويّ: يحوش نجد منَ المعاني المناسبة للتّطوُّر المجازيّ نحو الاستعمال الدّارج في عاميّة مصر، أقلّ ممّا نجد من المعاني المناسبة في اليائيّ منه»؛ ففي حاش يحوش نجد في (القاموس المحيط) للفيروزاباديّ: «حاش الصّيدَ: جاءه مِن حَوالَيْهِ لِيَصْرِفَهُ إلى الحِبالَةِ، كأحاشه وأحوشه.. واحْتَوَشَهُ القومُ. وتَحَوَّشَ: تَنَحَّى واستحيا.. وانحاش عنه: نَفَرَ وَتَقَبَّضَ». فإذا لم نطمئنّ إلى لفظها بالواو، وظنَنّا أنّهم أبدلوها فعلى مَظِنَّة شبه التّحريف في فِصاح العامّة في مصر من الياء إلى الواو، فلْنتأمّل في:

حَاشَ يحيش

قال الفيروزاباديّ في (القاموس): «حاش يحيش: فَزِعَ، وفلانًا: أَفْزَعَهُ (لازم مُتَعَدّ). وانْكَمَشَ وأسرع، والوادي امتدّ، وَتَحَيَّشَتْ نفسُه: نَفَرَت وفَزِعت. والحَيْشانُ: الكثيرُ الفَزَعِ أو المذعُور مِنَ الرِّيبَةِ».

وقال الحَسَن بن محمّد الصّغانيّ المتوفّى سنة ٦٥٠هـ في (التكملة..)[1]:

ح ي ش: أهمله الجوهريّ: وقال ابن الأعرابيّ وابن دريد: حاش[2] يحيش حيشًا، إذا فزع، أنشدَ ابن دريد للمُتَنخِّل الهذليّ:

ذلك بزّي وسليهم إذا
ما كفت الحَيْشَ عن الأرجل[3]

وفي حديث عمر - رضي الله عنه - أنّه[4] قال لأخيه زيد - رضي الله عنه - حين ندبّ لقتال أهل الرِّدَّة فتثاقل: «ما هذا الحَيْشُ والقِلُّ؟»، القِلّ: الرّعدة.

والحَيّشانُ: الكثيرُ الفَزَع.

ويُقال للمرأة المذعورة حَيْشانة.

وَتَحَيَّشَ: تَفَعَّلَ؛ ومنه حديث النّبيّ (ﷺ)[5]: «أنّ قومًا أسلموا على عهده، فَقَدِموا بِلَحْمٍ إلى المدينة، فتحيّشت أَنْفُس أصحابه وقالوا: لعلّهم لم يُسَمُّوا، فسألوه فقال: سَمّوا أنتم وكلوا»، ويُروى: «تجيَّشت» بالجيم، أي جاشت ودارت للغَثَيان.

قُلْت: أمّا د. عبد المنعم سيّد عبدالعال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) ص٢٠٧ فنقل من (القاموس): «حاش الإبِلَ: جَمَعها ومَنَعَها من السَّيْر، وفي هذا يقول قَيْس بنُ ذريح (٣٣٠٨ الأغاني):

زَيَّمْنَ فما تَنْحاشُ منهنّ شارِفٌ
وحالَفْن حَبْسًا في المُحُولِ وفي الجَدْب».

وقَبِل د. عبد المنعم فصاحة: حاشَ، وحَوَّش، وانْحاشَ، والحَوْش.

(١) ج ٣ ص ٤٧٠ من: (التكملة والذيل والصلة لكتاب الجوهري): تاج اللغة وصحاح العربية للصّغانيّ ط. مجمع القاهرة سنة ١٩٧٣م.

(٢) الجمهرة ٢/١٦١.

(٣) ديوان الهُذَليّين ٢/١٣.

(٤) النّهاية لابن الأثير ١/١٦٧.

(٥) النّهاية لابن الأثير ١/١٦٧.

حايِص من حِيص بِيص

في الشّام: حاصَ ولاصَ.. وحيصَ بيصَ.

وفي الجزائر: حَوَّسَ..

حين قرأت في سلسلة مقالات الشاعر شفيق جبري (بقايا الفصاح) عن قولهم حاصَ ولاصَ في (مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق) ص٧٣٥ أي في الْجُزء الرّابع من المُجلَّد الرّابع والخمسين في سنة ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

.. لم أكُنْ أبغي إلّا الحَيْصَ عن كلِّ ما هو معروفٌ من فصيح العوامّ فلا يَحْتاجُ إلى تعريف كَمِثْلِ الفِعْلِ: حَاصَ عنه يَحيص حَيْصًا وَحَيَصانًا، وفطّوم حِيْص بِيْص صاحبةُ فندقِ (صحّ النّوم) في مُسَلْسَل غوّار، للفنّانَيْن دُرَيْد لحّام ونِهاد قَلْعِي، وهي شخصيّةٌ أجادَت تَمْثيلَها الفنّانة نجاح حَفِيظ في السَّبْعِينيّات على شاشاتِ الرّائي (التِّلفاز) كما هو معروفٌ مشهور و(حيص بيص) تقال في عامّيّة مصر أيضًا وقد كتب عنها: د.عبد المنعم سيّد عبدالعال..

ولٰكنّي سَمِعْت مَنْ يُجَادِل في فصاحة: حَاصَ يَحيصُ لأنَّ العامَّة تَقُولها في المضارع بالواو ويَحُوص، فقلْتُ: هذه يَحوسُ مُبْدَلة: التّصاقب من السِّين صادًا وقد تقال: يَحوس كما في عامّيّة الجزائر وكما في الفصيح أيضًا.

أمّا الحَيْصُ البَيْصُ فقد وَرَدَت في الفصيح كما يُعرَف..

ثمّ قَرَأت لدى أحمد أبو سعد في (قاموس المصطلحات والتّعابير الشّعبيّة): ص٢٤٩.

«حايص: قَلِق، أو وَاقِع في حيص بيص، أي في اختلاط لا مَحِيْص له عنه في الآراميّة: حَاصَ بمعنى ضَجِرَ وقَلِقَ. ولِذَا فربّما كانَ من جَذْرٍ سامِيٍّ مُشْتَرَك».

قلْتُ: ولٰكن في (مختار الصحاح) مُختَصَر الرّازي لمعجم الْجَوهريّ: (تاج اللغة وصحاح العربيّة): «حَاصَ عنه: عَدَلَ وَحادَ وبابُه باع [أي: يَحيص حيصًا].

وَحُيوصًا ومَحيصًا ومَحاصًا وحَيَصانًا. ووقع في حَيْصَ بَيْصَ. ويُقَال: ما عنه مَحِيْصٌ؛ أي: مَحِيْدٌ وَمَهْرَب. والانْحِياصُ مِثْلُه».

أمّا «الحَوَص [بالواو]: فهو ضِيقٌ في مُؤَخَّرِ العين وبَابُه طَرِبَ [حَوِصَ يَحْوَصُ حَوَصًا].

وقيل: هو الضِّيق في إحدى العَيْنَيْن».

فَعُدْت إلى ابن مَنظور في (لسان العرب) لأختارَ منه النُّقولَ المُناسبةَ: «الحَيْص: الحَيْدُ عن الشيء. حاصَ عنه يَحيصُ حَيْصًا: رَجَعَ. ويُقال: ما عنه مَحيصٌ أي مَحِيْد وَمَهْرَبٌ، وكذلك المَحَاصُ، والانحياصُ مثله.. وحاصَ عن الشَّرِّ: حادَ عنه فسَلِمَ منه، وهو يُحايِصُني.. ومنه المُحايصةُ، مفاعَلَةٌ، من الحَيْصِ العُدولِ والهَرَبِ من الشّيء.. وفي حديث أَنَسٍ: (لمّا كان يومُ أُحُدٍ حَاصَ المُسلمون حيْصَة، قالوا: قُتل محمّد).

والحِيَاصَة سَيْرٌ في الحِزَام.. وفي كتاب ابن السِّكّيت في القَلْب والإبدال في باب الصّاد والضّاد: حاصَ وحاضَ وجاضَ بمعنًى واحد؛ قال: وكذلك ناص وناض.

ووقع القوم في حَيْصَ بَيْصَ وحِيصَ بِيصَ وحَيْصِ بَيْصِ وحاصِ باصِ؛ أي: في ضِيقٍ وشِدَّةٍ، والأصلُ فيه بَطْنُ الضَّبِّ يُبْعَجُ فَيُخْرَجُ مَكْنُهُ وما كان فيه ثمّ يُحاص، وقيل: أي في اختلاط من أمر لا مَخْرَجَ لهم منه.. والحَيْص: الرَّواغ والتَّخَلُّف..

... وفي حديث أبي موسى: (إنّ هذه الفِتْنة حَيْصة من حَيَصات الفِتَن) أي روغَةٌ منها عَدَلَتْ

إلينا.. وحكى أبو عَمْرو: إنّك لتحسب عليّ الأرض حَيْصًا بَيْصًا؛ ويُقَال: حِيْصٍ بِيْصٍ؛ قال الشّاعر:

صارت عليه الأرضُ حِيْصٍ بِيْصِ

حتّى يَلُفَّ عِيصَه بِعيصي

قال: وفيها لُغاتٌ عِدَّة لا تَنْفرِد إحدى اللَّفْظتين عن الأُخرى، وحَيْصَ من حاصَ إذا حاد، وبَيْصَ من باصَ إذا تَقَدَّمَ...».

فإنْ قلت: حاص يحيص الفصيح يائيّ، والعامّيّ واويّ، يحوص، والواويّ منه في الفصيح بَعيد المعنى عن الاسْتعمال العامّيّ فانْظُر في (اللسان..): «حاص الثّوبَ يَحوصُه حَوْصًا وحِياصةً خاطَهُ... ومنه قيل للعين الضيّقةِ، حوصاء، كأنّما خِيط بجانب منها.. والحَوَصُ ضِيْقٌ في مُؤخَّر العَيْن حتّى كأنّها خِيْطَت.. وقال ابن برّي: الحَوْص: الخِياطَة المُتباعِدَةُ.. قال أبو زيد: لَأَطْعَنَنَّ في حَوْصِك أي لأكِيدَنَّك وَلَأَجْهَدَنَّ في هَلاكِك. وقال النَّضْرُ: من أمثال العرب: (طَعَنَ فلان في حَوْصٍ ليس منه في شيء) إذا مَارَسَ ما لا يُحْسِنُه وتكلّف ما لا يَعْنِيه.

وقال ابنُ بَرّي: ما طَعَنْتَ في حَوْصِه أي ما أَصَبْتَ في قَصْدك... ويُقال: هو يحاوص فلانًا؛ أي: ينظرُ إليه بِمُؤْخَّرِ عَيْنِه ويُخفي ذلك...». وهذه معانٍ بعيدةٌ عن المعاني العامّيّةِ في: يحوص..

فأقولُ: علينا إذًا أنْ نجدَ المعانيَ العامّيّةَ في فِصَاح: حاسَ يَحوس ولا سيّما أنّ الْجَزائريّين ولعلّ عامّة المَغَارِبة أيضًا... يَنطِقُونها بالسّينِ في عامِّيّتهم، وهي من فصاح اللفظ والمعنى، ففي (اللسان..) أيضًا: ح وس: «التَّحَوُّسُ: الإقامةُ مع إرادة السَّفَرِ؛ كأنّه يريدُ سَفَرًا ولا يتهيّأ له، لاشْتِغَالِهِ بِشَيْء بَعْدَ شيء، وأَنْشَدَ المُتَلَمِّس يخاطِبُ أخاه طَرَفَةَ [قُلْتُ: أو ابنَ أُخْتِه].

سِرْ قَدْ أَنَى لك أيُّها المُتَحَوِّسُ

فالدَّارُ قَدْ كادَتْ لِعَهْدِكَ تَدْرُسُ

وقد حَوِسَ حَوَسًا. والأَحْوَسُ أيضًا: الذي لا يَبْرَحُ مَكانَه أو يَنالَ حاجَتَه.

ويُقال للرّجل إذا ما تَحَيَّسَ وَأَبْطَأَ: ما زال يَتَحَوَّسَ»... وقَبْلَه في مادّة الْجَذر ذاتِه: «ورَجُل حَوَّاسٌ غَوّاسٌ: طَلّابٌ باللّيْلِ... وكلّ مَوْضِعٍ خالَطْتَهُ وَوَطِئْتَهُ، فَقَدْ حُسْتَهُ وَحُبِسْتَه». وفي الحديث: «أنّه رأى فلانًا وهو يخاطبُ امرأة تَحوسُ الرِّجالَ»؛ أي: تُخالِطُهم. والحديثُ الآخرُ: «قال لِحَفْصَةَ: أَلَمْ أَرَ جارِيَةَ أخيكِ تَحُوسُ الناسَ؟»...

حاوَطَ

الزّبيديّ في (تاج العروس)

«... ومن المَجازِ: حاوَطَ فلانٌ فلانًا إذا داوَرهُ في أَمْرٍ يُريدُهُ منهُ وهو يأباهُ، كأنّ كلًّا منهما يَحوطُ صاحِبَه. قال ابنُ مُقبِل:

وَحَاوَطَنِي حتّى ثَنَيْتُ عِنانَهُ

علىٰ مُدْبِرِ العلباء رَيَّانُ كاهِلُهْ

وفي (أساسِ البلاغةِ): حاوِطْهُ فإنّه يَلينُ لَك أيْ: داوِرْه كأنّك تَحوطُه وهو يَحوطُك... وكَرْم مُحَوَّط كمعَظَّم بُنِيَ حَوْلَه حائِطٌ كما في الصِّحاح. قال: ومنهُ قولُهم أنا أُحَوِّطُ حول ذلك الأمرِ أي أَدُورُ، وهو مَجازٌ.. وقال أبو عمرو حَوِّطُوا غُلامَكُم أي أَلْبِسوُه الحوط قُلْتُ: ومنه التَّحْوِيطةُ اسْمٌ لما يُعَلَّق على الصَّبِيّ لِدَفْعِ العَيْنِ: يَمانِيّة..». ا.هـ. الزّبيديّ.

قُلْتُ: هذه المُحاوطةُ المُسْتعملَةُ في عامّيّةِ الشّامِ، والتّحويطةُ لِدَفْعِ العَيْنِ عن الطِّفْلِ أيضًا..

خ

الخَبِيصَة والتَّخْبِيص والخَلْبَصَة في اللغة

الخَبْص بمعنى الخَلْط في العامّيّة فصيح تذكره المعاجم، وتذكر معه حَلْواء الخَبِيْص أو الخَبِيْصة الشَّعْبِيَّة المعروفة اليوم، ولٰكنّ «التّخبيص» في نُقول المُؤلِّفِيْن المُعْجَمِيِّين اجْتَذَبَني لأَتحقّق من حَلْوَيات كلِّ خبيصة لهم:

ذلك أنّ أحمد رضا العامليّ ذكر في ص٦٧ من مقدّمة مُعْجَمِه (متن اللغة) بعنوان: «من أغلاط الأئمّة لسبق الوهم والقلم» تفريعًا لعنوان سابق في وسط الصّفحة ٦٤ من المقدّمة ذاتِها: (من أوهام الأعلام)، وَهْمًا لابن منظور؛ فقال فيه:

«وأَوْرَدَ صاحبُ اللسان: (خَبَص خَبْصًا) بمعنى: عَدا عَدْوًا شديدًا؛ قال صاحب التّاج: أهمله الْجَوهريّ، وأورده صاحب اللسان والصّاغانيّ، قلت: وهو تصحيف: جَنَص جَنْصًا، بالجيم والنون.» ا.هـ. أحمد رضا العامليّ.

وَعُدْتُ إلى مادّة الْجَذْر خَبَصَ في (لسان العرب) لابن منظور طبعة بيروت سنة ١٩٥٦ فلم أجد: «خَبَصَ خَبْصًا؛ بمعنى: عدا عَدْوًا شديدًا» وها أنا أنقل هذه المادّة كما وَرَدَت فيه: «الخَبْصُ فِعْلُك الخَبيصَ في الطَّنْجِيرِ، وقد خَبَصَ خَبْصًا وخَبَّصَ تخبيصًا، فهو خَبِيصٌ مُخَبَّصٌ مَخْبوصٌ. ويُقال: اخْتَبَص فلانٌ إذا اتَّخذ لِنَفْسِه خبيصًا.

والخَبِيْص: الحَلْواء المخبوصةُ معروف، **والخَبيصةُ أَخَصُّ** منه. وَخَبَصَ الحَلْواءَ يَخْبِصُها خَبْصًا وَخَبَّصَها: خَلَطَها وَعَمِلَها. والمِخْبَصَةُ: التي يُقَلَّبُ فيها الخَبِيْصُ، وقيل: المِخْبَصَةُ كالمِلْعَقَة يُعْمَلُ بها الخبيص.

وَخَبَصَ خَبْصًا: مات. وخَبَصَ الشّيءَ بالشّيء: خَلَطَهُ». اهـ. ابن منظور في (لسان العرب). فَعُدْت أفتّش في (تاج العروس من جواهر القاموس) طبعة دار صادر بيروت سنة ١٩٦٦، والنّاشر دار ليبيا ببنغازي فوجدت قوله: «وممّا يُسْتَدْرَك عليه: خَبَص خَبْصًا مات كما في (اللسان) وقد تصحّف عليه وصوابه جَنَص بالجيم والنون كما تقدّم. والتّخبيص الرّعب في قَوْل عبيد المُرّي:

وكـاد يـقـضـي فَـرَقًـا وخـبّـصـا

هكذا في أصل ابن برّي وخبّصا بالتّشديد قال صاحب (اللّسان) ورأيت بخطّ الشّيخ تقيّ الدّين عبدالخالق بن زَيْدان وخبصا بالتّخفيف وبعده والخَبْص الرُّعب قال وهذا الحَرْف لَم يَذْكُرْه الْجَوهريّ. قلت: وهو تصحيف والصّواب وجنصا بالجيم والنّون كما ضَبَطه الصّاغانيّ وغيره». اهـ. الزّبيديّ في (التاج).

وَعُدْت أُفتّش في مادّة (جَنَص) في كلٍّ من (اللسان والتّاج ومَتْن اللغة) فلم أجدْ ما يُفيدني أو يَزيدُني.. سوى أنّ جنّص: مات أو رُعِبَ رُعْبًا شديدًا.

أمّا ما يَنْقُلُه التّاج من (اللسان) من قول عبيد المُرّي:

وكـاد يـقـضـي فَـرَقًـا وخـبّـصـا

فلم أجدْه في اللسان في (كاد) ولا في (قضى) ولا (فرق) ولا (خبص)..! ولٰكنّي وجدته بالمصادفة

في مادّة التّركيب (خَلْبَص)، ولولا المُصادفة لما وجدته، ولما اكْتَشَفْت أنّ ابن منظور يعود إلى مادّة التّخبيص فيتحدّث فيها تحت عنوان الخَلْبَصة! قال ابن منظور: «خَلْبَص: الخَلْبَصَةُ: الفِرار، وقد خَلْبَصَ الرَّجُلُ؛ قال عبيد المُرّي:

لـمـا رآنـي بـالـبِـرازِ حَـصْـحَـصـا
في الأرض مِنّي هرَبًا، وخَلْبَصا
وكـاد يَـقْـضـي فَـرَقًـا وَخَـبَّـصـا
وغـادَرَ الـعَـرْمـاءَ فـي بـيـت وصـى

والتّخبيص: الرُّعب. والعَرْماء: الغُمَّة. رأيت في نسخة من أمالي ابن برّيّ ما صوَّرتُه كذا في أصل ابن برّيّ، رحمه الله: وَخَبَّصا، بالتّشديد، والتّخبيص على تفعيلٍ، قال: ورأيت بِخَطّ الشّيخ تقيّ الدّين عبدالخالق بن زَيْدانَ: وخَبَصا، بتخفيف الباء، وبعده والخَبَص الرُّعْب على وزن فَعَل، قال: وهذا الحَرْف لم يذكره الْجَوهريّ.» ا.هـ.

وبقي بعد انتهاء نَقْلي من (لسان العرب): خَلْبَص، أنْ أَنْقُلَ للقارئ الحاشية (٢) لمن يرغب في التّفقّه بِبَيْتَيْ عبيد المُرّي: «(٢) قولُه «العَرْماء في بيت الخ» كذا بالأصل. وقَوْلُهُ وصى يقال وصى النَّبْت اتَّصَل بَعْضُه ببعض، فلعلّ قَوْلَه بَيْت مُحَرَّفٌ عن نَبْت بالنّون. وقوله والعَرْماء الغُمَّة، في القاموس: العَرْماء الحيّة الرّقْشاء».

وما أكثرَ ما ألحّت المَعاجِم على الاسْتشهاد بِبَيْت الفرزدق في حقّ أبي المُثَنّى، عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ الثَّقَفِيّ والي العراق:

تَـبَـنَّـكَ بـالـعـراق أبـو الـمُـثـنّـى
وَعَـلَّـمَ قـومَـه أكـلَ الـخَـبِـيـصِ

تَبَنَّكَ: أقام وتمكّن في عزّه.

وعن البستانيّ في (محيط المحيط): «.. والعامّة تقول: خبص العِنَبَ ونحوه وخَبَّصَه تخبيصًا؛ أي: مَعَكَهُ. وخبَص في أعماله: تَوَرَّط فيها بِجَهالة. وخبَّص المريضُ: تناول ما يضرُّه. وانخبصت المَسْأَلَةُ: فَسَدَت. الخَبيصُ نوع من الحلاوات تَعْمَلُه العرب من التَّمْرِ والسَّمْنِ، والحَضَرُ من الأَرزّ والدِّبْس وهو مأخوذ من الخَبْص بمعنى الخَلْط. والخبيصة: الخبيص أو أَخَصّ منه. ومنه قول الحريري في مقامته الأولى:

لبست الخميصة أبغي الخبيصةْ
وأَنْشَبْتُ شِقِّيَ في كُلِّ شِيصةْ

الخَبّاص: المُقْتَحِم في أَعْماله غيرَ مُحْتَسِبٍ للعواقب، وهي من اصطلاح العامّة».

خَبَّطَ

ممّا لم تَذْكُرْه المُعْجَمات: خَبَّطَ وقد.. اعتَدْت أنْ أجد في معجمَي أحمد بن فارس المتوفّى سنة ٣٩٥هـ وهما (مُعجَم مقاييس اللغة) ومُعْجَمُه الآخر (المُجْمَل) ما لم تَتَلَقَّطْهُ أكثر المعاجم وكتب اللغة، ولٰكن، في خ ب ط وَجَدْت الْجَديد فيما ورد في (كتاب الأضداد في كلام العرب) لعبدالواحد بن عليّ اللغويّ[1] الحلبيّ (قال قُطْرُبٌ[2]: ومن

(١) ص ٢٦٠ – ٢٦١ من ج الأول من كتاب أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي المتوفّى سنة ٣٥١هـ. (كتاب الأضداد في كلام العرب) من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٣٨٢هـ = ١٩٦٣م. عُنِيَ بتحقيقه الدكتور عزة حسن.

(٢) [قطرب: هو أبو علي محمد بن المُسْتنير المعروف بِقطرب النّحْوي اللغويّ البصريّ (توفي سنة ٢٠٦هـ) وهو أوّل مُؤلِّف كَتَب في الأضداد.) وطَبَع كِتَابه المُسْتَشْرِق هانز كوفلر في مجلة Islamica – (إسلاميكا) المجلد الخامس سنة ١٩٣١م ص ٢٤٧ – ٢٩٣)] عن كتاب الأضداد (١) لعبد الواحد.

الأضْداد الخابط. قال: فالخابط النائم، والخَابِط الذي يَخْبِطُ بيديه. ويُقال: خَبَطَ الطِّيْنَ، يَخْبِطُه خَبْطًا، إذا اضطرب فيه. وخَبَطَ البعيرُ بيدَيْه، إذا ضَرَبَ بِهِما. وكلُّ شَيءٍ ضربته بِيَدِك فقد خَبَطْتَه وخبّطته وَتَخَبَّطْتَه...).

فوجِئْتُ باسْتعماله (خَبَّطَ): الرّباعيّ مزيد الثّلاثيّ بتضعيف عَيْنه، وأَذْكُر أَنّي لم أَجدْه في المُعْجَماتِ وكُتُبِ اللغة، قَديمِها والحديث، حينما كنت أحاول تحقيق فَصاحَة العِبَارة العَامّيّة المصريّة (مَن الذي يُخَبِّط على الباب). ويَوْمَها تَحقَّقْتُ مِنْ أنّ قولهم: خَبَط على الباب، انفرد بذكرها من القدماء الزّبيديّ في (تاج العروس..) فالْتَقَطها (المعجم الوسيط) معجم مجمع القاهرة.. ولكنّها بَقِيَت للفعل الثّلاثيّ بدون تضعيف عَيْنِه. أمّا هذا المضعّف العين الذي أورده عبدالواحد عن قُطْرُب، وكلاهما حجّة يَروي عنه أصحاب المُعْجَمَات المعروفَة فقد عُدْت أتحقّق مرّة أخرى من إغفالهم إيّاه في الكُتُب والمعجَمَات التّالية التّأليف ممّا بعد قُطْرُب وعبدالواحد وحتّى الآن.. فَوَجَدْت المُسْتَشرِق (دوزي) في (تَكْمِلة المعاجم العربيّة - أو مُسْتَدْرَك المعجمات العربيّة) أشَارإلى أنّ (خبّط) المضعّف العَيْن استعمله ابن جَزْلة العالِم الأندلسيّ في مخطوط له عن الأدوية موجود من الأندلس[1].

خَدَشَهُ وَخَرْبَشَهُ وَخَرْمَشَهُ وَخَرْفَشَهُ وَخَشْرَبَهُ وَخَرْشَبَهُ وَخَشَبَهُ

من مظاهرِ الاشْتقاقِ الكبيرِ والنّظريّة الثّنائيّة..

من مظاهر القلب والإبدال في فصيح العوامّ

(١) خَدَشَهُ وخَرْبَشَهُ وَخَرْمَشَهُ وَخَرْفَشَهُ وَخَرْشَبَهُ وَخَشْرَبَهُ وخَشَبَهُ.

للفيروزاباديّ في (القاموس المحيط) كما في العامّيّة في أيّامنا: «خَدَشَهُ يَخْدِشُهُ: خَمَشَهُ، والجِلْدَ: مَزَّقَهُ؛ قَلَّ أو كَثُرَ، أو قَشَرَه بعودٍ ونحوه.. والْخَدْش اسْم لذلك الأَثَر. جَمْعُه: خُدُوش».

ويقول الفيروزاباديّ في (القاموس): «خَرْبَشَ الكِتابَ: أَفْسَدَهُ» ويَزيد عليه الزّبيديّ في (تاج العروس..) مضيفًا من ابن منظور في (اللسان..) وغيره.. كما هو معروف عنه: «وكذلك خَرْبَشَةُ العَمَلِ إفسادُه، ومنه يُقَال: كَتَبَ كتابًا مُخَرْبَشًا، أي: فاسدًا، وكذلك الخَرْمَشَةُ... وممّا يُسْتَدْرَكُ عليه: خَرابيش الخطّ ما أُفْسِدَ منه كأنّهُ جَمْعُ خِرْباش أو خَربوش.».

«المُخَرْفَشُ: المُخَلَّط. وقد خَرْفَشَهُ خَرْفَشَةً: خلّطه».

«خَرْمَشَ الكتابَ والعملَ: أفسده وَشَوَّشَهُ، وكذلك الخربشةُ، والباء والميم يَتَعاقَبان. وقال ابنُ دريدٍ: خَرْمَشَ الكتابَ كلامٌ عربيٌّ معروفٌ وإن كان مُبْتَذَلًا»!

«خَشْرَبَ العَمَلَ: لم يُحْكِمْهُ ولم يُتْقِنْهُ، كَخَرْشَبَهُ وخَشَبَهُ».

«خَشَبَهُ يَخْشِبُهُ خَشْبًا بِهِ: خلَطَه بِهِ. وخَشَبَهُ: لم يُحْكِمْه ولم يُجَوِّدْه ولم يَصْقُلْه. وَخَشَبَهُ: صَقَلَه وشَحَذَه وانْتَقاهُ (ضدّ). وخَشَبَ السّيفَ والنَّبْلَ: بَرَاه الْبَرْيَ الأوّلَ ولم يُسَوِّهِ، فإذا سَوّاهُ قال: قد خَلَقْتُه؛ أي: لَيَّنْتُهُ؛ من الصَّفاةِ الخَلْقاء وهي الملساء.

وخَشَبَ الشِّعْرَ: قاله من غير تَنَوُّقٍ.. وشِعْر خَشِيْبٌ وَمَخْشُوْب».

(١) ص ٣٤٩ و٣٥٠ من Supplementaux Dictionnaires Arabes ط. بيروت لبنان ١٩٦٨ وص XXIII من مقدمته.

(٢) انْخَشَّ وَخَشْخَشَ وَتَخَشْخَشَ وخَرْفَشَ وخَرْمَشَ

قال الصّغانيّ في التّكملة[1]:

وانخشَّ الرّجلُ في القومِ انْخِشَاشًا: إذا دَخَلَ فيهم.

وقال ابنُ دريدٍ: تَخَشْخَشَ في الشيء، إذا دخلَ فيه حتّى يَغِيبَ، وكذلك خَشْخَشَ[2]، قال ابن مقبل:

وخَشْخَشْتُ بِالعَنْسِ[3] في قَفْرَةٍ
مَقيلِ ظِباءِ الصَّرِيمِ الحُرُنْ

أي أدخلت.

وخَشَشْتُ فلانًا شيئًا: ناولتُه في خَفَاء.

[ولِلخَشِّ والخَشْخَشَة تَفَاصِيل أخرى نَعود إليها].

الخَرْفشةُ: التّخليطُ. الخرْمشةُ: الخرْبَشَةُ.

الخَرْبَقَة (لا الخَرْبَطَة)

للعامّةِ في (الخَرْبَقة) و(الخَرْبَطَة) و(اللّخْبطة) استعمالاتٌ قريبة من المعنى الفصيح للخَرْبقة:

قال الفيروزاباديّ في (القاموس المحيط):

«الخَرْبَقُ... وسرعةُ المَشْي كالخَرْبَقَةِ... وخَرْبَقَهُ: شقَّه وقَطَعَهُ. والعَمَلَ: أَفْسَدَهُ، والغَيْثُ الأرضَ: شَقَّقَها... والمُخَرْبَقَة؛ للمفعول: المرأةُ الرَّبوخُ والخَرْبَقَةُ، مِن زجر العَنْز. والاخْرِنْباق: انْقِماع المريب واللصوق بالأرض...».

وقد أشار أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ...)[4] إلى احتمال أنْ تكون (خَرْبَطَ) من: «خَرْبَق العَمَلَ إذا أفسده، فالقافُ والطّاءُ يتعاقبانِ في الفصيحِ، أو إنّ (خَرْبط) مِن: خبط».

الخَرْطُ والتَّخْريطُ

أَغلَبُ ما في مادَّةِ الْجَذْرِ خ ر ط من العباراتِ العامّيّةِ، فصيحُ الأصلِ، واردٌ في مُعْجَمِ العربيّة، وهي عباراتٌ عديدةٌ في عامّيّتِنا، وعرَفْنا منها ما يلتقي والعامّيّةَ المِصْريّةَ في قول د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة):

«نقولُ في دارجتنا: أكلَ طعامًا غيرَ جيّد فَخَرَّطَ مَصَارِيْنَهُ: أَمْغَصَهُ وَأَمْشَىٰ مصارينَه. وفي القاموس: خَرَطَ الدَّواءُ فُلانًا وخَرَّطَهُ: أمشاهُ».

قُلْتُ: وعامّةُ الشّامِ تقولُ هذا، وتقولُ أيضًا مِثْلَ ما وَرَدَ في (لسان العرب) لابن منظور: «الخَرْطُ: قَشْرُكَ الوَرَقَ عن الشَّجَرِ اجتِذابًا بِكَفِّكَ، وأنشدَ:

إنَّ دُونَ الذي هَمَمْتَ بهِ
مِثْلَ خَرْطِ القَتادِ في الظُّلُمَهْ

وخَرَطْتُ العُوْدَ أَخْرُطُه وأخرِطُه خَرْطًا: قَشَرْتُه.

(١) الحسن بن محمد بن الحسن الصّغاني المُتوفّى سنة ٦٥٠هـ (التّكملة والذّيل والصّلة؛ لِكتاب: تاج اللغة وصِحاح العربية: للجوهري). ج٣ ص٤٧٢ ط. مجْمع القاهرة سنة ١٩٧٣ في سِتّة أجزاء تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ومُراجعة مهدي علّام.

(٢) الجمهرة: ٣/ ١٩٣.

(٣) الديوان ٢٩٢. وفي الجمهرة. وفي اللسان (بالعيس).

(٤) أحمد رضا العامليّ في: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح). الطبعة الثّانية: دار الرّائد العَرَبيّ ببيروت ١٩٨٠ الصفحة ١٥٠ مادّة: خربط. ويشير أحمد رضا إلى: «القلْب والإبْدال في (اللخبطة) ونظيرُه في قول العامّة: (اصطفل) بمعنى: أتى بما شاء من فصول عمله، وهو من افتصل، وهي افتعال من الفَصْل واحد الفصول» ا.هـ. رضا وأُحيلُ القارئ على: الاصطفلين في باب الألف. وهي عبارة معَرَّبة تدلّ على: الجزر. أو قد يكون أصلُها من قولهم: يصطفي له اصطفاء.

وخَرَطَ الشّجرَة.. انْتزعَ الوَرَقَ واللحاءَ عنها اجْتذابًا. وَخَرَطْتُ الوَرَقَ: حَتَتُّهُ؛ وهو أنْ تَقبضَ على أعلاهُ ثمّ تُمِرُّ يَدَكَ عليه إلى أَسْفَلِهِ. وفي المَثَل: دونَه خَرْطُ القَتاد.

قال أبو الهيثم: خَرَطْتُ العنقودَ خَرْطًا إذا اجْتَذَبْتَ حَبَّهُ بجميعِ أصابِعِكَ، وما سَقَطَ منه فهو الخُراطةُ. ويقالُ: خَرَطَ الرّجُلُ العُنْقودَ واخْتَرَطَهُ إذا وَضَعَه في فيهِ وأخرجَ عُمْشُوشَهُ، أي عُرْجُونَه عاريًا؛ وفي الحديث أنّه - ﷺ - (كان يأكل العنبَ خَرْطًا)..».

قلْتُ: تضيفُ العامّةُ إلى هذا.. تَخْريط الخُضَرِ والبَقْلِ: تَقْطيعُها.. ويرى أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) أنّ «الأصلَ في هذه: قرّط» فقلت: ولٰكن خَرَط يخرِطُ «من بابَي ضَرَب وقَتَل» كما يقول عنهما الفيّوميّ في (المصباح المنير) يمكنُ أن يُعدَّ أصلًا لِخرْطِ البَقْلِ من بُقولِ الفاصولياءِ ذاتِ القرونِ الطّويلة وأمثالِها..

وقريبٌ من هذا المعنى خَرَطَ الخرّاطُ في الصّناعاتِ الخشبيّةِ والمعدنيّةِ ومكانُها: المَخْرَطَةُ وَجَمْعُهُ المَخارِط، ولقد وَرَدَ في (اللسان..):

«وَخَرَطْتُ الحديدَ خَرْطًا، أيْ طَوَّلْتُه كالعَمود... ورجلٌ مَخْروطُ الوَجْهِ في وجهِهِ طُوْلٌ مِن غَيْرِ عِرَضٍ وكذلك مخروط اللحية إذا كان فيها طولٌ من غير عِرضٍ، وقد اخْرَوَّطَتْ لِحْيَتُهُ. واخْرَوَّط بهم الطّريقُ والسّفَرُ: امتدَّ، قال العجّاج:

مُخرَوّطًا جاءَ من الأقطار

وقال أعشىٰ باهلة:

لا تأمَنُ البازِلُ الكَوْماءُ ضَرْبَتَه
بالمَشْرَفِيِّ إذا ما اخروّط السَّفَرُ

والخريطة: هَنَةٌ مثلُ الكيسِ تكونُ من الخِرَقِ والأَدَمِ تُشْرَجُ على ما فيها، ومنهُ خرائطُ كُتبِ السّلطانِ وعُمّالِهِ. وأَخْرَطَها: أَشْرَجَ فاها. ويُقال للشَّرَك إذا انْقَلبَ على الصَّيْد فَعَلِقَ برجلِهِ: قد اخروّطَ في رِجلِهِ..

واخْروّاطُها: امْتدادُ أُنْشوطَتِها... وانْخَرَط جِسْمُه؛ أيْ: دَقَّ.

والمِخرَاطُ: الحَيَّةُ التي من عادتِها أنْ تَسْلُخَ جِلْدَها في كلّ سنةٍ.. [تسلُخ وتسلَخ].

والإِخْريطُ نَباتٌ يَنْبُتُ في الْجَدَدِ، له قُرونٌ كَقُرونِ اللوبياء... وَخَرَطَهُ الدّواءُ: مَشّاهُ. وكذلك خَرَّطه تَخْريطًا.. وقد خَرَطَهُ البَقْلُ..».

قلتُ: فهل يُخرِّطُ البَقلُ بطونَنا. ونحن لا نُخَرِّطُه بل نُقَرّطه كما يقول أحمد رضا؟؟ ولا يقصد (القَرْط بالأسنان) وإنّما ما وَرَدَ في (القاموس المحيط) في ق ر ط: «وقَرَّط الكُرّاثَ تَقْريطًا: قطَّعَهُ في القِدْرِ كَقَرَطَهُ».

وأصل الخَرْط «مُضِيُّ الشَّيْءِ وانْسِلالُه». كما قال ابنُ فارس في (مقاييسِ اللغةِ) وفيه «فيُقالُ: اخْتَرَطْتُ السّيفَ من غِمْدِهِ.. والخَرُوطُ من الدّوابّ: الذي يجتذبُ رَسَنَهُ ويَمْضي. واسْتخرطَ الرَّجلُ في البُكاءِ: إذا ألحَّ ولَجَّ فيه مُسْتَمِرًّا. ورَجُلٌ خَرُوطٌ: مُتَهَوِّرٌ يَرْكَبُ رَأْسَه، وهو القياسُ، ويُقالُ: انْخَرَطَ علينا: إذا انْدَرَأَ بالقولِ السَّيِّئِ».. قلْتُ: ولعلَّ من هذا اسْتعملَتْ عوامُّنا للكَذِبِ اسمَ الخَرْطِ مَجازًا، وذكر ذلك الزّبيديّ في (مُسْتَدْرَك تاج العروس): «الخرّاط الكذّاب وقد خَرَطَ خَرْطًا: مجاز». وكذلكَ خَرْط الخرّاطِ واردٌ في المَثَلِ العامّيِّ «فلانٌ خَرَطَهُ الخرّاطُ انقلبَ ومات»..

أمّا: (الخرّاطة) فهي الاسم القديم (للتّنّورة) قبل ثلاثين عامًا من الآن، وارجعْ إليها في عنوان: (التّنّور والتّنّورة).

وقد عالج شفيق جبري في (بقايا الفصاح)[١]: «..قول العامّة: (فلان خَرَطَ مِشْطي)؛ أي: أعجبني كلّ الإعجاب وبلغ منّي كلّ مبلغ، فقد أعجبني فهمه أو عقله أو حُسْن تَصَرُّفه.. فما هي الصِّلة بين الخرط والمشط؟...

..وهل معنى هذا أنّه انتزع الإعجاب منّي كما يفعل الذي يخرط الشّجر فينتزع الورق منه؟ وكيف كان الأمر فالصِّلة غامضة..».

الإخْتِراعات

«إيش هي الاختراعات التي يَخْتَرِعها هذا الخَرِع؟» أي: ماذا ابْتَدَعَ هذا الضَّعِيف من البِدَع؟ وما اسْتَحْدَث منها؟

ومن غرائب التَّطَوُّر اللغويّ أنّك قد تظنُّ العامَّةَ والفُصحاءَ مُتَوافقين أو مُتقاربين منَ التَّطابُق في دَلالةِ الاختراع ومَعْناهُ، وليس الأمْر كذٰلك دَوْمًا.. فعلينا أن نَذْكُر المَراحِل التي مَرَّت بها الدّلالات المُتَفَرِّعَة من المَعْنَى الأَصْليّ..

وأصل المادّة في: خ ر ع من (مقاييس اللغة) لابن فارس: «..أَصْلٌ واحِد، وهو يَدُلّ على الرَّخاوَة، ثمّ يُحْمَل عليه، فالخَرْوَع نَبات لَيِّن، ومنه اشتقاق المرأة الخَرِيع وهي اللَّيِّنَة.. وممّا حُمِلَ على الخَرْعِ الشَّقّ؛ تقول: خَرَعْتُه فانْخَرَع واخْتَرَع الرَّجُلُ كذِبًا؛ أي: اشْتَقَّه..».

وفي (التّكملة..)[٢] للحَسَن بن محمّد بن الحَسَن الصَّغانيّ: «والاختراعُ: الخِيانة، والأَخْذُ من المال مثل الاختراع.. وقال ابن شُمَيل: الاختراع: الاستهلاك؛ وفي الحديث: (إنّ المُغِيْبَة يُنْفَق عليها من مال زوجها ما لم تَخْتَرِعْ مالَه)».

وفي (النّهاية..)[٣] لابن الأثير بعد الحديث المذكور: «المُغِيْبَة: المَرْأَة غاب عنها زَوْجُها.

والاختراع: الخِيانة، وقيل: الاختراع: الاسْتِهْلاك».

وفي (لسان العرب) لابن منظور: «واخْتَرَع فلان الباطِلَ إذا اخْتَرَقه.. ويُقال: اخْتَرَع فُلانٌ عُوْدًا من الشَّجرة إذا كَسَرَها. واخترع الشَّيءَ: ارْتَجَلَهُ..».

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «اخترع باطِلًا: اخْتَرَصَه. واخترع اللهُ الأشياءَ: ابْتَدَعَها من غير سَبَب».

ولعلّ الزَّبِيديّ في (تاج العروس..)[٤] يَعْرِض

(١) شفيق جبري في: (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق) الجزء الرابع من المجلد التاسع والأربعين. في شعبان ١٣٩٤هـ وأيلول (سبتمبر) ١٩٧٤م ص٦٩٩.

(٢) (التَّكْمِلَة والذَّيْل والصِّلَة لكتاب تاج اللغة وصِحاح العربيّة للجوهري) تأليف: الحَسَن بن محمد بن الحسن الصّاغانيّ، أو الصّغانيّ، المُتوفّى سنة ٦٥٠هـ. طبعة مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة سنة ١٩٧٤م في ستّة أجزاء. في مطبعة دار الكتب. حقّقه عبدالعليم الطّحاوي، الخبير بمجمع اللغة العربية، وراجعه عبدالحميد حسن عضو مجمع اللغة العربية بمصر. ج٤ ص٢٣٧ مادّة خ ر ع. وللمؤلّف معجم آخر اسمه: (العُباب..).

(٣) (النهاية في غريب الحديث والأثر) للإمام مجد الدين أبي السّعادات المُبارك بن محمد الجَزَريّ؛ ابن الأثير؛ المُتوفّى سنة ٦٠٦هـ. الجزء الثاني من ثلاثة أجزاء. تحقيق محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزّاوي. طبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م. ص٢٣.

(٤) محمد مرتضى الزبيدي المُتوفّى سنة ١٢٠٥هـ. (تاج العروس في جواهر القاموس) التركيب: خ ر ع: في الصفحة ٣١٦ من المجلد الخامس من عشرة مجلدات من طبعة بيروت سنة ١٣٨٦هـ في دار ليبيا: بنغازي وهي طبعة مصوّرة عن ط١ سنة ١٣٠٧هـ. وهي خالية من الضّبط بالشّكل، حتى إنّك إذا أردت أن تضبط نَسَبَ المؤلّف الزبيدي أبفتح الزاي أم بضمها لم تظفر بشيء من ذلك.

صُورًا من التّطوّر اللُّغويّ في استِعْمال: الاختراع؛ حين يَرْوِي عن (القاموس.. واللسان.. والصِّحاح.. والأساس.. والمقاييس.. والمجمل.. والتكملة.. والعُباب.. والنّهاية..) وغيرهم: «..واخترع الشّيءَ: شَقَّه واقْتَطَعَه واخْتَزَلَه، وفي (الصِّحاح): اشْتَقَّه، ويُقال: أَنْشَأَهُ وابْتَدأه؛ هكذا في النُّسَخ [أي نُسَخ القاموس]، والذي في (الصِّحاح والعُباب): وابْتَدَعه.. واخترع اللهُ الأشياءَ: ابْتَدَعها بلا سَبَب. واخترع فلانًا: إذا خانَهُ وأخذَ من مالِه؛ كَاخْتَزَعَه، بالزّاي.. وقال أبو سعيد: والاختراع: الخيانة؛ ليس بِخارِجٍ عن معنى القَطْع، وحكى ذلك الهَرَوِيّ في الغريبَيْن... وقال ابن عبّاد: اخْتَرَع الدابَّةَ: إذا تَسَخَّرَها لِغَيْرِهِ أيّامًا ثمّ رَدَّها.»..

وَبَعْدَه بأَقَلَّ من قَرْن واحد تَجِد في (مُحيط المحيط) للبُسْتانيّ: «..اخترَعَ الشّيءَ: أَنْشَأَه وابْتَدَعَهُ ومنه سلامَة الاخْتراع عند البَديعيّين وهي أن يبتكر الشّاعر معنى لم يُسْبَقْ إليه، كقول أبي الطّيّب المُتنبّي:

خُلِقْتُ أَلُوفًا لَوْ رَجَعْتُ إلى الصِّبا
لَفارَقْتُ شَيْبِيْ مُوْجَعَ القَلْبِ باكِيا

والاخْتِراع: عند الحكَماء: إِخْراج الشَّيْءِ من العَدَم إلى الوُجودِ بِمادَّة».

ولا يُضيف (المعجم الوسيط) و(المعجم المدرسيّ) و(المُنجد) وغيرهم... ولم أقرأ في معجم عن الاختراعات من الآلات والأجهزة العِلميّة الحديثة التي يُكْثِرُ الكُتّاب المعاصرون من ذكره بهذا المعنى. ولم أَجِدْها في كُتُبِ فِصاح العامّيّة ولا في كُتب الأخطاء المُعاصرة...

الخرْم

وتطوُّر اللغة بتطوّر العلاقات الاجتماعيّة في: الدِّيَة:

تقولُ عامّتُنا: (يدخلُ الوجعُ من أوسعِ بابٍ.. ثمّ يخرجُ من خروم الإبَر..) وفي مصر وغيرِها أيضًا يُقالُ كما في الشّام: (خَرمَ الخَرزَةَ وحرّمَ أطرافَ الورقةِ فانخرمت وتخرّمت).. والفصيح كلّ هذا وأكثر منه وأوسَعُ، ولا سيّما في خَرَمات الدِّيَّةِ... وما أكثرَ فِصاحَ العامّيّاتِ في هذه المادّة:

ولابن منظور في (لسان العرب) (خ ر م): «الخَرْمُ مصدر قولك: خَرَم الخَرَزَة يَخْرِمها خَرْمًا وخرَّمها فتخرَّمت: فَصَمَها، وما خَرَمْتُ منه شيئًا؛ أي: ما نَقَصْتُ وما قَطَعْتُ، والتَّخَرُّم والانْخرامُ التَّشقّق.. وانْخَرَمَ ثَقْبُهُ؛ أي: انْشَقَّ، فإذا لم يَنْشَقَّ فهو أَخْرَمُ.. الليث: **خَرِمَ أَنْفُهُ يَخْرَمُ خَرَمًا،** وهو قطع في الوَتَرَة وفي الناشرتين أو في طَرَف الأرنبة لا يبلغ الجَذْعَ، والنّعتُ أخرم وخرماء، وإن أصاب نحو ذلك في الشَّفة أو في أعلى قُوف الأُذُن فهو خَرْمٌ. وفي حديث زيد بن ثابت: **في الخَرَماتِ الثّلاثِ من الأنْف الدِّيَة في كلّ واحدة منها ثلثها؛** قال ابن الأثير: الخَرَمات جمع خَرَمَةٍ، وهي بمنزلة الاسمِ من نعتِ الأخرم، فكأنّه أرادَ بالخَرَمات المَخْرومات، وهي الحُجُبُ الثّلاثة: في الأنف اثنانِ خارجانِ عن اليمينِ واليسارِ، والثّالثُ الوَتَرَةُ، يعني أنّ الدِّيَة تتعلّق بهذه الحُجُبِ الثّلاثة....

...ويمينٌ ذاتُ مَخارِمٍ أي ذاتُ مَخارجَ. ويُقال: لا خيرَ في يمين لا مَخارِمَ لها؛ أي: لا مَخارجَ لها، مأخوذ من المَخْرِم وهو الثَّنِيَّةُ بين الجبلين. وقال أبو زيد: هذه يمينٌ قد طلعَتْ في المخَارِمِ، وهي اليمينُ التي تجعلُ لصاحِبِها

مَخْرَجًا. . . وفي حديث سَعْدٍ: لمّا شكاهُ أَهلُ الكوفةِ إلى عُمَرَ في صلاتِهِ قال: (ما خَرَمْتُ من صلاةِ رسولِ الله - ﷺ - شيئًا) أي: ما تَرَكْتُ. ومنه الحديثُ: (لم أَخْرِمْ منه حَرْفًا) أي لم أَدَعْ.

والخُرْمان، بالضمّ الكَذِبُ؛ يقال: جاءَ فلانٌ بالخُرْمان، أي بالكذبِ؛ ابن السِّكّيت: يُقالُ: ما نسبت فيه بِخَرْماءَ: يعني به الكذب». وأَصل: خ ر م في (مقاييس اللغة) «ضَرْبٌ من الاقْتِطاع».

خَسَّ وَزْنُهُ

أَنُدَقِّق في المُعْجَم العَرَبيّ؟

في الاختلافِ على عَيْنِ الفعلِ؛ وفي إضاعةِ الدّقّةِ اللغويّةِ في المعنى

مثال من: خَسَّ

خُسَّ يُخِسّ خَسًّا: رَذُل (في اللسان. .) وحَقُرَ (في المصباح. .) وَنَقَصَ (في الأفعال: للسَّرَقُسْطِيّ)[1] وفي بَعْضِ مَعانيها في (المصباح. .) و(اللسان. .) بمعنى نقصَ وزنُه. أمّا (القاموس. .) وشارِحُه (تاج العروس. .) أكبرُ معجمٍ عربيٍّ فيَشرحانِ معنى: خَسَّ: كانَ في نَفْسِهِ خَسِيسًا، وهذا تَفْسِير الماءِ بالماءِ. وأَمّا (الأساس. .) فلا يَشْرَحُ ولٰكنَّهُ على عادتِهِ يَستعملُ الكلمةَ في جُمَلٍ وعباراتٍ للتَّوْضيحِ. . ولٰكنّهُ يُتابعُ (اللسانَ) على أنّ خَسَّ حَظُّه؛ مَعْناهُ: قَلَّ.

واخْتَلَفَتْ هذه المصادرُ في ضَبْطِ عَيْنِ الفِعلِ وفي إيْرادِ أَبْوابٍ منهُ وإهمالِ أبوابٍ وتحقيقِ اختلافِ المَعْنَى باخْتِلافِ الأَبْوابِ؛ ولٰكنَّ (المِصْباحَ. .) طَبّقَ المِفْصَلَ حينَ فَرّقَ ما بينَ: (خَسَّ الشّيءُ مِن بابَيْ: ضَرَبَ وَلَعِبَ. . . بمعنى: حقُر) وبينَ (خَسَّ من باب: قَتَلَ وأخَسَّ: فَعَلَ الخَسيسَ) وبين (خَسَّ يَخِسُّ من باب ضَرَبَ: خَفَّ وَزْنُه).

ولهذا السَّببِ اختلفَتِ المُعْجَماتُ المعاصرةُ في ضَبْطِ العيون أي: في أَعْيُنِ الفِعْلِ خَسَّ وفي ضَبْطِ معناهُ أيضًا. .

ففي عينِ هذا الفِعْلِ: اكتفى (المعجمُ المدرسيُّ) لمحمّد خير أبي حرب إصدار وزارة التّربية السّوريّة بدمشق سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م. ببابٍ واحدٍ أو بعَيْنٍ واحدةٍ من: خَسَّ يَخِسُّ؛ بكسر عين مُضارعه.

أمّا (المعجمُ الوسيطُ) لمَجمعِ القاهرةِ سنة ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م فذكرَ لهُ بابَيْن: يَخُسُّ وَيَخِسُّ. شأنُهُ شأنُ نسخةٍ مخطُوطةٍ واحدةٍ من المخطوطاتِ التي اعتمدَ عليها مُحَقِّقُ (كتابِ الأفعالِ للسّرقسطيّ) الذي أشارَ في الحاشيةِ إلى أنَّ لهذا الفعلِ أبوابًا أخرىٰ في النُّسَخ المخطوطةِ الأخرىٰ[1].

وفي ضبطِ معنى الفعلِ وقعَتْ بعضُ معجماتِنا الحديثةِ في خلافاتٍ جعلَتْ محمَّدًا العدنانيَّ مُؤَلِّفَ (معجم الأغلاط اللغويّة المعاصرة)[2] يقولُ في خ س س.

«ويَظنّونَ أنَّ قولَنا: خَسَّ وَزْنُ نِزارٍ، هو من أقوالِ العامّةِ؛ لأنّ (محيطَ المحيطِ) قالَ: إنَّ العامّةَ تستعملُ خَسَّ بمعنى نَقَصَ، ولأنَّ (الصِّحاحَ، والأساسَ، والمختارَ والقاموسَ) أَهْمَلُوا ذِكْرَ

(١) انظر في (كتابِ الأفعالِ) تأليف أبي عثمان سعيد بن محمد المُعافِري السَّرَقُسْطي المُتوفّى زهاءَ سنةِ ٤٠٠ هـ تحقيق د. حُسين محمَّد محمّد شَرَف ومُراجعة د. محمد مَهْدي علّام عضو مَجْمَعِ القاهرةِ. مطبوعٌ في القاهرةِ في ستّةِ أجزاءٍ إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م. ج١ ص٤٤٠.

(٢) محمّد العدناني في ص١٨٩ من (معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة) الطّبعة ١ مكتبة لبنان ببيروت سنة ١٩٨٤م.

الفعلِ: خَسَّ الشّيءُ؛ بمعنى: خَفَّ وزنُه.

ولٰكنْ: ذَكَرَ (اللسانُ، والمِصباح، والمَدّ، وذيل أقربِ الموارِدِ، والمَتْنُ، والوسيطُ) أنّ معنى خَسَّ الشّيءُ هو: خَفَّ وَزْنُهُ فلم يعادلْ ما يقابلُه. وفعلُه: خَسَّ وزنُه يخِسّ خَسًّا». [قصد بالمَدّ: (مَدّ القاموس..)؛ تأليف المستشرق لين].

قلْتُ: أعودُ إلى الذينَ ألّفُوا في المعجمِ العربيّ لأُحقّقَ المعنى الأساسَ والأصلَ ثمّ تَفَرُّعَهُ في معانٍ فَرْعيّةٍ أو مَجازيّةٍ...

فوجدتُ ابْنَ منظورٍ في (اللسان..) كأنّهُ يجدُ المعنى الأَصْليَّ والأَساسَ في: خَسَّ يَخِسُّ وَيَخَسُّ: رَذُلَ. (والمِصباحُ) يجدُه: حَقُرَ. (والسَّرَقُسْطيّ) يجدُه: نَقَصَ وعندَه يَخَسّ؛ ولٰكنّ (المصباحَ واللسانَ) يجدانِ المعنى نقص في باب ضَرَب: فهو يَخِسُّ. وللوصولِ إلى أصلِ المعنى لَدَينا معجمٌ وحيدٌ في تراثِنا القديمِ أَلَّفَهُ أحمدُ بنُ فارسٍ المُتوفّىٰ سنة ٣٩٥هـ هو (مقاييسُ اللغةِ) وفي: خ س س يقولُ: «أَصْلانِ: أحدُهما حَقارَةُ الشَّيْءِ، والآخرُ تَداوُلُ الشَّيْءِ من قولِ العربِ: تخاسَّ القومُ الأمرَ إذا تَداوَلوهُ وتَسابَقوهُ أَيُّهُم يَأْخُذُه، ويُقالُ: هذه الأمورُ خِساسٌ بينَهُم، أي: دُوَلٌ»...

وقديمًا قَصَرَ الرَّازي في (مُختار الصِّحاح) عَيْنَ هذا الفِعلِ على بابٍ واحدٍ ولٰكنَّهُ بابُ: خسَّ يَخَسّ بفتح عَيْن مضارِعِه وليسَ بكسرِها كما فعلَ المعجمُ المدرسيُّ اليومَ وهو في المَدارِسِ منافسُ (مختارِ الصّحاحِ) لدى الطُّلّابِ؛ وقد سبقَ المدرسيَّ معجمُ مجمعِ اللغة العربيّة بمصرَ وهو (المعجم الوسيط) سنة ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م الذي كانَ مثلَ الشّرتوني في (أقرب المَوَارِد..) من قبلِهِ فهو الذي جعلَ لهذا الفِعْل بابَيْن: خَسَّ يَخُسّ وَخَسَّ يَخِسُّ، بضمِّ عينِ المضارِعِ وكسرِها، مخالِفَيْنِ (القاموس المحيط) من قبلِهما فذاكَ جعلَهُ ببابَيْن ولٰكنْ: بفتحِ عينِ المضارِعَ وكسرِها، وكما تَبِعَ (المحيطَ) بطرسُ البستانيّ في (محيط المحيط) في مَطلعِ عصرِ النّهضةِ الحديثةِ، فجعلَهُ في بابَيْن أيضًا، ولٰكنْ يَخَسُّ بالفتح وليسَ بالكسرِ.

وكذلكَ معجمُ (متنِ اللغةِ) لأحمد رضا العامليّ الذي أَلَّفَهُ لِمَجْمَعِ دمشقَ في النِّصفِ الأوّلِ من هذا القرنِ؛ فكانَ أوسعَ المُعجماتِ المُعاصرةِ، فقد أنقصَ: يَخُسُّ بالضّمّ في عينِ مضارِعِهِ، وذكرَ فتحَ عينِ المُضارِعِ وكسرَها، شأنُه شأنُ الزّمخشريِّ في (أساسِ البلاغةِ) قديمًا معَ أنَّ من عادةِ أحمد رضا في (المتن..) أنْ يتابعَ (تاجَ العروس..)!.

وتابَعَ (المتنَ..) محمّدٌ العدنانيُّ في (مُعْجَمِ الأغلاط اللغويّة المُعاصِرة) فجعلَ الفِعلَ خَسَّ من بابَيْ: ضَرَبَ وتَعِبَ.

و(التّاجُ..) ومِنْ قبلِهِ (اللسان..) و(المِصباح..) قديمًا ذكرُوا الأبوابَ الثّلاثةَ: يَخِسُّ ويَخَسُّ ويَخُسُّ. وكذلكَ فعلَ في عصرِنا كلٌّ من لويس معلوف في (المُنْجِد) وجُبران مسعود في (الرَّائد).

وما زِلْنا ننتظرُ مُعْجَمًا عربيًّا أشملَ وأدقَّ... كالمُعْجَمِ الكبيرِ لمَجْمَعِ مصرَ أو الموسوعةِ العربيّةِ الكبيرةِ التي تُؤَلَّف الآن في دمشق برئاسة الدكتور شاكر الفحّام رئيس المَجْمَع العِلْمِيّ العربيّ، أي: مجمع اللغة العربيّة بدمشق.

خَشْخَشَ وتَخَشْخَشَ

خَشْخَشَ: حَرّكَ حَرَكَةً لها صَوْت، وفي أمثالنا الشَّعبيّة: (جاء يُخَشْخِشُ بالدَّفّ) والدَّفّ المقصود

هنا الذي يَسْتَعْمِلُه ضارب الدّفّ في (الجوقة) أو الفرقة الغنائيّة، وهو المِزْهر. وخَشْخَشَ وانْخَشَّ: خَشَّ..

وتَخَشْخَشَ: صَوَّت..

مِنَ الفَصيح في عامّيّتنا: الخَشْخَشَةُ: حَرَكَة لها صَوْت كَصَوْت المَعْدن أو الوَرَقِ المَعْدَنِيّ إذا تحرّك حركةً عنيفةً، ومنها (خُشْخَيْشَةُ) الأطفالِ التي تُصَوّت بالهَزّ، وفي المُحاورات القصصيّة والمُسَلْسَلات والأفلام المصريّة سمعناهم يَقْلِبُون أَحْرُفَها فيقولون (شُخْشَيْخَة) ولِلْخَشْخَشَةِ في (لسان العرب):

«.. وانخشَّ وَخَشْخَشَ.. خَشَّ وَدَخَلَ ومضى ونَفَذَ..

قال ابن مُقْبل:

وَخَشْخَشْتُ بالعيسِ في قَفْرَةٍ
مَقِيلِ ظِباءِ الصَّرِيم الحُرُن

والخَشْخَشَة: حَرَكَةٌ لها صَوْتٌ كصوت السِّلاح. وقد خَشْخَشْتُهُ فَتَخَشْخَشَ؛ قال عَلْقَمَة:

تَخَشْخَشُ أَبْدانُ الحَديدِ عليهِمُ
كما خَشْخَشَتْ يَبْسَ الحَصادِ جَنوبُ

ابن الأعرابيّ: يُقال لِصَوت الثّوب الْجَديد إذا حُرِّكَ: الخَشْخَشَةُ والنَّشْنَشَة..». وفي (أساس البلاغة): «..وسمعت خَشْخَشَةَ السِّلاح». وأُضيف من القاموس المحيط: «وَتَخَشْخَشَ: صَوَّتَ؛ وفي الشَّجَرِ: دَخَلَ وغابَ. والخَشْخَشَةُ: صوت السِّلاحِ وكُلِّ شيء يابِسٍ إذا حُكَّ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، والدخولُ في الشّيء كالانْخِشَاش». والدُّخول أصلُ المَعْنى لدى ابن فارس في خ ش ش في (معجم مقاييس اللغة).

وقال المُبَارك بنُ محمّد بن الأثير الجزريّ في كتاب (النّهاية في غريب الحديث والأثر)[1]: فيه: [أي في حديث الرّسول ﷺ]: «أنّه قالَ لِبلال رَضِيَ الله عنه: (ما دخلت الْجَنَّة إلّا سَمِعْت خَشْخَشَة، فقلْتُ مَنْ هذا؟ فقال بلال). الخَشْخَشَةُ: حركة لها صَوْتٌ كصَوْت السّلاح». كما ذُكِر في كُتُب اللغةِ ومُعْجَماتِها.

قلت: وفي مِصر يَقْلِبُون الأحرف فيسمّون ما نقول عنه في الشّام (الخشخيشة) وهي لُعْبةٌ للطّفل والرّضيع (يُخَشْخِشُون) له بها حتّى يَتَعَلَّم أنْ (يُخَشْخِشَ) هو بها.. فيقولُ المصريّون في أفلامهم ومسلسلاتهم (شُخْشيخة) فيقول لمن يُحاوِلُ أنْ يتلاعَب لِيُسَيْطِر على غيره [ما أنا [شُخْشيخة] في يَدِك تَلْعَبُ بها!]. وقد كتب د.عبدالمنعم سيّد عبدالعال فأشار إلى أنّها مَقلوبة قَلْبًا مَكانيًّا مِنْ خَشْخَشَ.

خَشّ

في عامّيّات أَغْلَب الأقطار العربيّة ولَهَجاتِها الدّارِجَة يَسْتَعْملونَ مادّةَ: الفِعْل خَشَّ بمعنى دَخَل وأكثر مُشْتَقّاتها.. ولكنّ الكُتّابَ يَتَجَنَّبُونَها وَيَسْتَبْدِلون بها غيرها، وأعتذِر سَلَفًا مُضطرٌّ إلى الإطالة في النُّقول من المعاجم وأنا أبحث عن السّبَبِ الذي دَفَع أحمد رضا العامليّ إلى وَصْف هذه المادّة بأنّها «مُبْتَذَلة في الاستعمال» فقد قال في كتابه: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

(١) ص ٣٣ من ج ٢ من كتاب الإمام مجد الدين أبي السّعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير؛ المولود سنة ٥٤٤هـ والمتوفّى سنة ٦٠٦هـ. الطبعة ١: دار إحياء الكتب العربية؛ عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٣٨٣هـ = ١٩٦٣م. تحقيق: محمود محمد الطّناحي وطاهر أحمد الزاوي.

«ويقولون: خَشَّ البيتَ وَخَشَّ بين القوم إذا دَخَلَ. وهي فصيحة وإنْ كانت مُبْتَذَلة في الاستعمال. وفي اللسان: خَشَّ في الشيء يَخِشُّ خَشًّا وانْخَشَّ وَتَخَشَّشَ = دَخَل. وَخَشَّ الرَّجُلُ: مضى ونفذ...»[1].

وفي مُعْجَم أحمد رضا العامليّ (متن اللغة) الذي ألّفه بِتَكْليفٍ من مَجْمَعِ دِمشْقَ قبلَ أنْ يُؤَلِّف (ردّ العامّيّ..):

«خَشَّهُ يَخُشُّه خَشًّا وخَشَّ فيه وانْخَشَّ: دَخَل فيه وغابَ أو مَضَى ونَفَذَ. وخَشَّهُ شيئًا: نَاوَلَه في خَفَاء. وخَشَّ البعير: جَعَل في أَنْفِه الخِشاشَ [أي: الحِزام]. وخَشَّه: طعنه...

وانْخَشَّ في الشّيء وفي الأرض: اسْتَتَر بها أو دَخَلَ وَغَابَ.. وانْخَشَّ في القومِ: دَخَل فيهم...» ا.هـ. أحمد رضا.

قُلْتُ: وكذلك وَرَدَ الفِعْل: خَشَّ في المُعْجَمَات وكُتُبِ اللغَة قَدِيمها وحَدِيثها، ونقل ابن منظور في (لسان العرب) والزّبيديّ في (تاج العروس من جواهر القاموس) عن ابن الأثير في (النّهاية في غريب الحديث والأثر): «وفي حديثِ عبدِاللهِ بن أُنَيْسٍ: (فَخَرَجَ رَجُل يَمْشِيْ حتّى خَشَّ فيهم). وأيضًا وَمِنْهُ حديثُ جابرٍ: (فانْقَادَتْ مَعَه الشّجَرَة كالْبعير المَخْشُوش.) هو الذي جُعِل في أَنْفِهِ الخِشَاش. والخِشَاش مُشْتَقٌّ مِن خَشَّ في الشّيء إذا دَخَل فيه، لأنّه يُدْخَلُ في أَنْفِ البعيرِ.

ومنه الحديثُ: (خُشُّوا بين كلامِكم لا إلٰه إلّا الله) أيْ: أَدْخِلوا».

وقال زُهَير:

فَخَشَّ بها خِلَالَ الفَدْفَدِ

وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس: «الْخاء والشّين أَصْلٌ واحد وهو الوُلوجُ والدُّخول.

يُقَال: خَشَّ الرَّجُلُ في الشَّرِّ: دَخَلَ. وَرَجُلٌ مَخِشٌّ: ماضٍ جَرِيءٌ على الليل..».

الخَضْخَضَة والمَضْمَضَة

الخَضْخَضَة والمَضْمَضَة عِبارَتان مُتَقارِبَتان في اللَّفْظِ والمَعْنى، فالخائيّة أَصْلُها تَحْرِيك الماء والسَّوائل في إناء أو نحوه. والميميّة: تحريك الماء وسوائل الدَّواء والشَّراب ونَحْوها في الفَم مع ضَغْطه وَعَدَم بَلْعه.. والعبارتان من الفِصاح التي حافَظ العَوَامّ في دارِجَتهم على صحّة اللفظ والمعنى فيهما ثمّ ولّدوا منهما المَعاني المَجازيّة والصّور البَيانيّة، من الأصل التّليد.

وفي (اللسان..) خ ض ض:

«.. ومكان خَضِيض وخُضاخِض: مَبْلول بالماء، وقيل هو الكَثيرُ الماءِ والشَّجَر...

الليث: خَضْخَضْتُ الأرضَ إذا قَلَبْتُها حتّى يَصِيْرَ مَوْضِعها مُثارًا رخوًا إذا وَصَل الماءُ إليها أَنْبَتت.

والخَضْخَضَة أَصْلُها من خاض يَخوض لا من خَضَّ يَخُضُّ. يُقال: خَضْخَضْتُ دَلوي في الماء خَضْخَضَةً.

والخَضْخَضَة: تَحْريكُ الماء وَنَحْوِه... خَضْخَضْتُه فَتَخَضْخَضَ.. وكلّ شيء يَتَحَرَّك ولا يُصَوِّت خُثورةً يُقال: إنّه يَتَخَضْخَض حتّى يُقال: وَجَأَه بالخَنْجَر فَتَخَضْخَضَ به بَطْنُه...

وقول النّابغة يَصِفُ مَلكًا:

(١) ويلاحظ أحمد رضا هنا تحريفًا في عبارة في (لسان العرب) لابن منظور: «وجاء في عبارة اللسان: جريء على هوى الليل؛ وهو غلط من النّاسخ، وصوابه: هول الليل. وقد جاء به صاحِب اللسان في مادّة: (خ ش ف) على الصّواب».

وكانت له رِبْعِيَّةٌ يَحْذَرُونَها

إذا خَضْخَضَتْ ماءَ السَّماءِ القنابِلُ

قال الأصمعيّ: رِبْعِيَّة: غزوة في أوّل أوقات الغَزو وذلك في بقيّة من الشّتاء..؛.. إذا وجدت الخَيْلُ ماءً في الأرض ناقِعًا تَشْرَبه فتقطع به الأرضَ وكان لها صِلة في الغزو...».

والخضخضة في (مقاييس اللغة): «الاضطراب في الشّيء مع رطوبة».

والمَضْمَضة في (مقاييس اللغة): «تحريك الماء في الفم وضَغْطه».

وفي: م ض ض في (اللسان..): «..ومَضْمَضَ إناءه ومَصْمَصَه: إذا حرّكه، وقيل: إذا غَسَلَه. وتَمَضْمض في وُضوئه. والمَضْمَضَة تحريك الماء في الفم... وتَمَضْمَضَ النُّعاسُ في عينه؛ قال الرّاجز: [الرَّكّاض الدبيري: في (التّاج.)]:

وصاحِبٍ نَبَّهْتُهُ لِيَنْهَضَا

إذا الكَرَى في عَيْنِهِ تَمَضْمَضا

... والمِضْماض: النّوم.. وفي حديث عليّ عليه السّلام: (..ولا تذُوقوا النّومَ إلّا غِرارًا وَمَضْمَضَةً..) لمّا جعل للنَّوْم ذَوْقًا أَمَرَهم أن لا يَنالوا منه إلّا بِأَلْسِنَتهم ولا يَسِيغوه فَشَبَّهَهُ بالمَضْمَضَة بالماء وإلقائه من الفم من غير ابتلاع... وقال بعض بَني كِلاب فيما رَوَى أبو تُراب: تَماضَّ القومُ وتماصّوا إذا تلاجُّوا وعَضَّ بَعْضُهُم بعضًا بِأَلْسِنَتهم».

قلت: وباب المَجَازِ والتَّصْويرِ البَيانيّ واسِع لا يُغْلِقُه ناقِد لُغويّ عَليم...

وفي (أساس البلاغة): (..خضخض الخنجر في بطنه، وخَضْخَضَ السَّوِيقَ)، (والخَضْخَضَة خير مِنَ الزِّنا).

وفي (القاموس..):

«.. والخَضْخَضَة: تحريك الماء والسَّوِيق ونحوه، وتخضخض: تحرّك» ويضيف البُستانيّ في (محيط المحيط):

«والخُضاخِض: الكَثير الماءِ والشَّجر من الأَمْكِنة. ومن الرّجال والجِمال البَطين السّمين مثل الخُضاخِضَة».

و«.. المَضْمَضَةُ: تَحْرِيك الماءِ في الفَمِ، وَغَسْل الإناء وغيره. وتَمَضْمَضَ للوُضوء: مَضْمَضَ».

وفي (أساس البلاغة) ومن المَجَاز: ما مَضْمَضَت عَيْني بالنَّوْمِ أَرَقًا وما تَمَضْمَضَت.. قال المروّح السلميّ:

لمّا اتّكأنَ على النَّمارِقِ مَضْمَضَتْ

بالنَّوْمِ أَعْيُنُهُنَّ غَيْرَ غِرار

وَتَمَضْمَضَ النَّومُ في عينه؛ قال:

يَمْسَحُ بالكَفَّيْنِ وَجْهًا أبْيَضا

إذا الكَرَىٰ في عَيْنِهِ تَمَضْمَضا

وفي (محيط المحيط) للبستانيّ: «مَضْمَضَ الماءَ في فمه مَضْمَضَةً ومِضْماضًا ومَضْماضًا: حَرَّكَهُ بالإدارة فيه، راجع مَصْمَصَ:

[وعن أبي عُبيد: المَصْمَصَة مثل المَضْمَضَة إلّا أنّها بِطَرَفِ اللِّسان وَالمَضْمَضَة بالفَم كُلِّه]...».

وفي (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

لأحمد رضا في خضّ: «ويقولون خَضَّ الماء، وخَضّ الإبريق، وخضّ البِرْكة إذا حَرّك ماءها حركةً عنيفة، ولم تَرِد: خَضَّ: لهذا المعنىٰ في اللغة بل الذي ورد: خَضْخَض بالتَّضْعيف...».

وكذلك قول د. عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول

العربيّة). «نقول في دارجتنا: خَضَّ فلان فلانًا: ذَعَره وَخَوَّفَهُ. وانْخَضَّ فلان: اضطرب فخاف وانخلع فهو مخضوض...».

ولم يذكر المضمضمَة كما ذكرها رضا في (ردّ العاميّ..).

خَطْرَة

(خَطَرَ ببالي في خَطْرَة من الخَطَراتِ فقمتُ بعمل كذا..) يقالُ مثلُ هذا في مُجْتَمَعِ دمشقَ القديمة؛ فَيُقْصَدُ من الخَطْرةِ: الذِّكرة، أي: الذّكر مرّة أو أحيانًا.. وفي لبنان كتب عنها الأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل..) وأحمد رضا العامليّ في (ردّ العاميّ إلى الفصيح) بهذا المعنى أيضًا..

قال أحمد بن فارس في (معجم مقاييس اللغة): «خ ط ر:... والخَطْرَة: الذِّكْرَةُ؛ قال:

بَيْنَما نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ فَالْقَا
عِ سِراعًا وَالعِيسُ تَهْوِيْ هُوِيّا
خَطَرَتْ خَطْرَةً علىٰ القَلْبِ مِنْ ذِكْ
راكِ وَهْنًا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيّا».

وفي حاشيةِ مُحقّقهِ عبد السّلام محمّد هارون على هذا الشّعر: «نسب في الحماسة (٢: ٧٣) و(اللسان..) (بلكث) إلى بعضِ القُرَشيّينَ. وفي حواشي (اللسان..): هو أبو بكر عبدالرحمن بن المسور بن مخرمة. ونَسَبَه ياقوت في (معجم البلدان) إلى كثيّر».

وأُضيف ممّا وَرَدَ في (لسان العرب) «..وما وَجَدَ له ذِكْرًا إلّا خَطْرَةً بَعْدَ خَطْرَةٍ، وما ذكرته إلّا خطرةً واحدةً، وما ألقاهُ إلّا خطرةً بعد خَطْرةٍ؛ أي: في الأحيانِ بعد الأحيانِ.. ويُقال: لَعِبَ الخَطْرَةَ بالمِخْراقِ».

وكذلك في (أساسِ البلاغةِ) للزّمخشريّ «.. ومن المَجاز: وَخَطَرَ ذاك ببالي، وعلى بالي. وله خَطَراتٌ وخواطرُ، وهو ما يتحرّكُ في القلب من رأيٍ أو مَعْنًى. وما لَقِيتُه إلّا خَطْرةً، وما ذكرتُه إلّا خَطْرَةً بعد خَطْرةٍ؛ تريدُ الأحيانَ. والإبِلُ ترعى خَطَراتِ الوَسْمِيِّ؛ وهي المَطْرَةُ بعدَ المَطْرَة».

قلتُ: وقبلَ هذه المعاجِم، ومنذ عصر الخليل و(كتاب العَيْن) كتب، أيضًا، المُفَضّل بن سَلَمَة بن عاصِم في كتابِ (الفاخر): «فيما تقوله العامّة ولا تدري أنّه صحيح..» وفي الرقم ١٩٤ ص١١٥ «قولهم: خَطَر ببالي.. قال الأصمعيّ: خَطَر: ضَرَبَ.. وهو من: خَطَرَ البعيرُ بِذَنَبِه».

خَفَأَ (بمعنى يكادُ يقاربُ: خَفَق)

يختلطُ الخَفْقُ بالخَفْءِ في الاسْتعمالاتِ العامّيّةِ في المدنِ التي تَسْتَبْدِلُ بالقافِ همزةً كما هو معروف...

وفي (كتاب الأفعَال) للسّرقسطيّ عن (الأفعال) لابن القطّاع، وابن القُوطيّة، كما في (القاموس..) وفي (التّاج..) كما في (لسان العرب) لابن منظور: خ ف أ: «خَفَأَ الرَّجُلَ خَفْأً: صَرَعَه، وفي التّهذيب: اقتلَعَهُ وضربَ به الأرضَ. وخفأَ فلانٌ بَيْتَهُ: قَوَّضَهُ وألقاهُ». ويزيد (تاج العروس من جواهرِ القاموسِ): «..خفأ بيته وألقاه على الأرضِ. وخَفَأَ القِرْبَةَ أو المَزادَةَ: شَقَّها فَجَعَلَها على الحَوْضِ لِئَلّا تُنَشِّفَ الأرضُ ماءَهُ؛ إذا كان الماءُ قليلًا، عن (العُباب..) للصّغانيّ».

ومن معاني الخَفْقِ الحركةُ والضّرْبُ كما في اللسانِ، وفي القاموس أيضًا: وأَخْفَقَ فلانًا: صَرَعَهُ.. ولٰكنَّ المعاني الغالبةَ على الخَفْقِ والخُفوقِ تظلّ بعيدةً عن هذا الإبدال.

الخَفْس

يقول محمّد مُرتضى الزّبيديّ في (تاج العروس من جواهر القاموس) مُعَقِّبًا على قَوْل الفيروزاباديّ في (القاموس المحيط): «(الخَفْس: الاستهزاء، والأكل القليل، والهَدْمُ) يُقال: خَفَس البِنَاءَ: إذا هَدَمَه (والخَفْس: النُّطْقُ بالقليل من الكلام كالإخفاس) هكذا في سائر النُّسَخ والصَّواب بالقبيح من الكلام[1] يُقال للرَّجُل: خَفَسْتَ يا هذا وأَخْفَست كما في الصّحاح والتّكملة. وفي العُباب[2] قال الليث: يُقال للرَّجُل: خَفَسْتَ يا هذا، وهو من سوء القول إذا قُلْت لصاحِبك أَقْبَحَ ما تَقْدِرُ عليه.... (وتَخَفَّس: انْجَدَل واضْطَجَعَ) كِلاهُما عن ابن عبّاد. (وَانْخَفَسَ الماءُ: تغيّر) كما في العُباب وعن أبي عَمْرو (الخَفِيس: الشّرابُ الكثير المِزاج) وقد أَخْفَسَ له منه إذا أكثر مَزْجه (وشَراب مُخْفِسٌ سريعُ الإسْكار) واشْتِقاقه من القبح لأنّه يخرج به من سُكْره إلى القبيح من القَوْل والفِعْل». ا.هـ. الزّبيديّ. وكذلك في (التّكملة..) للصغانيّ، ومثله يقول ابن منظور في (لسان العرب): «خَفَسَ يَخْفِسُ خفسًا وأَخْفَسَ الرَّجُلُ: قال لصاحبه أَقْبَح ما يكونُ من القَوْل وأَقْبَحَ ما قَدَرَ عليه. يُقال للرّجُل: خَفَسْتَ يا هذا وَأَخْفَسْتَ **وهو من سوء القول**. وشراب مُخْفِسٌ: سريع الإسْكار، واشْتقاقه من القُبْح لأنّه يخرج به من سُكْرِهِ إلى القبيح من القَوْل والفِعْل.... أبو عمرو: الخَفْس: الاستهزاء. والخَفْس: الأكل القليل». قلت:

التّقليل أو التّقبيح أو سوء القول أو الهَدْم أو الاسْتِهزاء أو تقليل الأكل أو الكلام، كلّها معانٍ تؤدّي إلى التّعبير عنها بالخَفْس والإخفاس لدى العوامّ، ولٰكنْ يصحّ أيضًا أن يُقال: إن العامّة تستعملُهَا مَقلوبةً من الخَسْفِ أو من السُّخْف. أهو القلب عند العوامّ أو هو التَّطوّر..؟

ويقول السّرقسطيّ[3]:

في (كتاب الأفعال): «وخَفَس خَفْسًا، وأَخْفَس: قال لصاحبه أقبحَ ما يمكنُه.

قالَ أبو عثمان: ومنه اشْتُقّ الشّرابُ المُخْفِس، وهو الشَّرابُ السّريعُ الإسْكار، ألا تَرَى أنّك تَخْرُجُ مِن سُكْرٍ إلى أقبحِ القَوْلِ والفِعْلِ.» اهـ. السّرقسطيّ.

قُلْتُ: في عامّيّتنا يستعملونَ الخَفْس بمعنًى مُتَطَوِّرٍ قليلًا عن هذا المعنى، فيُقال: [خَفَسَت دَرَجات الامْتِحان...] أيْ سَاءَت...

خَلِط مَلِط

الزّبيديّ في (تاج العروس..):

«يُقال غلام مَلِطٌ خَلِطٌ وهو (المُخْتَلِطُ النَّسَبِ) كما في الفصاح. ج أملاط وملوط وقد مَلط الرّجل ككرم ونصر مُلوطًا».

[قلت: وعامَّتُنا تقول: خَلِيط مَلِيط].

(١) قلت: تدلّ حاشية (القاموس المحيط) على أنّ الزّبيديّ في (تاج العروس) وابن منظور في (لسان العرب) اعتمدا ما جاء في (الصّحاح) مُعْجَم الجَوْهريّ لتدقيق ما في نصّ الفيروزاباديّ صاحب (القاموس..).

(٢) (التّكملة..) و(العُباب) مُعْجَمان للصّغانيّ.

(٣) ص ٤٣٦ من ج١ من (كتاب الأفعال) تأليف أبي عثمان سعيد بن محمّد المُعافري السّرقسطيّ المُتَوفّى زهاء ٤٠٠-٤٠٣هـ ١٠١٠-١٠١٣م. في قُرطبة. طبعة: مَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة سنة ١٣٩٥هـ = ١٩٧٥م. بتحقيق د. حسين محمّد محمّد شرف ومُراجعة د. محمّد مهدي علّام.

خَلَفَ اللهُ عَلَيْكَ

قال السرقسطيّ في (الأفعال)[1]: «خلَف: وخلَف الله عليك بخير خلفًا، وأخلف.

قال أبو عثمان: قال أبو بكر: ويُقال: خَلَف اللهُ لَكَ خَيْرًا، وأَخْلَفَه».

الخُنان وَالخَنْخَنَة

حين كُنْتُ صغيرًا كنت إذا بكيت بكاء مُصْطَنَعًا [زَعْبَرَةً] فيتضايقُ بعضُهم منّي فَيَدْعونَ عليَّ قائلينَ (وخنان.. إنْ شاءَ الله).

قال الفيروزاباديّ في (القاموس) وشرح الزّبيديّ في (التّاج):

«والخُنان (كغُراب داءٌ يأخُذُ الطّيرَ في حُلوقِها) كما في (الصِّحاح والمُحْكَم) (و) هو أيضًا داءٌ يَأْخُذ (في العَيْن) وأَنْشَد ابنُ سِيْدَه لجرير:

وأَشْفي من تَخَلُّجِ كلِّ داءٍ
وأكوي الناظرين من الخُنانِ

(و) الخُنان (زُكام الإِبِلِ وَزَمَنُ الخُنان كان في عهد المنذر بن ماء السّماء وماتت الإبل منه) وهو معروف عند العرب وقد ذكروه في أشعارهم. قال النابغة الجُعْديّ:

فمن يَحْرِصْ على كبري فإنّي
من الشُّبّانِ أيّامَ الخُنانِ

قال الأصمعيّ: كان الخُنانُ داءً يَأْخُذ الإبِلَ في مناخِرِها وتموتُ منه فصار ذلك تاريخًا لهم».

وكلُّ هذا ذَكَرَهُ ابنُ منظور في (لسان العرب) أيضًا، وأضاف «يُقال خُنَّ البعيرُ».

وأمّا الخَنْخَنَة والخَنينُ وغيرُها من هذه المادّة فممّا يُعْرَف بأنّه من فصيح العوامّ الذي ما يزال على ألسنتهم كما وَرَد في المعاجم (كلسان العرب) وفيه الفِعْلُ خَنَّ يَخِنُّ خنينًا: «رَفع الصّوتَ بالبكاء في الخَياشِيمِ، ويكون بالضّحك الخافي فيها أيضًا؛ وأصلُه خروجُ الصّوتِ من الأَنْفِ.. والخُنَّةُ ضَرْبٌ من الغُنَّة..

والخَنْخَنَةُ: ألّا يبين الكلام فَيُخَنْخِنُ في خياشيمه، قال:

خَنْخَنَ لِيْ في قَوْلِهِ ساعَةً
فقالَ لي شَيئًا وَلَمْ أَسْمَعِ».

الخَوْخُ والدّرّاق

الذين يَعْمَلُونَ في التّربيةِ يُلاحِظُونَ التَّأْثيرَ اللُّغَويَّ المُتَزايدَ لِلْقِصَص والمُسَلْسَلاتِ المُتَبادَلَةِ بينَ أَجْهِزَةِ الإرسالِ والاستقبالِ المسموعةِ والمَرْئِيّة فيما بَيْنَ الأَقْطارِ العَرَبِيَّةِ، وَلَا سِيَّما باللَّهْجَةِ المِصْرِيَّةِ، فما أكثرَ ما سُئِلْتُ عن شَراب الخَوْخَ الذي تَتَحَدَّثُ عَنْهُ أَمْثالُهم في قِصَصِهِم ومُسَلْسَلاتِهِم: (الذي فَاتَه الخوخ يَرْضَىٰ بِشَرابِه) فَقُلْتُ: أرجُو أَلّا يَنْصَرِفَ الذِّهْنُ إلى ما يُسَمّونَهُ في الشّام خَطَأً بالخَوْخِ... وإنّما هو ما يُسَمَّى في الشّام بالدُّرّاقِنِ، واسْمُهُ الفَصيحُ الخَوْخ والدُّرّاقن (بِراءٍ وَاحِدَةٍ) والدُّرّاق والفِرْسِك تَعريبًا من اليُونانيّةِ واسمُه الفرنسيّ Pêcher.

كما في (مُعْجَم الألفاظِ الزّراعيّة) تأليف: مصطفى الشِّهابيّ رئيس مجمع اللُّغَةِ العربيّة بدمشق وَعُضْو مَجْمَعِ مِصْر واتّحاد المَجامِع

(١) ص ٤٤٦ من ج١ من (كتاب الأفعال) تأليف أبي عثمان سعيد بن محمّد المعافريّ السّرقسطيّ المُلَقَّب بابن الحدّاد، والمنبوز بالحِمار، والمتوفّى زُهاء سنة ٤٠٠–٤٠٣هـ سنة ١٠١٠–١٠١٣م. ط. مَجْمَع اللغة العربيّة بالقاهرة سنة ١٩٧٥م. تحقيق د. حسين محمّد محمّد شرف.

العربيّة[1] ص٤٩٠ حَيْثُ ذَكَرَ أنّه عثر في (شرح أسماء العقار) [لمؤلِّفِه موسى بن مَيْمُون القُرْطُبِيّ] منذُ ثمانيةِ قُرونٍ على ذِكْرِ ما يُسَمُّونَه في الشّام: الخَوْخ غَلَطًا، فهو المُسَمّى في مِصرَ البَرْقوق واسمُهُ الفَصيحُ الإجّاصُ والبَرْقوقُ، وهو الذي يُسَمّىٰ بالفرنسيّة: Prunier.

وفي الجزائر أيضًا يُسَمُّونه البَرْقُوق، وأحيانًا يُكْنونَ عنه في بَعْض مُدُن الجزائر بِاسْم: (عَيْن البَقَرة)، وَيَظْهَرُ لي أحيانًا أنّها كِنَايَةٌ قديمةٌ، فممّا قرأتُه عن عصرِ المأمون: «حضر القاضي هشام القُرَشِيّ مَجْلِسَ المأمون، فَقُدِّمَ نَوْعٌ من الحَلْوىٰ يُسَمّى (آذان القاضي) فَجَعَلَ جماعةٌ من خَواصِّهِ يُكْثِرُونَ من أكلِهِ يقصدون مُداعبتَه؛ وكان فيما قُدّم نوعٌ من الفاكهةِ يُسَمّىٰ (عُيُون البَقَر) فقالَ المأمونُ: يا قاضي أرى هؤلاء يأكلونَ أُذُنَيْك، فَأَقْبَلَ على الفَاكِهَةِ وقالَ: وأنا أيضًا آكلُ عُيُونَهم» وأنا آسف أنْ أذكّر مئات المُذِيْعين العرب، بمناسبة ذِكْرِ الآذانِ، أنّها تُسْمِعُ ولٰكنْ لا تُقال يوميًّا خمسَ مرّاتٍ بالمَدّة في مَوْضِعِ الهَمْزَة في أوقات الأَذان ولَيْسَتْ أوقات الآذان!

وفي ص ٤٨٤ من (معجم الألفاظ الزراعيّة) يَذْكُر الشِّهابيّ أنّ «عَيْنَ البَقَرَةِ في عامّيّة الدّماشِقَة: زهرةُ المَرْغريت الصَّغِيْرة، ويُسَمُّونَها في دمشق أيضًا: شاش القاضي».

الباب الخَوْخَة

في (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: خ و خ:

خَرَجَ من الخَوْخَةِ وهي الباب الصّغير على الباب الكبير؛ قال عُمَرُ بنُ أبي رَبيعةَ:

بيضاءُ آنسةٌ للخِدْرِ آلِفَةٌ
ولم تكنْ تَأْلَفُ الخَوْخاتِ والسُّدَدا

وفي مُعْجم (مَتْن اللغة) لأحمد رضا العامليّ؛ كما في (القاموس والتّاج واللسان):

الخَوْخَة: كُوَّةٌ في البَيْت تُؤَدِّي الضّوءَ إلى البيت.

والخَوْخَة: بابٌ صغير كالنّافذة الكبيرة تكونُ بَيْنَ بَيْتَيْن ينصب عليهما باب.

والخَوْخَة: مُخْتَرَقُ ما بين كُلِّ دارَيْنِ ما عليه باب، ولم ينصب عليهما باب، ثمّ عَمَّ لمُخْتَرَقٍ ما بَيْن كلِّ شَيْئَيْن.

أمّا في (ردّ العامّيّ..) فلم يجد أحمد رضا ما يدعوه إلى ذِكْرِ شيء من هذا.

قُلْت: حين كنت طفلًا في حيّ القَنَوات بدمشقَ كان للمدرسة التي كنت فيها في صفّ الحَضانة بابٌ صغيرٌ على بابٍ كبيرٍ، فيَفْتَحون البابَ الكبيرَ في أوّل النّهار لِدُخول جُموعِ التّلاميذ، فإذا بدأَ الدّوام، أُغْلِقَ البابُ الكبير وقَعَد الحجّي أو الآذِن أمامَ البابِ الصّغير الخَوْخَة يَحْرُسه، وكانتِ المدرسةُ واسْمُها يَوْمَذاك سنة ١٩٣٧ مدرسة (خديجة الكبرى)، في دارٍ عَرَبيّةِ البناء قديمة، وكان في حيّ القَنَوات كثيرٌ من هذه البيوت التي لها باب خَوْخَة، كما كانوا يقولون، فَيَخْتَلِط في

(١) طُبِعَ معجم الألفاظ الزراعيّة بالفرنسيّة والعربيّة الطبعة الأولى في دمشق سنة ١٩٤٣ ثمّ زاد عليه مصطفى الشِّهابي أكثرَ من ألْفِ مُصْطَلَح للطّبعة الثّانية. وعَدَلَ عن بَعْضِ المُصْطَلَحات إلى ما هُوَ أَصْلَح منها في ط الثّانية في القاهرة سنة ١٩٥٧م إذ طَبَعَتْه جامِعَة الدُّوَل العربيّة في مَطْبَعَة مِصْر؛ والمُقَدِّمات والدِّراسات العربيّة والفرنسيّة مُؤَرَّخَةٌ سنة ١٩٥٧م فكأنّها لم تكنْ في الطّبعة الأولى. ثم طُبِعَ في (مكتبة لبنان) ببيروت منقولًا إلى الإنكليزيّة والعربيّة باسم (معجم الشّهابي في مصطلحات العلوم الزراعيّة) سنة ١٩٧٨.

ذِهْنِنا وفي خَيالِنا الطُّفوليّ تَصَوُّر الثَّمْرَةِ الواحدةِ من خَوْخ الفاكهة، وكأنَّ البابَ الصَّغير رُسِم على جُزْءٍ مِنَ البابِ الكبيرِ على شَكْلِ ثَمَرَةِ الخَوْخ ثمّ فُتِحَ على مِقْدار الرَّسْم! [ولِلاحْتراس من تَوَهُّم الغَلَط أقول: الخَوْخ في اللغة يُسمّى الدُّرّاقن في الشّام وفي اللغة أيضًا، أمّا الذي يُسمّى الخَوخ في الشّام فهو البَرْقوق في اللغة].

وقد هُدِمَت المدرسة وتلك البيوتُ في جادَّة الشّابِكْليّة أو الشِّهابكليّة في حيّ القنوات خلف الاذاعة القديمة حين هُدِم بيت فخري البارودي وفُتِحَ شارعُ فخري البارودي خلف قصرِ العدلِ في السّتينيّات من هذا القرن العشرين. .

خَاوَذَ (ما خاوَزَ)

كما نقولُ في لَهْجَةِ الشّام العامّيّة ولٰكنْ بإبدالِ الذّالِ زايًا، نجد فيما قال ابن منظور في (لسان العرب) خ و ذ:

«المُخاوَذَةُ: المُخَالفةُ إلى الشّيءِ: خَاوذَه خِواذًا ومُخاوَذَةً: خَالَفَهُ. يُقالُ: بنو فلانٍ خاوذونا إلى الماءِ أيْ خالفونا إليه. الأَمَويُّ: خاوَذْتُه مُخَاوذَة. فَعَلْتُ مِثْلَ فعلِه، وأنكرَ شمر خاوَذْت بهذا المعنى، وذكرَ أنَّ المُخاوذَةَ والخِواذ الفِراقُ، وأنشد:

إذا النَّوَى تَدْنُو عن الخِوَاذِ

وخَاوَذَتْه الحُمَّى خِواذًا: أخذَتْه ثمّ انْقَطعَتْ عنهُ ثمّ عاودَتْهُ؛ عن ابن الأعرابيّ، وقيل مُخاوَذَتُها إيّاه تَعَهُّدُها له، وقيل خِواذُ الحُمّى أنْ تأتي لوقتٍ غيرِ معلومٍ.

الفرّاء: الحُمّى تُخاوِذُه إذا حُمَّ في الأيّام. وفلانٌ يُخَاوِذُونا بالزِّيارةِ أي يَتعهّدُنا بالزّيارةِ. قال أبو منصور: وسماعي من العرب في الخِواذِ أنّ حِلَّتَينِ نَزَلتا على ماءٍ عَضُوضٍ لا يَرْوي نَعَمَهُما في يوم واحد فسمعت بعضَهم يَقولُ لِبَعْضٍ: خَاوِذُوا وِرْدَكم تروَوا نَعَمَكم؛ ومعناه أنْ يورِدَ فريقٌ نَعَمَه يومًا ونَعمُ الآخرين في الرّعي، فإذا كان اليومُ الثّاني أَوْرَدَ الآخرون نَعَمَهم. فإذا فعلُوا ذلك شَرِبَ كلُّ مال غِبًّا لأنَّ المالَيْن إذا اجْتمعا على الماءِ نَزَح فلم يَرْووا، وكان صَدَرُهم من غير رِيٍّ، فهذا معنى الخِوَاذِ عِنْدَهم. وهو من خُوذَاتِهم؛ عن ابن الأعرابيّ، أيْ من خُشارِهم وخمّانهم ويُقالُ ذهبَ فلانٌ في خُوذانِ الخَامل إذا أُخِّرَ عن أهلِ الفَضْلِ قال ابن أحمر:

إذا سَبَّنا منهم دَعيّ لأُمِّهِ
خليلان من خُوذَانَ قِنٌّ مُوَلَّدُ

وفي النّوادر أمرٌ خائذٌ لائذٌ وأمرٌ مُخاوِذٌ ملاوِذٌ إذا كان مُعْوِزًا وخَاوَذ عنه إذا تنحّى، قال أبو وجزة:

وخَاوَذ عنه فَلَمْ يُعانِها».

اهـ. ابن منظور

وكما قلت: في هذا المعنى تقول عوامّ الشّام: خَاوَزَ فهم يلفظون الذّال زايًا. .

وأعود فأسأل: أليس هناك: خاوَزَ – بالزاي – في الفصيح أيضًا؟ ومُعْجم المَجْمع في مصر (. . الوسيط) يذكر الفِعْل خازَهُ يخوزُه خَوْزًا: ساسَهُ. .؛ وخازَهُ: عاداهُ. . ولٰكنْ لا يَذْكر: خاوَزَهُ. . وكذلك (القاموس المحيط) و(لسان العرب) و(تاج العروس. .) وغيرها، وفي مُعْجَم (التّكْمِلة. .) للصّغاني: «الخَوْزُ: المُعاداة. وخازه يخوزه إذا ساسه، مثل: خَزاه».

ويرى أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) أنّ: (خاوزه وخاوز معه) العامّيّة إمّا أن تكونَ من: خاسَهُ أو من: خاوَذَهُ. ورضا في مُعْجَمِه (متن اللغة) يَكْتُب في الحواشي التي يُخَصِّصُها لفصيح العَوَامّ، وفي حاشية الصفحة ٣٤٩ من

الجزء الثّاني من (المتن..): «العامّة تقول: خاوزه إذا مالَ معه وَفَعَلَ فِعْلَه؛ وخاوَزَ عليه: مالَ وتنحّى عنه إلى غيره». اهـ. رضا.

قلت: عامَّتُنا في دمشقَ تقولُ: (خاوز معي) يقصدونَ أنّه وَعَدَني بالمُساعَدَةِ أو بِتَقْديمِ شَيْءٍ ثمّ أَخْلَفَ وعدَه.... أو ما أَشْبَهَ ذلك..

الخُوَّةُ

يَقولُ أحمد رضا العامليّ في (مُعْجَم مَتْن اللغة) خ و ي: «الخُوَّة: الأرض الخالية. أو: الفَتْرَة. أو: الأرض المتطامنة».

ثمّ يربط أحمد رضا هذه العبارة بالحاشية التي يقول فيها: «الخُوَّةُ عند عرب البادية: ما يَدْفَعُه الغَريبُ لشيخ القبيلةِ لِيَحْمِيَهُ عند مروره في أرض القبيلة، أو يَدْفَعُها الشّيخ الصّغير للشّيخ الكبير للدّفاع عنه؛ وهي مُخْتَزَلَةٌ من الأُخُوَّةِ؛ أي: إنّه بعد دَفْعِها صارَ أخًا له، فهي سَبَبٌ للأُخُوَّةِ».
ا.هـ. أحمد رضا.

قُلْتُ إذا كان رضا يربط الخوّة بالأخوّة بينَ شُيوخ القبائل، فإنّه يَفْصِلُها عن الأصلِ الفَصيح للخُوّة: الأرض الخالية كما في المعجم العربيّ القديم وإن كان وَضَعَها في الخاء. ولكنّنا في أيّام الأفلام والمُسَلْسَلات القادِمَة إلينا من القاهرة نَسْمَعُهم يَستعملونَ الخُوَّة بمعنى الغَرامة أو الإتاوة التي يَدْفَعها الضُّعفاء للقويّ المُتَسَلِّط في أرضٍ غابَتْ عنها سُلْطَة القانون وخَلَتْ مِنَ القَضاء والمحاكم، والحُكْم مِلْحُ الأَرْض كما يُقال: فهل للأرض الخالية معنًى مَجازيّ تَوَصّلَت به العامّيّة إلى وَصْفِ الأرض التي تَخْلو من سُلْطَة الحُكومة الشّرعيّة فيَتَسَلّط عليها مَنْ يَفْرِض الخُوّةَ؟ أم.. أنعود إلى تأمُّل الخوّة بمعنى الفَتْرَة؟ كما في: خ و ي: في (قاموس..) الفيروزاباديّ و(لسان العرب) لابن منظور الذي استشهَدَ بنَصّ حَديثٍ شريفٍ «فأخذ أبا جهلٍ خُوَّةٌ فلا يَنْطِقُ» أيْ: أَخَذَتْه فَتْرَةٌ، قال ابن منظور: «والهاء زائدة».

أَدَعُ المَزيدَ مِنَ الْبَحث والتَّنْقير عن هذه العِبارة لِغيري حتّى يَسْتكملَ القولَ الفَصْل فيها قارئٌ أو باحِثٌ... ولٰكنْ بعد أنْ أَدْعوَهم إلى التّأمّل في هذا النَّصِّ في (اللسان..): «..وخَوَى الشيءُ خَيًّا وَخَوايَةً واخْتَواهُ: اختَطَفَهُ، عن ابن الأعرابيّ، وأَنْشَدَ:

حتّى اخْتَوَىٰ طِفْلَها في الْجَوّ مُنْصَلِتٌ
أَزَلُّ منها كَنَصْلِ السَّيفِ؛ زُهْلولُ

ابن الأعرابيّ: يُقال: اخْتَوَاه واختَدَفَه واخْتاتَهُ وَتَخَوَّتَهُ إذا اقْتَطَعَهُ؛ وقال أبو وَجْزَةَ:

ثمّ اعْتَمَدْتَ إلى ابنِ يَحْيَىٰ تَخْتَوي
مِنْ دُونِه، مُتَباعِدَ البُلْدانِ».

قلتُ: وهذا في الجزء ٥٩ في أواخرِ معجم ابنِ منظورٍ طبعة سنة ١٩٥٦ ط: بيروت في ٦٥ جزءًا يَلْتقي معَ ما في الْجُزءِ السّابع في أَوَائله وفي مادّة الْجَذْرِ خ و ت: «..وَتَخَوَّتَ الشيءَ: اختطَفَهُ، عن ابن الأعرابيّ... والخَوَّاتُ، بالتّشديد: الرَّجُلُ الْجَريءُ..

... وَتَخَوَّتَ مالَهُ أي: تَخَوَّفَهُ أي تَنَقَّصَهُ...

... وفُلان يختاتُ حَديثَ القوم، ويَتَخَوَّتُ إذا أَخَذَ منه وَتَخَطَّفَهُ. وإنَّهُم يَختاتونَ اللَيلَ أي يسيرونَ ويقطعونَ الطّريقَ...».

د

دَأْدَأَ ودَقْدَق

الدَّأْدَأَةُ في عامّيّةِ دِمَشْق والدّقْدَقَةُ في عامّيّات المُحافظاتِ السّوريّة: الطَّرْقُ المُتَتابع.

يقول د. عبد المنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نَقُول في دارِجَتنا: سَمِعْتُ دأدَأَةً أي سمعتُ صوتَ طَرْقٍ مُتتابعٍ، ونقول: إدَّادَأ فلانٌ: تَغَيَّرَ حالُه إلى أحْسن نتيجةً لاتّباعِهِ أسلوبًا جديدًا في حياتِه، والأصلُ فيها تَدَأْدَأَ؛ وَأُدْغِمَت التّاءُ في الدّالِ واجْتُلِبَتِ الْهمزةُ لإمكان النُّطقِ بالسّاكِن.

وفي (القاموس): الدَّأْدَأَةُ صَوْتُ وَقْعِ الحَجَر على المَسِيْلِ، ودَأْدَأَ فُلانٌ في أَثَرِ فلان: تَبِعَهُ مُقْتَفِيًا له، فَتَدَأْدَأَ، وتَدَأْدَأَ في مَشْيِهِ: تمايَلَ».

ثمّ يقولُ د. عبد المنعم ذاتُه في الدقْدقة:

(نقولُ في دارجتِنا: سَمِعتُ دئدئة: أصوات طَرْقٍ مُتَتابِعة. وفي (القاموس): الدَّقْدَقَةُ: جَلَبَةُ النّاسِ، وأصواتُ حوافِرِ الخَيْلِ.).

قلتُ: لم يَرْبُط د. عبد المنعم سيّد عبدالعال بين: دَأْدَأَ وبين دقْدقَ أو دَقْدَق... وفي: دأدأ يمكنُ أن يضافَ إلى ما نقلَ من (القاموس المحيط): «وَدَأْدَأَ الشيءَ: حَرَّكَهُ وسَكَّنَهُ وغَطّاهُ فَتَدَأْدَأَ. وَتَدَأْدَأَ: تَدَحْرَجَ». فقلْتُ: أليسَتْ هذهِ حَرَكة دَأْدَأَةِ الكُرَةِ في المَلاعِبِ وعلى مَضارِبِ كُرَةِ المَضْرِبِ وكُرَةِ (الطّاوِلَةِ)؟ والنّاسُ اليومَ تُسَمّيها الدَّأْدَأَة ويَظُنّون كتابتَها: الدَّقْدَقَة!!.

وفي (لسان العرب) لابن منظور: دأدأ «الدِّئْداءُ أَشَدُّ عَدْوِ البعير. دَأْدَأَ دَأْدَأَةً ودِئْداءً: عَدَا أَشَدَّ العَدْوِ...

... وفي حديث أبي هُرَيرَةَ، رضي الله عنه: (وَبْرٌ تَدَأْدَأَ من قُدومِ ضَأْنٍ) أي: أَقْبَلَ عَلَيْنا مُسْرِعًا.. وقد تَدَأْدَأَ ويجوزُ أن يكونَ: تَدَهْدَهَ فَقُلِبَتِ الْهاءُ همزةً، أي تَدَحْرَجَ وسَقَط علينا؛ وفي حديث أُحُدُ: (فَتَدَأْدَأَ عن فَرَسِه)...

... أبو عَمْرٍو: الدَّأْدَاءُ: النَّخُّ من السّيرِ وهو السّريعُ..

وفي النوادرِ: دَوْدَأَ فُلانٌ دَوْدَأَةً وَتَوْدَأَةً وَكَوْدَأَ كَوْدَأَةً إذا عَدا». [قلت: أسمعُ صوتَ دقِّ الأقدامِ أو الأطرافِ في دَأْدَأَةِ السّيرِ السّريع].

وابن منظور أيضًا: «وَدَأْدَأَ الهلالُ إذا أسرعَ السَّيْر؛ قال: وذلك أنْ يكونَ في آخرِ مَنْزِلٍ من مَنازِلِ القَمَرِ، فَيَكونُ في هُبُوطٍ فَيُدَأْدِئُ فيها دِئْداءً...

... والدَّأْداءُ: اليوم الذي يُشَكُّ فيه أَمِنَ الشَّهْرِ هو أم من الآخَرِ... وتَدَأدأتِ الإبِلُ، مثل أَدّت، إذا رَجَّعَتِ الْحَنينَ في أجْوافِها.

وَتَدَأْدَأَ حِمْلُهُ: مال.. وفي مَشْيِهِ: تمايَل.. و.. عنِ الشّيء مال فَتَرَجَّحَ به ودأدأ الشّيءَ: حَرَّكَهُ وَسَكَّنَهُ.. والدَّأْداءُ: عجلةُ جوابِ الأحمقِ [وفي القاموس: الدأدأة].

والدَّأْدَأة: صوتُ تحريكِ الصَّبِيّ في المَهْدِ. والدَّأْدَاءُ: ما اتَّسَعَ من التِّلاع. والدّأداء: الفضاء

عن أبي مالك.».

قُلْتُ: هذا بعضُ ما كَتَبَهُ ابن منظور في الدَّأْدَأَةِ. أمّا في الدَّقْدَقَةِ فكُلُّ ما كَتَبَه.

«الدَّقْدَقَةُ: حِكايةُ أصواتِ حَوافِر الدّوابِّ في سُرعةِ تَرَدُّدِها مثل الطَّقْطَقَة».

دَبَّحَ

في فَصْل الدّالِ المُهْمَلَةِ من بابِ الحاءِ في (لسان العرب) مادَّةُ الجذر: د ب ح بعضُ المعاني التي نستعمِلُها في العامّيّةِ اليومَ ونحنُ نظنُّ أنَّ فَصِيحَها من مادّةِ الْجَذرِ ذ ب ح بالذّال المعجمة فحينما نقولُ: دَبَّحَهم التّعَبُ من هذا العَمَلِ، فهذا ليسَ مِن الذَّبحِ، فَالذَّبْحُ بِالذَّالِ المُعْجَمَةِ قَطْعَ الحُلْقوم كما نَعْلَمُ، ولكنّ التَّدبيح بالدّال المُهْمَلَةِ: «تَنْكِيسُ الرَّأْسِ في الْمَشْي» كما في (لسان العرب) لابن منظور: د ب ح: «دَبَّحَ الرَّجُلُ: حَنَى ظَهْرَهُ، عن اللحيانيّ... ابن الأعرابيّ: التَّدْبِيحُ خَفْضُ الرَّأْسِ وَتَنْكِيسُهُ، وَأَنْشَدَ أبو عمرو الشَّيْبانيّ:

لـمّـا رَأَىٰ هَـراوَةً ذاتَ عُـجَـرْ
دَبَّحَ واسْتَخْفَىٰ ونادى يا عُمَرْ

... وَدَبَّحَ: ذَلَّ؛ عن ابن الأعرابيّ. الأزهريّ: دَبَّحَ الرَّجُلُ ظَهْرَه إذا ثناهُ فارتفعَ وَسْطُهُ كأنّه سَنامٌ. رواهُ الليثُ بالذّال المُعْجَمَةِ، وهو تَصْحيفٌ، والصّحيحُ بالدّالِ المُهْمَلَةِ.

ابن الأعرابيّ: ما بالدّارِ دِبِّيحٌ ولا دِبِّيجٌ، بالحاء والْجيم، والْحاءُ أفْصَحُهما، رَوَاه أبو عُبَيد بالْجِيم وقال الأزهريُّ: مَعْناه مَنْ يَدِبُّ، وقيل دِبِّيحٌ معناه ما به مَن يُدَبِّحُ.

وقالَ أبو عدنان: التَّدْبيحُ تدبيحُ الصِّبيانِ إذا لَعِبُوا. وهو أن يُطَأْمِنَ أَحَدُهُم ظَهْرَه لِيَجْيءَ الآخرُ يَعْدُو مِنْ بَعيدٍ حتّى يَرْكَبَهُ. والتَّدْبِيحُ: التَّطَأْطُؤُ؛ يُقَال: دَبِّحْ لي حتّى أَرْكَبَك.

والتَّدْبِيحُ أيضًا: تَدبِيح الكَمْأَةِ وهو أَنْ تَنْفَتِحَ عنها الأَرْضُ ولا تَصْلَعَ أي لا تَظْهَر». ا.هـ. ابن منظور.

قُلْتُ: انْفِتاحُ الأَرْضِ وَتَشَقُّقُها عَن الْكَمْأَةِ أو غيرِها تَقُول فيه عامّتنا اليومَ: الأرضُ مُدَبَّحَةٌ.

وقد كَتَبَ في مادّةِ هذا الْجَذرِ أيضًا كُلٌّ مِن ابنِ فارسٍ في معجمِ (مقاييس اللغة) والفيروزاباديّ في (القاموس المحيط) وغيرهما. وفي عَصْرنا كَتَبَ عَنْها في مِصر د.عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

(دَجْوَن) المَلْبُوساتُ (المُدَجْوَنَةُ)
في رحلات الألفاظ
والتَّطَوُّرُ المُلَوّث

البَنَاتُ يُرِدْنَ من بائعِ المبلوساتِ النّسائيّةِ أَلبِسَةً مُدَجْوَنَةً والبائعُ يصفُ لهنَّ هذا النّطاقَ النسائيَّ بأنّه (قشاط مُدَجْوَن) فَمِنْ أينَ اشتُقَّتْ هذه الصّيغةُ الوَصْفيَّةُ التي تدلُّ على أنَّ المقصودَ منها التَّزَيُّنُ أو التَّزَيُّدُ من التَّزَيُّنِ أو ما أشبهَ ذلك...

وإنّكَ لو سألْتَ المُشْتَقِّين لها لما وصلْتَ إلى شيءٍ ذي بالٍ فهمْ لا يتذكّرونَ مَرْحلةَ الخمسينيّاتِ من هذا القرنِ العشرين حينَما كانَتْ تمثَّلُ في دمشقَ ترجمةٌ لمسرحيّة (موليير) عملاقِ المسرحِ الفرنسيِّ في عصرِ النّهضةِ والانْبعاثِ الأوروبيِّ، هي مسرحيّةُ (دون جوان) وقد اشْتُهِرَ صاحبُ الشّخصيّةِ المِحْوريّةِ في هذهِ المسرحيّةِ بأنّهُ كانَ يَخلبُ ألبابَ النّساءِ فيَهْوَيْنَهُ فتتعدَّدُ مُغامراتُهُ الغَراميّةُ.. ولم يلتفتْ أحدٌ منَ الشّبّانِ عندَنا إلى تحليلِ بعضِ نُقّادِ مسرحِ (موليير) وقولهم إنّه كتبَ

هذه المسرحيّةَ التي جعلَ بطلَها (دون جوان) يموتُ حَرْقًا في النّهايةِ، لأنّ موليير أرادَ أنْ يخفِّفَ من هجومِ المُتَديِّنين عليه بعدَ أن مَسّ بمكانةِ بعضِ المُنافقينَ من رجالِ الدّينِ في مسرحيّتِهِ السابقةِ (طَرْطُوف، أو تارتوفْ).. وهذه الأمورُ لمْ يلتفتْ إليها جيلُ الشُّبّانِ الذين كانُوا في مُنْتَصَفِ القرنِ العشرينَ عندَنا كما قلْتُ..

وإنّما التفتُوا فقط إلى أنْ يشبِّهوا الفتى ذا المغامراتِ الغراميّةِ المُتَعَدِّدَةِ بأنّهُ (دون جوان) وأَنْ يشتقُّوا من سلوكِهِ صِفَةَ الدَّجْوَنَةِ وأَلبِستُه (مُدَجْوَنَة) ثمّ انتقلَتِ الصِّفةُ بعدَ سنواتٍ إلى صفةِ الألبسةِ النّسائيّةِ التي تُعجِبُ (دون جوان) بعد أنْ نُسِيَتِ المسرحيّةُ...

وأمرٌ مُهمٌّ آخرُ لم يلتفِتْ إليه أولئك الشّبّانُ، وهو أمرٌ لغويٌّ؛ فاسمُ دون جوان اسمٌ منقولٌ من العربيّةِ عن طريقِ الإسبانيّةِ، وجُوَان اسمُ ابنِ الشاعرِ القُرَشيِّ المكِّيِّ المخزوميِّ عمر بن أبي ربيعة، فهو أبو جُوان! وانتقلَ اسم جوان إلى الأندلسِ وصارَ بالإسبانيّة خوان لأنَّ الْجيمَ في لهجتهم تنقلبُ خاءً أحيانًا، ثمّ عادَ بالْجيمِ حينَ انتقلَ إلى الفرنسيّةِ واللغاتِ الأُوروبِّيّةِ الأخرى.. ثمّ عادَ الاسمُ صفةً إلى عامّيّتِنا في دمشقَ دونَ أن يعرفَ ناقلوهُ ومرحّلوه ومعاودوه شيئًا عن غرائبِ رحلاتِهِ وَتَنقُّلاتِهِ.. وهذا يذكِّرُني بشكوى الأميرِ مُصطفى الشّهابيّ الذي كان رئيسًا لِمَجْمعِ دمشقَ واتّحادِ المَجامعِ وعضوًا في مَجْمَعِ القاهرةِ وخلَّفَ لنا (مُعْجَم الألفاظِ الزّراعيّةِ) الذي ما يزالُ إلى الآنَ المَرْجِعَ الوحيدَ في المُصْطلحاتِ النّباتيّةِ وغيرِها.. فقد سجَّلَ أنَّ العوامَّ أعادُوا إلينا اسم الحَرْشَف الذي أخذَتْهُ الفرنسيّةُ (أرتي شو) من العربيّة القديمةِ فسمّاهُ العوامّ: أرضي شوكي، وسمَّوْه الخَرْشُوف.. وكذلك أعادَتِ العوامُّ كلًّا من:

القصر والحمراء بلفظيهما الإسبانيِّ: (الكازار) و(الهمبرا)، وأقولُ إنّي ألاحظُ تُجّارَ نباتاتِ الزّينةِ المُسْتورَدةِ يستوردونَ (التّورب) الأجنبيّ، وكأنّهُ ليسَ: (التُّرْبَ) اللفظَ العربيَّ التّليدَ..

في اللغة لا نستعمل عقولنا دائمًا كما قال البيضاويّ..

دَحّ والدّحْدَاح

(أأنت تَدُحُّني في ظَهْري؟ ولٰكنّك تقول إنّ الحِرْباءة دَحَّتْني وَهَرَبَت! فقد شَعَرْتُ بالدَّحّ!). والدَّحُّ بهذا المعنى العامّيّ فَصِيحٌ أيضًا فقد وَرَد في (لسان العرب):

«.. وَدَحَّ في قَفاهُ يَدُحُّ دَحًّا ودحوحًا، وهو شبيه بالدَّعِّ، وقِيْلَ: هو مثْل الدَّعِّ سواءً.» وقبلَه: «وقال شَمِر: «وَدَحَّ فلانٌ فُلانًا يَدُحُّهُ دَحًّا، ودَحاهُ يَدْحوهُ إذا دَفَعَهُ وَرَمَىٰ به... وَدَحَّ في الثَّرى بيتًا إذا وَسَّعَهُ... وفي حديث عَطَاء: (بَلَغَني أنّ الأرضَ دُحَّت مِنْ تَحْتِ الكَعْبَةِ)، وهو مِثْلُ: دُحِيَتْ....

وفي حَديث عُبيد الله بن نَوْفَل.. (فَنَام عُبيدُالله فَدُحَّ دَحَّةً)؛

الدَّحُّ: الدَّفْعُ وإلصَاقُ الشّيء بالأرْض، وهو من قَريب الدَّسِّ.

والدَّحُّ: الضّربُ بالْكَفّ مَنْشورةً أيَّ طَوائفِ الجَسَدِ أصابَتْ....

وَدَحَّ الطّعامُ بَطْنَه يَدُحُّهُ: إذا مَلأَهُ حتّى يَسْتَرْسِلَ إلى أَسْفَلَ. وانْدَحَّ بَطْنُه انْدِحاحًا: اتَّسَعَ... قال ابن برّي وَهِمَ الْجَوْهَريّ.. وصَوَابه أَنْ يُذْكَر في فَصْل: مَدَحَ.. وقد اسْتَدْرَكَه الْجَوهريُّ فَذَكَرَهُ أيضًا في فَصْل مَدَح! فوزْنُه افْعَلّ مثل احْمَرَّ، وإذا جَعَلْته في فصل: دَحّ فَوَزْنُه انْفَعَل.».

وذكره الجوهريّ والأزهريّ وغيرهما في هذه

التَّرجمة».

قُلْت: وابن فارس في (مقاييس اللغة) يَرَى أنّ د ح ح «أَصْل واحد يَدُلُّ على اتِّساعٍ وَتَبسُّطٍ، تقُول العَرَب: دَحَجْتُ البيتَ وغيرَه، إذا وسَّعْتَه. وانْدَحَّ بَطْنُه إذا اتَّسَعَ. قال أعرابيّ: مُطِرْنا لِلَيْلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنَ الشَّهر فانْدَحّت الأرضُ كلأً. . . .

ومِنَ الباب: الدَّحْداح: القصير، سُمِّيَ لِتَطَامُنِه وجُفورِهِ. . .».

وأعودُ إلى ابن منظورٍ أُفَصِّل في الدَّحْداح: «ورجـل دَحْـدَحٌ ودِحْـدِحٌ ودَحـداحٌ ودَحْـداحَـةٌ ودُحادِحٌ ودُحَيدِحَةٌ: قصير غليظ البطنِ».

دَحَلَ وَدَحْلَبَ

(أتكون الدَّحْلَمَةُ أصلًا للدَّحْلَبَةِ أم هي المُداحَلَة)

تقولُ عامَّتُنا: دَحْلَبْتُهُ حتّى هَوَّرْتُهُ وَجَعَلْتُهُ يَزْلَق في الكلام. فهل باءُ الدَّحْلَبَةِ مُبْدَلَةٌ من ميمِ الدَّحْلَمَةِ تَخْفيفًا للّفظ؟ ما الدَّحْلَمَةُ؟؛ في (لسان العرب) لابن منظور كما في (القاموس المحيط): «دَحْلَمَ: الدَّحْلَمَة: دَهْوَرَتُكَ الشّيءَ من جَبَل أو بِئْر وَزاد في اللسان: وأنشد:

كم من عَدُوٍّ زالَ أو تَدَحْلَمَا
كأنّه في هُوَّةٍ تَقَحْذَما

تَدَحْلَمَ إذا تَهَوَّرَ في بِئْرٍ أو من جَبَلٍ».

قُلْتُ: ولم أجد هذه العبارةَ في مَعاجِم فِصاح العامّيّات الأخرى ممّا جَعَلني أُفكّر في قُرْبِها مِنَ المُداحَلَةِ مَصْدر الفعل داحَلَ يُداحِل، وهذا ذَكَره أحمد رضا من لبنان في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح)، وذَكَره د.عبدالمنعم سيّد عبدالعال، من مصر، في: (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نَقُول في دارجتنا داحَلَ فلانٌ مع فلانٍ حتّى حقّقَ غَرَضَه. راوَغَهُ وخادَعَهُ حتّى نالَ مِنْهُ ما يُريد. وفي (القاموس..) داحَلَه: راوَغَه وخادَعَهُ، وماكَسَهُ وكَتَمَ ما عَلِمَهُ، وأَخْبَرَ بغَيْرِهِ».

قُلْتُ: هذا في عامِّيَّتِنا أيضًا وخُصوصًا بَعْدَ التَّواصُلِ مع الحِوارِ القَصَصيّ المصريّ في الأفلام والمُسَلْسَلات والفُنون؛ . . وأَجِد ما أُضِيْفُه ممّا يُقَرِّب من عامّيّتنا أيضًا:

قُلْتُ: فَأُضِيف من (القاموس المحيط) و(لسان العرب): «والدَّحِلُ: المُسْتَرخِي البَطِيْنُ، والكَثير المالِ، والدّاهِيَةُ الخَدّاعُ، والمُماكِسُ عِنْدَ البَيْع حتّى يَسْتَمْكِنَ من حاجَتِه، والسَّمِيْنُ القَصيرُ المُنْدَلِقُ البَطْنِ، وقد دَحِلَ [كَفَرِحَ] في الكُلِّ.. و[دَحَلَ] [كَمَنَعَ] وأَدْحَلَ تباعَدَ أو فرَّ واسْتَتَر وخافَ ودخلَ في الدَّحْل وهو نَقْبٌ ضيّقٌ فَمُه مُتَّسِعٌ أَسْفَلُه حتّى يُمْشَى فيه». وأَزِيد من ابن منظور في (اللسان) عن الأزهريّ صاحب (التّهذيب): «يقال: دَحَلَ فلان عَنّي وَزَحَلَ أي تباعد.. ويقال: دَحَل يَدْحَلُ إذا فَرَّ وهَرَبَ».

دَحَمَه دَحْمًا

(ما بِكَ تَدْحَمُنا وَتَدْفَعُنَا في هذا الزِّحام؟ تُريدُ أَنْ تَرْكَبَ على أكْتافِنا أو أن تَأْخُذَ دَوْرَنا وَتُفْسِدَ الصَّفَّ أو الطّابور؟) (والطّابور في شرح القاموس جماعة العسكر).

الدَّحْمُ: الدَّفْعُ المُزْعِجُ بِشَراسَةٍ؛ من العِباراتِ الشّاميَّة التي لم أَجِدْها في كُتُبِ العامّيّ والفَصيح اللّبنانيَّةِ والمِصْريّة.. فلعَلَّها مقصورةٌ على الشّام.. أو على بعض أريافها.. وقد وصلَتْ إلى الأَلْسِنَةِ في دِمشقَ مع هِجْرَةِ الرِّيفيِّينَ إلى المُدُن.

وهي فَصيحَةٌ دَقيقةٌ لا تَحتاجُ تصحيحًا ولا ضَبْطًا ولا تدقيقًا.

يقول ابنُ منظور في: (لسان العرب) كما في: (القاموس المحيط) للفيروزابادي وكذا في: (مُعْجم مقاييس اللغة) لابن فارس:

«الدَّحْمُ: الدَّفْع الشّديد. ابن الأعرابيّ: دَحَمَهُ دَحْمًا: إذا دَفَعَهُ، قال رُؤْبَةُ:

ما لم يُبِحْ يأجوجَ رَدْمٌ يَدْحَمُه

أي يَدْفَعُهُ؛ ومنه سمّي الرَّجُلُ دَحْمانَ ودُحَيْمًا. والدّحْمُ: النّكاح. ودَحَمَ المرأةَ يَدْحَمُها دحمًا: نكحها؛ ومنه حديث أبي هريرة عن النبيّ، ﷺ، أنّه قِيْل له: (أَنَطَأُ في الجَنَّةِ؟ قال: نَعَمْ. والذي نفسي بِيَدِهِ دَحْمًا دَحْمًا، فإذا قامَ عنها رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكْرًا)؛ قال ابن الأثير: هو النّكاح والوَطْءُ بِدَفعٍ وإزعاجٍ؛ وانتصابه بِفِعْلٍ مُضْمَرٍ. وفي حديث أبي الدَّرْداءِ: (وَذَكَرَ أَهْلَ الجَنَّة فقالَ: إنّما يَدْحَمونَهُنَّ دَحْمًا). وهو من دِحْمِ فُلانٍ؛ أي: من أَصْلِهِ وَشَجَرَتِهِ؛ عن كراع. وقد سَمَّوا دَحمًا وَدُحَيمًا وَدَحْمانَ. وَدَحْمَةُ اسم امرأة».

وفي: د خ م: قال ابن منظور أيضًا في (اللسان..): «الدَّخْمُ: ضَرْبٌ من النّكاح، قيل هو دفع في إزعاج؛ دَخَمَها يَدْخَمُها دَخْمًا: والحاء المُهْمَلَةُ لُغَةٌ».

قلت: فالعامِّيَّة أخذت هذه اللغة من الحاء المُهْمَلَة، وَلَمْ أَسْمَعْها بالخاءِ المُعْجَمةِ.

[إحالة: الدرّاق والدراقن إلى: خ و خ بعنوان: الخوخ والدرّاق].

دَرْدَرَ

يَستَشْهِدُ ابن منظورٍ في (لسان العرب) ويُتابِعُه الزّبيديّ في (تاج العروس...) بِقَوْل «الرّاجز:

أُقْسِمُ إنْ لم تأْتِنا تُدَرْدِرُ

لَيُقْطَعَنَّ مِن لِسانٍ دُرْدُرُ

قَال: والدُّرْدُر هاهنا طَرَف اللسان، ويُقَال: هو أَصْلُ اللسانِ، وهو مَغرِز السِّنّ في أَكْثَر الكَلام».

قلْتُ: «لم تأتِنا تُدَرْدِرُ»: هذا تعبيرٌ عامّيٌّ شاميٌّ مَشْهورٌ، إذ يُقال عندَنا اليوم (فُلان يُدَرْدِرُ إلينا في كلّ مُدَّة.. وفلان ما عادَ دَرْدَرَ علينا) يَقْصدونَ أنَّه: يَذْهبُ ويَجيءُ إلينا ويزوْرُنا دُونَ أَنْ يكونَ لهُ غرَضٌ ذاتيٌّ خاصٌّ به لدينا.. والمُعْجَمُ العربيُّ القديمُ والحَديثُ لا يُعطي شَرحًا لِلفِعْل تُدَرْدِر شديدَ الوُضوحِ.. وخُصوصًا بعضُ المَعاجِم الحَديثةِ التي تَكْتَفي من مادّةِ: دَرْدَرَ بترجمةِ شَجَر الدّردار، (كالمدرسيّ).. أو تُقَيِّدُ معنى الفِعْل «دَرْدَر البُسْرَةَ: دَلَكَها بِدُرْدُرِهِ ولاكَها». كما في (المُنْجد)، عن (اللسان..) ولٰكنّ هذا القَيْد الذي حُصِرَ مَعْنى الفِعْلِ به فصارَتِ المَعاني الأُخْرَياتُ مِنَ الغَلط! لم يَكُنْ مؤلّفو المُعجمِ القَديمِ يَقْصدونَ منه الحَصْرَ وإنّما كانوا يَأْتُونَ به مِثالًا على طريقةِ اسْتِخدامِ بعضِ مَعاني الكَلِمةِ، و(اللسان..) ذاتُه اسْتَشْهدَ بحديثِ ذي الثُّدَيّةِ وَشَرَحَه، فإذا هو يَصِلُ في هذا الشّرحِ إلى ما يُقارِبُ المَعْنَى العامِّيَّ الشّاميَّ للفِعْلِ: دَرْدَرَ إذ قال: «وفي حديث ذي الثُّدَيَّةِ المَقْتُولِ بالنَّهْروان: (كانَتْ له ثُدَيَّةٌ مِثْل البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ) أيْ: تَمَزْمَزُ وَتَرَجْرَجُ تجيءُ وَتَذْهَبُ، والأَصْلُ تَتَدَرْدر، فَحُذِفَتْ إحْدى التّاءين تَخْفيفًا؛ ويُقَالُ للمَرْأة إذا كانَتْ عَظيمةَ الأَلْيَتَيْن فإذا مَشَت رَجَفَتا: هي تُدَرْدِر..». وقَبْلَ ذلك أيضًا حين شَرَحَ ابن منظور بَيْتَ امْرِئِ القَيْسِ في مُعلَّقتِهِ (قفا نَبْك..):

دَرِيْرٌ كَخُذْرُوفِ الوَلِيْدِ أَمَرَّهُ

تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوَصَّلِ

«الدّرير من الخَيْل والدّوابّ: السّريع.. والدَّرْدَرَّىٰ: الذي **يَذْهَب ويَجيء في غَيْرِ حاجةٍ**... وأَنْشَدَ أبو الهَيْثم:

لـمّـا رأتْ شَيْـخًـا لـهـا دَرْدَرَّىٰ

في مثلِ خَيْطِ العِهنِ المُعَرَّىٰ

والمُعَرّى: الذي جُعِلَتْ له عُرْوَة.

... وَدَرَرُ الطّريقِ: قَصْدُه وَمَتْنُه.. ومَدْرَجَتُهُ.. وَدَرَرُ الرّيْحِ مَهَبُّها.

... والدَّرْدَرَةُ: حِكَايَةُ صَوْتِ الماءِ إذا انْدَفَعَ في بُطونِ الأَوْدِيَة. والدُّرْدُوْرُ: مَوْضِعٌ في وَسَطِ البَحْرِ يَجيشُ ماؤه لا تَكادُ تَسْلَمُ منه السّفينةُ؛ يُقال: لَجَّجُوْا فَوَقَعُوا في الدُّرْدور. الْجَوْهريّ: الدُّرْدُور: الماءُ الذي يَدُورُ وَيُخافُ منه الغَرَقُ.

... وأَصْل الدَّرّ في كلام العرب اللّينَ».

قُلْتُ: في أَصْلِ المادّةِ تعوَّدْت أنْ أعودَ إلى ابن فارس في (مُعْجم مقاييس اللغة) المُخْتَصّ به، وفيه: «الدّال والرّاء في المُضاعَف يَدُلّ على أَصْلَيْن: أَحَدهما تَوَلُّد شيء عن شيء، والثّاني اضْطرابٌ من شيء. فالأوَّلُ دَرُّ اللَّبَنِ.. ومنه قَوْلُهم: (لا دَرَّ دَرُّهُ). لا كَثُرَ خيرُه... والآخَرُ: الدَّردير من الدّوابّ... والدُّرْدُر مَنابِتُ أَسْنانِ الصَّبِيّ. وهو من: تَدَرْدَرَتِ اللحمةُ تَدَردُرًا: إذا اضْطَرَبَتْ، وَدَرْدَرَ الصّبيُّ الشيءَ: إذا لاكَهُ يُدَرْدِرُه..».

قُلْتُ: وهذه أيضًا في عامّيّةِ دمشقَ.. فنقولُ: (تَدَرْدَرَت اللَّحْمَةُ وَدَرْدَرَ الصّبيُّ الأَكْلَ وهو يَلُوكُه).

وفي مُعْجَم (مَتْن اللغة) لأحمد رضا العامليّ: درر: «والأَصْل في المادّة الحَرَكَةُ كما يَظْهَرُ مِنَ النّظَرِ في جميعِ معانيها».

دَرْز أطراف الثّوب
ودَرْزُ الحَبّ في عرنوس الذُّرَة

يُقالُ عندَنا: الدَّرْز: الخياطةُ الدّقيقةُ المُنَعَّمَة بالغُرَزِ المُصَغَّرَة التي صارت تؤدّي بمكنة الخياطةِ الآليّةِ في هذا العصرِ، فتخصّصت خياطة المَكَنةِ ذاتِ الإبرة بالدَّرْز غيرِ اليَدَويّ وغيرِ اسْتِعمال أصابعِ يدِ الخيّاطِ والخيَاطةِ في تحريك الإبرة في الخياطة اليدويّة. وفي (القاموس المحيط) للفيروزابادي: «وَدُرُوزُ الثَّوْبِ معروفة.. مُعَرَّب.. وَأَوْلادُ دَرْزَةَ: الخيّاطونَ والحاكَةُ» ويستدرك عليه الزبيديّ في مُسْتَدرَك (التاج..): «دَرَزَ الخيّاط الدُّرُوزَ؛ أي: دَقَّقَها.» وكذلك في (اللسان..) لابن منظور، وفي (شفاء الغليل..) للخفاجيّ.

ونقولُ، في الشّامِ أيضًا: عَرْنُوسُ[1] الذُّرَةِ مَدْروزٌ

(١) عرنوس الذُّرة. وأسمعهُم في القصصِ والحزازيّاتِ والمُسلسلاتِ المِصْريّة يُشَبِّهونَه بالكُوزِ ويجمعونَه على: (كيزان)، وفي القاموس المحيط: ولسان العرب: م ط و: المِطْوُ: النَّظيرُ والصّاحِبُ وسُنْبُلُ الذُّرَةِ وعِنْقُ النَّخلة، وَجَمَعَها (المعجم الوسيط) على أَمْطاء، وفي (المعجم الوسيط) في عبارة العِرناس الذي هو «أَنْفُ الْجَبَلِ أو قضيب أو شعبة من خَشَبٍ ونحوِه تُجْعَلُ عليهِ سبائخ القُطنِ للغَزْل. جَمْعُه: العرانيس. وعرانيس الذّرة: صفوفها».

و(العرنوس) في الدّارجة الشّاميّة، يقول فيها لويس معلوف في (المُنْجد) الطّبعة الخامسة عشرة سنة ١٩٥٦م: «العِرناس.. ومنه عرانيس الذُّرة عند المُوَلَّدين.. والعامّة تقول: (العرنوس)».

ولكنّ العُرْنوس في (لسان العرب) لابن منظور، وفي (التّاج..) للزبيدي، هو: «العُرْنوس والعِرْناس؛ وهو طائر كالحمامة لا تَشْعُرُ به حتى يطير من تحت قدمك فيفزعك»، ولم يذكروا الذُّرة في ع ر ن س، ولاحظت أنّ (اللسان..) ذكر في م ط و: «سَبَل الذّرة» وفي (القاموس المحيط): «سُنْبَلَ الذُّرَة».

دَرْزًا بالحَبّ، أو غَيْرُ مَدْرُوزٍ به ففيه فراغاتٌ وخَلاءٌ ما بين حبوبِ العرنوسِ: أيْ: (العِرْناسِ أو المِطْوِ) في المعجم القديم، وفي لهجة لبنان (شَمّوط الذُّرة) وفي مِصْر (كُوز الذُّرة) وهي أسماءٌ لِسُنْبُلِ الذُّرَةِ الذي يَحْمِلُ حبوبَها صُفوفًا مَدْروزَةً دَرْزًا.

وأحسب أنّ اكتفاء بَعض المعاجم بمعانٍ أخرى للدَّرْزة بعيدة عن هذا المعنى المُتداوَل في عصرنا، وأنّ حذفها هذا المعنى كما فعل الرازي في (مختار الصّحاح) وأحمد بن فارس في (معجم مقاييس اللغة)؛ ممّا أوهم بعضهم أنّ دَرْزَ الخِياطة معنى غير وارد.

دَعَسَ

في الشّام يُقالُ: (دَعَسَ على الأَرْضِ) وَدَعَسَه أقرباؤُه فأخذُوا حُقوقَه.. الخ وأيضًا يقولونَ (دَعَسَتْه السّيّارةُ)، و(دَعَسَهُ القِطارُ) وفي فصيح إعلامِهم المُعاصِر: دَهَسَهُ!، مع أنّها بالعَيْنِ قد تكونُ أقربَ إلى المعنى المقصودِ. وليس بالهاءِ.. كما سنرى:

فقد أوردَها أحمدُ رضا العامليُّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «والدَّعْسُ عندَهم وَطْءُ الأرضِ بِشِدَّةٍ، والأرضُ مدعوسةٌ: كَثُرَ وَطْءُ الأقدامِ والحوافرِ والأخفافِ.

وجاءَ في اللغةِ: دَعَثَ الأرضَ وطِئها شديدًا. وجاءَتْ في كلامِهم أيضًا بالسّينِ فقالُوا: دعسَهُ بمعنى: دَعَثَهُ. قالَ في (اللسانِ): الدَّعْسُ شِدَّةُ الوَطْءِ. وَدَعَسَتِ الإِبِلُ الطّريقَ تَدْعَسُه دَعْسًا: وطِئَتْهُ وطْأً شديدًا.

قال ابنُ مُقْبِلٍ:

وَمَنْهِلٍ دَعْسُ آثارِ المَطِيِّ بِهِ
تَلْقَى المَخارِمَ عِرْنينًا فَعِرْنينا

فالعامّةُ أَخذَتْ بالسّينِ إحدىٰ اللُّغَتَيْنِ، فكلامُها من الفصيح».

وفي (لسانِ العربِ) لابنِ منظورٍ: «ورجل دِعِّيس كمِدْعَسٍ. ورجلٌ مُداعَسٌ: مُطاعِنٌ والدَّعْسُ: شِدَّةُ الوَطْءِ. وَدَعَسَتِ الإبِلُ الطَّريقَ تَدْعَسُهُ دَعْسًا: وَطِئَتْهُ وَطْأً شَديدًا. والدَّعْسُ: الأَثَرُ، وَقيلَ: هُوَ الأَثَرُ الحَديثُ البَيِّنُ.

وَطَريقٌ دَعْسٌ ومِدْعاسٌ وَمَدْعُوسٌ: دَعَسَتْهُ القوائمُ ووَطِئَتْهُ وكَثُرَتْ فيه الآثارُ. يُقالُ: رأيتُ طريقًا دَعْسًا أي: كثيرَ الآثارِ. والمَدْعوسُ في الأرضين: الذي قد كَثُرَ فيه النّاسُ وَرَعاهُ المالُ حتّى أَفْسَدَهُ وكثرَتْ فيه آثارُه وأَبْوَالُهُ، وهم يكرهونَهُ إلّا أن يَجْمَعَهُمْ أَثَرُ سحابَةٍ لا يجدون منها بدًّا.

والمِدْعاسُ: الطّريقُ الذي ليَّنَتْه المارَّةُ...

... وَدَعَسْتُ الوِعاءَ: حَشَوْتُه..

وأَرْضٌ دَعْسَةٌ ومَدْعوسَةٌ: سَهْلَةٌ.

وَأَدْعَسهُ الحَرُّ: قَتَلَهُ.

وفي النّوادرِ: رَجُلٌ دَعُوْسٌ وغَطوسٌ وقَدُوسٌ ودَقوسٌ؛ كلُّ ذلك في الاسْتقدامِ في الغَمَراتِ والحروب». ا.هـ. ابن منظور.

قُلْتُ: فإذا وازنّا بين الدَّعْسِ العامّيّةِ الفصيحةِ، وبين الدَّهس (بالهاء) التي اختارَها الإعلامِيّونَ لَدَيْنا بدلًا من الدَّعْس بالسّيارةِ أو بغيرِها، فإنّنا نجدُها لا تُعَبِّرُ بالدِّقَّةِ التي نجدُها في الدَّعْس. ففي (لسان العرب) عن.. «الليث: الدُّهْسَةُ لَوْنٌ كَلَوْنِ الرِّمال وألوان المِعْزى.. ابنُ سِيْدَه: الدُّهْسَةُ لونٌ يعلوه أدنى سواد يكونُ في الرِّمال والمَعَزِ. وَرَمْلٌ أَدْهَسُ بَيِّنُ الدَّهَسِ، والدَّهاسُ من الرَّمْلِ: ما كان كذلك لا يُنْبِتُ شجرًا وتغيبُ فيه القوائمُ.. وقيلَ هو كلُّ لَيِّنٍ سَهْلٍ لا يبلغُ أن يكونَ رَمْلًا وليسَ بترابٍ

ولا طينٍ؛ قال ذو الرُّمَّةِ:

جاءَتْ مِنَ البِيْضِ زُعْرًا، لا لِباسَ لها
إلّا الـدَّهـاسُ، وأُمٌّ بَـرَّةٌ وَأَبُ

. . . وَأَدْهَسَ القومُ: سارُوا في الدَّهْسِ. . .
وفي الحديث [الشريف]: (أقبلَ من الحُدَيْبِيَةِ فنزلَ دَهاسًا من الأرض). . وَرَجُلٌ دهَاسُ الخُلُقِ؛ أي: سَهْلُ الخُلُقِ دَمِثُهُ، وما في خُلُقِهِ دَهاسَةٌ».

دَعَكَ

دعَكَهُ، عندَنا في دمشق، كما هو في أصل اللغة: بمعنى: أَلانَهُ وَدَلَكَهُ وَمَعَكَهُ معكًا، ولٰكِنْ في لبنان يقول أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «يقولون: دَعَك فلانًا وَمَعَكَهُ إذا ضَرَبَه بعصًا أو بغيرها. . . .

وأمّا: (دَعْدَكه) فإنّما كانت الزّيادةُ لإفادةِ التّكرارِ بمعنى: دعكه مَرَّةً بعد أخرى.

ويُلاحَظ في كلامِ العامّة أنَّ دَعَكه أشدُّ من دَعْدَكه، فالأولى للضَّرْبِ الشّديدِ والثّانيةُ للضَّرْبِ الخفيفِ المُتَكرِّرِ. ويقولون: دَعْدَكَ المَهْرَ إذا أراضَه على الرّكوبِ عليه شيئًا فشيئًا، ويُرادُ به التّمرينُ. ويقولونَ أيضًا لهذا المعنىٰ كَبَّسهُ وَلَيَّنَ ظَهْرَه». ومن المجاز في عامِّيَّتنا: «الرجل المدعوك: من أحكمته التّجارب فهو غير مُغَفَّل» كما قال شفيق جبري[1].

ويقولُ الأميرُ شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) ص١٠٧: «. .وَدَعَكَ الشّيءَ في التُّرابِ: مَرَّغَهُ، وهذا من الفصيح».

وأَتَوسَّعُ في معاني الدَّعْكِ الفصيحةِ لعلَّها تَشْمَلُ ما في العامّيّاتِ المُخْتَلِفَة:

يقول ابنُ منظور في (لسان العرب):

«دَعَكَ الثّوبَ باللُّبسِ دَعْكًا: أَلانَ خُشْنَتَهُ. وَدَعَكَ الخَصْمَ دَعْكًا: لَيَّنَهُ وَذَلَّلَهُ وَمَعَكَهُ مَعْكًا. وَرَجُلٌ مِدْعَكٌ وَمُداعِكٌ: شديدُ الخُصومَةِ. وتَداعَكَ الرَّجُلانِ في الحرب؛ أي: تَمرَّسَا. وَرَجُلٌ دَعِكٌ؛ أي: مَحِكٌ. وتَداعَكَ القومُ: اشتَدّت الخُصومَةُ بينهم. ودَعَكَهُ في التُّرابِ: مَرَّغَهُ. والدَّعْكُ مِثْلُ الدَّلْك. وَدَعَك الأديمَ دَعْكًا: دَلَكَهُ ولَيَّنَهُ. وأَرْضٌ مَدْعوكَةٌ: كَثُرَ بها النّاسُ ورُعاةُ الإبِل حتّى أَفْسَدُوها، وكَثُرَتْ فيها آثارُهم وهم يَكْرَهونها، إلّا أنْ يَجْمَعهم أثرُ سحابَةٍ لا بُدَّ لهم منها. . ويقال: تَنَحَّ عن دُعْكَةِ الطّريق. . . قال ابن برّيّ: الدُّعَك: الضَّعيف الهُزَأَةُ، قال عبدالرَّحْمٰنِ بنُ حسَّانَ وكان لِعَمْرِو بنِ الأَهْتَمِ وَلَدٌ مَليحُ الصُّورة وفيه تأنيث فقال:

قُلْ للذي كادَ، لولا خَطُّ لِحْيَتِهِ
يكونُ أُنْثَى عليه الدُّرُّ والمَسَكُ

هل أنتَ إلّا فَتاةُ الحَيِّ إن أَمِنُوا
يومًا، وأنت، إذا ما حاربوا دُعَكُ

والدِّعْكاية: الكثيرُ اللحم، طالَ أو قَصُرَ؛ قال ابن برّيّ: والدِّعْكايَة القَصير، قال الرّاجز:

أما تَرَيْنـي رَجُلًا دِعْكـايَـهْ
عَكَـوَّكًـا إذا مَـشَىٰ دِرْحـايَـهْ
أنـوءُ لـلـقـيـامِ آهًـا آيـهْ
أمـشـي رُوَيـدًا تـاهَ تـاهَ تـايَـهْ
فـقـد أَرُوْعُ وَيْـحَـكِ الْـجَـدايَـهْ

(١) انظر في مقال شفيق جبري (المجاز في لغة العامة) في (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق): الجزء الرابع من المجلد السابع والأربعين الصادر في تشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩٧٢م. ورمضان سنة ١٣٩٢هـ.

زعمت أَنْ لا أُحْسِنَ الحُدايه،

فـيـايَـهٍ أيـايَـهٍ أيـايَـهْ».

دَغْدَغ

الدَّغْدَغَةُ في عامّيّتنا كما هي في الفصيح، ولأنَّها بغير مشكلاتٍ في المعجم العربيّ التّليد أكتفي بما في (. . الوسيط): فهو مُعْجَم مَجْمَع القاهرة، ويروي عن (اللسان. . والقاموس. . والتّاج. .):

«دَغْدَغ الصبيَّ: زَغْزَغَه. ويُقالُ: دَغدَغَ فلانًا بكلمة: طَعَنَ عليه».

وَدَغْدَغَ عِرْضَه: طَعَنَ في حَسَبِه.

الدَّغْدَغَة: حَرَكَة في نَحْو الإبط والبُضْع أو في الأخْمَص يَحْدُثُ عنه انْفعالٌ المُدَغْدَغُ: اسم مفعول من دَغْدَغه. ويُقال: فلان مُدَغْدَغ: مغْمُورٌ في حَسَبِه أو نَسَبِه.

الدّغْري

العِبارة العامّيّة (الدُّغْرِي) بمعنى الاسْتقامة والمُسْتقيم، وهي العِبارَة التي شُكِّل منها عُنوان المُسَلْسَل المَشْهور للفنّان دُرَيْد لحّام هل تطوَّرَتْ من الفِعْل: «دَغَرَ عَلَيْهِ يَدْغَرُ دَغَرًا وَدَغْرَىٰ كدَعْوى: اقْتَحَم من غيرِ تَثَبُّت، والاسْمُ الدَّغَرَىٰ» كما في المُعْجَم التَّليد مِثْل (لسان العرب) لابن منظور الذي أَسْتَكْمِلُ الخِيارَ منه للنُّقول المُناسِبَةِ لمُلاحظَةِ تَطَوُّر المَعْنى: «وَزَعَمُوا أنَّ امْرأةً قالَتْ لِوَلَدِها: إذا رَأَتِ العَيْنُ العَيْنَ فدغرى ولا صَفَّى، ودَغْرَ ولا صَفَّ. . تقولُ: إذا رَأَيْتُم عَدُوَّكُم فادْغَروا عليهم أيْ اقْتَحِموا واحْمِلوا ولا تُصافُّوهُم. . ودَغَرَ عليه: حَمَلَ. . . [قلت وفي العامّيّة يُقال في مِثْل هذا المَوْقف: اهجُموا (دُغْرِي). . .] وأُكْمِل النَّقل من (اللسان. .):

والدَّغْرُ: غمْزُ الحَلْقِ من الوَجَعِ الذي يُدْعَىٰ العُذْرَة. ودَغَرَ الصَّبِيَّ يَدْغُرُه دَغْرًا: وهو رَفْعُ وَرَمٍ في الحَلْقِ. وفي الحديث أنّ النبيّ - ﷺ - قالَ للنّساء: «لا تُعَذِّبْنَ أَوْلادَكُنَّ بالدَّغْر»؛ . . فَتُدْخِل المرأة أُصبُعَها فَتَرْفَعُ بها ذلك المَوْضِع وتَكْبِسُه. . . [قُلْتُ فيُقال عِندنا: لا تُعَذِّبِي الوَلَد وتُدْخِلي إصبعك في فَمِه دُغْري. .].

والدَّغْر: تَوَثُّب المُخْتَلِسِ ودَفْعُهُ نَفْسَهُ على المَتاع لِيَخْتَلِسَهُ؛ ومنه حديثُ عليٍّ، كرّم الله وَجْهه: (لا قطع في الدَّغْرَة) وهي الخَلْسَة؛ قال أبو عُبَيد: وهو عندي من الدَّفْعِ أيضًا لأنّ المُخْتَلِسَ يَدْفَعُ نَفْسَهُ على الشَّيءِ لِيَخْتَلِسَه. . الدَّغْرُ في الفَصِيلَ أنْ لا تَرْوِيَه أُمُّه فَيَدْغَرُ في ضَرْعِ غيرها، فقال: عليه الصّلاة والسّلام: (لا تُعَذِّبْنَ أولادَكُنَّ بالدَّغْرِ ولٰكِنْ أَرْوِيْنَهم لِئلّا يَدْغَرُوا في كلِّ ساعة وَيَسْتَجِيعُوا)». وهذا كلُّه وارِدٌ لدىٰ الزّبيديّ في (التّاج. .) ويُضيفُ في (مُسْتَدْرَكِه. .): «. .وقَرَأْتُ في الحَماسَةِ لخارِجَةَ ابنِ ضِرارٍ المُرِّي:

أخارج مهلًا أو سفهت عشيرة

كَفَفْت لسان السّوء أن يتدغّرا

وَفَسَّرُوه وقالُوا: أيْ: يتعوّدا». قُلْتُ وفي كلِّ هذه المعاني يُقال عندنا: دغري. .؛ كَفَفْت لِسانَ السّوء دُغري، وَهَجَمَ الفَصِيل الجائعُ على الضَّرْع دغري و. . . واخْتَلَسَ المُخْتَلِسُ دغري. .

قُلْتُ: أهو القَصْد المُباشَر والهُجومُ على خطٍّ مُسْتقيمٍ رأسًا ودُون لفٍّ أو دَورانٍ حَوْل الهَدَف، ممّا أدّى إلى تطوُّرِ المعنىٰ على هذا المَسار وإلى هذه النّتائجِ حتّى قِيْل لنا: (احْكِ الدّغري) أي اهْجُم على الحقيقة الصَّريحةِ في حديثك. . . فلا تُراوِغْ ولا تُحاول المِراء. . أو التَّهرُّبَ من صَراحَةِ الحديث عن الحقيقةِ. . وفي (أساس البلاغة): للزّمخشريّ:

«أصْل الدَّغْر: الدَّفْع».

وكذلك أصْلُ المَعْنى في أغلب المَعاجِم. .

وكذلك في (مقاييس اللغة) لابن فارس:

«د غ ر: أصْلٌ واحدٌ؛ وهو الدَّفْعُ والتَّقَحُّمُ في الشَّيْءِ. . . وَدَغَرْت القومَ، إذا دَخَلْتَ عليهم. وكلام لهم، يقولون: (دَغْرًا لا صَفًّا) يقول: ادغروا عليهم، لا تُصافُّوهم. .».

وإذا كانَ مِنَ المُحْتَمَل أنْ تكونَ (الدُّغري) داخلةً عَلَيْنا من التّركيّة، فأنا أَسْتَبْعِد أنْ تكونَ دَخيلةً غَريبةً؛ لأنّ من المُحْتَمَل أيضًا أن تكونَ التُّركيّة قَبَسَتْها من الفِعْل العَرَبِيّ دَغَرَ يَدْغَرُ كما رَأَيْنا. . فَتُعَدُّ من الألفاظ الرّاحلة المُتَنَقِّلة. . .

وكثيرٌ منَ المَعاجِم الحَديثةِ تُهْمِل ذِكْر (الدُّغْري) ولٰكنّ بطرس البُستانيّ في (مُحيط المُحيط) وفي ط مكتبة لبنان ببيروت بَعْدَ أنْ يَذْكر أهمّ ما في مادّة د غ ر؛ يرى أنّ:

«الدُّغْري في كلام العامّة تحريف (الطّوغري) بالتُّركيّة ومَعْناه: الصَّحِيحُ والمُسْتَقِيم. .».

ويَذْكُرها أحمد أبو سعد في ص٢٥٢ من (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) ط١ مكتبة لبنان ببيروت سنة ١٩٨٧م. وفيه:

«دِغْري: (من التّركيّة كما قال الأب روفائيل نَخْلَة في (غرائب اللهْجَة اللُّبنانيّة السُّوريّة) سنة ١٩٦٢م الصّفحة ١١٢) صِفَةُ الشَّخْصِ المُسْتَقيم».

أمّا حليم دمّوس في (قاموس العَوَام)[1] فَيَرى أنّها لَفْظَةٌ فارسيّة بمَعْنى: «مُسْتقيم أو رَأْسًا أو توًّا أو بإِخْلاص». قُلْت: ولٰكنّي لم أَجِدْها في (قاموس الفارسيّة) تأليف د. عبدالنّعيم حَسَنين.

الدَّغْمَرَة

تقولُ عَوَامّ الشّام: (دَغْمَرَني فَوَرَّطَني بأقوالٍ وأفعالٍ غَيْرِ واضِحَةٍ وليسَ فيهما مَصْلَحَتي ثمّ ظَهَرَتْ لي الحقيقةُ وإذْ أنا مُتَوَرِّط ومُدَغْمَر. .).

والدَّغْمَرة فَصِيْحة وهي بِمَعْنىٰ الخَلْط في (لسان العرب): «والدَّغْمَرة: تَخْلِيط اللَّوْنِ والخُلُق، قال رُؤْبَة:

إذا امـرُؤٌ دَغْـمَـرَ لَـوْنَ الأَدْرَنِ
سَلَّمْتُ عِرْضًا لَوْنُه لم يَدْكَنِ

الأَدْرَن: الوَسِخ. لم يَدْكَنْ: لم يَتَّسِخ. . .

وَرَجُلٌ دُغْمور: سَيِّئ التَّاء. وَرَجُلٌ مُدَغْمَرُ الخُلُقِ أي: ليسَ بِصَافي الخُلُق وَرَجُلٌ دَغْمَرِيٌّ وفي خُلُقِهِ دَغْمَرَةٌ أيْ: شَراسَةٌ ولُؤْمٌ، قال العجاج:

لا يَزْدَهِيْني العَمَلُ المَقْزِيُّ
ولا مِـنَ الأخْـلاقِ دغْـمَـرِيُّ

والدَّغْمَرِيّ: السَّيِّئُ الخُلُق، وكذلك الذُّغْمور بالذّال، الحَقود الذي لا ينحلُّ حقدُه.

ودَغْمَرَ عليه الخَبَرَ: خَلَطه. والمُدَغْمَرُ: الخَفِيُّ».

وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس: «دَغْمَرْت الحديثَ، إذا خَلَطْته. قال الأصمعيّ في قوله:

ولـم يكُـنْ مُؤْتَشَبًا دِغْمارًا[2]

قال: المُدَغْمرَ: الخَفِيّ. وهذه مَنْحُوتةٌ من كَلِمَتَيْن: من دَغَم، يُقال: أدْغمَت الحرف في الحرف إذا أَخْفَيْته فيه، وقد فَسَّرْناه. ومن دَغَرَ: إذا دَخَلَ علىٰ الشّيء. . .».

(١) طُبِعَ (قاموس العَوَامّ) تأليف حليم دمّوس في دمشق سنة ١٩٢٣م. بمطبعة التّرقّي.

(٢) لم تَرِدْ كَلِمَةُ دِغمار في المَعاجِم المُتداوَلَة، ولم أَعْثُرْ علىٰ هذا الشّاهد في مَرْجِع آخر: حاشية مُحَقِّق (المقاييس. .) عبدالسّلام محمّد هارون.

وأحمد رضا العامِليّ في (ردّ العامّيّ إلىٰ الفصيح) يَرْبطُ بَيْنَ «. . دَغْمَر وَدَخْمَرَ وَدَخْمَسَ. . فهي تَصْلُح لِمَعْنًى واحد».

ولويس معلوف يَذْكر في (المُنْجِد) صيغة جَمْعٍ لِلدَّغْمري فيقول: «الدَّغامِرُ أَرْذال القَوْم».

دَفَرَ وَدَفَّرَ

عوامُّنا تُلقّبُ الذي يُساعدُ اللصوصَ بإخفاءِ مسروقاتِهم وتصريفها لِحَجْبِها عن أصحابِها؛ بِلقب: المُدَفِّر؛ لأنّه يُدَفِّرُ المسروقاتِ، كأنَّ لها رائحةً فاسدةً فينبغي إخفاؤها لأنّها دَفِرَةٌ أي نَتِنَةُ الرّائحةِ كما في المعجم التُّراثيّ (المصباح المنير. .) للفيّوميّ: «دَفِرَ الشّيءُ دَفَرًا فهو دَفِرٌ – من باب: تَعِبَ [أي: مضارعه يدفر، مفتوحُ الفاءِ: عَيْنه]–: أَنْتَنَتْ رِيْحُهُ. وَأَدْفَرَ – بالألِف – لُغَة، والدَّفْرُ – وِزان فَلْس – اسمٌ منه؛ يُقالُ: فيه دَفَرٌ أي نَتَنٌ، ويقالُ للْجاريةِ إذا شُتِمَتْ: يا دَفارِ، أيْ مُنْتِنَة الريحِ كنايةً عن خُبْثِ الخبرِ والمخبرِ». ومثل ذلك في صِحاح الْجوهريّ.

وفي (لسان العرب) لابن منظور. . «وَرَجُلٌ أَدْفَرُ وَدَفِرٌ. . والدَّفْرُ: النَّتَنُ والدّود، والدَّفْر: الذُّلّ. . قال: ولا أعرفُ هذا الفرقَ إلّا عن ابن الأعرابيّ. . . . قال نافِعُ بنُ لَقيط الفَقْعسِيّ:

وَمُؤَوْلِقٍ أَنْضَجْتُ كَيَّةَ رَأْسِهِ
فَتَرَكْتُهُ دَفِرًا كريحِ الْجَوْرَبِ

وامْرَأَةٌ دَفْراءُ وَدَفِرةٌ. .». ا.هـ. (اللسان. .).

قُلْتُ لَعَلَّ العامّيّةَ تشتقُّ المعانيَ المجازيّةَ من الفِصاحِ وتحملُ المعنى على (مَجاز المَجاز) وهو تعبيرٌ يستعملُهُ الزّمخشريُّ في (أساسِ البلاغة) في غيرِ مادّةِ هذا الْجَذرِ بالذّاتِ، فقد قرأته عنده – مثلًا في: س و ف.

«ومن مَجاز المَجازِ قَوْلُ ذي الرُّمَّة:

وَأَبْعَدُهُمْ مَسَافَةَ غَوْرِ عَقْلٍ
إذا ما الأمْرُ ذو الشُّبُهاتِ عالا».

وفي: د ف ر في (أساس البلاغة) ذاته:

«لَحْمٌ فيه دَفَرٌ وهو النَّتَنُ ووقوعُ الدُّودِ فيه. والدّنيا دَفْرَة؛ ولَعَنَ اللهُ أُمَّ دَفْرٍ، وهي كُنْيتُها. . . . . .

. . وكتيبة دَفْراءُ يُراد رائِحَةُ الحَديد. وَشَمَمْتُ دَفَرَهُ وَدَفْرَهُ.

ويُقَال لِلأَمَةِ: يا دَفارِ.

وَدَفَرْتُهُ عنّي: دَفَعْتُهُ. وَدَفَرَ في صَدْرِهِ. وإذا دنا منك فادْفِرْهُ» ا.هـ. الزمخشريّ.

قلْتُ: فالكَسْرةُ تحت فاء (فادْفِرْه) في (أساس البلاغة) وهي عَيْنُ هذا الفعلِ المضمومِ عين المضارعِ في (اللسان والتاج ومحيط المحيط والمُنْجد) وفي (المعجم الوسيط) لمَجْمَعِ القاهرة، حينَ يكونُ الفعلُ بمعنى دَفَعَ، ليس بمعنى أنتنَ وفسد الذي من باب طَرِبَ وتعب ولٰكن. .

ولٰكن لِضَبْط عيونِ الأفعالِ في معاجِمنا المُتخالِفَةِ شؤونًا وشُجونًا ليس هاهنا مكانُ عَرْضِها. . والمهمُّ هاهنا أنّ الدَّفْرَ بمعنى الدَّفْعِ والتّدافُعِ من فصاحِ العامّيّة في أريافِ الشّام. . وهو من بابِ فَعَل يفعلُ كيأكُلُ، وبعضُ المعاجمِ تُهمِلُه (كمختار الصّحاح) و(المصباح المنير) وفي عصرِنا (المعجم المدرسيّ). .

إذْ يَكتفي فيها ببابِ دَفِرَ: بمعنى فَسدَ وأنتنَ. . .

(لا دَفْشَ ولا تَدْفيش)

ولا دحش

لا أُثْبِتُ فَصَاحَةَ الدَّفْشِ والتَّدفيش. . ولا أَنْفي

هذه الفَصَاحة أيضًا كما نَفَاها بطرس البستانيّ في (محيط المحيط) فقال: «دَفَشه يَدْفُشُه دَفْشًا: دَفَعه، وهو من كلام العامّة. ومنه الدّفّاشُ لِضَرْبٍ من مَرَاكِبِ البُخار».

والدِّفّاش لدى أحمد أبو سعد في (قاموس المصطلحات والتّعابير الشّعبيّة):

«دِفّاش: مُحَرِّك كهربائيّ لِدَفْعِ المِيَاه إلى أَعْلى. مَأْخُوذ مِنْ دَفَشَه، وهي في العامّيّة بمعنى دَفَعَه...».

ولٰكنّ الذي يَرَاها فَصيحةً شاعر الشّام وعميد كلّيّة الآداب وأَشْهر الأَعْضَاء المُؤسِّسين في مَجْمَع اللغة العربيّةِ بِدِمَشْقَ مُنْذُ أَنْ بدأ بِاسْم المَجْمَع العِلْميّ العربيّ؛ إنّه كاتب الافْتِتَاحيّات التي كانت تشتهر بها مَجَلّة مَجْمَع دِمشْقَ بعُنوان: (بقايا الفِصَاح):

يَقولُ شفيق جَبْري في (بقايا الفِصاح) مقالِهِ الافْتِتَاحيّ بمجلّة مَجْمَع اللغة العربيّة بدمشق ج٢ مج٥٤ «جمادى الأولى ١٣٩٩هـ ونيسان ١٩٧٩م ص٣٠٠-٣٠١»:

«قد تَشِيعُ على أَلْسُنِ العامّةِ في بعضِ الأوقاتِ ألفاظٌ لها مَعْنًى يَخْتَلِفُ عن المعنى الذي جاءَ في اللغة الفصيحةِ، ولستُ أدري هل من السّهلِ تَعْليلُ هذا الأمر؟ مِنْ ذلك مثلًا قَوْلُ العامّةِ نُدفِّش أيّامَنا تَدْفِيشًا، وَهُمْ على ما يَظْهرُ يُريدُونَ بذلك أنّهم يَقْضونَ أيّامَهم دونَ شيءٍ مِنَ اللذّةِ والسّرورِ، ماذا نَجِدُ في اللغة، نجد أنّ الدَّفْشَةَ بالفتح دُوَيْبَّةٌ رَقْطاءُ أَصْغَرُ مِنَ القَطاة أو طائرٌ أَرْقَشٌ، والدَّفْشُ كالنَّفْش، والنَّفْشُ إنّما هو تَشْعِيثُ الشَّيْء بأَصَابِعِكَ حتّى يَنْتَشِرَ، كالتَّنْفيش، ولها معانٍ ثانية لا حَاجَةَ بِنَا إلى ذِكْرِها في هذا المقام، فإذا كان مَعْنَى الدَّفْشِ مِثْلَ مَعْنى النَّفْش أي تَشْعيثُ الشَّيْءِ بالأَصَابع حتّى يَنْتَشِرَ، فَهَلْ يجوزُ لنا أنْ نَتوسّعَ في التَّعْليلِ على سبيلِ المَجازِ، فإذا قُلْنا نُدَفّش أيّامَنا تَدْفيشًا حتّى تَمُرَّ فكأنّا نُشَعِّثُ الأشياءَ بأصابِعِنا حتّى تَنْتَشِرَ، وفي كلّ حالٍ هذا رأيٌ لا أقطعُ به ولٰكنّا نستطيعُ أن نَقُولَ: إنّ الدَّفْشَ فَصيحَةٌ وإنْ لَمْ يَكُنْ لها في لُغةِ العامّةِ المَعْنى الذي جاءَ في اللغةِ الفصيحةِ».. ا.هـ. جبري.

قُلْتُ: ولٰكِنّي لم أجدْ مادّةَ الْجَذرِ: د ف ش، كما لم أجدْ قبلَه أيضًا مادّة: د ح ش فيما توافَر لي من المَعَاجِم وكُتُبِ الفصاحِ التي تُهمِلُ كلَّ عامّيّ لا أَصْلَ له في الفصيح، وعلى النّقيضِ مِنْ ذلك وَجَدْتُ في كُتُبِ فِصَاح العامّة طَرَائِقَ مِنَ الإبْدال والْقَلْب لِتَخْريجها.

يقول أحمد رضا العامليّ في (ردِّ العامّيّ إلى الفصيح) «د ف ش: الدَّفْش: وقالوا دَفَشَهُ إذا دَفَعَهُ بِيَده، وهي إمّا على البَدَل من دَفَعَهُ أو مِن دَفَرَهُ، وإمّا على القَلْب مِنْ فَدَشَهُ.

وفي اللغة فَدَشَه يَفْدِشُهُ فَدْشًا: دَفعَهُ، كما في (لسان العرب).

وأمّا الإبدال أو التّعاقُبُ بين الشّين والرّاء، فَمِنْه: الحَكِرُ والحَكِشُ، أي: اللَّجُوجُ. ولك من هذا الأمرِ شَدْحةٌ ورَدْحةٌ وسَدْحَة؛ أي: فسحة. وبين الشّين والعَيْن، مثل شاكَسَه وعاكسه». ا.هـ. أحمد رضا..

قلت: وفي معناها يَقولُ العامّةُ دَحَشَ التي يَجْعَلها رضا من دَحَسَ بالسين، وكذلك يَقُولون: طَفَشَ وَلَحَشَ وَطَحَشَ، وطَحَمَ التي أظنّ أنّها مِن: دَحَمَ، فَدَحَمَ فصيحة كَدَفَعَ وَدَفَرَ وَدَفَقَ. وانْظُر في الباء: بَحَشَ... وإلخ...

أتـرى تَبادُل الإبْدالاتِ ما بين الفُصحى والعامّيّات؟! فلْنكمِل إذًا:

ولعلّ: (دَفَشَهُ) مِنْ: دَفَعَهُ أو فَدَشَهُ أَوْ: دَفَرَهُ: ففي: دَفَرَ: كَتَبَ الأمير شكيب أرسلان في:

(القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) (ص١٠٨).

«تقول العامّةُ في سوريّةَ والمَغْرِب (دَفَرَهُ) أي: دَفَعَه، وهي صحيحة» ثمّ يُعلّقُ شارحُه ومُحَقِّقُه محمّد خليل الباشا في الحاشية: «الدَّفْرُ في اللغة خاصٌّ بالدّفعِ منَ الصّدرِ، والعامّة تُطْلِقُهُ».

قُلْت: في دمشق نقول دَفَرَهُ وَدَفَشَهُ ودفعَهُ، ولعلَّهم في لُبنانَ أيضًا فقد كَتَب عن: دَفَشه أحمد أَبو سعد في (قاموس المُصْطلَحات والتّعابير الشّعبيّة)، فَأَخَذَ عن أحمد رضا: أنّه مقلوب: فَدَشَه. ويقول أحمد رضا العامليّ في: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح ص١٣١):

«يقولون: دَفَرَهُ إذا دَفَع في قَفَاه أو في صَدْره، ثمّ عَمّوا بها مُطْلَق الدَّفْعِ. ولٰكنّه في اللغة خاصٌّ بالدّفعِ في الصّدر. ويُسْتَعارُ للمَنْعِ. فاسْتعمالُ العامّةِ فصيحٌ. وقالوا دَفَشَهُ إذا دَفَعَه بِيَدِه. وهي إمّا على البَدَلِ من دَفَعَهُ أو مِنْ دَفَرَهُ وإمّا على القَلْبِ مِنْ فَدَشَهُ.. وهي في اللغة فَدَشَهُ، كما في (لسان العرب)...». ولم يَذْكُر د.عبدالمنعم سيّد عبدالعال: دَفَرَ فَلَعَلّها شاميّةٌ غيرُ مصريّةٍ! فقال في دَارِجَتِهم «دَحْدَرَ فلانٌ الكُرَة: دفعَها فَتَدَحْرَجَت».

وفي المَعَاجم القَديمة لم أجِدْ: (دَفَشَ) وَوَجَدْت: (دَفَرَ) ففي (لسان العرب): «دَفَرَ في عُنُقِهِ دَفْرًا: دَفَعَ في صَدْرِه ومَنَعَه؛ يمانية. ابن الأعرابيّ: دَفَرْتُهُ في قَفاهُ دَفْرًا أي دَفَعْتُه. ورُوِي عن مُجَاهد في قوله تعالى: ﴿يومَ يُدَعُّوْنَ إلى نار جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ قال: يُدْفَرُونَ في أَقْفِيَتِهِمْ دَفْرًا؛ أي: دَفْعًا». ولـمّا لـمْ أَجِدْ دَفَشَ في (اللسان..) و(القاموس..) و(التاج..) و(أساس البلاغة) بَحْثْتُ في: ف د ش فَوَجَدْتُ في (القاموس المحيط): «فَدَشَ رَأْسَهُ: شَدَخَهُ. وَرَجُلٌ فَدْشٌ مَدْشٌ: أَخْرَقُ». وفي (القاموس المحيط) لم أَجِدْ: فَدَشه بِمعنى دَفَعَه، ولٰكنّي وَجَدْتُه في (لسان العرب) بمعنى دَفَعَهُ، وفي (القاموس..) بمعنى شَدَخَه...

الدَّفا: أَدْفَيْته واسْتَدْفَيْت به

(الدَّفا عفا، والبَرْد أصْل كلّ علّة) يقول الشّاميّ حِكْمته هذه يَدْعُوك إلى مُكافَحة البَرْد والحِفاظ على الدِّفء. والدِّفء فصيح وليس الدَّفا في رأي فُصحائنا اليوم إلّا عامّيًّا، ولٰكنّ تخفيف الهمزة من لهجة قريش في مكّة كما هو معروف، ونصّت المَعاجِم على تخفيفها في أَدْفَيْت واسْتَدْفيت..

في (لسان العرب) كما في (القاموس.. وتاج العروس..): د ف و: «الدّفا: الانْحِناء...

...وَدَفا الْجَرِيحَ دَفْوًا: أَجْهَزَ عليه؛ وفي الحديث: (أنّ قومًا من جُهَيْنَة جاؤوا بأَسِيْر إلى النّبيّ - ﷺ - وهو يَرْعُدُ من البَرْد، فقال لهم: اذْهَبُوا فَأَدْفُوه)؛ يريد الدِّفءَ من البَرْد، وهي لغته - عليه الصّلاة والسّلام - فذهبُوا به فقتلُوه، وإنّما أراد: أدفئوه من الْبَرْد فَوَداه رسول الله - ﷺ - وَدَفَوْتُ الْجَريحَ أَدْفُوه دَفْوًا إذا أجْهَزْت عليه، وكذلك دافَيْته وأَدْفَيْته...

والدَّفْواء: الشَّجَرة العظيمة...

...الليث: يُقَال: أَدْفَيْتُ واسْتَدْفَيْتُ، أيْ: لَبِسْتُ ما يُدْفِيْنِي. قال: وهذا على لُغَة مَنْ يَتْرُك الهَمْز. الفَرّاء في قوله تعالى: ﴿لكم فيها دِفْءٌ﴾ السورة ١٦ النحل الآية ٥. قال: الدّفء كُتِب في المَصاحِف بالدّال والفاء، وإنْ كُتِبَتْ بِواوٍ في الرَّفع وياء في الخَفْض وأَلِفٍ في النَّصْب، كان صوابًا،

وذلك على تَرْك الهَمْز».

الدَّقْران

الفِعْل العامّيّ (دقَر بِهِ) بمعنى لَمَسَه، ليس من السَّهْل الوُصول إلى خَطّ التَّطَوُّر الذي أَوْصَلَه إلينا؛ فَأَعْرِضُ لِقارئي ما وَصَلْتُ إليه طالبًا الاسْتِمْرارَ في البَحْثِ عنه أو عن الحلقة أو الحَلَقات المَفْقُودة في سِلْسِلَة قَنَوات التَّطَوُّر التي مَرَّت عَبْرَها دَلالَتُه على طريق المُرور من زَمَن الفَصِيْح إلى العامّيّ..

أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشَّعْبيّة) كَتَبَ عن «الدَّقْر عندهم خَشَبَةٌ تُسْنَد إلى الباب من الدَّاخِلِ لِتَمْنَع فَتْحَهُ. وقد سمَّوْا بها كلَّ شَخْصٍ يَمْنَعُ الآخَرَ أو يَصُدُّه عن القيامِ بِعَمَلٍ ما تشبيهًا له بالدَّقْر، وهو ما (يُدَقِّرُ) به الباب..

في الآراميّة دَقَر البابَ: أَوْصَدَه (الأب روفائيل نخلة: غرائب اللهجة اللبنانيّة السُّوريّة ص٧٣).

وفي العَرَبِيّة: الدُّقْران خَشَبٌ يُنْصَبُ لِيُعَرَّش عليه الكَرْمُ، واحِدَتُه الدُّقْرانة. وبِسَبب ذلك يُظَنُّ أنّه من جَذْرٍ ساميّ مُشْتَرَك.

ومن أقوالهم: (فلانٌ واقفٌ لي دقر) بمعنى مانع أو معوّق».

لم يَكْتُبْ أحمد رضا العامِلِيّ إلّا عن (الدُّقْرانة) في (ردّ العامّيّ إلى الفَصِيْح):

«الدُّقْرانة عند العامّة خَشَبَةٌ دون الجسر تُنْصَبُ لـلـتَّـعْـرِيْـش في الـكـروم.. وهـي في الـفـصـيـح الدِّجْران، واحِدَتُه دِجْرانَة..».

[وقُلْتُ: ولٰكنّ (لسان العرب): بدأ المادّة: د ق ر بالدُّقْران واحِدَتُه: الدُّقْرانَة: خَشَبٌ يُعَرِّشُ عليه الكَرْم ويُنْصَبُ في الأرض].

وقولُ الزَّبيديّ في (التّاج..): «هذه الخشب تسمّىٰ الدِّجران (لا يَنْفي فَصاحَةَ الدُّقران) التي أَوْرَدَها وأَوْرَد الـدّجـران لـويـس مـعـلـوف فـي (المُنْجد) وأكثر المَعاجِم». وفي (محيط المحيط) لبطرس البُستانيّ: «والعامّة تقول: دَقَرْتُه وَدَقَرْتُ خاطِرَهُ؛ أي: كَدَّرْته أو أَغَظْته. وَدَقَرْته أيضًا. مَسَسْته قليلًا. دَقَّرَه: عَوَّقه وأَخَّره. وَدَقَّر البابَ: قَفَلَهُ بِخَشَبَةٍ كالسَّكرة لٰكنّها بِلا أسنان فَتُفْتَحُ بلا مِفْتاح ويقولون لها الدُّقُّرَة. وهي من كلام المُوَلَّدين. والدِّقْرُ عندهم أيضًا خَشَبَةٌ طويلةٌ يُسْنَدُ بها البابُ من داخل لِئَلّا يُفْتَحَ من خارج. ومنه قولهم: كيفما تَوَجّهْتُ يكونُ لي فلانٌ دَقْرًا، أي مُعْتَرِضًا يَصُدُّني ويَقِفُ في طريقي. وقَوْلُهم أيضًا: اضْطُرّ أنْ يأتيَ على مُدَّقَر رَأْسِه؛ أي: على قِمّة رَأْسِه...

... الدّوقرة بُقْعَةٌ بَيْنَ الجِبال لا نباتَ فيها. والعامّةُ تَسْتَعْمِلُها بمعنى الإطراق إلى الأرض. الدَّقْوَرَة عندهم بمعنى: تحريك الشّرّ. يقولون: فـلانٌ لا يـزالُ يُـدَقْـوِر؛ أي: يُـحَـرِّكُ الـشَّـرَّ ويَهِيْجُه».

فما في مَصادِرِ التُّراثِ في: د ق ر؟

أصْلُ المعنى في (مقاييس اللغة) لابن فارس: «الـدّال والـقـاف والـرّاء أَصْـلٌ يَـدُلّ عـلـى ضـعـفٍ ونُقْصان.

فالدّقارير: الأباطيل. والدَّوَاقير - فيما يُقال - جَمْعُ دَوْقَرَةٍ، وهي غائِطٌ من الأرض لا يُنْبِت. والدِّقْرارَة: الرَّجُل النَّمّام.

والدِّقْرارُ: التُّبّان، وقِياسُه قِياسُ الباب لِنُقصانه». ا.هـ.

وفي (لسان العرب) لابن منظور: د ق ر:

«الدُّقْران: خَشَبٌ يُنْصَبُ في الأرضِ يُعَرِّشُ عليه

الكَرْم، واحِدَتُه دُقْرانَة.

والدَّوْقَرَةُ: بُقْعَةٌ تكونُ بَيْن الْجِبال المُحيطة بها لا نباتَ فيها، وهي من منازل الْجِنّ، ويُكْرَهُ النُّزول بها...

وَدَقِرَ الرّجلُ دَقَرًا: إذا امتلأ من الطَّعامِ. وَدَقِرَ أيضًا: قَاءَ مِنَ المَلْءِ.

وَدَقِرِ هذا المكان: صَارَتْ فيه رِياضٌ. وقال أبو حنيفة: دَقِرَ المكانُ: نَدِيَ. ودَقَر النَّباتُ دَقَرًا؛ فهو دَقِرٌ: كَثُرَ وتنعّم [قُلْتُ: ولٰكنّ الفِعْلَ العامّيّ عِنْدَنا دَقَرَ مُتَعَدٍّ وليس لازمًا. وأتابعُ ما في (اللسان..)]. ورَوْضَةٌ دَقَرَى: خَضْراءُ ناعمةٌ.. وأرضٌ دَقْراء: خضراءُ كثيرةُ الماءِ والنَّدى مَمْلُوءة... والدَّقر: الرّوضة الحَسْناء وهي الدَّقرى..

والدَّقارِيْر: الأُمُورُ المُخالِفَة، واحدتُها دُقْرُورة ودِقْرَارَة. والدّقرارة: المُخالَفَة. وفي حديث عُمَر، رضي الله عنه: أنّه (أَمَرَ رجلًا بِشَيْءٍ فقال له: قد جِئْتَنِيْ بِدِقْرارَة قَوْمِك) أي بِمُخالَفتِهم.

والدِّقْرارَةُ: الحديث المُفْتَعَل. ويُقالُ: فلانٌ يَفْتَرِي الدَّقارِيرَ؛ أي: الأكاذيبَ والفُحْشَ؛ ويُقال للكَذِبِ المُسْتَشْنَع والأباطِيلِ: ما جِئْتَ إلّا بالدَّقارير. ابن الأثير: في حديث عُمَر - رضي الله عنه - قال لِأَسْلَمَ مولاه: (أخذتك دِقْرارة أَهْلك)..

وَرَجُلٌ دِقْرارة: نَمَّام كأنّه ذو دِقْرارة، أيْ ذو نَمِيْمة وافْتِعَال أحاديث، وجَمْعُهُ دَقارير؛ قال الكُمَيْت:

على دَقارِيْرَ أحْكِيْها وأَفْتَعِلُ

والدّقارير: الدّوَاهي والنّمائم...

والدِّقْرار والدِّقرارة: التُّبّان، وهي سَراوِيْلُ بِلا سَاقٍ، وجَمْعُه دقارير. قال[1]:

والدُّقْرور: فَأْسٌ تُحْتَفَرُ بها الأرض..

والدِّقْرارة: القَصير من الرِّجال..

والدِّقْرارَة: العَوْمَرَة، وهي الخُصُومَة المُتْعِبَة».
ا.هـ.

فهل أَفْضى أَصْلُ المَعْنى لدىٰ ابن فارس في (مقاييس اللغة): «الدّال والقاف والرّاء أَصْلٌ يَدُلُّ على ضَعْفٍ ونُقْصان...» إلى الفِعْل العامِّيّ (دَقَرَه) بمعنى مَسَّه مَسًّا خَفِيفًا ضَعِيفًا ناقِصًا عن مَعْنىٰ الفِعْل لَمَسَهُ وَأَمْسَكَ به...

الدَّكّ

والدَّكَّة

والدُّكّان[2]

في (المِصْباح المنير) للفيّوميّ: «الدّكّة: المكان المُرْتَفع يُجْلَس عليه، وهو المَسْطَبة، مُعرَّب، والْجَمع دِكَك».

وفي (لسان العرب) لابن منظور: «دكك: الدَّكُّ: هدم الجبل والحائط ونحوهما، دَكَّهُ يَدُكُّهُ دَكًّا. الليث: الدَّكُّ كسر الحائط والْجبل...

.. والدَّكَّةُ: بناء يسطح أعلاه.

وانْدَكَّ الرّمل: تلبّد.

والدُّكّان من البناء مشتقّ من ذلك[3]. الليث: اختلفوا في الدُّكَّان فقال بعضهم هو فُعْلان من الدَّكّ، وقال بعضهم هو فُعّال من الدَّكَنِ[4]، وقال الْجوهريّ: الدَّكَّة والدُّكَّان الذي يُقْعَد عليه...

(١) قال أَوس:

يَعلُون بالقَلَعِ الهنديّ هامَهُمُ
ويخرج الفَسْوُ من تحت الدقارير

(٢) (٣) (٤) وسوف تمرّ (الدكّان) مع الدَّكَن أيضًا.

. . ومكان دَكٌّ: مُسْتَوٍ . .

. . الأخفش: أرض دَكٌّ والْجمع دُكُوك . .

. . ودَكَّ الأرضَ دكًّا: سَوّى صعودَها وهَبُوطَها، وقد انْدَكَّ المكان. ودَكَّ التُّرابَ يَدُكُّهُ دَكًّا: كَبَسه وسَوّاه . .

ودكّ الرَّكِيَّةَ [البئر] دكًّا: دَفَنَها وَطَمَّها. والدَّكُّ: الدَّقُّ . .

. . وأرض مَدْكوكة: إذا كَثُر بها النّاس ورُعاة المال حتّى يفسدها ذلك . . .

. . وَدُكَّ الرَّجُلُ، على صيغة ما لم يُسَمَّ فاعله، فهو مدكوك إذا دَكَّتْهُ الحُمّىٰ وأصابه مَرَضٌ. وَدَكَّتْهُ الحُمّى دكًّا: أَضْعَفَتْه. وَأَمَةٌ مِدَكَّةٌ: قَوِيَّةٌ على العَمَل. وَرَجُلٌ مِدَكٌّ: شديد الوطء على الأرض.

. . وَدَكَّكَهُ: خَلَطَهُ. يقال: دَكِّكوا لنا. وفي حديث عَلِيٍّ: «ثمّ تَداكَكْتُم عَلَيَّ تداكُكَ الإبِل الهيم على حِياضِها»؛ أي: ازْدَحَمْتم.

وأصْل الدَّكّ: الكسر». ا.هـ. ابن منظور.

وفي (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) للأمير شكيب أرسلان:

«ويقولون في جبل لبنان والشّام ومصر (دَكّ البارودة)؛ أي: حَشَىٰ البندقيّة. و(البندقيّة مدكوكة انتبه لها) أي: مَحْشُوَّة فلا تَعْبَثْ بها، ويظهر أنّ هذا جاء من قولهم في اللغة: (دكّ التّرابَ): كَبَسَهُ وسوّاه، فإنّهم عندما [كانوا] يَحْشون البُندقيّة ويضعون البارود في قَعْر الحديد المُجَوَّف والرّصاص ويكبسونه بقضيب البُندقيّة المُسَمّى بالشّيش كَبْسًا شديدًا عدّة دفعات، فمن هنا اسْتعملوا لفظة الدّكّ التي فيها معنى الكَبْس والتّسْوية، والشّيش يسمّى في مصر (الدّاسوس).

ومتى سقطت الثّلوج في أعالي الجبال وانسدّت الطُّرُقات فيها تذهب الأهالي أو الفَعَلَةُ لِفَتْح الطّريق بتمهيد رُكام الثّلج وتَسْوِية مَمَرٍّ للسّابلة، فيقولون: (دَكُّوا الطّريق) وهذا من قولهم في اللغة: دكّ الأرض: سوّى صُعودَها وهُبوطَها وَكَسَىٰ حُفْرَتَها بالتُّراب وسوّاها».

الدِّكْرُ والتَّدْكير

بالدّال المُهْمَلَةِ تقولُ عامّةُ دمشقَ: (طَلَعَ المُؤَذِّنُ بالتّدكير . .) أي: بالتّذكير قَبْلَ الأَذانِ ويقولون (وحياةِ حَشاةِ الدِّكر) . . وهذه الْجُمْلَةُ الأخيرةُ كأنّها قَسَمٌ غيرُ جدّيّ أو حِلْفٌ بيمينٍ هو أَصْلَحُ لِلْهَزْل . . ولم أجدْ شيئًا من ذلكَ لَدَى مُؤَلِّفِي كُتُبِ العامّيّةِ والفَصِيحةِ؛ فلعلَّ ذلك في لُغَيّتنا في دمشقَ حيثُ يتجنّبونَ لفظَ الذّالِ المُعْجَمَةِ واللّثويّات، ويُبْدِلونَ بها دالًا مُهْمَلَةً، فالمقصودُ بالتّدكيرِ التّذكيرُ باقْترابِ وَقْتِ الأَذان . . و(القاموس المحيط) وشارِحُه (تاج العروس . .) و(لسان العرب) تَذْكُرُ الدِّكر بالمُهْمَلَة غَيْرِ المَنْقُوطَة في: د ك ر . . ولٰكنّ (المُعْجَمَ الوسيط) لمَجْمَع القاهرة يَكْتَفي بإحالةِ: ادّكَرَ على اذّكر. وزَعَم بعضُ القُدماءِ أنّ الدِّكر بالمهملة لُغَيَّةُ رَبيعة التي اخْتَلَفُوا على فَصاحَتها! ولٰكن (ادّكر) و(مُدّكر) عِبارتان واردتان في القرآن الكريم بالدّال المُهْمَلَة وليس بالذّال المُعْجَمَة في سَبْعَة مَواقِع!

وفي (القاموس المحيط) وشرحه (تاج العروس . .) كما في (لسان العرب) لابن منظور: د ك ر «. . . والدِّكْرُ لرَبيعة: في الذِّكْرِ، وهو غلط، حَمَلَهُم عليه ادَّكَرَ؛ حَكَاه سِيْبَوَيه، وكذلك مَا حَكَاه ابنُ الأعرابيّ مِن قولِهم الدِّكْرُ في جَمْع دِكْرَة إنّما هو على الذِّكر . . . قال أبو العبّاس أحمدُ بنُ يَحْيى: الدِّكْر بتشديد الدّال، جَمْع ذِكْرَةٍ، أُدْغِمَتِ اللام في الذّال فجُعِلَتا دالًا مُشدَّدَةً، فإذا

قُلْت دِكْر بغير أَلِف ولام التّعريف قلت ذكر؛ بالذال. . .

وأمّا قول الله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [السورة ٥٤ القمر: الآيات ١٥ و١٧ و٢٢ و٣٢ و٤٠ و٥١] فإنّ الفرّاء قال: حدَّثني الكِسَائيُّ عن. . عن. . عن. . عن الأسودِ قال: قلت لعبدالله فهل من مُذَّكِرٍ وَمُدَّكِرٍ، فقال: أَقْرَأَني رسول الله - ﷺ - مُدَّكِرٍ، بالدّال. . . وقد قال الليث: الدِّكْرُ ليسَ من كلامِ العرب وربيعةُ تَغْلَط في الذِّكر وتقول: دِكْرٌ». ا.هـ. ابن منظور.

وأُكْمِل من الزّبيديّ شارح (القاموس. .) في (تاج العروس. .):

«. . . وقال الفَرّاء: وَمُدَّكِر في الأَصْل مُذْتَكِر، على مُفْتَعِل، فَصُيِّرَتِ الذّال وتاء الافْتِعَال دالًا مُشَدَّدة. قال: وبعض بني أَسَدٍ يقولُ: مُذَّكِر؛ فَيَقْلِبُون الدّال فَتَصير ذالًا مُشدَّدَة؛ كذا في اللسان وأشَار إليه الشِّهاب في شَرح (الشِّفاء. .) وفي (العناية. .).

وقَوْل شَيْخِنا إنّ مُدَّكِر لغةٌ للْكلّ يُخالِف ما نَقَلَه الأزهريُّ وغيره أنّها لغةُ بعضِ بني أسد، فَلْيُتَأَمَّل». ا.هـ. الزّبيديّ.

قلت: ولٰكنْ في كلام الزّبيديّ والفيروزاباديّ وابن منظور والأزهريّ عن ابن الأعرابيّ والليث وغيرهم أنّ ما حَمَل رَبِيعَةَ وبعضَ بني أَسَدٍ على الدِّكر بالدّال المُهْمَلَة، هو الفعل ادَّكَرَ، الوارد في الآية الكريمة:

﴿وقال الذي نجا مِنْهما وادَّكَرَ بعد أُمَّةٍ﴾ السّورة ١٢/ يوسف/ الآية ٤٥. والّذين أَقْرَأَهم الرّسولُ - صَلَوات الله وسَلامُه عليه - ﴿. . مُدَّكِرٍ﴾ بالدّال المُهْمَلَة، في الآيات السِّتّ من سُورة القَمَر، وليس بالذّال المُعْجَمَة؛ أَلَيْسَ هذا ما حَمَل الزّبيديّ على الاخْتِتام بالقول: «فَلْيَتَأَمَّل». ؟

دَكَّنَ والدُّكَّان

من فصيح العوامّ في مصر أو مُتَطَوِّر ممّا له أصل قريب من الفصيح؛ الفعل: دكَّن: وسُرعان ما سوف تنتشرُ في عامّيّتنا كما رأيْنا انْتشار عِباراتِهم بَيْنَنا، وذلك عندما تتكرَّر العبارة على سَمْع مُشاهدينا. . في المُحاورات بين شخصيّات المُسَلْسلات والقِصَص المِصْريّة المَعروضة على الشّاشة المَرْئيّة؛ وهي فيها بمعنى: جَمَعَ أو وفَّر أو خبّأ مالًا أو متعًا أو حاجةً ولم أجدْها في كُتُب اللغة بهذا المعنى بالذّات، ولا في مُعْجَمِ مَجْمَعِهِم (الوسيط) الذي لم يَخْرُجْ عمّا في (القاموس المُحيط)، في قوله الذي تطوّر عنده الاسْتعمالُ المُعاصرُ: «. .ودَكَّنَ المَتاعَ: نَضَّدَ بعضَه على بعضٍ كَدَكَّنَهُ.» فلَعلَّ المِصْريّين المُعاصرين طوّرُوا المعنى تطويرًا مَجازِيًّا أكثر بُعْدًا من المَجاز الذي كان في كُتُب اللغة التُّراثيّة. .

ولِلزّمخشريّ في (أساس البلاغة) «ومن المَجاز. . . ودَكَّنَ المتاعَ: نَضَّدَهُ وصيّره كالدُّكَّانِ.» والذي رأى أنّ الدّكّان مَأخوذةٌ منها؛ ابنُ القطاع مُؤَلّف (كتاب الأفعال)، ففي (المصباح المنير) للفيّوميّ:

والدُّكّان قِيْل مُعَرّب، ويُطْلَق على الحانوت، وعلى الدّكّة، التي يقعد عليها، قال أبو حاتم: قال الأصمعيّ: إذا مالَتِ النّخلة، بُنِيَ تَحْتَها، من قِبَل المَيْل، بناءٌ كالدُّكّان، فَيُمْسِكُها بإذْن الله تعالى، أيْ دكّة مُرْتَفِعَة، وقال الفارابيّ: الطَّلَل ما شَخص من آثار الدّار، كالدُّكّان ونحوه. وأمّا وَزْنُه فقال السّرقسطيّ: النّون زائدة، عند سِيْبَوَيْهِ، وكذلك قال الأخفش، وهي مأخوذة من قولهم: أَكَمَةٌ دكّاء؛ أي: مُنْبَسِطَةٌ، وهذا كما اشْتُقَّ السُّلْطان

من السَّليط. وقال ابنُ القطاع وجماعة: هي أصليّة، مأخوذة من دَكنت المَتاع: إذا نضّدته. وَوَزْنه على الزّيادة فعلان، وعلى الأصالة: فُعّال، حكى القولين الأزهريُّ وغيرُه. فإنْ جعلت الدُّكّان بمعنى الحانوت فقد تقدّم فيه التّذكير والتّأنيث. ووقع في كلام الغزاليّ: حانوت و دُكّان؛ فاعْترض بعضُهم عليه، وقال: الصّواب حَذْف إحدى اللفظتَيْن، فإنّ الحانوت هي الدُّكّان، ولا وَجْهَ لهذا الاعْتراض؛ لِما تَقَدَّمَ أنّ الدُّكّان يُطْلَق على الحانوت، وعلى الدِّكّة.

ويرى شهابُ الدّين أحمد الخَفَاجيّ في (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل) أنّ: «دكّان: فارسيّ مُعرّب، عن الْجَوْهريّ».

الدَّلَع.. والدَّلِع

كُنْتُ ذَكَرْت الدَّلَعَ بمعنى الجَلَع والتَّدَلُّك في جَلاً وجَلَق، ولقد كتب فيه العَديْدُون، ومِنْهم الأمير شكيب أرسلان في ص١٤١ من (القول الفصْل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) وشفيق جبري في (بقايا الفصاح) في (مجلّة مجمع دمشق ص٦٩٧ من المجلّد ٤٩ ج٤ شعبان سنة ١٣٩٤هـ وأيلول سنة ١٩٧٤م). وفي مصر أيضًا حَيْث لا يُقَال جَلَعَ وجَلاً وجَلَقَ. والدَّلَعُ في رأْي د. سيد عبدالعال أَصْلُه الدَّكّ فَتطوّر وِفْق قَاعِدة المُخالَفَة. لٰكنّ الطّعام الدَّلِع أيْ الذي مِلْحُهُ غير كَافٍ فَيَحتاج إلى المَزيد مِنَ المِلْح لِأَنّ (الدّلِع لا يُبْتَلَع) كما يَقُول المَثَل الشّاميّ، ولم أسْمَعْه مِنَ المصريّين؛ ممّا يَضْطَرُّني للْعَوْد إلى مادّة: د ل ع التي أَهْمَلَها كُلٌّ مِنَ الفَيّوميّ في (المصباح المنير) والرّازيّ في (مُختار الصِّحاح) ولٰكن كَتَبَ: ابن فارس في (مَقاييس اللغة) في «د ل ع: أُصَيْلٌ يَدُلُّ على خُروجٍ.

تَقُول: دَلَعَ لِسانُه: خَرَج. وَدَلَعَهُ هو، إذا أَخْرَجَه. والدَّليع: الطّريق السّهل. ويُقَال: انْدَلَع بَطْنُه إذا أُخْرِجَ أَمَامَه».

قُلْتُ: و(دَلَق) وغيرهما أيضًا عند ابن فارس يَدُلُّ أَصْلُه على خُروج.. وفي دَلَق خروج الشّيء وتَقَدُّمه في رَأْي ابن فارس؛ والزّمخشريّ أيضًا في (أساس البلاغة): «...وَدَلَعَ بِنَفْسِهِ وانْدَلَع: خَرَج واسْتَرْخى مِنْ كَرْب أو عَطَشٍ، كما يَدْلَعُ الكَلْبُ. وفي حديث بَلْعَم: (إن الله لَعَنَه فَأَدْلَعَ لِسَانَه فَسَقَطَتْ أَسَلَتُهُ على صَدْره). ومن المجاز: انْدَلَعَ السَّيفُ من غِمْدِه وانْدَلَق».

كلّ ذلك وَارِد في (القاموس المحيط) وأضيفُ منه: «.. كَمَنَعَ ونَصَر [أي: المضارع يَدْلَعُ وَيَدْلُع] دَلْعًا ودُلوعًا.. وكالدَّوْلَع الدَّليع: الطّريق الواسع السّهل؛.. واللسانُ ادَّلَعَ على افْتَعَلَ.. والدَّوْلَعَةُ صَدَفَةٌ.. [ذَكَرْتُها لأنّ الدُّوَيْلِعَة اسْمُ مَكانٍ في ضَواحي دمشق..].. وأَحْمَقُ دالِعٌ: غايَةٌ في الحُمْق. وأَمْرٌ دَالِع: لَيْسَ دُونَه شيء..». وليس في (اللسان..) ما أزيد منه إيضاحًا..

فهل كان الطّعام النّاقص التّمليح بِمِلْح الطّعام يَخْرُج مع إخراج اللسان حتّى وُصِف بالأكل الدّلع عندنا؟ وفوق كلّ ذي عِلْم عليم.

الدَّلْف

من التَّطَوُّر في فِصاحِ العامّة:

دَلَفَ يدلِفُ وانْدَلف دُلوفًا وَدَلَفانًا.

«دَلَفَ يَدْلِفُ: مشىٰ رُوَيدًا وقارَبَ الخَطْوَ: يُقال: دَلَفَ الشَّيْخُ، ودَلَفَ الحامِلُ بِحَمْلِه. ودَلَفَ إليه: أَقْبَلَ عليهِ» عن (المعجم الوسيط). وعوامّ الشّام [تقول دَلَفَ الماءُ من السَّقْفِ، بمعنى وَكَفَ أو زَرَبَ أَوْ رَشَح... كأنّها تُشيرُ

إلى بُطْءِ مَشْيِه رُوَيْدًا. . .].

دَلَقَ يَدْلُقُ، وَانْدَلَق، والمَدْلُوقَة[1]

يقول المثل الشَّعبيّ العامّيّ: (لا تَدْلُق الماءَ على الأرض فهو حاجتنا)، وإن قيل في الشِّعر:

لَكَ رُوحِي أَيّها الخَمَّار وادلُق ليَ كاسا
علّني في غُرْبَتي بَعْضَ شُجوني أتناسىٰ

ومن (محيط المحيط) للبستانيّ: «والعامّة تقول: دَلَقَ الماء إذا صَبَّهُ دَفْعةً فَانْدَلَق». قلت: كان دَلْق الجَوامِدِ قليلًا، ودلق السَّوائل أكثر منذ القديم. .

ودَلَقَ: من فصاح العامّيّة. يقول أحمد بن فارس في (معجم مقاييس اللغة): [(دلق) الدال واللام والقاف أَصْل واحد مُطَّرد، يَدخلُ على خُروج الشّيء وَتَقَدُّمِه. فالنّاقةُ الدّلوق هي التي تَكسَّرَ أسنانُها فالماء يَخْرُج من فَمِها. ويُقال: انْدَلَقَ السَّيْف من غِمْده، إذا خَرَج من غير أنْ يُسَلَّ. وانْدَلَقَتْ أقتابُ بَطْنِه، إذا خَرَجت أَمْعاؤُه. وانْدَلَق السَّيْلُ على القوم، وانْدَلَق الجُيْش. قال طَرَفَة:

دُلُـق فـي غـارَةٍ مَـسْـفُـوحَـةٍ
كَـرِعالِ الـطَّـيرِ أسـرابًا تَـمُـرّ.

وناقَةٌ دُلُق: شَدِيدة الدُّفْعَةِ. والانْدلاق: التَّقَدُّم. وكان يُقال لعُمارةَ بن زيادٍ العبسيّ أخي الرّبيع: «دالِق».] وفي الحاشية (٣): «في (القاموس. .) وشرحه أنّه سمّي بذلك لكثرة غاراته».

ويفصّل ابن منظور في (لسان العرب) أكثر إذ يُضيف: [. . ابن سِيْدَه: دَلَق السَّيْفُ من غمْده دَلْقًا ودُلوقًا، وانْدلق، كلاهما: اسْتَرخىٰ وخَرَج سريعًا من غير اسْتِلال، وكذلك إذا انشقّ جَفْنُه وخَرَجَ منه. وأَدْلَقَه هو ودَلَقْته أنا دَلْقًا إذا أَزْلَقْتُه من غِمْده. وسَيْف دالِق ودَلوق إذا كان سَلِسَ الخروج من غِمْده يخرجِ من غير سَلٍّ، وهو أَجْوَدُ السُّيوف وأخلصُها، وكلُّ سابق متقدِّم، فهو دالق.

وانْدَلَق بَيْن أصحابه: سَبَق فَمَضىٰ. واندلق بَطْنُه استرخىٰ وخرج مُتَقَدِّمًا. . ومنه الحديث: جِئْت وقد أَدْلَقَني البرد: أي؛ أَحْرَجَني.

وانْدَلَقَ السَّيلُ على القوم أي هجم. . . وانْدلق البابُ إذا كان ينصفق إذا فُتِحَ لا يَثْبُتُ مَفْتوحًا. وَدَلَقَ بابَه دلقًا: فتحَ فتحًا شديدًا. وغارة دُلُقٌ ودَلوق: شديدة الدَّفْع. وقد دَلَقُوا عليهم الغارة أي شنُّوها. . ويُقال: بينما هم آمنون إذ دَلَق عليهم السَّيلُ. ويُقال: أَدْلَقْت المُخَّةَ من قصبة العظمِ فاندلقت. . .

. . .وجاء وقد دَلَق لجامَه أي وهو مَجْهودٌ مِن العطش والإعْياء. .].

وتَرِدُ هذه النُّقول أو ما هو قريب منها في معجم الفيروزابادي (القاموس المحيط) والزّبيدي (تاج العروس. .) والزّمخشري (أساس البلاغة. .). . ثمّ تَرِدُ في العصر الحديث في مثل معجم الشّرْتوني (أقرب الموارد. .) أو غيره من المعجمات الحديثة. . ولٰكنّ (المعجم الوسيط. .) معجم المَجْمَع في مصر يُورد أيضًا: [وَدَلَقَه: صَبَّه. يُقال: دَلَقَ الماءَ. (مو)]. فهي لفظة مُوَلَّدة في رأي أصحاب (الوسيط. .) وقد تابَعَهم في ذٰلك محمّد خير أبو حرب صاحب (المعجم المَدْرَسيّ).

أمّا أَحْمد رِضا فلم يُورِدْها في كتابه (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) ولٰكنّه في معجمه (متن اللغة) فَصَّل القول فيها، وأفْرَد فقرة بعنوان: [الدَّلَقُ: ثوب

(١) نُشرت في مجلّة (التراث العربي) العدد ٢٩ الصّادر بدمشق في صفر ١٤٠٨هـ وتشرين الأول ١٩٨٧م.

مُتَّسِع الأَكْمام طويلُها مَفْتوح فوق كَتِفَيه بغير تفريج سابل على القدمَيْن يلبسه القُضاة في الدَّولة الأيّوبيّة «صبح: ٤: ٤٢» ويَحْسُن أنْ يُطْلَق على ما يُسمُّونه الرُّوب وهو لباس القضاة والمحامين. جدول رض: ٣٦. قلت: انظر فيما ورد في: ر و ب: في هذا المعجم].

فأحمد رضا إذًا يذكر الدَّلَق في الأبحاث اللغويّة في مقدّمة الجزء الأوّل من مُعْجَمِه مع بحث (الكلمات الطّارئة على اللغة في الجدول الأوّل الذي ذكر فيه ما عرّبه هو، فيقول في المادة ٣٦ من جدوله). [**الدَّلَق**: **الرّوب**: جُبّة القاضي والمُحامي وقتَ المُرافَعَة: ثَوْب كان يلبسُه القاضي زمنَ دولةِ الأيّوبيّين «عن صُبْح الأعشى».].

أمّا (المَدْلُوقَة) فمن أنواع (الكُنافة) التي تُدْلَقُ القِشْدَة عَلَيْها، ولم يذكرْها أحمد رضا في مادّة (دلق) كما لم تَرِدْ عنده مع الكُنافة في (مَتْن اللغة) ولا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح).

ولم يذكر المدلوقة د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) على حين ذكر قولَهم في الدّارجة «دَلَقَ الماءَ: ألقاه دَفْعًا أو صبّه بإهدارٍ ودلق فلان فلانًا: أخرجه عن توازُنه وأفقدَه ثَباتَه فَطاحَ وَوَقَع..» فلعلّ حَلْوَياتِهم ليس فيها (الكُنافة المَدْلُوقة).

دَلَك

الدَّلْكُ للتّنْظيف، وَدَلْكُ الشَّيْءِ لِصَقْلِهِ وَتَنْعيمِهِ.. وتَدْليكُ الْجِسْمِ لتَنْحيفِهِ أو لِتَنْظيفِه في الحَمّام، أو تَدْليكُ المفاصِلِ لتحسينِ حَرَكَتِها أو التَّخْفِيْف من آلامِها.. كلُّ ذلكَ ممّا في عامّيّتنا فصيحٌ صحيحٌ..

وفي مِصْرَ يُقال: دَمْلَكَ كما ذكر د.عبدالمُنْعم سيّد عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) «وفي القاموس: دَمْلَكَ الشّيءَ: مَلّسه وَدَوَّرَهُ...».

قُلْتُ وفي القاموس المحيط: «دَلكَه بِيَدِه: مَرَسَهُ وَدَعَكَهُ، وَدَلَكَ الدَّهْرُ فُلانًا: أَدَّبَهُ وَحَنَّكَهُ... وَفَرَسٌ مَدْلوك مَدْكوك».

يقولُ ابنُ منظور في: (لسان العرب): «دَلَكْتُ الشَّيْءَ بِيَدي أدلُكُه دَلْكًا، مَرَسْتُهُ وَعَرَكْتُهُ، قال:

أَبِيْتُ أَسْرِي وَتَبِيتي تَدْلُكي
وَجْهَكِ بالعَنْبَرِ والمِسْكِ الذَّكِيْ

وَدَلَكْتُ السُّنْبُلَ حتّى انْفَرَكَ قِشْرُهُ عن حَبِّهِ. والمَدْلوك: المَصْقُول. ودَلَكْتُ الثَّوْبَ إذا مُصْتَهُ لِتَغْسلَهُ. وَدَلَكَهُ الدَّهْرُ: حَنَّكَهُ وَعَلَّمَهُ.

ابنُ الأعرابيّ: **الدُّلُكُ** عُقَلاءُ الرِّجالِ، وهم الحُنُك. وَرَجُلٌ دَلِيْكٌ حَنِيْك. قد مارسَ الأمورَ وَعَرَفَها. وَبَعِيْرٌ مَدْلوكٌ: إذا عاوَدَ الأسفارَ وَمَرِنَ عليها، وقد دَلَكَتْهُ الأَسْفارُ..

والدَّلُوك: ما تُدُلِّكَ به من طِيْبٍ وغيره.

وتَدَلَّكَ الرَّجُلُ أيْ دَلَكَ جَسَدَه عند الاغْتِسال.

والدَّلُوك، بالْفَتْح: اسمُ الدَّواء أو الشَّيء الذي يُتَدَلَّكُ به من الغُسُولات كالعَدَسِ والأُشْنانِ والأشياءِ المُطَيَّبَةِ، كالسَّحُورِ لما يُتَسَحَّرُ به، والفَطور لما يُفْطَرُ عليه....

..وفَرَسٌ مَدْلُوكُ الحَجَبَةِ [رأسُ الوَرِك المُشْرِف على الخاصِرَةِ، وهما حَجَبَتان]: ليس لِحَجَبَتِهِ إشْرافٌ فهي مَلْساءُ مُسْتَوِيةٌ...

..والدَّلِيكُ: طعامٌ يُتَّخَذُ من الزُّبْدِ واللَّبَنِ شِبْهِ الثَّريد...

..والدَّلِيكُ: التُّرابُ الذي تَسْفيه الرِّياحُ».

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ:

«كلُّ شيء مَرَسْته فقد دَلَكْته. . . ودَلَكَ الخُفَّ على الأرضِ.

وَدَلَكَهُ الدَّلّاك في الحَمّامِ. وأطعمنا من التَّمْرِ الدّلِيكِ وهو المَرِيْسُ.

ومن المَجاز: بَعيرٌ مَدْلُوكٌ: قد دَلَكَتْه الأَسْفارُ. . . .

ودَلَكَتِ الشَّمْسُ دُلوكًا: زالَت أو غابَت لأنّ النّاظِرَ إليها يَدْلُكُ عينَه، فكأنّها هي الدّالِكَة. ودالَكَ غَرِيْمَهُ: ماطَلَهُ. مِثْل داعَكَهُ. تقول: ما هذه المُداعَكَةُ والمُدالَكَةُ».

الدّلّاة و(دَلّة القَهْوَة)

الإبريق الذي تُغْلَى به قهوة البُنّ تَخْتَلِفُ أسْماؤه باخْتلاف الأماكن ففي دمشق يُسَمّى وِعاء طَبْخ قَهْوة البُنّ: (الدّولة) وفي الأرياف (الدَّلَّة) وفي لبنان إذا كانَ كبيرًا فهو (البَكْرَج) وكذلك في فِلَسْطين وذَكَرَه البُستانيّ في (مُحيط المُحيط) على أنّه عامّيّ. وعِبَارة (الرَّكْوة) فَصِيْحة مُوَلَّدة في رأي البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط) وهي مُنْتَشِرَة في الأرياف. . ولم أَجِدْ (الدّولة والدَّلَّة) فهل كانت في الأصْل: الدَّلْو فَدَخَلَها القَلْب ثمّ أُدْخِلَت عليها التّاء؟ كما في: «الدَّلاة وهي دَلْوٌ صغير» كما في: (اللسان. . والقاموس. . والتّاج. .).

وفي (القاموس المُحيط وتاج العروس) وفي (لسان العرب) د ل و:

الدَّلْوُ: معروفة واحدة الدِّلاء التي يُسْتَقَىٰ بها، تُذَكَّر وتُؤَنَّث. . . والْجَمْع أَدْلٍ. . والكثير دِلاء ودُلِيٌّ. . وهي الدَّلاة والدَّلا بالفَتْح والقَصْر الواحدة دَلاةٌ، قال الجميح:

طامي الجِمامِ لم تُمَخِّجْه الدَّلا

وأنشد ابن برّيّ هذا البيت ونَسَبَه للشّمّاخ.

. . . وأنشد لآخر في المفرد:

دَلْوَكَ إنّي رافع دَلاتي

وأنشد لآخر:

أيُّ دَلاةِ نَهَلٍ دَلاتي

وفي (محيط المحيط) ب ق ر: «البقراج: صاحب القهوة والشاي بلغة أهل الجزائر».

الدالية

(بَيْن الدَّوالي) لازمة أُنْشودة سميرة توفيق الشّهيرة وهو جَمْع مُفْرَدُه الدّالية وهي مُضَلّع خَشَبِيّ يُنْصَب (لتعريش عَرِيْشَة العِنَب) التي تُزرع في صَحْن الدّار أو حديقتها. . .

في ص ١٢٦ من: (شِفاء الغَليل. .) للخَفاجِيّ أحمد شهاب الدّين المُتوفّى سنة ١٠٦٩هـ:

«الدّالية: الذي يستخرج الماء من البِئْرِ بِدَلْو ونَحْوه، واسْتعمالها للعِنَب المُعرَّش خطأ، قاله الزّبيديّ».

ولٰكنّ الزّبيديّ في (تاج العروس. .) كابن منظور في (لسان العرب) والفيروزاباديّ في (القاموس): «. .(والدَّوالي: عِنَبٌ أَسْوَدُ غَيْرُ حالِكٍ) وعَناقِيدُه أَعْظَمُ العَناقيدِ كُلِّها تَراها كأنَّها تُيُوس مُعَلَّقة، وَعِنَبُهُ جافٌّ يَتَكَسَّر في الفم مُدَحْرَج وَيُزَبَّبُ؛ حكاه ابن سيده عن أبي حنيفة» وفي (التّاج. .) والدّالية (بسر يُعَلّق فإذا أرطب أُكِل) وبه فُسِّرَ حديث أمّ المُنْذِر العَدَوِيَّة قالت: «دخل عليّ رسول الله - ﷺ - ومعه عليّ بن أبي طالب ناقةٌ قالت: ولنا دوالٍ معَلَّقة فقام رسول الله - ﷺ - فأكل منه. . .». وفي (اللسان. . والتّاج. .) أيضًا قبل ذلك: «والدّالية: المَنْجَنُون تُدِيْرها البَقَرَة: [الدُّولاب التي يُسْتَقى عليها، وأداة السّانية التي تدور، وقيل البَكَرة]. والدّالية:

النّاعورة يُدِيْرها الماء. ابن سيدَه: والدّالية: الأرض تُسقىٰ بالدَّلْوِ.. والْجَمع الدّوالي..».

ولَدىٰ البُستانيّ في (مُحيط المُحيط): «..والدّالية لِشَجَرة الكَرْمِ مُوَلَّدة (ج) دوالي».

أمّا أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) فكتب عن (الدّقْرانة):

«عند العامّة خَشَبَة دُون الجِسْر تُنْصَب للتّعريش في الكروم، وجَمْعها الدّقارين وهي في الفصيح: الدّجران، واحدته دجرانة، والعامّة أَبْدَلَت أو أَخَذَتْها عمّن يَلْفُظُ الجيم كافًا ونَطَقَت بها قافًا لِقُرب مَخْرَجِهما وهما يتعاقبان، تقول: تزلّج وتزلّق...».

دَمَسَ

الفولُ المُدَمَّس: المَخْبوءُ في قِدْرٍ على النّارِ أو في النَّقع بالماءِ قَبْلَ النّارِ، هذا هو أصلُ المعنى في دَمَسَ، لأنّهم كانوا قبلَ نصفِ قَرْنٍ من الآن يدمّسون الفولَ في قِدْرٍ من الفخّارِ في أتّون النّار في قُرْن الحمّام: (الأَمّيم).

كَتَب أحمد رضا العامليّ في: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «والعامّةُ تقولُ: دَمّس الفولَ، وذلك إذا طَبَخَهُ بالفُرْنِ في جَرَّةٍ مُغَطّاةٍ ثمّ عالجَهُ بالتّوابِلِ، وهذا هو الفولُ المُدَمَّس.

وهو اسْتعمالٌ فصيحٌ، وفي اللغة: دَمَسَ الشّيءَ: إذا دَفَنَه وغطّاه»...

قُلْتُ وكذلكَ في مِصرَ ويقول د. عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة). «نقولُ في دارجتِنا: دَمَّسَ الفولَ: طَهاهُ في قِدْرٍ تُدْفَنُ في النّارِ (وهذا هو الأصلُ في طَهْوِ الفولِ المُدَمَّسِ) وفي القاموس: دَمَّسَ الشَّيءَ في الأرضِ: دَفَنَهُ حَيًّا كانَ أو مَيّتًا».

وفي (لسان العرب) لابن منظور:

«...ودَمَسَه يَدْمُسُهُ وَيَدْمِسُه دَمْسًا: دَفَنه: وَدَمَّسَ الخمرَ. أغلقَ عليها دَنَّها؛ قال:

إذا ذُقْتَ فاها قُلْتَ: عِلْقٌ مُدَمَّسٌ
أُريدَ بِهِ قَيْلٌ فَغُوْدِرَ في سَأْبِ

والتَّدْميسُ: إخفاءُ الشَّيء تحتَ الشَّيءِ، ويُقالُ بالتَّخْفِيْفِ. أبو زيد: المُدَمَّسُ: المخبوءُ. وَدَمَسْتُ الشّيءَ: دَفَنْتُهُ وَخَبَّأْتُه، والدِّيماس: الحَمّام والكنّ.. والمُدَمِّسُ والمُدَمَّسُ: السِّجْن.

ويُقال: دَمَسْتُهُ أي قَبَرْتُهُ». [قُلْتُ: وتقولُ عامَّتُنا: أَدْمُسُهُ قِتْلَةً مُدَمَّسَة].

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «ومن المَجَاز: دَمَسَ الأَمْرَ وَدَمَّسَهُ، وَأَمْرُهُمْ مُدَمَّس: مَسْتورٌ. وأمورٌ دُمْسٌ: مُظْلِمَةٌ. ولمّا وارىٰ دُمْسٌ دُمسًا اتَّخَذَ اللَّيْلَ جَمَلًا؛ أي: سَوادٌ سُوادًا».

تَدَمْشَقَ

(تَدَمْشَقْنا عليه) في قولِهم بمعنى: طَلَبْنا منه طَلَباتٍ زائدةً عن الحَدِّ المسموحِ به لنا اليومَ، قبلَ أنْ نوطِّدَ علاقاتِنا الحُبِّيّةَ به، فكأنّهم يقصدونَ أنّنا أَسْرَعْنا في اسْتِغلالِ عَلاقاتِنا معهُ ونحنُ ما نزالُ معه (على الطّويل) كما يُقالُ؛ أيْ: على الانْتظارِ الطّويل قَبْلَ التّلاقي.

ومعنى الإسراع هو المعنى الواردُ للدَّمْشقةِ في لغةِ المُعْجَم كما في (القاموس والتّاج واللسان..): «دَمْشَقَ عَمَلَهُ: أَسْرَعَ فيه. ودمشقَ الشّيءَ: زيَّنَهُ» «وناقةٌ وجَمَلٌ ورَجُلٌ دَمْشَقٌ كَجَعْفَرٍ وحِضَجْرٍ وزِبْرِجٍ وعُلابِطٍ، أي: سريع وأنشدَ الْجَوهريّ للزفيان:

وصاحبي ذاتُ هِبابٍ دَمْشَقُ
كأنّها بَعْدَ الكَلالِ زَوْرقُ

ورجلٌ دمشقُ اليَدَيْنِ؛ أي: سريعُ العَمَلِ بهما. وقد دَمْشَقَ في الشّيءِ: أَسْرَعَ ويُقالُ: دَمْشِقوا الأمْرَ، أيْ: ائتوه بالعَجَلَةِ.. قِيْلَ ومنهُ أُخِذَ دِمَشْقُ اسمُ المدينةِ؛ قيل: فَدَمْشِقُوها، أيْ: ابنُوها بالعَجَلَةِ. وقالَ ابنُ عبّادٍ: المُدَمْشَقُ هو المُصَهَّبُ من الشّواء». قُلْتُ: وفي لبنانَ اختلفَتْ دَلالَتُها ولٰكنَّها دلالةٌ فصيحةٌ أيضًا: يقول أحمد رضا في: (ردِّ العامّيِّ إلى الفصيح): «د م ش ق: ويقولونَ: فلان مُدَمْشَقٌ. وقد دَمْشَقَ نفسَه وذلكَ إذا أَحْسَنَ زينتَهُ في مَلْبَسِهِ وزِيِّهِ. وهو في اللغةِ كذلك كما في اللسان. قال: دَمْشَقَ الشّيءَ زَيَّنَهُ. قال أبو نُخَيْلَةَ:

دُمْشِقَ ذاكَ الصَّخَرُ المُصَخَّرُ».

أمّا: تَدَمْشَقَ، فيذكرها لويس معلوف في (المُنْجِد) بمعنى: سَكَنَ مَدينةَ دمشقَ. ويُهْملها (المُعْجَم الوسيط) الذي يَذْكرُ: «دَمْشَقَ الشّواء: لم يُبالِغْ في إنْضاجِه».

دَنِيْقٌ من البَرْد

نقولُ في عامِّيَّةِ الشّام: بَرْدٌ ودنائي. وقد دَنِقْنا من البَرْد، ويقولُ فيها: الأميرُ شكيب أرسلان في: (القولِ الفصلِ في ردّ العامّيّ إلى الأصلِ):

«يقولونَ في سورية «دَنِقَ من البَرْدِ» و«هذا دَنِيقٌ» أو «دَنْق» أي أَشَدّ البَرْدَ؛ وليس بظاهرٍ، فإنَّ دَنِقَ هي بغيرِ هذا المعنى، قالُوا دَنِقَ وجهُهُ: ظَهَرَ فيهِ أَثَرُ الهُزالِ من مَرَضٍ أو نَصَبٍ، والشَّمْسُ: قَلَّ ما بينَها وبَيْنَ الغُروبِ. ولٰكنْ يوجدُ دَنِقَ بمعنى دَنَا للمَوْتِ، ومنهُ الحديثُ: لا بأسَ للأسيرِ إذا خافَ أنْ يُمَثَّلَ به أنْ يَدْنَقَ للموتِ أيْ أنْ يُظْهِرَ الإشْفاءَ على الموتِ فرارًا من المُثْلَةِ، ودَنِقَتْ عينُهُ، غارَتْ، فربَّما تكونُ دَنِقَ العامّيّةُ بمعنى: ماتَ من البَرْدِ هي منْ هُنا؛ لأنَّ الموتَ من البَرْدِ يَقَعُ دنيقًا وتدريجًا فلا يُعْرَفُ هل الإنسانُ حيٌّ أم مَيِّتٌ. هل فيهِ دِماءٌ أم فُصلت روحُه. وهناكَ وجهٌ آخرُ أظهرُ منْ هذا وهو أنْ يكونَ فعلُ دَنِقَ منَ الدَّنَقِ، وهذا مقلوبٌ عنِ الدّمَقِ، والدَّمَقُ: ريحٌ وثلجٌ مُعَرَّبٌ: دَمَه في الفارسيّة». ا.هـ. أرسلان.

قلْتُ: أراجعُ (قاموسَ الفارسيّةِ)[1]؛ فوجدْتُ: «دَمَه: الرّيحُ الشّديدةُ المصحوبةُ بالبردِ، وتُسْتَعْمَلُ أيضًا بمعنى: بخار. وبمعنى: آلة النَّفْخِ.».

فَقُلْتُ: أعودُ إلى أصلِها العربيِّ، إذْ وجدْتُهُ لَدى كلٍّ منْ أحمدَ رضا العامليِّ. في (ردِّ العامّيِّ إلى الفصيحِ).

وأحمد أبو سعد في (قاموسِ المُصْطلحاتِ والتّعابيرِ الشّعبيّةِ):

«دَنيق: بردٌ شديدٌ. ومن أقوالِهم: دَنِقَ الرَّجُلُ أيْ ماتَ بَرْدًا فهو دَنْقان. و(دَنِقَ فلانٌ بفلانةٍ) أيْ أُولِعَ بها، واللفظُ لهُ أصلٌ في اللغةِ ففيها دَنِقَ وجهُهُ إذا اصْفَرَّ من المَرَضِ، ودَنِقَ: مات، وهم استعملُوه على سبيلِ الاستعارة».

فكلٌّ من رضا وأبو سعد يأخذانِها من الدَّنَقِ العربيّةِ على طريقِ الاستعارةِ البلاغيّةِ.. فلْنَذْكُرْ أصلَها العربيَّ القديمَ:

في مُعْجَمِ (لسانِ العربِ) يقولُ ابنُ منظورٍ: «..وَتَدْنِيْقُ العَيْنِ: غُؤُورُها. ودَنَّقَتْ عينُه تَدْنِيقًا: غارَتْ. ودَنَّقَ وَجْهُه: هَزُلَ، وقِيْل: دَنَّقَ وَجْهُهُ إذا اصْفَرَّ من المَرَضِ. ودنَّقَ الرَّجُلُ: ماتَ وقيل: دنَّقَ للموتِ تدنيقًا دنا منه. وفي حديثِ الأوزاعيِّ: (لا بأسَ للأسيرِ إذا خافَ أن يُمَثَّلَ بِهِ أَنْ يُدَنِّق للموت)؛

(١) د. عبد النعيم محمّد حسنين أستاذ الفارسيّة بجامعة عين شمس. (قاموس الفارسيّة) الطّبعة الثّالثة في قُمْ بإيران، مُصوَّرة عن الطَّبْعة الأولى بالقاهرة سنة ١٤٠٢هـ - سنة ١٩٨٢م.

أي يدنو منه؛ والدّانِقُ: السّاقطُ المَهْزولُ من الرِّجالِ. أبو عمرو: مريضٌ دانِقٌ إذا كانَ مُدْنَفًا مُمَرَّضًا.

الليثُ: دنَّقَ وجه الرَّجُلِ تَدْنيقًا إذا رأيت فيه ضُمْر الهُزَال من مَرضٍ أو نَصَبٍ.

وأهلُ العراقِ يقولونَ فلانٌ مُدَنِّق إذا كانَ يُداقُّ النّظرَ في مُعامَلاتِه ونفقاتِهِ ويَسْتَقْصي.

ابن الأعرابيِّ: الدُّنُقُ المُقَتِّرونَ على عِيالِهم وأَنفُسِهِم، وكانَ يُقالُ: مَنْ لم يُدَنِّقْ زَرْنَق، والزَّرْنَقَةُ العِيْنَةُ؛ وقال أبو زيدٍ: من العيونِ الْجَاحظة والظّاهِرةِ والمُدَنِّقَةِ، وهو سواءٌ، وهو خروجُ العَيْنِ وظهورُها؛ قال الأزهريُّ: وقولُ أصحُّ ممّنْ جَعَلَ تدنيقَ العَيْنِ غُؤُورًا».

دَهْدَرَ

دَهْدَرَةُ النِّعمةِ من خُبْزٍ وإدامٍ عَمَلٌ باطلٌ لأنَّ للنِّعمةِ تَقْديرَها لَدى المُتَنَعِّمِيْنَ بها منَ الذينَ يُوصُونَ أطفالَهم على الطّعامِ: (لا تُدَهْدِرُوا.. النِّعْمَة) يقولونَها للأطفالِ وكنْتُ أظنُّها منَ الهَدْرِ والإهدارِ، قبلَ أنْ أرى (الدُّهْدُر: الباطل) في المُعْجَمِ العربيِّ.

وفي (لسان العرب): «الدُّهْدُرُ: الباطل، ومنه قولُهم: دُهْدُرَّيْنِ ودُهْدُرِّيهِ. للرَّجُلِ الكَذُوبِ. أبو زيد: العَرَبُ تقولُ: دُهْدُرّانِ لا يُغنِيان عنكَ شيئًا. وَدُهْدُرَّيْنِ اسمٌ لِبَطَل؛ قالَ ذلكَ أبو عليٍّ. ومن كلامِهم: (دُهْدُرَّيْنِ سَعْدُ القَيْنِ) أي: بَطَلَ سَعْدُ القَيْنُ بأنْ لا يُسْتَعْمَلَ وذٰلك لِتَشاغُلِ النّاسِ بما هم فيهِ من الشِّدَّةِ أو القَحْطِ..».

وأضيْف من (القاموس.. والتّاج..): «دُهْدُرَّيْنُ تَثْنِيَةُ دُهْدُرٍ اسْمٌ لِبَطَل كَسُرعانَ وهيهاتَ اسم لِسَرُعَ.. ورواه أبو عُبَيْدة مُعَمَّر بن المثنّى بنصْبِ سعدَ. ودهدرين اسمٌ للباطِلِ تثنيةُ دُهْدُر ولم يجعلْه اسمًا للفعلِ... وقيلَ إنَّ قَيْنًا ادّعى أنَّ اسمَه سعد زمانًا ثمّ تبيّنَ كذبُه فقيلَ له ذلكَ أيْ جمعْتَ باطلًا إلى باطلٍ يا سعد الحدّاد... والدُّهدور بالضّمّ الكذّاب».

الدَّهْوَرة

نقولُ في عامّيّةِ الشّامِ: (دَهْوَرَنِيْ فَسَقَطْتُ..) ونقول: تدهوَرَتْ أثمانُ الحاجاتِ إذْ كثرَتْ ورَخُصَت.. ونقولُ: (دَهْوَرُوني إذ جَعَلُوني أشتري بالثَّمنِ الغالي بِضاعةً سَيِّئةً..)..

وفي (لسان العرب): «د هـ ر: ..والدَّهْوَرَةُ جَمْعُكَ الشَّيءَ وقذفُكَ به في مَهْوَاة. وَدَهْوَرْتُ الشَّيءَ: كذلك. وفي حديث النَّجاشيّ:

(فلا دَهْوَرَةَ اليومَ على حِزْبِ إبراهيم)، كأنّه أرادَ: لا ضَيْعَةَ عليهم ولا يُتْرَك حِفْظُهُم وتعهُّدُهم... وَدَهْوَرَ اللُّقَمَ منه، وقيل: دَهْوَرَ اللُّقَم: كَبَّرها.. ودَهْوَرَ كلامَهُ: قَحَّمَ بعضَه في إثْرِ بعضٍ. ودَهْوَرَ الحائطَ: دفَعهُ فسَقط.

وَتَدَهْوَرَ الليلُ: أَدْبَرَ» وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «رَأَيْتُهُ يُدَهْوِرُ اللُّقَمَ: يُعَظِّمُها وَيَتَلَقَّمُها».

وفي (مَجْمَع الأمثال) للمَيْدانيّ: «يُقال: دَهْوَرَ الكَلْبُ: إذا فَرِقَ من الأَسَدِ فَنَبَحَ وَضَرَطَ وسَلَحَ». والدَّهْوَرَةُ في (مستدرك التّاج..): «الضَّيْعَةُ وَتَرْكُ التَّحفُّظِ والتَّعهُّدِ..».

داسَ وما دَهَسَ

رأيْنَا في: الدَّعْس أنّه أَصَحُّ من الدَّهْس الذي اخْتاره الكُتّابُ والإعلامِيّون للإخبار عن الدَّعْس الذي يظنّونَهُ عامّيًّا: ونرى داسَ وليس دَهَسَ بمعنى الوَطْءِ والهَرْسِ.

وأحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) يُعالِج في: الدَّهْس:

«وقالتِ العامّةُ دَهَسَتْهُ السَّيَّارَة إذا اجتاحَتْهُ في سَيْرِها. ودَهَسَهُ إذا وَطِئَه بِخُفِّهِ أو قَدَمِهِ، وهو في كلام العرب: رَهَسَهُ (بالرّاء المهملة).

وتقول العامّةُ أيضًا دَعَسَه وَهَرَسَهُ، . . . وهرسَهُ مَقْلوبُ رَهَسَهُ يَرْهَسُهُ رَهْسًا إذا وَطِئَهُ وَطْأً شَدِيدًا.

أو: من الهَرْس (على لفظه) وهو الدَّقُّ. . . ومنه الهَرِيسَةُ للحَبِّ المَدْقوقِ. والمِهْراس (الهاوِن).

والدّالُ والرّاءُ يتعاقبانِ في الفصيحِ مِثْل: دَجَنَ الحَمامُ وَرَجَنَ: إذا أقامَ وأَلِفَ. . وخَدشَه وَخَرَشَهُ إذا مزّقه. ودَمَعَت عَيْنُه وَرَمَعَتْ: إذا سالَ دَمْعُها. وَسَهِرَ الرجلُ وسَهِدَ: إذا لم يَنَمْ.

ودَمَسَهُ وَرَمَسَهُ: إذا دَفَنَهُ». ا. هـ. أحمد رضا.

قلْتُ: رأيْنا أنَّ «الدَّهْس: الأَرْضُ السّهلةُ يَثْقُلُ فيها المَشْيُ، والدَّهاسُ: كلّ ليّن جدًّا» كما في (لسان العرب).

وفي (اللسان. .): د و س: «. .وداس الشّيءَ بِرِجْلِهِ يَدوسُهُ دَوْسًا وَدِياسًا: وَطِئَهُ. . . وداسَ النّاسُ الحَبَّ وأداسوهُ: دَرَسُوهُ؛ عن أبي حنيفة. وفي حديث أمّ زَرع: (. .ودائسٌ وَمُنَقٍّ) الدّائس: الذي يَدوسُ الطَّعامَ ويدقُّه لِيُخْرِجَ الحَبَّ منه، وهو الدِّياس. . .

والدَّوْسُ شِدَّةُ وَطْءِ الشَّيءِ بالأَقْدام. . . ومن هذا يُقالُ: طريق مَدُوس وقولُهم، أَتَتْهُمُ الخَيْلُ دَوائِسَ؛ أي: يَتْبَعُ بَعْضُهُم بعضًا.

والمِدْوَسُ: الذي يُداس به الكُدْسُ يجرُّ عليه جرًّا، والخيلُ تدوسُ القَتْلىٰ بِحَوافِرِها إذا وَطِئَتْهم، وأنشد:

فَدَاسُوهُمُ دَوْسَ الحَصِيْدِ فَأَهْمَدُوا

. . . أبو زيد: يُقال: فُلانٌ دِيْسٌ مِنَ الدِّيْسَةِ أي شجاعٌ شديدٌ يَدُوس كلّ من نازَلَهُ. ويُقال للحَجَرِ الذي يُجْلَى به السَّيْفُ: مِدْوَسٌ.

ابنُ الأعرابيّ: الدَّوْسُ الذُّلُّ. والدُّوسُ الصِّقْلَةُ». قُلْت: كذلك ما تجده في (أساس البلاغة) للزَّمَخْشَريّ، وغيره من كتب اللغة.

دِيْسة

في دِمَشْقَ يَقولُ العامّيّ: (هذا الشَّخْصُ دِيْسَة، أو: مِثْل الدِّيْسَةِ فلن نَسْتَفيدَ مِنْهُ. وهذه القضِيَّةُ عَوِيصةٌ ودِيْسة فلن يَنالَكَ منها خَيْرٌ). وقائلُها العامّيُّ الشّاميُّ قد يقولُها تَقْليدًا للسَّماع؛ فلماذا يُقال: هذه دِيْسَة؟ أو مِثْل الدِّيْسَة؟ وما معناها؟

الدِّيْس: هو شُجَيْرَةُ العُلَّيْقِ الكثيرةُ الأَشْواكِ المُتَشَابِكَةُ، من نوع الوَرْدِيّات كما عَرَفْتُ من أهالي الرّيف الجَبَليّ الساحِليّ. وفي (القاموس المحيط): (والدِّيْسَةُ: بالْكَسْر: الغابَة المُتَلَبِّدَةُ (ج) دَيس ودِيس). ومثل ذلك في (تاج العروس). وفي (مُعْجم الألفاظ الزِّراعيّة) لمصطفى الشّهابيّ: ص٢٠٩ «سَمَار. دِيْس C. alopecuroider.

الأولى في مِصْر، والثّانية في الشّام، وتُطلقانِ على غيره. نوع يُزرع في مِصْرَ ويُستعملُ في صناعةِ الحُصُرِ، وَيَنْبُتُ بَرّيًّا في بعض أنحاءِ الشّام».

وكذلك في (معجم الألفاظ الزّراعيّة) نفسه ص٥٩٣.

«دِيْس. أسَل الخبّ Scirpe الدّيس عامّيّة لم أجدْها ويفيد إقرارها. جنسُ أعشابٍ مائيّةٍ منَ الفَصيلةِ السُّعديّة». ويُذكر: «دِيْس البُحَيْرات» و«ديس بحريّ».

وفي (لسان العرب): «أبو زيد: يقال: فُلانٌ دِيْسٌ من الدِّيَسَةِ أي شجاعٌ شديدٌ يَدوسُ مَن نازَلَهُ وأصله دِوْس على فِعْل، فقُلِبَتِ الواو ياء لكسرة ما قبلها كما قالوا ريح وأصلح رِوْح». وليس في (اللسان) مثلُ ما في (المحيط) من الغابة المُتَلَبِّدَةِ...

ويأخذ (المعجم الوسيط) من كلّ ما سبق ويختصرها في مادّة: دوس.

الدَّوْشَة

في الأمثالِ العامّيّةِ الشّعبيّةِ: (الطَّلْقَةُ والرَّصاصة التي لا تُصيب تُدْوِشُ).

وفي (لسان العرب): «الدَّوْشُ: ظُلْمَةٌ في البَصَرِ، وقيل: هو ضعْف في البَصر وضِيْق في العَيْن، دَوِشَ دَوَشًا وهو أَدْوَشُ وهي دَوْشاءُ. الفَرّاء: داشَ الرَّجُل إذا أَخَذَتْه الشَّبْكَرَةُ». [والشَّبْكَرَة: العَشا.].

وفي (القاموس..): «دَوِشَتْ عَيْنُه، كَفَرِح، فَسَدَت من داءٍ أصابَها والدَّوَش ظُلْمَةٌ في البَصَرِ، وهو أَدْوَشُ وهي دَوْشاءَ».

ويُتابع شارِحُه الزَّبيديّ في (مُستدرك التّاج): (..وَرَجُلٌ مَدُوْش: مُتَحَيِّرٌ. والدَّوْشُ؛ مُحَرَّكَةً: حَوَلُ إحدى العَيْنَيْن).

وفي عَصْرِنا كَتَب أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) ص١٩٩.

وقالوا: عَمِل لنا دَوْشَة، وَطَوْشَة، وَدَوْكَة وكلُّها يُراد بها الشّرّ والاخْتلاطُ والاضْطرابُ، والطَّوْشَةُ والدَّوْشَة أكثرُ ما يُرادُ بها الاضْطراب في الفِكْر وما يَحْصَلُ منه دُوارٌ في الرَّأْسِ وهذا الدُّوارُ هو الطَّوْشة... والأصلُ في ذلك كلّه الدَّوْكة...

قال في (اللسان): وَقَعَ القَوْمُ في دَوْكَة وَدُوْكَةٍ... أيْ: وقعُوا في اخْتلاطٍ في أمرِهم وخصومةٍ وشَرٍّ... وأمّا المَطْوُوش ففصيحُهُ.. المَدُوش: المُتَحَيِّر.

مَدْيون

(في العربيّة أسماءُ المفعُولين: مَدِيْن ومُدَانٌ ومَدْيونٌ ودائن، أيْ: عليه دَيْن) كما في (القاموس.. والتّاج.. واللسان..).

روى (اللسان) أنّ كلمة (مَدْيُون) تميميّة.

وفي (المِصْباح المُنير): (مَدِيْن ومَدْيون).

ومن المعروف أنّ العوامّ في مِصْر والشّام يقولون: مَدْيون، ولٰكنّ الحُقوقيّين وكُتّاب القَوانين والمَحاكم، وعامّة الكُتّاب يَتَجَنَّبُون (المديون) ويظنّونها غيرَ فصيحةٍ لأنّها تُقال في العامّيّة.

إحالة: الديوان: مع (الصُّفَّة والمَطْرَح والطرز والديوان) في ص ف ف.

ذ

الذّبْذَبة والزّبْزَبة

حين يُقال في عاميّة الشّام (فلانٌ مُزَبْزَبٌ) فإنّ مَعْناها يُوحِي بأنّهم يَلْفُظُون الذّال زايًا على عادَتِهم في إهْمال اللّفْظ الصّحيح للذّال. لأنّهم يقصدُون الذي يَميل إلى جانبِ هؤلاء تارةً وإلى أولئك تارةً أُخرى ﴿مُذَبْذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ السورة الرابعة النِّساء/ الآية١٤٢ وفي (القاموس.. واللسان.. والتّاج..): كما في أي مُعْجَم..

«تَذَبْذَبَ الشَّيْءُ: ناسَ واضْطَرَبَ. والذَّبْذَبَة تَرَدُّدُ الشَّيْء، ونَوْسُه مُعَلَّقًا في الهواء.. والذّبْذَبة حِمايةُ الْجِوَار والأهل. والذَّبْذَبةُ إيذاءُ الخَلْق.

ولٰكنّهم قد يَجِدُون الذي يَنْهَزِم مُزَبْزَبًا، وهذه عبارةٌ فصيحةٌ بالزّاي كما يَلْفُظُونَها..

في (محيط المحيط):

«زَبْزَبَ الرَّجُلُ: غَضِبَ أو انْهَزَمَ في الحَرْب». وهذا كما في (اللسان..) وفي (القاموس.. والتّاج..) كِلاهُما عن أبي عَمْرو».

الذَّفَر والزَّفَر

الزَّفَر عند عوامّنا هو الدَّسَم، والأكْل الزَّفر: الحافل بالأدْسام - والكُتّاب يَجْمَعُون الدَّسَم على دُسُم بضمّ الدّال -.

وكلام الزَّفارَة أو الزَّفَر هو الكلام السّاقط المَرْذُول في عاميّتنا وفي ص٢٥٣ من: (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة): «زِفِر: (مُحرّف ذفرْ العربيّة): نتن الرّائحة. ومن أقوالهم (لسان زِفِر) أي: بَذيْء. ويَبْدُو أنّها من السّاميّ المُشترك، ففي الآراميّة: الزّفر: النّتن القذِر (عيس ١٠٢) مُؤَنّثها زفرَة. والجَمْع: زفرين».

بطرس البُستانيّ في (محيط المحيط) ذ ف ر:

«ذَفِرَ الشّيءُ يذفَر ذَفَرًا: ظَهَرَتْ رائحتُه واشْتدّت طَيِّبَةً كانت أم خبيثةً فهو ذَفِر وَأَذْفَرُ. الذَّفَر: مصدر وشدّة ذكاء الرِّيح.. ومنه الذَّفَر عند النّصارى أي أكل اللحم والبَيْض ونحو ذلك. ويَبْنون منه فِعلًا فيقولُون ذَفَّر وَتَذَفَّر. إلّا أنّهم يُبْدِلُون الذّال زايا. والأظهر أنّ الزّاي أصليّة فيه مأخوذًا من الزَّفر الذي يُدْعَم به الشَّجَر؛ لأنّه يَدْعَم القُوى بخلافِ أكلِ الحُبوب والخُضَر، أوْ مُرْتَجلًا في اصْطِلاحهم غير مأخوذٍ من شيء». قلت وعند غير النّصارى أيضًا فنحنُ كلُّنا نقولُ ذلك..

وأزيدُ من البُستانيّ ذاتِه في ذ ف ر: «..أَكْل اللحم واللّبَن ونحو ذلك؛ ويقابلُه عندهم القطاعة... والكلامُ الزَّفِر عند العامّة: السَّفيه».

قلت: ولم أجدْ في (لسان العرب.. وأساس البلاغة.. وتاج العروس..): ز ف ر، ولا في: ذ ف ر، ولا في: د ف ر ما يتعلّق أو يتّصل أو يُقارب: معنى الدَّسَم، على كثرة ما كَتَبَ ابن منظور في هذه الموادّ.

إلّا إذا تكلّفت تفسير التَّطَوُّر المَجَازيّ من: الزّوافر: الضُّلُوع، وفي (أساس البلاغة): «دابّة

غليظ الجُفْرة، عظيم الزُّفْرة.. وقول الجَعْديّ:

خِيْطَ على زَفْرَةٍ فَمٌّ ولم
يرجعْ إلى دِقَّةٍ ولا هَضَم

كأنّه زَفَر زَفْرة فطبع على ذلك مُنْتَفِج الجَنْبَيْن» وكذلك في (اللسان..): «وبعير مَزْفُور: شديد تلاحمُ المَفاصل».

قلتُ: فهل تطوَّر المعنى المَجَازيّ نحو السِّمَن وكثرة اللحم والشَّحْم بين زَوَافِر أضلاعِه؟.. أو... أو ننتقلُ إلى ما في: ذ ف ر في (أساس البلاغة): فيه ذَفَرٌ: وهو: حِدَّة الرّائحة أيّما كانت. وله ذَفْرَة شديدة..وروضة ذَفِرة ومِسْك أذفر.. وكتيبة ذَفْراءُ: لرائحة سَهَكِها. وإبط ذَفْراءُ. وَرَجُلٌ ذَفِرٌ: به صنان؛ قال:

ومُؤَوْلَقٍ أَنْضَجْتُ كَيَّةَ رَأْسِهِ
فَتَرَكْتُه ذَفِرًا كريح الجَوْرَبِ

وما أخذتُه من (الأساس..) في ز ف ر وفي ذ ف ر: تجده أيضًا في (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..).

وأعودُ إلى الذِّفر أو الزِّفر في كتاب أحمد رضا العامليّ (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«وهو ما يكونُ في مُؤَخّرِ السَّرْج يُجْعلُ تحت ذَنَبِ الدّابّة ليمنع السَّرْج من أن يَزِلّ إلى فوق كَتِفِها وإلى عُنُقها، يكونُ ذلك للإبِل، ويُسمّىٰ ما يكونُ فيه للبِغال المُعين أيضًا، ويسمّى في مصر الطّفر.

ويُسمَّى في اللغة الثَّفر.. والعقرب..»..

قلتُ فهذا الذِّفر أو الزِّفر يُحيطُ بما حَوْلَ الأضلاعِ الزّوافر..

وفي العامّيّة المصريّة أيضًا يَشْهَدُ د. عبدالعال علىٰ فصاحة قولهم:

«في دارِجَتنا: شَمَّ أثناءَ مُرُوره رائحةً ذِفرة: أي كريهة مُنْتِنَة، وَتَذَفَّرَ فلان: أكلَ لَحْمًا وشَرِب إدامًا، وكِلاهُما يُسَمّى ذَفَرًا.

وفي (القاموس..): الذَّفَرُ.. شدّة ذكاء الريح.. وفي (أساس البلاغة) فيه ذَفَر..».

ر

الرَّأْرَاء

يقول ابن منظور في (لسان العرب - رأرأ):

«الرَّأْرَأَة: تَحْرِيْك الحَدَقَة وتَحْدِيد النَّظَر. يُقال: رَأْرَأَ رَأْرَأَةً. وَرَجُلٌ رَأْرَأُ العَيْن وَرَأْرَاءُ العَيْن - المَدُّ عن كراع -: يُكْثِرُ تَقْلِيْبَ حَدَقَتَيْه. وهو يُرَأْرِئُ بِعَيْنَيْه. ورَأْرَأَتْ عَيْناه: إذا كان يُدِيْرُهما.

وَرَأْرَأَتِ المرأةُ بِعَيْنِها: بَرَّقَتْها. وامرأة رَأْرَأَةٌ، ورَأْرَأٌ، ورَأْراءٌ. بغير هاء، ممدود. وقال:

شِنْظِيرَةُ الأخلاق رَأْراءُ العَيْن [شَنْظَرَ بِهِم: شَتَمَهم. والشِّنْظيرُ والشِّنظيرة: السَّيِّئُ الخُلُقِ الفَحَّاش والفَدْمُ الغَبِيّ].

ويُقال: الرَّأْرَأَةُ: تَقْلِيب الهَجُولِ عَيْنَيْها لِطالِبِها. [وَهَجَلَت المَرْأَةُ بِعَيْنِها تَهْجُلُ هَجْلًا: أَدارَتْها تَغْمُزُ بها الرَّجُلَ، والهَجولُ: المرأة الواسعة].

ورَأْرَأَتِ المرأة: نَظَرَتْ في المرآة. وَرَأْرَأَ السَّحابُ: لَمَعَ...».

وفي قاموس الفيروزاباديّ ما لا يَخْرُج عمّا في لسان ابن منظور إلّا أنّه يُلَخِّص ويُحدِّد: «رَأْرَأَ: حَرَّكَ الحَدَقَةَ وَحَدَّدَ النَّظَرَ، والمرأةُ بَرَّقَتْ بِعَيْنَيْها.. والسّحاب والسّرابُ: لَمَعَا والظّباءُ: بَصْبَصَتْ بأذيالها...».

قلت: يقولون في الشّام: «..لِسَاعَتِنا.. ما زِلْنا في الرَّأْراءِ..» يقصدون أنَّ ما سَوْف يكون أكثر أو أَشَدُّ ممّا هو كائن الآن.. لأنّنا ما نزال في البداية.

فهل هي بداية تحريك الحَدَقَة وتحديد النَّظر وإدارة العَيْنَيْن، وتقليب الهَجُوْلِ عَيْنَيْها لِطالِبِها ونظر المرأة في المرآة بداية. ورَأْرَأَةُ السَّحاب لَمْعٌ يُبَشِّرُ بما بَعْدَه من الهَطْل..

وهل قَصَدُوا مِثْلَ هذه الكناية؟ أمْ قَصَدُوا الكِنايَةَ عن الماء الرَّقْراق أو شبهه المَجازيّ؟

إحالة: المَرْتَبَة: مع (الصُّفَّة والمطرح والطَّزَر والديوان والمرتبة). في ص ف ف.

الرَّداد والمردودة

وآخذه على رَداد..

الرَّداد عِبارَةٌ شائعةٌ بين النّاسِ في الأسواقِ عندنا، فحينَ تبتاعُ متاعًا ولَسْتَ متثبّتًا في قرارِك النّهائيِّ بابتياعِه، لأيِّ سببٍ من أسبابِ الْجَودةِ أو القِياس أو المناسبةِ لتلبيةِ الغَرَضِ والحاجةِ أو غير ذلك..؛ فإنّك تقولُ لبائِعِهِ: أآخذُه على رَداد؟ أي على أن تَقْبَلَ بِرَدِّهِ إذا وجدتُهُ غيرَ مُناسبٍ؟

وفي معجم ابن منظور: (لسان العرب):

«واسْتَرَدَّ الشّيءَ وارْتَدَّهُ: طَلَب رَدَّهُ عليه، والاسم الرَّداد والرِّداد؛ قال الأَخْطَل:

وما كُلُّ مَغْبونٍ ولو سَلْفَ صَفْقَةٍ
يُراجِعُ ما قَدْ فاتَهُ بِرَدادِ

ويُرْوَى بالوَجْهَيْنِ جميعًا. ورُدود الدَّراهم: ما رُدَّ؛ واحِدُها: رُدٌّ، وهو ما زِيفَ فَرُدَّ على ناقدِه بَعْدَما أُخِذَ منه. وكلّ ما رُدَّ بغير أَخْذٍ فهو رَدٌّ.

والرَّدُّ: ما كان عِمادًا للشَّيْء يَدْفَعُه وَيَرُدُّه. قال:

يـا رَبِّ أدعـوكَ إلٰـهًـا فَـرْدا
فـكـنْ لـهُ مـن الـبـلايـا رِدّا

أي مَعْقِلًا يَرُدُّ عنه البَلاء...

...ويُقال: وَهَبَ هِبَةً ثمّ ارتدّها، أي: اسْتَرَدّها، وفي الحديث: أَسْأَلُك إيمانًا لا يرتَدُّ، أي: لا يَرْجِعُ. والمردودةُ: المُطَلَّقةُ وفي حديث النّبيّ - ﷺ- أنّه قال لِسُراقَةَ بنِ جُعْشُم: (ألا أدلّك على أَفضلِ الصّدقة؟ ابنتُك مردودةٌ عليكَ ليسَ لها كاسبٌ غيرك) أراد أنّها مُطَلَّقة من زوجِها فَتُرَدُّ إلى بَيْتِ أبيها فأُنْفِق عليها.. والرِّدَّة: البَقيَّة[1]، قال أبو صخر الهُذَلِيّ:

إذا لـم يـكـنْ بـيـنَ الـحـبيـبَـيْـنِ ردَّةٌ
سوى ذكر شيء قد مضى دَرَسَ الذِّكْرُ».

وكلُّ هذا.. وغيرُه.. ممّا يَرِد في (القاموس.. والتّاج..) كما في (اللسان..)..

قلْتُ: وفي عصرِنا نجدُ العوامّ في الشّام ما زالوا يسمّون المُطَلَّقَةَ: المردودة والرَّاجعة..

وأتخيّرُ من الزّمخشريِّ في (أساس البلاغة) ما أراهُ يُقاربُ الاستعمالاتِ العامّيّة المُعاصِرَة: «رَدَّ السائلَ.. وهذا مردودُ قولك ورَدِيدُه كقولك مرجوعُ قولِك.. وارتدّ هِبَتَه: ارْتَجَعها، سَمِعْتُه منهم سماعًا واسعًا، ومنه قوله:

فـيـا بـطـحـاءَ مَـكَّـةَ خـبِّـريـنـي
أمـا تـرتـدّنـي تـلـك الـبِـقـاعُ؟

ولـيـس لِأَمْـرِ اللهِ مَـرْدود، أي: رَدّ. قـالـت أم الحُسَينِ ترثي أخاها:

وقـائـلـيـن تَـعَـزَّيْ عـن تَـذَكُّـرِهِ
والـصَّـبْـر لـيـس لأمـر الله مَـرْدُودُ

واسْتَرَدَّهُ الشّيء: سأله أنْ يَرُدَّهُ عليه... ورادَّهُ القَوْل: راجَعَه إيّاه، وترادّا القولَ.. ورادَّهُ البَيْعَ: قابَلَهُ، وترادّا. وترادَّ الماءُ: ارتدّ عن مجراهُ الحاجز... وما يَرُدُّ عليك هذا؟ أي: ما يَنْفَعُك.. وضَيْعَةٌ كثيرة الرَّدّ والمَرَدّ: وهو الرَّيْع. ورجل مُرَدَّدٌ: حائرٌ بائرٌ شديدُ الحيرة. وطَمَّ شَعْرَهُ بالمردودةِ وهي الموسىٰ لأنّها تُرَدُّ في نِصابِها. قال يزيد بن الطَّثَرِيَّة:

أقـولُ لـنـورٍ وهـو يـحـلـقُ لِـمَّـتِـي
بِـعَـقْـفـاءَ مـردودٍ عـلـيـهـا نِـصـابُـهـا

وفي ذقنه رَدَّة: تقاعسٌ. وهي جميلةٌ ولٰكنْ في وجهها رَدَّةٌ وهي بعضُ القُبْح. ولا تُعْطِينِيْ من رُدود الدَّراهِم: وهي التي لا تروجُ؛ وهذا دِرْهَمٌ رَدٌّ. وسمعْت رِدَّة الصَّدى، وهي ما يردُّ عليك من الصَّوت».

الرَّذالَة والرَّذيل

يَختم بطرس البُستانيّ في (محيط المحيط) مادّة الجَذْر: رذل بقوله: (...وأكثرُ العامّة يستعملونَ جميعَ هذه المادّة بالزّاي).

وكذلك أحمد أبو سعد في ص٢٥٣ من (قاموس المصطلحات والتّعابير الشّعبيّة) (رزيل): من رذيل على الإبدال: سيّئ الأخلاق. مُؤَنَّثُهُ رزيلة. والجمع رِزْلين قلت وفي الشّام جَمْعُه: (أَرْزال). ومُؤَنّثه (رزيلة) أيضًا وهذه لا يَصِحّ فيها الإبدال فالرّذيلة الفصيحة اسم المعنى المُجَرّد للصّفة؛ وليس هو صِفَةً لموصوفٍ مُؤَنّث كما في العامّيَّة.. فلا ينطبق عليها رأيُ البستانيّ وأبي سعد أي ليست مُؤنّث الرَّذيل.

أمّا د. عبد المُنعم سيّد عبد العال في (مُعجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة)

(١) البقيّة غير مشكولة في اللسان.

فلا يرويها بالزّاي، فهي عنده في دارجتهم والفصيح بالذّال دومًا ويَسْتَشْهِد بالآية ٢٧ من السّورة١١ هود: ﴿وما نراك اتَّبَعَك إلّا الذين هم أراذلُنا﴾.

وفي (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..) لا تجدُ: رزل بالزّاي لٰكنْ تجدُها بالذّال: «رذل: الرَّذْل والرَّذِيْل والأَرْذَل: الدُّون من النّاس... وقيل هو الرّديء من كلّ شيء.. ورَجُلٌ رَذْل الثّياب والفعل، والجَمْع أَرْذال ورُذَلاء ورُذُول ورُذال؛ الأخيرة من الجَمع العزيز، والأرذلون، ولا تفارق هذه الأَلِفَ واللامِ؛ وفي السّورة ٢٦ الشّعراء الآية ١١١: ﴿وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُون﴾.

... والأنْثَى رَذْلَة، وقد رَذُل فلان - بالضّمّ - يَرْذُلُ رَذالَةً ورُذولَة فهو رَذْل ورُذال - بالضّمّ - وأَرْذَلَهُ غَيْرُه، وَرَذَلَهُ يَرْذُلُه رَذْلًا: جَعَلَه كذلك، وهم الرَّذْلون والأَرْذَال وهو مَرْذول... وثوب رَذْل ورَذيل: وَسِخٌ رديء. والرُّذال والرُّذالة: ما انْتُقِيَ جيّده وبقي رديئهُ والرَّذِيلة ضِدّ الفَضِيلة. ورُذالَة كلّ شيء: أَرْدَؤُهُ. يُقال: أَرْذَلَ فلان دَراهمي أي: فَسَّلَها؛ وأَرْذَل غَنَمِي وَأَرْذَلَ مِن رِجاله كذا وكذا رجُلًا، وهم رُذالة النّاس ورُذالهم. وقوله تعالى: ﴿ومنكم من يُرَدُّ إلى أَرْذَل العُمر﴾ السورة ١٦ الآية ٧٠ والسورة ٢٢ الآية ٥. قيل هو الذي يَخْرَفُ من الكِبَر حتّى لا يَعْقِل وَبَيَّنَهُ بقوله: ﴿لكيلا يعلم بعدَ عِلْمٍ شيئًا﴾.

والأَرْذَلُ من كلّ شيء: الرّديء منه.

وفي (القاموس.. والتّاج.. أيضًا): واسْتَرْذَلَه: ضدّ استجادَه؛ ومنه الحديث: (ما اسْتَرْذَلَ اللهُ عبدًا إلّا خَطَرَ عنه العِلْم والأدب)».

رَزّ الرُّزّ والرِّزّ ورَزّة القُفْل

النَّجّارون والعُمّال يتحدَّثون عن رَزَّة القُفْل لِتَثْبيت الإقفال ولِلفتْح و...

والنّاس يطبخون الطَّعامَ و(يُفَلْفِلون) معه الرُّزَّ (المُفَلْفَل)...

والكُتّاب الفُصحاء في عصرنا غيرُ مُحتاجين إلى أنْ يَسْتَبْدِلوا بِرَزَّة القُفْل قولهم: الحلقة المعدنيّة لإدخال سِوار القُفْل، وبالرُّزّ أَرُزًّا أو أُرْزًا؛ فهما من فصيح العَوَامّ الوارد في المُعْجم القديم، ومِن الرُّزّ انتقل الاسم وإلى كثير من اللغات..

أمّا (المُرَزْرِز) من الطَّبِيخ المَحْشُوّ بالرُّزّ والمُبالَغُ في حَشْكِهِ وحَشْوِهِ بالرُّزّ، فَلَعَلَّه مِن وصف «الطَّعام المُرَزَّز» الوارد في (لسان العرب) وغيره؛ أو مِن: «رَزْرَزه: حَرَّكَهُ» كما في (القاموس.. والتّاج..)...

ويقول البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط): «..والعامّةُ تقول: رَزَّهُ؛ بمعنى: كَلَمَهُ شديدًا أو كثيرًا». قُلْتُ: وفي المُعْجم القديم بمعنى: طَعَنَهُ..

وقد ذَكَرَ رَزَّةَ القُفْلِ والفِعْلِ: رَزَّ: د.عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) ففي الدّارجة المِصْريّة يُقال مثل هذا أيضًا. وذَكَرَهُما أيضًا من لبنان الأمير شكيب أرسلان في: (القول الفَصْل في رَدّ العامّيّ إلى الأَصْل). وحين وَصَفَ الرَّزَّة أحمد أبو سعد في ص٢٨٢ و٢٨٦ من (قاموس المُصْطَلَحات والتَّعابير الشَّعبيّة) نظر فيما في المعاجم التُّراثيّة...

وفي (لسان العرب):

«رَزَّ الشَّيْءَ في الأرض وفي الحائط يَرُزُّه رَزًّا فارْتَزَّ: أثبته فَثَبَت... ورَزَّةُ الباب: ما ثبت فيه من [...كذا بياض في الأصل: عن الحاشية] وهو منه وقد رَزَزْت البابَ؛ أي: أَصْلَحْت عليه الرَّزَة.

والرَّزَّة: الحديدة التي يدخلُ فيها القُفْلُ . . .

. . . . . والرُّزُّ والرُّنْزُ: لغة في الأُرْز، الأخيرة لعبدالقيس؛ قال ابن سِيْده: وإنّما ذكَرْتُها هُهنا لأنّ الأَصْل رُزٌّ؛ فكرهوا التَّشديد فأبدلوا من الزّاي نونًا كما قالوا: إنْجاصٌ في إجَّاصٍ. وإنْ لم تكن النُّون مُبْدَلَة فالكلمة ثلاثيّة. وطعامٌ مُرَزَّزٌ: فيه رُزّ. قال الفرّاء: ولا تقلْ أُرْز، وقال غيره: رُزٌّ، وَرُنْزٌ، وَأُرْزٌ، وأُرُزٌ، وأَرُوز». ويزيد في (القاموس..): «وآرُزّ» ويبدأ (القاموس..) لغاته بالأَرُزّ التي أَهْملها (اللسان) هاهنا ولٰكنّه في أرز: ذكرها وروىٰ عن الجوهريّ ستّ لُغات في (الرّز) الذي ذكر الزّبيديّ في (التّاج.. أرز): أنّ اللغة المشهورة عند العوامّ بإسقاط الهمزة.

وفي أرز؛ والفعل في (القاموس..) عَيْن مضارعه مثلَّثة: «أَرَزَ يأرِز – مثلّثة الرّاء – أُرُوزًا: انقبض وَتَجَمَّعَ وثَبَت، فهو آرِزٌ وأَروز».

وفي (القاموس..) رزز: «وَرَزْرَزَهُ: حَرَّكَهُ. والحِمْلَ سَوَّاهُ» ويضيف (التّاج...): «وَعَدَّلَهُ ومصدرهما: الرَّزْرَزَة».

وقليلًا ما اختلف، أيضًا، معنى الفعل بين (القاموس.. واللسان..).. وفي (أساس البلاغة): «رَزَّهُ رَزًّا: طعَنه.. فارْتَزَّ فيه: ثَبَتَ.. ومن المَجَاز: وَطَّأْت أمرك عند فلان وَرَزَّزْته ثَبَّتُّهُ وَمَهَّدْته».

وفي (مقاييس اللغة): «الرّاء والزّاء أَصْلانِ: أحدهما جنس من الاضطراب، والآخرُ إثباتُ شيءٍ. فالأوّل: الإرزيز، وهي الرِّعْدة. قال الشّاعر [الشَّنْفَرى الأَزْديّ من قصيدته المعروفة بلاميّة العرب]:

قَطَعْتُ على غَطْش وبَغْش وَصُحْبتي
سُعارٌ وَإِرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ

ويُقال: الإرْزيز: البَرْد، وهو قياس ما ذَكَرْناه، والرِّزّ: صوت. وفي الحديث: (مَن وَجَدَ في جَوْفِهِ رِزًّا فَلْيَنْصَرِفْ ولْيَتَوَضّأ).

وأمّا الآخر فيقال: رَزَّ الجَراد؛ إذا غرزَ بذنَبه في الأرض لِيَبِيْض... ورزَزْت السَّهْمَ في الحائط والقِرْطاس، إذا ثَبَّتَّه فيه. ومن القياس: ارتَزّ البخيل عند المَسْألة، إذا بقي وبخل؛ وذلك أنّه يَقلّ اهتزازُه..».

رَفَسَ

الرَّفَّاسُ: في لُغَةِ الصُّنَّاعِ والنّاسِ عِنْدنا هو النَّابِضُ في لُغَةِ فُصَحائِنا الكُتّاب الذين يَظُنُّون الفِعْل رَفَسَ عامّيًّا مع أنّه مُنْتَشِرٌ في الشّام ومِصْر وغيرِهما...

وفي كُتُبِنَا المَدْرَسِيّة وَجَّهُوْنَا إلى عَدَم دَفْع الإساءةِ بالإحسانِ مُتَسائِلِيْن: «إذا رَمَحَك حِمارٌ أَكُنْتَ تَرْمَحُه؟» فَصِرْنا نَظُنُّ أنّ الرَّمْحَ فَصِيْحٌ والرَّفْسَ عامّيّ..

وفي مُعْجَم (مقاييس اللغة) عن الخَلِيْل، كما في (اللسان.. والقاموس..): «الرَّفْسَة: الصَّدْمَة بالرِّجْل في الصَّدْر؛ وَرَفَسَهُ يَرْفُسُهُ وَيَرْفِسُه رَفْسًا: ضَرَبَه في صَدْرِهِ بِرِجْلِه». ويُضِيْفُ (اللسان..) و(التّاج..):

«وقيل: رَفَسَه بِرِجْلِهِ من غَيْرِ أَنْ يَخُصَّ به الصَّدْرَ ودَابّة رَفُوسٌ: إذا كان من شَأْنِها ذلك. والاسْمُ: الرِّفَاس [والرُّفاسُ في (الجَمْهرة..) لابن دُرَيْد] والرَّفِيس والرُّفُوس وَرَفَسَ اللَّحْمَ وَغيرَه من الطَّعام رَفْسًا: دَقَّهُ، وقِيْل: كلُّ دَقٍّ رَفْسٌ، وأَصْلُه في الطّعامِ. والمِرْفَس: الذي يُدَقُّ به اللحم..».

وفي (مُحيط المُحيط): «والعامّة تقول: رَفَس

البِنَاءُ أي: انْحَطَّ على أَسَاسِه». وفي (المُعْجَم الوَسِيْط) لِمَجْمَع القاهرة، والمُعْجَم المَدْرَسِيّ لأبي حَرْب ووزارة التّربية السُّوريّة: (رَفَسَ يَرْفُسُ ويرفِس.... الخ).

كما في (اللسان.. والقاموس.. والمقاييس..):

وفي (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) كذلك...

يَرُفُّه [يَرُفُّه ويَرِفُّه]

ممّا يُقالُ في أمثالنا: (ذهبَ من كانَ يحفُّهُ وَيَرُفُّه) أي: يضمُّه ويعطفُ عليه وفي: حفّ: ح ف ف. شرحها..

وفي (المعجم الوسيط) حكايةً عن (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..): ر ف ف: - رَفَّهُ يُرِفُّه رَفًّا: خدَمَه وأحسَنَ إليه. و- سعى بما هانَ وعَزَّ من خِدْمَتِهِ. و- النّاسُ به: أَحْدَقُوا. و- بِهِ: أَكْرَمَهُ. و- إلى كذا: ارتاحَ إليه. أرفَّت إرفافًا الدَّجاجَةُ على بَيْضِها: بَسَطَتْ عليه جَناحَيْها.

- رَفَّ البَرْقُ: لَمَعَ. الرّفيف: الخِصْب. فتًى رَفِيفُ الأخلاقِ: حَسَنُها.

الرّفّاف: ثغر رَفّاف: أي بَرّاق.

- رَفَّ يَرُفُّ رَفًّا: أَكَلَ كثيرًا. و- اللَّبَنَ: شَرِبَهُ كُلَّ يَوْم. و- شَفَتَيْهِ مَصَّهما. وَرَفَّتِ الدّابَّة عَلَفَها رُفَّةً. الرُّفُّ والرُّفَّةُ: التِّبْنُ وَحُطامه.

الرِّفُّ: شُرْبُ كلِّ يومٍ - ويقالُ: أخذَتْه الحمّىٰ رِفًّا: أي كُلَّ يومٍ.

الرُّفاف: ما تَحَطَّمَ مِنَ التِّبنِ.

- رفَّ يَرُفُّ رَفًّا ثوبَه: رَفَأَهُ بآخَرَ لِيَتَوَسَّع مِن أَسْفَلِه.

قُلْتُ: هذه المعاني مُتَفَرِّقَةٌ مُبَعْثَرَةٌ في العامِّيَّات المُخْتَلِفة...

وقد يَظُنُّ بعضُ الشُّدَاةِ من الفُصَحاءِ، أنّ رَفَّهُ مثل رَفَّهَهُ أو رَفَّهَ عنه، وهو ليس كذلك، فكلٌّ من الفِعْلَيْن له وَزْنُهُ ومعناهُ؛ واللَّبْسُ واقعٌ في العامّيّة بينَ هاءِ الضّمير في: رَفَّهُ، وهاءِ الفعلِ الرُّباعيّ: رَفَّهَ يُرَفِّهُ، ولذلكَ لا يخطئونَ، في العامّيّةِ، لدى استعمالِهم الفعلَ اللازمَ: رَفّ جناحُ الطّائرِ ورفّ النّباتُ ورفَّتِ العيونُ والقلوبُ.. ولا يخطئونَ في الرَّفْرافِ والرَّفْرَفِ والفعل رَفْرَفَ.. وأغلبُ مفرداتِ هذه المادّة حَيَّةٌ فصيحةٌ في العديدِ من العامّيّات.

رَكَزَ عقلُه

(رَكَزَ عقلُ فلان، فَعَقْلُه راكِز) من كلام العَوَامّ ذي الأصل الفصيح لولا أنّه في الأصل التّليد متعدٍّ... وأكثر ما في الرّاء والكاف والزّاي من فصيح العَوَامّ، كالمَرْكَز: وسط الدّائرة كما في (القاموس.. والتّاج..).

و«من المَجاز: المَرْكَز: مَوْضِع الرّجل ومحلّه، ويُقال حلّ فلان بِمَرْكَزِه، والمَرْكَز أيضًا حَيْث أُمر الْجُند أنْ يَلْزَمُوه وأنْ لا يَبْرَحُوه. يُقال: أَخَلَّ فُلان بِمَرْكَزِه. وركاز المال والمعدن وغيرها: المَدْفُون في الأرض».

وفي (أساس البلاغة): «وَكَلَّمْتُه فما رَأَيْتُ له رِكْزَةً: مُسْكَةً من عَقْل».

وفي (لسان العرب) كما في (القاموس.. والتّاج.. أيضًا) «وما رأيت له رِكْزَةَ عَقْلٍ أيْ: ثَباتَ عَقْلٍ. قال الفَرّاء: سَمِعْت بَعْض بني أَسَد يقول: كَلَّمْتُ فلانًا فما رأيْتُ له رِكزَةً؛ يُريد: ليس بِثابِت العَقْل».

وفي (تاج العروس) يقول الزّبيديّ مُضِيْفًا

ومُسْتَدْرِكًا على الفيروزاباديّ:

«(والرّكيزة في اصْطلاح الرَّمْلِيِّين هي العَتَبَة الدّاخلة)؛ زوج وثلاث أفراد... وإنّما سُمِّيَت لأنّها دليلُ الكنوز والدّفائن والخزائن والمُخَبّآت.. والمركوز: المدفون. والرّكيزة: المَرْكز.. ورَكَز الله المعادن في الجِبال: أَثْبَتَها. وهذا مَرْكَز الخَيْل، وهو مَجاز، وكذلك قَوْلُهم: عِزُّه راكِز؛ أيْ: ثابت. وإنّه مَرْكُوز في العُقول. والمُرتكز من يابس الحشيش أنْ ترى ساقًا وقد تَطايَر عنها وَرَقُها وأَغْصانُها؛ قاله الليث».

وأصْل المعنى في (مقاييس اللغة): «.. أصْلان: أحدُهما إثبات شَيْء في شيء يذهب سُفْلًا والآخر صَوْت..».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «الرَّكْزُ؛ عند العامّة: بمعنى الوَقار والرّزانة».

ويرى أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) أنّ «الصحيح في العامّيّ أنْ يقول: رَجُل رِكْز، وفلان ما عنده رِكْزَة».

وفي مِصْر يقول د. عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارِجَتِنا: رَكَّزَ فلان على الصّعب من أسئلة الامتحان: جَمَع شَتات فِكْرِهِ وقُوَىٰ عَقْله نحو هذه الأسئلة. ونقول: فلان راكز: ثابت مُكْتَمِل.».

رَكَّ يرُكّ وَيرِكّ وَترَكّىٰ

يقولُ ربُّ العَمَل للعامل عندنا: (نحنُ لا نَرُكُّ عليك.. حتّى لا نُتْعِبك... ولا نَترَكّى على أَحَدٍ أو على شَيْءٍ فنُلْقي عليه ثِقْلَنا).

ومعنى فِعْل الرَّكّ قد تَطَوَّر بَعْض التَّطَوُّر عن أصْلِه الفصيح.. ويرى أحمد رضا العامليّ في (رَدّ العامّيّ إلى الفصيح) أنّ «الاسْتعمال العامّيّ صحيح.. ففي اللغة رَكَّ عليه الحِمْلَ: ضاعَفَه وأَثْقَلَه به.. وربّما كان الأصل في يَتَرَكّىٰ يتوكَّأُ وتَعاقُب الرّاء والواو وارِدٌ في اللغة مثل: قشا العُودَ وقشره.. والمُطْر والمُطْو لسُنْبُل الذُّرة.

والرَّكَّة عند العامّيّ ما يَضَعُه الباني وراءَ السّاف من طِيْن وحجارة يَسُدُّ بها الفُرُوج خَلْفَ السّافِ ويُساوي بها سَطْحَه. وسمَّوْه بالرَّكَّة لأنّه يُرَكّ ويُثقل وَيُلَبَّد بالدّقّ والرَّدْسي لِيَتَمكَّن من مَوْضِعِه. وهذه الرَّكَّةُ هي في اللغة الجُماش (راجع: جمش)».

وفي (لسان العرب): كما في (القاموس.. والتّاج.. ومقاييس اللغة.. وأساس البلاغة): «وَرَكَّ الأَمْرَ يَرُكُّهُ رَكًّا: رَدَّ بَعْضَهُ على بَعْض. ورَكَكْتُ الشّيءَ بَعْضَه على بعضٍ إذا طَرَحْتَه؛ ومنه قول رُؤْبة:

فَنَجِّنا من حَبْس حاجاتٍ وَرَكّ
فالذُّخْرُ منها عندنا، والأَجْرُ لَكْ

... والرَّكُّ: إلزامُك الإنسانَ الشّيْءَ، تقول: رَكَكْتُ الحَقَّ في عُنُقه، وَرَكَّ هذا الأمرَ في عُنُقه يَرُكُّهُ رَكًّا، وركّ الأغلالَ في أعناقهم: أَلْزَمَها إيّاها.. ورككت الغُلّ في عُنُقِه.. إذا غَلَلْتُ يدَه إلى عُنُقه. وَرَكَكْت الذّنْبَ في عُنُقه..

وركّ الشّيْءَ بِيَدِه، فهو مَرْكُوكٌ ورَكِيْكٌ: غَمَزَه لِيَعْرِفَ حَجْمَه. ومَرَّ يَرْتَكُّ: أي يَرْتَجّ.. اتْتَزَرَ فلان إِزْرَة عَكَّ وَكَّ، وهو أن يُسْبِل طَرَفَيْ إزاره؛ وأنشد ابن الأعرابيّ:

إنْ زُرْتَه تَجِده عَكَّ وَكَّا
مِشْيَتُه في الدّار هاك رَكّا

قال: هاك ركّ: حكاية لِتَبَخْتُرِه.

وقيل هذا في (اللسان.. والقاموس.. والتّاج.. ر ك ك):

.. وقد رَكَّ يَرِكُّ ركاكةً. واسْتَرَكَّه: اسْتَضْعَفَه. وَرَكّ عقلُه ورأيه وارْتَكّ: نَقَصَ وضَعُفَ.

والمُرْتَكّ: الذي تراه بليغًا وَحْدَه، فإذا وَقَعَ في خُصُومة عَيِيَ، وقد ارْتَكّ، وسَكْرانُ مُرْتَكّ إذا لم يُبَيِّنْ كَلامَه. والرَّكْرَكَة: الضّعف في كلّ شَيْء. . . ومنه قولهم: اقْطَعْه من حيث رَكَّ، والعامّة تقول: من حيث رقّ؛ وثوب ركيك النَّسج. ويُقال: رَكّ الرَّجُل المرأةَ يَرُكُّها وَبَكَّها بَكًّا ودَكَّها دَكًّا: إذا جَهَدَها في الجِمَاع؛ قالت خِرْنِق بنت عَبْعَبَة تَهْجُو عبد عَمْرو بن بِشْر:

ألا ثكِلَتْكَ أُمُّكَ عَبْدَ عَمْرٍو
أبا الخزياتِ، آخيت المُلوكا
هُمُ رَكُّوكَ للورِكَيْنِ رَكًّا
ولو سَألوكَ أعطيتَ البُرُوكا

. . . واسْتَرْكَكْتُهُ: إذا اسْتَضْعَفْتُه؛ قال القَطَاميّ يَصِفُ أحوال النّاس:

تَرَاهم يَفْخِزونَ منَ اسْتَرَكّوا
ويَجْتَنِبُون مَنْ صَدَقَ المِصاعا»

وأُضيف من (التّاج. .):

«. . ورَكْرَكَ إذا جَبُن، عن ابن الأعرابيّ. وقال أبو عَمْرو: والرُّكّيُ – على فُعْلى – العَفْلَقُ الواسع. والرِّكّ – بالكسر – المَهْزُول؛ قال [منظور بن مَرْثَدٍ الأسدي في (اللسان: ز ك ك)]:

يا حَبَّذا جارِيَةٌ من عَكِّ
تُلَفِّقُ المِرْطَ على مِدَكِّ
مِثْلِ كثيبِ الرَّمْلِ غَيْرِ رِكِّ

وذكره الجوهريّ في ز ك ك [وكذا ابن منظور في (اللسان. .] قال الصّاغانيّ: وهو تصحيف والصّواب في اللغة والرّجز بالرّاء».

وفي (محيط المحيط) و«رَكّ الشّيءَ بَعْضَه على بَعْضٍ. ومنه رَكّ البناء عند المُوَلَّدين».

رَوَّأَ ورَوَّقَ

يقالُ عندنا في الشّامِ:

(رَوِّئْ يا عزيزي فهذا وقت الرَّواء) أي اهدأْ وتقبَّلْ فهذا وقتُ القبولِ. . والهدوءِ. . أو أكثر من القبولِ؛ . . وقت الإقبالِ على المَسَرَّةِ والإعجاب بها وفي المناطقِ المحافظةِ على القافِ يقولونَها: (روِّق يا عزيزي فهذا وقت الرّواق) وفي مصرَ يقولونَ: (رَوَّأ يا عزيزي) فيفتحونَ الواوَ الثّانيةَ، على عادتِهم في نصبِ عينِ المضارعِ والأمرِ منَ المُضَعَّفِ على وزنِ: يُفَعِّلُ. . فَعِّلْ: يُرَوِّئُ رَوِّئْ.

وما بينَ: رَوَّأَ وبينَ روّقَ في فصيحِ اللغةِ العريقةِ من التّلاقي في المعاني المجازيّةِ ما يكادُ يمزجُ بينَهما كما نرى في النّقولِ التّاليةِ:

ابنُ منظورٍ في (لسان العرب): ر. و. أ:

«رَوَّأَ في الأمر تَرْوِئَة وَتَرْوِيئًا: نظرَ فيه وتعقّبَهُ ولم يَعْجَلْ بجوابٍ. وهي الرَّوِيئَةُ، وقيل: إنّما هي الرَّوِيَّة. بغيرِ همزٍ، ثمّ قالُوا رَوَّأَ، فهمزوه على غيرِ قياسٍ كما قالوا حَلأْتُ السَّوِيقَ، وإنّما هو من الحلاوةِ. ورَوّى لغة. وفي (الصّحاحِ) أنّ الرَّوِيّةَ جَرَتْ في كلامِهم غير مهموزةٍ. التّهذيب: رَوَّأْتُ في الأمرِ وريَّأْتُ وفَكَّرْتُ بمعنًى واحدٍ».

والزَّمَخْشَرِيُّ في (أَساسِ البَلاغَةِ): «رَوَّأْتُ في الأمر فَرَأَيْتُ من الرَّأْي كَذا. .».

أمّا في: ر. و. ق: فيقولُ ابنُ منظورٍ في (اللسانِ. .) ذاتِهِ:

«. . والرَّوْقُ: الإعْجابُ. . وراقَني الشّيْءُ يَروقُني رَوْقًا وَرَوَقانًا: أَعْجَبَني فهو رائِقٌ وأنا مَرُوْقٌ. واشْتُقَّت منه الرُّوْقَةُ وهو ما حَسُنَ من الوَصائف والوُصَفاء. يُقال: وَصِيْفٌ رُوْقَةٌ

وَوُصَفاءُ رُوْقَةٌ: وقال بعضُهُم: وُصَفاءُ رُوْقٌ... ويُقالُ: راقَ فلانٌ على فُلانٍ: إذا زادَ عليه فَضْلًا يَرُوق عليه، فهو رائقٌ عليهِ؛ وقال الشّاعر يَصِفُ جاريةً:

راقَتْ على البِيْضِ الحِسا
نِ بِحُسْنِها وَبَهائِها

[قُلْتُ: هذا البَيْتُ نَسَبَهُ الزَّمَخْشَرِيُّ في (أساسِ البلاغَةِ) لابنِ الرُّقَيّاتِ].

والرُّوقَةُ: الجميلُ جدًّا منَ النّاسِ، وكذلك الاثنان والجمع والمؤنَّث، وقد يُجمعُ على رُوقٍ، وربّما وُصِفَتْ به الخيلُ والإبلُ في الشّعرِ... والرُّوْقُ: الغِلمانُ المِلاحُ. الواحدُ رائِقٌ. وفي حديثِ ذِكْرِ الرّومِ: (فيَخرج إليهم روقةُ المؤمنينَ) أي خِيارُهم وسَرَاتُهم، وهي جمعُ رائقٍ. راقَ الشّيءُ: إذا صَفا... والرّاووق: المِصْفاةُ وربّما سمَّوا الباطِيَةَ راوُوقًا.. والرّاوُوْقُ: ناجودُ الشّرابِ الذي يُرَوَّقُ به فيُصَفّى.. ورَوَّقَهُ هو ترويقًا، واسْتعارَ ذُكَيْنٌ الرّاوُوْقَ للشَّبابِ فقال:

أُسْقَى بِراوُوْقِ الشّبابِ الخاضِلِ

والتَّروِيقُ:... أنْ يَبِيْعَ الرَّجُلُ سِلعتَهُ ويَشْتري أجودَ منها. وقالَ ابنُ الأعرابيِّ: باعَ سلعتَه فَرَوَّقَ؛ أي: اشْتَرى أَحْسَنَ مِنها.».

والزَّمَخْشَرِيُّ في: (أساسِ البلاغةِ): «ولقد أحسنَ أبو الحَسَن في قوله:

ومَكّةُ راوُوْقُ الرِّحال فهاكَهُ
مُصَفًّى وخُذْ مَنْ شئت منهم مُكَدَّرا»

وأزيد من (مقاييسِ اللغةِ) لأحمدَ بنِ فارسٍ، ومنَ (القاموسِ المحيطِ) للفيروزاباديّ: «الرَّوْقُ من الشَّباب: أَوَّلُهُ. والعُمْرُ، ومنه: أَكَلَ رَوْقَهُ: أَسَنَّ».

قلْتُ: لم أنقلْ من المراجعِ المعاصرةِ لأنّ المُعْجَمِيِّينَ المُحْدَثينَ بِمَيْلِهم إلى الحَذْفِ والاخْتِصارِ يحذفونَ من هذه العباراتِ ما قد ينفعُنا في تحقيقِ البحث كما رأينا.. كما لم أجدْ في كُتُبِ فصيحِ العوامِّ الأخرى شيئًا مع أنّي أسمعُ المَثَلَ المصريَّ (فلان فايق ورايق) مُنتشرًا في الشّامِ ولبنانَ، وبالمعنى ذاتِهِ؛ أي إنّ فلانًا هذا واعٍ وهادئٌ في وقتِ ذُهُولِ غيرِه من الهمومِ وانفعالِها...

الرّوبة والرّوب

في (القاموس المحيط) للفيروزاباديّ: «رَابَ اللبَنُ رَوْبًا ورؤوبًا[1]: خَثُرَ. وَلَبَنٌ رَوْبٌ ورائبٌ، أو هو ما يُمْخَضُ وَيُخْرَجُ زُبْدُه.

وَرَوَّبَهُ وأرابه. والمِرْوَبُ: السِّقاءُ يَروب فيه. وسِقاءٌ مُرَوَّبٌ: رُوِّبَ فيه اللبنُ. والرَّوْبَة والرُّوْبَة: خميرة اللبن أو بَقِيَّة اللبَن..».

قلت: هذا بالضّبط من فصيح العامّيّة في دمشق، أمّا المِصريّون فنسمعهم يقولون: لَبَن الزّبادي. ولْكنّ تسميةَ الحليب في عامّيّة مصر باللبَن، هي الأصل الفصيح أيضًا، وهذا الاختلافُ بَيْنَ اللبَنِ في عامّيّة مِصْر الفصيحة، وبَيْن اللبن بمعنى الرّائبِ في عامّيّة دمشقَ قد تَسَبَّبَ في أخطاء عِلْمِيَّة في نَقْلِ المعلومات في الكُتُب المدرسيّة، وهي أوسع الكُتُب انْتِشارًا وقرّاؤها اليوم بالملايين من الأطفال والفتيان، كما نعلم..

أمّا (الرّوب) بمعنى الثّوب فله موضوع بحث آخر.. هو الآتي...

(١) رؤوبًا مكتوبة في طبعة القاموس الخامسة ١٩٥٤م بالقاهرة: (رُوْبًا) بواو واحدة.

الرّوب

في (المُعْجَم الوسيط) مُعْجَمِ المَجْمَع اللغويّ في القاهرة:

«الفُسْتان: ثوبٌ مُخْتَلِفُ الأشكال والألوان، من ملابس النّساء. جَمْعُها: فساتين (معرّبة)». قلت: فإذا كان (الفُسْتان)[1] مُعرّبًا فلماذا لا نَفْسَح مجالًا لِتَعْريب (الرّوب) أيضًا وهي أشهر عالَمِيًّا؟!

وإليكم ترجَمَتُها من (اللاروس) الفرنسيّ:

– في اللاروس: «ر و ب: من أصل ألمانيّ مُؤَنَّثَة من القرن الثّامن من فِعْل روبي أي يلبس. وثَوْب بأكمام فَضْفاضَةٍ؛ كان من ملابِس القُدَماء، ويكسو الرِّجالَ في الماضي ولا يزالون يَلْبسونه في الشّرق. والرّوب أيضًا ثَوْبٌ قَريبٌ من هذا الشّبه أو الوَصْف يَلْبسه النِّساء والأطفال ويَلْبسه المحامون والقُضاة وأساتذة الْجامِعَة... الخ في أثناء أعمالهم الوظيفيّة.. ونوعُ الرّوب. ونبالة الرّوب: وهذا الحصان له روب جميل: ويعني الظّرف والثّوب. وقشرة الفول أو البصل. وظَرْفُ غلافِ السّيكارة. وروب الغُرْفَة للرّجال والنّساء معًا».

وفي الإنكليزيّة أيضًا كلمةُ روب للألبسة ذاتِها. وروب الحمّام والجبّة. وروب تتويجِ الملوك أو المَلِكاتِ.. (ولعلّه في الإنكليزيّة ذاتِها منقولٌ من الفرنسيّة).

– وفي مُعْجَم الألفاظ الزّراعيّة لمصطفى الشّهابيّ رئيسِ مَجْمَعِ دمشقَ سابقًا وعضو مَجْمَع مِصْر واتّحاد المَجامِع. الطَّبعة الثّانية سنة ١٩٥٧ ص٥٦٥ 565بعنوان: الأَلْوانُ والشِّيات Robes et Particularités «الأولى ألوان الشّعْر النّامي على جِلْد الفَرَسِ خاصّةً: أمّا الثّانية ومُفردُها شِيَة فهي كلُّ لَوْنٍ يُخالفُ اللونَ الأصْليَّ في مُعْظَم الفَرَسِ كالتّجميل والغُرّة. والاسْم الفَرَنسيُّ هو Robe يَدُلّ على كُسْوةِ الحَيَوانِ ولاسيّما على كُسْوة الخيل والبَقَرِ. ويَدُلّ أيضًا على الثّوب بالعربيّة. والعامّة عندنا تقولُ ثَوْبُ الفَرَس. وهو تعبيرٌ لا بأسَ به ولٰكنّ اللونَ هي الكلمةُ المُسْتَعْمَلَةُ في كُتُبِ الخَيْل القديمة، كما أنّ الفرنسيّة تُطْلِقُهُ أيضًا على لَوْن كُسْوةِ الحَيَوانِ».

الرَّوْك (خَيْطٌ مُطَّهُ)

دَفْعُ المال في هذه النُّزْهة المُشْتَرَكة على (الرُّوك) أي الجميع، وكلّ منّا يشارك في دَفْعِ قِسْط أو جانب من جوانب النَّفَقة. فالحَمْل على (الرّوك) خفيف.. (فالخَيْط مُطَّهُ وكلّ مَن عليه شَيْء يَحُطّه). وهذه في الفصيح: المُناهَدَة والمُخارَجَة على الارْتِفاق كَمِثْل (بُخَلاء) الجاحظ الذين تَناهَدُوا وتَخارَجُوا على الارْتِفاق بالمصباح وَأَبَى أَبْخَلُهم الدَّفْعَ فَكانُوا يَعصِبون عَيْنَيْه إذا أَشْعَلوا المِصْباحَ.

وفي أيّام أحمد رضا العامليّ كانت المناهدة تُسمّى (العِشْرَة الحَلَبِيّة) كما في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح).

وفي (القاموس.. والتّاج..).

(الرَّوْكَة) أهمله الجوهريّ وصاحب اللسان،

(١) في رأيٍ أنّ الفُسْتان أو الفسطان من نِجارٍ عربيّ مَنْسوب إلى الفُسْطاط في مِصْر إذ كان يُصْنَعُ فيها، ومنها انْتَقَلَ إلى اللغاتِ الأوروبية (عنسي/٥٢). وقيل هو تركيّ من أصلٍ ألبانيّ وكان يُطْلَق عندهم على ثَوْبٍ للمرأةِ واسِعٍ ذي طيّاتٍ تَنْزِل إلى الرّكْبَتَيْن (نخلة ع٢٨٥)، ويُرَجِّح أحمد أبو سعد الأخذ بهذا الرّأيِ في ص١٧٩ من (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشَّعبيّة) وإنْ كانَ المُسْتَشْرِق دوزي امْتَنَعَ عن الْجَزْم بِتُرْكيّته؛ لأنّه بحسب ما ذكره ابن بطّوطة في رِحْلته كانَ يُلْبَسُ في مكّة في القرن الرّابع عشر الميلاديّ، أيْ قَبْل غزوِ العثمانيّين لهذا القُطْر بقرنَيْن (دوزي: في مُعْجَم الملابس ص٢٧٣).

وقال ابن الأعرابيّ: هو (صَوْت الصّدى) وقال غيره (كالرَّوْكاء) قلت: وقد سَبَقَ في ر ك ك: الرّكاء صَوْت صَدىٰ الجبل يُحاكي به ما نَطَقْتَ فيحتمل أن يكون هُوَ هو.

(و) الرّوك المَوْجُ: (بَغْدادِيَّة) وليست من كلام العرب كما أشار له الصّاغانيّ وكذلك في: (محيط المحيط) للبُستانيّ.

فهل المُناهَدَة كَالمَوْج فكلُّ دَفْعَة من شَريكٍ مَوْجَةٌ أو رَوْكَة؟ أمْ إنّ لِكلّ دَفْعَة صَدَىٰ رَوْكة؟ أم إنّ هناك وَجْهًا آخر لتفسير الرّوك؟

عَلَىٰ راحَتِهِ (أَرْيَحُ) يا أبا رِياح

أبو رِياح: كُنْيَةٌ مُسْتَخْدَمَةٌ عِنْدنا.. واشْتُهِرَ بها الفنّانُ محمّد الشّمّاط الذي قام بِدَوْرِ (أبي رياح اللحّام) في مُسَلْسَلِ دُرَيْد لَحّام (صَحّ النَّوْم).. ولم نَعْثُرْ على السُّؤال: ما معناه؟ أو هل من الضّروريّ أنْ يكونَ للمُكنّىٰ بِهِ ابْنٌ اسْمُهُ رياح؟!

[ونحنُ في دِمَشْقَ نَقولُ: اللَّقَبُ أبو فُلان والكُنْيَة الفُلانيّ، والفَصيحُ هو العَكْسُ]- وقد وَجَدْتُ شِهابَ الدّين أحمد الخَفاجيّ المِصْريّ المولود سنة ٩٧٧هـ والمُتَوَفّىٰ سنة ١٠٦٩هـ. يَشْرَحُ معناه في كتابِهِ (شِفاءُ الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل)[1] وأعتذر سَلَفًا عن مِثْلِ هذا الشَّرْح، وأُورِدُه فقط لِكَيْ يَجِدَ القُرّاءُ رَدًّا عليه إنْ لم أجِدْ.. قال الخفاجيُّ: «أبو رِياحَ: بمعنى طائش تشبيهًا له بتمثالٍ من نُحاسٍ على عَمودٍ من حَديدٍ فَوْق قُبَّةٍ بحِمْصَ؛ يَدُور مع الرّيح. وَيُسَمَّىٰ به أيضًا ما يَعْمَلُه الصِّبْيانُ من وَرَقٍ على قَصَبٍ يَدُور ويَلْعَبون به. كُلُّها مُوَلَّدَة».

قُلْتُ: لعلّ ما يَقْصِدُهُ من لَعِبِ الصِّبْيانِ بِوَرَقٍ يَدُورُ على قَصَبٍ هو ما يُسَمَّىٰ في لُبنان: (دواليب الهواء) وفي دمشق (الفَرافير) كأنّه تشبيهٌ لِصَوْتِهِ بِصَوْت فَرْفَرَةِ أجنحَةِ العَصافيرِ خِلالَ الطَّيران.

ومهما يَكُنْ فالعَرَبُ كانَتْ تُسمّي رياحًا. ففي (لسان العرب) لابن منظور: في: ر و ح: «ورياح: حَيٌّ من يربوع». ومن المعروف أنّ يربوعًا عشيرة جريرٍ الشّاعر المشْهور...

وفي: ر ي ح: في (لسان العرب): «الأَرْيَحُ: الواسع من كُلِّ شَيْءٍ». فقُلْتُ: عامّتُنا يَسْتعملونَ: الأَرْيَح على وَزْنِ: أَفْعَلَ (اسم تفضيل)؛ وهو هاهنا (صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ) في: (اللسان..)... وفيه أيضًا: «والحديث المَرْوِيّ عن جعفر: (ناوَلَ رجلًا ثوبًا جديدًا فقال: اطوِهِ على راحَتِهِ) أي طَيَّهُ الأَوَّل».

رَيَّشَ

يُقالُ عِنْدَنا في دِمَشْقَ كما في لبنان (رَيَّشَ فُلانٌ فهو الآن مُرَيِّشٌ)؛ أي اغْتَنَىٰ فهو الآن مُتَمَتِّعٌ بالغِنى، ولعلّهم لو قالوا: راشَ يَريشُ رَيْشًا فهو رَيِّشٌ لكان قولُهم كامِلَ الفَصاحةِ كما في (لسان العرب). وكذلك تَرَيَّشَ وارْتاشَ... فهو رَيِّشٌ.

وقد ذكرَها أحمد أبو سعد في ص٤٠٥ من (قاموس المُصطلحات والتّعابير الشّعبيّة). القسم الثّاني.

وفي مِصْرَ يُقالُ: تَرَيَّشَ، فقد قال د.عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة):

«نقولُ في دارجتِنا: تَرَيَّشَ فلانٌ: اغتنى وظهرَتْ عليه آثارُ النِّعْمَةِ. وفي (القاموس): الرّيش:

(١) في (شفاء الغليل..) للشّهاب الخفاجيّ بتصحيح وتعليقٍ ومُراجعةٍ لمحمّد عبدالمُنعم خفاجيّ بالقاهرة سنة ١٣٧١هـ وسنة ١٩٥٢م بالمطبعة الأميريّة بالأزهر. والصّفحة ٣٩.

الجمال، وَتَرَيَّشَ الرَّجُلُ: تَموَّلَ، وفي هذا يقول الشّاعر: (٥٣١٥ الأغاني):

وإذا تَـرَيَّـشَ فـي غِـنـاهُ وَفَـرْتَـهُ
وإذا تَصَعْلَكَ كُنْتُ من قُرَنائِهِ».

ولٰكنْ لعلَّ بطرسَ البُسْتانيَّ في (محيط المحيط) لا يراها فصيحةً إذ يقول: «رَيَّش السَّهْمَ تَرْييشًا بمعنى راشَهُ. والعامّة تقول: رَيَّشَ الطائرُ أي نَبَتَ ريشُهُ. وَرَيَّشَ فلانٌ أيْ تقوَّت حالُه بعد ضَعْفٍ تشبيهًا له بالطّائرِ المذكورِ. وارْتاشَ الرَّجُلُ ارْتياشًا: حَسُنَتْ حالُه اسْتُعير من ارْتِياش السَّهم» فهل قَصَدَ البُسْتانيُّ أنَّ: رَيَّشَ فلان يَشْمَلُها قولُه. والعامّة تقول..؟ وعلَى كلّ حالٍ فالمعجمُ العربيُّ التُّراثيُّ التَّليدُ حافلٌ بهذه الصُّورةِ البيانيّةِ بهذا المعنى من إنْباتِ رِيْشِ الخَيْرِ والغِنَى في التَّريُّش... والزَّمخشريُّ في (أساس البلاغة) يقولُ: «ومن المَجازِ: رِشْتُ فلانًا: قَوَّيْتُ جَناحَهُ بالإحسانِ إليهِ، فارْتاشَ وَتَرَيَّشَ» ثمّ يسوقُ عليها ثمانيةَ شواهدَ شِعْريّة والآية الكريمة: ﴿قد أنزلْنا عليكم لِباسًا يُواري سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾.

ومنِ (القاموس المحيط) للفيروزاباديّ: «والرِّيشُ اللباسُ الفاخر كالرِّياشِ كاللِّبْسِ واللِّباسِ. والرِّيشُ: الخِصْبُ والمَعاش... وأعطاه مئةً بِرِيْشِها أي بلباسها وَأَحْلاسِها؛ أو: لأنَّ الملوكَ كانوا إذا حَبَوا حِباءً جعلوا في أَسْنِمَةِ الإبِلِ رِيْشِ النَّعامَةِ لِيُعْرَفَ أنّه حِباءُ المَلِكِ.. وراش... جَمَع المالَ والأثاثَ.. والصّديقَ: أطعمهُ وَسَقاهُ وكَساهُ وأصلحَ حالَه وَنَفَعَهُ».

وهذا تجدُه في المعاجِمِ عُمومًا ويُفَصّلُ فيه ابن منظور في (لسان العرب) ويزيد: «..وراشَه اللهُ يَرِيْشُهُ رَيْشًا: نَعَشَهُ. وَتَرَيَّشَ الرَّجُلُ وارْتاش: أصابَ خَيْرًا فَرُئِيَ عليه أَثَرُ ذلك. وارْتاشَ فلانٌ إذا حَسُنَت حالُه. ورِشْتُ فلانًا إذا قَوَّيْتُه وأَعَنْته على مَعاشِه وأصْلَحْتُ حالَه... وأحسنْتُ إليه. وكلُّ من أوْلَيْتَه خيرًا فقد رُشْتَه، ومنه الحديث: (أنّ رَجُلًا راشَه اللهُ مالًا) أي أعطاه؛ ومنه حديثُ أبي بكرٍ والنَّسَّابة:

الرّائشون وليس يُعْرَفُ رائِشٌ
والقائلون: هَلُمَّ! للأضياف

وَرَجُلٌ أَرْيَشُ وراشٌ: ذو مالٍ وكسوةٍ، والرّياش القِشْرُ.. وراش يَرِيشُ رَيْشًا إذ جَمَعَ الرِّيْشَ وهو المالُ والأثاثُ... الفَرّاء: شارَ الرّجلُ إذا حَسُنَ وجهُه، وراشَ إذا اسْتَغْنَى.. والرّائشُ الحِمْيَرِيُّ مَلِكٌ كانَ غزا قَوْمًا فَغَنِمَ غنائمَ كثيرةً وراشَ أهلَ بَيْتِهِ».

ز

زَأْزَأَ زقزق

أَتكُون الزَّأْزَأَةُ في عامّيّة دمشق هي الزّقْزَقَة في الفَصِيح؟ كلّا فالمُعْجَم العربيّ القَديم يحمّل كلًّا مِنَ العِبَارَتَيْنِ اسْتِقْلالًا ذاتيًّا. . ولٰكنّ عوامّنا قد يَلْفُظُونَها بالهمزة ويَقْصدون التي بالقاف. .

ولابن منظور في (لسان العرب): زأزأ:

«تَزَأْزَأَ منه: هابَه وتَصَاغَرَ له. وزَأْزَأَهُ الْخَوْف. وتَزَأْزَأَ منه: اخْتَبأ. قال جرير:

تَبْدو فَتُبْدي جَمالًا زانَهُ خَفَرُ
إذا تَزَأْزَأَتِ السُّوءُ العناكيبُ

وزَأْزَأَ زأزأةً: عَدَا. وزَأْزَأَ الظَّلِيمُ: مَشَى مُسْرِعًا ورَفَع قُطْرَيْهِ:

[ومعنى القُطْرَين: رأسَه وَذَنَبَه: في القاموس].

وزَأْزَأَتِ المَرْأَةُ: مَشَتْ وَحَرَّكَتْ أَعْطافَها كَمِشْيَةِ القِصارِ.

وقِدْرٌ زُؤَازِئةٌ وزُؤَزِئَةٌ: عظيمةٌ تَضُمُّ الْجَزورَ.

أبو زيد: تَزَأْزَأْتُ مِنَ الرَّجُلِ تَزَأْزُؤًا شديدًا إذا تَصَاغَرْتَ له وَفرِقْتَ منه». ا.هـ. ابن منظور.

وأُضيف من (القاموس المحيط): «زَأْزَأَ الشّيءَ: حَرَّكَهُ. وَتَزَأْزَأَ: تَزَعْزَع».

وفي عامّيّة مصر يقول د. عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (مُعجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة):

«نَقولُ في دَارِجَتِنا: زَأْزَأَ عقلُ فلان: تَأَرْجَحَ وَلم يَعُدْ مُسْتَقِرًّا في تَفْكيرِهِ فهو بَيْنَ عَزْمٍ وَإِقْدامٍ، وَتَرَدُّدٍ وَإِحْجامٍ».

وفي (القاموس): «زَأْزَأَ الشّيءَ حَرَّكَهُ، وتَزَأْزَأَ: تَزَعْزَع».

قُلْتُ في دَارِجَتِهِم زَأْزَأَ لازِم وَوَازِنهُ المتعدّي في (القاموس). . .

«والزَّقْزَاقَةُ؛ في (القاموس المحيط): الخَفِيفَةُ المَشْيِ. والزَّقْزَقَةُ: الضَّحكُ الضَّعِيفُ والخِفَّة. وصَوْت طَائِر عِنْدَ الصُّبْحِ وتَرْقِيصُ الصَّبِيّ كالزِّقْزاقِ [بالكسر] ولغة لِكَلْب كأنّها في سُرْعة كَلامِهِم.

والمُزَقْزَقُ: كلُّ عَمَلٍ يُقْضَى سَرِيعًا».

ومِنْ أَيْنَ جاءَتْ عامّتُنا بالفِعْل: زَقْزَقَ من المَلاسَة أو النُّعومة أو النَّظافة؟

قلت ويُضيف إلى ذلك ابن منظور في (اللسان): «وَزَقَّقْتُ الإهابَ إذا سَلَخْتَهُ من قِبَلِ رأسِهِ لِتَجْعَل منه زِقًّا. . النضر: من الإبل المُزَقَّقَةِ وهي التي امْتلأَ جِلْدُها بعد لَحْمِها شَحْمًا. وقال سلام: أَرْسَلَني أهلي وأنا غلامٌ إلى عليّ فدَخَلْتُ عليه فقال: ما لي أَراكَ مُزَقَّقًا؟ أي مَحْذُوفَ شَعْرِ الرّأسِ كلِّه، وهو من الزّقّ: الجِلْد يُجَزُّ شَعْرُهُ ولا يُنْتَفُ نَتْفَ الأديم. . وفي حَدِيث بَعضِهِم أنّه حَلَقَ رأسَه زُقِّيَّةً أي حَلْقَةً منسوبةً إلى التّزقيق».

تَزَتَّتْ سَيِّدَتي (وما تَسَتَّت ستّي)

من الإبدالِ في فصيحِ العامّيّ:

بدلًا من: تَزَتَّتْ سَيِّدَتي (نلفُظُها تَسَتَّتْ ستّي).

ومن قولِ العوامِّ في الشّام: (هذه المرأةُ مُسَتَّتَةٌ) أي مزيّنةٌ بزينةِ النِّساءِ.

في (المعجم الوسيط) عن (القاموس.. واللسان..):

زَتَّ المرأةَ والعروسَ: يَزُتُّها زتًّا: زَيَّنَها.

تَزَتَّتْ: تزيَّنَتْ...

الزَّتَّةُ: تزيينُ العروسِ ليلةَ الزِّفاف. وأخذ زتته لِلسَّفَرِ: جهازه.

[قلت: يَقُلْنَ: تَسَتَّتَتْ: إذا لبسَتْ وتزيَّنَتْ...

ويَسْأَلُ المؤلِّفُ اللغويُّ: أتكونُ العبارةُ العامّيّةُ: هُوَ مُسَتِّتِّي وقد تَسَتَّتُ؛ قد أبدلُوا فيها من الزايِ سينًا؟ أوَلَيْسَت من كلمة (سَتِّي) التي أوردَها (القاموس المحيط) على أنّها «إمّا بمعنى (يا ستّ جهاتي) أو لحن»[1]؟ وكذا الستّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح).

وفي (.. الوسيط) أيضًا: السِّتُّ: السيّدة (ج) سِتّات (مولّدة)]. وقد اسْتَعْمَلَها أبو الفرج الأصفهانيّ مؤلِّفُ كتابِ (الأغاني) في عددٍ من أخبار القَرْنَين الثّاني والثّالث الهجريّيْن، أي الثّامن والتّاسع الميلاديّيْن، وأشارَ إلى فصاحتِها د. عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

الزَّبَطانَة والسَّبَطانة...

كما في (القاموس المحيط) و(تاج العروس..):

«(السَّبَطانَة - مُحَرَّكَةً - قَناةٌ جَوْفاءُ) مَضرُوبَةٌ بالعَقَبِ (يُرْمَى بها الطَّيْرُ).

وقيل: يُرمَى فيها بِسِهامٍ صِغَارٍ يُنْفَخُ فيها نَفْخًا فلا تكاد تُخْطِئُ وقد ذكر في ز ب ط أيضًا».

قلت: نَقَل (التّاج) نصّ (اللسان..) حَرْفًا حَرْفًا فَشَرح به نصّ (القاموس..) عَدا عن ز ب ط فَقَد أَهْمَلَها ابن منظور في (اللسان..).

وفي ز ب ط في (القاموس..) «زَبَطَ البَطُّ يَزْبِطُ زَبْطًا وَزَبِيطًا: صَاح والزَّبَطانَة: السَّبَطانَة».

وكذلك في (محيط المحيط) للبستانيّ وغيره مِنَ المَعاجِم الحَديثة.

قُلْت: أمّا الزَّبَطان (الوصف العامّيّ)، وأما الفِعْل العامّيّ زَبَط أو ضَبَط بمعنى ضَبَط فَفِيهِ تَحريفٌ واضحٌ.

قُلْت: أمّا الفِعْل العامّيّ زَبَطَ وظَبَط بمعنى ضَبَطَ ففيه تحريف بالإبْدال من الضّادِ زَايًا أو ظاء كما أَظُنّ..

---

(١) «ففي أخبار عُلَيَّةَ بنتِ المهديِّ: (٣٦٣٩ الأغاني) قال الرشيدُ: لمن الشِّعْرُ؟ ما أَمْلَحَهُ! ولمن اللَّحْنُ؟ ما أَطْرَفَهُ! فقالَتْ: لِسِتِّي. قال: ومَنْ سِتُّكِ؟ قالَتْ: عُلَيَّةُ أختُ أميرِ المؤمنين.

وقلت: [أوردت (السِّت) في (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعري، على لسانِ ابنِ القارح يُنْشِدُ الجارِيَةَ التي تجتازُ الصراط:

سِتِّ إنْ أَعْياكِ أَمْري
فاحْمِليني زَقْفُونَه

وقال الزّبيدي في معجمِه (تاج العروس): «سِتِّي، للمرأةِ أي: يا ستَّ جهاتي، كأَنَّه كنايةٌ عن تملُّكِها له، هكذا تأوّله ابنُ الأنباريّ، أو هو لَحْن كما في (شفاء الغليل) للخفاجي وعن ابنِ الأعرابيِّ: عامّيّة مُبتذَلَةٌ؛ كذا قاله، والصوابُ: سيِّدتي. ويُحتَمل أن يكونَ في الأصلِ: سيِّدتي، فحذف بعضَ حروفِ الكلمةِ، وله نظائرُ، والظاهرُ أنَّ الحذفَ سماعيٌّ.

وأنشدَنا غيرُ واحدٍ منْ مشايخِنا للبهاء زهير:

بِرُوحي مَنْ أُسَمِّيها بِسِتِّي
فَيَنْظُرُني النُّحاةُ بِعَيْنِ مَقْتِ
يَرَوْنَ بِأَنَّني قَدْ قُلْتُ لَحْنًا
وَكَيْفَ وَإِنَّني لَزُهَيْرُ وَقْتِي
وَلَكِنْ غَادَةٌ مَلَكَتْ جِهاتِي
فَلاَ لَحْنٌ إِذا ما قُلْتُ سِتِّي»].

زَخَّ

يَقْبَلُ أحمد رضا العامليّ بتطوُّر المعنى والدّلالة في الفعل: زَخَّ يَزُخُّ زَخًّا، حين تَسْتَعْمِلُه العامّة في قولهم: «زخّ المَطَرُ، وَزَخَّتِ السّماءُ بالمطر: إذا دَفَعَت به دَفْعًا شديدًا، والزَّخَّة: الدَّفْعَة الشّديدة منه. وهو اسْتِعمالٌ صحيح» كما قال رضا في (ردّ العاميّ إلى الفصيح).

ولٰكنّ محمّدًا العدنانيّ، بعدَه، يجدُها خطيئة من الأخطاء الشّائعة، ففي (مُعْجَم الأخطاء الشّائعة) للعدنانيّ:

«دُفْقَة من المطر أو دُفعة أو شُؤْبوب. أمّا: زَخَّ فَمَعْناه: دَفَعَ وأَوْقَعَ وأَخْرَج واغْتاظ وغَضِب وَوَثَب و....».

قلت: وقريب من معنى الغَيْظ والغَضَب استعمال العوامّ في دمشق بالمعنى: (زَخّتْه بالدّعوات من غضبها عليه). وفي المعجم التُّراثيّ يَرِدُ هذا المعنى أو مقارِبُهُ، مع شاهد لِصَخْر الغَيّ الهُذَلي؛ كما في (لسان العرب) لابن منظور:

«..والزَّخُّ والزَّخَةُ: الحِقْدُ والغَيْظ والغَضَب، قال صخر الغَيّ:

فلا تَقْعُدَنَّ على زَخَّةٍ
وتُضْمِرَ في القَلْب وَجْدًا وخيفا

ويُقال: زَخَّ الرَّجُلُ زخًّا إذا اغتاظ، قال ابن سِيْدَه: وذكرُوا أنّه لم يُسمَعِ الزَّخَّةُ التي هي الحِقدُ والغَضَبُ إلّا في هذا البيت».

والزَّخيخ: النّار؛ يمانيّة؛ وقيل هي شدّة بريق الجَمْرِ والحَرِّ والحَرير، لأنّ الحرير يبرق من الثّياب؛ .. قال:

فعند ذاك يَطْلُعُ المِرِّيخُ
في الصُّبْح يحكي لونَه زَخِيخُ
من شُعْلَةٍ ساعَدَها التَّفِيخُ

قلت: وهذا المعنى الذي يراه ابن منظور في لغة اليمانيّة، يبدأ به الزّمخشريّ في (أساس البلاغة):

«للجَمْرِ زخيخ وهو شِدّةُ بَرِيْقه، وقد زخَّ الجَمْرُ وانظُرْ إليه كيف يَزخُّ.. وبات يَزُخُّها: يَنْكَحُها».

قلت: كَسَرَ الزّمخشريّ الزّاي؛ عين المضارع في: يَزِخُّ: يبرق. ثمّ ضمّها في: بات يَزُخُّها وكذلك فَعَلَ بعدَه الزَّبيديّ في (تاج العروس..) وبعدَه بطرس البُستانيّ في (محيط المحيط).. وفي (اللسان..) بضمّ عَيْن مُضارِعه في المَعْنَيَيْن وغيرهما وكذلك في (مختار الصّحاح) ثمّ في (المعجم المدرسيّ) في عصرنا.. ولٰكنّ (..الوسيط) مُعْجَم مَجْمَع القاهرة المُعاصِر يَكْسِرُ عين مضارعه في معانيه كلّها، وكذلك (القاموس المحيط) قبلَه..

والزَّخّ: الدَّفْعُ؛ في كلّ معجم.. وهو أصل المعنى في (مقاييس اللغة) لابن فارس، أو: (الدّفع والمُبايَنَة). ونَقَله ابن منظور عن ابن دُرَيْد.

ويقارب: (زخّ السّماء بالمَطَر) قول ابن منظور في (اللسان..):

«..وَزَخّت المرأةُ بالماءِ تَزُخُّ وَزَخَّتْهُ: دَفَعَتْه. وامرأة زَخّاخَة وزَخّاءُ.. وزَخَّ بِبَوْلِه زخًّا: دَفع مثل ضَخَّ.. وزَخْزَخَ المرأةَ.. وهو من ذلك لأنّه دَفْع...».

الزَّعْبَريّ والزِّبَعْرَىٰ

مِمّا لَمْ أَجِدْه لدى كُتّاب فِصاح العامّيّة. (زَعْبَرَة المُزَعْبِر والزَّعْبُور) وهي في عامّيّتنا قَرِيْبَة اللَّفْظِ والمَعْنَى من: الزِّبَعْرَى. في التُّراث القديم؛ أي: الشَّكِسُ الخُلُق السَّيِّئُه..

وَيُحْتَمَلُ أن يَكونَ القَلْبُ الذي وَقَع في تَرْتِيب

أَحْرُف هذه العِبارة على أَلْسِنة العامَّة قد سَبَقَهم إليه الفُصَحاء حينَ قالُوا: «الزَّعْبَرِيّ: ضَرْب من السِّهام».

وفي (اللسان.. والقاموس..): ز ع ب ر.

«الزَّعْبَرِيّ: ضَرْب من السِّهام.» ويزيد (التّاج..): مَنْسُوْبٌ مَقْلُوبُ الزِّبَعْرَىٰ.

وفي (اللِّسان.. والقاموس.. والتّاج..): ز ب ع ر:

«رَجُل زِبَعْرَىٰ: شَكِسُ الخُلُق سَيِّئُهُ. والأُنْثَى زِبَعْراة... والزِّبَعْرَى: الضَّخْم - حَكاها بَعْضُهم بِفَتْح الزّاي - وَأُذُنٌ زِبَعْراة وزَبعراة: غَلِيْظَة كَثِيرَةُ الشَّعر.. الجوهريّ: الزِّبَعْرى: الكَثِيرُ شَعرِ الوَجْه والحاجِبَيْن واللَّحْيَيْنِ؛ الأَزَبّ.. والزِّبَعْريُّ ضَرْب من السِّهام مَنْسُوب».

وفي (مُحيطُ المُحيط) للبُسْتانيّ: «زَعْبَرَ عليه: مَكَرَ به وأظهر له خِلاف ما أَضْمَرَ؛ والاسم منه الزَّعْبَرَة، والمُزَعْبِر: المُشَعْوِذ؛ وكلّ ذلك من كلام العامّة وَلَعَلَّهُ مَأْخوذٌ من اللَّعِب بالزَّعْبَرِيّ وهو نَوْعٌ من السِّهام».

انْزَعَجَ

يقول أحمدُ بنُ فارسٍ في مادّةِ (زَعَجَ) في مُعْجَمِهِ (مقاييس اللغة) ج٣ ص١٢ في: ز ع ج:

«الزّاءُ والعَيْنُ والْجِيمُ أَصلٌ واحدٌ، يدلُّ على الإقلاق وقِلّةِ الاسْتقرارِ.

يُقالُ: أَزْعَجْتُهُ؛ أُزْعِجُهُ إزعاجًا. ويقال: أَزْعَجْتُهُ فشَخَص.

قال الخليلُ: ولو قِيْلَ انْزَعَجَ لَكانَ صوابًا.

وهكذا وَرَدَ الفِعْلُ الخُماسيُّ: انزعجَ لدى الزّمخشريِّ في (أساس البلاغة) والفيروزابادِيّ في (القاموسِ المُحيطِ) وغيرهما»، وأضافَ ابنُ منظورٍ في (لسانِ العربِ): «قالَ: ولو قيلَ انْزَعَجَ وازْدَعَجَ لَكانَ قِياسًا».

والزَّعَجُ: القَلَقُ؛ وفي حديثِ أَنَسٍ: «رأيت عُمَرَ يُزْعِجُ أبا بَكْرٍ رَضِيَ الله عنهم إزعاجًا يومَ السَّقيفةِ يُقيمُهُ ولا يدعُهُ يَسْتَقِرُّ حتّى بايعَهُ».

قُلْتُ: فابنُ منظورٍ يسوقُ الشّواهدَ من الأحاديثِ الشّريفةِ، على زَعَجَ وأَزْعَجَ وليسَ على (انزعَجَ) الذي يُسَمّيهِ قياسًا.. كما سمّاه الخليلُ صوابًا فلم يَرْفُضاه ولم يَرْفُضْهُ مُؤَلِّفو المُعْجَمِ العربيِّ التُّراثيِّ في عصورِهِ المُخْتَلِفَةِ كما يرفُضُهُ مُعاصِرونَ لنا لأنَّ رُواةَ الشّواهِد من عصرِ الاحتجاجِ لم يَصِلوا برواياتهم إلى تسجيلِ الفِعْلِ الخُماسيِّ: انْزَعَجَ.

وانظر في جَعَز في الجيم.

الزُّعْرُوْرُ (والزَّعْبُوب)

قَلَّ مَنْ يَعْرِف ثَمَرَ الزّعْرور و(الزَّعْبوب) اليَوْم فَرِبْحُ زارِعِهِ وبائِعِه تافِهٌ، ولٰكن ما يَزالُ على الأَلْسِنَة المَثَلُ (دْرِنّ.. دْرِنّ يا زعبوب: البِزِرْ: بِنّ).

وهذا مَثَلٌ شَعْبِيّ كان يَصيح به بائع الزُّعْرور الذي سمّت العَوامُّ بَعْض أَنْواعِه (بالزَّعْبوب)، وقد بَدَأَ الفَنّان الشَّعْبيّ رفيق سبيعيّ (أبو صَيّاح) أُهْزُوجَته بهذا المثل.. و(البِزر: بن) لِأَنَّ بِذْرَة الزّعْرورَة تُشْبِه حَبَّ البُنّ، ولٰكنّها تَشْغَل أَكْثَر حَجْم الثَّمَرَة وَتُرْمَىٰ فَلا تُؤْكَل ولا تُفِيد، فإذا أُضِيفَ إلى هذه السَّيِّئَةِ كَثْرَةُ لَحاقِ الدُّوْدِ بِهِ فَهِمْنَا لماذا قِيل في مَثَل آخر: (كُلُّ ما في الدُّكّان زَعْرور مُدَوِّد وَسَفَرْجَل تَخّان..). والتَّخّان: الفاسد المُسْوَدّ..

وفي (لسان العرب): «الزُّعْرور: ثَمَرُ شَجَرة، الواحدة زُعْرُورة، تكون حَمْراء، وَرُبّما كانَت صَفْراء، له نَوًى صُلْبٌ مُسْتَدِير».

ويُضِيف البُسْتانيّ في (محيط المحيط):

«.. ونَوًى صُلْب مُسْتدير يَمْلأُ أَكْثَر جَوْفِه فَيَكُون لُبُّه قَلِيلًا؛ ومنه رَجُل زُعْرُور؛ أي: سَيِّئُ الخُلُقِ قَلِيل الخَيْر كالزُّعْرُوْرِ. جَمْعه زَعارِير. والزَّعارِير أَيْضًا: كُتَلٌ تَتَلَبَّدُ في أَطْرافِ الصُّوفِ من الزِّبْلِ وَغَيْرِه». وَسَبَقَ للبُسْتانيّ في: ز ع ب:

«.. والزَّعْبوبُ عِنْدَ العامَّة نوع من الزُّعْرور وصَغِير الثَّمَر..».

الأَزْعَر

(الزُّعْران) في عامّيّتنا: هم النّاس السَّيِّئو الأخلاق الشَّرِسُون القُساة غير المُهَذَّبين وغير المُتَرَقّين من المُشَرّدين وأَخلاط النّاس وأَوْشابهم.. واحدُهم أَزعر. وهم يَتَّصفون بالزَّعارَة أو الزّعارّة في الفصيح، أمّا في العامّيّة فهي (الزعرَنَة). ولأنّ عددًا كبيرًا منهم فتيان مُرْد لم تظهرْ شعورُ لِحَاهُم؛ فقد رأى أحمد رضا في (رَدّ العامّيّ إلى الفصيح): رأيه:

«..وقد صحّ في اللغة إطلاق الزُّعران على الأحداث لأنّه لا شَعْرَ في وُجوهِهم.. ويجوز أن يكونَ مَأْخذ الأَزْعَر من دَعِرَ الرّجُلُ. قال ابن سميل: دَعِرَ الرّجُل دَعَرًا إذا كان يَسْرق ويَزْني ويُؤْذي النّاس... والعرب تُسمّي العَيّارين، وهم الزُّعران عند العامّة: (النّغّاش)».

وفي (اللسان.. كما في القاموس.. والتّاج..):

«الزَّعَرُ في شعر الرّأس وفي رِيْش الطّائر: قِلَّة ورِقَّة وتفرّق.. ومنه قيل للأحداث زُعْرانٌ. وزَعِرَ الشّعر والرّيش والوَبَرُ زَعَرًا وهو زَعِرٌ وأَزْعَرُ، وفي حديث ابن مسعود: أنّ امرأةً قالت له: (إنّي امرأة زَعْراء).

وَزَعَرها يَزْعَرُها زَعْرًا: نَكَحَها. وفي خُلُقِه زَعارَّة، بتشديد الرّاء، وزعارة بالتَّخفيف؛ عن اللحيانيّ، أي شراسَة وسوء خُلُقٍ..

والزُّعرور: السَّيّئُ الخُلُق، والعامّة تقول: رجل زِعِرٌ». [قلت عامّتُهم.. أمّا عامّتنا فتقول أَزْعر].

وفي (أساس البلاغة):

«وخُلُق زَعِرٌ مَعِرٌ، وفيه زَعَرٌ وزَعارَة، وتقول: فلان تَدَّعيه الدّعارة وتشهد له الزّعارة».

وفي (محيط المحيط):

«والأزعر عند المَوَلَّدين هو اللصّ الخاطِف المارِد، جَمْعُه زُعْرٌ وَزُعران».

وفي عامّيّة مصر يقول: د. عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة):

«نقولُ في دارِجتنا: أَزْعَرَ فلانٌ، أو فلانةُ، الشَّعْرَ، قَصَّرَتْهُ تَقْصِيرًا غيرَ جميل، وَأَزْعَرَ الثّوبَ: قصَّ الكبير منه فأصبح غيرَ مألوف.

وتقولُ: أَزْعَرَتِ الفلوسُ في يَدِه: قلّتْ. وأَزْعَرَه نَحّاهُ وَفَرَّقه..».

قلتُ: هذه المعاني التي يَجِدُ د. عبدالعال فَصاحَتَها من: زَعِرَ الشّعرُ: قَلّ.. مَعانٍ تختلف عمّا في عامّيّة الشّام..

زَعَقَ و(ما زَعْوَطَ)

واختلافُ المعنى باختلافِ حركةِ عينِ الفعلِ.

تقولُ عامّتُنا في الشّامِ (زَعَق) وهو فصيحٌ مُقارِبٌ لمعنى (بعق). ولكنّهم يقولون أيضًا (زَعْوَطَ) وليسَ هذا فصيحًا.

ومعنى: زَعَقَ في العامّيّةِ مِثْلُ معناهُ في المُعْجم (..كالوسيط) لِمَجْمَع القاهرة: نَقْلًا عن (القاموس..) و(اللسان..) و(التّاج..): «زَعَقَ يَزْعَقُ زَعْقًا: صاح. ويُقال: زَعَقَ به. وزَعَقَ فلانًا:

أَفْزَعَهُ. وزَعَقَ: صاحَ به صَيْحةً مُفزِعَةً. فهو مزعوقٌ وزعيقٌ. وزَعَقَ الدّوابَّ وبِها: طردَها مُسْرِعًا. وزَعَقَ القِدْرَ: أَكثرَ مِلْحها حتّى فَسَدَ طعامُها. ويُقالُ:.. زَعَقَتِ الرّيحُ التُّرابَ: أثارَتْه».

ولٰكنَّ اختلافَ حَرَكَةِ عَيْنِ الفِعْلِ يؤدِّي إلى اختلافِ معناهُ:

«زَعِقَ يزعَق زعقًا: نَشِطَ في فَزَعٍ. فهو زَعِقٌ وهي زَعِقَةٌ.

زَعُقَ الماءُ والطّعامُ يَزْعُقُ زُعُوقَةً: كان مُرًّا غليظًا لا يُطاقُ شُرْبُه.

الزَّعْقَةُ: [اسم المَرَّة]. ويُقالُ: سمِعْتُ زَعْقَةَ المُؤَذِّنِ: صَوْتَه».

قُلْتُ: وفي كتابِ أحمد رضا العامليّ (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) بعنوان: (زَعْوَطَ): «وقالُوا: (زَعَطَ) إذا لَغَطَ بِصَوْتٍ عالٍ. و(زَعْوَطَ) إذا أكثرَ من ذلك، وهو في اللغةِ: زأط زِئاطًا: إذا أَكْثَرَ اللَّغْطَ وأَعْلاه. وقالُوا: زَعَطَ عليه إذا صاحَ به فَذَعَرَهُ. وأرى أنَّ هذه الأخيرةَ مِن زَعَقَ به وَزَعَقَهُ إذا صاحَ به فذعَرَهُ بصياحِهِ».

الزَّغْبَر

(الزَّغْبَرَة) تقولُها عوامّنا فتعني فصيحها بذاتِه ولٰكنْ بزيادة التّاء في آخرِها، وتأخُذ العامّيّة اسْتعمال زَغْبَر الثوبَ..

وأعتذرُ عن كَثْرة الإبدالاتِ المُمِلّة في لُغيّات المُعجم القديم: ولم أجدْها لدى كُتّاب فِصاح العامّيّة.

وفي (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..): ز غ ب ر:

«الزَّغْبَرُ: الجميع من كلّ شيء، يُقال: أخذ الشّيءَ بِزَغْبَرِه أي أَخَذَه كلّه ولم يَدَعْ منه شيئًا؛ وكذلك: بِزَوْبَرِهِ وبِزَابَرِه... ومنهم من يقول: هو الزَّبْغَر؛ بفَتْح الزّاي وتقديم الباء على الغَيْن.

أبو زيد: زِبْئِرُ الثّوب وَزِغْبِرُهُ» وفي (القاموس..) بضمّ الباء: «وزِغْبُرُه: زِئْبِره..».

وفي: ز أ ب ر: في (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..):

«الزِّئْبِرُ:.. ما يعلو الثّوب الجديد مثل ما يعلو الخَزَّ.. وقد زَأْبَرَ الثّوبُ وزَأْبَرَهُ: أخرج زِئْبِرَهُ...».

أبو زيد.. وزَغْبَره.. الليث: الزِّئْبُرُ، بضمّ الباء، زِئْبُرُ الثّوبِ والقَطِيفَة والخَزِّ ونحوه. ومنه اشْتُقّ ازْبِئْرار الهِرِّ إذا وَفَى شَعرُه وَكَثُر؛ قال المرّار:

«فَهْوَ وَرْدُ اللَّوْنِ في ازْبِئْرارِه
وَكُمَيْتُ اللَّوْنِ ما لم يَزْبَئِرْ».

ويزيد عن (اللسان.. القاموسُ.. والتّاج..):

«كالزَّوْبَرِ – كَجَوْهَر – والزُّؤْبُر – كقُنْفُذ..».

وفي (مُحيط المُحيط): ز أ ب ر:

«الزَّوْبر والزِّئْبَر: عند العامّة: المِنْجَل يُزْبَرُ به الكَرْم وَنَحْوُهُ».

زَقّ

زَقُّ الأغراضِ والحوائجِ من الزُّقاقِ قبلَ زَقزقةِ الطُّيور.

يُقالُ عندَنا في الشّامِ: (هو رايح جائي يَزُقُّ الأغراض والحاجات) على التَّشْبيهِ أو الاسْتعارةِ من زَقِّ الطّائر فِراخَه؛ في الفصيح.

والزَّقْزَقَة عِنْدنا صوتٌ يُشَبَّهُ بِصَوْتِ الطّائرِ.

والزُّقاق: الطّريقُ في أغلبِ العامّيّاتِ العربيّةِ وقد يخصّونَ به الطّريقَ القديمَ بَيْن البُيوتِ العتيقةِ عندَنا، ويَجْمَعُونَه جَمْعًا فصيحًا على أزِقَّةٍ كما

وَرَد في (لسان العرب): «والزُّقاق: طريقٌ نافِذٌ وغيرُ نافِذٍ ضَيِّقٌ دونَ السِّكَّةِ.. والْجَمْعُ أَزِقَّةٌ وزُقّان...

. والزُّقْزَقَةُ حكايَةُ صَوْتِ الطائرِ. والزَّقْزَقَةُ والزِّقْزاق: تَرْقيصُ الصَّبيِّ». وكان بدأ ابنُ منظور: «ز ق ق: زَقَّ الطّائرُ الفَرْخَ يَزُقُّهُ زقًّا وزَقْزَقَهُ: غَرّه، وزَقَّهُ: أطعمهُ بِفِيْهِ...»..

وفي (القاموس المحيط) للفيروزابادي: «الزَّقُّ: رَمْيُ الطّائرِ بذرقه، وإطعامُهُ فَرْخَهُ، كالزَّقْزَقَةِ فيهما وكغُرابٍ [الزُّقاق]: السِّكَةُ، ويُؤَنَّث ج زُقّانٌ وَأَزِقَّةٌ... والزَّقْزاقَةُ: الخَفيفَةُ المَشْيِ...

... والزَّقْزَقَةُ الضَّحِكُ الضَّعيفُ. والخِفَّةُ. وصَوْتُ طائرٍ عند الصّبح. وَتَرْقيصُ الصَّبِيِّ كالزِّقْزاقِ بالكَسْرِ، وَلُغَةٌ لِكَلْبٍ كأنّها في سُرعةِ كلامِهم، والمُزَقْزَقُ كُلُّ عَمَلٍ يُقْضَى سَريعًا...».

زَلَقَ وسَحَط وليس زَحَط؟ ولٰكن هل: زَحْلَطَ؟!

الفِعْل زَلَقَ يَزْلُقُ مِنْ فِصَاح عامّيّتنا مَعروفٌ فلا يعرَّف به..

والزَّحْطُ في عامّيّة دمشقَ هو التّزَلُّقُ في الفُصحىٰ، ولٰكنْ يُظَنُّ أيضًا أنَّ أصلَهُ الفصيحَ السَّحْطُ؛ بالسّين، فهو الإبْدَال...، فإذا سَمّيْنا الزَّلّاقة التي يَتَزَلّقُ عليها الأطفالُ في حدائق الألْعاب باسم (السَّحّاطة) فقد قارَبْنا التّسميةَ العامّيّةَ (الزّحّيطة). ولٰكنْ ماذا في المُعْجَم الْفَصيح؟ في مَعاجِم التُّراث لَمْ أَجِدْ مادّة: ز ح ط، وأَقْدَم مَنْ وَجَدْتُهُ يَذْكُرُها:

(مُحيط المُحيط) لبطرس البستانيّ: «زَحَطَ يزحَط زحطًا: تزلّق من مُنْحَدَرٍ إلى أَسْفَلَ. وهو من كلام العامّة».

وفي القاموس المحيط وفي اللسان: «انْسَحَط من يده: انْمَلَصَ فَسَقَط، انْسَحَطَ الشَّيءُ من يَدي امْلَسَّ فَسَقط. يمانية. وعن النَّخْلة وغَيْرِها تَدَلّى عَنْها حتّى ينزلَ لا يُمْسِكها بيده». وفيه قَبْلَه: «سَحَطَهُ سَحْطًا وَمَسْحَطًا: ذَبَحَهُ سَريعًا. والطّعامُ فُلانًا أَغَصّه. وكمقعدٍ الحَلْقُ». قُلْتُ وكُلّها فيها مَعَاني الانْزِلاق الذي هو بالعامّيّة: (الزَّحْط والتَّزْحِيط)، وبطرس البستانيّ يقول بعدها في س ح ط في (محيط المحيط): «والعامّة تقولُ: زَحط بالزّاي».

وفي (اللسان..) و(التّاج..) أيضًا: «قال أبو عمرو: المَسْحُوط: اللبنُ يُصَبُّ».

وفي (اللسان..) أيضًا: ز ح ل ط: «الزّحلوط: الخسيسُ». وعامّتُنا تقولُها بغيرِ هذا المعنى.. إذ تقولُ (زَحْلَطَ) بمعنى: انْزَلَق وتَزَلَّجَ.

وفي (القول الفصل في رَدّ العامّيّ إلى الأصل) للأمير شكيب أرسلان:

«ويقولون: (زَحَطَ) أو (صَحَطَ) أو بالتاء: أي: هَوَى مِنْ مَحَلٍّ مُشْرِف وهو قَاعِدٌ على إِلْيَتِهِ، وهو مِنْ قَوْلهم في اللغةِ: انْسَحَطَ من يده: انْمَلَص فَسَقط، وانْسَحَط عن النّخلة: تَدَلّى عنها حتّى يَنْزل لا يُمْسِكُها بِيَدِه».

أمّا الآخرون مِنْ كُتّابِ فَصِيح العامّيّ فلم أجدْ لَدَيْهِم ما يُذْكَر.

الزَّلَمَة: وتطوّر: الزّلم

نَجِدُ في عامِّيَّتنا الدّارجةِ أنّ (الزّلم): الأشخاص الكِبار، والمفرد: الزَّلَمَةُ. وفي بعضِ الأريافِ؛ الزَّلَمةُ: الرَّجلُ وليس المرأةَ، فقد يقولُ لكَ أحدُ الرّيفيّين: (ما أنا حُرْمَة ولٰكنَّني زَلَمَة). وقد استعملَ العامّةُ كما استعملَ بعضُ الكتّاب

الأزلامَ، أحيانًا، بمعنى الخَدَم أو الأتباع أو المناصرين، فَهٰذا زَلمةُ فلان وهٰؤلاء أزلامٌ لفلان.. مثلًا.. فأينَ هذا المعنى.. من المعنى الوارِد في قولِه: جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا[1] بِالأَزْلامِ ذَلِكُمْ ضِيْقٌ﴾ السّورة الخامسة: المائدة: الآية ٣.

وفي (لسان العرب) لابن منظور: «الزُّلَمُ والزَّلَمُ: القِدْحُ الذي لا ريشَ عليه.. والجَمْع الأزلامُ وهي السِّهامُ التي كانَ أهلُ الجاهليَّةِ يَستَقْسِمون بها.. مَكتوبٌ عليها أَمْرٌ وَنَهْيٌ وَافْعَلْ وَلا تَفْعَلْ، قد زُلِّمَتْ وَسُوِّيَتْ.. وَزَلَّمَ القِدْحَ: سَوّاهُ وَلَيَّنَهُ. وَزَلَّمَ الرَّحَىٰ: أدارَها وأخذَ مِن حُروفِها... وَزَلَّمْتُ الحَجَرَ؛ أي: قَطَعْتُهُ وَأَصْلَحْتُهُ لِلرَّحَىٰ وهذا أصلُ قولِهم: هو العَبْدُ زُلْمَةً. وقيل: كُلُّ ما حُذِفَ وأُخِذَ من حروفِه فقد زُلِّمَ.. وما أَحْسَنَ ما زَلَّمَ سَهْمَهُ..

... والأَزْلامُ كانَت لِقُرَيْشٍ في الجاهِلِيَّةِ.. قد زُلِّمَتْ وَسُوِّيَتْ وَوُضِعَتْ في الكَعْبَةِ يقومُ بها سَدَنَةُ البيتِ، فإذا أراد رَجُلٌ سَفَرًا أو نِكاحًا أتىٰ السّادِنَ فقالَ: أَخْرِج لي زَلَمًا، فيخرجُه وينظرُ إليه، فإذا خَرَج قِدْحُ الأمْرِ مضى على ما عَزَمَ عليه، وإنْ خَرَجَ قِدْحُ النَّهْيِ قَعَدَ عَمّا أرادَه، وَرُبَّما كان مع الرَّجُلِ زَلَمانِ وَضَعَهُما في قِرابِهِ، فإذا أَرادَ الاسْتِقْسامَ أَخْرَجَ أَحَدَهُما..؛ قال طَرَفَةُ:

أَخَذَ الأزلامَ مُقْتَسِمًا
فأتى أَغْواهُما زَلَمَهْ

... ويقالُ لِلرَّجُلِ إذا كانَ خفيفَ الهيئة وللمرأةِ التي ليسَتْ بطويلةٍ: رَجُلٌ مُزَلَّمٌ وامْرَأَةٌ مُزَلَّمَة.. وَزَلَّمَ غذاءَهُ: أساءَهُ فَصَغُرَ جِرْمُه لذلك. وقالوا: هو العَبْدُ زُلْمًا؛ عن اللحيانيّ، وزُلْمَةً وَزُلَمَةً وَزَلْمَةً وَزَلَمَةً؛ أي: قَدُّهُ قَدُّ العَبْدِ وَحَذْوُهُ حَذْوُه، وقيل: معناهُ: كأنَّه يشبهُ العبدَ حتّى كأنَّه هو...

... والمُزَلَّمُ: الرَّجُل القصير.. والسَّيِّئُ الغِذاءِ.. ابن سيده: المُزَلَّمُ من الرِّجال: القصيرُ الظَّريفُ الخفيفُ شُبِّهَ بالقِدْحِ الصَّغير.

والزَّلَمَةُ: هَنَةٌ مُعَلَّقَةٌ في حَلْقِ الشّاة.. وقال الليث: الزَّلَمَةُ تكونُ لِلْمِعْزَى في حُلوقِها متعلِّقة كالقُرْطِ ولها زَلَمَتانِ...

... وأزلامُ البَقَرِ: قوائِمُها، قيلَ لها أزلامٌ للطافَتِها، شُبِّهَتْ بأزلام القِداحِ، واحدُها زَلَم وهو القِدْحُ المَبْرِيُّ..

والأَزْلَمُ الجَذَعُ: الدَّهْرُ... وأصلُه: الوَعِلُ... ويقال: لا آتيه الأزلَمَ الجَذَعَ؛ أي: لا آتيه أبدًا، ومعناه أنَّ الدهرَ باقٍ على حالِه لا يتغيَّرُ على طولِ إناهُ فهو أبدًا جَذَعٌ لا يُسِنُّ...».

وأضيفُ من (تاجِ العروس..) للزّبيديّ: «..الزُّلَمُ: الغلامُ الخفيفُ الشَّديدُ قال الشّاعر: [رُشَيْد؛ (في أساس البلاغة)]:

باتَ يقاسيها غلامٌ كالزَّلَمْ
ليسَ براعي إبلٍ ولا غنمْ.

قولُه: ليسَ براعي إبلٍ ولا غنمْ؛ أي: إنَّه من سادةِ الحَيّ وحُماتِه، لا من الرعاةِ والأتباع». قلتُ: فقدْ تطوَّرَ المعنى حتّى وصلَ إلى ضدِّهِ ونقيضِه.. وقد انتقيتُ المعاني التي تمثّل مراحلَ هذا التَّطوُّرِ، وبقيَ أن أقفَ على أصلِ المعنى لدى أحمد بن فارس في (معجم مقاييس اللغة): «الزاء واللام والميم أصلٌ يدلُّ على نحافةٍ ودقّةٍ في ملاسةٍ، وقد يشذُّ عنه الشيءُ». قلتُ وقد شذَّ عنه شيءٌ لدى الزّمخشريّ في (أساس البلاغة) ففيه:

(١) استَقْسَم: طلبَ القَسْمَ بالأزلام.. أو طلبَ القَسْمِ الذي قُسِم له.

«..والزَّلَم والقَلَم واحد.. وهما فَعَلٌ بمعنى مفعول من زَلَمَهُ وقَلَمَهُ، إذا قَطَعَهُ..».

وفي عصرنا بدأ (المعجم الوسيط) لمجمع القاهرةِ، بترجمة الفعل «زَلَمَ يَزْلُمُ زَلْمًا: أَخْطَأَ..».

أمّا أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) فيجِدُ في الفصيح من دلالةِ معنى المُزَلَّم أصلًا للزَّلَمَةِ العامّيّةِ فيقول:

«..والظّاهرُ أَنَّ المادّةَ تدورُ حولَ التَّشْذيبِ والتَّسْوِيَةِ. والغلامُ إذا بلغَ مبلغَ الرّجالِ واستوى وبلغَ أشُدَّه فقد نفى عنه لِينَ الحَداثةِ واشتدَّ وأصبحَ مقتدرَ الخَلْق فهوَ إذًا مُزَلَّمٌ عند الفصحاءِ وزَلَمةٌ عند العامّة».

قلت: ولٰكن المُزَلَّم عند الفصحاءِ: «القصيرُ الخفيفُ شُبّه بالقِدْحِ الصّغيرِ عن ابن سيده، والسَّيِّئُ الغذاءِ والصّغيرُ الجثّةِ.. والقصيرُ الذَّنب..» كما قرأنا في (لسان العرب)!.

إحالة: الزِّمبَعْرَة والزِّنْبَعْرَة

تجدها في الصاد: الصِّنْبَعر.

زَنَأَ وزَنَقَ

تَلاقي المعاني في الضِّيْق ما بين: زَنَأَ وبينَ زَنَقَ.

في طُولِ العالَمِ العربيّ وَعَرْضِهِ، وفي أكْثَرِ العامّيّاتِ؛ المَشْرقيّةِ والمَغْرِبيّةِ يستعملونَ عبارةَ الزَّنْأَةِ أو الزَّنْقَةِ.. بمعنى الضِّيْق.. وأهلُ القافِ وأهلُ الهمزةِ في الإبدالِ العامّيِّ الشّهيرِ بينَهما، يَلْهَجُونَ بها فِعْلًا ومَصْدرًا ومُشْتَقّاتٍ، والزَّنْأَةُ في الفصيحِ بالهمزةِ وبالقافِ؛ الزَّنْقَةُ، تلتقيانِ على معنى الضِّيْقِ.. وإليكَ بعضَ ما لَدَى ابنِ منظورٍ في (لسانِ العربِ) ز ن أ: «وَزَنَأَ عليه إذا ضَيَّقَ عليه.. والزَّناءُ: الضِّيْقُ والضَّيِّقُ جميعًا، وَكُلُّ شَيْءٍ ضَيِّقٍ زَناءٌ. وفي الحديثِ: (أنّه كانَ لا يحبُّ من الدّنيا إلا أَزْنَأَها) أي أَضْيَقَها. وفي حديثِ سَعْد بن ضُمْرَةَ: (فزنؤوا عليه بالحجارةِ) أي: ضَيَّقوا. قال الأَخْطَلُ يذكرُ القَبْرَ:

وإذا قُذِفْتُ إلى زَناءٍ قَعْرُها
غَبْراءَ، مُظْلِمَةٍ من الأَحْفار

.. قال العَفيفُ العَبْديُّ:

لا هُمَّ إنّ الحارِثَ بْنَ جَبَلَهْ
زَنّا على أبيهِ ثُمَّ قَتَلَهْ

قال ابنُ السِّكِّيتِ: وأصلُهُ زَنَّأَ على أبيهِ إنّما تَرَكَ همزَهُ ضرورةً.

وَزَنَأَ الظِّلُّ يَزْنَأُ: قَلَصَ وَقَصُرَ ودَنا بَعْضُهُ مِن بَعْضٍ. قال ابنُ مُقْبِلٍ يَصِفُ الإبلَ:

وتولِجُ في الظِّلِّ الزَّناءِ رُؤُوسَها
وَتَحْسَبُها هِيْمًا وَهُنَّ صحائِحُ

والزَّناء: القصير المُجْتَمِع؛ يقال: رجلٌ زَناءٌ وظِلٌّ زَناءٌ.

والزَّناءُ: الحاقِنُ لِبَوْلِهِ؛ وفي الحديثِ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: (لا يُصَلِّيَنَّ أحدُكم وهو زَناءٌ) ويُقالُ منهُ قد زَنَأَ بَوْلُهُ يَزْنَأُ زَنْأً وزُنُوءًا: احْتَقَنَ. وَأَزْنَأَهُ هو إزناءً إذا حَقَنَهُ، وَأَصْلُهُ الضِّيْقُ.. لأنّ البَوْلَ يَحْتَقِنُ فَيُضَيِّقُ عليه والله أعلم».

وفي: ز ن ق يقول ابنُ منظورٍ ذاته في (اللسان..) أيضًا:

«..يُقالُ: أَزْنَقَ وَزَنَقَ وَزَنَّقَ وَزَهَدَ وَأَزْهَدَ وَزَهَّدَ وَقاتَ وَقَوَّتَ وأقاتَ وَأَقْوَتَ كلُّه: إذا ضَيَّقَ على عِيالِهِ فَقْرًا أو بُخْلًا.

والزِّناق: ضَرْبٌ مِن الحُلِيِّ وهو المِخْنَقَةُ.

والزَّنْقَةُ: السِّكَّةُ الضَّيِّقةُ.

والزَّنْقَةُ: مَيْلٌ في جِدارٍ أو سِكَّةٍ أو ناحيةِ دارٍ أو

عُرْقوبِ وادٍ، يكونُ فيه الْتِواءٌ كالمَدْخَلِ، والالتواءُ اسمٌ لذلك بلا فِعْلٍ». وقبل ذلك ورد عنده:

«وَبَغْلٌ مَزْنوقٌ: أي مربوطٌ بالزِّناقِ وهو حَلقةٌ توضعُ تحتَ حَنَكِ الدّابّةِ ثمّ يُجعلُ فيها خَيْطٌ يُشَدُّ برأسِهِ يمنعُ فيها جِماحَهُ.. وفي حديثِ أبي هُرَيْرَةَ: (وإنّ جهنم يُقادُ بها مَزْنُوقَةً).

والزَّنَقُ: مَوْضعُ الزِّناق، ومنه قول رُؤْبَةَ:

أو مُقرَع من رَكْضِها دامي الزَّنَقْ

كَـأَنَّـهُ مُـسْـتَـنْـشِـقٌ مـن الـشَّـرَقْ

حَرًّا من الخَرْدَلِ مكروه النَّشَقْ

مُقْرَع: رافعٌ رَأْسَهُ؛ يُقالُ: أَقْرَعْتُ الدّابّةَ باللجامِ إذا كَبَحْتَهُ به فَرَفَعَ رَأْسَهُ. وَرَأْيٌ زَنِيقٌ: مُحْكَمٌ رَصينٌ. وَأَمْرٌ زَنِيقٌ: وَثِيقٌ. ابن الأعرابيّ: الزُّنُقُ: العقولُ التّامّة» ا.هـ. ابن منظور.

قلْتُ: لعلَّ القارئَ أَدْرَكَ أنّي لم أحذفْ قولَ ابنِ الأعرابيّ: «الزُّنُقُ: العقولُ التامَّةُ». لأنَّ من المعروفِ أنّ أصلَ مَعنى: العَقْل: القَيْدُ والرَّبْطُ والحَصْرُ فهو يؤدّي، بالضّرورةِ، إلى معنى الإحكامِ والتَّقْييدِ والتَّضْييقِ؛ ذلك معروفٌ في تُراثِنا اللغويّ.

والآنَ أعودُ إلى العامّيّاتِ فأقولُ: في دِمَشْقَ يستعملونَها بالهمزةِ، وفي الْجزائرِ وأقطارِ المَغْرِبِ الكبيرِ كنْتُ أسمعُها بالقافِ، وفي مصرَ أَوْرَدَها د. عبدالمُنْعم سيّد عبد العال في: (معجمِ الألفاظِ العامّيّةِ ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العربيّةِ) وفطنَ لهذا الإبدالِ فجعلَهُ أَحَدَ مَثَلَيْن على الإبدالِ بَيْن الهمزةِ والقافِ، سجَّلَهُما مِنْ بينِ العشراتِ من أمثلةِ الإبدالاتِ الكثيرةِ التي أَوْرَدَها في ص٤٨ من المُقدّمةِ فقالَ: «زَنَّأَ على عيالِهِ تَزْنِئَةً: ضيّق. وَزَنَّقَ على عيالِه يزنقُ: ضَيَّق (بُخْلًا). والأَفْزُ والقَفْزُ: الوَثْبُ والوُثوبُ».

وفي لبنانَ كَتَبَ أحمد أبو سعد في (قاموسِ المُصْطَلَحات والتّعابيرِ الشّعبيّةِ) عنِ (المزنوءِ) في الميم من (باب الصّفات الخَلْقِيَّةِ والخُلُقِيَّة): «مَزْنوء: مُتَضايِقٌ مَخْنوقٌ. وفي اللغة: زَنَأَ فلانًا خَنَقَهُ» ص٢٦٧. ثمّ كتبَ أيضًا عن (زْناق) ص٣٠٨ مع أدواتِ الحراثةِ والزّراعةِ: «زناق: شكال الدّابَّة... قاموسيّة..». ولم يَرْبُطْ بينَهما أو بَيْنَ الهمزةِ والقافِ فيهما فَلَيْسَ ذلك من دَأْبِهِ ولا مِن هَمِّهِ ولا من مَقاصِدِه في (قاموسِه..)؛ وقدْ كان يُمْكِنُ أنْ يكونَ ذلك من مَقاصِدِ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) الذي بنى أكثرَ مَوادِّهِ على الإبدالِ، ولٰكنّي فوجئْتُ بأنَّ العامليَّ لم يذكرْ شيئًا من ذلكَ مَثَلُه كَمَثَلِ الأميرِ شكيب أرسلان في (القولِ الفصلِ في ردِّ العامّيِّ إلى الأصلِ) وشارحُه محمّد خليل الباشا المَعْنِيُّ بالإبدالِ وقد أغفَلَها أيضًا؛ وَجَلَّ الذي لا يغفل.. ولم تُجْمَعِ اللغةُ لِأَحدٍ في طَبَق..

الصِّنْبَعْر وليس الزّنْبعرة

لَقَبُ (الزِّنْبَعْرة) في العامّيّة، للسّخْرِية من الفَتاة المُشاغِبَة الصَّغيرة السَّيِّئة الخُلُق..

هل جاءت بالإبدال من الصِّنْبَعْر؟

في (مُحيط المُحيط) كما في (القاموس المُحيط):

الصِّنْبَعْر: السَّيِّئُ الخُلُق.

وزاد الزّبيديّ في (تاج العروس..) فقال: «أَهْمَله الْجوهريّ والصّاغانيّ وابن منظور». قُلْت كذلك أَهْمَلَتْه أغلبُ المُعْجَمات المُعاصِرَة (.. كالوسيط) و(المَدرسيّ).

إحالة: الزّهزهة: مع (الهَزّ والهَزْهَزَة والزّهزهة) في: هـ ز ز.

الزَّوَر والزَّوْر

(أَعِيشُ مَع هذه المَخْلُوقَة بالزَّوْر، لأنَّ عَقْلَها أَزْوَرُ، فأنا أَصْلًا لا أُطيقُها وما نَزَلَت لي من زَوْر) يقول الدِّمَشْقيّ هذه الجُمْلَة وهو قد لا يعرف ما مَعْنَىٰ الزَّوْر إذا لم يَكُن قارِئًا ويَطَّلِع علىٰ مِثْل نَصّ الأَصْفَهانيّ في (الأغاني) ذاك الذي تَضَعُ له الكُتُبُ المَدْرَسِيَّةُ الحَديثة العُنوانَ المَشْهور (قاسِمُ الدَّجاجات)، وفيه أنّ القاسِمَ الزائِرَ يَقْسِم لِنَفْسِهِ صَدْرَ الدَّجاجَة وهو يَقول: (الزَّوْرُ للزّائِر):

وفي مُحاوَرات مُسَلْسَلاتِهِم المَعْرُوضَة على الشّاشة يَسْتَعْمِلون الزَّوْر بِمَعْنَى الصَّدْر في العامّيّات الشامِيَّة والمِصْرِيّة وغيرهما.. وهو مُغايِر للزَّوْرِ الذي قال فيه د. عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتنا: الزَّوْرُ: آخر اللّهاة من ناحية الفَمِ وهو مقدّمة المريء، والأصل فيها: الذُّور، وأُبْدِلَت الذّالُ زايًا، وفي (القاموس..): الذُّور - بالضَّمِّ - قُدّام حَوْصَلَة الطّائر يحملُ الماء جَمْعُها: ذُوَرٌ».

قلت: ولٰكنّه مَجاز مُرْسل علاقته الجُزْئيّة أو علاقَتُه المكانيّة لأنّ مَكانَ اللّهاة في الزَّوْر أي في الصّدر. وفي (القاموس المحيط): «الزَّوْرُ وَسَط الصَّدْر أو ما ارْتَفَعَ منه إلى الكَتِفَيْنِ أو مُلْتَقى أَطْراف عِظامِ الصَّدْر حَيْثُ اجْتَمَعَتْ..».

وكذلك في (اللسان..) ويزيد ابن منظور أيضًا:

«..وقيل هو جَماعَة الصَّدْر من الخُفّ. والجمع أَزْوَار. والزَّوَرُ: عِوَجُ الزَّوْرِ، وقيل: هو إشْراف أَحَدَ جانِبَيْه على الآخَر: زَوِرَ زَوَرًا فهو أَزْوَر... والزَّوَرُ في صَدْر الفَرَس: دُخول إحْدى الفَهْدَتَيْنِ وَخُروجُ الأُخْرى؛ وفي قَصِيدِ كَعْبِ بن زُهَيْرٍ:

في خَلْقِها عن بَناتِ الزَّوْرِ تَفْضيلُ

الزَّوْرُ: الصَّدْرُ، وبَناتُهُ: ما حَوالَيْه من الأَضْلاع وغَيْرِها.

والزَّوَرُ - بالتّحريك -: المَيَلُ وهو مِثْل الصَّعَرِ، وعُنُقٌ أَزْوَرُ: مائل... والزَّوَر: مَيْلٌ في وَسَط الصَّدْر، ويُقال لِلْقَوْسِ: زَوْراء لِمَيْلِها، وَلِلْجَيْشِ: أَزْوَر. والأَزْوَرُ: الذي ينظر بِمُؤْخِرِ عَيْنِه. قال الأزهريّ: سَمِعْتُ العَرَب تَقُول لِلْبَعيرِ المائِلِ السَّنام: هذا البعير زَوْرٌ. وناقَةٌ زَوْرَة: قَوِيَّةٌ غَليظة. وناقة زَوْرَةٌ: تَنْظُرُ بِمُؤْخِرِ عَيْنِها لِشِدَّتِها وَحِدَّتِها؛ قال صَخْر الغيّ:

وماءٍ وَرَدْتُ على زَوْرَةٍ
كَمَشْيِ السَّبَنْتَىٰ يَراحُ الشَّفيفا».

[قلت: من ذلك قالَتِ العامّةُ عِنْدَنا: (هو يَزْوِرُني وَيَتَزَوَّرُني)؛ أي: يَعْبِس في وجهي يُهَدِّدُني بِنَظَراته الصّارِمة الغَضَبِيَّة..].

[أم يكون من قولهم: يَزْوَرُّ عَنْه؟]

وقول العامّة: فُلان عَقْلُه أَزْوَرُ: أي أَعْوَجُ.

وكلمة أُخْرى منها في عامِّيَّة دمشق (أفعل ذلك بالزَّوْر) أي: غَصْبًا عنّي وبالكرْه مِنّي، أي.. عَلِقَت في زَوْرِهِ لُقْمَة كَريهة فَيَبْلَعُها مُعْوَجَّةً مائِلَةً أو يَبْلَعُها بالقُوَّةِ والغَصْب والإكْراه والإجْبار. وفي مِصْرَ يقولون (بالعافيَة).. ولعلّ هذا التَّطوُّر أَتَىٰ من الزَّوْرِ بمعنىٰ العَزيمة، فقد وَرَدَ في (اللسان.. أيضًا..) كما في (القاموس.. والتّاج..) نصًّا:

«... والزَّوْر: العَزيمَةُ. وما له زَوْرٌ وَزُوْرٌ ولا صَيّورٌ بمعنًى؛ أي: ما لَهُ رَأْيٌ وَعَقْل يَرْجِع إلَيه؛.. وذٰلك أنّه قال: لا زَوْرَ له ولا صَيُّورَ.. أبو عُبَيْدة: في قولهم ليس لهم زَوْرٌ: أي ليس لهم قُوَّةٌ ولا رَأْيٌ. وَحَبْلٌ له زَوْرٌ أي: قُوَّة؛ قال: وهذا وِفاقٌ وَقَعَ بينَ العَرَبيَّة والفارِسِيَّة..».

ويُضيف الزَّبِيديّ: «وَصَرّح الخَفاجيّ في (شفاء

الغليل) بأنّه مُعَرّب.. وإنّ الذي في اللغة الفارِسيّة إنّما هو زُور بالضَّمَّة المُمالَة لا الخالصة ولم يُنَبّهُوا على ذلك.

وعُدْت إلى (قاموس الفارسيّة) تأليف د. عبد النّعيم محمّد حسَنين سنة ١٤٠٢هـ. سنة ١٩٨٢م. فإذا فيه: (زُوْر) مرّتين: «(زور): قوّة: قدرة: استطاعة: ضغط».

(زُور أزمايي): تجربة القوّة، إظهار القوّة والبأس، أن يجرّب كلّ واحد قوّته أمام الآخر.

«(زُور): كَذِب، بُهتان، زور، باطل، الشِّرْك بالله، وتأتي أيضًا بمعنى عَقْل وقُوَّة، ولذّة الطّعام، وبمعنى الإمام والقائد والرّئيس».

قلت: هذه المعاني كلّها وَرَدَت في (اللسان.. والتّاج..) فحديث ابن منظور والفيروزابادي والزّبيديّ في «هذا الوفاق الذي يقع بين لغة العرب والفرس» أوقع في النَّفْس من قوْل الشِّهاب الخفاجيّ في: هذا: «مُعَرَّب».

وقد ذكرت أنّ مُؤَلِّف: (قاموس الفارسيّة) في ص١١ من: مقدّمته يُصَرّح بأنّ: «الكلمات العربيّة تُشَكّل جُزْءًا كبيرًا من مفردات اللغة الفارسيّة لا يقلّ عن نصفِها بحالٍ من الأحوال».

والزّور في (تاج العروس من جواهر القاموس): «والزّور: العقل وممّا يُسْتَدْرَك عليه: مَفَازَة زَوْراءُ: مائلة عن السَّمْت والقصد. وفلاة زَوْراء: بعيدة فيها ازْوِرَار وهو مَجَاز».

ولدىٰ البُستانيّ في: (محيط المحيط): «..والزِّيار: خشبتان يَضْغَطُ بهما البِيطارُ جَحْفَلَةَ الفَرَس لِيَذِلَّ فَيَتَمَكَّن من بَيْطَرَتِه. ويَبْنُون منه فعلًا على لَفْظِهِ في الحال فيقولون: زَيَّرَ الفَرَسَ. والعامّة تستعمل كِلَيْهِما للشّدّ والضَّغْطِ مُطْلَقًا».

قلت: حقًّا تقول العامّة عندنا: (لا تُزَيِّرْهُ ولا تُزايِر هذا الشّيء حتّى لا يَنْكَسِرَ من كَثْرَة المُزايَرَة).

س

سَأْسَأَ أوْ سَعْسَعَ

(سَأْسَأَ خبزَهُ بالدُّهنِ وسَأْسَأَ الْخِرْقَةَ بالسّائلِ حتّى زادَ بلَلَها وكثُرَتِ الرُّطوبةُ فيها).

هكذا نسْتعملُ عبارةَ السَّأْسَأةِ بمعنى كثرةِ التَّرْطيبِ والبَلَلِ بالماءِ أو بالدُّهنِ...

ولم أجدْها لدى كتّابِ فصيح العامّيِّ اللبنانيّين.

وهي في عامّيّةِ مِصْرَ بمعنى ما في عامّيّتِنا؛ قال د.عبدالمُنْعم سيّد عبد العال (معجم الألفاظِ العامّيّةِ..) «نقولُ في دراجتِنا: سَأْسَأَ العَجينَ ونَحوَه: أضافَ إليه الماءَ بباطنِ الكفِّ قليلًا قليلًا، وسَأْسَأْ رِباطَ الجُرْحِ: وضعَ عليه سائلًا مُطَهّرًا لِيَلينَ فَيْخلُصُ الجرحُ منه دونَ إضرار بنزعِهِ. وفي القاموس: سَأْسَأَ بالحمارِ: دعاهُ لِيَشْرَبَ».

قُلْتُ: ولٰكنْ في (القاموس المحيط) أيضًا في: س ع س ع:

«... والسَّعْسَعةُ: تَرْوِيَةُ الشَّعْر بالدُّهْنِ.» ويضيف شارحه الزّبيديّ: «كالسَّغْسَغَة بالغين المُعْجَمة، عن ابن الأعرابيّ..».

فهلْ أبدلَتِ العامَّةُ بالعَيْنِ همزةً؟ وقد عَهِدْنا منهمُ الإبدالَ بالعينِ همزةً كما مرّ معنا في العَبْطِ من الإِبْطِ؟!

أمّا س ق س ق فمعانيها لا علاقةَ لها بهذا الموضوعِ. فلْنَعُدْ إلى لَفْظِها العامّيِّ بالهمزةِ:

وفي (لسان العرب): س أ س أ:

«السَّأْساءُ: زَجْر الحمارِ.. سَأْسَأَ: زَجَرَ الحمارَ لِيَحْتَبِسَ أو يَشْرَبَ.. وقيل سَأْسَأْتُ بالحِمارِ إذا دَعَوْتَهُ لِيَشْربَ وقلتَ له: سَأْسَأْ، وفي المَثَل: قَرِّبِ الحِمارَ من الرَّدْهَةِ ولا تَقُلْ له سَأْ. الرَّدْهَةُ نُقْرَةٌ في صَخْرَةٍ يَسْتَنْقِعُ فيها الماءُ؛.. فإذا جعلت الحمارَ إلى جَنْبِ الرَّدهة فلا تقل له سَأْ. يقال عند الاسْتكمانِ من الحاجة آخذًا أو تاركًا... قال ومعنى قوله: سَأْ، أي اِشْرَبْ فإنّي أُرِيدُ أن أَذْهَبَ بك..».

السِّبْتُ - الصَّبّاطُ (الحِذاء)؟

يقولُ محمّدٌ العدنانيُّ في الصّفحةِ ص من صَفَحاتِ مُقدّمةِ (معجم الأغلاطِ اللغويّةِ المُعاصِرةِ) الّذي طبَعَتْهُ مَكْتَبَةُ لبنانَ ببيروتَ سنة ١٩٨٤م: «..وفي اللغةِ العامّيّةِ عددٌ كبيرٌ منَ الكلماتِ، الّتي طَرَأَ على حُروفِها تغييرٌ طفيفٌ أبعدَها عنِ الفُصحى، فَظَنَنّاها عامِّيّةً، ولو أنعَمنا النّظرَ في أصولِها أو حروفِها، أو حَرَكاتِها، لَرَأَيْنا أنّ ذلك التَّغييرَ اليسيرَ، الذي طَرَأَ عليها، جعلَنا ننفرُ من اسْتعمالِها، فكلمةُ سَبّاطٍ (الحِذاءِ) مثلًا، ليسَتْ مأخوذةً من الكلمةِ الإسبانيّةِ Zapatos، بَلْ هيَ عَرَبِيّةٌ مُحَرَّفَةٌ عَنِ السِّبْتِ وَهُوَ كُلُّ جِلْدٍ مَدْبوغٍ.

فعَلَيْنا البحثُ عن تلكَ الكلماتِ، واسْتعمالُها بعد إرجاعِها إلى أُصولِها، لِنَرْدِمَ جزءًا من الهُوَّةِ التي تَفْصِلُ بينَ الفصحَى والعامِّيَّةِ».

قلْتُ: وَلعَلَّ العدنانيَّ قد هوجِمَ واتُّهِمَ بعدَ نشرِهِ مُعْجَمَهُ الذي قبلَ (معجمِ الأغلاطِ اللغويَّةِ

المعاصرةِ) أيْ: (مُعْجمُ الأخطاءِ الشّائعةِ) الذي نشرَتْهُ له مكتبةُ لبنانَ أيضًا سنة ١٩٧٣م. ولذلكَ فهو يقولُ في الفِقْرةِ التّالية: «وأنا في هذا المعجمِ، وفي توأمِهِ (مُعْجم الأخطاء الشّائعة) لا أُؤَيّدُ اسْتعمالَ الكلماتِ العامِّيَّةِ، كما خُيِّلَ إلى بعضِ النُّقّادِ، الّذينَ قرأوا مقدّمةَ المُعْجَمِ الأوّلِ، ولكنّي أُوثِرُ اسْتعمالَ الكَلِمةِ الفصيحةِ، التي تَتَفَوَّهُ بها العامّةُ على الكلمةِ الفصيحةِ، التي تأبى العامّةُ اسْتعمالَها، أوْ لا تَسْتَحْسِنُه».

قُلْتُ، وكأنّي به أرادَ ولم يَقُلْ أنّ السِّبْتَ العربيّةَ ذهبَتْ إلى الإسبانيّة Zapato، ثمّ عادَتْ صبّاطًا؛ وذكرَها أحمدُ أبو سعدٍ في ص١٧٧ من (قاموس المُصْطلحات والتّعابير الشّعبيّة) الذي نشرَتْه مكتبةُ لبنانَ ببيروت سنة ١٩٨٧م فذَكرَ فيه: «صُبّاط: (من الإسبانيّة: نخلة ل١٧٨) حِذاءٌ أعلاهُ مَشْقوقٌ ومَرْبوطٌ. ج صَبابِيْط».

وإذًا فهوَ يأخذُ رأيَ الأبِ روفائيل نَخْلَة في كتابِهِ (غرائب اللهجة اللبنانيّة السّوريّة) المطبوع في بيروت سنة ١٩٦٢م.

وأعودُ إلى السِّبْتِ في (القاموس المحيط): «جلود البَقَرِ وكلُّ جِلْدٍ مدبوغٍ أو بالقَرَظِ» وفي (أساس البلاغة) «يلبسونَ النِّعالَ السِّبْتِيَّةَ ونِعالَ السِّبْتِ وهو الأَدَم، لأنّ شَعْرَهُ يَسْقُطُ في الدِّباغِ كأنّه سُبِتَ أي حُلِقَ. وَسَبَتَ رأسَه، ورأسٌ مَسْبُوتٌ.. ومن المجازِ أَرُوني سِبْتَيَّ. واخْلَعْ سِبْتَيْكَ».

مُسْبِط وشعره سَبِطٌ

تذكّرت قَوْل عوامّنا: (تَركْتُ المريضَ وهو مُسَبَّط على الأَرْض لا يَتَكَلَّم ولا يَتَحَرَّك «لا مِنْ فَمِه ولا مِنْ كُمِّهِ») وقولهم: (نَعَم هذا الذي شَعْره سَبِطٌ غيرُ مُجَعَّدٍ.).

إذْ قرأت في (تاج العروس..):

«وَأَسْبَطَ الرَّجُلُ فهو مُسْبِطٌ: سَكَتَ.. فَرَقًا.. ومِثْلُه في (اللسان..) وفي (العُباب..): أَطْرَقَ وَسَكَنَ. وأَسْبَطَ بالأَرْض: لَصِقَ بها؛ عن أبي جبلة. وأَسْبَطَ الرّجُلُ إذا وَقَع على الأَرْض وامْتَدّ وانْبَسَطَ مِنَ الضَّرْب أو مِنَ المَرَضِ. وكذلكَ مِنْ شُرْب الدّواء، قاله أبو زيد، ومنه قَوْلُهم:

ما لي أراكَ مُسْبِطًا؟ أيْ: مُدَلِّيًا رأسَك كالمُهْتَمِّ مُسْتَرْخي البَدَن..

ويُقال: دَخَلْتُ على المَريض فَتَرَكْته مُسبطًا لا يَتحرّك ولا يَتَكلّم... وقال الشّاعر:

قَدْ لَبِثَتْ من لَذَّةِ الخِلاط
قد أَسْبَطَتْ وَأَيَّما إسْباط

يَعْني امرأةً أُتِيَتْ فلمّا ذَاقَت العُسَيْلَةَ مَدَّت نَفْسَها على الأَرْض... ويُقال: ضَرَبْتُه حتّى أَسْبَط؛ أي: انْبَسَطَ [قُلْتُ: كُنْت أَسْمَعُ هذا المعنى للبَسْطَةِ في العامّيّة العراقيّة. وهذا الاسْتِطْرَاد منّي حقُّه أن يَكونَ في ب س ط].

وامتدّ على وَجْهِ الأَرْض وَوَقَع عليها فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَتحرَّكَ مِنَ الضَّعْف». ا.هـ. الزّبيديّ.

وأَعُودُ إلى بِدَاية مادّة الْجَذْر: س ب ط:

وأَنْتَقِل إلى ما في (لسان العرب): «السَّبْطُ والسَّبَطُ والسَّبِطُ: نَقيضُ الجَعْدِ والْجَمْع سِباطٌ.. وقد سَبُطَ سُبُوطًا وسُبُوطةً وسَباطةً وَسَبْطًا.. وَشَعْر سَبْط وسَبِطٌ: مُسْتَرسِلٌ.. يَسْبَطُ..، وفي الْحَديث في صِفَة شَعْره: (لَيْسَ بالسَّبْطِ ولا بالجَعْد القَطِطِ). والقَطِطُ: الشّديد الجُعُودَة..

وَرَجُلٌ سَبِطُ الْجِسم وَسَبْطُه: طَوِيل الأَلْواح مُسْتَوِيها بَيِّنُ السَّباطَةِ.

وَرَجُلٌ سَبْطُ اليَدَيْن بَيِّنُ السُّبوطَة: سَخِيٌّ سَمْحٌ

الكَفَّيْنِ. . . وامْرَأة سَبْطَةُ الخَلْق: رَخْصَةٌ لَيِّنَةٌ. وإنّه لَسَبْطُ الأَصَابع: طَوِيْلُها. . والسِّبْط وَلَدُ الابْنِ والابْنَةِ. .

. . وأَسْبَطَ على الأَرْض: وَقَع عليها مُمْتَدًّا مِنْ ضَرْبٍ أو مَرَضٍ. . . وقَوْلُهم: مَا لِي أَرَاك مُسْبِطًا؟ أي مُدَلِّيًا رأسَك كالمُهْتَمِّ مُسْتَرْخِي البَدَن».

إحالة: (سَبَلَ) مع: (فرك) بعنوان: (فرك وَسَبَلَ) في حرف الفاء.

السِّيباط أم السَّاباط؟

في أزقّةِ دمشقَ القَديمةِ إذا رَأَيتَ زُقَاقًا يَمُرُّ به المارُّ مِنْ تَحْت غُرَف مَنْزِل أو مَنَازِلَ مَبْنِيَّةِ الغُرَفِ فَوْق القَنَاطِرِ أو فَوْقَ (السِّيباط)، كما يُقال فإنّهم يُسَمّونَ هذا المَمَرَّ منَ الطّريقِ: (تحت السّيباط)، ولعلّ هذا (السّيباط) مُحَرّفٌ مِنَ السَّاباط المَذْكورِ في مَعَاجِم التُّراثِ.

في (لسان العرب) لابن منظور: «السّاباط: سَقِيفَةٌ بينَ حائطَيْن، وفي المُحكمِ بينَ دارَيْنِ، وزادَ غيرُه: مِنْ تَحتها طريقٌ نافذٌ. والْجَمْعُ سَوابيطُ وسَابَاطَات وقولُهم في المثلِ: أفرغُ من حَجّامِ سَاباطٍ؛ قال الأصمعيّ: هو سَابَاط كِسْرى بالمَدَائن، وهو بالعَجمِيّة بَلاس آباد، وبَلاس اسمُ رجلٍ، ومنه قولُ الأعشى:

فأَصْبَح لم يَمْنَعْه كَيْد وحِيْلَة
بِساباط حتّى مات وهو مُحَرْزَقُ

يَذْكر النُّعْمانَ بن المُنْذِر وكانَ كِسْرى أبرويز حَبَسَهُ بِسَابَاط ثمّ أَلْقَاهُ تحتَ أَرْجُلِ الفِيَلَة. .».

وَوَرَدَ السّاباطُ في (المُعْجَم الوسيط) لمَجْمَع القاهرة وفي (المُعْجَم المدرسيّ) لمحمّد خير أبو حرب ووزارة التّربية السّوريّة. . ويَشْرح الفيروزابادِيّ في (القاموس. .) والزّبيديّ في (تاج العروس. .) قِصّة المَثَل: «أَفْرَغُ من حَجّام ساباط: قِيل لأنّه حَجَم كِسْرى أبرويز مَرّة في سَفَرِه فَأَغْنَاهُ فلمْ يَعُدْ لِلحجَامة ثانيًا؛ أو: لأنّه كان مُلازِمًا ساباط المدائن وكان يَحجمُ مَن مَرَّ عليه من الجيشِ الذي ضَرَبَ عليهم البعث بدانق واحد نَسِيْئَةً إلى يوم قُفُولِهم وكانَ مع ذلكَ يمرُّ عليه الأُسْبُوع والأُسْبوعان ولا يَقْرَبُه أَحَد فحينئذٍ كان يُخرِجُ أمّه فيَحجمُها لِيُرِيَ النّاسَ أنّه غيرُ فارغٍ ولئلا يقرعَ بالبطالةِ فما زالَ ذلك دأبُه حتّى أنزفَ دَمَها وماتَتْ فجأةً فصارَ مَثَلًا؛ قال:

مَطْبَخُهُ قَفْرٌ وَطَبّاخُهُ
أَفْرَغُ مِن حَجّامِ ساباط».

(سِتِّ).

لا يَتَعَصَّبُ القدماء على العامّيّ والدّخيل.

كتبت في: ز ت ت بعنوان: (تَزَتَّت سيّدتي) وأضيف هاهنا:

كِبار الأُدباء وعُلَماء اللغة لا يتشدّدون في اصْطِفاء الفَصاحة، ولا يتعصّبون على العامّيّ والدّخيل؛ فانْظر إلى أبي العلاء المعرّيّ في (رسالة الغفران) وهو يضع هذا الشِّعْرَ على لسانِ ابن القارح في الْجنّة يخاطب الْجارية التي تجتاز به الصِّراط:

«سِتِّ[1] إنْ أَعْيَاكِ أَمْري
فاحْمِلِيني زَقَفُوْنَهْ[2]

(١) عن (التّاج) وقولهم: سِتِّي، للمرأة، أي يا سِتَّ جهاتي، كأنّه كِناية عن تملّكها له، هكذا تأوّله (ابن الأنباريّ)، أو هو لَحْن كما في (شِفاء الغَليل) للخَفَاجيّ، عامّيّة مُبْتَذَلَة، كذا قاله، والصّوابُ: سَيِّدتي. ويُحْتَمَل أنْ يكونَ في الأصْل: سَيِّدتي، فَحُذِفَ بعض حروف الكلمة وله نظائر. والظّاهر أنّ الحذف سماعيّ.

(٢) يَرى سير (تشارلس ليال) في إشارة بَعَثَ بها إلى المُستشرق نيكلسون، أنّ هناك صِلَة بَيْن زَقَفُوْنَهْ

فقالَتْ: وما زَقَفُوْنَه؟ قُلت: أنْ يَطْرَح الإنسانُ يَدَيْه على كَتِفَيْ الآخَر، ويُمْسِك الحامل بِيَدَيْه ويَحْمِلَهُ وبَطْنُه إلى ظَهْره؛ أما سمعتِ قول (الجحجلول) من أهل (كَفْرطابَ)؟

صَلَحَتْ حالَتي إلى الخَلْفِ حتّىٰ
صِرْتُ أمشي إلى الوَرَىٰ زَقَفُوْنَهْ

فقالت: ما سَمِعْتُ[1] بِزَقَفُونَهْ، ولا الجحجلول ولا كَفْرطابَ، إلا السّاعةَ...».

وفي حاشية الدّكتورة بنت الشّاطئ (عائشة عبدالرَّحمٰن) في دراستها رسالةَ الغفران تجد: أرقام الحواشي مشروحة هكذا:

سَرَّحَ

أُسَرِّحُ شَعْرِي وَلُغَتِي وشِعْرِي

اعْتادَ أَساتِذَتُنا، حين يَطلبونَ مِنّا أنْ نَضيفَ في دَرْسِ التَّعْبيرِ نَشاطَنا اليوميّ مُنذ أنْ نُفِيقَ من النَّوْم، أنْ يَسْتَبْدِلُوا بعباراتِنا وَمُفْرَداتِنا المَأْثُورَةِ عن العامِّيَّةِ ما يَرَوْنَهُ أَفْصَحَ منها، فلا يُقْبَلُ من التِّلْميذ أنْ يقولَ: سَرَّحْتُ شَعري، فَيُلَقِّنُوْنَنَا - كَثَّرَ اللهُ خَيْرَهُم -: رَجَّلْتُ شَعري؛ وَتَرْجِيلُهُ فصيحٌ ولٰكنّهُ غيرُ مأنوسٍ فهو غير حَيَوِيّ في التَّعبيرِ الوصفيِّ المطلوب؛ ومعروفٌ ما لهذا الأُسْلوبِ التَّرْبَوِيّ من المحاذير.. أمّا تَسْرِيحُ الشَّعر فعبارةٌ مُعْجَمِيَّة، ولٰكنَّ القِلَّةَ الذين يَسْتَخْدِمون المُعجَمَ يَنْدُرُ منهم الذين يَتَفَحَّصُون كلّ لفظةٍ من ألفاظ مادَّة الجذر الثُّلاثيّ الذي يَتْعَبون حتّى يَتَوَصَّلُوا إلى مُكاشَفَتِهِ.. ومُعجمُنا العربيُّ - لا بُدَّ له أنْ يكون بَحْرًا قاموسًا لِيَكونَ مُحيطًا بِهٰذِهِ اللُّغَةِ الكُبْرىٰ.. ولعلَّ بعضَ المُؤَلِّفينَ فيه يُحِبّونَ أنْ يَبْدَؤُوا المادَّةَ اللغويّةَ من معانيها الغريبة والمجهولة، لِسَبَبِ التَّعْليم، فيؤخّرون ذِكْر المعنى المَأْنوسِ المألوفِ المعروف عن مُقَدِّمَةِ الشَّرْح والتَّعْريف، دفعًا لِمَلَلِ المُتَعَلِّم من تعريفهِ بالمعروفِ الذي لا يَحتاجُ إلى تعريفه..

ولٰكنْ في عصرِ السُّرعةِ هذا.. يَقِلُّ التَّتَبُّعُ والاسْتِقْصاءُ حتّى بلوغ الخواتيم.. فَيَقِلُّ وصولُ قُرّاءِ المعجمِ إلى المعاني الشّائعةِ والمُسْتَعْمَلَةِ والتي ما تزالُ حَيَّةً دارِجَةً على الألسنةِ، وهكذا يهجرُها المثقَّفون الفحولُ مِن ذوي الفصاحةِ والذين هم على عُلُوِّ كَعْبٍ منها.. حتّى يُظَنّ كلُّ لَفْظٍ مَأْنوسٍ وحَيَوِيٍّ ودارجٍ عامِّيًّا، فتبدأُ مكافحتُه وهجرانُه ومقاطعتُه، وَيَهْجُرُهُ بعدَ ذلك العوامُّ أيضًا لأنَّهم حريصونَ على تقليدِ كلامِ الطَّبَقةِ المُثَقَّفةِ الممتازةِ.. فهم بهذا التَّمييزِ اللغويِّ قد يَصِلونَ إلى بعضِ مظاهرِ التَّمايُزِ الاجتماعيِّ؛ كما عَبَّرَ عن هذهِ الظّاهِرة الإيرلنديّ (جورج برنارد شو) في مسرحيّة (پجماليون) التي أخذت في العربيّة، عنوانَها من فيلم (هوليوود): (سيّدتي الجميلة).

وهاأنذا أجدني محتاجًا، لكي أُفَسِّرَ لأساتذتي المُرَبّين والكُتّاب.. أسبابَ إهمالهم (:تَسْريح الشَّعر) أنْ أستنجدَ بعُلماء العلومِ الإنسانيّةِ المُتَفَرِّعةِ في شَتّى عُلومِ العُمران البشريّ والاجتماع والتّربية، وعلم النّفس للجماعات.. وتطوّر علوم اللِّسانيّات وفقه اللغة الحديث وتخصُّصاتها المُعاصرة، وآدابها وفنونها.. إلخ.. ثمّ لا أنسىٰ أنْ أذكّرهم بأنّ في (القاموس المحيط) للفيروزابادي: «والتَّسْريح: التَّسْهيل، وحَلُّ الشَّعْر وإرساله». والتَّسْهيل؛ في عامّيّة

=وبَيْن الكلمةِ السّريانيّة التي تقابل: Elevatus, Spensus, ويقول نيكلسون معلّقًا: إنّها تؤدّي تمامًا المعنى المطلوب. Crucified

(١) علّق نيكلسون على قول الجارية بأنّ جهله يساوي جهلها تقريبًا، فلم يَسْمع قطّ بالجحجلول، ولا اسْتطاع أنْ يَجِدَ خبرًا عنه أو عن زَقَفُوْنَهْ.

الجزائريّين: تَسْريح اللِّسان باللُّغة، (فلغة فلان مُسَرَّحَة) أي: مُسَهَّلة. وفي (معجم مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس: «س ر ح: أصل يدلُّ على الانطلاق». وكلُّ هذا يتكرّرُ في أغلبِ المعاجم أو يكادُ، وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «سَرَّحَ الصِّبْيانَ والدّوابَّ، وسَرَّحَ إليه رسولًا. وَسَرَّحَت شعرَها: مَشَّطَتْهُ. وَسَرَّحَ الشّاعر الشِّعْرَ؛ قال جرير:

أَلَمْ تَعْلَمْ مُسَرَّحِيَ القَوافي؟
فَلَا عِيًّا بِهِنَّ ولا اجْتِلابا».

السَّطّام والمَسْطوم

سَطّام من أسمائِهم في القَرْن الماضي في الشّامِ قَبْل انْتِصافِ القَرْنِ العِشْرين. وسَطْمُ المَجارِي: انْسِدَادُها؛ في أيّامنا!

ولِنَتَأَمَّل في التَّطَوُّرِ من الفصيح إلى العامّيّ نعودُ إلى رأيِ ابن فارس في أَصْلِ: س ط م في (مقاييس اللغة): «أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على أصلِ شيءٍ ومُجتَمَعِهِ. يقولونَ: الأَسْطُمُّ: مُجْتَمَع البحر. ويقال: هذه أُسْطُمَّةُ الحَسَبِ، وهي واسطَتُه. والنّاسُ في أُسْطُمَّةِ الأمرِ...».

وفي (أساس البلاغة): «حَرِّكِ النّارَ بالإِسْطَامِ. وسَيْفٌ مَصْقولُ السِّطام، وهو الحَدّ.. ومنَ المجاز: لَيْلُ طَمَا أُسْطُمُّه. وهو في أُسْطُمَّة قُرَيْشٍ: في وَسَطِهِم» وكذلك في (أساس البلاغة..) و(القاموس..).

وفي (المعجم الوسيط): «سَطَمَ البابَ يَسْطُمه سَطْمًا: رَدَّهُ».

قُلْتُ: [توسَّعَتْ عامَّتُنا في اسْتعمالاتِ معنى السَّطْمِ].

وفي ردّ العامّيّ إلى الفصيح (سطم السّكة..).

وفي لهجة دمشق اليوم: (البلّوعة مَسْطومة؛ والمَجاري غير مَسْطومة) وفي (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) لأحمد رضا: «سَطَمَ سكَّةَ الحرث..؛ إذا وَصَلَها.. بالسّطام». وقال بعض المُتَأَخِّرين: إنّ سَطَمَ إِرَمِيَّةٌ من: لَمَّ أو سَدَّ.

تَبادُل الإبدالتَيْن الْهَمزة والْعَين والفَاء والقاف

سَفَأَ أَمْ سَفَعَ وصَفَعَ وصَقَعَ أَمْ صَفَقَ

في صَعيد مصرَ سَمِعْناهم يلفظونَ الهمزةَ عَيْنًا، فهلْ لفظَ الدّمَشقيّونَ العَيْنَ همزةً حين حوّلُوا سَفَعَ إلى: سَفَأَ؟ إذْ لم أجدْ فيما تَيَسّر لي مِنَ المَعَاجِمِ مادّة الْجَذر س ف أ.

ولٰكنّي وَجَدْتُ المعنى في سَفَع وصَقَعَ وصَفَق.. وَمِنْ بَعْض مَعانيها كُلّها الضّرْبُ بالكَفِّ المَبْسُوطةِ، فإذا قَبَضَ الضّاربُ كفَّهُ فَلَيْسَ بِصَفْعٍ.. إلخ..

كما تقولُ أغلبُ المعاجِم المُتَدَاوَلة وكما هو معروفٌ لا يَحْتاج إلى تَعريف.

وفي مِصْرَ يَقولونها بالعَيْن فقد قال د. عبدالمُنعِم سيّد عبدالعال في (مُعجِم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارِجَتِنا: سَفَعَ فلانٌ فلانًا كفًّا على وَجْهِه: لَطَمَهُ وضَرَبَهُ بكفِّهِ. وفي القاموس: سَفَعَ فلانٌ فلانًا: لَطَمَهُ وَضَرَبَهُ».

قلتُ: ويقولون أيضًا في المُسَلْسَلاتِ المصريّةِ: (أدّى له بالأَلَم على وَجْهه).

ولِكَيْ لا أُطِيل أَكْتَفي بأَصْل المعنى لدى ابن فارس في مَقَاييسِ اللغةِ فَعِنْدهُ الصَّفعُ والصَّقعُ والصّفقُ بمعنى الضَّرْب في بَعْض أُصُول مَعانيها؛ أمّا السَّفْعُ بالسّين فهو الأَخْذ بالْيَدِ، ومعنى الضَّرْب مَحْمُولٌ عليه حَمْلًا.

السّاقِطَة واللاقِطَة

من فصاح الأمثال العامّيّة:

لِكُلّ ساقطة لاقطة

ما أكثرَ ما سَمِعْنا العامَّةَ عِنْدنا يقولون: (كُلُّ ساقطة ولها لاقطة) [ومَوْقِع الواو قَبْل لها يُذَكِّرُ بموقعها في مِثْل قولهم: (كلّ عام وأنتم بخير)]..

فهل تُفاجأ إذا قَرَأْت لأبي مِسْحَلٍ الأعرابيّ في (كتاب النَّوادر)[1] في اللغة:

«ويُقال: لِكُلِّ ساقِطَةٍ لاقِطَةٌ. وذلك عند التّحذير. تُحَذِّره أنْ يُسْقِطَ في كَلامِهِ، فَيَلْتَقِطَهُ النَّمّامُ». ويقول المُحقِّق في الحاشية: «هذا مَثَلٌ يُضْرَب في التَّحفُّظِ عندَ النُّطق. والمعنى: لِكُلِّ كلمةٍ ساقطةٍ أُذُنٌ لاقطة، أيْ لِكُلِّ ما نَدَرَ من الكلام مَنْ يسمعه ويُذيعه. (وانظرْ الميدانيّ ٢/ ١٩٣ والصِّحاح واللسان: لقط)».

سَكّر = سَدَّ أو سَكَّ أو صَكَّ

في آيِ الذّكر الحكيم، في السّورة الخامسة عشرةَ، سورة الحجر، الآية الرّابعة عشرةَ والخامسة عشرةَ، وبعد: بسم الله الرّحمن الرّحيم: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بابًا من السَّماء فَظَلُّوا فيه يَعْرُجُون لَقالُوا إنّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُوْرُوْن﴾.

والتَّسكير نقيض الفَتْح في عامّيّة الشّام، فيقولون: سكّر الباب وقد وَجَدْتُ هذه العبارة مُنْتَشِرَةً بين سكّان وادي الميزاب في جنوبي الصّحراء الجَزائريّة، ذلك أنّ أجداد المِيْزابيّين مهاجرون من الشَّرق من بقايا الخوارجِ الإباضيّة كما يقولون، أمّا في بقيّة أنحاء الجزائر فَيَسْتَعْمِلون العِبارة: غلّق الباب..

وهذا المعنى المجازيّ للتّسْكير ظنّه بعض المُعاصرين عامّيًّا، ففي كتاب (الدّليل إلى مُرادِف العامّيّ والدّخيل) تأليف رشيد عَطِيّة اللبنانيّ سنة ١٨٩٨م في بيروت: «سَكَّر البَابَ: مُحَرَّفةٌ من سَكَّ البابَ؛ أي: سَدَّه وشَدَّهُ وضببه». وقد وَرَدَت العبارة: «سكّ البابَ: أَغْلَقَه، والأصْل فيها صَكَّ» في العبارات الدّارجة المِصْريّة كما في «مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة، تأليف د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال: القاهرة سنة ١٩٧١م».

وكَتَب صلاحُ الدّين سعدي الزّعبلاويّ في زاوية (أخطاءٌ شائعةٌ في جريدة الثَّورةِ الصّادرة بدمشقَ سنة ١٩٨٧) ما مَفَاده أنّ: في مَجَلَّةِ مَجْمَع مِصْرَ الجزء أو العدد الرّابع أنّ سَكَّرَ عامّيّة!.

ولٰكنّ هذا المعنى المَجازيَّ للتّسكير الذي يُسْتَعْمَل في الدّارجة الشّاميّة، معنًى واردٌ منذ القديم في كُتُب المُعْجَم العربيّ التُّراثيِّ؛ وخُذْ مَثَلًا (لسان العرب) لابن منظور المِصريّ الخَزْرجيّ:

«.. قال مجاهد: سُكِّرَت أبصارُنا؛ أي: سُدَّت؛ قال أبو عُبيد: يذهب مُجاهدٌ إلى أنّ الأبصارَ غَشِيَها ما مَنَعَها من النّظر كما يَمْنَع السَّكْرُ الماءَ من الْجَرْيِ؛ فقال أبو عُبَيْدة: سُكِّرَتْ أبصارُ القوم إذا دِيرَ بِهِم وغَشِيَهُم كالسَّمادِيرِ فلم يُبْصِرُوا؛ وقال أبو عمرو بن العلاء: سُكِّرَتْ أبصارُنا مأخوذٌ من سُكْرِ الشَّراب كأنّ العَيْن لَحِقَها ما يَلْحَق شاربَ المُسْكِرِ

(١) ص ٤٠١ من ج ١ من (كتاب النّوادر) في جزأين. تأليف: أبي مِسْحَل الأعرابيّ؛ عبد الوهّاب بن حريش، من روّاد اللغة في أواخر القرن الثّاني وأوائل الثّالث من الهجرة؛ أي أواخر القرن الثّامن الميلادي. طُبع في دمشق سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م في مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، بتحقيق الدكتور عزّة حسن.

إذا سَكِرَ؛ وقال الفرّاء: معناه حُبِسَتْ وَمُنِعَتْ من النَّظَر. الزّجّاج: يُقال سَكَرَتْ عَيْنُه تسْكُرُ إذا تحيَّرت وسَكَنَتْ عن النَّظَر، وسَكَرَ الحَرُّ يَسْكُر..

وسَكَرَ النّهرَ يَسْكُرُهُ سَكْرًا [كما في: (المصباح المنير) أيضًا]: سَدَّ فاه. وكلُّ شَقٍّ سُدَّ فقد سُكِرَ، والسِّكْرُ(*) ما سُدَّ به. والسَّكْرُ: سَدُّ الشَّقِّ ومُنْفَجَرِ الماءِ. والسِّكْرُ: اسمُ ذلك السِّدادِ الذي يُجْعَل سدًّا للشَّقِّ ونَحْوِه. وفي الحديث أنّه قال لِلْمُسْتَحاضَةِ لمّا شَكَتْ إليه كَثْرَةَ الدَّمِ: «اسْكُرِيه»؛ أي: سُدِّيه بِخِرْقَةٍ وشُدِّيه بعصابةٍ، تشبيهًا بِسَكْرِ الماء. والسَّكْرُ المصدر. ابن الأعرابي: سَكَرْتُهُ مَلأْتُهُ. والسِّكْرُ، بالكسر، العَرِمُ. والسَّكْرُ أيضًا: المُسَنَّاةُ، والْجَمْع سُكُورٌ. وسَكَرَتِ الرّيحُ تَسْكُرُ سُكورًا وسَكَرانًا: سَكَنَتْ بعدَ الهُبوبِ. وليلةٌ ساكِرَةٌ: ساكنةٌ لا ريحَ فيها؛ قال أَوْسُ بنُ حَجَرٍ:

تُزادُ لَيالِيَّ في طُولِها ... فَلَيْسَتْ بِطَلْقٍ وَلاْ ساْكِرَةْ

أبو زيد: الماء السّاكِرُ: السّاكن الذي لا يَجْري؛ .... وَسَكَّرَهُ تسكيرًا: خَنَقَه؛ والبَعيرُ يُسَكِّرُ آخر بذراعه حتّى يكادَ يقتلُهُ..». ا.هـ. ابن منظور.

وكذلك في (القاموس.. والتّاج..) وفي (أساس البلاغة): «..وَبَثَقُوا الماءَ وَسَكَرُوه: فَجَروه وَسَدُّوه، والبِثْق والسِّكْر: ما يُبْثَقُ وَيُسْكَرُ».

وفي (محيط المحيط) للبُسْتانيّ: «..والعامّة تقول: سَكَّرَ الشيءُ أي: صار كالسُّكَّر. وفلان البابَ: أَوْصَدَه».

وفي الدّارِجَة المِصريّة يقال: (سَنْكَرَ) فَتُبْدَلُ بالكاف الأولى النُّون وِفْق قاعدة المخالفة كما يقول د.عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

السُّكَّرَةُ والشَّمَنْدَر والقَصَب

(فلان سُكَّرَة) أي حُلْوُ الشّمائل محبوبٌ جميل الطِّباع.. لم يُضِف ابن منظور السُّكَّر إلى القَصَب في: ق ص ب. ولٰكِنْ ذَكَر في: القَنْد أنّه عَصِير قَصَب السُّكَّر أو العِنَب المَطْبُوخ، ولم يَذْكُر الشَّمَنْدَر والشَّوَنْدَر في (اللسان..) ومع ذلك فالعرب - في قَوْلِنا المُعاصِر - هم الذين عَلَّمُوا الشُّعوب صِناعَة السُّكَّرِ وأَعْطَوا اللُّغات اسْمَه العَرَبيّ الذي يقول عنه ابن منظور: فارِسيّ مُعَرّب، ولم أَجِدْه في (قاموس الفارسيّة) ل.د. عبدالنّعيم محمّد حسنين بالسّين ولٰكنّ (القاموس) دَلّني على أنّه (مُعَرّب شَكَر) وفي (قاموس الفارسيّة): (شَكَر) السُّكَّر، العصير الحلو الذي يُؤْخَذ من قَصَبِ السُّكَّر أو البَنْجَر..

وفي (مُعجم الشِّهابيّ في مُصْطَلَحات العلوم الزّراعيّة: إنكليزيّ عربيّ) التي أَصْدَرَتْه مكتبة لبنان بيروت:

«السُّكَّر: سَنْسَكْرِيتِيَّة انْتَقَلَت إلى الفارِسيّة والعربيّة، ومن العربيّة إلى لُغات أُورُبِّيَّة. والقَنْد والقَنْدَةُ والقِنْدِيد من السَّنْسَكْرِيتِيّة تَدُلّ على السُّكَّر المُصَفَّى المُسَمَّىٰ في سُورِيَة سُكَّر النَّبات. وطبرزد؛ في سكّر طبرزد من الفارسيّة بمعنى المُقَطَّع بالطبر.

وكاندي «Candy»: الإنْكلِيزيّة من قَنْد المُعَرَّبَة. وهي عندهم تُطْلَق على سُكَّر يُطْبَخ في الماء حتّى يَصِير عَقِيْدًا ثمّ يُجَفَّف بِتَبَخُّر الماء تَبَخُّرًا بَطيئًا فَيَتَبَلّر السُّكّر....».

يقول ابن مَنْظور في (لسان العرب) س ك ر:

«والسُّكَّر من الحَلْواءِ: فارِسيّ مُعرّب؛ قال:

(*) ويستعمل «السِّكْر» في عاميّة الشام بمعنى: الصنبور الذي يقطع الماء.

يَكونُ بَعْدَ الحَسْوِ والتَّمَزُّزِ
في فَمِهِ مِثْلَ عَصيرِ السُّكَّرِ

والسُّكَّرَة: الواحدة من السُّكَّر. وَقَوْل أبي زِياد الكلابيّ في صِفَة العُشَرِ: وهو مُرّ لا يَأْكُله شيء ومَغافيرُه سُكَّر؛ إنّما أَراد مِثْل السُّكَّرِ في الحَلاوَة. وقال أبو حنيفة: والسُّكَّرُ عِنَبٌ يُصِيبُه المَرَقُ فينتثرُ فلا يبقى في العُنْقُودِ إلّا أَقَلّه، وعَناقِيدُهُ أَوْساط، وهو أَبْيَضُ رَطْبٌ صادِق الحَلاوَة عَذْب من طَرائف العِنَب، وَيُزَبَّبُ أيضًا».

ويُضيف الزّبيديّ في (تاج العروس): س ك ر:

«وَنَقَل شَيْخُنا عن بعض الحُفّاظ أنّه جاء في بَعْض أَلْفاظ السُّنَّة الصَّحَيحة في وَصْف حَوْضه الشّريف - ﷺ - ماؤُه أَحْلَىٰ مِنَ السُّكَّر، قال ابن القيّم وغيره: ولا أعرف السُّكَّر جاء في الحَدِيث إلّا في هذا المَوْضِع وهو حادِث لم يَتَكَلَّم به مُتَقَدِّمو الأَطِبّاء ولا كانوا يَعْرِفونه. . . .

. . . نَوْع مِنْه شَدِيدُ الحَلاوَة ذَكَره أبو حاتِم في كِتاب (النَّخْلَة) والأَزْهَرِيّ في (التَّهْذِيب. .) وزادَ الأَخير: وهُو مَعْروف عِنْد أَهْل البَحْرَين؛ قال شَيْخُنا: وفي سجلماسة ودرعة. قال: وأَخْبَرَنا الثِّقات أنّه كَثِير بمدينة الرّسول - ﷺ - إلّا أنّه رَطْب لا يتمر إلّا بالعلاج. . والسّكّر عِنَب يُصِيْبه المَرَق فَيَنْتَثِر؛ . . والمَرَق - بالتّحريك - آفَة تُصِيْبُ الزَّرْع. . . والسُّكَّرة ماءة بالقادسيّة؛ لحلاوة مائها. . . .». وفي عصرنا يستخرج السّكّر من عصير القَصَب في كوبا ومصر، ومن (الشَّوَنْدَر أو الشمندر) في الشّام ولم أجدهما في معجم، واسمه في مصر: البنجر، وفي (قاموس الفارسيّة) «البنجر: السِّلق. . ويصنع منه السُّكَّر». .

وللزبيديّ: في (التّاج. .) س ل ق:

«. . والسّلْق: بَقْلَة مَعْرُوْفة؛ قال ابن شُمَيْل هي الجُغُنْدَر أي بالفارسيّة، وفي بعض الأُصُول الجكندر. وهو نَبْت لَهُ وَرَق طِوال وأَصْل ذاهِب في الأَرْض وَوَرَقه رَخْصٌ يُطْبَخ. . وقال الصّاغانيّ: بل هو عَرَبِيّ صحيح [السّلق]».

قلت: ولٰكنّ وصف السِّلق لدى الفيروزاباديّ والزبيديّ يَدُلُّ على ما نُسَمّيه السِّلْق اليوم، ولا عَلاقَة بَيْنَه وبين الشَّمَنْدَر غَيْر كَوْنِهما من النَّباتات.

ولم يَزِد البُسْتانيّ في (محيط المحيط) مزيدًا. ولٰكن (. . الوسيط) معجم مجمع القاهرة فصّل:

«السُّكَّر مادَّة حُلوة تُسْتَخْرَج غالِبًا من عصير القَصَب أو البَنْجَرِ، وَقَصَبُه يُعْرَف بِقَصَب السُّكَّر». ولٰكنّك تفتّش عن (البَنْجَرِ) في (. . الوسيط) ذاتِهِ فَتَجِد حَوْلَ مادَّتِهِ عددًا من النَّباتات ذات الأَهَمِّيَّة الأَقَلّ، و(البَنْجَر) مُهْمَل في محلّه منه؛ فإذا قلت: هو (الشَّمَنْدَر) أو (الشَّوَنْدَر) في بِلاد الشّام فليسا فيه أيضًا، والأسْماء الثَّلاثَةُ لَهُ؛ أي: مع البَنْجَر؛ المصريّ: لم أَجِدْها في أُمّهات كُتُبِ اللُّغَة والمُعْجَم القَدِيم والحَدِيث! ووجدت في (المُنْجد) للويس معلوف: «الشَّمَنْدر والشَّمَنْدُر: نباتٌ غليظُ الأصل يُتَّخَذُ منه السُّكَّر». فقلت: لا يُشيرُ صاحبُ المُنجد إلى مَصْدره، ولا يُثْبت فصاحة الكلمة أو ينفيها، ويرى «الشَّمندر هو الشَّمَنْدُور» فقلت: أَعْرِفُ أنَّ الشَّمَنْدُور لَيْس نَباتَ الشَّمَنْدَر وإنّما الشَّمَنْدور صَمْغ اللَّبَنِ الحَليبِ أَوَّلَ ما تَلِدُ الشّاةُ أو البَقَرَة، وكذلك ما كَتَبَهُ حَليم دَمّوس في (قاموس العَوَامّ): «الشَّمَنْدور (الشّاة) فاسد والصَّحيح: صَمْغ». وفي عامّيّتنا: الشَّمَنْدُور كما قال حليم دمّوس وليس كما قال صاحب المنجد.

ومِثْلُهُ أَحْمَد أبو سعد في ص١١٨ في (قاموس المُصْطَلَحات والتَّعابِير الشَّعْبِيَّة): «شَمَنْدَر: مُعرّب قديم من الفارسيّة (شفندر): روفائيل نخلة (غرائب

اللغة العربيّة ٢٥٢)..... وبعضُهم يلفُظه شَمَنْدور».

وأمّا في: (معجم الشِّهابيّ في مُصطلحات العلوم الزّراعيّة: إنكليزيّ عربيّ) الذي أصدَرَتْه مكتبة لبنان ببيروت فهو «شوندر: شَمَنْدَر بَنْجَر صَوْطَلَة: الأولىٰ والثّانية تُسْتَعملان في الشّام والعِراق وهما من أصل فارسيّ.. أمّا البَنْجَر فَتُسْتَعْمَل في مِصْر حيث اقْتَبَسوها عن الأَتْراك والكَلِمات الثّلاث غَيْر مَوْجُودَة في الأُمّهات ولا في (المُفْرَدات..) أمّا الصّوطَلَة وهي مِن أَصْل يُونانِيّ فَمَوْجُوْدَة في (المُفْرَدات..)».

قلتُ: وَجَدْتُ في (قاموس الفارسيّة) ل: د.عبدالنّعيم محمّد حسنين: «جُغُنْدَر: البَنْجَر، السِّلق، وهو يُسْلَقُ وَيُؤْكَل ويُصْنَع منه السُّكَّر».

أمّا قَصَبُ السُّكَّر؛ ويُشير البُستانيّ في (محيط المحيط) إلى تسميته العامّيّة عندنا (قَصَب مصّ)؛ وفي (لسان العرب) لابن منظور عن: «ابن برّيّ: والمُصّان: قَصَب السُّكَّر، عن ابن خالَوَيْهِ، ويُقال له أيضًا: المُصابُ والمَصوب». ولم أجدْ المُصّان في (القاموس..) ولٰكنّ الزّبيديّ في مُسْتَدْرَك (التّاج..) ذكره.. ولقد سَمِعْت بَيْتَيْن من الأَحاجي والأَلْغاز في قصب السُّكَّر:

مُهَفْهَفَةِ الأَذْيالِ عَذْبٍ مَذاقُها
تُحاكي القَنا لٰكن بِغَيْرِ سِنانِ
وَيَرْجُو جَمِيْعُ النّاس مِنْها مَحَبَّةً
وَتُؤْكَلُ بَعْدَ العَصْرِ كُلَّ أَوانِ

سَلَتَ

يُسْتَعْمَل هذا الفِعْل الفَصِيح المُتَعدّي لازِمًا في عامّيّتِنا في الشّام، ولا يَكاد يَخْتَلِف إلّا في مَسْأَلة التّعدّي إلى المَفْعول. فهو في الفَصِيح: سلته وإلّا في تعميم معنى الرَّمْي والإلْقاء بَعْدَ أَنْ كانَ القَشْرُ والرّمي...

وأَصْل معنى س ل ت لدى ابن فارس في (مَقاييس اللغة): «جَلْفُ الشَّيْءِ عَنِ الشَّيْءِ وَقَشْرُهُ»: وفي (القاموس المحيط):

«سَلَتَ المِعَى يَسْلُتُ وَيُسْلِتُ أَخْرَجَه بِيَدِه. والأَنْفَ: جَدَعَه. والشَّعْرَ: حَلَقَهُ. والشّيْءَ: قَطَعَه. ودَم النُّدبَة: قَشَرَه حتّى أظْهَرَ دَمَها. والقَصْعَةَ مَسَحَها بِإِصْبَعِه كاسْتَلَتَها. والمرأةُ الخِضابَ عن يَدِها: ألقت عنه العُصْمَ و.. والسُّلاتة ما يُسْلَتُ وانْسَلَتَ عنّا انْسَلَّ مِنْ غَير أنْ يُعْلَمَ بِه. والمَسْلُوت: الذي أُخِذَ ما عليه مِنَ اللَّحْم.. و.. وذهب منّي فَلْتَةً وَسَلْتَةً؛ أي: سَبَقَني.».

وفي (أساس البلاغة) و(المصباح المنير) كما في (القاموس) وكذلك البستانيّ في (محيط المحيط) لم يَذْكر زِيادَة عنْ عامّيّتها!

وفي (اللسان..) و(التّاج..) في مُسْتَدْرَك التّاج: «..في حديث عُمر - رضي الله عنه - فَكانَ يَحْمِلُه على عاتِقِه ويُسْلِتُ خَشْمَه أيْ مُخاطَهُ عن أَنْفِه».

(وَذَهَبَ منّي الأَمْر فَلْتَةً وسَلْتَةً أي سَبَقَني وفاتَني)..

قُلْتُ: فالعامّة في الشّام مَنَعَتِ الفِعْل: سَلَتَ، من التّعدّي، وأَلْزَمَتْه باللزوم، ثمّ عَدَّتْه بِتَضْعِيفِه، أي: صيّرته مُتَعدّيًا في قَوْلِها: (سَلَّتَهُ من يده فَسَلَتَ منه.. بمعنى: أَوْقَعَه مِنْ يَدِه فَأَفْلت منه..).

السِّلْعَة

(فلان سِلْعَة) معناها، في عَامّيّتنا، أنّه يتلكّأ في دَفْعِهِ ما عليه مِنْ حُقوق الآخَرين، ولا يكاد يَدفعُ

لصاحبِ الحقِّ.. إلّا مُكْرَهًا.

وقد يُظَنّ أنّه يُشبَّه بالسِّلْعة التي هي المَتاع المُتاجَر به؛ ولٰكن للسِّلْعة أيضًا مَعانٍ أخرى يَصِحُّ أنْ يكونَ التَّشبيه مأخوذًا مِنْ بعض صِفاتها، ومنها: الغُدَّة الدّائصة في الْجَسَد، أو: الجَدَرَة تَخرُجُ بالرّأس تَمورُ بَيْن اللحم والْجِلد إذا حرَّكتها.. أو: عَلَق الماء.. أو غيرها... ولم أَجِدْها لَدى كُتّابِ فِصاح العامّيّة، غيرَ أنّي وَجَدْت البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط) يقولُ: «والسِّلْعة: المَتاع... و... والمُوَلَّدون يخُصّونه بالرَّديّ من الأمتعة، ويُطْلِقُونه على الرَّجُل الضّعيف الهِمّة الذي لا يقوم بحقّ ما يَسْتَعْمِلُه». فماذا في المعجم القديم؟

في (أساس البلاغة):

«هذه سِلْعَة مُرْبِحَة، وهي من أربح السِّلَع: وهي: المَتاع المَتْجُور فيه. وتقولُ: ما هذه سِلْعَة، إنّما هي سلعة: وهي: الغُدَّةُ الدّائصة، وبالفَتْح: الشَّجَّة، وَرَجُلٌ مسلوع فيهما».

وفي (لسان العرب:) (كما في القاموس.. والتّاج..):

«السَّلَعُ: البَرَص.. والسَّلَعُ: آثار النّار بالْجسد... وسَلِعَ جِلْدُه بالنّار سَلَعًا وَتَسَلَّع: تَشقَّقَ. والسَّلْع: الشَّقُّ يكونُ في الْجِلْد و... في العَقِب، والْجَمْع سُلُوع.. والسَّلْع: الشَّقُّ في الجَبَل كهيئة الصَّدْع وجَمْعُه أَسْلاع وسُلوع، وروَاه ابنُ الأعرابيِّ واللحيانيِّ: سِلْع...

وسَلَعَ رَأْسَه يَسْلَعُه سَلْعًا فانْسَلَعَ: شَقَّهُ. [وفي التّاج: ضَرَبَ رَأْسَه بالعصا فَسَلَعَه] وسَلِعَتْ يَدُه وَرِجْلُه وَتَسَلَّعت، تَسْلَعُ سَلَعًا مثل: زَلِعَتْ وَتَزَلَّعَت، وانْسَلَعَتا: تَشَقَّقَتا؛ قال حكيم بن مُعَيَّةَ الرَّبَعيّ؛ [وفي التّاج هو أبو محمّد الفقعسيّ، وفي: ك ل ع رُويَ هذا البيتُ لِعكاشة السّعدي]:

تَرَىٰ بِرِجْلَيْه شُقوقًا في كَلَعْ
من بارئٍ حِيصَ، ودامٍ مُنْسَلِعْ

والسِّلْعَة: ما تُجِرَ به، وأَيْضًا: العَلَق...

والسِّلْعة: الصِّنواةُ، وهي زيادة تَحْدُثُ في الجَسَدِ مثل الغُدَّة؛ وقال الأزهريّ: هي الجَدَرَةُ تَخْرُج بالرَّأس وسائر الجَسَدِ تَمور بَيْن الجِلْد واللحم إذا حَرَّكْتها، وقد تكونُ لِسائر البَدَن بَيْن العُنُق وغيره، وقد تكون من حِمَّصة إلى بِطِّيخَةٍ.

وَرَجُلٌ أَسْلَع: أَحْدَب. وإنّه لَكريم السَّلِيعَةِ أي الخَلِيْقة.

وهما سِلْعانِ وسَلْعانِ أي مِثْلان. وأَعْطاه أَسْلاعَ إِبِله: أي أَشْباهَها... وهذا سِلْعُ أي مِثْلُه وشَرْواهُ.. عن ابن الأعرابيّ لم يخصّ به شيئًا دون شيء. والسَّلَعُ: سَمّ... ونبات، وقيل: شَجَر مُرّ؛ قال بشر:

يسومون العِلاجَ بذات كَهْفٍ
وما فيها لهم سَلَعٌ وَقارُ

وَمِنْهُ المُسَلَّعَة، كانتِ العربُ في جاهليَّتها تأخذُ حَطَبَ السَّلَعِ والعُشَرِ في المَجَاعات وقُحُوط القَطْر فتُوقِرُ ظُهورَ البَقَر منها، وقِيْل: يُعَلِّقونَ ذلك في أَذْنابها ثمّ تُلْعج النّار فيها يَسْتَمْطِرون بِلَهَب النّار المُشَبَّه بسَنَىٰ البَرْق، وقيل: يُضْرِمُون فيها النّار وهم يُصَعِّدُونها في الْجَبَل فَيُمْطَرونَ زعموا، قال الوَرَك الطّائيّ [في (التّاج..) وداك الطائي]:

لا دَرَّ دَرُّ رِجالٍ خابَ سَعْيُهُمُ
يستمطرون لَدى الأَزْماتِ بالعُشَرِ
أَجاعِلٌ أنتَ بَيْقورًا مُسَلَّعَةً
ذَريعةً لَكَ بَيْنَ اللهِ والمَطَرِ؟»

السَّوالِفُ والسَّلائِفُ

«السّالِفَةُ: أحدُ جانِبَي العُنُقِ» في المعجم، كما في (.. الوسيط) لِمَجْمَعِ مِصْرَ وغيره.. فما علاقَتُهُ (بالسّالِفَةِ) العامِّيَّة التي استعمَلَها العوامُّ بمعنى: الخَبَر، أو القِصَّة، أو السِّيرة التي سَلَفت؛ أيْ: مَضَتْ وصارت خَبَرًا من الأخْبار، أخبار السَّلَفِ الصّالِحِ.. أو الأسلافِ الآخرينَ، أو أخبارِ غيرِ الأَسْلافِ من الحاضرينَ الّذين نراهم في المُسَلْسلاتِ والقِصَصِ البدويّةِ المُشاهَدَةِ على الشّاشَةِ فَيَسْأَلُ أَحَدُهُم الآخرَ: (اشكون السّالفة؟) بمعنى: أَيَّ شيءٍ يكونُ الخَبَرُ؟ أو: ما موضوعُ القَضِيَّةِ؟ وما حَقِيقَةُ القِصّة؟

وَأَظُنُّ أَصْلَ السّالِفَةِ أنَّها مِن صِفَةٍ لِمَوْصُوفٍ مَحْذوفٍ؛ أيْ: القَضِيّةُ السّالِفَةُ أو الحادِثَةُ التي سَلَفَ وَقْتُ حُدوثِها.. أو نَحْوٌ مِن مِثْلِ هذا..

والفِعْل: «سَلَفَ يَسْلُفُ سُلوفًا وَسَلَفًا» في المُعْجَمِ الوَسِيْطِ كما في المعاجم التّالِدَةِ (كالمصباحِ المُنيرِ) وغيره؛ بمعنى: «تَقَدَّمَ وَسَبَقَ»، وأيضًا بمعنى «مَضَىٰ وَانْقَضَىٰ»، وكما في (.. الوسيط): «فهو سالِفٌ وجَمْعُهُ سُلّافٌ وسَلَفٌ. وهي سالِفَةٌ وجَمْعُها سوالِفُ» وفي (أساس البَلاغةِ): «في الأُمَمِ السَّالِفَةِ والقرون السّوالف».

فقلت: ها هي ذي السّالِفَة التي تَقَدَّمَتْ وَسَبَقَتْ وَمَضَتْ وَانْقَضَتْ وصارَتْ خَبَرًا من أَخْبار الأُمَمِ السّالِفةِ والقُرونِ السَّوالِفِ كما قال الزَّمَخْشَرِيّ.

أمّا الفِعْلُ الرُّباعيُّ سَوْلَفَ يُسَوْلِفُ؛ بمعنى: تكلّم وتحدَّث وأَخْبَرَ، فهو من صِياغَة العَوَامّ، ولا أجِدُهُ في فصيحِ المَعاجِمِ، وإنْ كانَ أصلُه الفصيحُ من الثّلاثيِّ سَلَفَ كما رأينا، وأذكرُ أنّهم في مِنْطَقَةِ جِبال القَلَمون المُمْتَدَّةِ من شَمالي دِمَشْقَ حتّى جَنوبي سهلِ حِمْصَ ومن حدودِ لبنانَ حتّى البادِيَةِ الشامِيَّةِ، كانوا يقولونَ لي هناكَ: (أُقْعُدْ على الطَّرِ حتّى نُسَوْلِف). و(الطَّرُ) عِنْدهم اسمُ الصُّفَةِ أو الدّيوانِ أو المَقْعَدِ الطَّويل..

أمّا سِلْفُ الرَّجُلِ: زَوْجُ أُخْتِ امْرَأَتِهِ؛ فهما سِلْفانِ وهم أَسْلاف، وأمّا سِلْفَةُ المرأةِ: زوجةُ أخي زوجِها، فهما سِلْفتانِ، وهنَّ سَلائِفُ، فهذا من فَصيحِ العامِّيَّةِ المَذْكورِ في كلِّ مُعْجَمٍ تقريبًا، والمشهورُ الذي ما يزالُ على ألسنةِ عامّتِنا في الشّامِ، ومصرَ وغيرِهما؛ وفي أمثالِنا الشَّعْبِيَّة: (ما بين السِّلْفَة والسِّلْفَة الدّاءاتُ المُخْتَلِفَة). وكذلك: (مَرْكَبُ الضَّرائِرِ سارَ، وَمَرْكَبُ السَّلائِفِ حارَ).

والسَّلَف بمعنى الدَّين فصيحٌ عامّيٌّ أيضًا، وفي (أساس البلاغة): (السَّلَف تَلَف).

إحالة: السَّمَر والسُّمّار: مع: (فخت وانْفَخَت والسَّمَر والسُّمّار) في ف خ ت.

السِّلْق والشّوندر والشّمندور والقِنْدة

حينما فَتَّشْتُ: أَين الشَّمَنْدَر في اللغة والمَعاجم؟ ما وجدته إلّا ومعه السِّلْق وفي اللغة الفارسيّة.. ولا أَجِدُ عَلاقةً بينهُما سِوَىٰ أنَّ كلًّا منهما نَبات..

وفي (اللِّسان.. والقاموس.. وفي نصّ: التّاج..): «السِّلْق بَقْلَة معروفة؛ قال ابن شميل: هي الجُغُنْدَرُ؛ أي: بالفارسيّة، وفي بعض الأُصول: الجُكَنْدَر [عن اللسان..] وهو نَبْت له وَرَق طِوال وأَصْل ذاهِب في الأرض، وَرَقُه رَخْص يُطْبَخ، وقال الصّاغانيّ: بل هو عربيّ صحيح».

ووجدت في (قاموس الفارسيّة): «جُغُنْدَر: البَنْجر، السِّلْق، وهو يُسْلَقُ ويُؤْكَل ويُصنع منه السُّكّر».

قلت: ولٰكنّ السِّلْقَ ليس الشَّمَنْدَر. وأظنّ قول الصّاغانيّ «السِّلْق: عربيّ صحيح» يُسْتأنس به لأنّه ما يزال عند العوامّ في بلداننا المُختلِفة يدلّ على الورق الأخضر العريض الطويل الشّديد الاخضرار؛ يَسْوَدّ حين يُطْبَخ.. ولم أسمع شيئًا عن سِلْق يُصْنع منه سُكَّر!

ويَسْألُني الأبناءُ عن صِحَّة ما يَذْكره الفنّان دريد لحام في مسرحيّة (كاسك يا وطن) أنّ لفظ السُّكَّر الفرنسيّ: (سُكْر Sucre)، والإنكليزيّ: (شوغر Sugar) ويلفظ كما في الفارسيّة والتّركيّة: شكَر من العربيّة سُكَّر؟ فقلت: لعلَّه كذلك.. نعم ولٰكنّ العرب كانوا عرّبوا لَفْظ (السُّكَّر) عن السّنسِكريتيّة القديمة في رأي الشّهابيّ؛ فرجعوا إلى المُعْجم (الوسيط) فوجُدوا: «السُّكَّر.. يُصنع من القَصَب أو مِنَ البَنْجَر». ففتَّشُوا عن (البَنْجر) في المُعْجم (الوسيط) ذاتِه فلم يَجِدُوه! فقُلْت لهم: هذا الاسم المِصْريّ لِمَا نُسَمّيه نحن (الشَّوَنْدَر) بالشّاميّة العامّيّة، والواو مُبْدَلَةٌ من الميم في رأي فُصحائِنا فهو (الشَّمَنْدر) ففتَّشُوا عنهما في (..الوسيط) فلم يَجِدُوهما أيضًا!. فقُلْت لهم: تجدون الشَّمندر والشّوندر لَدى المرحوم الأمير مُصْطَفى الشِّهابيّ رئيس مَجْمَع دمشق في (مُعْجَم الألفاظ الزِّراعيّة) و(معجم مُصْطَلَحات العلوم الزِّراعيّة) ط. مكتبة لبنان: أنّهما من الفارسيّة وأنّ (البَنْجر) من التُّركيَّة!. ولٰكنْ لم أَجِدْها ووجدت جُغُنْدَر في (قاموس الفارسيَّة) الذي ألّفه د. عبدالنّعيم محمّد حَسَنين. وكذلك لم أجدْ الشَّمَنْدر والشَّوَنْدَر والبَنْجَر في أُمّهات كُتُب اللغة والمعاجم العربيّة! حتّى إنّ الزّبيديّ لم يَذْكُرها في (تاج العروس..) وهو مؤلَّف بعد اكتشاف القارَّة الأمريكيّة بثلاثة قرون فَوَفاتُه سنة ١٧٩٠م هذا لو كانت حُجَّتُهم أنَّه مِنَ النّباتات القادمة حديثًا من العالم الجديد وهي حجّة خاطئة؛ فهو قديم الذِّكْر في (المفردات) ولٰكن بالاسم اليونانيّ: (صوطلة) كما ذكر الشهابيّ. ولم يَذْكُرْه بَعْدَه بطرس البُسْتانيّ في (محيط المحيط) سنة ١٨٧٠م.

ثمّ وَجَدْته، أي: الشّمندر، لَدى لويس معلوف في (المُنْجِد) ط١٥ سنة ١٩٥٢ ففيه: (الشَّمَنْدر والشَّمَنْدور): نَبَاتٌ غليظُ الأصلِ يُتَّخذُ منه السُّكَّر. قُلْتُ: ولٰكنّ الشَّمندور شيءٌ آخرُ غيرُ الشَّمندر عِنْدنا.. فالنّاسُ يُسَمّونَ اللبنَ الحليبَ في بدايةِ دِرّة ضَرْعِ الماشية الوالدة باسْم الشّمندور. ولم أقرأْ أو أسمعْ عن الشّمندور السُّكَّرِيِّ أو غير السُّكَّرِيّ ولا أجد غيره وغير حليم دمّوس يَكْتُب عن الشَّمندور، ولٰكنْ سمّىٰ حليم دمّوس في (قاموسِ العَوَامّ) «شمندور (الشّاة) فاسدًا والصّحيح: صمغه». فدمّوس يقصد حليب الشّاة الوالدة..

وقد عادَ يُهمِل البَنْجر والشَّمندر والشَّوَنْدر بعد المُنْجد كلٌّ من (المُعْجم الوسيط) و(المُعْجم المدرسيّ) الذي كان عليه أنْ يَحُلَّ لنا المُشْكِلاتِ اللغويَّةَ التّعليميَّة والتّربويَّة ومُشْكِلات اللغة في الكُتُبِ المَدْرَسِيَّةِ أهمّ الكُتُبِ العربيّة وأَوْسَعها انتشارًا في عصرنا.. فالكُتُبُ المدرسيَّةُ وَحْدَها تَتَمَتَّعُ بأرقامِ الملايين في أعداد طباعتها كأيِّ كتابٍ آخرَ يُطْبَع بأيِّ لغةٍ من اللغاتِ الشّائعةِ في هذا العصر... وكُتُبُنا المدرسيّة تتحدَّثُ عن كَثْرة اسْتخراجنا السُّكَّر من الشَّمَندر الأبيض السُّكَّريّ، في عصرنا في بلاد الشّام، فهي حقيقة لا تنتظر اللغويِّين!..

ولَفْظ الحَلْوى بالإنكليزيّة (Candy كاندي) مأخوذ من: قَنْدة، الكلمة العربيّة أو المُعَرَّبة عن

السَّنْسكريتيّة في رأي مصطفى الشّهابيّ في (مُعْجَم مُصْطَلَحات العلوم الزّراعيّة).

وتجدُ في (لسان العرب) لابن منظور «القَنْدُ والقَنْدَة والقِنْديد كُلُّهُ: عُصارة قَصَبِ السُّكَّر إذا جَمُدَ؛ ومنه يُتَّخَذُ الفانيذ. وَسَوِيقٌ مُقَنْودٌ وَمُقَنَّدٌ: معمول بالقِنْديد، وقيل القِنْديد عصير عِنَبٍ يُطْبَخُ وَيُجْعَلُ فيه أَفْواهٌ من الطِّيب، ثمّ يُفْتَق، عن ابن جنّي؛ .. وقال ابن مُقْبِل:

أشاقَك ركبٌ ذو بنات وَنِسْوَةٍ
بِكِرْمانَ يَعْتَفْنَ السَّوِيقَ المُقَنَّدا

أو: يَسْقِيْنَ.

والقِنْديد أيضًا: العَنْبر؛ عن كراع، وبه فُسِّرَ قَوْل الأَعْشَىٰ:

ببابِلَ لم تُعْصَر فسالت سُلافَة
تخالط قِنْديدًا ومِسكًا مُخَتّما».

وفي (القاموس.. والتّاج..): «القَنْد: مُعرَّب كند».

السَّمَيْذَع (الصَّميدع)

يَلْفِظ به عوامّ جِيْلِ الآباء في الشّام: (الصَّمَيْدَع) بإبدال السّين صادًا، فكأنّهم يَقْصدون تفخيمَ اللفظِ لأنّهم يَقْصدُون معنى التّعظيم والتّفخيم مع شَيْءٍ من الهَزْلِ ومَسٍّ من السّخْرِيَة الخَفيفة.. ولاسيّما حينما يَنْسبُون إليه فيقولون: (شَيْءٌ أو أَمْرٌ صميدَعِيّ لا يَسْقُط ولا يَبْطُل ولا يعتق ولا يَهْتَرِئ ولا يَفْنى..).

ولم أَجِدْ من كُتّاب فصيح العَوَامّ مَنْ اهتمّ به مع أنّي توقّعت أنْ يكون منه اسم العَلَم (صميدة) المُنْتَشِر في مصر. وهو في لغة التُّراث: السَّمَيْدَع، أو السَّمَيْذَع، كما في (تاج العروس..) عن (القاموس.. واللسان..، والعُباب.. للصّاغانيّ، والصِّحاح.. للجوهريّ.. وشرح فصيح ثعلب..؛ والعين للخليل وغيرهم): «السَّمَيْذَع.. ظاهر كلام الجوهريّ وابن سِيْدَه والصّاغانيّ إهْمال الدّال، بل صَرّح بعضُهم بأنّ إعْجام ذالِه خَطَأٌ. وفي بعض النُّسَخ [من القاموس المحيط]: السَّمَيْدَع كغَضَنْفَر وهي صحيحة... وفي بعضها: كَعُصَيْفر...: السَّيِّدُ كما في (..الصِّحاح..) و(العَيْن..) وزاد في (العُباب..) الكريم الشّريف السَّخِيّ... والسَّيِّدُ المُوَطَّأُ الأَكْناف.. وأنشد الصّاغانيّ للحادِرَة:

تَخِذُ الفَيافِي بالرِّجالِ وَكُلُّها
يَعْدو بِمُنْخَرِقِ القَميصِ سَمَيْدَعِ

وقال الليث: السَّمَيْدَعُ: الشُّجاعُ؛ قال مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَة - رضي الله عنه - يَرْثي أخاه مالِكًا:

وإنْ ضَرَّسَ الغَزْوُ الرِّجالَ رَأَيْتَهُ
أَخَا الحَرْبِ صِدْقًا في اللِّقاء سَمَيْدَعَا

قال النَّضْر: والذِّئْبُ يُقال له: السَّمَيْدَع؛ لِسُرْعَتِهِ. والرَّجُل الخفيف في حوائجه سَمَيْدَع من ذلك. والسَّمَيْدَع أيضًا: السّيف... وممّا يُسْتَدْرَك عليه: السّميدع: الأسَد، والرّئيس تشبيهًا له بالأسَد. والسَّميدع: الجَميل الجَسيم. قال ابن جنّي: جَمْعُه سَمادِع».

اسْتَوَىٰ الطّعامُ

وَعَمِلَ وما ساوى و(لا يَسْوَىٰ)

أمّا قَوْلُ الدّمشْقِيّةِ: (ساويت بَيْتي) أيْ نظّفْتُ البَيْتَ ورَتَّبْتُه.. و(مُساواةُ البَيْت قَبْلَ كُلِّ شيء..) و(إذا ساوَيْنا هذه الشَّغْلَة فهل نَنْجَحُ في مُساواتِها يا تُرى؟).. و(شو بَدْنا نساوي؟) والأخيرة أَصْلُها أو القصد منها: أيُّ شيءٌ بِوُدّنا

أن نُسَوِّيَهُ ونعْمَلَه؟ و(أيْش سَوَّىٰ لك..؟ أو إيْش ساوىٰ لك حتّى زَعِلْتَ منه؟) أيْ: ماذا فَعَلَ لكَ؟ حتّى جافيتَه وعتِبْتَ عليه؟.. وكذلك قولُهم للصّانعِ والحِرَفِيّ أو شِبْهِهِ حينَ يُوصُونَه على عَمَلٍ لِيُنْجِزَه: (سَوِّ لي.. أو ساوِ لي هذه الشَّغلةَ مُساواةً مَليحةً.. أرجوك) أيْ: اعتنِ بهذا العَمَلِ.. أو.. بهذِهِ.. عنايةً كافيةً.. أرجوك!

فكأنّهم قد طوّرُوا تطويرًا بلاغيًّا هذا الإيجازَ الذي يَنْظُر إلى قولِ ابن الأعرابيِّ الذي اسْتَشْهَدَ به ابنُ منظورٍ في (لسان العرب): «سوَّىٰ إذا استَوَىٰ. وسَوَّىٰ إذا حَسُنَ».

فالتَّسْوِية - إذًا - التَّحْسينُ.. وفي (أساس البلاغة) للزَّمخشريّ، كما في أيِّ مُعْجَمٍ تليدٍ: «اسْتَوَىٰ الشَّيْئانِ وتساويا وَسَوَّيْتُ المُعْوَجَّ فاسْتَوَى وهو سَوِيٌّ». وفي (المصباح المنير..) للفيّوميّ: «ساواهُ مُساواةً: ماثَلَهُ وعادَلَهُ قَدْرًا أو قيمةً؛ ومنه قَوْلُهُمْ: هذا يُساوي دِرْهمًا.

وفي لُغَةٍ قليلة: سَوِيَ دِرْهَمًا يَسْوَاهُ. من بابِ: تَعِبَ، وَمَنَعَها أبو زَيْد فقال: يُساويه، ولا يقالُ: يَسْواهُ. قال الأزهريُّ: وقولُهم لا يَسْوَى: لَيْسَ عَرَبِيًّا صحيحًا.

واسْتوى الطعامُ: أيْ: نَضِجَ. واسْتوى القَوْمُ في المالِ: إذا لم يَفْضُلْ منهم أَحَدٌ على غيرِه، وتساوَوا فيه وهم فيه سواءٌ، واسْتوى جالسًا، واسْتوى على الفَرَس: اسْتَقَرَّ، واسْتوى المكانُ: اعْتَدَل؛ وَسَوَّيْتُهُ: عَدَّلْتُه..».

قُلْتُ: مَرَّت عباراتٌ قديمةٌ ما تزالُ حَرْفيًّا في كلام العَوَامّ في الشّام مِثْل: «استوى الطّعامُ: نضجَ». ومِثْل: «سَوَّيْتُ المكانَ: عَدَّلْتُه».

أمّا (سَوِيَ يَسْوَىٰ) بمعنى: ساوى يُساوي فرأيْتَ كيفَ اختلفُوا في فصاحتِها؛ وحين تعودُ إلى ابنِ منظورٍ في (اللسان..) تجدُهُ يقولُ فيها: «..أحْسَبُه لُغَةَ الحجازِ، وقد رُوِيَ عن الشّافعيِّ... وقال الليثُ: يَسْوَىٰ: نادرة... يُقَالُ في البَيْعِ: لا يُساوي: أي: لا يكونُ هذا مع هذا الثّمنِ سِيَّيْنِ..».

ش

(الشّأْفَة والشّحفَة والشّقْفة): الشُّدْفة

إذا تَقَطَّعَ أو تكَسَّرَ شيءٌ ما فالقِطْعَةُ والكِسْرَةُ منه تُسمّى في عامّيّةِ دمشق: شَأْفَةً، وفي بَعْضِ المَناطقِ يَلْفُظُونَها شَحْفَةً أو شَقْفَةً وهي، بالإبْدالاتِ الثّلاثةِ، وارِدَةٌ في الفصيح التّليدِ، ولٰكنْ على قلّةٍ وعلى بَعْضِ اختلافاتٍ في المعنى.. من اخْتلافِ الأَزْمنةِ والأَمْكِنةِ والأَجْيال من المُتَكَلِّمين...

وفَصيحُها الدّقيقُ: الشُّدْفَةُ فهي في المُعْجمِ التّليدِ كما في (لسان العرب):

«الشُّدْفَةُ: القِطْعَةُ من الشّيء. وَشَدَفَه يَشْدِفُه شَدْفًا: قَطَعَهُ شُدْفَةً شُدْفَةً». يُوافِقُه (القاموس..) ويُخَالِفُه أحمد بن فارس في مُعْجَم (مقاييس اللغة) «فَلَيْسَ يَدُلُّ الشَّدْفُ لَدَيْه إلّا على ارْتِفاعٍ في شيءٍ، وناسٌ يَقُولون الشَّدَف كالمَيْل في أَحَد الشِّقَّيْنِ والصّواب هو الأوّل.» ا.هـ. ابن فارس. فَقُلْتُ: ولَمْ أَسْمَعْها بالدّالِ من العوامِّ، فلأَبْدأ بِفَصِيح (الشَّأْفة) التي هي في دمشقَ بمعنى القِطْعة، وسنرى أنّها تَحْتاجُ إلى كثيرٍ من التَّجْميلِ والتّأويل وافْتراضاتِ التّغيّرِ والتّطوُّرِ، ولٰكنَّهم في دمشقَ أيضًا يقولونَ: فلانٌ مَشْؤُوف، يَقْصدونَ أنّ مَنْظرَ صِحّتِهِ على غيرِ ما يُرامُ، وأنَّه مُتَغَيِّرُ الصِّحَّةِ من مَرَضٍ أو خَوْفٍ أو هَمٍّ.. وهذا القَوْلُ الدِّمَشْقِيُّ فصيحٌ تامُّ الفَصاحةِ كما في (القاموس.. والتّاج.. واللسان..) إذ قال ابن منظور: «...والشَّأْفةُ: قَرْحَةٌ تَخْرُجُ في القَدَمِ.. وقيلَ: هو وَرَمٌ يَخْرُجُ في اليدِ والقَدَمِ من عُودٍ يَدْخُلُ في البَخصةِ أو باطنِ الكَفِّ فَيَبْقى في جَوْفِها فَيَرِمُ المَوْضِعُ وَيَعْظُمُ وفي الدُّعاء: اسْتَأْصَل اللهُ شَأْفَتَهم... وَقِيل شَأْفَةُ الرَّجُل: أَهْلُه ومالُه وفي الحديثِ: (خَرجَتْ بآدمَ شأْفةٌ في رِجْلِه). قال: والشّأْفةُ جاءت بالهَمْز وغير الهَمْز... والشّأفة: الأَصْلُ... وفي التّهذيب: اسْتأْصَلَ اللهُ شأْفَته إذا حَسَمَ الأمرَ من أصلِهِ.

وشَئِفَ الرّجلُ إذا خِفْتَ حينَ تراهُ أنْ تُصيبَه بِعَيْنٍ أو تَدُلّ عليه مَن يَكْره: [وعبارة القاموس والتّاج أو شَئِفْتُهُ: خِفْت أنْ يُصِيْبَني بِعَيْنٍ، أو دلَلَتْ عليه مَنْ يَكْره] [وأُكْمِلُ من اللسان:] ابن سيده: وشَئِفَتْ يدُه شَأْفًا: شَعِثَ ما حَوْلَ أَظْفارِها وَتَشَقَّقَ؛ [مثل سئفت؛ بالسّين كما في (أساس البلاغة) للزّمخشريّ..].

وقال ثعلب: هو تَشَقُّقٌ يكونُ في الأَظْفارِ... وهو التَّشَعُّثُ حَوْلَ الأظفارِ والشُّقاقُ. وَرَجُل شَأَفةٌ: عزيزٌ مَنيعٌ. وشُئِفَ شَأْفًا: فَزِع. أبو عُبيد: (شُئِفَ فلانٌ شَأْفًا فهو مَشْؤوفٌ.. إذا فَزِعَ وذُعِرَ...)... وفي الأَفْعَال: شَئِفْتُ الرَّجل شآفةً... أَبْغَضْتُه، وقَلَّ شَئِفٌ، وأنشد:

يا أيّها الْجَاهل ألّا تَنْصَرِفْ

ولم تُداوِ قَرْحَةَ القَلْبِ الشَّئِفْ»

قُلْتُ: فالمَشْؤوفُ في لُغيّةِ دمشقَ فَصِيحةٌ، وكذلكَ هي في الدّارجةِ المصريّةِ كما ذكرَ د.عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

وإن كانَ ابنُ فارس في (مقاييس اللغة) لا يَذْكرُ سِوى الكُرْهِ على أنّهُ أَصْلُ المعنى في: ش أ ف.

وأمّا أرسلان ورضا واللبنانيّون فلم يَذْكُروا هذه المادّة بالهمزةِ. ولٰكنّ أحمد رضا العامليّ يَذْكرُ: الشَّحْف والشَّقْف ويَجُود فيهما.

الشَّبْرَقة والشَّبارق

الشَّبْرَقَة: عِبارَة فصيحة تَليدة ما تزالُ تعيشُ في عامّيّتنا ولٰكنّ معناها اخْتَلَف وَتَطَوَّرَ تَطَوُّرًا بعيدًا.. فالشَّبْرَقة في أيّامنا: الأَكْل من أَلْوان مُتَخالفة... أو من قِطَع من المآكل.. ولعلّ مِن معنى التّقطيع كان تطوُّر المعنى إلى هذا... وفي عصر البستانيّ الذي أصدر (محيط المحيط) سنة ١٨٧٠ كانت «العامّة تقول: شَبْرَقَ الشيءَ؛ أي: أَخَذَ منه جانبًا».

وفي مِصْر ذكر د. عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذاتِ الحقيقة والأصول العربيَّة): «نقول في دارجتنا: شَبْرَق فُلانٌ على فُلانٍ، أو على أَصْحابه، أو على نفسِه: فَرّق مالَهُ عليهم، وأضاعَه بِسَبَبِهِم في غير حساب أو أَنْفَقَه عليهم في غير حَدٍّ...».

وفي نهاية المادّة الرُّباعيّة: ش ب ر ق: في (لسان العرب): «اللحيانيّ: ثَوْب شَبارِق وشَمارِقُ ومُشَبْرَق ومُشَمْرَق، والشِّبْرِقَة: القِطْعة من الثّوْب، والشَّبارق أَلْوان اللَّحْم المَطْبوخة، فارسيّ مُعَرَّب ألحقُوه بعُذافر..».

وقَبْله في (اللسان..): «ثَوْب مُشَبْرَقٌ وشَبْرَق وشِبْراق وشُبارق وشَبارق وشباريق: مُقَطّع مُمَزّق. وقد شَبْرَقَهُ شَبْرَقَةً وشِبْراقًا وشَرْبَقَه شَرْبَقَةً؛ المصدر عن كراع: مزّقة؛ قال امرؤ القيس:

فَأَدْرَكْنَه يأْخُذْن بالسّاق والنَّسا
كما شَبْرَقَ الوِلْدانُ ثَوْبَ المُقَدَّس

والمُقَدَّسُ: الرّاهب يَنْزِل من صَوْمَعَته إلى بَيْت المَقْدِس فَيُمَزِّق الصِّبْيانُ ثيابَه تَبَرُّكًا به.

الليث: ثَوْب مُشَبْرَق أُفْسِدَ نَسْجًا وسَخافةً. وصَار الثّوْب شَباريقَ أي قِطعًا، وأنشد لذي الرُّمْة:

فجاءَتْ كَنَسْج العنكبوتِ كأنّه
على عَصَوَيْها سابِرِيٌّ مُشَبْرَقُ

قال ابن برّيّ: ومنه قول الأَسْوَد بن يَعْفُر:

لَهَوْتُ بِسِرْبال الشَّباب مُلاوَةً
فأصبح سِربالُ الشّباب شَبارِقا

والمُشَبْرَق من الثِّياب: الرَّقيق الرّديء النَّسْج.. وشَبْرَقْتُ اللَّحمَ وشَرْبَقْته؛ أي قَطَّعْتُه... والشَّبرقة تقطيع البازيِّ لحم فريسته.

والشِّبْرِق: نَبات غَضّ.. وأهل الحجاز يُسَمّونه الضَّريع...

والشِّبرقة: الشّيْء السّخِيْف القَليل من النَّبات والشَّجَر.. والبَقْل.. قال امرؤ القيس:

فَأَتْبَعْتُهُم طَرْفي، وقد حالَ دونَهم
عَوازِب رَمْلٍ ذي ألاءٍ وَشِبْرِقِ».

في (القاموس المُحيط): «الشِّبْرِقُ رَطْبُ الضَّريع، واحدتُهُ بهاءٍ [شِبْرِقَةٌ]... والشَّبارِقُ القِطَعُ أو يُقالُ: ثَوْبٌ شَبْرَقٌ وشُبارِقٌ وشِبْراقٌ وشَبَارِيقُ: أيْ مُقَطَّعٌ... والشَّبارِقُ ما اقْتُطِعَ من اللحمِ وقُطِّع صِغارًا أو طُبِخَ، وهذا مُعَرَّبٌ. والْجَماعة. والشَّبْرَقَةُ نَهْشُ البازيِّ الصّيدَ وتَمْزِيْقُهُ وقَطْعُ الثَّوْبِ. وعَدْوُ الدَّابّةِ وَخْدًا، وثَوْبٌ مُشَبْرَقٌ: أُفْسِدَ نَسْجًا».

قُلْتُ: بعضُ هذه المعاني يَصِحُّ أنْ يكونَ أصْلًا لِمُنْطَلَقِ التَّطَوُّر الذي طَرأَ على الشَّبْرَقَةِ المُسْتَعْمَلَةِ عِنْدَنا في الشّام بمعنى أَكْلِ ما هوَ من طعامِ التَّسْلِيَةِ الذي لا يُقصدُ منه سَدُّ الحاجةِ الأساسيّةِ للتَّغذية والتَّقَوُّتِ، وإنّما يُقْصَدُ منهُ التَّزَيُّدُ مِنَ الإنفاقِ على

أكلٍ غيرِ ذي لُزومٍ إلخ. . .

كتب شفيق جبري في (بقايا الفِصاح) في (مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق ج٣ من المجلّد الرّابع والأربعين سنة ١٩٦٩م) «. . أمّا الشَّبْرَقة في لغتنا العامَّة فلها معنى آخر؛ فالشَّبرقة أن يَشْتَري الوَلَدُ من هٰهنا وهٰهنا على سبيل التَّسلية. . . وإذا اهتدينا إلى صلة أو ظلّ من الصِّلة بين المعنى الفصيح وبين العاميّ. . فعلى سبيل المَجاز. . ونقبله على ظاهره حتّى نهتدي إلى تعليل أقوى».

المُشبَّص: مُخَبّص

تقولُ عوامُّ الشّام: (شَبَّصْتَ الأمرَ أو الشيءَ فهو لديك مُشَبَّص أو مُخَبَّص). و(مُصَبَّص) بمعنى أنَّه غيرُ متقَنٍ أو متشابِك ومختلِط أو سيِّئ التَّنفيذ. . ويقول أحمد رضا في (ردّ العامّيّ. .) «ويقولون: تَشَبَّصَ فلانٌ بكذا إذا تعلّق به ولزِمه، وهي إمّا من تشبّث. . . أو من تَشَبَّصَ بمعنى: تداخل».

ولم أجدْ صِحّة لفظِها بالصّاد، ولٰكنّها بالخاء والشّين فصيحةٌ، وقد ذكرتُها بالخاء.

وفي (اللسان. .) لابن منظور كما في (القاموس. .) للفيروزاباديّ: «ش ب ص: الشَّبَصُ: الخُشونةُ ودخولُ شوكِ الشَّجرِ بعضه في بعض، وقد تَشَبَّصَ الشَّجَرُ؛ (يمانيّة)». وأضاف الزّبيديّ في (التّاج. .): «أهمله الجوهريّ، وقاله ابن دريد، قال:

مُتَّخِذًا عِرِّيْسَهُ في العِيصِ
وفي دِغالٍ أَشِبِ التَّشْبِيْصِ

هكذا أورَدَهُ ابن القطاع أيضًا في كتاب الأبنية له».

[العِرّيس: الشَّجر المُلْتَفّ].

وقد يُطوِّرُ معناها بعضُ العوامّ فيقولونَ: (بَدَني مُشَبَّص) أي (مخبَّص. .) أي متوعِّكُ الصِّحَّةِ، أشعرُ ببدايةِ مرضٍ أو بتعبٍ على غيرِ العادةِ. .

الشُّبّاك

بَيْنَ فُصَحائِنا وكُتّابِنا وَمُربّينا مَنْ يَظُنّونَ أنّ الشُّبّاكَ عبارَةٌ عامّيّة فَصيحُها: النّافذة. . مع أنّك تَجِدُ للزَّمَخْشَريِّ في (أساس البَلاغة): «وَرَأَيْتُه يَنْظُرُ من الشُّبّاك».

ومن بَيْنِ المُحْدَثين تَجِدُ لدىٰ: أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«ويسمُّون النّافذةَ الكبيرةَ في حائطِ البيتِ شُبّاكًا وإنْ كانَ غيرَ مُشَبَّكٍ بشيءٍ من الحديدِ أو الخَشَبِ، وهو صِفَةٌ غالِبَةٌ مَبْنِيَّةٌ على التَّوَسُّعِ في الاسْتعمال. أمّا في اللغةِ فالشّبّاكُ ما صُنِعَ مِن قَصَبٍ وَنَحْوِهِ على صَنْعَة البَواري يُحْبَكُ بَعْضُهُ في بَعْض، وكلُّ طائفةٍ شُبّاكة». قُلْتُ ويَصْدُقُ هذا الوَصْفُ على المُسَمّى في هذه الأيّام بالشَّعْرِيَّةِ، وكثيرًا ما كانَتْ إلى عهدِنا تُوضَعُ على النَّوافِذِ لِتَحجبَ رُؤيةَ مَنْ في البَيْتِ عَمَّنْ هو في خارِجِه، ولا يَمْنَعُ مُرورَ النَّسيمِ. وفي اللسان: «والشّبّاكةُ واحدةُ الشَّبابيكِ وهي المُشَبَّكَةُ من حديد».

ومِثْلُ ذلكَ ما ذكرَهُ أحمد أبو سَعْد في ص٢٨٦ من (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة).

كَثير ممّا وَرَدَ في العامّيّات من هذه المادّة فصيحٌ واردٌ في المعجمِ العربيِّ التّراثيِّ:

ففي (لسان العرب) لابن منظور: «. . ابن سِيْده: شَبَكَ الشَّيْءَ يَشْبِكُهُ شَبْكًا فاشْتَبَكَ وشَبَّكَهُ فَتَشَبَّكَ: أَنْشَبَ بَعْضَهُ في بعضٍ وَأَدْخَلَهُ وَتَشَبَّكَتِ الأمورُ وَتَشابكَتْ واشْتَبَكَتْ: التَبَسَتْ اخْتَلَطَتْ. واشْتَبَكَ السَّرابُ: دَخَل بعضُه في بعضٍ. . .

. . . والشُّبّاك: القُنّاصُ الّذين يَجْلُبُونَ الشِّباكَ وهي المَصَايِد للصَّيد. وكلُّ شيءٍ جَعَلْتَ بعضَه

في بعضٍ فهو مُشْتَبِكٌ . . .

. . . والشُّبَّاكُ: اسمٌ لِكُلِّ شَيْءٍ كالقَصَب المُحَبَّكَة التي تُجْعَلُ على صَنعة البواري. والشُّبَّاكةُ: واحدةُ الشَّبابيك وهي المُشَبَّكَةُ من الحديد. والشُّبّاكُ: ما وُضِعَ من القَصَبِ ونحوِه على صنعةِ البواري[1] فكلُّ طائفةٍ منها شُبّاكةٌ، وكذلك ما بينَ أَهْناء المَحامِلِ من تَشبيك القِدِّ. . . والشُّبَّاكُ كالشّبكة؛ قال الرّاعي:

أو رَعْلَةٌ من قَطا فيحانَ حَلَّأَهَا
من ماء يَثْرِبَة الشُّبَّاكُ والرَّصَدُ

و. . . . ويقال: دِرْعٌ شُبَّاك؛ قال طُفَيل:

لَهُنَّ لِشُبّاكِ الدُّروعِ تقاذُفٌ. . . .».

شَبَل يَشْبُلُ

هل كانَ ابنُ الغَنِيِّ الذي يَشْعُرُ أنّه مُسْتَغْنٍ عن إتقانِ العَمَلِ يَشْبُلُ الأعمالَ شَبْلًا بالمَعْنَى العامّيّ الدّارج بَينَنا اليومَ؟ أي يُنْهي العَمَل مُتَعَجِّلًا به لِيَتَخَلَّصَ منه فهو لا يَحتاجُ إلى إرضاءِ أَحَدٍ وَكَسْبِ أجرٍ مُجْزٍ. . . فقد يكونُ وُلِدَ وفي فَمِهِ مِلْعَقَةٌ من ذَهَبٍ، كما يُقال. .

وفي (لسان العرب) كما في (القاموس. . والتّاج. .):

«شَبَلَ فيهم يَشْبُلُ شُبولًا: رَبَا وشَبَّ ولا يكونُ إلّا من نِعْمَةٍ. وشَبَلَ الغُلامُ أَحْسَنَ شُبُولٍ: إذا نَشَأَ. وأَشْبَلَ عليه؛ أيْ: عَطَفَ. ابنُ الأعرابيّ: إذا كانَ الغُلامُ مُمْتَلِئَ البَدَنِ نِعْمَةً وشَبابًا فهوالشّابِل والشّابِن والحِضَجْرُ. . قال الكُمَيت:

هُمُ رَئِموها غير ظَأْرٍ، وأَشْبَلوا
عليها بأطرافِ القَنا وتحدَّبوا»

وفي (مُحيط المُحيط): «شَبَل الغُلامُ يَشْبُلُ شُبُولًا، نَشَأَ وشَبَّ في نِعْمَةٍ. . .

والشَّبْلُ عند الخيّاطِيْن: الخِيَاطةُ المُتَباعِدَةُ التي لا يُعْتَنى بانْتِظامِها. .».

[وفي مادّة التَّرْكيبِ شَبَلَ مَعانٍ أُخرى عديدة لم أَجِدْ لها ارْتِبَاطًا بالمَعنى العامِّيّ. .]. .

الشَّتْرَ

الشَّتْرَ في عامِّيَّتِنا كما كان دائمًا في الفصيح. . لم يكد يتغيّر في (لسان العرب):

«ش ت ر (التّهذيب): الشَّتْرُ انقلابٌ في جَفْن العَيْن قلّما يكون خِلْقَة. والشَّتْرُ، مُخَفّفةً: فِعْلك بها. ابن سِيْده: الشَّتَرُ انقلاب جُفْن العَيْن من أعلى وأسفل وَتَشَنُّجُهُ، وقِيْل: هو استرخاء الجَفْن الأسفل.

. . . الجوهريّ: شَتَرْتُه أنا مثل ثَرِم وثَرَمْتُه أنا وأَشْتَرْتُه أيضًا، وانْشَتَرَت عَيْنُهُ. ورَجُل أَشْتَرُ: بَيِّنُ الشَّتَر، والأُنثى شَتْراء. . . وفي حديث قَتادة: (في الشَّتَرِ رُبْع الدِّيَة) وهو قطع الجَفْن الأسفل، والأصل انقلابه إلى أسفل. . .

والشّتر: انشقاق الشّفَة السُّفلى، شفة شتراء.

[1] قلتُ: أَطَلْتُ النُّقولَ من ابن منظور في ش ب ك لِكَيْ أَنْقُلَ قَوْلَه: «. . تُجْعَل على صنعة البواري. .» و«. . ما وُضِعَ من القصبِ ونحوِه على صنعةِ البواري» فأستطردُ إلى عبارةِ البواري وأسألُ أهِيَ التي مفردُها البُوري في عامّيّتنا إلى اليوم؟ والتي نقصدُ بها الأنبوبَ أو الماسورَةَ أو المدخنَةَ أو المِزرابَ؟ ولقد فتَّشْتُ حتّى عنّاني التَّفتيشُ وأعياني البحثُ عن البوري. . فلم أجِدْ إلا نوعًا من الأسماكِ هو سَمَكُ البُوْري المشهور فكتبْتُ في: ب و ر: فهل استُعْمِلَ البوري الأسطوانِي على التَّشبيهِ بهذا النَّوعِ من الأسماكِ؟! ومنذ عهدِ ابنِ منظورٍ قَبْلَ نيِّفٍ وسَبْعةِ قرونٍ أم قَبْلَ ذلك؟ وهل استَعْمَلَها مُؤَلِّفُ (لسان العرب) في شروحه. وأَهْمَلَها وأغْفَلَها في موادّه؟ ثم أغفلَها كلُّ مَنْ كتبَ مُعْجَمًا بعدَهُ وأهملَها؛ وهي حيَّةٌ إلى اليوم.

... وشَتَّرَ بالرّجُل تَشْتيرًا: تَنَقَّصَهُ وعابَه وسبَّه بِنَظْمٍ أو نَثْر.... وشَتَرَه: جَرَحَه؛ ويُرْوَى بيت الأخطل:

رَكوبٌ على السَّوْءات قد شَتَرَ اسْتَهُ
مُزاحَمَة الأَعْداءِ والنَّخْسُ في الدُّبْرْ».

وأزيد من: (القاموس.. والتّاج..):

«الشَّتْرُ، بالفَتْح: القَطْعُ. فِعْلُه شَتَرَهُ يَشْتِرُه. كضَرَب.

والشَّتَرُ، بالتَّحريك: الانْقِطاع وقد شَتِر؛ كفَرِح، عن ابن الأعرابيّ...

... وقال اللِّحْيانيّ: رَجُل شِتِّير شنّير؛ كَفِسّيق، فيهما: إذا كان كثير الشّرّ والعُيوب سَيِّئَ الخُلُق. والشُّتَرَة بالضّمّ ما بَيْن الإصْبَعَيْن. اسْتدركه الصّاغانيّ.

والشَّوْتَرَة: المَرْأَةُ العَجْزاءُ. اسْتَدْرَكَه الصّاغانيّ [قلت: هو الصّغاني والصّاغاني].

وممّا يُسْتَدْرَك عليه:... شَتَرَ ثَوْبَهُ: مَزَّقَهُ».

وأصل المعنى في (مقاييس اللُّغة) «الشّين والتّاء والرّاء يدلّ على خَرْق في شيء»..

الشَّحْطُ

في (مقاييس اللغة) لابن فارس: «الشّينُ والْحاءُ والطّاءُ أَصْلانِ: أَحَدُهما البُعْد والآخرُ اخْتِلاطٌ في شيءٍ واضْطِرَابٌ».

و«الشَّحْطُ والشَّحَط: البُعْدُ» في (لسان العرب) لابن منظور. وكذلك في لُغَيّاتِنا العامّيّاتِ في الشّامِ ومصرَ وغيرِهما.. وقد تطوّرَ الفِعْلُ: «شَحَطَتِ الدّارُ تَشْحَطُ شَحْطًا وَشَحَطًا وشُحُوطًا: بَعُدَتْ. الْجَوْهرِيُّ: شَحَطَ المَزارُ وَأَشْحَطْتُهُ: أَبْعَدْتُه. وشواحِطُ الأوديةِ ما تَباعَدَ منها»، قُلْتُ: تطَوَّرَ الفِعْلُ اللازِمُ في الفصيحِ فَصَارَ مُتَعدِّيًا، وكذلك على أَلْسِنَةِ العوامِّ عندَنا؛ فَقالُوا: (شَحَطْتُهُ إلى مَحَلٍّ بعيد..).

ولٰكنّ تَعْدِيَتَهُ واردةٌ في بَعْضِ رِواياتِ الحديثِ الشّريفِ التي اعتادَ ابن منظور في (اللسان..) أنْ يَنْقُلَها عن ابنِ الأثير، وفيه: «..ومن حديث رَبيعةَ في الرَّجُلِ يُعْتِقُ الشِّقْصَ[1] من العَبْدِ، قال: (يُشْحَطُ الثَّمَنُ ثمَّ يُعْتَقُ كُلُّه) أي يُبْلَغُ به أقصى القيمةِ، وهو مِن: شَحَطَ في السَّوْمِ: إذا أَبْعَدَ فيه».

قُلْتُ: فقولُه: يُشْحَطُ، بالبناء للمجهول من المُتَعَدّي.. وفي الحقيقة أَوْرَدَه (اللسان..) مُتَعَدِّيًا ولٰكن في المعاني التّالية بعد ذلك إذ يَقُولُ: «وَقِيْل: مَعْناهُ يُجْمَعُ ثَمَنُه من شَحَطْتُ الإناءَ إذا مَلأْتَهُ. وشَحَطَ شَرابَه يَشْحَطُهُ: أَرَقَّ مزاجَه، عن أبي حنيفةَ.. ويقال: جاء سابقًا وقد شَحَطَ الخَيْلَ شَحْطًا؛ أيْ: فاتها. وشَحَطَتْ بَنُو هاشم: العَرَبَ؛ أي: فَاتُوهم فَضْلًا وسَبَقُوهم.

والشَّحْطَةُ: داءٌ يأخذُ الإبِلَ في صُدُورِها فلا تَكادُ تَنْجُو منه.

والشَّحْطَةُ: أَثَرُ سَحْجٍ يُصِيبُ جَنْبًا أو فَخِذًا ونحوهما؛ يُقال: أصابَتْه شحْطةٌ. والتَّشَحُّطُ: الاضْطرابُ في الدَّم.... وتَشَحَّطَ المَقْتُولُ بِدَمِه؛ أيْ: اضْطَرَبَ فيه. والشَّحْطَةُ: العُودُ مِنَ الرُّمّانِ وغيره تغرسُه إلى جَنْبِ قَضيبِ الحَبَلَة حين يَعْلُو فوقه».

قُلْتُ: أَطَلْتُ النُّقولَ مِنَ الفِعْلِ المُتَعَدِّي في الشَّحْطِ بمعنى البُعْدِ لأنّ أَغْلَبَ المَعاجِم الحَديثَةِ (كالمُعْجَم المَدْرِسِيّ) تَكْتَفي بإيرادِه لازمًا ممّا يُوهِمُ بأنّ المُتَعَدّي العامّيّ خطأ وهو صحيحٌ

(١) الشِّقْص: السّهم والنّصيب والحصّة في المشاركة.

فصيحٌ كما في قولهم: (شَحَطَت بنو هاشم العربَ): فَاتُوهم فَضْلًا وَسَبَقُوهم. . .

ولٰكنَّ المعانيَ العامّيّةَ الأُخرى للشَّحْطِ لا أَكادُ أَجِدُها في الفَصِيح التّليدِ. . كَتَب الأمير شكيب أرسلان في ص١٣١ من: (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأَصْل): «شَحَتَ: ويقولون في لبنان: (شَحَتَهُ) أو (شَحَطَهُ) بمعنى: طَرَدَه، فَصِيْحُها: أَشْحَطَهُ: طَرَدَهُ وأَبْعَدَهُ. . أو هي شَحَذَهُ بمعنى طَرَدَهُ أيضًا، والّذين يَقُولُونَها بالتّاءِ يُخْطِئُونَ. . . وهو من باب إِبْدالِ الذّالِ تاءً كما في شحّاذ: شحّات». [قُلْتُ: في دِمَشْق: شَحّاد؛ بالدال]. وفي ص١٣٢ يقول:

«شَحَطَ: ويقولون في لبنان وفي الشّام: (شَحَطَ الكبريتة) أي: أَمَرَّها على جِسْمٍ صُلْبٍ فاقْتَدَحَها. . ويقولونَ: (شَحّيط) بالتّشديد. . ولا يوجدُ شيءٌ من هذا في هذا المعنى والذي أظنُّه أنّها محرّفةٌ عن شَحَذَه: . . . . قَشَرهُ. . . وكثيرًا ما يقولونَ: (سَحَتَ) بمعنى شَحَذَ».

الشَّحْف

الشَّحْف في (القاموس المحيط): «. . . - كالمَنْعِ -: قَشْرُ الْجِلْدِ عن الشّيء؛ يمانيّة». وكذلك في (لسان العرب)، إلّا أنّ كثيرًا من المَعاجِم تُهْمِلُها، فهي يمانيّة! وليسَتْ في لَهْجةِ مصرَ فلا يذكرها د. عبدالعال، ويُهْمِلها (المُعْجم (الوسيط)، أمّا أحمد رضا ففي (رَدّ العامّيّ إلى الفصيح): «الشَّحْفُ في بلادِ الشّام قطعُ الحِجارةِ الصّغيرةِ الرّقيقةِ وشَحَّفَ الحَجَرَ: قَطَّعَهُ قِطعًا رِقاقًا. . .» قُلْتُ: وفي موادِّ البناءِ التي يَصْنَعونَ منها البلاطَ اليومَ مادَّةٌ يَدْعونَها (شَحْف الرّخام).

الشخشخة والخشخشة والشخّ

قال أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«وقالُوا: شخّ بمعنى بال، وشَخْشَخ إذا أَتَى به أكثر من مرّة، وفي اللغة: شخَّ بِبَولِهِ يَشِخُّ شَخًّا: إذا مَدَّ به وصوّت. .».

قلت: أرى عَيْن مُضارعه مَكْسُورة لَدَيْهِ في نُسْخة الطّبعة الثّانية: سنة ١٤٠١هـ و١٩٨١م وفي (لسان العرب) أَجِدُها مَضْمُومة.

وكلّ ما في (لسان العرب) في ش خ خ:

«شَخَّ بِبَوْله يَشُخُّ شَخًّا: مَدَّ به وَصَوَّت؛ وقيل: دفع. [وفي أساس البلاغة: أَرْسَلَهُ بِصَوْت].

وشَخَّ الشَّيْخُ بِبَوْلِه يَشُخُّ شَخًّا: لَمْ يَقْدِر أَنْ يَحْبِسه فَغَلَبه. .

والشَّخُّ: صَوْتُ الشُّخْب إذا خَرَجَ من الضَّرْع.

والشَّخْشَخَة: صَوْت السِّلاحِ واليَنْبوتِ كالخَشْخَشَة، وهي لُغةٌ ضعيفة.

والشَّخْشَخَةُ والخَشْخَشَةُ: حركةُ القِرطاس والثّوب الجديد.

وشَخْشَخَتِ النّاقةُ: رَفَعَتْ صَدْرَها وهي بارِكَة». ا.هـ. وكذلك في (القاموس. .) و(التّاج. .).

الشَّوْرَبَةُ أم الشُّرْبَةُ؟

في رَأْي الأستاذ أحمدَ أبو سعد في: (قاموس المُصْطلحات والتّعابير الشّعبيّة) المطبوعة سنة ١٩٨٧ أنّ: «شُورْبا: مُعَرَّبٌ قديمٌ من الفارسيّة: «شوْرْبا أو چورْبا» معناه المَرَق أو الحَساء. وهي أنواعٌ كثيرةٌ. . .».

قلْتُ: ألا يَجوزُ أنْ تكونَ الفارسيّةُ مِنَ الفِعْلِ العَرَبِيّ شَرِبَ شُرْبةً. واسْمُ المَرَّةِ منه: شَرْبَة:

«والاسْمُ (الشُّرْبَةُ) عن اللحيانيّ» في (لسان العَرَب)، وفيه أيضًا: «وَرَجُلٌ أُكَلَةٌ شُرَبَةٌ، مِثال هُمَزَةٍ: كَثيرُ الأَكْلِ والشُّربِ... والشَّرَبَة وهي المِسْقاةُ، والْجَمْعُ من كلّ ذلك شَرَباتٌ وشَرَبٌ.. ويُقال: عِنْدَه شُرْبَةٌ من ماءٍ أي: مِقْدارُ الرِّيِّ ومِثْلُه الحُسْوَةُ والغُرْفَةُ واللُّقْمَةُ..».

ولقد وَجَدْتُ في: (قاموس الفارسيَّة) من تأليف د.عبد النعيم محمّد حسنين[1]: «شوربا: الحَساءُ الذي يُعَدُّ مِنَ الخُضَرِ والأَرُزِّ والدُّهْنِ، ويُسمّى أيضًا شوروا، وشورباج».

ولٰكنّ (قاموس) الفارسيّة هذا، حين يَكْتُبُ عن: (شُورى: مَشورة...) أو عن (شبطا: فبراير...) أو عن (شيعة: أتباع. أصحاب. شيعة عَلِيّ..) أو: (شيعيّ: أَحَدُ أَفراد الشّيعةِ) أو: «شعار: علامة، رسم، العلامةُ المُمَيِّزةُ لجماعةٍ.....» أو: (شروق: ظهورُ الشّمسِ). أو غيرها كثير.. فإنّه لا يُشيرُ إلى أَصْلِها العَرَبِيّ أو غيْرِ العربيّ!.. ولا يُفيدُ في تَثْبيتِ فارِسِيَّتِها أو تَنَقُّلاتِها بَيْنَ العربيّةِ وَبَيْنَ الفارِسِيَّة[2]؛ كما كان يتنقَّل اسمُ الكحُولِ: جَمْع الكُحْلِ، أو الغَوْلِ بين اللُّغات الأوروبِّيَّة وكما يَتَنَقَّلُ لَفْظ (الكازار) الأَجْنَبِيّ من القَصْر، ولَفْظُ (أَرْتِيشُو) أو أَرْضي شوكي أو خَرْشُوف من (الحَرْشَف) العَرَبيّة القديمة. وإنّما أفادني (قاموس الفارِسِيَّةِ) أنْ أفتِّشَ فيه عمّا أَوْرَدَهُ الأستاذ أحمد أبو سعد كما ترى في الأسْطُرِ السّابقةِ، فلم أجدْ في (قاموسِ الفارسيّة): چوربا، ولٰكنّي وجدْتُ: (چَرْبى: الدّهن، السّمن، الشّحم) وهذا غيرُ الحَساء: الشُّرْبَة..

وأذْكرُ أنّهم في مِصْرَ يقولون (الشُّرْبَة)، فأُفتّشُ عنها لَدى د. عبدالمُنْعِم سيّد عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) فأجدُه يكتُبُ زهاءَ صفحةٍ عن الشُّرْبِ وَشَرَّبْتُه وَتَشَرَّبَ. ولم يَعْرِضْ لِشُرْبَةِ الحَساء فكأنّه يَعُدّها من المَعْروفِ الذي لا يَحتاجُ إلى تَعريفٍ؛ والدّليل ما في مُعْجَمِ مَجْمَعِ مِصْر (..الوسيط): «والشُّرْبَةُ: الحَساءُ. (مو). جَمْعُها: شُرَبٌ». فهي عِبارةٌ مُوَلَّدَة.. فيكون القولُ الفصلُ لِمُعْجَمِ مَجْمَع مِصْرَ.. فهل تميلُ معي نحوَه؟

وهل تقولُ لأنصارِ الأخطاءِ الشّائعةِ وأصحابِ مَذْهَبِ: (قلْ ولا تقلْ): قولُوا للنّاس والكُتّاب: اكتُبُوا شُرْبَة وليس شوْرَبا ولا شَوْرَبَة..؟!

شَرَّ وشَرْشَرَ

حينما يقول العامّيّ: (رأيت المُتَنزّهين مَشْرُورين في البساتين) فليس هذا على التّشبيه بالماء (المَشْرُور والمُشَرْشَرَ) المُتقاطِر من الأواني وغيرها.. بل لعلّ العَكْس هو الصّحيح، فَتَفَرُّق الماء والسّوائل المَوْصُوفة (بالشَّرْشَرَة) لعلّه مُتطوِّر من الشَّرْشَرَة التي بمعنى الانْتِشار والتَّفرُّق والتّطايُر والتّشقيق والتَّقطيع؛ وهذه المعاني المُعْجَمِيّة هي من فصيح العَوَامّ في مصر والشّام وغيرهما...

ولٰكنّ شَرْشَرَة الماء والسّوائل ممّا لم أَجِدْه في

(١) (٢) الدكتور عبد النّعيم محمّد حسنين أستاذ الفارسيّة ورئيسُ قِسم اللغاتِ الشّرقيّة بجامعة عين شمس. وعميد كليّة اللغات بجامعة الأزهر سابقًا، في (قاموس الفارسيّة) (فارسي - عربي) ويذكر في مقدِّمته أنّ عُلَماء الفارسيّة توقّفوا عن البحث في أصل الكلمات العربيّة في الفارسيّة لأنها رسخت في اللغتين إلى أن يرث اللهُ الأرض ومَنْ عليها؛ فيكتفي بأن يذكر أنه قاموس: (فارسي - عربي) الطّبعة الأولى سنة ١٩٨٢م= ١٤٠٢هـ. واعتمدْتُ الطّبعة الثالثة؛ ناشرها مكتبة اعتماد الكاظمي بقُم المُقَدَّسة ودار الكتاب اللبناني ببيروت.

الفصيح القديم غير قول ابن فارس في (مقاييس اللغة):

«. . والشِّواء الشَّرْشار: الذي يَتَقاطَرُ دَسَمُه».

وحينما تقرأ مادّة: ش ر ر في (القاموس المحيط) تَظُنّ أنْ ليس لها علاقة بالشّرْشَرَة العامّيّة؛ إذ يَغْلِب عليها فيه معنى الشّرّ نَقِيْض الخَيْر. . .

ويُمكنك أنْ تكتشف طريق تَطَوُّر الدّلالة وتغيُّر المعنى إذا رَجعتَ إلى أصل المعنى في (مقاييس اللغة) ففيه:

«الشّين والرّاء أصْلٌ واحدٌ يدلّ على الانْتِشار والتَّطايُر. من ذلك الشَّرُّ: خِلاف الخَيْر. وَرَجُلٌ شِرّير، وهو الأصل، لانتشاره وكَثْرَته. والشَّرُّ: بَسْطُك الشّيء في الشّمس. والشَّرارة، والجمع الشَّرار. والشَّرَرُ: ما تَطايرَ من النّار؛ . . . ويُقال: شرشرَ الشَّيءَ، إذا قطَّعه. . .

والشِّواء الشَّرْشار: الذي يتقاطر دَسَمُه [وكذا في (المُجْمَل. .) وفي (اللسان. . والقاموس. .)]: الشَّرْشَر.

والشَّرْشَرَة: أنْ تَنْفُض الشَّيْءَ مِنْ فِيْكَ بعد عَضِّكَ إيّاه. . .

. . . ويُقال: أشْرَرْت الشَّيءَ: إذا أبرزْتَه وأظهرتَه قال:

. . . .

وحتّىٰ أُشِرَّت بالأكُفِّ المَصاحِفُ

[لِكَعْب بن جُعَيْل كما في: (وَقْعَة صِفّين) ٣٣٦ و(اللسان): شرر. ونسب في (وقعة صِفّين ٤١١) إلى أبي جُهْمَة الأسدي. وذكر في (اللسان) نسبته إلى الحُصَيْن بن الحمام المُرّي عن حاشية المُحَقّق].

وقال امرُؤ القَيْس:

تَجاوَزْتُ أَحْراسًا إليها ومَعْشَرًا

عليَّ حِراصًا لو يُشِرُّون مَقْتَلي».

وفي (أساس البلاغة):

«. . ونار ذات شَرار وشَرَر. وطارت منها شَرارة وشَرَرَة.

وَشَرَّهُ في الشّمس وأَشَرَّهُ وَشَرَّرَهُ وشَرْشَرَه: بَسَطَهُ. وَضَرَبَهُ الكَلْبُ بِشراشِرِ ذَنَبِهِ وهي أطرافه، وما تَشَرْشَرَ منه أي تفرَّق. قال ابن هرمة:

فَعَوَيْن يَسْتَعْجِلْنَه ولَقِيْنَه

يَضْرِبْنه بشَراشِر الأذناب»

وأَوْرَد (اللسان. .) كلّ ما في (مقاييس اللغة) و(أساس البلاغة) وأُضيف من (اللسان. .):

«شَرَّ يَشِرُّ ويَشُرُّ شَرًّا وشَرارَةً، وحكى بعضهم: شَرُرْتُ: بضمّ العَيْن، ورَجُلٌ شَرِير وشِرِّير. . [قُلْت: كُنْتُ أسمع من الأطفال: شَرِير على فَعيل. .]. .

. . . وعَيْن شُرَّىٰ: إذا نَظَرَتْ إليك بالبَغْضاء. وحُكي عن امرأة من بني عامر في رُقْيَةٍ: أَرْقيك بالله من نَفْس حَرَّىٰ وعَيْن شَرَّىٰ. . .

. . . وشَرَّ اللَّحْمَ والأَقِطَ والثّوبَ ونحوها يَشُرُّ شَرًّا وَأَشَرَّهُ وَشَرَّهُ وَشَرّاه، على تحويل التّضْعيف: وَضَعه على خَصَفَةٍ أو غيرها لِيَجِفّ. . والإشْرارَة ما يُبْسَطُ عليه الأَقِط وَغَيْرُهُ. وجَمْعُها الأشارير والشَّرُّ بَسْطُكَ الشَّيءَ في الشَّمس من الثّياب وغيره، قال الرّاجز:

ثَوْبٌ علىٰ قامَةٍ سَحْلٌ، تَعاوَرَهُ

أَيْدي الغَواسِلِ، لِلْأَرْواحِ مَشْرُورُ

وَشَرَرْتُ الثّوبَ واللحمَ وأشررت، وشَرَّ شيئًا يَشُرُّه إذا بَسَطَه لِيَجِفّ. والإشْرارَةُ: القِطْعَة العظيمة من الإبِل لانتشارها وانْبِثاثها؛ وقد اسْتَشَرَّ

إذا صار ذا إشرارة من إبل؛ قال:

الجَدب يَقْطَعُ عَنْكَ غَرْبَ لِسانِهِ
فـإذا اسْـتَـشَـرَّ رَأَيْـتَـهُ بَـرْبـارا

قال ابن برّيّ: المعنىٰ أنّ الجَدْب يُفْقِرُه ويُميت إبِله فيقلّ كلامُه ويَذلّ. وإذا اسْتَشَرَّ فصارت له إشرارة من الإبِل.. صار بَرْبارًا وكَثُرَ كلامه...

... والشَّراشر: النَّفْسُ والمَحَبَّةُ جميعًا، أو هي مَحَبّة النَّفْس، وقيل هو جميع الجَسَدِ. وألقى عليه شَراشِرَهُ، وهو أن يُحبّه حتّىٰ يَسْتَهْلِك في حُبّه؛ وقال اللّيحانيّ: هو هَواهُ الذي لا يُريد أنْ يَدَعَه من حاجته؛ قال ذو الرُّمّة:

وكائِنْ تَرىٰ مِنْ رَشْدَةٍ في كَرِيهَةٍ
ومن غَيَّةٍ تُلْقى عليها الشّراشِرُ

قال ابن بَرّيّ: يُريدُ كَمْ تَرىٰ مِنْ مَصيبٍ في اعْتقادِهِ ورَأْيِه، وكَم ترى من مُخطِئٍ في أفعَاله وهو جادّ مُجْتَهِد في فِعْل ما لا يَنْبَغي أنْ يَفْعَل، يُلقي شَراشِرَهُ على مقابح الأمور ويَنهَمِك في الاسْتِكْثار منها...

والشَّراشِر: الأثقال: الواحدة شُرْشُرَة...

وشَرْشَرَ الشّيءَ: قَطَّعَهُ. وكلّ قِطْعَةٍ منه شِرْشِرَةٌ. وفي حديث الرُّؤيا: (.. فَيُشَرْشِرُ بِشِدْقِهِ إلى قَفاهُ)؛ قال أبو عُبيد: يَعْني يُقَطِّعُهُ ويُشَقِّقُه.. وَشَرْشَرَةُ الشَّيءِ: تَشْقِيْقه وتَقْطِيْعه.

وَشَرْشَرَ السِّكّينَ واللحم: أَحَدَّهما على حَجَر.

وشِواء شَرْشَرٌ: يتقاطَر دَسَمُه، مثل سَلْسَلٍ.».

وأُضِيْف من (القاموس.. والتّاج..):

«و.. الشَّرّ..: إبليس..، والشَّرّ.. الحُمّىٰ.. والشَّرّ: الفَقْر. والأشبه أن تكونَ هذه الإطلاقات الثّلاثة من المَجاز.. والشَّرير: جانب البَحْر، وقال كُراع: ساحِلُه..».

قلت: ولٰكنْ في عَصْرِنا كَتَب أحمد رضا العامِليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «قالُوا: شَرَّ الشَّيءُ وشَرْشَرَ إذا فَرَّقه وَبَدَّده بذرًا على الأرض. والفصيح ثرثرهُ (بالثّاء) قال في (القاموس..): الثَّرّ: التّفريق والتّبديد كالثّرثرة.

وفي (اللسان..): ثَرَّ الشّيءَ مِنْ يَدِهِ يثرّه ثَرًّا بَدَّده. وحَكَى ابن دُريد: بَدَّدَه ولم يخصّ اليد».

ورأيُ الأمير شكيب أرسلان في: (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل ص١٣٦): «يقول العامّة في مصر ولبنان والشّام: (شرشر الماءَ) أي قطره. والدّم والبَوْل و(دمه صار يُشَرْشِر) أي يَقْطُر نُقَطًا؛ يستعملونه لازمًا متعدّيًا، وهو من الفصيح أيضًا... ولك أنْ تقول هو مُحرَّف من: شَلْشَل بِبَوْله شَلْشَلَةً وشِلْشالًا: أَرْسَلَه مُنْتَشِرًا، وتَشَلْشَل الماءُ: تَقَطَّر. و(الشَّرْشَرة) في مصر، الآلة التي يُقْطَعُ بها الحشيش».

وفي مصر يَقْبَل بفصاحة قولهم: «شَرَّ.. وشَرْشَرَ..» د.عبدالعال في (مُعجم الألفاظ العامِّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) فصاحةً مُطْلَقَةً دون أن يجد فيها تَحْريفًا وإبْدالًا..

وفي المُعْجمات المُعاصِرة يُقرّر مُعْجم مَجْمَع القاهرة (..الوسيط) فصاحَتَها، ومِثْلُه (المعجم المدرسيّ) لأبي حرب بدمشق. ففي نصّهما: (شَرْشَرَ الماءُ ونَحْوُه: تقاطرَ) ولم يُقيّداها بالعامّيّة كما قيّدها البُستانيّ في (محيط المحيط) بقوله (والعامّة تقول: شَرْشَرَتِ القربة ونحوها؛ أي: تَقاطَرَ منها الماءُ مِنْ مَنافذَ كثيرةٍ).

وَصَف (..الوسيط و.. المدرسيّ) الماءَ بالشَّرْشَرَة والتَّقاطُر و.. وَصَف البُستانيُّ بالشّرْشَرَة القربةَ. إنّها نماذج من تَفاوُت مَواقِف عُلَماء اللغة في قبول التَّطوُّرات في معاني الألفاظ ودلالاتها..

لا: (شَرْشَحَة) بل: طَرْشَحَة

ولم أكُنْ لِأَكْتُبَ عن (الشَّرْشَحَة) التي يتّصف بها الأَمْرُ أو الشَّخْص (الشَّرْشُوح أو المُشَرْشَح أو المُبَهْدَل: راجعْ البَهْدَلة)؛ أيْ: المَرْذول، أو: الرَّثُّ الثّياب، أو الرَّزِيُّ الهَيْئة، أو المُنْخَفِضُ القِيْمَة والمُنْحَطّ المَرْتَبَة والمَكانَة... أو ما أشبهَ ذلك.

فلم أجدْها في المُعْجم العَرَبيّ، ولٰكنّي وَجَدْتها بمعانٍ مُتباعِدة ومُتخالِفةٍ لَدى الكُتّاب في موضوع: العامّيّة اللبنانيّة.

فليْسَتِ الشَّرْشَحَةُ في عامّيّتنا الشّاميّة كما هي بالمَعْنى الذي شَرَحَه أحْمد رضا العامليّ في: (رَدّ العامّيّ إلى الفصيح ص٢٨٧) ط١ في لبنان سنة ١٩٤٦ وطبعته الثانية سنة ١٩٨١ في بيروت.

ولٰكنّنا، في معناها نتّفقُ مع ما أَوْرَدَهُ أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطلحات والتّعابير الشّعبيّة ص٢٥٦) الصادر في مكتبة لبنان: بيروت سنة ١٩٨٧ ط١.

ولٰكنّ الاخْتِلافَ بَيْن رِضا وأبي سَعْد في تَفْسيرِ معناها لم يَمْنَعْ من أنْ يَرْبطها كلٌّ منهما بما رَبَطَها به قَبْلَهما رشيد عَطِيّة، وهو لَفْظ الطَّرْشَحَة الذي وَرَدَ في المُعْجم القديم بمعنًى ثالثٍ مُخالِفٍ أيضًا، ومع الشَّكّ في صحَّته..

ولقد ذَكَرَ أبو سَعْد رَأْيَ رشيد عَطِيّة مُؤَلِّف: (الدَّليل إلى مُرادِف العامّيّ والدَّخيل ٣٥٢) الصّادر ببيروت سنة ١٨٩٨.

ولٰكنّ أبا سعدٍ يَبْدَأُ بِرَأْيِ روفائيل نَخْلة في: (غرائب اللهجة اللبنانيّة السّوريّة ٨١) الصّادر ببيروت سنة ١٩٦٢: أنّها مُحَرَّفَةٌ من أصلٍ آراميّ؛ قال أبو سعد:

«شَرْشُوح، مُشَرْشح: مُمَزَّق الثّياب، فقير. وأظنّها تحريف شَرْتُوح المأخوذة من شَرْتَحَة الآراميّة... مُؤَنّثه: شَرْشُوحة ومُشَرْشَحَةٌ والْجَمْع شَراشِيْح ومُشرشَحِيْن، وقِيْل هو من طَرْشَح (عطية..)».

وقال رِضا:

«يقولون: شَرشَحَهُ فَتَشَرْشَحَ، والاسم الشّرْشَحَةُ، وذلك إذا عَرَض عليه أمرًا فيه جِهَةٌ للإقدام عليه وَجِهَةٌ للإحجام عنه وهو حائرٌ بَيْنَهما فلا يُقْدِم ولا يُحْجِم.

وجاء في اللغة كما في (اللسان...): الطَّرْشَحَةُ اسْتِرْخاء، وقد طَرْشَحَ. وضَرَبَهُ حتّى طَرْشَحَه. قال أبو زيد: هذا الحَرْفُ من (كتاب الجَمْهرة) لابن دُرَيْد مع غيره وما وجدته لأحدٍ مِنَ الثّقات. ا.هـ.

والطَّرشَحَة بمعنى الاسْتِرْخاء قَرِيْبَةٌ من حَيْثُ اللزوم من الشَّرْشحةِ العامّيّة لأنّ الحيرة تَبْعَث على قلّة النّشاط في العَمَل وذلك من بواعث الاسْترخاء بل من لوازمه.

وقالت عامّة جَبَل عامِلَة في شَرْشحه شَوْشَحَهُ «بإبدال الرّاء واوًا» ويريدون بها أيضًا أنّه علّقهُ في الهواء وجَعَلَهُ يَنُوسُ كَمَنْ هو في أُرْجُوحةٍ. وقد جاء في اللغة أشاحَ الفَرَسُ بِذَنَبِهِ بمعنى اسْترخى.

وأنت ترى أنَّ شَرْشَحَ وشَوْشَحَ العامِّيَّيْن وطَرْشَحَ وأَشَاحَ الفَصِيْحَتَيْن مُتقارِباتُ المعنى وتدور كلُّها على مِحْوَرٍ واحد». اهـ. رضا.

قلتُ: في (القاموس المحيط وتاج العروس..) كما في (اللّسان..) وكذلك في (محيط المحيط) للبستانيّ الذي يرى الفعل: «طَرْشَحَ.. وطَرْشَحَه.. لازم مُتَعَدّ».

وقُلْتُ: أعودُ إلى ابن منظور في (اللسان..) فآخذُ منه الْجُملة الأخيرة التي تركَتْها المَعاجِم بعده..

كما تَرَكها رضا: «..ويَنْبَغي للنّاظر أنْ يَفْحَصَ عنه فما وَجَدَه لإمامٍ مَوْثوق به أَلْحَقَه بالرُّباعيّ وما لم يَجِدْه لِثِقَةٍ كان منه على رِيْبَةٍ وحَذَر».

وأهمل (المعجم العربيّ الأساسيّ) كُلًّا من الطَّرْشَحَة والشَّرشحة.

شَرَطَ: قَطَعَ و(شَرَّط)

وشَارَطَه شَرْط الْحَتْلَة

تَقولُ عامَّتُنا: شَرَطَ الوَرَقَ والثَّوْبَ، وشَرَّطَه أي: قَطَّعَهُ ومَزّقَه. هذا في الشّام، أمّا في مِصْر فَقَد قَرَأْتُ لدى د.عبدالعال أنّهم هُناك يُبْدِلُون الرّاء الثّانية ميمًا فيقولون (شَرْمَطَ فلان الثّوبَ والوَرَقَ). وأعُود إلى الشّاميّة شَرَط فهي فَصِيحة:

وفي (لسان العرب): «الشَّرْط بَزْغُ الحَجّامِ بالمِشْرَطِ؛ شَرط يَشْرُطُ وَيَشْرِطُ شَرْطًا إذا بَزَغَ. والمِشْراطُ والمِشْرَطَةُ: الآلةُ التي يَشْرُطُ بها. [وقبله]: والمِشْرَطُ: المِبْضَعُ...

وفي الحديث: (نَهَىٰ النّبيّ، ﷺ، عن شَرِيطَةِ الشَّيْطانِ) وهي ذَبِيْحَة لا تُفْرَىٰ فيها الأَوْداجُ ولا تُقْطَعُ ولا يُسْتقصَىٰ ذَبْحُها؛ أُخِذَ من شَرْطِ الحَجّام...

والشَّرِيطَةُ مِنَ الإبل: المَشْقوقَةُ الأُذُنِ. والشَّرِيطةُ شِبْه خُيوط تُفْتَل من الخُوص والليف، وَقِيل: هو الحَبْلُ ما كان، سُمّي بذلك لأنّه يُشْرَطُ خُوصُه أي: يُشَقُّ ثمّ يُفْتَلُ.. والْجَمْع شَرائط وشُرُطٌ وشَرِيط. [وقبله فيه] وقد شَرَطَ له وعليه كذا يَشْرِطُ وَيَشْرُطُ شَرْطًا واشْتَرَطَ عليه. والشَّرِيطَةُ كالشَّرْطِ، وقد شارَطَهُ وشَرَطَ له في ضَيْعَتِهِ.. وشَرَطَ للأجير....».

قُلْت: وَصَلْنا إلى المَثَل العامّيّ: (المُشَارَطَة في الحَقْل ولا المُخَانَقَة على البَيْدر).

أمّا التَّشْريط بمعنى التَّقْطيع فَمِنْ تَوَسُّعِ العامّة في تَصْريفِ الفِعْل لِتَخْرِيج صِيغَة التَّفْعيل.

شَرْواك

يقولُ لكَ العامّيُّ الشّاميُّ: (فلانٌ شَرْواكَ بالخير..) أي: هو مَثِيْلُكَ في الخَيْر؛ وفي (أساسِ البلاغةِ) ص٢٣٤ مادّة (ش ر و).

«ما لَهُ شَرْوَى: مثل: وهو وهي وهما وهم وهنّ شَرْواكَ، قالتِ الخنساءُ:

أَخَوانِ كالصَّقْرَيْنِ لم
يَرَ ناظرٌ شَرْواهُما».

وليسَ في (القاموس المُحيط) ج٤ ص٣٤٨ إلّا قوله: (والشَّرْوَى كَجَدْوى المِثْل).

وفي (الوسيط) ج١ ص٤٨٤: (شَروى الشَّيْءِ: مِثْلُه، وهو لا يَملِكُ شَروى فَقير: مُعْدِم).

وفي (لسانِ العرب) ط بيروت سنة ١٩٥٦م ج١٦ ص٤٢٨ مادّة (ش ر ي).

«وشَرْوى الشّيءِ. مِثْلُهُ، واوُهُ مُبْدَلَةٌ من الياءِ، لأنَّ الشَّيْءَ إنّما يُشرَى بِمِثلِهِ ولٰكنّها قُلِبَت ياءً كما قُلِبَتْ في تَقْوى ونحوِها. أبو سعيد: يُقالُ هذا شَرواه وشَرِيُّه أيْ مِثْلُهُ؛ وأنشدَ:

وتَرَى هالِكًا يقول: ألا تُبْـ
ـصر في مالِكِ لهذا شَرِيًّا؟

(وكان شُرَيحٌ يُضَمِّنُ القَصّارَ شَرْواه) أي مِثْلَ الثّوبِ الذي أخذَه وَأَهْلَكَهُ؛ ومنه حديث عَليٍّ، كرّمَ اللهُ وجهَهُ: (ادْفعُوا شَرْواها منَ الغَنَمِ) أي مِثْلَها. وفي حديثِ عُمَرَ، رضيَ اللهُ عنهُ، في الصّدقةِ: (فلا يأخذ إلّا تلكَ السِّنَّ من شروى إبِلِه أو قيمةَ عَدْلٍ أي من مِثْلِ إبِله).

وفي حديث شُرَيح: (قضى في رَجُلٍ نَزَع في قَوْسِ رَجُلٍ فكسرَها فقال له شَرْواها). وفي

حديث النَّخْعيِّ في الرَّجُلِ يبيعُ الرَّجُلَ ويَشْتَرطُ الخلاص قال: (له الشَّرْوَى) أيْ: المِثْلُ».

وإذا تذكَّرْنا أنَّ شرى يِشري منَ الأضْدادِ، أيْ: بمعنى باعَ... وبمعنى اشترى... فهل نقولُ: إنّ أصلَ معناهُ قبل تطوُّرِه بادَلَ مِثْلًا بمثلٍ؟ لأنَّ شرواها بمعنى مِثْلِها كما في الحديثِ وغيرِه «وأَشْراءُ الشّيءِ: نَواحيه، واحدُها شَرًى وسُمِّيَ بذلكَ لأنَّه كالنّاحيةِ الأخرى..» كما قال ابنُ فارسٍ في (مقاييسِ اللغةِ).

وعلى الرّغمِ منْ أنّ كُتّابَنا ومُعَلِّمينا يَسْتخدمونَ الصُّورةَ البيانيّةَ المعروفةَ: (لا يملكُ شَرْوَى نَقِيرٍ) بمعنى أنّه مُعدِمٌ، إلّا أنّهم قلّما فكّرُوا في الشّرح اللغويِّ لكلمةِ: شروى؛ أي مِثْل: وأمّا النّقيرُ ففي (لسان العرب): «نُقَرَةٌ في ظهرِ النّواةِ منها تَنْبُتُ النَّخْلةُ».

وقلّما تنبّه مُثَقَّفُونا إلى أنَّ قَوْلَ العامّةِ: شرواك قولٌ فصيحٌ صحيحٌ.

ولم أجدْها في كُتُبِ العامّيّةِ والفصيحةِ فيما لَدَيّ، فلعلّها في عامّيّتنا المَحَلِّيَّةِ...

الشّاطر[1]

الشّاطر: اسم الفاعل من (شَطَر) بمعنى: قَسَمَ[2]، وحينما نُشَجّع الطّفل فنقولُ له: يا شاطر... فكأنّنا نقصد أنّه يقسم الأمور الصّعبة أقسامًا لكيْ يتغلّبَ على الصّعوبات بِتَجْزئَتِها...

وقد أسرعَ الأستاذُ المرحوم محمّد العدنانيّ في كتابه (مُعْجَم الأخطاء الشّائعة) الى تَعرِيَةِ العبارة (شاطر) من الصّحّة[3]، وهو يَعلَمُ شيوعَ اسْتِخْدَامِها بين الكِبارِ والصِّغار في المجتمعات العربيّة.. في التّربية.. وفي الحياة العامّة.. فكتب بعنوان: (ماهر لا شاطر): «ويقولون: هذا شابّ شاطر. والصّواب: هذا شابّ ماهر أو بارعٌ أو حاذقٌ، لأنَّ كلمة الشّاطر هي اسم فاعل من الفعل شَطَّرَ...، وبعد أن يُفَصّل العدنانيّ في المعاني التّسعة التي يُوردها للفِعْل (شطُر)، ويورد قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

(١) منشورة في العدد السادس من سنة ١٩٨٤ من مجلّة المعلم العربي الصادرة بدمشق عن وزارة التربية العربية السورية: السنة السابعة والثلاثون.

(٢) كثرت كتب اللغة والمعجمات التي يمكن متابعة مادة (شطر) فيها، ويمكن الاستغناء عن أكثرها بذكر بعض مما في (لسان العرب) لابن منظور ج١٩ ص٤٠٦ ط. بيروت ١٩٥٥: (الشَّطْر: نصف الشيء،.. وشَطَرْته: جعلته نصفين. وفي المثل: أحلبْ حَلَبًا لكَ شَطْرُه. وشاطَرَه مالَه: ناصفه،... وفي حديث عائشة: كان عندنا شَطْرٌ من شعير، وفي الحديث: أنّه ﷺ، رهن درعه بِشَطْرٍ من شعير؛ قيل: أراد نصف مَكُّوكٍ، وقيل: نصف وَسْقٍ. ويقال: شِطْرٌ وشَطِير... وشاطرني فلان المال أي قاسمني بالنصف.... ويقال: وَلَدُ فلانٍ شِطْرَة، أي: نصف ذكور ونصف إناث. وشَطَر بصره يَشْطِرُ شُطُورًا وشَطْرًا: صار كأنّه ينظر إليك وإلى آخر. وقوله ﷺ: من أعان على دَمِ امرِئٍ مسلم بِشَطْرِ كلمةٍ جاء يومَ القيامة مكتوبًا بين عينيه: يائس من رحمة الله... وشطر عن أهله شطورًا وشطورة وشطارة إذا نَزَح عنهم وتركهم مراغمًا أو مخالفًا وأعياهم خبثًا، والشاطر مأخوذ منه وأراه مولّدًا، وهو الذي أعيا أهله ومُؤَدِّبَه خبثًا... والشطير: البعيد. ويقال للغريب: شطير لتباعده عن قومه. وجمعه شُطُر... قال أبو إسحق: قول الناس: فلان شاطر معناه أنّه أخذ في نحوٍ غير الاستواء... وقال أبو إسحق: الشطر النحو، لا اختلاف بين أهل اللغة فيه. قال ونصب قوله عز وجل: شَطْرَ المسجد الحرام، على الظرف، ولا فعل له.

(٣) ص ١٣٠ من (معجم الأخطاء الشائعة) الطبعة الثانية: مكتبة لبنان - بيروت ١٩٨٠ ومثل رأي المرحوم العدناني رأي الأستاذ صلاح الدين الزعبلاوي في زاوية (أخطاء شائعة) ص٨ من جريدة الثورة بدمشق ١٩٨٤/٥/٣١ العدد ٦٥٠٩.

المَسْجِد الحرام﴾[١] يشير إلى قَوْل صاحبِ (اللسان) وصاحبِ (التّاج): (إذا كان [شَطْر] بهذا المعنى فلا فِعْلَ له)»، ثمَّ يقولُ: «أمّا الشّاطر عند الصّوفيّين فهو السّابقُ المُسْرِعُ إلى حَضْرة الله تعالى وقُرْبه». ا.هـ. أقول: فكأنّ الناس في عَصْرنا قد اعتمدُوا رأيَ الصّوفيّة في أنّ الشّاطر سابقٌ ومُسْرِع، دون أنْ يقيّدوا الإسراع بأنّه: (إلى حضرة الله تعالى وقربه)، أو أنْ يقيّدوه بالإسراع إلى الشّرّ كما رأى بعض أئمّة اللغة. وقَبِلَ د.عبدالعال في (معجم الألفاظ العامِّيَّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) بفصاحة الشّاطر: «نقول في دارجتنا: فلان شاطر: ذكيّ واسع الحيلة، فيه نوع من الخُبث البريء، ويتشطّر فلان في شرائه وبيعه: ذكيّ يستخدم ذكاءه في زيادة ربحه».

وفي (المعجم الوسيط): (شطر الرجلُ يَشْطُر شطورًا وشَطارةً: أعْيا قَومَه خُبثًا. و- عن القوم: نَزَحَ عنهم مُغاضِبًا. و- أعياهم شرًّا. و- الشيءَ شطرًا قَسَمَهُ. و- جَعَلَهُ نِصْفَيْن. و- الحلوبَ: حَلَب شَطْرًا من أخلافِها وتركَ شَطْرًا. و[الشّاطر] الخبيث الفاجر. و- [عند الصّوفيّة] السّابق المُسْرِع إلى الله. ويستعملُه العامّة بمعنى الفَهِم المُتصرّف)[٢] ا.هـ. فكأنّ (الوسيط) وكأنّ مَجْمَعَ مصر مُنتجَ (الوسيط) على الحِياد أمامَ هذا الاستعمالِ الدّارج، أمّا مَجْمَع دمشق فكان سَبَقَ أنْ كلّف من أعضائه المرحوم الشيخ أحمد رضا العامليّ، وَضْعَ معجم حديث، فَوَضَعَ رضا مُعْجَمَ (مَتْن اللغة) وجَعَلَ له حواشِيَ يتتبّع فيها ما تقولُه العامّة في (جبل عاملة، وساحل دمشق وما يليه من سفوح لبنان)[٣] كما ذكر رضا، ثمّ توسّع في هذه الحواشي فألّف كتابَه: (ردّ العاميّ إلى الفصيح) جامعًا (لأكثر من ألفٍ وأربعمائة مادّة)

فلْنقرأْ له ما كَتَبَ في مادّة (الشّاطر) بهذا العُنوان: (الشّاطر عند العامّة الذّكيّ الحاذقُ اللبِقُ في عَمَلِه، هذا هو المعنى المشهور بينهم، وفي اللغة من معانيه الذكيّ السّبّاق المُسْرع ج شُطّار، وأشهرُ معانيه في اللغة مَنْ أعيا أهلَه خُبْثًا ومَكْرًا، والخليع المُسْتَهتر، وهو مأخوذ من شَطَر عنهم أي بَعُد مُراغمًا وقالوا تشاطر إذا تشبّه بالشّطّار والأفصح تشطّر)[٤].

إذًا فقد سبق لأحمد رضا منذ سنة ١٩٤٦ أن قَبِل للشّاطر معنًى قريبًا جدًّا من المعنى الشّائع على ألسنة العامّة، قبل أن يرفُضَه العدنانيّ في مؤلَّفه الصّادر في سنة ١٩٨٠ إذ قال رضا: (وفي اللغة من معانيه الذكيّ السّبّاق المُسْرع)[٥]. ولكنّ السّبّاق المُسْرع إلى قبول هذا المعنى الدّارج لكلمة (شاطر) كان من قبل هذين العالِمَين بألفِ سنةٍ ونيّفٍ، إنّه أبو طالبِ المفضّلُ بنِ سَلَمَة بن عاصم مُؤلّف كتاب (الفاخر)[٦] المُتوفّى منذ سنة

(١) الآية ١٤٤ من سورة البقرة.

(٢) ص٤٨٥ من (المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٦٠م).

(٣) ص١٠ من مقدمة المؤلف لكتاب (رد العامي إلى الفصيح): أحمد رضا العاملي – الطبعة الثانية: دار الرائد العربي ببيروت ١٩٨١.

(٤) (٥) ص ٢٩٢ من (رد العامي إلى الفصيح) المذكور آنفًا.

(٦) يبدو أنّ عددًا من كتب التراث تحمل اسم (الفاخر)، والمقصود هنا (الفاخر) المطبوع في القاهرة ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م. في سلسلة: (تراثنا) وهو تأليف أبي طالب المفضل بن سلَمة بن عاصم المتوفى ٢٩١هـ. بتحقيق عبدالحليم الطحاوي رئيس تحرير مجلة مجمع اللغة العربية بمصر، مراجعة محمد علي النجار، أصدرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الجمهورية العربية المتحدة، الطبعة الأولى في دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاه. نسخة محققة من =

٢٩١هـ. والمفضَّل هذا يبدأ مُؤلِّفه مُوضّحًا غرضه من تأليفه فيقول في (ص١) منه بعد المقدّمة: (هذا كتاب معاني ما يجري على ألسنة العامّة[1] في أمثالهم ومُحاوراتهم من كلام العرب، وهم لا يَدرُون معنى ما يتكلّمون به من ذلك، فبيّناه على وجوهه على اختلاف العُلَماء في تفسيره، ليكونَ مَنْ نَظَرَ في هذا الكتابِ عالِمًا بما يَجري من لفظه، ويدورُ في كلامه، وبالله التّوفيق). فإذا كان هذا غرض المفضّل بن سَلَمَة من تأليفِه (الفاخر) فلْنقرأْ له فيه بعنوان: [قولهم: فلان يتشطّر وفلان شاطر] قال الأَصْمعيّ: الشّاطر: الذي شَطَرَ عن الخير، أي بَعُدَ عنه. ومنه نوًى شُطُر أي بعيدة. وقال امرؤ القيس:

وشاقَك بين الخليط الشُّطُر

وفيمن أقام من الحيّ هِرْ

وقال أبو عُبيدة: الشّاطر: الذي شَطَرَ الى الشّرّ أي عَدَل بوجْهِه نحوَه. ومنه قول الله عز وجل: ﴿فولِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجِد الحرام﴾[2].

لم يَقْصُر ابن سَلَمَة (شَطْر)، على الظّرفيّة، فلم يَقُلْ كما قال ابن منظور والزّبيديّ بعد ابن سَلَمَة بقرون: (إذا كان شَطَر بهذا المعنى فلا فعل له)[3]. ولٰكنّ ابن سلمة أشارَ إلى أنّ العامّة تتوسّع في معنى كلمة (شاطر) بينما يَقْصرها كلّ من الأصمعيّ وأبو عُبيدة على مَنْ شَطَرَ عن الخيرِ إلى الشّرّ، أمّا العكس: مَنْ شَطَرَ عن الشّرّ إلى الخير كما عند الصّوفيّة فيبدو أنّ العامّة أَخَذَتْ به منذ القديم أيضًا، بل إنّ الشُّطّار في العصر العبّاسيّ تخالَفَتِ النّظراتُ الشّعبيّة إليهم بين خيرٍ وشرّ.

هذه مُحاولةٌ تهدفُ إلى الاتّجاه نحو دراسةٍ لتاريخ التّطوّر في معاني الألفاظ.. لأنّ حاجةَ لغتنا إلى مُعْجم يتتبّع حياة العباراتِ وتطوُّر معانيها على مدى العصور.. حاجةٌ ماسّة تتزايدُ كلّ يومٍ.

شَطَفَ

الشَّطْفُ في الشّام ومِصْرَ وغيرهما: الغَسْلُ بالماء: (شَطْف بلاطِ الأَرْض وَشَطْفُ الصُّحون والأَطْباق من آثارِ الصّابون أَوْ غَيْرِه، وشَطْف الأَنْسِجَة والثِّياب بإزالَةِ آثارِ الصّابون

=مخطوطتي: مكتبة نور عثمانية، ومخطوطة مكتبة الفاتح من مخطوطات الجامعة العربية، ومخطوطة (كمبردج) التي اعتمدت عليها طبعة سابقة من هذا الكتاب ١٩١٥ حققها المستشرق تشارلز ابروز ستوري معلم اللغة العربية آنذاك في المعهد (الإسلامي في عليكرة (بالهند) ونسخها مفقودة، أشارت إليها الصفحة ج من مقدمة هذه الطبعة. وجاء في الصفحة ز من المقدمة: (أن هناك كتابين في اللغة وُسِما بالفاخر: أحدهما للفرّاء في لحن العامة كما وصفه ابن النديم في فهرسته، وياقوت في معجم الأدباء، وكشف الظنون في احصائياته [طبع الآستانة ص١٢١٥]. والآخر للمنذري ذكره الأزهري في مقدمة تهذيب اللغة ولقبه: الفاخر والشامل. [وفي الحاشية: مقدمة تهذيب اللغة للأزهري: ٦٨ تحقيق الأستاذ عطار]. الصفحة ز من مقدمة (الفاخر). والمنذري: أبو الفضل المنذري المتوفى ٣٢٩هـ. ممن رووا عن أبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم: مقدمة تهذيب اللغة ص٥٥. ويوجد كتابان آخران ترجم عنوانهما بالفاخر: أحدهما في الطب للرازي المتوفى ٣١١هـ. [كشف الظنون: ١٤٥٥]. وثانيهما: الفاخر في شرح جمل عبدالقاهر تأليف عمر بن عبدالمجيد بن الحسن الأزدي المهدوي الرندي [كشف الظنون: ١٥٢]: حاشية الصفحة ج من مقدمة (الفاخر) لابن سَلَمَة.

(١) في حاشية الصفحة هـ من مقدمة (الفاخر) لابن سلمة: (ليس المراد من العامة الدهماء والسقاط، ولكن المثقفون الذين تسرّبت إليهم أخطاء من الدهماء أو من تصفيحات النساخ).

(٢) ص ٢٨ من (الفاخر) لابن سلمة، الفقرة٥٥.

(٣) من (لسان العرب) ج. الآنف الذكر.

والمُنَظِّفاتِ.. وشَطْف شَفْرَة الحِلاقَة من آثار الحِلاقَة.. ونحو هذه.. وأمّا في الصّناعَة المَعْدَنيّة فالشَّطْف أَخْذٌ من بَعْض أَطْراف المَعْدَن).

ويُضيف البُسْتانيّ في (محيط المحيط): «..ويقولون: شَطَّفَ الحَطَبَ أي قَطَّعَهُ قِطَعًا صَغِيرَةً. والقِطْعَة الرَّقِيقَة المُحَدَّدَة منه يُسَمُّونها شِطْفَة. ويقولون أيضًا: هذا الأَسْمَر أَشْطَف من ذاك أي أَقَلُّ منه سُمْرَةً».

والفِعْل شَطَفَ فصيح اللفظ إلّا أنّه مختلِف الدَّلالة والمعنى، ولعلّه تَطَوَّر من العُدول عن الشَّيْء وَشَطْبِه إلى العُدول عن التَّلَوُّث وَشَطْبه بالماء النَّظيف، عَلِمَ اللهُ...

في (لِسان العرب) و(القاموس المحيط) و(تاج العروس..):

«شَطَفَ عنِ الشَّيْءِ: عَدَلَ عنه؛ عن ابن الأعرابيّ. الأصمعيّ: شَطَفَ وَشَطَبَ إذا ذهب وتباعَد [ويُضيف (التّاج..)]: مثل شَطَبَ، وأنشد:

أَحانَ مِنْ جِيرانِنا خُفُوفُ
وَأَقْلَقَتْهُم نِيَّةٌ شَطُوف؟

وفي النّوادر: رَمْيَةٌ شاطِفَة وشاطِيَة وصائفة إذا زَلَّتْ عن المَقْتَل». ا.هـ. ابن منظور.

ويُضيف (القاموس.. والتّاج..): «..وقال غيره: شَطَف أي (غَسَل) قال الصّاغانيّ: (وهذه سوادِيَّة) أي لغة السَّواد. قلت وكذا لُغَةُ مصر، أنشد الأَصْمَعي:

أَحانَ مِن جِيرانِنا خُنُوف
إذ هتفت قُمْرِيَّة هَتُوفُ
في الدّارِ والحَيُّ بها وُقُوفُ
(و) أَقْلَقَتْهُم (نِيَّةٌ شَطوفُ)

أي: (بعيدة).

وممّا يُسْتَدْرَك عليه: التَّشْطيف كالشَّطف بمعنى الغَسْل، مصريَّة، [قلت: وشامِيَّة أيضًا]. والشُّطْفَة من الشّيء - بالضَّمّ - القِطْعَة والجَمْع شُطُف..».

وكتب عنه أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) فقال: ولٰكنْ ما المناسَبة بين المعنى الفصيح والعامّيّ؟ ولعلّه يُقال: إنّه بالغَسْل قد أبعد عن المَشْطُوف الدَّنَسَ والوَسَخ. والأَوْلى بالاعتبار أنّها دَخِيلَة سريانيّة.

ولٰكنْ لِ. د. عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) رأيٌ آخر:

«نقولُ في دارِجَتنا: شَطَفَ الثّوبَ والكُوبَ والإناءَ، وشَطَّفَ وَجْهَه، أو يَدَيْه أو رِجْلَيْه. غَسَلَها وأبعدَ عنها القَذَر وأَذْهَبَهُ. ونقول: شطف الإناءَ: كَسَرَ جُزءًا منه ونَحّاه عنه، وكُوبٌ مَشْطُوف: كُسِرَت منه قطعة فَعَابَتْهُ. وفي (القاموس..): شَطَفَ: ذَهَبَ وَتباعَدَ وغَسَلَ» وكتب شفيق جبري في بقايا الفصاح صفحة في (الشّطف والتّشطيف) في ص٤٤٥-٤٤٧ ج٣ من المجلّد ٤٥ من (مجلّة مجمع.. دمشق) تمّوز يوليو سنة ١٩٧٠م = ربيع الآخر سنة ١٣٩٠هـ.

الشِّعْرَة

مِمّا تَقُولُهُ العامَّةُ في دِمَشْقَ، لا تُخطئُ في لَفْظِهِ ولا تغيّرُ من معناهُ، ولا تحرّفُ شيئًا من فصاحته: الشِّعْرَة، بمعنى: شَعَرِ العانة.

وفي (لِسانِ العربِ) لابنِ منظورٍ: ش ع ر: «الشِّعْراءُ والشِّعْرَةُ: الشَّعَرُ النَّابِتُ على عانَةِ الرَّجُلِ وَرَكَبِ المرأة وعلى ما وراءَها..

والشِّعْرَةُ: مَنْبِتُ الشَّعرِ تحت السُّرَّة، وقيل: الشِّعْرَةُ: العانَةُ نَفْسُها. وفي حديث المَبْعَثِ:

(أَتاني آتٍ فَشَقَّ مِن هٰذِهِ إلى هذه..) أي: من ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إلى شِعْرَتِهِ».

وفي (لسان العرب) أيضًا في مادّة الْجَذْر: أ س ب: «..وقال أبو الهيثم: العانَةُ مَنْبِت الشَّعَرِ مِن قُبُلِ المرأةِ والرَّجُل، والشَّعَرُ النّابت عليها يُقال له الشِّعْرَةُ والإِسْبُ». ا.هـ. ابن منظور.

وتجدُ بعضَ هذا في (القاموس المحيط) و(أساس البلاغة) وغيرِهما من كُتُب التُّراثِ اللغويّ..

أمّا في (الصّحاح) للْجَوهريّ: ف: «الشِّعْرَةُ: شعرُ الرَّكَبِ للنّساء خاصةً».

الشَّفْتَرةُ

الشَّفْترةُ من فصيحِ العامّيّاتِ في الشّام ومِصْرَ ولبنانَ وغيرِها. وقد ذكرَها د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في مصرَ في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) وفي لبنانَ ذكرَها الأميرُ شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) ص١٣٨. ولم يذكرْها أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) ولٰكنّه ذكرَها في مُعْجَمِهِ (متن اللغة) إذْ أفردَ لها حاشيةً بقولِ العامّةِ على عادَتِه في هذا المُعْجَم. وإذا وجدَها هؤلاءِ فصيحةً، (فالمُنْجدُ) مُعْجَمُ لويس معلوف يَنُصُّ على أنّها عامّيّةٌ.

وبطرسُ البُسْتانيُّ في (مُحيطِ المُحيطِ) يَرى أنّ (شفَّ) ثُنائيٌّ ساميٌّ مُشْتَرَكٌ، ومنه الشّفةُ. ولٰكنْ محمّد خليل الباشا في حاشيتِهِ على (القول الفصل..) يرى أنّ «شفترَ العامّيّة مأخوذةٌ من هذا الْجَذْرِ وزيدَتِ الرّاءُ لتمثيلِ هَيْئةِ المُشافِرِ وهي في الجَمَلِ كالشِّفاهِ في الإنسانِ، ويُسَمّيها العامّةُ: (شَفَاتير)».

وعِنْدنا في الشّام يُقالُ: (شَفْتَرَة شفَتَيْها ظاهرة) ويَصوغونَ الفِعْلَ شَفْتَر بمعنى: بَرَزَ وتفرّق واتّسع؛.. ثمّ يُقالُ عندَنا على المجازِ أيضًا: (قَبّة هذا الثّوب [أي: بَنِيقَتُه] مُشَفْتِرة).

أيْ مُثَنّاةٌ مُتَفَرِّقةُ الأجزاءِ أو مُنْتَصِبةٌ..

وللشَّفْتَرَةِ بهذه المعاني أصلٌ تليدٌ تَنَبَّهْتُ إليهِ وأنا أقرأُ في مُعْجَم (مقاييس اللغة) لابنِ فارسٍ في مادّةِ التّركيب: زَغَلَ: «وأزغل الطائرُ فَرْخَهُ، إذا زَقَّهُ. قال ابنُ أَحْمَرَ:

فَأَزْغَلَتْ في حَلْقِهِ زُغْلَةً
لم تُخْطِئِ الجِيْدَ ولم تَشْفَتِرّ

فالشَّفْتَرَةُ لفظٌ فصيحٌ صحيحٌ». ولٰكنّ الفِعْلَ: اشْفَتَرّ، على وزن افْعَلَلَّ، حوّلَتْه العامّةُ من السّداسيِّ إلى الرُّباعيِّ المُجَرّدِ على وزنِ فَعْلَلَ، ولٰكنْ قالَ رضا إنَّها: «إمّا لقطةٌ مَصُوغَةٌ من معنى الشّفةِ بزيادةِ الرّاءِ أو مِنَ المُشَفتر أيْ المُقشعرّ على مَحْمَلٍ بعيدٍ». قلتُ: ولٰكنَّ العامّةَ قاسَتِ الفِعْلَ الرُّباعيَّ من مصدرِهِ القياسيِّ فصاغتْهُ، واسْتعمَلَتْه على التّوسُّعِ في المعنى..

وفي (القاموس..) و(التّاج..) كما في (لسان العرب):

«الشَّفْتَرَةُ: التَّفَرُّقُ.. واشْفَتَرَّ الشَّيءُ: تَفَرَّق. واشْفَتَرّ العودُ: تكَسَّرَ؛ وأنشد ابنُ الأعرابيِّ:

تبادِرُ الضّيفَ بعودٍ مُشْفَتِرِ

أي مُنْكَسِر من كَثْرةِ ما تضربُ به...

ابنُ الأعرابيِّ: اشْفَتَرَّ السِّراجُ: إذا اتَّسعتِ النّارُ فاحتَجْتَ أنْ تقطعَ من رَأْسِ الذُّبالِ؛ وقال أبو الهيثم في قولِ طَرَفَةَ:

فترى المَرْوَ إذا ما هَجَّرَتْ
عن يَدَيْها كالْجَرادِ المُشْفَتِرْ

قال: المُشْفِتِر: المُتَفَرِّق. قال: وسمعْتُ أعرابيًّا يقول: المُشْفَتِرّ: المُنْتَصِب؛ وأنشد:

تغدو على الشَّرِّ بوجهٍ مُشْفَتِرِ

وقِيْلَ: المُشْفَتِرّ: المُقْشَعِرّ» وفي (القاموس..) «والمُشْفَتِر: المُشَمِّرُ».

وأُضيف من (التّاج): «الشَّفْتَرَةُ أهمَلَهُ الْجَوْهريُّ هنا وذكره في آخرِ تركيبِ ش ف ر ولم يُفْردْ لهُ تركيبًا وقال الصَّاغانيّ: وليسَ أحدُ التَّركيبَيْنِ من الآخرِ في شيءٍ..»...

الشَّقَف

في (لسان العرب) لابن منظور: «الشَّقَف: التّهذيب: أَهْمَلَه اللَّيث وَرُوِي عن أبي عَمْرو: الشَّقَف: الخَزَفُ المُكَسَّرُ.» أو كما في (القاموس المحيط) للفيروزاباديّ: «... الخَزَف أو مُكَسَّرُه» ثمّ يَرْوي الفيروزاباديّ أسْماءَ أمْكِنةٍ من ش ق ف. ويُعَقِّب ويَسْتدركُ الزّبيديّ في (تاج العروس..) بَعْد أنّ الذي رَواها عن أبي عَمْرو هو ابن عَبّاد [الذي يَرْوي عنه الزّبيديّ كثيرًا في رِواياتِ اللغةِ مع أنّهُ يَقولُ إنّه تُرِكَ الأَخْذ بِمُعْجَمِه المحيطِ لما فيه من التّوهـمِ أو غيرِه..]. فَيَذْكرُ الزّبيديّ في المُسْتَدْرَك أنّ «الشُّقافة: القِطْعة مِنَ الخَزَف: مِصْرِيَّة» أي بلهجةِ مصرَ الدّارجةِ.

قُلْتُ: أَعرفُ أنَّ الذي يَدْعونَه في مصرَ: حِتَّة، نُسَمّيه نحن: شَقْفَة.. ولٰكنْ في مُعْجَم مَجْمَع القاهرة: (..الوسيط): «الشَّقَفُ: الخَزَفُ، أو مُكَسَّرُهُ. الواحدة شَقَفَة. والشَّقّافُ: صانعُ الشَّقَف أو بائعُهُ» وفي (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) ل.د. عبدالعال: «نقولُ في دارِجَتنا: الشَّقْفَة: ما تَكَسَّرَ من الخَزَف أو ما يَبْقى بَعْدَ كَسْرِهِ». وأمّا أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) فَيَرى أنَّ قَوْلَ العامّةِ: «(شَقْفَة أَرْض) بمعنى قِطْعَة أَرْض إمّا من: شَقَف الخَزَف، أو من شَدَفه: قطعه، أو إنّها مأخوذةٌ من الأرميّة، والشَّقفُ هو الصَّخْر العظيم فيها... وسمعتُ تُجّار المواشي عِندَنا يقولونَ شَقْفة غَنَم أيْ قِطْعةٌ من قطيعِ الغَنَمِ وهي من الجِزْفَة؛ قال المجد: وجِزْفَة من النَّعَم: بالكَسْرِ: قِطْعَةٌ». قلت صحيح، هذه الجِزْمَةُ في (القاموس..).

وقلت: واللَّحمُ والشِّواء في مطاعِمِنا (شُقَف) إذا كان مُقَطَّعًا وليس مَطْحُونًا أيْ: ليس (كَبابًا)!!

الشَّقَف

الشِّواء في المَطَاعِمِ وعِنْدَ القَصّابِيْن إمّا (كَبَاب) أو (شقَف).. أيْ: قِطَعٌ مُقَطَّعَةٌ وكلّ قِطْعَةٍ شَقْفَة بِسُكُونِ القافِ. وهي في تليد الفصيح الشَّقَف كما نَقَلَها ابنُ منظور عن الأزهريّ عن أبي عَمْرو بنِ العَلاء..

وكلُّ ما في (اللسان..): ش ق ف: «(التّهذيب) أَهْمَلَهُ الليث [والجوهريّ] ورُوِيَ عن أبي عَمْرو: الشَّقَفُ: الخزَف المُكَسَّر».

وكذلك في (القاموس..) ويُسْتدرك عليه في (التّاج..) «الشُّقافَة - كثُمامَة -: القِطْعَةُ من الخَزَف، مِصْرِيّة».

وفي المِصْرِيَّة المُعاصِرَة يَجِدُها د. عبدالعال فَصِيْحةً، ففي (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقولُ في دارِجَتِنا: الشَّقْفَة ما تَكَسَّرَ من الخَزَف أو ما بَقي بَعْدَ كَسْرِه، وفي (القاموس..): الشّقف: الخزَف أو مُكَسَّرُه».

فَقُلْتُ: كانَ هذا بالضَّبْطِ نصُّ (المُعْجَم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة: «الشَّقَفُ: الخَزَفُ أو مُكَسَّرُهُ. الواحدةُ شَقَفة. الشَّقّاف: صَانِعُ الشَّقَفِ أو بائِعُه».

وقَبْلَهُ: لأحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«..وأُرَجِّح أنّ قَوْلَهُم شقف الشّيء بمعنى قَطَعَهُ.. مأخوذٌ من مُكَسَّرِ الخَزَفِ وهو الشَّقَف في الفصيح...

أو تكونُ مِنْ: شَدَفَهُ إذا قَطَعَهُ، والقِطْعَةُ شَدفة.

أو إنّها مأخوذةٌ من الأرميّة؛ والشّقف هو الصّخر العظيم فيها..

قالُوا: وأصلُه فيها من شَقَفَ بمعنى رَضّ بالسّريانيّة...

... وقدْ عَمّ اسْتِعْمال الشَّقْفَة بمعنى القِطْعَةِ. فَقِيْل: شَقْفَةُ أَرْضٍ وَقِطْعَةُ أرضٍ، بمعنًى واحدٍ».

وقَبْلَهُ للبُستانيّ في (مُحيط المُحيط): «...شَقَفَةٌ؛ والعامّة تُسَكِّنُ القاف. وتُطْلِقُ الشَّقْفَةَ على القِطْعَةِ من كلِّ شَيْءٍ. والشُّقَيْفات مُصَغَّرَة عِنْدَهم صُنُوجٌ من النُّحاسِ لها عُرًى يُدْخِلُ الرّاقِصُ واحدةً منها في إبْهامِه، وأُخْرىٰ في الوُسْطىٰ من كِلْتا يَدَيْه، ثمّ يَصُكُّ الواحدةَ بِأُخْتِها وهو يَرْقُصُ فَيَخْرُجُ لهُما صَوْتٌ مَوْزُوْنٌ على طريقةٍ مَخْصوصَةٍ».

قُلْتُ: هذه التي أَسْمَعُهم يُسَمُّونَها في عامّيّتِنا: الفُقَّيْشات، فقد وقَعَ القَلْبُ المَكانيُّ.. والفِعْل فَقَشَ البَيْضَةَ: كَسَرَها...

شَقَّ وشَقَّرَ

(شَقَّ عليه)[1]: أم شَقَّرَ عليه؟

ما الذي دَفَعَ العامّة في الشّام إلى اسْتِخْدامِ الفِعْل: (شقّ عليه) بمعنى: «زَارَه، أو: عادَه، مُراعِيًا شُؤونَه، مُطْمَئِنًّا على راحتِه»؟! وهو، كما ترى، معنًى بعيدٌ أَشدَّ البُعد وأقصاه، عن المعنى الوارد في الآية الكريمة: ﴿وما أريدُ أن أَشُقَّ عليك﴾[2] أي: أُثْقِلَ عليك، وأوقعَك في المَشَقَّة.

و(شقّ عليه) في العامّيّة الشّاميّة المُسْتَخْدَمَة الآن، ليسَ لها علاقةٌ بمعاني مادّة (شقّ) العديدة، والتي تَقْرأُ عنها سِتّ صفحاتٍ كبار في (لسان العرب) مُعْجَم ابن منظور[3]، فتكادُ لا تجدُ فيها، أو في كُتُبِ اللغةِ الأخرى، ومَرَاجِعِها المُتوافرة بين الأيدي، أيّ شيءٍ قريبٍ من المَعنى الدّارجِ في عامِّيّتنا المذكورة.

ولو قلت: إنّ هذه العِبارَةَ الدّارجةَ صورةٌ من صُوَرِ الكِنايَةِ أو المَجازِ، لَرأيتَ أثرًا من الإشارة إلى هذا المجاز، أو ما هو قريبٌ منه، في مثل مُعْجَم الزّمخشريّ: (أساس البلاغة) حيثُ تقرأُ قولَه: (...وشقّ الصُّبُح والنّابُ وبَصَرُ الميتِ شُقوقًا، ورأيتُ بَرْقًا يُشَقّ شَقًّا، إذا اسْتَطَالَ ولم يأخذْ يمينًا أو شمالًا)[4].

وفي مَرْحَلَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ في الزّمن، من مراحلِ الطّريق الذي لعلّه يكونُ قد اجتازَه التّطوُّر اللغويُّ للفِعْل (شقّ) تَجِدُ السِّيَرَ الشّعبيّة تستخدمُه اسْتخدامًا يكادُ يُقرّب بين شِقَّيْ البُعدِ الفاصلِ بَيْن معنى (شقّ) في الآية: ﴿وما أريدُ أنْ أَشُقَّ عليك﴾ وبين ما ذُكر في الاستعمال العامّيّ الدّارج في اللهجة الشّاميّة:

(١) منشورة في العدد الثاني من مجلة (المعلم العربي) لسنة ١٩٨٤ السنة السابعة والثلاثين من صدورها عن وزارة التربية العربية السورية بدمشق.

(٢) سورة القصص، الآية ٢٧.

(٣) (لسان العرب) ط. بولاق سنة ١٣٠٨ هـ. ج١٢ ص٤٨ – ٥٣.

(٤) (أساس البلاغة) ط. دار إحياء المعاجم العربية بالقاهرة: محمد نديم سنة ١٣٧٢هـ – ١٩٥٣م. بتصوير ط. دار الكتب المصرية سنة ١٣٤١هـ. مع التصغير، ص٢٣٩.

ففي المجلّد الرابع من (ألف ليلة وليلة) وفي مَطْلَع: (حكاية أبي قِيْر وأبي صِيْر) وَرَدَتِ العبارةُ: (وشقّ بين الرّكاب) ثمّ وَرَدَ، بعد ثلاثِ صَفَحاتٍ من الحكايةِ نفسِها: (امضُوا مع هذا المعلّم وشُقّوا أنتم وإيّاه في المدينة، وأيّ مكانٍ أعْجَبَهُ فأخرِجُوا صاحبَه منه) وفي الصّفحة التّالية: (ثمّ إنّ المزيِّن خرجَ من الخان وشقّ في الأسواق) والتالية أيضًا: (ثمّ خرج وشقّ في أسواق المدينة)[١].

ولٰكنّ هذا كلّه غيرُ مُقْنِع... فهذه مَلامحُ من التَّطوُّرِ.. أو من افتراضاتِ التّطوّر اللغويّ على صَعِيْدِ الاستعمالاتِ الدّارجة. ولٰكنّها تَظَلُّ ضِمْنَ حُدودِ الفَرَض المَشْكُوكِ في دِقَّةِ إصابته وصِحَّة توفيقِه وسَدادِه.

أليسَ يدعونا كلُّ ذلك إلى أن نُغيّر اتّجاهَ زاوية الظَنِّ والفرْض والحَدْس والتَّخْمين؟ فنسمح لأنفسِنا أنْ نظنَّ أنّ (شقّ) العامّيّة الشّاميّة يُحتمَل أن تكونَ من (شَقّر) الواردة في عامّيّة مصرَ، وقد سَمِعْناهم يَسْتَخْدِمُونها في مُحاوراتهم في القصصِ والمُسَلْسَلات الواردة من القُطْر المصريّ، كما اسْتُخْدِمَتْ في أغنية الأمّ (ستّ الحبايب) المشهورة بالعامّيّة المصريّة:

[أَنَــــامْ وِتِـسْـــهَـــري
وتْـبــاتــي تِــفَـكّــري
وِتِـصْـحِـي مِـن الـهَـنـا
وتِــيــجـــي تِــشَـــأّري]

ومعلومٌ أنّها ملفوظةٌ [تشأّري] والمقصودُ (تشقّري) فالقاف تُلْفظ همزةً، على ما هو دارِجٌ ومَعروفٌ.

ولعلّهم اشْتَقُّوا الفِعْل (شَقَّرَ) من لفظة: (الشُّقور) التي وَرَدَت في (القاموس المحيط) للفيروزابادي بمعنى: (الحاجَة أو الهمّ المُسْهِر، أو: الأمور اللاصِقَة بالقَلْب، المُهِمّة له، جَمْع شَقر)[٢].

وكذلك في (لسان العرب) لابن منظور: «والشُّقور: الحاجة، يُقال: أخْبَرْته بشُقوري، كما يُقال: أفْضَيْتُ إليه بِعُجَرِي وبُجَري، وكان الأصمعيّ يقولُه بِفَتْح الشّين، وقال أبو عُبيد: الضَّمُّ أَصَحّ لأنّ الشّقور بالضّمّ بمعنى: الأمور اللاصِقَة بالقَلْب المُهِمّة له، الواحد شَقر، ومن أمثال العرب في سِرار الرَّجُل إلى أخيه ما يَسْتُرُه عن غيره: أفضيْتُ إليه بشقوري، أي: أخْبرتُه بأمري وأطلعتُه على ما أُسِرُّه من غيره، وبثّه شُقوره وشَقوره أي: شكا إليه حالَه، قال العجّاج:

جاري لا تَسْتَنْكِري عَذيري
سيي وإشفاقي على بَعيري
وكثرةَ الحديث عن شَقوري
مع الجلا ولائح القتير

وقد استُشهد بالشَّقور في هذه الأبياتِ لغير ذلك، فقيل: الشَّقُور، بالفَتْح، بمعنى النَّعْت، وهو بثّ الرّجُل همّه، وروى المُنذري عن أبي الهيثم أنّه أنشده بَيْتَ العجّاج، فقال: روى: شُقوري وشَقوري، والشُّقور: الأمور المُهِمّة، الواحدة شَقر، والشَّقور هو الهمُّ المُسْهِر، وقيل: أخبرني

(١) ص ١٨٤ وما بعدها من (ألف ليلة وليلة) ج٤ ط. مكتبة الجمهورية العربية بمصر: عبد الفتاح وعبد الحميد مراد، ومطبعة محمد علي صبيح ـ ميدان الأزهر بمصر، ولم أعثر على تاريخ طباعتها. ويلاحظ في هذه الحكاية ذكر شرب الدّخان والقهوة ـ ولعلّ المقصود قهوة البنّ وليس الخمرة ـ مما يوحي أنّ زمن كتابتها لعلّه قريب من العصور الحديثة.

(٢) (القاموس المحيط) ط. الخامسة سنة ١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م بمصر ج٢ ص٦٢.

بِشَقوره، أي بسرّه»[1].

إنَّ رَبْطَ العبارةِ الشّامِيّة (شقّ) بالمصريّة ذات الأصل الفصيح: (شقّر) من الشّقور... أمرٌ متروك لِمَزِيْدٍ من البحث والتّنقيب...

الشَّلْح والتَّشليح

لعلَّ عِبارةَ (التَّشْليح) بمعنى التَّعْرِيةِ مَثَلٌ مِنَ الأَمْثِلَةِ التي تدلُّنا على ترفُّعِ بَعْضِ أَنْصارِ الامْتِيازاتِ الطَّبَقِيَّةِ وتَعالِيْهم عن العامّةِ وعمّا يُسَمُّونَه سَوادَ النّاس.. وعن ألفاظِ هؤلاءِ السَّوادِ المَنْبوذين الّذين يُرادُ تَشْليحُهم وتَعْريتُهم حتّى من الفَصاحةِ، وهكذا ثبّت المجدُ الفيروزاباديّ من ش ل ح من (القاموس المحيط): «والتَّشْليح: التَّعْرِيَة؛ سَواديّة، والمُشَلَّح:... مَسْلَخ الحَمّام». ذلك لأنَّ ابنَ دريدٍ صاحبَ: (الْجَمْهَرة في اللغة) قال: «أمّا قولُ العامَّةِ: شلّحَهُ فلا أَدْري ما اشْتِقاقُه» فقال تِلْميذُه أحمدُ بنُ فارسٍ في مُعْجَمِ (مقاييس اللغة).

«ش ل ح: لَيْسَ بِشَيءٍ. يقولون إنّ الشَّلْحاء: السّيف».

ولابنِ منظورٍ في (لسان العرب): «الشَّلْحاءُ: السّيفُ بلغةِ أهلِ الشَّحْرِ، وهيَ بأقصى الْيَمَنِ. ابنُ الأعرابيّ: الشُّلُحُ: السُّيوفُ الحِدادُ؛ قال الأزهريُّ: ما أرى الشَّلْحاءَ والشُّلُحَ عربيَّةً صحيحةً، وكذلك التَّشْليحُ الذي يتكلّمُ به أهلُ السَّوادِ سمعْتُهم يقولونَ: شُلِّح فلانٌ إذا خرجَ عليه قُطّاعُ الطريقِ فَسَلَبُوهُ ثيابَه وعَرَّوْهُ؛ قال: وَأَحْسِبُها نَبَطِيَّةً.

وفي الحديث: (الحاربُ المُشَلِّح، هو الذي يُعَرّي النّاسَ ثيابَهم)؛ قال ابنُ الأثير عن الهَرَوي: هي لغةٌ سواديّةٌ، وفي حديث عليّ - رضي الله عنه - في وَصْفِ الشُّراةِ: (خرجُوا لصوصًا مُشَلِّحِيْنَ)؛ قال ابن سِيْده: قال ابن دُرَيد: أمّا قَوْلُ العامّةِ شَلَّحَهُ فلا أدري ما اشْتِقاقُهُ». ا.هـ. ابن منظور.

والزّبيديّ في (التّاج..) يَجْمَعُ ما في (القاموس..) و(اللسان..) كَدَأْبِه غالِبَ الأحيانِ.

قلْتُ: ولٰكنَّ (أهل السَّواد) الذين لا يُحتجُّ بكلامِهم لأنّ أصولَهم من السّاميّين القُدماءِ ولغاتهم متأثّرة بالسّريانيّةِ والآراميّة والنّبطيّة والكلدانيّة وغيرها من مجموعةِ اللغاتِ السّاميّةِ أو (الشّاميّةِ) كما في (القاموس..) ومن المعروفِ أنّها مجموعةُ أَخَواتِ العربيّةِ الفصيحةِ، وليسَ من المُفيدِ أنْ يكونَ مقياسُ الفصاحةِ عندَنا كمقياسِ ابن دُرَيد وتلاميذِه في إنكارِ فصاحةِ العباراتِ المُشْتَرَكةِ بينَ السّامياتِ القديمةِ وإنّما بقاءُ العبارةِ حيَّةً منذُ تلك العُصورِ، وورودُها على أَلْسِنَةِ الفُصَحاءِ كعليٍّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - فقد وصفَ الخوارجَ بأنّهم: «خرجوا لصوصًا مشلِّحين» كَمَا رَأَيْنا. ولٰكنَّ فُصَحاءَ عَصْرِنا احْتاجُوا إلى أنْ يَكْتُبَ عن (التّشْليح) شفيق جبري العَالِم المَجْمَعيُّ وعميدُ كليّةِ الآدابِ السّوريّةِ صَفْحةً وَنِصْفَ الصّفحةِ في افتتاحيّاتِه (بقايا الفصاح) في مجلّةِ مَجْمَعِ اللغةِ العربيّةِ بدمشقَ ص٣ من الْجُزء الأوّل من المُجلّد الثّالث والخمسين سنة ١٣٩٨هـ وسنة ١٩٧٨م في الشّهر الأوّلِ من كِلْتا السّنَتَيْن الْقَمَريّةِ والشّمسيّة. وأنْ يَكْتُبَ قبلَه أحمد رضا العامليّ الصفحة ٣٠٣ من (ردّ العاميّ إلى الفصيح) ط٢ والأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العاميّ إلى

[1] (لسان العرب) ط. المذكورة سابقًا ج٦ ص٩٠ - ٩٢. أو ط. دار صادر ودار بيروت ج١٩ ص٤٢٢، في خمسة وستين جزءًا لسنة ١٩٥٥.

الأصْل) ص١٤٠ ثمّ يكتبُ مُحَقِّقُه محمّد خليل الباشا حاشيتَه فيها، ثمّ يكتبُ في مصر د.عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في ص٣٢٩ من (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) فَيَسْتَشْهِدُ بورودِها في (القاموس..) مُتجاهِلًا وَصْفَها فيه بالسَّواديّة. فاسْتِخْدامُ التّشْليح عامٌّ بَيْن العامّيّاتِ المُخْتَلِفَةِ منذُ أنْ كانتِ العامّيّةُ هي الفَصِيحةَ في عصر الرّسولِ (ﷺ) وابنِ عمّه عليّ (ر) وحتّى اليوم. وفي الشّام ومصرَ وغيرهما.

جدير بالذكر هاهنا أنّ بعض الفصحاء من الشُّعراء المعاصرين صاروا يستعملون (الشّلح) في لغتهم الشِّعريّة...

الشَّلْف والشّلِيْف

نقول في عامّيّتنا بدمشق كما يقول أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): ش ل ف.

«قالُوا: شَلَفَ منه شَلْفَةً: إذا أصابَ شيئًا كيفما اتَّفَقَ دون كَيْل ولا وَزْن. والأَخْذ الشَّلْفُ هو ما كان كذلك.

وأراها مأخوذَةً من شَدَفَهُ شَدْفًا.. إذا قَطَعَه شُدْفَةً شُدْفَةً؛ أي قِطْعَةً قِطْعَةً. أو من شَذَفه (بالذّال المُعْجمة) يُقال ما شَذَفْتُ منك شَيْئًا؛ كذا في (القاموس) عن (العُباب..) أو من جَلَفه وجَرَفه إذا ذَهَب به كُلِّه، والقطعة جِلْفة». قلتُ: ولم أجد الفعلَ شَذَفَ بالذّال في (اللسان..)، وكلّ ما في (القاموسِ والتّاج..) منه نَقَلَهُ أحمد رضا ونقل ما يناسبُ منه بالدّال المُهْمَلة أيضًا من (اللسان والقاموس.. والتّاج..): ش د ف. وكذلك من (ج ل ف) التي أُرَجّح الظّنّ بأنّها أقربُ وأنسبُ.

وفي: الشّليف؛ السّريجة في ش ل ف: «الشّليف عند العامّة: كالجُوالق مَشْقوق عَرْضًا، يُنْسَجُ مَن خُوْص... يُنقَل فيه على ظَهْر الحَمير والبِغال والهَجين من الخَيل: الحَبُّ والبُقُول وَغَيْر ذٰلك، هٰكذا يُسَمّيه أهلُ دمشقَ وما إليها من بلاد الشّام، واسمُه في جَبَلِ عاملة: السّريجة، وهي من: الشّريجة..

ولعلّ أصْلَ هذا الشّليف: السّليف: (بالسّين المُهْمَلَة) مُحرّفة عن السِّلْف بمعنى الجراب تُوُسّع فيه وخُصّ به هذا النّوع من الجُوالق..» قلت: بفتح السّين في (اللسان..): السَّلْف..

وقلت: وأعرف أنّ عَوَامّ دمشق يَسْتَعْمِلُون أيضًا الاسم الفصيح: الخُرْج، وفي أمثالهم (إنْ لَمْ تُزَاحِمْ لم يقعَ في الخُرْج شيء).

ولم أجدْ في (اللسان..) ش ل ف ووجدت في (القاموس.. والتّاج..): «الشَّلَّافَة - كشدّادة: أهْمَلَهُ الجَوْهريّ وصاحبُ (اللسان..) وقال ابنُ عَبّادٍ هي المَرْأَةُ الزّانية؛ كما في (العُباب)» [للصّغانيّ].

ويُضِيف البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط): «..الشِّلْف من الحديد عند العامّة: القضيب منه. والشّالُوف عندهم أيضًا: الماء المُتَحَدِّرُ مِنْ مكانٍ شاهِق أو هُوَ اسْم ذلك المكان.».

وَأَهْمَلَه (المعجم الوسيط) وغيره من حديث المعاجم وعنوا بالذي أوّله جيم: الجَلْف.

وفي (النّوادر) لأبي مسحل الأعرابيّ[1]:

(١) (كتاب النّوادر): تأليف: أبي مسحل الأعرابي عبد الوهاب بن حريش. وورد اسمه في (بُغية الوعاة: للسّيوطي) عبدالوهاب بن أحمد. ولم يذكر السّيوطي تاريخ وفاته، ولكنْ في طبعة (النّوادر) في المجْمع العِلْمِيّ العربيّ بدمشق سنة ١٣٨٠هـ وسنة ١٩٦١م؛ بتحقيق د.عزة حسن؛ ذكر أنّه من رجالات اللغة في آخر القرن الثّاني وأول القرن الثالث الهجري.

«جَلَفه بالسَّيْفِ يَجْلِفه ويجلُفه. والجَلْف القَشْر» ويزيد في (اللسان..) كما في (القاموس.. والتّاج..) «وقيل هو قَشْرُ الجِلْد مع شيءٍ من اللَّحْمِ.. والجَلْف أجْفَىٰ من الجُرْف وأَشَدُّ استئصالًا. وجَلَفْتُ الشَّيءَ: قَطَعْتُه واسْتَأْصَلْتُه.. ونَزَعْتُه.. وَزَمان جالِف وجارِف.. وخُبْز مَجْلوف: أَحْرَقه التَّنُّور فَلَزِق به قُشُورُه...».

أتكون الثُّلَّة لا الشُّلَّة؟

(شُلِّي خياطة الثّوب شِلالَةً لِنُجرّبَ قِيَاسَه، ومن بَعْدُ نُثَبِّتُهُ باللَّفْقِ أو بالدَّرْزِ أو بالحَبْكِ أو اللقْطِ أو نَكُفُّه مِنْ حَوْل دائِرِهِ بعد صِحَّةِ القِيَاس) هكذا تُخاطِب مُعَلِّمَةُ الْخِياطة البِنْتَ المتعلّمة.

و(الشِّلَّة) في عامّيّتنا الدّارجةِ مَجْموعةُ الْخُيوطِ المَلْفُوفَةِ لفًّا دائريًّا غير مُخَبَّصة وقد اسْتُعْمِلَت حَدِيثًا للمَجْمُوعَةِ من النّاسِ تَرْبُطُ بينَهم رابطةُ صداقةٍ أو مَصْلحةٍ أو ما أَشْبه، واسْتُعْمِلت عبارةُ سَيْطرة السّياسة (الشُّلَلِيَّة) أي الفِئَوِيَّة على كثيرٍ من المَظَاهِرِ الإداريّةِ وغيرها في ظُروفٍ حُكُوميّة.. يَتَعاوَنُ فيها أفرَادُ فِئَةٍ أو عَدَدٍ من الفِئاتِ ممّن يَصِلونَ إلى مراكزِ الْقوّةِ والنّفوذِ إلى السُّلْطَة الحكوميّةِ في ظروفٍ مُعَيَّنَةٍ... ولَعَلّ هذه التي بمعنى الفئة مُبْدَلة من الثُّلَّة بالثّاء..

و(شِلَّة) الخُيوط لدى أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) هي في الفصيح (الثّلّة).

وفي (محيط المحيط) لبطرس البستانيّ: «الشَّلَّةُ: المرّة والأَمْرُ البعيدُ تَطْلُبُه. وعند العامّة ما يُعَرَّشُ عليه الكَرْمُ. والشِّلَّة: النّوعُ وجمع الشّليل.. وعند العامّة: خصلةٌ مَطْوِيَّةٌ من خيوطِ الغَزْلِ، والشُّلَّةُ: النِّيَّةُ أو النّيّة في السَّفَرِ، والأمرُ البعيدُ نطلبُه. قال أبو ذُؤَيْبٍ الهُذَلِيُّ:

وقلت تَجَنَّبَنْ سُخْطَ ابن عَمٍّ
وَمَطْلَبَ شُلَّةٍ وهي الطَّروحُ».

وفي (المعجم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة: «شَلَّ الثّوبَ يَشُلُّه شَلًّا: خَاطَه خِياطةً خفيفةً مُتَباعِدةً..؛. والشِّلالَةُ: الخِيَاطةُ الخَفيفَةُ المُتَباعِدَةُ». وكذلك كتب محمّد العدنانيّ في ص٣٥٣ من (مُعْجَم الأغلاط اللغويّة المعاصِرة) الصّادر عن (مكتبة لبنان) ببيروت سنة ١٩٨٤.

وهذه ممّا في العامّيّة الفَصِيحة في مِصر؛ ففي (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة..) يقول د. عبدالمُنْعِم سيّد عبدالعال: «شَلَّلَ: نَقول في دَارِجَتِنا: شَلَّلَ الثّوبَ: خَاطَه خِياطةً وَاسِعة. وفي (القاموس): شلَّلَ الثّوبَ: خَاطَهُ خِياطةً خَفِيْفَةً، وهي الشَّلُّ، والكَفُّ أَقْوىٰ منها (المصباح).

الشِّلَّةُ: نَقول في دارِجَتِنا: شِلَّةُ أَصْدِقاء: جَمَاعَة مِنْهم، والأَصْل ثُلَّةٌ، ثمّ أُبْدِلَتِ الثّاء سِينًا، وأُبْدِلَتِ السّين شِينًا (طَسْتٌ وطَشْت) وفي (القاموس): الثُّلَّةُ بالضّمّ، الجماعة (ج) ثِلَلٌ، كَعِنَبٍ». ا.هـ. د. عبدالعال.

قُلْت: مِنْ قراءة ما في المُعْجَم العربيّ التّراثيّ (كاللسان..) وغيره وَجَدْتُ أنّ مادّة الْجَذر ش ل ل لا تُلَبّي إلّا في عِبارة وَاحدة لابن مَنْظور عن ابن الأعرابيّ: «شَلَلْتُ الثّوبَ: خِطْتُهُ خِيَاطةً خَفِيْفَةً».

أمّا المعاني الأُخرى فَنَلْتَمِسُها في: ث ل ل ففي (اللسان..): «والثُّلَّةُ، بالضَّمِّ: الْجَماعة من النّاس، وقد أَثَلَّ الرَّجُلُ فهو مُثِلٌّ إذا كَثُرَتْ عِنْدَه الثُّلَّةُ. وفي التّنزيل العزيز: ﴿ثُلَّةٌ من الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ من الآخرين﴾ السّورة ٥٦ الواقعة: الآية ٤٠: وقال الفَرّاء: والثُّلَّةُ: الفِئَة..».

وَقُلْتُ كذلك (شُلَّة الخِيْطَان) العامّيّة يَجوز أنْ نُعِيدها إلى الثّاء المَفْتُوحَة إذا كانَتْ مِنَ الصّوف؛

ففي (اللسان..): «قال ابن الأثير: سُمِّيَ الصُّوْفُ بالثَّلَّة مَجازًا.

وقيل: الثَّلَّة: الصّوف والشَّعر والْوَبَر إذا اجْتَمَعَت ولا يُقال لِوَاحدٍ منها دون الآخر ثَلَّة...».

شَمَطَهُ الشّامِط طولًا

وهل الشّماطيط أَصْل (الشّراطيط)؟

(الشّراطيط) في عامّيّتنا.. مِزَقٌ وأُقْصُوصاتٌ من الأَثْوابِ والأَنْسجةِ، أو الثّوب المُهْتَرِئُ الذي يُحوّلُ إلى بقايا من الأنْسِجةِ التي يُصْنَعُ منها بِساطٌ رخيصٌ لحمتُه وسداهُ الخيوطُ يُسَمَّى عندنا (بِساط الشّراطيط) وكُنْتُ أرى أصلَها في قولهم في عامّيّتنا (شَرَّطَ الوَرَق والثّوبَ) أي قَطَّعه ومَزَّقَهُ وفي (القاموس..).

«والشَّرْطُ: بَزْغُ الحَجّام يَشْرِطُ وَيَشْرُطُ فهو فِعْلٌ من فِصَاح العامّيّة وإنْ صَرّفَتْه العامّةُ وتوسّعَتْ في تَصْريفه وخَرّجت منه صيغة فعَّل كما رأيْنا»...

ولكنّي حين بَحَثْتُ عن (الشّامط بالطّول) عِبَارَتنا العامّيّة وَجَدْتها ووجدْت أصْلًا آخر (للشّراطيط) كما هي في رأي أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح).

وذلك (في تاج العروس من جواهر القاموس): «والشُّمطوط بالضّمّ: الطّويل» قال الرّاجز:

يَتْبَعُها شَمَرْدَلٌ شُمْطُوطُ

لا ورَعٌ جِبْسٌ ولا مأْقُوطُ

[الواو غير مَشْكولة في اللسان والرّاء مَفْتوحة فيه]

والشُّمْطوط (الفِرْقة من النّاسِ) وغيرهم كالشِّمْطاط والشِّمْطيط، بكسرهما، وَقَوْم شَماطيط: مُتَفَرِّقَة...

... (وثوب شَماطيط؛ أيْ: خَلَقٌ) عن اللحيانيّ وغيره (مُتَشَقِّق).

الواحد شِمْطاط، كما في (الصِّحاح) [للجوهريّ] وأَنْشَد للرّاجز وهو جَسّاسُ بْنُ قُطَيْبٍ:

مُحْتَجِزًا بِخَلَقٍ شِمْطاطِ

على سَراويلَ له أَسْماط

[وفي اللسان: مُحْتَجِزٍ].

... (وجَاءَتِ الخَيْل شَماطيط؛ أيْ: مُتَفَرِّقَةً أرْسَالًا) أو جَماعةً في تَفْرِقَةٍ.

قال سِيْبَوِيهِ: لا واحدَ للشَّماطيطِ ولذلك إذا نَسَبْتَ إليه قلْتَ شَماطِيطيٌّ؛ فأَبْقى عليه لَفْظَ الْجَمْعِ، ولو كان عِندَه جَمْعًا لَرَدَّ النَّسَبَ إلى الواحدِ فقال شِمْطاطِيٌّ أو شُمْطوطِيٌّ أو شِمْطِيطيّ..

قُلْتُ: لعلَّ العامّة وَضَعُوا لهذه العبارةِ واحدَها المُفرَد بعدَ أنْ أَبْدَلُوا بالميم راء: فقالوا: (شَرْطوطة) مُفْرَد (الشَّراطيط)؟ ولعلَّ اختلاطَ السَّوادِ والْبَياضِ في الشّعر الأَشْمَط أَوْحى لهم باخْتلاط الأَلْوان في الشَّراطيط. وأَصْل الشَّمْط: الخَلْط كما في (اللسان..) و(التّاج..) و(مقاييس اللغة..) الذي ينصّ على: الخُلْطَة.

أمّا في عامِّيَّةِ مِصر فيقول د. عبد المنعم سيّد عبدالعال؛ في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتنا: شَمَطَ فلان فلانًا عَلْقَةً: ضَرَبَه بِخَيْزُرانة رَفيعة (وما شاكَلَها) حتّى انْتَشَرت آثارها على جَسَده. ونقول: يَشْمِطُ فلان في الثَّمَن: يُبالغ فيه، وهو شَمّاط.

وفي القاموس: شَمَطَه يَشْمِطُه: خَلَطَه. وشَمَطَ الشَّجرُ: انْتَشَرَ وَرَقُه».

قلت: وهذا ما يُقال في عامّيّة أهل الشّامِ أيضًا.

الشَّنَب غير الشّارِب

عَوامّنا في الشّام ومصر وغيرِهما يُسَمُّون الشّارِبَيْنِ (شَنَبات) والشَّنَبُ في الفصيح ليسَ الشّارِبَ ولٰكنّهُ قريبٌ منه بالمُجاوَرَة... وهكذا خَصُّوا الشَّنَبَ بالرِّجال دون النِّساء وفي لُغَةِ التُّراثِ كانَ المُتَغزِّلُون يَتَغَنَّوْن بِشَنَبِ الحَبِيْبَة.. وقد حَفِظْنا في شواهد النَّحْويّ ابن هشام الأنصاريّ قولَ الرّاجِز:

وابِأَبيْ أنتِ وفُوكِ الأَشْنَبُ
كأنَّما ذُرَّ عليه الزَّرْنَبُ

والشّارِبانِ في فصيح عَوامِّ الشّام وممّا لم يختلفْ لفظًا ولا مَعنًى. ولٰكنْ اختلفَ مَعنىٰ الشَّنَبَيْن.

وفي (أساس البلاغة): ش ن ب: ثَغْرًا أَشْنَبُ، وفيه شَنَبٌ: وهو رِقَّتُهُ وصَفاؤه وَبَرْدُه. ورُمّانَةٌ شَنْباءُ: إمْليسِيَّة.

وفي (القاموس المحيط):

«الشَّنَبُ - مُحَرَّكة - ماءٌ وبَرْدٌ ورِقَّةٌ وعذوبَةٌ في الأسنان، أو نُقَطٌ بِيْضٌ فيها أو حِدَّةُ الأنياب كالغَرْبِ تراها كالمِنْشار. شَنِبَ - كَفَرِحَ - فهو شانب وشَنِيْبٌ وأَشْنَب وهي شَنْباء وشَمْباء... وَالمَشانِبُ: الأَفْوَاهُ الطَّيِّبَةُ».

وفي (اللسان..): «..الأصمعيّ: الشَّنَبُ بَرْدُ الفَمِ والأسنان قال ذو الرُّمّة:

لمياءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ
وفي اللِّثات وفي أنيابِها شَنَبُ

... الشَّنَبُ: البَياض والبَريق والتَّحديد في الأسنَان».

وفي (مقاييس اللغة): «ش ن ب: أصلٌ يَدُلّ على بَرْدٍ في شَيْءٍ. يقولُون: شَنِبَ يومُنا، فهو شَنِبٌ وشانِبٌ، إذا بَرِدَ..».

وفي (مُحيط المُحيط) عن المُطَرِّزيّ مُؤَلّف (المُغْرِب في ترتيب المُعْرِب).

«سُئِل رُؤْبَةُ عن الشَّنَبِ فَأَخَذَ حَبّةَ رُمّانٍ وقال: هذا هو الشَّنَبُ؛ وأشارَ إلى صَفَائِها وَرِقَّةِ مائِها. والعامّة تُكْني بالشَّنَبِ عن الشّارب.

.. والشَّنْباءُ أيضًا: الرُّمّانةُ الإمْلِيْسِيَّة ليسَ لها نوًى وإنّما هي ماءٌ في قِشْر.

والمَشانِبُ: الأفواه الطَّيِّبَةُ».

وَغَلَّطَ محمّد العدنانيّ المُحْدَثِيْنَ الذين يُطْلِقُون اسم الشَّنَبِ على الشّارِبَيْنِ دُون قَرارٍ مَجْمَعِيٍّ، وذلك في (مُعْجَم الأغلاط اللغويّة المُعاصِرة) ط. مكتبة لبنان سنة ١٩٨٤.

ويَرى د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) في الشَّنَبِ بمعنى الشّارِب أنّه «مَجازٌ مُرْسَلٌ علاقَتُه المُجاوَرَة، كتَسْمِيَةِ الشَّعْر النَّابِت على الأَجْفَان أشْفارًا، والأشْفارُ حُروفُ الأَجْفان».

الشَّنْتَرَة والشِّنْتيرة

صار قَدُّك قدّ الشِّنْتير، وَتَدَّعي أنّك طفلٌ صغير.. وأختك صارت شِنْتِيرة.

هكذا تستعملُ عامّتُنا الوصفَ (بالشَّنْتَرَة) لمن يريدونَ تذكيره بأنّه لم يبقَ طِفلًا فلا يصحُّ أن يسلُكَ سلوكَ الأطفالِ في العملِ أو القولِ..

ولفظُ الشَّنترة مُعْجَميّ تُراثيّ يَمانيّ؛ أمّا معناه العامّيّ عندنا فكأنّه ممّا تصرّفتْ به العامّةُ فقلبَتْه إلى ضدِّه على الطّريقة العربيّةِ التّالدةِ في استعمال الأضدادِ؛ ألم يكونُوا يَدْعُون الملدوغَ بالسّليمِ تَيَمُّنًا بشفائِه وتفاؤلًا بسلامتِه..؟! أوَلَمْ يَتَحَيَّر الخليفةُ في تسميةِ جاريةٍ فائقةِ الجمال ثمّ سمّاها قبيحة؟! أَوَلَمْ يَتَتَبَّعْ دارسو المُعْجَماتِ (الأَضْداد في كلام

العرب) ويلاحظُوا طريقة تطوُّر الدَّلالة في الكلمةِ من الضّدّ إلى ضدّه.. وتنقُّل المعنى فيما بين النّقائض..؟..

فالشُّنْتَرَة والشِّنْتِيرَةُ: الإِصْبَع بلغة اليمن، كما في (القاموس المحيط) وشرحه (تاج العروس) و(لسان العرب) و(التّهذيب) للأزهريّ و(التّكملة) و(العباب) للصّغانيّ و(مقاييس اللغة) لابن فارس وغيرها من المعاجم وأمّهات كتب اللغة ويستشهد (اللسان والتاج..) بقول حِمْيَرِيٍّ منهم يرثي امرأةً أكلَها الذِّئب:

أيا جَحْمَتا بَكِّيْ عَلَىٰ أُمِّ واهِبِ
أَكِيلَةِ قِلَّوْبٍ بِبَعْضِ المَذَانِبِ

فلم يَبْقَ منها غَيْرُ شَطْرِ عِجانِها
وشُنْتُرَةٍ منها، وَإِحْدَىٰ الذَّوائِبِ

ويرويه ابن منظور برواية ثانية أيضًا:

فلم يُبْقِ منها غَيْرَ نِصْفِ عِجانِها
وشِنْتِيرة منها، وإحدى الذّوائبِ

وفي (اللسان.. والتّاج..) «وقولهم: لأَضُمَّنَّك ضمَّ الشّناتر، وهي الأصابع، ويقال: القِرَطَة لغة يمانيّة.؛ وذو شناتر من ملوكِ المين، يقالُ: معناه ذو القِرطة.». وأضيفُ من (التّاج..) «والشُّنْتَرَةُ أيضًا ما بين الإصبعين، وذكره الصّاغانيّ في ش ت ر... وذو الشّناتر كان ينكح وِلدان حمير لئلّا يملّكوا لأنّهم لم يكونوا يملّكون من نكح.... فقتَلَهُ ذو نواسٍ.. وَلُقِّبَ به لإصبعٍ زائدةٍ له، وقيل لِعِظَمِ أصابعه..

وشنترَ ثوبَه: مَزَّقَهُ.. والشَّنْتار والشّنتير: العَيّار - شاميّة....».

قلت: قول الزّبيديّ عن (القاموس..) للفيروزاباديّ: «شنتَر ثوبَه: مَزَّقَهُ». يوضحُ لنا معنى عبارةٍ تستعملُها عامّتُنا للسّخريةِ من العُرْيِ والحفا... دونَ أن تجدَ من يوضحُ معناها، وكنت أجِدُهم يضحكونَ ويعجبونَ ساخرين إذا سألتُهم عن معناها الحقيقيّ؛ إنّها قولُهم (شَنْتَرُ حَفَانا..) وما أكثرَ العباراتِ العامِّيَّة التي يستعملونَها دونَ أن يدركُوا لها معنًى.. ولا سيّما في عامّيّة الهازلينَ من الشّبّانِ الذين تظنُّونَهم يركّبونَ الكلامَ تركيبًا، فإذا أنتَ تكتشفُ أنّه مأثورٌ قديم..

ولم أجدْ (الشّنترة) ولا (شنْتَرَ حَفَانَا) لدى المؤلِّفين في فصاح العامّيّات.

الشّهر و(كانون) والكِنُّ

والخِلاف في تَخالُف أسماء الأَشْهُر والأَزْمِنَة

مثال آخر على التَّفَرُّق والتَّبعثُر والتَّلَوُّث والتّخالُف في واقعنا اللغويّ والمُعْجَمِيّ من أسماء أشْهُر السّنَة الشَّمْسِيّة، فالشَّهْر الأوّل المُسَمّى عِنْدنا في الشّام كانون الثّاني يكفينا مثالًا على البَقِيّة فاسْمه في مصر (يَنايِر) وفي الْجَزائر (جانڤي) وفي المَغْرِب (أَيْنَار) ونُريد أنْ نَعْرِفَ أهو اسْمٌ عربيٌّ فيُصْرف ويُنَوَّن ويُجَرُّ بالكَسْرة، أم أعجميٌّ ممنوعٌ من الصَّرْف؟

وأسماءُ أَشْهُرَ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ هي في مصرَ أسماءٌ مُحَرَّفَةٌ عن الرُّوميّة ومقارِبَةٌ للّفظ الإنكليزيّ، وفي الْجزائر مُقارِبةٌ للَّفظِ الفرنسيّ، وفي أقطار الشّام ما تزالُ الأسماء السِّريانيّة أو الكلدانيّة أو غيرها من الأسماء السّاميّة أو العربيّة القديمة الأُخرى وبَيْنَها أسماءُ آلِهَةٍ وَثَنِيَّةٍ ساميّة كالإله تَمّوز، ولِبَعْضِها أسماء عربيّة غير مشهورةٍ لَدىٰ الجميع، فقد قرأت في (المعجم الوسيط) عن الكانونَيْن: الأوّل؛ وهو الشّهر الثّاني عَشَر [ديسمبر] والثّاني وهو الشّهر الأوّل من السّنة [يناير] أنّ العَرَب

يُسَمّونهما: شَهْرَيْ قُماح أو قِماح. وفي (مُحيط المُحيط) للبُسْتانيّ «شهرا قُماح: شَيْبان أي: كانون الأوّل وملحان أي كانون الثّاني. سُمِّيا بذلك لمُقامَحَة الإبل فيهما عن البرد» أخذها عن (القاموس.. واللسان.. والتّاج)... الخ.

ورَأَيْت في مَجَلّات مُعاصِرَة تَصْدُر في ليبيَة ولُبنان أسماءً لأَشْهُر السّنة الشَّمْسيّة جديدة عَلَيّ فمثلًا: (يناير: [كانون ٢] آي النّار). أمّا أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) الذي نَشَرَتْه (مكتبة لبنان) في بيروت سنة ١٩٨٧ فيقول في ص٣٣٤:

«كانون: لَفْظ ساميٌّ معناه بالآراميّة والعربيّة: المَوْقِد. وقِيْل: أصْلُه بابِليّ، ومعناه فَصْل الشّتاء. ويرى أنيس فريحة في (معاني أسماء الأشْهُر ص٣٢) أنّه مُشْتَقٌّ من جَذْرٍ ساميّ مُشْتَرَك هو جَذْر (كن) ومعناه الثُّبوت والاسْتقرار في البَيْت لأنّه شَهْر الانْقِطاع عن الأعمال الزّراعيّة. وأمثال اللبنانيّين [والشاميّين] تشير إلى هذا فيقولون: (بكانون كُنّ وعلى الفقير حِنّ) ويقولون (بكانون الأصمّ اقْعُد في بَيْتك واهتمّ) و(بكانون كُنّ ببيتك جوّا قمحك وزيتك)».

قلت: كما عندنا يُقال: (كانون وكِنّ وكَنْكَنة). وقُلْتُ: وذكر كانون بمعانٍ عدّة فيما جاء في (يتيمة الدهر..) للثّعالبيّ من قول الشّاعر العبّاسيّ: ابن سُكَّرَةَ الهاشميّ:

جاءَ الشّتاءُ وعندي من حوائجِه
سَبْعٌ إذا القَطْرُ عن حاجاتِنا حَبَسا
كِيسٌ وكِنٌّ وكانونٌ وكاس طِلًا
مع الكَبابِ وَكَفٌّ ناعِمٌ وَكِسا

وأعود إلى أصْل لفظ كانون لَدىٰ البُستانيّ في: (مُحيط المُحيط): «قيل هو سريانيّ، اسم لِفَصْل الشّتاء، وقيل هو عربيٌّ مأخوذ من معنى الثِّقل لِشِدّة بَرْدِه وصُعوبة المُتَسَبَّبِ والحَرَكة فيه. وقيل روميّ».

أمّا (القاموس..) فَلَيْس فيه شَيْء عن أصْل الكَلِمَة، وفي (اللسان.. والتّاج..) أنّها رُوميّة..

أسماء الأشْهُر العربيّة

هي أسماء الأشْهُر القَمَريّة للسَّنَة الهجريّة والشّهيرة منها اشْتُقَّت ممّا كان من المعاني المُناسِبة لأزمنة مَوْسِمِيّة كانوا يثبّتونها بالنّسيء. أمّا الأسماء غير المشهورة فأَضْرِب مثالًا عليها من مُحرّم الشّهر الأوّل فقد وَجَدْت وأنا أبحث عن التُّؤْمُريّ: الإنسان في (مُحيط المُحيط) قوله: «والمُؤتَمِرُ مع أل وَمُؤْتَمِرٌ بدون أل اسْمٌ قَديم لِشَهْر مُحَرَّم ج مَآمِر ومَآمير». وبِحَسْبي هاهنا أنْ أَذْكُرَ معنى الاسم المشهور لِكلّ شَهْر..

من (قاموس المُصْطلحات والتّعابير الشّعبيّة) ص٣٣٩ «..مُحَرّم.. لأنّ العرب كانُوا يحرّمون القِتال فيه.. صَفَر.. لأنّ أحياءهم كانت تَصْفَرُ من أهلها لِخُروجهم جميعًا إلى الغَزْوِ بَعْدَ انتهاء المُحرّم أو لأنّهم كانوا يَغْزُون فيه الصَّفَرِيَّة وهو اسم نبات الخَريف فيمتارُون الطَّعام بحسب رَأْي الفرّاء. وقال بَعْضُهم: الصَّفَريّة سَفْرة كانُوا يُسافرونها.

ربيع الأوّل وربيع الثّاني: لارْتِباعهم فيهما أي لأنّهم كانوا يَرْتَبِعون...

جُمادى الأولى وجُمَادى الآخرة: لجُمود الماء أي عَدَم وُقوع المَطَر..

رَجَب: لِتَرْجِيْبِهِم آلِهَتَهم أي لتعظيمهم إيّاها فيه. وقال بعضهم.... لِتَرْجِيْبِهِم الرِّماحَ من الأسنّة لأنّها تُنْزَع منها فلا يُقاتِلون فيه (انظر الفرّاء في كتابه: الأيّام والليالي والشّهور ص١٢-١٣).

شَعْبان: .. لِتَشَعُّب القبائل وتَفَرُّقها في طلب الماء أو في الغارات، أو لأنّه شعب بيْن رمضان ورجب.

رمضان: وسُمّي كذلك لِرُموض الحَرّ وشِدّة وَقْع الشّمس فيه.

شوّال: .. لشَوَلان النُّوق فيه إذا حَمَلت، أي لِرَفْعها أذنابَها، وقال بعضهم: سُمِّي كذلك لأنّ الألبان شَوُل فيه؛ أي: تَقِلّ.

ذو القِعْدة: وَسُمّي كذلِك لقُعودهم في رِحالِهم عن الغَزْو، لا يَطْلُبُون كَلأً ولا مِيَرَةً.

ذو الحِجَّة: وسُمّي كذلك لأنّهم يَحجّون فيه.

وفي ختام الكلام على الشُّهُور القَمَرِيَّة لا بدّ للقارئَ من أنْ يُلاحظ أنّ تَسْمياتِ هذه الشُّهور ذات ارْتباط بالمَواسِم وبالعَوارض الجَوّيّة مثل الحَرّ والبَرْد والاعتدال في الجوّ، ممّا يُشير إلى أنّها كانت ثابتة في الأصل بفِعْل النّسيء أو الكَبس أي إضافة عَدَد كافٍ من الأيّام في آخر كلِّ سنة قَمَريّة ليكُون هناك ترتيبٌ ثابتٌ لا يتغيّر يجعل الأشْهُر القمريّة مع حالة الطّقس في الأشْهُر الشّمسيّة لُكنّ الإسْلام جاءَ فحرّم النّسيء لأسباب اجتماعيّة وأطلق الحرّيّة للأشْهُر فصارَتْ تَدُور بحرّيّة في كلّ المواسم ولم تتقيّد بالوقت الذي خُصِّصت به كما هو جارٍ في زماننا».

الشَّوْب: أفي الحَرِّ شَوْب؟

حينَ نقُولُ في الشّام: (الدّنيا شوب) ونَقْصُد أنّ الطّقس حارٌّ فهٰذا يُذَكِّرُنا بالآيةِ السّابِعةِ والسّتّينَ من سُورة الصّافّات وهي السّورةُ السّابعةُ والثّلاثون.

﴿ثُمَّ إنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْبًا مِنْ حَميم﴾.

وفي تفسيرِ (الشَّوْب) في تفسير الْجَلالَيْن: جلال الدّين محمّد بن أحمد المحلي وجلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بَكْر السّيوطي: «الشَّوْب: ماءٌ حارٌّ يَشْرَبُونَهُ فَيَخْتَلِطُ بالمَأْكُولِ مِنْ شَجَرَةِ الزَّقُّومِ فَيَصِيرُ شَوْبًا لَهُ».

والشَّوْبُ: في المُعْجَم العربيّ التّراثيّ (كالتّاج.. واللسان.. و.. و..): «الخَلْطُ: قال أبو ذؤيب:

وَأَطْيِبْ بِراحِ الشّام، جاءت سَبِيئةً
مُعَتَّقَةً صِرْفًا، وَتِلْك شِيابُها

قال: والتَّشْوِيبُ: أنْ يَنْضَحَ نَضْحًا غيرَ مُبالَغ فيه، فمَعنى قولهم: هو يَشُوبُ وَيَرُوب: أيْ يُدافِع مُدافَعَةً غَيْرَ مُبالَغ فيها، وَمَرَّةً يَكْسَلُ فلا يُدَافعَ الْبَتَّةَ... أبو سعيد: العَرَبُ تقولُ: رَأَيْتُ فُلانًا اليومَ يَشُوبُ عن أَصْحابه إذا دَافَع عنهم شيئًا من دِفاع..».

ولم أجدْها لَدى كُتّاب (فصيح العامّيّ) المُعاصِرين ولم يَكْتُبْ أحمد رضا عن الشَّوْب في مَكانه من مادّة الْجَذْر ش و ب، وإنّما أشار إليه في ص٥٢٢ في مادّة ل ز ز: «ويقولون: أصابَتْه لزة شَوْب. والشَّوْب = الحَرّ». وذلك في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) ط٢. دار الرائد العربيّ بيروت.

المِشْوار والمُشَاوَرَة

ما أَصْل: المُشَاوَرَة: وأَصْل المِشْوار؟:

(نَروح المِشْوار) - في عامّيّتنا - أيْ: أنْ نَذْهبَ إلى مكانٍ غير مكانِنا ثمّ نعودُ... وقد يكونُ المِشْوارُ للنّزهةِ أو لِقَضاءِ حَاجةٍ ما.

ولابن فارس في (مقاييس اللغة):

«الشّين والواو والرّاء أَصْلانِ مُطَّرِدَان؛ الأوّلُ منهُما إبْدَاء شَيءٍ وإظْهارُهُ وَعَرْضُه والآخرُ أَخْذُ شَيْءٍ.

.. فالأوّلُ قَوْلُهم: شُرْتُ الدّابّة شَوْرًا، إذا عرضْتَها. والمكانُ الذي يُعرَضُ فيه الدوابُّ هو المِشوار. يَقولون: «إيّاكَ والخُطَبَ فإنّها مِشْوارٌ كثيرُ العِثار».

.. والبابُ الآخَرُ: قَوْلُهم: شُرْتُ العَسَلَ أشورُه. وقد أجازَ ناس: أَشَرْتُ العَسَل، واحْتجُّوا بِقَوْله [أي عَدِيّ بن زَيْدٍ]:

وسَماعٍ يَأْذَنُ الشّيخُ له
وحديثٍ مثلِ ماذيٍّ مُشار

وقال الأصمعيّ: إنّما هو ماذيٌّ مَشارٍ على الإضافة. قال: والمَشار: الخَلِيَّةُ يُشْتار منها العَسَل.

قال بَعْضُ أهلِ اللغةِ: من هذا الباب؛ شَاوَرْتُ فُلانًا في أمري.

قال: وهو مُشْتَقٌّ من شَوْر العَسَل، فكأنَّ المُسْتَشِيْرَ يأخذُ الرّأيَ من غيره.

قالوا: وممّا اشْتُقَّ من هذا قولُهم في البَعيرِ: هو مُسْتَشِير، وهو البعيرُ الذي يَعْرِفُ الحائلَ من غير الحائلِ..»..

وفي آي الذكر الحكيم ﴿وشَاوِرْهم في الأَمْرِ﴾ السّورة ٣ آل عمران الآية ١٥٩.

وفي عَصْرِنا عرّف مَجْمَع القاهرة (..الوسيط) المِشْوار: «المَدىٰ تَجْري فيه الدّابّةُ حين البَيْعِ، واسْتُعْمِل في المَسَافةِ يَقْطَعُها الإنسانُ». جَمْعُها مَشاوِير.

(لا شَفَطَ ولا شَلْوَطَ ولٰكن)

شاطَ الشَّوْطَ وَشاطَ الشَّيْطُ والشَّيْطان

في كُلٍّ من عامّيّة الشّام ومِصْرَ وغيرِهما يقولون: (قَطَعَ الشَّوْطَ وشَاطَ الكُرَةَ يَشُوطها شَوْطًا أو أَشْواطا، وشاطَ اللَّبَنُ يَشيطُ ويَشوطُ على النّار شَيْطًا): احْتَرَق؛ وكِلا الجَذْرَين من فصاح العامّيّة بأكثر ما فيهما من المُشتقّات. وفي لُبْنان أشار أَحْمد رِضا في (رَدِّ العامّيّ..) إلى أنّ: «الشِّياط في اللغة ريحُ قُطْنَةٍ مَحْروقَة، فالعامّة جَعَلَتْها للصُّوف والشَّعر، وخَصَّت رِيْحَ القُطْن بالعُطْبة [وهي فصيحة أيضًا]».

وفي ش ف ط قال رضا: «وفَصِيْحُهُ: شَوَّطَ وَتَشَيَّطَ الطَّقيعُ النَّبْتَ إذا أَحْرَقَه.. وَيُقال في مِثْلِه: (تَشَلْفَطَ) وَأَصْلُها في كلام العامّة: تَشَلْوَطَ، ولا تَزال أَيْضًا مَعْرُوفَةً عِنْدَهُم بهذا المَعْنى، وَكِلاهُما من العامّيّ المُبْتَذَل؛ والفَصِيح في هذا المَعْنى: تَشَوَّطَ وَاصْحامَّ».

أمّا د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأُصول العَرَبِيّة) فَفَصَّل القَوْل في: (شاطَ الطَّعامُ) وفي (شاطَ الكُرَة).

وفي (القاموس.. والتّاج..): ش و ط: «..والشّوط: الجَرْي مَرَّةً إلى غاية؛ وقد شاط يَشُوط.. كما في (..الصّحاح) يُقال: عدا شوطًا أي طَلَقًا، جَمْعُه أشواط، قال العجاج:

والضِّغْن من تَتَابع الأَشْواط

قال ابن شميل: الشَّوْط: مَكان بين شَرَفَيْن من الأرض يَأْخُذ فيه الماءُ والنّاسُ كأنّه طريقٌ طُوْله مقدارُ الدَّعْوَة؛ أي: مَبْلَغُ صَوْتِ داعٍ ثمّ يَنْقَطِع. وَضَبَطه الزَّمَخْشَرِيّ بالسّين المُهْمَلَة... وقال الكِلابيّ: شَوَّط القِدْرَ وشَيَّطَها إذ أَغْلاها، وقال ابن عَبّاد: شَوَّط اللَّحْمَ وشَيَّطَهُ: أَنْضَجَهُ، هكذا نقله عن الصّاغانيّ، وسيأتي أنّ تَشْيِيْط اللَّحْمِ وَتَشْوِيطَه هو أن يُدَخِّنه ولا يُنْضِجه. وشَوَّط الصَّقِيعُ النَّبْتَ: أَحْرَقَهُ».

وفي (لسان العرب) ش و ط:

«الشَّوْط: الجَرْي مرّة إلى غاية، والجَمْع أشواط... الأصمعيّ: شاط يشوط شَوْطًا إذا عدا شَوْطًا إلى غاية.. وفي حديث سُلَيْمانَ بن صُرَدٍ قال لِعَلِيّ: (يا أميرَ المُؤْمنين إنّ الشَّوْط بَطِيْن وقد بَقِيَ من الأُمور ما تَعْرِفُ به صديقَك من عَدُوِّك) البَطين: البعيد.. وفي حديث الطّواف: (رملَ ثلاثةَ أشواطٍ) وهي جَمْع شَوْط، والمُرادُ به المَرَّة الواحِدةِ مِنَ الطَّواف حَوْلَ البَيْتِ، وهو في الأصل مَسافة من الأرض يَعْدُوها الفَرَسُ كالمَيْدانِ ونَحْوِه. وَشَوْطُ باطِلٍ: الضَّوء الذي يَدْخُل من الكُوَّة... والجَمْع الشِّياط».

وفي (القاموس.. والتّاج..):

«شَوْطُ باطِلٍ: ليس بثبت وهو خَيْط باطِل، وقال المُثْبِتُونَ: لغة في السّين [شوط باطل]».

وفي ش ي ط من (اللسان..) أيضًا:

«شاطَ الشّيءُ شَيْطًا وشِياطَةً وَشَيْطُوطة: احْتَرَق، وخصَّ بعضهم به الزَّيْتَ والرُّبَّ... وأَشاطَه وشَيَّطه، وشاطَتِ القِدْر شَيْطًا: احْتَرَقت، وقيل: احْتَرَقَت ولَصِقَ بها.. وأَشَطْتُها إشاطَةً.. والتَّشْييط لَحْمٌ يُصْلَحُ للقوم ويُشْوَىٰ لهم.. والمُشَيَّط مِثْله... وتَشَيَّط الصُّوف. والشِّياط: ريح قُطْنَةٍ مُحْتَرِقَة. ويُقال: شَيَّطْتُ رأسَ الغَنَم وشَوَّطْتُه إذا أَحْرَقْتَ صُوفَه لتُنظِّفه يُقال: شَيَّط فلان اللَّحْمَ إذا دَخَّنَه ولم يُنْضِجْه؛ قال الكُمَيْت:

لَمَّا أجابَتْ صَغِيرًا كان آيَتَها
مِن قابِسٍ شَيَّطَ الوَجْعاءَ بالنّارِ

وشَيَّطَ الطَّاهي الرَّأسَ والكُراعَ إذا أشْعَل فيهما النّارَ حتّى يَتَشَيَّطَ ما عليهما من الشَّعَر والصُّوف، وفيهم من يقول: شوَّط. [قلت: والبُستانيّ في (محيط المحيط) يقول: «شاط الطَّعام يَشُوط شويطًا: احترق».. وهو من كلام العامَّة].

[وأكمل المعاني الأخرى من (اللسان..)]:

وشاط الرّجلُ يَشيط: هلك؛ قال الأعشى:

قد نَخْضِبُ العَيْرَ في مَكْنُون فائِله
وقد يَشيطُ على أرماحِنا البَطَلُ

... وتَشَيَّطَ الدَّمُ إذا علا بصاحبه، وشاط دمُه. وشاط فلان الدِّماءَ؛ أي: خَلَطَها كأنّه سَفَكَ دَمَ القاتل على دَم المَقْتُول... واسْتَشاط عليه: الْتَهَب... [وقبلها].

... ويُقال شاط السَّمْنُ والزَّيْت إذا نَضِج حتّى يَحْتَرِقَ.. وشاط السَّمْنُ والزَّيت: خَثُرَ.. الكِلابيّ: شَوَّط القِدْرَ وشَيَّطها إذا أغلاها.. وأشاط فلان الجَزورَ إذا قَسَمَها بعد التَّقْطيع. قال: والتَّقطيع نفْسه إشاطَةٌ أيضًا... وإذا اقْتَسَموها وبقي بَيْنَهم سَهْم فيُقال: من يُشِيْطُ الجَزورَ أي من يُنَفِّقُ هذا السَّهْمَ؟ وأنشد بيتَ الكُمَيت، فإذا لم يبق منها نصيب قالُوا: شاطت الجَزور؛ أي: تَنَفَّقَتْ.

... واسْتَشاط فلان، أي: احْتَدَّ وخَفَّ وَتَحَرَّقَ... ويقال: اسْتَشاط أي احْتَدَّ وأَشْرَف على الهَلاك من قولك شَاط فلان أي هَلَك وفي الحديث: (إذا استَشاط السُّلطان تَسَلَّطَ الشَّيْطان).. وروى ابن شميل بإسناده إلى النبيّ - ﷺ: (ما رُؤي ضاحكًا مُسْتَشيطًا) قال: معناه ضاحكًا ضحكًا شديدًا كالمُتَهالِك في ضَحِكه. واسْتَشاط الحَمَامُ إذا طار وهو نشيط.

والشّيطان: فَعْلان: من شاطَ يَشيط؛ وفي الحديث: (أعوذ بك من شَرّ الشّيطان وفُتونِه وشِيطاه وشُجُونه). قيل: والصّواب [في رواية]: وأَشْطانِه، أي: حِبالِه التي يَصِيد بها.».

وَأُكْمِل من (القاموس.. والتّاج..) ش ي ط:

«..وفي حديث عُمَرَ لما شهد على المُغِيرة ثَلاثُ

نَفَرٍ بالزِّنا؛ قال: (شاطَ ثَلاثَةُ أَرْباعِ المُغيرة) وكلّ ما ذَهَب فَقَد شاط؛ ومنه: الشَّيْطان؛ فَعلان في قولة مَن قال: إنّ اشْتِقاقه من: شاط. واخْتَلَفُوا؛ فقيل: بمعنى: احْتَرَق، وقيل: بمعنى هَلَك. وقيل: بمعنى ذَهَبَ. وقيل بمعنى بَطَلَ.. وَيَدُلّ على ذلك قراءة الحَسَن البَصْريّ والأعمش وسَعيد بن جُبَيْر وأبي إبراهيم وطاوس ﴿وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطون﴾ [وهي في السّورة ٢٦/ الشعراء الآية ٢١ ﴿وما تَنَزَّلَت به الشَّياطين﴾].

وقال بَعْضهم: هو فَيْعال من شَطَنَ إذا بَعُدَ. قال شيخنا: وقد جعل سيبويه - رحمه الله تعالى - في الكتاب نُوْنَه زائدة تارة وأصليّة تارة أخرى بناء على ما ذكرناه من الاشْتِقاق... إذا كان من شاطَ يشيطُ بمعنى احترق فهو على حَقيقته، وإنْ كان من الشّيط بمعنى الذّهاب والبُطلان والهَلاك فإنّه مَجاز».

تَشَوَّفَ وشاف

(ما الحَكْيُ مِثْلُ الشَّوْف) مَثَلٌ يُقال عِندَنا يُقْصَدُ به أنَّ القَوْلَ ليسَ مثلَ الرّؤيةِ، والوصفُ بالكلامِ لا يُغني عن المُشاهَدَةِ والمُعَايَنَةِ بالأعْيُنِ المُبْصِرَةِ وبالبَصِيرةِ أيضًا...

والفِعْلُ: شَافَ يَشُوفُ؛ يُسْتَعْمَلُ في أغْلَبِ اللّغيّاتِ والعامّيّاتِ بمعنى رأى، وبمعنى نَظَرَ، وبَصُرَ، وشاهدَ، وأَبْصَرَ، وَرَنا، وَتَطَلَّع، واطَّلَعَ؛ (في لُغَة المُثَقَّفين)، وحدّق، وحَدَّجَ؛ (في لُغَةِ بَعْضِ البَوادِي والأَرْيافِ)، وخَزَرَ؛ (في لغةِ بَعْضِ الْجِهاتِ الرّيفيّةِ)، وَحَدْلَقَ؛ (في لُغَة المُعْجَم أيضًا كما جاء في لسان العرب: «ح د ق: والحَدْلَقَةُ بزيادة اللامِ مِثْل التّحديق، وقد حَدْلَقَ الرَّجُلُ»...). حتّى تحيَّر الأجانبُ الرّاغبونَ في تَعَلّم لُغَتِنا...

وكذلك اسْتَخْدَمُوا في اللغيّاتِ العامّيّةِ الفِعْل قَشَعَ.. وأَصْلُ الفِعْلِ قَشَعَ مثلُ شاف وشوّف بمعنَى: جَلا وكَشَفَ وأَظْهَرَ وَبَيَّنَ وأَزَالَ الظُّلْمَةَ؛ ومنه؛ في الشّام؛ قَوْلُهم: (شَعُّو) وأَصْلُها اقْشَعْه. و(شَعُوكِ) وأَصْلُها: أُقْشِعُك. أمّا (لِيْكُوكِه) فأَصْلُها من اسْمِ الفِعْلِ: إلَيْكَ هوَ و(لِيكْها) أَصْلُها إلَيْكَ هِيَ..!.

وإذا كانَ في هذا التّحريفِ اللفظيِّ للفِعْلِ: قَشَعَ، ولاِسْمِ الفِعلِ: إليكَ؛ خروجٌ عنِ الفَصيحِ، فالفِعْلُ: شَافَ لا يُعاني من ذلكَ على أَلْسِنةِ العامّةِ، وكلُّ ما دَخَلَهُ من التّطوّرِ أنّهُ استُخدمَ في صورةٍ بيانيّةٍ مَجازيّةٍ من التّصويرِ الفنّيِّ فَأَخَذَ مَعنى الفِعْلَيْن: تَشَوَّفَ واشْتافَ، في الفصيح.. والفِعْلُ: تَشَوَّفَ أيضًا تُطوّر العامّة في الشّام معناه إلى المَجازِ فَتَسْتَعْمِلُه بمعنى الزَّهْوِ والتّباهي، فَيُقالُ عِنْدَنا مَثَلًا: (فُلانة مُتَشَوِّفة بحالِها).

وفي (لسان العرب) لابن منظور: «..والمُشَوَّفَةُ من النّساء: التي تُظْهِرُ نَفْسَها ليرَاها النّاسُ؛ عن أبي عليّ. وَتَشَوَّفَتِ المرأةُ: تزيّنَتْ. ويُقَالُ: شِيفَتِ الْجَاريةُ تُشاف شَوْفًا إذا زُيِّنَتْ. وفي حديث عائشةَ - رضي الله عنها -: (أنّها شَوَّفَتْ جاريَةً فَطافَتْ بها وقالَتْ: لَعَلَّنا نَصِيدُ بها بَعْضَ فِتيانِ قُرَيْشٍ) أَيْ: زيَّنَتْها.

واشْتافَ فُلانٌ يَشتافُ اشْتيافًا: إذا تطاوَلَ ونَظَرَ.

وتَشَوَّفْتُ إلى الشّيءِ؛ أي: تَطَلَّعْتُ.

ورَأَيْتُ نِساءً يَتَشَوَّفْنَ من السُّطوح؛ أي: يَنْظُرْن ويَتَطاوَلْنَ. ويُقالُ: اشْتافَ البَرْقَ أي: شَافَهُ، ومنه قَوْل العجّاج:

واشتافَ من نحوِ سُهَيْلٍ بَرْقًا

وَتَشَوَّفَ الشّيءُ وأشافَ: ارْتفعَ. وأشافَ على الشّيءِ وأَشْفَى: أَشْرفَ عليه...

... واشْتافَ الفَرَسُ والظَّبْيُ وَتَشَوَّفَ: نَصَبَ

عُنُقَه وجَعَلَ يَنْظُر؛ قالَ كُثَيِّرُ عَزَّةَ:

تَشَوَّفَ مِنْ صَوْتِ الصَّدَىٰ كُلَّ مادعا،

تَشَوُّفَ جَيْداء المُقَلَّدِ مُغْيِبِ

الليثُ: تَشَوَّفَتِ الأَوْعالُ إذا ارْتَفَعَتْ على مَعاقِلِ الْجِبالِ فأَشْرَفَتْ... وفي حديثِ سُبَيْعَة: (أنّها تَشَوَّفَتْ للخُطّابِ أيْ طَمَحَتْ وَتَشَرَّفَت)..».

قُلْت: لا أَبْدأ بالنّقل عن (اللسان..) من بدايَتِه، لِآخُذ المعنى الأصْليّ من ابن فارس: فارِسِ المعاني الحقيقيّةِ وَتَفرُّع تَغايُرَاتِها.. في مُعْجَمه: (مقاييس اللغة):

«ش و ف: يَدخلُ على ظُهورٍ وبُروزٍ. من ذلكَ قولُ العربِ: تَشَوَّفَتِ الأَوْعالُ إذا عَلَتْ مَعاقِل الْجِبَالِ، ثمّ حُمِلَ على ذلكَ واشْتُقَّ منه: تَشَوَّف فُلانٌ للشّيءِ، إذا طَمَحَ به، ثمّ قِيْلَ لَجِلْوِ الشّيء: شَوْفٌ.. والدّينار المَشُوف من ذلك. وفيه يَقُولُ عَنْتَرَةُ:

ولَقَدْ شَرِبْت من المُدامَةِ بَعْدَما

رَكَدَ الهَواجِرُ بالمَشُوفِ المُعْلَمِ

... ويقالُ: اشْتافَ فلانٌ: إذا تَطاولَ ونَظَرَ. وأَشَافَ على الشّيءِ: إذا أَوْفَى عليهِ وأَشْرَفَ».

وفي مَعاجِمَ أُخرَى (كَأَسَاس البَلاغَة) وغيرِه ما يَحْتَمِلُ المَزيدَ من التَّأَمّلِ..

وفي مصرَ قَبِلَ د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) بِفَصَاحةِ الفِعْلِ شَافَ بِمَعْنى رأى..

وكذلكَ في لبنانَ ردَّ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفَصيح) اسْتِعْمالهُ بمعنى الرُّؤيةِ القَلْبيّة وبمعنى المُشاهَدَةِ الْبَصريّة، إلى زَمَنٍ مضى، وذَكَرَ أيضًا أنَّ من المُمْكِن أنْ يكونَ من اللغاتِ السّاميةِ... وقال بعضُهم هي دَخِيلَةٌ.. وكان رضا في مُعْجَمِهِ (متن اللغة) والحاشية التي خصّصَها لِقولِ العامّة في المُجَلّد الثّالث منه والصفحة ٤٠٣ ذَكَرَ مِثْل ذلك أيضًا.

يراجع (ردّ العامّيّ) لرضا مرّة أخرى.

الشّوم.. والشّام

(يا عيبَ الشُّوم..) يَقولُونَها أمامَ ما يَخْجلونَ مِنْه.. والشُّومُ مُخَفَّف بِحَذْف هَمْزة الشُّؤْم، والشُّؤم المهموز يُقال في عامّيّتنا أيضًا، وما أكثرَ ما عادَتْ همزة محذوفة إلى العامّيّات مع انْتِشار لُغَة الصُّحُف والإذاعات ووسائل الإعلام بَيْنَ العَوَامّ.. ولا سيّما في النِّصف الأوَّل من قَرْنِنا العِشْرين حينَ كانَتْ لُغَة الإعلام الفصيحة تَتَغَلْغَل في العامّيّات.. ولَيْسَ العَكْس..

ولٰكنّ المشْؤوم الفصيح لم يَغِب عن العامّيّات ولم يَخْتَلف لفظًا ولا مَعنًى.. وما أكثرَ ما يتحدّثونَ عن (غُرابِ الشُّؤم) و(غراب البَيْنِ) و(كَسْرِ شَآمَةِ فُلان) أي إهانته والأيمن والأشأم.

والشّاميّ من الشّام وهي على خَدّ الزّمن شامة؛ أي: خالٌ. وشيمتها عربيّة.. وأهلها الشُّوام وفي مُسْتَدْرك (التّاج..) أَوْرَدَ الزّبيديّ جَمْع المَنْسُوبين إليها: الشّوّام.

وفي (لسان العرب): «الشُّؤْم خِلاف اليُمْن. وَرَجُلٌ مَشْؤُوم على قومه.. والواو في الشُّؤْم همزة ولٰكنّها خُفِّفَت فصارت واوًا وغَلَب عليها التّخفيف حتّى لم يُنْطَقْ بها مَهْمُوزة.. [وفي (القاموس.. والتّاج.) ورَجُل مَشُوم على قومه: كمَقُول] [وأَرْجِعُ إلى (اللسان..)]: الْجَوْهريّ: يُقال: ما أَشْأَمَ فلانًا، والعامّة تقول: ماأَيْشَمُه [قُلْتُ في عصر الْجَوْهريّ أمّا في عَصْرِنا فما أَشْأَمَهُ...].. والأشائم [وَأُكْمِلُ

من ابن منظور]: نقيضُ الأَيَامِن وأَنْشَدَ أبو عُبَيْدة:

فـإذا الأَشـائِـمُ كـالأَيـا
مِـنِ، والأَيـامِـنُ كـالأَشـائِـمْ

قال أبو الهيثم: العرب تقول: أَشْأَمُ كلِّ امرِئٍ بَيْنَ لَحْيَيْه، قال أَشْأَمُ في مَعْنَى الشُّؤْم يَعْني اللسانَ؛ وأنشد لزُهَيْر:

فَتُنْتَجْ لكم غِلْمان أَشْأَمَ كُلُّهُمْ
كَأَحْمَرِ عادٍ ثمّ تُرْضِعُ فَتَفْطِمِ

قال: غِلْمانَ أَشْأَمَ أي: غِلْمانَ شُؤْمٍ...

ويقولون: قد يُمِنَ فلان على قومه فهو مَيْمون عليهم، وقد شُئِمَ عليهم فهو مَشْؤوم عليهم بهَمْزَة واحدة بعدَها واو، وقَوْم مَشَائيمُ وقَوْم مَيامِيْن.

وَرَجُلٌ شَآمٍ وتَهامٍ إذا نَسَبْت إلى تِهامةَ والشّأْم، وكذلك رَجُلٌ يمانٍ، زادُوا أَلِفًا فخفّفوا ياء النِّسْبة. وفي الحديث: (إذا نشأَتْ بَحْرِيَّةً ثمّ تشاءَمَتْ فَتِلْك عَيْنٌ غُدَيْقَةٌ)؛ تَشَاءَمَت: أخذت نحو الشَّأْم. ويُقال: تَشاءَم الرَّجُل إذا أَخَذَ نحو شِمالِهِ. وأَشْأَمَ وَشاءَمَ: إذا أتى الشَّأْمَ، ويامَنَ القومُ وأَيْمَنُوا إذا أَتَوْا اليَمَنَ. وفي صِفَة الإِبِلِ: (ولا يأتي خَيْرُها إلّا مِن جانِبِها الأَشْأَم)؛ يَعْني الشَّمال؛ ومنه قِيْل لِلْيد الشّمال الشُّؤْمَىٰ... والشُّؤْمَىٰ من اليَدَيْن: نقيض اليُمْنىٰ.. قال القطامِيُّ يَصِفُ الكِلاب والثَّوْرَ:

فَخَرَّ على شُؤمَىٰ يَدَيْهِ، فذادَها
بأظمأ من فرع الذُّؤابة أَسْحَما

والشَّأْمَةُ خِلاف اليَمْنَة. والمَشْأَمَةُ: خِلاف المَيْمَنَة. والشَّأْم: بلاد تُذَكّر وتُؤَنّث، سُمِّيَت بها لأنّها عن مَشْأَمَةِ القِبْلَة؛.. وقد جاء الشّآم لُغَة في الشَّأْم قال المجنون:

وَخُبِّرْتُ لَيْلَىٰ بالشآم مريضةً
فَأَقْبَلْتُ من مِصْرٍ إليها أعوُدُها

... وامْرَأَة شآمِيَّةٌ وشآمِيَةٌ مُخَفَّفة الياء.. وقَعَد فلان يَمْنَةً وقَعَد فلانٌ شَأْمَةً. وَنَظَرْتُ يَمْنَةً وَشَأْمَةً. وشَأَمْتُ القومَ؛ أيْ: يَسَرْتُهُمْ... والشِّئمة: الطَّبيعة [الشِّيْمة]:... وقال ابنُ جِنّي: قد هَمَزَ بعضهم الشِّئمة ولم يُعَلِّله؛ قال ابن سِيْده: والذي عِنْدي فيه أَنَّ هَمْزَهُ نادر لأنّه ليس هناك ما يُوْجِبُه، وذَكَر ابن الأثير في شأْمْ قال: وفي حديث الحَنْظَلِيّة: (حتّى تكونُوا كَأَنَّكُم شَأْمَة في النّاس)؛ قال: الشّأمة: الخال في الْجَسَد معروفة، أرادَ: كُونُوا في أَحْسَنِ زِيٍّ وهَيْئَة حتّىٰ تَظْهرَوا للنّاس ويَنْظُرُوْا إليكم، كما تَظْهَرُ الشَّأْمَة ويُنْظَرُ إليها دُونَ باقي الْجَسَد».

وفي (القاموس.. والتّاج..): «الشّأم بلاد عن مَشْأَمَةِ القِبْلة وسُمّيَت لذلك أَوْ لِأَنّ قومًا من بني كنعان تشاءَمُوا إليها أيْ تَياسَرُوا، أو سمّي بسام بن نوح فإنّه بالشّين المُعجمةِ بالسّريانيّة، أو لأنّ أرضها شاماتٍ بِيْض وحُمْر وسُوْد وعلى هذا لا تُهْمَز:

هي شـامـيـة إذا مـا اسْـتَـقَـلّـت
وسُـهَـيْـل إذا اسْـتـقـلّ يَـمـانـي

... قال شَيْخنا هو من أوهام الخواصّ كما نصّ عليه الحَرِيريّ في: (درّة الغوّاص) والسُّهَيليّ في (الرّوض..)؛ قُلْتُ: وجَعَلُوا ما جاء في قولِ المجنونِ وغَيره من ضرائر الشِّعر مَحْمولًا على أنّه اقْتَصَر من النِّسبة على ذِكْر البَلَد...

والـشُّـؤام، كـغُـراب، جَـمْـع شـامـيّ فـي النّسبة...».

وأُضِيْف من ياقوت الحَمَويّ في (مُعْجَم البُلْدان): «..وفيها لُغَة ثالثةٌ وهي الشّام، بِغَيْر

هَمْزٍ، كذا يَزْعُم اللغَوِيّون، وقد جاءت في شِعْر قديم مَمْدودة؛ قال زامل بن غُفَير الطّائي يَمْدَح الحارث الأكبر:

وَتَـأَبِّـيَّ بـالـشّـآم مـفـيـدي
حَسَرات يَقُدُدْنَ قَلْبِيَ قَدّا».

[وفي الحديث النّبَوِيِّ الذي نَقَلَتْهُ المَعَاجِمُ عن ابن الأثير وَرَدَت الشّام بِغَيْر هَمْزٍ].

وفي: (مقاييس اللغة): لابن فارس: «ش أ م: أَصْل واحد يَدُلّ على الْجَانِبِ اليَسَار. قال:

أُمِّي شَـآمِـيَّةً إذ لا عـراقَ لـنـا
قومًا نودّهم إذ قومُنا شُوسُ».

[وفي حاشية مُحَقِّقِهِ عبد السّلام مُحَمّد هارون: «البَيْت للمُتَلَمِّس.. أُمِّي، أيْ: اقْصُدي تلك الْجِهَة الشّآمِيّة..»..].

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «وقَعَد شَأْمَةً: يُسْرة... وشائِمْ بأصْحَابِك: يَاسِر. واعْتَمَدَ على رِجْلِهِ الشُّؤْمَىٰ: اليُسْرى، ومَضىٰ على شُؤْمَىٰ يَدَيْه».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُسْتانيّ: «..والشِّئْمَة: الطَّبيعة والخُلُق والعادة. والأكثر الشِّيمة بِلا هَمْز.. والعامّة تَسْتَعْمِل الشّئمة بمعنى: الشّهامة. وعزّة النَّفْس..».

قُلْتُ: سَمِعْتها في دمشق تُلفظ: الشَّآمة.. ويَجُوز أنْ تكونَ إبْدالًا من الشّهامة..

أَشْوَىٰ وشَوِيّة[1]

يَسْتَخْدِمُ جرير شاعر العصر الأَمويّ كلمةَ (أشْوى) بمعنًى يكادُ يُطابِقُ المعنى الذي قَصَدَتْه اللَّهجةُ العامِّيَّةُ الدّارجة في المَثَل الدّارج. (الرّمَد أشوى من العَمى)؛ وذلك في قوله:

وليسَتْ لِسَيْفي في العظامِ بقيّةٌ
ولَلْسيْفُ أشوى وقعةً من لسانيا[2]

ومُحَقِّق إحدى طبعات ديوان جرير: الدكتور نُعمان محمّد أمين طه، يشرح (أشوى) في الحاشية فيقول: (في القاموس: الشّوى الأمرُ الهيّن: فالمعنى: أهون وقعةً).

ولٰكنّ مِنَ الشُّراح وأصحاب النُّقول مَن اضطربَ وتخبّطَ في شرح هذا البيت لأنّه تَجاهَل الاستخدامَ الدّارج لدى العامّة، وانتقى من شُروح المعجَم لهذه الكلمة ما ليسَ مُناسِبًا لِمَوقعها ومَسَاقِها من هذا البيت: فمُؤَلّف كتاب (نصوص من الشِّعر الإسلاميّ والأمويّ) الدكتور إحسان النّصّ يشرح الفعلَ الماضيَ: (أشواه: أصَابَه في غير مَقْتَل، وذلك أنْ يُصِيبَ شَواه، والشَّوى: اليدان والرِّجْلان وما كان غيرَ مَقْتَل من أعضاءِ الجسمِ)[3]. فلم يَسْتَطِعْ بهذا الشّرح أن يَصِلَ إلى

(١) منشورة في العدد الأول من سنة ١٩٨٤ من مجلّة (المعلّم العربيّ) الصّادرة بدمشق عن وزارة التّربية العربيّة السّوريّة.

(٢) ص ٨٠ من المجلد الأول من (ديوان جرير) بشرح محمد بن حبيب ت ٢٤٥هـ. من سلسلة (ذخائر العرب) – ٤٣ – عن دار المعارف بمصر ١٩٦٩ تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه. وللبيت زاوية أخرى عن كتاب (مجموعة المعاني) ص١٧٨:

لساني وسيفي صارمان كلاهما
ولَلسيفُ أشوى وقعةً من لسانيا

ويقول الشارح: (أراد أن السيف ربما قطع الشَّوى، وهي الأطراف، فيسلم صاحبه، وأنا من لا يسلم من لسانه أحد فهو أقتل من السيف. يقول: فبقية السيف [أو تبقيته] أكثر من بقيّة لساني).

(٣) ص ١٥٤ من كتاب (نصوص من الشعر الإسلامي والأموي) اختارها وشرحها لطلّبة السنة الثانية الجامعية في قسم اللغة العربية في جامعة دمشق الدكتور إحسان النصّ. المطبعة العلمية ١٩٦٥.

صِحّة التّركيب ووُضوحِ المعنى، لأنّ اسم التّفضيل (أَشْوَى) المُسْتَخْدَم في العامّيّة الدّارجة، لا يمكنُ أنْ يُسْتَبْدَل به الفعلُ الماضي الرّباعيّ وبعده الاسمُ المنصوبُ (وَقْعةً) الذي يُناسِبُه النَّصْبُ على التّمييز هاهنا[١]، حتّى يزولَ اللبْسُ والإشكال.

والذي يَدْفَع بمثل هذا الشّارح إلى هذا اللبسِ والإشكالِ مَيْلُهُ إلى الظّنّ أنّ اسم التّفضيل الدّارج في العامّيّة (أشوى) بمعنى أقلّ ضَرَرًا من كلام العامّة الذي لا بدّ من تجنّبِه وإهماله، حتّى إنّ معجماتنا الحديثة (كالمنجد)، و(مَتْن اللغة) و(الوسيط) مُعْجَم المَجْمَع، لا تُشير إلّا إلى الفعلِ الماضي (أشوى) وتُعْطِيْه مَعانيَ غير مناسبةٍ لبيتِ جرير أو للمعنى العامّيّ المُتسخدَم في صِيْغة (أفْعَل) التّفضيل والذي تبنّاه في شرح بيت جرير الدكتور نُعمان كما ذكرنا آنفًا.

وحينَ نعودُ إلى مادّة (شَوى) في كُتُب اللغة نجدُ في (القاموس المحيط) و(أساس البلاغة) و(لسان العرب) أصلًا فصيحًا لكلمة (أشوى) العامّيّة، كما نجدُ معها أيضًا أصلَ كلمة (شويّة).

ممّا يقوله ابن منظور في (اللسان)[٢]: مادّة (شوى):

«...والشَّوى: الهيّن من الأمر. وفي حديث مُجاهد: كلُّ ما أصابَ الصّائمُ شَوًى إلّا الغيبةَ والكَذِب فهي له كالمَقْتَل. قال يحيى بن سعيد: الشَّوى هو الشّيء الهيّن اليسير، قال: وهذا وَجْهُه وإيّاهُ أرادَ مُجاهدٌ، ولٰكنَّ الأصل في الشّوى: الأطراف، وأراد أنّ الشّوى ليس بمَقْتَل، وأنّ كلّ شيء أصابَه الصّائم لا يُبطِل صَوْمَه فيكونُ كالمقتل له، إلّا الغِيْبَةَ والكَذِبَ فإنّهما يُبْطِلان الصّومَ فهما كالمقتل له. وقول أسامة الهُذَليّ:

تـالله مـا حـبّي عـليًّـا بِـشِـوَى

أي: ليسَ حُبّي إيّاه خطأً بل هو صواب.

والشُّوَاية: البقيّة من المال أو القوم الهلكى، والشَّوِيَّة: بقيّة قومٍ هلكُوا والجَمْع شِوايا.

وقال:

فـهـم شـرّ الـشّـوايـا مـن ثَـمـودٍ
وعـوف شـرّ مُـنْـتَـعِـل وحـاف

وأشوى من الشيء: أبقى، والاسم الشّوى، وقال الكُمَيْت:

أجيبُوا رُقى الآسي النّطاسيّ واحذرُوا
مُطَّفِئة الرَّضفِ التي لا شوى لها

أي: لا بُرْءَ لها.

والإشْواءُ يُوضَعُ مَوْضِعَ الإبقاءِ حتّى قال بعضُهم: تعشّى فلان فأشوى من عَشَائه، أي: أبقى بَعْضًا، وأنشد بَيْتَ الكُمَيت، وقال أبو منصور: هذا كلّه من إشواء الرّامي، وذلك إذا رَمَى فأصابَ الأطرافَ ولم يُصِب المَقْتَل فيُوضَعُ الإشواءُ مَوْضِعَ الخطأ والشّيء الهيّن... ويُقال: كلّ شيءٍ شَوًى أي هيّن ما سَلِمَ لك دِيْنُك، والشَّوى رذال الإبل والغَنَم وصغارُها شوى، وشِوَاية الإبل والغَنَم - بالفتح والكسر - رَدِيئهما، قال الشّاعر:

أكلنا الشّوى حتّى إذا لم نَدَعْ شوى
أشرنا إلى خيراتها بالأصابع

. . . . والشُّواية: القِطْعة من اللحم، وقيل شُواية الشّاةِ ما قَطَعَهُ الجازر من أطرافها، والشُّواية: الشَّيْء الصّغير من الكَبير، ويُقال: ما بقي من الشّاة إلّا شُواية، وشُواية الخُبْزِ: القُرصُ منه. . .

. . . والشّوى: اليَدان والرِّجْلان وأطرافُ الأصابع وقِحْفُ الرّأس، كذلك قال الفرّاء في قوله تعالى: ﴿كلّا إنّها لظًى نزّاعة للشّوى﴾. . . وجِلْدَة الرأس يُقال لها شواة، وما كان غيرَ مَقْتَل فهو شَوًى، قال الهُذَليّ:

فإنّ من القول التي لا شوى لها
إذ زَلّ عن ظَهْر اللسان انفلاتُها

يقول: إنّ من القَول كلمةً لا تُشوي ولٰكنْ تَقْتُل، فهو يعني: لا شَوى لها أي: لا بقاءَ لها، وقال غيره: لا خَطأ لها. والاسْمُ منه الشّوى، قال عَمْرو ذو الكلب: فقلت خُذْها لا شوًى ولا شَرَم. ثمّ استُعْمل في كلّ من أخطأ غَرَضًا وإنْ لم يكنْ له شوًى ولا مَقْتَل.

. . . وجاءَ بالعِيِّ والشِّيِّ: إتباع، واوُ الشِّيِّ مُدْغَمةٌ في يائها، قال ابنُ سَيْدَه: إنّما قُلْنا إنّ واوَها مُدْغَمَةٌ في يائها لِما يذكر من قولهم: شَوِيٌّ وعَيِيٌّ وشَوِيٌّ وعَيِيٌّ معاقَبَة، وما أعياه وأشواه وأشياهُ. الكسائيّ: يُقال: فلان عَييٌ شَيِيٌ إتباع له، وبعضُهم يَقول: شَوِيٌّ، يقال: هو عَوِيٌّ شَوِيٌّ».

وبعد الاطّلاع على هذا الأصل الصّحيح للعبارةِ العامّيّة الدّارجة (شويّة) يمكننا أن ننفي ما شاعَ من أنّ العامّة اشْتَقّتْها من تصغير كلمة (شيء)[1] فالأقربُ إلى المَعقولِ أنّ (شويّة) العامّيّة فصيحة الأصلِ. من: شِوِيَّة أو شُوايَة - مُثلّثة الشّين-.

(١) يرى الأمير أرسلان أن (شويّة) من الشَّوية ولكن الباشا ردّها إلى تصغير شيء ويقول أحمد رضا العاملي مؤلّف معجم (متن اللغة) وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق في كتابه (ردّ العامي إلى الفصيح) مادة شيي ص٣٢٨ ط٢ دار الرائد العربي بيروت ١٩٨١: «وقالوا للشيء القليل: شويّة وهو تصغير شيء، يريدون شيئًا قليلًا، وأصله شُوَيْء. سهلت الهمزة وألحقت التاء المربوطة بها لتحقيق القلة. وجاء في اللغة: الشوية (وزان بقية) = بقية المال».

وكذلك د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية): «أصل الشُّوَيَّة إما الشُّوايَة. وإما الشُّوَيُّ بمعنى الأمر الهَيّن».

ص

الأوتوستراد والصّراط

قَرَأْتُ في (المُعْجَم العَرَبيّ الأساسيّ) الذي أَصْدَرَتْهُ المُنَظَّمَةُ العربيّة للتّربية والثّقافة والعُلوم (طـبـعـة: لاروس سـنـة ١٩٨٩): «أوت:.. أوتوستراد: طريق عَرِيضَةٌ ثُنائِيَّةُ الاتّجاه يُسْمَح فيها بِتَجاوُزِ السُّرعة المُحَدَّدَةِ داخلَ المُدُن. وفي صِراطٍ فيه: (ص ر ط: صِرَاط وجَمْعُها صُرُط قليلُ الاسْتِعْمال): طَرِيْق ﴿اهْدِنا الصِّراط المُسْتقيم﴾ [قرآن] وتُكْتَب كذلك بالسّيْن: سِراط». ا.هـ. (المُعْجَم العربيّ الأساسيّ) فقُلْتُ: لم يَرْبُطْ بَيْنَهما، وكأنّ هذا ليس هذا: وتَذَكَّرْتُ أنّي أَسْكُنُ قُرْب طَرِيْق للسّيّارات تُسَمِّيهِ مُؤَسَّسَةُ النَّقْل الدّاخليّ بدمشق بالتَّسْمِيَة العامِّيّة: (أُوتُوسْتْرادثان؛ أو: اسْتْرادتاني!) والذين يقُولُون: ﴿اهْدِنا الصِّراط المُسْتَقِيْم﴾ السّورة الأولى: الفاتحة الآية الخامسة. ويُعِيْدُونها يوميًّا، لم يُخْبِرْهم أَحَدٌ أنّ (الصِّراط) مُعَرَّبة من اللاتينيّة والرومانيّة القديمة: (اسْتْرَادَا) فلا يَخطُرُ بِبَالِهِم أنّ هذا الطّريق يَصِحُّ أنْ يُدْعىٰ: (الصِّراط الثّاني)، والصَّحيح أَسْهَل..

والتَّعَصُّب ضِدَّ الكلماتِ الأجنبيَّة الأصْلِ.. ليسَ له أصْلٌ في تاريخ تَطَوُّر لُغَتِنا.. وإدْخال اللفظ الدَّخيل، وتعريب اللفظ الأجنبيّ كان ويكونُ دائمًا، وفي عُصور اللغة واللُّغاتِ كلِّها.. ويَكْفي أنْ نَتَذَكَّر ما وَرَدَ منه في القُرآن الكريم من العِبَاراتِ الأعجميّة اليونانيّة والرومانيّة والفارسيّة والهنديّة والعِبْريّة والحَبَشيّة وغيرها.. وغيرها..

فلقد سَرَدَ السّيوطيّ في كتاب (الإتقان في علوم القرآن)[1] مئة وإحدى عشرةَ لَفْظَة ممّا وَرَد في القرآن الكريم من المُعَرَّب عن اللغات الأجنبيّة، وذَكَر هذا الإمام الجَلال القُطب والعالِم الجَليل أنّه أَفْرَدَ في هذا النَّوْع كتابًا سَمّاه: (المُهَذّب فيما وَقَعَ في القُرآن من المُعَرَّب).. وهذا كان بعدَ طائفةٍ من الكُتُبِ سَبَقَتْ السّيوطي في هذا المَوْضوع الذي تَخَالَفَتْ فيه آراءُ العُلماء أحيانًا حَوْلَ بَعْض العِبَارات، ولٰكنّهم لم يَخْتَلِفُوا يَوْمًا في قبول مبدإِ التّعريب؛ فَفَتَحُوا بابَ إدخالِ الدَّخِيْل ممّا نحتاجُ إليه من العبارات، تجاوُبًا مع تَداخُلِ اللُّغات وتمازُجِ الثَّقافات، فاللغةُ، أيُّ لُغَةٍ، لا بدّ أنْ تأخذَ من اللغاتِ الأُخرى وأنْ تُعْطِيَها أيضًا، وهل بَقِيَتْ لُغةٌ في العالَم الحديثِ لم تأخذْ من العربيّة شيئًا من مِثْل أسماء: القُطْن والرُّزّ والقَهْوَةِ والسُّكّر واللَّيْمون والفَوْل أو الكُحُول.. وغيرها كثير.. وإنْ كانَ بعضُها دَخَلَ على العربيّة مُعَرَّبًا ثمّ انْتَقَلَ بِصِيْغَتِه العربيّة إلى لُغاتٍ أُخْرى.. حتّى إنّ المُؤَلِّفَة الألمانيّةَ زيغريد هونكة بَدَأَتْ كِتَابَها الشّهير: (شَمْسُ الله، أو: شَمْسُ العَرَب تَسْطَعُ على

(١) عبد الرّحمن بن كمال الدّين أبو بكر المعروف بجلال الدّين السّيوطيّ: من سنة ٨٤٩هـ إلى ٩١١هـ: (كتاب الإتقان في علوم القرآن) تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم في القاهرة سنة ١٣٨٧هـ = سنة ١٩٦٧م. الطّبْعة الثّانية في مَنْشُورات رضا بيدار بمطبعة أمير بطهران: إيران سنة ١٣٩٧هـ. الصفحة ١٢٥-١٤٣ من المُجَلّد الثّاني.

الغَرْب) منذ صَفَحَاتِه الأَوائل بِمَقالَةٍ من الألفاظ المُنْتَقاةِ كلّها من العبارات الألمانيّة ذاتِ الأصلِ العربيِّ.. كما هو مَشْهورٌ ومَعْلومٌ. ونحنُ اليومَ نَسْتَعْمِل (التُّورب) لِتُراب أصِيْص الزِّراعة التَّزْيِنيّة وهذه عبارةٌ عائدةٌ إلينا من العربيّة القديمة؛ فالتُّرْبُ هو التُّراب. وفي أمريكة اليوم يَسْتَعْمِلُون العِبارة (بريريز) بمعنى البَراري كما قِيْل.

صِفتك نَعْتك

يا.. صِفَتَك ويا نَعْتك..

عِبارتانِ فصيحتانِ يَلْفُظُهما العَوَامُّ عندنا مَقْرونَتَيْنِ؛ بِتَسْكين الحَرْفِ الأوّل منهما.. كنايةً مُهَذَّبَةً عن الشّتمِ والوَصْفِ القَبِيح بكلامٍ غيرِ شَتَّام وغيرِ قبيح.

ليست (الصوفا) بل الصُّفَّة والمَطْرَحُ والطَّزَر والديوانِ والمَرْتَبَة

المِقْعَدُ الطّويلُ الذي يَقْعُدُ عليه أكثرُ مِنْ قاعدٍ أو اثْنَيْن.. يُسَمّى المَطْرَح في عامّيّتنا والفَصيحُ: المَفْرَش. وجمعُها المَطارِح والمَفارِش وفي مصر يُقال: (المَرْتَبَة). وجَمْعُها (المَرَاتِب) والمَطْرَحُ: المكانُ في لهجتِنا ولهجتِهم.

ويُقالُ عندنا أيضًا الدّيوان.. وهذه مُعَرَّبَةٌ من الفارسيّة؟!

ويُقالُ عندنا أيضًا (الصّوفا) وهذهِ لفظةٌ مُحَرَّفَةٌ عن العربيّةِ القديمةِ فمنذُ عصرِ الرّسولِ اشْتُهِرَ أَهْلُ الصُّفَّةِ من فُقَراءِ المُسْلِمين لأنَّهم كانُوا يَقْعدونَ في صُفَّةِ المَسْجِد الْجَامعِ.. ثمّ رَحَلَتْ هذه (الصُّفَّة) إلى اللغات الأُورُبِيَّةَ الحديثة كالإنكليزيّة والفرنسيّة SOFA وعادَتْ إلَيْنا منها (صُوفا) كما عادَ الْحَرشَفُ (خَرْشُوفًا) و(أَرْضِيًّا شَوْكِيًّا).. وكما عادَ القَصْر (الكازار)...

وفي زَمَنِ طُفولتي كُنْتُ تَعلّمتُ اسمَ الصُّفَّة: القاطع؛ وكأنّه على وَزْنِ فَاعِلٍ بمعنى المَفْعول، لأنّه كان يُصنعُ من قديمِ الْخَشَبِ المُقطّعِ ثمّ تُلْقىٰ عليه (الطُّرّاحة) التي هي فِراشٌ أَصْغَرُ من الفِراشِ لِتَكونَ على مِقْدَارِ قياسِه، وقد يُغَطّى بِبِسَاطٍ مَحْبُوكٍ مِنْ بَقايا القُصاصاتِ الفاضِلة من مُختلفِ الأنسجةِ والأقمشة والشّراطيط التي فَصِيحُها (الشّماطيط) ولهذا البِسَاط لُحْمَةٌ وَسَدًىٰ (جَمْع سَداةٍ) مِنَ الْخِيطان... انظر في: ش م ط.

وكذلك في زمنِ الطُّفولة كنّا نَعْرِف في قاعَة البَيْت الشّاميّ الكَبيرِ ما يُسَمّى (بالطَّزَر) وكان في القاعَة أو الدِّيْوَان الذي كانوا يلفظونه (اللِيْوَان) طَزَرانِ مُرتَفعان كالصُّفَّتَيْن وبَيْنَهما العَتَبَة، وقد يكون في وَسَطها أحيانًا بُحَيْرَة صغيرة للزينة والتَّنَزُّه تُسَمَّى (فستئية).

والطَّزَر في (القاموس.. والتّاج..): «..عن اللَّيْث: البيت الصَّيْفِي، بلغة بعضهم، وقال الأزهريّ: هو مُعَرَّب (تَزَر) نَقَلَه الصاغانيّ». ولم أَجِدْ (تَزَر) في (قاموس الفارسيّة).

اصْطَفِل

يُقال في بِلاد الشّام: (اِصْطَفِلْ): أي: افْعَل ما تَشاء على الرَّغْم من أنّي لا أُوافِق على فِعْلك، ولٰكني أَتْرُكُ لك أن تَعْمَل على مَسْؤُولِيَّتِك، ولا أَتَدَخَّل في شُؤونك (فَاصْطَفِل).

وعن أحمد رضا العامليّ في مقدّمة (متن اللغة) ج١ ص٦٣:

«اصْطفِلْ في الأَمْر: مُحَرَّفة عن (افْتَصِل) وهو افْتصال من الفَصْل أي اتّخِذ الفَصْل الذي تُرِيْدُه من عَمَلك».

ولٰكن اصْطَفِلْ: في رأي خيري الذّهبيّ أصْلها:

اصْطَفِ لك، من الاصْطِفاء. وقد وَرَدَ في ص٤٧٥ من (قاموس المُصْطَلَحات والتَّعَابير الشّعبيّة) لأحمد أبي سعد: «فَصِيحُها اصْطَفُوا ما تشاؤون».

ويُمْكِن أنْ يَكونَ للإصْطَفْلِينَةِ: الْجَزَرة: الوارِدَة في أ ف ل في (القاموس..) و(اللسان..) بباب الألِفِ عَلامةٌ بقولهم: اصْطَفِل أيْ: ضَعْ في فَمِك جَزَرة تَقْضمها فَتُلْهِيك وتُسْكِتُك عن هذا الموضوع الذي اخْتَلَفْنا فيه:

وأنا أضْطَرّ إلى هذا التّخريجِ البعيدِ لأنّي لمْ أجدْ المادّة في المَعَاجم التّراثيّة إلّا في تَرْجَمة الْجَذر الثّلاثيّ أ ص ل.

ولٰكنّي أُفَضِّل تَخْريج أحمد رضا العامليّ الذي أشار إليه في مُقدِّمة مُعْجَمِه (مَتْن اللغة) ثمّ ذَكَرَه مَرَّتَيْن في كتابه (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) ص١٥١ وص٣٣٢ وفيها: «وأَصْلُه افْتَصَلَ فُخِّمَتِ التّاء فَصَارَتْ طاءً وَقُدِّمَتْ على الْفاء. ولِمِثْل هذا القَلْبِ نَظَائر في كلام العامّة. فقد قال العامليّون، فلان لا يَسْترجئُ أن يَعْمَل كذا أيْ لا يَسْتَجْري بمعنى لا يَجْرَأُ. وقالُوا: طَبَّلَ فلان إذا أَعْيا في المَشْي في بَلَّط لهذا المعنى. وقالوا: طَسَّهُ بِيَدِهِ أو بالكفّ في.. صَتَّهُ لِنَفْسِ المعنى.

وأذْكُر أنّني سَمِعْتُها غيرَ مَقْلوبةٍ مِنْ بَعْض العراقيّين سَمِعْتُه يَقول لِصاحبِهِ وهو يَسْتَشِيرُه: وأنت افْتَصِلْ كما تريد». ا.هـ. أحمد رضا.

قُلْت: أَسْتَطْرد للذّكرى والإطْراف فَأَعُود بذاكِرَتي إلى نِصْف قَرْنٍ مَضى حين كان في دِمَشْق مَقْهَيان مُتَقابِلان، هما: (الهاڤانا) و(مقهى البرازيل)؛ وكان يتلاقى فيهما المُثَقَّفون الّذين يَتَعاطَون المحاوَرات والمناقَشات في شُؤون السِّياسة والفِكْر..

كان بَيْنَهم بَعضُ السّاخرين الدّاعين إلى عَدَم الانْضِمام إلى أيِّ اتِّجاه من الاتِّجاهات المُتَناقِضَة؛ ولذلك أَلَّفُوا لِعَدم المُنْحازين إلى الأَحْزاب حِزْبًا سَمَّوه (حزب يصطفلوا)، وجَعلُوا شِعارَه: (الاصْطِفال خَيْر المَقال).

صَفَن

في العامّيّة الشاميّة: (صَفَن) أي سَكَت عن الكَلام والحَرَكة وهو يُفَكِّرُ قَلِقًا..

ولعلّهم في هذا التّعبير قد تصرَّفوا في دلالَةِ معناهُ الفصيح وحملُوه على المجازِ والصّورةِ البيانيّة.

وأصلُه الفصيحُ كما وَرَدَ في المعجم.. وكما أَخَذَ (المعجمُ المدرسيُّ) عن المعجمِ القديمِ:

«صَفَنَ الفرسُ يَصْفِنُ صُفونًا: قام على ثلاثِ قوائمَ وَطَرَفِ حافِرِ الرابعةِ، دونَ قيدٍ بِيَدٍ أو رِجْل.

الصافِن منَ الخيلِ: القائمُ على ثلاثِ قوائمَ وطرفِ حافِرِ الرابعةِ وجَمْعُها: صَوافِن وصافِنات؛ ﴿إذْ عُرِضَ عليه بالعَشِيِّ الصافِناتُ الجياد﴾ السّورة ٣٨ سورة ص، الآية ٣١».

وأخذ (المعجم الوسيط) أيضًا من (القاموس المحيط): «...وصفن الرّجلُ: صَفَّ قدميه. وصفن به الأرضَ: ضربه».

ولم أجد هذا التّعبير لدى كُتّاب فصاح العامّيّة.

صَلَّطَهُ والصَّوْط

عَوامُّنا تَلْفِظ سِينَ: سَلَّطَهُ صادًا، وتاءَ الصّوت طاءً، فَيَظُنُّ مُثَقَّفونا أنّهما خَطَأانِ عامّيّان ناجِمان عن مَيْل العَوَامّ إلى تَضْخِيم هذه الحروف.. ولٰكنّهما وَارِدان في الفَصيح أيضًا.. ولٰكنْ أهْمَلَتْه كثير من المعاجم الحديثة وكُتُب فصيح العَوَامّ، كما كان أهمله ابن منظور في (اللسان..) والجوهريّ في (..الصّحاح) من قَبْل... فبدا

لنا عَامِّيًّا، على أنَّهُ ورد في (القاموس.. والتّاج..):

«صَلَّطَه الله تعالى تَصْليطًا؛ أَهْمَله الجوهريّ وصاحب اللسان وقال ابن عَبّاد هي: لُغَة سَلَّطَه» ويَزيد البُستانيّ في (مُحيط المُحيط): «والصَّلاطَة: السَّلاطة» وفيه من (القاموس.. والتّاج..) «الصّوط: صوت من ماء وهو ما ضاق مَنْقَعُه وقد انْمَدَّ». وفي حاشية (القاموس) قوله وقد انمدّ. كذا في (العُباب..) [للصّغانيّ] وفي (التَّكمِلَة..) [للصّغانيّ أيضًا]: «..وقد امْتَدَّ كالسَّوْط؛ بالسّين».

«الصِّياط - بالكسر -: اللَّغَطُ العالي؛ أهمله الجوهريّ وصاحب اللسان، وقال ابن عبّاد هو اللَّغَط العالي المُرتَفِع؛ نقله الصّاغانيّ».

صَلَعَ رَأْسه

وصَلِعَت صَلْعَةُ الأَصْلع

في عامّيّتِنا ما يَزالُ الصّلَعُ كما هو في المُعْجم العربيّ قديمِهِ وحَديثِه وتجدُ (المُعْجَم الوسيط) لمَجْمَع القاهرة يَروي عن (أساس البلاغة ومقاييس اللغة ولسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس) ومع ذلك فكأنّه يَنْقُلُ من كلامِ العوامِّ في الشّام:

«صَلِعَ فلانٌ يَصْلَعُ صَلَعًا: انْحَسَرَ شعْرُ مُقدّم رأسِه أو وَسَطِهِ.

ويُقال: صَلِعَ رأسُهُ. وصَلعت الشّجرةُ ونحوها: سَقَطَتْ رُؤُوس أغصانِها أو أَكَلَتْها الماشِيَةُ. صَلَّعَتِ الشّمْسُ: بزغَتْ وخرجَتْ من الغَيْمِ. وتصلَّعَتِ الشّمس: صَلَّعت. والسَّماءُ صَحَتْ.

الأَصْلَعُ: المُنْحَسِرُ شعرُ رأسِه كالصّليع. والسِّنانُ المَجْلُوُّ. وكلّ بَرّاقٍ أَمْلَس. وهي صَلْعاءُ. والجَمْعُ صُلْعٌ وصُلْعان.

الصَّلَعُ: انْحِسَارُ الشَّعر عن مُقَدَّمِ الرّأسِ أو وسَطِها.

الصَّلْعَةُ والصَّلَعَة: جِلْدَةُ الرّأسِ انْحَسَرَ عنها الشّعرُ.

الصُّلَّاعَةُ: الصَّخْرَةُ الصُّلْبَة الشّديدةُ العَريضَةُ. جَمْعُها صُلّاعٌ».

قُلْتُ: إذا كانتِ الصُّلّاعَةُ في غَيْرِ عامّيّتنا، فقديمًا كان الأَصْلَعُ صَليعًا كما في بَيْت عَمْرِو بنِ مَعْدِي كَرِبَ الزّبيديّ الذي اسْتشهدَ به كلٌّ من ابن منظور والزّمخشريّ وأحمد بن فارس عن الأصمعيّ عن (الْجَمْهرة) لابن دُرَيْد:

وَزَحْفُ كَتِيبَةٍ لِلِقاءِ أُخْرَى
كَأَنَّ زُهاءَها رَأْسٌ صَلِيعُ

ويَسْتَشْهِدُ ابن منظور في (اللسانَ..) عن ابن الأثير بِعَدَدٍ مِن الشّواهد على مادّة الصَّلَع وتَراكِيبِها المُخْتَلِفَة.

وفي مَجازَات (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «نَزَلُوا بالصَّلْعاء: بالصّحْراء الْخَالِيَة، قال عُمارَةُ ابنُ عَقيلٍ:

تَرى الضَّيْفَ بالصَّلْعاءِ تغسقُ عينُه
من الْجُوعِ حتّى تَحْسَبَ الضّيْفَ أَرْمَدا

وصَلعَ رَأسَه: حَلَقَهُ» قُلْت: لم يُورِدْ (..الوسيط) هذا الفِعْل المُتعدِّي إلى المَفْعُول، وفي عامّيّتنا وارِدٌ كما هو وارِدٌ في مُعْجَم الزّمخشريّ.

الصَّمْغ والصَّمْخ والصِّماغان

الصَّمغ والصِّمَغَة والصَّمْغَة والصَّمْخة: اللِّبَن الحَليب المتجمّد في الثَّدْي قبيل بدء الإرضاع. معروف عند عوامّنا باسم الصَّمْغة.. كأنّه تشبيه بالصَّمْغ العربيّ الذي يُنْضِجُه الشَّجَرُ ويسيل منها

واحِدَتُه: صَمْغَةٌ وعلى فصاحة هذا التّعبير لفظًا ومعنًى فقد أهملته كثير من كُتُب اللغة الحديثة..

وممّن أهمله فيهم مؤلّفو (..الوسيط) مُعْجَم مَجْمَع القاهرة؛ و(المعجم المدرسيّ) لمحمّد خير أبي حرب ووزارة التّربية بدمشق، على أنّ البُستانيّ في (محيط المحيط) أوْرَدَه عن (القاموس المحيط) للفيروزاباديّ الذي يقول: «وَأَصْمَغَت الشّاةُ إذا كان لَبَنُها طَرِيًّا، وشاة مُصْمِغَة بِلَبَنِها.. وَكَعِنَبٍ وَعِنَبَة [أي صَمِغٌ وصِمَغَة] شيء يابس يوجد في أحاليل النّاقة فإذا فُطِرَ ذلك طاب لَبَنُها وَأَفْصَح».

والزّبيديّ في (التّاج..) يُصحّح «لبنها: وصوابه: لِبَأها.» [وهكذا رسم كرسي الهمزة فيه].

أمّا ابن منظور في (اللسان..) فينقل عن أحد مصادِرِه (التّهذيب): «الأزهريّ في ترجمة ص م خ: أبو عُبيد: الشّاة إذ حُلِبَت عند وِلادِها فَوُجِدَ في أحاليلِ ضَرْعِها شيء يابس يُسمّى الصَّمْخ والصَّمْغَ، الواحدة صَمْخَة وصَمْغَة، فإذا فُطِرَ ذلك أَفْصَحَ لَبَنُها بعد ذلك واحْلَوْلىٰ. [وقبل هذا قِيل]:

وفي حديث الحَجّاج: (لَأَقْلَعَنَّك قَلْعَ الصَّمْغَة):... والصَّمْغ إذا قُلِعَ انْقَلَعَ كلّه من الشَّجَرَة ولم يَبْقَ له أَثَرٌ وربّما أَخَذَ معه بَعْضَ لِحائها. وفي المَثَل: (تَرَكْتُه علىٰ مِثْل مَقْرِف الصَّمْغَة).

والصِّمغان: مُلْتَقىٰ الشَّفَتَيْن مِمّا يلي الشِّدْقَيْن. والصِّمْغَتان والصّامِغان والصِّماغان: جانِبا الفَم.. وفي (التّهذيب..): مُجتمع الرّيق في جانب الشّفة؛ ويُسمّيهما العامّة [في عصر الأزهري ثمّ ابن منظور] الصِّوارَين: وفي حديث بعض القُرَشِيّين: (..حتّى عَرِقْتَ وزبّب صِماغاك).

وفي حديث عليٍّ، عليه السّلام: (نَظِّفُوا الصِّماغَيْن فإنّهما مَقْعَدا المَلَكَين) وهذا حَضّ على السِّواك؛ قال الرّاجز:

قد شانَ أَبْناءَ بني عَتّابِ
نَتْفُ الصِّماغَيْنِ على الأَبْوابِ».

قلت: أُدْرِك أنّي اسْتَطْرَدت خارجَ موضوعي لأنّي وجدت المُفْرَدَة التي كنت لاحظت الحاجَةَ المُلِحَّة إليها على أقلام القَصّاصِيْن والكُتّاب حين يصفون الزَّبَد على فم المُنْفَعِلِيْنَ في مواقفِ احْتداد الشِّدّة والعَصَبِيَّة.

وكلّ ما في (مقاييس اللغة) «الصّمغ كلمة واحدة» وفي حاشية مُحَقِّقِه عبدالسّلام محمّد هارون: «..بسكون الميم وقد تُفْتَح».

صَنْبَعَهُ صَنْبعةً

يقول العامّيّ الشّاميّ:

(سعيد النَّصْبَة مُصَنْبَع في العَلالي، كأنّه يلبق به أن يُصَنْبِع).

فكأنّهم يقصدون بالصَّنْبَعة الانْتِصاب المُفاجئ أمام مَنْ لا يَتَوَقّع وُجود هذا المُصَنْبَع في هذا المكان المُهِمّ مثلًا.. وكأنّهم يقصدون الاسْتهزاء به والسُّخْرية مِنْهُ على هذه (الصَّنْبَعة).

ولم أَجِدْ من كُتّاب فصيح العَوَامّ مَنْ يَهْتَمّ بالصَّنْبَعة، اللّهمّ إلّا البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط) ممّا دلّني على أنّ هذا العامِّيّ الفصيح في الشّام كان معروفًا في لبنان أيضًا.

وكلّ ما في (اللّسان..: ص ن ب ع):

«الأزهريّ: تقول: رأيته يُصَنْبِعُ لُؤْمًا. وصُنَيْبِعاتٌ: مُوْضع سُمِّي بهذه الجماعة. أبو

عَمْرو: الصُّنْبُعَة: النّاقة الصُّلْبة».

وفي (القاموس.. والتّاج..):

«الصِّنْبعة: أهمله الجوهريّ، وقال ابن عَبّاد: هو انقباض البخيل عند المَسْأَلَة كالصَّعْنبة. وقد رأيته يُصَنْبِع لُؤمًا. ونقله الأزهريّ أيضًا. ورَجُل مُصَنْبَعُ الرّأسِ - بالفتح؛ أي: على صيغة المفعول - ومُصَعْنَبُهُ ومُصَنْعَبُه: إلى الطّول ما هو».

وأزيد في البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط):

«..والعامّة تقول: صَنْبَع الرَّجُل إذا قام مُنْتَصِبًا».

إحالة: الصِّنْبَعر: ورد في الزاي: الزّنبعرة.

المَصْنَعُ: الصِّهْريج

ظَلَّ حَوضُ تَجْمِيعِ الماءِ؛ أي: الصِّهْريج مُنْذُ الجاهليّة إلى النّصْفِ الأول من القَرْن العِشْرين يُسمّى: المَصْنَع والمَصْنَعَة، وجَمْعُه: المَصانع كما في قَوْل لَبِيْد بن رَبِيْعَة العامِرِيّ:

بَلِيْنا وما تَبْلى النُّجومُ الطَّوالِعُ
وتَبْقى الدِّيارُ بَعدَنا والمَصانعُ

وفي (أساس البلاغة): وتبقى الجبالُ...

ولم نَكُنْ نَحتاجُ إلى إضافة لَفْظِ الماء إلى المَصْنَع كما ترىٰ من الشّاهد الجاهِليّ وكما أَذْكُرُ من لُغَتِنا التي كانَت دارِجةً في أيّام طُفولتي؛ فقد أَذكُرُ أنّ المرحوم والدي كانَ بَنىٰ في مَنْزِلِنا ذلك المَصْنَعَ لِتَجْمِيعِ الماء من أجْل اسْتعمالاتِ أهلِ الدّار في البيت القديم الذي مَضَيْتُ فيه أيّام بداياتِ اليَفاعَةِ والفُتُوّة بعد طُفولَتي حيْنما كنتُ أَعْمل مع إخوَتي في نَقْلِ الماء إلى مَصْنع بَيْتِنا من صُنْبُورِ ماء الفِيْحَة أمامَ مَخْفَرِ حَيّ القَنَوات، أو مِن مَصبٍّ نَهرِ القَنَواتِ؛ وهو جَعْفَرٌ مُتَفَرِّعٌ من فُروعِ نهر بَرَدىٰ.. ولٰكنّ جيلَ اليومِ مِمَّن حَوْلي لا يَعْرِفونَ المَصنع إلّا بمعنى المَعْمَل والمُجمَّع الصِّناعيّ أو المُركَّب الصِّناعيّ كما يقولُون في الجزائر، وإذا أَضَفْت إليه لَفْظَ الماء فلعلّهم يَظُنُّونَه مَعْملًا لِتَصْنيع الماء من تَرْكِيْب مُولِّد الحُموضة (الأوكسيجين) مع مولّد الماء (الهيدروجين) تركيبًا كيميائيًّا، أو يَظُنُّونه مَصْنَعًا لِتَحْلِيَةِ ماء البحر مَثلًا.

ولٰكنْ لعلّ أبناء المناطق التي ما تزال تَضْطَرّ إلى بناء المَصانع لجمع الماء كما في بيت لبيد بن ربيعة ما يزالون يسمّونها المصانع.. ولا ننسى أنّنا لو عَصَرنا الأدب العربيّ لوجدنا نصفه ماء كما يقال وعلى النّقيض من الأدب الإنكليزيّ الذي يتغنّى بأشعّة الشّمس لحاجتهم إليها في بيئتهم الرّطبة الضّبابيّة، أمّا بيئتنا فشمسها شِبْه مُحْرِقَة، وسماؤُها مَضّاءة واضحة ساطعة وأرضُها عَطْشىٰ أو شبه جافّة..

وماذا في المعجم القديم عن المصنع؟

في (أساس البلاغة):

«..واتَّخَذَ مَصْنَعَةً للماء وصِنْعًا ومصانع وأصناعًا.

... وقال ابن مُقْبل:

أصواتُ نِسوانِ أَنْبَاطٍ بِمَصْنَعَةٍ
بَجَّدْنَ للنَّوْحِ واحْتَبَنَ التَّبابِيْنا

لَبِسْنَ البُجُدَ».

وفي (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..):

«والمَصْنَع..: الحَوْضُ، وقيل: شِبْه الصِّهريج يُتَّخَذُ للماء..

والمصانع: مايَصْنَعُه النّاس من الآبار والأبنية وغيرها... وفي التّنزيل: ﴿وتَتَّخِذُون مصانعَ لعلَّكم تَخْلدون﴾ السّورة ٢٦ الشعراء الآية ١٢٩». المصانع في قَوْل بَعْض المُفَسِّرين:

الأبنية، وقيلَ: هي أَحْبَاسٌ تُتَّخَذُ للماء». وقال الأصمعيّ: العَرَب تُسَمّي القُرى مَصانعَ واحِدَتُها مَصْنَعَة.. وقال ابن برّي: «والمَصانِعُ: الحصون». والصّهريج في (لسان العرب): واحِدُ الصَّهاريج وهي كالحِيَاض يجتمعُ فيها الماء، قال العجّاج:

حتّى تَنَاهى في صَهاريج الصَّفا

يقولُ: حتّى وَقَفَ هذا الماءُ في صَهاريجَ من حَجَرٍ. ابنُ سِيْدَه: الصِّهريج: مَصْنَعةٌ يَجْتمعُ فيها الماء، وأصله فارسيّ وهو الصِّهْري وصَهْرَجَ الحَوْضَ: طَلاهُ.

فَقُلْتُ: ولٰكنّي لا أقولُ اليومَ: «المصْنع شِبْه الصّهريج» فقد خصّص المُعاصرون عِنْدنا الصّهريج للسّياراتِ الكبيرةِ الشّاحنة للسّوائل.. وإنْ كان د.عبدالعال في مِصْر يقول في مُعْجَم (الألفاظِ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارِجَتِنا: الصِّهريج: حَوْضٌ كبيرٌ يُسْتَخْدَمُ لِتَجْمِيْع الماء أو زَيْت الوَقود، ج صهاريج. وفي (القاموس..): الصِّهريج حَوْضُ يَجتمعُ فيه الماء». وفي (مُحيط المُحيط) يُضِيْف البُستانيّ: «والمَشْهور أنّ الصِّهريج بِرْكةٌ كبيرةٌ أو بِئْر لجَمْع ماء المَطَر. والمُصَهْرَج: المَعْمُوْل بالصّاروج، يُقال: بِرْكَةٌ مُصَهْرَجَةٌ أيْ مَعْمولٌ بالصّاروج»، [وَصَرَّج الحَوْض بناه بالصّاروج وهو النُّورَة وأخلاطُها (مُعَرَّب)].

أمّا قولُ ابن سِيْده: وأصْلُه فارسيّ، فلم أَجِدْ في (قاموس الفارسيّة) إلّا قَول مُؤَلِّفِه د.عَبْد النَّعيم محمّد حسنين في بدايَة حَرْفِ الصّاد: «الحَرْف السّابع عشر من حروف الهجاء الفارسيّة وهو عربيُّ الأَصْل ووُجُوده في كَلِمَةٍ مُسْتَعْمَلَةٍ في الفارسيّة يَدُلّ على أنّ الكلمةَ عربيّة الأَصْلِ» ولٰكنّه قالَ مِثْلَ ذلكَ أيضًا في بِدايَاتِ الأَحْرُف الخَمْسَة المُتَتَالية الصّاد والضّاد والطّاء والظّاء والعَيْن.

ض

ضَجّ، لا (ضَاجَ ضَوْجَة)

الضَّوْجة: في عامّيّتنا، بمعنى الضّجّة العامّيّة الفصيحة المعروفة، ولٰكنّ الضَّوْجة التي يشْتَقُّها العَوَامُّ أو يشتقُّون منها الفِعْل ضاج يَضُوج ويَضِيْج، ليست في الفصيح بمعنى ضَجَّ يَضِجّ، ولٰكنْ للفِعْلَيْن ضاج يَضُوج ويَضِيج مَعانٍ فِصاح يُمْكن بتأويلها على المَجاز أنْ تُقارِب مَقاصِدَها في عامّيّتنا إنْ لم تُلامِسْها ولم تُوازِها...

في (لسان العرب): ض ا ج: «ضَوْج الوادي: مُنْعَطَفُه، والْجَمْعُ أضواج وأضوج، الأخيرة نادِرةٌ؛ قال ضِرار بن الخَطّاب الفِهْريّ:

وَقَتْلَىٰ من الحَيِّ في مَعْرَكٍ
أُصِيبوا جَميعًا بِذي الأَضْوُجِ

وقد تَضَوَّجَ.

وضاج الوادي يَضُوج ضَوْجًا: اتَّسَع. وَلَقِينا ضَوْجٌ من أَضْواج الأَوْدِيَة فَانْضَوَج فيه، وانْضَوَجْتُ على إِثْرِهِ. وفي الحديث ذكر أضواج الوادي أي مَعاطِفه، الواحدة ضَوْج؛ وقِيْل: هو إذا كنت بَيْن جَبَلَيْن مُتَضايِقَيْن ثمّ اتَّسع فقد انْضاج لك...».

[وأتابع ابن منظور إلى ض ي ج]: «ضاجَ عن الشّيء ضَيْجًا: عَدَل ومال عنه. كجاضَ. وضاجَ عن الحقّ: مال عنه؛ وقد ضاجَ يَضِيج ضُيوجًا وَضَيَجانًا، وأَنْشَدَ:

أما تَرَيْني كالعَريشِ المَفْرُوج
ضاجت عِظامِي عن لَقًى مَضْروج

اللَّقَى: عَضَلُ لَحْمِهِ. وضاجَ السَّهْم عن الهَدَف أي: مال عنه. وضاجَتْ عِظامه ضَيْجًا: تحرّكت من الهُزال؛ عن كراع». قلت: كأنّه ما تقول فيه العامّة: ضَوَّيج.. بتضعيف الواو.

أمّا قوله: كَجاض؛ فيُذَكِّرُني بالْجاضيّ في وَصْف مَنْ يَسْخطون عليه، دون أنْ يَعْرِفوا له معنى فكأنّه المائل عن الحقّ.. [تحوّل إلى جاض].

وفي (تاج العروس..): «المحفوظ أنّ تَضَوَّجَ وضاج واويّان بمعنى اتّسع وأمّا ضاج بمعنى مالَ فيائيّ...

...وفي الأساس: وركبني زيد بأضواج الكلام يموج عليّ بها».

وفي (محيط المحيط) تجد الأجوف الواويّ واليائيّ منه: يضوج ويضيج.

الضَّنَىٰ أو الضّناء: الضَّنْءُ

(الضَّنا غالٍ يا ضَنايَ) من عِبَاراتِ الأمّهاتِ تعبيرًا عن تعلُّقِهِنَّ بالأبْناء.. وذلك في عامّيّتنا في الشّامِ ومصرَ وأَغْلب بُلدانِ العَرَبِ، وأصلُها: الضَّنْءُ، فَتَخَفَّفُوا من الهمزة وأَطْلَقُوها أَلِفًا وفَتَحوا النّونَ السّاكِنَةَ قَبْلَها، وكَتَبَها د.عبدالمُنْعم سيّد عبد العال أَلِفًا يائيَّةً مقصورةً: الضَّنَىٰ مع أنّه نَصَّ على أنّها من الضَّنْءِ، ولم يَذْكر الضَّنَى بمعنى المَرَض المُضْني.. [فلا عَلاقَة للفِعْل: ضَنِيَ يَضْنَى ضَنًى

وضَنَاءً فهو ضَنٍ: لأنّه بمعنى: اشْتَدَّ مَرَضُه حتّى نَحلَ جِسْمُه.. وهذا بعيدٌ عن المعنى الذي في الضّنا بمعنى الوَلَد].

في (لسان العرب) لابن منظور: ض ن أ: «ضَنَأَتِ المرأةُ تَضْنَأُ ضَنْأً وَضُنُوءًا وَأَضْنَأَتْ: كَثُرَ وَلَدُها، فهي ضانِئٌ وضانِئَةٌ. وقيل: ضَنَأَتْ تَضْنَأُ ضَنْأً وضُنُوءًا إذا وَلَدَتْ.

الكِسَائيّ: امْرأَة ضَانِئَة وماشِيَة مَعْناهما أنْ يَكْثُرَ وَلَدُها.. وضَنَأَ المالُ كَثُرَ وكذلك الماشِيَةُ، وأضنأ القومُ إذا كثرَتْ مَواشِيهم. والضَّنْءُ: كَثْرة النّسْل..

والضَّنْءُ والضِّنْءُ، بالفتح والكسر..: الوَلَد، لا يفرد له واحد، وإنّما هو من باب نَفَرٍ وَرَهْطٍ، والجمع ضُنُوءٌ.

والضِّنْءُ، بالكَسْرِ: الأَصْلُ وَالمَعْدِنُ: وفي حديث قُتَيْلَةَ بنتِ النَّضْرِ بن الحارث أو أُخْتُهُ:

أَمُحَمَّدٌ، وَلأَنْتَ ضِنْءُ نَجِيْبَةٍ
مِنْ قَوْمِها وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ

ويُقَال: فلان من ضِنْءِ صِدْقٍ وضِنْءِ سَوْءٍ».

ضَهَجَ

تقول عوَامّ الشّام: (ضَهَج الضَّوْءُ، وضَهَج الشّيء).

يقصدون أنّه ظَهَر واضحًا بعد خَفاء.. ولا يُشير بطرس البُستانيّ إلّا إلى: «أضْهجت النّاقة: أَلْقَت وَلَدها». فقط.

وَوَجَدْت في (لسان العرب) ض هـ ج: «أَضْهَجَت النّاقة كأَضْهَجَت، إمّا مقلوب وإمّا لُغة، عن الهِجْريّ؛ وأنشد:

فَرُدّوا لِقَوْلي كلَّ أَصْهَبَ ضامِرٍ
ومَضْبُورةٍ، إنْ تَلْزَمِ الخَيْلَ تُضْهِجِ».

ا.هـ. ابن منظور. قُلْت: أهمل شرح المعنى فلعلّه شرح في المقلوب: أَضْنَجَه؟ ولٰكنّي لم أجدْ في فَصْل الضّاد من باب الهاء فيه إلّا: «الضَّبَّة: مَوْضع..!» وكذلك في (القاموس والتّاج) في باب الهاء: «فصل الضّاد مع الهاء أَهْمَلَه الْجَوهريّ وممّا يُستدرك...» ولم يَذْكُرُوا: ض ج هـ...

ولٰكنّ (القاموس.. والتّاج..) أعطياني مَطْلُوبي في ض هـ ج «أَضْهَجَتِ النّاقة: أَلْقَت وَلَدَها، كأَضْجَهَت..»..

قُلْتُ: أَظْهَرَت ولدها واضحًا بعد خَفَاء إذا أَلْقَتْه من بَطْنِها.

ط

طَبْطَب

من التّطوّر في اسْتِعمال الفَصِيح عِنْدَ العَوامّ:

و.. من أمثالِنا الشّعبيّةِ: (فُلانٌ يُطَبْطِبُ على طِبْطابِ فلان) أيْ: يُوافِقُه ويُصَوّتُ مَعَه ويُشارِكُه في طَريقةِ اللعب ضدّ الآخرين..

وفي مِصْرَ: «طَبْطَبَ فُلانٌ على فُلانٍ: رَبَّتَ بِيَده على ظَهْره بصَوْت مَسْمُوع لرِضَائه عنه أو مُحاوَلَة إرْضائه».

وفي (..الوسيط) نَقْلًا عن (لسان العرب) و(القاموس المحيط) وغيرهما...

«طَبْطَبَ الماءُ والسّيلُ ونحوهما: صَوَّتَ في تَلاطُمِه.

وطَبْطَبَ: تَدَحْرَجَ واضْطَرَب. وطَبْطَبَ الماءَ وغيرَه: حَرَّكَهُ وجَعَلَهُ يُطَبْطِبُ.

تَطَبْطَبَ: طَبْطَبَ.

الطَّبْطابَةُ: خَشَبَةٌ عَرِيضةٌ يُلْعَب بها بالكُرَةِ.

الطَّبْطَبَةُ: حِكَايةُ صَوْتِ الماءِ ونحوِه.

والطَّبْطَبَةُ: حكايةُ وَقْعِ الأقدامِ عِنْدَ السَّيرِ».

وفي (لسان العرب) عن (الصّحاح) بالإضافة إلى ما سَبَق:

«والطَّبْطَبَةُ: شَيْءٌ عَرِيضٌ يُضْرَبُ بَعْضُه ببعضٍ...

... وقد تَطَبْطبَ؛ قال:

إذا طَحَنَتْ دُرْنِيَّةٌ لِعِيالِها
تَطَبْطَبَ ثَدْياها فَطارَ طَحِينُها».

طَبَخْنا والحَرّ طَبّاخ

إذا جاءنا الحَرّ في نِهايات الرّبيع وبِدايات الصّيفِ نقول: (طبّاخ المشمش يطبخنا معه..).. وهذا مَثَل من العَديد من الأمثلَة التي تَسْتَخْدِم فيها العامّيّة من المعاني المَجازيّة والصُّور البيانيّة المُوَلّدة من الطَّبْخ ما نَجِدُ أَغْلَبَه وارِدًا في الفصيح التّليد..

كما أنّ أصْل معنى الطَّبْخ ما زال في عامّيّتنا كالفِصاح لفظًا ومَعنًى؛ وابن فارس لم يَقُل في (مقاييس اللغة) وفي مادّة ط ب خ إلّا: «أصل واحد وهو الطّبخ المعروف..». ثمّ يَنْتَقِل إلى المعاني المَجازيّة، فهي أهمّ...

وفي (لسان العرب):

«...وطَبَخَ الحَرُّ التَّمَرَ: أَنْضَجَه، ومنه قَوْلُ أبي حَثْمَةَ في صِفَة التَّمر: (تُحْفَة الصّائم وتَعِلَّة الصَّبِيّ ونُزُل مريمَ، عليها السّلام، وتُطْبَخُ ولا تُعَنِّي صاحبَها).

وطبائخ الحَرّ: سَمائِها في الهَواجِر، واحِدَتُها طَبِيْخة، قال الطِّرِمّاح:

ومُسْتَأْنِسٍ بِالقَفْرِ، باتت تَلُفُّه
طبائخ حرٍّ، وقعهن سَفُوعُ

والطّابخة: الهاجرة. والطّابخ: الحُمّى الصّالب. والطُّباخ: القُوّة..

وقال حسّان بن ثابت:

المالُ يَغْشَىٰ رِجالًا لا طَباخَ بهم
كالسَّيْل يَغْشَىٰ أُصولَ الدِّنْدِنِ البالي

ومعنى: لا طَباخَ بهم: لا عَقْلَ لَهُم. والدِّنْدِنُ: ما بُلِيَ وَعَفِنَ من أصول الشَّجَر، الواحدة دِنْدِنَةٌ، وقد جاء هذا البيت في شعر لِحَيَّةَ بنِ خلف الطّائيّ يُخاطب امرأة من بني شَمجَىٰ بن جرم يُقال لها أسماء، وكانَتْ تقول: ما لِحَيَّةَ مالٌ؛ فقال مُجاوِبًا لها:

تقولُ أسماء لـمّا جئت خاطبها:
يـا حـيُّ مـا أرَبـي إلّا لِـذي مـالِ
أسـماءُ لا تـفعـليـها رُبَّ ذي إبـلٍ
يغشَى الفَواحش، لا عَفٌّ ولا نالِ
الفَقْرُ يُزْري بأقوام ذَوي حَسَبٍ
وقد يُسَوِّد، غيرَ السّيّد، المالُ

[فيه أقواء].

والمال يَغْشَىٰ أُناسًا، لا طَباخ لهم،
كالسّيل يغشَىٰ أصولَ الدِّنْدِنِ البالي
أصونُ عِرْضي بمالي لا أُدَنِّسُه
لا بارَكَ الله بَعْد العِرْض في المال
أحْتالُ للمال إنْ أَوْدىٰ فأَجْمَعُه
ولَسْت للعِرْض إنْ أودىٰ بِمُحتال

قولُه: نالٍ: من النّوال وأصْلُه نَول مثل قولهم: كبش صافٍ وأصْلُه صَوِفٌ.

وطَبَخ: تَرَعْرَع وعقل».

وفي (أساس البلاغة): «..وآجرّة جيّدة الطَّبخ، وخُبْزَة جيّدة الطَّبْخ.. ومن المَجاز: طَبَخَتْهم الهَواجر، وخَرَجُوا في طبيخة الحَرّ وطبائخه وهي سَمائِمُه وَقْت الهَجِير.. وَطَبَخَهُ الجُدَرِي والحَصْبة.. وهو أبيض المطبخ، وهم بِيْض المَطابِخ: وقال:

أمّا المُلوكُ فأنت اليومَ أَلْأَمُهم
لُؤْمًا وَأَبْيَضُهُم سِرْبالَ طَبّاخ».

وفي (رَدّ العامّيّ..) «وقالوا فلان طبخة: إذا كان هلوعًا جبانًا يَفْرَق وتَنْحلّ عزائِمُه.. وفي اللغة: الأطْبَخ: المُسْتَحْكِم الحُمْق كالطّبْخة.. ولعلّه مأخوذ من الطّبخ حيث تَنْحلّ بالنُّضْج أو بالطَّبْخ قُوىٰ المَطْبُوخ ويَلِيْن».

أمّا قول ابن الرّقمع: «إنّ أصحابًا له أَرْسَلُوا يَدْعُونه إلى الصَّبوح في يوم بارد ويقولون له ماذا تريد أنْ نَصْنَعَ طعامًا؟ وكان فقيرًا ليس له كُسْوة تقيه من البَرْد، فَكَتَبَ إليهم يقول:

أصحابنا قَصَدُوا الصَّبوح بسَحْرة
وأتىٰ رسولُهم إليّ خصيصا
قالوا اقْتَرِح شيئًا نُجِد لك طبْخَهُ
قُلْتُ اطْبُخوا لي جُبّةً وقَميصا».

فهو من التَّوسُّع والتَّفَنُّن في المعاني المَجازيّة، من قبيل المُشاكَلَة والمُصاحَبَة بَيْن الخِياطَة والطَّبخ، وهذه المُشَاكَلَة من المُحَسِّنات المَعْنَوِيَّة عند أهل البديع..

وفي عصرنا تُسمّى المؤامرات السِّياسيّة وما ينحو نحوها: طبيخًا.

طَبَسَ أو طَبَنَ

(طَبَسَ بالطّين، وطَبَس بالحُبّ، وطبَّسَ بَيْن الوُحول في العتمة، وفي هذا الموضوع طابوسَة، فلا تقعْ في هذه الطّابوسة).

كلّ هذه العبارات من عامّيّتنا المتداوَلة...

في (القاموس..) وفي (تاج العروس..):

«الطِّبْسُ: أهمله الجوهريّ، وقال ابن الأعرابيّ: هو الأسود من كلّ شيء. والطِّبْس – بالكَسْر –: الذِّئب... والتَّطْبيس: التّطيين؛ هكذا نَقَله

الليث، وفي المُحْكم: التّطبيس: التّطبيق: هكذا صحّحه الأرمويّ»... [«وهكذا في (اللسان..): التّطبيق والطِّبس: الذّئب، وفي حديث عُمَر - رضي الله عنه: (كيف لي بالزّبير وهو رجل طِبْسٌ؟) أراد أنّه يُشبه الذّئبَ في حِرْصِه وَشَرَهِهِ. وقال الحَرْبِيّ: أظنّه أراد: لَقِسٌ أي شَرِهٌ حَرِيص»].

ويقول ابن فارس في(مقاييس اللغة):

«الطّاء والباء والسّين ليس بشيء... وكذلك قول مَنْ قال: إنّ التَّطْبيس: التّطبين»... [وأصْل الطَّبْن عنده: الثّبات، والطّابون مَوْضع دَفْن النّار لئلّا تَطْفَأ].

وأعود إلى (القاموس.. والتّاج..):

«وقال ابن جنّي: بَحْر طبيس كأمير: كثير الماء كالخضرم. نقله الصّاغانيّ عنه.».

الطَّبْش هو الطَّبْج

«الطَّبْشِ» في عامّيّتنا: الكَسْرُ بِكَسَّارةٍ عريضةٍ، وَ(طَبَشَ يَطْبِشُ) في العامّيّةِ، أَفْرَط في الإنْفاقِ حتّى انْكَسَرَتْ موازَنتُهُ؛ (انكسارًا مَجازِيًّا)!.

وَوَجَدْتُ الطَّبْشَ في (لسان العرب) ولٰكنْ بمعنًى مُخْتَلِفٍ:

«الطَّبْشُ: لُغَةٌ في الطَّمْشِ، وهم النّاسُ، يُقال: ما أدري أيّ الطَّبْشِ هو». [أي: ما أدري أيّ النّاسِ هو]. ا.هـ.

وكذلك الفَيْروزاباديّ في (القاموس..) وشارحه الزّبيديّ في (التّاج..) الذي نَسَبَ ما قالَه ابنُ منظور في (اللسان..) أيضًا إلى الصّاغانيّ عن ابنِ دُرَيْد..

ويَجِدُ أحمد رضا العامِلِيّ أنّ الطَّبْشَ من الطَّبْجِ ففي (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«ويُسَمُّون عصا المُؤَدِّب الطَّبْشة... ويقولُون: طَبَشَه على يَدِه أو على رَأْسِه طَبْشَةً أو طَبْشَتَيْن أيْ ضَرَبَه بها ضَرْبَةً أو ضَرْبَتَيْن.

وفي اللغة هو الطَّبْج (بالْجِيْم) قال في (اللسان): الطَّبْج: الضَّرْبُ على الشَّيْءِ الأجْوَفِ كالرَّأْسِ وغَيْرِه... فالعامّة على هذا أَبْدَلَتْ.. وقد تَعاقَب الحَرْفان الشِّيْن والْجِيْم... وقالُوا: طَبَشَ وَطَبَّشَ في الوَحْل؛ إذا مَشىٰ فيه مُثْقَلًا.

وقالوا: طَبَّشَ الميزان: إذا أَثْقَلَه إلى الْجَانب المَوْزون فَمَالَ لِثِقَلِه إلى الأرضِ. قِيْل إنّها دَخِيْلة إرميّة ويُمكنُ القولُ إنّها عربيّة مَقْلُوبةٌ من بَطِشَ فلانٌ من الحِمّىٰ إذا أَفَاقَ وهو ضعيف، أيْ: أَثَّر ثِقْلُها فيه ضعْفًا ظاهِرًا ثمَّ اسْتُعِيْر لِكُلِّ ما يُثْقِلُ ويُضْعِفُ.

وقالُوا: طَبَّشَ على ظَهْرِه؛ إذا رَبَّتَهُ. وطَبَشَ الإناءَ أو الْجَرَّة: إذا زمن به فكَسَرَهُ. وهاتان مِنَ الطَّبْج وهو الضَّرْبُ على الشَّيْءِ الأجْوَف».

قُلْتُ: كلُّ ما مرّ وَارِدٌ في كلام العَوَامِّ عِنْدنا في الشّام...

ولٰكنْ بَعْدَ رضا كَتَبَ أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) ص٣١٠ في أدَوَاتِ النِّجارة:

«طَبْشة: قدّة من الخَشَبِ تَسدّ الفَرَاغَ بَيْنَ الأَعْواد. ولَعلّها من طَبَشَ الآراميّة ومعناها: رتّب وَضْعًا ونَظَّمَه (أحمد عيسى: المُحْكَم في أصول الكَلِمات العامّيّة، القاهرة ١٩٣٩)».

قُلْتُ: فأعودُ إلى الطَّبْجِ في (اللسان..) و(التّاج..).

«الطَّبْجُ: ساكِن: الضَّرْب على الشَّيْءِ الأَجْوَف كالرَّأْسِ وغيره حكاه ابن حَمُّويه عن شَمِرٍ في كتاب الغَرِيبين للهَرَوِيّ.

أبو عَمْرو: طَبَجَ يَطْبَجُ طَبَجًا إذا حَمُقَ، وهو أَطْبَجُ.

والطَّبْج اسْتِحْكامُ الحَماقَةِ. قال: ويُقال لأُمّ سُوَيْدٍ الطِّبِّيجَة [الاسْت] [قُلْتُ: والعامّة تقول: الطبّيشة] وفي الحديث: (كان في الحَيِّ رَجُلٌ له زوجةٌ وأمٌّ ضعيفةٌ، فَشَكَتْ زوجتُه إليه أُمَّه، فقامَ الأَطْبَجُ إلى أُمّه فألقاها في الوادي). . هكذا ذكره الجوهريّ بالجيم ورواه غيره بالخاء.».

طَحَّ وَتَطَحْطَح

في التّطوّر نحو التّخصيص في معاني فصاح العوامّ:

طَحّ وطَحْطَح

تقولُ العامّةُ: (طحَّ وتَطَحْطَحَ تحتَ حَمْل الأثقالِ والأحمالِ).

ويقولون: (طَحْطَحَ. . لا يَطمَح أن يَنْجَحَ في سعيه).

وفي (المعجم الوسيط) وهو يحكي عن (القاموس. . والتّاج. . واللسان. . . والصحاح. .):

«طَحَّه يَطُحُّهُ طَحًّا: دَلَكَهُ بِعَقِبِهِ.

أَطَحَّهُ: أسقطَهُ ورمَاهُ.

وطحّه فانْطَحَّ: بَسَطَهُ فانبسَطَ.

طَحْطَحَ: ضَحِكَ خفيفًا. وطَحْطَحَ الشيءَ طحطحةً وطِحْطاحًا: كَسَرَهُ وَبَدَّدَهُ إهلاكًا ويُقالُ: طَحْطَحَ بهم الدهرُ: بَدَّدَهُم وأهلكَهُم.

تطحطحَ: مُطاوِعُ طَحْطَحه». [أي: طَحْطَحَهُ فَتَطَحْطَحَ].

وأضِيْفُ من (تاج العروس. .): «وَطَحْطَحَ بِهِم طَحْطَحَةً وطِحْطاحًا (بكسر الطاء): إذا بدَّدهم إهلاكًا. وروى أبو العبّاس. . : يُقال: طَحْطَحَ في ضحكِهِ: إذا ضَحِكَ ضحكًا دونًا مثل طَخْطَخَ وَطَهْطَهَ وَكَتْكَتَ وكَدْكَدَ وَكَرْكَرَ». . قلت وفي عامِّيَّتنا (كركَرَ إذا أُضْحِكَ فضحِكَ وَكَرَّ ضحكًا. وكَرْكَرَهُ: أضحكَه [وهذه إلى الكاف]).

إحالة: المَطْرَح: مع الصّفّة بعنوان (الصُّفَّة والمطرح. . .) في ص ف ف.

طَخّ

الطَّخّ: في الشّام ومصر وغيرهما إطلاق النّار بالبُنْدُقيّة ونحوها؛ وقد (طخّهُ عيارًا ناريًّا، وكَثُرَ الطَّخُّ فيما بَينهم). وهذا المعنى قريب من المعنى الفصيح: «الطَّخُّ: رَمْيُ الشَّيْءِ وإبْعادُه. .» كما في (القاموس. .) وفيه: «والطَّخوخُ: الشّرَسُ وسوء المُعَاشَرَة. والطَّخْطاخ: السَّيّئُ الخُلُق. .

والطَّخْطَخةُ: تَسْوِيَة الشّيءِ وضَمُّ بَعْضِه إلى بَعْض وحِكَايَةُ قَوْلِ الضّاحك: طيخْ طِيْخْ. ولعلّ (المِطَخَّة)، وهي خَشَبَةٌ يَلْعَبُ بها الصِّبْيان». في المُعْجم التّليد، قد أعطت عامّيّتنا: الطَّخّ بمعنى الضَّرْب لأنّ الصِّبْيان يَتَضارَبُون في اللعب. . و:

رُبّ جِدٍّ جرَّه لَعِبُ. .

وفي (لسان العرب): «طَخَّ الشّيءَ يَطُخُّه طَخًّا: ألقاه من يده فَأَبْعَدَ.

والمِطَخَّة: خَشَبَة يُحَدَّدُ أحدُ طَرَفَيْها ويَلْعَبُ بها الصِّبْيان. . والطَّخُّ كِنايةٌ عن النِّكاح، ورُوِيَ عن يحيى بن يعمر أنّه اشترى جارية. . ضَخْمَةً. . فَسَأَلُوه عنها فقال: نِعْمَ المِطَخَّة.

. . والطَّخوخ: الشَّرسُ في الخُلُق وسُوء العِشْرة والمُعامَلَة؛ طَخَّ طَخًّا: شرس في معاملته.

والطَّخْطَخَة: استواء الشَّيء وتَسْوِيَتُه كنحو السَّحاب يكون فيه جُوَبٌ ثمّ يَتَطَخْطَخُ. أي:

يَنْضَمُّ بعضُه إلى بَعْضٍ. . . وسَحابٌ طَخْطَاخ. أبو عبيد: المُتَطَخْطخ من الغَيْم الأسود. وتَطَخْطَخَ الليل: أظْلَمَ وتَرَاكَم يكون بِغَيْم وبِغَيْرِ غَيْمٍ. . وذلك إذا لم يكن فيه قَمَر.

ويُقال للرّجُل الضّعيف النَّظَر: مُتَطَخْطِخ. .

والطَّخْطَخَةُ حِكَايَةُ بَعْضِ الضّحك، وطَخْطخ الضّاحِك: قال: طيخ طيخ، وهو أَقْبح القَهْقَهَةِ وربّما حكىٰ صَوْت الحلى[1] ونحوه به».

وأُضِيْف من (التّاج. .): «والطَّخْطاخ من الحلى[2] صَوْته. .».

وقبل هذه المَعاجِم التُّراثيّة كان ابن فارس في (مقاييس اللغة) يرى ضَعْفًا في هذا التّركيب ومادّته: فيقول: «الطّاء والخاء ليس له عندي أصْل مُطَّرِد ولا مُنقاس. وقد ذكر عن الخليل: طَخْطَخَ السَّحاب: انْضَمّ بعضُه إلى بَعْضٍ. . .».

وفي رأي أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«ويقولون: طَخَّه بالعصا، وَلَخَّه: إذا ضَرَبَه بها. والفصيح منهما لَخَّهُ باللام.

وربّما كانت: طَخَّهُ من تاخه بمعنى ضَرَبَه بالمِتْيَخَة وهي العصا».

أمّا لدى. د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة) فَطَخّ: كما في (القاموس. .) رَمَىٰ وأبعد). .

طَرَّ والطُّرَّة والطُّغَراء

(أَطُرُّ المشوار الطّويل فَيَضِيْع طَرّي بلا فائدة لِأُفَتّش لك عن طُرَّة للمَسْبحة أو (للطّربوش) أو لطراز الزّنّار أو عن شكل الطُّرّة الذي تريد أنْ أُطرّزه تطريزًا ويَتجَمَّع عليّ الأولاد الذين يبيعون الطُّرر الجاهزة، فَأَطُرُّهم جميعًا لأنّ طُرَرَهُم سُوقيّة أو بازاريّة [والبازار في الفارسيّة: السّوق]) هكذا يتحدّث العامّيّ عندنا عن طول الطّريق الذي طَرَّهُ بَحْثًا عن الطُّرَّة المَنْشُودة وهي شكل مُزَخْرَف تطوّرت زخرفته حتّى بلغت شكل الطّغراء. مع أنّ هذا الشّكل الزُّخْرُفيّ الطُّولانيّ الذي يُسَمّىٰ: الطّرّة والطّغراء لا يخرج عن الأصْل الصّحيح لِمَعنى الطَّرّ المُحَدَّد في اسْتِطالة وامْتِداد كما حَدَّدَهُ ابن فارس في مُعْجَمه (مقاييس اللغة) حين قال في ط ر ر:

(الطّاء والرّاء أصل صحيح يدلُّ على حِدَّةٍ في الشَّيْءِ واستطالَةٍ وامْتِداد؛ من ذلك قولُهم: طَرَّ السِّنانَ: إذا حَدَّدَهُ. وهذا سِنان مَطرُور أيْ: مُحَدَّد، ومن الباب: الرَّجُلُ الطَّرير: ذو الهَيْئة، كأنّه شَيْء قد طُرَّ وَجُلِيَ وَحُدِّدَ. قال: [العبّاس ابن مِرْداس؛ كما في الحَماسة، أو المُتَلَمِّس كما في (اللسان. .)، أو معاوية بن مالك كما في (التّاج. .) عن الصّغاني]:

ويُعْجِبك الطَّرِيْرُ فَتَبْتَليه
فَيُخْلِفُ ظَنَّك الرَّجُل الطَّريرُ

[وقبل هذا البيت:

تَرَىٰ الرَّجلَ النَّحِيل فَتَزْدَرِيه
وفي أثوابه أَسَدٌ هَصُور])

[وأعود فأسْتكمل ما يَهُمّنا من مادّة ابن فارس.]

«ومن الباب: رجل طارٌّ: طَرَّ شارِبُه.

(١) (٢) الحَلى في (لسان العرب) ذاته: «بثر يخرج بأفواه الصّبيان» هكذا ورد: (الحلى): في طبعة: بيروت: دار صادر ودار بيروت سنة ١٩٥٦ الجزء التاسع والخمسون ص ١٩٤، فإذا كان لا يصلح لأن يُحكى صوته فلعلّه في (طخ) في الصفحة ٣٨ من الجزء ١٢ يجب أن يكون (الحلي)؟

والطُّرَّة: كُفَّةُ الثّوب، ويُقال: رَمَىٰ فَأَطَرَّ، إذا أنفذَ.

وَكُلُّ شيء حُسِّنَ فقد طُرَّ؛ حتّى يُقال: طَرَّ حوضَه: إذا طيَّنَهُ.

والطُّرَّةُ من الغيم: الطّريقة المُستطيلة. والخُطَّة السّوداء على ظَهْر الحِمار طُرَّةٌ، وطُرَّةُ النّهر: شَفيرُه. وَطَرَّ النَّهْرُ إذا أنبت.

فَأَمّا الطَّرُّ الذي في معنى الشَّلِّ والطَّرْدِ، فهو من هذا أيضًا؛ لأنّ مَنْ طَرَدَ شيئًا وشَلَّهُ فقد أذْلَقَه حتّى يحتدّ في شدّه وعَدْوه. فأمّا قول الحُطيئة:

غضبتم علينا أن قتلنا بِخالِدٍ
بَني مالِكٍ ها إنَّ ذا غَضب مُطِرّ

فقال أبو زيد: الإطرار: الإغراء. وهذا قريبُ القياسِ من الباب؛ لأنّه إذا أغراه بالشّيء فقد أَذْلَقَه وَأَحَدَّهُ. وقال آخرون: المُطِرُّ: المُدِلُّ.

والأوّل أَحْسَن وَأَقْيَس. ويُقال: الغَضَب المطرّ الذي جاء من أطرار الأرض، أي هو غَضَب لا يُدْرَى من أين جاء؛ وهو صحيح، لأنّ أطرار الأرض أطرافها، وطَرَف كلّ شيء: الحَادّ منه». ا.هـ. ابن فارس.

وكلّ ما ذَكَره ابن فارس أَخَذَه من بَعْده ابنُ منظور ثمّ الفيروزاباديّ ثمّ الزّبيديّ ومنه أزيد: «الطَّرّ: الشَّلُّ.. والسَّوْق الشّديد.. وضَمّ الإبِل من نواحيها كالطَّرْد، ويُقال: طرّ الإبلَ يطرُّها طرًّا إذا مَشَىٰ من أَحَدِ جانبيها ثمّ من الجانب الآخر ليُقوّمها. والطَّرُّ تحديد السّكّين وغيرها كالطّرور.. والطَّرُّ تجديد البُنيان.. وفي (المصباح..) طرّ النّبات يَطِرّ، بالكسر،... والذي يأتي مضارعه بالوَجْهَيْن [يطُرّ ويطِرّ] إنّما هو الطرّ بمعنى السّقوط فقط... والطّرّ: الشَّقّ والقَطْع..

ومن المَجاز: الطُّرَّة: جانب الثّوب الذي لا هدب له؛ كذا في (الصّحاح..). وقِيْل: طُرَّة المَزادَة والثَّوْب: عَلَمُهُما؛ وقيل: طُرّة الثّوب: مَوْضع هُدْبِه؛ وهي حاشيته التي لا هُدْبَ لها، وقال الليث: طُرَّةُ الثّوب شِبْه عَلَمَيْنِ يُحاطانِ بِجانِبَي البُرْد على حاشيته.. والطُّرَّة: طَرَفُ كلّ شيء وحَرْفه.

والطُّرّة: الطّريقة من متنه، وكذلك الطُّرّة من السَّحاب وهي قِطْعة منها تبدأ من الأفق مستطيلة. والطُّرَّة: أنْ تقطع للجارية في مُقَدَّم ناصِيَتِها كالعَلَم أو كالطُّرَّة تحت التّاج وقد تُتَّخذ من رامَك [بفتح الميم وكسرها، وهو ضَرْب من الطّيب أو الصّبغ العَطِر] كالطُّرور. جَمْعُ الكُلِّ طُرَرٌ وطِرار.. وطَرَّرْت مَسْجِدَكَ: طَيَّنْتَهُ وزيّنته....

وممّا يستدرَك عليه: قال الأصمعيّ: أَطَرَّهُ يُطِرّه إطْرارًا إذا طَرَدَهُ وطُرَّ الرَّجُل: إذا طُرِد... وفي حديث عليّ: (.. وقد طُرَّت النّجومُ) أي: أضاءت ومَنْ رَواه بالفَتح أراد: طَلَعت. من طَرَّ النّبات إذا طَلَعَ.. وفي حديث عُمَر بن الخَطّاب حين أُعْطِيَ حُلَّةً سِيَراءَ وفيه (..يَتَّخِذْنَها طُرّاتٍ بَيْنَهُنّ..).. والطُّرَّة من الشَّعر سُمِّيت لأنّها مَقْطوعة من جُمْلَته. والطَّرَّةُ بالفتْح المَرَّة وبالضّمّ اسم الشّيء المقطوع؛ مثل: الغَرْفَة والغُرْفَة ويُقال: رأيت طُرَّة بني فلان: إذا نَظَرت إلى حلّتهم من بعيد وآنَسْت بُيوتهم.

ومن المجاز: طَرَّت الإبِلُ الجبالَ والآكام: قَطَعَتْها سَيرًا. وطُرَرُ الكِتابِ: حواشيه. وَبَدَت مَخايِلُ الأمرِ وطُرَرُه. وعليه خَزّ طارٌّ وفيّ، وهو ضَرْب منه».

والمَثَل: «أَطِرّي (أو طِرّي) فإنّك ناعلة» وَرَدَ في كثير من كُتُب اللغة والأمثال، وفي (اللسان.. والتّاج..) وشَرَحَه البُستانيّ في (محيط المحيط):

أي خُذي طُرَرَ الوادي وأدلّي أو اجمعي الإبِلَ؛ يُريد خُشونة رِجْلها، قاله رَجُلٌ لِراعِيَة له كانت تَرْعَى في السُّهُولة وتَتْرُك الحُزُونة. يُقال لِمَنْ يُؤْمَر بركوبِ الأمْر الشّديدِ لِقُوّتِهِ.

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «. . تُطِرُّ شَعْرَها: تَحُفُّه. وَضَرَبَه فَطَرَّ يَدَه. . وطَرَّت يَدُه. . وجارِيَة لها طُرَّةٌ. . وَطَرَّرَت الجاريةُ: وَغُلامٌ مُطَرَّر؛ قال يَصِفُ مُخَنَّثًا:

عَدِمْتُ كُلَّ ناشِئٍ مُطَرَّرِ
لـه مَذاكِيرُ وَلَمْ يُذَكَّرِ

وفلان يحْمي أَطْرارَ الشّامِ: أَطْرافَها؛ قال الكُمَيْت:

تَخافُ عليّ اجْتِنابِي البِلادَ
وَرَمْيِيْ بِنَفْسِيَ أَطْرارَها

وَبَدَتْ مَخايِلُ الأمرِ وَطُرَرُه».

قلت: فإذا فتّشْنا في هذه العبارات وَجَدْناها مَبْثوثة في لَهَجاتنا الدّارجة فهي ما تزال حَيَّة تَمُدّ بالحَيَوِيّة أساليب ألسنتنا.

وحين نَنْتَقِلُ إلى عامّيّة مصر نَجِدُ الطُّرَّة لدىٰ د. عبدالمُنعم سيّد عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

«نقول: . . ضَرَب فلان فلانًا بالطُّرَّة؛ أي ضَرَبَه بثوب مفتول معروف. الطُّرَّة كلّ ما يُفْتَلُ من ثوب، أو قِنّب أو سَلَب أو نحوها. والأصل فيها دِرَّة. . وفي (القاموس. .): الدِّرَّة: التي يُضْرَب بها. .».

قلت: ولٰكنّ الطُّرَّة التي في الشّام لا يُضْرَب بها فلا علاقة لها بالدِّرَّة التي كان عُمَرُ بنُ الخَطّاب يخفق المُذْنب بها. . .

الطَّرَشُ

طَرَشُ الصَّمَم في عامّيّتنا وَارِدٌ في تَلِيْدِ الفصيح. فهل التَّطْرِيْشُ بالماء مَجازٌ مُرْسَلٌ علاقَتُه السَّبَبِيَّة؟ لأنّ صَبَّ الماءِ بالأُذُنِ يَجُوزُ أنْ يُؤَدِّي إلى الطَّرَش.

يقول د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) بعنوان: «أَطْرَشْ: نَقُول في دارِجَتِنا: فلانٌ طَرَشَ أيْ فَقَدَ سَمْعَهُ. . . وفي (القاموس. .): طَرَشَ ثَقُلَ سَمْعُه أو تَعَطَّلَتْ حاسَّةُ السَّمْعِ، والأَطْرَش: الأَصَمُّ. . . [وبعنوان]: طَرَّشَ: نقولُ في دارِجَتِنا؛ ضَرَب فلانٌ فلانًا حتّى طَرَّشَهُ: أيْ ضَرَبَه حتّى أَضْعَفَهُ وأَنْهَكَ قُواه. والأصل فيها: طَرْشَحَه. . . وفي (القاموس. .) الطَّرْشَحَةُ الاسْتِرْخاء، وضَرَبَهُ حتّى طَرْشَحَهُ».

قلتُ: في (مقاييس اللغة): «ط ر ش: كَلِمَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وهي الطَّرَش، مَعْروفٌ. وقال أبو عمْرو: تطرَّش النّاقةُ من المَرَضِ؛ إذا قامَ وقَعَد». وهذه في (القاموس. .) ولم تَرِدْ في (اللسان. .).

وفي (اللسان. . والقاموس. . والأساس. .):

«الطَّرَشُ: الصَّمَمُ، وقِيْل هو أَهْوَنُ الصَّمَمِ، وقِيْل هو مُوَلَّد، الأُطْرُش والأطروش الأَصَمُّ. . وقد طَرِشَ طَرَشًا، ورِجَال طُرْشٌ».

وأزيد من البُستانيّ في (مُحيط المُحيط): «. . تَطارَشَ الرَّجُلُ: تصامَّ. . . الطَّرْشُ: ما يُبِّضَ به البَيْتُ من الكِلْسِ ونحوِه؛ وهو من كَلامِ العامّة؛ وهم يَبْنُون منه فِعْلًا يقولُون: طَرَشَ البَيْتَ فهو طَرّاش. والطَّرَشُ: أَهْوَنُ الصَّمَمِ أو مُوَلّد. . الأطرش: ذو الطَّرَش والأُنثىٰ: طَرْشَاء. والجَمْع طُرْشٌ».

طَرْطَرَ الطَّرْطور

تقول عوامّنا: فلان طَرْطور يظلّ يُطَرْطِر ويَتَباهىٰ بطَرْطَرَته بَيْن النّاس. .

يقصدون مثلما نَقَلَت المعاجم عن الصّاغانيّ عن

ابن دُريد: الطّرمذة والتّباهي وكثرة الكلام.. والنّاس يسخرون منه ويهزؤون بِقلّة قيمته بينهم.

والقَلَنْسُوة الطّويلة الرّأس التي تُثير الضَّحِك من طُولها فقد أضافُوا إلى اسمها الفَصيح القديم تاء التّأنيث فقالُوا: الطّرطورة، وبعضهم يبدل بالرّاء الأولىٰ نونًا فيقول: الطّنطورَة.

وفي (تاج العروس..) و(لسان العرب..) و(القاموس المُحيط):

«والطُّرْطُور: بالضّمّ: الدَّقِيق الطَّوِيل من الرّجال.

والطُّرْطور: القَلَنْسُوَةُ للأعْرابِ؛ تكون كذلك؛ أي: طويلة الرّأس.

والطُّرْطور أيضًا: الوَغْد الضّعيف من الرّجال، والْجَمْع الطّراطِيْر، وأنشد:

قَدْ عَلِمَتْ يَشْكُرُ مَنْ غُلامُها

إذا الطَّراطِيرُ اقْشَعَرَّ هامُها

...وَطَرْطَرَ الرَّجُلُ: طَرْمَذَ [تَفاخَر بما ليس فيه مُباهيًا في صَلَف]. ونَقَل الصّاغانيّ عن ابن دُريد: الطَّرْطَرَةُ: كلمة عربيّة وإنْ كانت مُبْتَذَلَة عند المُوَلَّدين، يُقال: رَجُلٌ فيه طَرْطَرَةٌ: إذا كانت فيه طَرْمَذَة وَكَثْرَةُ كلام. ورجلُ مُطَرْطِر.

وَطَرْطَرَ بِضَأْنِهِ إذا أشلاها وقال لها: طُرطُر.

ابن الأعرابيّ: يُقال للرّجل: طُرْطُرْ إذا أَمَرْتَه بالمُجاوَرَةِ لِبَيْت الله الحرام والدّوام على ذلك».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ:

«..والطّرْطور عند أهل لبنان من حلي النّساء يُلْبَسُ في الرّأس. وربّما قالُوا: طنْطُور بالنّون، وبعضهم يُسَمِّيه بالطّاسة.

والطَّرطُور: تابِلٌ يُعْمَل من الصّنوبر والثُّوم والحامض».

قلت: وفي الشّام أيضًا يَعْملون هذا التّابل من الطّرطور وقد تَخْتَلِف بعضُ المَوادّ الغذائيّة فيه حسب الرّغبة.

وفي مصر يُقال: «طَرْطور لِضَعِيْف الرّأي الذي لا وزن له بَيْن أهله. وَلِقَلَنْسُوَة معروفة دقيقة الرَّأس كثيرًا ما يَلْبسُها المُهَرِّجون».

وهذا كما ذكر د. عبد المنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

طَرَفَ عيني

(عَيْني مَطْروفَة فقد طَرَفها فلان إذ قرّب الكِتابَ من وَجْهي فالْتَفَتّ فجأة وما انتبهت..) نقول هذا في الشّام، ويُقال في مصر فقد أشار إليه د.عبدالمُنعم سيّد عبدالعال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

في (لسان العرب):

«..وَطَرَف البَصَرُ نَفْسُه يَطْرِف وَطَرَفَه يَطْرِفه وَطَرَّفه كلاهما إذا أصاب طَرْفه، والاسم الطُّرْفَة. وعَيْن طريف: مَطْرُوفة.

التّهذيب وغيره: الطَّرْف: اسم جامع للبصر، لا يُثَنّى ولا يُجْمَع.. قال تعالى: ﴿لا يَرْتَدّ إليهم طَرْفهم﴾ [السّورة ١٤ إبراهيم/ الآية ٤٣].

والطَّرْف إصابتك عَيْنًا بثوب أو غيره. يُقال: طُرِفَت عَيْنُه وأصابَتْها طُرْفة وَطَرَفها الحُزْنُ بالبكاء. وقال الأصمعيّ: طُرِفَت عينُه فهي تُطْرَف طَرْفًا: إذا حُرِّكَت جُفونها بالنَّظَر. ويُقال: هو بمكان لا تراه الطَّوارف، يَعْني العيون.

وَطَرَف بصَرَه يَطْرِفُ طَرْفًا: إذا أَطْبَقَ أحد جَفْنَيْه على الآخر، الواحِدَة من ذلك طَرْفَة. يُقال: أَسْرعُ مِنْ طَرْفَةِ عَيْن.

وجاء من المال بطارِفَةِ عَين كما يُقال. بعائرةِ عَيْن.

الجوهريّ: وقولهم جاء فلان بطارِفَة عَيْن؛ أي: جاء بمالٍ كثير: [قلت: أكما يُقال عندنا: يخزي العين؟.] [أم كما قال ابن فارس في (مقاييس اللغة): أي بشيء تتحيّر له العَيْن من كثرته؟]

..والمَطْرُوفة من النّساء: التي قد طَرَفَها حُبُّ الرِّجال أيْ أصاب طَرْفَها، فهي تَطْمَح وتُشْرف لكلّ من أشرف لها ولا تغضُّ طَرْفَها، كأنّما أَصابَ طَرْفَها طُرْفَةٌ أو عُود، ولذلك سُمّيت مَطْرُوفة؛ الجوهريّ: ورَجُل طَرْف. [وكسر الطّاء قياس] لا يَثْبت على امرأة ولا صاحب؛ وأنشد الأصمعيّ:

ومَطْروفةِ العَيْنَيْنِ خَفّاقةِ الحَشَىٰ

مُنَعَّمَةٍ كالرِّيم طابت فَطُلَّتِ

وقال طَرَفَة يذكر جارية مُغَنّية:

إذا نحن قُلْنا أَسْمِعينا انْبَرَت لنا

على رِسْلِها مَطْروفةً لم تَشَدَّدِ

[وفي الحاشية: قوله (مطروفة) تقدّم إنشاده في مادّة شدد: مطروقة بالقاف تبعًا للأصل]. قال ابن الأعرابيّ: المطروفة: التي أصابتها طُرْفَة، فهي مطروفة فأراد: كأنّ في عَيْنَيْها قَذًى من اسْتِرْخائها. وقال ابن الأعرابيّ: مطروفة مُنْكَسِرة العَيْن كأنّها طُرِفَت عن كلّ شَيْءٍ فَدَمِعَتْ..

وَطَرَفْتُ عَيْنه إذا أصبتها بشيءٍ فَدَمِعت والطَّرْفَة أيضًا نقطة حمراء من الدّم تَحْدُث في العَيْن من ضَرْبَة وغيرها...

...أبو عَمْرو: فلانٌ مطروفُ العَيْن بفلان إذا كان لا يَنْظُرُ إلّا إليه.» وكذلك في (أساس البلاغة) وفي (تاج العروس..) وفيه: «..وَلِعُمَرَ بْنِ أبي ربيعة:

إنَّك والله لَذو مَلَّة

يَصْرِفُك الأَدْنَى عن الأَقْدَم

قُلْتُ لها: بل أنت مُعْتَلَّة

في الوَصْل يا هند لكي تَصْرِمي».

وأَصْل: ط ر ف في (مقاييس اللغة) لابن فارس: «أصلان: فالأوّل يدلّ على حدّ الشَّيء وحَرْفه [كالطَّرَف] والثّاني يدلُّ على حَرَكة في بَعْض الأعضاء [كالطَّرْفِ: تحريك الجفون في النَّظَر]».

طازج

تعيدُ العامّة بعضَ المُعَرَّبات إلى لفظها الأصْلي باللغة المَنْقُول منها مثل قولهم: خُبْزٌ تَازَة وأَكْلٌ تازة. وكذلك كان أيّام تأليف البُسْتانيّ (محيطُ المُحيط) سنة ١٨٧٠م.

أمّا في مِصْر فيُسَجِّل د. عبد المُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): طازَه. بالطّاء.

وفي (المُعْجَم الوَسِيْط) لِمَجْمَع القاهرة: «الطّازج: الْجَديد الحديث (مع) تازة».

وفي (القاموس المحيط) وشرحِهِ في (تاج العروس..):

«(الطّازَج: الطّرِيّ؛ مُعَرَّب تازة) قال ابن الأثير: في حديث الشَّعْبِيّ قال لأبي الزّناد: (تأتينا بهذه الأحاديث قَسِيَّةً وتأخُذُها منّا طازَجَة)؛ القِسِيّة: الرَّدِيْئة. (والطّازجة من الحديث الصّحيح الجيّد النّقيّ) الخالص».

أمّا ابن منظور في (اللسان..) فأهمله.

إحالة: الطَّزَر: مع (الصُّفَّة والمطرح والطّزر والدّيوان) في ص ف ف.

طَسَّ والطِّسْت والطِّشْت

(جاءت الضَّرْبة كالطَّسّ على الرّاس، فقال: طاسّك العمىٰ؟ أمَا تَطُسّ أمامَك وأنت تحمل الطُّشُوت والصُّحون وتَرْميها بدون تَمْييز مثل المَجْنون؟!). تسمع من العامّيّ عندنا هذا، ثمّ تَقْرَأ: . . .

في: (قاموس العَوَامّ) لحليم دموس سنة ١٩٢٣: «طَسَّ: فاسد [أي: عامّيّ]. والصَّحيح لَطَمَ وصَفَعَ وضَرَبَ». قُلْت: لٰكنّ الفِعْل طَسّ موجود في التُّراث اللُّغَوِيّ ونجد ممّا في (لسان العرب) و(القاموس المُحيط) و(تاج العروس): كما وَرَدَ في (المُعجم الوسيط) في عصرنا: «طَسَّ في الأرض وإليها يَطُسُّ طَسًّا: أَبْعَدَ في السَّيْر، وفُلانًا: طَعَنَه. وَطَسَّه: خاصَمَه وأَفْحمَه. وطَسَّ الشّيءَ في الماء: غَطَّسَهُ؛ وطَسَّهُ: تَناوَلَه بأطراف أصابِعه.

طَسَّسَ: ذهب في الأرض.

الطّاسَّة: الطَّعْنة الواصلة إلى الْجَوْف.

[الطَّسّ: الطَّسْت كالطِّسَّة والطَّسَّة (ج) طُسوس وصانِعُه الطَّسَّاس وحِرْفَتُه الطسّاسة].

الطَّسَّان: مُعْتَرَك الحروب. والعَجَاج حين يثور.

الطَّسَّةُ: المَرَّة من طَسَّ. و-: الطَّسْت بالفتح وطِسَّة بالكَسْر في لُغة أبي عَمْرو. و-: الظُّفُر (ج) طِساس وأطساس. وفي (التّاج. .) ولا يُمْنَعُ جَمْعُه على طُسُوسٍ وهي قياسه.

الطَّشْت: الطَّسْت. مُعَرَّب: تَشْت: (ج) طُشُوت».

قلت: [وذكر المعجم المدرسيّ الطّست بالسّين ولم ترِد فيه الطّشت بالشّين].

أمّا أحمد رضا العامليّ فيرى في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) أنّهم: «قالُوا طَسَّهُ إذا ضَرَبَه بِكَفَّيْه، وهي مأخوذة من: صَتَّه (على القلب) وفي (القاموس. .) الصّتّ: الضَّرْب باليد. أو تكون مأخوذة من طَثَّه بمعنى: ضَرَبَه بباطن كَفِّه أو بِرِجْله حتّى يُزِيْحَه عن مَوْضِعِه. . .

وطَسَّ بِبَصَره، ويقول العامّة: فُلانٌ يَطُسّ بِبَصَرِه إذا كان ضعيف البَصَر فلا يُبْصِر إلّا قليلًا. وهو من الطُّشاش، وفَسَّرُوه بِضعْف البَصَر، ومنه المَثَل العَرَبِيّ: (الطُّشاش ولا العمىٰ)».

قُلْت: وفي العامّيّة المصريّة من الطّسّ معنى التَّغْطيس في الماء؛ كما ذكر د. عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة):

«نقول في دارجتنا: طَسَّ فلان وجهه بالماء: غَمَره به، وطسّه في الماء: غَطَّسَه. وفي (القاموس. .): طَسَّه في الماء: غطّسه».

أمّا في ط ث ث: فيقول د. عبد العال:

«نقول في دارجتنا: طَثَّ القطار فلانًا: صَدَمه وَسَلَبَه الحياة. وفي (القاموس. .) طَثَّ الشّيءَ: رماه من يده قَذْفًا كالكُرَة، وضَرَبَه، ودَفعَه حتّى يُزيلَهُ من مَوْضِعِه».

أمّا الطِّشْت بمعنى الطَّبَق أو الإناء فهو في عامّيّة مصر والشّام وأغلب العامّيّات الأخرى وهو مُعَرَّب قديم عن: تَشْت، كما سلف. . .

طَشّ

نقولُ في عامِّيّتِنا: (أخبرتُه أنّ الامتحانَ قريبٌ؛ فما انْطَشّ وقالَ: لا أحدَ مطشوشٌ لاقْترابِهِ) أيْ: فما اهتمَّ ولا أحد مهتمٌّ. . .

هذا المعنى العامّيُّ بعيدٌ عن فصيحِ اللّفظِ ذاتِهِ كما سنرى أمّا المعنى العامّيُّ القريبُ من الفصيح فقولُهم (أَطِشُّ من السّمنِ المَحْمِيِّ فوقَ طَبَقِ الطّعامِ

طَشَّةً أو طَشَّتين كلّما رغبتُم في الزّيادةِ من هذا الطّشِّ)، وكذلكَ يُقالُ في مصرَ، فقد كَتَبَ د. عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقولُ في دارِجَتِنا: طَشَّ البَيْضَ في السَّمْنِ: ألقاه فيه فسُمِع له صوتٌ..».

وفي (لسان العرب): ط ش ش: «..وقيل أوَّلُ المَطَرِ الرَّشُّ ثمّ الطَّشُّ ومَطَرٌ طَشٌّ وطَشيشٌ: قليلٌ؛ وقالَ رُؤْبَةُ:

ولا جَدا نَيْلِكَ[1] بالطَّشيش

أيْ: بالنَّيْلِ القليلِ...

والطَّشُّ والطَّشيشُ: المطرُ الضّعيفُ، وهو فوقَ الرَّذاذِ.

وأرضٌ مَطْشُوشَةٌ ومَطْلُولَةٌ.

وفي الحديث: (الحَزاةُ يَشْرَبُها أكايسُ النّاسِ للطُّشَّة)؛ قال: هو داءٌ يُصِيْبُ النّاسَ كالزُّكامِ، سمّيت طُشّة لأنّه إذا اسْتَنْثَر صاحبُها طَشَّ كما يَطِشُّ المَطَرُ وهو الضّعيفُ القليلُ منه.. وفي حديثِ بعضِهم في الحَزاةِ يشربُها أكايِسُ الصِّبْيان للطُّشَّة:

[وفي (النّهاية..) لابنِ الأثيرِ الذي يأخذُ عنه (اللسان..) و(التّاج..) الأحاديثَ النّبويَّة؛ أنّ الحَزاةَ نبتٌ بالباديةِ يُشْبِهُ الكرفسَ إلّا أنّه أعرضُ وَرَقًا منه..].

التّهذيب: الطُّشاشُ داءٌ من الأدواءِ، يُقالُ: طُشَّ فهو مطشوشٌ، كأنّهُ زُكِمَ، قال: والمعروفُ فيهِ طَشِئَ.».

وكلُّ ما سَبَقَ عن (اللسان..) يَذْكُرُه الزّبيديّ في (تاج العروس من جواهر القاموس) ومنه[2] أُضِيْفُ أيضًا عن الفيروزاباديّ:

«طَشَّتِ السَّماءُ تَطُشُّ بالضّم (وَتَطِشّ) بالكَسْرِ وهذه عن إبراهيم الحربيّ (وَأَطَشَّتْ) كَرَشَّتْ وَأَرَشَّتْ وأرضٌ.

مطشوشةٌ...

(والطُّشاش.. كالطُّشَّة داءٌ كالزُّكام)». ا.هـ. الزّبيديّ.

قُلْت: من ذلك يقول العامّيّ: (قلبي طَشّانٌ من الحرارةِ والعَطَشِ).

طَعَجَ يَطْعَجُ

لم أَكُن أهتمُّ بالطَّعْج إذ لم أَجِدْه في كُتُب اللغة المُتَداوَلة، حتّى احتَجْت إلى عبارةٍ فصيحة تُؤَدّي، في لَفْظ واحد، أداء دَقيقًا هذا المعنى الذي يَصِفُ به الأطفالُ إفساد اسْتِواء أَلعابِهم المَعْدنِيّة وَأَشْباهِها، إذ يَسْمَعونها من عامَّة النّاس عندنا كلّما أُصيبت الصّفائح المعدنيّة والمصنوعات منها ومن غيرها.. بِطَرْقٍ أو ضَغْط يؤدّي إلى لَيِّها وتَحْريك صَفْحتها وثَنْيها بثَنْيات تُغيِّر اسْتِواءها السّابق للطَّعْج، أو تُفْسدها أو تُحرّف وَجْهَها الصّقيل فتجعل فيه زوايا أو مُضْطَرَبات وتغيُّرات لعلّ فيها مَفْسَدَةً لها أو لِبَعْضها....

فنقول إنّ الطَّعّاج قد طَعَجَها فَانْطَعَجَت فهي مَطْعوجَة.. ونَصِف بالطّعْج إفساد الاستواء في الصَّقِيل والمُسْتَوي.. حتّى إنّنا قد نصف به

(١) في الصّحاح قول رؤبة:

ولا جَداوَ نَيْلِكَ بالطَّشيش

(٢) انظرْ في ص ٣١٩ من المُجَلَّد ٤ من (تاج العروس من جواهر القاموس) تأليف محمّد مُرْتضى الزَّبيديّ. طبعة دار صادر ودار بيروت: لبنان سنة ١٣٨٦هـ. سنة ١٩٦٦م. والنّاشر دار ليبيا للنّشر والتّوزيع: لبنان، طبعة مُصَوَّرة عن الطّبعة الأولى بالمطبعة الخيريّة بالقاهرة سنة ١٣٠٦هـ.

مجازيًّا مَن نُفْسد عليه اسْتِواء أحوال سُلُوكه في كلامه وعَمَله حين نقول له: (حين قُلْنا كذا.. أو عَمِلْنا كذا.. فقد طَعَجْناك يا عزيزي). فيُجيب: (ما تأثّرت ولا انْطَعَجْت).

ثمّ وَجَدْت لابن منظور في (لسان العرب): «طَعَجَها: نَكَحَها» ولأنّ ابن منظور يَذْكر في مُقدِّمته أنّه لم يَأْتِ بِشَيْء من عنده ولكنْ جَمَع من مَصادره الخَمْسَة؛ (الجَمْهَرَة.. لابن دريد، والصِّحاح.. للْجَوْهريّ، وحاشية ابن برّيّ على الجوهريّ، والمُحْكَم.. لابن سِيْده، وتهذيب اللغة للأزهريّ، والنّهاية.. لابن الأثير) لذا فقد توجّهت إلى مصادره هذه أفتّش فيها..

فأَجِد ابن دُرَيْد مُؤَلّف (الجَمْهَرَة..)[1] يُعطي منها أكثر ممّا في (اللسان..) ففي (الْجَمْهرة..): «طَعَجَ: دَفَعَ. والطَّعْج: الدَّفْع؛ وأكثر ما يكون في المُباضَعَة..».

وكلّ ما في (اللسان..): «ط ع ج: طَعَجَها يَطْعَجُها طَعْجًا: نَكَحَها.» ولا يُضيف الزَّبيديّ في (التّاج..) إلّا: «طَعَجَها: نَكَحَها في (اللسان)..» ثمّ تتغيّب هذه العبارة عن كلّ مُعْجمٍ آخرَ رأيتُه... ويبقى لَفْظُها حيًّا على ألسنة العَوَامّ فلا يُكْتَب...

قُلْتُ: وإذا كانَ عبدُ الملك الثّعالبيّ المُتوفَّى سنة ٣٢٩هـ١٠٣٨م يَذْكر في (فِقْه اللغة وسِرّ العربيّة) في فَصْل فيما يَخْتَصّ به الإنسان من ضُروب النّكاح: «لعلّ أسماء النّكاح تَبْلغ مئة كلمة، عن ثِقات الأئمّة، بَعْضُها أَصْليّ وبعضُها مَكْنيّ». ولم يَذْكر الطَّعْجَ في ضُروبه ومَكْنيّاته، كما لم يَذْكُرْ مئاتٍ من أسمائه المَذْكُورة في (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..) وغيرها من أُمّاتِ اللّغة...

فما أكثرَ العباراتِ المُرادِفة للنّكاح وما إلى ذلك.. وما أكثرَ ما حاول الجَمّاعُون الإحاطة بها كلّها في كتاب فَعَنَّاهُم الأَمْر وَأَعْياهُم الوُصول إلى تَمام الْجَمْع والْحَصْر والإحاطة..

وليست جَميعُ المُتَرادِفات في اللغة مُتَرادِفات في الأصْل دائمًا.. دوامًا لازمًا.. فلعلّ كثيرًا منها كانت مُتَطوّرةً ومُتَحَدِّرَةً من صفات ومُواصفات لتفاصيلَ مُتخالِفات، ثمّ انْتَقَلت بالاستعمال المَجازيّ - مثلًا - إلى التّعبير بالصِّفة وحَذْف الموصوف اختصارًا.. ثمّ شاع اسْتِعْمالها بَدلًا من الموصوف حتّى نُسِيَ الوَصْف وأُهْمِلَ بكثرة الاسْتعمال والاخْتِصار، ثمّ تحوّلت العبارات من أسماء وأفعال مختلفة إلى أن تُعَبِّرَ كلُّها عن الأمر الواحد بنفسه، فَعُدَّت مُتَرادِفات..

أو كانت كِنايات واسْتعارات وصورًا بيانيّة وفنيّة مُنَوّعة..

وهذا التّجوُّل والتّطوُّر؛ كان على (المُعْجم الكبير)[2] أي: معجم تتبُّع تاريخ حياة الألفاظ وتطوّرها لُغويًّا أنْ يُسَجّل مَراحِلَه لَوْ كان أَلَّف عُلَماؤنا مِثْل هذا المُعجم الذي كان جَديرًا بأنْ

(١) ابن دُريد: محمّد بن الحسن الأزديّ المتوفّى سنة ٣٢١ هـ - ٩٣٣ م. مُؤلّف: (الجمهرة في اللغة) وهو من أهمّ تعديلات (كتاب العَيْن) للخليل بن أحمد وهو أول معجم. طُبع (الجمهرة..) في حيدرأباد في الهند سنة ١٣٥١ هـ. بثلاثة مجلدات أضاف إليها المستشرق كرنكو مجلدًا رابعًا للفهارس.

(٢) ترك المُسْتشرق الألماني أ. فيشر، المُتَوفَّى سنة ١٩٤٩م جُذاذات مُعْجَمه لِمَجمع القاهرة، وقد اهتمّ به بتطوُّر العربيّة وعلاقتها بالسّاميّات الأُخريات، وبالتطوُّر التّاريخيّ لألفاظها. ومَجْمَع القاهرة يعدّ (المعجم الكبير) الذي أصدر منه ثلاثة أجزاء حتى سنة ١٩٩٣ وما يزال العمل في بداياته...

وكان أحمد بن فارس تلميذ ابن دريد المُتوفَّى سنة ٣٩٥هـ ١٠٠٤م. بدأ تجربة البحث في أصول

يُحافِظ على مراحل التَّغَيُّرِ والتَّطوُّر في الأُصول اللغويّة، ويَرْبط بَيْنها وبَيْن التَّقلات المَجازيّة، في مُخْتلف الأَزْمِنَة والأمكنة في بعض التَّعابير المُتَطَوّرة. .

والخيال الفَنّي البَيانيّ بما يُوَلِّد من المجازات التي لها هذا البُعْدُ البعيد عن دِقّة الدّلالة، يُمْكن أنْ يَبْتَعِد، أحيانًا، بِمُسْتَعْمِلي اللغة عن الدّقّة العِلْميّة، ولاسيّما حين إحْلال الصِّفَة مَحلّ المَوْصوف، مثلاً؛ أي: حين يُحوِّل الأَوصافَ المُتخالِفَة إلى مُترادِفات بِطُول الاستعمال؛ فَيُضَيِّق المَجازُ وكان من شأنِهِ أن يُوَسِّعَ بالتَّخَيُّل الفَنِّيّ والتّصوير البَيانيّ إذ إنّهُ مُعْتَمَدٌ في تَوْليد الدّلالات وتطوّر المَعاني واصطلاح العِبارات الجَديدةِ، فلا يبقى مَعْنَىٰ الدَّرْس مَحْصورًا في فَصْل الحَبّ عن قِشْرِه، وَمَعْنَىٰ الثَّقافَة في تَقْويم اعْوِجاجِ القناةِ من القَصَب. . أو غَيْرِه. . وإنّما تُعْطي الصّوَرُ المجازيَّة مَعانيَ الدِّراسات والتَّدْريس والمَدارس والمُثَقَّفين و. . . الخ. .

ولعلّ من حقّي أنْ أفترض أنّ في (نِكاح الطَّعْج) صفات من التّثنّي والتّلوّي والتّدافُع المُؤدّي إلى إفساد الاسْتِواء وغير ذلك ممّا لعلّه كان معروفًا من قبل أنْ يَرْوِيَه ابنُ دُرَيد في كَلِمَتَيْن. . الدّفع في المُباضَعَة. . ثمّ يَخْتَصِره ابن منظور في كلمة: النِّكاح؛ مُرادفة وحيدة يَنْقُلها عنه الزّبيديّ ثمّ تَحْذِفُها كُتُب اللغة والمَعاجِم بعد ذلك كما كانت أَهْمَلَتْها طائفة منها قَبْل ذلك. . فقد افْتَقَدْتُها من معاجم التُّراث التي أَهْمَلَتها فأُعَدّدها لِمَن يجد من الوسائل ما يهديه إلى سبيل البَحْث أكثر ممّا هُديت فيستكمل البحث أو. . لعلّه يغيِّره. . .

فلم أَجِدِ الطَّعج في كلّ مِن:

- (كتاب خلق الإنسان) عن أبي مُحمّد ثابت بن أبي ثابت: من عُلَماء القَرْن الثّالث الهجريّ ط٢ مُصوَّرة سنة ١٩٨٥م في الكويت.

- و(كتاب التّلخيص في معرفة أسماء الأشياء) للحسن بن عبدالله، أبي هلال العسكريّ المُتَوفّى سنة ٣٩٥هـ. طبعه مجمع اللغة العربيّة بدمشق سنة ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م. في جزأين بتحقيق د. عزّة حسن.

- و(كنز الحُفّاظ في تهذيب الألفاظ) ليعقوب بن السّكّيت المتوفّى سنة ٢٤٤هـ. ٨٥٨م هذّبه الخطيب التّبريزيّ، ثمّ أخرجه حديثًا لويس شيخو نقلًا عن نُسْختي ليون وباريس ط بيروت سنة ١٨٩٨م.

- و(معجم مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس.

- و(أساس البلاغة) للزّمخشريّ.

- و(مختار الصّحاح) للرّازيّ، عن (صحاح. .) الجوهريّ.

- و(المصباح المنير) للفيُّوميّ. .

- و(القاموس المحيط) للفيروزاباديّ.

- و(الكُلّيّات) لأبي البقاء، أيّوب بن موسى الحسينيّ الكَفَويّ المُتوفّى سنة ١٠٩٤هـ ١٦٨٣م طبعته وزارة الثقافة بدمشق في ستّة أجزاء سنة ١٩٨٢ بتحقيق د. عدنان درويش ومحمّد المصريّ.

=دلالات الألفاظ في (مقاييس اللغة) بعد كتاب (الصاحبي في فقه اللغة) ومعجمه (المجمل). وعمل الزمخشري المتوفّى سنة ٥٣٨هـ ١١٤٤م. في (أساس البلاغة) على تمييز المعاني المجازيّة عن غيرها. ولكنّي لاحظت أنّ بعض ما يعدُّه مجازًا كان ابن فارس يراه المعنى الأصلي كما في (خ ب ز) «الخبز: الخَبْط باليدَيْن».

وفي عصرنا أهمل الطَّعْجَ كلٌّ من: حليم دموس في (قاموس العَوَامّ)، والبُستانيّ في (محيط المحيط)، ولويس معلوف في (المُنجد)، وأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح)، والأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) ود. عبدالمنعم سيّد عبدالعال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة)، وأحمد أبو سعد في (قاموس المُصطلحات والتّعابير الشّعبيّة) ومحمّد خير أبو حرب في (المعجم المدرسيّ: وزارة التّربية بدمشق)، ومَجْمع القاهرة في (المعجم الوسيط). والمُنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم في (المُعجم العربيّ الأساسيّ).

طَعِمَ واسْتَطْعَمَ وما لَهُ طَعْم

يقول العامّيّ عندنا ساخرًا: (اسْتَطْعَم بَكْرِي.. وانْشَرَح صدْري.. فاسْتَطْعِم وافْهَمْ واتْرُك الإلْحاح في هذا الكلام الذي ما لَهُ طَعْمَة.. وإلّا صِرْت ما لَكْ طَعْمَة مثل كلامك..

...وهذه طُعْمَة من الله.. وهذه النّصْبة [الشُّجَيْرة المغروسة حديثًا] قد بدأت تُطْعِم بعد التَّطْعيم... وهذه المهنة مُطْعِمَة تُطعِم الشَّهْدَ وسَكَّتُه فأطعمته.. [قذى] (أي: خَرا).

واللبن مُطَعِّم لأنّه في وعاء يَحُلّ عليه طَعْمُهُ.. وأَغْناني اللهُ عن طَعامكم).

وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس: «الظّاء والعين والميم أصل مُطّرِد مُنقاس في تذوّق الشّيء. يُقال: طَعِمْت الشّيءَ طَعْمًا. و... ثمّ يُحْمَل على باب الطّعام استعارةً ما ليس من باب التّذوُّق فيُقال: اسْتَطْعَمَني فلان الحديثَ، إذا أرادك على أن تُحَدّثَه. وفي الحديث: (إذا استَطْعَمَكم الإمامُ فأطعموه) [وفي (القاموس..) هذا قول عليّ كرّم الله تعالى وجهه]. يقول: إذا أُرْتِجَ عليه واسْتَفْتَح فافتحُوا عليه. والإطعام يَقَع في كلّ ما يُطْعَم، حتّى الماء. قال الله تعالى: ﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بِنَهرٍ فَمَن شَرِبَ منه فليس مني ومن لم يَطْعَمْهُ فإنّه مني﴾ السّورة ٢ البقرة/ الآية ٢٤٩. وقال عليه السّلام في زَمْزَم: (إنّها طَعامُ طُعْم، وشِفاء سُقْم).

وعيب خالد بن عبد الله القسريّ بقوله: (أطعموني ماءً) وقال بعضهم في عَيْبه بذلك شعرًا [انظر: الحيوان (٢: ٢٦٧-٢٦٨/ ٤: ٣٢٣/ ٦ ٣٩٠): عن حاشية المحقّق]. وذلك عندنا ليس بعيب؛ لما ذكرناه... والطُّعْمَة: المَأْكُلَة. وجَعَلْتُ هذه الضّيعةَ لفلانٍ طُعْمة. فأمّا قول ذي الرُّمَّة [وفي (أساس البلاغة): قال علقمة]:

وفي الشِّمال من الشِّرْيان مُطْعِمَة
كَبْداءُ في عَجْسها عَطْفٌ وَتَقْوِيْمُ

فإنّه يُرْوَى بفتح العَيْن: (مُطْعَمَة): أنّها قَوْس مَرْزوقة. ويُروى: (مُطعِمة) فَمَنْ رواها كذا أراد أنّها تُطعِم صاحبَها الصَّيْد...

... ويُقال للنّخلة إذا أدرك ثمرُها: قد أَطْعَمَت.

والتَّطَعُّمُ: التَّذَوُّق؛ يُقال: تَطَعَّمْ تطَعَّمْ. أي: ذُقِ الطَّعامَ تَشْتَهِهِ وَتَأْكُلْه. ويُقال: فلان خبيث الطُّعْمَة إذا كان رديء الكَسْب..»..

وفي (القاموس..): «ولبن مُطَعِّم كَمُحَدِّثٍ: أخذ في السِّقاء طعمًا وطيبًا».

وفي (أساس البلاغة): «وَأَخَذَ بمُطْعَمَتِه - بالفتح - وهي حَلْقُه... ونُهِيَ عن بَيْع الثَّمَرَة حتّى تُطْعِمَ: حتّى تأخذ طُعْمها. وكم بأرضكم من الشّجر المُطعِم: المُثمر. وفلان مُطْعَمُ الخَيْرِ؛ قال الكُميت:

موفَّق لِخِلال الخير مُطْعَمُها
عن الإساءة والفَحْشاء ذو حجبِ

وإنّك لَمُطْعَم مَودَّتي. والنّساء مُطْعَمات مرزوقات من الحُبّ؛ قال الكُمَيْت:

بَلَىٰ إنّ الغوانِيَ مُطْعَمات
مَوَدَّتنا وَإنْ وَخَطَ القَتِيرُ

. . . وأَطْعَمْت الغُصنَ فطعِمَ: وَصَلْت به غصنًا من غير شجرته فقبِلَ الوَصْلَ. وأَطْعَمْتُ عَيْنه قَذًى فطعِمتْه. قال الفرزدق:

بِعَيْنَيْن حَواروَين لم تُطْعَما قذًى
وجعد الذُّرى أطرافه قد تَعَفَّرا

. . وَتَطاعَمَ المُتَلاثِمانِ إذا أُدخِل الفَمُ في الفم كما تفعل الحمامتان؛ وأنشد الجاحظ:

كما تطاعَمَ في خضراءَ ناعِمَةٍ
مُطَوَّقانِ أَصاخا بَعْدَ تَغْريد

وما فلان بذي طَعْمٍ، ولا طَعْمَ له إذا لم يكن مَقْبولًا. وأنا طاعم عن طعامكم: مُسْتَغْنٍ عنه».

وقبل هذه المعاجم سجّل المُفَضّل بن سَلَمَة بن عاصم في كتابه (الفاخر: فيما تقوله العامّة وهو فصيح) قولهم: «لَيْسَ لما تَفْعَلُ طَعْم». والمُفضّل من رجالات القرن الثّالث الهجريّ كما ذكر في غير هذا الموضع.

الطَّفَرُ والتَّفَرُ

(الطَّفَرُ يُعْمي البَصَر).

والطَّفَر بمعنى الفَقْر في عامّيّتنا وفي المَثَل العامّيّ: (مِنَ الطَّفَر كَفَر). يذكّرنا بالحديث الشّريف: (كادَ الفَقْرُ أن يكونَ كُفْرًا).

في (مقاييس اللغة): «الطاء والفاء والرّاء كلمة صحيحة، يقال: طفر: وَثَبَ».

وفي (القاموس. . والتّاج. .) كما في (لسان العرب): «الطَّفَر: وَثْبَة في ارْتفاع كما يَطْفَرالإنسانُ حائطًا أي يَثِبُه». . .

«. . والطَّفْرَة من اللّبن: كالطَّثْرة، وهو أن تَكْثُف أعلاه ويَرِقَّ أسفلُهُ، وقد طَفَرَ» [بمعنى: طَثَر وجه اللَّبَنِ وَخَثَر].

«وَطَيْفُوْرٌ: طُوَيْئِرٌ صغير». [وَعِنْدَنا لَقَبٌ لِأُسْرَة آل طَيْفور].

وفي (محيط المحيط) للبُستانيّ: «. .وَثب في ارْتِفاعٍ. . وقيل: الوُثُوب: من فَوْق إلى أَسْفَل؛ والطُّفور: عَكْسه؛ أي: من أسفل إلى فوق».

قلت: فهل يَثِبُ الفَقِير هارِبًا من الفقر فيُقال: طَفْران؟ كمثل: جَوْعان وهَفْتان. . أو كأنّ رِقَّةَ أَسْفَلِ اللَّبَنِ الذي طَفَرَ وشُبِّهَت به حالُ الفَقِير الطَّفْران الذي رقّت حالُه. . ولٰكنّ الوَجْه الوجيه لإبدال الطّاء تاء ودالًا وذالًا لدىٰ أحمد رضا في (رَدّ العامّيّ إلى الفصيح) في قوله: «والتَّفْران: الرّجُل الوَسِخُ. . . و. . أمّا المعنى فَيَتَناسَب من الأغلبيّة واللزوم بيْن الوَسِخ والفقير المُعْدَم. وأصل المادّة بالدّال المُهْمَلَة والمُعْجَمَة تُعْطي معنى الرّائحة، وهي بِالمُهْمَلَة تَغْلِب علىٰ النَّتِنَة فَلْيُتَأَمّل».

قلت: ففصيحها في رأي رضا: التَّفْران والدَّفْران والذَّفران. .

ولٰكنّ التَّفْرَة والتُّفْرَة والتُّفَرَة والتِّفِرَة: في (القاموس. . واللسان. . والتّاج. .) تَأْتي بمعنى النُّقْرَة في وَسَط الشَّفَة العُلْيا. وهذا أَصْل المعنى في: ت ف ر في (مقاييس اللغة) لابن فارس ممّا يُفَسَّر بأنّ التَّفْران: الرَّجُل الوَسِخ مِن مَنْظَرِ ما حَوْلَ فَمِه أو قَرِيبًا منه. . فلا عَلاقَة حَتْمِيَّةً مُوَكَّدَة لهذا المَجاز بالفَقْر. . .

ففي الدَّفْر: وجدت معنى الدَّفْع في الصّدر؛

والفقير مَدفوع دَفْرانُ بمعنى مَدْفور – أقرب إلى تحمّل التّخيُّلات التي نَتَخيَّلُها في فَرَضِيّات التّطوُّر اللّغويّ.. وإنْ كانت الكِنايَةُ عن الدُّنيا بِأُمّ دَفْرٍ تُوحي بِتَخيُّلات أُخْرى لأنّ الدُّنْيا مُتَّهَمَة بالإقْفار! وأمّ دَفْر: الدّاهية أيضًا...

وذَفِرَ الشّيءُ يَذْفَرُ ذَفَرًا؛ ظَهَرَت رائحته واشْتدّت طيّبةً كانتْ أم خَبيثَةً فهو ذَفِرٌ وَأَذْفَرُ والذَّفَرَة شدّة ذكاء الرّائحة.. وهكذا تجدنا باعَدْنا عنِ المقصودِ من (الطَّفْران)..

الطَّفَس

كلّ من الطَّفَس والطَّفَش في عامّيّة الشّام ومصر بمعنى يباعد ثمّ يقارب من معناهما القديم في المُعْجَم التّليد. أمّا لَفْظُهما فَمُتطابِق مع الفصيح. ولم أجد في كُتُب فِصاح العامّيّة شيئًا عن الطَّفَس بالسّين.

فأرجع إلى المُعْجَم التُّراثيّ:

ففي (لسان العرب) كما في (تاج العروس:):

«الطَّفَس: قَذَر الإنسان إذا لم يَتَعَهَّد نفسَه بالتَّنْظيف. وزاد الزّمخشريّ: وَثَوْبَهُ.

رَجُل نَجِس طَفِس: قَذِر. والأنثى طَفِسَة.

والطَّفَس – بالتَّحريك–: الوَسَخ والدَّرَن، وقد طَفِسَ الثَّوبُ – بالكَسْر – طَفَسًا وطَفاسَةً.

وطَفَسَ الرَّجُلُ: مات [وفي التّاج: من حَدّ: ضرب، كَفَطِسَ فطوسًا، يُقال ذلك في الإنسان وغيره]، ويَروي بيت الكُمَيْت:

وذا رمَقٍ منها يقضّي وطافِسا

يَصِف الكِلاب. الْجَوهريّ: طَفَس البِرْزَوْن يَطْفَسُ طُفوسًا؛ أي: مات».

وفي (القاموس.. والتّاج..): «طَفَسَ الجارية: جامَعَها يَطْفِسُها – بالكَسْر – عن كراع نقله ابن سِيْدَه يُقال: ما زال فلان في طَفْس ورَفْس أي أكْل ونِكاح. والسّين فيه لُغة». [وفي حاشية التّاج عن الأساس في الشّين المُعْجَمة: ما زال فلان في طَفْش وَرَفْش: في نِكاحٍ وأَكْل]. وهذا نصّ (أساس البلاغة) فانْظُرْ في: ط ف ش...

طَفَشَ

في عامِّيّتِنا (طَفَشَ فلانٌ من هذا المكانِ) ترك المكانَ لأنَّه لم يَصْبِرْ على الإيذاءِ أو المُكارَهَةِ أو بعضِ المُزْعِجاتِ فيه...

ويقولُ أحمد رضا العامليّ في: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «ويقولون: طَفَشَ فلانٌ إذا خرجَ هائمًا على وجهِهِ.. وقد كانَ هذا المعنى معروفًا عندَ العامّةِ قديمًا إذْ قد جاءَ في مُسْتَدْرَك التّاجِ قولُه: وممّا يُسْتَدْرَكُ عليه ما هو مشهورٌ على ألسنةِ العامّةِ طَفَش طَفشًا إذا خرجَ هائمًا على وجههِ فانظره. أقول [رضا] ويمكنُ أنْ يكونَ هذا من الطَّبْج وهو اسْتحكامُ الحَماقَةِ.. طَبَجَ يَطْبَجُ فهو أطْبَجُ هكذا ذكرَهُ الهَرَويُّ بالْجيمِ ورَواه غيرُه بالخاءِ.. أقول.. والطَّبْج والطَّوْش والطَّيْش كلُّها تدلُّ على خِفَّةِ العَقْلِ فلْيَكُنْ في زُمْرتِها طَبَشَ الهائمُ. والمُرَجَّحُ أنَّ أصلَ مادّةِ الطَّفْشِ.. دخيلةٌ» ا.هـ. رضا.

قُلْتُ: والطَّفْشُ مذكورٌ في (لسان العرب) ولٰكنْ بمعانٍ تختلفُ، ففيهِ: الطَّفْشُ: النِّكاحُ؛ قال أبو زُرْعَةَ التَّميميّ:

قال لها وأولَعَتْ بالنَّمْشِ

هل لكِ يا خليلتي في الطَّفْشِ؟

النَّمْشُ هناك: الكلامُ المُزَخْرَفُ، قال ابن سِيْدَه: وأرى السِّيْنَ لغةً؛ عن كراعٍ:

والطَّفَاشاءُ: المهزولة من الغَنَمِ وغيرِها [وفي

(التّهذيب..): والطَّفاشاةُ المهزولةُ من الغَنَمِ وغيرها.] ورَجُلٌ طفَنْشَأٌ: ضعيفُ البدنِ فيمنْ جعلَ النّونَ والهمزةَ زائدتَيْن. وكذلك في (القاموس..) و(التّاج..) الذي يزيدُ كذلكَ: «الطّفشُ: القذرُ كالتّطفّش.. وممّا يُسْتدرَكُ عليهِ ما هوَ المشهورُ على ألسنةِ العامّةِ: طَفَشَ طَفْشًا: إذا خرجَ هائمًا على وجهِهِ فانظرهُ».

قلْتُ: أرىٰ أن الطَّفاشاءَ والطّفاشاةَ من الغَنَمِ المَهْزُولةِ، والطّفش الهُزالُ والقَذَر ممّا يَصِحُّ أنْ تَتَطَوَّرَ عنها عبارةُ الطّفشِ بمعنى الهُزال وسوءِ العنايةِ الذي يُفضي إلى الهَرَبِ والتَّشَرُّدِ عن المكانِ سبَّبَ هذا الهُزالَ وهذا القَذَرَ.. فكُرْهُ الطّافش لِمَكانِ الهُزال والقَذَر يجعله يهجرُه ويطفش.

وفي ص ١٥٣ من (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) لأرسلان: «طَفَشَ الشّيءَ: قَذِرَه، ونَفَرَ منه، فالعامّةُ يستعملونَ (طَفَشَ) عندَنا بمعنى: خَرَجَ نافرًا أو مُستاءً»، وهو المعنى نفسُه ويقولُ في الحاشيةِ محمّد خليل الباشا: «عامّيٌّ قديمٌ وردَ في مُسْتَدْرَكِ التّاجِ وثناه دوزي عن بقطر، وذكرَ (محيطُ المحيط) أنّهُ منَ كلامِ العامَّةِ».

فأقول: ولٰكنّ شفيق جبري في مقالة من سلسلة (بَقايا الفِصاح) في (مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق) يرى أنّ[1]: «من التَّصَرُّف في المَعاني التي تطلقها العامّة على بعض الألفاظ الفصيحة فتحوّل المعنى العامّيّ دون أن يكون صِلَة بين المعنيين قولها: فلان طَفَش، وهي تريد بذلك أنّه ذهب على وجهه إمّا أن يكون مُنْقَبِض الصَّدْرِ وإمّا أن يكون قد أخفق في بعض الأمور أو إذا أَزْعَجَهُ شيء فلا تَسَعُه الأَرْضُ فيطفش... فما الذي يربط بين المعنيين؛ المعنى الفصيح والمعنى العامِّيّ؟».

وينتقل جبري إلى لفظ آخر تاركًا سؤاله بلا جواب..

طَفَّ وطَفْطَفَ

كيف تطوَّر معنى الفِعْل طَفَّ الْجُرنُ والْحَوْض والكَيْل بالماء أو السّائل، إلى الدّلالة على أنّه امتلأ وزاد ماؤه عن وسعه فَطَفَح وانْسَكب أو كاد يَنْسَكِب منه؟ منذ عصر الرّواية اللغويّة الفصيحة؟ ولٰكنْ عندنا لماذا قالوا للقادِم الذي يتغامَزُون عليه هازِلين: أهلًا وسهلًا وطَفَّ الجُرْنُ؟

ولم أَجِدْه مَذْكورًا لَدىٰ المَعْنيّين بِفِصاح العامّيّة، ولٰكنّي لم أَجِدْ الكُتّاب والفُصَحاء المُعاصِرين مَنْ يَسْتَعْمِل الفِعْل طَفَّ فكأنّهم يظنّونه عامّيًّا مع أنّه يَشْغَل من مَعاجِم التُّراث حَيِّزًا واسعًا.

من حُسْن حظّ الفِعْل: طَفَّ؛ أنّه لُوحظ تَطَوُّر معناه في المَعاجِم التُّراثيّة لأنّ تَطَوُّرَه ليس حديثًا وليس عن العَوَامّ فقط...

ففي (لسان العرب):

«طَفَّ الشَّيْءُ يَطِفُّ طَفًّا وَأَطَفَّ واسْتَطَفَّ: دنا وتهيَّأَ وَأَمْكَنَ، وقيل: أَشْرَفَ وبَدا لِيُؤْخَذ، والمَعْنَيان مُتَجَاوِران، تقول العرب: خُذْ ما طفّ لك وَأَطَفَّ واسْتَطفّ، أيْ: ما أَشْرف لك، وقِيْل: ما ارْتَفَع لك وأَمْكَن، وقيل: ما دَنا وَقَرُبَ... والطَّفُّ ما أشرف مِنْ أَرْضِ العَرَب على رِيْف العراق مُشْتَق من ذلك وَطَفُّ الفُرات شَطُّه... وقيل: الطَفُّ: ساحل البحر وفِناء الدّار.. وجانب البَرّ..

(١) شفيق جبري: في ص ٧٣٣ من الجزء الرابع في المجلّد الرابع والخمسين من (مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق: مجلة المجمع العلمي العربي سابقًا) المقال الأول في الجزء الصادر في ذي القعدة سنة ١٣٩٩هـ وتشرين الأول (أوكتوبر) سنة ١٩٧٩م.

وَأَطَفَّ له بِحَجَر: رَفَعَه لرَمْيِه. وطَفَّ له بِحَجَر: أهوى إليه ليَرْميه.

الْجَوْهريّ: الطُّفاف والطُّفافة، بالضمّ ما فَوْقَ المِكْيال. وَطَفُّ المَكّوكِ وَطَفَفُه وَطِفافه مثل جَمام المَكّوكِ وجِمامِه، بالفَتْح والكَسْر: ما مَلأَ أَصْبارَهُ، وفي المحكم: ما بَقِي فيه بعدَ المَسْح على رأسه في باب فَعالٍ وفِعال، وقيل هو مِلؤه، وكذلك كلّ إناء، وقيل: طُفافُ الإناء: أعلاه.. والتّطفيف: أنْ يُؤْخذ أعلاه ولا يُتَمَّ كَيْلُه، فهو طَفَّان.

وفي حديث حُذيفة: (أنّه اسْتَسْقىٰ دِهْقانًا فأتاه بِقَدَحٍ فِضّة فَحَذَفَه به فَنَكَّسَ الدِّهْقان وطفَّفه القَدَحُ) أيْ: علا رأسَه وَتَعَدّاه.

وتقول منه: طَفَّفْتُه، وإناء طَفّان: بلغ المِلءُ طِفافَه، وقِيْل: طَفّان مَلْآن؛ عن ابن الأعرابيّ وَأَطَفَّه وَطَفَّفَهُ: أخذ ما عليه، وقد أَطْفَفْته. ويُقال: هذا طَفّ المِكْيال وطَفافه وطِفافه إذا قارَب مِلأه وَلَمّا يُمْلأ، ولهذا قِيْل للذي يُسيء الكَيْل ولا يُوَفّيه مُطَفِّف يَعْني أنّه إنّما يَبْلُغ به الطَّفاف. والطُّفافَةُ ما قَصُر عن مَلْءِ الإناء من شَراب وغيره. وفي الحديث: (كلُّكم بنو آدم طَفُّ الصّاعِ لم تَمْلَؤوه).. قال ابن الأثير: المعنى كلّكم في الانْتِسَاب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النَّقْص والتّقاصر عن غاية التَّمَام... والطَّفاف والطِّفاف: سَواد الليل.

يُقال: طَفَّفْتُ بفلان مَوْضِع كذا أيْ: دَفَعْته إليه وحاذَيْته به، ومنه قيل: إناء طَفّانٌ وهو الذي قَرُبَ أنْ يمتلئَ ويُساوي أعلى المكيالِ ومنه التَّطْفيف في الكَيْل فأمّا قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِيْن﴾ [السّورة ٨٣ المطفّفين/ الآية الأولىٰ] فقيل: التَّطْفيف نَقْص يَخُون به صاحبُه في كَيْل أو وَزْن.. وإنّما أُخِذ من طَفِّ الشَّيءِ وهو جانِبُه.

وسَوْداءَ مِثْلِ التُّرْسِ نازَعْت صُحْبتي
طَفاطِفَها لم نَسْتَطِعْ دونَها صَبْرا

والطَفْطَفَة والطِّفْطِفَة: كلُّ لَحْم أو جِلْد، وقيل هي الخاصرة، وقيل هي ما رقّ من طَرَفِ الكَبِد؛ قال ذو الرُّمَّةِ:

والطّفطاف: النّاعم الرَّطْب من النّبات... أو ورق الغصون.. وقيل أطراف الشَّجر... قال الكُمَيْت يصف رِئالًا:

أَوَيْـنَ إلـى مُـلاطِفَـةٍ خَـضـودٍ
مـآكِـلُـهُـنَّ طَـفْـطـافُ الـزُّبـولِ

يَعْني فِراخ النَّعام وأنّهنّ يَأْوِيْن إلى أُمّ مُلاطِفة تُكَسِّر لهنّ أطراف الزُّبول وهي شجر.».

وفي (تاج العروس..):

«..وقِيْل: طَفُّ الفُراتِ: ما ارْتفع منه من الجانب، وقِيْل هو الشّاطئ.. قال شُبْرمة بن الطُّفَيْل:

كـأنَّ أبـاريـقَ الـمُـدام عـلـيـهِـمُ
إوَزٌّ بِأَعْلَى الطَّفِّ، عُوجُ الحَناجِرِ

..والطِّفْطِفَة، بالفتح ويُكْسَرُ أطراف الْجَنب المُتَّصِلَة بالأضلاع أو كلّ لحم مُضْطَرِب.. قال أبو ذُؤيب:

قِـلـيـلٌ لَـحْـمُـهـا إلّا بَـقـايـا
طَفاطِفِ لَحْمٍ مَنْحُوصٍ مَشِيقِ

أو هي الرَّخْصُ من مراق البَطْن [قُلْتُ: مثل ذلك ما تَصِفُه العَوَامّ بالمُطَفْطِف طَفْطَفَةً].

وطَفَّفَ به الفَرَسُ إذا وثب به، وفي حديث ابن عُمَر - رضي الله عنهما - (لمّا ذكر أنّ النبيّ - ﷺ - سَبَقَ الخيلَ فقال: كُنْتُ فارسًا يَوْمَئِذٍ فَسَبَقْتُ النّاس حتّى طفَّفَ بي الفَرَسُ مَسْجِد بني زُرَيْق) أيْ: وَثَب بي حتّى جَازَه. قال الجحّاف بن حكيم:

إذا ما تَلَقَّتْهُ الجَواثِمُ لم يَحُمْ
وَطَفَّفَها وَثْبًا إذا الجَرْيُ أَعْقَبَا

وممّا يُسْتَدْرَك عليه: اسْتَطَفّ حاجَتُه إذا تَهَيَّأَتْ وَيَسرت. و- السَّنامُ: ارتفع.

وطَفَّفَ على عِياله: قَتَّر. والطَّفيف: الخَسيس الدُّون الحَقير. وطَفّ الحائِطَ طَفًّا: عَلاه. والطُّفافة: الشَّيْء اليَسِير يَبْقىٰ في الإناء. وأتانا عند طِفاف الشَّمْسِ: أي: عند دُنُوِّها للغُروب وهو مَجَاز». وكذلك في (أساس البلاغة) «طَفَّفَتِ الشّمس: دَنَتْ للغُروب...

وإناءٌ طَفّانُ وَقَرْبانُ: قارَبَ أنْ يَمْتَلِئَ وشارَفَهُ وأعطاني طَفافَ المِكْيال وطُفافه وَطَفَفه وَطَفَّهُ: مِقْداره النّاقص عن مَلْئه.. قال جُنْدب بن ضمْرة:

لنا صاعٌ إذا كِلْنا طَفاف
نُطَفِّفُها ونُوفي للوَفيّ».

قلت: في قول الزّمخشريّ: أعطاني طَفاف المِكْيال الخ.. مِقْداره النّاقص عن مَلْئه، يتّضح أنّ بَيْن تطفيف النّقص وتطفيف المَلْءِ طفيف، وليس بَيْنهما تضادٌّ وتناقُض كما قد يبدو من النّظرة الأولى.. ولعلّ ما كتبه أحمد بن فارس في أصل الطّفّ يساعد على توضيح الأمر:

«الطّاء والفاء يدلّ على قِلّة الشَّيْءِ. يُقال: هذا شيء طفيف: ويُقال: إناء طَفّان، أيْ ملآن. والتَّطفيف: نَقْص المِكْيال والمِيْزان. قال بعض أهل العِلْم: إنّما سُمّيَ بذلك لأنّ الذي ينقصه منه يكون طفيفًا...».

تَلَعَ النّهار وَطَلَع وارتفع

حين يُرَقّق بعضنا كلامهم تظاهُرًا بالتّمدُّن والتّحضُّر، يلفظون الطّاء تاء فيقولون: تَلَع النّهار حين يريدون أنْ يقولوا طَلَع.. ولا يخطُر ببالهم أن التّاء تصحّ في هذا الفعل..

في (لسان العرب) لابن منظور:

«تَلَعَ النّهارُ يَتْلَعُ تَلْعًا وَتُلوعًا وَأَتْلَعَ: ارتفع. وتَلَعَتِ الضُّحَىٰ تُلوعًا وأَتْلَعَت: انْبَسَطت. وَتَلَعُ الضُّحَىٰ: وَقْتُ تُلوعها، عن ابن الأعرابيّ؛ وَأَنْشَدَ:

أَأَن غَرَّدَتْ في بَطن وادٍ حَمامةٌ
بَكَيْتَ ولم يَعْذِرْكَ بِالْجَهْلِ عاذِرُ
تَعالَيْنَ في عُبْرِيِّهِ، تَلَعَ الضّحَىٰ
على فَنَنٍ قد نَعّمَتْهُ السَّرائِرُ

[العُبْرِيُّ: ما نَبَتَ من السِّدْرِ على شُطوط الأنهار وَعَظُمَ].

وَتَلَعَ الظَّبْيُ والثَّوْر من كِناسه: أَخْرَجَ رَأْسَه وسما بجِيدِه. وأَتْلَعَ رأسه: أَطْلَعَهُ فنظر، قال ذو الرُّمَّة:

كما أَتْلَعَت من تَحْتِ أَرْطَىٰ صَرِيمةٍ
إلى نَبْأَةِ الصَّوْتِ، الظِّباءُ الكَوانِسُ

[وفي (أساس البلاغة): ... من تحت أَرْطاة نَخْلَةٍ...].

وَتَلَعَ الرَّجُلُ رأسه: أَخْرَجَه من شيء كان فيه.

وهو شِبْهُ: طَلَعَ إلّا أنَّ طلَع أَعَمّ. قال الأزهريّ: أَتْلَعَ رَأْسَهُ إذا أَطْلَعَ وتَلَعَ الرّأسُ نَفْسُه.

والأَتْلَعُ والتَّلِعُ والتَّليع: الطَّويل العُنُق.. والتَّلْعَةُ مَجْرىٰ الماء من أعلى الوادي إلى بُطون الأرض..».

وفي (أساس البلاغة):

«وأَتْلَعَتْ فُلانَةُ فَنَظَرت إذا أَطْلعت رأسها.. وإنّه لَيَتَتالع في مشْيه إذا مَدَّ عُنُقَه ورفَع رأسه».

وفي (مقاييس اللغة):

«ت ل ع: أصل واحد هو الامْتداد والطُّول

صُعُدًا. . والأَتْلع: الطّويل العُنُق. وجِيْدٌ تليع: أي طويل. قال الأعشى:

يوم تُبْدِي لنا قُتَيْلَةُ عن جِيـ. . .

ـد تَـلِـيـعٍ تَـزِيـنُـه الأطـواق

فأمّا قوْلُهُم: هو تَلِعٌ إلى الشّرِّ، فَمُمْكِنٌ أنْ يكونَ من هذا؛ لأنّه يَسْتَشْرِفُ لِلشَّرِّ أبدًا. . .». أي يَتَطَلَّعُ إلى الشَّرِّ.

وفي (محيط المحيط) تلاحظ أنّ معاني مادّة: ت ل ع في أغلبها تدور حول معاني طَلَعَ. .

وليس لَدىٰ د. عبد العال في مصر إلّا (طَلَع) بالطّاء. في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

طَمَرَ

ما زال الفِعْل طَمَر وَأَغْلَب مُشْتقّاته في عامّيّتنا كما تَطوّر مُتباعِدًا عن الأصل منذ القديم الفَصيح. . . . نقول: زادَ عندي مالٌ يَطْمِرني فَوَضَعْته في المَطْمُورة التي حَفَرْت لها مَخْبَأً وطَمَرْتُها. . . .

ويرىٰ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) أنّ: (طَمَرَه بكذا أو كَمَره بمعنًى واحد وهو إذا غطّاهُ به، وطَمَرَه في التّراب إذا دَفَنَه فيه. والأصل فيها غَمَرَهُ (بالغَيْن المُعْجَمَة) وجاء في اللغة: طَمَرَه إذا خَبّأه تحت الأرض. . فاسْتعمال العامّة صحيح فصيح).

قلت أصل المعنىٰ كان بعيدًا عمّا في المُعْجَم التُّراثيّ (كالقاموس واللسان والتّاج. .) ففي (مقاييس اللغة) لابن فارس: (الطّاء والميم والرّاء أَصْل صحيح يَدُلّ علىٰ مَعْنَيَيْن: أَحَدُهما الوَثْبُ، والآخر وهو قريب من الأوّل: هَوِيّ الشَّيء إلىٰ أسفل. فالأوّل: طَمَرَ: وَثَب ويُقال للفرس طِمِرّ، كَأَنَّهُ الوَثّاب. . .) ولٰكنّ (القاموس المحيط) يبدأ المادّة بـ: «الطَّمْر: الدَّفْن، والخَبْء. . .».

والتّفصيل في (لسان العرب):

«طَمَرَ البِئْرَ طَمْرًا: دَفَنَها. وطَمَرَ نَفْسَه وطَمَرَ الشّيء: خَبَأَه حيث لا يُدْرَىٰ. . .

. . . . . والمَطْمورة: حَفِيرة تحت الأَرْض أو مَكان تحت الأرض قد هُيِّئَ خَفِيًّا يُطْمَرُ فيها الطَّعامُ والمالُ أي يُخْبَأُ، وقد طَمَرْتها أي مَلَأْتها.

غيره: والمطامير حُفَرٌ تُحْفَرُ في الأرض تُوسَّع أسافِلُها؛ تُخْبَأ فيها الحبُوبُ.

وَطَمَرَ يَطْمِرُ طَمْرًا وطُمورًا وطَمَرانًا: وَثَب، قال بعضهم: هو الوُثوب إلىٰ أَسْفَل. . . وطمر: إذا تغيّب واستخفىٰ. . وَطَمَرَ إذا علا وَطَمَرَ إذا سَفَل. والمَطمور: العالي. والمطمور: الأَسْفل.

وفي حديث الحِساب يوم القِيامة: (. . فيقول العَبْد عندي العَظائمُ المُطَمَّراتُ)، أي: المُخَبّآتُ من الذُّنوب.

وَالأمور المُطَمِّراتُ، بالكَسْر: المُهْلِكاتُ، وهو من طَمَرت الشَّيءَ إذا أَخْفَيْتَه، ومنه المَطْمورةُ: الحَبْس. . .

وطَمِرَتْ يَدُه: وَرِمَت. . .».

وأزيد من (القاموس. . والأساس. . والتّاج. .) إضافةً إلىٰ ما سَلَفَ لِتَوْضيحِ تَطَوُّرِ الدّلالة والمعنىٰ من النّقيض إلىٰ النّقيض:

«. . وَطَمَرْتُ المَطاميرَ: مَلأْتُها. وخبّأ الطّعامَ في المطمورة والمَطامير.

وطَمَرَ الجُرْحُ: انْتَفَخ. ذكرَهُ الصّاغانيّ. . .

. . والمِطْمار، بالكسر: الزيج، وهو خَيْطٌ للبَنّاء يُقَدِّر به البناء، كالمِطْمَر والمِطْمار: الرَّجُل اللابِس للأَطْمار.

. . . والتَّطْمير الطَّيُّ وإرخاء السِّتْرِ، يُقال:

طَمَّرُوا بُيوتهم: إذا أَرْخَوا سُتورَهم على أَبوابهم..
ويُقال للمُحَدِّث: أَقِم المِطْمَرَ: قَوِّم الحَديث.

..وكذلك الرَّجُلُ إذا وُصف بكثرة الجِماع يُقال إنّه لَكَثير الطُّمور.

..وَطَمَرَ نَفْسَهُ ومتاعَه: أخفاه. وكتب في الطُّومار والطَّوامير. وأَتانٌ مُطَمَّرَة: كمُعَظَّمة: مَدِيدة موثَّقَة الخَلْق نقله الصّاغانيّ، وهو مَجاز أيْ: كأنّها طُويت طَيّ الطّومار، ومن المَجاز: هو يطمر علىٰ مِطْمار أبيه، أيْ: يَقْتدي بِفِعْله، وقيل: إذا جاء يُشْبِهُه خَلْقًا وخُلُقًا: قال أبو وَجْزَة يمدح رَجُلًا:

يَسْعَىٰ مَساعي آباءٍ لَهُ سلفت
مِنْ آل قير علىٰ مِطْمارهم طَمَروا

[كذا في اللسان وفي التكملة:
من آل قَيْنٍ علىٰ مِطمارهم طَمَرا]

وطَمار كقَطام: جبل بعينه. وقيل: سُور دمشق وقيل: قَصْر بالكُوفة.

ومن المَجاز: مَتاعٌ مُطَمَّرٌ أي مَرْكومٌ. وتقول: المال عنده مُطَمَّرٌ والخَيْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ مُصَيَّر؛ كذا في (الأساس..).. وَأَسْهَرَه طامِرُ بْنُ طامِر: وهو البرغوث. ووقع في نَبات طَمارِ: في شَدائد».

الطَّمّ والطُّمّ (وما الطَّماطم؟)

يَظُنُّ فُصَحاؤنا أنّ قَوْل العامّة طَمَّ، أَصْله: طَمَرَ حيْن يكون بمعنى دَفَن تحت التُّراب. وأنّ قَوْلَهم: عِنْدي خَيْر يَطُمُّني؛ فَصِيحُهُ: يَزيد عنّي إلى ما فوقَ رأسي.. وأنّ قَوْلهم: طُمّ غُمّ.. فصيحُه: كلام مُبْهَمُ غير واضح..

أمّا الطّامّة: الدّاهية والمُصِيْبة الكُبرى فَمَعروف أنّه من فصيح العامّيّة..

في (مقاييس اللغة) لابن فارس: «الطّاء والميم: أَصْل صحيح يدلُّ على تغطية الشَّيء للشَّيء حتّى يُسَوِّيَهُ به، الأرض أو غيرها. من ذلك قولهم: طَمَّ البِئْرَ بالتُّراب: مَلأَها وَسَوَّاها...».

وفي (القاموس..): «طَمَّ الماءُ طَمًّا وَطُمُومًا غَمَر، والإِناءَ: مَلأَهُ، والرَّكِيَّةَ يَطِمُّها ويَطُمّها: دَفَنَها وَسَوّاها والشّيءُ: كَثُرَ حتّىٰ عَلاَ وغَلَبَ، وَرَأْسَه: غَضَّ منه.. والطامّة القيامة والدّاهية تَغْلِب ما سواها.. واسْتطَمَّ: حانَ له أنْ يُجَزَّ... وَرَجُل طِمْطِمٌ وَطِمْطِمِيٌّ، بِكَسْرِهِما، وطُمطُمانيٌّ، بالضّمّ،: في لسانه عُجْمَة.. والطّمطام: وَسَطُ البَحْرِ، وَطَمْطَمَ: سَبَح فيه.. وطُمْطُمانِيَّةُ حِمْيَر..: ما في لُغَتها من الكَلِمات المُنْكَرة..».

ومِنْ مَجازات الزّمخشريّ في (أساس البلاغة): «طَمَّتِ الشِّدَّةُ والفِتْنة.. قال النّابغة:

وكانَ إِلَيْها كالذي اصْطادَ بِكْرَها
شِقاقًا وبُغضًا أو أَطَمَّ وَأَهْجَرا».

وفي (تاج العروس..) كما في: (لسان العرب):

«... طَمَّ الماءُ يَطِمُّ طَمًّا وطُمُومًا: علا وغَمَرَ. وكلُّ ما كَثُرَ وَعلا حتّىٰ غَلَبَ فقد طَمَّ يَطِمُّ. وَطَمَّ الشَّيْءَ يَطُمُّه طَمًّا: غَمَرَهُ. وفي حديث عُمَرَ - رَضِيَ الله عنه - (لا تُطَمّ امرأةٌ أو صبيٌّ تَسْمَعُ كلامَكم)؛ أي: لا تُراع ولا تُغْلَب بكلِمة تَسْمَعُها من الرَّفَثِ، وأصله من طمَّ الشّيءُ إذا عَظُمَ. وَطَمَّ الماءُ إذا كَثُرَ، وهو طامٌّ...

... وفي حديث أبي بَكْر والنَّسَّابة: (ما مِن طامَّةٍ إلّا وفَوْقَها طامَّةٌ) أيْ: ما من أمرٍ عظيم إلّا وفَوْقَه ما هو أعظمُ منه، وما من داهيةٍ إلّا وفَوْقَها داهية....

...والطَّمُّ: طَمُّ البِئْر بالتُّراب، وهو الكَبْسُ. وطَمَّ الشّيءَ بالتُّراب طَمًّا: كَبَسَهُ. وَطَمَّ البئرَ

يَطِمُّها وَيَطُمُّها طَمًّا.. كَبَسها.

وَطَمَّ رأسَه يَطُمُّه طَمًّا: جَزَّه أو غَضَّ منه. الْجَوهريّ: طَمَّ شَعْرَه: أي: جَزَّهُ، وَطَمَّ شَعْرَه أيضًا طُمومًا إذا عَقَصَهُ فهو شَعْر مَطْموم. وأَطَمَّ شَعرَه أي: حان له أن يُطَمَّ أي: يقصّ يُجَزّ، واسْتَطَمَّ مثله. وفي حديث حُذَيفة: (خَرَجَ وقد طَمَّ شعره..) أي: جَزّه واستأصله، وفي حديث سُلَيْمان أنّه (رؤي مطموم الرّأس) وفي الحديث الآخر: (وعنده رَجُل مَطموم الشَّعر)...

...وقِيْل: الطِّمُّ: البَحْرُ والرِّمُّ الثّرى.. الأصمعيّ: جاءهم الطِّمُّ والرِّمُّ: إذا أتاهم الأمر الكثير.. وقال أبو طالب:.. معناه: جاء بالكثير والقليل.

ومرَّ يَطِمّ - بالكسر - طميمًا أي: يَعْدُو عَدْوًا سَهْلًا. وَفرَسٌ طَموم: سريعة ويُقال للفَرَسِ الْجَواد طِمّ. والطِّمُّ: العَدَد الكثير. وطَمِيم النّاس: أخلاطهم وكَثْرَتُهم. والطَّمْطَمَة: العُجْمَة. والطِّمْطِم والطِّمْطِمِيُّ والطُّماطِم والطُّمْطُمانيّ: هو الأعجم الذي لا يُفْصح؛ وفي صفة قريش: (ليس فيهم طُمْطُمانيَّة حِمْيَر).

والطَّمطام: النّار الكبيرة. ابن الأعرابيّ: طَمْطَمَ: إذا سَبَحَ في الطَّمْطام، وهو وَسَطُ البَحْرِ. وفي الحديث: أنّ النّبيّ - ﷺ - قِيْل له: (هل نَفَعَ أبا طالب قَرابَتُه منك؟ قال: بَلىٰ وإنّه لَفي ضَحْضاح من نارٍ، ولوْلايَ لَكان في الطَّمطام) أيْ: في وَسَطِ النّار: وطَمْطامُ البحر: وَسَطه؛ اسْتَعاره هٰهنا لِمُعْظَم النّار حيث اسْتعار لِيَسِيْرِها الضَّحْضاح وهو الماء القليل الذي يبلغ الكَعْبَيْن...

والطَّماطِمُ: العُجْم؛ وأنشد للأَفْوَه الأوديّ:

كالأَسْوَدِ الحَبَشِيّ الحَمْسِ يتبعه
سودٌ طَماطِمُ في آذانها النُّطَفُ».

قُلْت: أمّا الثَّمَر الذي يُسمّىٰ في مِصْر (طَماطِم) أو: (أُوْطَه: قوطه) وفي الْجزائر وغيرها يُسَمّى (طماطيش) فَلَعَلَّه من اسْمِه الإنكليزيّ (توماتو Tomato) والفَرَنْسِيّ (تومات Tomate) فليس عنه يتحدّث الأَفْوَه الأوديّ!! واسْمه في الشّام: (البَنَدُورة) ولعلّه من الإيطاليّة Pomodoro، أي: التُّفّاح الذَّهبيّ في رأي الأب روفائيل نَخْلَة في (غرائب اللهجة اللبنانيّة السّوريّة) ص١٥٩ وطوبيا العنيسي في (تفسير الألفاظ الدّخيلة في اللغة العربيّة) ط٢ ص١٣ كما ذكر أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلحات والتّعابير الشّعبيّة) ص١١٦. أو من أسطورة (پاندورا).. في رأيٍ آخر.. ومن المعروف أنّه من الثّمار التي لم تكُن في العالَم القديم ووردت إلينا بعد اكتشاف القارّة الأمريكيّة كالبطاطا والتّبغ و...

الطِّنْجيرُ والطِّنْجَرَة والطّاجن

الطِّنْجير: الطِّنْجَرَة؛ وهي في المُعْجَم (الوسيط) الطِّنْجَرَة والطّاجِن والطّاجِيْن يقولوُنَها في المِقْلاةِ التي تُسَمّى في دمشْقَ (المِقْلايَة): ولٰكنّ الطّاجِنَ في مِصْر بالإضافة إلى المَقْلىٰ صَفْحَةُ طَعام للفُرْن أيْضًا.. وفي دمشق ندعو كَبِدَ الخَرُوف مع رِئَتَيْه بالمِعْلاق، فإذا قُلِيَ مع البَصَل والكُزْبَرَةِ فهو: مِعْلاقٌ مُطَجَّنٌ. وقد وَرَدَ الفِعْلُ في مُعْجَم مَجْمَع القاهرة (..الوسيط).

وفي (المِصْباح المُنير) للفَيّوميّ:

«الطِّنْجِير - بِكَسْر الطّاء -: إناءٌ من نُحاسٍ يُطْبَخ فيه، قَريبٌ من الطَّبَق، وَوَزْنُه فِنْعِيْل، والجَمْع: طَناجِيْر.

الطّاجِنُ: مُعرّب، وهو المقْلى، وتُفْتَحُ الجِيْم، وقد تُكْسَر، والجَمْع طَواجِن. والطَّيْجَن وِزان: زَيْنَب: لُغَةٌ، وجَمْعُه طَياجِن».

أمّا في (لسان العَرَب) فلم أَجِدْ الطِّنْجِيْر أو الطِّنْجِيْرة ولٰكنْ وَجَدْت الطّاجِن: المِقْلىٰ وهو بالفارسيّة تابه. والطَّجْنُ: قَلْوكَ عليه، دَخِيْل. قال.. وقولُهم للطّابق الذي يُقلىٰ عليه اللحمُ الطّاجِن، وقَلِيَّةٌ مُطجَّنَةٌ، والعامّة تقول: مُطَنْجَنَة [قُلْتُ: عامّة زمانِ ابنِ منظورٍ ومكانِه تَزيدُ النّون؛ أمّا عامَّتُنا نحن في دمشق فَتَسْتَعْمِلُ الوَصْف (مُطجَّن) كما وَرَدَ في الأصْل الفَصِيْح. وأُكْمِلَ ما في اللسان]: «عن الجَوْهريّ [في الصِّحاح]: الطَّيْجَنُ والطّاجِن يُقلَىٰ فيه، وكِلاهُما مُعَرَّب لأنّ الجيم والطّاء لا يَجْتَمِعَان في أصْل كلامِ العَرَب». وفي (قاموس الفارسيّة): «تابه (تاوه): المِقْلاة».

وفي (القاموس..) وفي (التّاج..) كذلك. وليسَ في (القاموسِ) طَنْجَرة وفيه: «الطِّنْجِيْر – بالكسر –: مُعَرَّبٌ فارسيَّةٌ باتيلة».

وفي (شِفاءِ الغَلِيْل) لم أَجِدْ الطّاجِن. ولم أَجِدْ في (قاموس الفارسيّة) باتيلة، كما لم أجِدْ في الفارسيّة: (طَنْجَرَة وطنجير وطاجن) ولو وَجَدْتها لَكانَتْ من أصْلٍ عربيٍّ لأنّ ما أَوَّله صاد أو ضاد أو طاء في الفارسيّة يكون من أصلٍ عربيّ كما ذَكَر في (قاموس الفارسيّة) د.عبد النّعيم محمّد حَسَنين.

وفي (التّاج..): «أَهْمَلَه الجَوهريّ ولم يَذْكُرْه ابنُ الجَوَالِيْقيّ في (المُعَرّب..).. ولا اسْتَدْرَكَه ابنُ منظورٍ. والطَّنْجَرَةُ بمعناه؛ والطِّنْجِيْر: كِنَايَةٌ عن الجَبَان واللئيم هكذا تَسْتَعْمِلُه العَرَبُ في زَمانِنا...».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: ط ج ن: «طَجَنَ الشَّيْء يَطْجُنه طَجْنًا: قلاهُ. الطّاجِن والطَّيْجَن: الطّابِقُ يُقْلَىٰ عليه. مُعَرّبان؛ لأنّ الطّاء والجيم لا يَجْتَمِعَانِ في أَصْلِ كلامِ العَرَب. (ج) طَواجِن. المُطَجَّن: المَقْلُوُّ في الطَّاجِن».

وفي: ط ن ج: «طَنْجَرَ العَبْدُ: رَكِبَ العِصْيانَ والعِنَادَ وَتَخَلَّق بأخلاقِ أهل طنجير.. الطَّنْجَرَة والتَّنْجَرة، بالتّاء أيضًا: قِدْرٌ من نُحاسٍ (فارسيّة). الطِّنْجِيْر: وعاءٌ يُعْمَل فيه الخَبِيْص».

وفي (المُعْجَم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة: ط ج ن: «طَجَنَ الشَّيْءَ يَطْجِنُهُ طَجْنًا: قَلاهُ وأَنْضَجَهُ في الطّاجِن، وطَجَّنَهُ.

الطّاجِنُ: المِقلىٰ. وصَحْفَةٌ من صِحَافِ الطَّعام مُسْتَدِيْرَةٌ عالِيَةُ الجَوانبِ تُتَّخَذُ من الفَخّار ويُنْضَجُ فيها الطَّعَامُ في الفُرْنِ (مُعَرَّبَة) والجَمْع طَواجِن.

المُطَجَّنُ المَقْلِيُّ في الطّاجِن؛ يُقالُ: قَلِيَّةٌ مُطَجَّنَةٌ».

والطّاجِنُ في عامّيّة مِصْر أيضًا: (وِعاءٌ فُخّاريّ..) كما قال د.عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

قُلْتُ: من (المُطَجَّن) الذي ذُكر في (..الوسيط) قالوا في دمشق: (المِعْلاقُ المُطَجَّن).

وفي (تاج العروس..) ك: (..الوسيط)؛ ط ن ج: «الطَّنْجَرَةُ: قِدْرٌ أو صَحْنٌ من نُحاسٍ أو نحوه (مُعَرّبة) جَمْعُها طناجر. والطِّنْجِيْر: الطَّنْجَرَة (مُعَرَّبَة) والجَبَان اللئيم؛ أو: كِنايَة عن الحَضَرِيّ لأنّه يَأْكُلُ في قُدُور النُّحاس وصُحونِه. (ج) طَنَاجِيْر..». وأَخَذَ (المُعْجَمُ المَدْرَسِيّ) منهما وأَهْمَلَ الطِّنْجِيْر. ويزيد د. عبدالعال في (مُعْجَم الألفاظ..): «تَنْجَرَة: من التُّركيّة».

طَنْزُ الطَّنّاز

سمعت بالطَّنْز والتَّطْنيز بمعنى الاستهزاء والتّهكُّم؛ في عامّيّة الخليج، بَيْن المُحاوَرات في

القصص والمُسَلْسَلات الوَارِدة إلى شاشاتنا من أقطار الخليج: الكويت والإمارات وقَطَر والبَحْرين وعُمان وغيرها.. فتذكّرت أنّي رأيتها في (القاموس..) بهذا المعنى..

ولم أَجِدْ من اهتمّ بها من كُتّابِ فِصاح العاميّة سوى الأمير أرسلان في: (القول الفصل في ردّ العاميّ إلى الأصل) ومنه: «في المُخصّص: طنزته وبه طَنْزًا: كلّمته باستهزاء. واستعملها طلال الفائز بمعنى الخلاعة؛ فقال: بنات يَطْنِزْن. وفي المغرب: طينز: تهكّم».

وفي (اللسان..): «طَنَزَ يَطْنِز طَنْزًا: كَلَّمَهُ باستهزاء، فهو طَنّاز. قال الجوهريّ [مُؤَلّف (..الصِّحاح..)]: أَظُنُّه مُوَلَّدًا أو مُعَرَّبًا. والطَّنْز: السُّخْرية وفي نوادر الأعراب: هؤلاء قومٌ مَدْنَقَة ودُنّاق ومَطْنَزَةٌ إذا كانوا لا خيرَ فيهم هَيِّنَةً أَنْفُسُهم عليهم».

وفي (القاموس..) «طَنَزَ بِهِ..». وفي (الأساس..): «وطانَزُوا وتَطَانَزُوا». وذلك كلّه في: (التّاج..). وكذا في (محيط المحيط).

وفي (المعجم الوسيط):«طانَزَه: طَنَزَ به. تَطَانَزُوا: سَخِر بعضُهم من بعضٍ. المَطْنَزَة: مَوْضِع الطَّنْزِ والْجَمْع: مَطَانِز».

وقليلة هي المعاجم الحديثة التي اهتمّت بالطَّنْز..

الطُّوبة

في الشّام ومصر يُقال: (وَقَعَتِ الطُّوبَة في المَعْطوبَة)..

والطُّوبَة هي الآجُرَّة أو القِرْميدَة أو اللَّبِنَةُ المشْويّة أو الصَّلْصال المَشْوِيُّ أي الطّيْن المُجَفَّفُ بالنّار في قوالبَ تُجَهَّزُ قِطَعًا للبِناء.. فكأنّ وُقُوعَ الطُّوبَة في الأعضاءِ المكسُورة أو المَعْطُوبة ممّا يَزِيْدُ في الإيْذاءِ والإيْلام.

ولم أجدْ (طُوبَة الباب) أي مَسْكة الإغلاق ولعلّها كانَتْ تُصْنَع من الطُّوْب، وفِعْلًا ما زالَتْ مَماسِكُ عَتِيْقَةٌ من (البُورسُلان) وهو صَلْصالٌ مَشْوِيٌّ...

في (لسان العرب):

«والطُّوبَة: الآجُرَّة، شاميّة و روميّة. قال ثعلب: قال أبو عَمْرو: لو أَمْكَنْتُ من نَفْسِي ما تَرَكُوا لي طُوْبةً، يَعْني آجُرَّة. الجوهريّ: والطُّوب: الآجُرُّ بلُغة أهلِ مصْرَ. والطُّوبةُ: الآجُرَّة. ذَكَرَها الشّافعيّ. قال ابن شميل: فلانٌ لا آجُرّة له ولا طُوبة؛ قال: الآجُرّ: الطّين».

قُلْتُ: والطُّوبَة في رِوايَةِ ثعلب عن أبي عَمْرو ثمّ رواية الجوهريّ في الصِّحاح والشّافعيّ وابن شميل وعُلَماء اللغة وَرَواهُ المُعجَم هي بضمّ الطّاء دائمًا كما هي في العامّيّات اليوم.

فإذا فَتَحْتَ الطّاء فقد انْتَقَلْتَ إلى كَلِمَةٍ أُخرى قال فيها ابن منظور في (اللسان..): «يُقالُ للدّاخل: طَوْبَةً وَأَوْبَةً، يُريدُون الطِّيِّبَ في المعنى دون اللَّفظ لأنّ تلك ياءٌ وهذه واوٌ».

أمّا: طُوبَىٰ في (القاموس.. والتّاج..) «فالحسن والخير أو شجرة في الجَنّة أو الجَنّة بالهنديّة أو الحَبَشِيّة..». وهي من ط ي ب (في محيط المحيط) للبُستانيّ.

وقَبْلَها في (محيط المحيط) ط و ب: «الطّوب: الآجُرّ بلغة أهل مصر. والمَدْفَع بالتّركيّة؛ ومنه: الطُّوبَجِي: لِمُعالِج المَدافِع. الطّوّاب: صَانِعُ الطُّوب».

الطّاخ والطِّيخ

من عباراتهم (هو لا يعرف الطِّيخ من البطّيخ) أو

(لا يعرف الطِّيخة من البطّيخة). وتجد البطّيخ في محلّه من الباء، فما الطّيخ؟ وهل نجده في قول عَوَامّنا: (نَزَل فيه بالضّرب طاخ طِيْخ؟.) ولم أجدْها لدى كُتّاب (فصيح العَوَامّ).

وفي (لسان العرب): ط. ي.خ: «ابن سيدَه: طاخَ الأَمْرَ طَيْخًا: أَفْسَدَه، وقال أحمد بن يحيىٰ [ثعلب]: هو من تواطَخَ القومُ..

ابن الأعرابيّ: المُطَيَّخ: الفاسد.. وزَمَن الطِّيخة زمن الفِتنَة والحَرْب.. وطيَّخَهُ: لَطَّخَهُ وأنشد الأزهريّ:

وَلَسْتَ بِطَيّاخَةٍ في الرِّجالِ
وَلَسْتَ بِخَزْرافَةٍ أَحْدَبا

والطِّيخ [بكسر الطّاء وفَتْحها] الْجَهل والطِّيخ [بالفَتْح] الكِبْر، وطاخ: تكبّر».

وفي (اللسان..) وفي (القاموس..) أيضًا:

«..والطِّيخُ بالكَسْر حِكايَة الضَّحك. وقالُوا: طِيخِ طِيخِ، بالكَسْر، مَبْنِيًّا على الكسر أي: قهقهوا.».

وقبله في (القاموس..):

«طاخَ يَطِيخُ: تَلَطَّخَ بالقَبِيح كَتَطَيَّخَ. وفلانًا لَطَّخَه به كَطَيَّخَه، وَتكبَّرَ وانْهَمَكَ في الباطل. والطَّيْخَة: الأحمقُ لا خيرَ فيه، والفِتْنَةُ. وَطَيَّخَهُ السِّمَنُ: مَلَأَهُ شَحْمًا ولَحمًا والعذاب عليه أَلَحّ فأَهْلَكه». وهذا من قول ابن فارس في (مقاييس اللغة): «ط ي خ: أَصْل صَحيح يَدُلّ على تَلَطُّخ غير جميل.. وقالُوا: الطِّيخ: الخِفّة، وهو بمعنى الطَّيْش..».

وأكمل من: (تاج العروس..) وهو يَجْمَع ما في (القاموس.. واللسان..): ط و خ: «..وعن اللّحيانيّ يُقال: طَاخَه يَطِيْخه ويَطُوخُه طَيْخًا وطَوْخًا: رَمَاهُ بِقَبِيح من قَوْلٍ أو فِعْلٍ، يائيّة واويّة، والأوّل أكثر» وفي ط ي خ من (التّاج..):

«..وَطَاخَ طَيْخًا: تكَبَّر وانْهَمَكَ في الباطل؛ قال الحارث بن حِلِّزَةَ:

فاتركُوا الطَّيْخَ والتَّعَدِّي وإمّا
تَتَعاشَوْا ففي التَّعاشِي الدّاءُ

... وعن أبي زَيْد: طَيَّخَ العَذاب عليه: أَلَحَّ، الأَوْلىٰ أنْ يَقول: طَيَّخَهُ العَذابُ: أَلَحَّ عليه فأَهْلَكه، كما هو نَصّ أبي زيد... والمُطيخ: الفاسد.. والمَطْلِيُّ بالقَطِران. والطِّيْخ؛ بالكَسْرِ؛ حِكايَة صَوْت الضَّحك؛ حكاه سيبويه وقال الليث: قالُوا: طيخِ طيخِ...: أي قهقهوا.. وقال أبو مالك: طَيَّخ أصحابه إذا شَتَمَهم فَأَلَحَّ عليهم. والطِّيخ والطَّيْخ: الْجَهْل وناقةٌ طَيوخ تذهب يمينًا وشِمالًا وتأكل من أطراف الشَّجَر...».

تَطَوُّر التَّطَوُّر

هل فَكَّرَ الكُتّاب المُعاصِرون الذين يَستعملونَ الفِعْلَ: تَطَوَّرَ، أنّه من وَضْعِ عوامِّنا؟ فَلَسْتُ أَعْرِفُ مُعْجَمًا قَديمًا ذَكَرَهُ.. وإنّما أعرف أنّ العامّةَ يقولونَ: (لاحَظْت كيفَ تَطَوَّرَ فُلانٌ حينَ فَتَحْنا له هذا الموضوع، وَكَيْفَ تَرَكْناه وهو مُتَطَوِّرٌ)، أيْ: قَلِقٌ وقد تَغَيَّرَتْ مَلامِحُه واضْطَرَبَ سُلوكُه، أمّا الكُتّابُ والمُفَكِّرونَ فقد تَوَسَّعُوا في مَعْناهُ وجَعَلوهُ يَدُلّ على مُطْلَقِ التَّغَيُّرِ، وحَدَّدَهُ (المعجم الوسيط) لمجمع القاهرةِ: «طَوَّرَهُ: حَوَّلَه من طَوْر إلى طَوْر. وهو مُشْتَقّ من الطَّوْر (مج).

تَطَوَّرَ: تَحَوَّلَ من طَوْرٍ إلى طَوْرٍ (مج)».

إذًا فقد صَدَرَ قَرارٌ من مَجْمَع اللُّغَةِ العربيّةِ بالقاهرةِ يُجيزُ لنا أنْ نَسْتَعْمِلَ الفِعْلَيْنِ (طَوَّرَهُ تطويرًا فَتَطَوَّر تَطَوُّرًا) فَوَجَدْناهُما في (..الوسيط)

لمجمع القاهرة سنة ١٩٦٠م ثمّ في (الرّائد) مُعجم جبران مسعود بلبنان سنة ١٩٦٥م ثمّ في (المعجم المدرسيّ) لمحمّد خير أبو حرب والصّادر عن وزارة التّربية بدمشق سنة ١٩٨٦ فَذُكِرا مَدْعومَيْنِ بالرَّمْزِ (مج) الذي يَدُلُّ على مُوافَقَةِ المَجْمَعِ على فَصاحَةِ العِبارَة. . .

وقبلَ ذلك كانَتْ المَعاجِمُ التُّراثِيَّةُ وأَغْلَبُ المَعاجِمِ الحَديثَةِ أيضًا تَخْلو من هٰذين الفِعلينِ، فلم أَجِدْهُما في كلٍّ من: (المُنْجد) للويس معلوف وَ(أقْرب الموارِد) للشّرتونيّ و(متن اللغة) لأحمد رضا العامليّ و(محيط المحيط) للبُستانيّ.

ومادّةُ ط و ر في المُعْجماتِ القديمةِ تكادُ تُفضي إلى صِحَّةِ اشْتقاقِ الفِعْلَيْنِ طَوَّرَ وتطوّر. . وذلكَ على الرَّغْمِ من أنَّ أَصْلَ معنى الطَّوْرِ في رأيِ أحمدَ بنِ فارسٍ في (مُعْجَم مقاييس اللغة) «هو الامتدادُ في شيءٍ، من مكانٍ أو زمانٍ. من ذلك طَوائر الدَّار، وهو الذي يَمْتَدّ معها من فنائها. ولذلك يقال: عدا طَوْرَه، أي جاز الحَدَّ الذي هُوَ لَه من دارِه. ثمّ اسْتُعيرَ في كلّ شَيْء يُتَعَدَّى. .». . قُلْتُ: من هذا المعنى جاءَ التَّطَوُّر. . وكذلك ممّا قال بعده: «. . ومن البابِ قولُهم: فَعَلَ ذلك طَوْرًا بعد طَوْرٍ. فهذا هو الذي ذكرناه في الزَّمان، كأنّه فَعَلَه مُدَّةً بعد مُدّة. وقولُهم لِلْوَحْشِيِّ من الطَّير وغيرِها طُوريٌّ وطُورانيٌّ، فهو مِن هذا، كأنّه توحَّش فَعَدا الطَّوْرَ، أيْ تباعدَ عن حدِّ الأنيس». وفي مُعْجَم الفيّوميّ (المصباح المنير): «الطَّوْر: التّارة. . . والطَّوْر: الحال والهَيْئة؛ وتعدّى طورَهُ؛ أي: حالَهُ التي تَليقُ به» قُلْت: هذا هو المَعْنَى المُفْضي إلى الاسْتعمالِ العامّيّ في قولِهم في دارجتنا: «تَطَوَّرَ فلانٌ من القَلَقِ والاضْطراب». .

وما مرَّ في المُعْجَمَيْنِ تَذْكُرُ أغلبُ المعاجِمِ القديمةِ (كالقاموس. . واللسان. . والتّاج. .) وغيرهم. . «لَقِيَ منه الأطورين، بكسر الرّاء، أي الدّاهية، وبَلَغَ في العِلْم أَطْوَرَيْهِ، بِفَتْحِها، وقد تكسر؛ أي: أَوَّلَهُ وآخرَه، وَطَوْطَرَ في: رماني مَرْمًى بَعْدَ مَرْمًى» وفي (أساس البلاغة): «. . والنّاس أطوارٌ: أخياف؛ ﴿وَقَدْ خلقكم أطوارا﴾» السّورة ٧١: نوح الآية ١٤. وفي (مُسْتَدْرَك التّاج. .) في شرح الآية: «أطوارًا: أي على حالاتٍ شتّى أو ضُروبًا مُخْتَلِفة. وقال ثعلب: أي خِلَقًا مُخْتَلِفَةً كلُّ واحدٍ على حِدَةٍ. وقال الفرّاء: أي نُطْفَةً ثمّ عَلَقَة ثمّ مُضْغَةً ثمّ عَظْمًا، وقال غيرُه: أَرادَ اخْتلافَ المَناظِرِ والأَخْلاقِ، قال النّابغة الذُّبياني:

والمَرْءُ يُخْلَقُ طَوْرًا بعد أطوار

وقال في وصف السّليم:

فَبِتُّ كَأَنّي ساوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ
من الرُّقْشِ في أنيابا السُّمُّ ناقِعُ
تَناذَرَها الرّاقونَ من سُوءِ سمِّها
تطلّقه طورًا وطورًا تُراجِعُ».

قُلْتُ: تَكادُ تَجِدُ لَدَىٰ تَفْسِيْرِ اللُّغَوِيّينَ القُدماءِ للآيةِ الكريمة، ما يفضي إلى قبولِ الاشْتقاقِ القياسيّ من مفردات المادّة، لتلبية الاحْتياج إلى (التّطوّر والتّطْوير).

الطّوشة والطّيْش

كَتَبَ أحمد رضا العامليّ، قَبْلَ أن يكونَ (غوار الطّوشة) في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «الطّوشة دُوارٌ في الرّأسِ، وتُطلقُ عندَهم على الدّوكةِ والاختلاطِ في الشّرِّ، وعلى الدُّوارِ في الرّأسِ. . . والطَّيشُ: خفَّةُ العقلِ والنّزق. وكلُّ ذلك معروفٌ عندَ العربِ، فهو صحيحٌ. وجاءَ في

اللغةِ داشَ يدوشُ دَوْشًا إذا أخذتْه الشّبكرةُ أيْ غشيَ بصرُهُ وتحيَّر، فهو مَدُوش. والشّبكرةُ فعلٌ اشتقّوه من شبكور أي أعمى اللّيلِ بالفارسيّةِ.. وشبكور في عصر العبّاسيّين...».

قُلْتُ: (فلان طوشة) في عامّيّتنا بمعنى ما في الفصيح في ط و ش وكذلك في ط ي ش. و(غوّار الطّوشة) اسمُ الشّخصيّة التي يُمثّلُها الفنّانُ دُرَيد لحّام..

وفي (لسان العرب):

«ط و ش: ابن الأعرابيّ: الطَّوْشُ: خفّةُ العقلِ، وطوَّشَ إذا مَطَل غريمَه».

«ط ي ش: الطَّيْشُ: خفّةُ العقلِ، وفي الصِّحاح: النَّزَق والخِفَّةُ وقد طاشَ يطيشُ طَيْشًا».

وأسْتَكْمِلُ من الزّبيديّ عن الفيروزابادِيّ وغيرِه في (تاج العروس...): «... فهو طائشٌ وطيّاشٌ: خفَّ بعد رَزَانَتِهِ من قوم طاشةٍ وطياشة؛ وقال شمر: الطَّيْشُ ذهابُ العَقْلِ حتّى يجهَلَ صاحبُه ما يحاولُ. والطَّيْشُ: جَوازُ السّهمِ الهَدَفَ، وقد طاشَ عنه إذا عَدَلَ ولم يَقْصِدِ الرّميةَ. وأطاشَهُ الرّامي: أمالَهُ عنه. قالَ أبو مالك: الأطيشُ طائرٌ وكأنّه لخفَّتِهِ وكثرةِ اضْطِرابه: والطيّاشُ مَنْ لا يقصدُ وجهًا واحدًا، أي لِخِفَّةِ عقلِهِ. وممّا يُستدرَكُ عليه: طاشَتْ يدُه في الصّفحةِ: خَفَّتْ وتناوَلَتْ من كلِّ جانبٍ. وطاشَتْ رِجلاه: اضْطَرَبَتْ...».

قُلْتُ: قولُ الفيروزابادِيّ والزّبيديّ: «طاشَ السّهمُ عن الهدفِ إذا عدلَ عنه ولم يَقْصد الرّميّة» يذكّرني بصحّة الاسْتعارةِ العامّيّة في قولهم: (فلان.. طاش حَجَرُهُ) أي قصدَ غَرَضًا فَسَلَكَ إليه غير سَبيلِهِ، فأخفَقَ في بُلوغِ غرضِهِ ولم يُحَقِّقْ هَدَفَهُ لأنَّهُ سَلَكَ السَّبيلَ الغَلَطَ وضيَّعَ المَسْلَكَ الصّحيحَ...

طال المِطال

يا مالَ الشّامِ، يالله، يا مالي
طالَ المطالُ يا حلوةُ تَعالَيْ

أَجِدُني أقرأُ هذا الزّجلَ العامّيَّ بلُغَةٍ فصيحةٍ لا غُبَارَ على فَصَاحَتِها، لأنّ الألفاظَ والتّراكيبَ فيه كلّها من أصْلٍ فَصِيحٍ، ومَنْ شَكَّ في العبارةِ (طال المِطال) فلْيَعُدْ إليها في شِعْر بشّار بن بُرْد [بيت من تحت] وهو مِنْ أواخرِ عَصْرِ الاحْتِجاجِ بِكَلام الفُصَحاء على الرّغم من نَسَبِهِ الأَعْجَمِيِّ وَمُيولِهِ الشّعوبيّة ولقد قالُوا إنّ بَعْضَ عُلَماء اللغة رَفَضُوا الاحْتِجاجَ بشعرِه، على أنّه آخِرُ القُدماءِ وأوّل المُحْدَثِيْن، فَهَجَاهُمْ فَأَرْهَبَهُمْ فعادُوا يَحْتَجُّونَ بِشِعْرِهِ ويُرَدّدونَ قولَه المَشْهورَ «كيف لا أكون من أَفْصَح فُصحاء البُداة وقد نَشَأْت في سَبْعِين أَلْفًا من أَفْصَح بُدَاة بني عقيل؟» ومَعْروف أنّه كانَ مَوْلَى لِبَني عَقِيل وَرَبِيبًا لهم..

وقد وَرَد في (الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني) قولُ بشّار:

يا عَبْدُ قَدْ طالَ المِطَال فَأَنْعِمِي
واشْفي فؤادَ فَتًى يَهِيمُ مُتَيَّم

«قال النّحويّون:

أَصْل طال: طَوُلَ» كما جاء في (لسان العرب) لابن منظور:

أمّا أَصْل المِطَال فَمَصْدَر الفِعْل: ماطَلَ مُماطلةَ ومِطالًا «بَكسْر الميم لأنّ الفِعال كالمُفاعَلة مَصْدر الفِعْل الرُّباعي مَزيد الثّلاثيّ بِحَرْف الأَلِف: فاعَلَ يُفاعِلُ فِعالًا».

ومعنى: ماطَلَهُ: سَوَّفه. ومَطَلَهُ حَقَّهُ وبِحَقِّه: أَجَّلَهُ. وَمَطَل الحَبْلَ أو الحديدَ: مَدَّهُ وَمَطَّهُ فَتَمَدَّدَ وَتَمَطَّطَ.

والعامّة تفتح ميم المَطال، والصّواب كَسْرُها.

ط ي ز

أَعْتَذِرُ عن عَدَمِ إهمالِ مادّةِ التَّركيب: ط ي ز؛ لأسبابٍ أهمّها أنّ ارتباطَه بِفِصاحِ العامّيّة قد يَضْعُف لكَوْنِه يقومُ على الظّنّ والتَّخْمين، فالبَحْث فيه لعلّه لا يُوصلُ بسهولةٍ إلى النَّتيجةِ العِلْميّة المَنْشُودة... فَأَعْرِضُ لِمَنْ يَرَوْنَ اسْتِكْمالَ البَحْث ما وَصَلْتُ إليه، حتّى لا يُؤدِّي إهمالُ البَحْثِ العِلْمِيِّ إلى زيادةِ فُرَصِ التَّجْهِيْل.. وإنّي أُكَرِّرُ اعتذاري مَرَّةً أُخرى.. للمعرفة.. فالأطبّاءُ يُكْنُونَ اليومَ فيقولُون (إبرة في العَضَل) أو: (حُقْنَة في العَضَل) والعَضَل: اللحم..

وفي أغلبِ البُلدانِ العربيّة تجدُ العَوَامّ قد أهملُوا الأسماءَ العديدة لِمُرادِفاتِ الكَفَل والعَجُز... واكْتَفَوا بالعِبارَة العامّيّة: (طِيْز). وليسَ في (لسان العرب) وغيرِه من كُتُب اللغةِ والمُعْجم العربيّ القديم ذِكْرٌ للمادّة: ط ي ز. ولٰكنّي جَرّبْتُ الإبْدال بالطّاء تاء فَوَجَدْت في (اللسان..): «التَّيّاز: الرَّجُل المُلَزَّز المَفاصِلِ الذي يَتَتَيَّزُ في مِشْيَته لأنّه يَتَقَلَّعُ من الأرض تَقَلُّعًا؛ وأنشد:

تَيّازَةٌ في مَشْيِها قُناخِرَهْ

الفَرّاء: رَجُلٌ تَيّازٌ: كثير العَضَل، وهو اللحم. وتازَ يَتُوزُ تَوْزًا ويَتِيزُ تَيْزًا إذا غَلُظَ... وتازَ السَّهْمُ في الرَّمِيَّة؛ أيْ: اهْتَزَّ فيها. وَتَتَيَّزَ في مِشْيَتِه: تَقَلَّعَ».

ثمّ وَجَدْت العِبارةَ بذاتِها: طَيَز عَرَضًا في (لسان العرب) لابن منظور ذاته في باب السّين: «..وَتِيسي كَلِمةٌ تُقال عند إرادَةِ إبطالِ الشَّيْء وتكذيبه والتّكذيب به؛ ومنه حديث أبي أيّوب أنّه ذَكَرَ الغُولَ فقال لها: تِيْسي جَعارِ، فكأنّه قال لها: كذبت يا خارِيَة. قال: والعامّة تُغَيِّر هذا اللفظ فتقول: طيزي؛ تُبْدِلُ من التّاء طاءً ومن السّين زايًا، لِتقارُب ما بَيْنَ هذه الحُرُوفِ من المَخارِجِ».

وفي (تاج العروس..) نُقِلَ النّصّان حَرْفيًّا من (اللسان..) ولم أَجِدْ فيه زيادةً لِمُسْتَزيد.

واكتفى بطرس البُستانيّ في (مُحيط المُحيط) بـ«الطّيز: الاسْت. عامّيّة».

وفي (قاموس المُصطلحات والتّعابير الشّعبيّة) ص٩١ يقول مُؤَلِّفُه أحمد أبو سعد: «طيز: الاسْت. ج طيّاز، واللفظة آراميّة (نخلة نخلة ل٨٨) وهم اشتقُّوا فِعْلًا فقالُوا: طَيَّزَ فلانٌ لفُلانٍ إذا أدارَ إليه طِيْزَه ولم يُبالِ به».

قُلْتُ: إذا كانتِ اللَّفظةُ آراميّةً فقد سَمِعْتُها في المَغْرِبِ العربيّ أيضًا فكأنّ الفينيقيّين نقلُوها معهم إلى قرطاجة!

وإذا كانَتْ من قولِهم (تيسي جَعَارِ) كما قال ابن منظور في (لسان العرب): «..بالإبدال من التّاء طاءً ومن السّين زايًا لِتَقارُب ما بَيْن هذه الحُروفِ في المَخارج، فالإبدالُ يُقَرِّبُ ما بَيْنَها وبَيْن السّاميّ المُشْتَرَك».

ظ

الضَّرْبان والظِّربان

ومبادل الضّاد والظّاء

يُقال عِنْدنا في دمشق: يا ضَرْبانُ فهل التّشبيه بحَيَوان اسمه الظِّرْبان أو الظَّربان وَصَفَه صاحب (لسان العرب): «وهو على قدر الهرِّ ونحوه.. أو يشبه القِرْد.. أو الكَلْب.. وهو مُكَرْبَسُ الرّأس؛ أي: مُجْتَمِعُه.. ويُشْتَمُ به الرَّجُل فيُقال: يا ظَربانُ.».

وفي المِصْباح: الظِّرْبان. بِكَسْر الظّاء وسُكون الرّاء. لغة (ج) ظرابيّ.

قلت: وذكرت في أكثر من مَوْضوع ما جاء في (اللسان..) ممّا معناه: العرب تُعاقب وتُبادل ما بين الضّاد والظّاء..

وفي (التّاج..): «..وقال عبدالله بن حجّاج الزّبيديّ التّغلبيّ:

ألا أَبْلِغَا قَيسًا وخندفَ أنّني
ضَربْتُ كثيرًا مَضْرِبَ الظَّرِبان

يَعني كثيِّر بن شهاب المذحجيّ، وقوله: مَضْرب الظِّربان؛ أي: ضربته في وجهه؛ وذلك أنّ للظّربان خَطًّا في وَجْهه فشبّه به ضربته في وجهه.. [وروي لأسد بن ناعصة..]... وجُمِعَ على ظَرَبَى كَحَجَلَى ولا ثالثَ لهما على فَعَلَى...

ويُقال: ظَرِب به - كَفَرِح - إذا لَصِقَ، عن الفرّاء».

قلت: ولٰكنّ قولَ العامّة: يا مَضْروب؛ بمعنى: يا ضَرْبان ممّا يَنْفي علاقَتَها بحيوانِ الظّربان، ويُعيدها إلى الفِعْل ضَرَب.

وإنْ كانت عامّتنا تُحوّل الظّاء ضادًا فتقول: (الضُّفْر) في: الظُّفْر.. فما أظنّ كلّ ضاد عاميّة تفصّح لو أُبدِل بها ظاء..

ع

عَبّ وعَبْعَبَ وتَعَبْعَبَ

عبّ الماءَ وكَرَعَه.. شَرِبَه فأكْثَرَ أو أسرَع.. وتَعَبْعَبَ فلانٌ في هذا الأمرِ.. دَخَلَ فيه وبالَغَ في الدُّخولِ والمُداخَلَةِ وكلُّ هذا من فِصاح العامّيّة..

ولٰكنّ عامَّتَنا نَقَلُوا معنى العُبّ من الرّدْن إلى داخلِ الصَّدْر كما نَقَلُوا معنى الجَيْبِ من الصَّدْرِ الذي كانَ يُوْضَعُ فيه ما يُوْضَعُ في العُبّ من مالٍ وغيرِه.. فقالُوا في أمثالِهم (من الْجَيْبِ إلى العُبِّ) كِنَاية عن تَنَقُّلِ المالِ بَيْن مَنْ لا حِسابَ فيما بَيْنهَم.

وفي (لسان العرب):

«العَبُّ: شُرْبُ الماءِ من غيرِ مَصٍّ، وقِيْل: أنْ يَشْرَبَ الماءَ ولا يَتَنَفَّس.. والجَرْعُ وعَبَّهُ يَعُبُّهُ عَبًّا: كَرَعَ.. وعَبَّتِ الدَّلْوُ: صَوَّتَتْ عِنْدَ غَرْفِ الماء.. وتَعبَّبَ النَّبيذَ: ألَحَّ في شُرْبِهِ، عن اللِّحيانيّ.. وعُبَابُ كلِّ شَيْءٍ: أوّلُه.. وعَبَّ النَّبْتُ أيْ طَالَ...

...وفي النّوادِرِ: تَعَبْعَبْتُ الشّيءَ، وَتَوَعَّبْتُه واسْتَوْعَبْتُه و...: إذا أتَيْتَ عليه كلّه».

[قُلْتُ: وفي هذا المَقام تَقُولُ عامَّتُنا: تَعَبْعَبْتُ الشَّيْءَ وتَعَبْعَبْتُ فيه... ويقولُ الكُتّاب وفُصَحاءُ العَصْرِ: اسْتَوْعَبْتُه..].

وفي مِصْر يُقال: «عَبْعَبَ الكِيْسُ: بَدَا سَطْحُهُ غَيْرَ مُسْتَوٍ لزِيادة فَرَاغِهِ الدَّاخِلِيّ عمّا يَحْتَويه.. وعَبْعَبَ الثَّوْبُ: لم يَسْتَوِ على الجَسَد» كما في:

(مُعْجَم الألفاظِ العامّيّة ذاتِ الحقيقةِ والأصولِ العربيّة) ل.د. عبدالمُنْعم سيّد عبد العال.. وقَبْلَه في (تاج العروس من جواهر القاموس):

«والعَبَبُ: أن يَقْطَعَ الجَرْعَ والكَرْع.

والعُبُّ - بالضَّمّ - الرُّدْن: قال شَيْخُنا: هي لغةٌ عامّيّة لا تَعْرِفُها العَرَبُ قُلْتُ: كيفَ يكونُ ذلك وقد نَقَلَهُ الصّاغانيّ؟ [وشَيْخُهم الذي ظَنّ العُبّ عامّيًّا لأنّه لم يَطَّلِعْ على رِوَايَةِ الصّاغانيّ مُكْمِلِ صِحاح الجوهريّ، هو الشَّيْخ الطّيّب الفاسيّ].

والعَبْعَبُ: ثَوْبٌ واسعٌ. نَقَلَهُ الصّاغانيّ، والعَبْعَب كِسَاءٌ غليظ كثيرُ الغَزْلِ ناعِم.. قال الشّاعر:

بُدِّلْتِ بَعْدَ العُرْيِ والتَّذَعْلُبِ
ولُبْسِكِ العَبْعَبَ بعدَ العَبْعَبِ
نَمارِقَ الخَزِّ فَجُرِّيْ وَاسْحَبِي».

عبر العُبور والاستِعْبار

وعُبورُ التَّغَيُّراتِ بَيْنَ الأوزانِ والمَعاني

عَبْرَ العِباراتِ: اسْتَعْبَر وَعَبَّرَ و[أخذَ بعينِ الاعْتِبارِ].

حينَما كُنْتُ صَغيرًا. وأنا عائدٌ مِنَ السُّوقِ أَحْمِلُ مُشْتَرَياتي وَأُخْبِرُ أبي بأنَّ الباعَةَ المُطَفِّفِين الغَشّاشِينَ يُمْكِنُ أن يكونُوا أَخْسَرُوا في المِيزانِ، فكان أبي يقولُ لي: قُدَّامَكَ الميزانُ فاسْتَعْبِرْهم.. يَقْصِدُ بقوله: اسْتَعْبِرْهُم: عاوِدِ الوَزْنَ لِتَعْرِفَ مَنْ مِنَ الباعَةِ يُخْسِرُ في الوَزْنِ.

وإذا عُدْنا إلى فَصِيْحِ العِبارَةِ في (القاموسِ

المحيطِ) للفَيْروزاباديّ وَجَدْنا أنَّ معنى؛ وَزَنَ: وارِدٌ في مادّة هذا الجَذْرِ: ع ب ر ولْكِنْ في الوَزْنِ المُضَعَّف: فَعَّلَ؛ أي: عَبَّرَ؛ ففيه:

«وَعَبَّرَ الذَّهَبَ تعبيرًا: وَزَنَهُ دِينارًا دينارًا ولم يُبالِغْ في وَزْنِه».

أمّا مُرَبُّونا وكُتّابُنا المُحْدَثونَ فاختارُوا الوَزْنَ المُضَعَّفَ (فَعَّلَ) للتَّخَلُّصِ من تَسْمِيَةِ (دروسِ الإنشاءِ) في المناهجِ التَّرْبَوِيَّةِ؛ فقد فاجَؤُونا لَدىٰ بَدْءِ الخَمْسينيّاتِ، منتصفِ القَرْنِ العشرين، وما بَيْنَ مَرْحَلَتَيْ دِراسَتِي الثّانويّة والجامعيّة؛ بأنِ اسْتَبْدلُوا بِمادَّةِ الإنشاءِ مادَّةَ التَّعبير - وَرَحِمَ اللهُ القَلْقَشَنْديّ مُؤَلِّفَ: (صُبْح الأعْشىٰ في صِناعَةِ الإنشا - فَأَخْرَجُوا اسْمَ دَرْسِ الإنْشاءِ مِن المَناهِجِ والكُتُبِ المَدْرَسِيَّةِ وقالُوا: دَرْسُ التَّعْبِيرِ، وكِتابَةُ مَوضوعاتِ التَّعبيرِ، بدلًا من مَواضِيعِ الإنشاء - إذ تَرَكُوا جَمْع مَفْعول على مَفاعيل مع أنّ القاموسَ المحيطَ يذكرُ (دارة المواضيع) - وَلَمْ يَعْتَرِضْ أحدٌ منْ عُلَماءِ اللغةِ وأنصارِ القديم..

فالمُعْجَمُ التُّراثِيُّ - (كالقاموسِ المُحيطِ) للفَيروزاباديّ أو غيره - يَنُصُّ على: «عَبَّرَ عَمّا في نَفْسِهِ: أَعْرَبَ. وَعَبَّرَ عنه غَيْرُهُ فَأَعْرَبَ عَنْه والاسم العَبْرَةُ والعِبارة».

أمّا حينَ فَصَّحَ المُنْشِئُون والمُعَبّرونَ والكُتّابُ الفِعْلَ: اعْتَبَرَهُ بمعنى: حَسَبَهُ وَعَدَّهُ، فقالُوا مَثَلًا: «..تُعْتَبَرُ كُسُوْرُ الدَّرَجَةِ درجةً في الامْتِحانِ أو نَحْوِهِ». فقد وَجَدَ المُخَطِّئُونَ مَنَ النُّقّاد اللُّغَوِيِّينَ وأنصار أسلوبِ؛ «قُلْ كذا ولا تَقُلْ كذا!» مادَّةً تُضافُ إلى مِئاتٍ من المَوادِّ اللُّغَوِيَّةِ التَّخْطِيئِيَّةِ التي خالَفُوا وتخالَفُوا فيها، فَخَطَّأَ قائِلَها كُلٌّ من زُهْدِي جارُ اللهِ مُؤَلِّف: (الكِتابَةِ الصَّحِيحَة) ص٢٦٦ وَمُحَمَّدٌ العَدْنانيُّ في (مُعْجم الأخطاء الشّائعة) ص١٦٢ وغيرهما..

ولْكِنَّ مُعْجَمَ مَجْمَع القاهِرَةِ (..الوسيط) ط٢ قَبِلَ هذا المَعْنَى على أَنَّهُ مُوَلَّدٌ، فَفِيه: «واعْتَبَرَ فُلانًا عالِمًا: عَدَّهُ عالِمًا وعامَلَهُ مُعامَلَةَ العالِمِ (مو)».

وهذه الرُّخْصَةُ الصادِرَةُ عن مُعْجَمِ المَجْمَعِ في (اعْتِبار) الفِعْلِ: اعْتَبَر بمعنى عَدَّ وليس بمعنى اتَّعَظَ: مُوَلَّدًا، تجاوَزَها المُنْشِئُونَ والمُعَبِّرونَ العَصْرِيُّونَ الذين تَرَخَّصُوا (فأخذُوا بِعَيْنِ الاعْتِبارِ). فَجَعَلُوا للاعْتِبارِ عَيْنًا! وهي عَيْنٌ يُؤْخَذُ بها كما يُؤْخَذُ باليَدِ.. فيا لَهُمْ من (آخِذِيْن بِعَيْن الاعْتِبارِ)!.

وأعودُ إلى موضوعِ المعنى العامِّيِّ للفِعْلِ: اسْتَعْبَرَ؛ بمعنى: وَزَنَ، وَهوَ المَعْنَى الذي أَوْرَدَهُ (القاموسُ المُحيطُ) ولْكِنْ في الرُّباعِيِّ المُضَعَّف: عَبَّرَ، كما رأينا، ولْكِنَّه في (المُعْجَمِ الوَسيط) عَبَّرَ عن هذا المعنى للوَزْنِ في الثُّلاثِيّ: عَبَرَ! وهو في (لسان العرب) لابن منظور في: عَبَرَ وَعَبَّرَ واسْتَعْبَرَ، وذلك في قولِهِ:

«واسْتَعْبَرَهُ إيّاها: سَأَلَهُ تَعْبِيرَها.. قال الأَصْمَعِيُّ: يُقالُ في الكَلامِ: لَقَدْ أَسْرَعْتَ اسْتِعبارَكَ للدَّراهِمْ أَي اسْتِخْراجَكَ إيّاها».

ألم أَقُلْ إنّ اختصارَ المُعْجم العربيّ، قديمِه وحديثِه، قد يوقِعُ المُتَسَرِّعينَ من أنصار النَّقدِ اللُّغويِّ، في تخطيءِ بعضِ الصحيحِ؟!

عباية وعبّاها

العَبايَة، بالياء كالعَباءَة (وفي القاموس: وقصره أفصح)، والفِعْل العامّيّ الفصيح عبّا يُعَبّي بمعنىٰ هيّأ..

وللعَبايَة قصّةٌ رَمْزِيّة من أيّام (السَّفَربَرّ).. أي:

الحرب العالَمِيّة الأُولىٰ والمُقاوَمَة السَّلبية. ومن أيّام الحرب العالَمِيّة الثّانية، تجدُ للعَبَاية أغنية سهام رِفْقي (يا امُّ العَبَاية).. وقصّة (عَبَايَة) أيّام حَرْب (السَّفَربَرّ):

حين كان الوَالي العُثمانيّ جمال باشا السّفّاح يُرْسِلُ مَنْ يَجْمَعُ الرّجال للحَرْب من الطُّرُقَات اعْتِباطًا فَيُؤْخَذُون إلى (قُرْعَة) كَمِثْلِ سَحْبِ أوراق الحظِّ والبَخْتِ، فَمَنْ سَعِدَ بِوَرَقَةِ حَظٍّ تُعْفِيْه من الإعدام كانَ يُساقُ إلى جَبْهَةِ الحَرْب ضِدَّ (المُوسْكُوف) في (تْشَناقَلْعَة) مَشْيًا على الأقدام بَرًّا ولذلك سُمِّيت أيّام (السَّفَر بَرّ)... فاصْطَلَحَ أهلُ الشّام على أنْ يَصرخُوا (عَباية) كلّما رأَوْا الزَّبانِيَة من جامِعِي العَسْكر العُثْمانيّ قادِمين من بعيد فإذا سَمِع الرِّجالُ في الطُّرُقاتِ هذا الاصطلاحَ الرَّمْزيّ (عَبَايَة) فَهِمُوا أنّ عليهم أنْ يَخْتَفُوا سَريعًا من وَجْه هؤلاء الزَّبانِيَة...

في (لسان العرب) ع ب ا: وفي (القاموس.. والتّاج..) ع ب ي: «عَبَا المتاعَ عَبْوًا وَعَبّاهُ: هيّأه. وَعَبَّىٰ الجَيْش: أَصْلَحَهُ وهيَّأه تَعْبِيَةً وتَعْبِئَةً وتعبيئًا. وقال: أبو زيد: عَبَّأْتُه بالهَمْز.

والعَبَايَة ضَرْبٌ من الأكْسِيَة واسِعٌ فيه خُطُوط سُودٌ كِبار، والجَمْع عَباء. وفي الحديث: (لِباسُهم العَباء) وقد تَكَرَّر في الحديث، والعَبَاءَةُ لغةٌ فيه. [وفي القاموس: وقَصْرُه أفصح].

... قال ابنُ سِيْدَه: قال ابنُ جِنّي وقالُوا عباءة وقد كانَ يَنْبَغي لـمّا لَحِقَتِ الهاءُ آخِرًا وجَرَىٰ الإعرابُ عليها وقَوِيَتِ الياءُ لِبُعدِها عن الطَّرَف ألّا تُهْمَزَ وألّا يُقال إلّا عَباية فيقتصر على التَّصحيح دونَ الإعلال..».

ولٰكنْ في (القاموس.. والتّاج..) تجدُ العباية في ع ب ي فليْسَتْ واويّة. ومن المعروف أنّهما يَفْصلان فيما لامُه واوٌ أو ياءٌ.. وليسَ في (مُحيط المُحيط) ما أزيدُه ويُسَجِّل أحمد أبو سعد أنّ العَبَايَة لغةٌ في العَبَاءَة وذلك في ص١٧٨ من (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) وكذلك يُسَجِّلُها د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) فهي في الدّارِجَة المِصْرِيّة أيضًا.

العَتَبَة والعِتَاب

يقولُونَ عِنْدَنا: (يَظَلُّ عاتِبًا علينا كأنّه يَظَلُّ يَحْمِلُ عَتَبَةَ الباب..) واشْتُهِرَتْ في البُلْدانِ أغنيةُ (العَتَبَة زُجَاج.. والسُّلّم نايلو نايلو..).. وَعَتَّبْتُ بَيْتَهُ في مِصْر وفي الشّام.. وقد ذَكَرَ الفِعْل عَتَّبَ العَتَبَة د. عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

وعَاتَبَ عِتابًا ومُعاتَبَةً من فصيح العَوَامّ في مِصرَ والشّام وغيرِهما فهم يَتَعاتَبُون.

وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس: «ع ت ب أصْلٌ صحيحٌ، يرجع كلّه إلى الأمر فيه بعضُ الصُّعوبة من كلامٍ أو غيرِه. من ذلك العَتَبَة وهي أسكُفّة الباب، وإنّما سُمِّيَتْ بذلك لارتفاعها عن المكان المُطمَئِنّ السّهل، وعَتَباتُ الدُّرْجَة: مَرَاقِيْها. كلُّ مِرْقاةٍ من الدُّرْجَة عَتَبَة. ويُشَبَّهُ بذلك العَتَبَات تكونُ في الجِبَال، والوَاحِدَة عَتَبَة، وتُجْمَع أيضًا على عَتَب. وكُلُّ شَيْءٍ جَسَا وجَفَا فهو يُشْتَقُّ له هذا اللفظ. يُقال: فيه عَتَبٌ، إذا اعْتَراه ما يُغيِّره عن الخُلوص.. ويقولُون: حُمِلَ فلانٌ على عَتَبةٍ كَرِيْهَةٍ وَعَتَبٍ كَرِيْهٍ من بَلاءٍ وشَرٍّ؛ قال المُتَلَمِّس:

يُعْلَىٰ على العَتَبِ الكَرِيْهِ ويُوبَسُ

ويُقالُ للْفَحْل المَعْقُول أو الظّالِع إذا مَشَىٰ على ثلاثِ قَوَائمَ كأنّه يَقْفِزُ: عَتَبَ عَتَبانًا. قال الخليل:

وهذا تشبيه، كأنّه يَمْشِي على عَتَبات الدّرجةِ فَيَنْزُو من عَتَبَةٍ إلى عَتَبَةٍ. ويُقال: عَتَّب لنا عَتَبَةً؛ أي: اتَّخِذْها.

ومن الباب، وهو القياس الصّحيح: العَتْبُ: المَوْجِدَة. تقولُ: عَتَبْتُ على فلان عَتْبًا ومَعْتَبَة، أي: وَجَدْت عليه. ثمّ يُشْتقّ منها فَيُقال: أَعْتَبَني، أي تَرَكَ ما كُنْتُ أَجِدُ عليه ورَجَعَ إلى مَسَرَّتي؛ وهو مُعْتِبٌ راجعٌ عن الإساءة. وأنشد:

عَتَبْتُ على جُمْلٍ ولَسْتُ بشامِتٍ
بُجملٍ وإنْ كانَتْ بها النَّعْلُ زَلَّتِ

ويقولُون: أَعْطاني العُتْبى، أي أَعْتَبَني، ولك العُتْبَى.. والتَّعَتُّبُ.. والمُعاتَبة ويُقال للرّجلُ إذا طَلَبَ أنْ يُعْتَبَ: قد اسْتَعْتَب. قال أبو الأسْوَد:

فعاتَبْتُه ثمّ رَاجَعْتُه
عِتابًا رَقِيقًا وقَوْلًا أَصِيلا
فأَلْفَيْتُه غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ
ولا ذاكِرَ اللهَ إلّا قليلا».

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «أَبْدِلْ عَتَبَة بابِك: جَعَلَها إبراهيمُ - صلوات الله عليه - كِنايَةً عن الاسْتِبْدال بالمرأة...

...وتَعَتَّبَ فُلانٌ: لَزِمَ عَتَبَةَ البابِ لا يَبْرَحُ. ولِفُلانٍ عَلَيّ مَعْتَبَةٌ...

...واسْتَعْتَبَهُ: اسْتَرْضاه. (وما بَعْدَ المَوْت مُسْتَعْتَبٌ) وبَيْنَهم أُعتوبَةٌ إذا كانُوا يَتَعاتَبُون.. وعاتَبْت المَشِيْبَ؛ قال النّابِغَة:

على حين عاتَبْتُ المشِيبَ على الصِّبا
وقُلْتُ ألمّا أَصْحُ والشَّيْبُ وازِعُ»

ومن (القاموس المُحيط): «..والعِتْبُ - بالكَسْر - المُعاتِبُ كثيرًا. والأُعْتُوبَة ما تُعوتِبَ به.. والعَتُوب: مَنْ لا يَعْمَلُ فيه العِتابُ... وما عَتَبْتُ بابَه: لم أَطَأْ عَتَبَته».

ومن (لسان العرب): «..قال الغَطَمَّش الضَّبِّيُّ وهو من بني شُقْرَة بن كَعْب بن ثَعْلَبة بن ضَبَّة، والغَطَمَّش: الظّالِمُ الجائرُ:

أقولُ وقد فاضَتْ بِعَيْني عَبْرَةٌ
أَرَى الدَّهْرَ يَبْقىٰ والأَخِلّاءُ تَذْهَبُ
أَخِلّايَ! لو غَيْرَ الحِمامِ أصابَكُم
عَتَبْتُ، ولٰكنْ لَيْسَ للدَّهْرِ مَعْتَبُ

... وقال الشّاعر:

أُعاتِبُ ذا المَوَدَّة من صَدِيقٍ
إذا ما رابَني منهُ اجتِنابُ
إذا ذَهَبَ العِتابُ فليسَ وُدٌّ
ويَبْقىٰ الوُدّ ما بَقِيَ العِتابُ

... وأَعْتَبَهُ: أَعْطَاهُ العُتْبىٰ وأَرْضَاهُ، قال بِشْرُ بنُ أبي خازِمٍ:

غَضِبَتْ تَمِيمٌ أنْ تُقَتَّلَ عامِرٌ
يومَ النِّسارِ، فأُعْتِبُوا بالصَّيْلَم

أي: أَعْتَبْناهُم بالسَّيْف؛ يَعْنِي: أَرْضَيْناهُم: بالقَتْل.

وقال شاعر:

فَدَعِ العِتابَ فَرُبَّ شَرٍّ
هاجَ، أَوَّلُهُ، العِتابُ».

عتم

فُصحاؤنا لا يقولون (العتمة) بمعنى الظُّلْمَة، ما يقولُها العَوَامّ، على أنّها فصيحة، مع أنّ فُصحاءَنا قد يَسْتَعْملون الفِعْل (ما عتّم أن فَعَل..)؛ أي: ما أبطأ، ومع أنّ أحمد رضا قد أَقرّ فَصَاحتها مُحرَّكَةً بالفَتْح: العَتَمَة من زُهاء نِصْف قَرْن في مُعْجَمِه (مَتْن اللغة) ثمّ في كتابه (ردّ العامّيّ إلى الفصيح)

في لبنان سنة ١٩٤٦م، ثمّ ذَكَرها مِنْ مِصْر د. عبدالمُنْعم سيّد عبدالعال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) واسْتَشْهدَ بقول أبي دَهْبَل الجُمَحِيّ:

وَأَخْرَجْتُها من بَطْن مكّةَ بَعْدَما
أَصاتَ المُنادِي للصَّلاةِ وَأَعْتَما

وفي (لسان العرب): «عَتَم الرَّجُلُ عن الشَّيء يَعْتِمُ وَعَتَّمَ: كَفَّ عنه بَعْد المُضِيِّ فيه... وقِيل: عَتَّمَ: احْتَبَسَ عن فِعْل الشَّيْء يُرِيْده. وعَتَم عن الشَّيْء يَعْتِمُ وَأَعْتَم وعَتَّمَ: أبطأ، والاسمُ العَتَمُ. وَعَتَمَ قِراهُ: أَخَّرَهُ. وقِرًى عاتِمٌ ومُعَتِّمٌ بَطيءٌ مُمْسٍ، وقد عَتَم قِراه. وأَعْتَمَه وَعَتَّمَهُ؛ أي: أَخَّرَهُ. ويُقال: فلان عاتِم القِرَى؛ قال الشّاعر:

فَلَمّا رَأَيْنا أَنَّه عاتِمُ القِرَى
بَخِيلٌ، ذَكَرْنا ليلةَ الهَضْمِ كَرْدَما

ابن برّيّ: ويُقال: جاءنا ضَيْف عاتِم إذا جاء ذلك الوَقْتَ... وأَعْتَمْتَ حاجَتَك، أي: أَخَّرْتَها وقد عَتَمَتْ حاجتُك.. وأَعْتَمَت: أبطأَتْ.. وقال الطِّرِمّاح يمدح رَجُلًا:

متى يَعِدْ يُنْجِزْ، ولا يَكْتَبِلْ
منه العطايا طول إعْتامِها

وَحَمَل عليه فما عَتَّمَ أي: ما نَكَل ولا أَبْطأَ.

والعَتَمَة ثُلُث الليل الأَوّل بَعْدَ غَيْبُوْبَةِ الشَّفَقِ. أَعْتَمَ الرَّجُلُ: صار في ذلك الوَقْت. ويُقال: أَعْتَمْنا من العَتَمَةِ كما يُقال: أَصْبَحْنا من الصُّبْح. وأَعْتَمَ القَوْمُ وعَتَّمُوا تَعْتيمًا. سارُوا في ذلك الوَقْت، أو أَوْرَدُوا أو أَصْدَروا، و عَمِلوا أيَّ عَمَلٍ كان.

وقيل: العَتَمَة وَقْت صَلاةِ العِشاء الأخيرة... ابن الأعرابيّ: عَتَمَ اللَّيْلُ وأَعْتَمَ: إذا مَرَّ قِطْعَةٌ من اللَّيْل... وأهل البادية يُريحونَ نَعَمَهم بُعَيْدَ المَغْرِب ويُنيخونَها في مُراحِها ساعةً يَسْتَفيْقونها، فإذا أفاقت وذلك بعد مَرِّ قِطْعة من الليل أَثارُوها وحَلَبوها، وتلك السّاعةُ تُسَمَّى عَتَمَةً، وسَمِعْتهم يقولون: اسْتَعْتِموا نَعَمَكم حتّى تُفيق ثمّ احْتَلِبوها. وفي حديث أبي ذَرٍّ (..واللِّقاح قد رُوِّحَت وَحُلِبَت عَتَمَتُها) أي حُلبت ما كانت تُحْلَب وَقْتَ العَتَمَة...

وَعَتَمَةُ الليل: ظَلامُه.. وناقة عَتُوم: وهي التي لا تَزالُ تَعَشَّى حتّىٰ تَذْهَبَ ساعةٌ من الليل، ولا تُحْلَبُ إلّا بَعْد ذلك الوَقْت؛ قال الرّاعي:

أُدِرُّ النَّسا كيْلا تَدِرَّ عَتومُها

والعَتُوم: النّاقةُ التي لا تَدِرُّ إلّا عَتَمةً. قال ابن برّيّ: قال ثعلب: العَتومة: النّاقة العزيزة الدَّرّ؛ وأنشد لعامر بن الطُّفَيْل:

سُودٌ صَناعِيَةٌ، إذا ما أَوْرَدُوا
صَدَرَت عَتُومَتُهُمْ ولمّا تُحْلَبِ

صُلْعٌ صَلامعةٌ، كأنَّ أُنُوفَهُمْ
بَعَرٌ يُنَظِّمُهُ الوَليدُ بِمَلْعَب

لا يَخْطُبونَ إلى الكِرامِ بَناتِهِم
وتَشِيبُ أَيِّمُهُمْ وَلَمّا تُخْطَبِ

سُودٌ صَناعِيَةٌ: يَصْنعُون المالَ وَيُسَمِّنونَهُ، والصَّلامِعَةُ: الدِّقاقُ الرُّؤُوْس..».

وكلّ هذا في (القاموس.. والتّاج..) ومنهما أُضِيْف: «..والنُّجومُ العاتماتُ: هي التي تُظْلِمُ من غَبْرَةٍ في الهواء وذلك في الجَدْب لأنّ نجوم الشّتاء وأَشدُّ إضاءَةً لِنَقَاءِ السّماء وبه فُسِّرَ قولُ الأَعْشَىٰ:

نجوم الشّتاءِ العاتمات الغوامضا».

وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس: «ع ت م أصل صحيح يَدُلّ على إبطاءٍ في الشَّيْء أو كَفٍّ عنه».

وفي (أساس البلاغة) كما في المَعاجم الأُخرى عن ابن الأثير: «وَغَرَسَ سلمانُ كذا وَدِيَّةً ورسول الله - ﷺ - يناوله فما عَتَّمَتْ منها وَدِيَّةٌ أي: ما أبطأت حتّى عَلِقَتْ».

العَجْن واللَّتّ

(اللَّت والعَجْن وعَلْكُ الجِلْد والعلاك واللَّبْي والبَرْم والعَجُوز البَرَّامة واللَّعْو واللَّعِي والعَيّ) كلّه في العامّيّة كثرة الكلام الفارغ وقلّة الفائدة منه.. وتجد كلًّا في مَوْضِعِه.

ولم أجدْ في الفصيح عَجْنًا بمعنى الثَّرْثَرَة والكلامِ الفارغ، ولٰكنّ إقران العَجْن باللَّتّ أو اللَّتّ لَعَلَّه ممّا أدَّىٰ إلى هذا المعنى المَجَازيّ... وإبدال التّاء بالثّاء اللِّثَوِيَّة من عادات العوامّ، تَخَفُّفًا من اللِّثَوِيّات...

وفي مصر أيضًا، يقول د. عبد المنعم سيّد عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة):

«نقولُ في دارِجتنا: لَتَّ العجينَ: بَلَّ دقيقَه بالماء، ثمّ أخذ يُحرّكُه بأطراف أصابعه المَرَّة بعَدَ المَرَّةِ تمهيدًا لِعَجْنه. ونقول: فلان يَلِتُّ وَيَعْجِنُ: كثير الكلام، يقول ويُعيد القَوْل في غير فائدة».

قلت: فالعَجْن مَقْرونًا باللَّتّ مَجازٌ يَدُلّ على الثَّرْثَرَة في الكَلام بلغة التَّصْوير البَيانيّ العامّيّة ولِلْعامَّةِ صُوَرٌ بَيانِيَّةٌ فَصيحة أخرى من العَجْن حين يقولون: فلان عجين أو عجينة، كقولهم فلان فطير.. فهو ما يزال رخوًا ضعيفًا لم يَشْتَدّ عُوده، وفي مثل هذه المعاني أو قريب منها وَرَد في (لسان العرب):

«..والعاجِنُ من الرِّجالِ: المُعْتَمِدُ على الأرض بِجُمْعِهِ إذا أراد النّهوض من كِبَرٍ أو بُدْنٍ؛ قال كُثَيِّر:

رأتني كأشلاء اللِّجام، وبَعْلُها
من المَلْءِ أَبْزَى عاجنٌ مُتَباطِنُ

...ابن الأعرابيّ: العُجُنُ: أهل الرَّخاوَة من الرِّجال والنّساء. يُقال للرّجل عَجِيْنَة وعَجِين، وللمرأة عجينة لا غَيْرَ، وهو الضَّعِيفُ في بَدَنِهِ وَعَقْلِه.. يُقال: خَبَزَ وَعَجَنَ وَثَنَّىٰ وثَلَّثَ وَرَصَّ؛ كلّه من نعت الكبير.

وعَجَنَ وأَعجن إذا أَسَنَّ فلم يَقُمْ إلّا عاجِنًا؛ قال الشّاعر:

فأَصْبَحْتُ كُنْتِيًّا، وهَيَّجْتُ عاجِنًا
وشَرُّ خِصال المَرْءِ كُنْتٌ وعاجن

[الكُنْتِيّ ككُرْسِيّ: القَوِيّ الشّديد كما في (القاموس.. والتّاج..)] وأهمل ابن منظور والجوهريّ: كَنَتَ في خلْقه أي قَوِيَ واسْتَدْرَكه الصّاغانيّ في التّكملة عن ابن الأعرابيّ، وفي حديث ابن عُمَرَ: أنّه (كان يَعْجِنُ في الصَّلاة فقيل له: ما هذا؟ فقال: رأيت رسولَ الله - ﷺ - يعجن في الصَّلاة) أي: يَعْتَمِد على يَدَيْهِ إذا قامَ كما يَفْعَل الذي يَعْجِن العَجِين.

قال الليث: والعَجّان: الأحْمق، وكذلك العجينة، ويُقال: إنّ فلانًا لَيَعجن بِمِرْفَقَيْه حُمْقًا...

وَأَعْجَنَ: إذا جاء بِوَلَدٍ عَجِيْنَةٍ، وهو الأحمق. والعَجين: المَجْبوسُ من الرّجال». [الذي يُؤتىٰ طائعًا].

وفي (القاموس.. واللسان..):

«عَجَنَه يَعْجِنُه: من حَدَّيْ: ضَرَبَ ونَصَرَ. عَجْنًا فهو مَعْجُون وَعَجِين: اعْتَمَدَ عليهِ بجمْع كَفّه يغمزه، كاعْتَجَنَهُ...».

وفي (أساس البلاغة): «عَجَنَ وخَبَزَ: شاخ وكَبُرَ لأنّه إذا أراد القيام اعتمد على ظهور أصابع يَدَيْه كالعاجِن وعلى راحتَيْه كالخابز».

وفي (التّاج..) «وممّا يُسْتَدْرَكُ عليه:.. والمَعْجُون: كُلُّ دَواءٍ خُلِطَت أَجْزاؤه وَعُجِنَت مع بعضها [كذا وَرَدَ].. وَأَعْجَنَ الرَّجُل: أَسَنَّ، وأيضًا: جاء بِوَلَدٍ عَجينَة..».

وانظر في اللام: اللّتّ واللتلتة.

العَجْوَة

العَجْوَة تَمْرُ المَدينة المُنَوّرة في لغة أهل دمشق.

وفي (لسان العرب) كما في (القاموس.. والتّاج..):

«..والعَجْوَة ضَرْبٌ من التَّمْرِ يُقال هو ممّا غَرَسَهُ النّبيُّ - ﷺ - بيَدِه، ويُقال: هو نَوْعٌ من تَمْرِ المدينة أكبر منَ الصَّيْحانيِّ يَضْرِبُ إلى السّواد من غَرْسِ النبيِّ، ﷺ. قال الجوهريّ: العَجْوَة ضَرْبٌ من أَجْوَدِ التَّمْرِ بالمدينة ونَخْلَتُها تُسَمَّىٰ لِيْنَةً؛ قال الأزهريّ: العَجْوَةُ التي بالمدينة هي الصَّيْحانِيَّةُ...

..وقيل لِأُحَيْحَة بن الجُلاحِ: ما أَعْدَدْتَ للشِّتاء؟ قال: ثلاثمائة وستّين صاعًا من عَجْوَة تعطي الصّبيَّ منها خمسًا. فيردّ عليك ثلاثًا.

(والعَجْوة في الحِجاز: التَّمْرُ الْمَحْشِيُّ) وهي أُمُّ التَّمْرِ الذي إليه المَرْجِع كالشِّهْريزِ بالبَصرةِ والتَّبِّيِّ بالبَحْرَيْن والجُذامِيِّ باليَمامة؛ وَتَمْرٌ بالمدينة..».

ولا تزيدنا المعاجم الحديثة مثل (مُحيط المُحيط) وغيره توضيحًا.

عَجَى العَجِيَّ عَجْيًا وعَجاهُ عَجْوًا

تَرَدَّد على أَلْسِنَة الرِّيفِيِّينَ، أَكْثَر من المَدَنيِّين، معاني العَجْو والعجي فَيَأْخُذون بِبَعْضِها في بَعْض أَرْيافِنا، وَبِبَعْضِها الآخر في أَرْياف أو مُدُن أُخْرى، وكلّها ممّا يكاد يُشابه الفصيح أو يَتطوّر منه لَفْظًا وَمَعْنًى، ولا سيّما في قَوْلِهم لِلْوَلَد: «العَجِي. والبنت: العَجِيَّة، والجمع العَجايا».

ولم أجد مِن كُتّاب فِصاح العامّيّة مَن اهتمّ بها، وتَجْتَزِئ المعجمات الحديثة منها، فأجد المعاني العامّيّة مُتَناثرة فيما بَيْن تَراكيب المَعاجم التُّراثيّة: ففي: ع ج ى: لابن فارس في (مقاييس اللغة): «العين والجيم والحَرْف المُعْتَلّ أَصْل صَحيح يَدُلّ على وَهَنٍ في شيء إمّا حادثًا وإمّا خِلْقَةً:

... وممّا يَدُلُّ على صِحّة هذا القِياس قَوْلُهم للأمّ: هي تَعْجُو ولدَها، وذلك أنْ يُؤَخَّر رَضاعُه عن مواقيته؛ ويُورِثُ ذلك وَهَنًا في جِسْمه قال الأعْشَىٰ:

مُشْفِقًا قَلْبُها عليه فما تعـ
جـوه إلّا عُفافَةٌ أو فُواقُ

العُفافَةُ: الشّيء اليَسِيْر. والفُواق: ما يجتمع في الضَّرْع قبل الدِّرَّة.

وتعجوه؛ أي: تُداويه بالغِذاء حتّى يَنْهَض. واسم ذلك الوَلَدِ العَجِيُّ، والأُنثى عَجِيَّة، والجَمْع: عَجايا. قال [في (التّاج..)]: أنشده الجوهريّ:

عَداني أَنْ أَزُورَك أَنَّ بَهْمِي
عَجايا كُلُّها إلّا قَلِيلا

وإذا مُنِعَ الوَلَدُ اللَّبَنَ وغُذِّي بالطَّعام، قيل: قد عُوجِي. قال ذو الإصبع [وفي (اللسان..) ع ج ا]: أنّه للنابغة الجَعْدي:

إذا شِئْت أَبْصَرْت من عَقْبِهم
يَتامى يُعاجَوْنَ كالأَذْؤُبِ».

وأضيف من (لسان العرب): «.. والعُجْوَة والمُعاجاة أن لا يكون للأمّ لَبَنٌ يُرْوِي صَبِيَّها فَتُعاجيه بشيءٍ تُعَلِّلُه به ساعةً، وكذلك إنْ وَلِيَ ذلك منه غَيْرُ أُمِّه، والاسم منه: العُجوة. والفعل: العَجْو. واسم ذلك الولد العَجِيّ، والأُنثى عَجِيَّة. وفي الحديث: (كنت يتيمًا ولم أكن عَجِيًّا).

وأمّا مَن مُنِعَ اللبنَ فَغُذِّيَ بالطّعام فيُقال: عُوجِيَ. وَعَجِيَ هو يَعْجَن عجًا، ويقالُ للّبن الذي يُعاجَن به الصَّبِيُّ: عَجاوَة.

قال الأزهريّ: قال الطِّرمّاح يصف صائدًا له أولادٌ ولا أُمّهاتٍ لهم فهم يُعاجَوْن تَرْبِيَةً سَيِّئَة:

إنْ يُصِبْ صيدًا يكُن جُلُّهُ
لعَجايا قُوتُهُم باللِّحام

وقال ابن شُميل: يُقال: لَقِيَ فلان ما عَجاه وما عَظاه وما أَوْرَمَه: إذا لَقِيَ شِدَّة وبَلاءً».

وفي (القاموس.. والتّاج..): «العَجْوَة والمُعَاجاةُ أن تُؤَخِّر الأمُّ رَضاعَ الوَلَدِ عن مَواقيته، ويورث ذلك وَهنًا، وظاهر سياقه أنّ العَجْوَة هنا بهذا المعنى مَفْتُوح العَيْن، ونصّ (المُحْكَم..) بِضَمِّها... وجَمْع العَجِيّ: عَجايا - بالضّمّ والفتح... والعُجْوَة - بالضّمّ - لَبَن يُعاجن به الصّبيّ اليتيم أي: يُغَذَّى، كالعُجاوة: بالضّمّ والكسر.

وَعَجَا البَعِيرُ يَعْجُو عَجْوًا: رَغا. وعَجا فاهُ: إذا فَتَحَه. وَعَجَا وَجْهَهُ: زَوَاه وَأَمالَه. وفي (التّهْذيب..): عجا شِدْقَهُ: لَواهُ؛ وقيل: فَتَحَه وأمالَهُ، كَعَجّاهُ؛ بالتَّشْدِيد، وعجا البَعيرُ: شَرِسَ خُلقه.

[وبالواو والياء]: وقال الأصمعيّ: العُجاوَة والعُجايَة؛ لُغتان؛ وهما قَدْر مُضْغَةٍ من لَحْمٍ تكون مَوْصُولة بِعَصَبَةٍ تَنْحَدِر من رُكْبة البَعِير إلى الفِرْسِن.

والعُجَى: الجُلودُ اليابِسَة تُطبَخ وتُؤْكَل: الواحدة عُجَيَّة - بالضّمّ - وأنشد الجوهريّ للبَراء بن رَبَعيّ الأسدي [وَنَسَبه (اللسان).. إلى أبي المُهَوِّش]:

وَمُعَصَّبٍ قَطَعَ الشِّتاءَ وَقُوْتُهُ
أَكْلُ العُجَىٰ وَتَكَسُّبُ الأَشْكادِ

فبدأته بالمَحْضِ ثمّ ثَنَيْتُه
بالشَّحْمِ قبل مُحَمَّدٍ وزيادِ

والأشكاد جمع شُكْدٍ وهو العَطاء:

وممّا يُسْتَدْرَك عليه: المُعاجاة: المُعاناة والمُعالجة في الأمر. ومنه قول بعض الأعراب لمّا قال له الحَجّاج: إنّي أراك بصيرًا بالزّرع: إنّي طالما عاجَيْتُه.

ولَقِيَ فُلان ما عَجاهُ؛ أي: شِدَّةً وبَلاءً.

وَلَقَّاهُ اللهُ ما عَجاهُ وما عَظاهُ؛ أي: ما ساءَهُ، نَقَلَه الجَوْهَريّ.

وَرَجُلٌ أَعْجَى: غَليظ ما بَيْن العَيْنَيْن، نَقَلَه الصّغانيّ.

وَعَجَتِ المَرْأَةُ صَبِيَّها عَجْيًا: لغة: نَقَله ابن القطّاع».

العِرْزال

العِرْزال في عامّيّة البلاد الشّاميّة اليوم ما يَزال كما وَرَد في المُعجم العربيّ التُّراثيّ، كما في (لسان العرب) و(القاموس المحيط) و(تاج العروس).. وغيرها، فما زالت العامّيّة عندنا تَسْتَعْمله فصيحًا لفظًا ومَعْنًى.

وفي (اللسان..) و(القاموس..) و(تاج العروس..): «العِرْزال: أيضًا: مَوْضِع يتّخذُه النّاطر والنّاطُور في أطراف النّخل وفوق أطراف

الشَّجَر . . . وسقيفة النّاطور تسمّىٰ عِرزالًا .

والعِرْزال : البقيَّة من اللحم، وقِيْل : هو شِبْه الجُوالِقِ يُجْمَع فيه المَتَاع» [قُلْت الجوالق تسمّيه العامّة : الشّوال].

[وقُلْت : (النّاطور) في نصّ (اللسان . .) و(القاموس . .) و(التّاج . .)، وقد اسْتَعْمَل ابنُ منظورٍ كلًّا من النّاطِر والنّاطُور في هذا النّصّ، وانْظُر في : ن ط ر].

«قال شمر : بقايا المَتاع : عِرْزال . . وما يُخْبَأُ للرجل عرزال . . والعِرْزال بَيْت صغير يُتَّخَذُ لِلْمَلِكِ إذا قاتَل، وقد يكون لِمُجْتَنِي الكَمْأَة . . وَعِرْزالُ الرَّجُلِ : حانوته . وعِرْزال الحَيَّة : جُحْرُها . . .

. . . والعِرْزال : غُصْنُ الشَّجَرَة، وعَرازِيْل الثُّمام : عِيْدانُه . والعِرْزال : الفرقة من النّاس . والعرازيل : المُجَمَّعَةُ من النّاس . وقوم عرازيل مُجْتَمِعون، قال ابن سيده : وأرى أنّهم مجتمعون في لُصُوصيَّةٍ أو خِرابَه ؛ قال :

قُلْتُ لِقَوْمٍ خَرَجُوا هَذالِيل
نَوْكَىٰ ولا يَنْفَعُ للنَّوْكَىٰ القيل
احْتَذِرُوا لا تَلْقَكُم طَمالِيل
قَلِيلَة أموالُهُم عَرَازِيل

هذاليل : مُتَقَطِّعون، والعَرازيلُ عِنْدَ العَرَب : مَظَالُّ ذَلِيلة فيها مُتَيِّعٌ[1] خفيف، والعِرزال الثِّقَل، وألقى عليه عِرْزالَه أي : ثِقَلَهُ، وكذلك ألقى عليه عَرازِيلَه . .

والعِرْزال : عِرِّيْسَة الأسد . . وَعُشّه» .

قُلْتُ : عامّيّة الدّيار الشّاميّة اليوم تستعمل المعنى الذي بَدَأْنا بذكره :

«العِرْزال مَوْضع يَتَّخذه النّاطر والنّاطور في أطراف الشّجر . . ، وسقيفة النّاطور تُسمّى عِرْزالًا» . ولٰكنّني اقتطَفْت من المعاني الأُخرى العديدة في هذا المُشْترك اللفظيّ القديم لأُوضحَ أَصَالَتَهُ في المُعجم العربيّ، فقد قال أحمد أبو سعد في ص٢٩١ من (قاموس التّعابير والمُصْطَلحات الشّعبيّة) نقلًا عن ص٨٩ من كتاب الأب رُوفائيل نَخْلة : (غرائب اللهجة اللبنانيّة السّوريّة) : «عِرْزال : . . . مُعَرَّب قديم من الآراميّة» .

العَراضَة

العَراضَةُ عِنْدَ أهل الشّام : مِثْلُ مَسيرةٍ شَعْبِيَّةٍ، وكأنّها تَظاهرة تُقيمُها مَجْمُوعَة الشُّبَّانِ وهُم يَهْتِفُونَ وَيَهْزِجونَ وَيُنْشدونَ الأناشيد الدّينيَّة الحافِلَةَ بالصّلاةِ على النَّبيّ وتَرْديدِ الأهازيج الشَّعْبيّة، أو هي مُظاهَرَة أو تَظاهُرَة[2] احتفاليَّةٌ اسْتِعْراضِيَّةٌ تُقام تكريمًا لزعيمٍ أو وَجيهٍ أو عَزيزٍ .

(١) في حاشية صفحة (اللسان . .) هاهنا في طبعة بيروت ١٩٥٦ ج٤٣ ص٤٣٩ الحاشية : «١ - قوله : مُتَيِّع : هكذا في الأصل، ولم نجد هذه اللفظة في المعاجم حتّى في اللسان نفسه .» . ا . هـ .

فقلت : مُتَيِّع : تصغير : متاع، لأنّها على صيغة التّصغير القياسيّة، وفي كُتُب المعجم العربيّ اعتادُوا أنْ يختصرُوا، فيُهملوا ذِكرَ القِياسيّ الصَّرْفيّ من المُشْتَقّات إذا لم يكن فيه مُشكِلٌ أو . . مَسْأَلَة . . ولا سِيّما صيغ التّصغير . . وما أكْثَرَ ما فَتَّشْتُ عن مَعْنَىٰ لُوَيّ . . . مثلًا . .

(٢) من كتاب د . إميل يعقوب : (مُعْجم الخطأ والصّواب في اللغة) الصّادر عن دار العِلْم للملايين بيروت سنة ١٩٨٣ ص١٩٣ (يخطّىء إبراهيم المنذر (كتاب المنذر ص١) وزهدي جار الله (الكتابة الصحيحة ص٢٢٠) من يقول : «خَرَجتْ من الجامع مُظاهرةٌ كبيرة» والصّواب عندهما أنْ نقول : «وتظاهرة . . وليس مظاهرة) ولكن د . يعقوب يرى أنّها بالميم أفضل لأنّ للتّظاهُر مَعْنَيَيْن مُتَناقِضَيْن من التّعاوُن ومن تبادُل الظّهور .

أو لِحَفْلَةِ تلبيسِ العروس: أي الذي تسمِّيه العَامّةُ: العريسَ، [وَلَيْسَ في اللُّغَة عَريس بالياء لأنّ العَروسَ في الفصيحِ تُقالُ للذَّكَرِ والأُنْثى على السَّواءِ ولٰكنَّ العامَّةَ اشْتَقُّوا منها العريس للذَّكَر للتَّمييز بَيْنَ كلٍّ منَ العروسينِ، كما ألحقت العامّة بالأنثى تاء فقالوا: العروسة].

وقد يتقدّمُ جماعةَ العراضةِ اللاعبونَ بالسَّيْفِ والتُّرْسِ والحاملونَ على أكتافِهِمْ المُنْشِدَ والهازِجَ والرّاجِزَ والهاتِفَ الذي يُرَدّدونَ مِن حَولِهِ الشِّعاراتِ والأقوالَ... الخ.

وَلَمْ أَجِدْها في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشَّعْبِيَّةِ) لِأَحْمَدَ أَبُو سَعْد مع أنّي ظَنَنْتُها تعبيرًا شعبيًّا من أشهرِ المُصْطَلَحاتِ والتّعابيرِ الشَّعْبِيَّةِ وأهمِّها، وَمَعَ أَنَّهُ اسْتَعْمَل لَفْظَ العَراضَةِ في وَصْفِهِ الزَّفَّةَ: «زفافُ العروس إلى زوجِها وما يرافِقُهُ من عراضاتٍ وَحُدَاءٍ وترديدٍ وأغانٍ» ص٢٣٥. على أَنَّ العَراضَةِ عِبارةٌ عَرَبِيَّةٌ فَصِيحَةٌ مَصْدَرًا لِلْفِعْلِ عَرُض عِرَضًا وعَراضَةً كما في (القاموس المحيط) و(لسان العرب).

وَلَعَلَّهُمْ اشْتَقُّوْها مِن مَصْدَرِ الفِعْلِ عَرُضَ لِأَنَّهُمْ يَتَجَمْهَرُونَ وَيَمْشُونَ فيها صُفوفًا أو جُمُوعًا عَرِيضَةً أَوْ مُعْتَرِضَةً؛ وفي (اللِّسان..): «الأُنْثَى مِن العَريضِ والعُراضِ: عَريضَةٌ وعُراضَةٌ... وتَعَرَّضَ الرِّفاقَ: سَأَلَهُمُ العُراضاتِ. وَتَعَرَّضْتُ الرِّفاق[1] أَسْأَلُهُم أيْ تصدَّيْتُ لهمْ أَسألُهم. وقال اللّحيانيّ: تَعَرَّضْتُ مَعروفَهم وَلِمَعْروفِهِمْ أيْ تَصَدَّيْتُ».

قلْتُ: ولعلَّ هذا يُذَكِّرُنا بالعَراضاتِ التي تَقْصِدُ أَنْ تَسْأَلَ مَسؤولًا أو زَعيمًا أو صاحبَ مَنصِبٍ... تَسْأَلُهُ أَنْ يُحَقِّقَ لها مَطْلبًا ما.. ولعلَّ هذا النّوعَ من العَراضاتِ هو ما تَحَوَّلَ مِنَ الاحْتِفالِ إلى التَّظاهُرِ في التَّظاهُراتِ أو المُظاهَرات..

تَذَكَّرْتُ العَراضةَ حينَ قَرَأْتُ عنْ (فِرْقَةِ العَراضَةِ الشَّامِيَّةِ) في لُوْحاتِ المُشْتَرِكينَ في مُسَلْسَلٍ: (أيّام شاميّة) الذي عُرِضَ على شاشَةِ الرّائي (التّلفازِ) في دمشق منذ أَوَّلِ رَمضانَ سنة ١٤١٤هـ - ٢٢ آذار سنة ١٩٩٣م. وهو المُسَلْسَل الذي يؤرّخ لسنة ١٩١٠م.

وتذكّرت ما كنْتُ سجّلْتُ قديمًا من قراءَتي في (كتاب الأغاني) لأبي الفرج الأصفهانيّ ج٤ ص٣٨٧ في طبعة مُصَوَّرة عن ط. دار الكُتُب بالقاهرة.. «العُراضة: الهديّة يُعَرِّضُ بها الرَّجلُ أَهْلَهُ؛ قال الفرزدق:

كانت عُراضَتُكَ التي عَرَّضتنا
يومَ المدينة زكمة وَسُعالا

وإذا لم يكنْ في الصَّفحات العشرين ونيِّفًا التي عَرَض فيها ابن منظور للمادّة: ع رض في (اللسان..) شَيْءٌ مُطابقٌ للعَراضَة الشَّامِيّة؛ ففيها ما يُوحي بإمكان التَّطَوُّر في دلالات ألفاظها إلى ما يقارب هذا.. ويعود القرار إلى دارس ديوان الفرزدق د. شاكر الفحّام رئيس مجمع دمشق».

العَزَب والمُعَزِّب

العازِب والعَزَب: غير المُتزوِّج عامّيّ فصيح

(١) الرِّفاق: في لغة ابن منظور في (لسان العرب)؛ وألاحظ أنّ بعض أصحابِ معاجم (الأخطاء الشّائعة) كانوا فَضَّلوا أنْ يجمع رفيق على رُفَقاء، ورأوا أنّ الرّفيق المُفْرَدة تَصْلُح جَمْعًا أيضًا كما في الآية: ﴿وحَسُن أولئك رفيقًا﴾ الآية ٦٩ من سورة النّساء. ورأوا أنّ الرِّفاق هو الحَبْل الذي يُرْفَق به عَضُدُ النّاقة إذا خِيفَ أنْ تَنْزَع إلى وطنها. ويَرُدّ عليهم العدنانيّ في (مُعْجم الأخطاء الشّائعة): «ولكن جمعُ فَعيل على فِعال قياسيّ وجُلُّ المعجمات لا ترى ضرورةً لِذِكرِ جُموع التّكسير القياسيّة».

معروف تشير إليه كُتُبُ فِصاح العامّيّة. وأجازَ بعضُ اللغويِّيْن (الأَعْزَب) أيضًا، كما في (المصباح المنير..) للفيّوميّ، عن الأزهريّ في (تهذيب اللغة)، فقياس مؤنّثِه (العَزْباء).

لُكنّ (المُعَزِّبَ) في البلاد الشّاميّة هو المُضيف الذي يقوم على خِدْمة الضَّيْف.. وفيه قال أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح)..

«ويقولون: عَزَّبَ الضَّيْفَ إذا قامَ بِحَقِّ ضِيافَتِه ومُعَزِّبَة الرَّجُل: أَهْلُه التي تقومُ بِخِدْمَته وإدارةِ بَيْتِه».

وفي اللغة: المِعْزَبَة: امرأة الرَّجُل يَأْوي إليها فتقومُ بإصلاحِ طَعامِه وحِفْظِ أَداتِه. وهو مَجاز، وهي العازبة أيضًا والمُعَزِّبَة... وفي (اللسان..): «عَزَّبَتْهُ: قامَتْ بأموره. وقال ثعلب: ولا تكونُ إلّا غريبة. وأصلُ المَعْنى في المادّة: البُعْدُ والغُرْبَة. ومنه سُمِّيَ الذي لا زَوْجَ له بالعَزَب؛ ويكونُ اسْمَ جَمْعٍ لعازِب كَخَدَم وخادِم. والمَضيف عازِبٌ عن أَهْلِه أيْ بعيدٌ، ومُضِيْفه يُذْهِب مَرَضَهُ بِقيامِه بأمره. فالمُعَزّب والمُعَزّبَةُ فصيحتان على هذا التَّخْريج..».

ولُكنْ للبُسْتانيّ في (محيط المحيط): «والمُعَزِّب: عند بعض المُوَلَّدين: الضَّيْف».

وفي (لسان العرب):

رَجُلٌ عَزَب ومِعْزابة: لا أَهْلَ لَهُ.. وامرأةٌ عَزَبَة وَعَزَبَ؛ قال [العُجَيْرُ السَّلوليّ] في صفة امرأة:

إذا العَزَبُ الهَوْجاءُ بالعِطْرِ نافحت
بَدَتْ شَمْسُ دَجْنٍ طَلَّةً ما تَعَطَّرُ

وقال الرَّاجِز:

يا مَنْ يَدُلُّ عَزَبًا على عَزَبْ
على ابْنَة الحُمارِسِ الشَّيخ الأَزَبْ

وتَعَزَّب الرَّجُل: تَرَك النِّكاحَ، وكذلك المرأة... وعازِبَة الرَّجُل ومِعْزَبَتُه [ومُعَزِّبَتُه كما (التّهذيب..) للأزهريّ (والتَّكْمِلة..) للصّاغانيّ] وَرُبْضُهُ ومُحَصِّنَتُهُ وحاصِنَته وحاضِنَتهُ، وقابلته ولِحافُه: امرأته.

وعَزَبَتْهُ تَعْزُبُه، وعَزَّبَتْه: قامَتْ بأموره... قال الأزهريّ: ومُعَزِّبَةُ الرَّجُل: امرأتُه يأوي إليها، فتقوم بإصلاح طعامه، وحِفْظ أداته... ويُقال: ليس لفلان امرأة تُعَزِّبُه أي تُذْهِبُ عُزوبَتَه بالنِّكاحِ؛ مثل قولك: هي تُمَرِّضُه أيْ تَقُومُ عليه في مَرَضِه.

وفي نوادِر الأَعراب: فلانٌ يُعَزِّبُ فلانًا ويُرَبِّضُه: يكون له مثل الخازن...

عزب يَعْزُبُ وَيَعْزِب: إذا غاب... وأَبْعَدَ..».

وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس: «ع ز ب أَصْلٌ صَحيحٌ يدلُّ على تباعُدٍ وتَنَحٍّ... وكلُّ شَيْءٍ يَفوتُكَ حتّى لا تَقْدِر عليه فقد عَزَب عنك».

وفي (أساس البلاغة): للزَّمَخْشَرِيّ: «.. وَأَعْزَبَ اللهُ عقلك.. ومن المُسْتَعَار قولُ النَّابغة:

وَصَدْرٍ أَراحَ اللَّيْلُ عازِبَ هَمِّه
تَضَاعَفَ فيهِ الحُزْنُ مِنْ كلِّ جانب

.. ويُقال لامرأة الرَّجُل: مُعَزِّبَتُه؛ وأنشد يعقوب:

مُعَزِّبَتي عند القَفا بعمودها
يكونُ نكيري أنْ أقولَ ذَرِيني».

وكما في (اللسان.. والقاموس).. في (التّاج..) ومنه أزيد:

«وعزبت الإبل: أبعدت في المَرْعىٰ لا تروح، وأعزبها صاحبُها وَبَيَّتَها في المَرْعىٰ.. وفي حديث أبي بكر: (كان له غَنَمٌ فأمر عامر بن فهيرة أنْ يَعْزُبَ

بها أيْ يَبْعُدَ بها)، ويُروى: يعزّب - بالتّشديد - أي يذهب بها إلى عازب [بعيد] من الكَلإ، وتعزّب هو: بات مَعَها..».

قُلْتُ: وكذلك المعزّب المُضِيْف إذا بالغ في إطعام الضَّيْف إكرامًا له...

العَشَم

في المُسَلْسَل الرِّوائيّ (بَسْمَة الحُزن) للمُؤَلِّفة إلْفة عُمَر باشا الأدلبي وفي الحَلْقة... التي بُثَّتْ على شاشة الرّائي في دمشق أوّل مرّة مساء الأحد ١٩/١٢/١٩٩٣ سَمِعْنا أمّ عادل تتحدَّث عن (عَشَمِها) بِكَرَم أخلاق آل الصّاروجي.. أيْ عن طمعها به.. أو رَجائها به وأَمَلِها والعَشَم بمعنى المَأْمَل والمَطْمَع والرَّجاء، تَعْبير واردٌ في أَغْلب العامّيات العربيّة.. ولا سيّما في مصر.. حيث أَقرَّ بفصاحَتِه (المُعْجم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة فَتَبْدأ به في ع ش م: «عَشِمَ فلان يَعْشَم عَشَمًا: طَمِع. وَعَشِمَ الشّيءُ عَشَمًا وعُشومًا وتَعَشَّمَ: يبس». أمّا البُستانيّ في (محيط المحيط) فيبدأ المادّة من باب آخر للفِعْل: «عَشَم البعيرُ يَعْشُمُ عَشْمًا: أخذ فيه السِّمَنُ..» أمّا (المُعْجم المدرسيّ) لأبي حَرْب فأهمَل مادّة هذا الْجُذْر اختصارًا. ولم يَذْكُرْه مُؤَلِّف (ردّ العامِّيّ إلى الفصيح) ولٰكنَّ د. عبد العالم ذَكَرَه في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) فماذا في القديم؟

يبدأ كلّ من (القاموس.. واللسان.. والتّاج..).. ترجمة مادّة ع ش م بِذِكْرِ مَعْنى الطَّمَع ثمّ يَنْتَقِلون إلى معاني اليُبْسُ.. واليُبْس: أَصْل المَعْنى في (مقاييس اللغة) لابن فارس، ولٰكنّ الزّبيديّ في مُسْتَدْرَك (التّاج..) يَعودُ فَيَقول: «.. وَعَشَّمَهُ تَعْشيمًا: طَمَّعَهُ: عامّيّة..» هذا مع أنّه أعادَ في المُسْتَدْرَك ما كان نَقَلَه عن (اللسان): «العَشْم والعَشَمُ: الطّمَعُ؛ قال ساعِدة بن جُؤَيَّة الهُذَليّ:

أَمْ هَلْ تَرَى أَصَلاتِ العَيْشِ نافِعَةً
أم في الخُلودِ ولا باللهِ، منٍ عَشَمِ».

وكان نَقَلَ عن (القاموس): «العَشَم والعَشَمَةُ مُحَرَّكَتَيْن: الطَّمَع». ومع ذلك فقد اسْتَدْرَك عليه في مُسْتَدْرَكِه قائلًا: «والعَشَم بالفَتْح: الطَّمَع».

ولله درُّ العالِم المُعْتَرِف بخطئه حين يُعْلِن تَراجُعه عنه بعد ثُلث قَرْن من نشره بَيْن النّاس وهو من.. بعد الزّبيديّ بِقَرْنَيْن؛ فقد اعترف عبد القادر المَغرِبي أحد مُؤَسِّسي مَجْمَعَي دمشق والقاهرة في كتابه (الاشتقاق والتّعريب) الصّادر في القاهرة في طبعته الأولى سنة ١٩٠٨م ثمّ الثّانية سنة ١٩٤٩ وفيها، أي في ط الثّانية وفي ص٧١ وَرَد:

«يستعمل المصريّون مصدر العَشَم، مكان (الأَمَل) فيقولون: (عَشَمي كذا وأَتَعَشَّمُ كذا) وعندي أنّ اسْتِعْمال هذه الكَلِمة في مثل قولنا: (نتعشّم للبلاد المِصْريّة مستقبلًا سعيدًا..) مُخِلٌّ بفصاحة الكلام ما دام أهلُ اللُّغة أنفسُهُم لم يَسْتَعْمِلُوا أمثالها من الكلمات الأعجميّة الدّالّة على المعاني والأحداث، ما دام لديهم ما يَنوبُ مَنابَها وَيَرْبُو عليها فصاحةً وعُروبة مِثْل: أَرْجو وآمُل وأَطْمَع وأَتَوَقَّع وأَنْتَظِر وأَتَوَسَّم وأرقّب وأسْتَشْرِف وأَتَطَاوَل وأتشوَّف.. فاسْتِعْمالُنا لِأَتعشّم وإعراضُنا عن هذا المَنْهل العَذْب عقوقٌ لِلُّغة وعُدولٌ بها عن مَناهِج أربابها وأساليب أصحابها».

ثمّ وَرَدَ في ص ٧٨ من الطّبعة الثّانية ذاتها قولُ المُؤَلِّف عبد القادر المَغْرِبي ذاته بعنوان: تنبيه.

«اسْتَشْهَدتُ في فصل (نتائج وملاحظات)

(صفحة ٦٨) [يقصد رقم صفحة العنوان] بمادّة العَشَم على المُوَلَّد الذي مَدْلوله حَدث، وبعد طَبْع المَلْزَمة ارْتَبْت في صحّة هذا الاسْتِشْهاد، وكاشَفْتُ المَعاجِم فإذا من معاني العَشَم: الطَّمَع، والطَّمَعُ قد يكون بمعنى الرّجاء الذي يُريده المِصْريّون في اسْتِعْمال كلمة (العَشَم). قال تعالى: ﴿والذي أطمع أنْ يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [السّورة ٢٦/ الشُّعراء: الآية ٨٢].

وإذا لم يُصِبْ عَشَمِي في كَلِمَة العَشَم فلْيَعْتَبِر القارئُ استشهادي بها على سبيل الغَرَض، ثمّ ليُمثِّل في ذلك المقام بكلمة غيرها فلن يَعْدِمَها إذا طَلَبَها».

بَعْدَهُ اسْتَفْصَحَ محمّد العدنانيّ في (معجم الأغلاط اللغويّة المعاصرة) استعمال العَشْم والعَشَم والعَشَمَة بمعنى الطَّمَع والرّجاء ثمّ طالب العدنانيّ مجمع القاهرة باتّخاذ قرار يسمح بقبول الفعلين: عَشِمَ وتعشَّم بمعنى: طمع ورجا... لأنّ مستدرك التّاج كان يعدّ: (تعشَّم) عاميّة كما ذكر.

العَشا والعِشا

وقت صلاةِ العِشا..، من فصيح العَوَامّ وحذف الهمزة تخفيفًا وتسهيلًا ممّا يصحّ في دارِجَتنا وفي الدّارِجة المصريّة كما ذَكَر د. عبد المُنعم سيّد عبد العال في (معجم الألفاظ العاميّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

وفي دارِجَتنا الشّاميّة كثيرٌ من فصيح العَوَامّ في هذه المادّة أيضًا...

وفي وقتِ العَشِيَّة أُعَشّيك وفي أمثالهم: (ضَيْفُ العِشا بَياتٌ أو عَشا..).

وفي (لسان العرب):

«العِشا، مقصور، سُوء البَصَرِ بالليل والنّهار... وقد عَشِيَ يَعْشَىٰ عَشًى، وهوَ عَشٍ وأَعْشىٰ، والأُنثىٰ عَشْواء. والعُشْوُ جَمْع الأَعْشىٰ... وَعَشىٰ الطَّيْرَ: أَوْقَدَ لها نارًا لِتَعْشَىٰ منها فَيَصِيْدُها..

... وخَبَطَه خَبْطَ عَشواء: لم يَتَعَمَّدْه. وفلان خابِطٌ خَبْطَ عَشْواءَ...

... وَعَشَوْتُ إلى النّار أَعْشُو إليها عَشْوًا: إذا اسْتَدْلَلْتَ عليها بِبَصَرٍ ضَعيف؛ قال الحُطَيْئة:

مَتَى تَأْتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ
تَجِدْ خَيْرَ نارٍ، عندَها خَيْرُ مُوقِدِ

... وعَشَوْتُ عنها: أَعْرَضْتُ عنها...

والعُشْوَةُ والعِشْوةُ والعَشْوَةُ: ركوبُ الأَمْر على غيرِ بَيانٍ. وأوطأني عَشْوةً: لَبَسَ عَلَيَّ. والمعنى فيه أنّه حَمَلَهُ على أن يَرْكَبَ أمرًا غَيْرَ مُسْتَبِينِ الرُّشْد فرُبَّما كان فيه عَطَبُه؛ وأصلُه من عَشْواءِ الليلِ وعُشْوَتِهِ مِثْلُ ظَلْماء الليل وظُلْمَتِه...

وعَشَّيْتُ الرَّجُلَ: أَطْعَمْته العَشاء، وهو الطّعام الذي يُؤْكل بعد العِشاء... أو عند العَشَاء ومنه قولُ النّبيّ - ﷺ -: (إذا حَضر العَشاء والعِشاء فابْدَؤُوا بالعَشاء).. وأرادَ بالعِشاء صَلاةَ المَغْرِب.. لأنّها وقت الإفطار ولِضِيْق وَقْتِها.. وإنّما قدّم العَشاء لئلّا يَشْتَغِلَ قَلْبُه به في الصّلاة... وفي المَثَل: سَقَطَ العَشاءُ به على سِرْحَانَ؛ يُضْرَبُ للرَّجُلِ يَطْلُب الأمرَ التّافِهَ فَيَقَعُ في هَلَكَةٍ..

قال الأزهري: رَجُلٌ عَشْيان وهو من ذواتِ الواو لأنّه يُقال: عشيته وَعَشَوْته فأنا أَعْشُوه؛ أي: عَشَّيْتُه وقد عَشِيَ يَعْشَىٰ إذا تَعَشّى... وقولُه:

باتَ يُعَشِّيْها بِعَضْبٍ باتِرِ
يَقْصِدُ في أَسْؤُقِها وجائِرِ

أيْ أقامَ لها السَّيْفَ مَقامَ العَشاء.

والعِشاء: أَوَّلُ الظّلام من صَلاة المَغْرِب إلى العَتمةِ أو من زَوالِ الشّمس إلى طُلوع الفَجْر. . وأنشدُوا:

غَـدَوْنـا غَـدْوةً سَـحَـرًا بِـلَـيْـل
عِشاء بعدَما انْتَصَفَ النّهار».

وفي (التّاج): «والعَشْوَة: العَشاء كالغَدْوة في الغَدَاء عامّيّة. . وعَشِيَ عن حقّه كَعَمِيَ زِنَةً ومَعنًى».

العَشْوائيّة

في عامّيّة العَوَامّ (من أنصاف المُتَعَلِّمين) المُحْدَثِيْن بدأت تسمع بعض العبارات والألفاظ التي نشرَها بعضُ الكُتّاب والمُثَقَّفين العَصْرِيّين فَاقْتَبَسَها منهم هؤلاء العَوَامّ. . مثلُ لفظة: العَشْوَائيّة التي صارُوا يُطْلِقُونَها صِفَةً للعَمَل الذي يُعْمَل بغير نِظامٍ وعلى غير هُدًى وبِغَيرِ خُطّة مَدْرُوسةٍ مُنَظَّمة. . فلا علاقةَ لها بفصيح العَوَامّ من طعامِ العَشاء ووقت العِشاء. والعَشوائيّة هي من الصِّفات التي لا تَجِدُها في مُعْجمٍ على الرّغم من أنّها مَنْسُوبَة إلى عبارةٍ مُعْجَمِيّة تليدة وارِدَة في مَثَلٍ من أمثالِ الجاهليّة وَرَدَ في مُعَلَّقَة حكيمهم زُهَير بن أبي سُلْمى المُزَنيّ القائل:

رَأَيْتُ المَنايا خَبْطَ عَشْواءَ مَنْ تُصِبْ
تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

ولعلّ انْتِشارَها كان لِكَثْرَة الإلْحَاحِ على ذِكْرِ هذا البَيْت في كُتُبِ الأَدَبِ للصُّفوف الثّانويّة مهما تَبَدَّلَت بالإبطال والتَّغْيير والتَّعْديل واخْتلافِ المُقرَّراتِ فلا يختلف ذكرُ هذا البيت. .

فالعَشْواءُ مُؤَنَّث الأعشىٰ، والعَشْواء: النّاقةُ التي في بَصَرِها عَشًا لا تُبْصِرُ أمامَها فهي تخبطُ بِيَدَيْها كُلَّ شَيْءٍ إذا مَشَتْ لا تَتَوَقّىٰ شيئًا. والظلمة.

وفي المَثَل: خَبَطَه خَبْطَ عَشْواء؛ أي: رَكِبَهُ على غير بَصِيْرة ومنها ما هو أَخْبَطُ من عَشْواء.

عَصَّدَ.. والعَصِيدَة

(قُلْ له يَجِيْءُ وعَصِّدْ عَلَيْه أَشَدَّ التَّعْصيد. .).

في عامّيّتنا: (عَصَّدَ عليه) أي شَدَّدَ عَلَيه. . فلماذا كلّ هذا التَّعْصيد والتَّشديد. . والدُّنيا عُسْر ويُسْر؟!

وفي الفصيح: عَصَدَ وأَعْصَدَ، ولعلّ وَزْن فَعَّلَ، مِن قياس النّاس؟! والعَصْد الفَصِيح يَدُلّ على مَعْنَى الإكراه على الأَمْر.

في (القاموس. .). . عَصَدَهُ يَعْصِدُه: لَواهُ كَأَعْصَدَه. . والمَرْأَةُ: جامَعَهَا وفُلانًا أَكْرَهَه على الأَمْرِ. وَكَعَلِمَ ونَصَرَ عُصُودًا: مات. . [أي عَصِدَ يَعْصَد وَعَصَدَ يَعْصُد].

وَيَوْمٌ عَصَوَّد - كَشَمَرْدَل -: طَوِيل. ورَكِبَ عِصْوَدَّهُ: رَأْسَه. ورَجُلٌ وَامْرَأَةٌ عِصْواد - بالكَسْر وبالضّمّ - عَسِرٌ شديد صاحب شَرٍّ. . وقوم عَصاوِيْد. . وعَصاويد الكَلام ما الْتَوَى منه، وعَصْوَدُوا وتَعَصْوَدُوا: صاحُوا واقْتَتَلُوا.

وفي (المِصْباح المُنير): «عَصَدْتُها عَصْدًا - من باب ضَرَب [أي أعصِدها]- إذا لَوَيْتها. وأَعْصَدْتها - بالأَلِف - لغة.

والعَصيدة سُمّيت بذلك لأنّها تُقَلَّبُ وتُلَوَّىٰ، قاله ابن فارس» قلت: قاله ابن فارس في (المُجْمَل. .) وأَهْمَلَه في (المَقاييس. .).

والعَصِيدَة: في (اللسان. .): «. . دقيق يُلَتُّ بالسَّمْنِ ويُطْبَخ. . ورَكِبَ فُلان عِصْوَدَّه: أي رَأْيَه وعِرْبَدَّهُ إذا ركب رَأْيَهُ. . ورجل عَصِيد مَعْصُود: نَعْتُ سَوْءٍ. وعَصَدْتُه علىٰ الأمر عَصْدًا: إذا أَكْرَهْته عليه. . ورجل عِصْواد: عَسِرٌ شديد. . ومُتْعِب، وامْرَأَة عِصْواد: كَثِيرَة الشَّرِّ، قال:

يا مَيُّ ذاتَ الطَّوْقِ والمِعْصادِ
فَدَتْكِ كُلُّ رَعْبَلٍ عِصْوادِ
نافيةٍ للبَعْلِ والأَوْلاد

وقَوْم عَصاوِيد في الحَرْب: يُلازِمُون أَقْرانَهم ولا يُفارِقونَهُم؛ وأنشد:

لمّا رَأَيْتُهُمُ، لا دَرْءَ دُونَهُمُ
يَدْعُونَ لِحْيانَ في شُعْثٍ عَصاوِيد

وقَوْلُهُم: وَقَعُوا في عِصْوادٍ؛ أي في أَمْر عَظيم. العَصْلَدُ والعُصْلُود: الصُّلب الشّديد».

وللبُستانيّ في (مُحيط المُحيط) «عَصِيدَة بِمَعْنَىٰ مَعْصُودَة، وَرُبّما استُعْمِلَت غَرًّا».

أمّا في (رَدّ العامّيّ إلى الفَصيح) لأحمد رضا العامليّ فلعلّ غَلطة طِباعيّة في عبارته: «وفي اللغة: عَصَدَهُ على الأَمْر إذا أَكْرَمَه..» ولعلّه كتب: «إذا أَكْرَهَهُ». بدليل أَنّه يَنْتَهِي إلى قَوْله: «فالإِكْراهُ والشِّدَّةُ مَأْخُوذانِ في مَعْنَى المادّة».

عَفَس

حافَظَ العَوامّ على اللَّفظ والمَعْنى في مادّة العَفْس والتَعْفِيْس كما هي في المُعْجَم العَرَبيّ القديم.

في (لسان العرب) ع ف س:

«... والعَفْسُ: الدَّوْسُ. واعْتَفَسَ القَوْمُ: اصْطَرَعُوا. وَعَفَسَهُ يَعْفِسه عَفْسًا: جَذَبه إلى الأرض وضَغَطَه ضَغْطًا شديدًا فضرب به؛ يُقال من ذلك: عَفَسْتُه وَعَكَسْتُه وَعَتْرَسْتُه. قِيْل لِأَعرابيّ: (إنّك لا تُحْسِنُ أَكْلَ الرّأس! قال: أما والله إنّي لَأَعْفِسُ أُذُنَيْه وأَفُكُّ لَحْيَيْهِ وَأَسْحَىٰ خَدَّيْهِ وأَرْمي بالمُخِّ إلى مَنْ هو أَحْوَجُ منّي إليه). قال الأزهريّ: أجازَ ابن الأعرابيّ السّين والصّاد في هذا الحَرْف. وعَفَسَه: صَرَعَه. وعَفَسَه أيضًا أَلْزَقَه بالتُّراب. وَعَفَسه عَفْسًا: وَطِئَه؛ قال رُؤْبَة:

والشَّيْبُ حين أَدْرَكَ التَّقْويسا
بَدَّلَ ثَوْبَ الجِدَّةِ الملبُوسا
والحِبْرَ منه خَلَقًا مَعْفُوسا

وثَوْبٌ مُعَفَّسٌ: صَبورٌ على الدَّعْك. وَعَفَسْتُ ثَوْبي: ابْتَذَلْتُه، وَعَفَسَ الأَدِيمَ يَعفِسُه عَفْسًا: دَلَكَهُ في الدّباغ. والعَفْسُ: الضَّرْب على العَجُز.... والمُعافَسَة: المُداعَبَة والمُمارَسَة والمُعالَجة، وانْعَفَس في الماء: انْغَمَسَ..»: قُلْت أعود إلى أوّل المادّة لدىٰ ابن منظور إذ كُنْتُ بَدَأْتُ من المعنى المُسْتَخْدَم في العامّيّة:

«العَفْسُ شدّة سَوْق الإبلِ وَ.. عَفَسه عن حاجَتِه؛ أي: رَدَّه. وَعَفَس الدّابّة والماشية عَفْسًا: حَبَسها على غَيْرِ مَرعًى ولا علف.. والعَفْسُ: الكَدُّ والإتْعاب والإذالة والاستعمال. والعَفْس: الحَبْس. والمَعْفُوس: المحبوس والمُبْتَذَل. وَعَفَس الرّجلَ عَفْسًا، وهو نحو المسجون».

وتجد هذه التّراكيب في مادّة ع ف س في (تاج العروس..) أيضًا...

وفي هذا العَصْر يرى أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) أنّه:

«.. يُقال من ذلك: عَفَسْته وَعَكَسْته وَعَتْرَسْته..».

عَفَط

لَعَلّ عَوامّنا قد طَوَّرُوا بالاسْتِعْمال المَجازِيّ أحدَ مَعاني الفِعْل الفَصِيْح عَفَطَ حين قالُوا: عَفَطَتِ الشُّرْطَةُ اللِّصَّ، وحين قالُوا قَوْلَهم الآخرَ هازِلِيْن: (..عَفَطُوا السّلامَ وراحُوا راكِضِيْن فالْحَقْ بهم..).. فمُسْتَعْمِلُو اللغةِ لا يُمْكِنُهم أنْ يَحْصُروا تَعابيرَهم في حُدُودِ المَعاجِم حَرْفِيًّا.. فانْظُرْ في (اللسان..) تَجِدْ «العَافِطُ: الذي يَصِيحُ

بالضَّأْنِ لِتَأْتِيَه، وقال بَعْضُ الرُّجّازِ يَصِفُ غَنَمًا:

يَحارُ فيها سالِئٌ وآقِطُ،
وحالِبانِ ومَحاحٌ عافِط

وَعَفَط الرّاعي بِغَنَمِهِ إذا زَجَرَها بِصَوْتٍ يُشْبِهُ عَفْطَها. والعافِطَةُ والعَفّاطة: الأَمَة الرّاعِيَةُ. والعافِط: الرَّاعي؛ ومن سَبِّهم: يا ابْنَ العافِطَة أيْ الرّاعِيَة».

وفي (أساس البلاغة): «وفلان عَفّاط أي أَلْكَنُ، وقيل لِلأَمَة: العافِطَةُ: لِلُكْنَتِها».

فَقُلْتُ: فالرّاعي حِيْن يَعْفِط الشّاة الشّاردةَ؛ أيْ يَصِيْحُ صِيَاحًا ذا لُكْنَةٍ مُتَمَيِّزَةٍ ثمّ يُتْبِعُ ذلك بأنْ يَأْخُذَ الشّارِدَة بَيْن يَدَيْهِ لِيَرُدّها عن الشُّرُود.. فاتّخذت منه العَوامّ مَجازًا مُرْسَلًا علاقَتُه المُسْتَقْبَلِيّة، أي باعْتِبار ما سيكونُ.. ثمّ نُسِيَ المَجازُ بالاسْتِعْمال.. وعُدّ كأنّه مَعْنًى حقيقيٌّ.. ولٰكنّ هذا الافْتِرَاضَ يَسْهُلُ نَقْضُهُ ومُعاكَسَتُه أيضًا وانْظُرْ تَتِمَّةَ ما في (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..) وغيرهم.

وفي (القاموس.. والتّاج..):

«.. والعَفّاط - كَشَدّاد -: الأَلْكَن الذي لا يُفْصِحُ في عَرَبِيَّته، وكذلك العَفّاتُ، بالتّاء، ولا يُقَال على جِهَةِ النِّسْبَة إلّا عِفْطِيّ. وقد عَفَطَ في كَلامِه يَعْفِط عَفْطًا وكذلك عَفَت كلامَهُ إذا تكلّم بالعربيّة فلم يُفْصِحْ. وقيل: تَكَلّم بكلام لا يُفْهَم وقال أبو الهَيْثَم: العَفْط: الضَّرْط بالشَّفَتَيْنِ.. وعَفَطَ بها: ضَرَط. وفي (الصِّحاح.. والعُباب..): حَبَق، ومنه قَوْلُ عليٍّ رضي الله عنه: (ولَكانَتْ دُنياكم هذه أَهْوَن عَلَيَّ من عَفْطَة عَنْز)».

وفي باب التّاء من (القاموس): «عَفَتَ كلامَه: تكلّف في عربيّته؛ أو: كَسَرَه نِكْتَة، والأَعْفَتُ: الأَحْمَق».

ويَتَبَاعَدُ ما بَيْنَ ما قال ابن فارس: «العَفْطُ دُعاءُ الغَنَمِ... والأَعْفَط: الأَحْمَق».

والمُعْجَماتُ الحديثةُ رَتَّبَتْ في: ع ف ط ما تَنْقُلُه من مَعاجِمِ التُّراث، وحَذَفَهُ (المُعْجَم العربيّ الأساسيّ) للمُنظَّمَة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم (ط. لاروس سنة ١٩٨٩) فأَهْمَل هذا الجَذْرَ كما أَهْمَلَتْه كُتُبُ فِصَاح العامّيّة التي عَوَّدَتْني أنْ أَسْتَأْنِسَ بها وأنا أَتَوَقَّلُ بَيْن مَراحِلِ التَّطَوُّرِ اللغويِّ ومَجاهِيْلِها..

العُقْبَى والعَقَابِيْل

تقولُ عامّتنا: (عقْبالَك..) تقصد: العُقْبَىٰ لك في مِثل هذا الفَرَح... أو في تحقيق هذه الأمنية.. ولٰكنّهم أحيانًا يقولون: (عقبال عندك) أو يَخْتَصرون فيَحْذفون من الأحرُف فيقولون (عْبالَكْ)! فنعودُ نفكّر في العِبارة عُقْبال، أهي واحدة العَقابِيْل؟ ولٰكنّ (القاموس المُحيط) يَجْعل واحدة العقابيل: العُقْبُوْلَة والعُقْبول.. وهي عنده (العَقابيل: بقايا العِلَّة والعَداوَةِ والعِشْق وما يَخْرُج على الشَّفَة غِبّ الحُمّىٰ والشّدائد، واحدة الكُلّ عُقْبولَة وَعُقْبُول بضمّهما، وَتَعَقْبَلَه: تَعَقَّبَهُ، وهو عُقَبِلَةُ فلانٍ كَعُلَبِطَةٍ أي يَتَعَقَّبُهُ. وهو ذو عقابيل؛ أي: شِرِّيْرٌ). وأُضيفُ من (اللسان..) و(التّاج..): «والعَقابيل: الشّدائد مِنَ الأُمور، والعَباقِيل بقايا المَرَض والحُبّ، عن اللحيانيّ، كالعَقابِيل. الأزهريّ: رماه اللهُ بالعَقابِيس والعَقابِيل، وهي الدَّواهي. الجَوهريّ: العُقْبُولَة والعُقبولُ: الحَلاء؛ وهو قُروح صِغار تَخْرُج من بقايا المرض»...

قُلْت: فَمِنَ الوَهْم والمُكابَرة ألّا نَقْبل بالقَوْل: إنّ العامّة حرّفَت العبارة الفصيحة: العُقْبى لك؟ ولا سيّما بعدَ أنْ نعودَ إلى كُتُبِ اللغة والمَعاجِم وكُتُبِ

فِصاح العامّيّة فلا نَجد ما نُضِيْفُه إلى ما قُلْنا. . فَنَعْجب من كَثْرة ما تَباعَدْنا عن عبارة التّهنئة العامّيّة بالأفراح وتحقيق الأمانيّ وبُلوغ المَسَرّات وحُلُول أعياد الميلاد للأطفال الذين نقول لهم: العقبى لمئة عام وأنتم بخير.

وفي: ع ق ب في (لسان العرب): «. . والعُقْبَى جزاء الأمر. وقالُوا: العُقْبَى لك في الخَيْر؛ أي: العاقبة. .» وقبله «عَقِب كُلّ شيءٍ وَعَقْبُه، وعاقبته، وعاقِبة وَعُقْبَتُه وعُقْباهُ، وَعُقْبانُه: آخِرُه. . . وفي التّنزيل: ﴿ولا يَخاف عُقباها﴾ السّورة ٩١ الشّمس الآية ١٥، قال ثعلب: معناه: لا يَخافُ اللهُ - عزّ وَجَلّ - عاقِبَةَ، ما عَمِلَ أنْ يَرجعَ عليه في العاقبة، كما نخاف نحن».

العَقْل

الأصْلُ الماديُّ لِلَفْظَةِ (عَقْل): وفي العامّيّة (عَئْل).

عن ابن فارس في (المقاييس)[1]:

«عقل: العَيْن والقاف واللام أصلٌ واحدٌ مُنْقاسٌ مُطَّرِد يَدُلّ عُظْمُهُ على حُبْسةٍ في الشّيء أو ما يُقاربُ الحُبْسة. من ذلك العَقْل، وهو الحابس عن ذميم القَوْلِ والفِعْلِ. .

. . ومن البابِ المَعْقِل والعَقْل، وهو الحصنُ، وجَمْعُه عُقول: قال أُحَيْحَةُ:

وقد أَعْدَدْتُ لِلحدْثان صَعْبًا
لَوَ انَّ المَرْءَ تَنْفَعُهُ العُقولُ

يُريد: الحُصون.

ومن الباب العَقْل، وهي الدِّيَة. يُقال: عَقَلْتُ القتيلَ أعقِلُه عَقْلًا، إذا أدّيْتَ دِيَتَه. قال:

إنّي وقتلي سُلَيكًا ثمّ أَعْقِلَه
كالثَّوْر يُضرَبُ لمّا عافَتِ البَقَرُ

[في الحاشِية: البيت لأنس بن مُدْرِكَة، كما في الحيوان (١:١٨)].

الأصمعيّ: عقلتُ القتيلَ: أعطيتُ ديتهُ. وعقلْتُ عن فلانٍ، إذا غَرِمْتَ جِنَايَتَهُ. قال: وكَلَّمت أبا يوسف القاضي في ذلك بِحَضْرةِ الرّشيدِ، فلم يُفَرِّقْ بَيْن عَقَلته وعقَلْتُ عَنْهُ حتّى فَهّمْتُه.

والعاقِلةُ: القَوْم تُقَسَّم عليهم الدِّيَةُ في أموالهم إذا كان قتيلَ خَطَإٍ. . .

وبنو فلانٍ على معاقِلِهم التي كانُوا عليها في الجاهليّة، يَعْني مراتبَهم في الدِّياتِ، الواحدة مَعْقُلَة. قالُوا أيضًا: وسمِّيتِ الدِّيَةُ عَقْلًا لأنّ الإبل كانَتْ تؤخذُ في الدِّياتِ كانَتْ تُجمَع فتُعْقَل بِفِناءِ المَقْتُولِ، فسُمِّيَت الدِّيَةُ عَقْلًا وإنْ كانَتْ دراهمَ ودنانيرَ. وقِيْل سُمِّيَتْ عَقْلًا لأنّها تُمْسِكُ الدَّمَ.

قال الخَلِيل: إذا أخذَ المصَدِّقُ صدقةَ الإبل تامّةً لسنةٍ قيلَ: أخذ عِقالًا، وعِقالَيْن لِسَنَتَيْنِ، ولم يأخذْ نَقْدًا، أيْ لم يأخذْ ثمنًا، ولٰكنَّه أخَذ الصَّدَقَةَ على ما فيها. وأنشد:

سَعَىٰ عِقالًا فلم يترُكْ لنا سَبَدًا
فكيفَ لَوْ قَدْ سعَى عمرٌو عِقالَيْنِ

[في الحاشية: البَيْت لعَمرو بن العَدّاء الكَلْبيّ، يقولُه في عَمْرو بن عُتْبة بن أبي سُفْيَان وكان معاويةُ اسْتَعْملَه على صَدَقاتِ كلبٍ، فاعتدى عليهم، اللسان (عَقَلَ، سَعىٰ) والخزانة (٣:٣٨٧) والأغاني (١٨:٤٩). وانْظُرْ مجالس ثعلب ١٧١ حيث الكلام على البَيْت].

وأهلُ اللغةِ يقولُونَ: إنّ الصّدَقَةَ كلَّها عِقالٌ. يُقال: استُعمِل فلانٌ على عِقال بني فلان، أي على صدَقاتهم. قالُوا: وسُمِّيَتْ عِقالًا لأنّها تَعقِلُ

(١) ج ٤ ص ٦٩ - ٧٥.

عن صاحبِها الطّلبَ بها وتَعقِلُ عنه المأثَم أيضًا.

وتأوّلوا قولَ أبي بكر لمّا منعتِ العربُ الزّكاةَ: «واللهِ لو مَنَعُوني عِقالًا ممّا أدَّوه إلى رسول الله ﷺ لقاتَلْتُهم عليه» فقالُوا: أرادَ به صَدَقَةَ عامٍ، وقالُوا أيضًا: إنّما أراد بالعِقالِ الشّيءَ التّافِهَ الحقيرَ فَضَرَبَ العِقَالَ الذي يُعْقَلُ به البعيرُ لذلك مثلًا . . .

قال الأصمعيّ: عَقَلَ الظّبيُ يَعْقِلُ عُقولًا، إذا امْتَنَعَ في الجبلِ. ويُقالُ: عقلَ الطّعامُ بطنَه، إذا أمسكَهُ. والعَقُولُ من الدّواءِ: ما يُمْسِكُ البَطْنَ . . . ويُقال: عقَلْتُ البَعِيرَ أعقِلُه عَقْلًا، إذا شَدَدْتَ يدَه بعقالِه وهو الرِّباط . . . واعتُقل لسانُ فلانٍ، إذا احْتَبَسَ عن الكَلامِ.

فأمَّا قولُهم: فلانةُ عقيلةُ قومِها، فهي كريمتُهم وخِيارُهم. ويُوصَفُ بذلك السيِّدُ أيضًا فيُقالُ: هو عَقِيْلَةُ قومِهِ. وعقيلةُ كلّ شيءٍ: أكرمُه . . . وذكر قياس هذا ابن الأعرابيّ قالوا عنه: إنّما سُمِّيت عقيلة لأنّها عَقَلَتْ صواحبَها عن أن يَبْلُغنَها. وقال الخليل بل معناه، عُقِلَتْ في خِدْرِها . . . .

. . ومن هذا الباب: العَقَل في الرِّجْلَيْنِ: اصْطِكاكُ الرُّكْبَتَيْنِ . . .

. . قال أبو عُبَيْدة: امرأةٌ عَقْلاء، إذا كانت حَمْشَةَ السّاقَيْنِ ضَخْمَةَ العَضَلَتَيْن. قال الخليل: العاقولُ من النّهرِ والوادي ومن الأمور أيضًا: ما الْتَبَسَ واعْوَجَّ . . . . .».

وعن ابن منظور في (لسان العرب)[1].

«العَقْلُ: الحِجْر والنُّهى . . . عَقَل يَعْقِلُ عَقْلًا ومَعْقُولًا، وهو مَصْدر؛ قال سِيْبَوَيْهِ: هو صفةٌ، وكان يقولُ إنّ المصدرَ لا يأتي على وزنِ مفعول أَلْبَتَّةَ، ويَتَأَوَّلُ المَعْقُول فيقولُ: كأنّه عُقِل له شَيْءٌ أي حُبِسَ عليه عَقْلُه وأُيِّدَ وشُدِّد، قال: ويُسْتَغْنى بهذا عن المَفْعَل الذي يكونُ مَصْدَرًا؛ وأنشدَ ابنُ بَرِّيّ:

فَقَدْ أَفادَتْ لَهُم حِلْمًا وَمَوْعِظَةً
لِمَنْ يكونُ له إرْبٌ ومَعْقُولُ

. . . ابن الأنباريّ: رَجُلٌ عاقِلٌ وهو الجامعُ لِأَمْرِهِ ورأْيِه. مأخوذٌ من عَقَلْتُ البَعيرَ إذا جَمَعْتَ قوائمَهُ، وقيلَ: العاقِلُ الذي يَحْبِسُ نفسَه ويَرُدُّها عن هَوَاها، أُخِذَ من قَوْلِهم قدِ اعْتُقِلَ لسانُه إذا حُبِسَ ومُنِعَ الكلامَ. والمَعْقُول: ما تَعْقِلُهُ بقلبك. والمَعْقُول: العَقْل، يُقال: ما له مَعْقولٌ أي عَقْلٌ، وهو أحد المصادِرِ التي جاءَتْ على مفعول كالمَيْسُور والمَعْسُور . . . . . وسُمِّي العَقْلُ عَقْلًا لأنّه يَعْقِلُ صاحبَه عن التَّوَرُّط في المهالِكِ أي يحبِسُ . . . وعَقَلَ البعيرَ يَعْقِلُه عَقْلًا وعَقَّلَه واعْتَقَلَه: ثنى وَظِيفَهُ مع ذراعِهِ وشَدَّهما جميعًا في وسطِ الذّراعِ، وكذلك النّاقةُ، وذلك الحَبْل هو العِقالُ، والجمع عُقُل، وعَقَّلْتُ الإبلَ من العَقْل، شُدِّدَ للكثرةِ . . . . وفي الحديث: القُرْآنُ كالإِبِلِ المُعَلَّقَةِ أي المَشْدُودة بالعِقال . . .

. . واعْتَقَلَ رُمْحَه: جَعَلَهُ بَيْن رِكابِه وساقِهِ. وفي حديث أمِّ زَرْع: واعْتَقَلَ خَطِّيًّا . . . واعْتَقَلَ شاتَه: وَضَعَ رجلَها بَيْن ساقِه وفَخْذِهِ فَحَلَبَها . . . ويُقال: تَعَقَّل فلان قادِمَةَ رِجْلِهِ بمعنى اعتقَلَها؛ . . . . قال الأزهريُّ: سَمِعْتُ أعرابيًّا يقولُ لآخَر: تَعَقّلْ لي بِكَفَّيْك حتّى أرْكَبَ بَعِيْري، وذلك أنّ البَعير كان قائمًا مُثْقَلًا، ولو أناخَهُ لم يَنْهَضْ به وبحِمْله، فجمعَ له يَدَيْه وشَبَّك بَيْن أصابِعِه حتّى وَضَعَ فيهما رِجْلَه ورَكِب . .

. . . وبعيرٌ أعقلُ وناقةٌ عَقْلاءُ بَيِّنةُ العَقَل: وهو التواءٌ في رِجْلِ البعيرِ واتّساع، وقد عَقَل. والعُقّال: داءٌ في رِجْلِ الدّابّةِ. إذا مَشىٰ ظَلَعَ ساعةً ثمّ

(١) ج ٤٦ ص ٤٥٨ – ٤٦٦ ط بيروت سنة ١٩٥٦.

انْبَسَطَ. . . وفي الحديث أنّه كان للنّبيّ ﷺ فرسٌ يُسَمّى ذا العُقال. . . سُمِّي به لِدَفْعِ عَيْن السُّوء عنه. . . .».

وقبل هذه الفقرة يقول ابن منظور فيه:

«. . . والمَعْقُلَة: الدِّيَة، يُقال: لنا عند فلان ضَمَدٌ من مَعْقُلَة، أي بَقِيَّةٌ من دِيَةٍ كانت عليه. ودَمُه مَعْقُلةٌ على قَوْمه، أي غُرْمٌ يُؤَدُّونَه من أَمْوالهم، وبنو فلانٍ على مَعاقِلِهم الأُولى من الدِّيَة، أي على حال الدِّياتِ التي كانَتْ في الجاهليّة. . . وفي الحديث: كتبَ بَيْن قريش والأنصار كتابًا فيه: المهاجرونَ من قريشٍ على رَباعَتِهم يتعاقَلونَ بَيْنَهم معاقِلَهم الأولى، أي يكونونَ على ما كانُوا عليه من أَخْذِ الدّياتِ وإعطائِها، **وهو تفاعل** من **العقل**. والمعاقلُ: الدّياتُ، جمع مَعْقِلَة، والمَعاقِل حيث تُعْقَل الإبلُ. ومعاقِلُ الإبلِ: حيثُ تُعْقَلُ فيها، وفلانٌ عِقالُ المِئِيْنَ: وهو الرَّجُلُ الشّريفُ إذا أُسِرَ فُدِيَ بمئينَ من الإبل. ويُقالُ: فلانٌ قَيْد مائةٍ وعِقالُ مائةٍ إذا كان فِداؤُهُ إذا أُسِرَ مئةً من الإبل. . .».

العِكر

أَمْطَرَتْ بِماءٍ عَكِر، والزَّيْت عَكِر، وَظَلام اللَّيل عَكِر، والحَليبُ المُعَكَّرُ مُغَلَّظ، والعلاقَة بين القَوْم مُعَكَّرَة بَعِيدَة عن الصَّفْو والمَوَدَّة وهذا يوم شِتائيّ عَكِر الرِّيح والمَطَر يُعَكِّر المِزاجَ الرّائق.

كُلّ هذه العبارات من فصاح عامّيّتنا. .

ولدى أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «العَكَرة عند العامّة: اختلاط الأصوات بعضها ببعض. يقولون: قامَتِ العَكْرة، أي: اخْتَلَطت الأصوات وَعَلَت. .».

وفي (المصباح المنير) للفيّوميّ: «العَكَرُ: ما خَثر ورَسَب من الزَّيْت ونَحْوه. وعَكِرَ الشّيءُ عَكَرًا - من باب تَعِب - [أي يَعكَرُ]: إذا لم يَرْسب خاثِرهُ.

وعَكَر من بابي ضَرَبَ وقَتَلَ [أي يعكِر ويعكُر]: [عَطَفَ ورجع. . .]».

قال ابن فارس في (مقاييس اللغة): «ع ك ر: أصل صحيح واحد يَدُلّ على مِثْل ما دلّ عليه الذي قبله[1].

من التّجمُّع والتَّراكُم؛ يُقال: اعْتَكَرَ اللّيل إذا اخْتَلَط سوادُهُ؛ قال: [كما في: (أساس البلاغة)].

تَطاوَلَ اللَّيْلُ وَاعْتَكَرْ

يُقال: اعْتَكَرَ المَطَرُ بالمَكان: إذا اشْتَدَّ وكَثُر واعْتَكَرَت الرِّيحُ بالتُّراب، إذا جاءَت به.

ومِن الباب: العَكَرُ: دُرْدِيُّ الزَّيْتِ. يقال: عَكِرَ الشَّرابُ يَعْكَرُ عَكَرًا. وعكَّرْتهُ. أنا: جَعَلْت فيه عَكَرًا.

. . . ويُقال للقِطْعَة: عَكَرَة والجمع عَكَر، وربّما زادُوا في أَعْداد الحُروف، والمعنى واحد، يُقال: العَكَرْكَرُ: اللَّبَنُ الغليظ. قال:

فَجاءَهم باللَّبَن العَكَرْكَرِ
عِضٌّ لَئيمُ المُنْتَمَى والمَفْخَرِ

(١) قوله: العين والكاف والراء: أصل صحيح واحد يدلّ على مثل ما دلّ عليه الذي قبله من التَّجَمُّع والتّراكم (وقبله العَكَرُ والعَكَب والعُكْوَة والعُكُنُ والعُكَمُ والعَكْل: كلّها بمعانٍ مُتقاربة لمعنى الجمع والضّم والتّراكُم فيذكر ابن فارس ذلك بقوله يدلّ على مِثْل ما دلّ عليه الذي قبله، ولا يُنسينا ابن فارس أنّه مُؤَلّف كتاب (الصّاحبي) في فِقه اللغة. . . فمِنْ بعض اهتماماته: الاشتقاق الكبير أو الأكبر - لدى ابن جنّي، هذا في فرعه الثّاني من الإبدال، وأمّا فَرْعه الأوّل فالقَلْب، أي: التَّقْليب في تَرتيب أَحْرُف الكَلِمَة.

وذَكر ابن دُرَيد: تَعاكَرَ القَوْمُ: اخْتَلَطُوا في خُصُومَةٍ أَو نَحْوِها».

وفي (اللسان... كما في القاموس... والتّاج.. والأساس..): «عَكَر على الشّيء يَعْكِرُ عَكرًا واعْتَكر - بمعنًى واحد.

واعْتَكَرَ العَسْكَرُ: رَجَعَ بَعْضُه على بعض فلم يُقْدَرْ على عَدِّه؛ قال رُؤبة:

إذا أرادُوا أن يَعُدّوه اعْتَكَرْ

واعتكَرَ اللَّيْلُ: اشتدّ سوادُه واخْتَلَطَ والْتَبَسَ.

عاد عَمْرُو بن حُرَيث أبا العُرْيان الأَسْدي فقال له كيف تَجِدُك؟ فأنشده:

تَقارُبُ المَشْيِ وسُوءٌ في البَصَر
وَكَثْرَةُ النِّسْيانِ فيما يُدَّكَرْ
وقِلَّةُ النَّوْمِ إذا الليل اعْتَكَرْ
وَتَرْكيَ الحسناءَ في قُبْلِ الطُّهَرْ

وفي حديث عَمْرُو بن مُرَّة: (... عند اعتكار الضّرائر) أي اختلاطها. والضّرائر: الأمور المُختلِفة، أيْ عند اختلاط الأمور... واعتكر المَطَرُ: اشتدّ وكثُر. واعْتَكَرَتِ الرّيح: جاءت بالغُبار... وتعاكر القوم: تشاجرُوا في الخُصومة.

والعَكَرُ: دُرْدِيُّ كُلِّ شيء. وعَكَرُ الشّراب والماء والدُّهن: آخره وخاثره وقد عَكِرَ وشراب عَكِر. وعَكِرَ الماء والنّبيذُ عَكَرًا إذا كَدِرَ. وعكَّرَهُ وأَعكَرَهُ جَعَلَه عَكِرًا.. وجعل فيه العَكَر..

ابن الأعرابيّ: العَكَرُ: الصّدأ على السّيف وغيره؛ وأنشد للمُفَضّل:

فَصِرْت كالسّيف لا فِرِنْدَ لَهُ
وقد علاه الخَباط والعَكَرُ

الخباط: الغُبار». [فِرِنْدُ السَّيْفِ: وَشْيُه وجَوْهَرُه وما يُرَىٰ فيه شِبْهَ غُبار].

وفي مُستدرَك (التّاج): «وَسَحاب عَكِر: إذا أَقْلَعَ فصار قِطَعًا تَشْبِيهًا بعَكَرِ الإبل.. ورجل مُعْكِرٌ عنده عَكَرَةٌ. والعَكَرة: أصل اللسان كالعَكَدَةِ».

وليس في(مُحيط المُحيط) ما أُضيفه..

عوكل والعِكال

الاسْم العَلَم: عوكل، علم مذكور

على ألسنة العامّة مرّات ومرّات في اليوم.. للسّخرية مرّة.. وللإشعار بجهل المُتَكَلِّم بشخصٍ ما مرّةً فيُسمّىٰ المَجْهُول: عوكل.. وهكذا.. كلّما سألْتَهم عن شخص يَجْهَلُونَه يقولون: (إيش مُعَرِّفني من هو؟! هو عوكل..) ولٰكنّك إذا سألْتَهم ما مَعْنى عوكل ومِنْ أينَ أَتَوْا بهذا الاسْم وماذا أرادوا به؟.. لم تَجِدْ لَدَيْهم جوابًا وفي مِصر يَدْعُون القصيرَ البدينَ الغَبِيَّ عُوكَل كما ذَكَر د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذاتِ الحقيقة والأصول العربيّة).

وفي (القاموس المُحيط):

«عَكَلَهُ يَعْكِلُه وَيَعْكُله عَكْلًا: والإبِلَ: حازها وساقها..».

ع ك ل: «والعَوْكَل ظَهْرُ الكَثِيب، والعظيم من الرّمال، أو المُتراكِم، وضَرْب من الإدام، ومنه مَرَقة عَوْكَلِيَّة والأَرْنَبُ العَقور والرَّجُل القصير الأفحج والحمقاء. وَعُكْلٌ بالضَّمّ بَلَدٌ وأبو قبيلة فيهم غَباوة... وَقَلائِدُ عَوْكَلِ الفضائح..».

ويُضيف شارحُه الزّبيديّ في (تاج العروس...): «وَقِيل هو العَظِيم من الرِّمال إلّا أنّه دُون العَقَنْقَل، وهي العَوْكَلَة أو المُتَراكِم المُتداخِل منها؛ قال ذو الرُّمَّة:

وَقَدْ قابَلَتْهُ عَوْكَلاتُ عَوانِكُ
رُكامٌ نَفَيْنَ النَّبْتَ غيرَ المَآزِرِ».

قُلْتُ: العَوانِكُ جَمْع عانِك من: «عَنَكَ الرَّمْلُ يَعْنُكُ عُنُوكًا وَتَعَنَّكَ: تَعَقَّدَ وارْتفع فَلَم يَكُنْ فيه طريق. ورَمْلة عانِك: فيها تَعَقُّدٌ لا يَقْدِر البَعِيرُ علىٰ المَشْي فيها إلّا أن يَحْبُوَ، يُقال قد أَعْنَكَ البَعِير» كما جاء في (لسان العرب).

والعُقال الذي تقولُه العامّة بالكاف العكال. وَرَد في هذه المادّة بالكاف أيضًا ففي (اللسان..): «وَعكَلْتُ المَتاعَ أَعْكُلُه، بالضّمّ، أي نَضَدْت بَعْضه علىٰ بَعْض.. وعَكَل البعيرَ يَعْكُلُه وَيَعْكِلُه عَكْلًا... وفي الصّحاح هو أن يُعْقَل بِحَبْل، واسْم ذلك الحَبْل العكال. وإبِلٌ مَعْكولَةٌ، أي معقولة... وعَكَلَهُ: حَبَسه والعَوْكَلُ: القَصِير».

العَلْك والعِلْك والعلكة

المَعاني الحقيقيّة والمَجازيّة للعَلْك عَديدةٌ ومُتَنَوِّعة في العامّيّات، فَعَلْكُ اللُّقَم ومَضْغُها، وعَلْك العِلْك (بِكَسْر العَيْن) ممّا حافظَتِ العَوامّ على فَصاحَتِه لفظًا ومعنًى ثمّ أَطْلَقَتْ أَلْسِنَتها بالْعَلْكِ المَجَازِيّ، فَعَلْكُ الكَلام مِثْل عَلْك الْجِلْد، وهذه المَوْضُوعات عَلْكٌ فَارِغ أيْ أُمور لا مَعْنى لها مِثْل عَلْكِ العُلوك الذي يُسْمن ولا يُغْني مِنْ جُوع والمُتَكَلِّم بِمِثْل هذه الأُمور والمَوْضُوعات عَلّاك...

وقد تحدّث أحمد رضا العامليّ عن (العَلْك والعِلاك) في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «.. والعُلاك في اللغة ما يُعْلَكُ ويُمْضَغ. والعِلْك ضَرْب من اللُّبَان يُمْضَغُ ولا يَنماع فلا يُسْتَساغ. وَجَمْعُه عُلوك وأَعْلاك وبائعه عَلّاك».

قلت: في مصر يقال لعَلْكِ المِسْك وغيره: (المُصْطَكا) انظر في: م ص ط ك.

وفي (لسان العرب):

«عَلَكتِ الدّابّة اللّجامَ تَعْلُكُه عَلْكًا: لاكَتْه وَحَرَّكَتْه في فِيْها؛ قال النّابغة الذّبيانيّ:

خَيْلٌ صِيامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صائمة
تحتَ العَجاجِ، وأخرى تَعْلُك اللُّجُما

وَعَلَكَ نابَيْه: حَرَق أحدهما بالآخر فَحَدَث بَيْنَهما صَوْت؛ قال العُجَيْرُ السَّلُوليّ:

فجئت وخَصْمي يَعْلُكون نُيوبَهم
كما وُضِعَت تَحْتَ الشِّفَارِ عَزُوزُ

وَعَلَكَ الشّيْءُ يَعْلُكه ويَعْلِكه عَلْكًا: مَضَغَه وَلَجْلَجَهُ. وطَعام عالِكٌ وَعَلِك: مَتين المَمْضَغَة.

والعِلْك [بِكَسْر العَيْن] ضَرْب من شَجَر الصَّمْغ كاللُّبان يُمْضَغُ فلا يَنْماع، والْجَمْع عُلوك وأَعْلاك، وقد عَلَكَه، وبائعه عَلَّاك.

وما ذُقْت عَلاكًا، أيْ: ما يُعْلَك. وفي الحديث: (أنّه مَرَّ بِرَجُل وَبُرْمَتُه [أي: قِدْره] تَفور على النّار فَتَناوَل منها بِضْعَةً فلم يَزَلْ يعلكها حتّى أَحْرَم في الصَّلاة).

... وشَيْء عَلِكٌ أيْ لَزِج. وعلّك يَدَيه على مالِه: شَدَّهما مِنْ بُخْلِه فلم يَقْرِ ضَيْفًا ولا أَعْطى سائلًا [قُلْتُ: صورة بيانيّة تُفْضي إلى التَّطَوُّر المَجَازِيّ في عامّيّتنا..]. [وأَسْتَكْمل مُسْتَأْنِفًا من ابن منظور]:

والعَلِكَةُ: شِقْشِقَة الْجَمَلِ عِنْد الْهَدِير؛ قال رُؤْبَة:

يَجْمَعْنَ رازًا وهديرًا مَحْضا
في عَلِكاتٍ يَعْتَلِينَ النَّهْضا

والعَلَكُ والعُلاك: شَجَر يَنْبُت بالحِجاز؛ قال أبو حنيفة: هو شَجَرُ لم أَسْمَع له بِحِلْيَةٍ..». واسْتَشهد عليها الزّبيديّ في (تاج العروس) بِقَوْل لَبيد:

لَوَلا الإلٰهُ وَسَعْيُ صاحِبِ حِمْيَرٍ
وَتَعَرُّضي في كلّ جَوْفٍ مُصَعبِ
لتيقّظت عَلَك الْحِجاز مُقيمةً
فَجَنوب ناصفةٍ لقاحُ الحَوْأَبِ

وفي (اللسان..): لَتَبَقَّطت.

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «.. وطِيْنة عَلِكَةٌ: خَضْراء ليّنة حرّة. وملكت عجينَها وعَلَكَتْه: دَلَكَتْه دَلْكًا شَديدًا. ويُقال للقربة إذا أُجيد دَبْغُها: لَجَادَ ما عَلَّكْتموها مُثَقَّلَةً».

غ

غَبِشَ

(هٰذا الزُّجاج مُغَبَّش، والنّظّارات مُغَبَّشة، وفي هذه الصّورة غَبَش فهي لَيْسَتْ واضِحَة. وفي قِناع الكمّامة الواقية من الغاز السّام جهازٌ يَمْنَع الغَبَش).

هذا الكلام العامّيّ لا يَكاد يخرجُ عن الأَصْل الفَصيح كما وَرَد في كُتُب المُعْجم العربيّ؛ وليكن: أشهرها وأوسعها (لسان العرب) لابن منظور، وفيه: «الغَبَشُ شدّة الظُّلْمَة، وقيل: هو بقيّةُ الليل، وقيل: ظُلْمة آخِرِ الليلِ.. وقِيْل: هو ممّا يلي الصُّبحَ، وقيل هو حين يصبح؛ قال:

في غَبَشِ الصُّبْحِ أوالتَّجَلِّي

والجَمْع من ذلك أغباش، والسّين لغة، عن يعقوب. ولَيْلٌ أَغْبَشُ وغَبِشٌ وقد غَبِشَ وَأَغْبَشَ.. قال أبو منصور: ومعناها بقيَّة الظُّلمة يخالِطُها بياضُ الفجر... والغُبْشَةُ: مِثْل الدُّلْمة في ألوان الدّوابّ... وفي حديث عَلِيّ كرّم الله وَجْهَه: «قَمَشَ عِلْمًا غارًّا بِأَغْباشِ الفِتْنة»؛ أي: بِظُلَمِها.

وَغَبَشَني يَغْبِشُني غبشًا: خَدَعني... والتَّغَبُّشُ: الظُّلْم.. وما أنا بِغابِشِ النّاسَ؛ أي: ما أنا بغاشمهم..».

الغَرْغَرَة

تقولُ العَوَامّ: (تغَرْغَرْ بالماء المُمَلَّح إذا كنتَ تُحِسّ بِوَجَع في حَلْقِك.. واستعمِلْ أَدْوِية الغَرْغَرَة.. وقد غَرْغَرَ الدَّمْعُ في عَيْنك حين غَرْغَرَ صَوْتُ المَريض وَخَرْخَر ثمّ انْقَطَعَ نَفَسُه.. والطَّبْخَة غَرْغَرَت على النّار [كما بَقْبَقَت] حين غَلَتْ وفَوَّرَتْ..).

فالغَرْغَرَة في فَصيح العَوَامّ في مصر والشّام وغيرهما، وقد ذكَرها من كُتّاب فِصاح العامّيّة د. عبد المُنعم سيّد عبد العال في (مُعجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

وفي (اللسان..) غ رر: كما في (القاموس..):

«... والغَرْغَرَةُ والتَّغَرْغُرُ بالماء في الحَلْق: أنْ يترَدّد فيه ولا يُسِيْغُه. والغَرور: ما يُتَغَرْغَرُ به من الأَدْوِيَة، مثل قولهم: لَعُوق ولَدُود وسَعُوط. وَغَرْغَرَ فلان بالدّواء وتَغَرْغَرَ غَرْغَرَةً وتَغَرْغُرًا. وَتَغَرْغَرَت عَيْناهُ: تَرَدَّدَ فيهما الدَّمْعُ. وَغَرَّ وغَرْغَرَ: جاء بِنَفْسِه عند الموت. والغَرْغَرَة: تَرَدُّد الرُّوح في الحَلْقِ. والغَرْغَرَة صَوْتٌ معه بَحَح. وغَرْغر اللّحمُ على النّار إذا صَلَيته فَسَمِعْتَ له نشيشًا؛ قال الكميت:

وِمَرْضُوفة لم تُؤْنِ في الطَّبْخ طاهِيًا
عَجْلتُ إلى مُحْوَرِّها حين غَرْغَرا

والمَرْضوف: شِوَاء يُشْوَىٰ على حِجارة الرَّضْف المُحَمّاة والمَرْضُوفة: الكَرِش تُنَظَّف ثمّ يُلقى فيها مَرْضوف الشِّواء. والغَرْغَرَة: صَوْت القِدْر إذا غَلَت. وقد غَرْغَرَت؛ وقال عنترة:

إذ لا تزال لكم مُغَرغِرَة
تَغْلي، وأعلى لونها صَهْرُ

أي حارٌ فَوَضَعَ المَصْدَرَ مَوْضِعَ الاسم، وكأنّه قال: أعلى لونها لون صَهْر والغَرْغَرَة: كَسْرُ قَصَبَة

الأنْفِ وكَسْرُ رأسِ القارورة».

وللبستانيّ في (مُحيط المُحيط): «.. وبعضُ العامّة تقول: تَرَغْرَغْت بتقديم الرّاء.».

غَضِر

يُقال في العامّيّة الدِّمَشْقِيَّة القديمة: (غاضِر أن تَعمل كذا؟ وما غضرْتَ على رَدّ الشرّ ولا غضرت تعمل الخيْر..).

وكنّا نَحْسَب أنّه من الإبدال، فأصله: قَدَر يَقْدِر فهو قادر.. وهو بمعناه في مَقْصَدِنا بِدَلِيل أنّ المُتَعَلِّم والمُثَقَّف مِنّا يلفُظُها بالقاف والدّال فيقول: (قادِر تعمل كذا وما قدرت...) أو يُخَفّف القاف إلى همزة كما في اللفظ العامّيّ الدِّمَشْقِيّ..

وفي (القاموس..) غ ض ر: «.. غَضَرَ عنه يَغْضِر: انصرف وَعَدَل كَتَغَضَّر، وفلانًا حَبَسَه، ومَنَعَه، والشَّيءَ: قَطَعَه، وعليه: عَطَفَ..».

وأصل المعنى في (مقاييس اللغة): «أصل صحيح يدلّ على حُسْنٍ وَنَعْمَةٍ وَنَضْرَة... وممّا شَذَّ عن هذا الباب قولهم: لم يَغْضِر عن ذلك؛ أي: لم يَعْدِل عنه؛ قال ابن أحمر:

ولم يَغْضِرْنَ عن ذلك مَغْضرا».

وفي (اللسان.. والتّاج): «وغَضِرَ الرَّجُلُ بالمال والسَّعَة والأَهْل غَضَرًا: أَخْصَب بعد إقْتار، وغَضَرَه اللهُ يَغْضُرُه غَضْرًا. ورجل مَغْضُور: مُبارَك.. وعَيْشٌ غَضِر مَضِر. فَغَضِرٌ: ناعم رافِه، ومَضِر إتباع... واخْتُضِرَ الرَّجُلُ واغْتُضِرَ: إذا مات شابًّا مُصَحّحًا [قلت: كأنّ الموت قد غَضِر عليه: عطف والتفّ عليه، وكما في قول عوامّنا؛ ثمّ أكمل من (اللسان..):] وغَضِرَ وتَغَضَّر: انصرف وَعَدَل عنه. ويقال: ما غَضَرت عن صَوْبي؛ أي: ما خرجت عنه؛ قال ابن أحمر نَصِيفُ الجواري:

تَواعَدْنَ أنْ لا وَعْيَ عن فَرْج راكِسٍ
فَرُحْن ولم يَغْضِرْنَ، عن ذاك، مَغْضَرا

أي: لم يَعْدِلْنَ ولم يَجُرْن. ويُقال: غَضَرَهُ؛ أي: حَبَسَه ومنعه. وَحَمَل فما غَضَرَ؛ أي: ما كَذَب ولا قَصّر. وما غَضَرَ عن شَتْمي؛ أي: ما تَأَخَّرَ ولا كَذَب.

وَغَضَرَ عَلَيْه يَغْضِر غَضْرًا: عَطَفَ [ومالَ: في (التّاج..)] وغضر له من ماله: قَطَعَ له قِطْعَةً منه.. والغَضير مثل الخَضير؛ قال الرّاجز:

مِن ذابِلِ الأَرْطَىٰ ومن غَضيرها

والغاضِر: المانِع، وكذلك العاضِر، بالعَيْن والغَيْن.. والفاضر: النّاعم. والغاضِر: المُبَكّر في حوائجه. ويُقال: أَرَدْت أن آتيك فَغَضَرَني أَمْر؛ أي: مَنَعَني..».

وفي (التّاج..): «والفاضِر: المُبكّر في حوائجه عن أبي عمرو».

وبعض ممّا سبق في (أساس البلاغة) وغيره..

ولٰكنّ إبدالًا في مَعْنًى آخر نَجِده في عامّيّة مصر ولدى د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) بعنوان: «غَدْرَة: نَقول في عامّيّتنا: ابتلى اللهُ فلانًا بغدرة. أصابه بموت مفاجئ وهو في شبابه، مُكْتَمِل الصِّحَّة والقُوَّة، وغَدَر فلان بصاحبه: قَلَبَ له ظَهْرَ المِجَنّ وَبَعُدَ عنه وانصرف، والأصل فيها غَضْرَةٌ، وأُبْدِلَت الضّادُ دالًا؛ وفي (القاموس..) غَضَر عنه يَغْضِرُ: انْصَرَف وعدل كَتَغَضَّر. واغْتُضِر مبنيًّا للمفعول: مات شابًّا صحيحًا». قلت: ولٰكنّ البستانيّ في (محيط المحيط) يكمل: «اغْتُضِر:.. مات شابًّا صحيحًا؛ راجع اخْتُضِر في باب الخاء». فَنَنْتَقِل إلى نوعٍ ثالث من أنواع

الإبدال فيه.. وليس عامّيًّا، فقد سبق ذكره في النّقل من (اللسان..).

غَطَّ وغَطَّسَ وغَمَسَ

يُقال: غَطَّ في نَوْمه؛ ويُقال: غَطَّه وغتّه وغَطّسه وَغَمَسه وغوّصه في المسْبَح غَطَّةً.

ومازال الفِعْل غَطَّ على ألسنة عَوَامّ الشّام كما كان في تليد الفصيح لفظًا ومعنًى؛ أمّا الغُطاط: العَتَمة، فاشتقّوا منه في دمشق اسم (الغطيطة) وأطلقوه على عَتَمة الفَجْر في الضّباب بَيْن الغُيُوم المُنْخَفِضَة التي تحجُب الرُّؤية، فلو قيل: وقت الغَطاط، لكان قولًا فصيحًا. ويقال: راح وغطّ وغاب وطوّل الغيبة؛ والغَطّ بمعنى الغياب يمكن حَمْلُهُ على المجاز..

وفي فصيح العَوَامّ معنيان للغَطّ: «١- غَطّ يَغُطّ غَطًّا: غَمَسَ وغَطَّسَ. ٢- غطّ يغِطّ النّائم غطيطًا: رَدَّد النّفَس في خياشيمه ونَخَرَ». وفي حَمْلِ المَعْنَى الأَوَّل على المَجازِ ما يقيم الصِّلَةَ بَيْنَهُ وبَيْن الفصيح..

وفي (مُحيط المُحيط) للبُسْتانيّ: «الغُطَيْطَة للضّباب من كلام العامّة»؛ أمّا أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفَصيح) فيرى أنّ: «الغطيطة من التَّغْطِية أو من الغُطاط». وَقَريب من كلّ ذلك ما ذَكَره الأمير أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل).

وفي الدّارجة المِصْريّة يقول د. عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «غَطَّ فلان المَلابسَ أو الثّمارَ، أو يَدَه في الماء: وضَعَها فيه، وغَطَّ بَطْنَه بالسّكّين: وَضَعها فيه وغَطَّسَها...».

وفي (أساس البلاغة): غ ط ط: «نام حتّى سُمِعَ غَطِيطُه، وهو نَخِيرُه، وغطّ المَذْبُوحُ...».

وفي (أساس البلاغة): غ ط س: «غَطَّسَهُ في الماء وغَطَّه وَمَقَلَه، وهما يَتَغاطسان في الماء ويَتَغاطّان ويَتَماقَلان. وتقول: تَضَيَّفْتُهُ فَغَمَسَني في غَمْرِ كَرَمِه، وغَطَّسَني في بَحْر أَنْعُمِه». وفيه في: غ ط ط قريب ممّا في (لسان العرب) كما في (القاموس.. والتّاج..) وبعضه في (مقاييس اللغة) الذي جعل أصله الصّوت للغطّ أو الغُطاط. ففي (اللسان): «غَطَّه في الماء يَغُطُّه ويغِطّه غَطًّا: غَطَّسَهُ وغَمَسَه، وفي (الصّحاح..) مَقَله وغَوَّصه وانْغَطّ هو في الماء انغطاطًا إذا انْقَمَسَ فيه، بالقاف. وتغاطّ القومُ يتغاطّون أي يَتَماقَلون في الماء. وفي حديث ابتداء الوَحْي: (فأخذني جِبريلُ فغطّني) الغَطُّ: العَصْرُ الشّديد والكَبْس، ومنه الغَطُّ في الماء: الغَوْص..

وفي حديث زيد بن الخَطّاب وعاصم بن عُمَر: (أنّهما كانا يتغاطّان في الماء وعُمَر يَنْظُر) أي: يتغامسان، يغطّ كلُّ واحد منهما صاحِبَه.

وغَطَّ في نومه يَغِطُّ غَطيطًا: نَخَرَ. وغَطَّ البعير يغِطّ غطيطًا أي هَدَرَ في الشِّقْشِقَة. قال امرُؤ القَيْس:

يَغطّ غَطيطَ البكر شُدّ خِناقُهُ
لِيَقْتُلَني والمرءُ ليس بِقَتّال

وغطيط النّائم والمخنوق: نَخِيره؛ وفي الحديث: (أنّه نَام حتّى سُمِعَ غطيطه) وهو الصّوت الذي يخرج مع نَفَس النّائم وهو تَرْديده حتّى لا يجد مَساغًا.

والغَطْغَطَة: حكاية صوت القِدْر في الغَلَيان وما أشبهها... وقد غَطْغَطَت فهي مُغطغطة.. وفي حديث جابر (وإنّ بُرْمَتَنا لَتَغِطُّ) أيْ تغلي ويُسْمع غَطيطها، وغَطْغَطَ البحر: عَلَت أمواجه. وغَطْغَط عليه النَّوْمُ: غَلَبَ».

وفي (القاموس.. والتّاج..) أيضًا: «والغُطاط، بالضَّمّ، أوّل الصُّبْح أو الصُّبح وأنشد في (الصّحاح..) لِرُؤبة:

يا أيُّها الشّاجح بالغُطاط
إنّي لورّاد على الضِّناط

الشّاجح: المُصوّت. والضِّناط: الكَثْرة والازدحام.

... أو الغُطاط بقيّة من سواد الليل، أو: اختلاط ظَلام آخر الليل بِضِياء أوّل النّهار؛ وقال ثعلب: الغُطاط: السَّحَر، وَيُفْتَح، عنه أيضًا..

وممّا يُسْتَدْرَك عليه: انغطّ الرَّجُل في الماء انْغِطاطًا إذا انغمس فيه».

قلت في (اللسان..): انقمس بالقاف وفي (التّاج..) انغمس بالغين.

وفي باب التّاء في (القاموس.. والتّاج..): «غَتَّه بالأمر كَدَّه وَغَتَّه في الماء: غَطَّهُ.. وغَتَّ فُلانًا: غَمَّهُ وَخَنَقه.. وغَتَّ الشّيءُ الشّيءَ أَتْبَعَ بَعْضُه بَعْضًا..».

قلت: وهذه تُذكّرُني بقول عَوَامّنا: غَتَّى قَلْبي وَصَدْري... وقد غَتي صَدْري.. وهذا لعلّه من التّحريف ففي (القاموس..): «غ ت ي: الغاتِيَة: المرأة البَلْهاء».

وقد أَوْرَد (المُعْجم العربيّ الأساسيّ) للمُنَظَّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم (ط. لاروس سنة ١٩٨٩): مَعْنَيَيْن في: غ ط ط: فحذف بعض المعاني كالغطيط: الهَدْر في الشّقشقة، فلن يُساعف في شرح شاهد امْرِئ القَيْس الشّهير الذي لم يَكَدْ يدع الاستشهاد به معجم آخر...:

يغطّ غطيط البكر شُدَّ خناقه
ليقتلني والمرءُ ليس بقتّال

كما أنّه حَذَف الغُطاط الذي نُسَمّيه في الشّام: (الغطِيْطَة)؛ ولولا الاختصار لَكانَ حافَظَ على فصيح عوامّنا الذي ما يزال حَيًّا على الأَلْسِنَة منذ نيّف وأَلْف سنة كما ورد في (العَيْن.. والجَمْهرة..).. ولدى تلميذهما ابن فارس الذي قال في (مقاييس اللغة):

«الغين والطّاء أُصَيْل صحيح فيه مَعْنَيان: أَحَدهما صَوْت، والآخَرُ وَقْت من الأَوْقات. فالأوّل غَطيط الإنسان من نَوْمِهِ. ومنه الغَطاط وهي القَطا، سُمِّيَت لصوتها غَطاطًا. قال [طَرَفَة بن العَبْد]:

فَأثار فارِطُهُمْ غَطاطًا جُثَّمًا
أَصْواتُه كَتَراطُنِ الفُرْسِ

والأصل الآخر: الغُطاط، قال قوم: هو الصُّبْح.. وقال آخرون: هو سَدَف الظَّلام، وقالوا في بَيْتِ ابن أَحْمَرَ:

[لا يَجْفَلون عنِ المُضاف ولو رَأَوْا]
أُوْلَى الوَعَاوِع كالغُطَاط المُقْبِلِ

مَن فَتَحَ شَبَّهَهُم بالقَطا، ومن ضَمَّ فإنّه شَبَّهَهُم بِسَواد السَّدَف كَثْرَةً. وأمّا غَطَطْته في الماء فَيُمْكنُ أن يكونَ ذلك الصَّوْتَ الذي يكون من الماء عندها، وممكن أن يكون من سَدَف الظّلام، كأنّه سَتَرْتَه بالماء وغَطَّيْتَه».

غَلِتَ وغَلِطَ

العَوَامّ الذين يُرَقِّقُون لَفْظ الطّاء إلى تاء يَجِدُونَ في فَصِيْح الغَلَت - بالتّاء - لغة من الغَلَط أو تَخْصِيْصًا في غَلَطاتِ الحِسَاب.

وأغْلَبُ العِباراتِ المُشْتَقَّةِ من مادَّة الْجَذْر: غ ل ط ما زالَتْ صَحِيْحَةَ اللَّفظِ والمَعْنى من كَلَامِنا الدَّارج في الشّام ومصر وغيرهما.. أيضًا، وقد

كَتَب د. عبد العالم في غَلِطَ بالطّاء ولم يَكْتُبْ في غَلِت التي بمعناها. ولٰكنْ في «الغَلَتِ والغُلَاتَةِ: ما في الحُبوب من غَرِيْبِ الأجسامِ والأَصْلُ غُلاثَةٌ وأُبْدِلَتِ الثّاء تاء..». وليسَتِ الغُلاثَةُ من مَوْضُوعي هذا...

في (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..):

«الغَلَطُ أَنْ تَعْيا بالشَّيْءِ فلا تَعْرِفُ وَجْهَ الصَّواب فيه كذا في (المُحْكَم..) وزَادَ الليث: من غير تَعَمُّدٍ. وقد غَلِطَ في الأمْرِ غَلَطًا، وأَغْلَطَهُ غَيْرُه. والعَرَبُ تقولُ: غَلِط في مَنْطِقِهِ وغَلِتَ في الحِسَاب غَلَطًا وغَلَتًا: عن الجوهريّ وكذلك الزّمخشريّ وبعضهم يَجْعَلَهُما لُغَتَيْنِ بِمعنًى.. وقال بعضهم.. والغَلَطُ في الحِسابِ وكُلِّ شَيْءٍ. والغَلَتُ لا يكونُ إلّا في الحِسَاب.. وقد غالَطَه مُغالَطَةً. والمَغْلَطَةُ والأُغْلُوطة: الكَلامُ الذي يُغلَط فيه ويُغالَط به؛ ومنه قولُهم: حدّثْتُه حَدِيثًا ليسَ بالأغاليط. والتَّغْليط أنْ تقولَ للرَّجُل غَلِطْتَ، والمَغْلَطَة والأغلوطة: ما يُغالَط به من المَسَائِل، وفي الحديث (أنّه - ﷺ - نَهَىٰ عن الغَلوطات) وفي رواية: (الأُغْلوطات) ومنه قولُهم: حَدَّثْتُه حَدِيْثًا ليسَ بالأَغَالِيْط.

ويزيد في (القاموس.. والتّاج..):

والتَّغْليط: أنْ تقولَ له: غَلِطْتَ؛ نَقَلَه الجوهريّ. وقد غَلَّطَه وغالَطَه مُغالَطَةً وغِلاطًا. وممّا يُسْتَدْرَكُ عليه: أَغْلَطَه إغلاطًا: أَوْقَعَه في الغَلَطِ كَغَلَّطَهُ تَغْلِيطًا.. ورَجُلٌ غَلْطان - كَسَكْران - وكتاب مَغْلوطٌ وقد غُلِط فيه..

ويُقال: وَقَعَ فلانٌ في المَغْلَطَة؛ أي: الغَلَط. وهو مَغْلَطاني - بالفتح -: يُغالِطُ النَّاسَ في حِسَابِهم».

وأَسْقَطَ (المُعْجَم العربيّ الأساسيّ) للمُنَظَّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعُلوم (ط: لاروس سنة ١٩٨٩): غ ل ت. فأَهْمَلَهُ.

وفي (اللسان..): غ ل ت:

«الغَلَط والغَلَت سَواءٌ؛ وقد غَلِتَ. وَرَجُلٌ غَلُوتٌ في الحِسَاب: كثيرُ الغَلَط، قال رُؤْبة: إذا اسْتَدار البَرِمُ الغَلُوتُ.

... وقال رُؤْبة: إذا اسْتَدَرَّ البَرِم الغَلوتُ.

قال:... واسْتِدْرَارُه، كَثْرَةُ كَلامِه.. وهو الكَثيرُ الغَلَط....

... وفي حديث النَّخْعِيّ: (لا يجوزُ التَّغَلُّتُ)؛ وهو تَفَعُّلٌ من الغَلَتِ».

غَلَتِ الغَالِيَة

(بِنْتِي غالِيَتي يَغْلِي جَمالُها.. ويَغْلَىٰ حبُّها كلّما غَلَت لي قهوتي.. وَغَلَت بقدّها أمامي.. وغَلْغَلَتْ غالِيةُ عطورِها الغوالي.. وبَيْنَها وَبَيْن سِنّ الرُّشْدِ غَلْوَة..

وفي غلوّ مَحَبَّتِها لا أَغْلو ولا أُغالي إذا قُلْت: يَرْخَص لها الغالي).

والغالي من فصاحِ العامّيّة المِصْرِيّة أيضًا..

وكلّ ما نَقوله في عامِّيّتنا في هذه المادَّة فَصيح صَحيح.. فَأَصْل المَعْنَى لدى ابن فارس في (مقاييس اللغة): «الغَيْن واللام والحرف المُعتلّ أَصْل صَحيح في الأَمْر يَدُلّ على ارْتِفاع ومُجاوَزَةِ قَدْر. يُقال: غَلا السّعرُ غَلاء، وذلك ارْتِفاعه. وغلا الرَّجُل في الأَمْر غُلُوًّا، إذا جاوَزَ حَدَّهُ. وغلا بِسَهْمِه غَلْوًا: إذا رمىٰ به سَهْمًا أقصى غايَتِه. قال:

كَالسَّهْم أَرْسَلَه من كَفِّهِ الغالي

وتغالىٰ الرَّجُلان: تفاعلا مِن ذٰلِك. وَكُلُّ مَرْماة عند ذٰلك غَلْوَة. وغَلَتِ الدّابَّةُ في سَيْرِها غَلْوًا، واغْتَلَتِ اغْتِلاءً وغالت غِلاءً. وفي أمثالهم: جَرْيُ

المُذَكِّيَاتِ غِلاءٌ [ويُرْوَىٰ: غِلاب] وتَغَالَىٰ النَّبْتُ: ارْتَفَعَ وطال.... وأمّا الغالِيَةُ من الطِّيبِ فَمُمْكِنٌ أَنْ يَكونَ من هذا، أي هي غالِيَة القيمة. يقولون: تَغَلَّلْتُ وتَغَلَّيْتُ من الغالية.». ا.هـ. ابن فارس.

ورَوىٰ الجوهريّ في (الصّحاح..) غ ل ق بيتًا نسبه إلى أبي الأسْوَد الدُّؤلي هو:

ولا أَقُول لِقِدْر الحَيِّ قد غَلِيَتْ

ولا أقول لِبابِ الدّار مَغْلُوقُ

أي: إنّي فصيح لا أَلْحَن.. فأقول: غَلَت القِدْرُ والباب مُغْلَق ومُغَلَّق.. وقال ابن الحنبليّ في (بحر العوّام..): «..يُحتمل أن يكونَ لكَونه لغة رديئة، لا لِكَوْنِهِ لَحْنًا» وفي (الجمهرة..) لابن دُرَيْد: «وأَباها البَصْرِيّون..».

قلت وكذلك في الشّام نقول: غَلَتِ القهوة على النّار...

وكذلك في (لسان العرب) لابن منظور. وفيه أيضًا: «الغلاء نقيض الرُّخص... وبِعْته بالغَلاء والغالي والغَلِيّ، كلُّهن عن ابن الأعرابيّ؛ وأنشد:

ولـو أنّـا نُـبـاعُ كَـلامَ سَـلْـمىٰ

لأَعْـطَـيْـنـا بـه ثـمـنًـا غَـلِـيّـا

وغلا في الدِّينِ والأَمْر يَغْلو غُلُوًّا: جاوز حَدَّه. وفي التّنزيل ﴿لا تَغْلوا في دينكم﴾ [السّورة ٤/ النِّساء/ الآية ١٧٠]. وقال الحَرِث بن خالد:

خُـصْـمـانَـة قَـلِـق مُـوَشَّـحُـهـا

رُؤْد الـشَّـبـابِ غَـلا بِـهـا عَـظْـمُ

... وفي الحديث: (إيّاكم والغُلُوّ في الدّين) أي التّشدّد فيه ومجاوزة الحَدّ، كالحديث الآخر: (إنّ هذا الدِّين مَتِين فَأَوْغِل فيه بِرِفْق)... ومنه الحديث: (..وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه) إنّما قال ذلك لأنّ من آدابه وأخلاقه التي أمَر بها القَصْدَ في الأمور، وخير الأمورِ أوْساطُها.

و:

كلا طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمور ذميم

والغُلُوّ: الإعْداد. وغلا بالسّهم يَغْلُو غَلْوًا وغُلُوًّا أو غالى به غِلاءً: رَفَع يَدَه يُريد به أَقْصَى الغايَة وهو من التّجاوُز، وأنشد للشّمّاخ:

كما سَطَعَ المِرّيخُ شَمَّرَهُ الغالي.

... وفي حديث ابن عُمَرَ: (بَيْنه وبَيْن الطّريق غَلْوَة)؛ الغَلْوَة: قدر رَمْيَةٍ بسهم... والاغتلاء: الإسراع...

... وغَلا بالجاريةِ والغلام عَظْمٌ غُلُوًّا: وذلك في سرعة شبابهما وسَبْقِهِما لِداتِهما، وهو من التّجاوُز.

وغُلْوان الشَّباب وغُلَواؤه: سُرْعَته وَأَوَّلُه.. وأَنْشَد قول ابن قَيْس الرُّقَيات:

لَـمْ تَـلْـتَـفِـتْ لِـلِـداتِـهـا

وَمَـضَـتْ عـلـى غُـلَـوائِـهـا

وقال غيره: الغالي: اللَّحْم السَّمِين... ويُقال للشَّيْءِ إذا ارْتَفَعَ: قد غَلا؛ قال ذو الرُّمَّة:

فَما زالَ يَغْلُوْ حُبُّ مَيَّةَ عِنْدنا

وَيَزْدادُ حتّى لَمْ نَجِدْ ما نُزِيْدُها

وغَلا النَّبْتُ: ارْتَفَعَ وعَظُم والْتَفّ... وكذلك تغالى وَاغْلَوْلى... وأغلىٰ الكَرْمُ: التفّ وَرَقُه وكَثُرَت نواميه وطال. وأغلاه: خَفَّفَ من وَرَقِهِ لِيَرْتفعَ ويَجود...

والغالِيَة من الطِّيب: معروفة. وقد تَغَلّى بها... والغَلْوَى: الغالية من قول عديّ ابن زيد:

يَنْفُح من أَرْدانِها المِسْك والـ

ـعَنْبَرُ والغَلْوَىٰ ولُبْنىٰ قَصُوصْ

وفي حديث عائشة - رضي الله عنها -: (كُنْتُ أُغَلِّفُ لِحْيَةَ رسول الله - ﷺ - بالغالية)؛ قال: هو نوع من الطِّيب مُرَكَّبٌ من مسكٍ وَعَنْبَرٍ وعُودٍ ودُهن، وهي معروفة، والتّغلّف بها: التَّلَطُّخ...».

وفي (أساس البلاغة): «هو منّي بِغَلْوَة سَهْمٍ وبِغَلْوَتَين وَبِثَلاثِ غَلوات، والفرسخ التّامّ خَمْس وعِشْرونَ غَلْوَةً... وتقول: أنا لا أُحِبُّ الغُلُوَّ في الدّين والغَلَاءَ في السِّعْر والغِلَاءَ في الرَّمي... وقال:

نُغالي اللَّحْمَ للأضياف نيئًا
ونُرخِصُه إذا نَضِج القُدورُ

وأنا أَسْتَغْليه بهذا الثّمن وأتَغالاه... وغلا بها عَظْم إذا طالت. قال إياس بن الوليد:

وإذ همّتي في كلّ مهضومة الحَشا
ضِناكٍ غَلا عَظْمٌ بها وهي ناهِدُ»

ف

فَأَوْت وَفَأَيْت (والدُّعاء علىٰ مَنْ يُعْجِبْنا)

تقول الفنّانتان: سامية الجزائريّ وهالة شوكت: (فلانة: ما أحلاها... يُو تروح فَيْي.. ما أحلاها) فأُسْأَل عن فصاحَة الفَأْي، ولا أُسأَل لماذا عَبَّرتا عن إعجابهما بجمالها بأنْ دَعَتا عليها بسواخط الدَّعوات كالنَّتْفِ والفَأْي... والدَّعْسِ.. و(يُخْرَب بَيْتُها...) وإلخ.. فهذا معروف عندهم في أسلوبِ الدُّعاء علىٰ مَنْ يُعْجبون به منذ أن قالُوا: لا أبا لك، في مَجال المَدْح وأَصْل مَعْناه الذّمّ. وقالُوا: قاتَلَه اللهُ ما أحسَنَه.. وَهَبِلَتْهُ أُمُّه ما أَكْرَمَهُ.. وفي الحديث الشّريف (عليك بِذات الدِّين تَرِبَتْ يَداك) والتَّرِبُ: المُحتاجُ الفَقير.. إلخ.

وأُسْأَلُ هل هذا الفَأْي هو الفَوْءُ في الفَصيح؟

فَقُلت: هذه العبارةُ من جُملة العبارات التي يَصِحُّ فيها التّلاقي والاخْتِلاط أو التّقارب في بَعْض المعاني فيما بَيْن لَفْظِها بالقاف في الأرْياف والأقاليم وبالهَمْزَة في المُدُنِ الكبيرةِ كدمشقَ والقاهرةِ. والفَأْيُ والفَوْءُ كلاهما فَصيح، وفي مَعانِيْهما تقارُبٌ وفي لفظهما قَلْبٌ وإبدالٌ معًا...

لابن فارس في (مقاييس اللغة): «ف أ و: أَصْلٌ صحيحٌ يَدُلُّ علىٰ انفِرَاج في شيء. يُقال: فَأَوْتُ رأسَهُ بالسَّيْفِ فأْوًا، أي: فَلَقْتُه. والفَأْوُ: فُرْجَةُ ما بَيْن الجَبَلَيْن. قال:

حتّى انْفَأىٰ الفَأْوُ عن أعناقها سَحَرًا
وقد نَشَحْنَ فلا رِيٌّ ولا هِيْمُ»[1]

قال ابن منظور في (لسان العرب:)[2]

«فَأَوْتُه بالعَصا: ضَرَبته، عن ابن الأعرابيّ، قال الليث: فَأَوْتُ رأسَه فَأْوًا وَفَأَيْتُهُ فأيًا، إذا فَلَقْته بالسّيف، وقيل: هو ضَرْبُك قَحْفَه حتّى يَنْفرِجَ عن الدِّماغ، والانْفِياء: الانْفِراج، ومنه اشْتُقّ اسم الفِئَة وهم طائفةٌ من النّاس وجَمْعُها فِؤُون وفِئَات، والفَأْو: الشّقّ: فَأَوْت رَأْسَه فَأْوًا وَفَأَيْتُه فانْفَأَى وتَفَأّى، وفَأَيْت القدح فَتَفأّى. والفَأْو: الصَّدْع في الجبل، عن اللحيانيّ: والفَأْوُ: ما بَيْن الجَبَلَيْن. قال النَّمِر بنُ تَوْلَب:

لم يَرْعَها أحدٌ واكْتَمَّ روضتَها
فَأْوٌ من الأرض مَحفُوفٌ بأعلام

وكلُّه من الانْشِقاق والانْفِراج والتَّفريق. وفي

[illegible]

(التّهذيب): الفِئَة: بِوَزْن فِعَةٍ: الفِرْقَةُ من النّاس: من: فَأَيْتُ رأسَه: أيْ شَقَقْتُه، قال: وكانت في الأصل: فِئْوَة بِوَزْن فِعْلة فَنَقَص. والفِئَة: الطّائفة التي تُقيم وراءَ الجيش فإنْ كان عليهم خَوْفٌ أو هَزِيْمةٌ التجؤوا إليهم».

وفي عامِّيَّتنا اخْتَلَط هذا الفِعْلُ مع الفعلِ الذي أصْلُه فَقَأَ بِسببِ إبدالِ القافِ هَمْزةً في لفظ العامّة - لأحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«يقولون: (فَأَى الدُّمَّلَةَ) والقَرْحَة إذا شقَّها فانْفَأَت، وهو من قَوْل العَرَب: فَأَىٰ رَأْسَه بالسَّيْف أو بالعصا ونحْوهما..».

فَتَق وتَفَتَّق

لم أجِدْ بَيْن الفصيح: ما فَتِئ، وبَيْن الفَتْق المَلْفُوظ بالهَمزةِ من دمَشْق صِلَةً كافيةً، ولكنّي وَجَدْتُ معاني الفَتْق والتَّفْتيْقِ في الفِصاح أَغْلَبها ما تزالُ في عامّيّتنا. فَفَتْقُ الخياطة.. ومَرَضُ الفَتْقِ.. وكلامُ التَّفْتيْقِ مِن المُتكلِّم المُفَتِّق.. وهي مُفَتَّقَةُ الكلام.. وأكلت حتّى انْفَتَقْتُ من الامْتلاء.. وفَتَقْتَني بِفُتُوق الهُمومِ والآفاتِ من مَرَضٍ ودين وغيرها... كلُّها من فصيح العَوَامّ لفظًا ومَعنًى.

وفي مصر كَتَبَ د. عبد العال في: فتْق المُضَعَّف العَيْن. فالمعاني ذاتُها في دارِجَتِهم المُتَداوَلة..

أمّا اللبنانيّون فلم أجدْه لَدَيْهم..

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: فَتَقَ الشَّيْء يَفْتُقه فَتْقًا شَقّهُ وهو ضِدُّ رَتَقَهُ والثَّوْبَ نَقَضَ خِياطَتَه فَتَفَتَّقَ وانْفَتَق.

والمُتَفَتِّقة من النّساء: الحَدِيْدةُ اللّسان السّريعة الإجابة والفُتُق: المَرأةُ المُتَفَتِّقَةُ بالكلامِ.. ورَجُلُ فتيق اللّسان: حَدِيدُه.

وفي (مقاييس اللغة): «الفاء والتّاء والقاف أصلٌ صحيحٌ يَدُلّ على فتح شيء». وفي (اللسان..):

الفَتْقُ: خِلافُ الرَّتْق: فَتَقَهُ يَفْتُقُهُ وَيَفْتِقُه فَتْقًا: شَقَّه؛ قال:

ترىٰ جوانِبَها بالشَّحْم مَفْتُوقًا

إنّما أرادَ مَفْتُوقةً فأَوْقَعَ الواحدَ مَوْقِعَ الجَماعة.

وَفَتَّقَهُ تفتيقًا فانْفَتَقَ وتَفَتَّق. والفَتْق: الخَلَّةُ من الغَيْمِ، والجَمْع فُتُوق... وأَفْتَقَ القَوْمُ: تَفَتَّقَ عنهم الغَيْم، وأَفْتَق قَرْن الشّمس: أصابَ فَتْقًا من السَّحابِ فَبَدا منه؛ قال الرّاعي [وفي (التّاج..)] قاله ذو الرُّمَّة:

تُريكَ بَيَاض لَبَّتِها وَوَجْهًا
كَقَرْنِ الشَّمْس أَفْتَقَ ثُمّ زالا

والفِتاق: الشّمْسُ حين يُطْبَق عليها ثمّ يبدُو منها شَيْء... وأفْتَقْنا: صادَفْنا فَتْقًا أي مَوْضِعًا لم يُمْطَر وقد مُطِرَ ما حَوْلَه..

والفَتِيقُ اللسان: الحذاقي الفصيح. ورَجُلُ فَتيقُ اللسان؛ - على فَعيل - فَصيحُه حَديدُهُ.. وفَتَق فلان الكلام وبَجَّه: إذا قَوَّمَه وَنَقَّحَه. وامرأة فُتُقٌ: مُتَفَتِّقَةٌ بالكلام.

وفي الحديث: (يَسْأَل الرّجل في الجائحة أو الفَتْق) أي الحَرْب يكونُ بَيْن القَوْم.. وأصلُه الشَّقُّ والفَتْح.. وقد يُرادُ بالفَتْق نَقْض العَهْد.. وأفتقَ الرَّجُل إذا ألحّت عليه الفُتُوق وهي الآفات من جوعٍ وفَقْرٍ وَدَيْن: والفَتْقُ: عِلَّةٌ أو نُتُوٌّ في مراقّ البَطْن. (التّهذيب..): الفَتْق يُصِيْب الإنسانَ في مراقّ بَطْنه يَنْفَتِقُ الصِّفاقُ الدّاخل. ابن برّيّ: والفَتْق: هو انْفِتاقُ المَثانَةِ.

وفي صِفَتِهِ - ﷺ -: (كان في خاصِرَتَيْه انْفِتاقٌ) أي اتِّساعٌ؛ وهو محمودٌ في الرِّجال مَذْمُومٌ في

النِّساء. . .

. . .وفي حديث عائشة: (. .وسَمِنَتِ الإبِلُ حتّى تَفَتَّقَتْ) أي انْتَفَخَتْ خواصِرُها واتّسَعَتْ من كَثْرة ما رَعَتْ فَسُمِّي عام الفَتق أي الخِصْب. الفرّاء: أَفْتَقَ الحيُّ إذا أصابَ إبِلَهم الفَتَق، وذلك إذا انْفَتَقَتْ خواصِرُها سِمْنًا فتموتُ لذلك وربّما سَلِمَتْ. . .

وفَتَقَ الخِياطَةَ يَفْتِقُها [وهذا من باب قَتَلَ لدىٰ الفَيّوميّ في (المِصباح. . .) أي يَفْتُقُها] الفرّاء في قوله تعالىٰ: ﴿كانتا رَتْقًا فَفَتَقْناهُما﴾ السّورة ٢١ الأنبياء الآية ٣٠.

قال: فتقت السّماء بالقَطْر والأرض بالنّبات، وقال الزّجاج: المعنى أنّ السّماواتِ كانتْ سماءً واحدةً. .

وكذلك في (القاموس. . والتّاج. .) وأزيدُ منهما:

«وَمَفْتَقُ القَميص: مَشَقُّه؛ قال الأعشى:

ودارِعَةٍ بالطِّيبِ صَفْراءَ عِنْدَنا

تُجِسّ النَّدامىٰ في يَدِ الدِّرْعِ مَفْتَق

والفَيْتَق: النّجّار [أو الحدّاد أو البوّاب في (اللسان. .)]. . ومنه قول الأعشى:

ولا بُدَّ من جارٍ يُجِير سَبِيلَها

كما سَلَكَ السَّكّيَّ في الباب فَيْتَق

والسَّكّيّ: المِسْمار كما في (الصّحاح. .).

والفِتَاقُ: خمير العَجِيْن. .» وفي (أساس البلاغة):

«والعَجِيْن لا يربُو إلّا بالفِتاقِ لأنّه يَنْفُخُه ويُفَتِّقه. . وسَيْفٌ فَتِيْق الغِرارَيْن: ماضٍ كأنّه يَفْتُق ما أصابَه [وفي (اللسان. . والتّاج). . لأنّ نَصْلَه مفتوق إلى شُعَبَتَيْن] ومالَك لا تُفَتِّق الشِّعر تفتيقًا؟ وتقول للشّاعر: فَتِّقْ ولا تُشَقِّقْ».

فَاْتَحَهُ وَتَفَاْتَحَا

أَغْلَبُ مُشْتَقّات مادّة الْجَذْر: ف ت ح: ما تزال في العامّيّات على ما كانت عليه في الفَصيح، كَكَثِير من موادّ جذورٍ أُخْرى ما بَرِحَت مَعروفَة في فِصاح العامّيّة؛ لا تحتاج إلى تعريف؛ وهذا مثال من قول العامّة (تَفَاتَحْنا المَوْضوعَ فَفَاتَحْتُه أو فاتَحَني فيه، بَيْني وبَيْنَه، وسَكَتْنا عَنْه أمامَ النّاس. .). .

وهذا كما وَرَد في (اللسان. . والقاموس. . والتّاج. .): «وفاتَحَهُ مُفَاتَحَةً وفِتاحًا: حَاكَمَهُ. . . وتَفَاتَحَ الرَّجُلان؛ إذا تفاتحا كلامًا بَيْنَهما وتَخافَتا دون النّاس».

وفي (أساس البلاغة): «والمُلوك لا تُفاتَح بالكلام».

فَتَلَهُ

تقول عوامُّنا: (فَتَلَت فُلانة عَقْلَه بالخِداع كما تفتل الفَتِيل، فانْفَتَل عن مَسْلَكِه الرَّزين وكَشَف عن ذِراعَيْه المَفْتُولَيْن وهي قُدّامه تَفْتِل وتَتَلَوّى. . .).

فَالفَتْل في الحَقيقة والمَجاز من فِصاح العامّية الباقية على الألسنة كما كانت لفظًا ومعنًى:

وفي (أساس البلاغة): «تقول: بنو فن قوم فُتُل، يذهب في جراحِهم الزّيت والفُتُل؛ قال الأَعْشَى:

هل يَنْتَهون ولن ينَهىٰ ذَوي شَطَطٍ

كالطَّعن يذهب فيه الزّيتُ والفُتُلُ

ومن المَجاز: رجلٌ مَفْتول السّاعد كأنّه فُتِلَ فَتْلًا لِقُوَّته. . وفي ذراعَيْها فَتَلٌ وهو تَباعُدُهما عن الجَنْبَيْن كأنّهما فُتِلا عنهما. . وقد فُتِلت ذُؤابَتُه أي خُدِعَ وصُرِفَ عن رَأْيِه. . وَعَن حاجَتِهِ وما يُغْنِي

عنك فَتِيلًا وفَتْلَةً. وفُتِلَ مِنْه في الذِّرْوَة والغارِب. وفَتَلْتُه عن حاجَتِهِ: صَرَفْتُهُ فانْفَتَلَ. وانْفَتَل عن الصّلاة».

وفي (مقاييس اللغة): «الفاء والتّاء واللام أصل صحيح يَدُلّ على لَيِّ شيءٍ. من ذلك فَتَلْت الحَبْلَ وغيرَه. والفَتِيْل. ما يكون في شِقّ النّواة كأنّه قد فُتِلَ. قال:

يَجْمَعُ الْجَيْشَ ذا الأُلُوفِ ويَغْزُو
ثُمَّ لا يَرْزَأُ العَدُوَّ فَتِيلا[1]

ويُقال: بل الفَتِيل ما يُفْتَل بين الإصبَعَيْنِ. والفَتَل: تَباعُد الذِّراعَيْن عن جَنْبَي البَعير، كأنّهما لُوِيا لَيًّا وفُتِلا حتّى لُوِيا. قال طَرَفة:

لها عَضُدانِ أفْتَلانِ كأنّها
تمرُّ بِسَلْمَي دالجٍ مُتَشَدِّدِ

وَمِن أَمْثالِهِم: (فلان يَفْتِل في ذِرْوَةِ فلانٍ) أي: يَدُور من وراء خَدِيْعَتِه».

وهذا في (القاموس.. واللسان.. والتّاج..) وغيرهم..

وفي (اللسان..): «.. يقال: انْفَتَل فلانٌ عن صَلاته؛ أي: انصرف. وَلَفَتَ فلانًا عن رأيه وفتله؛ أي: صَرَفَه وَلَواه، وفتله عن وجهه فَانْفَتَل أي: صَرَفَهُ فانْصَرَف، وهو قَلْبُ: لَفَتَ وَفَتَلَ وَجْهَه عن القَوْم: صَرَفه كَلَفَتَه... والفتيل: ما كان في شِقّ النَّواة، وبه سُمّيَت فَتيلة...

... والفَتْلَة: واحدة الفَتْل، وهو ما يكون مَفْتولًا من وَرَق الشَّجَر... وفي (القاموس.. والتّاج..): «ومن المَجاز: فَتَل في ذُؤابَتِهِ إذا أَزالَهُ عن رَأْيه وذٰلك إذا خَدَعه، و.. ما زال فلان يَفْتل من فُلان الذِّرْوَة والغارب أي يَدُور من وراءِ خديعته؛ ومنه (حديث الزُّبَيْر – رضي الله عنه – أنّه سأل عائشة – رضي الله تعالى عنها – الخُروج إلى البَصْرة فأبَتْ عليه فما زال يَفْتِل في الذِّرْوَة والغارِب حتّى أجابته). قال الصّاغانيّ: الفَتْل فيهما يَفْعَلُه خاطِم الصَّعْب من الإبِل يَخْتِلُه بذلك، فجَعَله مَثَلًا لِلْمُخادَعَة والإزالة عن الرَّأْي..»

وكذلك في (محيط المحيط) و(المعجم العربيّ الأساسيّ) و(..الوسيط) و(..المدرسيّ) ولٰكنّ بعض هذه المعجمات الحديثة تُمْهِل بعضَ المعاني المَجازِيَّة التي لا تُهْمِلُها فِصاح العامِّيّة كقولهم: «فَتَلَهُ عن رأيه..».

فَخَتَ وانْفَخَتَ والسَّمَر والسُّمّار

يَصْلُحُ الفِعْلُ: فَخَتَ، مِثالًا من أمثلةٍ عديدةٍ على ضَياعِ بَعْضِ فصاحِ العامِّيّة من بَعْضِ الكتّاب بسبب عدمِ التَّنَبُّه إلى أنَّ اتِّجاه العامّة في اختيارِ الفِصاح مُخْتَلِفٌ أحيانًا عمّا تَبْدأ به المَعاجِم.

فالعَوامّ تقولُ: فَخَتَه.. فانفَخَتَ، أيْ ثَقَبَهُ فانْثَقَبَ، ومِنْ أمثالِهِمْ: (انْفَخَتَ الدَّفُّ وتَفَرّق العُشّاقُ). وفي مُعْجَم (مقاييس اللغة) «ف خ ت كَلِمةٌ وهي الفَخْت ويقولُون إنّه ضَوْء القَمَر أوّل ما يَبْدُو منه. ومنه اشْتِقاقُ الفاخِتَة لِلَوْنِها».

و(القاموس..) كأَغْلَبِ المُعْجَماتِ، يَبْدأُ هذه المادّة فَيُبْعِدُنا عن فِصاح العامّة قائلًا: «الفَخْتُ ضَوْء القَمَر..» قُلْتُ ولٰكنْ علينا ألّا نَنْصرف عن قِراءَة المعاني الأُخرى فَلْنُتابِعْ: «.. ونَشْلُ الطَّبّاخِ القِدْرَ مِنَ القِدْر. والفَخُّ. وثُقُوبٌ مُسْتَدِيْرَةٌ في

السَّقْفِ..» اقْتَرَبَ بِنا - إذًا - من فِصَاحِ العامّة حتّى لامَسَها.. فالفَخْتُ: الثَّقْبُ المُسْتَدِيْر في السَّقْف؛ ولٰكنّه عادَ يَبْتَعِدُ بنا حين يَسْتأْنِفُ: «والفاخِتَة طائرٌ معروفٌ، وتَفَخَّتَ مَشَى مِشْيَتَها وَتَعَجَّبَ» فَلْنَصْبِرْ مرّةً أُخرى ونُتَابع بعد أنْ نَسْتَخْرِجَ مَعنى (الفاخِتَة) فإذا هي «من ذَوَاتِ الأطواقِ من الحَمَامِ كما في (لسان العرب) قِيْل لها ذلك لأنّه يُشْبِهُ الفَخْتَ أيْ ضَوْء القَمَر» في (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ ثمّ أعودُ إلى «القاموس..» للفَيْروزاباديّ: «وَفَخَتَه كَمَنَعَهُ: قَطَعَهُ، والإناءَ: كَشَفَهُ، ورَأْسه بالسَّيْف ضَرَبه... وانْفَخَتَ السَّقْفُ: انْثَقَبَ».

ولماذا نَكْتَفِي بأنْ وَصَلْنا إلى الاسْتِعْمال الأصْلِيّ لِفَصِيْح العامّيّ فيها؟ بل لعلّنا نُلاحظ أيضًا من أينَ أتى المَجَازُ البَيَانيُّ الأدبيُّ في قول العامّة: «كنّا نَتستّر على الأمْر الفُلانيّ فِجِئْتَ فَأَفْشَيْت، فَفَخَتَّ علينا السِّتْر..» أليسَ هذا المعنى المَجَازِيّ مُتطَوِّرًا عن قَوْله في (القاموس): «وَفَخَتَ الإناءَ: كَشَفَهُ»؟ أمْ إنّه أكثرُ انْطِباقًا على قَوْل الزّمخشريّ في (أساس البلاغة): «وهو يَتَفَخَّتُ؛ أي: يَتَكَذَّبُ». بعد قَوْله فيه: «(أكْذَبُ من فَاخِتة) وتقولُ: له حديثٌ كَرِيَاضِ القَطا، لولا أنّ الفواخِتَ عنده قَطا».

فإذا فَتَحْت (اللسان..) وَجَدْتَه يَبْدَأُ «بالفاخِتَة. ضَرْبٌ من الحَمَام المُطَوَّف وجَمْعُها الفَواخِت. وقال ابن برّيّ: ذكر ابن الجَواليْقيّ أنّ الفاخِتَة مُشْتَقّةٌ من الفَخْتِ الذي هو ظِلُّ القَمَر.. وقال شَمِر: لم أسمع الفَخْتَ إلّا هاهنا.

...واسْم ظُلْمة ظلّه [القَمَر] على الحَقيقة: السَّمَر ولهذا قِيْل للمُتَحَدِّثِيْن لَيْلًا: سُمَّار... لأنّ الفاخِتَةَ بِلَوْن الظِّلّ أَشْبَهُ منها بِلَوْن الضَّوْءِ.

وَفَخَّتَتِ الفاخِتَةُ: صَوَّتَت. وتَفَخَّتَتِ المَرْأة: مَشَتْ مِشْيَةَ الفاخِتَة.. وفَخَتَ رَأْسَه بالسَّيْف فَخْتًا: قَطَعَه.. وَفَخَتَ الإناءَ فَخْتًا: كَشَفَه والفَخْت نَشْلُ الطَّبَّاخِ الفِدْرَةَ من القِدْر.

ويُقال: هو يَتَفَخَّتُ، أيْ: يَتَعَجَّبُ فَيَقُول: ما أحْسَنَهُ».

وكذلك من (التّاج..)..

ويقول أحمد رضا العامِليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «والفَخْتُ - بالفَتْح، والعامّة تكْسِرُه - ثُقُوبٌ مُسْتَدِيْرَةٌ في السَّقْف؛ هكذا قالَتِ الأئمّة، ولٰكنّ العامّة تَعُمُّ به كلَّ ثُقْبٍ».

قُلْتُ: لم أسْمَعْه بالكَسْر من عوامِّنا... ولعلّ حَرَكَةَ الفَتْح أو الكَسْرِ في الفاء اخْتَلَفَتْ باختلافِ الزّمان والمكانِ!.

وفي عامّيّة مِصْر يُقال: «(فَحَتَ الأرضَ) بالحاء المُهْمَلَة؛ بمعنى: شقَّ فيها فَتْحَةً والأصْل فيها فَتَحَ وحَدَثَ قَلْبٌ مَكانِيّ» في قول د.عبد المُنْعِم سيّد عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

وأَهْمَل (المُعْجَم العربيُّ الأساسيّ) للمُنَظَّمَة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم (ط: لاروس ١٩٨٩). والمعاني الواردة في مُعاجِم التُّراث لِلْفَاخِتَة... فالفِعْل «فَخَتَ يَفْخَتُ فَخْتًا: ~ هُ ثَقَبَه (فَخَتَتِ القَذِيفَةُ السَّقْفَ).

فَخْتٌ: مَصْ. فَخَت». ا.هـ. الأساسيّ.

قُلْتُ: ومَعْنى مَصْ: في رُمُوزِه: مَصْدَر. وما نَقَلْتُه من (..الأساسيّ) كلّ ما وَرَدَ فيه: في: ف خ ت. لم أُنْقِصْ منه حَرْفًا.

الفادِر والفِدْرَة

مَعَ أَنَّ أَصْلي ومَنْشَئي مِن أَواسِطِ دِمَشْقَ القَديمة فقد تَأَخَّرْت إلى ما بَعْدَ نِصْفِ القَرْنِ مِن عُمري حتّى

سَمِعتُ من أَبْناء الحيّ الشَّرْقِيّ فيها عبارة: (الفادِر). بمعنى قطعة مخبّأة من المَؤونَة لِتُؤْكَل في أيّام الفقْدان الصَّعْبَة.. فساءلْتُ (لسانَ العرب) فإذا فيه:

«..والفادِر: اللَّحْمُ البارِدُ المَطبوخ. والفِدْرَة: القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة.. وفي حديث أمّ سَلَمَةَ: (أهديت لي فِدْرَة من لحم..) والفِدْرة: القطعة من كلّ شيء، ومنه حديث جَيْش الخَبَط: (..فكنّا نقتطع الفِدَر كالثّور)؛ وفي (المُحْكَم..): الفِدْرَة: القِطْعَة من اللحم المطبوخ الباردة: الأصمعيّ: أَعْطَيْتُه فِدْرَةً من اللَّحم وَهَبْرَةً.. والفِدْرة من التَّمْر: الكَعْب..». ويَجْمُل أن آخُذَ بَقِيَّة ما في مادّة: ف د ر ممّا تشارك (اللسان..) فيه معاجم أخرى لنلاحظ تطوُّر المعاني فيها..

وفي (مقاييس اللغة) «الفاء والدّال والرّاء أصل صحيح يدلّ على قَطْعٍ وَانْقِطاع من ذلك الفِدْرَة: القِطْعة من اللَّحْم؛ ولَست أدري أَبُني منها فِعْلٌ أم لا. ويقولون: فَدَرَ الفَحْلُ: إذا عَجَزَ عن الضِّراب..»

وفي (القاموس..) «الفِدْرَة: القِطْعَة مِنَ اللَّحْم؛ وفَدَرَ اللحمُ: بَرَدَ وهو طَبِيخ» واستدرك عليه الزّبيديّ في (التّاج..):

الفادِر: اللَّحْم البارِد المَطْبوخ. والفِدْرة - بالكسر - القِطْعَة الكَعْب مِنَ التَّمر، والقِطْعَة من كلّ شيء..

وفي (أساس البلاغة): «فَحْلٌ فادِر: فاتر عن الضِّراب. وأهديت لي فِدْرَة من لَحْم وهي القِطعة المطبوخة الباردة. وتقول للقطعة من الجَبَلِ الفِدْرة. وَضَرَبْت الحَجَرَ فَتَفَدَّرَ.».

ومن (الأضداد) لمحمّد بن القاسم الأنباريّ[1] المُتوفّى ٢٧١هـ (وقال قُطْرُبٌ [الأضداد ٢٦٦]): الفادِر حَرْف من الأَضْداد، يُقال للمُسِنّ من الوعول فادر، وللشّابّ منها فادر...

فالفادِر من الوُعول: لا يَتَصَرَّفُ فعله فيقال منه: فَدَر: والفادر من الإِبِل: الذي نَفِذَ ماءُ صُلْبِه عند الهَرَم يُصَرَّف فِعْله فيقال: فَدَرَ يَفْدُرُ، وجَفَرَ يجفرُ؛ إذا لحقه ذاك؛ قال امرؤ القيس:

وَغَوَّرْنَ في ظلِّ الغَضا وتَرَكْنَه
كَقَرْمِ الهِجانِ الفادِرِ المُتَشَمِّسِ

فهل خصّصتها العامّة في الحيّ الشّرقيّ بقطعة أو مقدار من المَؤُونة والميرة تُمْتارُ وتُقْتَطَع وتُرْفَع ممّا بَيْنَ الأَيْدي وتُسْتَقْطَع عن استهلاك المُسْتَهْلِكين لكي تُخبَّأ.. من أَجْل تَوْفِيرها لِتَتَوَافَرَ لَهُم في أيّام الضّيق وشدّة الأزمة. فسُمِّيت فِدَرًا جميع فادِر؟.

فَدَغَ وفَدَشَ

فَدَغ وفَدَش في عامّيّتنا كما في (مقاييس اللغة) لابن فارس عن (الجَمْهرة..) لابن دُرَيد: «الفَدْغ: الشَّدْخ وذَكَرَ الحديث: (.. إذن تَفْدَغَ قُرَيْشٌ رأسي) وهذا صحيح.

فَدَشَ من طرائف ابن دُرَيْد، قالَ: فَدَشْت الشّيء؛ إذا شَدَخْتَه. وفَدَشْتُ رَأسَه بالحَجَر».

وفي ف د ش في (اللسان..) «فَدَشه يَفْدِشُه فَدْشًا: دفعه» ثمّ تجِدُ فيه كما تجِدُ في (القاموس.. والتّاج..):

فَدَش رَأْسَه.. فَدْشًا: أَهْمَلَهُ الجَوْهريّ وقال ابنُ دُرَيْدٍ أيْ: شَدَخَه. وقالَ ابنُ الأعرابيّ: رَجُلٌ فَدَشٌ فَدَشٌ: أيْ بالفَتْح فيهما كما يَقْتَضِيْه سِياقُه، وضَبَطَه

(١) ص ٢٠٤ الفقرة ١٣٠ من: (كتاب الأضداد) لمحمد بن القاسم الأنباري المتوفى ٢٧١هـ. تحقيق محمّد أبي الفَضْل إبراهيم ط. الكويت ١٩٦٠م.

الصّاغانيّ كَكَتِف [فَدِش مَدِش] فيهما وهو الصَّوابُ؛ أيْ: أَخْرَق.

وممّا يُسْتَدْرَكُ عليه: امْرَأَةٌ فَدْشاءُ كَمَدْشاء لا لَحْمَ على بَدَنِها. . .

وفي: ف د غ في (اللسان. .):

الفَدْغُ: شَدْخُ شَيْءٍ أَجْوَفَ مثل حبّة عِنَبٍ ونحوه، وفي الحديث أنّه (دعا على عُتْبَةَ بن أبي لَهَبٍ فَضَغَمَه الأَسَدُ ضَغْمَةً فَدَغَه) قال ابنُ الأثير: الفَدْغُ: الشَّدْخُ والشَّقُّ اليَسِيرُ. غيرُه: الفَدْغُ: كَسْر الشّيء الرَّطْب والأَجْوَف، وشَدَخَه: فَدَغَه يَفْدَغه فَدْغًا. . . ومنه حديثُ ابن سِيْرين (سُئِل عن الذَّبِيْحَةِ بالعود فقال: كلّ ما لم يُفْدَغْ). . . ويُقال: فَدَغ رَأْسَه وَثَدَغَهُ: إذا رَضَّه وشَدَخَهُ.

وفي (رَدَّ العامّيّ إلى الفصيح) لأحمد رضا: «وقالُوا فَدَغَه إذا شقّ رأسَه أو كَسَره. . فالفَدْغُ والفَدْعُ والفَشْخ والفَقْش والفَدْخ والفَدْش والشَّدْخ كلّها، عامّيّة كانت أو فصيحة، تَدورُ على مِحْوَرٍ واحدٍ في المعنى».

فَرْتَك

(الفَرْتُوك فَرْتَك الأمرَ فَتَفَرْتَكَتِ المسألة. . .) من كلام العَوامّ بمعنى: صغير القِطْعة قد أَفْسَدَ الأَمْر فَفَسَدَت المسألة. وفي مصر يقول د. عبد العال في (مُعجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيَّة): «نقول في دارجتنا: فَرتك فلان ثوبه: قَطَّعَهُ وتَفَرْتَك الثّوب: تَقَطَّع. وفرتك مالَه تصرّف فيه بِحُمْق. . .».

ولم أجدْ الفَرْتوك. ولكنّ الفعل فَرْتَك لا يكاد يُهْمِله مُعْجم.

وفي (لسان العرب):

«فَرْتَكَ عَمَلَه: أَفْسَدَهُ، يكون ذلك في النَّسج وغيره. وفي النّوادر: بَرْتَكْتُ الشَّيْءَ بَرْتَكَةً وَفَرْتَكْتُه فَرْتَكَةً وكَرْنَفْتُه إذا قطعْته مِثْل الذّرّ».

وأَزيد من (القاموس. . والتّاج. .):

«وفَرْتَكَ فرتكة: مَشَىٰ مِشْية مُتَقارِبة، نَقَلَه الصّاغانيّ». وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «الفِرْتَيْكَة آلة ذات أسنان يُؤكَل بها. وربّما سُمّيت بالشّوكة وبالمِلْقط. إفرنجيّة».

ويأخذ (. . الوسيط) مُعْجَم مَجْمَع القاهرة و(. . المدرسيّ) بدمشق بما جاء في (القاموس. . واللسان. . والتّاج. .).

وأهمله (المعجم العربيّ الأساسيّ) للمُنَظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعُلوم.

فَرْتَنَ

إذا كان فلان جادًّا في عَمَلِه أو إجْهادِه نَفْسَه من أَجْلِ بُلوغ مَقْصَدٍ ما، فجاء مَنْ (يُفَرْتِنُه) عن قَصْدِه ويُضَيِّعُهُ عنه؛ فذلك كمثل مَن يَجِد القَوْمَ مُتَّفِقِينَ على هدف أو قَصْد فَيُفَرْتِنهُم عنه وَيُخَذِّلُهُم ويُحْبِطُهُم. .

وكذلك في الشّام ومصر يقال: كما ذكر د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتنا: قام فلان بفرتينة بين الجماعة: عطّل اجتماعهم، أو أفسد صداقتهم ومحبّتهم، وفرتن الأمرَ: أفسده. . .».

تلك هي الفَرْتَنَة عند العامّة في الشّام ومصر فصيحة دقيقة اللفظ، أو: مشتقّة المعنى من مُقارَبَةِ الفِصاح.

وفي (تاج العروس. . عن القاموس. . واللسان):

«فَرْتَنَ الرَّجُل: شَقَّق كَلامَهُ واهْتَمَسَ فيه – هكذا في النُّسَخ بالسّين المُهْمَلَة، والصَّوابُ بالمُعْجَمة

[واهْتَمَشَ فيه: أي خَلَّط في كلامِهِ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ فَأَكْثَرَ الكلامَ في غيرِ صَواب]. يُقال: فَرْتَن يُفَرْتِن فرْتنةً عن أبي سعيد.

والفِرْتَنَىٰ: وَلَدُ الضّبع. وَفَرْتَنَىٰ - بلا لام -: المَرْأَة الزّانِيَة، وأيضًا: الأَمَة... ؛ مِن أَفْرَت الرجلُ يَفْرُتُ فَرْتًا إذا فجر... وكذلك الهَلُوك والمُومسة قال جرير:

مهلًا بَعِيْثُ، فإنَّ أُمَّكَ فَرْتَنَىٰ
حَمْراءُ أَثْخَنَتِ العُلُوجَ رُداما

.. أراد الأَمَةَ وكانتْ أمُّ البَعيث حمراءَ من سَبْي أَحْبَهان [أصفهان]. وفَرْتَنى: اسم امرأة؛ قال النّابغة:

عفاذ وحُسًا من فَرْتَنى فالفَوارعُ
فَجَنْبا أَرِيكٍ فالتِّلاعُ الدَّوافِعُ

و... ممّا يُسْتَدْرَك عليه: ابْنُ فَرْتَنى: اللئيم، نَقَلَهُ ابن بَرّيّ عن الأحول. والفُرْتُنَة - بالضّمّ - هَيَجَانُ البَحْرِ من عَصْف الرّياح، وكأنّها مُولّدة، ومنه: فَرْتَنَ الرَّجُلُ: إذا غَضِبَ وهاج».

وفي (محيط المحيط) للبُستانيّ: «الفُرْتُونَة: النَّوُّ، وهي من كلام المَلّاحين».

فَرَرْته

في مادّة الفَرّ كثيرٌ من فِصاحِ العامّيّات المُتَفَرِّقةِ بَيْن مُختلف النّاس ولعلّ بعضَهم القليل... يخلط ويمزج: فَرَرَه مع: (أَفَرَه) الذي مَرَّ في: أ ف ر وفي: ف ر ر: وَرَدَ في (القاموس.. واللسان.. والتّاج..) «وَفَرَّ الدّابّة يَفِرُّها فرًّا وفُرارًا - مثلّثة - كَشَفَ عن أسنانها لِيَنْظُرَ ما سِنُّها. وفَرَّ عن الأمر: بَحَثَ عنه، وعَيْنُه فُِرارُهُ - مثلّثة: مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ يَدُلّ ظاهِرُه على باطِنِه ومَنْظَرُه يُغْني عن أنْ يَفِرَّ أسنانَه وَتَخْبُرَه: إنّ الجَوادَ عينه فُرارُهُ. ويُقال: الخبيث عينُه فُراره.. وفي خُطْبَة الحَجّاج: (لقد فُرِرْت عن ذكاء)... وفي حديث عُمَر: قال لابن عبّاس - رضي الله عنه -: (كان يَبْلُغُني عنك أشياء كَرِهْتُ أن أَفُرَّك عنها) أي أَكْشِفَك. [والانْكِشاف: أصل من معاني الفَرّ في (مقاييس اللغة)]. وافْتَرَّ الإنسانُ... ضاحكًا.. أبدى أسنانَه.. وكَشَرَ من فَرَرْتُ أَفُرُّ (بضمّ الفاء في المضارع: في اللسان)؛ ويُقال: فُرَّ فلانًا عمّا في نفسه، أي: استنطقه. لِيَدُلّ بِنُطْقِه على ما في نفسه».

وفي (أساس البلاغة): «..وَفُرَّ عن هذا الأمر، وفُرَّ فلانٌ عمّا في نَفْسِهِ، وفلانٌ مَفْرور ومُفَرَّر: مُجَرَّب... وفارَرْتُه مُفارّة: فَتَّشت عن حالِهِ وفتّش عن حالي. وفَرَس ذابل الفَرير وهي المِجَسَّةُ في معرفته..».

فَرَزَ الإفريز و(اليرواز) وفيروز

تراكيبُ المادّة: ف ر ز في أَغْلَبها من فَصِيح العَوامّ بلا مِراء.. ولكن في: (فيروز) لم أجدْ سوى أنّه اسمٌ فارسيّ من أسماءِ أعلامِ النّاس والأماكن.

ووجدت في: ف ي ر و ز ج في المعجم (الوسيط) أنّ اللّون الفيروزيّ من لون الفَيْروزج وهو «حَجَر كريم غير شفّاف معروف بلونه الأزرق كلون السّماء أو أميل إلى الخُضْرَة يُتَحَلّىٰ به. (مُعرّبة)». وأهمل كُتّاب فصاح العامّيّة ذلك كلّه، وذكر أحمد رضا في مُعْجَمِه(متن اللغة) أنّ الفَيْرُوزَ هُوَ: «الفَيْروزَج: كذا شاع عند العامّة: مُعرّب».

في (اللسان..): «ف ر ز: فَرَزَ العَرَقَ فَرْزًا. والفِرْز: القِطْعَة منه، والجَمْع أَفْراز وفُرُوز. والفِرْزَة كالفِرْزِ. وأُفْرِزَ له نَصِيبُه: عُزِل. وقوله في الحَديث: (من أخذ شَفْعًا فهو له، ومن أخذ فِرْزًا فهو له)...». [وأكمل من (اللسان..

والقاموس.. والتّاج.. والأساس..)]:

«والفَرْزُ: الفَرْجُ بَيْن الجَبَلَيْن، وقيل: هو ما اطْمَأَنَّ من الأرض بَيْنَ رَبْوَتَيْن؛ قال رُؤبَة يَصِف ناقَةً:

كَمْ جاوَزَتْ مِن حَدَبٍ وَفَرْزِ

والفَرْز: عَزْل شَيْء مِن شَيْءٍ وَمَيْزُه كالإفْراز، قاله الجوهريّ، وقد فَرَزَهُ يَفْرِزُه - بالكَسْر - فَرْزًا وَأَفْرَزه: مازَهُ.. وفارَزَه: فاصَلَهُ وقاطَعَهُ... والفِرْزَةُ - بالكَسْر -: القِطْعَةُ مِمّا عُزِلَ كالفِرزِ وجَمْعُها أَفْرازٌ وفُرُوزٌ.

والفُرزة - بالضّمّ -: النَّوْبَةُ والفُرْصَة؛ عن القُشَيْريّ، يُقال للفُرْصَة فُرْزَةٌ وهي النَّوْبَةُ، وَمِثْلُه في (التّكمله.. [للصّاغانيّ]).

والفُرْزَةُ: الطَّرِيقُ في الأَكَمَة كالفِرز بالكسر. ولسانٌ وكلامٌ فارِزٌ بَيِّنٌ فاصِلٌ، وفيه لَفٌّ ونَشْرٌ مُرَتَّبٌ، يُقال: فَرَزْت الشّيءَ من الشّيء: إذا فَصَلْته، وتكلّم بكلام فارِزٍ أي فَصَلَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ؛ قال:

إنّي إذا ما نَشَزَ المُناشِزُ

فَرَّج عن عِرْضي لِسانٌ فارِزُ

...وثوب مَفْرُوز - كَمَسْعُود - وضَبَطَه بعضهم كمُدَحْرَج [مُفَرْوَز]: له تَطارِيفُ مَأْخُوذ من إفريز الحائط.. وإفْرِيزُ الحائِطِ: طَنْفُهُ، مُعرَّب.. (پرواز) بالفتح بالفارسيّة.. وقد جاء في شعر أبي فِراس:

بُسْطٌ من الدِّيباج قد فُرِزَت

أَطْرافُها بِفَوارِزٍ خُضْرِ

وَقيلَ الفِرْوَاز: فِعْلال مِن: فَرَزَ الشّيءَ إذا عَزَلَه فهو إذًا عربيّ، نَقَلَهُ شيخُنا عن ابن حجر، وفيه نَظَر.

ومِمّا يُسْتَدْرَك عليه: فَرَزْتُ الشّيءَ فَرزًا: فَرَّقْته.. والفِرْز - بالكَسْر: النَّصيب المَفْروز لصاحبه واحدًا كان أو اثنين. أي المَعْزول ناحية. وقد فَرَزَه وأَفْرَزه. قال: الأَزْهريّ... وفَيْروز: اسْمُ فارسيّ».

ويقول أَحْمَد بن فارس في (معجم مقاييس اللغة) ج٤ ص ٤٨٥.

[الفاء والرّاء والزّاء أُصَيلٌ يَدُلّ على عَزْل الشّيء عن غيره.

يُقال: فَرَزْت الشّيءَ فَرْزًا. وهو مفرُوز، والقطعة فِرْزة[٣]].

وفي الحاشية (٣) في الصّفحة ذاتها: [فِرْزة: ضبط في (القاموس..) بكسر الفاء، وضبط في المُجْمَل بفتحها وكسرها].

وفي عصرنا نصّ (المعجم الوسيط) لمجمع القاهرة على أنّ: أَفْرَزَ: فَرَزَ وأجاز محمّد العدنانيّ في (معجم الأغلاط اللغويّة المعاصرة): «كِلا الفعلين فَرَزَ وأَفْرَزَ...».

وذكر العدنانيّ فيه الفيروز مع العنوان: فيروزاباديّ ص ٥٣٠ وانتهىٰ إلى ضَبْطِه على أربعةَ عشرَ وَجْهًا من وجوه الضَّبْط.

فرسح وفرْشح وفَرْشخ

تَبادُلاتُ الإبدال.. بَيْن مُهْمَلاتِ الأَحْرُف ومُعْجماتها؛ أي: مَنْقُوطاتها؛ أدخلت عددًا من العِبارات في بعض شُبُهات الاخْتِلاطِ أو الافْتِراق بَيْن اسْتعمالاتها العامّيّة والفُحصىٰ...

وعوَامّنا يَلْفُظون (الفَرْشَخَة) بالخاء المُعْجَمَة الفَوقيّة، ولم تَرِدْ في (اللسان..) إلّا بالحاء المُهْمَلَة.. ولْكنّ (القاموس..) أَوْرَدَ كُلًّا من الوَجْهَيْن وفضّل (التّاج..) لُغَةَ الحاء المُهْمَلَة..

لأنّه لم يَجِدِ المُعْجَمَة إلّا عند ابن دُرَيْد في (الجَمْهَرَة..).

في (القاموس.. والتّاج..) ف ر ش خ:

«الفَرْشَخَة، بالشّين المُعْجَمَة (السَّعَة) هذه المادّة ساقِطَةٌ من (اللسان..) وغيره من كُتُبِ الغَرِيْب وإنّما ذكَرُوا مَعانِيَها في المُهْمَلة. (قال أبو زياد) ما فُطِرَ النّاسُ من مَطَرٍ بَيْنَ نَوْأَيْن إلّا كان بَيْنَهُما فَرْسَخ قال: والفَرْسَخ انكسار البَرْد و(إذا احْتَبَسَ المَطْرُ اشْتَدَّ البَرْدُ وإذا مُطِرَ الناسُ كانَ لِلْبَرْدِ) بعد ذلك (فَرْشَخٌ) هكذا بالشّين المُعْجَمَة والصّواب أنّه فَرْسَخٌ بالسِّيْن المُهْمَلَة (أي سُكُونٌ) من قولك: فَرْسَخَ عنّي المَرَضُ إذا تَباعَدَ».

وقَبْلَه في: ف ر س ح: في (القاموس.. والتّاج..):

«(الفِرْساح، بالكَسْر: الأَرْضُ العَرِيْضة الواسِعَة) رواه الأزهريّ عن أبي زَيْد، وقال: هكذا أَقْرَأَنِيْه الإياديّ. وقال شمر: هذا تصحيفٌ والصّواب الفرشاح بالشّين المُعْجَمة؛ من: فَرْشَحَ في جِلْسَته، ثمّ قال الأزهريّ: هذا الحَرْف من (الجَمْهَرَة..) ولم أَجِدْه لأحدٍ من الثِّقات، فلْيفحصْ عنه».

وفي: ف ر ش ح: «(الفِرْشاحُ) بالمُعْجَمَة هي (الفِرْساح) بالمُهْمَلَة، وهي: الأرض العريضة الواسعة. والفِرْشاح من النِّساء: (المَرْأة السَّمِجَة الكبيرةُ وكذا النّاقة)؛ قال:

سَقَيْتُكُم الفِرْشاحَ، نَأْيًا لأُمِّكُمْ
تَدِبُّونَ لِلْمَوْلَىٰ دَبِيْبَ العَقارِبِ

والفِرْشاح (المُنْبَسِط) المُنْبَطِحُ (من الحوافر) قال أبو النّجم في صفة الحافِر.

بِكُلِّ وَأْبٍ لِلْحَصىٰ رَضّاح
لَيْسَ بِمُصْطَرٍّ ولا فِرْشاحِ

[الوَأْب المُقَعَّبُ الشَّديد. والمُصْطَرُّ: الضَّيِّق] والفِرْشاحُ (سَحابٌ لا مَطَرَ فيه).

و(تَفَرْشَحَتِ النّاقة) هكذا في النُّسَخ، وفي بَعْضِها: وَفَرْشَحَتِ النّاقة؛ ومِثْلُه في (..الصّحاج..): (تَفَحَّجَت لِلحَلْب)[1] وَفَرْطَشَتْ لِلبَوْلِ. و(فَرْشَحَ الرَّجُل فَرْشَحَةً وفَرْشَحَىٰ: وَثَبَ) وَثْبًا مُتَقارِبًا... (أو: فَرْشَحَ إذا قَعَدَ مُسْتَرْخِيًا فَأَلْصَق فَخِذَيْهِ بِالْأَرْضِ). كالفَرْطَشَةِ سواء.

(أو) فَرْشَحَ إذا قَعَدَ (وفَتَحَ ما بَيْن رِجْلَيْه) قاله اللِّحيانيّ. وقال أبو عُبَيْد: الفَرْشَحَةُ أنْ يَفْرِشَ بَيْن رِجْلَيْه وَيُباعِدَ إحداهُما من الأُخرى.

وقال الكِسائيّ: فَرْشَحَ الرَّجُل في صَلاته، وهو أنْ يُفَجِّجَ بَيْن رِجْلَيْه جدًّا، وهو قائمٌ ومنه حديثُ ابن عُمَر أنّه (كان لا يُفَرْشِحُ رِجْلَيْه في الصَّلاة ولا يُلْصِقُهُما ولٰكنْ بَيْن ذلك).».

قلت: وتَقَعُ عَيْني في (القاموس..) على: الفَنْشَخَة، دُون قَصْدٍ، فأقرأُ:

«الفَنْشَخَة: الإعْياءُ والتَّأَخُّرُ عن الأَمْر والتَّفْجِيجُ بَيْنَ الرِّجْلَيْنِ عند البَوْلِ وَأَنْ يَكْبُرَ الرَّجُل وَيَشِيخَ. والمُفَنْشخ السّاقِطُ النّائم؛ وَتَفَنْشَخَت المَرْأَةُ في الجِماع، باعَدَتْ بَيْن رِجْلَيْها». قُلْتُ: أَسُوقُه ولا أَقِفُ عنده فليسَ من فصيح العَوَامّ ولٰكنّه يُشِيْر إلى التَّوَسُّع في تَبادُلِ الإبدالات...

وكذلك أَجِدُ في (القاموس...): «فَرْشَدَ: باعد بَيْن رِجْلَيْه» وأَجِدُ (الفَرْكَحَة) قريبة المعنى فهي

(١) حافظتُ، في نقول هذه التّراكيب، على الأقواس التي يحصر الزّبيديّ في داخِلِها نُقُولَه من الفَيروزاباديّ، ما أمكَنَ ذلك من دُون الإخلالِ بالدِّقّة في مُحاوَلَة مُراعاةِ الأَمانة إذا لم يُحْدِثْ تعقيدٌ للنَّصّ...

تَباعُد ما بَيْن الألْيَتَيْنِ. وكتبت فيها...

وقُلْت: إذا أَرَدْتُ أنْ أَتَتَبَّع مِثْلَ هذه الإبدالات: لم أكدْ أنتهي حتّى أُحصي ما في أَلْفٍ ونِصْفِ أَلْفٍ من مَعاجِمِ التُّراثِ التَّليد بالإضافةِ إلى الحديث..

وفي الحديث تجدُ بَعْضُ هذه المعاجمِ في (الفَرْشَخةِ) العامّيّة فصيحًا تُحافِظ عليه كما في (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ، وبعضُها الآخرَ لا تَعْتَرِفُ عليها إلّا بالحاء المُهْمَلة: فَرْشح، كما في (المُعْجَم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة. وذلك لأنّ من القُدَماء من اقْتَصر عليها كما فيما يَقُوله ابن فارس في (مقاييس اللغة):

«..الفَرْشَحَةُ: وهو أنْ يُفَرِّج الإنسانُ بَيْن رِجْلَيْه ويُباعِدَ إحداهما من الأُخرى، وهو المَنْهيُّ عنه في الصَّلاة. وهذا من كَلِمَتَيْن: من فَرَش وفَسَخَ..».

وقد كتب أحمد رضا العامِليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) بعنوان (فرشخ) فوَجدهُ بالخاء المُعْجَمَة وبالحاء المُهْمَلَة.. ولْكنّه حين كَتَبَ في (فَرْكَحَ) وَجَدَ الصِّلَة بَيْنَه وبين فَرْكَشَ..

أمّا في مصر فهو بالحاء المُهْمَلة فقط كما كَتَب د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة). ولم يَجِدْها بالخاء المُعْجَمَة إلّا في (فَشَخ) بغير راء..

وأمّا للأمير أرسلان: ففي (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل):

«فرشخ رِجْلَيْه، العامّيّة عندنا وفي الشّام ومصر والمَغْرِب لعلّها مِن: فَنْشَخ رِجْلَيْه، أيْ: فَجَحَ رِجْلَيْه عند البَوْل، وفي طَرَابُلُس واليمن (فجح) وفي نَجْد (فَوْحَشَ رِجْلَيْه) وفي مُتُونِ اللغة (فَرْشَح)...».

فَرَتَ وَفَرَطَ

لا نُفَرِّط بالغالي كما تَقولُ عَوامّ الشّام، فَرَطْنا حَبَّ الرّمّان، وفَرَطنا الخِلافَ، وفَرَطْنا المَسْأَلَة، وَفَرَطنا مِن التَّعَبِ، وفَرَطْنا مِن الضّحِك، ومعنا نقود فُراطة.. وفلانة مفروطة من قلَّة الوَقار وكثرة الهزل..

ويقول د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامِّيَّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) «نقول في دارجتنا: فَرَّتَ الرُّمَّانَ: نثر حَبّه، وعِنَبٌ فَرْتٌ: تناثرت حَبّاتُهُ من العُنْقودِ.

وقد ذكرها ابن فارس في معجم (مقاييس الألفاظ)[1]: فَرْتٌ يَدُلُّ على شيء مُتَفَتِّت» [الحاشية (١) ٤/٤٩٨ معجم مقاييس الألفاظ لابن فارس].

قلت: الذي أعرفه: (معجم مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس مُؤَلِّف (المجمل) في اللغة، والمُتوفَّىٰ سنة ٣٩٥هـ. وقد انْطَبَق رَقْم الجزء الرّابع والصّفحة ٤٩٨ على طبعة (مقاييس اللغة) الذي حقّقه سنة ١٣٦٦ھ عبد السّلام محمّد هارون ط. مصوّرة عن ط٢ سنة ١٤٠٤هـ وفي هذه الصَّفْحة عندي: «ف ر ت: الفاء والرّاء والتّاء كلمةٌ واحدة وهي الماء الفُراتُ. وهو العذب. يُقال: ماء فُرات ومياه فُرات». ا.هـ. ابن فارس ولْكنّ المادّة التي بعدها في الصّفحة ذاتها «ف ر ث: الفاء والرّاء والثّاء أُصَيْلٌ يَدُلّ على شَيْء مُتَفَتِّت. يُقال: فَرَتَ كَبِدَه: فَتَّها. والفَرْث: ما في الكَرِش. ويُقال على معنى الاستعارة: أَفْرثَ فلان أَصْحابه: إذا سَعَىٰ بِهِمْ وأَلْقاهم في بَلِيَّةٍ».

قلت: فآخرها إذًا ثاءٌ مُثَلَّثة النّقاط وليس تاءً مُثَنّاة.

وقلت: أمّا قَوْل د. عبد العال: «نقول في

دارجتنا: فَرّتَ الرُّمّان: نثر حَبَّه» فهذه نَقولُها في الشّام بالطّاء: فَرَطَ حَبَّ الرّمّان؛ فهذا الذي في آخره طاء أهمله د. عبد العال؛ ونحن نَسْتَعمل الفعلَ الثُّلاثيّ منه بهذا المعنى، أمّا مضعّفه: فرّط على وزن فعّلَ فَلِمَعْنى قَصَّر؛ فنقول: لا إفراط ولا تفريط، أي: لا إكثار ولا تقصير.

وفي: ف ر ط: قال ابن فارس في (مقاييس اللغة ج٤ ص٤٩٠): «الفاء والراء والطّاء أَصْل صَحيح يدلّ على إزالَة شَيْءٍ عن مَكانه وتَنْحِيَته عنه. يُقال: فَرَّطت عنه ما كَرِهَه. أي نَحَّيْته؛ قال [مرقّش في (اللسان..)]:

فَلعَلَّ بُطْأَكُما يُفَرِّط سَيِّئًا
أو يَسْبِق الإسراعُ خَيرًا مُقبلًا

فهذا هو الأَصْل، ثمّ يقال: أَفْرَط، إذا تجاوَز الحدَّ في الأَمْر، يقولون: إيّاك والفَرَط، أي لا تُجاوِز القَدْر. وهذا هو القياس، لأنّه إذا جاوز القَدْرَ فقد أزال الشّيءَ عن جهته. وكذلك التَّفريط، وهو التّقصير، لأنّه إذا قصّر فيه فقد قَعَد عن رُتْبته التي هي له...

ومن الباب الفَرَط والفارط: أي المتقدِّم في طلب الماء.. وأفرطتُ القومَ؛ إذا تقدَّمْتَهم وتَرَكْتَهُم وراءك.

ويقولون: لَقِيْتُه من الفَرْط بعد الفَرْط، أي: الحِين بعد الحِين. يُقال: مَعْناه ما فَرَط من الزَّمان...».

قُلْتُ: أَرَدْت من هذه النُّقول الوُصولَ إلى عِبارة: العام الفارط أو المدّة الفارِطة، وهي العبارة العامّيّة الفصيحة الجزائريّة والشّائعة في أقطار المَغرب العربيّ والتي يُستعمل فيها؛ الزّمن الفارط بمعنى الماضي.. وقد ذكر هذا في (المعجم العربيّ الأساسيّ) للمنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم: «فرَط العِقْد أو العُنقود أو نحوهما: فَرّق حبَّه. فارط: ١- شخص فارط: سابق، متقدّم، ٢- زمن فارط: ماضي (الأسبوع الفارط) (السّنة الفارطة) الخ (مُستعمَلة في بلدان المَغرب العربيّ).». ا.هـ. (المعجم العربيّ الأساسيّ) الذي وضعت فيه ياء الاسم المنقوص (ماضي) ولم تحذف هذه الياء ويعوّض عنها بتنوين العِوض (ماضٍ) وفي هذا (المعجم العربيّ الأساسيّ): «فَرّاطة: آلة يفرط بها الحَبّ (الذُّرة)». والفَرّاطة في (المعجم المدرسيّ) مُحْدَثَة.

وَأَعود إلى نُقول التُّراث مَرَّة أُخرى ففي (أساس البلاغة) للزمخشريّ: «..وآتيك فَرْطَ يَوم أو يومين: بمعنى بَعْدَ... ومن المَجاز: فَرَطَ لَهُ وَلَدٌ سَبَقَ إلى الجَنَّة... وافْتَرَط فلان أَوْلادًا. وطلعت أَفْراطُ الصَّباح، لِتَباشِيرِهِ الأُوَل، قال [رؤبة في اللسان..)]:

باكَرْتُه قبل الغَطاطِ اللُّغَّط
وقبل أَفراط الصَّباح الفُرَّطِ

...وَفَرَطَ إلينا مِن فلانٍ خيرٌ أو شرّ. وتَفَارَطَتْهُ الهمومُ: لا تزال تأتيه الحين بعد الحين... وَفَرَطَ علينا فلان إذا عَجِلَ بمكروه.. وتقول: اللّهمَّ اغفرْ لي فَرَطاتي...». وأُطيل في النُّقول لعلّ التّأمُّل فيما فرط من تطوُّر المعاني من الفِصاح إلى العامّيّة كما قال ابن جنّي في باب من (الخصائص..[1]) «باب في هٰذِهِ اللُّغَة أفي وَقْتٍ واحد وُضِعَتْ؟ أم تَلَاحَقَ تابعٌ منها بفارط؟».

(١) عنوان الباب ٦١ من كتاب (الخصائص في اللغة) تأليف عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ و١٠٠٢م وتحقيق محمد علي النجار وطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م الجزء الثاني ص ٢٨.

ومن (التّاج..) «أنشد الجوهريّ لِلَبيد:

هل النَّفْسُ إلّا مُتْعَة مُسْتَعارة
تُعاد فَتَأْتي ربّها فَرْط أَشْهُر

...والفَرْطَة: المَرَّة الواحدَة من الخُروج، وبالضّمّ: الاسم.. اسم للخروج والتّقدُّم...».

وفي (القاموس.. واللسان.. والتّاج..) لا تجد في: ف ر ت، ولا في: ف ر ث، ما يَتَعَلَّق بفصاحِ العامّيّة في: ف ر ط الذي تجد منه في (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..):

«الفارط: المتقدّم السّابق، فَرَطَ يَفْرُط فُرُوطًا... وَفَرَطْتُ القومَ أفرِطُهم فَرْطًا أي: سبقتهم إلى الماء، فأنا فارط وهم الفُرّاط؛ قال القُطاميّ [وهو عُمَيْر بن شُيَيْم التَّغْلِبي].

فاسْتَعْجَلونا وكانوا من صَحابَتِنا
كما تَقَدَّمَ فُرّاط لِوُرّادِ

ويُقال: فَرَطْتُ القومَ وأنا أَفْرُطُهُم فُروطًا؛ إذا تَقَدَّمْتَهم، وَفَرَّطْتُ غَيْرِيَ: قَدَّمْتُه، والفَرَطُ: اسم للجَمْع. وفي الحديث: (أنا والنَّبِيّونَ فُرّاط لِقاصِفِينَ) أي مُتَقَدِّمونَ إلى الشَّفاعَةِ؛ وقيل: إلى الحوض، والقاصِفون: المُزْدَحِمون...

والفَرَط: الماء المُتَقَدِّم لغيره من الأمواه.

والفُراطَة: الماء يكون شَرَعًا بين عِدَّةِ أحياء مَن سَبَقَ إليه فهو له؛ وبِئْرٌ فُراطة: كذلك، ابن الأعرابيّ: الماءُ بَيْنَهُم فُراطة: أي مُسابَقَة... (الصّحاح..): الماء الفِراط: الذي يكون لِمَنْ سَبَقَ إلَيْه من الأحياء... وفَرَطْت البِئْرَ: إذا تَرَكْتها حتّى يثوبَ ماؤها... وأمّا قول عَمْرو بن مَعْدِ يكرب:

أَطَلْتُ فِراطَهُمْ، حَتّى إذا ما
قَتَلْتُ سَراتَهُم، كانَتْ قَطاطِ

أي: أَطَلْتُ إِمْهالَهم والتّأنّي بهم إلى أن قَتَلْتُهُم...

والفَرَط: ما تقدّمك من أَجْرٍ وَعَمَل..

وَفَرَطَ فلان وُلْدًا وافترطهم: ماتوا صِغارًا. وافْتُرِطَ الوَلَدُ: عُجِّلَ موتُه... والإفْراط: أن تَبْعَث رَسُولًا مجرَّدًا خاصًّا في حوائجك. وفارطتُ القومَ مفارطةً وفِراطًا أي سابقتهم وهم يتفارطون...

وفَرَط عليه في القول يَفْرُط: أسرف وتقدّم. وفي التّنزيل العزيز ﴿إنّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أَوْ أَنْ يَطغَىٰ﴾ السّورة ٢٠ طه الآية ٤٥ والفُرُط: الظُّلْم والاعتداء.

قال الله تعالىٰ ﴿وكانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ السّورة ١٨ الكهف الآية ٢٨: أي مَتْرُوكًا تَرَكَ فيه الطّاعة وغَفَل عنها، ويُقال: إيّاك والفُرُطَ في الأَمْر...

ومَفارِطُ البَلَد: أَطْرافُه؛ وقال أبو زُبيد:

وَسَمَوْا بالمَطِيِّ والذُّبَّلِ الصُّمِّ
لِعَمْياءَ في مَفارِطِ بِيدِ

وفلان ذو فُرْطة في البلاد إذا كان صاحبَ أسفارٍ كثيرة. ابن الأعرابيّ: يقال: ألفاه وصادَفه وفارَطه وفالَطَه ولاقَطَه كلّه بمعنى واحد...

..وأَفْرَط الحوضَ والإناء: مَلأه حتّى فاض... وقول أبي وَجْزَة:

لاعٍ يكاد خَفِيُّ الزَّجْر يُفْرِطُهُ
مُسْتَرْفِعٍ لِسُرى المَوْماةِ هَيّاجِ

يُفْرِطُه: يَمْلَؤُهُ رَوْعًا حتّى يذهَب به، واللاعي: الذي يُفْزِعُه أَدْنىٰ شيء [ورواية (اللسان..) ذاته في: ر ب ع: مُسْتَرْبِعٌ...].

والفَرْط: الجَبَل الصَّغير وَجَمْعُه فُرُط.. والفُرُط واحد الأَفْراط وهي آكام شَبِيْهات بالجِبال؛ قال

امرؤ القيس:

وقد أُلْبِسَت أَفْراطها ثِنْيَ غيهَب

. . . وَفَرَّط في الشّيء وَفَرَّطه: ضيّعه وقدّم العَجْز فيه. . . قال صخر الغيّ:

ذٰلِـكَ بَـزِّيْ، فَـلَـنْ أُفَـرِّطَـه
أَخافُ أن يُنْجِزوا الذي وَعُدوا

. . . وفَرَّط الله عنه ما يكره أي: نحّاه. . . وقال بعض العرب: مضيت فَرْطَ ساعة ولم أُومِنْ أن أَنْفَلِتَ. . .

والفِراط: التَّرْك. وما أَفْرَطَ منهم أحدًا أي ما تَرَك. وما أَفْرَطْت من القَوْم أَحَدًا أي ما تَرَكْت. وأَفْرَطَ الشّيءَ نَسِيَهُ. . ».

والفَرَط من الأَضْداد التي فَصَّلَتِ القَوْلَ فيها كُتُب (الأَضْداد) ككتاب محمّد بن القاسم[1] الأنباريّ المُتوفّى ٢٧١هـ: (وأَفْرَطْت: حرف من الأضداد).

يُقال: أفرَطت الرّجل إذا قدّمْتَه، وأفرَطته إذا أَخَّرْته ونَسِيْته؛ قال الله عَزَّ وَجَلّ ﴿لا جَرَمَ أنْ لَهُمُ النارَ وأنّهم مُفْرَطون﴾ السّورة ١٦/ النّحل: الآية ٦٢. فمعنى قوله ﴿مُفرَطون﴾ مُقَدَّمُون مُعَجَّلون. وقال جماعة من المُفَسِّرين والقُرّاء: مَعْناه مَنْسِيّون متروكون. . هذا في الفقرة: ٥٣ ص ٧١ منه، وأيضًا تجدُ في الفقرة ٣٤٣ ص ٤٢٠ منه: «ومنها أيضًا قَوْلُهم: قد افْترطَ الرَّجُلُ فَرَطًا؛ إذا دَفَنَ وَلَدًا له صغيرًا؛ وقد افترط فَرطًا إذا دَفَنَ أباه وعمّه وَجَدَّه وغيرهم من كبار أَهْلِهِ».

وكذلك ورد في (الأضداد في كلام العرب)[2] تأليف عبد الواحد بن عليّ اللغويّ الحلبيّ وفيه: «وقال قطربٌ: المُفْرَط: المُقَدَّم وقد أَفْرَطْتُه؛ أي: قَدَّمْته. والمُفْرَط: المُؤَخَّر؛ وقد أفطرته؛ أي: أَخَّرْتُه. ويُقال: وما أَفْرَطْتُ أَحَدًا خلْفي، أي: لم أُخْلِفْه وما أَفْرَطْتُ قبلي أحدًا، أي ما قَدَّمْتُه، وكذلك المُفَرَّط. . . ».

وفي (محيط المحيط) للبستانيّ «وفَرَطَ الشَّيْءَ بَدَّدَهُ وَفَرَّقَهُ؛ . . ومنه فَرْطُ الأَشْجار عند العامّة كالزَّيْتون ونَحْوِه. . . والفُراطَة للباراتِ من كلام العامَّة. . . والفَرْط من النّقود: القِطَع الصَّغِيرة كالقِرْش والبارَة وهي من كلام العامّة. . ».

وفي (المعجم الوسيط) لِمَجْمَع اللغة في القاهرة: «وَفَرَط العِقدَ والعُنْقودَ ونحوهما: بَدَّدَ منهما الحَبَّ وفَرَّقه (مُوَلَّدَة).

. . . انفرط الشّيءُ: تبدّد وَتَفَرَّق. . . ويُقال: الماء بينهم فَراطة: سابقة».

وفي (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) لأحمد رضا العامليّ بعنوان: «فَرْفَطَ، الفرافيط: وقالُوا: فَرْفَطَ فلان بكلامه إذا ألقاه على غيرِ رَوِيّة ولا نظام فأشبه انفراط الحَبِّ من العِقد. وربّما كان من أفرط في القول إذا أكثر منه. أو من قولهم: فرط إليه منّي قَوْلٌ أي سَبَق كَلام. وتكلّم فِراطًا أي سَبَقَت منه كلمة.

وقالت العامّة: فَرَطَتْ مع فلان إذا خرج عن الحدّ اللائق في كلامه غَضَبًا ولم يتعقّلْ. ويقرب منه في اللغة فَرِتَ فَرَتًا وذلك إذا ضعُفَ عقله بعد مَسْكِه.

وأمّا انْفِراطُ العِقد و(فَرْفَطَة) العنقود فربّما كانت من فَرِتَ هذه، بمعنى أنّ الضَّعْفَ بعد مُسْكَةٍ وَقَع

(١) (كتاب الأضداد) تأليف: محمد بن القاسم الأنباري المتوفّى سنة ٢٧١هـ تحقيق: محمد إبي الفضل إبراهيم. طبعة الكويت سنة ١٩٦٠م.

(٢) من الجزء الثاني من ص ٥٤٦ حتى ص ٥٥٣ من (كتاب الأضداد في كلام العرب) تأليف: أبي الطّيّب عبد الواحد بن عليّ اللغويّ الحلبي المُتوفّى سنة ٥٣١هـ. تحقيق د. عزة حسن. طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م.

في سِلْك العِقْد وعَمالِيش العُنْقُود لمّا وَهَيَا، والطّاء هي تاء مفخّمة».

وقيل بأنّها دخيلة إرْمِيَّة. وفي (شفاء الغليل..) «العامّة تقول لتَبديد حَبّات العِقْد والرُّمّان ونحوه تفريط، وهو مَجَاز قريب مُوَلّد. قال القيراطيّ:

أُسائِلُ الصّدغَ عنها هل تَفَرَّطَ مِن
عُنْقُودِها فَوْقَ صَحْنِ الخَدِّ حَبّاتُ»

فَرْفَحَ

في (تاج العروس):

«الفَرْفَحُ» بالفاءَيْن؛ هكذا في النُّسَخ التي بأيدينا، وفي (اللسان..) بالفاء ثمّ القاف (الأرض الملساء). وهكذا فَسَّره غير واحد من أئمّة اللغة. والفرفحين: بَقْلة تُؤْكل».

قلت: فقول العامّيّ في دمشق (هذا يُفرفح القلب) يجوز أنّه مأخوذ على المَجَاز من الفَرح بالأرض الملساء. ثمّ توسّع المعنى بالاستعمالات المجازيّة المُختلِفة.

ويرىٰ أحمد أبو سعد في (قاموس المُصطلحات والتّعابير الشّعبيّة ص ٢٦٩): «مُفَرْفِح: مِن: فَرِحَ، وضُوعِف للمبالغة، وهو الشّديد الفَرَح والمُنْتَعِش».

فَرْفَرَ الفَرْفُور

(ابن فَرْفُور ذَنْبُه مَغْفُور) من الأمثال التي تقولُها عوامّنا.. وللفَرْفُور مَعانٍ منها: «الغُلام الشّابّ» كما في (القاموس المحيط)، و«..العُصْفور.. أو الصغير منه. والجَمَل السّمين كالفُرْفُر وواحد الفُرار وهم البَهْم الكِبار، ويكون الفُرار للواحد والجَمْع» كما في (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..).. وفي (محيط المحيط): «والفُرْفُر والفِرْفِر: طائر، ويُعْرَفُ الآنَ بالفِرّي».

والفَرْفَرَة: من التّعابير الغامِضَة في ذِهْن مُسْتَعْمِلِيْها من العَوَامّ، وقد يُفسِّرها بعضُهم تفسيراتٍ مُتخالِفةً، ولِكلٍّ من هذه التّفاسير ما يُقارِبُها في اللغة التّالدة وأصلُه لدى ابن فارس في (مقاييس اللغة): «يدلّ على خِفَّةٍ وطيش».

وفي مَجاز العامّيّ الفصيح: الفَرْفَرَة: خِفَّة الحَرَكة، ولا سيّما لدى طيران الطّائر وخَفْقِه بجَناحَيْه قبلَ الطّيران استعدادًا له؛ أو محاولته الفرار: أو وُقُوعه على (وَليفَتِه) أي أُنْثاه.. أمّا فرفرته لدى ذَبْحِه فهي (عامّيّة) في (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ؛ وهي فصيحةٌ لدىٰ د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) لأنّ «في القاموس: فَرْفَرَ الشّيءَ: كَسَرَه وَقَطَّعَه». ولم يَذْكُرْ قول الزّمخشريّ في (أساس البلاغة): «والذِّئب يُفَرْفِرُ الشّاة إذا مَزَّقها ومنه سُمِّي الأسد: فُرافِرًا، والفَرَس يُفَرْفِرُ اللِّجامَ لِيَخْلَعَهُ عن رَأْسِه»، ومِثْلُه في المَعاجِم المُتداوَلةِ كما في (اللسان..): «الفَرِيرِ والفُرار والفُرارة والفُرْفُر والفُرْفور والفَرور والفُرافِر: الحَمَل إذا فُطِمَ واسْتَجْفَرَ وأَخْصَبَ وَسَمِنَ.

وفَرْفَرَ الرَّجُل إذا استعجل بالحَمَاقة. وَوَقَع القومُ في فُرَّةٍ وَأُفُرَّة؛ أي: اخْتِلاطٍ وشِدّة. وفُرَّة الحَرِّ وأُفُرَّته: في أوّله أو شِدَّته.. وحكى الكِسائيّ.. الألف عينًا: عُفُرَّةِ الحَرّ.

والفَرْفَرَة: الصِّياح.. قال أوس بن عفراء السّعدي:

إذا ما فَرْفَرُوه رَغا وبالا

والفَرْفَرَة: العَجَلَة... والفَرْفَرَة: الطَّيْش والخِفَّة، وَرَجُلٌ فَرْفار وامرأة فَرْفارَة. والفَرْفَرَةُ: الكَلام. والفَرْفار: الكثيرُ الكَلام كالثّرثار.

وفَرْفَرَ في كلامِه: خَلَّط وأكثرَ. والفُرافِر:

الأَخْرق.

وَفَرْفَرَ الشّيءَ: كَسَره. والفُرافِر والفَرْفار: الذي يُفَرْفِرُ كلَّ شَيْءٍ أيْ يَكسرُه. وَفَرْفَرْت الشّيءَ: حرّكته مثل: هَرْهَرْته.

يُقال: فَرْفَرَ الفَرَسُ: إذا ضَرَب بِفَأْس لِجامِه أَسْنانَه وحَرَّك رأسَه؛ وناس يَرْوُونه في شِعْر امرئ القَيْس بالقاف، قال ابن برّيّ: هو قوله:

إذا زُعْتُه من جانِبَيْه كِلَيْهِما
مَشَى الهَيْذَبَى في دَقِّه ثمّ فَرْفَرا

ويُروى: قَرْقَرا... بمعنى صَوَّت.. والرّواية الصَّحِيْحة بالفاء: فَرْفَرا. والهَيْذَبَى: سَيْر سريع.. وفَرْفَرني فرفارًا: نَفَضَني وحَرَّكَني.

وفَرْفَرَ البَعِيرُ: نَفَضَ جَسَدَه. وَفَرْفَرَ أيضًا: أَسْرَع وقاربَ الخَطْو، وأنشد بيت امرئ القيس..

وَفَرْفَرَ الشّيءَ: شَقَّقَه. وفَرْفَرَ إذا شَقَّق الزِّقاقَ وَغَيْرَها.

وَفَرْفَرَ الرَّجُل إذا أوقد بالفَرْفار وهو شجر تُتَّخَذُ منه العِساس والقِصاع، وهي شجرة صَبُور على النّار؛ قال:

والبَلْط يَبْري حُبَرَ الفَرْفارِ

البَلْط: المِخْرَطة. والحُبَر: العُقد.

الجوهريّ: الفُرفور طائر؛ قال الشّاعر:

حجازِيَّةٌ لم تَدْرِ ما طَعْمُ فُرْفُرٍ
ولم تأتِ يومًا أهلَها بِتُبُشِّرِ

قال: التُّبُشِّر: الصَّعْوَة [العُصفور الصَّغيرة]. وفي حديث عَوْن بن عبدالله: (ما رأيت أَحَدًا يُفَرْفِرُ الدُّنيا فَرْفَرَةَ هذا الأعرَج) يَعْني أبا حازم، أيْ: يَذُمُّها ويُمَزِّقُها بالذّمّ والوقيعة فيها. ويُقال: الذِّئب يُفَرْفِر الشّاة: أيْ يُمَزِّقُها».

وفي (الأساس..) «من المَجَاز:.. وفلان يُفَرْفِر فلانًا؛ إذا أنال منه وخَرَّق عِرْضَهُ..».

الفَرْقَعَةُ والفَقْعُ

كلّ ما في عامّيّتنا من الفَقْع والفَرْقَعَةِ فصيح الأَصْل، وليسَ كلُّ فِصاحِهِ حيًّا على الألْسِنَة وذلك لأنّ «هذا الباب وكَلِمَهُ غير موضوع على قِياس، وهي كَلِماتٌ مُتَبايِنَة» كما قال فيه ابن فارس في (مقاييس اللغة: ف ق ع).

وكَتَبَ أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) بعنوان: «فَرْقَعَ أصابِعَه وَفَقَعَها: إذا غَمَزَها ولَوَاها فَسُمِع لِمَفاصِلِها صَوْتٌ. ويُقال في الفَصِيح أَنْقَضَ أَصابِعَهُ إذا فَرْقَعَها.. وفي (النّهاية [في غريب الحَدِيْث والأَثَر: لابن الأَثِيْر] في حديث مُجاهد: كَرِهَ أن يُفَرْقِعَ الرَّجُلُ أصابِعَه في الصّلاة)... والفَرْقَعَةُ والتَّفْقِيْع واحدٌ..»..

ومِثْلَما كَتَبَ رضا كذلك كَتَبَ د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة..) في فَرْقَعَةِ الأصابِعِ.. وصَوْت الفَرْقَعَةِ والفَقْعِ والتَّفْقِيْع..

وأَنْتَقِيْ فَصِيْح العَوَامّ ممّا: في (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..): «ف ر ق ع: الفَرْقَعَةُ تَنْقِيْضُ الأصابِعِ، وَقَد فَرْقَعَها فَتَفَرْقَعَتْ. وفي حَدِيْث مُجاهد: (كَرِهَ أنْ يُفَرْقِعَ الرَّجُلُ أصابِعَهُ في الصَّلاة).. والفَرْقَعَة في الأصابع والتَّفْقيع واحد.. والمَصْدَر الافْرِنْقاع.. والفَرْقَعَة: الصَّوْتُ بَيْن شَيْئَيْن يُضْرَبان.. والفِرْقاع: الضَّرِط.. وفي الأزهريّ: سُمِعَت لِرِجْلِه صَرْقَعَةٌ وفَرْقَعَة، بِمَعْنىً واحد. وقال: وتَقَرْعَفَ وتَفَرْقَعَ: إذا انقبض.».

وفي (اللسان..): كما في (القاموس.. والأساس.. والتّاج..) ف ق ع «الفَقْع والفِقْع، بالفَتْح والكَسْر: الأبيض الرَّخْو من الكَمْأة وهو

أَرْدَؤُها [قُلْتُ: في عامّيّة البادية اليومَ يُسَمُّونه الفَكَاع، يَلْفُظُونَه بالكاف الفارسيّة مثل G، في الإنكليزيّة، وأعودُ فأَسْتَكْمِلُ من اللسان].

والفَقْعُ: شِدّة البَيَاض، وأَبْيَضُ فُقاعيٌّ: خالِصٌ منه.

والفَاقِعُ: الخَالِصُ الصُّفْرَة النّاصِعُها، وقد فَقَعَ ويَفْقُع فُقُوعًا إذا خَلَصَت صَفْرَتُه. وفي التَّنْزيل ﴿صَفْراءُ فاقِعٌ لَوْنُها﴾ السّورة الثّانية: البقرة: الآية ٦٩.. وأَصْفَرُ فُقاعِيّ.. وأحمرُ فَاقِعٌ وفُقاعِيّ وقيل: الفاقِع: الخَالص الصّافي من الألوان أيَّ لونٍ كان...؛ وقال بُرْجُ بن مُسْهِرٍ الطّائيّ في الأحمرِ الفَاقِع:

تَراها في الإناء لها حُمَيًّا
كُمَيْتٌ مِثْلَما فَقِعَ الأديم

والفَقْع: الضُّراط، وقد فَقَّعَ به.. وإنَّهُ لَفَقّاع..

والتَّفْقيع: التَّشَدُّق. يُقال: قد فَقَّعَ إذا تَشَدَّق وجاءَ بِكَلامٍ لا مَعْنى له..

والتَّفْقِيْع: صَوْتُ الأَصَابِع إذا ضَرَب بَعْضَها بِبَعْضٍ أو فَرْقَعَها؛ وفي حديث ابن عبّاس: أنّه (نَهَىٰ عن التَّفْقِيْع في الصّلاة). يُقال: فَقَّعَ أصابِعَهُ تَفْقِيْعًا: إذا غَمَزَ مَفاصِلَها فأَنْقَضَت، وهي الفَرْقَعةُ أيضًا.

والتَّفْقِيْع أيضًا: أنْ تَأْخُذَ وَرَقَةً من الوَرْدِ فتُدِيرها ثمّ تَغْمِزُها بِإِصْبَعِك فَتُصَوِّت إذا انْشَقَّت. وتَفْقِيْعُ الوَرْدَةِ: أنْ تُضْرَبَ بالكَفِّ فَتُفَقِّعَ وتَسْمَعَ لها صَوْتًا. والفَقاقِيْع: هَنَاتٌ كأمثالِ القَوارير الصِّغارِ مُسْتَدِيْرة تَتَفَقَّعُ على الماءِ والشَّراب عندَ المَزْج بالماء، واحِدَتُها: فُقّاعةٌ؛ قال عَدِيُّ بنُ زَيْدٍ يَصِفُ فقاقيع الخَمْر إذا مُزِجَت:

وطَفا فَوْقَها فَقاقِيعُ، كَاليَا
قوتِ، حُمْرٌ يُثِيْرُها التَّصْفِيقُ

ومن حديث أمِّ سَلَمَة: (..وإنْ تفاقَعَت عيناك) أي: رَمِصَتا، وقيل: ابْيَضّتا، وقيل: انْشَقَّتا. والفُقّاع: شرابٌ يُتَّخَذُ من الشَّعِير؛ سُمّيَ به لما يَعلُوهُ من الزَّبَد.

والإفقاعُ: سوءُ الحَالِ. وأَفْقَع: افْتَقَرَ. وفَقِيرٌ مُفْقِعٌ: مُدْقِع فقير مجهود، وهو أَسْوَأُ ما يكونُ من الحالِ. وأصابَتْهُ فاقِعَةٌ؛ أي: داهِيَة. وفَواقِعُ الدَّهْر: بَوائِقُه».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «والفُقَّيْع عند العامّة ثَمَرُ التّينُ قَبْلَ نُضْجِهِ، الواحدة فُقَّيْعَة. والفَقْع: الفَقْر.

ونَبَاتٌ مُتَفَقِّع؛ أيْ: إذا يَبِسَ صَلُبَ».

فَرَكَ وسَبَلَ

(فَرَكَ الحَبَّ والشّيءَ): في دارجتنا العامّيّة في الشّام ومصر وغيرهما: دَلَكَه وفَتَلَه بَيْن راحَتَيْ الكَفَّيْن ليسترخي قِشرُه وقشّه فيخرج عنه فَيَصِيْر الحَبُّ فريكة.. فهذا من فصيح العَوَامّ الوارد بنصِّه من المعجم.. وكذلك (وَفَرَكَتِ الصّحنَ والطّبَق تحت الليفة): فَتَلَهُ حتّى يَسْترخي عنه اللاصِقُ به من آثار الطّعام.. وفَرْك الأُذُن فصيح.. وكذلك (التَّرْكَ فَرْك).. ولكنّ مُثَقَّفِيْنا لا يَعْرِفُونَ من معانيه الفصيحة إلّا المرأةَ الفارِك التي تَحدّث عنها الحُطيئة والتي تكره زوجها.. في القول: (فلان فَرَكَها من وُجوهنا هاربًا حتّى لا يرانا..)

وهذا مثلما وَرَد في قول الحُطيئة المشهور

كفارِكٍ كَرِهَتْ ثَوْبي وإلباسي

وتخريج الفارِك في (مقاييس اللغة) لابن فارس:

«الفاء والرّاء والكاف أصْل يَدُلّ على اسْتِرْخاء في الشّيء وتَفْتِيل له. فمن ذلك: فَرَكْتُ الشّيء بِيَدِي

أَفْرُكه فَرْكًا، وذلك تَفْتِيلُك للشّيء حتّى يَنْفَرِك. وثَوْب مَفْروك بالزَّعفران: مَصْبُوغ، والأصل فيه ما ذكرناه.

ومن الباب: فَرِكَتِ المرأةُ زوجَها تَفْرَكُه، إذا أَبْغَضَتْه قال [رُؤْبة: من ديوانه ١٠٤..]

[فَعَفّ عن إسْرارها بعد الغَسَق]

ولم يُضِعْها بَيْن فِرْكٍ وعَشَق

ورَجُل مُفَرَّك: يبغضه النّساء، وإنّما سُمّيَ فِرْكًا لأنّها تلتوي وتَنْفَتِل عنه..».

وفي (لسان العرب): كما في (القاموس.. والتّاج.. والأساس..) «الفَرْك: دَلْكُ الشَّيْءِ حتّى يَنْقَلِع قِشْره عن لُبِّهِ كالجوز... والفَرِك: المُتَفَرّك قِشْره. واسْتَفْرَك الحَبُّ في السُّنْبُلَة: سَمِنَ واشْتَدّ.

وَبُرٌّ فَريك: وهو الذي فُرِكَ ونُقِّيَ. وأَفْرك الحَبُّ: حانَ له أنْ يُفْرك والفَرِيك طعام يُفْرَك ثمّ يُلَتُّ بِسَمْن وغيره وفَرَكْت الثّوْب والسُّنْبُلَ بِيَدِي فَرْكًا. وأَفْرَكَ السُّنبل أي: صارَ فَريكًا، وهو حين يَصْلُح أنْ يُفْرَكَ فَيُؤْكل، ويُقال للنَّبْت أَوّلَ ما يَطْلُع: نَجَمَ ثمّ فَرَّخ وقَصَّب ثمّ أَعْصَف ثمّ أَسْبَلَ ثمّ سَنْبَلَ ثمّ أَحَبَّ وَأَلَبَّ ثمّ أَسْفن ثمّ أَفْرَكَ ثمّ أَحْصَدَ.

وفي الحديث: «نَهَىٰ عن بَيْع الحَبّ حتّى يُفْرِك» [رُوِي بفَتْح الرّاء وكَسْرها] أيْ يَشْتَدُّ وَيَنْتَهِي. ويُقال: أَفْرَكَ الزَّرْعُ إذا بَلَغَ أنْ يُفْرَكَ باليَد. وفَرَكته وهو مفروك وفريك، ومَنْ رَواه بِفَتْح الرّاء فمعناه: حتّى يَخْرُجَ من قِشْره.

والفَرَكُ، بالتّحريك: اسْترخاء أصْل الأُذُن. يُقال أُذُن فَرْكاء وَفَرِكَة، وقيل: الفَرْكاء: التي فيها رَخاوة وهي أشدّ أصلًا من الخَذْواء وقد فَرِكَت فيهما فَرَكًا. والانْفِراك: اسْترخاء المَنْكِب...

..وتَفَرَّكَ المُخَنَّثُ في كلامه وَمِشْيَتِهِ: تَكَسَّرَ. والفِرْكُ - بالكَسْر -: البغْضَةُ عامَّة، وقيل: الفِرْك بِغْضَة الرَّجُل لامرأته أو بغضة امرأته له وهو أشهر. ويُقال للرَّجُل أيضًا: فَرِكَها فَرْكًا وفِرِكًا؛ أي: أبغضها؛ قال رُؤْبة:

فَعَفّ عن إسْرارِها بعد الغَسَق

ولم يُضِعْها بين فِرْكٍ وَعَشَقْ

وَرَجُل مُفَرَّك: لا يحْظى عند النّساء.. وكان امرُؤ القَيْس مُفَرَّكًا وامرأة مُفَرَّكَة... أنشد ابن الأعرابيّ:

مُفَرَّكَة أَزْرَى بها عند زَوْجها

وَلَوْ لَوَّطَتْهُ هَيَّبانٌ مُخالِفِ

يقول: لو لَطَّخَتْه بالطِّيْب ما كانت إلّا مُفَرَّكَةً لِسُوء مَخْبُرَتِها..

..يُقال: فَارَك فلانٌ فلانًا: تارَكَه. وَفَرَكَ بَلَدَهُ وَوَطَنَهُ؛ قال أبو الرُّبَيْسِ التَّغْلِبيّ:

مُراجِع نجد بعد فِرْكٍ وبِغْضَةٍ

مُطَلِّق بُصْرى أَصْمَع القَلْبِ حافِله

ومن (التّاج..):

..يقال: لَوْز فَرِك: يتفرّك قشره؛ وكذلك خَوْخ فَرِك وَسَمَّوا أَفْرَكَ كَأَحْمَدَ».

والفارك في (أساس البلاغة) من الفوارك خلاف العَرُوب التي تعشق زوجها.

وفي (مُحيط المُحيط) يقول البُستانيّ:

«والقَمْلَة المَفْروكة مَثَلٌ عند العامّة لِكَمال الانْقِياد والضّعْف».

ولأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «وقالُوا: فَرَك فلان من الطّريق، إذا تنحّىٰ وذهب خِلْسَة في طريق آخر.. والمُراد ذهب في شُعْبَةٍ أُخرى من شُعَب الطّريق لِئَلّا يلتقيا. وأرى أنّ أصلها فرَق بالقاف أيْ اتَّخَذَ

مَفْرقًا.. أو مِنْ فَرَقَت النّاقةُ إذا ذهبت نادّةً من الأرض لمّا جاءها المَخاض. أو مِنْ فَارَكَهُ بمعنى فَارَقَه، وأصْلُه من فرَكت الزَّوْجَة إذا تركت زوجها».

وفي مصر كتب في الفَرْك د.عبد العال في (مُعجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة). فَعَدّها في الفِصاح الدّارجة في العامّيّة.. وللأمير أرسلان في (القول الفصل...):

«.. يجوز أنْ يُقال فَرَك له أُذُنَه: دَلَكها، كما أنّه وَرَدَ: فَرَكت الأُذُن فرْكًا: اسْتَرخى أصْلُها.

وممّا يُقال في العامّيّ في المَغْرِب والشّام ومصر وهو فصيح: (أَفْرَكَ السُّنْبُلُ) أي صار فَرِيكًا... (وسبل الزَّرْعُ) في مصر والشّام وطرابلس والمَغْرب: صار ذا سُنْبل؛ فصيح.. والسّبل بمعنى: السّنبل فصيح أيضًا».

الفَرْكَحَة وليس (الفَرْكَشَة)

لعلَّ من الأَنْسَب إلحاق الفركحة العامّيّة والفصيحة بالفَرْشحَة (والفَرْشَخة العامّيّة) وليس (بالفَرْكَشَة) (فالفَرْكشة) في عامّيّتنا التّعثُّر والوقوع.

أمّا الفَرْكحة فهي كالفَرْشَحة في الفصيح (والفَرشخَة في العامّيّة). في (القاموس.. والتّاج..) كما في (اللّسان..): «الفَرْكَحَة: تَباعُد ما بَيْن الأَلْيَتَيْن عن كراع. والفِركاح، بالكسر، والمُفَرْكَح - كَمُسَرْهَد؟ - من ارتفع مِذْرَوَا اسْتِهِ وَخَرَجَ دُبُرُه

وأنشد:

جاءَتْ به مُفَرْكَحًا فِرْكاحا».

ولكن لأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «ويقولون (فَرْكَحهُ وفَرْكَشهُ) إذا جعَله يَتَفَرْكَح أيْ تَنْقَلب رِجْلُه أو تَعْثُر بالرِّجْل الأُخرىٰ فيقع إلى الأرض. وهما دخيلتان أرميّتان بمعنىٰ: أزلقهُ.. وفي (لسان العرب): الفَرْقَحُ: الأرض المَلْساء. (وهي الفَرْفَح، بفاءَيْن) كما في (القاموس..) والفَرْكَحَة: تباعدُ ما بَيْن الأَلْيَتَيْن».

أمّا فَكْحُ الأَفْكَح: بمعنىٰ العَرَج أو اعوجاج الرِّجل فمن الآرامية في رأي روفائيل نخلة في (غرائب اللهجة اللبنانيّة السّوريّة) ص ٩٣.

إحالة: الفُرْنِيَّة: مع الزق.. واللزاقِيّات والفرنيّة) في ل ز ق.

فَزَرَ وفَلَق

حافَظَتِ العَوامّ في مصرَ والشّام على أَصْل مَعْنى الفَزْر كما جاء لَدى ابن فارس في (مقاييس اللغة): «الفاء والزّاء والرّاء أُصَيْلٌ يَدُلّ على انْفِراج وانْصداع. من ذلك الطّريق الفازِر: وهو المُنْفَرِج الواسع. والفِزْرُ: القَطِيع من الغَنَم. يُقال: فَزَرْتُ الشَّيْءَ: صَدَعْتُه. والأَفْزَر: الذي يتطامَنُ ظَهْرُه؛ والقياس واحد، كأنّه يَنْفَرِق لحمتا ظهره. والله أعلم».

وفي ف س أ يقول ابْن فارسٍ ذاتُه: «..تَفَسَّأَ الثّوبُ.. وفَسَأْته أنا: مَدَدْته حتّى تَفَزَّرَ».

وكما في (لسان العرب):

«الفَزْر، بالفَتْح: الفَسْخ في الثّوب. وفَزَر الثّوب فَزْرًا: شَقَّه. والفِزَر: الشُّقوق. وَتَفَزَّرَ الثّوب والحائط: تَشَقَّقَ وَتَقَطَّعَ وَبَلِيَ.

ويُقال: فَزَرْت الجُلَّة وأَفْزَرْتها وَفَزَّرْتها: إذا فَتَّتَّها. شَمِر: الفَزْر الكَسْر؛ قال: وكنْتُ بالبادِية فَرَأَيْت قِبابًا مَضْروبَةً فَقُلْت لِأَعْرابيّ: لِمَنْ هذه القِبَاب؟ فقال: لِبَني فَزارَةَ، فَزَرَ اللهُ ظُهُورَهم! فَقُلْت: ما نَعْني به؟ فقال: كَسَر الله [والفزارة:

الأنثى من التَّمِر] والفُزُورُ: الشُّقوق والصُّدوع. ويُقال: فَزَرْت أَنْفَ فُلان فَزْرًا أيْ ضَرَبْته بشَيْء فَشَقَقْتُه، فهو مَفْزور الأَنْف.

وقال بَعْضُ أَهْل اللُّغة: الفَزْر قريب مِنَ الفَرْز؛ تقول: فَرَزْت الشَّيء مِنَ الشَّيْء، أيْ: فَصَلْته: وفَزَرْت الشَّيء: صَدَعْته. وفي الحديث: (أنّ رجلًا من الأَنْصار أَخَذ لَحْيَ حَزُورٍ فَضَرَب به أَنْفَ سَعْد ففزره)، أيْ شَقَّهُ. وفي حديث طارق ابن شِهاب: (خَرَجْنا حُجَّاجًا فَأَوْطأ رَجُلٌ راحِلَتَه ظَبْيًا فَفَزَر ظَهْرَه)...»

وآخُذ من (تاج العروس..) أبْواب الفِعْل وغيره «..وفَزِرَ فلان؛ ظاهِرُهُ أنّه من باب نَصَر، كالأَوّل، ولَيْس كذلك؛ بل هو فَزِر كَفَرِح يَفْزَرُ فَزْرًا إذا خَرَج على ظَهْرِه أَوْ صَدْرِه فُزْرَة، بالضّمّ أيْ عُجْرَة عظيمة، فهو أَفْزَرُ بَيِّنُ الفَزْر وهو الأَحْدَب... والْجَارِيَة الفَزْراء: المُمْتَلِئَة لَحْمًا وشَحْمًا، أوْ هي التي قارَبَتِ الإدْراك؛ قال الأَخْطَل:

وما إنْ أرى الفَزْرَاءَ إلّا تطلُّعًا

وخيفة يحميها بنو أمّ عَجْرد»

أمّا فَلَقَ وانفلق وتفلّق ومشتقّاتها فَأَشْهَرُ من أن أعرّف بفصاحة العوامّ فيها.. وأذكرها هنا لكون شفيق جبري قَرَنَها مع: فزر في الاستعمال العامّيّ المجازيّ حين يَسْتَهينون بِغَضَبِ غاضِبٍ هائج فيقولون[1]: «خَلِّه يَنْفَلِق.. وَخَلِّه ينفزر.. أي إنّه لا يُبالَى بغضبه؛ فَلْيَشُقَّ جِسْمَه أو رُوحَه.. وقد استعملوا الفَزْرَ في الإفصاح عن كثرة الأكل فيقولون: أَكَلَ حتّى انْفَزَر..».

فَزَّ

اعْتِمادُ مُعْجَم واحِدٍ لَيْسَ بكافٍ دائمًا.. كما نجد في مادّة الفعل: فَزَّ يَفُزّ فَزَّةً، المُسْتَعْمَل في عامّيّاتنا بكثرة. فإذا راجَعْنا (مُختار الصّحاح) للرّازي لم نجد إلّا قوله: «اسْتَفَزَّه الخوفُ: اسْتَخَفَّه. وقَعَد مُستفِزًّا، أي: غير مطمئنّ».

ولا يُضيف الزَّمَخْشَريّ إلّا قوله في (أساس البلاغة): «والفَزّ الخفيف». وهذا لدى ابن فارس أصل المعنىٰ في (مقاييس اللغة)..

ويضيف: «ويقول: فَزَّ عَنِ الشّيء: عَدَل...».

أمّا الفَيُّوميّ في (المِصباح المُنير) فأهمل مادّة التّركيب: ف ز ز.

ولٰكنّ ما في عامّيّتنا من (الفَزَّة) نجدُه فصيحًا لفظًا ومعنًىٰ في (القاموس.. واللسان.. والتّاج..) قال الفيروزاباديّ «فَزَّعَنِّيْ: عَدَلَ وَانْفَرَد. والظَّبْيُ: فَزِع. والرّجُلُ يَفُزُّ فَزازَةً وفُزُوزةً: تَوَقَّد؛ وفُلانًا عن مَوْضِعِهِ فَزًّا: أَزْعَجَهُ. والجُرْحُ يَفِزُّ فَزِيزًا: سال ونَدَّى.. واستفزّه: استخفّه وأخْرَجه من داره وأَزْعَجَه. وأَفْزَزْته: أَزْعَجْتُه وَأَفْزَعْتُه... وتفزّرَ عنّي وافتزّ: غلب. وَفَزْفَزَ. طَرَدَ إنسانًا أو غَيْرَه. وتَفازَزْنا: تَبارَزْنا».

ويستشهد صاحب (لسان العرب). بقول أبي ذُؤَيْب:

والدَّهْرُ لا يَبْقَىٰ على حِدْثانِهِ

شَبَبٌ أَفَزَّتْهُ الكِلابُ مُرَوَّعُ

وَأَفَزَّه: فَزَّهُ وَأَزْعَجه وَطَيَّر فُؤادَهُ...

ويرويه البُستانيّ في (مُحيط المُحيط) برواية:

(١) شفيق جبري في مقالة بعنوان: (لغة العامّة) في (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق) الجزء الرابع من المجلد التاسع والأربعين: شعبان سنة ١٣٩٤هـ. وأيلول (سبتمبر) سنة ١٩٧٤م. الصفحة ٦٩٧.

«شَيَبٌ، وليس شَبَبٌ». ويقول: «وبعض العامّة يقول: فَزَّ فلان أي: وَثَبَ».

ويروي أحمد رضا أنّ «فَزّ بمعنى قَفَزَ وهي مُحَرَّفة منها..» في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح).

أمّا في مصر فيقرّر الوسيط مُعْجم مَجْمَع القاهرة أنّ:

«الفَزَّة: الوَثْبَة بالانْزِعاج». ويذكرها د. عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة..) «نقولُ في دارِجتنا: فَزَّ فلان واقفًا: انزعَجَ فهبَّ واقفًا. وتَفَزَّزَ من نومه: أتى بِحَرَكات لاشعوريّة أثْناء النَّوْم تُشِير إلى فَزَعِ نَفْسه وَعَدَمِ اطْمِئنانها. وفزَّ فلان عن مكانه: عَدَلَ عنه وابْتَعَد...».

قلت: في دمشق يتكلّمون في موضوع صُعُوبة فَزَّة الجَمَل بعد أنْ أناخُوه لِيُحَمِّلُوه. وسألوه: كم تقدر أن تَحْمِل حتّى لا نُنْقِص ظَهْرَك؟ فيجيب الجَمَل: (لولا الفَزّة لَحَمَلْتُ المَزَّة).

والمزَّة اليوم يقطنها مئات الألوف من النّاس، فهي دمشق الجديدة - كما تعلم - فلا يحتجّ جَمَل بالفزّة وحدها تحول دون حَمْلِه إيّاها.

فَزِعَ له وفَزِعَ منه

الفَزَعُ في العامّيّات كما في الفَصِيْح ولٰكنّ بعضَ العَوَامّ لا يَسْتَعْمِلُونَه بمعنى الإغاثَة، فَمَعْنى الذُّعْرِ أكثرُ منه انْتِشَارًا.. ويَغْلِبُ على الرِّيْفِيِّين اسْتِخْدامُ مَعْنى الإغاثة؛ (وفزع من نَوْمِه) أيضًا في بَعْضِ عامّيّاتنا..

والفَزَّاعةُ وفزّاعات الزُّرُوع من فَصِيْح العَوَامّ وقد يُسَمِّيها اللُّبنانيّون (خيال صَحْرا). وقد تُسَمَّى: حارس الزَّرْع، وهي فَزّاعة من القَشّ أو ثَوْب أو أيّ شَيْء يُعَلَّقُ على عَصا فَيَهْتزّ في الهَوَاء فَتَحْسَبُه العصافيرُ حارسًا للزَّرْع فلا تأكُلُه العَصافيرُ خَوْفًا من هذه الفزّاعة التي تَجِدُها في (أساس البلاغة) وغيره.

«ومن الأضْدَادِ: الفَزَعُ» كما في (الأضْدَاد في كلامِ العَرَب) لِعَبْد الواحد بن عليّ اللُّغَوِيّ، أبي الطّيّب اللُّغوي المُتَوَفّى سنة ٣٥١هـ وقبله كذلك في (الأضْداد) لمحمّد بن القاسم الأنباريّ المُتَوَفّى سنة ٢٧١هـ وفيه «والمُفزِّع الشُّجَاعُ؛ والمُفَزَّعُ: الجَبَان».

وكما في (مقاييس اللغة): «ف ز ع أصْلانِ صَحِيْحانِ أحدُهما الذُّعْر والآخر الإغاثَةُ. فأمّا الأوّل فالفَزَع، ويُقَالُ: فَزِعَ يَفْزَع فَزعًا، إذا ذُعِر. وَأَفْزَعْتُه أنا. وهو مَفْزَعُ القَوْمِ، إذا فَزِعُوا إليه فيما يَدْهَمُهُم. فأمّا فَزَّعْتُ عنه فَمَعناه كَشَفْتُ عنه الفَزَع؛ قال الله تعالى ﴿حتّى إذا فُزِّعَ عن قُلوبهم﴾ السّورة ٣٤ سبأ/ الآية ٢٣ [كُشِفَ الفَزَعُ عنهم: كما في قَوْل الزّمخشريّ في (أساس البلاغة)].

والمَفْزَعَةُ: المكانُ يَلْتَجِئُ إليه الفَزِع. قال:

طَويْلٌ طامِحُ الطَّرْفِ
إلى مَفْزَعَةِ الكَلْبِ[1]

والأصْلُ الآخَرُ: الفَزَع: الإغاثةُ. قال رسولُ الله - ﷺ - للأنْصار: (إنّكم لَتَكْثُرونَ عِنْد الفزع، وتَقِلُّون عند الطَّمَع).

يقولُون: أفْزَعْتُه: إذا رَعَبْتُه، وأفْزَعْته: إذا أغَثْتَه. وفَزِعْتُ إليه فأفزعني؛ أي: لجأتُ إليه فَزِعًا فأغاثني. وقال الشّاعر في الإغاثة:

(١) [لأبي داود الإياديّ، كما في الحيوان (٢: ١٦٨). واللسان (طمع) وحقّق البكري في التّنبيه أنّه لِعُقْبة ابن سابق الهزاني. وانظر شرح الحَيَوان (٢: ١٦٨) المُحقّق عبد السّلام محمّد هارون].

فَقُلْتُ لِكَأْسٍ أَلْجِمِيها فَإِنَّما
نَزَلْنا الكَثيبَ من زَرودَ لِنَفْزَعا»[1]

وهذا في عامّة المُعْجَماتِ، وأَزِيْدُ من (لسان العرب): «..وفَزّاعَة: كثيرُ الفَزع، وفَزّاعَةٌ أيضًا: يُفَزِّعُ النّاسَ كثيرًا.

وفَزِعَ إلى القَوْم اسْتَغاثَهم. وفَزِع القومَ وفَزَعَهُم فَزْعًا وَأَفْزَعَهُم: أَغاثَهُم؛ قال زُهَيْر:

إذا فَزِعُوا طارُوا إلى مُسْتَغِيْثِهِم
طِوالَ الرِّماحِ، لا ضِعافٌ ولا عُزْلُ

..قال الفَرّاء: المُفَزَّع يكونُ جَبَانًا ويكونُ شُجاعًا، فَمَن جَعَلَهُ شُجاعًا مَفْعولًا به قال: بِمِثْلِه تُنْزَل الأَفْزاع، ومَنْ جَعَلَهُ جَبَانًا جَعَلَه يَفْزَعُ من كلِّ شَيْءٍ، قال: وهذا مِثْلُ قولِهم للرَّجُل إنّه لَمُغَلَّب، وهو غالب، ومُغَلَّب وهو مغلوب... والإفزاع: الإغاثة. والإخافة.. وكذلك التَّفْزِيْع، وهو من الأضداد.. وفَزِعَ الرَّجُلُ: انْتَصر، وأفزعه هو. وفي الحديث: (أنّه فَزِعَ من نَوْمِهِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ) وفي رِوايَة: أنّه (نامَ فَفَزِعَ من نَوْمِه وهو يَضْحَكُ) أيْ: هَبَّ وانْتَبه؛ يُقَال: فَزِعَ من نَوْمه وأَفْزَعْتُه أنا، وكأنّه من الفَزِعِ الخَوْف لأنَّ الذي يُنَبَّه لا يخلو من فَزَعٍ ما. وفي الحديث: (ألا أَفْزَعْتُموني) أي نَبَّهْتُموني وفي حديث فَضْل عُثْمان: (قالتْ عائشةُ للنبيّ - ﷺ -: مالي لَمْ أرَكَ فَزِعْتَ لأبي بَكْر وعُمَر كما فَزِعْتَ لِعُثْمان؟ فقال: عُثْمان رَجُلٌ حَيِيٌّ).

يُقالُ: فَزِعْت لمجيء فلان إذا تأَهَّبْت له مُتَحَوِّلًا من حالٍ إلى حالٍ كما يَنْتَقِلُ النّائمُ من النَّوْم إلى اليَقَظَةِ... ورواه بعضُهم: فَرِغت...».

وأزيدُ من (أساس البلاغة):

«..وفلانٌ فَزّاعةٌ: يَفْزَع منه النّاسُ كثيرًا؛ ومنه: فَزّاعاتُ الزُّرُوع».

ومن (التّاج..) «وقال المُبَرِّد في الكامل: أصْلُ الفَزَعِ الخَوْف ثمّ كُنِّيَ به عن خُرُوجِ النَّاسِ بِسُرْعَةٍ لِدَفْعِ عَدُوّ ونحوه إذا جاءهم بَغْتَةً وصار حقيقةً فيه. ونَسَبَهُ شيخُنا إلى الرّاغب، وليسَ له وإنّما نَصّ الرّاغب الفَزَع انْقِبَاضٌ ونِفَار يَعْتَري الإنسان من الشَّيْء المُخِيْف وهو من جِنْس الجَزَعِ، ولا يُقال: فَزِعْت من الله كما يُقالُ: خِفْت منه...».

ولعلّ ما تَجِدُه من التَّقارُبِ مع فِصَاحِ عامّتنا من مَعَاجِم التُّراث أَوْضَحُ ممّا تَجِدُه في معاجم حَدِيثَةٍ مثل (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ و.. أمّا أحمد رضا العامِليّ فكتبَ عن «الفَزْعة: إغاثة المُسْتَغِيْثِ المُسْتَنْجِد..».

وفي مِصْرَ كَتَبَ د. عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): انْفَزَعَ فلانٌ: خافَ وذُعِر وفَرِق، وانْفَزَعَ في نَوْمِه: هبّ فَجْأَةً والفِعْل كفَرِحَ ومَنَعَ.

فَشَحَ وَفَشَجَ وما (فَشَخَ ولا فشر)

كأنّما وَقَعَتْ تغيُّرات وتطوُّرات وإبْدالات بَيْن اللسان العربيّ وبَيْن الألسنة العامّيّة.. في دلالة الفِعْلين فَشَجَ وفَشَخَ منذ أنْ روىٰ ابن فارس في (مقاييس اللغة) عن ابن دُرَيْد في (الجَمْهَرة):

«الفاء والشّين والخاء، فيه طَرِيفَة ابن دُرَيْد: قال: الفَشْخ: ضَرْبُ الرّأسِ باليَد» وقَبْلَه قال ابنُ فارس في: «ف ش ج: يقولون: فَشَجَتِ النّاقةُ: تفاجّت لِتَبُول. كذلك في كتاب الخليل. وقال ابن دُرَيد: فَشَحَت بالحاء، وأنشد:

(١) هو الكَلْحَبَة العرنيّ اليَرْبُوعِيّ (المُفَضَّلِيّات ١: ٣٠) وفي اللسان ف ز ع حللت الكَثِيْبَ من زرودٍ لِأَفْزَعا واسْمُه هُبَيْرَة بن عبد مَناف، والكَلْحَبَةُ أُمُّهُ. وكَأْس: اسْم بِنْتِه. ورواية ابن فارس في (المقاييس..) أَنْسَبُ من رِوايَةِ (اللسان..) فأخذها الزَّبِيدي في (تاج العروس..).

إنَّكِ لو صاحَبْتِنا مَذِحْتِ
وحَكَّكِ الحِنوانِ فانْفَشَحْتِ»

فالفِعْل: فَشَخ يَفْشَخُ فَشْخًا في عامّيّتنا: وَسَّعَ خُطاه لِيُسرعِ وليس هذا معناه في الفصيح، حيث يَأْخُذُ معنى: كذب وهو معنًى واردٌ في قَوْل العامّة أيضًا: (فَشَرَ فلان وفَشَخ). أمّا معنى توسيع الخُطا فلعلّه من «فَشَجَ وَفَشَحَ» بالجيم والحاء إذا فَرَّج ما بَيْن رِجْلَيْه كما في (القاموس... والتّاج.. واللسان..). أو تطوّر من فشخ: أعيا وأرخى مَفاصِلَه.

في (اللسان..) ف ش خ [بالخاء المُعْجَمَة الفَوْقيّة]: «الفَشْخُ: اللَّطْم والصَّفْع في لعب الصِّبيان والكذب فيه، فَشَخَه يفشَخه فشْخًا. وَفَشَخَ الصِّبيان في لَعِبِهم فشخًا: كذبُوا فيه وظلمُوا. وفَنْشَخَ وَفَشَخَ: أعيا».

ويزيد في (القاموس والتّاج..): «والتّفشيخ: إرخاء المفاصل» وفي (اللسان..) ف ش ح [بالحاء المُهْمَلَة]: تَفَشَّحَت النّاقة وانْفَشَحَتْ: تفاجَّت.. وروى ثعلب عن ابن الأعرابيّ: فَشَحَ وَفَشَجَ وَفَشَّحَ وَفَشَّجَ: إذا فَرَّج ما بين رِجْلَيْه، بالحاء والجيم. ا.هـ.

وكذلك في (اللسان..) ف ش ج: «فَشَجَتِ النّاقةُ وَتَفَشَّجَتْ وانفشَجَت: تفاجّت وَتَفَرْشَحَت لِتُحْلَبَ أو تَبُول؛ وفي حديث جابر: (..تفشّجَت ثمّ بالَتْ..) يَعني النّاقة.. ورواه الحميدي: فَشَّجَت...

والتَّفْشيجُ: أَشَدُّ من الفشج، وهو تفريج ما بين الرِّجْلَيْن. الجوهريّ: فَشَجَ فَبال أيْ فَرَّجَ بَيْن رِجْلَيْه، وكذلك فَشّجَ تفشيجًا.. والتَّفَشُّجُ مِثْل التَّفَجُّح. وَتَفَشَّجَ الرّجل: تَفَجَّحَ.

الليث: التَّفَشُّج: التَّفَجُّح على النّار».

ومضارعه في (القاموس.. والتّاج..): «يَفْشِج: من حدّ: ضرب..».

وقَبْلَه في (القاموس.. والتّاج..): «والتّفسيج والتّفشيج كِلاهُما بمعنى، وَأَفْسَجَ عَنّي: تَرَكَني وَخَلّى عنّي». وفي: (محيط المحيط) ف ش خ:

«..والعامّة تَسْتَعْمل الفَشْخ للخَطْو الواسع، والفَشْخة للواحدة منه. ويقولون: فَشَخ عليه؛ أي: داسَ فَوْقه وتعدّاه...». وفيه ف ش ر: «الفُشار: الهَذَيان وليس من كلام العرب، والعامّة تَبْني منه فِعْلًا فتقول: فَشَرَ وفَشَّر..».

وللأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل من ردّ العامّيّ إلى الأصل): «..يقولون في بَرّ الشّام: (فَشَخ) بمعنى خطا، والفَشْخَة بمعنى الخطوة ولا يَعْرِفُونها في مصر!. والحال أنّ فَشَخَه فشخًا في اللغة... ليس فيه معنى الخَطْو ولا المشي، والأظهر أنّه تحريف: فَشَغَ، بالغين المُعجمة، وكثيرًا ما يلفظون الغَيْن خاء والخاء غَيْنًا، ومَعْنى فَشَغَه: علاه حتّى غَطّاه، وتفشّغ فُلانًا: علاه، ولا يَخفى أنّ الخَطْو يقتضي رَفْع الرِّجْل والعُلُوّ، وتوسّع العامّة بها حتّى جعلُوها في الشّام بمعنى الخَطْو مُطْلَقًا» ثمّ يُعقّب مُحقّقُه محمّد خليل الباشا: «وفي اللغة فِعْل فشحَ.. فلعلّ الحاء صارَتْ عند العامّة خاء.. وفي العراق يقولون (شبخ)».

ويرى أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) أنّ فَشْخ الخطوات بالخاء في العامّيّة أصله بالحاء أو بالجيم. وفي قولهم: «فَشَخَ رَأْسَه: إذا ضَرَبَه فأدْماه. وفي اللغة فَشَخَه... = لَطَمَه = صَفَعَه. وَفَثَغَ رَأْسَه (كمنع) = شَدَخَهُ وَشَقَّهُ. وَفَدَغَه فَدْغًا = شَدَخَه وشَقّه شقًّا يسيرًا وَرَضَّهُ. وجاء في كلامهم: خَشَفَ رَأْسَه بالحَجَر بمعنى فَشَخَه. فهي على هذا صَحِيحَة».

وفي مصر يظهر أنّهم صارُوا يعرفون: «فشخ فلان رِجْلَيْه: باعَدَ بَيْنهما» كما ذكر د. عبد العال في (مُعجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) وأصاب حقيقة تطوُّر المعنى في قوله: «وفَشَخ الشّيءَ: باعَدَ بَيْن أجزائِهِ، وفَشَخ في كلامه: باعد بَيْنه وبَيْن الحقيقة، وفَضَّل الكَذِبَ على الصِّدْق؛ وفي (القاموس..): فشَّخ الصِّبيان في لعبهم: كذبُوا فيه وتَضاربُوا وتفشَّخ الرَّجُلُ: ارْتَخَتْ مَفاصِلُه. ونقول: نام وفشَّخ، أي نام واسْترخى». قلت: أخذ د. عبد العال من (التّاج..) أيضًا.

فَشَرَ وفَشَخَ والفَشّار

تقول العَوَامّ في الشّام: (فَشَرَ الفَشّار وما أكثَرَ ما يَفْشُر) بمعنى: كذبَ الكَذّاب وما أكثَرَ ما يكذِبُ... والفَشْر بمعنى الكَذِب ليسَ فصيحًا ولٰكنّه مع ذلك قديمٌ.. فقد وَرَد في الكِتابَةِ الأدبيَّة مُنذ ألفِ عام:

..وقال الصّاحبُ بنُ عبّاد[1]: «البخاري حَشَويّ فُشَريّ» وَرَدَ هذا النّصُّ في كتاب (أخلاق الوزيرين)[2] تأليف: أبي حيّان عليّ بن محمّد التّوحيديّ من أكبر كُتّاب القَرْن الرّابع الهِجْرِيّ العاشِر الميلاديّ. وتجد ابن منظور في (لسان العرب) يُهمِل مادّة ف ش ر بعد التَّوْحِيْديّ بثلاثة قُرون... فلا تَجِدُ مادّةَ التّركيب ف ش ر في المُعْجَم العَرِبيّ.. ولٰكنّ صاحبَ (القاموس المُحيط) بعدَ أربعةِ قُرون ذَكَرَها «الفُشار الذي تَسْتَعْمِلُه العامّة بمعنى الهَذَيان ليسَ من كلامِ العَرِبِ» وكذلك قال شهابُ الدّين الخَفَاجيّ في (شِفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدّخيل) وأضافَ شارح (القاموس..) محمّد مُرتضى الزّبيديّ في (التّاج) «وكذا التَّفْشير، وليسَ في كلامِهم ف ش ر».

وفي عَصْرِنا أصدرَ مَجْمَعُ مِصْر (المُعْجَم الوسيط) سنة ١٣٨١هـ ١٩٦١م وفيه مادّة التّركيب ف ش ر: «فَشَرَ يَفْشُرُ فَشْرًا: كَذَب وبالَغَ في الكَذِب والادّعاء. فهو فَشّار. (مُحْدَثة). الفُشَار: حَبُّ الذُّرَةِ يُقَلَى حتّى يتشقَّقَ قِشْرُه الأَصْفَر من لُبابِهِ الأبيض ويُؤْكَل. (مُحْدَثة) الفَشّار: الكَذّاب المُبالِغ المُطَرْمِذُ. (مُحْدَثة)».

قُلْتُ: وبعضُ العامّة يَقولُ: فَشَخَ، فيقصد. فَشَرَ. وهذه من قديمِ الأصولِ الفصيحةِ وليسَتْ مُحْدَثَة. وفي (المُعْجَم الوسيط) نَفْسِه: «فَشَخَهُ يَفْشَخُهُ فَشْخًا: صَفَعَه. ويُقال: فَشَخَ الصِّبْيانُ في لَعِبِهِمْ: كَذَبُوا فيه وتَضارَبُوا».

وفي (القاموس): «فَشَخَهُ كَمَنَعَهُ: ضَرَبَ رأسَهُ بِيَدِهِ أو صَفَعَهُ وفي اللعب: كَذَبَ، والتَّفْشيخ: إرخاءُ المَفاصِل».

وفي عامّيّة مِصْر اليومَ يُقالُ: فَشَخَ بمعنى كَذَبَ، كما في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات...) ل.د. عبد العال.

قُلْتُ: فلعلّ قولَ القُدماء (فَشَخَ) بمعنى كَذَبَ يكونُ الأصلَ في قَوْلِهم (فَشَرَ) فَأبْدَلُوا بالخاء راءً، (على نقيضِ إبْدالِ الفَرَنْسيّين الباريسيّين بالرّاء خاءًا أو غَيْنًا). ولٰكنّ احتمالاتٍ لإبدالاتٍ أُخرى بَرَزَت لي من كُتُب فِصاح العامّيّة. فَمَشْيُ (الفَشْخ) فصيحُه بالحاء والجيم بَدَل الخاء. وفي

(١) الصّاحب إسماعيل بن عبّاد المُتوَفّى سنة ٣٨٥هـ.

(٢) ص ٢٦٨ من (أخلاق الوزيرَيْن، مثالبُ الوزيرَيْن) حقّقه وعلّق حواشِيَه محمّد بن تاويت الطَّنْجيّ. مطبوعات المَجْمَع العِلْميّ العَرَبيّ بدمشق ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م مُؤَلِّفُه أبو حيّان عليّ بن محمّد التَّوْحِيْدِيّ المُتوَفّى سنة ٤٠٠هـ.

لُبنان لم أجدْه لدىٰ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) ولٰكنّه أَوْرَدَه في مُعْجَمِه: (معنى اللغة) ورأى أنّ أَصْلَه سريانيّ مهما يحسب.

وذَكَرَهُ الأميرُ شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) ص ١٦٩ فقال: «تقول العامّة: فَشَر.. وما أراها إلّا تحريفَ فَجَرَ الحالِف: كَذَب. ومن المعلوم أنّ الْجِيْم كثيرًا ما تَنْقَلِبُ شِيْنًا لِقُرب مَخْرَجَيْهِما. وفي مصر: الفُشار: الذُّرَة التي تُوضَع في الرّماد السّاخن وتَفْقَع.» وأضافَ مُحَقِّقُه محمّد خليل الباشا في حاشِيَةِ الصَّفْحة «هو المَعرُوف عِنْدَنا بالبُوشار».

وقال أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) ص ٢٦٠ «فشّار: صِفَةُ مَنْ يَكْذِب كذبًا فاحشًا». (من فَشَر الآراميّة ومعناها: كَذَبَ). روفائيل نخلة: (غرائب اللَّهْجة اللُّبنانيّة السّوريّة).

قلتُ ولعلّها مِنَ المُشْتَرَك بَيْن السّاميّات والله أعلم...

وفي (القاموس.. والتّاج): «الفاشري: أَهْمَلَه الجَوْهريّ والصّاغانيّ وصاحبُ (اللسان..) وهو دَواءٌ يَنْفَعُ لِنَهْشِ الأفعى، وسَائِر الهَوَامّ: ذَكَرَه الأطبّاء هكذا، وأنا أَخْشىٰ أنْ تكونَ كَلِمةً يونانيّة اسْتَعْمَلَها الأطبّاء في كُتُبِهِم بِدَلَيْل أنّه ليسَ في كلامِهِم ف ش ر. والفُشار: كَغُراب؛ الذي تَسْتَعْمِلُه العامّة بمعنى الهَذَيان، وكذا التَّفْشِير، ليسَ من كلامِ العَرَبِ وإنّما هو اسْتِعْمالُ العامّة. ومِثْلُ هذا ما في مُعْجَم البُستانيّ (مُحيط المُحيط)».

فشّ وفشفش

(أَفُشَ قَلْبَك، أَمْ أَفُشّ تفاخِرك وأَفُشّ نِيْعك [أي مَيَلانك].. [ناع الغُصْن يَنُوع نَوْعًا ونِيْعًا والنَّوائع من الغُصون: المتوائل].. أو أفشّ حَنَكَك.

وفَشّ كذبَه.. فَشّ القِفْلُ وانْفَشَّ الوَرَمُ وفَشّ الضَّرعَ وفَشْفَشَت قوّته) في فَصِيْح عَوَامِّنا..

ولا بدّ أنْ تكونَ العامّيّات الأُخْريات حافلاتٍ بِمَعانٍ عديدة للفَشّ والفَشْفَشَة وكأنّ عوامّنا حِيْن قالُوا: فشّ: كادُوا أنْ يُحافِظُوا على فَصِيْح اللفْظِ والمَعْنى كما وَرَد في المُعْجم، وأَصْل المَعْنى في (مقاييس اللغة):

«الفاء والشّين يَدُلّ على انْتِشَارٍ وقِلّة تَماسُك. يُقال: ناقة فَشُوش، إذا كانَتْ مُنْتَشِرَة الشّخب. وانْفَشَّ عن الأمر: كَسِلَ، والفَشُّ تَتَبُّع السَّرَق الدّون، وهو فشاش». وكما في (القاموس.. والتّاج.. وفي لسان العرب..): «الفَشّ تَتَبُّعُ السَّرَقِ الدّونِ، فَشَّه يفُشّه فَشًّا، قال الشّاعر:

نَحْنُ ولِيناهُ فلا نَفُشُّه
وابن مُفاض قائم يَمُشُّه

[يَمْسَحه أو يحلبه أو يَمصُّ مُشاش عظمه]

يأخذ ما يُهْدَى له يَقُشّه [يجمعه]

كيف يؤاتيه ولا يَؤُشُّه

[يقبل عليه بنشاط وارتياح]

وانْفَشَّتِ الرّياحُ: خَرَجَتْ عن الزِّقّ ونحوه. والفَشُّ: الحَلْبُ، وقِيْل الحَلْب السّريع.. وفَشّ الضَّرْعَ: حَلَبَ جميع ما فيه.

وناقة فَشُوشٌ: مُنْتَشِرَةُ الشَّخْبِ أي يَتَشَعَّبُ إحليلُها مثل شُعاع قَرْن الشّمسِ حين يَطْلع أيْ يَتَفَرّق شَخْبها في الإناء فلا يُرَغّي، بيّنةُ الفَشَاشِ. وفي حديث مُوسى وشُعَيْب - عليهما السَّلام -: (ليس فيها عَزُوزٌ ولا فَشُوش)؛ الفَشوش: التي يَنْفَشُّ لَبَنُها من غَيْرِ حَلْبٍ أيْ يجري لِسَعَةِ

الإحْليل، ومثله الفَتوح والثَّرُور.

[والفاشوش؟]

والفَشْفَشَةُ: ضَعْفُ الرّأي. والفَشْفَشَة: الخَرُّوبَة.

ابن الأعرابيّ: الفَشّ: الطَّحْرَبَة [القِطْعَة من الغَيْم ومِنَ الثَّوْب]

والفشّ: النّميمة. والفشّ: الأحمق. والخرّوب يقال له الفشّ.

وفَشَّ الوَطْبَ فَشًّا: أخرج زُبْدَهُ. وَفَشَّ القِرْبَةَ يَفُشُّها فَشًّا: حَلَّ وِكاءَها فَخَرَجَ رِيْحُها.

والفَشوش: السّقاء الذي يتحلّب.

وفي بعض الأمثال: لَأَفُشَّنَّك فَشَّ الوَطْبِ أي لأُزِيلَنَّ نَفْخَك...

...وقال ثعلب: لَأَفُشَّنَّ وَطْبَك، أي لَأَذْهَبَنَّ بِكِبْرِك وتِيهِك، وفي التّهذيب: مَعْناه لَأُخْرِجَنَّ غَضَبَك من رَأْسِك، من فَشَّ السّقاءَ إذا أخرج منه، وهو يُقال للغضبان وربّما قالُوا: فَشَّ الرَّجُلُ إذا تَجَشَّأَ. وفي الحديث: (إنّ الشَّيْطانَ يَفُشُّ بَيْن أَلْيَتَيْ أَحَدِكم حتّى يُخَيَّلَ إليه أنّه قد أَحْدَث) أي يَنْفُخ نَفْخًا ضعيفًا.

والفَشِيْش: الصّوت.. ومنه فشيش الأفعى، وهو صَوْت جِلْدها إذا فَشَت في اليَبَسِ. وفي حديث أبي الموالي: (فَأَتَت جارية فَأَقْبَلَتْ وَأَدْبَرَت وإنّي لأَسْمَع بين فَخِذَيْها مِنْ مِثْل فَشِيْش الحَرابِش) وهي جِنْس من الحيّات.

والانْفشاش: انْفعال من الفشّ..

ويُقال للرَّجُل إذا غَضِبَ فلم يَقْدِر على التّغيير: فَشاشِ فُشّيه من استِه إلى فِيْه.

ويُقال: انْفَشَّت عِلَّة فلان: إذا أَقْبَل منها.

وفي حديث ابن عبّاس: (أَعْطِهِم صَدَقَتك وإنْ أتاك أهدل الشَّفَتَيْن مُنْفَشّ المِنْخَرَيْن) أي مُنْتَفِخهما مع قُصورِ المارِن وانْبِطاحِه، وهو من صفات الزّنج والحَبَش من أنوفهم وشِفاهِهم.

وَفَشَّ القفل فَشًّا: فَتحه بِغَيْر مفتاح.

والانفشاش: الانكسار عن الشّيء والفَشَل: انْفَشّ الرَّجُلُ عن الأمر: فَتَرَ وَكَسِلَ.

وانْفَشّ الجُرْح: سَكَنَ وَرَمُه. والفَشّ: الأَكْل؛ قال جرير:

فَبِتُّمْ تَفُشّونَ الخَزيرَ كأنّكم
مُطَلَّقَةٌ يَومًا، ويومًا تُراجَعُ

وفَشْفَشَ بِبَوْلِه: نَضَحَهُ. وفَشْفَشَ الرَّجُل: أَفْرَطَ في الكَذِب. ورَجُلٌ فَشْفاش: يَتَنَفَّجُ بالكَذِب ويَنْتَحِل ما لِغَيْرِهِ.. وفَشْفَشَ في القَوْل... وفي حديث الشّعبيّ: (سَمَّيْتُك الفَشْفاشَ)، يَعْني سَيْفَه وهو الذي لم يُحْكَم عَمَلُه».

وفي (أساس البلاغة): «لَأَفُشَّنَّك فَشَّ الوَطْبِ».

وأكثر ما في هذه المادّة ممّا أورده الصّغانيّ في (التّكملة والذّيل والصّلة للكتاب تاج اللغة وصِحاح العربيّة للْجَوْهريّ) حيث يُضِيْف الصّغانيّ: «..وقال ابن دُريد [في الْجَمْهَرة].. والفَشْفَشَة أَصْلُها الفَشّ. والشَّفْشَفَة والفَشْفَشَة واحد».

قُلْت: أكثر ما ذُكر وأكثر ممّا ذُكر ما تجده مُسْتَعْمَلًا في فصيح العَوَامّ.. وقد أجادت فيه المعاجم الحديثة وكُتُب فِصاحِ العامّيّة أيضًا ويُضِيْف أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «وقالوا: تَفَشْفَشَ فيه» إذا سَاء خُلُقه، أو فَشَّ خُلُقه فيه إذا أَذْهَبَ غَيْظَه مِنْه بِصَبّ جام غَضَبِه عليه. وهو مأخوذُ من «فَشَّ الوَطْب إذا أذهب ما فيها من رِيْح».

ولَدَىٰ د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة

ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجَتِنا: فَشَّ الكُرَةَ: أخرج ما فيها من الهواء. وفَشَّ الوَرَمَ: أزال انْتِفاخَه، ونقولُ: الفِشَّةُ: الرِّئة لأنّها تَفِشُّ ما فيها من الهواء، أي تُخْرِجُه.

وانْفَشّ فُلان: زالَ ألمُهُ وارتاحت نَفْسُهُ.

وفَشْفَشَ فلان الشّيءَ: فَتَّه، وفَشْفَشَ فلان فلانًا: أضعَفه.. وفي القاموس: فَشْفَشَ: ضَعُفَ رأيُه».

فَشِلَ

فَشِلَ في العامّيّة وفي فَصِيْح بَعْضِ الكُتّاب المُعاصِريْن بمعنى خابَ وأَخْفَقَ، ولٰكنّها في تالِد الفَصِيْح بمعنى ضَعُفَ وكَسِلَ. فَقَوْلُ بَعْضِهِم: (الفَشَل وتكرار التَّجْرِبة وتَكْرَارُ الفَشَل لا بُدَّ أنْ يُؤَدّي أخيرًا إلى النَّجاح). قَوْل: مأخوذٌ على التَّطَوُّر المَجَازِيّ بِعَلاقَةِ السَّبَبِيّة لأنّ الضَّعْف والفَشَل يُؤَدّي إلى الإخْفاقِ، ولأنّ مَعْنى الفَشَل: الكَسَل والضَّعف والجُبْن والتَّراخِي ممّا يُفْضِيْ إلى الخَيْبَة والخِذْلان، فهذا من تَطَوُّرِ المعنى بِمَجَازِ العَلاقَةِ السَّبَبِيّة.. فَيَصِحُّ أنْ يُقال: (التَّغلُّبُ على الفَشَل سبيلٌ إلى بُلُوغِ أسبابِ النَّجاح).

و(المُعْجَم الوسيط) نصّ على: فَشِل في عَمَلِه: أَخْفَقَ (مج) أيْ بِقَرارٍ مَجْمَعِيّ فَنَفىٰ العَدْنانيّ التَّخطِئَة عنها في مُعْجَمِه الأوّل (مُعْجَم الأخطاء الشّائعة) ط٢ مكتبة لبنان سنة ١٩٨٠ وط١ سنة ١٩٧٣.

وفي (أساس البلاغة):

«دُعِيَ إلى القِتَال فَفَشِل؛ أيْ: جَبُنَ وذَهَبَتْ قُوَّتُه. وما خلّفه إلّا الفَشَل والخَوَرُ. وما وَجَدْناه إلّا فَشِلًا وفَشْلًا - بالتَّخْفِيف - يُقال: إنّه لَخَشْلٌ فَشْلٌ. وعَزَمَ على كذا ثمّ فَشِل عنه؛ أي نَكَلَ عنه ولم يُمْضِهِ».

والفَشِلُ في (المِصْباح المُنير) للفَيّوميّ «هو الجَبَان الضَّعِيْف القَلْب» وفي (اللسان..).

«الفَشِلُ: الرَّجُلُ الضَّعِيْف الْجَبَان. والْجَمْعُ: أَفْشال. ابن سِيْدَه: فَشِلَ الرَّجُلُ فَشَلًا، فهو فَشِلٌ: كَسِلَ، وضَعُفَ وتراخَىٰ وجَبُنَ. وَرَجُلٌ خَشِلٌ فَشِلٌ وخَسْلٌ فَسْلٌ. وقَوْمٌ فُشْلٌ؛ قال:

وقد أَدْرَكَتْني والحَوادثُ جَمَّةٌ
أَسِنَّةُ قَوْمٍ لا ضِعاف، ولا فُشْل

ويُروىٰ: ولا فُسْل، يَعْني جَمْع فَسْل. وفي حديث عليٍّ يَصِفُ أبا بَكْرٍ - رضوانُ الله عليهما - : (كُنْتَ للدِّيْن يَعْسُوبا أوّلًا حين نَفَر النّاسُ عنه، وآخِرًا حين فَشِلوا)...

وقد فَشِلَ يَفْشَل عند الحَرْب والشّدّة إذا ضَعُفَ وذَهَبَتْ قُواهُ. وفي التَّنْزيل العزيز: ﴿ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيْحُكُم﴾ [السّورة/ ٨ الأنفال الآية ٤٦].

قال الزَّجّاج: أي: تَجْبُنُوا عن عَدُوّكم إذا اخْتَلَفْتُم، أَخْبَرَ أنّ اخْتِلافَهم يُضْعِفُهم، وأنّ الأُلْفَةَ تَزِيْد من قُوَّتِهم».

فصَعَ

... ما زال الفَصْع في عامّيّتنا الدّارجة كما هو في الفَصِيح لفظًا، ومعناه مأخوذ منه أو قريب منه، ولٰكنّ كتّاب فصاح العامّيّة أهملوه فأهمله كُتّابُنا الآخرون.. وفي (لسان العرب)

«فَصَعَ الرُّطْبَةَ يَفْصَعُها فَصْعًا وفَصَّعها: إذا أخذها بإِصْبَعِهِ فَعَصَرها حتّىٰ تَنْقَشر، وكذلك كلّ ما دَلَكْتَهُ بإِصْبَعَيْكَ لِيَلينَ فينفتح عمّا فيه وفي الحديث: (... أنّه نهى عن فَصْع الرّطبة...)

... وفصعت الشّيءَ من الشّيء إذا أخرجته وخلعته. وفصَّعَ الرّجلُ يُفَصِّع تفصيعًا: بَدَت منه رِيْح سَوْءٍ وفَسْوٍ.

وفصع العِمامَة عن رأسه فصعًا حَسَرَها، أنشد ابن

الأعرابيّ:

رأيتك هَرَّيْتَ العِمامة بعدما
أراكَ زمانًا فاصعًا لا تُعَصَّبُ

والفَصْعان: المكشوف الرّأس أبدًا حرارةً والتهابًا. والفصعاء: الفأرة. وَفَصَّعْتُهُ من كذا تفصيعًا أي أخرجته منه فانْفَصَعَ. وافْتَصَعْتُ حَقّي من فلان، أي: أخذته كلّه بِقَهْر فلم أترك شيئًا، ولا يلتفت إلىٰ القاف [قصع]».

وفي (القاموس والتّاج) كذلك. ومن (القاموس..) و(محيط المحيط) أضيف: فصع لي بكذا: أعطاني إيّاه. والصَّبِيّ حسر قلفته عن كمرته وافتصع.. والدّابّة أبدت حياها مَرّةً وأخفته أخرى.

الفُصْعُلُ والفِصْعِل (وليس الفَصْعُون)

تقول عَوامُّنا الشّام (يا فَصْعُون) تَحْقِير لِلصَّغِير اللَّئِيم.. فهل هذا تَحْريف من الفُصْعُلّ؟

وفي (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) لأحمد رضا العامليّ «يقول العامِليّون للشّيء الصّغير الجِسْم المُسْتَقرّ: هو قَدْرُ الفُصْعَلَّة..»

وفي (لسان العرب):

الفُصْعُل والفِصْعِل: اللَّئيم. الأزهريّ: الفُصْعُل: العَقْرب؛ وأنشد:

وما عَسَىٰ يَبْلُغ لَسْبُ الفُصْعُلِ

قال ابن سِيْدَه: وهو الصَّغِيرُ مِن وَلَدِ العَقارِب.. قال ابن بَرّي: وقد يوصَفُ بِهِ الرَّجُل اللَّئيم الذي فيه شَرٌّ، وأنشد:

قامَةُ الفُصْعُل الضَّئيل، وَكَفٌّ
خِنْصَراها كُذَيْنِقا قَصّار

فهذا يُمْكِن أَنْ يُريدَ العَقْرَب.

وقال آخر:

سَأَلَ الوَليدةَ هل سَقَتْني بَعْدَما
شَرِبَ المُرِضَّةَ فُصْعُلٌ حَدَّ الضُّحَىٰ

ا.هـ. ابن منظور. وكذلك في (القاموس.. والتّاج..)

وأَسْتَأْنِس بِنَصٍّ من منتصف القرن الخامس هـ؛ والحادي عشر م؛ فقد تَخَيَّلَ أبو العلاء أحمد المَعَرّي في (رسالة الغُفران)[1] مُحاوَرَة في الجَنَّة ما بين عبد الملك بن قُرَيْب الأصمعيّ وبين بكر بن محمّد، أبي عثمان المازنيّ الذي سأله: «ما وَزْنُ إوَزَّةٍ يا أبا سَعيد؟ وما الدَّليل على أنّ الهمزة فيها زائدة؟» فيقول الأصمعيّ: «أَلِي تُعَرِّضُ بهذا يا فُصْعُلُ، وطالَ ما جِئْتَ تَجْلِس بالبَصْرة وأنت لا يُرْفع بِكَ رَأْس؟..»

الفَضّ والفَضْفَضَة

فُضّوها سيرة وفَضّ الغسيل

يقولون: (فُضّونا من هذه السّيرة، ورُوحوا نفضّ الغسيل المَنْقوع بماء الصّابون ثمّ نستريح ونُفضْفض ونَتَوسّع في راحة نفوسنا من الهمّ بالحديث...) فَفَضّ السّيرة: الانْصراف عنها وإنهاؤها، وفَضّ الغَسل: تَخْليصه من آثار الصّابون والمُنَظِّفات بِتَفْريق هذه الآثار وحلّها في ماء الفَضّ، والفَضْفَضَة: التَّوْسِعة على النّفْس المَهْمومَة لإراحتها بالحديث.

وهذه المعاني للفَضّ والفَضْفَضَة مُتَطَوِّرة تَطَوُّرًا صحيحًا لا خُروجَ فيه عن طبيعة التَّطَوُّر اللغويّ..

أمّا التَّفْضيض: التَّمْويه بالفِضّة أو التّرصيع بها فما زال من فصيح العَوَامّ كما كان في التُّراث...

وفي عاميّة مِصْر أيضًا الفَضّ: التَّفْريق والإنْهاء والتَّفضيض بالفِضّة والفَضْفَضَة عن النَّفْس: الإفضاء والبَوْح بِمَكْنون النَّفْس إلى الآخَرين، كما في (مُعْجَم الألفاظ العاميّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) لِ. د.عبد العال، وكما في مُحاوَراتهم الوارِدة إلينا في القصص والمُسَلْسَلات.

وأصْل معنى الفَضّ كما في (مقاييس اللغة):

«الفاء والضاد أصْل صحيح يَدُلّ على تفريق وتجزئة. من ذلك: فَضَضْت الشَّيْء إذا فرّقته؛ وانفضّ هو، وانْفَضّ القومُ: تفرّقوا. قال الله سبحانه: ﴿ولو كُنْت فَظًّا غليظ القلب لَانْفَضُّوا من حَوْلِك﴾ السّورة ٣ آل عمران/ الآية ١٥٩»

وفي (لسان العرب):

«فَضَضْتُ الشّيءَ أَفُضُّه فَضًّا، فهو مَفْضُوضٌ وَفَضِيضٌ: كَسَرْتُه وَفَرَّقْتُه، وفُضاضُه وفِضاضُه وفُضاضَتُه، ما تكسّر منه؛ قال النّابغة:

تَطِيْرُ فُضاضًا بَيْنَها كُلُّ قَوْنَسٍ
وَيَتْبَعُها منهم فَراشُ الحَواجِبِ

وفَضَضْت الخاتَم عن الكتاب؛ أي: كَسَرْته، وكلّ شيء كسرْتَه، فقد فضَضْتَه وفي حديث ذي الكِفْل: (إنّه لا يَحِلُّ لك أنْ تَفُضَّ الخاتَم)؛ وهو كِناية عن الوَطْءِ... وفي حديث الحُدَيْبِيَة: (..ثمّ جِئْتَ بهم لِبَيْضَتِك تَفُضُّها)... تفرّقها وفي حديث العبّاس بن عبد المُطَّلِبِ أنّه قال: (يا رسول الله إنّي أريد أنْ أمْتَدِحَك، فقال: قُلْ لا يَفْضُضِ اللهُ فاك..).. ومعناه: لا يُسْقِطِ اللهُ أسنانك...

..وَتَفَضَّضَ الشّيءُ: تَفَرَّق. والفَضُّ: تَفْرِيْقك حَلْقَةً من النّاس بعد اجْتِماعهم... وفي حديث خالد بن الوليد أنّه كتب إلى مَروانَ بْنِ فارسٍ: (أمّا بَعْد فالحمدلله الذي فَضَّ خَدَمَتكم). وأصْل الخَدَمة: الخَلْخال.. ولِخِداشِ بن زُهَيْر:

فلا تَحْسَبي أَنّي تَبَدَّلْتُ ذِلَّةً
ولا فَضَّني في الكُورِ بَعْدَكِ صائغُ

يقول: يَأْبىٰ أن يُصَاغَ ويُراضَ.

وتَمْر فَضٌّ: مُتَفَرِّق لا يَلْزَق بعضُه بِبَعْض؛ عن ابن الأعرابيّ. وَفَضَضْتُ ما بَيْنهما: قَطَعْت.

والفَضِيضُ: الماء العَذْب، وقيل: الماء السّائل، وقد افْتَضَضْته إذا أَصَبْتَه ساعةَ يَخْرج. ومكان فَضِيْض: كثير الماء.

والفَضِيْض... الماء يَخْرج من العَيْنِ، أو يَنْزِل من السَّحاب، وفَضَضُ الماءِ: ما انْتَشر منه إذا تُطُهِّرَ به. وفي حديث غَزاةِ هَوازِنَ: (فجاء رجل بِنُطْفَةٍ في إداوَةٍ فافْتَضّها) أي: صَبَّها، وهو افتعال من الفَضّ.. ويُقال: فَضَّ الماءَ وافْتَضّه أي صَبَّه، وفَضَّ الماءُ إذا سالَ.

ورَجُل فَضْفاض: كثير العَطاء، شُبِّهَ بالماء الفَضْفاض.

والفَضَض: المُتَفرِّق من الماء والعَرَق؛ وقول ابن مَيّادة:

تَجْلُو بأَخْضَرَ من فُروعِ أراكَةٍ
حَسَنِ المُنَصَّبِ كالفَضيضِ البارِدِ

الفَضيضُ: المُتَفَرِّقُ من ماء المَطَر والبَرَدِ. وفي حديث عُمَر: (أنّه رَمىٰ الجَمْرَةَ بِسَبْعِ حَصَياتٍ ثمّ مَضى فلمّا خَرَجَ من فَضَضِ الحَصىٰ أقبل على سُلَيْم بن رَبيعَةَ فكلَّمهُ)؛ قال أبو عُبَيْد: يَعْني تَفَرَّقَ منه...

وناقَة كثيرةُ فَضِيض اللَّبَن: يَصِفونها بالغَزارة.

وَرَجُل كثير فَضِيض الكَلام: يَصِفونَهُ بالكَثارة.

وَأَفَضَّ العَطاءَ: أَجْزَلَهُ.

والفِضَّةُ من الجواهر معروفة والْجَمْع فِضَضٌ. وَشَيْءٌ مُفَضَّضٌ: مُمَوَّهٌ بالفِضّة أو مُرَصَّعٌ بالفِضَّة. وحكى سِيْبويْه: تَفَضَّيْتُ من الفِضَّة، أراد: تَفَضَّضْت.

وقد انْفَضَّت أوصالُه إذا تفرّقت؛ قال ذو الرُّمَّة:

تكاد تَنْفَضُّ منهنّ الحَيازيمُ

والفَضْفَضَةُ: سَعَةُ الثَّوْبِ والدِّرْع والعَيْشِ. . .

. . . وقد فَضْفَضَ الثّوبَ والدّرعَ: وَسَّعَهُما؛ قَال كُثَيِّر:

فَنَبَذْتُ ثُمَّ تَحِيَّةً، فَأعادَها
غَمْرُ الرِّداءِ مُفَضْفَضُ السِّرْبال

. . . وَعَيْشٌ فَضْفاض: واسع. وسَحابة فَضْفاضَة: كثيرة الماء. وجارية فضفاضة: كثيرة اللَّحْم مع الطّول والجسم؛ قال رُؤْبة

[أَزْمانَ ذاتُ الكَفَلِ الرَّضْراضِ]
رَقْراقَةٌ في بُدْنِها الفَضفاض

. . . الفَرّاء: الفاضَّة الدّاهية وهُنَّ الفَواضُّ».

ومن (أساس البلاغة):

«قال الفرزدق:

فبِتْن بجانِبَيَّ مُصَرَّعات
وبِتُّ أَفُضُّ أَغْلاقَ الختامِ

وَخَرَزٌ فَضٌّ، مُنْتَشِرٌ؛ قال ذو الرُّمَّة:

كأنّ أَدْمانَها والشّمسُ جانِحَةٌ
وَدْعٌ بأرجائها فَضّ ومَنْظوم

. . . وَخَرَج فضض من النّاس أي: فِرَق مُتَفَرِّقَة. . .

. . . وقالت عائشة - رضي الله عنها - لِمَروان: (إنّ رسول الله - ﷺ - لَعَن أباك وأنت في صُلْبِه، فأنت فَضَضٌ من لعنة الله) أي قطعة منها. وأعطني فَضَضًا من سِواك: قِطعةً منه. . . وَبَطْنٌ فَضْفاض. . وعَيْش فَضْفاض». ومن (القاموس. . والتّاج. .): «والفَضَضُ: مُحَرَّكَة: ما انْتَشَرَ من الماء إذا تُطُهِّرَ به كالفَضِيْض. . بمعنى مفعول: قال امرُؤ القيس:

بميث دماث في رياض دميثة
تحيل سواقيها بماء فضيض

[ومن ديوانه: (بميث أثيث في رياض أنيثة)]».

فَطَرَ وأَفْطَرَ والفَطير والفُطُور والفُطْر غير الفِطر والفَطْر

يُقال عِنْدنا: (فلان على الفِطْرَة) أي على السَّجِيّة. و(فُلانُ في هذه التَّدابِيْر فطير، غير خَبِيْر) ليسَ لَدَيْه تجارِب ومَعارِف وخِبْرات. ويُقال: (نَكَتْنا الخَمِيْر والفَطِيْر) كأنّه نَكَتَ العَجِيْن كلّه المُخْتَمِر وغيره. . ويُقال: (فَطَرْتُ أو أَفْطَرْتُ أو كَسَرْت الصُّفْرَة صباحًا) أيْ لم أَبْق على الرِّيْق الأَصْفَر أو (على لَحْم بَطْنِي) كما يقول بَعْضُهم. . وأَفْطَر الصّائِمُ وفَطَرَ في وَقْت المَغْرِب. .

والفُطْر عِنْدنا والفَطيرة وخبز الفَطير و. .

وغير ذلك كثير ممّا في: ف ط ر ما زال في عامّيّتنا كما جاء في المُعْجَم العَرَبِيّ التّليد، لَفْظًا ومَعْنًى بما فيها التّشابيه والاسْتعارات والكِنايات والمَجازَات وغيرها. .

وأصلُ المَعنى في: ف ط ر في (مقاييس اللغة) لابن فارس: «أصل صحيح يَدُلُّ على فَتْح شَيْءٍ وإبْرازِه، من ذلك الفِطْر من الصَّوْم. . ومنه الفَطْرُ، بفتح الفاء، وهو مَصْدر: فَطَرْتُ الشّاةَ فَطْرًا إذا حَلَبْتَها، ويقولون: الفَطر: الحَلْب بإصْبَعَيْن. . .».

ولكن في (أساس البلاغة): «. . وهذا كلام يُفْطِرُ

الصَّوْمَ» أيْ: يُفْسِده. ومن المَجاز: لا خَيْرَ في الرَّأْي الفَطِيْر؛ وتقول: «رَأْيُه فَطِيْر ولُبُّه مُسْتَطِير».

وفي (لسان العرب): ف ط ر: كما في (القاموس المُحِيط) و(تاج العروس): «فَطَرَ الشّيءَ يَفْطُرُه فَطْرًا فانْفَطَرَ وَفَطَّرَهُ: شَقَّه. وَتَفَطَّر الشّيءُ: تَشَقّق... وفي التّنزيل العزيز: ﴿السّماء مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ السّورة ٧٣ المُزَّمِّل الآية ١٨ ذُكِّرَ على النَّسَب كما قالُوا: دجاجةٌ مُعْضِل.. وفطرنا به: طَلَعَ وَبَزَل. وانْفَطَر الثَّوبُ: إذا انْشَقّ.. وتَفَطّر.. وتَفَطَّرَتِ الأَرْضُ بالنّبات إذا تَصَدَّعَتْ.

والفُطْر: ما تَفَطَّرَ من النّبات، والفُطْر أيضًا، جِنْس من الكَمْءِ أبيض عظام لأنّ الأَرْضَ تَنْفَطِر عنه. واحِدَتُه فُطْرَة. والفِطْر: العِنَبُ إذا بَدَتْ رُؤوسُه لأنّ القُضْبان تَتَفَطّر..

...والفَطْر: الابْتداء والاخْتراع والفِطْرَة منه: الحالة... ونَوْعٌ من الجِبِلَّة الطّبْع.. وفَطَر الشّيءَ أَنْشَأه.. وفَطَر الشّيءَ: بَدَأَه. وفَطَرَت إصبعُ فُلانٍ، أيْ: ضربتُها فانْفَطَرَت دَمًا.

والفَطْر للصّائم، والاسْم الفِطْر.. نقيض الصَّوْم وقد أَفْطَرَ وفَطَرَ وَأَفْطَرَه وَفَطَّرَهُ تفطيرًا.. والفِطْر: القَوْم المُفْطِرون. ومُفْطِير مِن قومٍ مَفاطير...

...والفَطور: ما يُفْطَرُ عليه، وكذلك الفَطُوريّ، كأنّه مَنْسُوب إليه وَفَطَرَت المرأةُ العَجِينَ حتّى اسْتبان فيه الفُطر. والفَطِير خِلافُ الخَمِيْر، وهو العَجِيْن الذي لم يَخْتَمِر. وَفَطَرْتُ العَجِينَ أَفْطِرُه فَطْرًا إذا أَعْجَلْتَه عن إدراكه. تقول: عندي خُبْزٌ خَمِير وحَيْسٌ فَطير أي طَرِيّ.. قريبٌ حديث العَمَل.

ويُقال: فَطَّرْتُ الصّائمَ فأَفْطَر. وَفَطَر العَجِيْن يَفْطِره ويَفْطُرُه، فهو فَطِيْر إذا اخْتَبَزَه من ساعته ولم يُخَمِّرْهُ. والْجَمْع فَطْرى... وكلّ شَيْءٍ أَعْجَلْتَه عن إدْرَاكِه فهو فَطِيْر. يُقَال: إيّاي والرَّأْيَ الفَطِيْر؛ ومنه قَوْلُهم: شَرّ الرَّأْي الفَطير.

وَفَطَر جِلْدَه، فهو فَطِيْر، وأَفْطَرَه: لم يُرْوِه من دِباغ؛ عن ابن الأعرابيّ». وأَنْتَقِلُ إلى نصّ (القاموس.. والتّاج..): «وعن الصّاغانيّ في (التّكملة..): الفِطْرَة: صَدَقَةُ الفِطْر.. وهي عند الشّيخ ابن حجر المَكّيّ في التّكملة: مُوَلَّدَة...

والفِطْرَة: الخليقة، أنشد ثعلب:

هَوِّنْ عليكَ فقد نالَ الغِنَىٰ رجلٌ
في فِطْرَة الكَلْب لا بالدّين والحَسَبِ

...وهذا كلام يُفْطِر الصَّوْم أيْ يُفْسده.

والفَطْرِيّ: الفَطِيْر. والدّاهية».

وبين (القاموس.. والتّاج..) كان مُعْجَم أبي البقاء الكَفويّ (الكلّيّات) لِمُصْطَلَحات الفِقْه وهو يُعرِّف الفِطْرَة:

«هي الصّفة التي يتّصف بها كلّ مَوْجُود في أوّل زمان خِلْقَتِه...».

وفي المُعْجَم العَرَبِيّ المُعاصِر: (الفَطِيْرة) في (المُعْجم الوسيط) لمَجْمَع القاهرة: «خُبْزَة تُؤْدَم بزُبْد أو نَحْو؛ ولها أنواع (مُوَلَّدة) جَمْعُها فَطائِر». أمّا البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط) فالفَطِيْرة «عند العامّة رِقائق من العجين يُوضع فيه توابل ثمّ يُثْنَىٰ عليها مُثَلَّثًا ويُخْبَز...»

أمّا الفَطور بفتح الفاء في (مُحيط المُحيط) وفي (المُعْجَم الوسيط) (المُعْجَم المدرسيّ) فهو ما يَتَناوَلُه الصّائم ليفطر عليه، وما يُتناوَل من الطّعام صباحًا. ولٰكنّ المُعْجَم الوسيط في طَبْعَتِه الثّانية ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م أجاز فيه ضَمَّ الفاء وفَتْحَها، أمّا غَيْرُه فَيرىٰ ضَمّ فائِه لَمَصْدَر الفِعْل، واعْتَمَد (الوسيط..) في إجازة الضَّمِّ على قرارٍ لَمَجْمَع

القاهرة فَوَضَعَ لِكُلٍّ من الفُطور والفَطور الرّمز: (مج) ولم يَكُنْ كذلك (الوسيط) في ط١ سنة ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م فقد كان كغيره يَخُصّ المَصْدَر بِضَمِّ الفاء.

فَطَسَه الأَفْطَس وَفَطَّسه

الأَنْف الأَفْطَس من الأَوْصَاف الفَصِيْحة المُنْتَشِرَة في عامّيّاتنا والفَطْسُ من التَّعَب من عِبَارَاتِنا و.. الفُطوس بالموت من فصيح العامّيّات الشّاميّة والمِصْرِيّة وغيرها.. وقد ذكرهما د.عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات...) «نَقُولُ في دَارِجَتنا: فُلانٌ أَفْطَسُ الأَنْف: مُنْفَرِشُهُ...

ونقول: فَطَسَت الفَرْخَة والشّاة ونحوهما: ماتت، وفَطَّسَ فلانًا: أَماتَهُ».

في (لسان العرب):

«الفَطَس: عِرَضُ قَصَبَة الأَنْف وطُمَأْنِينَتُهَا، وقِيْل: الفَطَس: انْخِفاضُ قَصَبَة الأَنْفِ وتَطامُنُها وانتِشارُها، والاسْم الفَطَسَة لأَنّها كالعاهة، وقد فَطِسَ فطسًا وهو أَفْطَسُ، والأنثى فَطْساء. والفَطَسَةُ. مَوْضِع الفَطَس من الأَنْف... وفي الحديث في صِفَة تَمْرَةِ العَجُوزِ: (فُطْس خُنْس..) أي: صغار الحبّ لاطِئة الأَقْماع. والفِطّيسَة والفِنْطيسَة: خَطم الخِنْزير.. والفَطَسَة أيضًا..

والفِطِّيس: المِطْرَقة العظيمة والفأس العظيمة.. [وفي القاموس والتّاج: «..أو روميّة أو سريانيّة». قاله ابن دُرَيْد.. ولكنّ ابن فارس في: (مقاييس اللغة) قال: «لعلّها سُمِّيَت بذلك لأنّها يُكْسَرُ بها الشَّيْء وَيَتَطَامَن»].

والفَطْس: شِدَّة الوَطْءِ [وعامّتنا تقول: (فطست من التَّعَب..) فهل هي منها أَمْ من التّالي]: وَفَطَسَ يَفْطِسُ فُطوسًا إذا مات.. وطَفَسَ أيضًا: مات، فهو طافِس وفاطس؛ أنشد ابنُ الأعرابيّ:

تَتْرُكُ يربوع الفلاة فاطِسا.».

وأُضِيْف من (القاموس.. والتّاج..):

«الفَطْس: حَبُّ الآسِ. والفَطْسَةُ واحِدَتُه؛ قاله الليث. والفَطْسَة جِلْدُ غَيْرِ الذَّكِيّ عن ابن عبّاد والفَطْسة خَرَزَة لهم لِلتَّأْخِيذ كما تَزْعُم العرب

يَقُلْنَ أَخَذْتُهُ بِالفَطْسَة
بِالثُّؤَباءِ والعَطْسَة

...وَفَطَسَهُ بالكَلِمَة يَفْطِسُه: قالها في وجهِهِ، عن ابن عباد، كَفَطَّسَهُ تَفْطِيسًا. وَفَطَسَ الحَدِيدَ يَفْطِسُه فَطْسًا عرّضه بالفِطِّيس أو طَرَقَهُ.

وممّا يُسْتَدْرَك عليه: الفَطَس، مُحَرّكةً، مَوْضِع الفَطَس من الأنف وثمرة [أو: تَمْرة] فَطْساء صغيرة الحبّ لاطئة الأقماع..

..وَفَطسْته عن كذا: أَوْقَعْته وكذلك إذا ضَرَبْته، قاله ابن عبّاد». ومن (أساس البلاغة): «وفطس الحدّاد بالفِطّيس.. إذا فَطَحَه. وتقول: اصْبِرْ على أدب النِّطِّيس، وإنْ طَرَقَك بالفِطِّيْس».

انْفَطَشَ وفَطْرَشَ وفَرْطَش وَفَقَّشَ وبطّش

في عامّيّتنا هذه العبارات كما في الفصيح، ولكنّها تَرِد قليلًا كما في الفصيح أيضًا... ولعلّ هذا الاسْتعمال القليل كان السَّبَب في أَنْ أَهْمَلَتْها كُتُب فِصاح العامّيّة.. والشّائع المُسْتَعْمَل كثيرًا منها: فَقَّشَ.

فَقَّشَ العُود أو التّمر الرَّطبَ إلى فَلْقَتَيْن: فَسَخَه فانْفَقَشَ وانْفَسَخ في (القاموس..) وفي (تاج العروس..).

«(انْفَطَش): أَهْمَلَه الْجَوهريّ وصاحب (اللسان..)، وقال ابن دُرَيْد: انْفَطَش (العُود) إذا (انْفَضَخَ ولا يكون إلّا رَطْبًا) هكذا نَقَلَه الصّاغانيّ؛ وفي بعض النُّسَخ انْفَسَخ بَدَل انفضخ» [هكذا في نُسْخة التّاج.. ط. صادر: ببيروت.. أيْ بالخاء والْجيم تُقْرَأ العبارة]. وفي مُسْتَدْركه: «وممّا يُسْتَدْرك عليه: فَطْرَشَت النّاقة لِلْبَول إذا تَفَحَّجَت هكذا نَقَله الأزهريّ وأَوْرَدَه صاحبُ اللسان وأَغْفَله الْجَوْهَريّ قُلْت: وقد سَبَق في: ف ر ط ش.

(فَقَشَ البَيْضة) يَفْقُشها فَقْشًا: أَهْمَله الجوهريّ وصاحب (اللسان..) وقال الصّاغانيّ عن ابن دُرَيْد أيْ (فَضَخَها وكَسَرَها بِيَدِه) لغة في فَقَسها بالسّين قُلْت: وتقدّم أنّ الصّاد أعلى اللغات.»

قُلْت: كذلك قال فيها أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح).

قلت: يَفْقُش بِضَمِّ عَيْن مُضارعه في (مُحيط المُحيط) وبِكَسْرها في (المُعْجم الوسيط) يفقِش.

وكان الزّبيديّ في (التّاج..) اسْتَدْرك بعد ف ر ش «فَرْطَشت النّاقةُ للبَوْل إذا تَفَحَّجَت [قلت: وفي عامّيّتنا اليوم: فَرْشَخَت وبَطَّشَت].

نَقَلَه اللّيْث. قال الأزهريّ: هكذا قَرَأْتُه في كِتابه. والصّواب: فَطْرَشَتْ إلّا أنْ يكون مَقْلُوبًا، وقد أهمله الجماعة».

وقَبْله في: ب ط ش: «ومن المَجاز (الرِّكاب تَبطَّشُ بِأَحْمالِها تَبَطُّشًا) أيْ (تَزْحَفُ بِها لا تَكاد تَتَحَرَّكُ) نَقَلَه الصّاغانيّ عن ابن عبّاد والزّمخشريّ».

قلت: في العامّيّ كما في الفصيح؛ خَرَجَ وَزْن: تَفَعَّل من الفِعْل: تَبَطَّش بمعناه عن معنى الثُّلاثيّ بَطَشَ وهو «أَخَذ الشّيءِ بقَهْرٍ وغَلَبَة وقُوّة». كما جاء أَصْله في (مقاييس اللغة).

فَعَسَ

من فصيح العَوَامّ في الشّام:

(فَعَسَه فانْفَعَس وَتَفَعَّس التِّينُ) بمعنى انْفَرَجَ وتَمدَّد.. على أنّ بَعْض المُعْجَمات الحديثة قد تُهْمِله كما أَهْمَله (المُعْجم الوسيط) لِمَجْمع مِصْر، و(المُعْجم المَدْرسيّ) لأبي حَرْب ووزارة التّربية بدمشق.

أمّا مَنْ ذَكَره منهم كمِثْل بطرس البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط) فقد اسْتخرج فِعْلَه الخُماسيّ: (انْفَعَسَ) اسْتخراجًا من شَرْح الفيروزابادي في (القاموس المحيط): «لأنّها تَنْفَعِس؛ أيْ: تَنْفَرِج». وذلك لأنّ المَصادر القديمة الأُخرى مثل (لسان العرب) لا تَذْكُر الفعل: فَعَسَ ذِكْرًا صريحًا، على أنّها تَذْكر من الأسماء المُشْتَقّة منه، ولا سيّما اسْم فاعِله ممّا يَجْعلك تقول مع عُلَمائنا القُدامىٰ: (.. فقد صار في يَدِك الفِعْل)..

وفي (لسان العرب):

«الفاعوسة: نار أو جَمْر لا دُخان له، والفاعوس: الأفعىٰ؛ عن ابن الأعرابيّ، وأنشد:

بالمَوْتِ ما عَيَّرْتِ يا لَميسُ
قد تُهْلِكُ الأَرْقَم والفاعُوسُ
والأَسَد المُذَرَّعُ النَّهُوسُ
والبَطَلُ المُسْتَلْئِمُ الحَوُوسُ

... ويُقال للدّاهية من الرّجال: فاعوس. وداهيةٌ فاعوسٌ: شديدة، قال رياح الجَدِيسيّ:

جِئْتُكِ من جَديسِ
بالمُؤْيِد الفاعُوسِ
إحدى بَناتِ الحُوس».

وأُضِيْف من (القاموس.. والتّاج..):

«.. والفاعُوسُ: الوَعِل، نَقَلَه الصّاغانيّ.

والفاعوس: الكُرّازُ الذي يُشْرَبُ فيه.

والفاعوس: الفَدْمُ الثَّقِيلُ المُسِنّ.. وفي (التّكْمِلة): الفَدْم المَتِينُ من كُلِّ الدّوابّ والفاعوس لُعْبَة لهم... والفاعوسَةُ، بهاء، الفَرْج لأنَّها تَنْفَعِسُ، أي تَنْفَرِجُ؛ قال حميد الأَرْقط:

كأنّما ذُرّ عليه الخَرْدَلُ
تَبِيْتُ فاعوسَتُها تَأَلَّلُ»

قُلْت: في قَوْل الفيروزابادي والزّبيديّ: (لأنّها تَنْفَعِس). ما يَدُلُّنا على أنّ مُؤَلِّفي أَهَمّ مَعاجِم التُّراث اللغويّ التّليد قد اسْتَعْمَلُوا الفِعْل: انْفَعَس.

الفَعْص والمَفْعُوص

يقول د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

«نقول في دارجتنا: فَعص فلان كذا: دَلَكه بإصْبَعَيْهِ لِيَلِيْنَ، وفعص التَّمرة وَفَعَّصَها: أَخْرَجها من قِشْرها، وفَعَص الليمونَة: عَصَرَها، والأصل فيها: فَصَع؛ وَحَدَث قَلْبٌ مَكانيّ».

وفي (القاموس..): «فَصَع الرُّطَبَة: عَصَرَها أو أخرجها من قِشْرها، والشّيء: دَلَكَهُ بِإِصْبَعَيْهِ لِيَلِيْنَ، كَفَصَّعَ».

قلت: وعندنا في الشّام يقولون فَصَعَ وفَعَصَ، والأولى أكثر، فانظر في: ف ص ع:

وكلّ ما في (لسان العرب):

«ف ع ص: الفَعْصُ: الانْفِراجُ. وانْفَعَص الشَّيْء: انْفَتَق. وانفَعَصْت عن الكلام: انْفَرَجْت. والله أعلم».

ويَنْقُلُهُ عنه الزّبيديّ في (التّاج..) ويقول:

«..أَهْمَلَه الجماعة وأَوْرَدَه صاحبُ (اللسان..) هكذا».

قلتُ: وفي عَصْرنا أهمله (المُعْجَم الوسيط) و(المُعْجَم المَدْرَسيّ) وأحمد رضا في (ردّ العامّيّ.......).

فَقْس والفَقّوس

لولا المعنى الذي بَدَأ به ابن منظور في (اللسان..) ف ق س لَكان في جميع المعاني التّالية يَتَحدّث عن فصيح العَوَامّ في هذه المادّة..

وابن فارس أيضًا في (مقاييس اللغة) يَكْتَفِي بما بَدَأ به ابن منظور: «يقولون فَقَس: مات» فيميت المعاني الأخرى التي هي من فصاح العامّيّة..

في (لسان العرب):

«فَقَسَ الرّجلُ وغيرهُ يَفْقِسُ فُقوسًا: مات، وقيل: مات فَجْأَةً. وفقس الطائر بيضَه فَقْسًا: أَفْسَدَها. وفي حديث الحُدَيْبِيَة: (وفَقَصَ البَيْضة) أي كَسَرَها، وبالشّين أيضًا. وفَقَسَ فلانٌ فلانًا يَفْقِسُه فَقْسًا: جَذَبَه بِشَعْره سُفْلًا. وتَفاقَسا بِشُعورِهما ورُؤوسِهما: تَجاذَبا...

...وفَقَس البَيْضة يَفْقِسها إذا فَضَخَها، لُغة في فَقَصها، والصّاد أعلى [قلتّ والسّين أَشْيع] [وأعود إلى ابن منظور]: وفَقَسَ وثب.

والمِفْقاس: عُودان يُشَدُّ طَرَفاهما في الفخّ وتُوضع الشَّرَكَةُ فَوْقَهما فإذا أصابَهما شَيء فَقَست.. يُقال للعُود المُنْحني في الفَخّ الذي يَنْقَلِب على الطَّيْر فَيَفْسخ عُنُقَه وَيَعْتَفِرُهُ: المِفْقاس. يُقال: فَقَسَهُ الفخّ.

وفَقَس الشّيءَ يَفْقِسُه فَقْسًا: أخذه أخذ انْتِزاعٍ وغَصْبٍ».

وأُضِيْف من (القاموس.. والتّاج..): «والفُقاس، كغُراب، داء في المَفاصِل شَبِيهٌ بالتَّشَنُّجِ؛ قاله ابن دُرَيْد وَوُجِد في بَعْض نُسَخ

الْجَمْهرة بِتَقْدِيم القاف. والفَقُّوس؛ كَتَنُّور: البِطِّيْخ الشَّاميّ أي الذي يُقال له البِطِّيخ الهِنديّ؛ لُغة مِصريّة، وأهل اليَمَن يُسَمّونَه (الحَبْحَب)...

وممّا يُسْتَدْرَك عليه: فَقَس إذا وَثَب».

وأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) كأنّه يتحدّث عن لهجة دمشق حين يقول:

«وقالت عامّتنا: (فَقَس الفَخُّ) إذا أَطْبَق على الصَّيْد. وفَقَست المِصْيدة إذا أَطْبَقَتْ على الفأرة وهذا اسْتعمال صَحِيْح...

... فالعامّة لم تُحَرِّف ولن تَنْحرف عن الفصيح، ولٰكنّها توسّعَتْ في الاسْتعمال على طريق المَجَاز فقالت: فَقَسَت البارودة - البُنْدقيّة إذا انْطَبَق (ديكُها) على (كَبْسولها) فاقتدح نار الكَبْسول، فَدَفع رصاصَها إلى المَرْمَىٰ.

ثمّ تَجوّزوا ثانيةً فقالوا: فَقَسَ طَبْعه: إذا انْفَجَرَ غَضَبًا، وصَبّ غَضَبَه على المَغْضوب عليه. وهو مَجاز عن المَجاز الأوّل؛ أي: فَقَسَتِ البارُودة.

وقالُوا فَقَشَ البَيْضة (بالشّين المُعْجَمَة)...

وقالُوا: فَقَّسَت الدَّجاجة (بالسّين المُهْمَلة مع تشديد القاف) إذا نَقَفَ الفَرْخُ البَيْضَ من تحتها وخَرَج منه.

وفي اللغة... بالسّين المُهْمَلَة وبالسّين المُعْجَمَة وبالصّاد المُهْمَلة ثلاث لُغات فاسْتعمال العامّة صحيح فصيح. ولٰكنّ الأفصح بالصّاد المُهْمَلَةِ».

الفَلْحَس وليس (الفَلْحوس)

الفَلْحُوس في العامّيّة عندنا: الصّغير جِسْمًا أو مكانةً... وهو في المُعْجم الفَلْحَس.. ويَسْتَعْمِلون هذه العبارة أحيانًا للهَزْل أو السُّخْرية فَيَتَميّع معناها وتتوسّع دلالاتها ويكاد أنْ يقصد كلّ مقصدَه من هَزْله بها...

أمّا في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) فيقول د. عبد لعال:

«نقول في دارجتنا: فُلاَن فَلْحُوسٌ: مُتطَفِّلٌ يَدَّعي مَعْرِفَة ما يَجْهَل، وَتَفَلْحَسَ: ادْعى المَعْرِفَةَ. وفي القاموس. تَفَلْحَسَ فلان: تَطَفَّل».

وفي (لسان العرب):

«الفَلْحَسُ: الرَّجُل الحَرِيْص. والأُنثىٰ فَلْحَسَة. ويُقال للكَلْب أيضًا: فَلْحَس. والفَلْحَس: المرأة الرَّسْحاء الصَّغيرة العَجُز. ورَجُل فَلَنْحَس: أكول؛ قال ابن سِيْده: حَكاه كراع وأراه فَلْحَسًا. والفَلْحَس: البائع المُلِحّ. وفَلْحَس اسْم رَجُل من بني شَيْبان وفيه المَثَل: (أَسْأَلُ مِنْ فَلْحَس)؛ زَعَموا أنّه كان يَسْأَل سَهْمًا في الْجَيْش وهو في بَيْته فَيُعْطىٰ لِعِزّه وسُودَدِه، فإذا أُعْطِيَه سأَل لامْرأته، فإذا أُعْطِيَه سأل لبَعيره. والفَلْحَس: الدّبّ المُسنّ».

وأُضيف من (القاموس.. والتّاج..):

«..والفَلْحَسُ: مَنْ يَتَحَيَّنُ طَعامَ النّاس؛ نَقَلَه ابن سِيْده عن أبي عُبَيْد... وقالُوا: (أَسْأَلُ مِن فَلْحَس).. وكذا قَوْلُهُم: أَعْظَمُ في نَفْسِه مِن فَلْحَس). وفي ابنه زاهِر قِيْل: (الفِضّة من الفضّة) أي لا يكون ابن فَلْحس إلّا مِثْلَه.

والفَلحَسَةُ - بِهاءٍ - المَرْأَةُ الرَّسْحاء [قُلْت: في اللسان بغيرِ هاءٍ].. الصَّغيرةِ العَجُزِ..

والفِلْحاس - بالكَسْر - القبيح السَّمِج؛ نَقَله الصّاغانيّ.

وتَفَلْحَسَ الرَّجُلُ: تَطَفَّل.

وممّا يُسْتَدْرَك عليه: الفَلْحَس: السّائِل المُلِحّ (قُلْت: في اللسان: البائع المُلِحّ). ورَجُل فَلَنْحَس - كَسَفَرْجَل -: أَكُول، حَكاه كراع؛ قال ابن سِيْدَه: وَأَراهُ فَلْحَسًا.

وقال أبو عُبَيْدة: الفَلْحَس: العَريض، كما في (العُباب..)».

وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس: «الفَلْحَس: الرّجل الحريص والكَلْب الفَلْحَس. وهذا ممّا زِيْدَت فيه الفاء، والأصْل: لَحِسَ كأنّه من حِرْصِه يَلْحَسُ الأشْياءَ لَحْسًا. والفَلْحَس: المَرْأة الرَّسْحاء، كأنّ اللحم منها قد لُحِسَ حَتّىٰ ذَهَبَ».

فَلَّسَ وأفلس.. والفلس

الفُلوس: النُّقود، في عامّيّة مِصْرَ والشّام وغيرِهما.. وفي الشّام يُسَمُّونها أيضًا؛ المَصارِي والمِصْريّات.. منسُوبة إلى مِصْرَ.. قيل: مُنذ عهد إبراهيم باشا الذي فَتَح لأبيه محمّد علي باشا وِلايةَ الشّام بعدَ مِصْر وكادَ أنْ يَضُمَّ إليه العديد من وِلايات الدَّوْلة العُثمانيّة لولا أنْ أُكْرِه على التَّوقُّف.. وانْتِشار النُّقود المِصْريّة في الشّام في ذلك العَهْد جَعَلَهُم يَدْعُونَها بالمَصاري كما يَدْعُونها الفُلوس والقُروش والدَّراهم و...وغيرها.. وغيرها..

وفي (لسان العرب):

«الفَلْس: مَعْروف، والْجَمْع.. فُلُوس،.. وأَفْلَسَ الرَّجُل: صار ذا فُلوس بعدَ أنْ كانَ ذا دَراهم [وإلى هنا يَنْطَبِق على نصّ ابن فارس في (مقاييس اللغة) ثمّ أُكْمِل من ابن منظور]:، يُفْلِس إفلاسًا: صار مُفْلِسًا.. كما يُقال: أخْبَثَ الرَّجُلُ إذا صار أصْحابُه خُبَثاء.. وفي الحديث: (مَنْ أدرك مالَه عند رَجُلٍ قد أَفْلَسَ فهو أَحَقُّ به).. يُراد به أنّه صار إلى حال يُقال فيها: لَيْسَ مَعَه فَلْس... وقد فَلَّسَهُ الحاكم تفليسًا: نادى عليه أنّه أَفْلَس.

وشيء مُفَلَّسُ اللَّوْنِ إذا كان على جِلْدِه لُمَعٌ كالفُلوس.

وقال أبو عَمْرو: أَفْلَسْت الرَّجُل إذا طلبتَه فأخطأت مَوْضِعَه، وذلك الفَلَس والإفْلاس، وأَنْشَد للمُعَطَّل الهُذَلي:

يا حِبُّ، ما حُبُّ القَبُول وحُبُّها
فَلَسٌ، فلا يُنْصِبْك حُبُّ مُفْلِسُ

قال أبو عَمْرو: في قوله: وحُبُّها فَلَس أيْ لا نَيْلَ معه».

وأُضيف من (أساس البلاغة) و(تاج العروس..): «..وَقَوْمٌ مَفاليس زُمْرَة مَفاليس. وفلان فَلَس من كلّ خير. ووقع في فَلَسٍ شديد. وهو مُفَيْلس ماله إلّا أُفَيْلِس».

وحقيقة الإفلاس في قول الفيّوميّ في (المصباح المُنير): «الانتقال من حالة اليُسْر إلى حالة العُسْر».

وتكثُر التّعابير المَجازِيّة والصُّور البيانيّة في الاسْتعمالات العامّة لهذه المادّة فعندنا كما في لبنان يَصحّ ما قاله أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«وقالُوا: فَلَّسَ فلان من الرَّكْض أيْ العَدْو، وذلك إذا أعيا فأبطأ فيه، ولم يَبْقَ له قُوَّة على المُضِيّ فيه.

وهو على الاسْتعارة مِنْ فَلَّس إذا لم يَبْق معه فَلْس يُنْفقُه... فاسْتُعِيْر ذهابُ المال من المُفلّس لِذَهاب قُوّة الْجَرْي من العادي.

وقالوا فَلَّسَ جِلْدُه إذا ظهر فيه طُفاحات أَو بُقع جِلْدِيَّةٍ تشبه الفلوس..» وفي فصاح العامّة اليوم من الاسْتعمالات المَجازيّة ما وَرَد في المُعْجمات المُعاصِرة؛ وفي (المُعْجَم الوسيط) مثلًا:

«فَلِسَ من الشّيء يَفْلَس فَلَسًا: خلا منه وتَجَرَّد.

فهو فَلِس. ويُقال: هو فَلِسٌ من الخير.

أَفْلَسَ فلان: فَقَدَ مالَهُ فأعْسَرَ بعد يُسْر. فهو مُفْلِس. (ج) مُفْلِسون ومَفاليس. وأَفْلَسَ فلانًا: طَلَبَه فأخطأ مَوْضِعَه. فَلَّسَ القاضي فلانًا: حكَم بإفلاسه.

الفَلْسُ: القِشْرَةُ على ظَهْر السَّمَكة. - وعُمْلة يُتعامَل بها مَضْرُوبة من غير الذَّهب والفِضّة، وكانَتْ تُقَدَّرُ بسُدس الدِّرْهم. وهي تُساوي اليومَ جُزءًا من ألْف من الدِّينار في العراق. (ج) فُلُوس. والفَلْس: خاتَمُ الْجِزية في العُنُق.

الفَلَسُ: عَدَم الظَّفَرِ.

المُفَلَّسُ: يُقال: شَيْء مُفَلَّسُ اللونِ: على جِلْدِه لُمَعٌ كالفُلوس».

وبعض هذه المعاني في: (المعجم العربيّ الأساسيّ) و(المعجم المدرسيّ).

فَلَسْطون والفَلَسْطِيّون

فُصَحاؤنا يُغَلِّطون عوامّنا في فَتْح فاء فَلَسْطين مع أنّ الفَتْح والْكَسْر جائزان فيها في (القاموس... والتّاج... ومعجم البلدان لياقوت) ولَمْ يُطالبُوا بتَطْبيق مَقاييس تَغْليط العوامّ نَحْويًّا وصَرْفيًّا على آلافِ القصائِد والبُحوث والكِتَابات المُخْتلِفَة التي أَوْحَت بها فَلَسْطون التي هي فِلَسْطين في كتابات القَرْن العِشْرين، والتي كَتَبَها الفِلَسْطِيّون وغير الفَلَسْطِيّين من عامّة الكتّاب والشّعراء والعُلَماء وغيرهم وغيرهم... فالمَنْسوب إليها: فَلَسْطيّ... بحذف النّون، وإنّا نجد أنفُسَنا أمامَ خَطَإٍ عامّيّ شائع في النِّسْبة إليها فيما كُتِبَ مِنْ كلِّ ما أَوْحَت به فَلَسْطون في القَرْن العِشْرين لم يُشِرْ إليه أحَدٌ على الرّغم من أنّ المقاييس اللغويّة الوارِدَة في أمّهات المَصَادر المَشْهورة لِلُغَتنا مُنْذ (العَيْن) للْخَليل... وإلى أَلْف ونِصْف أَلْفٍ من المَعَاجِم التُّراثيّة كما وَرَد في (مُعْجم المَعاجِم) المَذْكور سابقًا.. هٰذه المقاييس ما تزال مُطَبّقة في كتاباتِنا وكُتُبِنا وفي مَدارِسِنا وجَامِعَاتِنا ومَجامِعِنا ومُؤسّساتِنا العِلْمية... ولم يَقَعْ أيُّ تَفْريطٍ في هذه المقاييس... فلماذا فرّطْنا في الفَلَسْطيّ؟

أَمْ إنّنا لا نعدّ الزّيادَة في الأَحْرُف تفريطًا؟

في (اللسان...): ف ل س ط: «فِلَسْطين: اسْمُ مَوْضِع، وقِيْل: فلسْطون، وقيل: فلسْطين اسم كُورة بالشّام. ابن الأثير: فِلَسْطين بكسر الفاء وفَتْح اللام، الكُورة المعروفة فيما بَيْن الأردنّ وديارِ مِصْر وأمّ بلادها بَيْت المَقْدِس، صَانَها الله تعالى. (التّهذيب): نُونُها زائدة وتقول: مَرَرْنا بِفِلَسْطين وهذه فِلَسْطون. قال أبو منصور: وإذا نَسَبُوا إلى فِلَسْطين قالُوا فِلَسْطِيّ؛ قال: [الأعشى]

تَقُلْهُ فِلَسْطِيًّا إذا ذُقْتَ طَعْمَهُ[1]

وقال ابن هَرْمة:

كأْسٌ فِلَسْطِيَّةٌ مُعَتَّقَةٌ
شُجَّتْ بماءِ من مُزْنَة السَّبَلِ

وفِلسطين بَلَد: ذَكَرَها الْجَوهريّ في ترجمة طين. قال ابن برّيّ: حَقُّها أَنْ تُذْكَر في فَصْل الفاء من باب الطّاء لِقَوْلِهم فِلَسْطون».

وأمّا ياقوت الحَمَويّ في (معجم البُلْدان) فيقول: «والعرب في إعرابها على مَذْهَبَيْن: منهم مَنْ يَقُول

[illegible]

فلسطينُ ويَجْعَلُها بِمَنْزِلَة ما لا يَنْصَرِف ويلزمها الياء في كلّ حال فيقول هذه فلسطينُ ورأيت فلسطينَ ومَرَرْت بفلسطينَ، ومنهم مَنْ يَجْعَلُها بِمَنْزِلة الْجَمْع ويَجْعَل إعْرابَها بالْحَرْف الذي قَبْل النّون فَيَقُول: هٰذه فَلَسْطون ومَرَرْت بِفَلَسطين، بِفَتْح الفَاء واللام، كَذَا ضَبَطَه الأَزْهريّ، والنِّسْبَة إليه: فَلَسْطِيٌّ: قال الأَعْشى:

وَمِثْلِكِ خَوْدٍ بادِنٍ قَدْ طَلَبْتُها
وساعَيْتُ مَعْصِيًّا لَدَيْنا وُشاتُها

مَتى تُسْقَ مِنْ أَنْيابِها بَعْد هَجْعَة
من الليل شُرْبًا حين مالَتْ طلاتُها

تَقُلْه فَلَسْطِيًّا إذا ذُقْتَ طَعْمَه
على رَبِذاتِ النَّيِّ جُمْشٍ لِثَاتُها

قِيل إنّها سُمِّيَت بفلسطين بن سام بن إرم بن سام ابن نوح، عليه السّلام، وقال الزّجّاجي سُمّيت بفلسطين بن كلثوم من وَلَد فلان بن نوح. وقال هشام بن محمّد...: إنّما سُمّيَت فلسطين بفليشين بن كسلوخيم من بني يافث من نوح... وفي كتاب ابن الفقيه: سُمّيَتْ بِفلسطين بن كسلوخيم بن صدقيا... وقد نَسَبُوا إليها فلسطيٌّ؛ وقال ابن هرمة:

كَأَنَّ فاها لمن تُؤَنِّسه
بعد غُبوبِ الرُّقاد والعَلَل

كأس فلسطيَّةٌ مُعَتَّقَةٌ
شِيبَتْ بماء مِنْ مُزْنه السَّبَل

... قال البشّاري: وفلسطين أيضًا قَرْيَة بالعراق».

قُلْت: (أو مدينة بالعراق) كما قال الزّبيديّ في (تاج العروس...) وفيه كما في القاموس: «فِلَسْطين وفِلَسطون... والنّسبة إليها فِلَسْطيّ...» ويُعيد الشّواهد التي مرّت...

فَلْطَحَ وفَرْطَحَ وَطَلْفَحَ وَصَلْطَحَ

من فِصاح العامّيّة التي لم تختلف في شيء من اللفظ أو المعنى الفِعْل فَلْطَحَهُ، والدّارج... عندنا والمُسْتعمَل بمعنى عَرَّضَ وبسّط... القُرْصَ وكلّ شيء آخر... وهو مُسْتَعْمل أكثر من: فَرْطَحَه، ويُسْتعمَل الثّالث: طَلْفَحه أقلّ من الفِعْلَيْن: فَرْطَحَ وَفَلطَحَ، ومثلها في الفصيح صَلْطَحَ بالصّاد فاللام فالطّاء فالحاء، ولم أسمعه في عوامّنا إلّا نادرًا...

وفي العبارات الثّلاثة... لم أسمع بَيْن العَوَامّ مَنْ يُخالف لَفْظها الفصيح أو مَعْناها... ولم أجدْها لَدىٰ كُتّاب فصيح العَوَامّ. واسْترعَتْ انتباهي بتبادُل الإبدالات والقَلْب.

في (اللسان...) ف ر ط ح: كما في (القاموس... والتّاج...): «رَأْسٌ مُفَرْطَحٌ أي عريض.

وَفَرْطَحَ القُرْصَ وفَلْطَحَه إذا بَسَطَهُ، وأنشد لِرَجُل من بَلْحارِثِ بن كَعْبٍ يَصِفُ حَيَّةً ذَكَرًا، وهو ابن أَحْمر البَجَليّ ليس الباهليَّ:

خُلِقَتْ لَها زِمَّةُ عِزِينَ، وَرَأْسُه
كالقُرْص فُرْطِحَ من طَحين شَعير

قال ابن بَرّيّ: صوابه فُلْطِحَ، باللام، قال: وكذلك أنشده الآمِدِيّ؛ وبَعْدَهُ:

وَيُدِيرُ عَيْنًا للوَداع، كَأَنَّها
سَمْراءُ طاحت من نَقِيصِ بَرِيْرِ

وكَأَنَّ شِدْقَيْه إذا اسْتَقْبَلْتَهُ؛
شِدْقا عجوز مَضْمَضَت لِطُهُورِ

وكلّ شَيْء عَرَّضته فقد فَرْطَحْتَه». ويُعيدها صاحب (أساس البلاغة) إلى الثُّلاثي: «ف ط ح: رَأْسٌ أَفْطَحُ ومَفْطُوح ومُفَطّح ومُفَرْطَحٌ: عريض. وقَدَم وأَرْنَبة فَطحاءُ. وفَطَحْتُ الحَديدة، وضربته

العصا حتّى فَطَحْتُه». كما في (القاموس... والتّاج...) أيضًا «رَأْسٌ مُفَلْطَحٌ وفِلْطاح: عريض، ومثله فِرطاح... وكلّ شيء عَرَّضْتَه، فقد فَلْطَحْته وفَرْطَحْته؛ ابن الفَرَج: فَرْطَحَ القُرْصَ وفَلْطَحَه إذا بسطَهُ [وبيْت واصف الحيّة الوارد في فرطح أنشده الأزهريّ باللام].

ابن الأعرابيّ: رغيف مُفَلْطَح: واسع؛ وفي حديث القِيامة: (عليه حَسَكة مُفَلطحة لها شَوْكة عَقِيفَة). المُفَلْطح: الذي فيه عِرَضٌ واتّساع. وذكر ابن برّيّ في ترجمة: ف ر ط ح: الصّحيح فيه عند المُحَقِّقين من أهل اللغة أنّه مُفَلْطح، باللام [وهذا رأي البُستاني في (مُحيط المُحيط)].

وفي الخَبَر: (أنّ الحَسَن البَصريّ مَرَّ على باب ابن هُبَيرة وعليه القُرّاءُ فَسَلَّمَ ثمّ قال: مالي أراكم جُلوسًا قد أحْفَيْتم شَوارِبكم وحَلَقْتُم رُؤوسكم وقَصَّرتمْ أكْمامَكم وفَلْطَحْتم بِغالَكم؟ أمَا والله لو زَهِدْتم فيما عند الملوك لَرَغِبُوا فيما عندكم، ولٰكنّكم رغبتم فيما عندهم فَزَهِدوا فيما عندكم، فَضَحْتُم القُرَّاء فَضَحَكُم الله). وفي حديث ابن مسعود: (... إذا ضَنُّوا عليك بالمُفَلْطَحة...) قال الخطّابي هي الرُّقاقة... وقال غيره: هي الدّراهم. ويُرْوَى: المُطَلْفَحَة. وأعادَ ابن مَنظور ها هنا ما كان ذَكَره في: ط ل ف ح حيث شرح حديث عبد الله بن مسعود: ... أي: إذا بَخِل الأمراء عليك بالرُّقاقة التي هي من طَعام المُتْرَفِين والأغنياء فاقْنَع بِرَغيفك.

يُقال: طَلْفَحَ الخُبْزَ وفَلْطَحَهُ: إذا رقّه وَبَسَطَه، وقال بعض المُتأخّرين: أراد بالمُطَلْفَحَة: الدّراهم، والأوَّل أَشبه لأنّه قابَلَه بالرّغيف».

وعن (اللسان...) روى (التّاج...) ثمّ لخّصه البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط): طَلْفَح الشّيء: أَرَقّه... الطَّلْفَح: الشّيء العَرِيْض...

وفي (فَرْطح) في (مُحيط المُحيط) والصّحيح: فَلْطَح.

وفي فَلْطَحَ فيه: «رأس فِلْطاح ومُفَلْطَح؛ أي: عريض مُفَرْطَح، والعامّة تقول: مُبَلْطَح؛ بالباء».

قُلْت: لم أسمعْها بالباء.

والمُعْجمات الحديثة الأُخرى تقيّدت بما في (اللسان... والقاموس... والتّاج...) ولٰكنّ (المعجم العربيّ الأساسيّ) للمُنَظَّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعُلوم؛ ومِنْ قَبْلِه (المعجم والوسيط) لِمَجْمع القاهرة و(المُعجم المدرسيّ) لأبي حرْب ووزارة التّربية بدمشق أهملوا: طَلْفَحَ، فقط.

فَلَعَ وَتَفَلَّعَ وَفَلَغَ

(تَفَلَّعُ البطّيخة التي تَتْرُكُها في هذا الماء المُثَلّج) كذا تقول العامّة عندنا وتستعمل مادّة التّركيب: ف ل ع بمعانيه الفِصاح كما ورَدَ في المُعجم العربيّ؛ فالعَمود إذا انشقّ طُولًا فقد: (انفلع)... وهكذا...

ويَرْوي أحمد رضا العامليّ أنّهم «قالوا: فَلَعَتِ الأرضُ، وهي مُفَلَّعة إذا جَفَّ ثَراها وتَشَقَّقَت.... فالعامّيّ صحيح» في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح).

وفي (مقاييس اللغة)... «ف ل ع: كلمة واحدة تدلّ على شَقِّ الشيء تقول: فَلَعْتُ الشّيءَ: شَقَقْتُه وَتَفَلَّعتِ البَيْضةُ وانْفَلَعَت: [انْفَلَقت]».

في (اللسان..)(والقاموس..)و(التّاج..):

فَلَعَ الشّيءَ: شَقّه كَفَلَّعهُ. وفلع رأسه بالسَّيْف والحَجَر يفلَعُه فَلْعًا فانفلع وَتَفَلَّع: شَقّه وشَدَخه. وقِيْل كلّ ما تشقّق فقد انفلع وتَفَلَّع وفَلَّعْتَهُ تفليعًا. قال طُفَيْل الغَنَويّ:

نَشُقُّ العِهادَ الحُوَّ لم تُرْعَ قَبْلَنا
كما شُقَّ بالمُوسَى السَّنامُ المُفَلَّعُ

والفُلْعَة: القطعة. وجَمْعُها فِلَع... وتَفَلَّعَت البِطِّيخةُ: إذا انْشَقَّت. وَتَفَلَّع العَقِبُ إذا انشقَّ وهي الفُلوع، الواحد فَلْع وفِلْع قال شمر: يُقال: فَلَحته وفَقَحته وسَلَعْته وفَلَعْتُه، كلّ ذلك إذا أوضَحْتُه.

ولَعَن الله فِلْعَتَها: شَتْم... يَعْنُون شَقَّ جهازها، أو ما تشقّق من عَقِبها. ويُقال: رماه الله بفالِعَة. وقال كراع: الفَلَعَةُ: الفَرْج، وقَبّح الله فَلَعَتَها كأنّه اسم ذلك المكان فيها ومَزَادةٌ مَفَلّعة: خُرِزت من قِطَع الجُلود. وسيف فَلوع - كَصَبُور - قَطّاع. جَمْعُه فُلُعٌ. وفي (محيط المحيط) للبُستانيّ رواية عن (القاموس...):

«... وفَلَغَ رَأْسَه يَفْلَغُه فَلْغًا: ثَلَغَهُ أي شَدَخَهُ». وكذلك في (المعجم الوسيط) و(المعجم المدرسيّ) وغيرهما إلّا (المُعجم العربيّ الأساسيّ) فيُهمله بالغين المُعْجَمة.

وأعود إلى: فَلَع فألاحظ: في (المعجم العربيّ الأساسيّ) للمُنظّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعُلوم: «فَلَعَ يَفْلَع فَلْعًا فهو فالع: - ٥: شقّه» فيحتمل الثّلاثيّ اللزومَ والتّعدّي في الفِقْرة الأولى. لا كما في رواية العامليّ عن العامّة بالتّضْعيف (فَلَّعَت).

أمّا المعاجم الأُخرى فتُورِده مُتعدّيًا دائمًا فيما رأيت...

إحالة: فَنَّشَ

انظر في نَبَشَ وَفَنَّشَ ونَبَّش: في: ن ب ش.

فَنَّش

نقولُ في عامّيّتنا الدّارجة في مصر والشّام وغيرها:

حِينما (نُفَتِّتُ) الخُبْزَ الطَّرِيّ (الإفرنجيّ أو الإسفنجيّ) في (فَتَّةِ الفَتُّوش) أو (فَتَّةِ التَّسْقِيَة) فإنّه يُفَنِّش.

وَبَنِيْقَة هذا القَمِيْص مُفَنِّشَة... فَلَيْسَتْ حُلْوَة وفي عامّيّة مِصْر كما ذَكَر د. عبد العال في (مُعجَم الألفاظ العامِّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «وَفَنَّشَتْ أَنْفُه: اسْتَرخَتْ واسْتطالَتْ وزادَ حَجْمُها وفي (القاموس...) فَنَّشَ في الأمرِ تَفْنِيْشًا: اسْتَرْخى».

وهذا كلُّ ما في (القاموس... والتّاج)... و(محيط المحيط)... وأهْمَلَه (اللسان... والصِّحاح) وكثير من المَعَاجم، ورَوَاهُ الصّغانِيّ في (التَّكْمِلة...): «... وقال أبو تُراب: فَنَّشَ الرَّجُل تَفْنِيْشًا وَبَنَّشَ تَبْنِيْشًا: إذا اسْتَرْخىٰ في الأَمْر، وأنشد اللِّحيانيّ:

إنْ كُنْت غيرَ صائدي فَفَنِّشِ

ويُرْوىٰ: فَبَنِّشِ. أي: اقْعُد...».

وأحمد رضا العامِليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) يَجدُ في الإبْدالاتِ مَجَالًا ويَجِدُ في (اللسان...) ب ن ش: «بَنَّشَ في الأمْرِ وفَنَّشَ: اسْتَرْخى. وفَيَّش: إذا خام عنه أي نَكَصَ وجَبُن». ويَجِدُ في قَوْلِ العامّة: «رَنَّشَ وفَنّشَ... وجاءَتْ رَنَّشَ إتباعًا لِفَنَّش».

فَنّك

في عامّيّتنا الشّاميّة يُقال:

(فَنّك في الأمر) لَجّ فيه وألحّ وتغلّب على غَيره وضَايَقه وأَزْعَجَه واسْتَمرّ في ذلك وبالَغ وكَذَب وَتَزيّد. وبَعْض المَعاجِم مِثْل (مُحيط المُحيط) تُهْمل ذِكْر المُضعّف العَيْن الذي تَسْتَعْمِلُه العامّة:

فنّك وتكتفي بالثُّلاثيّ فَنَكَ، مع أنّ (لسان العرب) لابن منظور أَوْرَدَ هذا المُضَعَّف وأثْبَتَه مُعْجَم مَجْمَع القاهرة في عَصْرِنا (الوسيط) فقال: (فَنَّكَ) مُبالغة: فَنَكَ وكذلك لويس معلوف في المُنْجد.

ويُلتَمَسُ العُذْر للبُسْتانيّ، ففي عامّيّة لبنان وَرَد الثُّلاثيّ كما يتبيّن من قول أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «وقالوا فَنَكَ فلان في عَدُوّه بالقَتْل إذا أَسْرف فيهم قتْلًا وكذلك فنك في الأكل إذا زاد فيه عن الحدّ وهو مُسْتَعار... وقال عَبيد الأبرص:

وَدّع لَمِيْسَ وداعَ الصّارِمِ اللاحي
إذ فَنَّكَتْ بِفَسادٍ بَعْد إصلاح

ومعنى فَنَّكَتْ، أي لَجّت بالفَساد وغَلَب عليها...».

قُلْت: وَرَد شاهد عَبيْد لدىٰ رضا بِتَضْعيْف النّون في ط٢، من (ردّ العامّيّ...) مع أنّي رأيته بالثُّلاثيّ فَنَكَ؛ في (لسان العرب) ط بيروت ١٩٥٦م:

«الفَنْك: العَجَب، والفنك: الكذب، والفنك: التّعدّي، والفنك: اللَّجاج وفَنَك بالمكان يَفْنُك فُنوكًا... أقامَ. وفَنَكَ وأفْنَكَ: واظَبَ على الشَّيْء. وفَنَكَ في الطَّعام وفَنِك يفنُك ويفنِك فُنوكًا إذا اسْتمرّ على أكْلِه ولم يَعَفْ منه شيئًا. وفَنَك في أمره: ابْتَزَّهُ ولجّ فيه وغَلَبَ عليه؛ قال عَبِيد بن الأبْرَص:

وَدِّع لَمِيسَ وَداعَ الصّارِمِ اللاحِي
إذا فَنَكَتْ في فَسَاد بعد إصْلاح

وفَنَك فُنوكًا وأفنك: كذب. وَفَنَكَ في الكذب: مضى وَلَجَّ فيه؛ قال:

لَـمّـا رَأَيْـتُ أنّـهـا فـي خُـطِّـي
وَفَـنَـكَـتْ فـي كَـذِبٍ ولَـطِّ
أَخَـذْتُ مـنـهـا بِـقُـرونٍ شُـمْـطِ

وقال أبو طالب: فانكَ في الكَذِبِ والشَّرّ وَفَنَكَ وفَنَّكَ، ولا يُقال في الخَيْر، ومَعْناه: لَجَّ فيه ومَحَكَ، وهو مِثْل التَّتابُع لا يكون إلّا في الشَّرّ».

وليس لدىٰ ابن فارس في (مقاييس اللغة) ممّا أُضِيْفه أكثر من ذلك... وأُضيف من (القاموس... والتّاج...):

«وفَنَّكَت الجارِيَة: مَجَنَت، عن ابن عبّاد، وتقدّم بالتّاء أيضًا... والمُتَفَنِّكة: الحَمْقاء، عن ابن عبّاد...

... وقال الفرّاء: فنّكت في لَوْمي وَأَفْنَكْتُ إذا مَهَرَت ذلك وأَكْثَرت؛ وقال الليث: أي: عَذَلت وداومت».

وفي (رسالة الغُفْران) لأبي العلاء المَعَرِّيّ وَرَد في ص١٧٧ من تحقيق[1] د. بنت الشّاطئ:

«أسمعانا شيئًا من القصيدة الحائيّة التي تُروىٰ لِعَبِيد مَرَّةً ولِأَوْسٍ أخرى - وما سمعتا قَطُّ بعبيد ولا أوس - فَتُلْهَمانِ أنْ تُغَنّيا بالمطلوب فَتُلَحِّنَان:

وَدِّعْ لَميسَ وَداعَ الوامِقِ اللاحي
قد فَنَّكَتْ في فَسادٍ بعد إصلاح».

[فَنَّكَت بتضعيف النّون]

ولٰكنّ (المُعْجَم المدرسيّ) لمحمّد خير أبي

حرب ووزارة التّربية بدمشق، يُهْمل مادّة: ف ن ك. على أنّ (المُنْجِد) و(الوسيط) و(متن اللغة) و(محيط المحيط) وغيرها تفصّل فيه.

فاءَ و(فاقَ من نومه) والفَيْء

في الفصيح: فاءَ يَفيء، وفاقَ يفُوق، والمهموز بمعنى عادَ ورَجَعَ وآبَ، وهذا أحدُ المَعْنَيَيْن الأصْلِيّين في ف و ق: بمعنى الرّجوع، أو العُلُوّ كما سترى من نُقُول الفِصاحِ التي تَدُلّ على تَلاقي المعاني بَيْنَهما، وليسَ من المُشترك اللفظيّ تمامًا، وكذلك ليس إبدالًا بَيْن الهمزة والقاف أيضًا...

نَقُولُ في العامّيّة الدّارِجة: (فاءَ من نَوْمه، أو: فاقْ هذا الفايق ورَايِق... ولما فِئت إلى كلامِه لَقِيْت أنّي كُنْتُ من الغافِلِيْن لا من الفايئين أو الفايئين له ولِتَلاعُبِه بهم لأنّهم ما فاؤوا، أو ما فائوا لِعَبَثِه وقَصْفِه وسُكْرِهِ مَعَهم بَيْن الفَيْء والمُوَيَّة «تصغير ماء» حتّى راحت السَّكْرَة وفاءت الفِكْرة).

وَنَحْسَبُ أنّا نَقْصِد معنى اليَقَظة، ولٰكنّ المَعْنى المُعْجَميّ: الأَوْبَة والعَوْدة والرُّجوع من الغَفْلة... ونَظُنُّ أنفُسَنا واثِقِيْن من أنّ لفظَنا القاف مُخَفَّفَةً إلى الهمزة في دمشق وبيروت والقاهرة وكُبْرَياتِ المُدُن، لا بدّ من إعادة هَمْزَتِه قافًا حين نكتُبُه في الفصيح، فكُلّما قلْنا بالعامّيّة الدّارجة: فاء؛ ظننّا فصيحها: أفاقَ، وهذا رُباعيّ مَزِيدُ على الثّلاثيّ فاق، لأنّنا نجدُ الثُّلاثيّ يُغيّر المعنى فيَضِيْع منه مَعْنى الأوبةِ والرُّجوع من النَّوم أو السُّكْر أو من الغَفْلة... أو السَّهْو والشُّرود... أو الإغماء... أو نحو ذلك... ولٰكنّ معنى العَوْدة والأَوْبة والرُّجوع هو المعنى المُشْتَرَك بَيْن ألفاظِ المادّتَيْن: (ف ي ء) و(ف و ق) كما مُعْجم ابن فارس (مقاييس اللغة):

«فاء: الفاء والهمزة مع مُعْتَلّ بَيْنَهما، كلماتٌ تَدُلّ على الرُّجوع. يُقال: فاء الفَيْء، إذا رَجَع الظِّلُّ من جانب المَغرِب إلى جانب المَشْرِق [كذلك هو لصّ اللسان. والمعاجِم الأخرى] وكلُّ رُجوعٍ فَيْءٌ. قال الله تعالى: ﴿حَتّى تَفِيء إلى أَمْر الله﴾ [السّورة ٤٩ الحُجُرات الآية ٩] أي ترجع. قال الشّاعر: [البيت لامرئ القيس كما في (معجم البلدان): (خارج) و(الأغاني ٧: ١٢٣) حيث أوردا قِصَّة له، إذ كان سببًا في إنقاذِ وفدٍ من اليَمن كانُوا يُريدون لقاءَ الرّسول: عن حاشية المحقّق عبد السّلام محمَّد هارون]:

تَيَمَّمَتِ العَيْنَ التي عند ضارِجٍ
يفِيءُ عليها الظِّلُّ عِرْمِضُها طامِ

يُقال منه: فَيَّأَت الشَّجرةُ، وَتَفَيَّأْت أنا في فَيْئها... والفَيْء: غَنائِم تُؤْخَذ من المُشْرِكِينَ أفاءها الله تعالى عليهم. قال الله سبحانه: ﴿وما أفاءَ اللهُ على رسوله من أهل القُرَى﴾ [السّورة ٥٩ الحَشْر الآية ٦ و٧].

... وفُلان سَريع الفَيْء؟ من غَضَبِه والفيئة...».

وفي: ف و ق في (المقاييس...) ذاتِه: «الفاء والواو والقاف أصلان صحيحان، يَدُلّ أحدُهما على عُلُوّ، والآخرُ على أَوْبة ورُجوع...

.... وأمّا الآخر فَفُوَاقُ النّاقَةِ، وهو رُجوع اللَّبَن في ضَرْعِها بعدَ الحَلْب. تقولُ: ما أقامَ عنده إلّا فُواقَ ناقةٍ. واسم المجتمِع من الدَّرِّ: فيقة... يُقال: فُواق وفَواق قال الله تعالى: ﴿مالها من فُواق﴾ [السّورة ٣٨ من الآية ١٥].

[وفي تفسير الجلالين: فَواق بفتح الفاء وفي الشّرح والتّفسير بفتح الفاء وضَمِّها].

[في الحاشية: قرأ حمزة والكِسائيّ وخلف بضمّ

الفاء. وهي لغة تميم وأسد وقيس، ووافقهم الأعمش، والباقُون بِفَتْحِها، وهي لغة الحجاز. (إتحاف فضلاء البشر ٣٧٢)].

أي ما لَها من رُجوعٍ ولا مَثْنَوِيَّةٍ ولا ارْتِداء. وقال غيرُه: مالها من نَظِرَة. والمَعْنَيَان قريبان. ويقولُون: أفاقَ السَّكْرانُ يُفيق، وذلك من أَوْبَةِ عقلِه إليه».

وفي (أساس البلاغة): «ف و ق:... وأفاقَ فُلانٌ من المَرَضِ واسْتَفاق. وفلان مُدْمِنٌ لا يَسْتَفِيْقُ من الشّرابِ... وتَفَوّق الفَصِيْل أمَّه: رَضَعَها فُواقًا فواقًا... ومن المَجَاز: تَفَوَّقْتُ الماءَ: شَرِبْتُه شَيْئًا بعد شَيْء، وتَفَوَّقْت مالي: أنْفَقْتُه على مهل، قال:

تَفَوَّقْتُ مالي مِنْ طَرِيفٍ وَتالِدٍ
تَفَوُّقِيَ الصَّهْباءَ من حَلَبِ الكَرْمِ

وَفَوَّقَني الأماني... وأَرْضَعَني أفاويقَ بِرِّهِ... وارْجِعْ إن شئتَ في فُوْقِي؛ أي: كما كُنّا عليه من المُؤاخاة؛ قال:

هل أنتِ قائلةٌ خَيْرًا وتاركةٌ
شَرًّا وراجِعَةٌ إنْ شِئْت في فُوقي؟

ويُقال لِمَنْ مضى ولم يَرْجِع: ما ارْتَدَّ على فوق. وفَعَلْتَ فَعْلَةً لا تَرْتَدُّ على فوق.

وأَفاق الزّمانُ: جاء بالخِصْب بعد الضِّيْق؛ قال الأَعْشَى:

المُهِيْنِيْنَ مالَهُم في زمان السَّ
وْءِ حَتّى إذا أفاقَ أفاقُوا

... ف ي أ: من [أساس البلاغة] نفسه:

فاءَ إلى الله فَيْئَةً حَسَنَة إذا تابَ ورَجع... وطَلّق امْرَأَتَه وهو يَمْلك فِيْئَتَها؛ أي: رَجْعَتَها، وله على امْرَأتِه فِيْئَة. وهو سريعُ الغَضَب سريعُ الفِيْئَة.

وتعالَ نَقْعُد في الفَيْءِ... وفي المَجَاز: تَفَيَّأْتُ بِفَيْئِك، أي: التجأتُ إليك».

وكما في (المقاييس... والأساس...) في (اللسان... والقاموس... والتّاج... ومحيط المحيط) وغيرهم...

وقصر د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) فصيحها على المهموز: فاء يفيء.

فاش يَفِيْش

في الفعل الماضي: فاش: تَلْتقي العامّيّة مع الفصيح التّليد لفظًا وبعضًا من المعنى من المعاني العامّيّة، وهو معنى الفَخْر مع الضعف. وفي المضارع فصيحهُ يائيّ وليس واويًّا والعامّة تَسْتعْمله أيضًا بمعنى طَفَا على وَجْه الماء أو السّائل، وليس له بهذا المعنى من الفصيح سَنَد.. ولٰكن:

أحمد رضا العامليّ في مُعْجَمِه (متن اللغة) يَضَع في حاشية مادّة ف ي ش: «والعامّة تقول: فاش الشّيءُ إذا نَفَج وكَبُر حَجْمُه من بَلَل يُصِيْبُه، ولعلّه من الفَيْش» ثمّ يُشِيْر أحمد رضا ذاتُه في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح)، إلى أنّ العامّة يقولون «.. يَفُوش فَوْشًا وفَوَشانًا.. والشّيء فوّاش وفوشاش أي ضَخْم بغير مادّة ولا قوّة».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «والفائش عند العامّة بمعنى الطّافي على وجه الماء أو غيره، ونَقِيْض العَمِيْق وَفِعْلُهُ عندهم واوِيّ. يقولون: فاش الغَرِيْق على وَجْهِ البحر. والحبَاب يَفُوش على وجه الخَمْر».

قُلْت: هو في المُعْجَم القديم فِعْل أجوف يائيّ نَجِدُه في: ف ي ش:

وفي (لسان العرب): «. . وفاش الرَّجُلُ فَيْشًا وهو فَيوش: فخر، وقيل: هو أنْ يَفْخَر ولا شَيءَ عنده. وفايَشَه مُفايَشةً وفِياشًا: فاخره. ورَجُل فَيّاش: مُفايش. وجاؤوا يَتَفايَشُون أيْ يَتَفاخَرُون ويَتَكاثَرُون وقد فايَشْتم فِياشًا. ويُقال: فاشَ يَفِيش وفَشَّ يَفِشُّ بِمَعْنًى. . والفِياش: المُفاخَرة؛

قال جرير:

أيُفايِشون، وقد رَأَوْا حُفّاثَهُمْ
قد عَضَّهُ، فَقَضَىٰ عَلَيه الأَشْجَعُ»

[قُلْت: شبَّهَهم بثُعبان الحُفّاث الذي يَنْتَفخ ولا يَقْدر أنْ يُؤْذي، وعدّوهم بأصغر الحيّات وأَشْجَعِها واسْمه الأَشْجَع].

[قُلْت هذان السَّطْران وشاهد جرير في (مقاييس اللغة) لابن فارس نصًّا في: ف ي ش] [وأَعُود فأُكْمِل نصّ ابن منظور في اللسان]: والفَيْش: التَّفَجُ يُرِي الرَّجُلُ أنّ عنده شيئًا وليس على ما يُرِي.

وفلان صاحبُ فِياش ومفايَشَةٍ، وفلان فَيّاشٌ إذا كان نفّاخًا بالباطل وليس عنده طائلٌ. والفِياشُ: الطَّرْمَذَة.

[وقبل ذلك في (اللسان. .) نَفْسِه]: الفَيْشَةُ: أعْلىٰ الهامة. و. . الكَمَرَة كالفَيْشَلَة. الليث: الفَيْش والفَيْشَلَة: الضّعِيْفة وقد تَفايَشا أيّهما أعظم كَمَرَةً.

والفَيْشُوشَةُ: الضَّعْفُ والرَّخاوةُ؛ وقال جرير:

أَوْدَىٰ بِحِلْمِهِمُ الفِياشُ، فَحِلْمُهُم
حِلْمُ الفَرَاشِ، غَشِيْنَ نار المُصْطَلي

. . . وَرَجُل فَيُوش: ضَعيف جَبان؛ قال رُؤْبة:

عن مُشْمَهِرٍّ لَيْسَ بالفَيُوشِ

وأَزيد من (القاموس. .)

«والفَيّاشُ: السَّيِّدُ المِفْضالُ (والمُكاثِرُ بما ليس عندَه) ضِدٌّ. . والمُفايَشَة: كثرة الوَعِيْد في القتال ثُمَّ يُكَذِّبُ. والتَّفَيُّش: ادِّعاءُ الشَّيْء باطِلًا والانقِلاب عن الشَّيء».

ويُضِيْف الزّبيديّ في (التّاج. .): التَّفَيُّش كالانْفِشاش. . . ومن الفَيْشوشَة بمعنى الضّعف: رَجُلٌ فاشوش. . .

الفال والفول و(المُفاوَلة)

يقول لك المُنَجِّم: (بَيِّضِ الفال بِدَفْع المال).

ويقولُ العامّيّ إذا تحدّثت في موضوع مَوْت حيٍّ من الأحياء من قَبْلِ أنْ يَموتَ: (لا تفاوِل عليه، لا فالَ عليك ولا عليه).

أمّا الفُول فذُكِر كثيرًا في أمثالهم، كما في: (لا تَقُل: فُول، حتّى يَصِيْر في المَكْيُول) و(كُلِ الفُول وارْجِعْ إلى الأُصول). . الخ. . واشْتَقّوا من تأثيرِه في دَمِ مَنْ لا تَتَوافَرُ في هاضِمَتِه خميرةُ هَضْمِه اسْم مَرَضِ (التَّفْويل) فقالُوا: (فَوَّلَ فلانٌ) أيْ أصابَه (التَّفْويل) بعدَ أنْ أَكَلَ الفُول؛ ولا علاقةَ بَيْنَه وبَيْنَ المُفاوَلة عِنْدَهم، ولعلّ واوَ المُفاولة مُبْدَلَةٌ عندهم إمّا من الياء أو من الهمزة للتَّخْفيف، بِدَليلِ أنّ مادّة: ف و ل ليس في (اللسان. . والقاموس. . والتّاج. .) فيها سوى الفُول الذي: «هو حَبٌّ كالحِمِّص، وأهلِ الشّام يُسَمُّون الفُول: الباقِلّا [والباقلّىٰ: في (القاموس. . والتّاج)] الواحدةُ فُولَة، حَكاهُ سِيْبَوَيْهِ، وخَصَّ بعضُهم به اليابِس».

وزاد (اللسان. .): وفي حديث عُمَرَ (أنّه سَأَلَ المَفْقودَ: ما كان من طَعامِ الجِنّ؟ قال: الفُول) هو الباقِلّا، واللهُ أعلم.

وقد ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيّ في (. . الصِّحاح. .) في ف ي ل. .

وفي مُسْتَدْرَك (التّاج..): «الفَوّال - بالتّشْديد - بائع الفُوْل».

وفي: ف أ ل: في (اللسان..) كما في (القاموس.. والتّاج..): «الفَأْل ضِدّ الطِّيَرَة والجَمْع فُؤُول، وقال الجوهريّ: الجَمْع أَفْؤُل؛ وأنشد للكُمَيْت:

ولا أَسْأَلُ الطَّيْرَ عمّا تَقول

ولا تَتَخالَجُني الأَفْؤُل

وَتَفاءَلْتُ به وَتَفَأَّلْت..

قال: وقد أُوْلِعَ النّاسُ بِتَرْك هَمْزِهِ تخفيفًا..

والفَأْلُ: أن يكونَ الرَّجُلُ مريضًا فيسمعُ آخرَ يقولُ: يا سالِمُ، أو يكونُ طالِبَ ضالّة فَيَسْمَعُ آخرَ يقولُ: يا واجدُ، فَيَقُول: تفاءَلْت بكذا، ويَتَوَجّه له في ظَنّه كما سَمِعَ أنّهُ يَبْرأُ مِنْ مَرَضِه أو يَجدُ ضالّتَه. وفي الحديث: (أنّه - ﷺ - كان يُحِبّ الفَأْل ويَكْرَهُ الطِّيَرَة).. والطِّيَرَة لا تكونُ إلّا فيما يَسُوء، والفَأْل يكونُ فيما يَحْسُن وفيما يَسُوء، قال أبو منصور [الأزهريّ في (التّهذيب..)]: من العَرَب مَن يَجْعَلُ الفَأْل فيما يَكْرَه أيضًا.. وفي نَوادِرِ الأعراب: يُقال: لا فَأْل عليك، بمعنى: لا ضَيْرَ عليك ولا طَيْرَ عليك ولا شَرَّ عليك.. وفي الحديث أيضًا: (أنّه كان يَتَفاءَلُ ولا يَتَطَيّر) وفي الحديث: (قيل: يا رسولَ الله ما الفَأْلُ؟ قال: الكَلِمةُ الصّالِحَةُ)، قال: وقد جاءت الطِّيَرَة بمعنى الجِنْس.. والفَأْل بمعنى النّوع، قال: ومنه الحديث: (أَصْدَقُ الطِّيَرَة الفَأْل)».

وفي سجع (أساس البلاغة): «دونَ الغَيْبِ أقفالُ لا يَفْتَحُها الزَّجْرُ والفالُ».

وفي ف ي ل: في (اللسان والتّاج): «.. وَفَالَ رأيُه يَفِيْل فَيْلولَةً: أَخْطَأَ وَضَعُفَ؛ قال جرير:

رَأَيْتُكَ يا أُخَيْطِل إذ جَرَيْنا

وَجُرِّبَتِ الفِراسَةُ، كُنْتَ فالا

... قال ابن برّيّ: والفِئالُ من الفَأْل بالظّفَر، ومَنْ لم يَهْمِزْ جَعَلَه مِن: فالَ رأيُه إذا لم يَظْفَر، قال: وذَكَرَه النّحّاس فقال: الفِيال من المُفايَلَة ولم يَقُلْ من المُفاءَلة».

وفي (الأساس..) ف ي ل: «.. وقد فَيَّلْتُ رَأْيَه، وما كنتُ أُحِبّ أنْ أرى في رَأْيِك فَيالَةً وفُيولَةً. وتقول:

قد فالَ رَأْيُك يا مَن رَأْيُه الفالُ».

والرّاجح أنّ (فال) العَوَامّ لَيْسَتْ من: ف ي ل، فهي من: ف أ ل.

ق

قُدّام: أمام

نَقْرَأُ في (المُعْجَم الوسيط) لِمَجْمَعِ مِصْرَ ط ٢: «قُدّام: ظَرْفُ مَكانٍ بمعنى أمام».

ومن القديم تقرأ في (القاموس المحيط) «وقُدَّام: كزُنَّارٍ ضِدُّ وَراءَ، كالقِيدامِ والقِيدوم وقد يُذَكَّرُ، تصغيرها قُدَيْدِيْمَةَ وقُدَيْدِيمٌ. والقُدّام أيضًا الجَزَّار وجَمْع قادم... و[قِدّيم وقُدّام].. كَسِكِّيتٍ وزُنّارٍ وَشَدّاد: الملك والسَّيِّدُ ومَنْ يَتَقَدَّمُ النّاسَ بالشَّرَفِ...».

فتقولُ: عَجَبًا للفنّان العِمْلاق د. محمّد عبد الوهّاب فلقد اشْتُهِر عنه أنّه حين لَحَّنَ وَغَنّى مَقاطِعَ من (الطَّلاسِم) قَصِيدَةَ الشّاعر المُهاجِرِ إيليّا أبي ماضي المشهورة باسم (اللاأدريّات) وَأَوَّلُها:

جِئْتُ لا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ وَلٰكِنِّيْ أَتَيْتُ

وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قُدَّامِيْ طَرِيْقًا فَمَشَيْتُ

فَقَدْ غَيَّرَ د. محمّد عبد الوهّاب (قُدّامي) فَجَعَلَها (أَمامي) في غنائه إيّاها ظنًّا مِنْهُ أَنَّ (قُدّام) تعبيرٌ عامّيٌّ ضَعيفٌ لأنّ هٰؤلاءِ المُهاجِرينَ من الشُّعَراءِ يُتَّهَمُوْنَ أَحْيانًا بالعامِّيَّة اتّهامًا ناقِصَ الدِّقَّةِ، ولٰكنّه اتّهامٌ ذائعٌ. يَرُوجُ ويَشِيْعُ بَيْنَ غيرِ المُتَخَصّصينَ المُتَتَبِّعينَ! ولٰكنّ هذا (التَّصحيح) كانَ إفسادًا للوَزْنِ العَروضِيّ الموسيقيِّ الإيقاعيِّ في التَّفْعيلَةِ الثّانِيَةِ من مَجْزُوءِ بَحْرِ الرَّمَلِ؛ فَلَوْ تَرَكها: قُدّامي لَكانَتْ أَصحَّ وَأَدَقَّ إيْقاعًا.

وإذا كانَ الشّاهدُ الذي أَوْرَدَهُ ابنُ منظورٍ في (لسان العرب) من شِعْر مُهَلْهل يُفَسّر فيه القدّام بأنّه «المَلِكُ والسّيّدُ ومَنْ يَتَقَدَّم النّاس بالشّرف وجَمْع قادم في قوله:

إنّا لنَضرِبُ بالصّوارِمِ هامَهُم

ضَرْبَ القُدار نَقِيْعَةَ القُدّامِ».

فلقد تطوّر معنى: قُدّام؛ حتّى انْحَصَر في معنى الظَّرْف أَمام في شِعْر أبي نُواس وكتابة الْجاحظ وكذا في شِعْرِ هاشم الرُّقاشيِّ الذي اسْتَشْهَد به د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) نَقْلًا عن العِقْد الفَرِيْد (١/ ٨٠)، وذلك في قولِ الرُّمَاشِيِّ:

قَدَّمْتَ قَبْلي رِجالًا ما يكونُ لهم

في الحقّ أَنْ يَلِجُوا الأبوابَ قُدّامي

المَقادِم

ممّا نُعَلِّمُه لِطُلّاب الصّفِّ الأوّل الثّانويّ في مَدارِس القُطْرِ العربيِّ السُّوريِّ من شِعْر الفتوحات العربيّة الإسلاميّة، ما وَرَد في الكِتَاب المُقرَّر تدريسُه لهذا الصَّفِّ منذ سنة ١٩٦٩ - ١٩٧٠ حتّى سنة ١٩٩٠م وفي ص ١١٣ منه:

قال القَعْقاع بنُ عَمْرٍو التَّميميّ:

رَمَىٰ اللهُ من ذَمَّ العشيرةَ سادِرًا

بِداهِيَةٍ تَبْيَضُّ منها المَقادِمُ

وفي شرح المفردات في الهامش (١): (المَقادِم: الرُّؤوس).

ولْكنَّ المَقادِمَ في عامِّيَّتنا: الأيدي أو أيادي الغَنَم... التي تُصْنَع منها ثريدة مَشْهورة عندنا باسْم (فَتِّةِ المَقادِم) وهي (الكَوارِعُ) في مِصْرَ.

ولْكنّ (المقادمَ) بالميم لم يذْكُرْها من المعاجِم التي نَظَرْتُ فيها سِوى (لسان العرب) فقد كَتَبَ مؤلّفُه ابن منظور ثماني صَفَحات كبار في مادّة ق د م، وفيها مَرَرْت على قَوْله: «وقادِمُ الإنسان رأسُه، والْجَمْع القوادم، وهي المَقادِم، وأكثرُ ما يُتَكَلَّمُ به جَمْعًا، وقيل لا يكاد يتكلّم بالواحد منه». وأعترف أنّي حين قرأتُ هذه الصَّفَحاتِ الكبارَ الثّماني منذ عشرين عامًا لم أكتشفْ مُرورَ عبارَة المَقادِمِ فَكَتَبْتُ أنّي لم أجدها!

ولم أجِد (المقادم) في (القاموس المحيط) والمَعاجِمِ التُّراثيَّةِ الأخرى ولا في (الوسيط).. أو (المُنْجِد) أو في المُعجمات الحديثةِ وإنّما القوادم والمقاديم!!

وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس: «قادم:.. ويقال: ضُرِبَ فَرَكِبَ مَقادِيْمَه: إذا وَقَعَ على وَجْهِه. قال ابن دُرَيْد: وقادِمُ الإنسان رَأسه، والْجَمعْ قوادم؛ قال ولا يكادون يَتَكَلَّمون بالواحد..». فلم يقلْ مثل ابن منظور في (اللسان..) بعد: «والجمع القوادم» العبارة المرادفة: وهي القوادم.

قَرَشَ وقَرْمَشَ وما (قرقش)

قَرمَشَ في عامّيّتنا: قَضَمَ أيْ كَسَّرَ المَأكُولَ بأسنانه..

في قديم اللغةِ قَرْمَشَ جَمَعَ والقَرَمَّشُ: الأَكُول، فهل يجمع الأكول فَيُقَرْمِشُ بفمه؟

أمّا القَرْش والقَرْقَشة فكَما قالَ فيهما أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«قالُوا: قَرَش الشَّيْءَ اليابس قَرْشًا إذا طَحَنَهُ بأضْراسِه فَسَمِعْت لِطَحْنِه صَوْتًا. ويقولُونَ: قَرْقَشَ (للتّكْرارِ والمُبَالغةِ).

وفي مُسْتَدْرَكِ (التّاج..): قَرْشُ الشَّيْءِ: صَوْتُه...

وربّما كان هذا القَرْش من الجَرْش؛ وهو - على ما جاء في (اللسان..) - صَوْتٌ يَحْصَلُ مِن أكْل الشَّيْءِ الخَشِنِ..».

وفي (اللسان.. كالقاموس..) في: ق ر م ش:

«قَرْمَشَ الشَّيْءَ: جَمَعَه. والقَرْمَشُ والقَرَمَّشُ: الأوخاش من النّاس.. وَرَجُلٌ قَرَمَّشٌ: أكُولُ؛ وقَرْمَشَه: أفْسَدَه».

ويُضِيفُ البستانيّ في (مُحيط المُحيط): «والعامّةُ تَسْتَعْمِلُ القَرْمَشَة لِأَكْلِ الشَّيءِ اليابسِ كالحِمَّص والفُول». وقَبْلَ ذلك فيه: «قَرْقَشَ الشّيءَ الصُّلْبَ كالحِمَّصِ ونَحْوِه: أَكَلَهُ، وهو من كلام العامّة..». قلتُ هذه من إبدالِ العَوَامّ، ولْكنّ د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) يَجِدُ في قَوْلِهم: «قَرْقَش؛ والأَصْل فيها: قَرَّشَ. وفُكَّ إدْغام الرّاءِ المُضَعَّفَة وأُبْدِلَتِ الثّانيةُ قافًا وِفْقَ قاعِدَةِ المُخالَفَة؛ قَرَّشَ الشَّيْءَ أَخَذَه أوّلًا فأوّلًا وضَمَّ بَعْضَه إلى بَعْض وقطعه».

وفي قَرْمَشَ: «نقول في دارجَتنا [في مصر]: قَرْمَشَ فلان فلانًا: آذاهُ وأضَرَّ بِهِ، وفلانُ يَتَقَرْمَش: يَتَمَيَّزُ غَيْظًا فَيُفْسِدُ هدوءَ نَفْسِه وفي (القاموس..): قَرْمَشَ الشّيءَ: أَفْسَدَه».

القَراضة والاسْتقراض و(القَرْط)

في عامّيّة الشّام كما في مِصْر وغيرِها.. يَنْطَبِقُ علينا قول د. عبد المُنْعِم سيّد عَبْد العال في (مُعْجَم

الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة):

«نقول في دارِجَتِنا: قُراضةٌ: السَّقَطُ الذي يَتَخَلَّفُ عن الجَيِّدِ والحَسَنِ من الأشياء، وخاصّةً المَعْدنيّة منها، والقراضة: ما يَتَخَلَّفُ من المَعادِن بعد تَصْنيعِها: فآنِيَةٌ قُراضة: رَدِيئةٌ مُسْتَهْلَكَة». وفي (القاموس): «قُراضَةُ الذَّهَبِ والفِضَّةِ: ما سَقَط منها عند الصَّنْع»..

قُلْتُ: وفي (القاموس..) ما هو أكثرُ انْطِباقًا علىٰ المَعْنىٰ العامّيّ وذلك في قَوْلِه: «والقُراضةُ بالضَّمِّ. ما سَقَطَ بالقَرْض، أيْ بالقَطْع. قَرَضَه يَقْرِضُه: قَطَعَه» أمّا «وقَرِضَ... كَسَمِعَ - زالَ مِنْ شَيْءٍ إلىٰ شَيْءٍ - وأَقْرَضَه: أعطاه قَرْضًا - ... واقْتَرَضَ منه: أَخَذَ القَرْض..». فَمِنْ فَصِيْحِ العَوَامِّ المَعْرُوف كما في حِكْمَةِ العَوَامّ القائلة: (قَرْضٌ من الله حَسَنَةٌ..) وهو المُدايَنَة فيما بَيْن الدّائن والمَدِيْن كما في قَوْلِه تعالىٰ: ﴿مَنْ ذا الذي يَقْرِضُ الله قَرْضًا حَسَنًا﴾ السّورة ٢/ البقرة/ ٢٤٥.

وفي (التّاج..): «قال الجَوْهريّ: القَرْض ما سلفت من إساءةٍ أو إحسانٍ وهو مَجَازٌ علىٰ التَّشْبيه وأَنْشَد للشّاعر أُمَيّة بن أبي الصَّلْت:

كلُّ امْرِئٍ سوفَ يُجْزَىٰ قَرْضه حَسَنًا.

أو سَيِّئًا أو مَدِينًا مِثْلما دَانا»

واسْتَقْرَضْتُ من فُلانٍ، في العامّيّة فصيح وَارِدٌ...

و«اسْتَقْرَضْت» في: (لسان العرب) من فُلانٍ أي طَلَبْت منه القَرْض فأَقْرَضَني. والقُراضَة: «فُضالةُ ما يَقْرِض الفَأْرُ من خُبْزٍ أو ثَوْبٍ أو غَيْرِهما، وكذلك قُراضاتُ الثَّوْبِ التي يَقْطَعُها الخَيَّاطُ ويَنْفِيها الجَلَم [المِقْراض أو المِقَصّ]».

وفي (مُسْتَدْرَك التّاج..):

«القَرْض: المَضْغ». [قُلْتُ لعلّ الإبدالَ والتَّقارُضَ بين أَحْرُف الإطباقِ ممّا جَعَلَ الشّاميّين يَقْلبون الضّاد طاءً فيقولُون: القَرْط: المَضْغ أو القَضْم]. وفي (أساس البلاغة): «.. وقُراضَة الفَأْرة: لِفُضالَة ما تَقْرِضُه. وقَرَضَ الشَّيْء بِنَابِه: قَطَعَه.. والبَعِيرُ يَقْرِض جِرَّته: يَمْضَغُها.. واسْتَقْرَضْتُه فأَقْرَضَني، واقْتَرَضْت منه كما تقول: اسْتَلَفْت منه... وبَيْنَهم مُقارِصاتٌ ومُقارَضاتٌ... وجاء وقد قَرَضَ رِباطَه: إذا جاءَ مَجْهودًا من العَطَش والإعياء».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «أَقْرَضَه.. والعامّة تقول: قَرَضَه: أعْطاه قَرْضًا».

قَرَطَ وقَرَّط والقاروطَ والقيراط

هل حَطَّمت الأَمِيرة المَمْلوكِيَّة (شجرة الدُّرّ) قُرْطَها الثَّمِين حتّى لا تَرِثه مِن بَعْدِها امْرَأة؟ فاشتقّت العوامّ القَرْط بمعنى القَضْم؟ أم مِن قول الفيروزابادي في (القاموس): «قَرَّط الكُرّاث تقريطًا: قَطَّعَهُ في القِدْر كَقَرَطه. وقَرّط عليه: أعطاه قليلًا».

فقلْت: هذه الأخيرةُ من فِصاح العَوَامّ التي لم تَخْتَلِف لفظًا ولا مَعْنًى فقد حافظ عوامّنا على القول: قَرَّط عليه.. أعطاه قليلًا. وكتب فيه شفيق جبري في (مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق) الجزء ٣ المجلّد ٤٦ صفحة ٤٦١ بعنوان: (لُغَة دِمَشْقَ في عَصْر المَماليك) وكذلك أحمد رضا في: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح). وعوامّ مصر اليوم يقول عنهم د. عبد العال في (مُعجم الألفاظ العاميّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة):

«نقول في دارِجتنا: قرطَ الفلّاح الزّرعَ: قطع ما ظهر من عيدانه على وَجْه الأرض.. وقَرْوَط الشّيءَ قَطَّعه في غير نِظام.. وفْق قاعدة المُخالفة».

قلت: والقِيراط لدى عَوامّنا جُزْء من أربعة وعشرين قيراطًا هي مجموع أَجْزاء أي وَحْدَةٍ تُقَسَّم للتَّوْزِيع، وهذا يَتَّفِق مع تقسيم أهل كلّه للدينار كما في (القاموس. .) أيضًا: «والقِيْراط والقِرّاط، بكسرها يختلف وَزْنُه بحسَب البِلاد، فَبِمَكَّةَ رُبْعُ سُدُسِ دِينار، وبالعِراق نصْفُ عُشْره». وفي (اللسان): «أهل الشّام يجعلون القيراط جزءًا من أربعة وعشرين».

[قلت: أمّا القَرْط بمعنى القَضْمِ والمَضْغ في عامّيّة الشّام فلعلّ أصلَها: القَرْض: المَضْغ كما في (مُسْتَدْرك تاج العروس. .) والتّقارض بين أحرف الإطباق وارد. . . أو هو من قولِهم في (اللسان والقاموس والتّاج): قَرَطَ الكُرَّاثَ وَقَرَّطَهُ: قَطَّعَهُ في القدر]. وفي (محيط المحيط) للبستانيّ: - «والقاروط: ابن زوجةِ الرّجل من غيره. والقارُوطة ابنتُها كذلك وهو من كلام العامّة».

وأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): يرى أنّ القاروط «مأخوذٌ من القَرْط وهو القَطْع، كأنّه قُطِعَ عن أبيه بزوج أمّه الثّاني، فيكون من المَجاز. . وهو الرَّبِيْب في اللغة وتُسَمّى أمُّه البَروك وفي التّنزيل: ﴿ورَبَائِبكم اللاتي في حُجورِكم من نسائكم﴾ السّورة ٤ النّساء الآية ٢٣ .

وَيُسَمّى أيضًا: الجَرَنْبَذ» والزّمخشريّ في (أساس البلاغة).

«وَقَرَّطَ السِّراجَ: نَوَّره. واقْطَعْ قُراطة السّراج: ما يُقطع من أنفه إذا عَشِيَ. . وَقَرَّطْتُ إليه رَسولًا: نَفَّذْتُه مُسْتَعْجِلًا وهو من مَجاز المَجاز. وعَنْزٌ قَرْطاء، وتَيْسٌ أَقْرَط: ذو زَنَمَتَيْن. . . وَقَرَّط عليه: أعطاه قليلًا قليلًا من القِيْراط».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «والعامّة تستعملُ: قَرَط بمعنى لثغ؛ يقولون: فلان يقرُط بالرّاء أي يَلْثَغُ بها. .

. . والعامّة تقول: قَرَّطَ على الشّيء أي بالَغ في اسْتِقْصَاء قَطْعه والقِيْراط: نِصْفُ دانِقٍ؛ مُعرَّب كيراتون باليونانيّة. . . فإنّهم يقسمون المُتجزّئات الى أربعة وعشرين قيراطًا لأنّه أوّل عَدَدٍ له نصف وثلث ورُبع وسُدس وثُمن صِحاح من غير كَسْرٍ فيطّرد التّقدير به».

وَ (قَرَط إصْبَعَه) لدى أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح). . «إذا رُضَّتْ بَيْنَ حَجَرَين فَظَهَرت فيها نُقْطَة سَوْداء من الدَّم تَيْبَس تحت الجِلْد فتكونُ كالخال؛ هذا في أهْوَن الحالات، وربّما رُضَّت فَسُحِقَت وهو أشدّ الحالات. وفي اللغة: قَرَتَ بالتاء - قال في اللسان: قَرَتَ الدَّمُ يقرِت ويَقْرُت قَرْتًا وقَرِتَ: يَبِسَ بَعْضُه على بَعْضٍ أو ماتَ في الجُرح. وأنشد: الأصمعيّ:

يَشُنُّ عليها الزَّعفَرانَ كَأَنَّه
دَمٌ قارِتٌ تُعْلىٰ به ثمّ تُغْسَل

يَشُنّ: يَرُشّ. الدّم القارِت: الذي يَيبَس بين الجِلْد واللحم. وقَرِت الظُّفر: ماتَ فيه الدّمُ. وقَرِتَ جِلْدُه: اخْضَرّ من الضَّرب. وفي (التّاج. . .): اخْضَرّ تحت الجِلْد من أَثَر الضَّرب. وهذا صالح للمَعْنى الأوّل أو يكون من القَرْط بمعنى القَطْع وهو المعنى الثّاني».

قَرْقَف يُقَرْقِف من البَرْد وَقَفْقَف يُقَفْقِف

يُقال في عامّيّتنا الشّاميّة (شاهَدْته وقد قَرْقَف من البَرْد وارْتَجَف وارْتَعَد. .) ولم أَقْرأ عنه لدى كُتّاب فِصاح العامّيّة، مع أنّه فَصيح صَحيح كما سترى. .

كما يُقال في مِصر الشّام: «قَفْقَفَ من البَرْد: ارْتَعَدَت فَرائِصُه واصْطَكّت أسنانه. . . وفي

(القاموس..): قَفْقَف: ارْتَعَد من البَرْد وَغَيْره، أو اضْطَرَب حَنَكاهُ واصْطَكَّت أَسْنانُه». كما جاء في (مُعجم الأَلْفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) لِ.د. عبد العال.

وفي (اللسان..) ق ر ف: «القَرْقَفَة الرِّعْدة، وقد قَرْقَفَهُ البَرْد مَأخوذ من الإِرْقاف، كُرِّرَتِ القاف في أوَّلِها. ويُقال: إنّي لَأُقَرْقِفُ من البرد، أي: أرعَد..».

وفي (القاموس..): ر ق ف.

«.. ورأيته يُرْقَف من البَرْد: يُرْعَد، وقد أُرْقِفَ – بالضّمّ – إرقافًا؛ والقَرْقَفَة للرِّعْدَة مأخُوذَة منه؛ كُرِّرَت القاف في أوّلها، وَوَزْنُها عَفْعَلٌ، وهذا مَوْضِعُه لا القاف، وَوَهِم الجوهريّ» وفي (محيط المحيط): أي وَضَعها الجوهريّ في (الصّحاح..) بالقاف فهي عنده على وزن: [فَعْفَل.]. فقلت: ولٰكنّ (التّاج..) يردّ عليه أي: على: (القاموس..): «أنّ الجوهريّ لم يَذْكُر قَرْقَف بمعنى الرِّعْدَة في (الصّحاح..) أصلًا ولا تعرّض له». ومنه حديثُ أمّ الدّرداء رضي الله عنها: «.. فيَجِيء وهو يُقَرْقِف فأضمّه بَيْن فَخِذَيّ أي يَرْتَعِدُ من البَرْد».

وفي (أساس البلاغة) ق ر ف:

«وقُرْقِفَ الصَّرِدُ وَتَقَرْقَف: أُرعد، قال منشدًا:

نِعْمَ ضَجِيعُ الفَتَى إذا بَرَد اللَّيْـ
ـلُ سُحَيْرًا وَقُرْقِفَ الصَّرِدُ

ومنه القَرْقَفُ: لأنّها تُقَرْقِف شارِبها» وفي القَرْقَف أضيف من: (محيط المحيط) للبستانيّ: «وأَنْكَره أبو عبيد».

فَأَعُود إلى ابن منظور في (اللِّسان..): «.. وأَنْكَرَ بَعْضُهم أنّ الخَمْرَ تُقَرْقِف النّاسَ. قال اللَّيْثُ: القَرْقَف اسم الخَمْرِ ويُوصَف به الماء البارِد ذو الصَّفاء؛ وقالَ: [الفرزدق]:

ولا زاد إلّا فَضْلَتانِ: سُلافةٌ
وَأَبْيَضُ مِن ماء الغَمامَة قَرْقَفُ

أراد به الماءَ. قال الأَزْهَريّ: قولُ اللَّيْث إنّه يُوصَف بالقَرْقَف الماءُ البارد وهم. وأَوْهَمَه بَيْتُ الفرزدق، وفي البيت مُؤَخَّر أُريد به التَّقديم، وذلك الذي شَبَّه على الليث، والمعنى: فضْلتانِ: سُلافَةٌ قَرْقَفٌ وَأَبْيَضُ من ماءِ الغَمامَة».

القُرْق والمَقْروق

من المُتَطَوِّر في فِصاح العامّيّة في الشّام: (فُلان مَقْرُوق) فقد يُقْصَدُ بها أنّه قَلِقٌ أو مُؤَرَّق أو حَزِيْن أو مُضْطَرِبُ العَقْلِ يَهْذي كما في (لسان العرب). والقَرْقُ في عامّيّتنا قد يكونُ بمعنى إثارةِ القَلَقِ أو إثارةِ التَّخيُّلات غيرِ الحقيقيَّة والأوهام التي لعلّها تُثِير ما تُثِيْره المُخدِّرات عند بَعْضِ المُبْتَدِئينَ في تَعاطِيْها، ولذلك قالَتْ أُحْجِيَة (فَزُّورة) قُرْقَة مَلْفُوفة بِوَرقة وعليها حَبْسٌ كذا سَنَة وجَزَاءٌ كذا وَرَقَة (والوَرَقَة هاهنا بمعنى اللِّيْرة في كلامهم).

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: (القَرْق صَوْتُ الدَّجاجة. ومنه القُرْق عند العامّة وهو القِيلَةُ والمَقْروقُ عندهم المُصابُ به. والقِرْقُ: الأَصْل الرَّديء، والعادة، وصِغار النّاسِ، ولعب السُّدَر؛ وهو لُعْبة... يصفّون فيها الحَصَى بين المُرَبَّعات... وتُعْرَف عند المُوَلَّدِيْن بالدّريس).

قُلْتُ: لُعْبَة الدّريس كُنْتُ أَسْمَعُهم في أيّام دراستي الابتدائيّة يُسمّونها: أُدريس. وفي ص ٣٥٧ من (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) لأحمد أبي سعد: «قُرْقَة: اسم الدَّجاجة حاضِنَة البَيْض، أَخَذُوهُ من: قَرقَتِ الدَّجاجةُ أيْ صَوَّتَتْ ج: قراق فصيحها الرّنقاء أي القاعدة على

بَيْضِها».

وفي (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) بعنوان: (القِرْق): لأحمد رضا العامليّ:

«يَعْظُم في الرَّجُلِ جُرابُ خِصْيَيْه فَيَنْتَفِخُ لِريح أو ماء أو لِنُزُول أمْعاءٍ، وهذا الانْتِفاخُ يُسَمّى في قُطْرِنا العامِليّ: القِرْق (بكَسْرٍ فَسُكون) وصاحِبُها المَقروق، والمُتَأَدِّبون منهم يُسمُّونه: الفَتْق والفُتاق.

أمّا اسْمُه في اللُّغةِ فهو القَرْو والقَرْوَة، وصاحِبُه القَروانِيّ». وجاء في (القاموس المُحيط. .) ومِثْلُه في (اللسان. .) وكذلك في ص١٠١ من (قاموس المصطلحات والتّعَابير الشّعبيّة) لأحمد أبو سعد.

قُلْتُ: ويُسَمُّونه الفَتْق في الشّام أيضًا. . فهل كانُوا يُسَمُّونه القِرْق وصاحبُه المَقْرُوق أيضًا ثمّ اشْتَقُّوا منه المَقْرُوق مَجازًا. . ممّا يَفْعَلُه الوَجَعُ بالمَوْجُوع من اضْطِرَاباتٍ فِكْرِيّةٍ ونَفْسِيَّةٍ تُؤَدِّي به أنْ يَهْذي؛ فقد وَرَدَ في (اللسان. .) عن أبي عمْرو: «قَرَقَ إذا هذى [من حدّ ضرب في (التّاج)] وقرقَ إذا لَعِبَ بالسُّدَر. ومن كلامهم: اسْتَوى القِرْقُ فقُومُوا بنا أيْ اسْتَوَيْنا في اللَّعِب فلم يَقْمُرْ واحدٌ منّا صاحبَه، وقيل: القِرْقُ لُعْبَةٌ للصِّبيان يَخُطُّونَ فـي الأرض خـطًّـا ويَـأْخُـذونَ حـصـيّـاتٍ فيَصُفُّونها. . .» وفصّل ابن منظور القَوْل في أنواع اللُّعبة وأشكالِها حتّى أنهى ترجمةَ المادّة دُون أن يعودَ إلى قَرْقِ الهَذَيان. .

وفي مُعْجم (مقاييس اللغة) لابن فارس: ق رق: كلمةٌ واحدةٌ. يقولون القَرِق: القاعُ الأَمْلَسُ [وهي بالرّاء المَفْتُوحَة والمكْسُورة في (القاموس. .) و(اللسان. .) قال يَصِفُ إبِلًا: كما في المصباح].

كـأنَّ أيـديـهـنّ بـالـقـاعِ الـقَـرِق
أيـدي جَـوارٍ يـتـعـاطَـيْـنَ الـوَرِق

وَوَرَدَ هذا الرَّجَزُ في (اللسان. .) وفي (إصلاح المَنْطق) لابن السِّكِّيْت ٤٦٤ وفي (المِصْباح المُنير) للفَيُّوميّ الذي يَزِيْد: «وقَرِقَ الرَّجُلُ قَرَقًا، من باب: تَـعِـب: لَـعِـبَ، والاسـم: الـقَـرْق: وزّان حَمْل؛ قال الأزهريّ: القَرْقُ لُعْبَةٌ مَعروفةٌ قال الشّاعر [ابن أبي الصَّلْت في (اللسان. .)]:

وَأَعْـلاق الـكَـواكِـبِ مُـرْسـلاتٌ
كحَبْل القِرْق: غايتُها النِّصابُ»

وفي (القاموس. . واللسان. . والتّاج. .) أيضًا:

«. . والقَرْقُ - بالفَتْح -: صَوْتُ الدّجاجة. وبالكَسْر: الأَصْلُ الرَّديء والعادةُ وصِغارُ النّاس، ولَعِبُ السُّدَرِ. وقَرِقَ - كَفَرِح - [أي يَقْـرَق] ومَصْدَرُه القَرَق والقَرِق، أو شبيه بالمَصْدر. وهو لئيمُ القِرْق؛ أي: الأصْل، والعادة والجماعة. . والقِرْقان: أَخَوانِ من ضرّتَيْن. . . ».

قُلْت: وفي بَعْضِ هذه المعاني ما يَجُوز أنْ يُمهِّد لِكَشْفِ طريقِ التَّطَوُّر الذي أَفْضىٰ بالقَرْق من: صَوْت الدّجاجة. . إلى ما يُشْبِه الهَذَيان. . كَشْفًا أَدَعُه لِمَنْ يَسْتَهْوِيْه اكْتِشافُه. . لعلّه يَصِل إلى ما يُسَمّيه الهازِلُون (التَّقْريق)! وقد رأيتُ البُستانيّ في (مُحيط المُحيط) يُهْمِل معنى الهَذَيان الذي قالَ به ابن منظور نَقْلًا عن أبي عَمْرو، والذي يتخرّج فيه (المعجم الوسيط) لمجمع القاهرة: ط٢.

قَرَقَ يَقْرِق قَرْقًا: هَذَىٰ. قَرَّقَ: سَخِرَ وصَخِبَ في حديثه وضحكه (مُحْدَثَة).

ولويس معلوف في (المُنْجد) يُعدِّدُ عِدّة مَعانٍ غيرها ويَبْدَأُ بما يَنْفردُ به. . . عمّا رأيت من المعاجم: «قَرَق يَقْرُق قَرْقًا بفلان: خَدَعه».

وأهمل (المعجم المدرسيّ): ق ر ق كما فعل (أساس البلاغة) قديمًا. . .

القازُوزَة والقَزاز

في (لسان العرب) لابن منظور مادّة قَزَز:

[.. والقازُوزَة: مَشْربة، وهي قَدَحٌ دُون القَرْقارَة، أعجميّة مُعَرَّبَةٌ؛ الفرّاء: القَوازِيْز الجَمَاجِم الصِّغار التي هي من قوارير، وقال أبو حنيفة: هذا الحَرْفُ فارِسيّ.. والحَرْف العجَمِيّ يُعرّب على وُجوه..

وقال أبو عُبَيْد في كِتاب ما خالَفَتِ العامَّةُ فيه لغاتِ العَرَب: هي قاقوزة وقازُوزُة التي تُسَمّى قاقُزّة. وفي حديث ابن سلّام قال: قال موسىٰ لِجِبْريل، عليهما وعلى نَبِيِّنا الصّلاةُ والسَّلامُ: هل يَنامُ ربُّك؟ فقال الله تعالى: قلْ له فَلْيَأْخذْ قارُوزَتَيْن قارُورَتَيْن وليقُمْ على الجَبَل من أوّل الليل حتّى يُصْبح، قال الخطابيّ: هكذا رُوِيَ مَشْكُوكًا فيه، والقازوزة مَشْرَبَة كالقَارُورَة].

وفي مُخْتار الصِّحاح - للرَّازي: [... و(القازُوزَة) مِشْرَبَة وفي (القاموس) مَشْرَبة: بِفَتْح الميم] وهي قَدحٌ وكذا (القاقوزة). ولا تَقُلْ (قاقزّة) وجَمْعُ القاقُوزَة (قواقيز).

وفي (أساس البلاغة): «وشَرِبْتُ بالقازُوزَة والقاقُزَّة وهي الفيالجة».

وفي (محيط المحيط) «والقَزاز للزُّجاج من تحريف العَوَامّ» ولٰكنْ لأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) بعنوان: «القزازة القَزاز: القزازة القَنّينة والقَزاز الزُّجاج، هكذا يُعْرَف في بلاد الشّام. وأرىٰ أنّها من القازُوزَة... وقال في القارُورَة.. سُمِّيَتْ بذلك لِقَرْقَرَتها، وَقَرْقَرَ الشَّرابُ في حَلْقِه: صَوَّت، وزادَ صاحبُ التّاج: إناء من زُجاجٍ طويلِ العُنُق، وهو الذي تُسَمِّيْه الفُرْس.. بالصُّراحِيَّة: آنِيَةٌ للخَمْر...

ويُفْهَم أيضًا أنّ القارُورَة والقازُوزَة والقَرْقارة هي كلّها لِمِصْداق واحد وهو المِشْرَبة.. وغير مُسْتَهْجَن أنْ يُطلَق القزاز المُحرَّف عن القازوزة على أصل مادّتها وهو الزُّجاج والزُّجاج نفسُه يُطْلَق على قَدَحِ الشَّراب كما في قَوْل عَنْتَرة:

ولقد شَرِبْتُ من المُدامَة بعدَما
ركدَ الهَوَاجِرُ بالمَشُوفِ المُعْلَمِ
بِزُجاجةٍ صفراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ
قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ بالشِّمال مُفَدَّم

ويُمْكِنُ أنْ يُقالَ: إنّ القزاز مُحَرَّف عن زُجاج والتَّحريف لا حدَّ له ولا ضابط». ا.هـ. رضا.

قُلْتُ: ولَعلّ من التَّحريف أنْ نَسْمَعَها تُسَمّى في أغاني مِصْر: (أزُّوزَة أو قَزُّوزَة).

قَزَّت نفسي

(تزَّت نَفْسي وَنَفَرَتْ من هذا الأَكْل أو الشُّرْب أو هذه المَعِيشة...) كلام عامّيّ فصيح لفظًا ومعنًى لم تُغَيِّر منه العوامّ شيئًا.

ففي (القاموس المحيط): «القَزّ: الوَثْبُ، والانْقِباضُ لِلْوَثْب، يَقُزُّ وَيَقِزُّ، والإبْرِيْسَم وإباء النَّفْسِ الشَّيءَ، وبالضَّم: التّباعُدُ عن الدَّنَسِ كالتَّقَزُّزِ، وبالتّثليث: الرَّجُلُ المُتَقَزِّزُ. وهي بِهاء...».

في (لسان العرب): ق ز ز: «... وقَزّت نَفْسي عن الشَّيْء قَزًّا وَقَزَّتْه بِحَرْف وغَيْر حَرْف: أَبَتْهُ وعافَتْه، وَأَكْثَر ما يُستعْمل بِمَعْنَى عافَتْه...» والقِزّ - بالتّثليث: الرّجل المُتَقَزِّز، وهي بهاء.

وفي (أساس البلاغة):

«ورَجُلٌ مُتَقَزِّز، وهو يتقزّز من كلِّ شيء. وقَزَّ قَزَّةً: إذا جَمَعَ جَرامِيْزَه فَوَثَب». وفي الحديث: «إنّ إبْليس لَيَقِزّ القَزَّة من المَشْرِق فَيَبْلُغ المَغْرِب».

وأصل: ق ز ز في (مقاييس اللغة):

«كلمةٌ واحِدَة تَدُلّ على قِلَّةِ سُكونٍ إلى الشَّيء... ومنه التقزّز وهو التَّنَطُّس. ورجلٌ قَزٌّ، وهو لا يَسْكُن إلى كلِّ شيء».

وفي كُتُب فصاح العامِّيّة تجدُ هذه العبارة في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) لأحمد رضا العامِليّ من لبنان، ومن مصر كذلك تجدُها لدى د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتنا: تَقَزَّز فلان من كذا: انْقَبَضَ عند رُؤْيَتِه، أو سَماعِ خَبَرِه...».

قَشّ وقَشْقَش

وَرَدَ القَشُّ والقَشْقَشَة مع أ ش ش؛ لِمَا بَيْنَهُما من تَلاقي المعاني ويَصحُّ التَّوسُّع في مَوْضِعه من القاف لِكَثْرة ما فيه من فصيح العَوَامّ؛ وفي: (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل): للأمير شكيب أرسلان ص١٨١: «قالوا (قَشّ) بمعنى جَمَعَ وَلَفَّ من هنا ومن هنا، وهي فصيحة صحيحة، وإنّما العامّة تُضاعِفُها فتقول (قَشْقَشَ) (وذهب فلانٌ يُقَشْقِشُ أي: يَجْمَعُ القَشّ...) وتقولُ العامّة: (قَشّ ما على السُّفْرَة) وهو فصيح أيضًا... ويقولُون: قَشَّ بمعنى كَشَطَ وَرَفَعَ، وهو من قولهم في اللغة: قَشَّ الشَّيْءَ: حَكَّهُ بِيَدِه حتّى يَتَفَتَّت».

ولأحمد رضا العامِليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«القَشّ عند العامّة... يَبِيْسُ الزَّرْع المَحْصودِ وهَشِيْمُ الحَصِيْد. والقَشّ عندهم مَصْدَر قَشَّ البَيْتَ بمعنى كَنَّسَه. والمِقَشَّة هي المِكْنَسة [قلت: وعندنا قُضْبانُ المِكْنَسَةِ ناعمةٌ طَرِيّة رفيعةٌ والمِقَشَّة أَخْشَن...] أمّا هَشِيْم الحَصِيْد ويَبِيْسُ النَّبات فَيُمْكِن أن يكونَ من القَشّ بمعنى الجَمْع لأنّه يُجْمَع إلى الكَدْس....... أو يكون القَشّ العامّيّ من الأشّ وهو الخُبْزُ اليابِسُ الهَشُّ كما قال الأئمّة، والقَشُّ والأشُّ والحَشُّ كَلِماتٌ في معناها اليُبُوسَة... ويُمْكِن أنْ يُقال: قَشّ المكانَ أَصْلُه جَشَّ...

والقاشُوشُ عند العامّة الذي يَلُفّ ما يَقْدِرُ عليه فلا يُبْقي ولا يَذَرُ، وكأنّه يكنسُه كَنْسًا. وفي اللغة القَشُوش والقُشَّاش والقَشّان: الذي يَطْلُبُ الأَكْل من ها هنا وها هنا ويَلُفّ ما يَقْدِرُ عليه».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «... القُشاشَ والقَشِيْش: اللُّقاطة.

القَشّ: مَصْدر. والقَشُّ رَدِيُّ النَّخْل كالدَّقَل ونحوه. والدَّلْوُ الضَّخْم. والعامّة تَسْتَعْمِلُه لِمَا صَغُرَ وَدَقّ من يَبِيْسِ النَّبات. والواحدةُ عندهم قَشَّة».

ويرى أحمد أبو سعد في ص٣٢١ من (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) أنّ «القَشّ: ما صَغُرَ ودَقّ من يَبِيْس النّبات وَاحِدَتُه قَشَّة وقد يُسَمُّون به ما قُشّ... من الحَصِيْد: قاموسيّة وقَشَّش الأرْض: أزالَ ما بِها من الشَّوْك ونَحْوِه. قاموسيّة. وبَعضُهُم يقول: وَقَشَّشَ».

وفي (القاموس المُحيط):

قَشَّ القومُ قُشوشًا: صَلحُوا بعد الهُزال. والرَّجُلُ أَكَلَ من ها هنا وها هنا كقشَّش ولَفَّ ما قَدَرَ عليه ممّا على الخِوان. والشّيءَ جَمَعَهُ. والنّاقة أَسْرَع حَلْبَها. والشّيءَ حَكَّه بِيَدِه حتّى يَتَحاتَّ. ومَشَى مَشْيَ المَهْزول. وأَكَلَ ممّا يُلْقِيْه النّاس على المَزابِل أو أَكَل كِسَرَ الصَّدَقَة. والنَّباتُ يَبِسَ. والقَوْمُ انْطَلَقُوا فَجَفَلُوا كانْقَشّوا...... وتَقَشْقَشَتِ البلادُ: كَثُرَ يُبْسُها. والمُقَشْقِشَتانِ ﴿قُلْ يا أيُّها الكافرون...﴾

﴿والإخلاص﴾ أي: المُبَرِّئَتان من النِّفاق والشِّرْكِ أو تُبْرِئانِ كما تُقَشْقِشُ الهِناءُ الجَرَبَ.

وفي (أساس البلاغة): «فُلانٌ يَقُشُّ الأموالَ: يَجْمَعُها. وأَخَذَ قُماشَ البَيْتِ وقُشاشَه... وهو قَشّاش وقَشُوش: يَلُفّ ما يَقْدِرُ عليه. ورأيته يَقُشُّ الأحاديث...».

ولِكَثْرَة معاني: ق ش ش: رأى ابن فارس في (مقاييس اللغة): «القاف والشّين كَلِماتٌ على غَيْر قياس...».

قَشَطَ وَكَشَطَ والقشدة

مُشْتقّات الفِعْلَيْن قَشَطَ وكَشَطَ في عامّيّتنا مُنْتَشِرة بمَعانٍ حقيقيّة ومَجازيّة مُتطوِّرة عن المعاني التُّراثيّة الواردةِ في أَغْلَبِ المَعاجِم...

ويقولُ أحمد أبو سعد في (قاموس المُصطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) ص ١٨٠ «قُشاط: سَيْر من جِلْدٍ يُشَدُّ على الخَصْرِ فَوْقَ الثّياب تحتَ الزُّنّار قيل هو تركيّ معناه زُنّار (نخلة: غرائب اللهجة اللبنانيّة السّوريّة ص١٢١) وربّما كان مُحَرّفَ كِشاط العربيّة التي تَعْني الجِلْد المَكْشُوط إذ هو يُتَّخَذُ منه. وَكَشَطَ الجِلْدَ وقَشَطَه عند العَرَبِ بمعنًى واحدٍ. ج: قشاطات».

وقَبْلَه قال أحمد رضا العامِليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «القشاط عند العامّة سَيْر من جِلْدٍ يُشَدُّ فَوْق الثّياب دُون الزُّنّار. وعَرَفَهُ العربُ باسم الكوستَج (مُعرّب كوسته) فَحُرِّف إلى الكشاط... وربّما كان عربيّ الأَصْلِ. والكشاطُ بمعنى الجِلْد المَكْشُوط لأنّه يُتَّخَذ منه. وكَشَطَ الجِلْدَ وقَشَطَه بمعنًى واحدٍ... وفي اللسان عن يعقوب: تميم وأسد يَقُولُون قَشَطْت بالقاف وقَيْس تقولُ كَشَطْت وهما لُغَتان ومعناهما الكَشْفُ والقَلْعُ. واسْمُ ذلك الشَّيْءِ الكشاط» ا. هـ.

ثمّ يتحدّث رضا عن القِشْدَة ثمّ عن الفِعْل: «قَشَّطه الشَّيءَ إذا سَلَبَه منه... والأَصْل في ذلك قَشْطَ الجِلْد».

وفي (القاموس المُحيط) ق ش ط «القَشْطُ: الكَشْطُ والكَشْف...» وفيه في ك ش ط: «الكَشْطُ رَفْعُكَ شَيْئًا عن شَيْءٍ قد غَشّاه، و﴿إذا السَّماءُ كُشِطَت﴾ السّورة ٨١ التّكوير الآية ١١ أو: كوِّرت. قُلِعَتْ كما يُقْلَع السَّقْف وَكَشَطَ الجُلَّ عن الفَرَس: كَشَفَه وفي التّاج: وكذلك غيره من الأشياء، وكَكِتاب الانكِشاف كالانْكِشاط...».

وفي (لسان العرب) يُعِيْد ابنُ منظور في: ك ش ط ما كانَ قالَهُ في ق ش ط «قَشَط الجُلَّ عن الفَرَس قشطًا وكَشَطَ الغِطاءَ عن الشَّيْءِ... يَكْشِطُه كَشْطًا وقَشْطًا: قال يعقوب: تميم وأسَد يقولُون: قَشَطْتُ، بالقاف، وقَيْس تقول: كَشَطْتُ، وليسَتِ القافُ في هذا بَدَلًا من الكافِ لأنّهما لُغَتان لِأقوامٍ مُخْتَلِفِيْن. وقالَ في قِراءَةِ عبدِ الله بن مسعود: ﴿وإذا السَّماء قُشِطَتْ﴾ بالقاف، والمعنى واحدٌ مِثْل: القُسْط والكُسْط، والقافُور والكافُور. قال الزَّجّاج: قُشِطَتْ وَكُشِطَتْ واحِدٌ مَعْناهُما: قُلِعَتْ كما يُقْلَعُ السَّقْف؛ يُقال: كَشَطْتُ السَّقْفَ وَقَشَطْتُه. وإذا تَقارَبَ الحَرْفانِ في المَخْرَجِ تعاقَبا في اللُّغات.

والقِشاطُ: لُغَةٌ في الكِشاط. وقال الليث: القَشْط لُغَةٌ في الكَشْط. والكَشْطُ والقَشْطُ سَواءٌ في الرَّفْعِ والإزالةِ والقَلْعِ والكَشْف».

وفي (القاموس... والتّاج...): «القَشْطُ: أَهْمَلَهُ الجوهريُّ وقال يعقوب هو والكَشْطُ بمعنًى واحدٍ، كالقَحْطِ والكَحْط، والقافُور والكافُور... وليسَتِ القافُ بدلًا من الكافِ لأنّهما لُغَتانِ لأقوامٍ

مُخْتَلِفين. قال وفي قراءة عبدالله بن مسعود... واحد معناهما: قُلِعَتْ... قُلْتُ: وبالقاف أيضًا قراءةُ عامر بن شراحيل الشّعبيّ وإبراهيم بن زيد النّخعيّ... وقال ابن عبّاد: القَشْطُ: الضَّرْب بالعصا. وانْقَشَطتِ السّماءُ وَتَقَشَّطَتْ؛ أي: أَصْحَتْ من الغيوم وهو مَجاز...

... وممّا يُستَدْرَك عليه: القِشطة - بالكسر - لغة في القِشْدَة. وقَشَطَ الدّابّة كَشَطها؛ لُغَةٌ فيه، وكذلك التَّقْشِيط، فهي مَقْشُوطٌ عليها ومُقَشَّطَة.

والقَشَّاط ككتّان: السّلّاب وقد قُشِّط الرَّجُلُ فهو مُقشّط. والقُشْط - الضّمّ - لغة في القُسْط».

وفي ك ش ط: يُعِيْد الزّبيديّ والفيروزاباديّ كابن منظور ما قالا في: ق ش ط ثمّ: «... وقال الليث الكِشاطُ: الجِلْد المَكشوطُ يُسمَّى به بَعْدَ ما يُكْشَط؛ قال: ثمّ ربّما غُشِي به على الجُزُور فَحِيْنَئِذٍ يُقال: ارْفَعْ عنها كِشاطَها لِأَنْظُرَ إلى لَحْمها، قال: وهذا خاصٌّ بالجُزُور.

وفي (الصِّحاح...): كَشَطْتُ البَعِيرَ كَشْطًا: نَزَعْتُ جِلْدَه ولا يُقالُ: سَلَخْت لأنّ العَرَبَ لا تقولُ في البَعِيْر إلّا كَشَطْتُه أو جَلَدْتُه... وفي (المُحْكَم...): وَقَفَ رَجُلٌ على كِنانةَ وأسد ابْنَيْ خُزَيْمةَ وهما يَكْشُطان عن بَعِيْرٍ لَهُما، فقالَ لِرَجُلٍ قائمٍ: ما جلاءُ الكاشِطَيْنِ؟ أي: ما أسماؤهما؟ فقال: خابِئَةُ المُصادِعِ وهَصّار الأقران... فقال: يا أسد وكِنانة أَطْعِماني من هذا اللَّحمِ... وانْكَشَط الرَّوْع: ذَهَبَ؛ نَقَلَهُ الجَوْهريّ وهو مَجاز. وممّا يُسْتَدْرَك عليه: تَكَشَّطَ السَّحابُ في السَّماء أي: تَقَطَّعَ وتَفرّقَ. والكَشّاطُ: الجزّار كالكاشِط، وكَشَطَ الحَرْفَ: أَزَالَه عن مَوْضِعِه».

وفي (أساس البلاغة): «ومن المَجاز: كُشِطَ رَوْعُه وانْكَشَط. وَلَأَكْشِطَنَّ عن أَسْرارِك. وكشط الغِطاء عن المُشْعَرة...».

وأَهْمَلَهُ ابنُ فارس في (مقاييس اللغة) بالقاف، ولٰكنَّه أَوْرَدَه بالكاف: «ك ش ط كَلِمَةٌ واحدةٌ تَدُلّ على تَنْحِيَةِ الشَّيْءِ وَكَشْفِهِ...».

وفي مُعْجَم البُستانيّ (مُحيط المُحيط): «.... والعامّة تقولُ: قَشَط الشَّيءُ أي: زَلَّ عن مَكانِه. وقَشَطَ الخاتمُ من الخِنْصَر أي سَقَطَ مُمَلَّسًا. ويقولُون: قَشَّطْتُه الشَّيءَ، أي سَلَبْتُه إيّاه قَهْرًا... القِشاط: الكِشاط، وعند العامّة سَيْر دقيقٌ من الجِلْدِ يُشَدُّ به أَحَدُ طَرَفَي حِزَامِ الفَرَسِ إلى الآخر. والقَشْطة: عندهم: غِشَاوَةٌ من السَّمْن تَطْفُو على وَجْه الحليبِ أو اللبن الرَّائب. والمِقْشَطَةُ عند العقّادِيْن آلة تُنَقّى بها خُيوطُ الحريرِ من العُجَر التي فيها. والتَّقْشِيْط: عند الخيّاطِيْن: خِيَاطَةٌ مُتباعِدَةٌ تُمْسَكُ بها بِطانَةُ الثَّوْبِ لِكَيْلا تَزِيْغ عنه؛ فإذا تمّت خِياطَتُه نُزِعَتْ لِعَدَمِ الحاجَةِ إليها».

[ولم يسجّل في ك ش ط شيئًا من قول العامّة]...

قِشْمُه نحيف

في دِمَشْقَ يُقَال: (فلان أَشْمُه نَحِيف) يَقْصِدون أنّه بِطَبْعِه نَحِيف الجِسْم أو قَلِيل الشَّهْوة للأكْل أو نحو ذلك.

وفي (القاموس... والتّاج...): «أَشِمَ بي على فُلان كَفَرِح؛ أَهْمَلَه الجَوْهَريّ وصاحب (اللِّسان...)؛ أي (أَلَمَّ) بي عليه؛ (لُغَةٌ في أَزِم)» ولا علاقة لها بها.

ولم أجِدْها في (اللسان...) بالهمزة، ولٰكنْ وَجَدْتُها بإبدالها قافًا على عادة المُدُن الكبيرة؛

وَرَأَيْت فَصِيحَها: القِشْم أو القَشْم أو القَشَم.

وفي: ق ش م: كتب أحمد رضا العامِليّ في (ردّ العاميّ إلى الفصيح) «سَمِعْت كثيرًا من العامّة يقول: ما لي على الأَمْر الفُلانيّ قِشم؛ أي: لا يَحْتَمِلُه طَبعي ولا يَتَحَمَّلُه جِسْمي... وهذا من الغَرِيب الفَصِيح في العاميّ. فقد جاء في (التّاج...): القِشم: الطَّبيعة... وفي (اللسان...): القِشْم: الجسم...».

وفي (محيط المحيط) للبُستانيّ: «... والعامّة تقول: فلان ليس له قِشْم على العَمَل، أي: ليس له جَلَد أو طاقة...».

وفي (لسان العرب) لابن منظور:

«... والقِشمُ، بالكَسْر،: الجِسْم؛ عن يعقوب في بعض نُسَخِه من الإصلاح [إصلاح المَنْطِق لابن السِّكِّيت]؛ وأنشد ابن الأعرابيّ:

طَبِيخُ نُحازٍ أَوْ طَبِيخ أمِيهةٍ
دَقِيق العظامِ سيِّئُ القِشْمِ أَمْلَطُ

يقول: كانت أُمُّهُ به حاملًا وبها نُحازٌ أي سُعال أو جُدَرِيٌّ فجاءت به ضاوِيًا.

[والأَميهة: نَثْر كالجُدَريّ. والأَمْلط: الذي لا شَعْرَ على جِسْمه إلّا في رأسه وَلِحْيته].

ويُقال: أرى صَبِيّكم مُخْتلًا قد ذهب قِشْمُه أي: لَحْمُهُ وَشَحْمه... وإنّه لَقَبيح القِشْم أي الهَيْئة. وقالُوا: الكَرَم من قِشْمه أي من طَبْعه وأَصْله...».

قلت: والقِشْم: الهَيْئة والطَبْع والأَصْل كما في (القاموس... والتّاج...) أيضًا وهما يَبْدَأْنِ المادّة كما بدأها (المُحْكَم... والصّحاح... واللسان...): «القَشْم: الأكْل. وقيل شِدَّة الأكْل وخَلْطُه؛... وقَشَمْتُ الطّعامَ. أَقْشِمُ قَشْمًا: إذا نَفَيْت الرَّدِيءَ منه. وما أصابَت الإبِلُ مَقْشَمًا: أي: شَيْئًا تَرْعاه... والقِشْمُ: المَسيل الضَّيِّق في الوادي...».

ولم يكتب د. عبد العال في هذه المادّة. وأهملها (المعجم المدرسيّ) وما كَتَبَه مُعْجم مَجْمَع القاهرة (... الوسيط) في: ق ش م كان من مَعانٍ أُخَرَ بعيدة عن هٰذين المَعْنَيَيْن الشّاميَّيْن العامّيَّيْن الفصيحَيْن.

القَصع والقَصعة

ما زالَ لفظ الفعل: قَصع يقْصع قصعًا في عاميّتنا وقد تَطَوَّر معناه التَّطوُّر المعقول. فتقول: جاءت تتقصّع في مَشْيِها وتَتَخلّع... وقَصَعَه بين ظُفْرَيْه... وهي قَصِيعة... وقَصَعَ مُنْحَنِيًا إلى الخَلْف... أمّا القَصْعَة صَحْفَةُ الطّعام... لِعَشَرة آكلين فما تزال مُستعمَلة بَيْن العسكريّين كما كانت في تليد اللغة... لم تختلف لفظًا ولا معنى...

وما زال القصّاع صانع القِصاع... وحيّ القَصّاع في شرقي دمشق وشماليّها الشّرقيّ... معروف...

ولٰكنّ القَصْعَةَ في (قاموس المُصطلحات والتّعابير الشّعبيّة) لأحمد أبي سعد ص٢٩٧ «صحفة مقعّرة». مُعرّبة عن الفارسيّة (عن المُزْهر). قلت: وجدتها في (قاموس الفارسيّة).

والفِعْل قصع له في الدّارجة المِصريّة معْنَيَان أحدُهما مُخْتَلِف إذ يقول د. عبد العال في (مُعجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتنا: قَصَّعَت فلانة نفسها: لَفّت نَفْسَها في ملابسها لفًّا ساعَدَها على إبراز المستور من أعضائها، وسارت تتقَصّع: مَشَتْ تتمايَل وتُحرِّك أعضاءها وكَشْحها دَلالًا،

وفي (القاموس...) قصع في ثوبه: تلقّف». قلت: هذه أيضًا في (أساس البلاغة) «قصّع في ثَوْبه: تَدَثَّرَ»، ولٰكنّ (المُعجم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة أهْمل هذا العامّيّ الفصيح في دارجتهم...

وللبُستانيّ في (مُحيط المُحيط): «وقَصْعَة السَّقف عند العامّة واحدة القَصْع وهي خشَبات قَصِيرَة تُصَفُّ فَوْقَ الأَخْشاب الطَّويلَة مُعْتَرِضَة عَلَيها لِتُمْسِكَ التُّراب».

ولْنبدأ في لغة التّراث من الأصل؛ من ابن فارس في (مقاييس اللغة): القاف والصّاد والعَيْن أصلٌ صحيحٌ يَدُلُّ على تطامُنٍ في شيءٍ أو مُطامَنَةٍ له. من ذلك القَصْعَة، وهي معروفة، سُمِّيَت بذلك للهزمة. والقاصِعاءُ أَوَّلُ جِحَرَة اليربوع، وقياسُها ما ذكرناه. وقد تقصَّعَ، إذا دخَل قاصِعاءَه. قال: [أوس بن حَجَر في ديوانه١١]:

فَوَدَّ أبو ليلى طُفَيْلُ بنُ مالِكٍ
بِمُنْعَرَجِ السُّوبان لو يَتَقَصَّعُ

وفي (اللسان... والقاموس... والتّاج...):

«القَصْعَةُ: الصَّحْفَة. والضَّخْمة منها تُشْبِع العَشَرة، والجمع قِصاع وقِصَع... وأنشد ابن دُرَيْد:

وَيَحْرُمُ سِرُّ جارَتِهم عَلَيهم
وَيَأْكُل جارُهُمْ أَنُفَ القِصاعِ

والقَصْع: ابْتِلاع جُرَع الماء والجِرَّة. وقَصَعَ الماءَ قَصْعًا: ابْتَلَعَه جَرْعًا وقَصَعَ الماءُ عَطَشَه يَقْصَعُه قَصْعًا وقَصَّعَه: سَكَّنَهُ وقَتَلَه. وقَصَعَ العَطْشانُ غُلَّتَه بالماء: إذا سَكَّنَها؛ قال ذو الرُّمَّةِ يصف الوَحْش:

فانصاعت الحُقْبُ لم تُقْصَع صَرائرُها
وقد نَشَحْنَ فلا رِيٌّ ولا هِيَمُ

وسَيْف مِقْصَل وَمِقْصَعٌ: قَطّاعٌ. والقَصيع: الرّحىٰ.

والقَصْع: قتل الصُّؤاب والقملة بَيْن الظُّفُرَين... والقَصْعُ: الدَّلْك بالظُّفُر... وقَصَعَ الغُلام قَصْعًا: ضربه بِبُسْطِ كَفّه على رأسه، وقَصَعَ هامَتَه كذلك؛ قالوا: والذي يُفْعَل به ذلك لا يَشِبُّ ولا يَزْداد، وقد قَصُعَ وقَصِعَ قَصاعَةً، وجارية قَصيعَةٌ، بالهاء... وقَصَعَ الله شبابَه: أَكْداه. ويقال للصّبيّ إذا كان بطيء الشّباب: قَصيع.

وفي الحديث: (... أنّه خطبهم على راحلته وإنَّها لَتَقْصَعُ بِجِرَّتِها)، قال أبو عُبيد: قَصْعُ الجِرَّة: شِدَّة المَضْغ وضَمّ بعض الأسنان على بعض. أبو سعيد الضّرير: قَصْع النّاقة الجِرَّة استقامة خروجها من الجَوْف إلى الشِّدْق غير مُتَقَطِّعَةٍ ولا نَزْرَةٍ، ومُتابَعَة بعضها بعضًا... قال: وأصل هذا من تقطيع اليربوع، وهو إخراجه تراب جُحْرٍ وقاصعائه... قال ابن الأثير: قَصَع... مَصَع وَدَلَك بظفره... وتَقصّع الدُّمَّل بالصّديد: وَقصَّع الجُرْح: شَرِق بالدَّم...... قال أبو عُبيد: القَصْع: ضَمُّك الشّيءَ على الشّيء حتّى تقتله أو تَهْشِمَه. وقَصَّعَ الرَّجُل بَيْتَه إذا لزمه ولم يَبْرَحْه؛ قال ابن الرُقَيّات [ابن قيس الرقيّات]:

إنّي لَأُخْلي لها الفِراشَ إذا
قَصَّعَ في حضن عرسه الغَرِق

وقَصَّع الضَّبُّ: سَدَّ باب جُحْره... ودخل في قاصعائه؛ واستعارة بعضهم للشيطان فقال:

إذا الشَّيْطانُ قصَّع في قضاها
تَنَقَّفْناهُ بالحَبْل التُّؤامِ

قوله: تَنَقَّفْناهُ؛ أي: استخرجناه كاستخراج العتَّبّ، من نافقائه... قُصَعَة اليَرْبوع وقاصِعاؤه: أنْ يَحْفِر حَفِيرَةً ثمّ يسُدُّ بابَها؛ قال

الفرزدق يهجو جريرًا:

وإذا أَخَذْت بقاصعائك لم تَجِدْ
أَحَدًا يُعِينُك غيرَ مَن يتقصَّعُ

يقول: إنّما أنت في ضعفك إذا قَصَدْتُ لك كَبَني يربوع لا يُعِينك إلّا ضعيف مثلك، وإنّما شَبَّهَهُم بهذا لأنّه عنى جريرًا وهو من بني يربوع.

وقصَّعَ الزَّرْعُ تقصيعًا أي خرج من الأرض، قال: وإذا صار له شُعَبٌ قيل: قد شعَّبَ.

وقصَّعَ أوّلُ القَوْمِ من نَقب الجَبَل إذا طلَعوا.

وقَصَعْتُ الرَّجُلَ قَصعًا: صَغَّرْته وَحَقَّرْتُه.

وفي حديث مُجاهد: (كان نَفَسُ آدمَ - عليه السَّلام - قد آذى أهل السّماء فقصعه الله قصعة فاطمأنّ) أي: دَفَعَه وَكَسَرَه». ا.هـ. ابن منظور في (اللسان...) وأزيد للزّبيديّ من مُسْتَدْرَك (التّاج...): «والأقصع من الصّبيان: القصير القلفة الذي يكون طرف كمرته باديًا ومنه حديث الزِّبْرِقان بن بَدْر: (أبغض صبياننا إلينا الأُقَيْصِع الكَمَرة)[1] وقول ذي الخرق الطّهوي:

فَيَسْتَخِجُ اليُرْبُوْعَ مِنْ نافِقائِه
وَمِنْ جُحْرِهِ ذُو الشّيخَةِ الْيَتَقَصَّعُ

قال الأَخْفَش: أراد الذي يتقصّع فيه؛ وقال ابن السَّراج: لمّا احتاج إلى رفع القافية قَلَبَ الاسْمَ فِعْلًا وهو من أقبح ضرورات الشِّعر.

والقَصّاعُ - كَشَدّادٍ - مَن يَصْنَعُ القِصاع».

القَضّ

القَضُّ: من العِبارات التي أَهْمَلَتْها كُتُبُ فصيحِ العَوَامّ وتطوّر معاني المفردات. و(القضّ) في عامّيّتنا: ضجيج التّكلّم بكلامٍ غير ذي قيمة أو غير مرغوب به فالشّخص (القَضّاض) عندهم من يقضّ في فمه كثيرًا من الكلام الذي يُثير الضَّوْضاء (أو الضأضاء...) فهل هذا من كناياتهم التي تطوّرت من القول في (القاموس... والتّاج):

«وقضّ النِّسْعُ قضيضًا: سُمِعَ له صَوتٌ كأنّه قَطْعٌ وصَوْتُه القَضيضُ. وقَضَّ السَّويقَ: ألقى فيه يابِسًا كَقَنْدٍ أو سُكَّرٍ، كأَقَضَّهُ.

والطّعام يَقَضُّ بالفتح. وهو طعامٌ قَضَضٌ - محرّكة - وقد قضِعْتُ منه - بالكَسْر - إذا أكلتَهُ ووقع بين أضراسِك حَصًى أو تراب... وقضّه: دقّه... وكذلك قَضْقَضَه... والوتَدَ: قَلَعه. وأَقَضَّ: تتبَّعَ مَداقَّ الأمور وَأَسفَّ إلى خساسِها» وأضاف الزَّبيديّ في (التّاج:) «...الدّنيئة... ولو قال: تتبّع دقاق المطامِع كما هو نصّ الصّاغانيّ وابن القطّاع والْجَوهريّ، لكان أَخْصَرَ؛ قال رُؤْبة:

ما كُنْتَ من تَكَرُّمِ الأَعْراضِ
والخُلُقِ العفِّ عن الإقضاضِ

ويُروى الأَقضاض والإِقضاض، بالفتح والكسر...

وقِض بالكَسْر مُخَفَّفة - حكاية صَوْت الرُّكبة إذا صاتت، يُقال: قالت ركبته: قِضٍ وأنشد:

وقَوْلُ رُكْبَتِها قِض حين تثنيها

وَقَضْقَضَ الشّيءَ فَتَقَضْقَضَ: كسره فتكسّر...

والمِقَضّ: ما تُقَضّ به الحجارة... وأقضّ عليه الهَمُّ واستقضّه صاحبه». وفي (أساس البلاغة): قَضَّ الحَجَر: كَسَرَه بالمِقَضّ... وانقضَّت عليهم الخَيْل وقَضَضْناها عليهم.

[illegible]

وفي (لسان العرب): «... ابن الأعرابيّ: قضَّ اللحم وإذا كان فيه قَضَض يَقَع في أضراس آكِله شِبْه الحصى الصّغار. ويُقال: اتّق القِضَّة والقَضَّة والقَضَض في طعامك؛ يُريد الحَصى والتُّراب...

... وقول ابن الأعرابيّ في الحديث: (يؤتى بالدّنيا بقضّها وقضيض)... إنّ القَضّ: الحَصى الكِبار والقَضيض: الحصى الصِّغار...... والقَضْقَضَة: صَوْت كَسْر العِظام... والذّئب يُقَضْقِضُ العِظام...».

القطر[1]

القَطْر: القِطار، في العامّيَّة الدّارجة في مصر.

والقَطْر: مَعْقود ماء السُّكَّر؛ في العبارة الدّارِجة في عامّيّة الشّام. ولا عِبْرَةَ في إبْدال القافِ همزةً في اللَّهجات واللُّغَيّات العامّيَّة فالقَطْر تُلفظُ: الأطْر. ولٰكنّ كِلْتَيْهما مُنْحَدِرَتان من تَطَوُّرٍ مَجازِيّ فصيح صحيح مُتَّحِدِ الأصْل.

ففي كلّ من (لسان العرب) و(القاموس المُحيط) (... قَطَر الماءُ والدَّمْع قَطْرًا وقُطورًا وقَطَرانًا، والقَطر ما قَطَر، الواحدة قَطْرة وجَمْعُها قِطار...

وقَطَرَ الإبِلَ قَطْرًا وَقَطَّرَها وأَقْطَرَها: قَرَّبَ بَعْضَها إلى بَعْضٍ على نَسَق، وجاءَتِ الإبلُ قِطارًا: أي مَقْطُورة...، وقَطَر قُطورًا: ذَهَبَ وَأَسْرَع... وما أدري مَنْ قَطَرَهُ ومن قَطَرَ بِهِ: أي؛ أَخذه... والقُطارَة ما قَطَر من الشَّيْءِ والقليل من الماء...)

وفي (الوسيط) المُعْجم المُعاصِر الذي أَصْدَرَه مَجْمَعُ مِصْر: (القِطار: من الإبِل عَدَدٌ منها بَعْضُه خَلْفَ بَعْضٍ على نَسَقٍ واحد. والقِطار مجموعةٌ من عَرَبات السِّكَّةِ الحديديَّة تجرُّها قاطِرَةٌ «مُحْدَثَة» والقِطَار جَمْع قَطْر وهو المَطَر).

وممّا يُنْسَب إلى أبي صَخْر الهُذَليّ من الشِّعْر:

وإنّي لَتَعْرُوني. لِذِكراكِ هِزَّةٌ
كما انْتَفَضَ العُصْفورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ

وفي شَطْرٍ من بَيْتٍ شِعْرِيٍّ قديم وَرَدَ المَثَلُ المَشْهُورُ: (وأوَّلُ الغَيْثِ قَطْرٌ ثمَّ ينهَمِرُ). فقديمًا، تَطَوَّرَ قَطْرُ الماء في قَطَراتٍ تَتَابَع إلى قَطْر قافِلَة الإبلِ مُتَتابِعَةً في قِطار... وفي عَصْرِنا ما بَرِحَ التَّطَوُّرُ اللُّغَوِيّ يَعْتَمِد على تَوْليد المَعاني من المَجاز والتَّصْوير البيانيّ...

قَفَشَ والقَفْش

في عامّيّتنا: (قَفَشَه): قَهَرَه، أو غَلَبَه، أو أَمْسَكَ به مُتَلَبِّسًا بالذَّنْب، أو أَفْسَد تَدْبيرَه، أو خَيَّب أَمَلَه في شيء أو عَمَلٍ، أو أَثار فيه شيئًا من الغَضَب (فَانْتَفَش منه...).

وقريبٌ ممّا في عامّيّتنا ما في لَهْجَة مِصْرَ الدّارِجَة التي ذَكَر منها د. عبد العال في (مُعْجَم الألْفاظ العامِّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتنا: قَفَش فُلان في فُلان: أَمْسَكَ بتَلابِيبه، وقَفَشَ الشُّرطِيُّ اللِّصَّ: أَمْسَكَ به، وانْقَفَش الفَأْرُ في المصْيَدة: حُجِزَ فيها...».

وللأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) ص١٨٣: «يقولون: (قفشه) بمعنى أَمْسَكَه وأَخَذَه، وفي حِمْص يقولون: (قَفَشه) أي أَغْضَبَه، وهي غير خَطَإٍ... وأكثر ما يقولون في جبل لبنان: (عَفَشَه) وهو أيضًا صحيح ولٰكنّ معناه الأصليّ؛ جَمَعَهُ ومنه (العَفْش) تستعمله العامّة بمعنى المَواعين والمفروشات. والنّساء في الشّام يَقُلْن (قَبَشَه) أَمْسَكَه، وكذلك في حَلَب،

(١) منشورة في (مجلّة المعلّم العربي) الصادرة بدمشق سنة ١٤٠٧هـ وسنة ١٩٨٦ تشرين الثاني ص ١٠٤. العدد الخامس من السنة التاسعة والثلاثون.

وفي المَغْرب (كَبَشَه): أَمْسَكَه مثل (كَمَشَه)». [قلت: انظر في: أَبَشَه وكَمَشَه و... في موضعها...].

ولأحمد رضا في (رَدّ العامّيّ إلى الفصيح): «تقول العامّة: أخذه قَفْشًا؛ أي: بِسُرْعَة وغير رَوِيّة، أو جَمَعَه بلا نِظام ولا تَرْتيب. ويقولون: القَفْش لِلْكَلام المُلْقى عن غير رَوِيَّة. وفي اللغة عن الأَئِمَّة: القَفْش: أَخْذ الشَّيْءِ وَجَمْعُه، وهو النَّشاط كما في (القاموس). وفي (الشِّفاء...) قفش: خفّ وقَطَع ولم يحكم (معرّب)... ومن هذا كلّه أخذت العامّيّةُ القفشَ لكلّ عمل سريع غير مُحْكَم نشط فيه صاحبه بلا رَوِيَّة ولا انْتِظام.»

قلت: لم أجد: أ ف ش... فالهَمْزَة مُبْدَلَة من القاف في اللهجة المعروفة في المدن الكبيرة... والقَفْش - بالقاف - قديم؛ ذَكَرَه أحمد بن فارس في (مقاييس اللغة): «ق ف ش: فيه طَرِيفة ابن دُرَيْد: قَفَشَ: جَمَع» [وفي حاشيته: (الجمهرة: ٣: ٦٥)].

وفي (اللسان...): «قَفَش الشَّيْءَ يقفِشه قفْشًا: جَمَعَه [وفي حاشية طبعة بيروت ١٩٥٦: «وصنيع القاموس يقتضي أنّه من باب: قَتَل»] أي: يقفُش والقَفْش: الخُفّ؛ وفي حديث عيسى، عليه السّلام: أنّه لم يُخَلِّف إلّا قَفْشَين ومِخْذَفَةً [المِخْذَفة: المِقْلاع]. وقال الأَزْهريّ: هو المَقْطوع الذي لم يُحْكَم عَمَلُه. وَأَصْله في الفارِسيَّة: كفج».

وفي (التّاج...) «... وأصله في الفارسيّة: كفش» [قلت: رأيت في (قاموس الفارسيّة): «الكَفْش: الحذاء»]. وأعود إلى (التّاج...) من البداية: «القَفْش: أَهْمَلَهُ الجَوْهَريّ، وقال اللَّيْث: هو ضَرب من الأكْل شَدِيد. وقال غيره:

القَفْش: كَثْرَة النّكاح.

ومنه يُقال: وَقَعَ فُلان في القَفْش والرَّفْش [وفي (اللسان...) «الرَّفش: أَكْل الطَّعام»] وعن ابن الأعرابيّ: القَفْش: الخُفّ القصير... قال الأزهريّ: هو دخيل مُعَرّب...

وقال أبو حاتم: القَفْش في الحَلْب: سُرعة الحَلْب وسُرْعَة نَفْضِ ما في الضَّرْع، وكذلك الهَمْرُ، يقال: قَفَش ما في الضَّرْعِ أَجْمَعَ وهَمَرَ [وفي (اللسان...): يُقال: هَمَرَ ما في ضَرْعِها أَجْمَع].

والقَفْش: أَخْذ الشَّيْء وَجَمْعُه، وكذلك القَنْفَشَة عن ابن دُرَيْد.

والقَفْش النَّشاط في الأَكْل والنّكاح. والقَفْش: الضَّرْب بالعَصا والسَّيْف، نقله الصّاغانيّ عن ابن عَبّاد.

قال أبو عَمْرو: القَفَش - بالتّحريك - اللُّصوص الدَّعّارون.

وقال الليث: انْقَفَش العَنْكَبُوت وَغَيْرُه من سائر الخلق إذا انْحجَر وضمّ إليه جَرامِيزَه وقَوائِمَه [وفي (اللسان...): قد اقْتَفَشَ]؛ وأنشد:

كالعَنْكَبُوْتِ انْقَفَشَتْ فِي الجُحْرِ

ويُروى: اقْفَنْشَشَت. [وفي (اللسان...): كالعَنْكَبوتِ اقْتَفَشَتْ في الجُحْرِ]».

قال الزَّبيديّ: «وَمِمّا يُسْتَدْرَكُ عليه [على الفيروزاباديّ]: قَفَش الدّابّةَ: كَسَعَها. وقَفَش قَفْشًا وقُفوشًا: مات كَفَقَشَ؛ وهذه عن ابن القَطّاع». [مُؤَلّف (كتاب الأفعال) وهو أَحَد كُتُبٍ ثلاثة تَحْمِلُ هذا الاسم والثاني للسّرقسطيّ والثالث لابن القُوطِيَّة].

وتُورِد أَكْثَرُ المُعْجَمات الحديثة مِثْل (محيط

المحيط) و(المعجم الوسيط) بعض هذه المعاني القديمة، وقد يُصادِف أن تَحْذف اختِصارًا منها فَيَقَع الحَذْف على المعنى الأقرب إلى فِصاح العامّيّات... أو على ما له صلة بِتَطَوُّر المعنى إليها... أو قد تَحْصُر معنى (النّشاط في الأكل) مثلًا، ولم يَحْصُرْه (القاموس المحيط) وحَصَره الشّارح في (تاج العروس...) «... في الأكل والنّكاح» تتبّعًا لصاحب (اللسان...) وفي هذا الحَصْر إنقاصٌ من الصّلة بالمعنى العامّيّ الفصيح...

ومِمَّن أَهْمَل: ق ف ش: (صِحاح الجوهريّ، وأَساس الزّمخشريّ، ومصباح الفَيّوميّ) وتُهْمِلُه بَعضُ المُعْجَمات الحديثة أيضًا - (كالمَدرسيّ) - ولٰكنّ القَفْش ظلّ حَيًّا على الألْسِنة في مُخْتَلف الأَزْمِنة والأَمْكِنة منذ أَقْدَم عُصورِ التَّدْوين اللُّغَويّ... حتّى اليوم...

القَفْلَطَة والقَلْفَطَة

(قُلْفَطَ الأكل كُلّه ولم يترك في الصّحن شيئًا)، من قولنا في عامّيّة دمشق وهذا من قَلْب الأحرُف في فصاح العامّيّة قَلْبًا مكانيًّا:

وللفيروز اباديّ في (القاموس..).

«قَفْلَطَهُ من يَدِه: اختطفه...

القَلْفاطُ: كَخَزْعَالٍ لَقَبٌ».

ويُفصِّل الزّبيديّ في (تاج العروس..): «قَفْلَطَه مِنْ يَدِه: أهمله الجوهريّ وصاحب اللسان، وقال ابن عبّاد: أي اختطفه واخْتَلَسَهُ؛ نَقَلَهُ الصّاغانيّ كذا في العُباب والتَّكْمِلة عنه..

القَلْفاطُ... أهمله الجوهريّ والجماعة؛ وهو لقب مُحمَّد بن يحيى الأديب».

وفي (التّكْمِلة والذّيل والصّلة لكتاب تاج اللغة وصِحاح العربيّة للجوهريّ) تأليف محمّد بن الحَسَن الصَّغانيّ: «قَفْلَطَهُ مِنْ يَدِيْ: اخْتَلَسَهُ».

قلت: عامّتنا تستعمل: (قَلْفَطَه) مقلوبًا مِنْ: (قَفْلَطه) الذي رواه ابن منظور عن الصَّغانيّ الذي نَقَلَه عن ابن عَبّاد في مُعْجمه (المحيط) الذي كانوا لا يُكثرون الأخذَ منه ولٰكن ما ينقله عنه الصَّغانيّ العالم الثّقة ممّا يطمئنّ إليه الفيروزاباديّ في (القاموس المحيط).

أمّا القَلْفاط اللقب الذي رواه صاحب (القاموس..) دون أن يشرحه، فترتيب أَحْرُفِه كترتيب العبارة العامّيّة لَدَيْنا من غير قَلْب..

لٰكن ما لدىٰ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح)، بعنوان: القِلفاط: «وقالوا: قلفط السّفينة إذا سدَّ خزوز ألواحها باللِّيْف، وقيّرها بالقار - الزّفت - والفاعل: القِلفاط عند العامّة.

وفي كُتُب اللغة هو الجلفاط. وفي (القاموس..) أنّ الجلفاط هو سادُّ دُروز السُّفن الجُدد بالخيوط والخرق بالتَّقيير. وقال ابن دُريد: إنّها لُغة شاميّة. ويقول صاحب التّاج إنّ العامّة يسمّونه القِلفاط بالقاف بدل الجيم».

أمّا في مصر ففي (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) ل.د. المُنعم سيّد عبد العال:

«نقول في دارِجَتنا: قُلْفَط فلان العَمَل: أَتَمَّهُ في غير إتقان. وأخذ السِّلْعَة قُلْفَطَة: أي اختطفها خَطْفًا. والأصل فيها: قَفْلَط...».

وانظر: جَلْفَط في مكانها من: ج ل ف ط.

القَمْز

القَمْزُ، في عامّيّتنا قَرِيب من القَفْزِ، وأَفْتَرِض أنّ أَوَّله قاف لأنّي لم أجدْ في معجمٍ ما: أ م ز.

والقَمْزُ في (القاموس المحيط): «الجَمْع والأَخْذ بأطرافِ الأصابع..».

وفي (لسان العرب): «قَمَزَ الشّيءَ يَقْمِزُه قَمْزًا: جَمَعَه بِيَدِهِ، وهي القُمْزَةُ، وقيل:.. أخذ بأطراف أصابعه..».

وفي (محيط المحيط) يقول البُستانيّ: «والعامّة تَسْتَعْمل القَمْزَ بمعنى القَمْص» [نَوْع من الوَثْب].

ولأحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «قَمَز:... إمّا من قَفَزَ أو من أَبَزَ الظّبي... أو من: قَمَصَ الفَرَس: أن يرفعَ يَدَيْه ويطرحَهما معًا ويَعْجِن بِرِجْلَيْه... والأَوَّلُ أَرْجَح: قَفَزَ...».

أمّا في العامّيّة المِصْرِيّة فَيَخْتَلِف الأَمْر فَفِي (مُعْجَم الأَلْفاظ العامّيّة ذات الحَقِيْقَة والأُصُول العَرَبِيّة) يقول د. عبد العال:

«نقولُ في دارِجَتنا: قُمَّز فلانٌ فلانًا: غَمَزَه في خاصرته فتحرّك حَرَكَةً غير إراديّة وكثيرًا ما يَصْحَبُها ضحِك...».

وأهمل: ق م ز (المعجم العربيّ الأساسيّ) للمُنَظَّمَة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم.

(القاموس) و(المحيط) و(المنجد)

أَظَلّ غاطِسًا وغارِقًا في (القواميس)..

وعوامّنا وكثيرون من المتعلّمين يسمّون كلّ معجم باسم (القاموس) وهي كلمةٌ فارسيّة أصْلُ معناها البَحْر العظيمُ، واختارَها مجدُ الدّين الفيروزاباديّ لِتكونَ على مُعجمه (القاموس المحيط) عَلَمًا؛ وتوسّعَتِ العَوَامّ وبعضٌ من المُتَعَلّمين في اسْتِعْمالها مُرادِفةً للمَعاجم بسبب اسْتِفاضَةِ شُهرة (القاموس المحيط)، فاحتاجوا إلى أن يُسَمُّوه باسم (المُحيط) تَمْييزًا له عن كلّ (قاموس). واتَّخَذ مَجْمَع اللغة العربيّة في القاهرة قرارًا مَجْمَعِيًّا بتسمية: «كلّ معجم لغويّ، على التّوسّع» (مج) بالقاموس كما جاء في (المُعْجم الوسيط) الذي أصْدَره مَجْمَعُ القاهرة سنة ١٩٦٠ ط١ والطّبعات التّالية...

ولم أَسْمَعْ بِمُعْجم آخرَ سُمِّي باسم (القاموس) ولذا وَجَدْتُ أئمّة اللغة حين يَخْتصرُون اسم (القاموس المحيط) يَحْذِفون (المحيط) لأنّه ليس الفيروزاباديّ أوَّلَ من سَمّى مُعجمه بالمحيط.. فلا يَصِحُّ أن يكونَ عَلَمَ كِتابِه وحدَه...

وفي عصرنا اشْتُهِر (المُنْجد في اللغة) للويس معلوف، وكانت طَبْعَته الأولى سنة ١٩٠٨، وبلغ الطّبعة العشرين أو زاد عنها.. فصار تلاميذ المدارس - وبعض معلّمين قلّة - يُسَمّون كلّ معجم (مُنْجِدًا) في بعض الأحيان... وذلك قَبْل صدور (المُعْجم المدرسيّ) الذي أَلّفه محمّد خير أبو حرب وأَصْدَرَتْه وزارة التّربية العربيّة السّوريّة بدمشق سنة ١٩٨٥م ١٤٠٦هـ. وسمعت أنّه مسبوق إلى اسم (المدرسيّ) وأظنّ السّابق زين العابدين التّونسيّ؛ أو غيره... والذّاكرة خوّانة... ولويس معلوف أيضًا مسبوق، و(المنجد في اللغة) أقدم مُعْجم شامل لِلْمُشْتَرَك اللفظيّ من تأليف: أبي الحَسَن عليّ بن الحسن الهُنائي المشهور بكُراع والمُتَوَفّى ٩٢٠م ٣١٠هـ أي منذ أحد عشر قرنًا[1]، وهو من أهل مصر. وآخِر ما سمعت به في محيطات اللغة: (معجم اللغة العربيّة المحيط):

(١) كُراع أو كُرَاع النَّمل مؤلف (المنجد في اللغة) أقدم معجم شامل للمُشْتَرَك اللفظي له ترجمة في (الأعلام ٧٩/٥) للزركلي وفي (بغية الرعاة) للسيوطي ومن مؤلفاته الأخرى: (المنضّد في اللغة) و(المجرّد) و(غريب أمثلة اللغة). وطبع في القاهرة سنة ١٩٧٦م ١٣٩٦هـ م. بتحقيق د. أحمد مختار عمر وضاهي عبد الباقي.

فقد تحدَّثت السيدة نَبيلة الرَّزّاز في إذاعة دمشق ليلة ١٧ - ١٨ تموز ١٩٩٤ عن هذا المعجم الذي شاركت في تأليفه زوجها الأستاذ أديب اللجمي شحادة الخوري وأساتذة من تونس، فَوَضَعَتْ مُحتوياتِه بأن يَضُمّ الكلمات التي صار العرب يستعملونها وهي غيرُ مُعجميّة (ولعلّها تقصد المُوَلّد والمُحْدَث والدّخيل من الألفاظ كما كانت تُسَمّيها المعاجم قبله) وَتَميَّز بذكر تغيُّر المعاني على مَرّ العُصور...، ورُتّب على الطّريقة (الألفبائيّة) وعملت فيه خمس سنوات ثمّ صدر في فرنسة والمغرب منذ ستتين عن دار نشر (المحيط) بعد أن أسَّسها مؤلِّفوه الذين كانوا موظَّفين في (الأليسكو) - وهي تقصد المنظمة العربيّة للتّربية الثّقافيّة والعلوم في الجامعة العربيّة - في نشر (المعجم العربيّ الأساسيّ) - وبعد أن كفّت دار (لاروس) في باريس عن نشر المعاجم العربيّة. ونَفِذت نُسَخُه من الطّبعة الأولى (هناك) وفي المَغْرب، وقالت السّيدة الرَّزّاز إنَّه ستصل منه نُسَخٌ إلى المشْرق العربيّ بعد أن يُعادَ طبعُ هذا (المحيط: معجم اللغة العربيّة المحيط).

فمعلوماتي عنه الآن تنحصر في تسميته التي تذكّرني بأنّ:

هذا رابع المحيطات التي سمعت بها في تسمية المعجم العربيّ، أو خامسها...

... فالصّاحب بن عبّاد المُتوفّىٰ سنة ٩٩٥م ٣٨٥هـ. سمّي مُعْجمه (المحيط).

وابن سِيْدَه عليّ بن اسماعيل ت سنة ١٠٦٦م ٤٥٨هـ سمّي مُعْجمه (المحكم والمحيط الأعظم).

والفيروزاباديّ مجد الدّين محمّد بن يعقوب ت سنة ١٤١٥م ٨١٧هـ سمّي مُعْجمه (القاموس المحيط).

وبطرس البستانيّ ت سنة ١٨٨٣م سمّي مُعْجمه (مُحيط المُحيط) ثمّ لخّصه واختصره في (قطر المحيط).

وتطابقهم أو تخالفهم في التَّسميات يذكّرني بالمُناقشات والمُجادلات حول جمع: معاجم ومعجمات... ولم يختلفوا على جمع: قاموس: قواميس... ولٰكنّي إذا استعملته علمًا على معجم مجد الدين الفيروزاباديّ فلست أجد حاجة إلى جمعه في هذا الحال...

قَمَشَ وكَمَشَ بالكمّاشَة وكَوَّش

هل الكَمْشُ بمعنى الإمْساك لفظ آراميّ؟ فَفي (قاموس المُصْطَلحات والتّعابير الشّعبيّة) لأحمد أبي سَعْد ص ٢٨٤:

كِمَّاشة: آلة تُنْزَعُ بها المَسامير ونحوها. ولعلّها من كَمَشَ الآراميّة وتَعْني أمْسَك (نَخْلَة: غرائب اللهجة اللبنانيّة السّوريّة ٩٨) ج كمّاشات.

قُلْتُ: ولٰكنّ الفِعْلَ كَمَشَ في المُعْجَم العَرَبِيّ قَدِيْمِه وحَدِيْثِه هو الذي طَوَّرَتْه العامّة كما يَرىٰ بطرس البُستانيّ في (مُحيط المُحيط): ك م ش:

«كَمَشَ الإبِلَ يَكْمُشها كَمْشًا: صَرَّها ضَرْبًا من الصِّرار. والزّادُ فَنِيَ. وفُلانًا بالسّيف: قَطَعَ أطْرافَه. والعامّة تقول: كَمَشَ من الشَّيْءِ بِيَدِه أَخَذَ منه بقدر ما يَمْلَؤُها. والاسْمُ عندهم: الكَمْشَةُ؛ وربّما اسْتَعْمَلُوه لِما يَمْلأ اليَدَ منْ كُلِّ شَيْء.

وَكَمُشَ الرَّجُلُ يكمُش كَماشَةً: كان كميشًا. كَمَّشَ الحادي: جَدَّ في السَّوْق. وفُلانًا: أَعْجَلَهُ. وذيلهُ: قَلَّصَهُ وَشَمَّرَه. وَأَكْمَشَ بالنّاقَة: صَرَّ أخْلافَها جُمَعَ. وتَكَمَّشَ الرَّجُلُ وانْكَمَشَ: أَسْرَع.

وتَكَمَّشَ الجِلْدُ: تَقَبَّضَ واجْتَمَعَ. الكَمْشُ: مَصْدَر. والرَّجُلُ السَّريع. والحِصانُ الصَّغير الجُرْدانِ والفَرَسُ الصَّغيرة الضَّرْع. ورَجُلٌ كَمِشٌ أي: عَزومٌ ماضٍ. الكَمِشَةُ: النّاقة الصّغيرة الضَّرْع. شاةٌ كَمُوشٌ أيْ قصيرةُ الخِلْف أو صَغيرة الضَّرْع. الكَمِيْشُ: الرَّجُل السَّريعُ والحِصَانُ الصَّغير الجُرْدان والفَرَسُ الصَّغِيرَة الضَّرْع. ورَجُلٌ كَمِشٌ أي: عَزومٌ ماضٍ. وكميشُ الإزَارِ أيْ مُشَمِّرُهُ وهو مَثَلٌ في الجِدِّ والتَّشْمير. وإضافَتُه إلى الإزارِ على المَجازِ كما يُقال: عفيفُ الحُجْزَةِ ونَقِيُّ الجَيْبِ. شاة كَمِيْشَةٌ كَشَاةٍ كَمُوْش..».

أَطَلْتُ في نَقْلِ المادَّة من البُستانيّ كلّها لأنّ فيها تخريجًا واضحًا يُظْهِرُ علاقَةَ الكَمْشِ العامّيّ عِنْدنا بالفَصِيْح التُّراثيّ الذي اسْتَمَدَّه من (القاموس.. واللسان.. والتّاج..) وغيرهم من عُمُد التُّراث التي أَبْدَأُ اسْتِكْمالَ نُقولاتِ البُستانيّ منها بِذِكْر أصْلِ مَعْنى الكَمْش لَدىٰ أحمد بن فارس المُتوفّىٰ سنة ٣٩٥هـ من مُعْجَمِه (مقاييس اللغة): «ك م ش أَصْلٌ صحيح يَدُلّ على لَطافَةٍ وصِغَرٍ..».

وأُضِيْفُ بَعْضَ الْجُمَل التي تُقارِبُ الاسْتِعْمالَ العامّيّ لِلْكَمْشِ والانْكِماشِ فَمِنْ (لسان العرب): «كَمِشَ كَمَشًا وَكَمُشَ يَكْمُشُ كَماشَةً وانْكَمَشَ في أَمْرِه... وكَمَّشْتُه تَكْمِيشًا: أَعْجَلْتُهُ فَانْكَمَشَ وَتَكَمَّش؛ أَيْ: أَسْرَع.

والكَمْشُ: إنْ وُصِفَ به الذَّكَرُ من الدَّوابِّ فهو القصير الصَّغيرُ الذّكَرِ.. وإنْ وُصِفَتْ به الأُنثى فهي الصَّغيرة الضَّرْعِ، وهي كَمْشَةٌ، وَرُبَّما كان الضَّرْعُ الكَمْشُ مع كُمُوشه دَرُورًا وَأَنْشَدَ:

يَعُسّ جِحاشُهُنَّ إلى ضُروعٍ
كِماشٍ، لم يُقَبِّضْها التَّوادي

... وخُصْيَة كمشةٌ: قصيرةٌ لاصِقةٌ بالصّفاق، وقد كَمُشَتْ كُمُوشةً.

وامرأةٌ كَمْشَة: صغيرة الثَّدْيِ، وقد كَمُشَتْ كَماشَةً...

قال أبو بَكْر: معنى قَوْلِهِمْ قد تَكَمَّش جِلْدهُ أي تَقَبّض واجْتَمَع وانْكَمَشَ في الحَاجَةِ، معناهُ اجْتَمع فيها..».

وأُضيف من (أساس البلاغة): «وكَمَّش ذَيْلَهُ: قَلَّصَهُ.. ومن المَجاز قَوْلُ الطِّرِمّاح:

فيا لَيْلُ كَمِّشْ غُبَّرَ الليلِ مُصْعِدًا
بيمّ ونبِّهْ ذا العَفاء المُوَشَّحِ».

ومن (القاموس المحيط): «..والأَكْمَشُ: القَصِيْر القَدَمَيْن».

أمّا أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) فيرىٰ أنّهم «قالُوا: كَمَشَهُ: إذا ضَمَّ عليه أصابِعَه وقَبَضَ عليه. وهي إمّا من كَمَزَهُ (يَكْمِزُهُ: بِكَسْر عَيْن مُضارعه) إذا جَمَعَه بِيَدِهِ لِيَسْتدير، أو مِنْ كوشه إذا جَمَعَه، أو من قَمَشَه بمعنى جَمَعَه أيضًا، أو من انْكَمَش في حاجته إذا تقبّض واجْتَمَع فيها. وفي (القاموس..) تكمّش الجِلْد: تقبّض واجْتَمع.

والظّاهر أنّ أَصْلَ المعنى في هذه المادّة وأخواتها الجَمْع والتَّشْمير والتَّقَبُّض واسْتَعارَتْهُ العامَّةُ لِقَبْضِ الأصابِعِ على الشَّيْء. والكمّاشة المَعْروفةُ اليومَ وهي التي يُطبق كلّابتاها على الشّيء فتقبضُ عليه، مأخوذٌ من هذا المعنى العامّيّ».

قُلْتُ: ولم أَجِدْ فيما اطَّلَعْتُ عليه من كُتُبِ اللغة: «كوّشه إذا جَمَعَه».

كما مَرّت لدىٰ رضا في هذا النّصّ في ك م ش: وإنّما وَجَدْتَ: «كاشَ عنه يَكُوش كَوْشًا: فَزع وجارِيَتَه: جامَعَها» ويُضِيْف إليها البُستانيّ في

(مُحيط المُحيط): «وبَعْضُ العامّة يقولُ: كاشَ على الدُّنيا: اشْتَدّ ولُوعُه بها وانْهِماكُهُ فيها. والاسْم الكَوْشة».

أمّا القَمْشُ فأَصْلُ معناه لدىٰ ابن فارس في (مقاييس اللغة):

«القَمْشُ: جَمْعُ الشَّيْءِ من هاهنا وهاهنا».

وأُكْمِلُ مادّة: ق م ش من (المُعْجَم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة مُسْتَفِيْدًا من تَنْظيمِه المادّة المَعْرُوضَةَ في أمّهات مَعاجِمِ التُّراث (كالقاموس.. واللسان.. والتّاج..):

«قَمَشَ الشَّيْءَ يَقْمُشُهُ قَمْشًا: جَمَعَهُ من هاهنا وهاهنا. وقَمَشَتِ الرّيْحُ ما على وَجْهِ الأَرْضِ: جَمَعَتْهُ كاقْتَمَشَتْه.

واقْتَمَشَ الطَّعامَ: أَكَلَ ما وجد منه وإنْ كان رديئًا».

من التَّطَوُّر المَجازيِّ في فِصاح العامّة:

القَنْزَعة والقُنْزُعَة

في (المعجم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة:

«القَنْزَعَةُ: الشّعر حول الرّأس، أو الخصْلة من الشّعر تُتْرَكُ على رَأْسِ الصّبيِّ». أو الرّيشُ المُجْتَمِعُ في رأس الدِّيك والقُبَّرة كالقُنْزُع والقُنْزُعَة. (ج) قنازع.

ولٰكنّ القديم من كُتُب اللغة ومُعْجماتِها (كالقاموس واللسان والصِّحاح والتّاج) وغيرها.. تقرّب الفصاح من الاسْتعمال المَجازيّ عند عامِّيّتنا في عصرنا، أكثر ممّا فَعَل المُحْدَثونِ من مُؤَلِّفينا؛ يقول الزّبيديّ في (تاج العروس) كابن منظور في (لسان العرب) أيضًا: «وقد تُجمَع (قنزعات): وأنشد الجَوْهريّ لحميد الأرقط يَصِفُ الصَّلَعَ:

كَأَنَّ طَسًّا قُنْزُعاتِهِ
مَرتًا تَزِلُّ الكَفُّ عن صَفاتِهِ

وفي الصِّحاح ما نَصُّه: وفي الحديث: «غَطّي قنازِعَكِ يا أُمَّ أيمن»... وفي حديثِ أمِّ سليم قال لها الرَّسولُ (ﷺ): «خَضِّلي قَنازِعَك» أَمَرَها بإزالَةِ الشَّعَث وتَطاير الشَّعر، والتَّنْدِيَة بالماء أو بالدُّهْن. وفي خَبَرٍ آخرَ أنَّ النَّبيّ (ﷺ) نهى عن القنازع؛ هو أنْ يُؤْخَذَ بعضُ الشَّعرِ ويُترك منه مَواضِعُ مُتفرِّقةٌ لا تُؤْخَذُ كالقَزَعِ. ويُقال: لم يَبْق من شَعْره إلّا قُنْزُعَةٌ.

وفي حديث ابن عُمَرَ: سُئِل عن رَجُلٍ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ وقد لَبَّدَ وهو يُريد الحجَّ فقال:

«خُذْ من قَنازِع رأسِك»؛ أيْ: ممّا ارْتفعَ من شَعْرك وطال. والقُنْزُعَةُ: العَجْبُ» ا.هـ. قُلْتُ: (والقُنْزُعَة: العَجْب): [أيْ: أصل الذَّنَبِ أو مُؤَخَّر كلّ شيءٍ، والعامّة في عَصْرنا تلفُظُها: القَنْزوعة].

قَهْوَة الراوُوق وقَهْوَة البُنّ

اسم القَهْوة الذي نشرته العربيّة بين اللُّغات الأخرى لم يكن اسمًا لِشَراب البُنّ إلّا بعد أن انْتَشر شُرْبه. وقديمًا كان أصل الاسم للخَمْرة، قالوا لأنّها تُقهي شاربها أي تُشْبِعُه وتَذْهب بشَهْوَته كما في الصّحاح للجوهريّ.

وعامّيّات المُدن تقول قُهوة (أي: أَهْوَهْ) فتَلفُظ القاف همزة، وأرياف البراري والقِفار تعوّدت أنْ ترقِّق القاف إلى كَاف فارسيّة، أي: اللاتينيّة والإنكليزيّة فَتَلْفُظُها (كَهوة).

وفي عصر مُرتضى الزّبيديّ مُؤَلِّف (تاج العروس سنة ١١٨٨هـ) انتشر شرب قهوة البُنّ حتّى أَلَّف فيها الزَّبيديّ رسالة تحدّث عنها في (التّاج..).

«القهوة: الخمر» يُقال سُمِّيت بذلك لأنّها تقهي

شاربها عن الطّعام؛ أي: تذهب بشَهْوته، كما في الصّحاح، وفي التّهذيب: أي تُشْبِعُه. قلت: هذا هو الأصل في اللغة ثمّ أُطْلِقَت على ما يُشرب الآن من البُنّ لِثَمر شَجَر باليَمَن تقدّم ذكره في النّون، يُقْلَى على النار قليلًا ثمّ يُدَقّ ويُغْلَى بالماء. وقد سبق لي في خصوص ذلك تأليف لطيف سمّيْتُه: تحفة بني الزّمن في حُكْم قهوة اليمن... والقهوة (الشّبعة المحكمة)... والقهوة (الرّائحة..)... (وأَقْهَى: دام على شرب القهوة). وممّا يستدرك عليه: عيش قاهٍ بين القَهْوِ والقَهْوَة: رفيه خَصيب...

قُلْت أمّا في عصر صاحب (القاموس..)؛ وقبله صاحب (اللسان..) فكانت قهوة الخَمْرة من: «أقهى عن الطّعام واقْتَهَى: ارْتَدَّتْ شَهْوَتُه عنه من غير مَرَض مثل: أقهم... وأنشد شَمِر:

لَكَالْمِسْكِ لا يُقْهِي عن المِسْكِ شاربه

...وقال أبو الطَّمَحان [القيني] يذكر نساءً:

فأَصْبَحْن قد أَقْهَيْنَ عنّي، كما أَبَتْ
حِياضَ الإِمِدَّانِ الهِجانُ القَوَامِحُ».

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ بعد البيت السّابق بيت آخر الطّمحان القيني:

وأَصْبَحنَ لا يَسْقِينني من مَوَدَّةٍ
بَلالًا ولو سالَت لُهُنَّ الأُباطِحُ

نقول: فلان عَبْد الشّهوة، أسير القهوة.. ومن المَجاز: إنّ فلانة لطيّبة قهوة الفم.

قَوَّر

نَقول في الشّام ومِصْر: «هذا القَمِيصُ مُقَوَّر مِن حَوْلِ الرَّقَبة... والبِطِّيخة تَقَوَّرت من وَسْطها... وخُذْ هذا اللوحَ الخَشَبيّ إلى النّجّار لِيُقَوِّرَهُ في وسطه... وقوّرت اليَقْطِين...» أي: جَعَلْت في الوَسَط خَرْقًا شِبْه مُسْتدير. والمِقْوَرَة من الآلات التي تُسْتَعْمَل للتَّقْوير عند النَّجّار والحدّاد وغيرهما... ونُسَمِّي ما يخرج من تقوير الخَشَب والقَرْع والمَعْدَن والنَّسِيج وغيرهما: القُوارَة.

والتَّقْوِيْر من فصيح العوامّ الذي أشار إليه د. عبد المنعم سيّد عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة). «قَوَّره: خَرَقَه مِن وَسْطِهِ وَأَخْرَجَ ما في باطِنِه».

والأَصْل التُّراثيّ في (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس: «ق و ر: أَصْل صَحِيح يَدُلّ على اسْتِدارَةٍ من شَيء... من ذلك الشّيءُ المقوّر وقُوّارة القَمِيص مَعْرُوفة... ويَقُولُون: دار قَوْراء.... وهو هذا القِياس وإنَّما هذا مَوْضوع على ما كانت عليه مساكن العرب من خِيَمِهِم وَقِبابِهِم...»

وفي (أساس البلاغَة) للزّمخشريّ: «هذه قُوارة القميص والبَطّيخ وغيرهما ويقع على البِطّيخ والقِطْعَة». وحكى الجاحظ في كلام بعض الشُّطّار: لا يكون الفتى مقوَّرًا؛ وهو الذي يقوّر الجُرادِق فَيأْكُل أَوْسَاطَها وَيَدَعُ حُروفَها... و(لقيت منه الأَقْوَرَيْن): الدّواهي. وقال نَهار بن تَوْسِعَة:

وَكُنّا قَبْلَ مُلْك بَنِي سُلَيْمٍ
نَسُوْمُهُم الدَّواهي الأَقْوَرِينا

... ومن المَجاز: تَقَوَّرَ اللَّيْلُ وَتَهَوَّرَ: أَدْبَرَ... وقال جِران العَوْد:

لَقَدْ طَرَقَتْ دِهْقانَهُ الرَّكْبَ بَعْدَمَا
تَقَوَّرَ نِصْفُ اللَّيْلِ وانْصَدَعَ الفَجْرُ

وَرُوِيَ: تَقَوَّرَ بمعنى: تَقَوَّض. والمُقْوَرّ - بتشديد الراء -

في (كتاب الأَضْداد)[1] لابن الأَنْباري: «والمُقْوَرُّ مِنَ الأَضْداد، فالمُقْوَرُّ في لُغَة الهلاليّين: السَّمين، وفي لُغَة غَيْرِهم المَهْزُول، قال حُمَيد:

وَقَـرَّبْـنَ مُـقْـوَرًّا كـأنّ وَضِـيـنَـهُ
بِنيقٍ إذا ما رامَهُ العُقْرُ أَحْجَما».

[وروايته في ديوانه: فَقَرَّبْنَ موضونًا...]

في (لسان العرب) لابن منظور:

«قوّره: قَطَّعَه، وفي حديث الاِسْتِسْقاء: فَتَقَوَّر السَّحابُ: أي تَقَطّع وتَفَرّق فِرَقًا مُسْتَدِيرَة. ومنه قُوَارَةُ القميصِ والجَيْبِ والبِطّيخ. وقُوارَةُ حافِرِ البَعير أَي ما اسْتَدارَ من باطِنِ حافِرِه، واسْتَعار للبَعِير حافِرًا مجازًا، وإنّما يُقال له خُفّ.

والقُوارة: ما قُوّر من الثّوب وغيره، وفي أمثال العرب: قَوّرِي وَالْطُفي.

وقارَ المَرْأَة خَتَنَها. والقارَة الجُبَيْلُ وجماعة الرُّماةِ يَرْمونَ الحَدَق...

وقُرتُ البِطّيخَة: قَوّرْتُها. وكلّ شيء قَطَعْتُ من وَسْطِهِ خَرْقًا مُستديرًا فقد قوّرته.

والاقْوِرار تَشَنُّجُ الجِلْد وانْحِناء الصُّلْبِ هُزالًا وكِبَرا، أو الاسْتِرْخاءُ في الجلود، والقَوَر: العَوَر، وتَقَوَّرَت الحَيَّة إذا تَثَنَّتْ».

وفي (محيط المحيط) للبستانيّ: «... والقُوارَة: ما قُوِّرَ من الثَّوْبِ وَغَيْرِه أو يُخَصّ بالأَدِيم ومَا قَطَعْتَ من جَوانِب الشّيء، والشّيءُ الذي قُطِع من جوانبه: ضِدٌّ».

(١) ص ٢٩٤ الفقرة ١٩٤ من (كتاب الأضداد) تأليف محمد بن القاسم الأنباري المُتوفّى سنة ٢٧١هـ. طبعة الكويت ١٩٦٠م. بتحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

ك

الكبّة[1]

كيف تطوّرت عِبارة (الكبّة) على خطّين متخالفين بين عامّة مصر والشّام؟ وما أصلها التّليد في التّراث؟

في القُرآن الكريم: ﴿وَكُبْكِبُوا فيها هم والغاوُون﴾ السّورة ٢٦ الشّعراء / الآية ٩٤ أي؛ أُلْقُوا في الجَحِيم على وُجُوههم مَرَّةً بعد أُخرى، لأنَّ مَعْنىٰ: كَبْكَبَهُ: صَرَعَهُ ورَماهُ في الهاوية، والكَبْكَبَة: تَكْرِير الكَبّ، كما في مُعْجَم أَلْفاظ القُرآن الكَريم.

وفي كتاب (الأَمْثال العامِّيَّة) في مِصْر، لأَحْمَدَ تَيْمُور ط ٢ بيروت ١٩٨١ (ابن الكُبَّة طَلَع القُبَّة وابن اسم الله خدُه الله). الكُبَّة يريدون بها الوَرَمَ الحادث من الطّاعُون، أي لا عِبْرة إلّا بالمَكْتُوب وَالمُقَدَّر، فإنّ الذي تُهْمِل الاعْتِناء بِهِ وتُعامِله بالدُّعاء عليه بالطّاعُون والمَوْتِ قد يَبْقى وَيَعْلو شَأْنُه وَمَن تحافِظ عليه وَتَحوطه باسم الله قد يموتُ، ومنهم من يَرْويه: وُلاد الكُبّة طلعوا القُبَّة وولاد اسم الله خدْهم الله، فهو مثل قولهم: (ابن الهَبْلَة يعيش أَكْثَر).

وفي كتاب: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) لأحمد رضا العامليّ: «الكُبَّة عند العامّة تكُونُ من الغَزْل، وهي المُلْتَفّ من خُيوطه على نَفْسه كالكُرَة... أمّا كُبَّةُ الغَزْلِ فهي فَصيحة...».

وفي (اللسان) تكبَّبَ الرَّمْل إذا نَدِيَ فَتَعَقَّدَ، ومنه سُمّيَت كُبّة الغزل، وكذا الزَّمخَشْريّ في «الأساس».

أمّا كُبَّة الطعام فهي لحم يُدَقُّ في جُرْن دَقًّا ناعمًا ثمّ يُعْجَن بجريش البرغل (الحِنْطَة المسلوقة) ويُعْمَل أَقْراصًا تشبه كُبّة الغزل، ومن ذلك سُمّيت كُبّة، أو لأنّها تشبه ما يتكبّب من التّراب النّديّ. وهي مولَّدة معروفَة في الدّيار الشاميّة وأخصّها جبل بني عاملة حيث تؤكل نيئةً مطيّبة بالأفاويهِ وتُعرف باسم الكُبّة النّيّة [قلت: وكذا في دمشق] وفي غَيْرِ جَبَل عامِلةَ تُسَمَّى الكُبَّة الخَضْرا.

فَكُبَّة الغَزْل في الفُصْحى شَبَّهت بها عامَّة الشّام كُبَّة الطعام، وأمّا عامّة مصر فعبّرت بها عن الوَرَمِ الحادثِ من الطّاعون.

إحالة: كانون في: (الشّهر وكانون والكن والكنكنة) في: ش هـ ر.

كَبَسَ

يقول أحمدُ بنُ فارسٍ في (مُعْجَم مقاييس اللغة):

«الكاف والباء والسّين أصلٌ صحيحٌ، وهو من الشَّيءِ يُعْلَى بالشّيْءِ الرَّزين، ثمّ يُقاسُ على هذا ما يكونُ في مَعْناه. من ذلك الكَبْسُ: طَمُّكَ الحُفَيْرَةَ بالتُّراب والتُّرابُ كِبْسٌ. ثمّ يَتَّسِعون فيقولون: كَبَسَ فلانٌ رأسَه في ثوبه؛ إذا أَدْخَلَه فيه...».

وفي (القاموس المحيط) للفيروزباديّ:

«كَبَسَ البِئْرَ والنَّهرَ يَكْبِسُهُما: طَمَّهُما بالتُّراب... ودارَه: هُجِمَ عليه واحتاط... والأَكْبَسُ... مَن أقبلَتْ هامَتُهُ وأدْبَرَتْ جَبْهَتُه...».

* * *

ويَزيدُ شارح القاموس في (تاج العروس من جواهر القاموس) وهو المُرتضى الزّبيديّ: «ومن المجاز كَبَس داره إذا هَجَمَ عليه واحْتاطَ به. واقْتَصَر ابنُ القطاعِ على الهجوم».

وعلى ذِكْر المَجاز أعودُ إلى الزّمخشريّ في: (أساس البلاغة):

«وكَبَسَ رأسَه في جَيْبِ قميصِه: أَدْخَلَه فيه؛ وهو عابسٌ كابسٌ. وإِنَّه لَكُباسٌ غَيْرُ خُباسٍ: إذا الْتُجِئَ إليه كَبَسَ رأسَه ولم يغتنم السّعي؛ قال: هو الرّزء المبيّنُ لا كُباسٌ ثقيل الرّأس يحلُم بالنّعيق لأنّه راعي غنم. ولها قِلادَةٌ من الكبيس: وهو حَلْيٌ مُجَوَّفٌ يُكْبَسُ طيبًا.

ورجل أَكْبَسُ: رؤاسيّ. ورأسٌ أَكْبَسُ، وهامةٌ كَبْساءُ: عظيمةٌ مُسْتديرةٌ. ووقع عليه الكابوسُ. وعِنْده كِباسةٌ مِن بُسْرٍ وكبائس؛ وهي العِذْق التّامّ بشماريخه.

ومن المَجازِ: جَبْهَتُهُ كبستها النّاصية، وناصيةٌ كابسةٌ: مُقْبِلَةٌ على الجَبْهَةِ. وأرنبةٌ كابسةٌ: مُقْبِلةٌ على الشَّفَةِ. وكبسوا عليهم وَكَبَّسُوا: اقتحموا عليهم. وسمعتُهم يَقولون: أدخله اللهُ في الكَبْسِ، ولَأُدْخِلَنّه في الكَبْس: إذا قَهَرَهُ وَأَذَلَّهُ».

أطلتُ وجمعتُ المعانيَ الحقيقيَّة والمجازيَّة لأنَّ أغلبَها مُسْتَعْمَلٌ عند هؤلاء العوامِّ أو أولئك، كما يُلاحَظ في كلِّ ما سَبَقَ من النُّقولِ وأضيفُ إليها قولَ الفيّوميّ في (المصباح المنير): «الكبيس: نوعٌ من التَّمر، ويُقال: من أجودِه. والكِباسة: عُنْقود النَّخْل؛ والجمع كَبائس.»

ويبقى أنْ أضيفَ لابن منظور المِصْريّ قَولَه في (لسان العرب): «وعامُ الكَبِيْسِ في حسابِ أهلِ الشّامِ عن أهل الرّوم: في كل أربعِ سنينَ يَزيدونَ في شهرِ شُباط يومًا فيجعلونه تِسْعةً وعشرين يومًا، وفي ثلاث سنين يَعدُّونه ثمانيةً وعشرين يومًا، يُقيمون بذلك كُسُورَ حسابِ السَّنة ويُسَمُّون العامَ الذي يَزيدون فيه ذلك اليوم عامَ الكبيسِ. الجوهريُّ: والسَّنَة الكبيسةُ التي يُسْتَرَقُ لها يومُ وذلك في كلّ أربعِ سنين».

وممّن كتبوا في فصاحة المعاني العامّيّة لهذه المادّة: شفيق جبري في سلسلة مقالاته (بقايا الفصاح) في (مجلّة مجمع دمشق: المجلّد الثامن والأربعين ج١ ص٥).

الكَبْل

على الرّغم من قرار اللغة العربيّة بالقاهرة، والذي ظَهَر أثره في (المُعجم الوسيط) بأنّ: «الكَبْل حَبْل مَعْدنيّ تُحيط به مادّة عازلة لها غلافٌ واقٍ (مج)»؛ [أي: بقرار مَجْمعيّ]. و«–: مجموعة من الأسلاك مَغْزُول بعضُها عن بعضٍ، مَوْضوعة في غِلاف واقٍ، ويُسْتَعْمَل هذا وما قبله في توصيل التّيّار الكَهْرَبِيّ. (مج)»؛ ... فما زال بعض النّاس وعمّال الكهرباء والهاتف وشركة الكَبْلات يظنّون أنّهم أخذوا لفظ الكَبْل من الإنكليزيّة والفرنسيّة: C A B L E وهو حَبْل ثخين ضَخْم في كلٍّ من القاموس الإنكليزيّ والفرنسيّ بالأحرف نفسها. ويزيد الفرنسيّ رمزًا لِلَّهجة (أكسان ^) فوق الحرف â.

والكَبْل في العربيّة التّليدة حَبْل القَيْد، تجده في أيِّ مُعْجم، كما في (القاموس... والأساس...

والمقاييس... والخ....) وتجِدُ في (اللسان...): «الكَبْل: قَيْد ضَخْم. ابن سِيْده: الكَبْل والكِبل: القَيْد مِن أيّ شَيْء كان، وقِيْل: هو أعظمُ ما يكون من الأقياد، وجَمْعُهما كُبول... وقال أبو عمرو: هو القَيْد والكَبْل والنِّكْل والوَلْمُ والقُرْزل. والمَكبول: المحبوس. وفي الحديث: (ضَحِكْت من قوم يُؤتى بِهِم إلى الجَنَّة في كَبْل الحديد)... وفي قصيدة كعب بن زهير:

[بانَت سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ]
مُتَيَّمٌ إثْرَها لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

وكَبَلَهُ يَكْبِله كَبْلًا وكَبَّلَه...: حَبَسَه في سِجْن أو غيره...

إذا كنتَ في دار يُهِينُك أَهْلُها
وَلَمْ تَكُ مَكْبُولًا بها فَتَحَوَّلِ

والمُكابَلَة: التَّأْخير والحَبْس... وأنْ تُباع الدارُ إلى جَنْب دار وأنت تريدها فَتُؤَخّر ذلك حتّى يَسْتَوْجِبَها المُشْتري ثمّ تأخُذَها بالشُّفْعَة وقد كُرِهَ ذلك.

وَفَرْوٌ كَبْل: كثير الصّوف ثقيل.

والكَبْل: ما ثُنِيَ من الجِلْد عند شَفَةِ الدَّلْوِ فَخُرِز...».

وفي (أساس البلاغة): «وكُبِّلَت الجامعةُ في يَدَيْه: وُثِّقَت». [الجامعة: الغُلّ، أي: الكَبْل يصل بين اليدين] قال النابغة:

وذلك قَوْلٌ لم أَكُنْ لِأَقُولَهُ
ولو كُبِّلَت في ساعِدَيَّ الجَوامِعُ

وقال:

وما وَجْدُ مَغْلولٍ بِصَنْعاءَ مُوثَقٍ
بِساقَيْهِ من ماءِ الحَدِيدِ كُبُولُ

وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس: «الكاف والباء واللام أصل صحيح يَدلّ على حَبس وَمَنْع... الخ». ولو كان ابن فارس يعيش في عصرنا لَرُبَّما كنت أظنّه يُكمل قوله فيه: (... ومنه حَبْسُ الكهارب أو الإلِكْترونات، في مجرى الكَبْل وهو مجموعة الأسلاك المعزول بعضها عن بعض، والمَوْضوعة في غلاف واقٍ لكي تَعْزِل وَتَحْبِسَ مَجْرَىٰ الكَهارِب لِتُوصل الطّاقة أو الصَّوتَ أو نحوه وشبيهه... فلا تُفْلِت هذه الكهارب منها، ولا تهدر ولا تضيع).

وممّا كُنْتُ نَظَمْتُه في الكَبْل:

يا كَبْلُ... يا مُوصِلَ الأَضْواءِ في شبَكٍ
ذَوِّبْ سَلاسِلَ كَبْلِ القيدِ والزَّرَدِ

تُضيء في كُلِّ قَلْبٍ فَرْحَة قَرَّبَتْ
حَضارَة النُّورِ والآلات والعُدَدِ

في كلّ أُمْسِيَةٍ إشْعاعُ كَهْرَبَةٍ
جديدة في قُرَى الآفاق في البُعُد

يا كَبْلَ طاقاتِنا بَدِّدْ جَهالاتِنا
فَالْجَهْلُ يُبْلي عيونَ العَقْلِ بالرَّمَدِ

حواسِبُ العَقْلِ في الآلات جارِيَةٌ
بها الكَهارِبُ في كَبْلٍ وفي وَتَدِ

حواسِبُ الفِكْر إن تُعْقَلْ عَقائِلُها
غَيْرُ اعتقالك أَصْلَ العَقْل في الصَّفَدِ[1]

والعَقْلُ معناه حَبْسٌ كان مُعْتَقَلًا
في بائد الظُّلْم والطُّغْيان والنَّكَد

كم عَضَّ كَبْلُ القُيود السُّودِ أَرْجُلَنا
حَتّى تَكَسَّرَ أسنانًا من الدَّرَدِ

(١) الصَّفَد: القَيد، وأصل العقل من الرَّبط والقَيد. أنظر في ع ق ل.

يُحَرِّرُ العِلْمُ عَقْلَ النّاس قاطِبَةً
لدى جهازٍ تراءى مُرْشِدَ البَلَدِ
أغلالُ كَبْل (الألِكتيرون) نُطْلِقُها
في شاشة الفِكْر تُؤْتي الرُّشْدَ للوَلَدِ
صِلْ بَيْن أفكار أَقْطابِ الدُّنا أَدِرِ الـ
آلاتِ، أَعْلِمْ، أَفِدْ، واحْسُبْ لُمُقْتَصِدِ
أبِرْ، أَشِرْ، وابْنِ، واحْفِرْ، وارْسُمِ المُبْتَغى
سَخِّن بمقدار ما نبغي أو ابْتَرِدِ
جَهِّزْ إلى الكَوْنِ تَرْحالًا بمقعدك اسْـ
تَرِحْ أمام جِهاز البَثِّ واقْتَعِدِ
تواصَلَ النّاسُ أحْلامًا وأَدْمِغَةً
يا رِيفَهُمْ لَسْتَ إبْعادًا لِمُنْفَرِدِ
بالصَّوْتِ والصُّورَةِ الأكْوانُ قد حَضَرَتْ
عَصْرَ الظَّلامِ، وقد وَلَّيْتَ، لا تَعُدِ
كَبْلُ الكَهارب لا كَبْلُ القُيودِ لَنا
كَبْلُ المَظالِمِ لم يُخْلَق لأيّ يَدِ

كِخّ

ما تزالُ الأمُّ تَزْجُرُ الطِّفلَ عن مَدِّ يدَه إلى القَذرِ بِقَوْلها له: كَخْ... كِخْ...... ويُقال عندنا: (كِخّ) للطِّفْل الذي يُمْسِكُ شَيْئًا لِيَضَعَهُ في فَمِه ويُراد مَنْعُه مِن وَضْعِه فيه. - بِكَسْر الكافِ أو فَتْحها - والتَّطَوُّرُ الذي حَصَل في معنى: (كخ) قليل:

وتقرأ لِنَحْوِيّ عَصْرِ النَّهْضَةِ مُصطفى الغلايينيّ في الجُزْء الأوّل من (جامع الدُّرُوس العربيّة: بعنوان أسماء الأصوات): «كَخْ: اسْمُ صَوْتٍ لِزَجْرِ الطِّفْل عن تناوُلِ شَيْءٍ، أو لِيَتَقَذَّرَ من شَيْء».

وفي قديم المُعْجَم العربيّ تجدُ للفيروزا باديّ في (القاموس...): «ك خ خ... وكِخّ كِخّ - وتُشَدّد الخاء فيهما وتُنَوّن [كخ كَخٍ] وتُفْتَح الكافُ وتُكْسَر -: يُقال عند زَجْر الصَّبيّ عند تَناوُل شَيْءٍ، وعند التَّقَذُّرِ من شَيْء».

وَوَرَدَ في (لسان العرب) ك خ خ:

«كَخَّ يَكِخُّ كخًّا وكَخيخًا: نام فَغَطَّ. وفي الحديث عن أبي هُرَيْرَة: (أَكَلَ الحَسَن أو الحُسَيْن - رضي الله عنهما -، تَمْرَةً من الصَّدَقة فقال له النبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - كخ كخ - أَما عَلِمْتَ أَنّا أَهْلُ بَيْتٍ لا تَحِلّ لنا الصَّدَقَة)؟».

فلماذا اسْتَشْهَدَ ابنُ منظور بهذا الحديث على هذا الفعل وبهذا المعنى؟ أَتْرُك الإجابة لعُلَمَاء اللُّغَةِ وفِقْهِ التَّأليف المُعْجَميّ العِلْمِيّ.

وَأَتَمَسَّكُ بالعِبارةِ اللُّغويّة الطُّفُوليّة (كِخّ)، فنحنُ في حاجَةٍ إلى فِصاح اللُّغة الطُّفُوليّة وأُلاحظُ اقترابَ معنىٰ العِبارة في هذا الحديث الشّريف من مَعناها لَدَيْنا... ولكنّ (المُعْجَمَ المَدْرَسِيَّ) سنة ١٩٨٦م. أَهْمَلَها، وقبله في سنة ١٨٧٠م. اهتمَّ بطرس البستانيّ في (محيط المحيط)، وفيه: «كَخْ كَخْ وكِخْ كِخّ بفَتْح الكافِ فيهما وكَسْرِها، وتُشَدَّدُ الخاءُ فيهما وتُنَوَّن: صَوْتٌ يُقالُ عند زَجْر الصَّبِيّ عن تناوُلِ شيء، وعند التَّقَذُّر من شيء». وهذا عن (تاج العروس...).

وكذلك في (... الوسيط) مُعْجَم مَجْمَع القاهرة ط ٢ سنة ١٩٧٢.

أمّا أحمد رضا العامِليّ في: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) فيرى أنّ أَصْل (كَخّ وكُخَّة) العامِّيّة: قِقَّة، في الفصيح: «وفي (لسان العرب): القَقّة مَشْيُ الصَّبيّ وهو حَدَثُه، قال: وإذا أَحْدَثَ الصَّبِيُّ قالَتْ له أُمُّهُ: قِقَّة دَعْه، قِقَّة دَعْه. وفي النِّهاية قيل لابن عُمَر ألا تُبايعُ أميرَ المؤمنين؟ يَعْني ابنَ الزُّبَيْر، فقال واللهِ ما شبَّهت بَيْعَتهم إلّا بِقِقَّة...».

وأمّا في مصر فيقول د. عبد العال في (مُعْجَم

الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة):
«نقولُ في دارِجَتِنا: كِخْ لِزَجْرِ الأطفالِ وتَحْذِيْرِهم عند قِيامِهم بما لا يَلِيْق؛ وفي القاموس...».

كَدّس وكردس

والكراديس (لا الكراديش)

في الشّام حافَظَ العَوَامّ على اللفظ والمَعْنى في الكَدْسِ والكَرْدَسَةِ كما في المُعْجَم العربيّ التُّراثيّ، وعلى تلاقي المعاني بَيْنَهما في عامّيّتنا حتّى في الطّعام المُسَمّىٰ: (المَكْدوس) وهو من الباذِنجان المَسْلوق المَحْشِيّ بالْجَوْز والفُلَيْفلة الحَمْراء وقد كُدِّس في المَرْتَبان المملوء زَيْتًا.

وفي (المُعْجَم المدرسيّ) لمحمّد خير أبو حرب:

«كَدَسَ الحَبَّ المَحْصودَ يَكْدِسُه كَدْسًا: جَعَل بَعْضَهُ فَوْقَ بعضٍ.

الكُدْسُ: المُجْتَمِعُ من كُلِّ شَيْءٍ. جَمْعُه أكداس.

تَكَدَّسَتِ الخَيْلُ: ازْدَحَمَتْ في السَّيْرِ وَرَكِبَ بعضُها بَعْضًا. وتكدّسَ الحَصِيْدُ: جُعِلَ كُدْسًا (عن التّاج). وتكدَّسَت الأَشياء. تراكَمَتْ وازْدَحَمَتْ (عن الوجيز) وَتَجَمَّع بعضُها فَوْقَ بَعْض.

كَرْدَسَ القائدُ الخيلَ أو الْجَيْشَ: جَعَلَه كراديس.

الكُرْدُوسَة: طائفة عَظِيمَة من الخَيْلِ أو الجَيْش. جَمْعُها كَرادِيس.

والكَرْدُوس: كلُّ عَظْمٍ تامٍّ ضَخْمٍ. وكُلّ عَظْمَيْنِ الْتَقَيا في مَفْصِلٍ، نحو: المَنْكِبَيْن والرُّكْبَتَيْن والوَرِكَيْنِ. جَمْعُه كَراديس (والعامّة تقول: كراديش لِقِطَع اللحم الكبيرة كذلك) [قُلْتُ: أشار إلى الكُرْدُوْس قَبْلَ أبي حَرْبٍ أحمد رضا العامليّ في: (ردّ العامّيّ..)].

تَكَرْدَس الوَحْش: تَقَبَّض وَتَجَمَّع بَعْضُه إلى بَعْض».

قُلْتُ: وأَزِيْد من (لسان العرب) لابن منظور:
«الكُدْسُ والكَدْسُ: العَرَمَة من الطَّعام والتّمر والدّراهم ونحو ذلك، والْجَمْع أكداسٌ، وهو الكدِّيس، يمانية، قال: [المُتَلَمِّس في: (أساس البلاغة) للزّمخشريّ]:

لم تَدْرِ بُصْرىٰ بما آلَيْت من قَسَمٍ
ولا دِمَشْقُ إذا دِيسَ الكَداديسُ

...وفي حديث السِّراط: (ومنهم مَكْدوسٌ في النّار) أي مَدْفوع. وتكدّس الإنسانُ إذا دُفِع من وَرائه فَسَقَط، ويُرْوى بالشّين المُعْجَمَة من الكَدْش وهو السَّوْق الشّديد.

والكَدْسُ: الطَّرْدُ والجَرْحُ أيضًا. والتَّكَدُّسُ مِشْيَةٌ من مِشَىٰ القِصار الغِلاظ. ابن الأعرابيّ: كَدْسُ الخيلِ رُكوب بَعْضِها بَعْضًا. والتَّكَدُّسُ: السُّرعة في المَشْي أيضًا، قال عُبَيْد أبو مُهَلْهِل:

وَخَيْلٍ تَكَدَّسُ بالدّارعين
كَمَشْيِ الوُعُول على الظّاهِرَهْ

يُقال منه: جاء فلانٌ يَتَكَدَّس..».

وفي (اللسان..) كَرْدَسَ: «..ومنه قولُ عليٍّ - كرّم الله وَجْهَه - في صِفَة النّبيّ - ﷺ -: (ضَخْم الكَراديس)... أرادَ: ضخم الأعضاء.. والكَرْدَسَة: الوِثاق.. وَرَجُلٌ مُكَرْدَسٌ: شُدَّت يداه ورِجْلاه وصُرِعَ.. وَكَرْدَسَه إذا أَوْثَقَه وجَمَع كَراديسَه. وكَرْدَسَهُ إذا صَرَعَه. وفي حديث أبي سعيد الخدريّ عن النّبيّ - ﷺ - في صِفَة القِيامَة وجَوازِ النّاس على الصِّراط: (فمنهم مُسَلَّم ومَخدوش، ومنهم مُكَرْدَس في نار جَهَنّم)، وأراد بالمُكَرْدَس: المُوثَق المُلْقَى فيها.. وَرَجُلٌ

مُكَرْدَسٌ: مُلزّز الخَلْق..» وتَجِد مثل هذه الموادّ في (القاموس..) وشارحه في (تاج..) وفي (أساس..) للزّمخشريّ وغيرها من كُتُبِ اللغة..

ويرى أحمد رضا العامليّ في (ردّ العاميّ إلى الفصيح) أنّ (الكَرْدَسَة) العامّيّة أصْلُها من التّكديس الفَصِيح..

(الكَرْبَجَةُ) والكَرْبَشَة والعَكْبَشة

(الكَرْبَجَة) في عامّيّة سائقي المُحَرِّكات وَمُصلِحيها: أن يَتَوَقَّفَ المُحَرِّك عن الدَّوَران كَأنّه مَرْبوط على التَّوَقُّف.. ولَعَلَّهم أبْدَلوا بالشّين جيمًا لتسهيل النُّطْق.. وبعضَهُم يَلْفظها شينًا على أَصْلها: الكَرْبَشَة.

في (لسان العرب): ك ر ش كما في ع ك ب ش فيه: «كربش: الأزهريّ: العَكْبَشَةُ والكَرْبَشَةُ: أَخْذُ الشَّيْء وربْطُه؛ يُقال: عَكْبَشَهُ وَكَرْبَشَهُ إذا فَعَلَ به ذلك».

وفي (القاموس..) وشرحه في (تاج العروس).. «الكَرْبَشَةَ: أهمله الجوهريّ، ونقل الأزهريّ عن بعض بني قيس: هو أَخْذُ الشّيء وَرَبْطه كالكَعْبَشَةِ والعَكْبَشَة وقد كَرْبَشَه وكَعْبَشه إذا فعل به ذلك. وقال الصّاغانيّ: الكَرْبَشَةُ: مَشْيُ المُقَيَّد. قلت: والسّين فيه لغة كالكَرْدَسَة. وقال ابن عَبّاد: الكَرْبَشَةُ: الجَمْع بَيْن القَوائِم للوُثوب وَنَحْوه. وقد كَرْبَشَ. وهو مثل الكَرْدَسَة والتَّكَرْدُس.

والتَّكَرْبُشُ: التَّشَنُّج في الأَعْضاء وغَيْرِها، وكذلك التَّكَعْبُش».

ولم أَجِد لَدىٰ كُتّاب فصاح العامّيّة اهتمامًا بها أو (بالكَرْبُوج) وهو – في قول المُحْدَثين من العوامّ–: الخفيف اللطيف المُحَبَّب.. ولعلّهم شَبَّهُوه (بكرابيج حلب) وهي نوع من الحلويات التي تؤكل مُغمَّسَةً بالنّاطف وتُدعى في دمشق (تُوَيْتات) كأنّها تَصْغير من حَبّات التّوت، ولم أجدها ولم أجد (الكربوج) (والكرابيج) و(الكَرْباج) بمعنى: السَّوْط، وهذه الأخيرة فارسيّة كالكَرْبَج: الحانوت أو متاع حانوت البقال كما في (محيط المحيط) للبستانيّ، ولم أجدها في غيره...

كَرْكَرَ

في الشّام كما في مصر وغيرها، نقول كما يقول د.عبد المُنعم سيّد عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

«نقول في دارجتنا: كَرْكَرَت فُلانَة في ضحكها: أَغْرَبَت فيه، وكَرْكَرَت بَطْنُه: صَوَّتت صَوْتًا مُتَكَرِّرًا... وفي (القاموس..) كَرْكَرَ: ضَحِكَ ضِحْكًا شِبْه القَهْقَهة. والكَرْكَرَة: صَوْت يُرَدِّدُه الإنسانُ في جَوْفه..».

قلت: كذلك في (اللسان.. والتّاج..).

وفي (أساس البلاغة): «وباتت السّحابة تُكَرْكِرُها الجَنوب: تصرّفها. وعنده من الرِّجال والخَيْل كَراكِرُ. وقَرْقَرَ الضّاحك وَكَرْكَر».

قلت: وَكَرْكَرَ يُكَرْكِرُ كَرْكَرَةً وَكراكِرَ، في عامّيّتنا أيضًا مُبالغة كَرَّ يَكِرُّ كَرًّا.. كما هو معروف.

الكَرْمَشَة والتَّكَرْمُش

نقول في دمشق: تَكَرْمَش الثَّوْب أي تجعّد وتَقَبّض واحتاج إلى أنْ يُكْوَىٰ..

ولدى أحمد رضا: الكَرْفَشَة بالفاء: تَقَبُّض الأصابع من البَرْد. والكَرْنَشَة: بالنّون: التَّقبُّض من الإصابة بالنّار، والعامّة، في رواية رضا عن جبل عاملة، تقول الفِعْلين كَرْفَشَ وكَرْنش،

والأوّل يراه من الفصيح كَرْفَسَ أو من كَرَّش وكعّش. أمّا كرنَش فهو في الفصيح كرّش بمعنىٰ تقبَّض أو من كَرْمَشَ وتكَرْمَشَ.. فقلت: والعامّة في دمشق تقول: كَرْمَشَ وتَكَرْمَشَ بهذا المعنى بالميم كما تقول: كَرْبَشَ، بالباء والشّين، وهذه فصاح. أما كَرَّشَ فمعناه في دمشق: تضخّم بطنه كأنّه كِرْشٌ.

وفي (مُسْتَدْرَك تاج العروس..) يقول الزّبيديّ:

«وممّا يُستدرك عليه: الكَرْمَشة والتّكَرْمُش: التَّشَنُّج والتَّكَرْبُش، وقد أهمله الجوهريّ والجماعة وهي لغة عربيّة صحيحة».

وفي مصر الحديثة يقول د. عبد العال في (مُعجم الألفاظ العامِّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «.. نقول في دارجتنا: كَرْمَشَ الثوبُ، والجِلْدُ؛ تجمّع وتقبّض، والأصل فيها كَرّش.. وفق قاعدة المُخالَفَة.

وفي التَّكَرْمُش يقول الشّاعر (١١/٥٥ نهاية الأرب):

يا حبّذا القَسْطَلُ المُجَرَّدُ عن
قِشْرَيْه بعد الجَفاف في الشّيّ
كأنّه أوجُه الصّقالبة البِيْـ
ـض وفيها تَكَرْمُشُ الكيّ».

أمّا الكَرْبَشَة بالباء فهي بهذا المعنى، وانظر فيها مع العَكْبَشَة و(الكَرْبَجَة).

الكَشّ والكَشْكَشَة

(كَشّ الثّوبُ بعد الغسيل) تقاصر، في عامِّيّة الشّام ومصر وهذا المعنى لِلْكَشّ بالاسْتعمال والتّطوُّر عن معنى الكَشِّ والكَشِيْش الفصيح: صَوْت جِلْد الأفعى وما أشْبَهه إذا حكّ بعضه ببعض.. فكأنّه بهذا الاحتكاك يتقاصر إذ يكشّ.. أو يَقْصُر طُول الأفعى إذ يحتكّ بعضها ببَعْض. وكذلك قولهم: كَشْكَشَ الثّوبَ بالكَشاكِش: طوى بعضه على بعض للتّزْيين. وقد ذكر د. عبد العال هذين المَعْنَيَيْن.

أمّا (كَشّهُ): بمعنى: صَرَفَه وطَرَده فقد عالج أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) «كشّ في وجهه» لِتَخريج تطوُّره في الدّلالة والمَعنى.. ويُمكن أن يكونَ من الفارسيّة كما ذَكر صاحب التّاج عن «الكَشُّ في رُقْعَة الشّطرنج أصلها كُشْت»، أي: مات، ويمكن أن تكونَ كذلك في عَصْر الزّبيديّ أمّا في عصرنا (فقاموس الفارسيّة) ل د. عبد النّعيم محمّد حَسَنين؛ فيه: «كِش: اسْحَب، اصْطِلاح في لُعْبة الشّطرنج». فذكره أحمد رضا، ولكن كشَّ كشّاش الحمام؟ لم أجد مَنْ ذَكَرَها في (لسان العرب):

«كَشَش: كَشَّت الأفعى تكشّ كشًّا وكَشِيشًا وهو صَوْت جِلْدها إذا حَكَّت بعضَها ببعض.. وقد كَشَّت تَكِشّ، وكَشْكَشَت مثله، وفي الحديث: (كانت حيّة تَخْرُج من الكَعْبة لا يدنو منها أحدٌ إلّا كشّت وفتحت فاها). وتكاشّت الأفاعي: كَشَّ بعضُها في بعض، والحيّات كلّها تكشّ غير الأَسْوَد، فإنّه يَنْبَح ويَصْفر ويَصِيح؛ وأنشد:

كأنّ صَوْتَ شَخْبِها المَرْفَضِّ
كشيش أفعى أَجْمَعَتْ بَعَضِّ
فهي تَحُكُّ بَعْضَها بِبَعْض

[وفي (أساس البلاغة): كشيش أفعى أجمعت لِلْعَضّ].

أبو نصر: سمعت فَحِيحَ الأفعى وهو صوتها من فمها، وسمعت كشِيْشَها وَفَشِيْشَها وهو صَوْت جِلْدها... الأفعى تَكِشُّ وَتَفِشُّ... وكَشَّ الضَّبُّ والوَرَلُ والضِّفْدَعُ... والبِكْر يكِشُّ كشًّا

وكشيشًا وهو دُون الهَدْر؛ قال رُؤبة:

هَدَرْتُ هَدْرًا ليس بالكَشيش

. . .وكَشَّتِ البَقَرة: صاحت. وكَشِيْش الشّراب: صَوْت غَلَيانِه وكَشَّ الزَّنْدُ يَكِشُّ كَشًّا وكَشيشًا: سمعت له صَوْتًا خوّارًا عند خروج ناره. وكشّت الجَرَّة: غَلَت؛ قال:

يا حَشراتِ القاع من جُلاجِلِ
قد نَشَّ ما كَشَّ من المَراجِلِ

يقول: قد حان إدراك نبيذي وأنْ أتَصَيَّدَكنَّ فآكُلَكُنَّ على ما أشرب منه. والكَشْكَشة كالكَشِيْش. . .

. . .والكُشَّةُ: النّاصية أو الخُصْلة من الشّعر. وبَحْرٌ لا يُكَشْكِشُ أي لا يُنْزَحُ، والأعرف لا يَنْكَشُّ.

والكُشُّ: ما يُلقح به النّخلُ. وفي التّهذيب عن ابن الأعرابيّ: الكُشُّ: الحِرْقُ الذي يُلقَحُ به النّخل».

[تركت لغة الكشكشة بمعنى الإبدال بالكاف شينًا إلى فعل منفصل وحده]. وليس لدى ابن فارس إلّا الكشكشة فيمن يبدل في كلامه الكاف شينًا.

الكَشْكَشَة اللغويّة

إذا كنت سَمِعْت لهجة كثير من الرّيفيّين والبَدْو في شتّى البُلدان العربيّة، كما في لَهْجة حَوْران والجَوْلان في جنوبي محافظة دمشق مثلًا، وإذا كُنْت سَمِعْت الحِوار الذي غنّاه الفنّان فهد بلّان مع المرحومة سَحَر (آه يا غليبي) وهو يسألها:

قُولي ايشْ قَال لأُمِّشْ أبوشِ

أي: قولي أيّ شيء قال لأمِّك أبُوكِ.

وإذا كُنْتَ لاحَظْت كيف يَسْتَبْدِلون بالكاف شينًا، فاقرأ عن هذه اللهجة في كُتُب اللغة والمَعاجِم مثل (لسان العرب) و(تاج العروس. .) فقد كانت معروفة منذ أقدم عصور الفَصاحة في قبيلة ربيعة أو أسد. . وإلى أنْ قال البلّان أو كاتب الكلمات له:

لَارْشَبْ حَدَّشْ ياالموتور

أي: لأركب عندك يا مُحَرِّك الطّائرة. .

قال ابن منظور في (اللسان. .):

«. .والكَشْكَشة: لغة لرَبيعة، وفي الصِّحاح: لبني أسد، يجعلون الشّين مكان الكاف، وذلك في المُؤَنّث خاصّة، فيقولون عَلَيْش وَمِنْش وَبِش، ويُنشدون:

فَعَيْناش عيناها، وجِيدُش جِيْدُها
ولٰكنَّ عَظْم السّاقِ مِنْش رقيق

وأنشد أيضًا:

تَضْحك منّي أنْ رأتني أحترش
ولو حَرَشْتِ لَكَشَفْتُ عن حِرِش

ومنهم مَن يَزِيْد الشّين بعد الكاف فيقول: عَلَيْكِشْ وإلَيْكِشْ وَبِكِشْ وَمِنْكِشْ، وذلك في الوَقْت خاصّة، وإنّما هذا لِتَبِين كسرةُ الكاف فيؤكّد التّأنيث، وذلك لأنّ الكَسْرة الدّالّة على التّأنيث فيها تَخْفَىٰ في الوقف، فاحتاطوا لِلْبيان بأن أبدلوها شينًا، فإذا وصلوا حذفوا لِبَيان الحَرَكة، ومنهم مَنْ يُجْري الوَصْل مَجرى الوَقْف فيبدل فيه أيضًا، وأنشدوا للمَجْنون:

فَعَيْناش عيناها وجِيدُش جِيْدُها

قال ابن سِيْده: قال ابن جِنّيّ وقرأت على أبي بكر. . لبعضهم:

علي فيما أَبْتَغي أَبْغيشِ
بَيْضاء تُرْضيني ولا تُرْضيشِ
وَتَطَّبي وُدَّبَني أَبِيشِ
إذا دَنَوْتِ جَعَلَتْ تُنْئِيْشِ

وإنْ نَـأَيْـتِ جعـلـت تُـدْنِـيـشِ
وإنْ تَـكَـلَّـمْـتِ حَـثَـتْ فـي فـيـشِ
حـتّـى تَـنِـقّـي كـنـقـيـق الـدِّيـشِ

أَبْدَلَ من كاف المُؤنّث شينًا في كلّ ذلك وشبّه كاف الدّيك لكسرتِها بكاف المؤنَّث، وربّما زادُوا على الكاف في الوقت شِينًا حِرْصًا على البَيان أيضًا. وفي حديث معاوية: (تَيَاسَرُوا عن كَشْكَشَة تميم) أي إبدالهم الشّين من كاف الخِطاب مع المؤنّث فيقولون: أبوشِ وأُمُّشِ، وزادُوا على الكاف شِينًا في الوَقْف فقالُوا: مَرَرْت بِكِشْ، كما تفعل تميم».

وأزيد من (القاموس.. والتّاج..):

«ولا تقول: عَلَيْكَش بالنّصب؛ وقد حُكِيَ كذا كَشْ بالنّصب: ونادَت أَعْرابِيَّةٌ جارِيَةً: تَعالَيْ إلى مَوْلاشِ يُناديشِ..».

ويَذْكُر الزّبيديّ أنّ الفيروزاباديّ أَوْرَد هذه اللغة في د ي ش (لغة في الدّيك..) وصدّر بها في التّرجمة.

قلت: وفي مصر يَزيدون الشّين في حالة النّفْي فيقولون: (هونَجح؟ لا.. ما نَجَحْش؟)

الكِشْك

الكِشْك والكِشْكَة من الأَطْعِمَة المَعْرُوفة في بلادنا، واسْمه وارد في المُعْجم التُّراثيّ (كاللسان.. والقاموس..) ولٰكنّه كان بسيطًا بَسَاطة عَناصِر الحياة القديمة، فهو ماء الشَّعير عند القُدماء، أما عِنْدنا فهو جَرِيْش القَمْح باللَّبَن المُتَخَمِّر يُؤْكَل طريًّا مع الْجوْز والزَّيْت والزَّيْتون، أو يُجفَّف ويُطْحَن مع اللحم، ويُثْرَد ثَريدًا كالحَسَاء.. وفي مِصْر أيضًا ومُنْذُ عُصور الفَيّوميّ ثمّ الزّبيديّ صار الكَشْك من الحِنْطة واللّبَن المُخَمّر.

ويُصْنَع الكَشْك المَطْبوخ كما يقول د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (مُعجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «... ويُطْبَخ عند اللزوم، وفي القاموس: الكُشْك ماء الشّعير... وهو مَجاز عَلاقَتُه الْجُزْئِيّة». وفي لبنان فصّل القول أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلحات والتّعابير الشّعبيّة)، في الطريقة المُعَقَّدة لِصُنْع طعام الكِشْك في ص ١٣٦. ثمّ تحدّث أيضًا عن كِشْك الفُقَرا في ص ١٥٤ فقلت: في دمشق تُسَمّيه مَحلّات بَيْعِهِ باسْمِ كِشْك الأُمَراء، وكان النّاس يسمّونه كشك الفقراء..

وفي (لسان العرب..): «ك ش ك: الكَشْكُ: ماء الشّعير».

هذا كلّ ما كتبه ابن منظور في مادّة الْجَذْر ك ش ك، وهو بِفَتْح الكاف كما في (القاموس المُحيط) وليس بِكَسْرها.

وفي (المصباح المُنير..) للفيّوميّ: «... يُعْمَلُ من الحِنْطة وربّما عُمِل من الشّعير».

وفي (تاج العروس..)؛ «..وقال المُطَرِّزي: هو فارسيّ مُعَرَّب، وقد أوسع فيه الأطبّاء. قال شيخنا: وفي كلام المُصَنّف مُخالَفَة لهم. قلت: وقولهم: إنّه يُعْمَل من الحِنْطة؛ أيْ: واللبن وينشّف ويرفع. يطبخونه مع اللحم، وولعت العامّة بِكَسْر الكاف. وقالوا فيه:

الـكـشْـكُ شَـيْءٌ خَـبِـيْـثٌ
مُـحَـرِّكٌ لِـلـسَّـواكِـنْ
الأَصْـــلُ درٌّ وَبُـــرٌّ
نِـعْـمَ الـجُـدودُ وَلٰـكِـنْ

وقول المُصَنّف كغيره؛ ماء الشّعير: إطلاق آخر. فَتَأَمّل».

ولم أجدها في (قاموس الفارسيّة).

وذكره محمّد العدنانيّ في (معجم الأغلاط اللغويّة المعاصرة) «بفتح الكاف: السميذ يعجن باللبن ويُتْرَك حتّى يَحْمُض ثمّ يُجَفَّف، ويُفَتّ ويُعمل منه طعام مائع. وقال بفتح الكاف المُطَرَّزي، و(اللسان.. والمصباح..، والقاموس والتّاج..، وأقرب الموارد..، والمتن..، وعشرات اللّسان).

وأجاز (..الوسيط) كَسْر الكاف الأولى وفتحها.. ولكنّ (التّاج.. والمتن..)..، قالا إنّ الكَسْر من أقوال العامّة.

وقال (محيط المحيط): إنّ الكشك هو ماء الشّعير، والكِشك - بكسرها - هو التّعريف المذكور في صدر هذه المادّة.

ومنهم مَن قال إنّ الكَشْك ماء الشّعير والسّميذ كلاهما؛ (التّاج.. والمتن..) ومنهم من نقل عن المطرَّزي أنّ الكَشك فارسيّ معرّب: (التّاج.. والمصباح.. والوسيط.. والمتن..)»...

الكَشْكُ والكَعْك والكَيْكُ

كلّ من الكَشْك والكعك والكَيْك من فصيح العبارات العامّيّة في أسماء الأغذية أمّا الكَعْك في الشّام و(الكَحْك) في مِصر فهو كالخبز ولكنّه مخبوز أكثر ومُجَفَّف ويابس أكثر من الخُبز حتّىٰ يغدو أبْقَىٰ من الخبز زَمَنًا، ويَظَلّ مقبولًا للأكل بَعْدَ الاحْتفاظ به مدّة أطوَل.. وقد يُحَسَّنُ طَعْمه بِوَضْع بعض الأَدْسام من سَمْن أو حليب مع السّكَّرِ في عجينة، ويُوضع له حَبّ السّمسم أو اليانسون أو الحبّة السّوداء (حبّة البَرَكة) أو المَحْلَب أو ما أشبه ذلك لِفَتْح الشّاهية وقد وَرَد في (لسان العرب):

«ك ع ك: الكعك: الخُبْز اليابس، وقيل: الكَعْك خبز، فارسيّ مُعَرَّب»، قال الليث: أظنّه مُعَرَّبًا؛ وأنشد:

يا حبّذا الكَعْك بلحم مَثْرودْ
وخُشْكُنانٌ بسَوِيقٍ مقنود

وفي (تاج العروس..): «...مع سَوِيْق مقنود والكَعْكِيّ من يَصْنع ذلك؛ ويُطْلَق الآن الكَعْك على ما يُصْنع من الخُبز كالحلقة أجوف، وأَجْوَدُه ما جُلِبَ من الشّأم. وَيُتَهادىٰ به. وسُوق الكَعْكِيّين مشهور بمصر».

ولم أجدها في (قاموس الفارسيّة).

كَعْبُهُ مُدَوَّر

من: «(شِفاءِ الغَليل فيما في كلامِ العَرَب من الدَّخِيْل): لـ: شِهاب الدّين أحمد الخَفاجِيّ المِصْرِيّ سنة ٩٧٧ - ١٠٦٩هـ تصحيح ومُرَاجَعة محمّد عبد المُنْعم خَفاجي، الطَّبْعَةُ الأُولى في المَطْبَعَةِ المُنيريّة بالأَزْهر ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م - القاهرة - ص ٢٢٧ - ٢٢٨».

«كعبُه مُدَوَّر: يُقالُ لِمَنْ يُتَشَاءَم به، وهذا أيضًا من اسْتِعْمالات المُوَلَّدِيْن قال يوسُف بن الزّين البَغْداديّ:

مُـدَوَّرُ الـكَـعْـبِ فـاتَّـخِـذْهُ
لِـتَـلِّ غَـرْسٍ وَثَـلِّ عَـرْشِ
لَـوْ نَـظَـرَتْ عَـيْـنُـه الـثُّـرَيّـا
أَخْـرَجَـهـا فـي بَـنـاتِ نَـعْـشِ

وتَظَرَّفَ الآخرَ في قَوْله:

أَقُـولُ لِـلْـكَـأْسِ حِـيْـنَ دارَتْ
بِـكَـفّ أَحْـوَىٰ أَغَـنّ أَحْـوَرْ
أَخْـرَبْـتُ دارِي ودارَ غَـيْـرِي
وَأَصْـلُ ذا كَـعْـبـك الـمُـدَوَّرْ»

كَعْبُهُ مُبَارَك

«المصدر السّابق نفسُه ص ٢٢٩»

«كَعْبُهُ مُبارَك: يُقالُ لِمَنْ يُتَيَمَّن به، كما يُقال لِضِدِّه: كَعْبُهُ مُدَوَّرٌ - وأجادَ مُحْيِي الدّين بن عبد الظّاهر في قَوْله:

لَقَدْ قالَ كَعْبٌ في النَّبِيِّ قَصِيدَةً
وَقُلْنا عَسَىٰ في مَدْحِهِ نَتَشارَكُ
فإنْ شَمَلَتْنا بالجَوائِزِ رَحْمَةٌ
كَرَحْمَةِ كَعْب فَهْوَ كَعْبٌ مُبارَكُ»

قُلْتُ: وَلِهٰذِهِ الكِنايَةِ المَجازِيَّةِ ما يُظَنّ أَنَّه شَبَهُ أَصْلٍ منه، أو شَبَهٌ مُتَطَوِّرٌ من تَطَوُّرِهِ ففي (أساس البلاغة): «وَأَعْلَى اللهُ كَعْبَهُ. وذَهَبَ كَعْبُ القَوْمِ، إذا ذَهَبَ جَدُّهُم وشَرَفُهُمْ».

الكَمْخ

(الكَمْخُ) في عامّيّتنا بمعنى الوَسَخ اللّاصِق بِوعاءٍ أو نحوه.. وتَطَوُّر معنى العِبَارة غيرُ بعيد عن الأصل المُعْجَمِيّ الفصيح..

وفي (لسان العرب):

«..والكَمْخُ: السَّلْح. وكَمَخَ البَعِيرُ بِسَلْحِهِ يَكْمَخُ كَمْخًا إذا أَخْرَجَهُ رقيقًا.

والكامخُ نَوْع من الأُدْم مُعَرَّب؛ وَقُرِّبَ إلى أعرابيّ خُبْزٌ وكامخٌ فلم يَعْرِفْه فقال: ما هذا؟ فَقِيْل: وكامخٌ، فقال: قد علمت أنّه كامخٌ ولٰكِنْ أيُّكمْ كَمَخ به؟ يُريد: سَلَحَ به».

وَقَبْلَهُ: «أَقْمَخ بأَنْفِه إقماخًا وأَكْمَخ إكماخًا: إذا شَمَخَ بأَنْفِه وتكبّر. وكَمَخه باللِّجام: قدَعَهُ [أي: كَبَحَهُ].. أكْمَخَ الكَرْمُ: بَدَت زَمَعاتُه وذلك حِيْن يَتَحرّك لِلْإيْراق. ومَلِك كَيْمَخٌ: رَفَعَ رَأْسه تَكَبُّرًا».

وفي (ردّ العامّيّ..) «كَلَّخَ عليه الوَسَخُ وتَكَلَّخَ بمعنى الْتَبَدَ وَلَزِقَ، وفي اللغة كَلَعَ الوَسَخُ..».

الكُنْدُرَة

هل نَقَلَ العَوَامّ في الشّام اسم ما غَلُظ من الأرض وارْتَفَع، إلى اسْمِ الحِذاء الذي يحتاجُون إليه في مِثْل هذه الأرض؛ وهو الكُنْدُرَة؟!.

إذا لم تكنِ العبارةُ عندهم من لغةٍ أُخرى كما يَقُول نخلة..

وفي (القاموس المُحيط): الكَنْدَرَة، بِفَتْح الكافِ والدّال، ولٰكِنْ «الكُنْدُر: - بالضَّمِّ - ضَرْبٌ من العِلْك نافِعٌ لِقَطْع البَلْغَم جدًّا، والرَّجُلُ الغليظ القَصِيْر، والحِمَارُ العظيم... والكَنْدَرَةُ: ما غَلُظَ من الأَرْض وارْتَفَع، وَمَجْثِمُ البازِيّ وبِلاهَاءٍ [الكَنْدَر]: ضَرْب من حِسابِ الرُّوم في النُّجوم».

وفي (اللسان...): «والكُنْدُر: اللُّبانُ، وفي (المُحْكَم...): ضَرْب من العِلْكِ الواحدة كُنْدُرَة. والكُنْدُرَةُ مِن الأَرْضِ: ما غَلُظَ وارْتَفَعَ...».

وفي (أساس البلاغة):

«... وَوَقَعَ البَازِيُّ على كُنْدُرَته، وهو مَجْثَم مُهَيَّأ له من خَشَبٍ أو غيره».

قلت: أفي كُنْدُرَة البازيِّ التَّشْبيه أم العَكْس؟

في (مُحيط المُحيط) لبطرس البستانيّ:

«الكَنْدَرَة: ما غَلُظ من الأرض وارْتَفَع ومَجْثَم البازِيّ». وهي في: (... الوسيط) بِضَمّ الكاف والدّال كما في (اللسان...) و(أساس البلاغة)، ولٰكِنْ رأيتُها في (القاموس...) بالفَتْح...

والكُنْدُرة (لِضَرْبٍ من الأَحْذِيَةِ الإفرنجيّة) لَيْسَتْ من كلامِ العَرَب. وفي (قاموس المُصْطَلَحات والتَّعابِيْر الشَّعْبِيّة) يقول أحمد أبو سعد: تركيّة من أصْلٍ يونانيّ ومَعْناها عندهم حِذاء (نخلة:

غرائب اللهجة اللبنانيّة السّوريّة. بيروت سنة ١٩٦٢. ص ١٧١) أطْلَقُوها قديمًا على حِذَاء الرِّجال، ولكنّ العامّة في زماننا يُطْلِقُونها على الحِذَاء النّسائيّ. ج: كنادر.

قُلْتُ: وَعَادُوا فأطلقوها اليوم على حِذَاءِ الرَّجُل أيضًا حين يكون بِغَيْرِ شَريطٍ (شَوّاطَة) عِنْد مُقَدَّم مشْطِ القَدَم، وخصُّوا ذا الشَّرِيْط باسْمِ: الصّباط فراجِعْه في: س ب ت.

الكَنْفَشَة

الكَنْفَشَة من العبارات العامّيّة الفصيحة ممّا أضاع بعض العَوَامّ في الشّام معناه الأصليّ بِدِقّة، فاسْتَعملُوا العبارة على اخْتِلافٍ واضْطِرابٍ من المَقصد والدّلالة وقد تدور هذه الدّلالة حَوْل معنى النَّفْج أو النَّفْش على أنّه نَوْعٌ من التَّظاهُر بالتَّفاخُر، ولكنّ نَقِيْضَ النَّفْش قد يكون عند بعضهم صفة للنّسيج الصُّوفيّ حين يَتَقاصَر و(يَكِشُّ) بالغسيل ويَتَلبّد فهو مُكَنْفش أيضًا.

وعلى الرّغم من بقاء هذه العبارة من المعجم القديم على ألسنة العَوَامّ فقد أهملها عَدَدٌ من المَعاجم الحديثة مثل (المُنْجد) و(المعجم المدرسيّ).

وفي (مُحيط المُحيط) ذكرها البُستانيّ في: ك ن ف ج: «الكُنافِج: الكثير من كلّ شَيْء، والسَّمِين المُمْتَلِئ، والمُكْتَنِز من السَّنابل. وربّما كانت كَنافِش الصَّنَوْبر عند بعض العامّة مأخوذة من هذا».

و(المعجم الوسيط) تَخَيَّر من معانيها ما يُباعِدُها عن العامّيّ المَعْهود بَيْننا: «كَنْفش: جَلَسَ في بَيْته أيّام الفِتَنِ. و-: ورم أصل لَحْيه». والمعنى الأوّل مِنْهُما لم يَرِدْ في (اللسان...) وإنّما هو ممّا اسْتَدْرَكه الزّبيديّ في مُسْتَدْرَك التّاج...

وفي (لسان العرب):

«كنفش: الكَنْفَشة: أنْ يُدِيرَ العِمامةَ على رَأْسه عشرين كَوْرًا. والكَنْفَشَة: السِّلْعة تكون في لَحْي البَعير وهي النَّوْطَة.

ابن سِيْده: الكَنْفَش وَرَمٌ في أَصْلِ اللَّحْيِ ويُسَمّى الخازِباز:

ابن الأعرابيّ: الكَنْفَشَة: الرَّوَغانُ في الحَرْب».

ويُضيف الزّبيديّ في مُسْتَدْرَك (تاج العروس...) عن ابن الأعرابيّ... «وأيضًا: الكَنْفَشَة: الجُلُوس في البَيْت أيّام الفِتَن، وأنشد:

لـمّـا رأيـتُ فِـتْـنَـةً فـيـهـا عـشـا
والكُفرُ في أهل العراق قد فَشا
كُنْتُ امرأً كَنْفَشَ فيمن كَنْفَشا

وقال ابن عبّاد: رَجُل كنافش اللِّحية أي عَظِيْمُها. وقال غيره: رَجُل كِنْفش، بالكَسْر؛ أي: عظيم اللِّحية، ورَجُل مُكَنْفش اللِّحية، هكذا أورده صاحب اللسان والصّاغانيّ، وأغفله المُصنّف - رحمه الله - قصورًا».

وكان الزّبيديّ قد بدأ ذِكْر الكَنْفَشَة في مُسْتَدْرَكه بقوله: «أهمله الْجَوْهريّ والمُصَنِّف وقاله ابنُ الأعرابيّ: هو أنْ يديرَ العمامة على رأسه عشرين كَوْرًا... الخ».

وفي (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) لأحمد رضا العامليّ:

«وقالوا كَنْفَشَ فلان، وعمله الكَنْفشة إذا تَعاظَم من غير عِظَمٍ، وتَكَبَّر في غَيْرِ طائل. وقالوا أيضًا: كَنْفَشَ شعرَه إذا نَفَشَه.

وأصْله من نَفَشَ الصُّوفَ ونحوه إذا شَقَّقه وفَرَّقه بأصابعه حتّى يَنْتَشِر.

وجاء في كلام أئمّة اللغة: فُلان كنافش اللِّحية = كَثُّها طويلها، وهو مُقَنْفِش لحيته وقنفاش اللحية، وهو عَنْفَش اللحية وعُنافِشُها وعنفاشها ومُعَنفشها. وجاء أيضًا: الكنافج: السّمين المُمْتلئ من السّنابل والغليظ النّاعم واسْتُعِير للتّعاظُم». ا. هـ. رضا.

تكُنُّ الكَنَّةُ في الكِنّ

يُسْتَعْمَلُ في العامّيّات الفِعْل كَنَّ يكنّ ومُشْتَقّاتُه من الكِنّ إلى الكنّة فِصاحَ اللَّفْظ والمَعْنَى:

وكِنّ الإنسان دارُه التي يَتَسَتَّرُ فيها...

والكَنّة امرأةُ الابن فصيحةٌ ولٰكنّ العَوَامّ قد يَتَجَاوَزُون إلى اشْتِقاق الفِعْل كَنَنَ منها حين يقولُون مثلًا: (كَنَّنَتْ فلانةٌ، أي زَوَّجَتْ وَلَدَها أو أَوْلادَها فصارَتْ لها كَنَّة أو كَنائِن. أمّا (كَنْكَنَ فلانٌ في بَيْتِه فهو مُكَنْكِنٌ هَرَبًا من المُشْكِلاتِ) فهذا من فصيح العَوَامّ أيضًا كَقَوْلِهِمْ فلانٌ يَكنّ عن الأمْر): يَسْتُرُه ويَصُونُه.

كما يُشَبَّه الثُّقَلاءُ عِنْدهم بالكَوانِيْن، وفي أمثالِهِمْ: (في كانون كَنْكِنْ وكُنْ في البَيْتِ وكَثِّرْ منَ الدِّفْءِ والزَّيْت).

في (مقاييس اللغة):

«الكاف والنُّون أصْلٌ واحدٌ يَدُلّ على سَتْرٍ أو صَوْنٍ. يُقال: كنَنْتُ الشَّيء في كِنّة، إذا جَعَلْتَه فيه وصُنْتَهُ وأكْنَنْتُ الشَّيء: أَخْفَيْتُه؛... ومن البابِ الكُنَّة، الجَناح يُخْرِجُه الرَّجُل من حائِطِه، وهو كالسُّتْرة. وفي الباب: الكانُون لأنّه يَسْتُرُ ما تَحْتَهُ [ذُكِرَ ش هـ ر، مع شهر كانون]... فأمّا الكَنَّة فَشَاذّة عن هذا الأصْلِ، ويُقال: إنّها امرأة الابن. قال:

إنَّ لَنا لَكَنَّة
سِمْعَنَّةً نِظْرَنَّة».

وفي (اللسان) س م ع: أي: جيّدة: السّمع والنّظر. وامرأة سُمْعُنّة وسِمْعَنَة وَسِمْعَنَّة: قال: أو التي تَسَمَّعت أو بَصَّرت فلم تَرَ شيئًا تَظنّه تَظَنِّيًا أي عملتَ بالظّنّ.

وفي (القاموس... واللسان والتّاج...):

«الكِنّ - بالكَسْر - وِقاءُ كلّ شَيْء وسِتْرُهُ كالكِنَّةِ والكِنان بكسرهما والبيتُ، وجَمْعُه أكنان وأَكِنَّة. وفي حديث الاستسقاء: (... فلمّا رأى سُرْعَتَهُم إلى الكِنِّ ضَحِك)؛ الكِنُّ: ما يَرُدُّ الحَرَّ والبَرْدَ من الأَبْنِيَة والمَساكِن... وكلّ شيءٍ وَقَىٰ شَيْئًا فهو كِنُّهُ وكِنانه وتَكَنَّىٰ: لزم الكِنّ. قال تعالىٰ: ﴿وجعل لكم من الجبال أكنانا﴾ السّورة ١٦ النّحل الآية ٨١.

وكَنَّهُ كنًّا وكُنونًا وأَكَنَّهُ وكَنَّنَه: سَتَرَهُ واستكنّ اسْتَتَر كَاكْتَن. قال تعالىٰ: ﴿كأنّهنّ بَيْضٌ مَكْنون﴾ السّورة ٣٧ الصافّات / الآية ٤٩. أي مستور من الشّمس وغيرها والكُنَّةُ - بالضّمّ - جَناح يَخْرُج من حائط أو سقيفة فوق باب الدّار أو ظُلَّةٌ هنالك أو مُخَدع أو رفٌّ في البيت. والسِدَّة والصُّفَةُ انظر في ص ف ف: والجَمْع كِنان وكُنّات... والكَنَّة: - بالفَتْح - امرَأة الابن أو الأخ (ج) كَنائِن... وكَنْكَنَ: هَرَب وكَسِلَ وقَعَدَ في البيت.

والأَكِنَّة: الأغطية، قال تعالى: ﴿وجَعلنا على قلوبهم أَكِنَّة﴾ السّورة السادسة الأنعام / الآية ٢٥.

واكْتَنَّت المرأةُ: غَطَّت وَجْهَها وَسَتَرَتْه حَياءً من النّاس.

والكنينة امرأة الرّجل والجَمْع كنائن ومنه قول الزِّبْرِقان بن بَدْر: أبغض كَنائني إلَيَّ الطُّلَعَة الخُبَأة. والمُسْتَكِنَّة: الحِقْد، قال زُهَيْر:

وَكانَ طَوَىٰ كَشْحًا علَىٰ مُسْتَكِنَّةٍ
فَلا هُوَ أَبْداها وَلَمْ يَتَجمْجَمِ

ومن المَجاز: الكانون: الرَّجُل الثَّقِيل الوَخِم؛ وَأَنْشَدَ لِلْحُطَيْئَة:

أَغِـربـالًا إذا اسْـتُـودِعْـتِ سِـرًّا
وكـانُـونًـا عـلـى الـمُـتَـحَـدِّثـيـنـا؟

وقال أبو عَمْرو: الكَوانِين: الثُّقَلاء من النّاس. وقال ابنُ بَرّيّ: وقيل: الكانون: الذي يجلس حتّى يَتحصَّى الأخبار والأحاديث لِيَنْقُلَها؛ قال أبو دَهْبَل:

وَقَدْ قَطَعَ الواشُونَ بَيْنِي وَبَيْنَها
وَنَحْنُ إِلَى أَنْ يُوْصَلَ الحَبْلُ أَحْوَجُ
فَلَيْتَ كَوَانِيْنًا مِن أَهْلي وَأَهْلِها
بِأَجْمَعِهِمْ في لُجَّةِ البَحْرِ لَجَّجُوا».

وفي (محيط المحيط) «والعامّة تقول: كنّ الرّيحُ وغيره كُنونًا: سَكَن». وأمّا (الكانونة) التي ذكرها الفنّان دُرَيْد لحّام في أغنية (فطّومة):

(بُـكْـرَة لـمّـا يـجـي الـبـرد
مـالِـك غـيـري كـانـونـة)

فهي الكانون في لُغَة المُعْجَم كما في (أساس البلاغة).

«وقَعَدَ على الكانون وهو المُصْطَلِىٰ. و(أثقل من الكانون) وهو كانون الشِّتاء وهو أشدّه بَرْدًا؛ . . . وتقول: أحسن من الكانون في الكانون». ومعروف أنّ (كانون) في الإنكليزيّة بمعنى مدفع والكانون المُصْطَلَىٰ في عامّيّة مصر الدّارجة أيضًا وذكرها د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامِّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) واسْتَشْهَدَ بِبَيْت عَبْدِ الرَّحْمَن بن حَسّان بن ثابِت:

تَـجْـعَـلُ الـنَّـدَّ والأُلُـوَّةَ والـعُـو
دَ صِـلاءً لـهـا عـلـى الـكـانُـون.

وانظر ما كتب عن شهر كانون في: ش ه ر: (الشهر و. . . .)

كَوَّث و(كوّش)

أيكون: كوّث أصل: كاشَ يكُوش وكَوّش؟

لا يأخذ عليّ الإبدالُ طرائقي إلى تخريج الفِصاح من العامّيّة دومًا. . . ولٰكنّي أرىٰ أحيانًا في بَعْض مُصادَفات الكَشْف والتَّنْقيب في المُعْجم ما يَدْفَعُني إلى مَظِنّة الإبدال فقد قَرَأْت في ك و ث في (لسان العرب): «. . . النَّضْرُ: كَوَّثَ الزَّرْعُ تكويثًا إذا صار أربع وَرَقاتٍ، وخَمْس وَرَقاتٍ. وهو الكَوْثُ. وقال أبو منصور: وكأنّ المقطوع الذي يُلْبَسُ الرِّجْلَ، سُمّي كَوْثًا، تشبيهًا بكَوْث الزّرع، ويُقال له: القَفْشُ، وكأنّه مُعَرَّب. . .». قلت فتشبيه أبي منصور الأزهريّ الذي نَقَلَه ابن منظور يُوحي إليّ بأنّ تشبيه العامّة مَنْ يَجْمَع بأصابعه الحاجةَ، أو الغَرضَ لِيَسْتَوْلي عليه، وكأنّ أصابِعَه صارَتْ كما صار الزَّرْعُ وقد كَوَّثَ تكويثًا فَنَبَتَ له أرْبعٌ أو خمس وَرَقات؛ فقالُوا: كَوَّشَ على الحاجات والأغراض؛ ودَفَعَهم تَجَنُّبُ لفظ الثّاء اللِّثَوِيّة، كما اعْتادَ أهْلُنا في الشّام على عَدَم لَفْظِ الأحرُفِ اللِّثَوِيّة إلى أن يَسْتَبْدِلُوا بها شِيْنًا، في تشبيه وَضْع الأصابع الخَمْس على حاجَةٍ ما، أو حاجاتٍ يَبْتَغِيْها واضعُ الْيَد عليها لِنَفْسِه وَحْدَهُ دون غَيْرِه من الذين يقولون عنه: كَوَّشَ عليها!

وما يَدْفَعُني إلى هذا التَّخْريج، على الرّغم من وُجود: كوّش، بالشّين في الفصيح أنّ الكَوْش في المُعْجَم التُّراثيّ بعيد الدّلالة عن العامّيّة، ففي (لسان العرب): «الكَوْش: رأس الفَيْشَلَة. وكاشَ جارِيَتَه أو المرأة يَكوشُها كَوْشًا: نكحها، وكذلك الحِمار. وفي التّهذيب: . . . مَسَحَها و. . . الفَحْلُ طَروقَته. . . : طرقها.

ابن الأعرابيّ: كاشَ يكوشُ كَوْشًا إذا فَزِع فَزَعًا شديدًا. . .».

وكذلك في (القاموس... والتّاج...) وفي (محيط المحيط) لبطرس البستانيّ: «كاشَ عنه يكوش كَوْشًا: فَزِع. وجاريتَه: جامَعَها. وبعض العامّة يقول: كاشَ على الدُّنيا: اشْتَدّ ولُوعُه بها وانْهماكُه فيها. والاسْم الكَوْشَة».

وفي (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل): لأرسلان: ص ١٩١.

«ويقولون: (كاج) بمعنى: تَعِبَ كثيرًا لِجَمْع حُطام الدّنيا، ويَلْفُظُونها أحيانًا (كاشَ)... فتكونُ تحريفَ (كاز) لأنّ العامّة تُبدل في كثير من المواضع الزّاي جِيْمًا والْجِيْم زايًا فتقول للزّوج أحيانًا (زوز) وللزّيز (جِيْز) وفي بَعْض البلاد يقولُون لِشَجر الجَوْز (زوز)... وكازَ الشّيءَ جَمَعَه».

قُلْتُ: وعجائز دمشق كانُوا يُبْدِلُون بالجيم زايًا أحيانًا...

ونَرْجِع إلى: كَوَّش فَنَجِدُ في مصر د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

«نقول في دارِجَتِنا: كَوَّش فلان على كذا: أخَذَه لنفسه واسْتَأْثَرَ بِهِ. والأصل فيها: قَشَّشَ وأُبْدِلَتِ القافُ كافًا وفُكَّ الإدغام في الشّين المُضَعَّفَة وأُبْدِلَتْ واوًا مُضعَّفة وِفْق قاعدة المُخالَفة...».

قُلْت: وانْظُر في كَلَش أنّ احتمال أصلها بالثّاء: كلث.... فَمِن المُمْكِن أنْ يكونَ أَصْلُ الشِّين الأخيرة ثاء فَتَغَيَّرت: كَوَّث بالإبدال إلى كوّش...

كَوَّم الأَكْوام

الكُوم: مِمّا حافَظَت عامّيّتنا الدّارِجَة على فَصاحَته لَفْظًا ومَعْنًى، وأَخَذَتْ من الفصيح الفعل كَوَّم؛ المُضَعّف العَيْن. ويرى أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«فالكُومة فَصيحَة صَحيحَة إذا ضُمَّت الكاف. وأمّا كَوْمَة الرّجال فهي من كَومة التُّراب من حيث اجْتِماعهم (مَجازًا)، أو من الجَوْم وهم الرِّعاء: أَمْرُهُم وَمَجْلِسُهم وكَلامُهُم واحِد. فقيل أوّلًا: جَوْمَة ثمّ كَوْمة».

قلت: ولٰكنْ للبُستانيّ في (محيط المحيط): «الكُومة والكَوْمة: القطعة من التُّراب وغيره»... ولِمَجْمَع القاهرة في (... الوسيط) كما في (مَتْن اللغة) معجم أحمد رضا العامليّ:

«كَوِمَ الشّيءُ يُكْوَمُ كَوَمًا: عَظُمَ. وغَلَبَ اسْتِعْمَالُه في سَنام البَعير.

كَوَّمَ الشّيءَ: جَمَعَه وَأَلْقَىٰ بَعْضَه على بَعْض.

الكَوْمُ: كلّ ما اجْتَمع وما ارْتَفَع له رَأْسٌ من تراب أو رَمْلٍ أو حِجارَة أو قَمْحٍ أو نَحْو ذلك. والكَوْمُ: المَوْضِع المُشْرِف كالتَّلِّ. (ج) أَكْوَامٌ وكِيمانٌ.

الكُوْمَةُ: الكَوْم. (ج) كُوَم.

الكَوْمَةُ: الكَوْم».

وفي (مقاييس اللغة): «الكاف والواو والميم أصل صحيح يَدُلُّ على تَجمُّع في شيء، مع ارْتِفاع فيه... والكَوْمَة: الصُّبْرَة مِن الطَّعام وغيره...».

وفي (أساس البلاغة): «وعنده كَوْمَة من الطَّعام وغيره وكُوَمٌ: صُبَرٌ. وَكَوَّمَ كَوْمَةً من تُراب».

وأَتَخَيَّرُ من (لسان العرب): «الكَوَمُ: العِظَم في كلّ شيء... وبعير أَكْوَمُ، والجَمْع كُوم؛ قال الشّاعر:

رِقابٌ كالمَواجِنِ خاظِياتٌ
وَأَسْتاهٌ على الأَكْوارِ كُومُ

... وناقة كَوْماء... ومنه الحديث: (... فيأتي منه بناقَتَيْن كَوْماوَيْن...)... وجَبَل أَكْوَم... ومنه الحديث: (... أنّ قومًا من المُوَحّدين يُحْبَسُون يوم القيامة على الكَوْم إلى أنْ يُهَذَّبوا). هي بالفتح: المواضع المُشْرِفة، وَاحِدَتُها كَوْمة... وفي حديث عليّ - كرّم الله وجهه -: (أنّه أُتِيَ بالمال فَكَوَّمَ كَوْمَةً من ذهب وكَوْمة من فِضَّة وقال: يا حَمْراءُ احْمَرّيْ ويا بَيْضاء ابْيَضّيْ، غُرِّي غَيْري!

هـذا جَـنـاي وخِـيـارُه فـيـه
إذْ كـلّ جـانٍ يَـدُه إلـى فـيـه).

وبعضُهم يضُمُّ الكاف، وقيل: هو بالضَّمِّ اسم لما كُوِّمَ، وبالفتح اسم الفَعْلَة الواحدة.

وأصل الكَوْم من الارتفاع والعُلُوّ... يقال: كامَ كَوْمًا؛ قال إياس بن الأرتّ:

كَـأَنَّ مَـرْعَـى أُمِّـكُـم إذ غَـدَتْ
عَـقْـرَبَـة يَـكُـومُـهـا عُـقْـربـان

يكومها: يَنْكِحها.

وَكَوَّمَ الشّيءَ: جَمَعَهُ وَرَفَعَهُ. وكَوَّم المَتاعَ: أَلْقَىٰ بَعْضَه فوق بعض... وقد كَوَّمَ الرَّجُل ثِيابه: ألقىٰ بَعْضَها فوق بعض...».

كِيْت وكِيت

في عامّيّة الشّام ومصر وغيرهما تُسْتَعْمل هذه الكِناياتُ الفصيحة جاءَ فُلان وعلّان وقالُوا أو عملُوا كذا وكذا أو كِيْت وكِيْت، وهي كناية عن الخَبَر أو الحادثة أو القِصّة أو القَضِيّة أو المَوْضوع أو ما أشبه ذلك...

في (لسان العرب):

«وكان من الأمر كيت وكَيْتَ، وإنْ شِئْت كَسَرْت التّاء، وهي كناية عن القِصّة أو الأُحْدُوثة؛ حكاها سِيْبَوَيْه. قال: تقول العَرَب: كان من الأمر كَيْتَ وكَيْتَ، قال: وهذه التّاء في الأصل هاء مثل ذَيْتَ وذَيْت، وأَصْلُها ذَيّه، كَيَّه وَذَيَّه بالتّشديد فصارت تاءً في الوَصْل».

وفي (القاموس... والتّاج):

«ويُكْسَرُ آخِرُهما...».

قُلْت: تَسْتَعْمِل العامّة كيت صحيحة اللفظ والمَعْنى وهم يلفظون الكاف في أوّلها مُمَالَة الحَرَكة إمالة بَيْن الكَسْر والفَتْح، على عادتهم في الإمالة...

إحالة: كمش إلى: قمش. وإحالة كوّش إلى قمش.

الكَيْكة (أهي الكيك؟)

الكيكة: البَيْضة، في المُعْجم العربيّ التّراثيّ والمشهور بَيْن النّاس أنّ الحَلْوى المَصْنُوعة بالبَيْض والحِنْطة والسُّكّر صارت تُدْعى عِنْدنا باسْم الكِيْك، وهو اسم مأخوذ من الإنكليزيّة. وفي مُعْجم لونغمان المَطْبوع في مَكْتَبة لبنان ببيروت سنة ١٩٨٧.

وَرَدت: Cake: كعكة، كعك. a sweet - food

وفي مِصْر يُسَجِّل د. عبد المُنعم سيّد عبد العال في (مُعجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) «نقول في دارِجتنا: الكيكة فَطِيْرة من الحَلْوى قِوامها البَيْض يُعْجَن فيه الدّقيق والسُّكّر كلّ بمقدار، وفي الكلمة تَطَوُّر دَلاليّ علاقته الْجُزْئِيّة...»

في (لسان العرب): «ك ي ك: ابن سيده:

الكَيْكَة: البَيْضة، وجَمْعُها كياكي. وقال الفرّاء: أَصْلها كَيْكِية مثل اللَّيْلَة أَصْلها: لَيْلِيَة، ولذلك جُمِعَتا: كَياكيَ ولَيالِيَ»... وكذلك في

(القاموس المُحيط) الذي يُصَغِّرها أيضًا بِصِيْغَتَيْن: «كُيَيْكَة وكُيَيْكِيَة». وفي (تاج العروس...) كذلك.

وفي (قاموس الفارسيّة): كيك (فرنسيّة) (الكَعْكَة). أمّا كِيك الفارسيّة: فإنسان العَيْن ويُسمّى أيضًا كاك.

وكاك: رجل و: إنسان العَيْن. و: الخبز.

كيميا

كيميا: يَقولُه العَوامُّ بِحَذْفِ الهَمْزَة تَخْفِيفًا، بمعنى الغُمُوض، ومعروف أنّه مِن أَهَمّ عُلوم العَصْر، وأَنَّهُ قَديم، ففي ك و م: في (لسان العرب): «والكيمياء مَعْروف مثل السِّيْمياء...» ويُضيف الزَّبِيديّ في (التّاج...) ك و م: مُعَقِّبًا علىٰ الفيروزاباديّ في (القاموس...) وعلى ابْن مَنْظور أيضًا: «كذا نَصّ الجوهريّ [في الصِّحاح...] واخْتُلِف فيها فقيل هي لَفْظة عربيّة ولا يُدْرَىٰ مِمَّ تُشْتَقّ، فإنْ كانت من هذا التّركيب فأصلُ الكوم العِظَم في كلّ شيء فَسُمِّي هذا العِلْم به لِكَوْنه عظيم المَنْزِلة بَعِيد المَنال. وقيل من الاكْتماء وهو الاخْتِفاء. وأشار له الرَّشيد الأَسْنَوي في شرح مقامَته الحصيبيّة. وحُقّ أن يُشْتَقّ لها هذا الاسم. وقال الصّفديّ في شرح اللّاميّة: كي ميا؛ متى تجيء على وجه الاستعداد فمحلّه إذًا في المُعْتَلّ وقد جَزَمَ به الإمام اليوسي. وسيأتي للمُصَنِّف في: ك م ي مرّة أخرى. وقيل هي مُعَرَّبة: أصله: كيم مي يايد، أي: من الذي يَجِده أو يُحَصِّله، ثمّ اختُصِر في الاصْطِلاح الخاصّ يُطْلَق على (الأكسير) المركّب من الرُّكْنَيْن العظيمَيْن: الشَّعر والدّم أو من ثَلاثَة أَجْزاء أو من أربعة، (أو دواء)... وهو المُسَمّىٰ بالإكْسِير عندهم إذا تَمّ وظهر صَبْغه من القُوّة إلى الفِعل، واتَّحَدَت أعاليه مع أَسافِلِه قَوِيَت كَيْفِيَّتُه وتَغَيَّرَت. وهو المُعَبَّر عنه في اصْطلاح القَوْم بالتَّضْعيف، وحينئذٍ (يُحْمَل على مَعْدَني) بالتَّدبير الإلٰهيّ؛ بوضع ميزان الذَّكَر والأُنْثَىٰ في أرض هرميس (فَيُجْريه في الفلك الشّمسيّ) المُعبّر عنه بالرّابع، (أو القمريّ) المُعبّر عنه بالأَوّل؛ بل يُجعل الأَوّل رابعًا بظهور الصّبغ المُسَخَّن في الرّوح وهو تَمام العَمَل بالإجْمال عِنْد العارِف الفَهِيم. فَتَدَبَّرْ واللهُ حَكيمٌ عَليم.

وفي مُعَرَّب الجَواليقيّ: الكيمياء... مُعرّب...

وقال الشِّهاب أَثْناء القصَص من العِناية: لَفْظٌ يونانيّ بمعنىٰ الجملة، غلب على تحصيل التَّقدين بطريق مَخصوص، وأنشدنا شُيُوخُنا:

كافُ الكُنوزِ وكافُ الكيمياءِ معًا
لا يُوجَدانِ فَدَعْ مِن نَفْسِك الطَّمَعا

وقال الطِّيْبي: إنّه من قَبِيل المُعْجِزَة لما فيه من قَلْبِ الأَعْيان، ولذا أَنْكَرَه بعْضُ الحُكَماء؛ وفي تَعَلُّمه خِلاف».

قلت: تَعْبِير العَوَامّ عمّا لا يَفْهَمونه بِقَوْلِهم: كِيْميا يجعلني أهتمّ بما عرّفه به القُدماء، ثمّ إلى طلائع عصر النّهضة، فبعد أقلّ من قَرْن واحد من (تاج العروس).

كتب البُستانيّ (محيط المحيط) وفي مادّة ك ي م: منه:

«الكِيْميا والكِيمياء: الإكْسير أو دَواء يُحْمَلُ على مَعْدَني فَيُجْرِيه في الفَلَك الشَّمْسيّ أي الذَّهَب أو القَمَريّ أي الفِضَّة. والكِيْميا عند الأكثر يونانيّة معناها: المَكْر والحِيْلَة. وعند البعض مُعرّب خِيميا باليونانيّة أيضًا، ومعناها: بُرْءُ السّاعة، أو من خِيمُوس ومعناها عصير.

وقيل: الكيميا عِبْرانيّة الأَصْل، ومَعْناها من الله.

ولا يبعِد أن تكون الكيميا مَأْخُوذَة من مادّة الكُوم بمعنى الجَمْع، أو الكمي بمعنى السَّتْر أو القِيْمَة وعِلْم الكيميا عند القُدَماء علم يُراد به تَحْوِيل بَعْض المَعادِن إلى بَعْضٍ وعلى الخُصوص تَحْوِيلُها إلى الذَّهَب بِوَساطَة الإكسير أي حَجَرِ الفَلاسِفَة واسْتِنْباط دواء لجميع الأمراض. وأمّا عند المُتَأَخّرين فهو عِلْم أو صِناعة يُبحَث بِها عن طبيعة جميع الأجسام وخاصِيّاتها، بوساطَة الحَلّ والتَّرْكيب. وكيمياء السَّعادة عند الصُّوفِيَّة تَذْهيب النَّفْس بِاجْتِناب الرَّذائِل وتَزْكِيَتِها عنها واكتساب الفَضائل وتَحْلِيَتها بها. وكيمياء العوامّ اسْتِبْدال المَتاع الأُخْرَوي الباقي بالحُطام الدُّنْيَوي الفاني. وكيمياء الخَواصّ. تَخْلِيص القَلْب عن الكَوْن باسْتِئْثار المُكوّن».

وفي شرح الإكسير في: ك س ر.

«الإكْسير: ما يُلقَىٰ على الفِضّة ونحوها لِيُحِيْلَه إلى ذَهَب خالِص. وهو من صَنائِع الكِيمياء عند الأَقْدَمين. ويُعرف عند الفِرَنْج بِحَجَر الفَلاسِفَة وكأنّي به اسْمٌ لا مُسَمًّى له».

ل

لأَطهُ وَلقَطهُ

يقال عندنا: (لأَطته بالعصا ضَرْبًا حين لأَطْت عليه لأْطَةً شديدة وكنت أمشي وَأَتلأَّط حتّى لا يَحسّ بي) ويقول الزّبيديّ في (تاج العروس...) شارِحًا (القاموس...) ومُسْتَنْفِدًا مادّة (اللسان..) في: ل أ ط: «لأَطَهُ: كَمَنَعَهُ: لأْطًا: أَهْمَلَه الْجَوهريّ، وقال أبو زَيْد: أيْ: أَمَرَهُ بِأَمْرٍ فَأَلَحَّ عليه. وَلأَطَهُ بِسَهْم: أَصابه، كَلَعَطَهُ. وَلأَطَهُ: اقْتَضاه فَأَلَحَّ عليه. والظّاء لغة فيه. وَلأَطَهُ أَتْبَعَهُ بَصَرَهُ فلَمْ يَصْرِفْه عنه حتّى توارى، وفي اللسان: حتّى يتوارى. ولأَطَهُ بالعَصا: ضَرَبَه بها. ولأَط في مُرورِه: إذا مَرَّ فارًّا مُسْتَعْجِلًا لا يَلْتَفِتُ إلى شيء؛ كَلَعَطَهُ؛ عن ابن عَبّاد. وَلأَطَ عليه: اشْتَدَّ؛ نَقَلَه الصّاغانيّ عن ابن عبّاد». وكذلك في (مُحيط المُحيط) وأَغْلَب كُتُبِ اللغة..

قُلْتُ هذه المعاني كلّها ممّا تَسْتَعْمِلُه عامّتنا اليوم، وكان يُظَنُّ أنّها منَ اللقط؛ بالقاف...

ولٰكنّ مَعاني اللقط بالْقاف مَعانٍ واردة أيضًا في عامّيّة الشّام ومِصْر حَيْث تُلْفَظ القاف همزة في دمشق والقاهرة، وفي ذلك يقول د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارِجَتِنا: لَقَطَ فُلان كذا: أَخَذَهُ وَالْتَقَطَه والمِلْقَط ما يُلْقَطُ به ونقول: لَقَّطَ الحَمامُ الحَبَّ: الْتَقَطه من هنا وهناك. وفي القاموس: لَقَطَهُ: أَخَذَه من الأرض، ومِلْقَط: كمِنْبر: ما يُلْقَطُ به. والْتَقَطَه: عثر عليه من غير طَلَب. وَتَلَقَّطَهُ: الْتَقَطَه من هاهنا وهاهنا».

ويُشير أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح)، إلى مثل ما أشار إليه د. عبد العال في لَقَط ويُضيْف أيضًا: «ويقولون: لَقَط الخيّاط الثّوب إذا لَفَق أَحَد شِقَّيْه بالآخر. وفي اللغة: لَقَط الثّوب إذا رَقَعه ورَفَأَه وهو من المَجاز.

ويقولون: تَلَقَّطَ الشّيْءَ إذا أخذه قليلًا قليلًا. وهو مِن: لَقَطه إذا أَخَذَه مِنَ الأَرْض أو تَكُونُ مِنْ تَبَقَّطَهُ. وفي اللغة: تَبَقَّطَ الخَبَرَ: أَخَذَه قليلًا قليلًا وشيئًا فشيئًا. والباء واللام يتعاقبان..».

وفي (أساس البلاغة): ل ق ط: «ومن المجاز: ... وفُلان يَلْتَقِط كلام النّاس للنّميمة... ويُقال له إذا جاء بالنّميمة: لُقَّيْطَىٰ خُلَّيْطَىٰ. وفي مَثَلٍ: (لِكُلِّ ساقِطَة لاقِطَة)... ولَقَطَ الثَّوْبَ وَنَقَلَه: رَفَعَهُ».

وفي (لسان العرب):

«اللَّقْط: أَخْذُ الشّيْءِ مِنَ الأرض، لَقَطَه يَلْقُطه لَقْطًا والْتَقَطَه... والعَرَب تقول: إنّ عندك دِيْكًا يَلْتَقِطُ الحَصى. يُقال ذلك للنَّمّام.

واللُّقْطَة: اسْم الشّيء الذي تَجِدُهُ مُلْقًى فَتَأْخُذه [قُلْت: كما في عامّيّتنا اليوم بضمّ اللام وتَسْكين القاف بمعنى الشّيء المَلْقُوط فهي فَصيحة فيها لفظًا ومعنًى.. وأكمل قول ابن منظور]: ... قال ابن بَرّيّ: وهذا هو الصّواب لأنّ الفُعْلَة للمفعول كالضُّحكَة، والفُعَلَةُ للفاعِلِ كالضُّحَكَةِ؛ قال: ويَدُلّ على صِحَّة ذلك قول الكُمَيْت:

أَلُقْطَةَ هُدْهُدٍ وَجُنُودَ أُنْثى
مُبَرْشِمَةً، أَلَحْمِي تأْكُلُونا؟

لُقطة: مُنادى مُضاف، وكذلك جنود أُنْثى.
ومُبَرْشِمة: مُديمة النَّظَر مِنْ شِدَّةِ الغَيْظِ..

واللُّقْطَة واللُّقَطَة واللُّقاطة: ما الْتُقِط.. وتَلَقَّطَ فلانٌ التَّمْرَ: الْتَقَطه من هاهُنا وهاهنا..

واللاقِط: الرَّفّاء.. اللَّقْط: الرَّفْوُ المُقارَب، يقال: ثَوْب لَقيطٍ، ويقال: الْقُطْ ثوبَك، أي: ارْفَأْه..

قال شمر: سَمِعْت حِمْيَرِيَّةً تقول لِكَلمة أَعَدْتُها عليها: (قد لَقَطْتُها بالمِلْقاط) أي: كَتَبْتُها بالقَلَم. ولَقِيْتُه الْتِقاطًا: إذا لَقِيتَه مِنْ غير أنْ تَرْجُوَه أو تَحْسبه؛ قال نِقادَة الأسديّ:

وَمَنْهَلٍ وَرَدته الْتِقاطا
لم أَلْقَ إذْ وَرَدْته فُرّاطًا
إلّا الحَمامَ الوُرْقَ والغَطاطا».

قلت: ويمكنك أن تجد بمعنى: ضَرَبه: لَطَّه يَلُطُّه، ولَطَأَه يَلْطَؤه، ولَطَعَه يَلْطَعه...

قلت: تخيَّرت من النقول ما هو دارج على ألسنة عوامّنا اليوم.

لأَفَ وَلَقِفَ وَمَا لَهَفَ

(واحد جَلَفَهُ والثّاني لأَفَه): من العبارات العامّيّة الفصيحة التي تذهب مَذْهب الأمثال عندنا.. فأحدهما حَضَّر وقَشَّر الطَّعامَ، والآخر أَكَلَه..- والجَلْف يَلْفِظه بعضُنا بالشّين: شَلَفه؛ كما ذُكر في: ش ل ف - وَلَعَلَّ همزة: لأَفَ تُظَنُّ هاءً: من لَهَف... وهذا ظَنٌّ لا مؤيِّدَ له؛ فَلِلَّهَفِ - بفتح الهاء وتسكينها - معانٍ من الأَسَىٰ والحزن والغيظ على ما فات واحتراق القلب عليه - مجازًا - وما يتفرّع عنها؛ ممّا ليس مُناسبًا لهذا القول.

أمّا الظَّنّ بأنّ الهمزة في: لأَفَ أَصْلُها قاف، وَأَبْدَلَها سُكّان المدن الكبرى على عادتهم في الإبدال بالقاف هَمْزَةً فهذا أيضًا ظَنّ لا ضرورةَ له، لأنّ هناك تلاقيًا في المعاني ما بين لأَفَ وَلَقِفَ في فصيح اللغة التُّراثيّة. فَظَنُّ الإبْدالِ فيما بين الهمزة والقاف قديم كما ذكرت في أمثلة عديدة..

ولٰكنّ د. عبد العال يرى قولهم (لئف) بالهمزة المُبْدلة من القاف، على أنّه يذكر أيضًا: لأَفَ، بالهمزة في مَوْضِعِها من (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

وفي (اللسان..) ل أ ف: الذي يبدأ به ابن منظور فَصْلَ اللام: «لأف: التّهذيب، ابن السِّكّيت: فلان يَلْأَفُ الطَّعامَ لَأْفًا: إذا أَكَلَه أَكْلًا جَيّدًا». ا.هـ. وكذلك في: «القاموس..» ويُضيف (التّاج..) «كما في (العُباب [للصّاغانيّ]) وأهمله الجَوْهَريّ».

وكذا في (محيط المحيط) وغيره...

وفي: ل ق ف: في (اللسان..) كما في (القاموس.. والتّاج..): «اللَّقْفُ تناوُل الشّيء يُرمَىٰ إليك. تقول: لَقَّفَني تَلْقيفًا فَلَقِفته.

ابن سِيْدَه: اللَّقْف: سُرْعَة الأَخْذ لِما يُرْمَىٰ إلَيكَ باليد أو باللسان. لَقِفَه يَلْقَفه لَقْفًا ولَقَفًا وَالْتَقَفَهُ وتَلَقَّفَه: تَنَاوَله بِسُرْعَة.. ورَجُل ثَقِفٌ لَقِف وَثَقْف لَقْفٌ: أي خفيف حاذِقٌ؛ وقيل: سَرِيع الفَهْم لِما يُرْمَىٰ إليه من كلام باللسان، وسريع الأَخْذ لِما يُرْمَىٰ إليه باليَد...... ابن شميل: إنّهم لَيُلقِّفون الطّعامَ؛ أي: يَأْكُلونه، ولا تَقول: يَتَلَقَّفُونه...».

لَبَخ يَلْبَخ اللَّبْخَة

يُقال عندنا وفي عَددٍ من العامّيّات: (فلان مثل اللَّبْخَة) أي كالضَّرْبَة أو اللَّصْقَة والفِعْل: لَبَخ يَلْبَخ: ما يزال في عامّيّتنا بلفظه الفصيح وبمعنى مُقارِب له... وكأنّ اللَّبْخة ضَرْبَة، أو تُهمة بالسُّوء كما قال أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) وفيه: «وفلان لَبْخة على العَيْن... أي ضَرْبة أو لَصْقة على العَيْن... فصيح».

قلت: ولٰكنّ قولهم: (فلان لَبْخَة في مثل هذه الأمور)[1] أي لا يَتَلَحْلَحُ وَلَا يَتَحَلْحَلُ مثل اللَّبْخَة التي هي: اللَّصْقة، أو اللَّزْقَة، ممّا يدلّ على تطوّر المعنى بعيدًا. باستعمال التَّشْبِيه... كأنّه مثل الضَّرْبَة أو اللَّطْمَة الضَّعِيفَة القليلة التّأثير: أو مثل «رُقاقة الموادّ الدّوائيّة على الجِلْد ممّا يفيد العُضْو المَوْجوع» كما في (المعجم العربيّ الأساسيّ). وقد ذكر ابن البيطار العَشّاب في كتابه (الجامع) شَجَرَ اللَّبْخ. وفي (القاموس... واللسان.... والتّاج...): «وَثَمَرُهُ حُلْو ولٰكنّه كَريهٌ يَنْفُخُ البَطْنَ»[2] [يَسْتَخْرِج ما فيه]. قلت: ولٰكنّ العامّيّ عندما يقول: (لم أهضم هذا الأكل فقعد على بطني مثل اللَّبْخة)؛ فهل تكون هذه اللَّبخة بمعنى: مثل الضَّرْبة؟ ففي (القاموس.. والتّاج..): «لَبَخ يَلْبَخ - كمَنَعَ - لَبْخًا: ضَرَبَ وأخذ وقَتَلَ واحْتال للأَخذ وشَتَم.. وكالكتاب: اللِّكام والضِّراب؛ ولابَخَهُ: مُلابَخةً ولِباخًا [فالمصدر والاسم في (اللسان.. والقاموس..) وتصريف الفعل في (التّاج..)]. واللُّبوخ - بالضّمّ - كثرة اللحم في الجَسَد.. ومنه: اللَّبِيخ - كَأمير - اللَّحيم.. واللَّبيخة: نافجة المِسْك. والتَّلبُّخ: التَّطيُّبُ به.. وهي لُباخِيَّة: ضَخْمَة». وفي (مقاييس اللغة): «اللُّباخيّة: التامَّة الخَلْق».

وفي (محيط المحيط) للبستانيّ: «..والعامّة تقول: لَبَّخ جِسْمُهُ وتَلَبَّخ: ظَهرت عليه آثار الضَّرْب.. واللَّبْخَة: المَرَّة، وخِرْقَة يُجْعَل فيها نُخالَةٌ مُسَخَّنَةٌ أو بَزْر كَتّان أو نَحْوُ ذلك فَتُوْضَعُ على مَكان الأَلَم: عامّيّة» ولٰكنّ هذه اللَّبْخَة في (...الوسيط) مُعْجَم المَجْمَع القاهريّ (مولَّدة)، وهي لدى رضا فصيحة كما لدى د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتنا: لَبَّخ فلان في كذا: احتال على أدائه وأخذ يَتَلَمَّسُ أَسْباب النَّجاح فلم يُوفَّق. ولَبَّخَ فلان وفلان: تشاتما.. واللَّبْخَة: خليط من موادّ طِبِّيَّة تُبْسَط على قماش وتلتصق بالجسم...».

لَبَدَ

لا يُخالف عوامُّنا في اسْتِعْمالِهِم عبارات مادّة

[illegible]

التّركيب ل ب د ما جاءَ في المُعْجَم العَتيد كما في (لسان العرب):

«لَبَدَ بالمَكانِ يَلْبَدُ لُبودًا وَلَبِدَ لَبَدًا وَأَلْبَدَ: أقامَ به ولزقَ.

اللُّبَّادَةُ: ما يُلْبَس من اللُّبُود للوِقايَةِ من المَطَر والبَرْد. تَلَبَّدَ الشَّعْرُ والصُّوفُ ونحوُهما: الْتَبَدَ. ويُقال: تَلَبَّدت الأرْضُ بالمَطَر. وتَلَبَّد الطّائرُ بالأَرْض: لَبَدَ بها وجَثَمَ عليها.

اللَّبَدُ: الصُّوف. ويُقال: مَا لَه سَبَدٌ ولا لَبَدٌ أي مَا لَه قَليلٌ ولا كثير.

وإذا رُقِعَ الثَّوْبُ، فهو مُلَبَّد ومُلْبَد وَمَلْبود. وقد لَبَدَه إذا رَقَعَه: لأنّ الرَّقْعَ يَجْتَمِعُ بَعْضُه إلى بَعْضٍ ويَلْتَزِقُ بَعْضُه بِبَعْضٍ، وفي الحديث: (أنّ عائشة - رضي الله عنها - أَخْرَجَتْ إلى النَّبيّ - ﷺ - كِساءً مُلَبَّدًا) أي مُرَقَّعًا. ويُقال: لَبَدْتُ القَمِيصَ أَلْبُدُه وَلَبَّدْتُه».

وفي (مُحيط المُحيط): «..والعامّة تقول: لَبَدَ الشّيءَ وَلَبَّدَهُ أيْ: ضَغَطَه وأَحْكَمَ بَعْضَ أجزائِه إلى بَعْضٍ.. واللَّبّاد: كلُّ شَعْرٍ أو صُوفٍ مُتَلَبِّدٍ، أو عامّيّة. ج لَبابِيْد. واللُّبَّادة - بالضمّ وتشديد الباء - ما يُلْبَسُ من اللُّبود وِقايةً من المَطَر. وهنةٌ من صُوفٍ تُلْبَس في الرَّأس تَحْت الطَّرْبوش أو بدون طَرْبوش..».

وفي مِصْر يقول د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات..): «نقولُ في دارِجَتِنا: لِبْدَة: قَلَنْسُوَة (طاقِيَّة) مَصْنُوعة من الصّوف المُتَلَبِّد.. (تَطَوُّر دلاليّ علاقَتُه اعْتبارُ ما كان). ويقول تعالى من الآية ١٩ السّورة ٧٢ الجنّ ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعوهُ كادُوا يكونون عليه لِبَدًا﴾. واللِّبَد جَمْع لِبْدَة وهي ما تَلَبَّدَ بعضُه فَوْقَ بَعْض».

اللبش

(رَحِمِ الله عبدًا لَبَّش، يا الله يا عَيني رايْحِين نلَبِّش ونمشي إلى (البَيْتوتة) نبَيِّت البِضاعة.. لَحِّقْ حالَك يا عاوِزَ الغَرَضِ قبل ما نْلَبِّش). هكذا يُنادي البائع عارضًا بضائعه مَصفوفَةً لِجَلْب أنظار الزَّبائن.. قَبْل أنْ يبدأ بالتَّلْبِيْش لِيَذهب إلى الرّاحة والانْطراح على (الطُّرَّاحة).

الزّبيديّ في مُسْتَدْرَك (تاج العروس:...)

«اللَّبْش: ممّا يُسْتَدْرَك عليه اللّبش: الْخَلط، وبالكَسْر: أصل الشَّجر المخلوط بالطّين، وهي عربيّة صحيحة وقد أهمله الجماعة».

ولٰكنّ البُستانيّ في (مُحيط المُحيط) يَرى: «لَبَّشَ الشّيءَ جَمَعَه من هاهنا وهاهنا على غير نظام. وهي من كلام العامّة. وهم يُسَمّون أدوات المُسافِر وأَمْتِعَته باللَّبَش».

ولٰكنّ لأحمد رضا رأيًا آخر فيها؛ ففي: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«وقالُوا: لَبَّشَ كذا وكذا إذا جَمَعَه من هنا وهنا. واللام فيه مُبْدَلة من الواو، فقد جاء في (التّاج): وَبَّش لِلْحَرْب تَوْبيشًا، أيْ جَمَع جُمُوعًا من قبائل شتّى.

أو مُبْدَلة من الهمزة وأصلها: أَبَّش وأبش؛ يقال: أَبَشْتُه وهَبَشْته...».

لَبَط اللَّبْطَة

ينتشرُ فعل (اللَّبْط) في عامّيّة الشّام بمعنى الرَّمْح والرَّفْس وضَرْب الأرض وخَبْطِها بالأقدام ويُقال: (لَبَّط بيدَيْه ورِجْلَيْه...) أمّا في العامّيّة المصريّة فيقول د. عبد العال في (مُعجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقولُ في دارِجَتِنا: فلانُ لَبَطٌ: مُعْوَجّ لا يهتمّ بقواعد الدّين

ولا يأبه بما تَواضَع النّاس عليه في عُرْفهم، أو هو الحائر بَيْن نَزَوَاته تُزَيِّن له طريق الغواية وتحبِّب له الشّهوات. وفي (القاموس...): لَبَطَ... سعى وتحيَّرَ واضْطَرَب»...

فقلت و(اللّبط) في العامّيّة الشّاميّة... فصيح اللفظ والمعنى فيها عموما إلّا ما نَدَرَ وشَذّ...

وفي كتاب: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) لأحمد رضا العامليّ ط٢ سنة ١٩٨١ ص ٥١٨ «لَبَط: وقالُوا: لَبَطَتِ الدّابّة إذا رَمَحَتْ بِرِجْلها. واللّبْطُ في الفصيح خَبْطُ البَعير الأرضَ بقوائمه كلّها أو بيدَيْه خاصّة. وقالُوا: اللّبْط باليد كالخَبْط بالرِجْل».

– ولٰكنّ (المُنجد) للويس معلوف ط١٥: الطّبعة الخامسة عشر سنة ١٩٥٦م ينصّ على أنّ (لبط) سريانيّة ومعناها عنده «لَبَطَ البعير يلبط عدا وهو يضرِب بقوائمه» فقلتُ: إذا كانتْ في السّريانيّة كذلك فهي من المُشْتَرَكات في السّاميّات أو في بعضها...

وفي (محيط المحيط) للبُستانيّ «وَلَبَطتِ الدّابّة فلانًا: رَفَسَتْه؛ أو مُوَلَّدة، وبعض العامّة تقول: لَبَط العجينُ: أي: ارْتَخىٰ وماعَ وعَسُرت معالجتُه».

والأَقْدَم ابن فارس يجد في: ل ب ط: في (مقاييس اللغة) أنّه: «أصل صحيح يَدُلّ على سُقوطٍ وَصَرْعٍ. يُقال: لُبِطَ به، إذا صُرِع...».

وكما في (القاموس المُحيط وتاج العروس، كذلك في لسان العرب): «لَبَطَ فلان بفلانٍ الأرضَ يلبِط لَبْطًا مثل: لَبَجَ به: ضَرَبَها به، وقيل: صَرَعَهُ صَرْعًا عنيفًا. ولُبِطَ بفلان إذا صُرِعَ وسَقَطَ على الأرض من قيام؛ من عين أو حُمّىٰ... أو ضَرب بِنفسه الأرضَ مِنْ داءٍ أو أمر يَغْشاهُ مُفاجأة...؛ فهو مَلْبُوط به... وَتَلَبَّط أي: اضْطَجَعَ وَتَمَرَّغ والتَّلَبُّطُ. التَّمَرُّغ. وسُئل النّبِيّ – صلّى الله عليه وسلّم – عن الشُّهداء فقال: (أولئك يَتَلَبَّطُون في الغُرَفِ العُلا من الجَنّة) أي يَتَمَرَّغون وَيَضْطَجِعون...

وَلَبَطه البعيرُ يَلْبِطُه لَبْطًا: خَبَطَه. واللَّبْط باليد كالخَبْط بالرِّجْل؛ وقيل: إذا ضربَ البعيرُ بقوائمه كلّها فتلك اللَّبَطَة...؛ وقال الهُذَليّ:

يَلْبِطُ فيها كلَّ حَيْزَبُونِ

وكَان للفرزدق من الأولاد: لَبَطَهُ وَكَلَطَهُ وَجَلَطَهُ (أو: خَبَطَه، وفي (القاموس...) حَبَطَه بالحاء المُهْمَلة.) وأزيدُ من (القاموس... والتّاج...):

واللُّبْطَة: الزُّكام والسُّعال، وقد لُبِط – بالضّمّ – لَبْطًا فهو مَلْبُوط: أَصابَهُ ذلك. وقال الفَرّاء: اللَّبَطَة – بالتّحريك – اسْمٌ من الالْتِباط، أي التباط البَعير؛ الآتي معناه قريبًا. وقال أبو عَمْرو: اللَّبَطَة: عَدْو الأَقْزَل كالكَلَطة؛ ويُقال: هو عَدْو الأَعْرج الشّديد العَرَج... وَتَلَبَّطَ الرّجُلُ في أمره إذا تَحَيَّر. ويُقال: تَلَبَّطَ: اخْتَلَطت عليه أُمُورُه. وَتَلَبَّطَ: عَدْو كَالتَبَط. وَتَلَبَّطَ إليه: تَوَجّه؛ وفي (التّكملة...) [للصّاغانيّ] تَلَبَّط مَوْضِعَ كذا؛ أي: توجّه؛ عن ابن عبّاد. وفي (الصِّحاح...): وإذا عدا البعير وضَرَبَ بقوائمه كلّها قيل: مَرَّ يَلْتَبِطُ. وقال غَيْرُه: الالْتِباط عَدْوٌ مع وَثْبٍ؛ قال الرّاجز:

ما زِلْتُ أَسْعَى مَعَهم وأَلْتَبِطْ

... والْتَبَط فلانٌ: سَعَىٰ في الأمْر. والْتَبَط في أَمْرِهِ تحيّر، مثل تَلَبَّط وفي حديث الحجّاج السّلميّ (حين دخل مَكَّة قال للمُشْرِكين: ليس عندي من الخَبَرِ ما يَسُرّكم فالْتَبَطوا لله بِجَنْبَيْ ناقته يقولون: إيهِ يا حجّاج..).

والْتَبَطَ: اضْطَرَب في الأرض. وأنشد ابن فارس

قول عبد الله بن الزِّبَعْرى:

والـعَـطِـيّات خِـسـاسٌ بـيـنـهـم
وَسَـواءٌ قَـبْـرُ مُـثْـرٍ ومُـقِـلّ

ذُو مَـنـادِيـحَ وَذُو مُـلْـتَـبَـطٍ
وَرِكـابـي حَـيْـثُ وَجَّـهْـتُ ذُلُـلْ

وَفَسّر الالتباط بمعنى التّحيّر، وقال الصّاغانيّ: ليس منه في شيء، وإنّما الالتباط هنا بمعنى الاضطراب؛ أي: الضّرب في الأرض.

. . . والْتَبَطَ القَوْمُ به أي: أطافوا به ولَزِموه، وبه فُسِّر حديث الحجّاج السّلميّ المذكور. وممّا يُسْتَدْرَك عليه: تَلَبَّطَ: تَصَرَّع، واللّبط: التقلّب. عن ابن الأعرابيّ: وتلبّط: انْصَرَع.. وجاء فلان سَكرانَ مُلْتَبِطًا، أي مُلْتَبِجًا، ويُروى: مُتَلَبّطًا وهو أجود. وقال ابن عبّاد: المتلبِّط المذهب؛ وقال ابن هرمة:

وَمَتَى تَـدَعْ دارَ الـهَـوانِ وَأَهْـلَـها
تَـجِـدِ الـبِـلادَ عَـرِيـضَـةَ الـمُـتَـلَـبَّـطِ

قال: والتبط الرَّجُل: احتال واجتهد».

اللَّبكة واللَّبَا

من التّخليط إلى صُعُوبة التَّفريق

أكثر ما في الفصيح من مادّة ل ب ك اسْتَنْفَدته العَوامّ اسْتعمالًا[1]، وحافظت على التّطوّر الذي طَوَّره القُدَماء للمعنى من التّخليط إلى صُعوبة التّفريق وعدم التَّمييز..

وزادت عامَّتنا في الشّام من تطوّر دلالة: اللبكة حتّى وصلت إلى ما يُقارب معنى الارْتِباك والالْتِباس، ولٰكنّك تجدُ ذلك في كتاب (الألفاظ الكتابيّة) للهمذانيّ، في باب الالْتباس، وفي كتاب (تهذيب الألفاظ) ليعقوب بن السِّكّيت، باب: أصل التّخليط حيث يبدأ بقوله: «يقال: لَبَكْتُ الأمْرَ لَبْكًا، وبَكَلْتُه بَكْلًا إذا خَلَطْتَه. وقال الأصمعيُّ: وَسَأَلَ رَجُلٌ الحَسَنَ عن شيءٍ فقال له: أَعِدْ عليّ، فكأنّه أعاد خلافَ الأوّل. فقال الحَسَن: قد لَبَكْتَ عليّ». وأَغْلب المَعاجِم وكُتُب اللغة تَسْتَشْهد بقول الحَسَن: لَبَكْتَ. . .

وفي (لِسان العرب): «اللَّبْكُ: الخَلْط، لَبَكْتُ الأَمْرَ أَلْبُكُه لَبْكًا. اللَّبْكُ واللَّبْكَة: الشّيء المَخْلوط. لَبَكَه يَلْبُكُه لَبْكًا: خَلَطَه، وَلَبِكَ الأمرُ لَبَكًا؛ وسأل الحَسَنَ رجلٌ عن مَسْأَلَة ثمّ أعاد عليه فغيّر مَسْأَلَتَه فقال الحَسَن: (لَبَكْتَ عليّ) أي: خَلَطْتَ عليّ، ويُروى: بَكَلْتَ، والْتَبَكَ الأَمْرُ: اخْتَلط والْتَبَسَ. وأَمْرُ مُلْتَبِكٌ: مُلْتَبِس على التّسب؛ قال زُهير:

رَدَّ القِيانُ جِمالَ الحيّ، فاحْتَمَلُوا
إلى الظَّهيرةِ؛ أَمْرٌ بينهم لَبِكُ

أيْ مُلْتَبِس لا يَسْتَقِيْم رَأْيهم على شيء واحد. وأَمْرٌ لَبِيك أيْ مُخْتَلِط. وَلَبَكْتُ السَّوِيقَ بالعَسَل: خَلَطْته... واللَّبيكة من الغَنَم كالبَكيلة... وقد لَبَكوا بَيْن الشّاء؛ أيْ خَلَطُوا بَيْنها».

وفي (القاموس... والتّاج...):

«... والْتَبَكَ الأمرُ: أيْ: اخْتَلط، كما في (الصِّحاح) زاد الصّاغانيّ: والْتَبَس؛ وهو مَجاز... والإلْباك: الإخْفاء. قال ابن عبّاد؛ الإلْباك الإخطاء في المَنْطق والحُجّة وأغلاط فيهما، قال: وتلبّك الأمْر: تَلَبَّسَ واخْتلط...

وَوَقَع في لَبَكَةٍ - بالفَتْح - ولَبِيْكة، أيْ: اخْتلاطٍ».

وفي مَجاز (أساس البلاغة): «لَبَكْتَ عليّ الأَمْرَ،

(١) انظر في: (الحَشْك) في ح ش ك وقولهم: حَشْك ولَبْك.

والْتَبَكَ عَلَيّ الأمرُ: الْتَبَسَ، وأمرٌ مُلْتَبِكٌ ولَبِك. وما ذقْتُ عنده عَبَكَةً ولا لَبَكَةً: حَبَّة سَوِيق ولا لُقْمَة ثَرِيد».

وكذلك في (مقاييس اللغة).

أمّا في عامّيّة مِصْر فنجد د. عبد العال يقول في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتنا: لَبَك الأَرُزُّ: كَثُرَ ماء طَبْخه فاخْتَلَطَت حَبّاته وتماسَكَت فهو لَبَكَةٌ وَمُلَبَّك. وتَلَبَّك الخَيْط ونحوه: تَشَابَك واخْتَلَطَتْ فَتَائِلُه...».

قلت: هذا الرُّزّ والأرُزّ المَطْبوخ بماءٍ كثير من الحاجة (لِلْفَلْفَلَة للرّزّ المُفَلْفَل) عندنا في الشّام يُسَمّيْنَهُ: المَخبوص... وفي أيّام الطّفولة كنت أسمعهم يسمُّونه الرّزّ (اللّبّا) لأنّهم كانوا يقْصدون أنْ يَسْلِقوه بالماء وَحْدَه دونما أدْسام أو إهالةٍ لإطعام الطِّفْل المُصَاب بالإسْهال... وهذا من المَنْسِيّات من زَمَن سابق...

لَبِيَ يَلْبي وَلَبّىٰ يُلَبّي

(أما تُلَبِّيْ مَن يَقلّ لَبْيُه، إلّا إذا صار يَلْبي ويُلحّ في اللّبي؟) يقول العامّيّ هذا فَيَدُلّ على تطوُّر معنى اللَّبْي خِلال العُصور حتّى صار في أيّامنا في الشّام بمعنى كَثْرة الكَلام.. ففلانة (لَبّايَة) تَلْبِي وتُكْثر من اللَّبِي.. أي من الإلحاح.

وكان مَعناها القَديم الإكْثار مِن الطّعام.. وكانتِ اللُّباية من شجر الأُمْطيّ الذي يُعمل منه العِلْك، ولعلَّ هذا ما أَفْضَىٰ إلى مثل هذا التَّطوُّر في دَلالة معناه؛ فالعَلْك في معناه المَجَازيّ كَثْرة الكلام الفارغ.. واللَّبْي: كثرة الإلحاح في الكلام الزّائِدِ في العبارة العامّيّة..

وتَقِلّ كتب اللغة التي تورد اللَّبْي سِوىٰ ما في (القاموس... واللسان.. والتّاج..).

(أمّا قولُ العوامّ: يا ربّ أنت المُلَبيّ) فالتَّلْبِيَة واردة في المعاجم بعامّة.. وهي في الفصيح كما في العامّيّة لَفْظًا وَمَعْنًى. ولٰكنّهم في العبارة المَرْوِيّة على لسان (الجّنيّ خادم المصباح) في خيالات ألف ليلة وليلة (شُبِّيك لُبِّيك عَبْدُك بين يَدَيْك) يَرْوُون (لُبّيك) بضمّ اللام كَأَنّه على الإتْباع في هذا المَوْضع فقط..

في (القاموس.. والتّاج..):

«ل ب ي: لَبِيَ من الطَّعام - كرضي - أهمله الجوهريّ، ولم يَقُل الصّاغانيّ في التّكملة إنّ الجوهريّ أهمله، وضبطه كَرَمَىٰ [أي عند الصّاغانيّ: لَبَى] فتأمّل؛ لَبْيًا بالفتح إذا أكْثَرَ منه [أي من الطّعام]. قال ابن الأعرابيّ: اللُّباية - بالضّمّ - شَجَرُ الأُمْطِيّ.. الذي يُعْمَل منه العِلْك.. [وفي (اللسان..): «ونقله الفَرّاء وأنشد: لُبايَةً من هَمِقٍ عَيْشُوم»] الهَمِقُ: نبت والعَيْشوم: اليابس. والأُمْطِيّ شَجَر يُعمل منه العِلْك.

وفي (التّاج..): وممّا يُسْتَدْرَك عليه: اللُّبايَة - بالضّمّ - البقيّة من النَّبْت عامّة. وقيل من الحَمْض. وَحَكَىٰ أبو ليلى: لَبَيْتُ الخُبْزَة في النّار: أَنْضَجْتُها. [قلت: هذه من ابن منظور في (اللسان..)].

ونقل الجوهريّ عن الأحمر؛ يُقال: بينهم المُلْتَبِيَة - غير مهموز - أي: متفاوضون لا يَكْتُم بعضُهم بعضًا إنكارًا.. قال: وَبَنُو فلان لا يَلْتَبون فَتَاهم ولا يتغيّرون شَيْخَهم؛ المعنى: لا يزوّجون الغلام صغيرًا ولا الشَّيْخَ كبيرًا طلَبًا لِلنَّسْل».

وفي (لسان العرب):

«ولَبَّيْتُ الرَّجُلَ: إذا قلت له: لبَّيك. وحكى أبو

عُبَيْد عن الخليل أنّ أصل التَّلبية: الإقامة بالمكان، يُقال: أَلْبَبْت بالمكان ولَبَبْتُ، لُغَتان، إذا أقمت به، ثمّ قلبُوا.. وقولهم: لبّيك: مُثَنّى. وَأَنْشَد لِلْأَسديّ:

دَعَـوْتُ لِـمـانـا بَـنِـيْ مِـسْـوَرًا
فَـلَـبَّـى، فَـلَـبَّـيْ يَـدَيْ مِـسْـوَرِ».

وفيه وفي (أساس البلاغة):

«وَلَبَّيْتُ بالحَجِّ تَلْبِيَةً.. وبالعُمْرَة تلبية..».

اللَّتُّ واللَّتْلَتَة أم اللّثْلَثَة؟

اللَّتُّ والعَجْن كِناية عن كثرة الكَلام والثَّرثرة عند عوامّنا: وهي في الفصيح اللَّثُّ واللَّتُّ. وفي (المُعجم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة:

«لَتَّ العَجِيْنَ: بَلّه بشيءٍ من الماء «وهو أَخَفُّ من البَسِّ». ويُقال: فلان يُلِتُّ وَيَعْجِنُ، إذا كان ثرثارًا يُبْدِئ ويُعيد فيما يقول...

... اللَّتْلَتَةُ: اليمين الغَموس - واللَّتْلَتَة: الكَلام لا طائلَ تَحْته.

واللَّتْلَتَة: الاشْتِغال بالأمور الزّهيدة عن المَقْصود (مو)...

... لَثَّ يَلِثُّ بالمكان يَلِثُّ لَثًّا: أقامَ.. وَلَثَّ عليه: أَلَحّ.

أَلَثَّ: لَثَّ.

لَثْلَثَ بالمكان: أقام... ويُقال: لَثْلَث في الأمر: تَرَدَّد فيه. ولَثْلَثَ الشَّيْءَ في التُّراب: مَرّغَهُ. وَلْثَلَثَ كلامَه وفيه: لم يُبيِّنه. ولَثْلَثَ الرَّجُلَ عن حاجته: حَبَسه.

وَلَثْلَثَ عليه: أَلَحَّ....

... وتَلَثْلَثَ في الأمر: تَرَدّد فيه. ويُقال: تَلَثْلَثَ في أمره: أبطأ فيه.

وتَلَثْلَثَ في التُّراب: تَمَرَّغَ.

اللَّثْلاثُ واللَّثْلاثَة: البَطيْء كلّما ظَنَنْت أنّه أجابَك إلى حاجتِك تأخَّر».

وأعود إلى ل ت ت في (القاموس.. وتاج العروس..): «وقد لُتَّ فُلان بفلان إذا لُزَّ به أي شُدَّ وأُوْثِق وَقُرِنَ مَعَهُ...».

وفي الأساس: وأَصابَنا مَطَر من صَبِيْر لَثَّ ثِيابَنا فَأَرْوَضَت منه الأرضُ كلُّها، أي بَلَّها...

وفي: (القاموس.. والتّاج..) ل ث ث: اللثّ والإلثاث واللَّثْلَثَة: الإلْحاح يُقال: أَلَثّ عليه إلْثاثًا: أَلَحّ عليه، وَلَثْلَثَ مثله... واللَّثْلَثَة عَدَمُ إبانَة الكَلام.

وأعود إلى التّاء المُثَنّاة وما كَتَب المُحْدَثون في اللَّت:

وبالتّاء المثنّاة كتب البستانيّ في (محيط المحيط): «...والعامّة تقول: لَتَّ فلان؛ أيْ: تَكَلَّم كلامًا كثيرًا لا طائل تَحْتَه». وكتب الأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل): «.. لَتَّ في اللغة...، وقد اسْتعملها العامّة مَجازًا بمعنى هَذَرَ وكَرَّر الكلامَ. وقالوا: (لَتّات) اسم فاعل للمُبالَغَة» ثمّ يُعقّب عليه مُحَقّقه ومُحَشّيه محمّد خليل الباشا: «وقد يُضاعِف العامّةُ اللامَ للمُبالَغَة فيقولون: (لَتْلات) وكأنّهم أرادُوا أنّه يَلتّ الكلامَ كما يَلِتّ العجينَ ولذلك قالوا لمَنْ أكثرَ الكَلامَ: (صارَ يَلِتّ ويَعْجن)».

ولأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) رأي آخر فهي من الثّاء المُثَلَّثة:

«وفي (اللسان..): تَلَثْلَثَ في الدَّقعاء - التُّراب - تمرّغ، وقالت الأَئِمَّة أيضًا: لَثْلَث في كَلامِه إذا لم يُبِنْهُ. ومنه قالت العامّة: لَتَّ في كلامه ولَتْلَت إذا جاء بكلام فارغ لا مُحَصّل له، وهو لتلات إذا

كان دأبه ذلك. فاللَّتْلَتة العامّيّة (بالتّاء المُثَنّاة) للتَّمرُّغ والكلام الفارغ، هي بِعَيْنِها اللَّثْلَثة الفصيحة (بالثّاء المُثَلَّثة). أو إنّ لَتّ ولَتْلَتَ أصْلُه لات يَلُوت ويَلِيْت... والمُختار الأوّل». ا.هـ. رضا.

وفي مصر يراها بالتّاء المُثَنّاة فقط د. عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة). قلت: وفي الأمثال التي نَسْمَعُها من القصص والمُسَلسلات المصريّة: (هذه اللّتّة من هذه العَجِيْنة) كقولهم: (هذه الطِّينة من هذه العجينة).

وانظر في العين: العجنَ واللَّتّ.

لَحِسَ

في (المُعْجم الوسيط) كما في (لسان العرب) وقَبْل ذلك في (مقاييس اللغة): يقول ابْنُ فارس في (مقاييس اللغة): «اللام والْحاء والسّين كَلِمَة تَدُلّ على أَخْذ شَيْء باللسان».

وفي عَصْرِنا أَخَذ مُعْجَم المَجْمَع القاهريّ (الوسيط) أكثر هذه المادّة من مَعاجِم التّراث المَوْسوعيّة لَدى ابن منظور والفيروزاباديّ والزّبيديّ فإذا هي قريبة من اسْتعمالاتها في العامّيّة:

«لحِسَ الإناءَ: يَلْحَسُ لَحْسًا: لَعِقَه بإصبعه أو بِلِسانه. ولَحِسَ الدّودُ الصّوفَ لَحْسًا: أكَلَه. ويُقال: لَحِسَ الْجَرادُ الخَضِرَ والشّجَرَ.

أَلْحَسَتِ الأَرْض: أَنْبَتَت أوّل العُشْب. وأَلْحَسَ الماشيةَ: أَرْعاها أَدْنى رعْي. الْتَحَسَ منه حقَّه: أَخَذَه.

اللاحسة: يُقال: سَنَة لاحِسَة وسنون لَواحِس: شِداد لا تُبْقِي على شَيء من النّبات.

اللاحوس: المَشْؤوم؛ كأنّه يَلْحَس قَوْمَه. واللاحوس: الحَريص.

اللَّحسُ: ما يَظْهَر من رؤوس البَقْل.

اللُّحْسَةُ: يُقال: ما لَك عِنْدي لُحْسَةٌ: شَيْء.

اللُّحُوس من النّاس: مَنْ يَتَتَبّع الْحَلاوة كالذّباب.

اللَّحْوَس: الحَريص الأكول مِنَ النّاس.

المِلْحَسُ: الحَرِيص، أو الذي يأخذ كلّ ما قَدِر عليه. والمِلْحَس: الشّجاع. (ج) مَلاحس.

المَلْحَسُ: اللَّحْس، ومكان اللحس (ج) مَلاحس. ويُقال: تَرَكْتُه بملاحسِ البقرِ أولادَها: أيْ بمكان قَفْر لا يَدْري أينَ هو، وذلك أنّ بقر الوحش لا تَضَع أَوْلادَها إلّا في الفَلاة».

وممّا فات (المُعجمَ الوسيطَ) من فِصَاح عامّتنا في هذه المادّة قول ابن منظور في (لسان العرب):

«واللُّحْسَةُ: اللُّعْقَة. وفي حديث غسلِ اليد من الطّعام: إنّ الشّيطان حَسّاس لَحّاس؛ أيْ: كثير اللَّحْسِ. وفي المَثَل: أَسْرَع مِنْ لَحْس الكَلْب أَنْفه».

وما فات (المُعْجم الوسيط) لم يَفُت د.عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) فهو يَسْتَشْهِد (بالقاموس..) ثمّ يَرْوي ما «يقول ابن حَمْديس في وَصْف بِركةٍ (١٠٥ في الأدب الأندلسيّ: د. جودة الرّكابيّ).

وتَخالُها والشّمْسُ تَجْلُو لَوْنَها
نارًا وأَلْسُنَها اللَّواحِسَ نُورا».

وأُضِيف من (مُسْتَدْرَك التّاج): «رَجُل لَحّاس: كثير اللَّحْسِ لِمَا يَصِل إليه. واللّاحوس: الحريص كالمُلْحِس كَمُحْسِن. واللّحس ما يَظْهر

من رؤوس البَقْل؛ وغَنَم لاحِسَة تَرْعى ذلك. ومالَك عِنْدي لُحْسَة - بالضَّمّ - أيْ: شَيْء».

وفي الزّمخشريّ في (أساس البلاغة): «.. وفلان ألْيَس، ألَدّ مِلْحَس... وفُلان لَحُوسٌ: يتتبّع الحَلاوات كالذّباب... والْتَحَسْتُ منه حَقّي وَالْتَحَسْتُهُ».

إحالة

(لَحَسَ): وَحَسَ به

انظر في الواو: وَحَسَ به و(ما لَحَسَه).

لَحْلَحَهُ وَتَلَحْلَح وَتَحَلْحَل

نقول في عامِّيَّتنا: (لَحْلَحَ سِنَّهُ فَتَلَحْلَحت مثلما يَتَلَحْلَح المِسْمار قَبْل قَلْعه؛ فقلت له: قُمْ.. تَلَحْلَحْ من فِراشك.. واقصد طبيب الأسنان..).

والتَّلَحْلُح من الفِراش مُتَطوّر مجازيًّا حتّى صار بمعنى: تَرْك الكَسَل والإقلاع عن الإهمال والتّراخي..

ولَحْلَحَةُ السِّنّ وَتَلَحْلُحُهَا ممّا يَتَوَسّط ما بين معنى التَّحَرُّك ومعنى الثَّبات.

وفي (كتاب الأضْداد) لمحمّد بن القاسم الأنباريّ المُتوفّى سنة ٣٢٧هـ ٩٤٠م. أي إنَّه أقدم من (الأضْداد في كلام العرب) لعبد الواحد بن عليّ اللغويّ الحلبيّ المُتوفّىٰ سنة ٣٥١هـ وأقدم من المعاجم المُتداوَلة (كالمقاييس.. واللسان.. والقاموس.. والتّاج.. و..الخ..) يقول الأنباريّ:

«تَلَحْلَحَ: حَرْف من الأضداد؛ يُقال: قَدْ تَلَحْلَحَ الرَّجُلُ إذا أقام في المَوضِع وثبت، وَتَلَحْلَحَ إذا زال وذَهَب؛ (حَدَّثنا... عن عبدالله بن الزُّبَيْر أنّ رسول الله - ﷺ - لمّا هاجر إلىٰ المدينة وَدَخَلَها جاءت ناقَتُه إلى موضع المِنْبر، فاسْتَناخَت وَتَلَحْلَحت)

وفي غير هذا الحديث: (.. وأَرْزَمَت)...

وأنْشَدَنا في المعنى الآخر أبو العَبّاس، عن سَلَمَة، عن الفَرّاء: [لِامْرَأَة دَعَتْ على زَوْجها بعد كِبَرْ (في اللسان..)].

تَقُولُ وَرْيًا كُلّما تَنَحْنَحا
شَيْخٌ إذا حَرَّكْتَهُ تَلَحْلَحا

أراد بـ: (تَلَحْلَحَ) تَحَلْحَلَ فقدّم اللام وَأخّر الحاء؛ كما قالوا: جَذَبَ وَجَبَذَ؛ وعاث في الأرض وَعَثا؛ هذا تفسير الفَرّاء. وقال غَيْرُه: إذا كان (تَلَحْلَح) بمعنى: أقامَ وثَبَت، فَأَصْله (تَلَحَّحَ) من الإلحاح.. كما قالوا: قد صَرْصَرَ البابُ وأصله: صَرَّرَ... قال ابنُ مُقْبِل:

أناسٌ إذا قيل انفِروا قد أُتِيتُمُ
أَقامُوا على أَثْقالِهِمْ وَتَلَحْلَحُوا

أي ثَبَتُوا. ويُقال: قد تَحَلْحَلَ الرَّجُلُ، إذا زال وذهب، وأصله: تَحَلَّل...».

قلت ولٰكنّ المعاجم بعد الأنباريّ لم تحافظ كلّها على هذا الذي قدّمه بَيْن أيديهم مُفصّلًا، فحذفوا، وتَغايَر حَذْفهم، فتغايرتِ النّصوص المُعْجَميّة، وتَزَحْزَح وتَلَحْلَح ما في مُعجمٍ عمّا في آخر.. فصاحب (المعجم المدرسيّ) محمَّد خير أبو حرب يكتفي بالقول: «تلحلح عن المكان: تزحزح» وحين أردت أصل المعنى لدى ابن فارس في (مقاييس اللغة) وجدت نقيضه: «تلحلح القوم: إذا أقاموا مكانَهم لم يبرحوا». وكذلك وجدت (القاموس.. والتّاج..) «لَحْلَحُوا: لم يبرحوا مكانهم كتَحَلْحَلُوا» ولٰكنّ (التّاج..) يزيد ممّا في (اللسان..) أيضًا: «وتلحلح عن المكان: كتزحزح... ويُقال: تَحَلْحَلُوا أي تفرّقُوا، وفي قول المرأة:

شَيْخٌ إذا حَرَّكْتَه تَلَحْلَحَا

أرادت: تَحَلْحَلَ فقَلَبت». فهل كان مقصد ابن منظور في (اللسان..) أنّه «كَتَزَحْزَح» في الوزن وليس في المعنى؟ ولٰكنّ بعض المعاجم الحديثة فهمتها: كَتَزَحْزَح في المعنى، ومنها من تَدَارَك: أنّ هذا الفعل من الأضداد مثل (محيط المحيط) و(أقرب الموارد إلى فصح العربيّة والشّوارد) و(المُنجد). وأشار إلى وجهي المعنى أو إلى المقلوب، (.. الوسيط) و(الرائد) (والقول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل)، للأمير أرسلان الذي ذُكِر أنّها مِن الأضداد في اللغة أيضًا (ص١٩٣) و(متن اللغة) الذي وضع في حواشيه العامّيّة: «وعامّتنا تقول: لَحْلَح الإناء: إذا غَسَله ونظّفه بالماء، ورَجُل مُلَحْلَح: نظيف الأَعْمال لَبِقٌ فيها، ولعلّها مأخوذة على القَلْب: مِن: حَلْحَلَه أَيْ: أزال الوَسَخَ عن مكانه فيه». ولم أجدها عنده في ردّ العامّيّ. ووجدت لدى د. عبدالعال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «لَحْلَحَ:.. والأَصْلُ فيها حَلْحَلَ ثمّ حَدَث قَلْب مَكانيّ..». وكذلك قال أحمد أبو سعد في ص٢٧٠ من (قاموس المصطلحات والتّعابير الشّعبيّة): «مُلَحْلَح: متحرّك، وأظنّها مقلوب محلحل»...

لَزَّ المُلَزَّز

تُحافِظُ العامّيّة عِنْدنا على اللَّزّ لَفْظًا ومعنًى كما كان في التُّراث:

قال أحمد بن فارس في (مُعْجَم مَقاييس اللغة):

«لَزّ: اللّام والزّاء أَصْلٌ صحيحٌ يَدُلُّ على مُلازَمة: ومُلاصَقَةٍ. يُقال: لُزَّ به. إذا لَصِقَ به لَزًّا ولَزازًا. ولازَزْتُهُ: لاصَقْتُه. ورَجُلٌ لِزازُ خَصْمٍ، إذا كان يُلازُّه ولا يَكِعُّ عنه. والمُلَزَّزُ: المُجْتَمِعُ الخَلْق. واللَّزُّ: الطَّعْن؛ وهو من قِياسِ الباب...».

و.. مثلُ ذلك في (القاموس..) و(اللسان..) وفيها أيضًا: «لِزاز البَيْت، وهي الخَشَبَةُ التي يُلَزُّ بها البَابُ. واللَّزَز: المَتْرَسُ... وكلُّ شيء دُوْنِيَ بَيْن أَجْزائه أو قُرِنَ فَقَدْ لُزَّ.. ولازَّهُ مُلازَّةً ولِزازًا: قارَنَه... قال جرير:

وابْنُ اللَّبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَنٍ
لم يَسْتَطع صَوْلَةَ البُزْلِ القَناعيسِ

– أبو زيد: إنّه لَكَزٌّ لَزٌّ: إذا كانَ مُمْسِكًا... ابن الأعرابيّ: عجوزٌ لَزوزٌ وكَيِّسٌ لَيِّسٌ.. ولِزاز اسم فَرَسِ سيّدنا مُحمَّد رسول الله – ﷺ سُمِّيَ به لِشِدَّة تَلَزُّزِهِ واجْتماع خَلقِه».

قُلْتُ: وعوامُّنا يقولون: (لَزَزْت الصّفوف أشدّ اللَّزّ) ويقولون المَثَل (عِند اللَّزّة والحَزّة طَهِّروا والمَقَيُول). تعبيرًا عن حِكايَة حالِ مَنْ تَحْتَشِدُ عَلَيْه الواجباتُ والأعمالُ ويأْتيه مَنْ يُرِيْد صَرْفَه عنها إلى ما يُريد هو.

واللَّزّة – لدى عوامّ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح)-: «دِقاق العُود اليَبِيْسِ يُلِزّ بَعْضُه إلى بَعْض ويُحْشَكُ ثمّ يُلْقى تحت القِدْر أو في الأتّون، فَيَضْطَرِم. وهي من لزَّ الشّيءَ إذا دانَىٰ بَيْنَ أجزائه.. أو يكونُ أَصْلُها من أَزّ...

وتَسْتَعِيرُ العامَّة اللَّزَّة لِما يُصِيْبُ الإنسانَ من وَقْد حَرارَةِ الشَّمْسِ في بَدَنِه ومَعِدته فَتَعْرُوه الحُمَّى. ويَقولُون: أصابَتْه لَزَّةُ شَوْبٍ. والشَّوْبُ = الحَرّ».

وفي مِصْر أيضًا يقول د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقولُ في دارِجَتنا: لَزَّ البابَ: شَدَّهُ فأَغْلَقَه. وَلَزَّ فلانٌ فلانًا: شَدَّهُ، وَلَزْلَزَ فلانٌ وهو مُلَزْلَزٌ: زادَ جِسْمُه وبدا مُجْتَمِعَ الخِلْقَة مَفْتُول العَضَل.. والأَصْل فيها لَزَزَ..».

قُلْتُ: لعلّنا نَتَنَبَّهُ إلى أنّهم في مُحاورات أَفْلامِهِمْ

ومُسَلسَلاتِهم اليوم يُفَخِّمون الزّاي فَيَقُولُون: (ملَطْلَط) وفصيحُها: مُلَزَّز، كما رأينا..

والمُعْجَمات الحَديثَة لم تَخْرُجْ عمّا في التُّراث في مادَّة هذا التَّركيب..

لَزِق ولَسِق ولَصِق

فَصَلَ المُرَبُّونَ فِي طُفولَتِنا بَيْنَ لَصِق الفِصيحة وبين لَزِق التي أقنعُونا بِعَدَم كتابتها بالزّاي حتّى لا نكتب في رأيهم بالعامّيّة (كما فعلُوا في هَنْدَز وهندس؛ وهذه مُعَرَّبة قديمًا من الفارسيّة) ولكنّ الفصيحة: لَزِق ولَصِق وَلَسِقَ يلزَق ويلصَق ويلسَق لُزوقًا ولُصوقًا ولَسَقًا.

في (الوسيط) مُعْجَم مَجْمَع القاهرة كما في (القاموس.. واللسان.. والتّاج..):

«لَزِقَ الشّيء بالشّيء يَلْزَقُ لُزُوقًا: عَلِق به واسْتَمْسك بمادّة غِرائيّة. كما في (القاموس).

ولَزِقَ: اتّصل بِهِ لا يكون بينهما فَجْوَة.. وَأَلْزَقَه به ولازقه.. ولَزَّقَ الشَّيءَ: أَلْزَقَه.

وأَلْزَقه: فَعَلَهُ من غير إتقان ولا إحكام. كما في (اللسان..). والتزق الشّيْئان وتلازقا...».

وفي معجم (مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس المُتوفّى سنة ٣٩٥هـ. قوله:

«اللّام والزّاء والقاف ليس بأصل، لأنّه من باب الإبدال. يُقال: لَزِقَ الشّيءُ بالشّيء يلزَق، مثل لَصِق». قلت: فليس هذا الإبدال من عامّة عصرنا كما يُظنّ وإنّما هو من قديم الإبدال في اللغة الفُصْحَى.

وفي (اللسان..): ل ص ق: «لَصِق به.. وهي لغة تميم، وقيس تقول: لَسق وربيعة تقول: لَزَق..».

وفي (القاموس.. والتّاج..):

«لَزِق به والتزق التزاقًا..؛ والسّين لغة فيه وفي (الصّحاح..) والصاد لغة فيه واللِّزاق كالغِراء..

ويُقال: هو لِزْقي وبلزقي ولزِيقي أي بِجَنْبِي، في (الصّحاح) ولِزاق الحَجَر.. والرُّخام: دواء يُتَّخَذُ من حَجَر خاصّ.. أي: بجنبي، كما في (..الصّحاح..).. واللَّزَق.. - لابن دُرَيْد -: لُصُوق الرِّئَة بالجَنْب من العَطَش.. ولِرُؤْبَة:

وَبَلَّ بَرْدُ الماءِ أَعْضادَ اللَّزق

يقول: عَطِشْن فالتزقَتْ رِئاتُهُنّ فلمّا شَرِبْن ابتلّت نواحي ما التزق من العَطَش واللبزيقاء.. وفي اللسان اللّزّيقي: ما يَنْبُتُ صبحة المطر في أصول الحجارة وهي خضراء.. وتقول: هو جاري مُلازِقي ملاصقي.. واللِّزاق والمُلازَقَة الجِماع.

واللَّزْقَة - بالفتح - هو اللزوق، ومن أمثال العامّة: (لزقة بِغِراء) فيما لا يمكنُ الخلاص منه».

وفي (إصلاح المَنْطِق) لابن السِّكّيت: «داري لِصْق دارِهِ».

وذكروا من الغَلَطَات الشّائعة: المادّة اللاصقة، فليس المقصود أنّها تلصق بنفسها، والفعل الثّلاثيّ لَصِقَ: لازم، والمُتَعَدّي الرُّباعيّ ألصق، فالمادّة مُلْصِقَة أو مُلْزِقة أو مُلْسِقَة.

اللّزاقيّات والفُرْنيّة

في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) لأحمد رضا:

«اللَّزْقَة دَواء الجُرْح وَنَحْوِه يُبْسَط على خِرقَة ويُلصَق به حتّى يَبْرَأَ (مُوَلَّدَة) وهي في اللغة: اللّزوق واللّازوق واللّصُوق كما في (اللسان..).

ويقولُون للعَمل الذي لا يتّجه إلى الغاية المقصودة منه لقلّة العناية به: تَلْزِيق..

واللّزاقيّات عند العامّة خبز يُرَوَّى بالسّمْن والعسل أو بالسّمن والسّكّر ساعةَ إخْراجِه من التّنّور قبل أن تُخْمَدَ حَرارَته ثمّ يُلَفّ بعضُه على

بعضٍ.. وَيُشْبِه أن يَكونَ هذا هو المُسَمّىٰ عند العَرَب بالقُرْنِيّ.. واحدها: قُرْنِيَّة.. وبالسَّلائط..».

قلت: ولٰكنّ القُرْنِيّة في دمشق نوع آخر من المُعَجّنات يُشْبِه رقائقَ الخُبز ويُرَشُّ على وَجْهِه السُّمْسُم والحبّة السَّوْداء، أي: (حبّة البَرَكَة) كما يَدْعُونها..

اللَّسّ

(يَلُسُّ الأكلات بِصَمْتٍ ومن غير أنْ يَنْتَبِهَ له الآكلُون.. يكونُ قد أكَلَهم باللَّسّ وعلى الهِسّ فهو اللَّسَّاس الذي نَحْسَبُ حِسَاب لَسِّه من دون ما نُحِسُّ ونَدْري به..) وهو يَلسّ الأذى لنا باللّسّ أيضًا على الهِسّ.

هكذا يَسْتَعْمِل عامّتُنا الفِعْل لَسَّ اسْتِعْمالًا لا يَخْرُج عن مَعْناه الأصيلِ التّليدِ ولٰكنْ يدخل عليه تدقيقًا وتخصيصًا أكثر ممّا كانَ له من المُعْجَم. ولم أجِدْها في كُتُب فِصاح العامّيّة ولٰكنّها في المُعْجَم التُّراثيّ (كالتّاج.. واللسان.. والأساس..) وفي (المُعْجَم الوَسيط): لَسَّ الشَّيْءَ يَلُسُّه لَسًّا: أكَلَهُ. ولَحِسَهُ. ويُقال: لَسَّتِ الدّابّةُ الحشيشَ: تَناوَلَتْه ونَتَفَتْه بِمُقَدَّمِ فيها. ويُقال: فلانٌ يَلُسُّ لي الأذى. يَدُسُّهُ؛ (على المَجاز).

اللَّسُّ: أوّل الرَّعْي.

وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس:

«اللام والسّين أُصَيْلٌ يَدُلّ على لَحْسِ الشَّيْءِ؛ قال ابن الأعرابيّ: اللَّسُّ: اللَّحْسُ...».

وفي معجم ابن منظور (لسان العرب):

«لَسَّ: اللَّسُّ: الأكْل. قال أبو عُبَيْد: لَسَّ يلُسُّ لسًّا، إذا أكَلَ؛ وقال زُهَيْر يَصِفُ وَحْشًا:

ثلاثٌ كأقواسِ السَّراءِ وناشط
قد اخْضَرَّ من لَسِّ الغَمِير جَحَافِلُه

[ناشط، أي: مِسْحَل]

ولسّتِ الدّابّةُ الحشيشَ تلُسّه لسًّا: تَنَاوَلَتْه ونَتَفَتْه بِجَحْفَلَتِها. وَأَلَسَّتِ الأرضُ: طَلَعَ أوّلُ نَبَاتِها، واسْم ذلك النّباتِ: اللُّساس، بالضّمّ، لأنّ المالَ يَلُسُّه: وقال أبو حنيفة: اللُّساسُ: البَقْل ما دامَ صغيرًا لا تَسْتَمْكِنُ منه الرّاعِيَة، وذلك لأنّها تَلُسُّه بألسنتها لَسًّا.

وَأَلَسَّ الغمير: أَمْكَنَ أنْ يُلَسَّ. قال بعضُ العَرَب: وَجَدْنا أرضًا مَمْطُورًا ما حولَها قد أَلَسَّ غميرها».

وأُضيف من (أساس البلاغة) قول الكُمَيْت:

لَسَّ الغَميرَ بها مُسْتَقْبِلًا أُنُقًا
من الرّبيع وحتّى اغْلَوْلَبَ العُشبُ

اللَّطْس و(اللَّطْش)

في أغلب العامّيّات يُسْتَعْمل التَّعْبِيْر: اللَّطْش بمعنى الضَّرْب، فيقال لَطَشه بالكَفّ على خَدِّه.. ويُقال على المَجاز: لَطَشَه في الحِساب (غالَطَه) ولَطَش منه الغَرَضَ بسعْرٍ رَخيص؛ ولَطَشَتْه الكهرباءُ أي صَعَقَتْه أو آذَتْه وأَوْقَعَتْهُ؛ وفُلانٌ يَلْطُش مشاوير عديدة في اليوم ويُلاطش. أي يَتَوَسَّعون في معاني اللَّطْش والمُلاطَشة كما تَوَسّعُوا في معاني الضّرب.. وإنْ لم يقولُوا: جَدْوَل اللَّطْش لأنّ مُصْطَلَح الضَّرْب الرِّياضيّ أحد العَمَلِيّات الأَرْبَعَة في الحِساب.. فَيَكُون اللَّطْش عندئذٍ مُخَصَّصًا لنَقيضِ الضَّبْط في الضَّرْب الحسابيّ والتّدقيق فيه فَيَصْلُحُ مُصْطَلَحًا لِنَقِيضِ الضَّبْط. وتَوَسُّع أَهْل القاهِرة في معنى اللَّطْش

جَعَلَهم يُلَقِّبُونَ أو يُكْنُون عن (الجُنَيْهِ المصريّ) في أيّام الغَلاءِ بِلَقَب المَلْطُوش. . فماذا قال عُلَماء اللُّغَة في: اللَّطْش؟

وجدت لدى الزّبيديّ في مُسْتَدْرَك (تاج العروس. .) سنة ١٢٠٥هـ ١٧٩٠م.

«وممّا يُسْتَدرَك عليه أيضًا: اللَّطْش: الضَّرْب بِجُمْع اليد، والطَّعْن، وقد أَهْمَلَه الجَماعة» ا.هـ. الزبيديّ.

قلت: هذا يذكّرني بقول الزّبيديّ في (التّاج. .) ذاته قبل اللَّطْش بقليل في «اللَّبْش؛ وهي عربيّة صحيحة، وقد أهمله الجماعة».

ولم أجدْ (لَطَشَ) بالشّين قَبْل الزبيديّ، لدى ابن منظور أو الفيروزاباديّ أو ابن فارس قبلَهما، أو الفَيُّوميّ بعدَهما، ولم أجدْها في (المعجم الوسيط) لمَجْمَع القاهرة في عَصرِنا، ولا (المُعْجم المدرسيّ) لمحمّد خير أبي حرب في وزارة التّربية السّوريّة سنة ١٤٠٦هـ و١٩٨٥م.

فَمَنْ ذكرها بالشّين كالزبيديّ، وما الرّأيُ في فصاحتها؟

وفي مَطْلَع عصر النّهضة سنة ١٨٧٠م قال البُستانيّ في (محيط المحيط) في (لَطَشهُ يَلْطُشُه لَطْشًا ضَرَبَه بيده. وتَلاطَشوا: تضارَبُوا بالأيدي. وهما من كلام العامّة).

وكان البُستانيّ في لَطَثَ بالثّاء قال: «تلاطثوا: تضاربُوا بأيديهم وبعضُ العامّة تقول: تلاطَشُوا بالشّين». أمّا الأمير شكيب أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأَصْلِ) فيرى أنَّ فَصِيْحَها بالسّين المُهْمَلة: لَطَسَ، ويرى مُحَقِّقُه محمّد خليل الباشا في حاشية الصّفحة ١٩٤ أنّها فصيحة بالشّين أو من السّاميّ المُشْتَرَك.

وفي مصر يرى د. عبد المُنعم سيّد عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) سنة١٣٩١هـ - ١٩٧١م: «. . ولَطَشَ كذا: جَمَعَه وأخذه قَسْرًا (في عَلَنٍ أو خفاء) والأصل فيها: لطث».

وفي لبنان لدى أحمد أبي سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) سنة ١٩٨٧م. في التّعبير: «لطّشَها حَكْي: المُراد: أَسْمَعَها كلامًا جَارِحًا من لَطَشَه بمعنى طَعَنَه وقالُوا: (لطّش في الكلام) أي أتى بقليل منه وكأنّه يفتحُ به باب الكلام».

قلت: (لَطَّشَها الحَكِي)، تُقال عندنا في دمشق بهذا المعنى ويتوسّعون فيها. . أمّا: (لَطَّش في الكَلام) أي أتى بقليل منه وكأنّه يفتح باب الكلام فقد قالها أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) زهاء سنة ١٩٥٠م على أنّها العبارة الرّابعة من ل ط ش. ورَبَطَها بقولِ العرب: «لَطِّشْ لي شيئًا حتّى أَذْكُر».

مَعَ أنَّ رِضا كان في: ل ط ش قال: «وفي اللُّغة: لَطَشَهُ لَطْشًا ضربه بِجُمْع يده. ولَطَشَهُ = طَعَنَهُ. ولطسه (بالسّين المُهْمَلة) ضَرَبَه بالشّيء العريض = لَطَمَه = رماه بِحَجَرٍ ونحوِه. ولَطَثَه = ضربهِ بعُودٍ عريض أو بِعَرْضِ يَدِه. ولَطَحَه (بالحاء المُهْمَلة) ضَرَبه بِباطِنِ الرّاحةِ ضَرْبًا غيرَ شديد، أو ضربًا لَيّنًا على الظَّهْر بباطن الكفّ. وَوَطَثَه وَوَطَسَه وَوَطَشَه وَمَطَسَه، وَكُلُّها أَلْفاظ مُتَقارِبَة الحُروف لِمَعْنًى واحِدٍ. فاسْتِعْمالُ العامّة صَحيح فَصيح». ا.هـ أحمد رضا.

فرِضَا يَرْضى بفصاحة (اللطش) بالشّين ويراه البستانيّ قبله من كلام العامّة وقبلَهما الزّبيديّ يَسْتَدْركه مع ما «أهمله الجماعة» ولا يقول الزّبيديّ: ما مصدره؟

ومن أين أتىٰ باللَّطْش واهتمّ به بعد إهمال الجماعة؟ أوَ لا يحقّ لي أنْ أجرّب الإبدال بالتّعاقُب بين السّين والشّين؟ فأجد اللَّطْس والمُلاطسة في معاجم التُّراث كافَّة. فأُسائل عن الفِعْل: لَطَسَ يلطُس لَطْسًا؛ أهو الأصل في قولهم: (لَطَشَ)؟

ففي مُعْجم ابن منظور (لسان العرب):

«اللَّطْسُ: الضّرْب للشّيءِ بالشّيءِ العريض. لَطَسَه يَلْطُسُه لَطْسًا.

وَحَجَرٌ لَطّاس: تُكْسَرُ به الحجارة. واللِّطْس والمِلْطاسُ: حَجَرَ ضخم يُدَقّ به النَّوى.. والجَمْع المَلاطِس. والمِلْطاسُ: مِعْوَل يُكْسَرُ به الصَّخر.. والملطاسُ ذو الخَلْفَين: الطّويل الذي له عَنَزَة، وعَنَزَتُه حَدُّه الطّويل...

قال امرؤ القيس:

وتَرْدي على صُمٍّ صِلاب مَلاطِسٍ
شَدِيداتِ عَقْدٍ، لَيِّناتِ مِتانِ

ابن الأعرابيّ: اللَّطْس: اللَّطم والدَّقّ والوَطْءُ الشّديد؛ قال حاتم:

وَسُقِيْتُ بِالماءِ النَّمِيرِ وَلَمْ
أُتْرَكْ أُلاطِسُ حَمْأَةَ الحَفْرِ

أُلاطِسُ: أَتَلَطَّخُ بِها. ولَطَسَهُ البعيرُ بِخُفِّهِ: ضَرَبَه أو وَطِئه. والمِلْطَسُ والمِلْطاس: الخُفُّ أو الحافِر الشّديد الوَطءِ.

التّهذيب: ورُبّما سُمّي خُفُّ البعير مِلْطاسًا. والمِلطاس: الصّخرة العظيمة، والمدقّ المِلطاس، والمِلطاس حَجَر عَريض فيه طُول».

وفي (القاموس المحيط) و(تاج العروس) مثل ذلك، أمّا ابن فارس في (مقاييس اللغة) فلم يُعْنَ بذلك.

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ: «.. ومن المَجَاز: مَوْج مُتَلاطِسٌ».

قلت: حينما تَسْتَبْدِل بالسّين شينًا في كلّ: ل ط س تجده في فصيح العوامّ.

لَطَّه يَلُطُّه ويَلِطُّه

تقول عَوَامُّنا: هذا الشَّيءُ قد لَطّه فلان منّا وأَنكَر مَعْرِفَتَه بِأَمْر اخْتِفائِه، وَهُم يَقصدون بِقَوْلِهم لَطّه: أَخْفاه كأنّه يَنْوي أنْ يَسْرِقَه.

وعلى الرّغم من أنّ المعنى الأصْليّ لِلَّطِّ: الإلْصاق أو الإلْزاق كما في بَدْء المادّة في (لسان العرب)؛ إلّا أنّ المعنى العامّيّ لِلَّطّ: السّتر والإخفاء، وارِد بَيْن المعاني الكثيرة لِلَّطّ أيضًا فيه وهو المعنى الذي يَبْدأ به الزّمخشريّ في (أساس البلاغة).

ولعلّ من لطِّ الإلْزاق قالَتِ العوامّ أيضًا: (لَطَّهُ بالْحديد المُحَمَّىٰ) لأنّ المَعْدن المُسَخَّن يَلْتَزِق بالْجِلْد الّذي يُلامِسُهُ.

وأمّا في العامّيّة المصريّة فيقول د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارِجَتِنا: لَطَّ فُلان جُرْح فلان: اقْتَرَب منه ولامَسَه، ولَطَّ الأمرُ فلانًا، وهو مَلْطوط؛ أيْ لَزِمَه الأَمْرُ والْتَصَق أو كان له صِلَة به..». أمّا اللبنانيّون فَلَمْ أطّلِع على إسْهامٍ لَهُم في اللَّطّ.

وفي (مقاييس اللغة):

«اللام والطّاء أُصَيْل صحيح، يَدُلُّ على مُقارَبَةٍ ومُلازَمَةٍ وإِلْحَاحٍ...

... وكلّ شَيْء سُتِرَ بِشَيْء فقد لُطَّ به...».

وكذلك في (لسان العرب) الذي فيه أيضًا: «وَأَلَطَّه أيْ أَعَانَه أو حَمَلهُ على أنْ يُلطَّ حَقّي.

يُقَال: مالَكَ تُعيِّنُه على لَطَطِه؟ وَروى بَعْضُهم قَوْل يَحْيى بن يَعْمَرَ (أَنْشأَت تَلُطُّها) أيْ تَمْنَعُها حَقّها من المَهْر. ويُرْوى: تَطُلُّها.. وربّما قالوا: تَلَطَّيْتُ حَقَّهُ، لأنّهم كَرِهُوا اجْتِماع ثَلاث طاءاتٍ فأَبْدَلُوا مِنَ الأخيرة ياءً كما قالوا من اللعاع: تَلَعَّيْتُ.

وَلَطَّ حَقَّهُ ولَطَّ عليه: جَحَدَهُ.. وفي حديث طَهْفَةَ: (لا تُلْطِطْ في الزّكاة) أيْ: لا تَمْنَعْها. هكذا رواه القُتَيبيّ. ورُوي: (ولا يُلْطَط في الزّكاة).

ولَطَّ على الشّيء وأَلَطَّ: سَتَرَ، والاسْم اللَّطَطُ، وَلَطَطْت الشّيْءَ أَلُطُّه: سَتَرْتُه وأَخْفَيْته. واللَّطُّ: السّتْرُ. وَلَطَّ الشّيْءَ: سَتَرَه؛ وأنشد أبو عُبيد للأعشَى:

ولقد ساءها البَياضُ فَلَطَّتْ
بحجابٍ، من بَيْنِنا، مَصْدوف

ويُروى: مَصْروف، وكلّ شيء سَتَرْته، فقد لَطَطْته. وَلَطَّ السِّتْرَ: أَرْخاه ولَطَّ الحِجابَ: أَرخاه وَسَدَلَهُ؛ قال:

لَجَجْنا وَلَجَّتْ هٰذِهِ في التّغَضُّبِ
ولَطِّ الحِجابِ دُوننا والتَّنَقُّبِ

واللَّطُّ في الخَبَرِ: أَنْ تَكْتُمَهُ وتُظْهِر غَيْرَه، وهو من السّتر أيضًا.. ولَطَّ عليه الخَبَرَ لَطًّا: لَواهُ وكَتَمَهُ. الليث: لَطَّ فلان الحَقَّ بالباطل: أي سَتَره. والنّاقة تَلِطُّ بِذَنَبها إذا أَلْزَقَتْه بِفَرْجِها وأَدْخَلَتْه بَيْن فَخِذَيْها؛ وقَدِم على النّبيّ - ﷺ - أعْشَى بني مازن فَشكا إليه حَليلَته وأَنْشَد:

إِلَيْكَ أَشْكُو ذِرْبَةً من الذِّرَبْ
أَخْلَفَتِ الْعَهْدَ وَلَطَّتْ بالذَّنَبْ

أَراد أنّها مَنَعَتْه بُضْعَها ومَوْضِعَ حاجَتِه مِنْها... وَلَطَّ البابَ لَطًّا: أَغْلَقَه وَلَطَطت بِفُلان أَلُطُّه لَطًّا إذا لَزِمْته، وكذلك أَلْطَطْتُ به إلطاطًا.. وَلَطَّ بالأَمْر يَلِطُّ لَطًّا لَزِمَه... ويقال لِصَوْبَجِ الخَبّاز: المِلْطاطُ والمِرْقاق. [والصَّوبَج هو ما نَدْعُوه اليوم: الشَّوْبَك]».

في صِحَاح الْجوهريّ: يَلُطّه. بضمّ عَيْن مُضارعه، فهو عنده «من حدّ: نَصَر. وَمُقْتَضَى قاعِدَته من حدّ: ضَرَب» هكذا نصّ الزّبيديّ في (تاج العروس..).

وفي (اللسان..) يُلاحَظ أنّه يَضُمّ عَيْن مُضارعه مَرّة ويَكْسرها أخرى في (لطّه يلِطّه: لَزِمَه). وفي (القاموس..) بِكَسْر عَيْن مُضارعه فقط. وفي ضَبْط شواهد (أساس البلاغة) وَرَدَتْ عَيْنُ مُضارعه مَضمومَة فيه.

وبطرس البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط) تَبِع (القاموس..) فاقْتَصَر على كَسْر عَيْن مُضارعه.

وفي (.. الوسيط) بضمّ عَيْن مُضارعه في أَغْلب معانيه إلّا أنّه خصّ معنًى واحدًا بِكَسْر عَيْن مُضارعه: «لَطَّ فلان يَلِطُّ لَطَطًا: سَقَطَتْ أَسْنَانه أَوْ تَأَكّلَتْ وَبَقِيَت أُصُولُها». فهو أَلَطُّ ولعلّ ذلك لأنّه لازم، وفي المعاني الأخرى مُتَعَدّ واقْتَصر (المُعْجم المدرسيّ) على: «لَطَّهُ بالْعَصا يلُطُّه: ضَرَبَه بالعصا. ولطَّ الشّيْءَ: سَتَرَه وأَخْفاهُ». فضمّ عَيْن مُضارعه فيه وأَهْمَلَ المعاني الأخرى وقَبْلَه أَهْمَل الوسيط بعض معانيه المُرتَبِطة بِفِصاح العامّيّة الشاميّة... فالمعاني التي حَذَفها (المُعْجم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة، اختصارًا قَلَّلَتْ من ارْتباط المادّة بِبَعْض فِصاح عامّيّتنا في الشّام؛ من اللّطّ بمعنى الإلْصاق بالمَعْدن السّاخن مثلًا.. أمّا (المُعْجَم المدرسيّ) لأبي حَرْب ووزارة التّربية بدمشق فأهْمل أَكْثر المعاني الفصيحة في عامّيّة الشّام، حتّى المعنى الذي اسْتَعْمله الشّعراء،

والذي يَحْتاج طالِب المدرسة إلى دِراسَتِه؛ ففي الكُتُب المَدْرسيّة وفي ديوان المتنبّي، يقول أبو الطيّب:

لنا عِنْدَ هذا الدَّهْرِ حَقٌّ يَلُطُّهُ
وَقَدْ قَلَّ إعْتابٌ وطالَ عِتابُ

وفي الْحاشية: «يَلُطُّه: يَجْحَدُه وَيَمْطل به، ومنه قَوْل يَحْيى بن عُمَر في رواية: أَنْشَأت تَلُطُّها؛ أي: تَمْنَعُها حَقَّها مِنَ المَهْر».

ص ٣٢٣ من ج١ من شرح البَرْقوقيّ؛ قصيدته في مَدْح كافور الإخشيديّ التي مَطْلَعُها:

مُنًى كُنَّ لي أَنَّ البَياضَ خِضابُ
فَيَخْفَى بِتَبْيِيْضِ القُرونِ شَبَابُ

قُلْت: نَجِد في (اللسان والتّاج) المعاني اللازِمَة لِشَرْح بَيْت المُتَنَبّي، أمّا قَوْل ابن فارس في (مقاييس اللغة):

«اللام والطّاء أُصَيْلٌ صحيح يدلّ على مُقارَبةٍ ومُلازَمَةٍ وإلْحاحٍ».

فقد ضيّق واقْتَصَر على ما ظنّه أَصْل المعنى، وأمّا المعاني الكثيرة التي فصّل القَوْل فيها الزّبيديّ بَعْد الفيروزاباديّ وابن منظور وغيرهما فَكُلّها قد تَسْتَعْمِلُها عامّتنا في دارِج كَلامِها، كما وَرَدَتْ في قَدِيم الفِصَاح.

لَطَعَ

مادّة اللَّطع في عامّيّتنا ما تزال كما كانت في الفصيح. فمن معانيها اللَّحْسُ باللسان والمَحْوُ. والضَّرْب والتَّثْبيتُ بَعْدَ الضَّرْب.. وفي مِصرَ أيضًا يقول د. عبد العال: «نقول في دارجتنا: لطع فلانًا كَفًّا: ضربه بكفّه، ولَطَعَه في الحائط: ضَرَبَ به الحائط..».

ويروي أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) أنّهم يقولون: «لَطَعَه بالكَفّ إذا ضَرَبَه بها مَبْسوطَةً، ولَطَعَ الرَّغِيف بالتَّنُّورِ إذا ضَرَبه على جانِبِها لِيَلْتَصِق وَيَنْشَوي. وفي اللُّغَة: لَطَأَهُ لَطْأً: إذا ضَرَبه. وخَصَّ بَعْضُهُم به الظَّهْر». فقلت:

وفي القاموس.. والتّاج.. كما في: (اللسان.. والأساس..): «اللَّطْعُ: اللَّحْسُ باللسان، وقيل: هو اللَّعْق كَالاِلْتِطاع. واللَّطْع: أن تَضْرب مُؤَخَّر الإنسانِ بِرِجْلِك. قال الصّاغانيّ: فِعلُها كسمِعَ ومَنَعَ..: لَطَعْتُهُ ولَطَعَه أَلْطَعُه بالعَصا لَطْعًا: ضَرَبه بها.. وهو مجاز. وَلَطَع اسْمَه..: مَحاه وكذلك طَلَسَه، وهو مجاز. وكذلك لَطَعَه أَثْبَتَه فهو ضِدّ. ولَطَع عَيْنَهُ: لَطَمَها ولَطَع الغَرَضَ.. أصابَهُ.. ومن المجاز: لَطَعَ إصْبَعَهُ ولَعَقَها أي مات عنه أيضًا [قلت عوامّ الشّام تقول: بَلَعَ إصْبَعَه..]... ورَجُل قُطّاع لَطّاع... يَمُصُّ أصابِعَه إذا أَكَلَ وَيَلْحَسُ ما عليها وَيأْكُل نِصْف اللُّقْمة وَيَرُدّ النّصفِ الثّاني... واللَّطَع: بياض في باطِنِ الشَّفَةِ والحَنَك. ورقَّة في الشَّفَةِ وَقِلَّةٌ في لحمها، أَوْ تَحاتُّ الأَسنانِ إلّا أَسْناخُها وقيل: أن تُرى أصول الأسنان في اللَّحْم، وَرَجُلٌ أَلْطَعُ وامرأة لَطْعاء، وأَنْشَدَ الجوهريّ للرّاجز:

جاءَتْك في شَوْذرِها تميسُ
عُجَيِّز لَطْعاء دَرْدَبيسُ
أَحْسَنُ منها مَنْظَرًا إبْليسُ

يكون ذلك في الشابّ والكبير. واللَّطَع: قِلَّة لَحْم الفَرْج أو صِغَر الجَهاز. ويُبْسُه وهُزاله فهي لَطْعاء..

وممّا يُسْتَدرَكُ عليه: رجل لُطَع: كَكُلَع: لئم. والعامّة تقول لَطِيع ولكيع.

والْتَطَعَ جميع ما في الإناء والحوض: كأنّه لَحِسَهُ، نقله الجوهريّ ولطع الكلبُ الماءَ:

شَرِبَه؛ مجاز.. وقال ابن عبّاد: لَطَعْت عَيْنَه: لَطَمْتها، وتقول العامّة: لَطَعَ كَفَّه إذا قَبَّله». اهـ الزّبيديّ.

اللَّطم

(مَعَوَّد هذا الخَدّ على هذا اللَّطْم) من الأمثال العامّيّة الشّاميّة التي لا تَحْتَاج إلى تفصيح فكلّ ما فيها صحيح. كقول عامّيّتنا: (كأنّي الْتَطَمْت على عيني حين جاءني خَبَر السّوء).

واللَّطْم في عامّيّة الشّام ومِصْر وغيرهما، كما قال د. عبد العال في: (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة). «نقول في دارجتنا: في ضِيْقِهِ لَطَمَ وَجْهَه: ضَرَبَ خَدَّيه بِكَفَّيْه وفي (القاموس..) اللَّطْمُ: ضَرْبُ الخَدِّ».

وللزَّمَخشَريّ في (أساس البلاغة) ما أتخيَّر من بلاغاته:

«لَطَمْتُه لَطْمًا وهو الضَّرْب على الوَجْه بِبَسْط الكَفّ. وخَدٌّ مُلَطَّم: لُطِمَ كثيرًا... وكأنّ فاها لَطِيْمة تاجر؛ وهي: وِعَاء العِطْر؛ وقِيْل: غيره. ولاطَمَهُ لِطامًا. وفي مَثَل: (مِنَ الشّباب يهيج اللِّطام) وتلاطَمُوا والْتَطَمُوا. وَلَطَمَ الصَّقْرُ الصَّيْد، قال أبو النَّجْم:

قَدْ جاءَ مُنْقَضًّا قُبَيْلَ النَّجْمِ
بِأَحْجَنِ الكَلّوبِ أَقْنَىٰ الخَطْمِ
يَنْتَزِع الأرواحَ قَبْلَ اللَّطْمِ

ومن المَجَاز: التَطَمَتِ الأمواج وتلاطَمَت. وهو مَلْطوم عن شَقّ الغُبار: مَرْدُود عن السَّبق؛ ومنه: اللَّطِيْم: التّاسع من خَيْل السِّباق... ورَجُل مُلَطَّم: لئم مُدَفَّع من المكارم وفَرَسٌ أسِيْل المُلَطَّم وهو الخَدّ.. وعن الأصمعيّ: غلام يتيم: مات أبوه، ولَطيم: مات أبَوَاه...

... ولَطَمَ الشّيءَ بالشّيء: أَلْصَقَه به، يُقال: لَطَمَ جَنْبَهُ بالتُّرْس..»

وأَزيد من (اللسان..): «..لَطَمَهُ يَلْطِمه لَطْمًا.. والمِلْطَان: الخَدّان.. وفي المَثَل: (لو ذاتُ سِوارٍ لَطَمَتْني)».

وفي (القاموس.. والتّاج) «..ومن المَجَاز: اللَّطِيم: اليتيم ومَنْ يموت أبَواه، وعَجِيّ تموت أُمّه، والذي في كُتُب اللغة كالصّحاح وغيره أنّ اللَّطيم الذي يموت أبواه، والعَجِيّ الذي تموت أُمُّه واليَتيم الذي يَمُوت أبوه..

ومن المَجاز: اللَّطْم: الإلصاق؛ يُقال: لَطَم الشّيءَ بالشّيء إذا أَلْصَقَه به..».

اللَّعْلَعَة واللَّعْو واللاعي

(لَعْلَعْ يابْن أُم لَعِّيْن) في أغنية (العِرْق سوس) لِحُمَر الْجِيْزاويّ المِصْريّ، لعلّها تفسّر بلهجة الصَّعيد التي تُبْدل بالألِف المهموزةِ عَيْنًا فيقولون بَدَل (لا: لَعْ) وقد وَجَدَها د. عبد العال في (تهذيب اللغة) للأزهريّ: «وتهمز العرب لَأْ إذا وقفوا عليها».

وفي أفراح الشّام يَهْتفن: (عاللَّعْلَعِي وعاللَّعْلَعِي.. ويا صبَايا تجمَّعي).

ولم أجد معنى اللَّعْلَع واللَّعْلَعي لَدىٰ مَنْ حَوْلي، كما لم أجِدْ ما يُقاربُها من المعاني الكثيرة المُتَعَدِّدة في مادّة لعّ وَلَعْلَعَ في المعجم القديم..

ولكنّ اللَّعْلَعَة بمعنى اللَّمْع والتَّلأْلُؤ في الفَصيح تَجْعَلُني أظنّ أنّها انْتَقَلَت على ألسنة العَوَامّ من الْتِماع الطَّلْقات النّاريّة إلى صَوْت انْطِلاقها في السّلاح..

أمّا (اللَّعي واللَّعْوَة) بمعنى الكلام المُضْجِر و(العَلْك الفارغ) فهو قريب من قول ابن عبّاد في

(.. المحيط..) الذي نقله عنه الفيروزاباديّ والزّبيديّ في (القاموس.. والتّاج..) كما في (اللسان..) أيضًا:

«.. لَعْ وَلَعْلَعْ كلاهما بمعنى: لَعًا، يُقال للعاثِر؛.. وتَلَعْلَعْتُ به: قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ. ونصّ (..المحيط..) [لابن عبّاد المُتوفّىٰ سنة ٣٨٥هـ]: لَعْلَعْتُ به.. وَتَلَعَّى: تَناوَلَ اللُّعاع من الكَلإ.. وتَلَعْلَعَ عَظْمُهُ: تَكَسَّرَ. وتَلَعْلَع من الجوع: تَضَوّر وتحزّن وقيل: اضْطَرب...».

«..واللَّعْلَعَة من السَّراب: بَصِيصُه، وقال ابن عبّاد التَّحَزُّن من الجوع والضَّجَر من كلّ شَيْء، وبه سُمّي الذِّئب لَعْلَعًا. وممّا يُسْتَدرَك عليه: اللُّعاعة - بالضَّمّ -: البقيّة اليسيرة من كلّ شيء. ومنه قولهم: ما بقي في الدُّنيا إلّا لُعاعَة. واللُّعاعَة: كلّ نَباتٍ لَيِّن من أحرار البُقُول فيها ماء كثير لَزِج، ويُقال له النُّعاعة أيضًا. ولُعاع الشَّمس: السَّراب، والأكثر: لُعاب الشّمس. والتَّلَعْلُع: التَّلأْلُؤ. واللَّعْلَعَةُ: بصيص السّراب. واللّعيعةُ خبز الجاوَرْسِ [حَبّ يُشْبه الأَرُزّ؛ عن البُستانيّ].

و: لَعْ لَعْ: زَجْر: حكاه يعقوب في المبدل والمقلوب. وقال ابن عَبّاد: وتَلَعْلَعَتِ الإبِلُ في كلإٍ ضعيف، أيْ تَتَبّعت. وتَلَعْلَع من العَطَش: تَضَوَّر».

قلت: أخذت ترجمة التّركيب أو المادّة من آخرها.. لأنّي وَجَدْتها قريبة من المقاصد.. وأعود إلى أوائلها الآن لِأَخْذِ ما أظنّ فيه نَفْعًا لِمَنْ يكون أقْدَر منّي على اسْتيفاء البَحْث..

«اللُّعاع، نَبْت ناعم في أوّل ما يبدو، كما في (..الصّحاح..) زاد غيره: رقيق ثمّ يَغْلظ. واحدته لُعاعة.. وهي الهندباء عن ابن الأعرابيّ. وقال ابن عَبّاد: اللعاعَة الخِصْب... وألعت الأرضُ إلعاعًا: أنْبَتَتْها. وتلعّى: تناولها. كما في (..الصّحاح..) قال: وأصله: تلعّع.. وقال أبو مُحمّد بن السّيّد: حُكِي عن العرب: خرجنا لنَتَلعّىٰ أي نَرْعى اللعاع.

واللَّعْلَع: السَّراب... وقال ابن عبّاد: اللَّعْلَع: الذِّئب؛ وهو قول ابن الأعرابيّ وأنشد:

والـلَّـعْـلَـعُ الـمُـهْـتَـبِـلُ الـعَـسـوس

قيل: سُمّيَ به لِضَجَرِهِ من كلّ شيء... واللّعلاع: الجبان - عن المؤرج.

واللَّعَّة: المرأة العفيفة المَليحَة، قاله الليث، ومثله في (الرَّوض..) للسّهيليّ وقيل هي الخفيفة تُغازِلُك ولم تُمَكِّنك. وقال اللحيانيّ: هي المليحة التي تُديم نظرك إليها من جَمالها. وقال الليث: واللَّعَّاعة - مُشَدَّدة - مَنْ يَتَكَلّف الألحانَ من غير صواب كذا نصّ (العَيْن) [للخليل وتلميذه الليث] و(العُباب..) [للصّغانيّ] وفي (المُحْكَم..) [لابن سِيْده]: بلا صَوْت.

ولع ولعلع كلاهما بمعنى لعا يقال للعاثر، كما في (..المحيط) [لابن عَبّاد].

وتلعلعت به: قلت له ذلك. ونصّ (المحيط) لعلعت به، وتلعّىٰ: تناول اللعاع من الكلإ... وتلعلع عظمه: تكسّر.. وتلعلع من الجوع: تضوّر وتحزّن وقيل: اضطرب، وتلعلع الكلب: أدلع لسانه عطشًا، قال الليث: وإدلاعه تلألؤه... وتَلَعْلَعَ السَّرابُ: تلألأ.

وتلعلع الرَّجُلُ: ضَعُفَ من مَرَضٍ أو تَعَبٍ؛ عن ابن دُرَيد. ويُقال: عَسَلٌ مُتَلَعْلِع وَمُتَلّع؛ والأصل مُتَلَعّع: وهو الذي يمتدّ إذا رفع فلم ينقطع لِلُزُوْجَتِهِ».

وفي (مقاييس اللغة) «اللّام والعين أصل صحيح

يدلّ على اضطراب وَبَصْبَصَة.. وَلَعْلَعْتُه: بَصْبَصْتُه. وَتَلَعْلَعَ الشَّيْءُ: اضْطَرَبَ حتّى تكَسَّر...».

وفي: (أساس البلاغة): «..إنّما الدُّنْيا سَاعَة وَمَتاعُها لُعاعة. وبات يَتَلَعْلَعُ من الجوع... قال يهجو:

يُجَزِّئ فَضْلَ الزّاد بَيْن كِلابه
وأُمُّ العِيالِ لَيْلَها تَتَلَعْلَعُ..».

قلت: وكذلك لَعْوَة الْجُوع (من: ل ع و): حِدَّته، وفيه يقول البستانيّ في (محيط المحيط): «وربّما كان منه قول العامّة لَعَت نفسي تلعي لَعَيانًا أي: غَشَت من الْجُوع». قلت وتقال أيضًا عندنا للشّعور بالحاجة إلى القيء، أي عند الغثيان من الاشمئزاز.. لَعَتْ نَفْسي، ولعلّها من: ل ع ي أيضًا..

ولأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «..ويقولون: لَعَىٰ من عَطَش أو جُوع فهو لاعٍ إذا لاب وتضوّر وهو من اللَّعْوَة وهي حدّة الْجُوع.

وربّما كانت لَعَىٰ مقلوبَةً من لاع يَلوع لَوْعًا وَلَوْعَةً فهو لاعٍ ولاعٌ وهم لاعون ولاعَةٌ وألواعٌ، وذلك إذا احترق فؤاده من هَمٍّ أو شَوْق، أو من جُوع أو عَطَش..» وانْظُر في ل ع و. وفي ل ع ي.

أمّا في عامّيّة مصر فيقول د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامِّيَّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): بعنوان لَعْلَع: «نقول في دارجتنا: لَعْلَعَت الأنوار: تلألأت وأضاءت في قوّة. ومَلابِسُ مُلَعْلَعة: زاهية الألوان تبدو كأنّها تُضيء. وفي (القاموس..): تَلَعْلَع السَّراب: تلألأ..».

اللَّعْي

(لَعَىٰ فلان وما زال يَلْعي حتّى الْتَعَىٰ قلبي من لَعْيه) هكذا يقول العامّيّ الشّاميّ وهو يقصد من قوله: لَعَىٰ؛ أنّه ثَرْثَر بكلام كثير سيِّئ.. والفعل موجود في الفصيح صحيح اللفظ في ماضيه ولٰكنّه واويّ في المضارع والمصدر الفَصِيْحَيْن، وليس يائيًّا كما تلفظه العامّة، أي ليس يَلْعِي لَعْيًا وإنّما هو يَلْعُو لَعْوًا. وكذلك المعنىٰ تغيّر بعض التّغيير.. ولٰكنّ (المعجم العربيّ الأساسيّ) للمُنَظَّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعُلوم أهمل مادَّتَي الجَذْرَين: الواويّ: ل ع و، واليائيّ: ل ع ي ولم يَكَدْ يَخْلو منهما مُعْجم آخر.

وفي (القاموس المحيط) وشرحه في (تاج العروس..): ل ع و: «واللَّعْوُ: السَّيِّئُ الخُلُقِ، نَقَلَه الصّاغانيّ، والفَسْل الذي لا خير فيه، وأيضًا: الشَّرِه، وفي (..الصّحاح): الشَّهْوان الحريص كاللعا.. قال الفرّاء: رَجُل لَعْوٌ ولَعا وهوَ الشَّرِهُ الحريص، وهي بهاء؛ وأنشد ابن برّيّ للرّاجز:

فلا تكونَنَّ رَكيكًا ثيتلا
لعوًا متى رَأَيْتَهُ تَقَهَّلا

وأَلْعَىٰ ثَدْيُها؛ إذا تَغيَّر للحَمْل...».

وكذلك في (لسان العرب): ل ع و.

«قال الليث: يُقال كَلْبَة لَعْوَة، وذِئْبَة لَعْوة وامرأة لَعْوة؛ يَعْني بكلّ ذلك: الحريصة التي تُقاتِل على ما يُؤْكل، والْجَمْع اللَّعوات...

واللَّعْوُ: السَّيّئ الخُلُق، واللَّعْوُ: الفَسْل. واللَّعْوُ واللَّعا: الشَّرِهُ الحريص... والأنثىٰ بالهاء... واللُّعوة: السّواد حول حَلَمةِ الثَّدِي. وتَلَعَّىٰ العَسَل ونحوه: تعقّد.

واللّاعي: الذي يُفْزِعه أدنى شَيْء؛ عن ابن الأعرابيّ، وأنشد: أراه لأبي وَجْزة:

لاعٍ يَكادُ خَفِيّ الزَّجْرِ يُفْرِطُه
مُسْتَرْيِعٍ لِسُرى المَوْماةِ هيّاج

يُفْرِطُه: يَمْلَؤُه رَوْعًا حتّىٰ يذهب به.

وما بالدّار لاعِي قَرْوٍ أي ما بها أَحَد، والقَرْوُ: الإناء الصّغير، أي ما بها من يَلْحَس عُسًّا، معناه ما بها أحد..

ويُقال: خرجنا نَتَلَعَّىٰ أي نأخذ اللُّعاع، وهو أوّل النَّبْت، وفي التّهذيب: أي نُصيب اللعاعة مِنْ بُقول الرّبيع... واللاعي: الخاشي؛ وقال ابن الأعرابيّ في قول الشّاعر:

داوِية شتَّتْ على اللاعي السَّلِعْ
وإنّما النَّوْمُ بها مِثْلُ الرَّضع

... الرَّضع: مَصَّة بعد مَصَّة. أبو سعيد: يُقال: هو يَلْعىٰ به ويَلْغىٰ به؛ أي: يَتَوَلَّع به.

ولَعًا: كَلِمَةٌ يُدْعَىٰ بها للعاثر معناها الارتفاع؛ قال الأعشى:

بذاتِ لَوْثٍ عَفَرْناةٍ، إذا عَثَرَتْ
فالتَّعْسُ أَدْنَىٰ لها مِن أنْ أقُولَ لَعا

أبو زيد: إذا دُعِي للعاثر بأنْ يَنْتَعِشَ قيل: لَعًا لك عاليًا، ومِثْله: دَعْ دَعْ. والعَرَب تدعو على العاثر من الدَّوابّ إذا كان جوادًا بالتَّعْس فتقول: تَعْسًا له! وإنْ كان بليدًا كان دعاؤهم له إذا عَثَر: لَعًا لك؛ وهو معنى قول الأَعْشَىٰ:

فالتَّعْسُ أَدْنَىٰ لها مِن أنْ أقُولَ لَعا

قال ابن سِيْدَه: وإنّما حملنا هذين [لاعي قرو ولعًا لك] على الواو لأنّا قد وجدنا في هذه المادّة لَعَوَ ولم نَجِدْ لَعَيَ.

وَلَعْوَةُ: قوم من العرب.

ولعوة الجوع: حِدَّته».

وفي (أساس البلاغة): «..لعًا لك: دعاء بالانتعاش..». وفي (محيط المحيط) للبستانيّ: «وَلَعْوَة الجوع: حِدَّتُه؛ وربّما كان منه قول العامّة: لَعَت نفسي تَلْعِي لَعَيانًا؛ أي: غَثَت من الجوع».

وانظر في اللعلعة: ل ع ل.

اللَّغوسة

اللَّغْوَسَةُ: في العامّيّة بالصّاد: (اللَّغْوَصَة في الأكل..) ومَعْناها قَرِيب من المَعْنى المُعْجَميّ التّليد و...

وفي معجم ابن منظور (لسان العرب):

«اللَّغْوَسَة: سُرعة الأكل ونحوه. واللَّغْوَس: السّريع الأكل.

واللَّغْوَس: الذِّئب الشَّرِه الحريص، والعَيْن فيه لغة [أي: اللعوس]؛ قال ذو الرُّمَّة:

وماءٍ هَتَكْتُ السِّتْرَ عنه، ولم يَرِدْ
رَوايا الفِراخ والذّئاب اللَّغاوِسُ

ويُروى بالعَيْن المُهْمَلَة... وقيل: عشب لَغْوس: ليّن رطب يُؤكل سريعًا.

ولحم مُلَغْوَس ومَلْغُوس: وهو الذي لم يَنْضَج. ابن السِّكّيت: طعام مُلَهْوَج ومُلَغْوس وهو الذي لم يَنْضَجْ».

قلت: واللَّغْوَصَة لم أَجِدْها بالصّاد عند ابن منظور أو غيره.. ولٰكنّ كلّ ما أَوْرَدَه منها بالسّين بمعانيها المُختلفة تَسْتَعْمله العامّة بالصّاد، وقد يَتَوَسَّعُون في (اللغوصة) بمعنى مدّ الأصابع إلى صَحْن الطّعام وعدم انتظار وَضْع الملاعق والمَغارِف وَأَدَوات الطّعام الصّحّيّ.. وذلك كما في عامّيّة مصر أيضًا إذ يقول د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول

العربيّة):

«نقول في دارجتنا: لَغْوَس فلان في الطّعام أو الشّراب: مدَّ أحد أصابعه فيه لِيَذُوقَه فأكلَ أو شربَ خفيفًا. وفي (القاموس..): اللَّغْوَسُ: الرَّجُل الخفيف الأكل».

لَفَّ وَلَفْلَفَ

لستُ مُحتاجًا إلى التّذكير بفصاحة العامّيّات في اللّفّ، ولٰكن في اللَّفْلَفَة التي قد تكون فيها ظِنَّة عَدَم التَّصْديق بفصاحَتها لدى بَعْضِهم، وكذلك في بَعْض المعاني المجازيّة لِلَّفّ ممّا يُظنّ بأنّها من إحْداث العوامِّ في عصرنا وهي تَلِيدة الفصاحة.

وفي الدّارجة المصريّة كما في دارجتنا ففي (معجم الألفاظ العامِّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) تأليف د. عبد المنعم سيّد عبد العال؛ تجدُ العناوين: (لَفّ، اللّفاخة، لَفْلَف، المِلَفّ). والمِلَفّ في (القاموس..): لِحاف يُلْتَفُّ به.

وَمِن قديم اللَّفّ واللَّفْلَفَة في (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..): «لَفَّ لَفًّا ولَفَفًا.. وَرَجُلٌ أَلَفُّ: ثَقِيل.. أو: مَقْرُون الحاجِبَيْن.. وَلَفَّ الشَّيءَ يَلُفّه..: جَمَعَهُ... وَجَمْع لَفِيف: مُجْتَمِع مُلْتَفّ.. واللُّفوف: الجماعات؛ قال أبو قُلابة:

إذا عارَتِ النَّبْلُ والْتَفُّوا اللُّفوفَ وإذْ
سَلُّوا السُّيوفَ عُراةً بَعْدَ أَشْجانِ

...واللَّفَف كَثْرَة لحم الفَخِذَيْن... وفَخذان لَفّاوان؛ قال الحَكَم الخُضْري:

تَساهَمَ ثَوْباها، في الدِّرْع رَأْدَةٌ
وفي المِرْطِ لَفّاوان رِدْفُهُما عَبْلُ

قَوْله: تَساهَمَ أَيْ: تَقارَع. وفي حديث أبي المَوالي: إنّي لَأَسْمَع بين فِخْذَيْها مِن لَفَفِها مثل قَشيش الحَرابش.

وَلَفَّه حَقَّه؛ أي: مَنَعَه. وفلان لَفِيف فلان؛ أي: صَدِيقه. ومكان أَلَفّ: مُلْتَفّ.. وجاء القومُ بِلَفِّهِم وَلَفَّتِهِم وَلَفِيفهم؛ أي: بِجَماعَتِهم وَأَخْلاطِهِم.

واللِّفُّ: الصِّنْف من الناس من خَيْر أو شَرٍّ.. واللِّفُّ: الحِزْب والطّائفة، من الالْتِفاف [وفي (القاموس..):.. وما يُلَفُّ من هاهُنا وهاهُنا؛ أي: يُجْمَع كما يُلَفِّفُ الرَّجُل شهودَ الزُّور.. وجاؤوا[1] ومن لَفَّ لِفَّهُم - بالكَسْر والفتح وقد يُثَلَّثُ - أي مَن عُدَّ فيهم.. وبالكَسْر... الرَّوْضةُ المُلْتَفَّةُ النّباتِ والبُسْتانُ المُجتمِع الشّجر.. وحديقة لِفّ ولِفَّة - وَيُفْتَحان - مُلْتَفَّة. والأَلْفاف: الأَشجار المُلْتَفّة.. وَلَفَّ في الأَكْلِ: قَبَّحَ فيه..]

واللُّفُّ: الشَّوابِل من الجواري وَهُنَّ السِّمانُ الطِّوال. واللَّفُّ: الأَكْلُ؛ وفي حَديث أُمّ زَرع وَذَواتِها: (قالت امرأة: زوجي إن أَكَل لَفَّ وإن شَرِب اشْتَفَّ) أي: قَمَشَ وَخَلَط من كلّ شيء؛ قال أبو عُبيد: اللَّفُّ في المَطْعَم: الإكْثار منه من التَّخْليط من صُنُوفِه لا يُبْقي منه شيئًا.

وطَعام لَفِيف: إذا كان مَخْلُوطًا من جِنْسَيْن فَصاعِدًا.

ولَفْلَفَ الرَّجُل إذا اسْتَقْصى الأَكْلَ والعَلَف

واللَّفَف في الأَكْل: إكْثار وتخليط، وفي الكلام ثِقَلٌ وعِيٌّ مع ضَعْف... قال الكُمَيْت:

وِلايةُ سِلَّغْدٍ أَلَفَّ كَأَنَّه
من الرَّهَق المَخْلوطِ بالنُّوكِ، أَثْوَلُ

الأَلَفّ: العَيِيُّ... وقد لَفَّ لَفَفًا وهو أَلَفّ، وكذلك اللَّفْلَفُ واللَّفْلاف، وقد لَفْلَفَ [ورجل

(١) في القاموس بواو واحدة: وجاؤا.

لَفْلَفٌ ولَفْلاف: ضَعِيف. وَتَلَفَّفَ فلان في ثوبه والْتَفَّ به وتَلَفْلَفَ. والشيء المُلَفَّف في البِجاد وَطْبُ اللَّبَن في قول الشّاعر:

إذا ما ماتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ
وَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزادِ
بِخُبْزٍ أَوْ بِسَمْنٍ أَوْ بِتَمْرٍ
أَوِ الشَّيْءُ المُلَفَّفُ في البِجادِ

ورواية (القاموس..):

بِخُبْزٍ أو بِتَمْرٍ أو بِلَحْمٍ
أو الشيءِ المُلَفَّفِ في البجاد

قال ابن برّيّ: يقال إنّ هذين البيتين لأبي المُهَوِّس الأسدي، ويُقال إنّهما ليزيد بن عمرو ابن الصَّعِق، قال وهو الصَّحيح.

الأزهريّ في ترجمة عمت: يقال: فلان يَعْمِتُ أقرانه إذا كان يَقْهَرهم ويَلُفّهم، يُقال ذلك في الحرب وجودة الرّأي والعلمِ بأمر العدوّ وإثخانه.. قال الهُذَليّ:

يَلُفُّ طوائفَ الفرسا
نِ، وهو بِلَفِّهِمْ أَرِبُ

[واللَّفَفُ أن يلتوي عِرْق في ساعد العامل فَيُعَطِّلَه عن العَمَل.. وَأَلَفَّ الطائر رأسَه: جعله تحت جناحه وفلان جَعَلَه في جُبَّتِهِ. وهنا تَلافيفُ من عشب].

..ابن الأعرابيّ: لَفْلَفَ الرَّجُل إذا اضطرب ساعِده من التواء عِرْق فيه، وهو اللَّفَف».

وفي (أساس البلاغة): «مَرَرْت بِلفٍّ من بني فلان: بطائفة، وتقول: في لَفّ مَن كنت؟ وعنده أَلْفاف من النّاس، والتفَّت اللُّفوف. والتفّ وجه الغلام.. وَهَمٌّ يذيب لفائف القلوب؛ جمع لِفَافة وهي شحمة تلتفّ على القلب».

وفي (مقاييس اللغة): «اللام والفاء أصل صحيح يدلّ على تلوّي شيء على شيء.. يقال:...وكففته حَقَّه: منعته. وألَفَّ الرَّجُل رأسه في ثيابه...». وفي (محيط المحيط): «اللَّفَّة: المَرَّة، والعمامَة وهذه من كلام العامَّة وهم يقولون: لَفَّ اللَّفَّة؛ أي: اعتمّ بها».

اللَّقْش والملاقشة

(كلّما سألتك: أيش هذا الحَكْي؟ تُجِيبني: مِنْ هذا اللّقْش فالمُلاقشة بَيْنَنا مُسْتَمِرّة..).

يَظُنّ عوامّنا أنّ المُلاقشة هي المُناقشة وهما فصيحان.

قال أحمد رضا في (ردّ العامّيّ..)

«ويقولون: لاقَشَني فلان ولاقَشْتُه إذا تَدَاولنا مَعاريضَ الكلام وافْتَتَحْنا أوائل الأحاديث».

في (التّاج..) يقول الزّبيديّ مُعَقِّبًا على الفيروزاباديّ في (القاموس المُحيط):

«شنّ لَقِش كَكَتِف» أَهْمَله الْجَوهريّ وصاحب اللسان، وقال الصّاغانيّ: أيْ (يابس بال) عن ابن عبّاد قُلْت: واللقش - بالفتح - النُّطْق بمعاريض الكلام واللقش، أيضًا: «العَيْب». ا.هـ. الزّبيديّ.

وبُعَيْد الزّبيديّ بأقلّ من قَرْن يقول البُستانيّ في (مُحيط المُحيط): «واللِّقش عند العامَّة خَشَب يُسْتَخْرَج منه القار ويُسْتَضَاء به كالأرز والصَّنَوْبر وغيرهما.

وهم يَبْنون منه فِعْلًا فيقولون: لَقَّش إذا صار خَشَبُه لِقْشًا: وبعض أَهْلِ الشّام يَسْتَعْمل اللَقْش بمعنى الكلام».

أمّا الأمير شكيب أرسلان في ص ١٩٦ من (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) فيرَى: «في كسروان من جَبَل لُبنان يقولون (لقش) بمعنى:

تَكَلَّم، ولا سيّما بكلام فيه معاريض، وهو فصيح».

لَكَزَ ولَكَثَ (وما لَكَشَ ولا كَلَش ولا الْتَكَشَه)

في عامّيَّتنا: لَكَشَهُ والْتَكَشَه وكَلَشَه.. ولَكَزَه، ولعلّها في أصلها الفصيح بالزّاي وبالثّاء:

وفي مصر يقول د. عبد العال في (معجم الألفاظ....):

«نقول في دارجتنا: لَكَزَ فلانًا في صدره: ضَرَبَه بِجُمْع كفّه في صدره».

وفي (القاموس..): «اللَّكْزُ: الضَّرْب بِجُمْعِ الكَفّ في العُنُق أو الصَّدْر وفي دارجتنا: لَكَشَ فلان فلانًا بيده: ضَرَبَهُ، والأصل فيها: لَكَثَ، وأُبدلت الثّاء شينًا، وفي (القاموس..): اللَّكْث: الضَّرْب».

وفي (اللسان..) ل ك ث كما في (القاموس.. والتّاج..):

«.. ولَكِثَه لَكْثًا ولِكاثًا: ضَرَبَه بِيَدِه أو رِجْله؛ قال كُثَيِّر عَزّة:

مُـدِلٌّ يَـعَـضُّ، إذا نـالَـهُـنّ
مِـرارًا ويُـدنِـيـنَ فـاهُ لِـكـاثًـا

وقال ابن الأعرابيّ: اللَّكْثُ واللِّكاثُ: الضَّرْب؛ ولم يخصّ يدًا ولا رِجْلًا وقال كراع: اللُّكاث: الضّرب، بالضّمّ، واللُّكاثَة أيضًا: داء يأخذ الغنم في أَشْداقها وشفاهها، وهو مثل القُرْح...

...اللُّكاث: الحَجَر البَرّاق الأملس، ويكون في الجِصّ.. اللُّكّاث: الجصّاصون، الصُّنّاع منهم لا التُّجّار...».

[وقَبْلَها بَدَأ ابن مَنظور بالقول:]: اللَّكَثُ: الوَسَخُ من اللَّبَن يجمد على حرف الإناء، فَتَأْخُذه بِيَدك. ثمّ في: لَكَزَ يقول ابن منظور:

«لَكَزَهُ يَلْكُزُه لَكْزًا: وهو الضَّرْبُ بالجُمْعِ في جميع الجَسَد، وقيل: اللَّكْزُ هو الوَجْءُ في الصَّدْر بِجُمْع اليد، وكذلك في الحَنَك. وفي الحديث: (..لَكَزَني لَكْزَةً)، قال: اللَّكْزُ: الدّفع في الصّدر بالكفّ.

ولَقَزَه ولَكَزَه بمعنًى واحدٍ [وفي (التّاج..) والوَكْز]:

لـولا عـذارٌ لَـلَـكَـزْتُ كَـرْزَمَـهْ».

قـلـت وحـول مـعـانـي الـضَّـرْب يـدور كـلّ من الأفعال: لَكَأَهُ ولَكَحَه ولَكَدَهُ ولَكَضَهُ ولَكَّهُ ولَكَمَهُ، وكذلك وَكَزَه ولَكَزه ونَكَزَه؛ ممّا يُذكِّرنا بالاشْتِقاق الكَبير والنّظريَّة الثُّنائيّة...

ويُضيف الزَّبيديّ في (مُسْتَدْرَك التّاج..):

«وممّا يُسْتَدْرَك عليه: لاكَزَه مُلاكزةً وتَلاكُزًا».

ومن المَجَاز: هو مُلَكَّز كمعظَّم أي ذليل مُدَفَّع عن الأبواب كما في (الأساس..).

أمّا: (لَكَشَه بِيَدِهِ): ضَرَبه فهو من كلام العامّة كما قال البُستانيّ في (محيط المحيط).

وأمّا (كَلَشَه): فقال فيها أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«.. قيل إنّها سريانيّة. ولٰكنْ جاء في اللغة كَلَتَه كَلْتًا إذا جَمَعَه. وكَلَدَه أيضًا إذا جَمَعَه وجَعَل بَعْضَه فوق بعض.. ولعلّ العامّة أبدلت بالشّين. وقد تعاقب الدّال والشّين في فَدَغَه وفَشَغه إذا شقَّ رأسه».

اللكش

(ما لَكَشَهُ ولا الْتَكَشَ به) في عامّيّة دمشق، بمعنى:

ما مدّ يده إليه لأنّه ما الْتَفَت إليه ولا اهتمّ به. أمّا في لبنان ومِصْر فَيَخْتَلِف معناه، قال أرسلان في: (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل ص

١٩٦): «ويقولون: لَكَشَه أيْ: لَطَمَه، وهي صَحِيْحة. وجاء: لكشه: ضَرَبَهُ بِجُمْع كَفِّه. وفي مصر (ضَرَبه لَكَش)».

وفي (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) قال أحمد رضا:

«يقولون: لَكَشَه بِرِجْلِه؛ إذا ضَرَبه بِصَدْر قَدَمه أو وكَزَه بها».

وفي اللغة: لَكَشَه ولَكَثه (والثّانية أفصح) إذا ضَرَبَه بِجُمْعِ يده...

وفي مِصْر يقول د. عبد المُنْعم عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «...والأَصْل فيها لَكَثَ، وأُبْدِلَت الثّاء شِيْنًا».

وفي مُسْتَدْرَك (تاج العروس..) يقول الزّبيديّ.

«وممّا يُسْتَدْرَك عليه: اللكش: الضَّرْب بِجُمْع الكَفّ. وقد لَكشه يلكشه لَكْشًا وهي عربيّة صحيحة، وقد أَهْمَلَه الجماعة.

ولٰكنّ البُستانيّ في (مُحيط المُحيط) بُعَيْد الزّبيديّ بأقلّ من قرن لا يَجِدُها عربيّة صحيحة فَعِنده: «لَكَشَه بيده: ضَرَبَه. والفَرَس بالرّكاب: طَعَنه: وهما من كلام العامّة».

اللاكِشَةُ: اللاخِشة. فارسيّة».

لَكاعَة اللُّكَع

في لَفْظِنا العامّيّ نكسِر كاف اللُّكَع فنقول (لُكِع)، وهي في الفصيح بِفَتْح الكاف. واللَّكاعَةُ في عامِّيَّتِنا الدّارِجة تكادُ تَنْطَبِقُ لفظًا ومعنًى على ما في لُغةِ التُّراثِ... وفي نصِّ الحديثِ النَّبَوِيّ، وفي قَوْلِ الأصمعيّ وأبي نَهْشَل وابن الأثير وغيرهم ممّن يَنْقُلُ عنهم ابن منظور في (لسان العرب) وكذلك (القاموس.. والتّاج..) وكما في (اللسان..):

«يُقال للصَّبِيِّ الصَّغير لُكَع - والأنثى بالهاء - وفي حديث أبي هُرَيْرَة: (أَثَمّ لُكَعٌ) يَعْني الحَسَنَ أو الحُسَيْنَ عليهما السّلام. قال ابنُ الأثير في هذا المكانِ: فإنْ أُطْلِقَ على الكَبيْر أُرِيْدَ به الصَّغير العِلْم والعَقْل، ومنه حديث الحَسَن: (قال لِرَجُلٍ: يا لُكَعُ). يُريدُ: يا صغيرًا في العِلْم. واللكيعة: الأَمَةُ اللَّئيمةُ.

وَلَكِعَ الرَّجُلُ يَلْكَعُ لَكَعًا ولَكاعَةً: لَؤُمَ وَحَمُقَ. وفي حديث أَهْل البَيْتِ: (لا يُحِبُّنا أَلْكَعُ). وَرَجُلٌ أَلْكَعُ وَلُكَعٌ ولَكِيعٌ ولَكاعٌ ومَلْكَعانٌ وَلَكُوع: لئيمٌ دنيءٌ؛ وكلُّ ذلك يُوْصَف به الحَمِقُ.

والمَرْأَة لَكاعِ مِثْل قَطام ومَلْكعانَةُ ولَكِيعَةُ ولَكْعاءُ.. قال أبو الغَرِيْب النَّصريّ:

أُطَـوِّفُ مـا أُطَـوِّف ثـمّ آوي
إلـى بَيْـتٍ قَـعِـيـدَتُـهُ لَـكـاعِ

قال الفَرّاء: تَثْنِيَةُ لَكاعِ أنْ تقولَ: يا ذواتَيْ لَكِيعة أَقْبِلا، ويا ذوَاتِ لَكِيعَة أَقْبِلْن.. وللاثنَيْن: يا ذَوَي لُكَعَ..

..وَزَعَمَ سِيْبَوَيْهِ أنّهما لا يُسْتَعْمَلان إلّا في النِّداء.

وقال أبو عَمْرو في قولهم: يا لُكَع، قال: هو اللئيم، وقِيْل هو العَبْد، وقال الأصمعيّ: هو العَيِيّ الذي لا يتَّجِه لِمَنْطِق ولا غيره، مأخوذٌ من المَلاكِيْع، قال الأزهريّ: والقَوْل قَوْل الأصمعيّ، ألا تَرى أنّ النّبي - ﷺ - دَخَلَ بَيْتَ فاطمةَ فقال: (أَيْنَ لُكَعٌ؟) أراد الحَسَنَ وهو صغير، أراد أنّه لِصِغَره لا يتّجهُ لِمَنْطِقٍ وما يُصْلِحُه ولم يُرِدْ أنّه لئيم أو عَبْد.. وفي الحديث: (يأتي على النّاس زمانٌ يكونُ أَسْعَدَ النّاس بالدُّنيا لُكَعُ ابنُ لُكَع)..

ويُقال: رَجُلٌ لَكِيع وَكِيعٌ وَوَكوعٌ لئيم. وعَبْدٌ أَلْكَعُ أوكَعُ، وأَمَةٌ لَكْعاءُ وَوَكْعاءُ وهي الحَمْقاء..

أبو نَهْشَل: يُقال هو لُكَعٌ لاكعٌ، قال: وهو الضَّيِّق الصَّدْرِ القَليلُ الغَناء الذي يُؤَخِّرُهُ الرِّجالُ عن أُمُورِهم فلا يكونُ له مَوْقِع، فذلك اللُّكَع، وقال ابن شميل: يُقال للرَّجُل إذا كان خبيثَ الفِعالِ شَحِيحًا قليلَ الخَيْر: إنَّه لَلَكُوعٌ... واللُّكَعُ: الذي لا يُبِيْنُ الكلامَ. واللَّكْعُ: اللَّسْعُ.. ولَكَعَتْهُ العَقْربُ تَلْكَعُه لَكْعًا. ولَكَعَ الرَّجُلَ: أَسْمَعَه ما لا يَجْمُلُ».

وفي (مقاييس اللغة): «ل ك ع» أَصْلٌ يَدُلّ على لُؤْم ودناءةٍ. أمّا د. عبد العال فيرى أنّ فَصِيْحَها بالهَمْزَة وليسَ بالعَيْن؛ يقول في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

«نقول في دارِجَتِنا: تَلَكّع فلانٌ: تَباطَأ. والأصْل تَلَكَّأ، وأُبْدِلَتِ الهَمْزَةُ عَيْنًا..».

اللّكّ

لعلّ عَوَامّ الشّام طَوَّرُوا الدّلالة: من اللّكّ الدّفْع في الزّخام مثل الصّكّ والدّكّ واللّكْم إلى دَفْع اللُّقمة باليد إلى المَمْلَحَة فإلى لَكّ اللُّقْمَة بالمِلْح والبهار بالضّغْط بها على المملحة؟ ومن معاني اللّكّ في (اللسان..) الضَّغْط.. والعَوَامّ أخذُوا من تَطَوُّر المعاني في هذه المادّة ما أَوْصَلَها إلى هذا الضَّغْط باللُّقمةِ على كُتْلَة المِلْح أو البهار أو نحو ذلك. وإذا اسْتَقْرَأنا تَطَوُّر المعنى في المُعْجَم القديم وَجَدْنا نحوًا من هذا:

قال ابن فارس في (مقاييس اللغة): «لكّ: اللام والكاف أُصَيْلٌ يَدُلّ على تداخُلٍ في الشَّيْء. من ذلك اللَّكِيك: اللّحم المُتداخِل في العِظام... ويُقال: الْتَكَّ القَوْمُ: ازْدَحَمُوا».

وقال ابن منظور في (لسان العرب):

«لَكَّ الرَّجُلَ يَلُكُّه لَكًّا: ضَرَبَه بِجُمْعِه في قَفَاهُ، وقِيْل: هو إذا ضَرَبَه ودَفَعَه، وقِيْل: لَكَّه: ضَرَبَه مثل صَكَّهُ. الأَصْمعيّ: صَكَمْتُه وَلَكَمْتُه وصَكَكْتُه وَدَكَكْتُه وَلَكَكْتُه: كلّه إذا دَمَغْته. واللِّكاك: الزِّحام، قال رُؤْبة:

ما وَجَدُوا عند التِكاكِ الدَّوْسِ

ومنه قول الرّاجِز يَذْكر قَلِيبًا:

صَبَّحْنَ من وَشْحَىٰ قَليبًا سُكَّا
يَطْمو إذا الوِرْدُ عليه الْتَكّا

وَشْحَىٰ: اسْم بِئْر، والسُّكُّ: المضَيّقَة. وَعَسْكَر لَكِيْك: مُتَضامّ مُتَداخِل، وقد الْتَكّ. وجاءنا سَكْران مُلْتَكًّا... والْتَكَّ الرَّجُل في كلامِه: أخطأ. والْتَكَّ في حُجَّتِهِ: أَبْطَأ [قُلْتُ: عامّتنا يقولون تَلَكْلَكَ وتَلَجْلَجَ وتَبَكْبَكَ والْتَبَكَ وارْتَبَك في كلامه وحُجَّتِهِ، إذا أبطأ أو تَحَيّر أو ارْتَبَك أو خَلَط أو أَخْطَأ في عَدَم الإقْناع... وأعودُ إلى اسْتِكْمال نصّ ابن منظور وما يَهُمُّنا منه..]: ..وقد الْتَكَّت جَماعَتُهم لِكاكًا؛ أيْ: ازْدَحَمَت ازْدِحامًا. والْتَكَّ القَوْمُ: ازْدَحَمُوا. ورَجُلٌ لُكِّيٌّ: مُكْتَنِزُ اللَّحم... ولُكَّ لَحْمُهُ لَكًّا، فهو ملكوك...

واللَّكُّ: الضَّغْط، يُقال: لَكَكْتُه لَكًّا...

واللَّكّ: صِبْغ أحمر... واللُّكَّة واللُّكُّ، بِضَمِّها: عُصارَته. وجِلْد مُلْكُوك باللُّكّ.. قال الرّاعي يَصِف رَقْم هوادِج الأَعْراب:

بِأَحْمَرَ من لُكّ العِراقِ وَأَصْفَرا».

قُلْتُ وكلّ ذلك وَارِد في (القاموس.. والتّاج..) وفي مُسْتَدْرَك (التّاج..) «اللَّكّة الشِّدَّة والدَّفْعَة والوَطْأة وجَعَلْت عليه لكّتي ولاكتي؛ أيْ: شِدَّتي وَوَطْأتي».

وفي (أساس البلاغة): «واصْطَكّ الوِرْدُ والْتَكّ؛ قال ذو الرُّمّة:

إذا الْتَكَّت الأَوْراد فَرَّجْتَ بَيْنها
بِعَدْل ولم تَعْجز عليك المَصادِر».

قُلْت: كلّ من الضّغْط والصّبْغ له تَعَلُّق بِحَرَكة: (لَكّ) اللُّقمة بالبهار أو الحَمْض أو المِلْح، عند العامّة.

* * *

أمّا لدى أحمد رضا العامليّ في عاميّتهم، فقال في (ردّ العاميّ إلى الفصيح): «وقالُوا: لَكَّ الخُيوطَ على البَكَرَةِ أو على كُبَّةِ الخُيوط بِمَعنى لَوَاها ولَفَّها على بَعْضها حتّى صارَت كُتْلَةً واحدة.

وأَصْل معنى لكّ في اللغة هو التَّداخُل والاكْتِنَاز والتَّضامّ..».

وأمّا لَدىٰ د. عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) فأربع عبارات من هذه المادّة: «نقول في دارِجتنا: لَكَّ فلان فلانًا: ضَرَبَه ضَرْبةً أطاحَت به. وفي (القاموس..): لَكَّهُ: ضَرَبَه بِجُمْعِ يَدِه في قَفاه أو ضَرَبه فَدَفَعَه.

لَكٌّ: ونقول:.. هذا الكَلام لَكٌّ: عَدِيْم القِيْمة أو الفائدة...

تَلَكَّك: ونقول:.. تَلَكَّكَ فُلانٌ: تَلَمَّسَ أَقْرب الأَسْباب واتَّخذها ذَرِيْعة لِتَشبُّثِهِ بِأَمْرٍ ما.

لَكْلَكَ: نقول في دارِجَتنا: لَكْلَكَ فلان في كذا وهو يُلَكْلِك: أدّاهُ في ضَعْفٍ وفُتُور وَعَدَم اعْتناءٍ، والأَصْل فيها رَكْرَكَ، وأُبْدِلَتِ الرّاءُ لامًا (فكِلاهُما من حروف الذَّلاقة)[1] وفي القاموس: الرَّكْرَكَةُ: الضَّعْف في كلّ شيء».

قُلْت: والعبارات الأربعة بَدَأت تَنْتَشِر أيضًا في عاميّتنا بتأثير مُحاوَرات القصص والمَشاهد المَرْئيّة على الشّاشة اليوم...

اللَّمِظ تَلَمَّظ

في لَفْظِ اللام والميم والظّاء وَقَعَ إبْدالُ الظّاءِ ضادًا: تَلَظَّى اللمض كَمِثْل ما يَقَعُ في كلِّ ظاءٍ من الفَصِيْح العاميّ في دمشقَ والقاهِرةِ، ومِثْلُ ما نَصّ على جَوازِه عند العَرَب ابن منظور كما ذكرتُ في غيرِ هذا المَوْضِع أمّا معاني العِبَارات في هذه المادّة فتكادُ تكونُ كُلُّها من فصيح العَوَامِّ عندنا وفي مِصْر ولذلك نجدُ د. عبد العال يَذْكُرُ عُنْوانها بالضّاد (تلمَّضَ) في (مُعْجَم الألفاظ العاميّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) ثمّ يَسْتَشْهِدُ بقولِ «عُتْبَة بن رَبيعَة لأصحابه يومَ بَدْرٍ لمّا رأى عسكرَ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – (١/ ١١٣ العِقْدُ الفَرِيْد): (أَمَا تَرَونَهُم خُرُسًا لا يتكلَّمُون، يَتَلمَّظُون تَلَمُّظَ الحَيّات)». ومثلُ هذا ما قالَه قَبْلَهُ الأمير أرسلان في (القول الفصل في ردّ العاميّ إلى الأصل). أو قريب منه. فماذا في تليد اللغة المُعْجَمِيّة؟

في (أساس البلاغة) للزّمخشريّ:

«لَمَظَ الرَّجُلُ يَلْمُظُ وتَلَمَّظَ: إذا تَتَبَّع بِلِسَانه بَقيَّة الطّعام بعدَ الأَكْلِ أو مَسَحَ به شَفَتَيْه، واسْم تلك البَقِيّة: اللُّمَاظَةُ، وأَلْقِ لُماظَةً من فِيْهِ، وما تَلَمَّظْتُ بِشَيْء أي: ما ذُقْتُ شَيْئًا، وما ذُقْتُ اليومَ لَماظًا.

ولَمَّظَهُ كذا: أذاقَه إيّاه، وشَرِبَ الماءَ لِماظًا، بالكَسْر: ذاقَهُ بِطَرَفِ لِسَانِه.

ومن المَجَاز: تَلَمَّظَتِ الحَيَّةُ: أَخْرَجَتْ لِسَانَها. وتَلَمَّظ بِذِكْره؛ قال بِطَرَفِ لِسَانِه.

ومن المَجَاز: تَلَمَّظَتِ الحَيَّةُ: أَخْرَجَتْ لِسَانَها. وَتَلَمَّظ بِذِكْره؛ قال رَجُلٌ من بني حَنِيْفة:

(١) حروف الذّلاقة: التي تَخْرُج من طَرَف اللسان والشّفة، وهي سِتّة، ثلاثة منها تُسَمّى: الذَّوْلَقِيَّة؛ وهي: النّون والرّاء واللّام، وثلاثةٌ تُسمّى الشَّفَهِيّة وهي: الباء والفاء والميم.

فَدَعْ عربيًّا لا تُلَمِّظْ بِذِكْرِه
فَأَلْأَمُ منه حينَ ينسب عائبُه

لقد كانَ مِتلافًا وصاحبَ نَجْدةٍ
ومُرْتَفِعًا عن جَفْنِ عَيْنَيْهِ حاجِبُه

أيْ لم يَأْتِ بِخِزْيَةٍ يَغُضّ لها بَصَرَه. وَلَمَّظَه من حَقّه: أعطاهُ شيئًا قليلًا منه وعنده لُمْظَةٌ من سَمْن: يَسِيْرٌ تَأْخُذُهُ بإِصْبَعِك كالجَوْزَة... وما الدُّنيا إلّا لُماظَةُ أيّامٍ».

وأُكْمِل من (اللسان) كما في (القاموس... والتّاج...): «التَّلَمُّظُ والتَّمَطُّقُ: التَّذَوُّقُ... وَلَمَظَ يَلْمُظ - بالضّمّ عن الجَوْهريّ - إذا أَخْرَجَ لسانَه فمَسَحَ به شَفَتَيْه، أو لَمَظَ إذا تَتَبَّعَ الطَّعْم وتَذَوَّق وتَمَطَّق، كَتَلَمَّظ في الكُلّ، ومَعْنى التَّمَطُّقِ بالشَّفَتَيْن أنْ يَضُمَّ إحداهُما بالأُخْرىٰ مع صَوْتٍ يكونُ منهما؛ وفي حديث التَّحْنِيْك (فَجَعَل الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظ) أيْ يُديْرُ لسانَه في فِيْهِ ويُحَرِّكُه ويَتَتَبَّعُ أَثَرَ التَّمْر.

ولَمَظ فلانًا من حَقّهِ شَيْئًا: أعطاه، كَلَمَّظ تَلْمِيْظًا، وهو مَجَاز. ويُقال: ما لَه لَماظ - كَسَحاب - أي شيء يَذُوْقُه فيَتَلَمَّظُ به. وفي (الصّحاح...): ما ذُقْتُ لَمَاظًا. أي شيئًا، ويُقال أيضًا: شَرِبَ الماءَ لَماظًا إذا ذاقَه بِطَرَفِ لِسانِهِ، وكذلك لَمَظَ الماءَ لَمْظًا. قال الرّاجِزُ فاسْتَعارَهُ للطَّعْن:

يَحْميه طَعْنا لم يكن إلماظا

أي يُبالِغُ في الطَّعْن لا يُلمِظُهم إيّاه.

وأَلْمَظَ عليه: مَلأَهُ غَيْظًا...

... والْتَمَظَ بِحَقِّه: ذَهَبَ به. والْتَمَظَ بالشَّيْءِ الْتَفَّ. نَقَله الصّاغانيّ.

والْتَمَظ بشَفَتَيْهِ: ضمّ إحداهما على الأُخرى مع صَوْت يكونُ منهما...

... ويُقالُ: ما زالَ فلانٌ يَتَلَمَّظ بِذِكْره وهو مَجَاز... واللَّماظة - بالفتح - الفَصاحَةُ وطَلَاقَةُ اللسان وهو مَجَاز.

ومنه ما يَسْتَعْمِلُه الكَتَبَة في كُتُبِهم في الدِّيوان: لَمَّظناهم شَيْئًا يَتلَمَّظُونَه قَبْلَ حُلُول الوَقْت، ويُسَمَّى ذلك اللُّماظة...

ومنه قولُ الشّاعر يَصِفُ الدُّنيا:

لُماظَةُ أيّامٍ كَأَحْلامِ نائِمٍ».

ولٰكنّ ابن فارس يُنَاقِضُهم في (مقاييس اللغة): «اللام والميم والظّاء أُصَيْلٌ يَدُلّ على نُكْتَةِ بَياضٍ». وفي الحديث: (إنّ الإيمانَ يَبْدُو لُمْظَةً في القلب، كُلّما ازْدَادَ الإيمانُ ازْدَادَتِ اللُّمْظَةُ). قُلْتُ وهذا الحديث رَوَاهُ المُعْجَمِيُّون عن ابن الأثير في النِّهاية ولٰكنَّهم لم يَعُدُّوا هذا أَصْلَ المَعنىٰ كما عَدّهُ ابنُ فارس الذي يَجْعَلُ التَّلَمُّظ فَرْعًا منه «أمّا التَّلَمُّظُ فإخراجُ بَعْضِ اللسان. يُقَال: تَلَمَّظ الحَيَّةُ، إذا أَخْرَج لسانَه كَتَلمُّظِ الآكِل. وإنّما سُمِّيَ تَلَمُّظًا لأنّ الذي يَبْدُو من اللسان فيه يسير، كاللُّمْظَة...».

اللّهوجة

لَهَجَ من فصاح العامّيّة التي لا تخفىٰ على أحد ولٰكنّ لَهْوَجَ قد تخفىٰ على بعضهم، مع أنّها في فصيح العَوَامّ لفظًا ومعنًى في الشّام ومصر وغيرهما: وقد ذكرها د. عبد العال بعنوان: لَهْوَجَ في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) قال ابن منظور[1]:

«ولَهْوَجَ الشّيءَ: خَلَطه، ولَهْوَجَ الأمرَ: لم يُحْكِمْه ولم يُبْرِمْه. ابن السِّكِّيت: طعام

(١) لسان العرب ط بيروت ١٩٥٥ ج ٩ ص ٣٦٠.

مُلَهْوَج ومُلَغْوَس وهو الذي لم يُنْضَجْ. وأنشد الكِلابيّ:

خَيْر الشِّواء الطَّيِّبُ المُلَهْوَجْ
قد هَمَّ بالنُّضجِ ولما يَنْضَجْ

وَلَهْوَجَ اللحمَ: لم يُنْعِمْ شَيَّه؛ قال الشمّاخ:

وكُنْتُ إذا لاقيتُها؛ كان سِرُّنا
وما بَيْننا مثل الشّواءِ المُلَهْوَج

وقال العجّاج:

والأَمْرُ ما رافَقْتَه مُلَهْوجا
يُضويكَ ما لم تَجْنِ مِنْهُ مُنْضَجا

وَلَهْوجْتُ اللحمَ وتَلَهْوَجْتُه: إذا لم تُنْعِمْ طَبخه.

وتَلَهْوَج الشّيءَ: تَعجَّلَه، أنشد ابن الأعرابيّ:

لولا الإلهُ، ولولا سَعْيُ صاحبنا
تَلَهْوَجُوها، كما نالُوا من العِيَر».

اللَّهْسُ بِمَعْنى اللَّحْس

في بَعْضِ البُلْدَان العَرَبِيّةِ تُلْفَظ الحاءُ هاءً تَرْقيقًا لها، ويَظْهَرُ أنّ التَّبادُلَ والتَّعاقُبَ فيما بَيْن هٰذَيْن الحَرْفَيْن موجودٌ في الفصِيحْ التّلِيْدِ أيضًا، كما في اللَّهْسِ بِمَعْنى اللَّحْسِ كما في (اللسان... والقاموس... والتّاج...).

لَهَسَ = لَحَس
واللُّهْسَةُ = اللُّحْسَة.

في مُعْجَم ابن منظور (لسان العرب) وكذلك في (تاج العروس).

(لَهَسَ الصّبيُّ ثَدْيَ أُمّه لَهْسًا: لَطَعَه بِلِسَانِه ولم يَمْصَصْهُ... واللَّهْسُ: لُغَةٌ في اللَّحْس أو هَهَّةٌ؛ يُقالُ: مَالَكَ عِنْدِي لُهْسةٌ، بالضّمّ، مثل لُحْسَة أيْ ما لَكَ عِنْدي شَيْءٌ).

لَهَطَ

لَهَطَه: في عاميّتنا؛ أيْ أَخَذَه غنيمة باردة مُغْتَنِمًا غَفْلَةً من أصحاب الحقّ، فهذه (لَهْطَةٌ) أي فُرصة للحُصول على الغالي بِثَمن بَخْسٍ... وفي مصر يقول د. عبد العال في (معجم الألفاظ)... نقول في دارجتنا: لَهَطَ فلانٌ العصيدة: أَكَلَها بكفّه منشورة، وهو أكثر من اللَّحْسِ، وفي (القاموس...) «لَهَطَه... ضَرَبه بالكفّ منشورة»...

أمّا لدى أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«وقالُوا: لَهَطَ الطّعامَ إذا أَكَلَه بِشَرَهٍ ونَهَمٍ، وهذا الشّيء لَهْطَة؛ أي يَسْهُل لَمَسَهُ وأَكَلَهُ. قال عديّ:

وَيَلْهَوْنَ ما أغنى الولي ولم يُلِتْ
كأنّ بحافات النّهاء المزارعا

يَلْهَوْن يَأْكُلْن. ما أغنى الولي: ما أنبت المطر. لم يُلِث: لم يُبْطِئ أنْ يَنْبُت. والنّهاء جَمْع نهي وهو الغدير. وربّما كان من رَهَطَه، فقد جاء في التّاج. عن الهَيْثَم: الرَّهْطُ عِظَمُ اللُّقَم وشِدَّةُ الأَكْل كالتّرهوط؛ وأنشد:

يا أيُّها الآكِلُ ذو التَّرَهْوُط».

وروى أحمد أبو سعد في ص ٢٦٣ من (قاموس المُصْطلحات والتّعابير الشّعبيّة): أنّ «أصْلَها آراميّ عن نخلة ص ٩٩ من (غرائب اللهجة اللبنانيّة السّوريّة). ولا يَخْفى أنّ السّاميّات جُذُورُها مُشْتَرَكة أو مُتَقارِبَة».

فقلت وهو فعل فصيح اللفظ أصلًا ولٰكنّ دلالته ومعناه في الفصيح تختلف.

وفي (لسان العرب): «لَهَطَ يَلْهَطُ لَهْطًا: ضَرَبَ باليَدِ والسَّوْطِ، وقِيْل: اللَّهْطُ: الضَّرْب بالكَفّ منشورةً أَيَّ الجَسَدِ أصابت، لَهَطه لَهْطًا، ولَهَطَتِ المرأة فَرْجَها بالماء لَهْطًا: ضَرَبَتْه به. ولَهَطَ به

الأرضَ: ضَرَبَها به. ابن الأعرابيّ: اللّاهِط: الذي يَرُشُّ بابَ داره ويُنَظِّفُه». ر ه. ابن منظور. ولعلّ اللّهْط بالماء ضرب به يُقصد منه الغَسْل والتّنْظيف [وليس الشّطْف لأنّ الشّطْف في (اللسان...): العُدول عن الشّيء، وانْظُرْه في مَوْقِعِه]. ويزيد في (القاموس... والتّاج...): «وقال ابن الأعرابيّ: لَهَطَه بِسَهم: رَمَاه به كَلَعَط. ولَهَطَ الثّوْبَ: خاطَهُ... وقال غيره: ولَهَطَتِ الأمُّ ولدَها: وَلَدَتْهُ لَعَطَتْهُ، وقال ابن عبّاد يُقال: لعنَ اللهُ ما أَلْهَطت به أيْ رمَتْ به. ويُقال: لَهْطَةٌ من الخَبَرِ وَهَلْطَة، هو ما تسمعه ولم تستحقَّه ولم تكذّبه، كذا في النّوادر».

قُلْتُ قرب من الاستعمال العامّيّ في قوله «لهطة من الخَبَر» أمّا: «لَهَطَهُ بِسَهْم» فيوحي بأنّ المَرْمِيّ بِسَهْم لم يُصِبْه فاسْتولى عليه فقالَتِ العامّة: لَهَطَهُ لَهْطَةً بِلا ثمن...

ولا يزيد ابن فارس في (مقاييس اللغة) عن الرّمي بالسهم وضَرْب الفَرْج بالماء، والزّمخشريّ في (الأساس...) يُهْمِلُه كما أهْمله الْجوهريّ في (الصِّحاح...) ولٰكنّ المُحْدَثين (كالمُعْجم الوسيط) وغيره عُنوا به.

إحالة: لهف: انظر في ل أ ف بعنوان: لأف ولقف ولهف.

اللَّوْبِ على اللُّوبي

في عامّيّتنا، ما يزال الفِعْل الفصيح: لابَ يَلوب لَوْبًا واللُّوبي مَنْسوب إلى اللُّوبةِ... ولٰكن في لُغة فُصحاء المُثَقّفين المُعاصِرين بعض الأوهام التي تُنْتج لُغة عامّيّة أخرى تُضاف إلى العامّيّات العديدة المُنوّعة في مجتمعنا أو مِن الوَعي الإعلاميّ والثّقافيّ أن يَظلّ صحافيّونا يحدّثون القرّاء والمُسْتَمِعين عن (اللُّوبي)؟ وهو تعبير من اللغة الإنكليزيّة يَرِد في القواميس العَربيّة الإنكليزيّة – Lobby – بمعنى دهليز رُواق فسيح فُسحة. رُدهة. ولٰكنّ كُتّابنا يَتَحدَّثون في أثَره السّياسيّ على حكومة دَوْلة ما، وإذا لم أفهم هذا اللوبي؛ ورَجَعْت إلى المُعْجَم العربيّ؛ فالكُتّاب الذين أتحدَّث عنهم عَرَب يَكْتُبون بلغة عربيّة فصيحة، فهل تُطالِبُني بغير مُعْجَم العربيّة؟ ولْيَكُنْ من العَصْر الحديث. مثل (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ مَثَلا فأجد: «اللُّوبة: القَوْم يكونون مع القَوْم لا يُسْتَشَارُون في شَيْء. والحَرَّة من الأرض، جَمْعُها لُوْبٌ.

أَسْوَدُ لُوبِيّ: مَنْسُوب إلى اللُّوبَة للحَرَّة... وكذلك أسود لابيّ...». وهذا أيضًا نصّ (... الوسيط) مُعْجَم مَجْمَع القاهرة و(متن اللغة) مُعْجم أحمد رضا، وكذلك ما في مَعاجِم التّراث القديم (كالقاموس... واللسان... والتّاج... ومقاييس... ابن فارس... ومصباح... الفيّوميّ) وأنقل من اللسان: «اللَّوْب واللُّوب واللُّؤوب واللُّوابُ: العَطَش، وقيل هو: اسْتِدَارة الحائِم حولَ الماء وهو عَطْشان، لا يَصِل إليه. وقد لاب يَلُوبُ لَوْبًا وَلُوابًا وَلَوَبانًا، أي: عَطِشَ، فهو لائب؛ والْجَمْع: لُؤُوب... يُقال: تركتها لَوَائِبَ على الحَوْض... وَلُوْبٌ: عِطاش...

واللوبة: القَوْم يكونون مع القَوْم، فلا يُسْتَشارون في خَيْر ولا شَرّ...

وقالُوا: أَسْوَدُ لُوبيّ ونُوبيٌّ، منسوب إلى اللُّوبة والنُّوبة وهما الحَرَّة...

... واللَّابة: الحَرَّة...

... واللُّوْبَة: ما اشْتَدَّ سوادُه وغَلُظَ وانْقاد على وجه الأرض... والحَرَّة أَعظم من اللُّوبة، ولا تكون اللُّوبة إلّا حجارةً سُودًا، وَلَيْس من الصَّمّان

لُوْبَة، لأنّ حجارة الصَّمّان حُمْرٌ، ولا تكون اللُّوبة إلّا في أنف الجَبَل، أو سِقْطٍ أو عُرْضِ جَبَل . . .
وفي حديث عائشة ووصَفَتْ أباها – رضي الله عنهما –: (بَعِيدُ ما بَيْن اللابَتَيْنِ)؛ أرادت أنّه واسع الصَّدْر، واسِعُ العَطَن، فاسْتعارت له اللّابَةَ، كما يُقال: رَحْب الفِناء واسعُ الجَناب . . .

واللُّوب: النَّخْل، كالنُّوب . . . والمَلاب: ضَرْب من الطِّيْبِ، فارسيّ، وَلَوَّبَ الشَّيءَ: خَلَطه به فهو مُلَوَّب: مُلَطَّخ به، قال المُتَنَخِّلُ الهُذَليُّ:

أَبِيْتُ على مَعارِيَ واضِحاتٍ
بِهِنَّ مُلَوَّبٌ كَدَمِ العِباطِ

والحَديد المُلَوَّب: المَلْويُّ، تُوْصَفُ به الدِّرْع، الجوهريّ من هذه التّرجمة [ل و ب في الصّحاح]: وأمّا المِرْوَد ونَحْوُه، فهو المُلَوْلَبُ عَلىٰ مُفوعَل».

لا بدّ إذًا منَ الاعْتراف بأنّ كُتّاب السّياسة العربيّة اسْتعملُوا العِبَارة الإنكليزيّة – Lobby – الواردة بمعنى حقيقيّ هو: البَهْو الرئيسيّ للفُندق أو الصّالة التي يَجْتمع فيها الجُمْهور العامّ مع أعضاء المَجالس التَّشريعيّة ومَجالس صُنْع القرارات؛ ويَتَطَوَّر المعنى إلى المَجاز فيكونُ فيه مُحاوَلةُ التَّأثير على أعضاء المَجالِس أو تأثير الأعضاء على الجُمهور أو على مَجْموعة النّاس المُؤَثِّرين في صُنْع القرارِ وهذا كما جاء في (قاموس المُتعلّمين المُتقدِّمين للإنكليزيّة الدّارجة الصّادر في أوكسفورد الطّبعة الأولى ١٩٤٨ وطُبع ١٢ مرّة حتّى التّعديل الثّالث سنة ١٩٦٧). وكذلك (مُعْجَم وِبْستر المُعْتَمَد الصّادر عن شركة النّشر العالميّة في كليڤلاند ونيويورك في الطّبعة الثّامنة سنة ١٩٥١ وكانت طبعته الأولىٰ سنة ١٩٤١).

وأَظَلّ غير مُقْتَنِعٍ بأنْ يكون مُسْتَعْمِلُو العبارة: (اللّوبي المُعادي) في الصّحافة والإعلام السّياسيّ المُعاصِر قد اطّلعَوُا على مَعْنىٰ (اللُّوبي) في مُعْجم أو مَوْسُوعةٍ ما، فأُسائِلُهم فلا أَجِدُ لَدَيْهم جوابًا، إلّا مَنْ كان منهم واسع الاطِّلاع على أدبيّات اللغة السّياسيّة عند كُتّاب اللغات الأجنبيّة ولا سيّما الإنكليزيّة الأمريكيّة، بالذّات، فأَفْهم مِن شُروحهم الشَّفَويّة أنّهم يَسْتَعْمِلُونها بمعنى النّادي الذي له قُوّة نُفُوذ سياسيّ مُؤَثّر . . . أو ما قارب هذا المعنى وأَشْبَهَه . . . وأنّ هذا المعنىٰ بعيد أو مُناقِضٌ لمعنى اللُّوبي من أيّ مُعْجَم عربيّ من أقدم العصور حتّى اليوم . . .

فأعود مرّة أُخرى إلى مَعاجِم المُصْطَلَحات في اللغة الإنكليزيّة فأجده بمعنًى مَجازيّ اصْطِلاحيّ في (قاموس الاقتصاد والتّجّار) الذي أعدّتْه دائرة المعاجم في مَكْتَبَة لبنان وصَدَرَت الطَّبْعة الأولىٰ منه سنة ١٩٨٣، والثّانية سنة ١٩٨٥ وفيها: «Lobbies».

مجموعات الضَّغط (في أوساط الأعمال) Lobby groups

«مُحاوَلات الضَّغْط أو التَّأثير «Lobbying»

وانْظُر أيضًا في (قاموس المُصْطَلَحات السّياسيّة . . .) الذي أصْدَرَتْه مَكْتَبَة لبنان . . . إذا شِئْت.

Lobby

وفي: معجم العبارات السياسيّة:

يسعىٰ بإلحاح إلى التّأثير على أعضاء الحكومة من وراء السّتار.

وفي: المورد (إنكليزيّ – عربيّ)

(١) رواق أو ردهة أو حجرة انتظار (٢) ردهة المجلس: الرّدهة الكبرىٰ في مجلس العموم (انكلترة) أو مجلس الشّيوخ (أمريكا) حيث

يستطيع الأعضاء أن يقابلوا النّاس (٣) جماعة الضَّغط: جماعة تحاول التّأثير على أعضاء هيئة تشريعيّة كمجلس الشّيوخ (٤) يحاول أن يكسب التّأييد لمشروع قانون من طريق التّحدُّث إلى أعضاءِ المجلس التّشريعيّ في ردهته الكبرى (to lobby abill)

وفي: قاموس المصطلحات الديبلوماسيّة والشؤون الدوليّة:

- الكواليس - بهو المؤتمرات - الصالات والأبهاء أو الغرف المجاورة لقاعة الاجتماعات أو المؤتمرات أو الممرّات المؤدِّية إليها والتي يَجْتَمِعُ فيها عادة المندوبون والممثّلون والديبلوماسيّون بصفة رسميَّة أو شبه رسميَّة ويتناولون فيها بحث وتحليل القضايا المستعصية التي يعالجها المؤتمر ويحاولون إيجاد تسوية لها عن طريق القضاة، أو المُسَاوماتِ والإغراءات أو التّرضيات وكثيرًا ما تُحَلُّ مثل هذه القضايا في الكواليس بحيث يتمّ في الاجتماع الرّسميّ تسجيل وإقرار ما تمَّ الاتّفاق عليه.

LOBBY ظهرت عام ١٩٥٤ - كلمة إنكليزيّة - مجموعة ضغط.

مثال: «لوبي» منتجي الغاز الأمريكيّين - مجلّة الاكسبرس ١/ ١/ ١٩٧٣.

وفي: المنهل

جماعة الضَّغط - مجموعة من النّاس أو منظَّمة تمارس ضغطًا على السّلطات العامَّة لإنجاح مصالح خاصَّة.

لاشَ وَلَوّش واللوش

لاشَ اللُّقْمَة يَلُوشُها، بمعنى لاكَها يَلُوكُها في عامّيّتنا... بإبدال الكاف شينًا ولٰكنْ في عامّيّتنا أيضًا: الْتاش يَلْتاش فهو مُلْتاش: بمعنى: توقّف مُتَحَيِّرًا مُرْتَبِكًا فلم يَدْرِ ما يَفْعل بسبب مُفاجأة مُذهِلة...

وفي (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) لأحمد رضا العامليّ: ويقولون: لَوَّشَ الرَّجُل إذا سَكَنَتْ حَرَكَتُه عَجْزًا أو إعْياءً أو نحو ذلك. وَلَوَّشَهُ إذا جَعَله يَتلوّش.

وهي من اللُّواشة وهي ما يُجْعَلُ على جَحْفَلَة الفَرَس [بمنزلة الشَّفَة للإنسان] لِيَمْنَعه من الاضْطِراب.

أَهْمَل ابن منظور في اللسان: ل و ش و ل ي ش

وفي مُسْتدرك (تاج العروس...) يقول الزّبيديّ:

«وممّا يُسْتَدْرَك عليه: اللَّوْش: هو اللَّوق. ورَجُل أَلْوَش وهي لَوْشَاء... اللِّواشة بالكَسْر ما يُجْعل على جَحْفَلة الفَرَسِ لِيَمْنَعه من الاضْطراب.

وأمّا قَوْلهم: لاشْ فإنّه مُخْتَصَر عن لا شَيْء، ويُسْتَعْمَل غالبًا في الازدواج كَقَوْلهم: الماش خير من لاش كما سيأتي في م و ش واسْتَعْمَلُوا منه التَّلاشي وكأنّه مُوَلَّد» ا. هـ.

لاص يلوص ويليص لَوْصًا ولَيْصًا وتَلَوّص

(حاصَ ولاصَ وما زالَ يَحُوْص ويَلُوْصُ)

كذلك يُقال في عامّيّة الشّام ومصر وغيرِهما كما في الفصيح في المادَّتَيْن المُعْجَمِيَّتَيْن: ل و ص، و: ل ي ص. ولا نكادُ نجدُ تَغَيُّرًا بَيْن تالِدِها وبَيْن الطَّريف وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ:

«هو يُلاوِصُ الشَّجَرَة: يَنْظُر يَمْنَةً وَيَسْرَةً كيفَ يَقْطَعُها، ومنه: لاوَصَنِيْ فلانٌ عن كذا: خادَعَني. وفلانٌ مُلاوِصٌ: مُتَمَلِّق خَدّاع. وتلوّص: تَلوّى و(أعوذ بالله من اللَّوْصَة والشَّوْصَة)».

يقول ابن منظور في (لسان العرب):

«لاصَه بِعَيْنِهِ لَوْصًا ولاوَصَه: طالعَهُ من خَلَلٍ أو سِتْرٍ [وفي (مقاييس اللغة) من خَلَلِ سِتْرٍ أو بابٍ]. وقيل: المُلاوَصةُ النَّظَرُ يَمْنَةً ويَسْرةً كأنّه يَرُومُ أمرًا... وقال عُمَرُ لِعُثمانَ في مَعْنى كَلِمَة الإخلاص: هي الكلمة التي ألاصَ عليها النّبيُّ - صلّى الله عليه وسلّم - عَمَّهُ يَعْني أبا طالبٍ عند المَوْتِ شهادة أنْ لا إله إلّا الله أيْ أَدارَه عليها وراوَدَه فيها. اللَّيث: اللَّوْصُ من المُلاوَصَة وهو النّظر كأنّه يَخْتِل لِيَرُومَ أمْرًا. والإنسانُ يُلاوِصُ الشّجَرة إذا أرادَ قلعَها بالفأسِ فتراهُ يُلاوِصُ في نَظَرِهِ يَمْنَةً ويَسْرةً كيف يَضْرِبُها وكيفَ يَأْتِيها ويَقْلَعُها... أبو تُراب: يُقالُ لاصَ عن الأمرِ وناصَ بِمعنىٰ حادَ...» وفي (القاموس... والتّاج...):

«اللَّوْصُ: وَجَعُ الأُذُن أو وَجَعُ النَّحْر وهي اللَّوْصَة أيضًا... وقيل اللَّوْصَة وَجَعُ الظَّهْر من رِيْحٍ يُصِيْبُه. وتَلَوّصَ الرَّجُلُ إذا تلوّىٰ وَتَقَلَّب، ولاصَ بالشّيء لياصًا: اسْتَدارَ به». قُلْتُ: والمَوْجُوعُ العامّيّ عندنا يقولُ: (أَلُوصُ من وَجَعِي كلّ لَوْصَةٍ ولَوْصَةٍ...) وفي ل ي ص في (اللسان...) وغيره:

«لاصَ الشّيءَ لَيْصًا وألاصَه وأناصَه على البَدَل إذا حرّكه عن مَوْضِعِه وأداره لِيَنْتَزِعَه. وألاصَ الإنسان: أدارَهُ عن الشَّيْء يُرِيْدُه منه». ويُلَخِّصُ (الوسيط) مُعْجَم مَجْمَع القاهرة المادَّتَيْن تلخيصًا...

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: ل و ص: «ولاصَ عنه حادَ... والعامّة تقولُ: لَوَّصَه في كذا فَلَاصَ منه: أي: بالَغَ في الإلْحاحِ عليه فَمَلّ منه وعَجِزَ دُونَه...».

وفي (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارِجَتنا: لاصَ فلان: تحيّر وسُدّتْ عليه المنافذُ ولَوّصَ فلانٌ فلانًا: أعطاه عَمَلًا لا يَقْوىٰ عليه فحارَتْ نَفْسُه واضْطَرَب فِكْرُه ولم يَسْتَطِع التَّصرُّف...».

لوّطه اللِّيطة

يقول الدِّمَشْقيّ (... لا والله... لا أُلَوِّطُ فلانًا شيئًا من بيتي ورِزْقي... ولا أتركه يَلُوطه...)... أي لا يَصِل إليه... وهذا الفِعْل فصيح الأصل بما يُقارب هذا المعنى... ولٰكنّي ألاحظ أنّ أكثر ما يَسْتَعْمِلُه عوامُّنا مَنْفِيٌّ.

واللاطة والليطة من قِشْر الخَشَب والأسطوانة الخَشَبِيّة!

أمّا في مِصْر فَيَخْتلف معناه العامّيّ لَدَيْهم وهو من الفصيح، كما في قول د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتنا: لَوَّطَ الحائطَ: غطّاه بالطّين ونحوه من موادّ البناء وهي مُضَعَّف لاط، وفي القاموس: لاط الحوضَ: طَيَّنَهُ واللَّوْطُ والرَّداءة» ا - هـ. عبد العال...

وفي لبنان: يقول أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«وقالوا: لاطَتِ البَلَدُ بالخَبَر إذا انْتَشَر فيها غير محمود الأَثَر، وتحدّث النّاس وجَهَرُوا به ولوط عليه إذا أكثر الحديث عنه جِهارًا حتّى انْتشر وكَثُرَ تَحدُّث النّاس به...

... وربّما كان من اللصوق والتِّكرار... وربّما... ولا يُسْتَبْعَد أنْ تكون الكلمة دَخيلة».

ولٰكنّ أصل: ل و ط في (مقاييس اللغة) لابن فارس: اللام والواو والطّاء كَلِمَة تَدُلّ على

اللصوق. يُقال: لاط الشَّيْءُ بقلبي إذا لصق. وفي بعض الحديث: «الوَلَدُ أَلْوَطُ بالقلب... ولُطْتُ الحَوْضَ لَوْطًا: إذا مَدَرْتَه بالطين».

وكذا في (لسان العرب) وفيه:

«... والْتاطَه: لاطَه لِنَفْسِه خاصّة. وقال اللحيانيّ لاط فلان بالحَوْض أيْ طَلاه بالطِّين ومَلَّسَه به، فَعَدّى لاط بالباء... ومنه حديث ابن عبّاس في الذي سأله عن مال يتيم وهو والِيه أيُصِيب من لَبَنِ إبلِه؟ فقال: (إنْ كُنْت تَلوط حوضَها وتَهْنَأُ جَرْباها فأَصِبْ من رِسْلِها)، قَوْلُه: تلوط حَوْضَها أرادَ باللَّوْط تَطْيِيْن الحَوْض وإصلاحَه وهو من اللصُوق...

... وفي الحديث: (مَنْ أَحَبَّ الدُّنيا الْتاط منها بِثَلاث: شُغُل لا ينقضى وَأَمَلٍ لا يُدْرَك وحِرْصٍ لا يَنْقَطِع). وفي حديث العبّاس: أنّه (لاط لفلان بأربعة آلاف فَبَعَثَه إلى بَدْرٍ مكان نفسه) أيْ أَلْصَق به أربعة آلاف...

ولاط الشَّيْءَ لوطًا: أخفاه وألْصَقَه...

... الكِسَائيّ لاط الشَّيء بقلبي يَلُوط ويَلِيْط. ويُقال: هو أَلْوَط بقلبي وأَلْيَطَ وإنّي لَأَجِد له في قلبي لَوْطًا ولَيْطًا... والكَلِمَة واويّة ويائيّة...

ولاط بحقّه: ذَهَب به».

وفي لَيَط ل ي ط يقول ابن منظور في (اللسان...):

«لاطَ حُبُّه بقلبي يَلُوط ويَلِيْط لَيْطًا ولِيطًا: لَزِقَ، وإنّي لَأَجِد له في قلبي لَوْطًا ولِيْطًا يَعْني الحُبّ اللازق بالقلب، وهو أَلْوط بقلبي وأَلْيط...

... والأَلْياط جَمْع لِيْطٍ وهي في الأصل: القِشْر اللازق بالشَّجَر...

ولاط القاضي فلانًا بفلان: أَلْحقَه به... وفي حديث عُمَر: أنّه كان يَلِيطُ أولاد الْجاهليّة بآبائهم... واللِّيط: الجلد... قال جَسّاسُ بن قُطَيْبٍ:

وَقُلُصٍ مُقْوَرَّة الأَلْياطِ

... أبو زيد: يُقال: ما يَلِيطُ النّعيم ولا يَلِيقُ به معناهُ واحد».

وابن فارس لم يَذْكر اليائيّ منه في (مقاييس اللغة) كما يَذْكره الفَيُّوميّ في (المصباح...) ومن (القاموس... والتّاج...): «... ولاط في الأمر: ألَحّ قاله الليث، وهي واوِيّة لأنّ أصْل اللاط اللَّوْط وهو قريب من اللصوق لأنّ المُلِحّ يَلْزَق عادَةً. وقد مرّ في أوّل الفَصْل لَأَطَهُ بهذا المَعْنى وسيأتي أيضًا من لَأَظَه بالظّاء، قال الصّاغانيّ: فإنْ صحّ ما قاله الليث فاللّاط كالْقّال بمعنى القول في المصدر. وقال الليث: لاط اللهُ تعالى فلانًا لَيْطًا: لَعَنَه، يائيّة، ومنه قول عديّ بن زيد يَصِفُ الحَيَّة ودخول إبليس جَوْفها:

فَلاطَها اللهُ إذْ أَغْوَتْ خَلِيفَتَهُ
طُولَ اللَّيالي، ولم يَجْعَلْ لها أَجَلا

أرادَ أنّ الحيّة لا تموت بِأَجَلِها حتّى تُقْتَل ومنه شيطان لَيْطانَ، سرْيانيّة، أو هو اتْباع له [كذلك في (اللسان...) كما في هذا النّصّ في (القاموس... والتّاج...)].

واللُّوِيْطَة كَسَفِيْنة -: طعام اخْتَلَط بعضُه ببعض واويّة

واللِّيْطَة - بالكَسْر - قِشْر القَصَبَة اللازق بها وكذلك لِيْطُ القَوْس أعلاها وظاهرها... ولِيْط القَنَاةِ وكلّ شيء له مَتانَة؛ وفي حديث أبي إدريس: قال: (دَخَلْتُ على النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - فأُتِيَ بِعَصافيرَ فَذُبِحت بِلِيْطة)؛ قيل: أراد القِطْعة المُحدّدة من القَصَب، وقال الأزهريّ: لِيْطُ

العُودِ: القِشْر الذي تحت القِشْر الأعلى جَمْعُه لِيطٌ كَرِيْشَةٍ وَرِيْشٍ وجَمْع لَيطٍ لِياط بكَسْرِهما وأَلياط وأنشد الفارسيّ قول أوس بن حَجَر يصف قوسًا وقَوّاسًا:

فَمَلَّكَ بالِلّيْطِ الذي تَحْتَ قِشْرِها
كَغِرْقِئِ بَيْضٍ كَنَّهُ القَيْضُ مِنْ عَلِ

قال: ملّك: شدّد أي: ترك شيئًا من القِشْر على قَلْب القَوْس لِيَتمالك به...

واللَّيْط بالفَتْح: اللون، ويُكْسر، وكذلك اللياط: وليط الشّمس لونها إذ ليس لها قِشْر، قال أبو ذُؤَيْب:

بِأَرْي التي تهوي إلى كلّ مَغْرِبٍ
إذا اصْفَرَّ لَيْطُ الشَّمْسِ حانَ انْقِلابُها

رُوي: ليط الشّمس: بالوَجْهَيْن؛ أراد لونها؛ وحان انقلابها؛ أي: النَّحلِ إلى مَوْضِعها وهو مَجاز يُقال: هو أَنْور من لِيْط الشّمس، ويُقال: أَتَيْتُه وَلِيْط الشّمس لم يُكْسَر؛ أي: قبل أنْ تَذْهَبَ حُمْرتُها في أوّل النّهار. والْجَمْع أَلياط...

واللِّيط - بالكَسْر - الجِلْد وهو مَجاز والْجَمْع ألياط...؛ فاستعار اللّيْط للجِلْد لأنّه لِلَّحْم بِمَنْزِلَتِه للشّجر والقَصب... وفلان ليّن اللّيط إذا كان ليِّن المجسّة.

واللِّيط: قِشْر كلّ شيء؛ هذا هو الأصل في الباب ثمّ اسْتُعِيْر منها...

والتَّلْيِيط للإلصاق كالتَّلْبِيْس يائيّة، ويُقال: ما يَليط به النّعيم، أي: ما يَليق به...

وممّا يُستدرَك عليه: اسْتِلاط دمه؛ أي: اسْتَوْجَبَه واسْتَحَقَّه...

... وَلَوَّطه بالطّيب: لَطَّخه؛ وأَنْشد ابن الأعرابيّ:

مُعَرَّكَة أزرى بها عند زوجها
وَلَوْ لَوَّطَتْهُ هَيِّبانٌ مُخالِفُ

[وفي (اللسان...)].

يعني بالهَيْبان المُخالِف ولدَه منها، ويُروى: عند أهلها».

وللبُستانيّ في (مُحيط المُحيط) «اللّاطة خَشَبة شِبْه الكريشة يُشْقَفُ بها. مُوَلّدة. جَمْعها لاطات». قُلْت وكذلك لَدىٰ النّجّارِيْن في دمشق، ولعلّها اللِّيطة من لِيْط العُود والقِشْر والخَشَب الذي رَوَتْه المَعاجِم القديمة عن الأزهريّ وغيره واسْتَشْهدُوا عليها بِشِعْر أوس بن حجر أستاذ زهير بن أبي سُلمىٰ... والليط أيضًا: القِشْر اللازق بالشّجَر في (لسان العرب).

لاكَ يَلُوك

لاكَ اللُّقمة يَلُوكها من فصيح عَوامّ الشّام لفظًا ومعنًى بلا لَبْس... وكذلك لَوْك الأحاديث... (واللَّوْك: علْك الشّيء) في صِحاح الْجَوهريّ.

ولٰكنّ بعض العَوَامّ يُبدلون بِكافِهِ شِيْنًا وقد تَجِدُ الواحد منهم يَقوله بالشّيْن مرّة وبالكاف مَرّات... وكأنّ المُتَكَلِّم ذاتَه يُحِبّ أنْ يُنَوِّع ويُفَنّن ويُخالِف فَيُبادل ما بَيْنَهما تَشْقيقًا للكلام وتضنينًا له.

وفي (لسان العرب) كما في (القاموس المحيط) وشارحه في (تاج العروس):

«اللَّوْك: أَهْوَن المَضْغ، وقِيْل: هو مَضْغ الشَّيء الصُّلْب المَمْضَغَة تديره في فِيْك؛ قال الشّاعر:

ولَوْكُهُمُ جَذْلَ الحَصَىٰ بِشِفاهِهِم
كَأَنَّ على أكتافِهم فِلَقًا صَخْرًا

وقد لاكَه يَلُوكُه لَوْكًا. وما ذاق لَواكًا؛ أيْ: ما يُلاكُ. ويُقال: ما لُكْتُ عنده لَواكًا؛ أي: مَضاغًا.

وَلُكْتُ الشّيءَ في فمي ألوكُهُ إذا عَلَكْتُه. وقد لاكَ الفَرَسُ اللِّجامَ.

وفلان يَلُوك أعراضَ النّاس؛ أيْ: يَقَعُ فيهم. وفي الحديث: (فإذا هو في فيه يَلوكُها) أيْ: يَمْضَغُها. واللَّوْك: إدارة الشّيء في الفَمِ».

وفي مَجاز (أساس البلاغة): «هو يَلُوك أعراض النّاس».

وكذلك في (مقاييس اللغة) لابن فارس.

لَوْما = لولا

حين تُروىٰ قصّة من قصص الغِيْلان على لسان سيّدتنا (الغولة). يَقول العَوَامّ في الشّام: (لوما سلامك ما سبق كلامك لَكُنت أكلتك وفَصْفَصْت عظامك) وهم يَسْتَملون (لوما) بمعنى: (لولا) أكثر منها:

وفي (مُغْني اللبيب عن كُتُب الأعاريب) تأليف عبد الله جمال الدّين بن يوسف المعروف بابن هشام الأنصاري المتوفّىٰ سنة ٧٦١هـ حقّقه: محمّد مُحْيي الدّين عبد الحميد ط. القاهرة بلا: ت ص ٢٧٦ و ط. دمشق حقّقه: د. مازن المُبارك، ومحمّد عليّ حمد الله، وراجعه سعيد الأفغاني سنة ١٩٧٢م. ١٣٩٢هـ. ص٣٦٤.

«لَوْما: بِمَنْزِلة لولا، تقول: زَيْدٌ لأَكْرَمْتُك، وفي التّنزيل ﴿لوما تأتينا بالملائكة﴾ [السّورة / ١٥/ الحجر الآية ٧] وزعم المالِقِيّ أنّها لم تأت إلّا للتّخْصِيْص، ويَرُدّه قول الشّاعر:

لَومَا الإصَاخَةُ لِلوُشَاةِ لَكَانَ لي

مِنْ بَعْدِ سُخْطِكَ في رِضَاكَ رَجَاءُ».

[وقال مُحَقِّقو طبعة دمشق: لم نَقِفْ على قائله، وهو ممّا أهمله السّيوطيّ في شرح الشّواهد].

اللِّيفة

نقول في الشّام: (تَلَيَّفْتُ في الحمّام بِلِيْفَتي، وأُمّي لا تستعمل ليفة الصُّحون لِتَلْييف الفناجين فلكلٍّ عندها لِيْفَة مُخَصَّصَة...) وقد كانت الألياف تُؤخذ من لِحاء جُذوع النَّخيل والنَّباتات الأخرىٰ ذات الألياف، وقد كان يُسْتَعاضُ عنها بإسْفِنْجَة من حيوان الإسْفِنْج قبل أن تُصَنَّع كِيميائيًّا من (رَغْوَة) موادّ اللادن (النايلون والبلاستيك والصناعيّات الحديثة...)... وبقينا نسمّيها لِيفة ونَشْتقّ مِنها الأفعال لَيَّف وتليَّف...

وكذلك في لبنان كما في ص٣٠١ من (قاموس المُصطلحات والتّعابير الشَّعبيّة) لأحمد أبي سعد...

أمّا في مصر ففي الاستحمام - أو (الحُموم) كما يقول بعضهم: يحمّون أجسامهم - بثمرة «نبات معروف ذات نسيج خاصّ يسمُّونَها: اللُّوْفَةُ وتُسْتَخْدم في الاستحمام ونحوه، وفي (القاموس...): اللّوف نباتٌ له بَصَلَةٌ كالعُنْصُل، والعُنْصُل بيت العنكبوت». وذلك طِبقًا لقول د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامِّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة). والعامِّيّة المصريَّة تسمّي اللّحَاء المغطّي جذوع النَّخْل: لِيْفَةً أيضًا، حسب ما من قول د. عبد العال ذاته...

وكذلك في (لسان العرب) ل و ف:

«اللوف نبات يخرج له ورقات خُضْرٌ رِواءٌ جَعْدَةٌ تَنْبَسِط على الأرض...».

وفي: ل ي ف: من (اللسان...):

«لِيْفُ النَّخْل معروف، القِطْعَة منه لِيْفَة. وَلَيَّفَتِ الغَسيلةُ: غَلُظَت وَكَثُر لِيفها. وقد لَيَّفَه المُلَيِّفُ تَلْيِيفًا.

وأجْوَدُ اللِّيف ليف النّارَجيل، وهو جَوْز الهند،

تجيء الجَوْزة مَلْفُوفَةً فيه وهي بائنة من قِشْرها يُقال لها الكِبنار...».

وما في (تاج العروس...) كذلك... وفي (أساس البلاغة) ل ي ف:

«حَبْل من لِيْف وَحَكَّ جلدَه بالليفة. ولحية لِيفائِيّة: كثيرة الشَّعر منبسطة الأطراف نُسبت إلى ليف النّخْل».

م

المِخاخ والمَخْمَخَة

يَظُنُّ بعضُ المُعاصِرين أنّ جَمْع مُخّ: أَمْخاخ: لأنّ أَفْعال جَمْع فُعْل في مَذْهبهم. ولٰكنّ العامّة تَجْمَعُه على: مخاخ، وهذا هو الصّحيح في المعجم القديم وفي (لسان العرب):

«المُخّ: نِقْيُ العَظم... والجمع مَخخَة ومِخاخ..

والمِخاخ جَمْع مُخّ مثل حِباب وحُبّ وكِمام وكُمٍّ.

وَتَمَخَّخَ العَظْمَ وامْتَخَخَهُ وَتَمكَّكه وَمَخْمَخَهُ: أَخْرَج مُخَّه.

والمُخاخَة: ما تُمصِّص منه».

قلت: يرىٰ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العاميّ إلى الفصيح) أنّ العامّة: «يقولون: مَخْمَخني حُسْنُ كلامه أو جَوْدةُ رأيه، أي: أدْهشني حُسْنُه وشِدّة إعجابي به حتّى استَلَب مُخّي أي تفكيري واسْتَوْلىٰ عليه.. ومنه كنايتهم: فلان كبير المُخّ..»..

المَرَة ومُرأَ يَمْرَأُ والمُرُوَّة

ما يزال فُصَحاؤنا الكُتّاب المُعاصِرون يكتبون عن المَرْأة والنِّساء، فإذا تَحَدَّثوا شِفاهًا بالعامّيّة الدّارجة قالُوا: المَرَة والنُّسوان، كما يقول الجميع وكما هو معروف في كُتُب المُعْجَم اللُّغويّ القديمة والحديثة.

وفي (اللسان..) م ر أ: كما في (الصّحاح.. والقاموس.. والتّاج.. و..)

«..المَرْء: الإنْسان... وقد أنّثوا فقالوا: مَرْأَة، وخفّفُوا التَّخْفيف القياسيّ فقالوا: مَرَة، بترك الهَمْز وفَتْح الرّاء وهذا مُطَّرِد.. وقال ابن الأنباريّ [في الإنصاف]: وللعَرَب في المَرْأَة ثَلاثُ لُغات: يُقال: هي امْرَأَتُه وهي مَرْأَته وهي مَرَتُه.

وحكى ابْنُ الأَعْرابيّ أنّه يُقال لِلْمَرْأَة: إنّها لَامْرُؤُ صِدْق كالرَّجُل، قال وهذا نادِر... وقالت امْرَأَة من العرب: أنا امْرُؤٌ لا أُخْبِرُ السِّرَّ..».

وفي (القاموس..): «وَمَرُأَ الطّعامُ – مُثَلَّثَة الراء – مَراءَةً فهو مَريءٌ هَنِيءٌ حَمِيد المَغَبَّةِ بيِّن المَرْأَة – كَتَمْرَةٍ – وهَنَأَني ومَرَأَني، وإنْ أُفْرِدَ، فَأَمْرَأَني..» ومن (اللسان..) «ومَرِئَ الطّعام: اسْتَمْرَأَه» قلت: وهذه تُخَفِّف العوامُّ هَمْزها في المَثَل الذي يَجْرِي مَجْرَى الدُّعاء للآكِلِ بالهَناءَة شربه وفي أكله فَيقُولون له بَعْدَ (هنيئًا مريئًا سائغًا مُنَعَّمًا).. و(مَطْرَح ما يسْرِي يمْري. ويؤسِّس ويبْني ولا يهري..) ويَسْتَشْهِد البُستانيّ في (محيط المحيط) بالآية ٤ من السّورة الرابعة: النّساء: «﴿..فكُلُوه هَنيئًا مريئًا﴾ وقيل أي خُذُوه وأَنْفِقوه حَلالًا بلا تَبِعَة. وقيل: الهَنِيْء، ما يلَذُّهُ الإنسان. والمُروءة: النَّخْوَة و..قد تُقْلَب هَمْزَتُها واوًا وتُدْغَم فيُقال مُروَّة». قلت: وكذلك يقولُها عوامّنا: مرُوَّة.

وأَعودُ إلى (المَرَة) من النّساء فَأَذْكُرُ ممّن أَرْشَد إلى فصاحة العَوَامّ فيها ابن الحَنْبَليّ في (بحر العوّام

فيما أصاب فيه العَوَامّ) واستشهد مُحقّقه د. شعبان صلاح في حاشيته بالشّاهد ذي الرقم «٥٧٩ من الأشموني/ ٣: ٣٢ قال الرّاجز:

تَقُوْلُ عِرْسِيْ وَهْيَ لِيْ فِي عَوْمَرَهْ
بِئْسَ امْرَأً وَإِنَّنِيْ بِئْسَ الْمَرَةْ»

والعَوْمَرَة: الصِّياح والْجَلَبَة.

وَيَسْتَشْهِد د. عبد العال بِخَبَر عن النُّعمانِ بْنِ بَشِير (من الأغاني ٥٧٩٦): «أَنَّ امرأةً شَكَتْ زَوْجَها إلى النُّعمان فقال لها: قد أحلّ الله له من النِّساء أَرْبعًا.. له مَرَتان بالنّهار ومَرَتان بالليل».

وبعض المُعْجمات الحديثة مثل (.. العربيّ الأساسيّ) تهمل المَرَة.

يَتَمَرْأى ويتمرَّأ

العامّة تقولُ (يَتَمَرّىٰ) بمعنى يَنْظُرُ في المِرْآة، ولو كانت من المَصْدر: المَرآة، بفتح الميم، لَكانَتْ مُخَفَّفَةً من المهموز الفصيح: يَتَمَرْأى ويَتَمَرَّأ...

وفي (اللسان..) م ر أ: «والمَرآة: مَصْدَر الشَّيْء المَرْئيِّ. التّهذيب: وجَمْع المَرآة مَراءٍ، بِوَزْن مَراعٍ. قال: والعَوَامّ يقولُون في جَمْع المَرآة مَرايا. قال: وهو خطأ...

.. وأمّا قوله في الحديث: (لا يَتَمَرْأىٰ أَحَدُكم في الدُّنيا..) أيْ لا يَنْظُر فيها، وهو يَتَمَفْعَل من الرُّؤية، والميم زائدة.

وفي رواية: (لا يَتَمَرَّأُ أَحَدُكم بالدُّنيا..) من الشَّيْءِ المَرِيءِ».

إحالة: المَرْتَبَة بمعنى الصُّفّة والديوان تجدها في: ص ف ف

إحالة: يتمختر: تجدها في: الباء؛ بعنوان «يَتَبَخْتَرُ (ولا يَتَمَخْتَر). والبخترة وليس (المَخْتَرَة)».

المَرْخُ والتَّمريخ بالدُّهْن

التَّمريخ بالمراهِم والأدْهان من العِبارات العامّيّة الفصيحة بمعنى الدَّهن بهذه المَراهِم. وتَمْرِيخ العَجِيْن بإكثارِ مائِه حتّى يَسْتَرْخي أيضًا من فصاح العامّيّة.

وفي مصر يُسَمّون مَرْهَمًا دُهْنِيًّا معروفًا عندهم لالْتِهاب المَفاصِل ونحوها: (مَروخ) كما أشار د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامِّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

وفي (القاموس..) وفي (لسان العرب):

«مَرَخَهُ بالدّهن يَمْرُخُه مَرْخًا وَمَرَّخَهُ تمريخًا: دَهَنَه. وَتَمَرَّخ به: ادّهن. وَرَجُلٌ مَرِخٌ ومِرِّيخ: كثير الإدِّهان... [مُضارعه بِضَمِّ الرّاء بخطّ المُؤَلّف عن الحاشية، وفي (القاموس..) مَرَخ كمنع وكذلك في (مُحيط المُحيط) وكذلك في (المعجم الوسيط) بفتح الرّاء].

ابن الأعرابيّ: المَرْخ: المُراخ... وقيل هو من: مَرَخْتُ الرّجل بالدّهن إذا دَهَنْت به ثمّ دَلَكْته. وَأَمْرَخْتُ العَجِيْنَ إذا أكثرت ماءه». وكذلك في (القاموس..) وفي (أساس البلاغة).

وأصل المعنى في قول ابن فارس في (مقاييس اللغة): «الميم والرّاء والخاء كلمة صحيحة تدلّ على تَلْيين في شيء. ومَرَخْت الجِلْدَ بالدُّهْن وَأَمْرَخْتُه...».

المَرَس والمُمارَسَة والتَّمَرُّس

في الأمثال العامّيّة الفصيحة: (المُمارِس غَلَبَ الفارِس).. والمَرَس: الْحَبْل القويّ.. وفي ألعابهم غالب ومغلوب والغَلْبُ (مَرْس) أي: غَلْب قويّ شديد على النَّفْس...

وفي تراكيب مادّة الجذر: م ر س: نجد من

فصيح العوامّ ما يدلّنا على بعض المظاهر من تطوُّر الألفاظ المَعْنَوِيّة عن أسماء الذّات والأسماء ذات الأصول الماديّة. . .

في (مقاييس اللغة) لابن فارس: «الميم والرّاء والسّين أصل صحيح يَدُلّ على مُضامّة شيءٍ لِشَيْءٍ بشدّة وقوّة.

ومنه: المَرَسُ: الحَبْل، سُمِّيَ لِتَمَرُّس قُواه بعضِها ببعض، والجَمْع أَمْراس.

ومَرِسَ الحَبْلُ يَمْرَسُ مَرَسًا: وَقَعَ بَيْن الخُطّاف والبَكْرة، فأنت تُعالِجُه أن تُخْرِجَه. وَرَجُلٌ مَرِسٌ: ذو جَلَدٍ. وَفَحْلٌ مَرّاس: ذو مِراسٍ شديد. يُقال: امْتَرَسَت الأَلْسُن في الخُصومات: أخذ بَعْضُها بعضًا. ومنه الامتراس: اللزوق بالشّيء وملازمته. قال:

فَنَكِرْنَهُ فَنَفَرْنَ وامْتَرَسَت به
هوجاءُ هاديةٌ وهادٍ جُرْشُعُ

[في الحاشية: لأبي ذؤيب الهُذَلي في ديوان الهُذليّين (١ : ٨)، و(اللسان. .) (مرس، وجرشع)].

ومنه: تَمَرَّس فلان بالشّيء: احتكّ به. والمَرْمَريس: الداهية».

وعن ابن منظور في (اللسان. .): «. .والمَرْس: . . الدَّلْك. والتَّمَرُّسُ: شِدَّةُ الالتواء والعُلوق؛ وفي الحديث: أنّ (من اقتراب السّاعة أن يَتَمَرَّس الرَّجُلُ بِدِينه كما يَتَمَرَّس البَعير بالشّجرة). القتيبي: يَتَمَرَّس بدينه؛ أي: يَتَلَعَّبُ به ويَعْبَث به كما يَعْبَث البعير بالشّجرة، وَيَتَدَلَّك بها. . .

. . .وَتَمَرَّس بالشّيء: ضربه؛ قال:

تَمَرَّس بي من جهله وأنا الرَّقِمْ

وامْتَرَس الشُّجْعانُ في القِتال. . وامْتَرَسَ الخُطَباءُ، وامْتَرَسَتِ الأَلْسُنُ في الخُصومة: تلاجّت وأَخَذ بعضُها بعضًا؛ قال أبو ذؤيب يَصِف صائدًا وأنّ حُمُر الوحش قَرُبَت منه بمنزلة من يَحْتَكّ بالشيء:

فَنَكَرْنَه فَنَفَرْن. . .

وَفَحْلٌ مَرّاس: شديد المِراس.

والمَرَسَة: الحَبْل لِتَمَرُّس الأيدي به، والجمع: مَرَس، وأمراس جمع الجمع، وقد يكون المَرَس للواحد. . .

والمَرْسُ: مَصْدَرُ: مَرَس الحبلُ يَمْرُس مَرْسًا، وهو أن يقع في أحد جانِبَي البَكَرة بَيْن الخُطّاف والبَكَرة. وَأَمْرَسَه: أعاده إلى مَجْراه. يُقال: أَمْرِسْ حَبْلك أي أَعِدْه إلى مَجْراه؛ قال:

بِئْسَ مَقام الشَّيْخِ أَمْرِسْ أَمْرِسِ
إمّا على قَعْوٍ وإمّا اقْعَنْسِسِ

أراد: مَقامٌ يُقال فيه: أَمْرِس. . .

. . .وقد يكون الإمْراسُ إزالَةَ الرِّشاء عن مَجراه فيكون بمعنَيَيْن مُتَضادّين. قال الجوهريّ: وإذا أَنْشَبْتَ الحَبْلَ بَيْن البَكَرَةِ والقَعْوِ قُلْت: أَمْرَسْتُهُ، قال: وهو من الأضداد؛ عن يعقوب؛ قال الكُمَيْت:

سَتَأْتِيكُمْ، بِمُتْرَعَةٍ ذُعاقًا
حِبالُكُمْ التي لا تُمْرِسُونا

أي: لا تُنْشِبونَها إلى البَكْرة والقَعْو.

ومَرَسَ الدّواءَ والخُبْزَ في الماء يَمْرُسُه مَرْسًا: أَنْقَعَه.

ابن السِّكِّيت: المَرْسُ مَصْدَر: مَرَسَ التَّمْرَ يَمْرُسُه وَمَرَثَه يَمْرُثُه إذا دَلَكَهُ في الماء حتّى يَنْماث فيه. . وَمَرَسْتُ يدي بالمِنديل؛ أي مَسَحْتُ،

وَتَمَرَّس به... وقد يُطْلَقُ على المُلاعبة؛ وفي حديث عليّ - كرَّم: الله وجهه -: (زَعَم أنّي كنت أُعافِس وأمارِس) أي: ألاعب النِّساء. والمَرْسُ: السَّيْر الدائم؛ وبَيْنَنا وبين الماء وبيننا وبين مكانِ كذا لَيْلَةٌ مَرّاسَة: لا وَتِيْرَةَ فيها، وهي الليلة الدّائبة البعيدة...».

قلت: قَوْله: «والمَرْس أن يقع في أحد جانِبَي البَكَرَة.. بين الخُطّاف والبَكَرَة..» يذكّرني بوقوع المَغْلوب في الغَلْب المَرْس كوقوع الحَبْل بين الخُطّاف والبَكَرة، وذلك حين يقال: غلبناه غَلْب المَرْس، في اللعب بأوراق (الشَّدَّة) أو (النَّرْد) أو (البرجيس) أو نحوها، فيقول العوامّ: غَلْب المَرْس مثل الدَّعْس.. أو إنّه على التّشبيه بِمَرْس التَّمْر والبَلَح في الماء: «إذا دَلَكَهُ في الماء حتّى ينماثَ فيه» كما لدى ابن منظور، وهذا التَّمْر أو شَرابه يُسمَّىٰ في الدّارجة المصريّة الآن: (المَرِّيْسَة) كما قال د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

المُزّ والتَّمزُّز والمَزْمَزَة

ما زال أهل الشّام إلى اليوم يقولون كما رَوَتْه عنهم كُتُب اللغة والمُعْجمات كما في (لسان العرب):

«.. وقال اللحيانيّ: أهل الشّام يقولون هذه خمرة مُزَّة، وقال أبو حنيفة: المُزَّة والمُزّاء: الخمر التي تلذع اللسان وليست بالحامضة، قال الأخطل يعيب قومًا:

بِئْسَ الصُّحاةُ! وبِئْسَ الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ!
إذا جَرَتْ فيهم المُزَّاءُ والسَّكَرُ»

وكذلك ما زال أهل الشّام يَعْرِضُون عليك أنْ تُمُزّ مَزّة وتمصّ مَصّة من كأس الشّراب وتمزّز منها قليلًا فهذه من الرُّمّان المُزّ. فلا غُوْل فيها ولا كحول من جمع الكُحل وليست من الأَنْبذة المُزَّة أو الحُلوة...

ولعلّ العامّيّة المصريّة اليوم تقول مثل هذا أو قريبًا منه، فقد أشار د.عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) إلى قولهم: «المَزَّة أطعمة يأكلها شارب الخَمْر (وفيه تطوَّرٌ دلاليّ علاقته المُشابَهَة). ونقول.. كان طَعْم الشّراب مِزًّا أي كان حلوًا فيه حموضة لاذعَة والأصل فيها مزّ».

وفي (لسان العرب):

مَزَّ مَزازَةً، فهو مَزِيزٌ إذا كثُرَ. وما بقي في الإناء إلّا مَزَّةٌ أي قليل. المَزُّ: اسم الشّيءِ المَزيزِ، والفِعْل مزَّ يَمَزّ...

الليث المَزُّ من الرُّمّان ما كان طَعْمه بَيْن حُموضةٍ وحلاوة، والمُزُّ بَيْن الحامض والحُلو، وشراب مُزٌّ بَيْن الحُلْو والحامض.

والمُزُّ والمُزَّةُ والمُزّاء: الخَمْر اللذيذة الطَّعْم سُمّيَت بذلك لِلَذْعِها اللِّسانَ وفي حديث أَنَس - رضي الله عنه: (ألا إنّ المُزّات حرامٌ)؛ يَعْني الخُمور، وهي جمع مُزَّةٍ: الخَمْر التي فيها حُموضة، ويُقال لها المُزّاءُ بالمَدِّ أيضًا...

وقال بعضهم: المُزَّةُ: الخَمْرة التي فيها مزازة، وهو طَعْم بَيْن الحَلاوة والحُموضة؛ وأنشد:

مُزَّة قَبْلَ مَزْجها، فإذا ما
مُزِجَتْ، لَذّ طَعْمُها مَنْ يَذُوقُ

وحكى أبو زَيْد عن الكِلابيّين: شَرابكم مُزٌّ، وقد مَزَّ شرابُكم أقبح المَزازَة والمُزُوزَة، وذلك إذا اشْتَدَّت حُموضتُه. وقال أبو سعيد: المَزَّة بِفَتْح الميم، الخَمْر؛

وأنشد للأعشى:

نازَعْتُهُم قُضُبَ الرَّيْحانِ مُتَّكِئًا،
وقَهْوَةً مُزَّةً، راوُوقُها خَضِلُ

قال: ولا يُقال مِزَّةٌ، بالكَسْر؛ وقال حَسّان:

كأنّ فاها قَهْوَةٌ مَزَّةٌ
حَدِيثةُ العَهْدِ بِفَضِّ الخِتام

الجوهريّ: المُزَّة: الخَمْر التي فيها طَعْم حُموضة ولا خَيْرَ فيها. أبو عَمْرو: التَّمَزُّزُ: شُرْب الشَّراب قليلًا قليلًا.. وفي حديث أبي العالية: (اشْرَبِ النَّبيذَ ولا تُمَزِّز هكذا).. وَرُوِيَ بِزَايٍ وَرَاءٍ مَرَّةً وبزايَيْنِ مَرَّةً وَمَزَّهُ يَمُزُّه مَزًّا؛ أي مَصَّهُ. والمَزَّة: الْمَرَّةُ الواحدة.

وفي الحديث: (لا تُحَرِّمُ المَزَّةُ ولا المَزَّتان)؛ بمعنى في الرَّضاع. والتَّمَزُّزُ أَكْلُ المُزِّ وشُرْبُه. والمَزَّةُ مثل المَصَّة من الرّضاع... وَتَمَزَّزْتُ الشّيءَ: تَمَصّصته.

والمَزْمَزَة والبَزْبَزَة: التّحريك الشّديد. وقد مَزْمَزَه: إذا حَرَّكَه وأقبَل به وأَدْبَر؛ وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - في سكران أُتِيَ به: تَرْتِرُوه وَمَزْمِزُوهُ، أي حَرِّكُوه لِيُسْتَنْكَهَ، ومَزْمِزُوه هو أنْ يُحَرَّك تحريكًا عنيفًا لعلّه يُضيق من سُكْره ويَصْحو.

وَمَزْمَزَ: إذا تَعْتَع إنسانًا».

وأُضيف من (القاموس.. والتّاج..):
«..وعَزِيز مَزِيز: إتباع له؛ أو: عزيز: فاضل. ويُقال: ما بقي في الإناء إلّا مزّة؛ أيْ: قليل. والمزّ اسم الشّيء المَزيز وهو الذي يقع موقعًا في بلاغته وكَثْرته.» وفي أساس البلاغة: «لَهُ عَلَيَّ مِزٌّ. أي: فَضْل. وقد مَزَّ عليه يَمَزُّ مَزازةً، وهو أعَزُّ منه وأَمَزُّ».

وانْظرْ في ت ل ت ل: التَّلْتَلَة: المَزْمَزَة.

مَزَع ومَزَّع وَمَزَّق

(لا تمزّعْ أَوْراق الدَّفْتر)...

المَزْعُ التّمزيع بِمَعْنى القَطْع والتَّمْزِيق من فَصيح العَوَامّ الذي لم يَخْتَلِف لَفْظًا وَمَعْنًى في الشّام ومصر وغيرهما...

ولعلّ بدء (القاموس.. والتّاج.. واللسان..) بالمَزْع بمعنى شِدَّةِ السّير وسُرعة العَدْوِ مِمّا لا نَسْتَعْمِلُه في عامِّيّتنا، كان السَّبَب في ظَنِّ فُصحائنا المُعاصِرين أنّ مَزَعَ التّمزيق عامّيّ... مُتَغَيّر المَعْنى وَلَيْسَ الأَمْر كذلك. فَمَزْعُ القَطْعِ والمَزْق من الفَصيح الذي حافَظَ عليه العَوامّ في دارِجَتِهم.

وفي (مقاييس اللغة) «م ز ع أصل صحيح يدلّ على قَطْع وتَقَطُّع. والقطعة من اللحم مُزْعَة، وقد تُكْسَرُ الميم، والمُزْعة: الجُرْعَة في الإناء من الماء. وفلان يتمزّع من الغَيْظ، أي يكاد يَتَقطّع. ومنه: مَزَعَ الظَّبْيُ مَزْعًا: أسرع، كأنّه ينقدّ من شِدَّة عَدْوِهِ، وقد يُقال للفَرَس».

وفي (اللسان..) و(القاموس..) و(التّاج..):

«...ومَزَعَ القُطْنَ يَمْزَعُه مَزْعًا: نَفَشَهُ. ومَزَّعتِ المرأةُ القُطْنَ بِيَدها إذا زَبَّدَتْه وَقَطَّعَتْه ثمّ أَلْفَتْه فجوّدته بذلك. والمُزْعَة: القِطْعة من القُطْن والرِّيْشِ واللَّحْمِ ونحوها. والمِزْعة - بالكَسْر - من الرِّيْش والقُطْن مِثْل المِزْقَة من الخِرَقِ، وجَمْعُها مِزَع ومنه قَوْلُ الشّاعِر يَصِفُ ظَلِيمًا: مِزَعٌ يُطَيِّره أزَفّ خذومُ.

ومُزاعةُ الشّيء: سُقاطَتُه. ومَزَّعَ اللَّحْمَ فَتَمَزَّعَ: فَرَّقَهُ فَتَفَرَّق؛ وفي حديث جابر: (..فقال لهم: تَمَزَّعوه، فَأَوْفاهُمُ الذي لَهُم). أي تَقاسَموه وفرِّقوه بينكم. والتَّمْزيع: التَّفْريق. يُقال: مَزّع

فلان أمره تمزيعًا إذا فرّقه.. والمُزْعة بقيّة الدسَم.

وَتَمَزَّع غيظًا: تقطّع. وفي الحديث (..أَنَّهُ غَضِب غَضَبًا شَديدًا حتّىٰ تَخَيَّل لي أَنّ أَنْفَهُ يَتَمَزَّع من شدّة غضبه) أي: يَتَقطَّع وَيَتَشَقَّق غَضَبًا...

...ويُقال: ما عليه مُزْعة لَحْم.. ومزَّع اللَّحْمَ تَمْزيعًا: قَطَّعَه؛ قال خُبَيْب:

وذلك في ذاتِ الإلهِ وإن يَشَأْ
يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

وما في الإناء مُزْعَة من الماء، أي: جُرْعةٌ».

«و..المَزْعيُّ: النَّمَّامُ؛ وقد يكون السَّيَّار باللَّيْل، عن ابن الأعرابيّ. قال: والمَزَّاع – كَشَدّاد – القُنْفُذ؛ يُقال: مَزعَتِ القَنافِذُ تَمْزَعُ مَزْعًا إذا سَعَت فَأَسْرَعَتْ؛ قال عَبْدَةُ بن الطَّيِّب:

قَوْمٌ إذا دَمَسَ الظَّلامُ عَلَيْهِمُ
حَدَجُوا قَنافِذَ بالنَّمِيْمَةِ تَمْزَعُ

هكذا أنشده الرّياشيّ وهو يُضْرَبُ مثلًا للنّمّام.».

قلت: والنّمّام رَمْز لِتَمْزيق صُفوف الأَهْل والأَحْباب فيما يَسْعى فيه لَيْلًا وهذه مَقُولة ما زالت دارِجَة وَمُنْتَشِرة على الأَلْسِنة.

وفي مَجَازات (أساس البلاغة): (فلان يُمَزِّقُ عِرْضه ويتمزّع لَحْمُه).. أمّا مَزَقَ يَمْزِقُ ومَزَّقَ فمن فصيح العَوامّ المعروف.. وفي (مقاييس اللغة) «م ز ق أصل صحيح يَدُلّ على تَمَزّق في شيء».

ومن قديم الشّعر الذي ساقه البُستانيّ في (محيط المحيط):

أَتاني أَنَّهم مَزِقُونَ عِرْضي
جِحاش الكِرْمِلَين لها فَديد

وفي مصر يقولون: مَزَع كما قال د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامِّيّة ذات...)

«نقول في دارجتنا: مَزَع الثّوبَ: قَطَّعَه وفرّق أجزاءهُ...».

و«نقول.. وقع فلان فاتْمَزَقَ أي وقع فأُصِيْب بتمزّق في عَضَلاته..».

وأهمل: م ز ع (المعجم العربيّ الأساسيّ).

إحالة: المِسْكة في: (المصطكا) انظر في م ص ط ك

المُشمُش

ذكر ابن منظور في (اللسان) م ش ش أنّ «أهل الشّام يُسَمّون الإجّاص مِشْمِشا» ونَسَبَهُ الفيروزاباديّ في (القاموس..) إلى بعضهم، وقال فيه الزّبيديّ في (التّاج..) «نَقَلَه عن الليث»... فاللَّيث تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيديّ ومُكَمّل (كتاب العَيْن) أوّل مُعْجم عربيّ.. ولٰكنّ الشّام شهيرة بمشمشها الذي اسمه بالإنكليزيّة - APRICOT - وبالفرنسيّة - ABRICOT -.

وفي (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..) م ش ش:

«ومَشَّ الشّيءَ يَمُشُّه مَشًّا ومشمشه؛ إذا دافَهُ وَأَنْقَعَه في ماء حتّى يَذُوب. والمَشُّ والتَّمَشْمُش والامتشاش: مَصّ أطراف العِظام مَمْضُوغًا» وممّا في (لسان العرب) م ش ش: «..والمَشْمَشَةُ: تفريق القُماش والمِشْمِشُ: ضَرْبٌ من الفاكهة يؤكل؛ قال ابن دُرَيْد: ولا أعرف ما صِحَّتُه، وأهل الكوفة يقولون المَشْمَش، [بِفَتْح الميم كما في (القاموس.. والتّاج..) أيضًا] وأهلُ البَصْرة مِشْمِش [وبِكَسْر الميم في (القاموس) وكَزِبْرِج في (التّاج..) أيضًا] [وأُكْمِلُ من (اللسان..)] يَعْني الزَّرْدالو [اسمه الفارسيّ كما في قاموس الفارسيّة

للدكتور عبد النّعيم حَسَنين سنة ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م].

وأهل الشّام يُسَمّون الإجّاص مشْمِشًا» [وفي التّاج عن القاموس.. مادّة التّركيب: أ ج ص: «والإجّاص المشمش والكمثّري بِلُغَة الشّاميّين». وفي التّاج: م ش ش: نَقَلَه عن الليث] [ولم أجدْ هذا في أ ج ص من (اللسان..)]. وأكمّل ممّا في اللسان: «والمَشامِش: الصّياقلة؛ عن الهَجَريّ، ولم يذكر لهم واحدًا، وأنشد:

نَضا عنهمُ الحَوْلُ اليَماني، كما نَضا
عن الهند أَجْفانٌ جَلَتْها المشامِشُ

وقيل: المشامِش خِرَق تُجْعَل في النُّورة تُجْلىٰ بها السُّيوف».

قلت: المَشامش عندنا اليوم: أنواع المُشْمُش فنحن في دمشق اليوم نعرف له من الأنواع: الكِلابيّ والبَلَدِيّ والحَمَويّ والشَّحْميّ والعَجَميّ والوَرْديّ والوَزَريّ والفرنْساويّ واللَّوْزي، وكأنّ الكِلابيّ منسوب إلى قبيلة بني كِلاب، ونكهته أطيب على صِغَرِ حبّهِ وعلى أنّ اللوزة في خَشَب بِذْرته مُرّة. ومن عصير المشمش الكِلابِيّ تُصنع رقائق (قَمَر الدّين). وأهل الشّام يقولون: (أَمْر الدّين) بتسكين الميم. كما يُصْنع من الكِلابيّ المُرَبّىٰ المعجون أو المُرَبّب أمّا المُربّى الذي يحافظون فيه على كلّ حبّة مشْمشة صحيحة فيجب أنْ يُصْنع من المشمش البَلَدِيّ الحقيقيّ الذي في خَشَبِ بذرته لَوْزَة حُلْوَة لذيذة. وهو الرُّبّ في الفصيح بضمّ الرّاء، والإعلاميّون اليوم يفتحون رَاءَه!

ونحن في الشّام لا نكسر ميم المشمش كالمِصْريّين الذين يَظْهرون في القصص المُشاهَدَة على الشّاشة وهم يُلغِزون فَيُشيرون إلى زَمَن لا يأتي أبدًا بقولهم: (في المِشْمِش) بل نحن نَضمّ الميم، فما زِلْنا كما قال عنّا الزّبيديّ في (تاج العروس..): «..وبعض أهل الشّأم يقولُه بالضّمّ أيضًا.. فتكون مِيْمُه مُثَلَّثَة».

وبالفتح والكَسْر رُوِي قول أبي الغطمش يهجو امرأته:

لها رَكَبٌ مثل ظلف الغزال
أشدّ اصفرارًا من المشمش.

قُلْت: وأذكر للشّاعر العبّاسيّ عليّ بن جُرَيْج الشّهير بابن الرُّوميّ قوله:

إذا ما رَأَيْتَ الدَّهْرَ بُستانَ مِشْمِشٍ
فَأَيْقِن بِحَقٍّ أَنَّهُ لِطَبِيْبِ

المصّ والمَصْمَصَةُ

المَصُّ والمَصْمَصَةُ من فِصاح العامّيّة التي لم تختلفْ لفظًا ولا مَعنًى... والفِعْل: مَصَّ اللَّبَنَ يَمُصُّه وَيَمَصُّه مَصًّا: رَشَفَه وامتصّه، وَيَتَمَثّل البُستانيّ في (محيط المحيط) بـ: «المُصاصَة: ما يُمَصّ. وقَوْلُ الحريريّ في مَقامَتِه التّفليسيَّة: (يَتَمَتَّوْنَ مُصاصَةَ النَّوىٰ) أرادَ به الشَّيْءَ اليَسير.

المَصُّ: مَصْدر؛ وقَصَبُ المَصّ: قَصَبُ السُّكَّر لأنّه يُمَصُّ...

والمِصّيص: حِبَالٌ وخُيوطٌ تُصنَعُ من مشاقة الكَتّان..»

وفي عامّيّة الشّام ومصر وغيرِهما يُقال كما ذَكَرَ د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نَقولُ في دارِجَتِنا: مَصْمَصَ فُلانٌ الكُوبَ: حَرَّكَ الماءَ فيه بِلُطْفٍ ومُهْلةٍ قَصْدَ تَنْظِيفِه، ونقولُ: مَصْمَص العَظْمَ: مَصَّهُ في مُهْلَة..» [قلت: في الشّام يُمَصْمَصُ الكُوبُ بالفَمِ دُون قَصْد التَّنْظيف.]. «ونقول... مَصَّ المَرَضُ فُلانًا: أَضْعَفَه وَأَنْهَكَه، فهو

مَمْصُوصٌ: ضَعيفٌ هزيلٌ..»...

وفي (تاج العروس.. عن القاموس.. واللسان..):

«مَصِصْتُه، بالكَسْر، أَمَصُّه، بالفَتْح، وزاد الأزهريّ: مَصَصْتُه، بالفَتْح، أَمُصُّه، بالضّمّ، مَصًّا.. شَرِبْتُهُ شُرْبًا رَفِيقًا؛ قال شَيْخُنا: المَصّ هو أَخْذُ المائِع القليلِ بِجَذْب النَّفَس.. كامْتَصَصْتُه. وأَمَصَّني فلانٌ الشَّيْء فَمَصَصْتُه... ومُصَّةُ المالِ؛ بالضَّمِّ؛ مُصاصُه. أي خالِصُهُ. وَوَظيف مَمْصوص: دقيق، كأنّه قد مُصّ؛ وهو مَجاز... والمَصُوص طَعامٌ مِن لَحْم يُطْبَخ وَيُنْقَعُ في الخَلِّ وقيل: ينقع في الخلّ ثمّ يُطْبَخُ. والمَصُوصَة والمَمْصُوصَة: المَرْأَة المَهْزُولَة..

والمَصْمَصَة: المَضْمَضَة؛ يُقالُ: مَصْمَصَ فاهُ ومَضْمَضَهُ بمعنًى واحدٍ. وقيل: الفَرْق بَيْنَهُما أنّ المَصْمَصَة بِطَرَفِ اللِّسان، والمَضْمَضَة بالفم كلِّه [كما في أساس البلاغة للزّمخشريّ] وهذا شَبيهٌ بالفَرْق بَيْنَ القَبْصَةِ والقَبْضَةِ، وفي حديث أبي قلابة: (أَمَرنا أنْ نُمَصْمِصَ من اللَّبَنِ ولا نُمَضْمِض).. وفي حديثٍ مرفوعٍ عن عُتْبَة بنِ عبدالله - رضي الله تعالىٰ عنه -: (القَتْلُ في سبيل الله مُمَصْمِصَة الذُّنوب) أيْ مُمَحِّصَتُها وَمُطَهِّرَتُها وقال الأزهريّ: وعندي معناه؛ أي: مُطَهِّرة وغاسِلَةٌ؛ وقد تُكَرِّر العَرَبُ الحَرْفَ وأَصْلُه مُعْتَلّ؛ أي: فهو من المُوْص ومنه: تَنَخْنَخَ بَعِيرُه، وهو من الإناخة، وخَضْخَضْت الإناءَ وهو من الخَوْض..

وتَمَصَّصَهُ إذا تَرَشّفَهُ، وقيل: مَصَّه في مُهْلَةٍ كما في الصِّحاح. وممّا يُسْتَدْرَك عليه: امْتَصَّ الرُّمّانَ وغيرَه: مَصَّه. والمُصَاصُ والمُصَاصةُ، بِضَمِّهما، ما تَمَصَّصْت منه ومَصَّ من الدُّنيا؛ أي: نالَ القليلَ منها، وهو مَجَاز... ومَصْمَصَ الإناءَ والثَّوبَ: غَسَلَهُما. كَمَضْمَضَ... وقال أبو سعيد: المَصْمَصَةُ: أنْ تَصُبَّ الماءَ في الإناءِ ثمّ تُحَرِّكَه من غير أنْ تَغْسِلَه بِيَدِك خَضْخَضَةً ثمّ تُهْرِيقُه. وقال أبو عُبَيْدة: إذا أخرج لسانَه وحَرَّكه بِيَدِه فقد نَصْنَصَه وَمَصْمَصَه».

إحالة: المقادم: انظر: ق د م

إحالة: ما ما: انظر أ م م

إحالة: امْبارحة: انظر ب ر ح

إحالة: المضمضة: مع: الخضخضة في الخاء (انظر العنوان: خَضْخَضَ وَمَضْمَضَ).

إحالة: المطرح: مع (الصُّفَّة والمطرح والطّراز والدّيوان) في ص ف ف.

المُصْطَكا

عندنا كانوا يقولون عن العَلْك: (المِسْكة) وفي مصر: (المِسْتِكا) وبالفتح في (اللسان..) المُصْطكا وكما في (القاموس.. والتّاج..).. و«..بالفتح والضّمّ، أَهْمَلَه الجوهريّ، ويُمَدّ في الفَتْح فقط؛ قال ابن الأعرابيّ: المُصْطكاء بالمدّ ومثله ثَرْمَداء موضوع على بناء فَعْلَلَاء هو: عِلْك رُوميّ. وقال الأزهريّ في الثّلاثيّ: ليس بِعَرَبِيّ والميم أَصْلِيَّة والحَرْف رُباعيّ.

وقال أبو حنيفة هو عِلْك الرُّوم ولَيْسَ من نَبات أَرْضِ العرب وقد جَرَى في كَلامها وتَصَرَّف؛ قال الأَغْلَب العِجْلِيّ:

تَقْذِفُ عَيناهُ بِعَلْك المَصْطَكا».

قلت: وأنشدَنا شيخُنا المَرْحوم الرَّضِيّ عبد الخالق بن أبي بكر المِزْجاجِيّ الزّبيديّ - تغمّده الله برحمته - لِبَعْض شُعَراء اليَمَنِ في صِفَةِ القَهْوَة القشريّة -

كَأَنَّها والمُصْطَكا مِن فَوْقِها
فَصٌ عَفِيف فيه نَقْشٌ مِن ذَهَبْ

وفي (محيط المحيط) للبُستانيّ: «والمُصْطَكىٰ؛ والمُصْطَكاء أكثر. مُعَرّب مصطيخا بالرّوميّة، فالميم أصليّة..». وانظر في: ع ل ك.

ولم أجدْها لدىٰ كُتّاب فصاح العامّيّة.

مَصَعَ

(أَأَمْصَعُ رَقَبَتَك لِأَتَخَلَّصَ مِنْك؟) يقولُها العامّيّ غاضِبًا مُهدِّدًا مُرَدِّد التَّساؤُل كأنّه يَشْرَحُه: (أَأَرْمي رَقَبَتَك لِأَرْتاحَ مِنْك)؟ فَمعْنى المَصْع هاهُنا الرّميُ أو الضَّرْبُ والمَزْع.

ولِلْمَصْع في المُعجَم القديم مَعانٍ مُتَنَوِّعَةٌ عديدةٌ يَهُمّنا منها هاهنا ما يَلْتَقي وفصيحَ عَوامِّنا من قريب أو يُفْضي إليه بَعْدَ مُداوَرَةٍ مَجازيَّة، ولذا لم أكدْ أَجِدُه لدىٰ كُتّاب فِصاحِ العامّيّة.

وفي (أساس البلاغة):

«ماصَعَهُ: جَالَدَهُ مِصاعًا، وَبَطَلٌ مُماصِع. قال القطاميّ:

أراهم يغمِزون مَن اسْتركّوا
ويَجْتنبُون مَن صَدَق المِصاعا»

وفي (اللسان..):

«المَصْعَ: التّحريْك، وقِيْل هو عَدْوٌ شديد يُحرَّك فيه الذَّنَب ومَرَّ يَمْصَعُ؛ أيْ: يُسْرع مِثْل يَمْزَعُ... وفي حديث زَيْد بن ثابت: (..والفِتْنةُ قد مَصَعَتْهُم) أي: عَرَكَتْهم ونالَتْ منهم.. وماصَعَ قِرْنَهُ.. جالَدَه بالسّيف ونَحْوِه، وأنشد سِيْبَوَيْه للزِّبْرِقان:

يَهْدِي الخَميسَ نِجادًا في مَطالِعِها
إمّا المِصاعُ، وإمّا ضَرْبَةٌ رُغُبُ

وأَنْشَد الأصمعيُّ يَصِفُ الجَواري: [للأعشى؛ في (أساس البلاغة)]:

إذا هُنَّ نازَلْنَ أَقْرانَهُنّ
وكان المِصاعُ بما في الجُؤَنْ

يَعْني قِتالَ النِّساءِ الرِّجالَ بما عليهنّ من الطِّيْب والزِّيْنة... قال الأزهريّ: ومن هذا قولُهم: قَبَّحَه اللهُ وأمَّا مصعت به»..

وفي (القاموس.. والتّاج..):

«..ومَصَعَ فُلانًا ضَرَبَه بالسَّيْف أو ساقَه بالسَّوطِ أو ضَرَبَه ضَرَباتٍ قَليلَةً ثلاثًا أو أَرْبعًا. وفي حديث أَنَس أنّ (البَراء بْن مالِك – رضي الله عنهما – حَضَّ النّاسَ على القِتَال ثمّ مَصَعَ فَرَسَه مَصَعَات فكأنّي أنظرُ إليها تمصعُ ذَنَبها) أي ضَرَبَها بِسَوْطه.

ومَصَعَتِ المرأةُ بالوَلَد والطّائر بذرقه: رَمَيا به. الثّاني قول أبي ليلىٰ، والأوّل قول ابن الأعرابيّ؛ وأنشد:

فَبِاسْتِ امرئٍ واسْتِ التي مَصَعَت به
إذا زَبَنَتْه الحربُ لم يَتَرَمْرَم

...وقال الأصمعيّ: مَصَعَت الأُمُّ بوَلَدِها وَأَمْصَعَتْ بهِ، وأَخْفَدَت به وحَطَّأَتْ به وَزَكَبَتْ به. ومَصَعَ في مُروره أَسْرَعَ: يُقال مَرَّ يَمْصَعُ ويَمْزَع. وَمَصَعَ وامْتَصَع: ذَهَبَ.. وَمَصَعَ فُؤادُه مُصوعًا: زالَ من فَرَقٍ أو عَجَلَة.. وَمَصَعَ لَبَنُ النّاقَةِ مُصوعًا: ولّىٰ فهي ماصِعَةُ الدّرّ، وكلُّ شَيْء وَلّى وَذَهَب فقد مَصَعَ كما في (الصِّحاح.. والعُباب..) والمَصُوع: الرَّجُل الفَرِقُ المَنْخُوبُ الفُؤاد..».

ويقول أحمد بن فارس في (مُعجَم مقاييس اللغة) ج٥ ص ٣٢٧:

[(مَصَعَ) الميم والصّاد والعَيْن أصْلٌ صحيحٌ يَدُلّ على مَعْنَيَيْن: أحدُهما لَمْعٌ في الشّيء وَحَرَكَةٌ،

والآخرُ ذهابُ الشَّيءِ وَتَوَلّيه.

فالأوّلُ: مَصَع البَرْقُ: أَوْمَضَ. ثمّ يُقال: مَصَعَ الرّجلُ: ضَرَب بالسَّيْف. ومِنْه المُماصَعَةُ: المُجالَدَةُ. ويُقاسُ عليه، فيُقال رَجُلٌ مَصِعٌ: شديد ومَصَعَ ضَرْعَ النّاقةِ الماء: ضَرَبَه. ومَصَعَتِ الأُمُّ بالوَلَد: رَمَتْ به. ويُقال إنّ المَصْع المَشْي. قال:

يَمْصَعُ في قطْعَة طَيْلَسانْ
مَصْعًا كمصْع ذكر الورلانْ[1]

والآخر مَصَعَ الشّيء: ولّى وذَهَبَ، وذلك في كلِّ شَيْءٍ، فهو ماصعٌ، ومَصَعَتِ الإبِلُ: نَقَصَتْ ألبانُها..].

قُلْتُ: وفي (شرح المُفَضَّليّات) صَنْعَةُ الخَطِيْب التّبريزيّ: (ط سنة ١٩٧١م مَجْمَع دمشق. تحقيق. د. فخر الدّين قَبَاوَة ج٢ ص ٨٩٨): قال الشّاعر المُخَضْرَم سُوَيْد بن أبي كاهل، من قصيدةٍ له طَويلة:

ساكِنُ القَفْرِ أخو دَوِّيَّةٍ
فإذا ما آنَسَ الصَّوْتَ امَّصَعْ

الامّصاع: الذّهاب في الأرض.

ويرى شفيق جبري في ص ٧٢٦ من ج٤ من المُجَلَّد ٤٧ في (بقايا الفِصاح) في (مَجَلّة مَجْمَع.. دمشق) أنّ:

«.. العامّة تقول: (سيفٌ يَمْصَع رَقَبَته) إذا أرادَتْ أنْ تدعوَ على أَحَدٍ، إلّا أنّ اللغةَ الفُصحىٰ تَسْتَغني عن ذِكْر السَّيْف..».

قُلْت: وعوامُّنا اليومَ تَسْتَغْنِي أيضًا عن ذِكْر السَّيْف.

مَطَقَ وتَمَطَّقَ

عَوَامُّنا تَوَسّعُوا في تَمَطّق الفَم بالطّعامِ فَنَقَلُوه إلى التَّمَطُّق بالكَلاَم، نَقْلَةٌ مَجَازِيَّةٌ لم أَجِدْه لدىٰ الزّمخشريّ في (الأساس..)..

ولم أقرأْ لِمَنِ اهْتَمّ به من كُتّابِ فَصيح العَوَامِّ.

في (أساس البلاغة): «ذاقَه فَتَمَطَّقَ له إذا ضَمَّ شَفَتَيْه إليه وأَلْصَقَ لِسَانَه بِنطْعٍ مع صَوْت...

وَتمْرُهُم له مَطْقة: حَلاوَةٌ يَتَمَطّق منها ذائِقُها».

وفي (اللسان.. كالقاموس.. والتّاج..):

«م ط ق: التَّمَطُّقُ والتَّلَمُّظ: التَّذَوُّقُ والتَّصْوِيْت باللسان والغار الأعلى؛ وأَنْشَد ابن برّيّ لِرُؤْبَة:

إذا أَرَدْنا دُسْمَةً تَنَقَّقا
بناجِشاتِ المَوْتِ، إذا تَمَطَّقا

وقِيْل هو إلْصَاقُ اللسانِ بالغارِ الأعلى فيُسْمَع له صَوْت، وذلك عند اسْتِطَابَة الشَّيْءِ؛ قال حُرَيْثُ بنُ عَتّاب يهجو بني ثُعَل:

ديافيّة قُلْفٌ كأَنَّ خَطِيبَهُمْ
سَراة الضُّحىٰ، في سَلْحِهِ، يَتَمَطَّقُ

..وقد يُقال في التَّلَمُّظ: إنّه تحريكُ اللسان في الفَمِ بعد الأكْل يتبع بقيّة من الطّعام بَيْن أسْنانِه. والتَّمَطُّق بالشَّفَتَيْن أنْ يَضُمَّ إحداهما بالأُخرىٰ مع صَوْت يكونُ منهما؛ وأنشد: [للأَعْشَىٰ في (التّاج..) وفي (أساس البلاغة)]:

تَراهُ إذا ما ذَاقَها يَتَمَطَّقُ

يُريك القذى من دونها وهي دونه
إذا ذَاقَها مَنْ ذَاقَها يَتَمَطَّقُ

وَتَمَطَّقت القَوْسُ: تَصَدَّعَتْ؛ عن ابن الأعرابيّ. والمَطَق: داءٌ يُصِيْبُ النَّحلَ فلا تَحْمِل [وفي التّاج: هي لغة أزْدِيّة].»

مَعَطَ ومَغَط

كَأنّما خَصَّصَت العامّة عندنا في مَعْطِ: المَدِّ مَعْطَ السَّائل اللَّزِج.. في قولهم: (مَعَطَه بالدِّبْس) مثلًا.. ولا يُفَسَّر إلّا بالتَّطوُّر المجازيّ..

وَأَصْل هٰذِهِ العِبارَة تَجِدهُ في تَلِيد اللُّغَة في (اللسان..) مَعَط الشّيءَ يَمْعَطُه مَعْطًا: مَدَّه. وفي حديث أبي إسحاق: (إنّ فلانًا وتَّرَ قوسَه ثمّ مَعَط فيها) أيْ مَدَّ يدَيْه بها، والمَغْطُ، بالعَيْن والغَيْن: المَدُّ، وطويل مُمَّعِطٌ منه كأنّه مُدّ...

...والمَعْطُ: الجَذْب. ومَعَطَ السَّيْفَ وامْتَعَطَه: سَلَّه: وامْتَعَطَ رُمْحَه: انْتَزَعَه.. وفي حديث حكيم بن معاوية: (فَأَعْرَضَ عنه فقام مُتَمَعّطًا): قال ابن الأثير: يَجوزُ أن يَكونَ بالعَيْن والغَيْن..

...ومَعِط شَعرُه وجِلْده مَعَطًا، فهو أَمْعَط... ومَعَطَه.. نَتَفَهُ.. ومَعَطَها مَعْطًا: نَكَحَها، والمَعْطُ ضَرْب من النِّكاحِ. وَمَعَطَني بِحَقّي: مَطَلَني.

قلت: ومن باب: فعِل وفَعَل ما ذكره أحمد رضا العامليّ، وفي غير معنى المدّ، وذلك في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «ويقولون مَعَطَ الشَّعْرَ إذا نَتَفَهُ.. فهو فَصيح صَحيح...» وكذلك الأمير أَرْسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل ص ٢٠٠).. «والعامّة تقول: مَعَطه بالسَّيْف.. ومَعَط الدَّجاجة».

وفي مِصْر يقول د. عبد العال في (مُعْجم الأَلفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارِجَتِنا: فلان أَمْعَط: تَجَرَّدَت عَيْناه من أَهْدابِهِما، واحْمَرَّ جَفْناهما. وفي (القاموس..): الأَمْعَط: من لا شَعر لَهُ على جَسَدِه، وامْتَعَطَ الشَّعْرُ: تَسَاقَطَ كَانْمَعَط».

مَعَك

المَعْك بمعنى الدَّلْك في عامّيَّة الشّام ومصر يكاد يكون قريبًا ممّا هو في الفصيح. ولَفْظُه هو هو لم يتبدّل.. ولٰكنّنا لا نستعمل في المعاني الأخرىٰ إلّا معنى الضّرب استعمالًا مَجازيًّا أحيانًا فنقول (مَعَكه قَتْلَةً: ضربًا شديدًا).

وفي مصر يُسْتَعْمل بمعنى الدَّلْك وبمعنى التَّشَدُّد، وبمعنى الضّرْب وبمعنى المماطلة، وكلّها واردة في الفصيح، يقول د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

«نقول في دارجتنا: مَعَك فلان الدّقيق: دَلَكَهُ، ومَعَك الأمرَ: تَشَدّد فيه، ومَعَكه ضَرَبَه ضَرْبًا شديدًا، وفلان يُحبّ المَعْك: يُحبّ المُماطَلة..»

وكذلك في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) للأمير شكيب أرسلان الذي يُضيف أيضًا: «..ومَعَك فلانًا ذَلَّلَهُ وأهانَه وفي المَغْرِب معروفة بمعنى قَهَرَه. ويقولون: مَعَك الثِّيابَ، وهي من الفصيح..».

وفي (مقاييس اللغة):

«م ع ك أصل صحيح يدلّ على دَلْكِ الشّيء وَلَيِّه. وَمعَكْت الأَدِيم مَعْكًا، ثمّ يُسمُّون المِطالَ واللَّيَّ مَعْكًا، والرَّجُلَ المَطول مَعِكًا؛ قال زُهير:

فارْدُدْ يَسارًا ولا تَعْنُفْ عليّ ولا
تَمْعَكْ بِعِرْضِكَ إنَّ الغادِرَ المَعِكُ

قال الخليل: رَجُلٌ مَعْك: شديد الخُصومة». [وفي (اللسان..) مَعِكٌ].

وفي (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..):

«المَعْك: الدَّلْك.. وَمَعَكه في التُّراب يَمْعَكُه مَعْكًا دَلَكَه، ومَعَّكَه تمعيكًا: مَرَّغَه فيه.

والتَّمَعُّك: التَّقلُّب فيه، وفي الحديث: (.. فتمعَّك فيه..)..

وَمَعَكْت الأديم.. دَلَكْته دَلْكًا شديدًا، ومَعَكَه بالحرب والقِتال والخُصومة: لَواه.

ومَعَكَه دَيْنَهُ.. وماعَكَه: لَواه. ورَجُلٌ مَعِكٌ وَمِمْعَكٌ ومُماعِك: مَطُول وفي حديث ابن مسعود عنه - ﷺ - (لو كان المَعْكُ رَجُلًا لكانَ رَجُلَ سَوْء). والحِمار يَتَمَعَّك ويَتَمَرَّغ في التُّراب [كما في (أساس البلاغة) أيضًا]. والمَعْكاء: الإبل الغِلاظ السِّمان.. والمَعِك: الأحمق..

ومَعَكْت الرَّجُلَ أَمْعَكُه: إذا ذَلَّلْته وَأَهَنْته».

مَغِصَ يمغَص

ما زالَ المَغْصُ في عامّيّتنا والعامّيات الأُخرى كما وَرَد في تليدِ الفصيح لفظًا ومَعنًى: الوَجعُ في جَوْفِ البَطْن..

يقولُ أحمد بن فارس في (مُعْجَم مقاييس اللغة) ج٥ ص٣٣٩ - ٣٤٠ «الميم والغَيْن والصّاد كَلِمَتانِ مُتَبايِنَتانِ جدًّا.

فالأُولىٰ: المَغْص: تقطيعٌ في المِعَىٰ وَوَجَعٌ. والأُخْرى المَغَصْ، يُقال هو الخِيَارُ من الإِبِل...

...ويُقال: فلان مَغِصٌ، إذا كان ثقيلًا بغيضًا، وهو من الأوّل».

وفي (اللسان..): «والمَغْص والمَغَص، وَجَعٌ في البَطْن، والعامّة تقولُه بالتّحريك وفي (النّوادر..): تَمَغَّصَ بَطْني وتَمَعَّصَ أي أَوْجَعَني. ابنُ السِّكِّيت: في بَطْنِه مَغْسٌ ومَغْص.. ومَغْصٌ ومَعَص وقد مَعِصَ ومَغِصَ وتمغَّصَ بَطْني وَتَمَغَّسَ».

وكذلك في (أساس البلاغة): «..وقد مُغِصَ ومَغِصَ فهو مَمْغُوص ومَغِص.. وأصلُه بالسِّين: مَغَسَ من مَغَسَهُ إذا طَعَنَهُ، والفصيح سُكُونُ الغَيْن».

وفي (مُحيط المُحيط) كذا ويَزِيْدُ: «..الوَجَعُ المُعْتَرِضُ في الْجَوْفِ والالْتِواء في الأَمْعاءِ، فإذا كانَ معهُ احْتِباسُ الفضلاتِ البِرازِيّة سُمِّيَ بالقُولَنْج؛ والعرب يُكْنُون بالمَغْص عن الثّقيل، يقولون: فلان مَغْصٌ؛ أي: ثقيلٌ. والعامّة تسمّي المَغْصَ بالمَغِيْص؛ وتقولُ: انْمَغَصَ الرَّجُلُ أيْ أصابَه المَغِيْص..».

وفي (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) يقول د. عبد العال: «نقولُ في دارِجَتِنا: المَغَص: آلامٌ شديدةٌ يَصْعُبُ احْتمالُها تُصيْب الأمعاءَ والجِهازَ الهَضْمِيّ أو الكُلْيَة..».

مَغَطَ: مَطّ

مَغَطَ الحَبْلَ والسِّلْك والنّسيجَ وما نحو ذلك: مَطَّه وَمَدَّه يَسْتَطيله؛ في عامّيّة الشّام كما في الفصيح، وكما في (القاموس المحيط) وغيره نصًّا... ولم أجدْه لدى كُتّاب فِصاح العامّيّة.. وكأنّهم اكتفُوا بإطالة الكلام على المَطّ والمَطْمَطَة.. فأُطيلُ حديثَ المَغْط؛ وفيه يقول ابن فارس في (المقاييس..) «م غ ط: أصل صحيح يَدُلّ على امتدادٍ وطولٍ. والمَغْط: المَدّ. ومغطته فَامْتَغَط. والتَّمَغُّط في عَدْو الفَرَس: أن يَمُدَّ ضَبْعَيْه. وانْمَغَط النَّهارُ: ارتفع. والمُمَغَّط: الطَّويل المُضْطَرِب. ومَغَط الرّامي في قوسه: نَزَع فيها فَأَغْرَق النَّزْع». ومثل هذا في (القاموس.. والتّاج..) وفي (اللسان..) أيضًا: «المَغْطُ: مَدُّ الشّيء يستطيله، وخَصَّ بعضُهم به مَدَّ الشَّيءِ اللَّيِّنِ كالمُصْرانِ وَنَحْوِه، مَغَطَه يَمْغُطُه [وفي الحاشية: قوله: يمغُطَه، كذا ضبط في الأَصْل، ومُقْتَفَى إطْلاق المجد [في القاموس..] أنّه من باب كَتَبَ]» قلت: خَصّ ابن منظور بفتح عَيْن مضارعه في

القوس: «ومَغَطَ في القوس يَمْغَطُ مَغْطًا مثل: مَخَط... وقال ابن شُميل: شَدَّ ما مَغَطَ في قوسه إذا أَغْرَق في نَزْع الوَتَر ومَدِّه لِيُبْعِدَ السَّهْمَ. ومَغَطْتُ الحَبْلَ وغيره إذا مَدَدْته... ووصف عليٌّ – عليه السّلام – النّبيّ – ﷺ –، فقال: (لم يكن بالطويل المُمَّغِّطِ ولا القصير المتردّد)... وأصله مُنْمَغِط والنّون للمُطاوَعَة فقُلبت ميمًا وأُدْغِمت في الميم، ويُقال بالعين المُهْمَلة بمعناه...».

وأدعُ الحديث في: م ط ط فهو معروف مبذول في كتب اللغة..

مَغْمَغَ[1]..وَغَمْغَمَ

(ما فَهِمْت كَلامَه وهو يُمَغْمِغُه في فَمِه..)

هذا مِثالٌ على أَحَدِ مَناحي الاستعمالات العامّيّة للمَغْمَغَة.. وأغلبُ معانيها ومَناحِيها ما تزالُ على ألسنةِ العوامّ في الشّام..

وفي معجم ابن منظور الأنصاريّ المصريّ (لسان العرب) «وَمَغْمَغَ كلامَه: لم يُبَيِّنْه.. والمغمغة: الاختلاط؛ قال رُؤْبة [وهذا أصل المعنى في (مقاييس..) ابن فارس]:

ما مِنْك خَلْطُ الخُلُقِ المُمَغْمَغِ
فانفح بِسَجْلٍ من ندى مُبَلِّغ

..ومَغْمَغَ اللَّحْمَ: لم يُحْكِم مَضْغَه.. ومَغْمَغ العَمَل: عَمِلَه ضعيفًا رديئًا..

..ومَغْمَغَ الكَلْبُ في الإناء: وَلَغ... وتَمَغْمَغ المالُ: إذا جرى فيه السِّمَن[2]...»

وكذلك في (القاموس..) وغيره ونقل الزّبيديّ في (التّاج) عن ابن دُريد في (الجَمهرة..) قوله: «كذلك مَغْمَغ كلامَه إذا لم يُبَيِّنْه كأنّه قَلْبَ غَمْغَمَ...».

ولٰكنّ أحمد رضا في (كتابه: ردّ العامّيّ إلى الفصيح) يقولُ مُؤَكِّدًا ما كان قديمًا لا يؤكّده ابن دُريد والناقلون عنه من بعدِه، بل كانُوا يجعلُونَه على التّشبيه (..كأنّه قلب غمغم..) فيقول رضا بعنوان: (مَغْمَغ): «وقالتِ العامّة: مَغْمَغَ في كلامه إذا لم يُفصِحْه ولم يُبِنْه. وهو مقلوبٌ من غَمْغَم الفصيحة لهذا المعنى».

قلتُ فكأنّ رضا ينسبُ هذا القلبَ إلى العامّة وينْفِيْه عنِ الفُصحاء، ولكي أَتَثَبَّتَ من هذا عُدْت إلى: غَمْغَم في كتابه ذاته، ولم أكنْ أريدُ الكتابةَ في الغَمغمةِ فهي معروفة لا تحتاجُ إلى تعريفٍ منّي... فَوَجَدْتُه يَضَعُ [أو: تضع عنه المطبعة] العنوان: «غَمْغَمَ ومُغَمْغَم» «وقالُوا غَمْغَمَ في الكلام إذا لم يَبِنْه. ويقولون أيضًا: مَغْمَغَ – على القَلْب – والأولى فصيحة اسْتَعْمَلَها العرب..».

ولٰكنّ أحمد رضا ذاته في معجمه (مَتْن اللغة) أَوْرَدَ (مَغمغَ الكلامَ: لم يُبَيِّنْه..) ونَقَلَ أكثرَ المعاني التي وَرَدَتْ في (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..) كما فعلَ قبلَه البُستانيّ في (مُحيط المُحيط) والشّرتونيّ في (أقرب الموارد إلى فُصَح العربية والشّوارد) وغيرهما، وبعدَه (المعجم الوسيط) و(المعجم المدرسيّ) وغيرهما أيضًا..

(١) نشرت مجلة (المعلم العربي) الصادرة بدمشق سنة ١٩٨٧ العدد الرابع للسنة الأربعين بعضًا من (مغمغ).

(٢) أظن أن ابن منظور يذكر ما صحّ لديه أوّلًا ثمّ يستكمل موضوع المادّة بأن يستعرض آراء الآخرين، شأنه شأن كلّ عالم موضوعيّ دقيق يقدّر علم غيره... وهو في هذه المادة يستأنف قائلًا: «... والمغمغة أن ترد الإبل الماء كلّما شاءت؛ عن ابن الأعرابي، والذي حكاه أبو عبيد الرغرغة... ومغمغ طعامه: أكثر أُدمه، والمعروف: ضغضغ. أبو عمرو: إذا روى الثريد دسمًا قيل: مغمغه وروّغه وسغسغه وصغصغه...».

في الميميّة: مَغْمَغ..

ولم أجدْ إلّا الغَيْنِيَّة (غمغم) في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) للدكتور.. عبد العال..

مِلْحُه(١)

بينهم خبز وملح: أو بينهم ممالحة. وفلان ملحه على ركبتيه.

في تراكيب المادّة: م ل ح كثير من الفصاح المتداولة في العامّيّات لفظًا ومَعْنًى حقيقةً ومجازات... والاهتمام بالمجازات العامّيّة ذات المعاني الفصيحة وذات المعاني المتطوّرة عن أصول فصاح كقول العامّة: فلان مِلْحُه على ذيله أو على ركبته، أي: سريع الغضب.

ورد في (القاموس المحيط) ج١ ص ٢٥٠ مادّة (ملح) ط. سنة ١٩٥٤م، المكتبة التّجاريّة بمصر (الملح المعروف، والرَّضاع، والعلم، والعلماء، والمَلاحَة، والشَّحم، والسِّمن، والحُرمة، والذِّمام، وضدّ العذْب من الماء، ومَلُحَ: حَسُنَ، ويُقال: ما أُمَيْلَحَه.. ولم يُصَغَّر من الفعل غيره وما أُحَيْسَنَه، والمُمَالَحة: المؤاكَلة والرّضاع، ومِلْحُه على ركبتِه: أي لا وَفاءَ له، أو: سمين، أو: حديد في غضبه).

وفي: (أساس البلاغة) ص ٤٣٥:

(ومن المجاز:... ومَالَحْتُ فلانًا مُمالحة وهي المُواكلة، وهو يحفظ حُرمة المِلح والممالحة، وبينهما حُرْمة المِلْح والمُمَالحةِ: وهي: المُراضَعة. ومَلَحَتْ فلانةٌ لفلان: أَرْضَعَت له. قال شتيم بن خُوَيلد

ولا يُبعِدُ اللهُ ربُّ العبا
د والملح ما ولدت خالدَهْ

فإنْ يَكُنِ القتلُ أفناهم
فللموت ما تَلِدُ الوالده

وقال أبو الطَّمحان:

وإنّي لأرجُو مِلحَها في بُطونِكم
وما بسطتْ من جِلدِ أشعثَ أغبرا

حالَفَ رَجُلًا كان له عشرةُ بنين فما زال يَسقيهم ألبانَ إبله حتّى سَمِنوا وصَلحوا فأغاروا عليه، أرادَ بالمِلْح: اللبن، أي أرجو أن ينتقمَ الله لي منكم لِما صَنَعْته عندكم. وبها مِلْح: أي: شَحْم، وَمَلَّحتِ الشاةُ وتملّحت: أخذت شيئًا من الشَّحْم. قال عُروة بن الوَرْد:

عَشِيّةَ رُحْنا سائرين وزادُنا
بقيةُ لحمٍ من جَزورٍ مُملَّح

وإنّ في المال لملحةً من الرَّبيع. وأملَح القدرَ: جعل فيها شُحَيْمة. وكَبْشٌ أملحُ. وأقبلَ فلانٌ في المَلْحاء: في الكتيبة البيضاء من السِّلاح. ومَلَحَ عِرْضَه: اغتابَه.

[وفلان مِلْحُه موضوع على ركبتَيْه]: أي: هو كثير الخصومات كأنّ طول مجاثاته ومصاكّته الرُّكَبَ. قرَّح ركبتَيْه فهو يَضَعُ المِلح عليهما يداويهما به. وقد وصفَ مِسْكين الدّارميّ صخّابة من عواذِله طويلة الخصامِ فقال:

أصبحتْ عاذلتي مُعْتَلَّةً
قَرِمَتْ بل هي وَحْمَى للصَّخبْ

لا تَلُمْها إنّها من نِسْوة
مِلْحُها مَوْضُوعةٌ فوقَ الرُّكبْ

كشموسِ الخيلِ يبدو شغبها
كلّما قيل لها هابِ وهَبْ

(١) [illegible]

وقيل: المِلْح: الحُرمة وإنّ معناه أنّه يحترمك ما دام جالسًا معك، فإذا قام عنك رَفَضَ الحُرمة).

وفي (الفاخر) للمُفَضّل بن سَلَمة ص ١١: (يُقالُ للرَّجل إذا كان سيِّئ الخُلُق أدنى شيء يُغْضِبُه: مِلْحُه على رُكْبَتِه، أي: أدنى شيء يُبَدّده، يريد أنّه يغضب من كلّ شيء).

وفي (غاية الأرب) وهو قطعة من كتاب (الفاخر) لابن سَلَمة، ذكره مُحقِّق الكتاب الأستاذ عبد العليم الطّحاوي، وذكر أنّ فيه عبارةً أشبه بحاشية لعلّها ساقطةٌ من نسخته، وفيها:

وذكر الكلبيّ في كتاب التّفسير أنّ المِلْحَ في كلام العرب: الصُّحْبة، وحكى أنّ إدريس قال لملك الموت عليهما السّلام حيث صَحِبَه وأراد أن يعرفَه: (بملح ما بيني وبينك ألا أنبأتني مَنْ أنت؟) أي بالصُّحْبة لأنّ ملك الموت عليه السّلام لا يأكل ولا يشرب، فذلك دليلٌ على أنّه سأله بالصُّحْبة، وقال هشام الكلبيّ عن خراش: كانوا يحلفون بالمِلْح والرّماد والنّار. وقال رجل من بني شَيْبان:

حَلَفْتُ بالمِلْح والرّماد وبالعزّى وباللات تَسْلَمُ الدّرَقَة.

ولم أجدْ في (لسان العرب) لابن منظور شيئًا ممّا في (غاية الأرب) على الرّغم من أنَّ (اللسان) يذكرُ كلّ ما سبق ذكره من (المحيط) و(الأساس) و(الفاخر) ذاته، وممّا يزيده عليها في الصَّفحات من ٤٣٦ حتّى ٤٤٥ من ج٣ من ط بولاق بمصر من (لسان العرب): الملح ما يُطيّب به الطّعام يؤنّث ويذكّر والتّأنيث فيه أكثر..

وقال عمرُ بنُ أبي ربيعة:

ولو تَفَلَتْ في البَحْر والبَحْر مالح
لأصْبح ماءُ البحرِ مِنْ ريقها عَذْبا

والعربُ تَحلِفُ بالملح والماء تعظيمًا لهما. ومَلُح: حَسُنَ فهو مَليح ومُلاح ومُلّاح، والملّاح أملحُ من المليح. ويُقال: أملِحْني بنفسك لدى فلان: أي زيّني وأَطْرِني عنده. والمِلْح: السِّمَن القليل.

والمِلْح والمُلْحَة: البَرَكَة، ومملوحٌ له في عيشه: مُباركٌ له فيه.

قال الأزهريّ: وقولُهم: مِلْحُ فلان على ركبَتَيْه: فيه قولان: أحدهما أنّه مُضيِّع حقّ الرّضاع فأدنى شيء يُنْسِيْه ذِمامَه كما أنّ الذي يضعُ المِلْح على ركبتَيْه أدنى شيء يُبَدِّده، والقول الآخر أنّه سيِّئ الخُلُق يغضبُ من أدنى شيء كما أنّ المِلح على الرّكبةِ يتبدّد من أدنى شيء.

وفي حديث وفد وهَوازِن أنّهم كلّموا رسولَ الله ﷺ في سَبْي عشائرهم فقال خطيبُهم: إنّا لو كنّا مَلَحْنا للحارث بنِ أبي شَمِرٍ أو للنّعمان بنِ المنذر ثمّ نَزَلَ منزلك هذا منّا لحفِظ ذلك لنا، وأنت خير المكفوفين فاحْفَظْ ذلك.

قال الأصمعيّ: في قوله: مَلَحْنا: أي: أَرضَعْنا لهما، وإنّما قال الهوازيُّ ذلك لأنّ رسول الله ﷺ كان مُسْترضَعًا فيهم، أرضعته حليمة السّعديّة.

والمِلْح: بالفتح والكسر: الرَّضْع. وقال ابن برّيّ قال أبو القاسم الزّجاجيّ: لا يصحّ أن يُقال: تَمَالح الرّجلان إذا رضع كلّ واحد منهما صاحبه هذا محال لا يكون، وإنّما المِلْح رضاعُ الصّبيّ المرأة، وهذا ما لا تصحّ فيه المفاعلة، فالمُمَالحة لفظة مُولّدة وليست من كلام العرب.

وفي الحديث: لا تُحَرِّمُ المَلْحَة والمَلْحَتان أي: الرّضعة والرّضعتان فأمّا بالجيم فهو المَصَّة. [الملجة].

ويقال للنّدى الذي يَسْقُط بالليل على البقل:

أَمْلَح: لبياضه.

وقال أبو الهيثم: تقولُ العربُ للذي يخلطُ كذبًا بصِدْق: هو يَخْصف حِذاءه، وهو يَرْتَئِئُ إذا خَلَط كذبًا بحقّ، وَيَمْتَلِح: مثله، فإذا قالُوا: فلان يَمْتَلِح فهو الذي لا يُخْلِص الصّدق، وإذا قالوا: إنّ فلانًا يَمْتَذِق: فهو الكَذُوب.

«مَلَخَ»[1]

تتخالف العامّيّات أحيانًا، وكلّ منها قد يلتقي مع اختلافات في اللغة الفصيحة؛ فعندما وجدت من فصاح عامّتنا في «المعجم المدرسيّ» قوله: «ملخ الشّيء يملَخُه مَلْخًا: جذبه قبضًا وعضًّا. امتلخ الشّيء: استلّه أو اجتذبه قبضًا وعضًّا. وامتلخ اللحمة عن عظمها: انتزعها». بدأت أبحث عن (المَلْخ) عند أحمد رضا العامليّ في كتابه: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) فوجدته مختلفًا عمّا أعرفه في عامِّيَّتنا؛ إذ يقول: «ويقولون في الكلام الباطل مهما كان مُزَوَّقًا وسهلًا ولٰكنّه على غير حقيقته: هذا كلام مَلْخ أي باطل. وفي اللغة مَلَخَ في الباطل = مرّ فيه مرورًا سهلًا = تردّد وأكثر منه = تلهّى».

وليس لهذا المعنى تستعمل: مَلَخَ في عامِّيّتنا، كما نعلم.

وعدت الى (متن اللغة) معجم أحمد رضا ذاته، أفتِّش فيه عن حاشية من فصاح العامَّة، على عادته في مثل ذلك، فلم أجد لمادَّة (ملخ) فيه حاشية. ووجدت في (المتن) كما وجدت في المعجمات الأخريات، أنّ المعنى الأول والأساس لها، هو ذاته المستعمل في عامِّيَّتنا تمامًا. فقد بدأ رضا هذه المادَّة في (المتن) بقوله:

«مَلَخَ يَمْلَخُ مَلْخًا الشّيءَ: اجتذبه في استلال. يكون ذلك قبضًا وعضًّا: استلّه رويدًا.

ومَلَخَ في الأرض: ذهب بها. ومَلَخَ: مرَّ مرًّا سريعًا أو شديدًا. وملخ في الباطل: مرَّ فيه مرًّا سهلًا (مجاز): تردَّد وأكثر: تلهّى.. الخ.

امْتَلَخَ الشّيء: انتزعه واستخرجه. وامتلخ الرُّطَبَةَ: قَشَرَها. وامتلخ اللحمة من عظمها: انتزعها. وامتلخ عينه: اقتلعها. وامتلخ السّيف: استلَّه وامتلخ يده من يد القابض: انتزعها.

هو مُمْتَلَخُ الصُّلْب: موهونه (مجاز). وهو مُمْتَلَخُ العقلِ: ذاهبه (مجاز) تَمَلَّخَت العقابُ عينَه: انتزعتها.

انْمَلَخَ من يدي: انفلت...».

كتبت الكلمات المستعملة في عامِّيّتنا في الشّام بحرف أسود وحذفت ما ليس له علاقة بفصاح العامَّة.. ولم أكد أجد في المعجمات الحديثة ما أضيفه... فعدت أستفتي القدماء، فوجدت لدى ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة»:

«ملخ: الميم واللام والخاء أصل صحيح يدلّ على إخراج شيء من وعائه أو من غيره.. وامْتَلَخْتُ اللجامَ من رأس الدابَّة. والمليخ: اللحم لا طعم له. والملّاخ: الملّاق لأنّه يستخرج الإنسانَ أو ما عنده بِمَلَقِهِ. قال رؤبة: مَلّاخ المَلَق. ومنه قول الحَسَن: (يَمْلَخُ في الباطل)...».

إذًا لقد تفرّس فيها ابن فارس، على عادته، فهو فارسها وابن بَجْدَتِها، أو لم يقل؟: «والملّاخ: الملّاق لأنّه يستخرج الإنسان أو ما عنده بملقه». فكشف عن تطوّر المعنى، وعلَّل العلاقة ما بين

(١) منشورة في (مجلة المعلّم العربي) العدد الثاني سنة ١٩٨٦.

المعنى الأصليّ الوارد في عامّيّة الشّام، وبين المعنى الآخر المجازيّ الوارد في عامّيّة جبل عاملة في جنوبيّ لبنان وهي تلك العامّيّة التي عني بتفصيحها أحمد رضا.

وإلى جانب هذين المعنيين يذكر ابن منظور وأصحاب المعجمات القديمة معاني أخرى لا أجد لها صلة وثيقة بفصاح العامّة.. ولٰكنّي أجد ابن منظور يخالف رأي ابن فارس حين يشرح في (لسان العرب) قول رؤبة: (ملّاخ الملق) فيقول: «المَلَق: ما استوى من الأرض».

إذًا في المَلْخ لا تخالِف العامّيّة فصيحَ المُعْجَم التّليد لَفْظًا ولا مَعْنًى:

وفي (أساس البلاغة) للزّمخشريّ:

«هو مَسِيخ مَليخ. وامْتَلَخَ يَدَه من القابض: اجْتَذَبَها وَانْتَزعَها. وامتلخ اللِّجامَ من رأس الدابّة وامْتَلَخَ القَلّاعُ ضِرْسَهُ، وَمَرَّ بِرُمْحِهِ مركوزًا فَامْتَلَخَه. وامْتَلَخَ السّيفَ من غمْدِه. والكلب يمتلخ العَضَلَة. وفي حديث الحَسَنِ (يملخُ في الباطل) مَلْخًا: يَسْعَى فيه ويُبعد. وَعَبْدٌ مَلّاخ: أبّاق. ومن المَجاز: هو ممتلِخُ العَقْل».

وفي (لسان العرب) لابن منظور: المَلْخُ قَبْضُك على عضَلَة عَضًّا وجَذْبًا.. ومَلَخَ الشّيءَ يَمْلَخُه مَلْخًا وامْتَلَخَه: اجْتَذَبَه في اسْتِلالٍ، ويكون ذلك قَبْضًا وعَضًّا... ورَجُلٌ مُمْتَلخ العَقْل: ذاهِبُهُ مُسْتَلَبُه. وامتَلَخَ عينَه: اقْتَلَعَها.. والمَليخ: الضّعيف. والمَليخ الذي لا طَعْمَ له مثل المَسِيخ. وقد مَلُخَ، بالضَّمّ، مَلاخةً وَخَصَّ بعضهم الحُوار الذي يُنْحَرُ حينَ يَقَعُ من بَطْن أُمّه فلا يُوجَد له طعم. والمَليخ: الفاسد [قلت: وكان ابن منظور في: م س خ قد قال:]: «والمسيخ من النّاس.. هو المليخ أيضًا.. وهو الذي لا مَلاحة له..»...

قال الأَشعر الرّقبان – وهو أسدي جاهِلِيّ – يُخاطب رَجُلًا اسمه رضوان:

بِحَبْسِكَ، في القَوْمِ، أَنْ يَعْلَمُوْا
بِأَنَّكَ فيهم غَنِيٌّ مُضِرْ

وقد عَلِمَ المَعْشَرُ الطّارِقوكَ
بأنّك، لِلضَّيْفِ، جُوعٌ وَقُرْ

إذا ما انْتَدَى القومُ لَمْ تَأْتِهِم
كأنّك قد وَلَدَتْكِ الحُمُر

مَسِيخٌ مَليخٌ كَلَحْمِ الحُوارِ
فلا أَنْتَ حُلْوٌ ولا أَنْتَ مُرّ..».

وكذلك ما في (القاموس المحيط) وشرحه (تاج العروس..)..

مَلَطَ الأَمْلَط

مَلَطَ الشَّعْرَ فهو أملط.. من فصاح العَوَامّ بمعنى حَلَقَهُ.. و(خَلَط وَمَلَط من حَقّه وحقّ غيره لِيَمْلُط حقوق غيره، فالأمور عنده خلِيط ملِيط) أصله الفصيح: خِلْط مِلْط: أي مُخْتَلِط النَّسَب، والعامّة تقول صار لا يُعرف الحَسِيب النَّسيب من غيره لأنّ الناسَ اليوم: (خليط مليط)..

وأمّا مِلاط الطّين لتسوية حيطان البِنَاء، فَتَغَلَّبَت عليه الطِّينةُ الإسْمَنْتِيّة الحديثة.. ولٰكنْ بقي منه لقب (آل المَلّاط)...

والأصل في (مقاييس اللغة) لابن فارس:

«الميم واللام والطاء أُصَيْل يَدُلّ على تسوية شيء وتسطيحه، ومَلَّطْت الحائط بالمِلاط أُمَلِّطُه تمليطا. طيّنته وسوّيته. والمِلاطانِ: الجَنْبانِ كأنّهما مُلِطا مَلْطًا. وابْنا مِلاط: العَضُدان. والأَمْلط: الذي لا شَعْرَ عليه. ويُقاس على كذا فيُقال للرَّجُل القليل الخَيْر المُتَمَرِّدِ: مِلْط. قال أبو بكر [ابن دُريد في (الجَمْهَرَة في اللغة)]: وَكُلّ شيء مَلَّطْتَهُ فهو

مِلاط».

وفي (أساس البلاغة): «..وَأَمْلَطَت المرأةُ: أَمْلَصَت.

ومن المَجاز: أنْ يقول الشّاعر مِصراعًا ويقول لِآخَر: أَمْلِط؛ أي: أَجِز المِصْراعَ الثّاني. ومالَطَه، وبَيْنَهما مُمالَطَة وهو من إملاط الحامِل».

ويقول ابن منظور في مادّة (ملط) من (لسان العرب):

«المِلْط: الخَبيث من الرّجالِ الذي لا يُدفع إليه شيء إلّا أَلْمَأَ[1] عليه وذهب به سَرَقا واستحلالًا، وجَمْعه أَمْلاط ومُلُوط.

والأَمْلَط: مثل الأَمْرَط... وقد مَلِطَ مَلَطًا ومُلْطَةً، ومَلَط شَعْرَه مَلْطًا: حَلَقَهُ.. وفلان مِلْط. قال الأصمعيّ: المِلْط الذي لا يُعرف له نَسب ولا أب من قولك أَمْلَطَ رِيْشُ الطّائر إذا سَقَط عنه. ويقال: غلام مِلْط خِلْط، وهو المُخْتَلِط النَّسَبِ».

[قلت: وعامّتنا تقول: هذا خليط مليط].

وفي مصر يقول د:.. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

«نقول في دارجتنا: مَلَط فلانٌ مَلابسه: خَلَعَها وألقاها. وفلان مَلْط: مُجَرّد من الملابس. وملّطه من أمواله: جَرَّدَه منها وفي (القاموس) مَلِطَ - كفَرِح - مَلَطا، وَأَمْلَط الشّيءَ: ألقاه. وَسَهْمٌ أملط ومليط: لا ريشَ عليه».

إحالة: المَنْدَل: ورد في الحاء بعنوان: يَتَحَنْدَل ويتمندل.

ماش يموش وماش يميش

نسمع أحيانًا من بعض العوامّ الذين اعتادوا على الاختصار الشّديد والانصراف عن كثر الثّرثرة والكلام المُخلّط تخليطًا فيجيبُون بكلمة واحدة يُنْهُون بها كلَّ شيء: (ماش).

وفي (لسان العرب) لابن منظور: «ماش فلان: إذا خَلَطَ الكذبَ بالصِّدْق. الكِسائيّ: إذا أَخْبَرَ الرَّجُلُ ببعض الخَبَر وكَتَمَ بعضه قِيْل: مَذَعَ وماش. ومَاشَ يَمِيْشُ مَيْشًا: إذا خَلَطَ اللبن الحُلْوَ بالحامِض.. أو خَلَطَ الجِدَّ بالهَزْلِ.. والمَيْشُ: حَلْبُ نِصْف ما في الضَّرْع.. وخَلْطُ لَبَنِ الضَّأْنِ بلبَنَ الماعز. ومِشْتُ الخَبَرَ أي خَلَطْتُ، قال الكِسائيّ: أخبرتُ ببعض الخبر وكتَمتْ بعضًا وماش لي من خبَرِهِ مَيْشًا وهو مثل المصَعْ». وفي (تاج العروس..).

«ماشَ: أَهْمَلَهُ الجَوْهَرِيّ، وقال ابن الأعرابيّ (ماش كَرْمَه يَمُوشه مَوْشًا طَلَبَ باقي قُطُوفِهِ)... (والماش قُماش البيت) عن ابن الأعرابيّ.. قال الأزهريّ: ومنه قولهم: (الماش خَيْرٌ مِن لاشَ) أي ما كان في البَيْتِ من قُماشٍ لا قيمةَ له خير من خُلُوّهِ، أي: من بَيْتِ فارغ لا ضَيْرَ فيه، فَخَفَّفَ لاشَ لازْدِواجِ ماش، وفي (المُحْكَم..): خاشِ ماشِ، بِفَتْحِهِما وكَسْرِهِما، قُماشُ النّاس».

المَيْش والتَّمْويش

ليس (المَيْش) عبارة أجنبيّة، فهي في المُعجم العربيّ التّراثيّ.. ولقد تطوَّرت دلالة معناها فالمَيْش في لُغة أهل عَصْرنا: صَبْغ الشّعر مع تنويع خُصَلِه وتلوِيْنه مُفَوَّفًا باللونَيْن: الأبيض والأشقر، أو الأبيض والأسْوَد...

وقديمًا كانت من أماني المُتَنَبّي الشّاعر الشّهير أن يَغْدو بياض الشّعر خضابًا رائجًا بَيْن الشّباب فحقّقت الصّبايا في عصرنا أُمْنيته في قوله:

(1) ألمأ عليه: احتوى عليه.. وألمأ اللص على الشيء: ذهب به خفية.. (المعجم الوسيط).

مُنَى كُنَّ لي أَنَّ البَياض خِضابُ
فَيَعْيَا بتبييض القُرُونِ شَبابُ

وكما في (اللسان..) لابن منظور و(القاموس..) للفيروزابادي: يقول الزّبيديّ في (تاج العروس..) مُعقِّبًا على قول الفيروزابادي في (القاموس المُحيط):

«المَيْشُ: خَلْط الصُّوف بالشَّعر، قال الرّاجز وهو رُؤْبَه:

عاذلَ قد أُولِعْتِ بالتّرقِيشِ
إليّ سِرًّا فاطرُقي ومِيشِ

قال أبو نصر: أي: اخلطي ما شئت من القَوْل؛ كذا في الصّحاح»، قلت: وكذلك فَسَّرَهُ الأَصْمَعِيّ وابنُ الأَعْرابيّ وغيرهما.

وفي (لسان العرب) ط ر ق «ومن أمثال العرب التي تُضْرَب للذي يَخْلط في كلامه ويَتَفَنَّن فيه قولهم: اطْرِقي ومِيشي. والطّرق ضَرْب الصّوف بالعصا. والمَيْشُ خَلْط الشَّعر بالصُّوف.

والمَيْشُ: خَلْط لَبَن الضَّأْن بِلَبَن الماعِز. قال الجَوْهريّ؛ وقيل خَلْط اللَّبَن الحُلْو بالحامِض، ومن الغَرِيب أنّ الماعِزَ بالفارِسيَّة تُسَمَّى مِيش بكَسْر الميم المُحال، وعن الكِسائيّ: المَيْشُ كَتْمُ بَعْضِ الخَبَرِ وإخْبار بَعْضِه، وقد مِشْتُ الخَبَرَ، نَقَلَه الجَوْهريّ. والمَيْش: حَلْبُ بَعْض ما في الضَّرْع وتَرْك بَعْضِه... والمَيْش: خَلْط كلّ شيء سواءٌ القَوْل والخَبَر واللَّبَن: وَغَيرها، وما شُوا الأَرْض مَيْشة: مَرّوا بها وممّا يُسْتَدْرَك عليه ماشَ القُطْنَ يَميشُه مَيْشًا زَبَّدَهُ بَعْدَ الحَلْج.

والمَيْش: خَلْط الكَذِب بالصِّدْق والجِدّ بالهَزْل وماشَ الأرض المَطَرُ مَيْشًا إذا سَحاها. نَقَلَه الصّاغانيّ عن الليث؛ وفي بعض نُسَخ كتابه مَأَشَ بالهَمْز (وقد ذُكر في مَوْضِعِه)...»

[ومعنى سحاها: قَشَرَها وجَرَفها].

قلت: هذا هو (تمويش الأرض) بلغة مُزارِعي الرّيف في عصرنا وقد تحدّث عنه أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطلحات والتّعابير الشّعبيّة) (ص٣١٦):

تَمْويش: هو بِلُغَتِهم نَقْل طَمْي الأنهار إلى الأراضي المُجاوِرَة لها لإصلاح مُستَواها، أو طَمْر المُسْتَنقَعات أو الانخفاضات النّاشئة عن السُّيول الجارفة.

ن

نَأْنَأَ

في عامّيّة الشّام ومِصر وغيرِهما يُقال:

(فلانٌ يُنَأْنِئُ في أَكْلِه وفي عَمَله..) أيْ يُبْطِئُ وهو يأكلُ ويَعْمَلُ بطيئًا كأنّه عاجزٌ أو ضعيف...

والأصْلُ الفصيح في مَعْنى العَجْز والضَّعْف لِمَا في (اللسان..) وغيره.. فالبُطْء بِسَبَبِ هذا الضّعْف ولٰكنْ في (القاموس.. والتّاج..) ما يُقارب أكثر:

«نَأْنَأَهُ: إذا أَحْسَنَ غِذاءَهُ ونَأْنَأَهُ عن الشَّيْء إذا كَفَّهُ ونَهاهُ.. وعبارة الجوهريّ: إذا خَلّطَ فيه تَخْليطًا ولم يُبْرِمْه.. وعنه قَصُرَ وَعَجَزَ كَتَنَأْنأ.. والتَّأْنَأْ.. المُكْثِرُ تَقْلِيبَ الحَدَقَة، والعاجِزُ الجَبانُ كالنَّأْناءِ والنُّؤْنوءِ والمُنَأْنأ».

وفي (مقاييس اللغة):

«النُّون والهَمْزة أصْلٌ يَدُلّ على ضَعْفٍ في الشَّيْء. فالنَّأْنَأَةُ الضَّعْف. وَرَجُلٌ نَأْنَأٌ، إذا كانَ ضَعِيفًا. قال امرُؤ القَيْس:

لَعَمْرُكَ ما سَعْدٌ بِخُلَّةِ آثِمٍ
ولا نأنَإٍ عند الحِفَاظِ ولا حَصْرِ

قال أبو زيد في كتاب الهَمْز: نَأْنَأْتُ رَأْيي نأناةً؛ إذا خَلَّطت فيه».

وكذلك في (أساس البلاغة) وفيه: «كان ذلك في النَّأْنَأَة: في أوّل الإسلام: ومَعْناها الضّعْف قَبْلَ أنْ يَقوىٰ ويَعُزّ؛ وفي الحديث: (طوبىٰ لِمَنْ مات في النَّأْنَأَة). وقال عليّ - رضي الله عنه - لِسُلَيْمان بن صُرَدٍ: (تَنَأْنأتَ وتربّصتَ فكيف رأيت الله صَنَع؟) أيْ: فَتَرْتَ وقصّرت»؛ وفي (اللسان..): أي: تَنَأْنَأْتَ؛ أي ضَعُفْتَ واسترخيت. وفي (اللسان..) كذلك:

«.. وَنَأْنَأت في الرَّأْي إذا خلّطْتَ فيه تخليطًا ولم تُبْرِمْه. وقد تَنَأْنَأَ ونَأْنأ في رَأْيِه نَأْنَأَةً ومُنَأْنَأَةً: ضَعُفَ فيه ولم يُبْرِمْه. قال عبد هِنْد بن زَيْد التَّغْلِبيّ، جاهليّ:

فلا أَسْمَعَنْ منكم بِأَمْرِ مُنَأْنَإٍ
ضَعيفٍ ولا تَسْمَعْ به هامتي بَعْدي
فإنّ السِّنانَ يركبُ المَرْءُ حَدَّهُ
من الخِزْي أو يَعْدُو على الأسَد الوَرْدِ

... وتَنَأْنَأَ: ضَعُفَ واسْتَرْخىٰ

ورَجُلٌ نَأْنَأٌ ونَأْناءٌ، بالمدّ والقَصْر، عاجِزٌ جَبانٌ ضَعِيْفٌ.

الأُمويّ: نَأْنَأْتُ الرَّجُلَ نَأْنَأَةً إذا نَهْنَهْتَه عمّا يُريد وكَفَفْتَه، كأنّه يُريدُ: إنّي حَمَلْتُه على أنْ ضَعُفَ عَمّا أرادَ وتراخى.

وَرَجُلٌ نأناءٌ: يُكْثِر تَقْلِيْبَ حَدَقَتَيْهِ، والمُرَادُ: رَأْرَاءٌ».

ومثل ذلك ما ورد في (محيط المحيط) وغيره من المعاجم الحديثة.

وقلت: ولٰكنّ أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) يرى أنّ هذا هو النَّقُّ والنَّقْنَقَة؛ بالقاف. وانظر في: نقنق: ن ق ق: في موضعها من هذا...

أمّا في مِصْرَ فقد أَوْرَدَها: د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) بالهمزة فقط.

نَبَأَ ونَبَعَ ونَبَقَ

حين يُعْجَبُ العامّيّ الشَّعْبِيّ بك يقولُ: (حُنْدُقْ بُنْدُقْ، عين تراك ولا تصلّي على النّبيّ تَطقّ وتَنْبُأُ).. وقد يكونُ جادًّا كما في قَوْل الأمّ للوَلَدِ ذلك.. وقد يكونُ هازلًا ضاحكًا..

وحين نَقولُ في عامّيّة الشّام: (نَبَأَ وَنَبَعَ أمامي..) بمعنى بَرَزَ ونَبَزَ وَنَبَرَ وخَرَجَ وظَهَرَ؛ فَلَعَلّنا نَظُنُّه من نَبَقَ الذي يأتي بمعنًى قريبٍ من هذا، ولٰكنّه بعيدٌ عن أنْ يكونَ أصل: النّابِئ العامّيّ الفصيح بالقاف دُوْن الهمزة فلم يُبدلْه عَوَامّ المُدُن لأنّه بالهَمْزَة تامّ الفصاحةِ قليلُ التَّغَيُّر والتَّطَوُّر في المَعنى والدّلالة.. فتبادُل الإبدالِ بَيْن الهمزةِ والقافِ في: نَبَأَ وَنَبَقَ وَصِلَةُ الاشْتِرَاكِ في مَعنى الخُروج والبُروزِ في كِلَيْهِما ممّا وَرَدَ في اللغة الفصيحة التّالدة وإنْ لم أقرأْ بعد.. لِمَن انْتَبَه إلى وُجُود صِلَةِ الاشْتِراك في المَعنى والدّلالة بَيْنَهما من قَبْلُ.. ولعلّ ذلك لأنّه بالقاف: نَبَقَ لا يَصِلُ إلى هذه الدّلالة المُشْتَرَكَة من الخُرُوج إلّا بعد تَطَوُّر مَعْناه وخُروجِه عن الأصل.. أكثر وأبْعَد من تَطَوُّرِ نَبَأَ ونَبَّأَ..

وأبدأ من: ن ب أ: في (اللسان..)

«وَنَبَأْتُ على القَوْم أَنْبَأُ نَبًأ[1] إذا طَلَعْتَ عليهم. ويُقال نَبَأْتُ من الأَرض إلى أَرْضٍ أُخرى إذا خَرَجْتَ منها إليها. وَنَبَأَ من بَلَدٍ كذا يَنْبَأُ نَبْأً ونُبُوءًا: طَرَأَ.

قال عَدِيُّ بنُ زَيْدٍ يَصِفُ فَرَسًا:

وَلَهُ النَّعْجةُ المَريُّ تُجاهَ الرّ
كْبِ، عِدْلًا بالنّابِئ المِخْراقِ

أرادَ بالنّابِئ: الثَّوْر خَرَج من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ، يُقال: نَبَأَ وَطَرَأَ وَنَشَطَ إذا خَرَج من بلدٍ إلى بلد. ونَبَأْتُ من أَرض إلى أرض إذا خَرَجْتَ منها إلى أخرى. وسَيْلٌ نابِئٌ: جاء من بَلَدٍ آخَر. وَرَجُلٌ نابِئٌ. كذلك قال الأَخْطَل:

ألا فاسْقِيَاني وانْفِيَا عَنِّي القَذَى،
فليسَ القَذَى بالعُودِ يَسْقُطُ في الخَمْرِ
ولٰكِنْ قَذاها كُلُّ أَشْعَثَ نابِئٍ
أَتَتْنا به الأقدارُ من حيثُ لا نَدْري

[وفي اللسان..)] ق ذ ي: ولٰكن قذاها زائر لا نُحِبُّه.

... ونَبَأَ عليهم يَنْبَأُ نَبْأً ونُبُوءًا: هَجَم وطَلَع، وكذلك نَبَهَ وَنَبَعَ، كِلاهُما على البَدَل. ونَبَأَتْ به الأَرضُ: جاءتْ به. قال حنش بن مالك:

فَنَفْسَكَ أَحْرِزْ، فإنَّ الحُتُو
فَ يَنْبَأْنَ بالمَرْءِ في كلِّ وادِ

ونَبَأَ نبأً ونُبُوءًا: ارْتَفَعَ. والنَّبْأَةُ: النَّشْزُ. والنَّبِيء: الطّريق الواضِحُ..»..

قلتُ: والعامّيّ الشّاميّ يقولُ: مِنْ أينَ نَبَع ونَبَأَ عَلَيّ؟ هذا النّابِئ والنّابِعُ في وَجْهي؟ فالفِعْل نَبَعَ أيضًا بِمَعنى نَبَأَ وَبَرَزَ في الفصيح والعامّيّ...

وكذلك مادَّة: ن ب أ في (أساس البلاغة) وفي (مقاييس اللغة) وفي (القاموس المُحيط)؛ وفي (مُحيط المُحيط)؛ وأزيدُ منهما في (القاموس.. والتّاج..):

«والنَّبِيءُ - كالنّابِئ -: المكانُ المُرْتَفِعُ

(١) رُسِمَت همزةُ: (نَبّأً) هكذا على الأَلِف: في (لسان العرب) لابن منظور، طبعة دار صادر ودار بيروت، بلبنان سنة ١٩٥٥م. في الصفحة ١٦٢ من الجزء الثّاني، وهو في خمسة وستين جزءًا.

المُحْدَوْدِبُ، يُهْمَز ولا يُهْمَز، وذَكَرَهُ ابنُ الأثير في المُعْتلّ.. ومنه ما وَرَدَ في بَعْض الأخبار؛ وهي من الأحاديث التي لا طُرُقَ لها: (لا تُصَلُّوا على النَّبِيء) بالهَمْز، أي المكان المُرْتَفِع المُحْدَوْدِب. وممّا يُحاجَىٰ به: (صَلّوا على النّبيّ ولا تُصَلّوا على النّبيء).

والنَّبْأةُ: الصَّوْتُ الخَفِيّ أو الخفيف، قال ذو الرُّمَّة:

وقد تَوَجَّسَ رِكْزًا مُقْفِرٌ، نَدُسٌ
بِنَبْأَةِ الصَّوْتِ ما في سَمْعِهِ كَذِبُ».

[الرِّكز: الصَّوْت. والمُقْفِر: أخو القَفْرةِ، يُريدُ الصّائد. والنَّدُسُ: الفَطِن: عن (اللسان..)].

ونابأهم مُنابَأةً: تَرَكَ جِوارَهم وتَباعد عنهم؛ قال ذو الرُّمَّة يَهْجُو قَوْمًا:

زُرْقُ العُيونِ إذا جاوَرْتُهُم سَرَقُوا
ما يَسْرِقُ العَبْدُ، أو نابأتَهُمْ كَذَبُوا».

وأصلُه في (مقاييس اللغة) لابن فارس: «النّون والباء والهمزة قياسه الإتيانُ من مكانٍ إلى مكانٍ؛ يُقال للذي يَنْبأُ من مكان إلى مكان: نَابِئ.. والنَّبَأ: الخَبَرُ لأنّه يأتي من مَكانٍ إلى مَكانٍ.. والنَّبْأةُ: الصَّوْت.. لأنّه الصّوت يَجيء من مكان إلى مكان..».

فإذا انْتَقَلْنا إلى القاف في: نَبَقَ لم نَصِلْ مُباشَرةً إلى مَعْنى الخُروج والبُروز، وأصْل: نَبَقَ في (مقاييس اللغة): «النّون والباء والقاف كَلِمةٌ تَدُلُّ على تَسْوِيَةٍ وتَهْذيب. والنَّخْل إذا كان غَرْسُه على اسْتِواءٍ: مُنَبِّق [يُقال بِفَتْح المُشَدّدةِ وكَسْرِها]. وقد نَبَّقَهُ صاحبُه. وكذلك كلُّ شَيْءٍ مُسْتَوٍ مُهَذَّب. قال: [امرُؤ القَيْس]:

وَحَدَّث بأنْ زالت بِلَيْلٍ حُمُولُهم
كَنَخْلٍ من الأعراضِ غَيْرِ مُنَبَّقِ»

وفي (القاموس..) كما في (اللسان.. والتّاج..).

«... ونَبَّق بها تَنْبِيقًا وأَنْبَقَ: حَبَقَ غير شديد.. وانْتَبَق الكلامَ: اسْتَخْرَجَهُ وممّا يُسْتَدْرَك [على القاموس..] نَبَّق الكتابَ تَنْبِيْقًا وَنَمَّقه تَنْمِيقًا: سَطَّرَهُ، نَقَلَه الجَوْهريّ، قال الزّمخشريّ: ومنه: شَجَرٌ مُنَبَّق أي مُسَطَّر..». وألاحظُ أنّ ما يَصِلُ الزّمخشريّ إليه على المَجَاز يكونُ أحيانًا أصْلَ المعنى لَدىٰ ابن فارس.. ولٰكنّ الذي يَهمّنا الآن أنّ في كُتُبِ اللغة القديمة: «انْتَبَقَ الكلامَ: اسْتَخْرَجَه».

وحديثًا في (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «نَبَق الرَّجُل يَنْبُقُ نَبْقًا: كَتَب. والشّيءُ: خَرَجَ... نَبَّق الرَّجُلُ والشَّيْء بمعنى نَبَق..».

أمّا (المُعجم الوسيط) لِمَجْمع القاهرة ط٢، فانْشَغَل بِثَمَرة النَّبِق: السِّدْرِ وشجرته، ودقيق لبّ النّخلة، فلم يَصِلْ إلى الفِعْل: نَبَقَ!

كما لم أقرأْ لَدىٰ كُتّاب فِصاح العَوَامّ لِمَنِ اهْتمّ بالفِعْلَيْن: نَبَأَ ونَبَقَ...

نَبش وفَنَّش وَنَبَّشَ

«نَبَشَ الشّيءَ يَنْبُشُه نَبْشًا: اسْتَخْرَجه بَعْد الدَّفْن» كذا في (لسان العرب) وكذلك في العامّيّات الدّارجة اليوم.. ولٰكنّ تضعيفَ عَيْن الفِعْل وَجَعْلَه: (نَبَّشَ)، في عامّيّتنا يُبْقيه بِمَعْناه دون تغيير، وإنْ كان يَزيده توكيدًا بِحَسَب القاعدة الصّرْفيّة المعروفَة القائلة: في زِيادة المَبْنى زِيادةٌ في المَعنى.. أمّا في (لسان العرب) فَيَتَغيّر مَعناه بهذا التَّضْعيف لدىٰ القُدماء، ويَصير بمعنى: (فَنَّش) لَدَيْهم، وهذا أيضًا لا يَخْتَلِفُ مَعناه

الفَصيح التَّليدُ عن المَعْنى العامّيّ إلّا قليلًا في طَرِيقةِ تَرْكيب الْجُملة. فعَوامّنا يقولون: (فَنَّشَتْ قَبَّةُ القميص) أيْ تَوَسّعت بَنِيقَتُه، أي لَبِنَتُه واسْتَرْخت. ويقولون (فَنَّش الخُبْز المَفْتوت في الحَساء مُنذ نِصفِ سَاعةٍ) أي اسْتَرْخى أيْضًا.. وكذلك يُقال في مِصر كما في (مُعجم الألفاظ العامّيّة..) ل: د. عبد العال. أمّا لدى رِضا في (ردّ العامّيّ..) «فَفَنَّشَ اسْتَرْخى من التَّعَب».

وفي (القاموس.. والتّاج..) كما في (لسان العرب) ف ن ش: «(التّهذيب): قال أبو تُراب: سَمِعْتُ السّلمي يقول: نَبَّشَ [وفي (التّاج) بَنَّش] الرَّجُلُ في الأمْر وَفَنَّشَ إذا اسْترخى فيه. وقال أبو تُراب: سَمِعْت القَيْسيّين يقولون: فَنَّشَ الرَّجُل عن الأمر وفَيَّش إذا خامَ عنه».

وكذلك في (اللسان..) ن ب ش: «نَبَّش في الأمر... وأنشد اللحيانيّ:

إنْ كُنْتَ غَيْرَ صائِدي فَنَبِّشِ

قال: وَيُرْوَى فَبَنِّشِ أي اقْعُد».

وأَصْل النّون والباء والشّين في (مقاييس اللغة) لابن فارس: «أَصْلٌ وكَلِمَةٌ واحدة تَدُلُّ على إبراز شَيْءٍ مَسْتُور». قلت: (فالتَّنْبِيْش) العامّيّ عندنا لا يَخْرُج عن هذا الأصل وهذه الكلمة الواحدة..

وللزّمخشريّ في (أساس البلاغة): «وانْتَبَشَ العُروقَ من الأرض: اسْتَخْرجَها. قال: الكُمَيْتُ:

مَوْتُهُنَّ انْتِباشُهُنَّ من الأعْرْ
ضِ وَيَحْيَيْنَ ما سَكَنَّ القُبورا

أيْ ما دامتِ العُروق تحت الأرض كانت حَيَّةً، فإذا نُبِشَتْ ماتت».

فقد تَوَسَّع الكُمَيْت في مَعْنى الانتباش ومَبْناها أكثر ممّا توسّعت عامَّتُنا في: (التَّنْبِيْش).

ولذلك قَبِل أحمد رضا العامليّ: «نَبَشَ الشّيءَ ونَبَّشَ عنه إذا اسْتَخْرَجَه.. من مَخْبَئِه. وهو كذلك في الفصيح».

وللبُستانيّ في (مُحيط المُحيط): «نَبَّشَهُ تنبيشًا: فَتَّشَهُ، أو: مُوَلَّدَة» وما وَجَدْت لدىٰ د. عبد العال إلّا الثُّلاثيّ نَبَشَ.. أمّا فَنَّش فقد أَوْرَدَه مُضَعَّفَ النُّون في (مُعجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) كما هو في عامّيّتنا، وكما في (القاموس المُحيط): «فَنَّش في الأمر: اسْتَرْخى».

نَبَغَ[1]

من فصيح العوامّ ما تطوّر معناه من الأصل المادّيّ إلى التَّجْريد الذِّهْنيّ قديمًا، أي من قبل عصر التَّدوين والاستشهاد والاحتجاج بمن يحتجّ بكلامه. وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس: «ن ب غ: كلمة تدلّ على بُرُوز وظُهُور..».

يقول الزّمخشريّ في (أساس البلاغة):

[نَبَغَ الوعاءُ بالدّقيق: خرج منه لرقّته. ونبغَتِ المزادةُ: كانت كتومًا فصارت سَرِبة. ونبغَ الرّأسُ: ثارت هبريّته[2]، وإنّه لكثير نُبّاغ الرّأس: مُثَقَّلًا ومُخَفّفًا. ومَحجَّةٌ نَبّاغةٌ: يثور ترابها.

ومن المجاز: نَبغت لنا منك أمور لم نتوقّعْها. ونَبَغَ الشّرّ: فشا وظَهَر. ونَبَغَ منهم النِّفاقُ إذا خفّوا في الفتنة. ونبغ فلان في الشّعر إذا لم يكن في إرث الشّعر ثمّ قال فأجاد، ويقال إن النابغة قال الشّعر على كِبَرِ سنّه فسمّي النابغَة، وقيل: بل لقوله:

(١) منشورة في (مَجلة المعَلّم العربي) العدد الأول لسنة ١٩٨٦ والصادرة عن وزارة التربية العربية السورية بدمشق.

(٢) الهبرية والهبارية: ما طار من زغب القطن أو الريش أو نحوه، أو ما تعلق بأسفل الشعر مثل النخالة، من الرأس.

وحَلّتْ في بني القَيْنِ بن جَسْرٍ
فقد نبغت لنا منهم شُؤون[١]

ونبغَ من فلانٍ شِعْر شاعرٍ. وهو نابغة من النّوابغ. ونبغ في العلم وفي كلِّ صناعة، وتقول: الحمدلله الذي أنعم عليَّ النّعم السّوابغ، وألهمني الكَلِمَ النّوابغ].

ألاحظ أنَّ طريقة جار الله الزّمخشريّ في عرض هذه المادّة، (أو في: إخراجها: إذا شئنا استعمال العبارة الفنّيّة المعاصرة) كأنّها تعمد عمدًا إلى بيان طريقة التّطوّر التي سارت عليها هذه العبارة.. من المادّيّ إلى الفكريّ العقليّ المجرّد... وذلك على عكس المُرتضى الزّبيديّ الذي ألَّف بعده (تاج العروس) وفيه يقول: [نبغ الشّيء من الشّيء (كمنع ونصر وضرب)[٢] أي ظهر ومنه نبغت لنا منك أمور، أي ظهرت وفشت وهو مجاز ونبغ الماء نبوغًا مثل نبع بالعين...]

ويمكننا أن نضيف إلى هذه المادَّة القليل جدًّا ممّا ورد في المعجمات الأُخَر، حتّى لا نقع في التّكرار.. كأن نشير إلى ما قاله ابن منظور في (لسان العرب)[٣]:

[نَبَغَ الدّقيق من خَصاصِ المنخل يَنبغ: خرجَ، وتقول: أنبغْته فنبغ ونَبَغَ الوعاء بالدّقيق إذا كان دقيقًا فتطاير من خصاص ما رقَّ منه... ونَبَغَ الشّيء: ظهر. ونَبَغَ فيهم النِّفاق إذا ظهر بعدما كانوا يُخفونه منه... وفي حديث عائشة في أبيها، رضي الله عنهما: غاضَ نَبْغَ النِّفاق والرِّدَّة؛ أي: نَقَصَهُ وأَهْلَكَهُ وأَذْهَبَه...

وقول الشاعر:

وَمَهْمَهَةٍ صَخِبٍ هامُها،
نوابِغُها ضَحْوَةً تَضْبَحُ

قيل: النّوابغ إناث الثّعالب. قال الأزهريّ: ولا أعرف الشّعر. ويقال: نبغ فلانٌ بِتُوسه إذا خرج بطبعه...

وقول ليلى: أنابغَ لَمْ تَنْبُغْ، ولم تك أوّلا

هو من قولهم نبغ فلان بتُوسِهِ إذا أظهر خُلُقَه وترك التَّخَلُّق، فكان معناها أنّه ظهر لُؤْمُكَ الذي كنت تكتمه ولم ينفعْك تَخَلُّقُك بغير خُلُقِك الذي طُبِعْتَ عليه.

وتَنَبَّغَتْ بنات الأَوْبَرِ[٤] إذا يَبِسَت فخرج منها مثلُ الدَّقيق].

نَبَلَ وَتَنَبَّلَ

ما زال عوامُّنا يقولون: (تَنَبَّلَتْ حَبّات الفاصولياء أو الحِمَّص بعد نَقْعها في الماء..) ولعلّ هذا المعنى للتَّنَبُّل مُتَطوّر من أصل المعنى في ن ب ل. فالنّبيل السّمين الجسيم.. والنَّبَل عِظام المَدَرِ والحجارة..

[illegible]

قرأت في (كتاب الأغاني) لأبي الفرج الأصفهانيّ ج١١ ص٨٧ خبر مَقْتَل زهير بن جُذيمة العَبْسي، وفيه: «ووثب زهير.. وكان شيخًا نبيلًا فَتَدَثَّرَ القَعْساءَ فَرَسه، وهو يومئذ شيخ قد بَدُنَ» [تَدَثَّر فَرَسَه: وثب عليها فَرَكِبَها، وقيل: رَكِبَها من خَلْفِها]. فتذكّرت بيت عَنْتَرَةَ العَبْسي من مُعَلَّقَتِه؛ وقد وَرَدَ في كُتب (المعلّقات) وفي (ديوانه) وفي (لسان العرب وأساس البلاغة وتاج العروس.. وغيرهم):

وَحَشِيَّتي سَرْجٌ على عَبْلِ الشَّوَىٰ
نَـهْـدٍ مَـراكِـلُـه نَـبِـيْـلُ الـمَـحْـزَمِ

نَبِيل المحْزَم: ضَخْم الوَسَط مُنْتَفِخُه، والمِحْزَم: مَوْضِع الحِزام [وفي لسان العرب ط بيروت سنة ١٩٥٦: نبيلِ المَحْزِمِ].

وفي (مقاييس اللغة):

«النُّون والباءُ واللام أَصْلٌ صَحيح يَدُلّ على فَضْلٍ وكِبَر، ثمّ يُستعارُ منه الحِذْق في العَمَل، فيقال للفضل في الإنسان نُبْل.

والنَّبَل عظام المَدَر والحِجارة، ويُقال: نَبَلٌ ونُبَل. وفي الحديث: (أعِدّوا النَّبَل) ويقولون إنّ النَّبَل هاهنا الصّغار، وإنّها من الأضداد... وإذا كانت من الأضداد كان الوجه الأقلّ خارجًا عن القياس... وفي الباب قياس آخر يَدُلُّ على رَمْي الشّي ونَبْذِه وخِفَّةِ أمره. ومنه النَّبْل.. ومن هذا القياس تنبّل البعير: مات: والنّبيلة: الجيفة وسُمِّيَت بها لأنَّها تُرمى.

ومن القياس الذي يُقارب هذا: نَبَلَ الإبل يَنبُلُها: ساقَها سَوْقًا شديدًا. قال: لا تَأْوِيا لِلْعِيسِ وانْبُلاها».

[لِزُفَرَ بن الخِيار المُحارِبي؛ في (اللسان..)].

قلت: أَتَنَقَّل بين المعاني المُتَطَوّرَة المُتفرّعة عن الأصل لأنّ الكتّاب قد يستغربون الأصل الذي ورد في العبارة العامّيّة: تَنَبَّل الحَبّ..

وكُتُب الأضداد أوردت ما أشار إليه ابن فارس. فالأنباريّ محمّد بن القاسم المُتوفّىٰ سنة ٣٢٧هـ. ٩٤٠م. في (كتاب الأضداد)[1] قال: «والنَّبَل من الأضداد؛ يقال: نَبَل للجِلّة النّظام، ونَبَل للصّغار..» ويَعْقد الأنباريّ فصلًا من ثلاث صفحات للرّدّ على ابن قتيبة الذي أنكر هذا.. أمّا أبو الطّيّب عبد الواحد بن عليّ اللغويّ الحلبيّ المُتوفّىٰ سنة ٣٥١هـ فيرى في كتابه (الأضداد في كلام العرب): «ومن الأضداد: التَّنَبُّلُ؛ يُقال: تَنَبَّل الرَّجُلُ يَتَنَبَّلُ تَنَبُّلًا إذا تَعَظَّم وتكبّر. وتَنَبَّل الرّجلُ إذا مات، حكاه قُطرب [عن الأضداد لقطرب]...

والنَّبِيلَة: الجيفة. والنّبيلة أيضًا من النِّساء: المُعَظَّمَة الكبيرة القَدْر. وهذا أيضًا من الأضداد».

قلت: أثارت (الأضداد في اللغة) وما زالت تُثير إعجاب المُعجبين وسخط السّاخطين المُطالبين بنَسْخها وإلغائها.. وكأنّ بالإمكان السّيطرة على الألسنة واللغوات بالقرارات وأشباهها! أو كأنّ التّطوُّرات اللغويّة يمكن إخضاعها لرغباتنا!

وفي (اللسان..): «.. وأمّا النّبالة فهي أعمّ تجري مجرى النُّبْل، وتكون مصدرًا للشّيء النّبيل الجَسِيْم؛ وأنشد:

كَعْثَبُها نَبِيلُ

الكَعْثَب: الرَّكَبُ والضَّخم المُمْتَلِئُ الناشئ (عن اللسان... ك ع ث ب).

قال: وهو يَعيبها بهذا.. وامرأة نبيلة الحُسْن بَيّنة النّبالة، وأنشد ابن الأعرابيّ في صفة امرأة:

وَلَمْ تَنَطَّقْها على غِلالَةْ
إلّا لِحُسْنِ الخَلْقِ والنَّبالَةْ

وكذلك النّاقة في حسن الخَلْق. وفَرَس نبيل المَحْزِم: حَسَنُه مع غِلَظ [وبيت عنترة..]... وأنشد ثعلب في صفة رَجُل:

فقامَ وثّابٌ نبيلٌ مَحْزِمُه
لم يَلْقَ بُؤْسًا لَحْمُه ولا دَمُه

ويُقال: ما انْتَبَل نُبْله إلّا بِأَخَرَةٍ.. أو نَباله أو نبالته.. أي لم ينتبه له وما بالى به... والنَّبَل... من الأضداد...

ونَبَل الرّجلَ بالطّعام يَنْبُله: عَلَّلَهُ به وناوله الشّيء بعد الشّيء...».

وأزيد من (التّاج..): «والنّابل: المُحْسِنُ للسَّوْق. وثَمَرَةٌ نبيلة: عظيمة، وكذلك قِدْح نبيل». وأشار (المصباح المنير) إلى: «النَّبَل بفتْحَتَيْن جاء بمعنى الجسيم النّبيل». والزّمخشريّ في (الأساس..): «وإبِل نِبال الأعجاز.. وأنْبَلَ قِداحَه: جعلها غَلِيظةً جافية.. وتَنَبَّل الخَطْب: عَظُمَ».

قلت: وفي كتب فصاح العامّة لم أجد اهتمامًا بها سوى أنّ د. عبد العال أشار إلى (النَّبْلَة).. وفي بعض المعجمات الحديثة نَقْص في ملاحظة أصل هذه المادّة وتطوُّراتها ولٰكن ليس هذا النّقص في (محيط المحيط) و(المعجم الوسيط) و(متن اللغة)...

نَتَرَ يتْر كَنَتَش يَنْتِش

لا أكتبُ في فَصاحة: نَتَشَه ينتِشه نَتْشًا بمعنى جَذَبَه واسْتَخْرجه أو نَتَفَه أو نَهَشَهُ وكلّه من فصيح العَوَامّ المَشْهُور.. ولٰكنّ فصاحة الفِعْل القَرِيبِ من لَفْظِهِ ومَعْناهُ: نَتَر، الأَقَلّ شُهْرةً بالفصاحة ولا يُظَنّ النَّتْر المُنْتَشِرُ في العامّيّات التي تُقْلَب الثّاء تاء من النَّثْر.. كلّا.. فالنَّتْرُ بالتّاء المُثَنّاة صحيح فصيح لفظًا ومَعنًى. ومُخْتَلِفٌ عن النَّثْر... وكما يقول د. عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارِجَتِنا: نَتَرَ المسمارَ: جَذَبَه جَذْبًا شديدًا، ونَتَرَ ذِراعَه: قَذَفه في شِدّة لِيَرْتَدّ إلى وَضْع طَبِيْعِيّ. ونَتَرَ فلان في كلامه. تكلّم في أثنائه بعنف».

ومثله ذكر الأمير أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل) أنّها في الشّام والمَغْرب..

وفي (المعجم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة: «.. ونَتَرَه...: جَذَبَه أو قَذَفَهُ في شِدّةٍ والعامّة تقول: نَطَرَ، تفخيمًا للَّفْظ ومُسايَرةً للمَعنى. ويُقال نَتَرَ الكَلامَ: غلّظه وشدّدَهُ.. وانْتَتَرَ الشَّيْءُ: مُطاوِعُ نَتَرَ. وَنَاتَرَه؛ يُقال: كلّمته مُناتَرَةً، أي مُجاهَرَةً».

قُلْتُ: عامَّتُنا في الشّام يُقال في دارِجَتهم كلُّ ما سَبَقَ إلّا: (نَطَرَ) لأنّ هذا الذي بالطّاء يَعْنُون به: نَظَرَ وحَرَس حِفْظًا على سَلامَةِ الزَّرْع في المَزْرَعَة؛ راجِعْها في: ن ط ر.

وَقُلْتُ: في حديثهم عن خَطَّيْ الكهرباء يُسَمُّون الخطّ السّالبَ غير المُوجِب باسْم الخَطِّ البارد أو النَّتْر.. وهذه التَّسْمِيَة في أحاديثهم الشَّفَوِيّة في تمديدات الطّاقَةِ الكهربائيّة والإلكترونيّة.. فماذا في المُعْجَم القديم؟

في (مقاييس اللغة): ن ت ر: «كَلِمَةٌ تَدُلّ على جَذْب شَيْءٍ. والنَّتْر جَذْبٌ فيه جَفْوَة».

وكذلك في (أساس البلاغة) (ومُختار الصِّحاح) و(المِصْباح المُنير) و(القاموس..) و(التّاج..) و(مُحيط المُحيط).

وكما في (لسان العرب):

«النَّتْرُ: الجَذْبُ بِجَفاء، نَتَرَهُ يَنْتُرُهُ نَتْرًا فانْتَتَر. . . وفي الحديث: (إذا بالَ أحدُكم فَلْيَنْتُرْ ذَكَرَهُ ثَلاثَ نَتْرات). . .

. . . وَنَتَرَ الثَّوْبَ نَتْرًا: شَقّه بأصابعه أو أَضْرَاسِه. وَطَعْنٌ نَتْر: مُبَالَغٌ فيه. . وفي حديث عَلِيّ - كرّم الله وجهَه - قال لأصحابه: (اطْعَنوا النَّتْرَ. .) أي: الخَلْس.

ابن السِّكِّيت: يُقال: رَمْيٌ سَعْرٌ، وَضَرْبٌ هَبْرٌ، وطَعْنٌ نَتْرٌ.

وقَوْسٌ ناتِرَةٌ: تقطع وَتَرَها لِصَلابَتِها. .».

أمّا النَّثْر ففي (اللسان. .): «عن اللَّيْث: نَثْرُكَ الشَّيْءَ بِيَدِك تَرْمي به مُتَفَرِّقًا مِثْل نَثْر الجَوْز والسُّكَّر وكذلك نَثَرَ الحَبّ. .»

نَخَزَ ونَخَسَ ونَغَزَ ونَزَغَ ونَسَغَ

يَسْتَعْمِلُ عَوَامُّنا النَّخْزَ والنَّغْزَ بمعنى الطَّعْن بِرَأْس دبّوسٍ مَعْدَنيٍّ رفيع. . . ويقولُون (الذي فيه مِسَلَّة تَنْخَزُهُ؛ أو: تنغزه). ولا يَسْتَعْمِلُون النَّزْغ. فهذا القَلْبُ موجودٌ في الفَصِيح، أمّا الإبدال ففيهما، أي في العامّيّ والفصيح. .

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ ن غ ز: «. . والعامّة تقول: نَغَزَهُ بالإبرة أي نَخَسَه».

يعرضُ الزّبيديّ في (تاج العروس) ما جاءَ في (القاموس. . واللسان. .) و(التّكملة. . للصّاغانيّ). وقَبْلَهم (الجَمْهَرة. .) لابن دُرَيْد في مادّة التّرْكيب: ن خ ز: «نَخَزَهُ. . أَهْمَلَهُ الجوهريّ وقال ابنُ دُرَيْد: نَخَزَهُ بِحَدِيدَة أو نَحْوِها، كَمَنَعَهُ [أي: يَنْخَزُهُ] إذا وَجَأَهُ بها. ونَخَزَهُ بِكَلِمَةٍ: أَوْ جَمَعَهُ بها، كذا في اللسان والتَّكْمِلَة».

كلّ ما جاءَ في (لسان العرب): ن غ ز: «نَغَزَ بَيْنَهم: أغرى وَحَمَل بعضَهم على بَعْضٍ كَنَزَغ». . . ا. هـ. ابن منظور.

قُلْتُ: قال تعالىٰ: ﴿إنّ الشّيطانَ يَنْزَغُ بَيْنهم﴾ السّورة ١٧ الإسراء الآية ٥٣.

وأعودُ إلى ن غ ز في (القاموس المُحيط): «. . ونَغَزَهُم النّغّاز: نَزَغَهم النّزّاغ. والصَّبِيَّ: دَغْدَغَهُ». أمّا (الأساس. .) فأَهْمَلَهُ. .

ويُخْبِرُنا في (تاج العروس. .) أنّه «أَهْمَلَهُ الجَوْهَرِيُّ وقالَه الفَرَّاء. .».

وفي مادّة التّركيب: ن خ س: في (اللسان. . والقاموس. . والتّاج. .) نَخَسَ الدّابّةَ وغيرَها يَنْخُسُها ويَنْخَسُها؛ الأخيرَتانِ عن اللِّحيانيّ [واقْتَصَرَ الجوهريّ على الفَتْح] نَخْسًا: غَرَزَ جَنْبَها أو مُؤَخَّرَها بِعُودٍ أو نَحْوِه. . ونَخَسَ بالرَّجُل: هيّجه وأَزْعَجَه، وكذلك إذا نَخَسُوا دابّتَه وطَرَدُوه. . . وفي الحديث: (إذا صُبَّ لَبَنُ الضَّأْنِ على لَبَنِ الماعزِ فهو النَّخِيْسَة.). وطَرَدَه، وأنشد:

النّاخِسِيْنَ بمَرْوانَ بِذِيْ خَشَبٍ
والمُقْحِمينَ بِعُثْمانَ على الدّار

وفي (أساس البلاغة): ن خ س: «نَخَسَ الدّابّة، ومنه: النّخّاس. ونَخَسُوا بِفُلانٍ: نَخَسُوا دابّتَه وطَرَدُوه. . ومن المَجاز: رأَيْتُ غُدُرًا تَناخَسُ، كقولهم: الأمواجُ تَناطَح». [وفسَّرَهُ في (التّاج. .): كأنّ الغَدِيْرَ الواحدَ يَنْخَسُ الآخَرَ ويَدْفَعُه، وأصْلُهُ الدَّفْعُ والحَرَكَةُ. .].

وفي (الأساس. .) ن ز غ: «نَزَغَه مِثْل: نَسَغَهُ إذا طَعَنَهُ وَنَخَسَهُ. ومن المَجاز: نَزَغَهُ الشَّيْطانُ كأنّه يَنْخَسُه لِيَحُثَّه على المَعاصِي، ونَزَغَ بَيْن النّاس: أَفْسَدَ بَيْنَهم بالحَثّ على الشّرّ».

وفي ن س غ فيه: «نَزَغَهُ ونَسَغَهُ: نَخَسَه. والجاريةُ الواشِمةُ تُضْبِر إضْبارةً من إبَرٍ ثمّ تَنْسَغُ

بها حيث تشيم، وهي المِنْسَغَةُ. والخبّاز يَنْسَغ القُرْصَ بالمِنْسَغَة وهي إضْبَارةٌ من رِيْش.

والتّركيب: ن ز غ: في (اللسان.. كالقاموس.. والتّاج..):

.. ونَزَغَ بَيْنَهم يَنْزَغُ وينزِغ نَزْغًا: أغْرىٰ وأفْسَدَ وحَمَلَ بعضَهم علىٰ بَعْضٍ.. وقولُه تعالى: ﴿فإمّا يَنْزَغَنّك من الشَّيْطان نَزْغٌ فاسْتَعِذْ بالله﴾ السّورة ٧/ الأعراف الآية ٢٠٠. أبو زَيْد: نَزَغْتُ بَيْنَ القَوْمِ وَنَزَأْتُ وَمَأَسْتُ، كلّ هذا من الإفْساد بَيْنَهم، وكذلك: دَحَسْتُ وآسَدْتُ وَأَرَّشْتُ [قلت: وأرَّشت؛ يَلْفُظُها عَوَامُّ الشّام اليومَ: أَرَشْت، كما مرّ في أرَشَ].

ونَزَغَ الرَّجُلَ يَنْزَغُه نَزْغًا: ذَكَرَه بقبيح. ورَجُلٌ مِنْزَغٌ ومِنْزَغَة ونَزّاغٌ: يَنْزَغُ النّاسَ. والنَّزْغُ: شِبْهُ الوَخْزِ والطَّعْنِ. ونَزَغَهُ بكلمة نَزْغًا: نَخَسَه وطَعَنَ فيه مثل نَسَغَه. ونَدَغَه وَنَزَغَه: طَعَنَهُ بِيَدٍ أو رُمْح.

ويَزِيْد في (القاموس.. والتّاج..) نَزَغَ:

والنَّزِيْغَةُ، كسَفِيْنة: الكَلِمَةُ السَّيِّئَة.. والنُّزَّغ – كَسُكَّر – المُغْتابُون ومنه قولُ رُؤْبَة:

واحْذَرْ أقاويلَ العِداةِ النُّزَّغِ

ونَزَغَه: اسْتَخَفَّهُ؛ عن اليَزِيْدِيّ».

وفي: ن س غ: في (اللسان..)

«نَسَغَتِ الواشِمَةُ بالإبْرَةِ نَسْغًا: غَرَزَت بها... ونَسَغَ الخُبْزَةَ نَسْغًا: غَرَزَها.. والمِنْسَغَةُ: إضْبَارَةٌ من رِيْشِ الطّائرِ أو ذَنَبِه يَنْسَغُ بها الخَبّازُ الخُبْزَ، وكذلك إذا كانَ من حَديدٍ. والنَّسْغُ مِثْلُ النَّخْيس. ونَسَغَهُ بِيَدٍ أو رُمْحٍ أو سَوْطٍ نَسْغًا ونَسَّغَه: طَعَنَه. ونَسَغَه بِكَلِمَةٍ: مِثْل: نَزَغَهُ...

وأَنْسَغَتِ الشَّجَرَةُ: أنْبَتَتْ بعدَ القَطْع...».

وفي (التّاج..) عن ابن فارس في (المُجْمَل..).

«النُّسغ، بالضّمّ ماءٌ يَخْرُجُ من الشَّجَرة إذا قُطِعَتْ. ونَسَغَ اللَّبَنَ بالماء إذا مَذَقة.. ونَسَغَت أسنانُه: اسْتَرْخَت أصولُها..».

وكذلك ما في (مقاييس اللغة) نَخَسَ وَنَزَغَ ونَسَغَ..

وكذلك لَكَزَ وَنَكَزَ والخ.. ممّا تَجِدُه في مَوَاقِعِه.

وكَتَبَ أحمد رضا العامِليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح).

«أقولُ: والنَّزْغ والنَّخْسُ والوَخْزُ والوَكْز والنَّخز واللَّكْز في الفصيح، والنَّقْزُ واللَّكْشُ في العامّيّ كلّها من وادٍ واحدٍ مُتَقارِبَة اللَّفْظ والمَعْنى».

قُلْتُ: ولٰكنّ النَّقْز فصيح بمعنى الوَثْب، ذُكِرَ في غيرِ هذا المَوْضِع.

وأمّا اللَّكْش فقال البُستانيّ فيه: من كلام العامَّةِ واللّاكِشَة اللّاخِشَة فارسيّة.

وفي مِصْر يُقال: «نَزَغَ فلانٌ فلانًا: مَسَّهُ لِيُنَبِّهَهُ أو شاكه بإبرة أو عُوْد أو نحوهما: والأصل فيها نَزغ»، كما ذَكَر د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) وكذلك ذَكَر: نَخزَ ونَخَّزَ.

نَدَهَ يَنْدَهُ

في الشّام ومصر يقولون في الكلام العامّيّ: (نَدَهْتُك، ولهذه الساعة وأنا أَنْدَهك) مثل نادَيْتك وأُنادِيك..

والفِعْل فِصيح تَذْكره كُتُب اللُّغَة والمُعْجَم القَديم بمعنى قَريب جدًّا من المعنى العامّيّ، ففي (المصباح المنير..) للفيوميّ: «نَدَهْتُ البعيرَ نَدْهًا: من باب نفع: رَدَدْتُه، وَنَدَهْت الإبِلَ:

سُقْتها مُجْتَمِعَةً. قال السَّرَقُسْطِيّ: وقد يُقال في البَعِير الواحِد: نَدَهْته: إذا سُقْته. وَنَدَهْتُه: زَجَرْته. وكانوا يَقولون للمَرْأة: (اذْهَبي فلا أَنْدَهُ سِرْبَك) أي لا أردّ إِبِلَكِ بل أَتْرُكها تَرْعَىٰ حيثُ شاءت، وكانت هذه اللفظة طلاقًا في الجاهليّة». أ. هـ الفيوميّ.

قلت: فالفعل وارد في أمثال الجاهليّة، وقد تطوّر معناه إلى النّداء منذ القديم، ففي (لسان العرب) لابن منظور: «.. وقال أبو مالك: نَدَهَ الرّجلُ يَنْدَهُ نَدْهًا: إذا صَوَّتَ.. وفي حديث ابن عُمَرَ: لو رَأَيت قاتِلَ عُمَرَ في الحَرَم ما نَدَهْته».

وأصل: ن د هـ في (مقاييس اللغة) لابن فارس: «كلمة تَدُلّ على زَجْر وَمَنْع».. ويتكرّر بعد ذلك ما سبق نقله من (المصباح.. واللسان..) لدى ابن فارس كما لدى الفيروزابادي في (القاموس..) والزّبيديّ في (التّاج..) والزّمخشريّ في (الأساس..)... وغيرهم.. وينصّ (المعجم الوسيط) لمجمع القاهرة على: «النَّدْهَة: الصَّوْت. والنَّوادِه: الزَّواجِر».

وتشير كتب فصاح العامّيّة إلى فصاحة النَّدْهِ، كما في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) لِ: د. عبد المنعم سيّد عبد العال ص٥٣٠. ط٢. وكذلك أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) ص٥٤٩. ط٢.

نزِق

النَّزَق من فصيح العَوَامّ لفظًا ومعنًى بِلا خِلاف ولم أَجِدْ من الكُتّاب المُعاصِرِيْن مَنِ اهْتَمّ به.. فحينما يَكْتُبُون: فلانُ عَصَبِيُّ المِزَاج ومُتَسَرِّعٌ أو طائشٌ، يَتْرُكُونَ للعَوَامّ أَنْ يَصِفُوا هذا الفُلان بالنَّزَق.

في (أساس البلاغة): رَجُلٌ وَفَرَسٌ نَزِقٌ، وفيه طَيْشٌ وَنَزَق. ونَزَّق فَرَسَه. ضَرَبَه لِيَنْزُوَ.

ومن المَجاز: في كلامه نَزَق: خِفَّةٌ وَسُرْعَة. وَنَزَّقَة النَّعِيم.

وفي (القاموس.. والتّاج.. كاللسان..):

نَزِق الفَرَسُ كسَمِع ونَصَرَ وضَرَبَ [ينزَق وينزُق وينزِق].. نَزْقًا ونُزُوقًا: نَزَا، وكذلك الرَّجُلُ. أو: تقدَّم خِفَّةً وَوَثَبَ.. وأَنْزَقَه ونَزَّقه غيرُه إنزاقًا وتَنْزِيقًا: ضَرَبه حتّىٰ يَنْزُوَ وينزق..

ونزَق: كفَرِحَ وضَرَب [يَنْزَق ويَنْزِق] نَزْقًا ونَزَقًا: طاشَ وخَفَّ عند الغَضَب. وقيل: النَّزَق: خِفَّةٌ في كُلِّ أَمْرٍ وعَجَلَةٌ في جَهْلٍ وحُمْقٍ. ونزق الإناءُ والغَديرُ: امتلأ إلى رَأْسِهِ.

ونازَقا نزاقًا ومُنازَقةً وتَنازَقا: إذا تَشَاتَما كما في (العُباب..)... ومكانٌ نَزِقٌ: قريبٌ.. وأَنْزَقَ الرَّجُل: إذا أَفْرَط في ضحكه وأكثر، وكذلك أَهْزَقَ.. وسَفِهَ بعد حِلْم..

ويُسْتَدْرَكُ عليه: المُنازِق: الكثيرُ الكلامِ.

ونازَقَهُ نِزاقًا: سابَقه في العَدْو، كذا في النَّوادِر.

النِّسوان

على الرّغْم من أنّ حافظًا إبراهيم شاعر النّيل أشار إلى النِّسوان في قصيدته المَشْهُورة التي وصَفَ بها المُظاهَرَة النِّسْويّة ضِدّ الاحتلال؛ والتي مَطْلَعُها:

خَرَج الغَواني يَحْتَجِجْـ
ـنَ وَرُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنَّه

وَوَصَفَ الشّاعرُ أَثَرَ هُجومِ جَيْشِ الاحْتِلالِ على النِّسوان:

فَتَضَعْضَع النِّسْوانُ والنّـ
ـسوانُ لَيسَ لَهنَّ مُنَّه

(والمُنَّة: القُوّة). فإنّنا ما نَزَالُ نجدُ فُصحاءَنا من الكُتّاب المُعاصِرينَ يَكْتُبُون ويَكْتُبْنَ عن النِّساء... فإذا تَحَدَّثُوا وتَحَدَّثْنا شَفَوِيًّا بالعامّيّة الدّارجة قالُوا: النِّسوان؛ كما يَقُول الجميع... وكما هو معروفٌ في كُتُبِ المُعْجَم العَرَبِيّ قَدِيْمِه وحَدِيْثِه.

وفي: ن س و: في (اللسان... والقاموس... والتّاج... ومُحيط المُحيط) وغيرِهم: «النِّسْوَة والنُّسْوَة - بالكَسْر والضَّمّ - والنِّساء والنِّسْوان والنُّسوان: جَمْع المَرْأَةِ من غَيْرِ لَفْظِهِ».

وفي (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) يسوقُ د. عبد المُنْعِم سيِّد عبد العال سِتّة شواهدَ شِعْرِيَّة منها قَوْلُ جَرير بنِ عَطِيَّة الخَطفِيّ:

يا ذا العَباءَةِ إنَّ بِشْرًا قَدْ قَضىٰ
أَلّا تَجُوزَ حُكُومَةُ النّسْوان

النَّشْح

النَّشْح في عامّيّتنا: البُخْل، أو: سوء الرّائحة مجازًا؛ وهو في الفصيح مصدر الفعل نَشَحَ يَنْشَح نَشْحًا ونُشوحًا. ومعناه في الفصيح يحتمل تفسير تَطَوُّرِهِ مَجازِيًّا...

على الاحتمال الظّنّيّ. فالشُّرْب دون الرّيّ والماء القليل يوحِيَان بالبُخل. وكذلك فإنّ النُّشُحَ السُّكارى وقِلّة الماء يوحيان بفَساد الرّائحة التي يوحي بها النَّشْحُ. بمعنى العَرَق... أيضًا. أمّا البُخْل فمن قول «أبي بكر - رضي الله عنه -: نَشَحْتُ المال جهدي» أي «أَقْلَلْت الأخذَ منه» كما في (التّاج... واللسان...).

وفي (القاموس...): «نَشَحَ - كمنع [أي يَنْشَح] - نَشْحًا ونُشوحًا وانْتَشَحَ: شَرِبَ دون الرِّيّ أو حتّى امْتَلَأَ: (ضِدّ). والخَيْلَ: سَقاها ما يَفْثَأُ غُلَّتها. والنَّشُوح: كصَبُور: الماءُ القَلِيل. والنُّشُح: السُّكارى. وسِقاء نَشّاحٌ: مُمْتَلِئٌ نَضّاح» وأزيد من ابن منظور في (اللسان...) والزّبيديّ في (التّاج...):

«... قال ذو الرُّمّة:

فانْصاعَتِ الحُقْبُ لم تَقْصَعْ صرائِرَها
وقد نَشَحْنَ فَلا رِيٌّ ولا هِيَمٌ

وفي حديث أبي بكر: (قال لعائشة - رضي الله عنها -: انظُري ما زاد من مالي فَرُدِّيْه إلى الخليفة بعدي، فإنّي كنت نَشَحْتُها جُهدي) أي أَقْلَلْت من الأَخْذ منها... قال أبو النَّجْمِ يصِفُ الحَمير:

حتّى إذا ما غيبت نَشُوحا

وأوْرَد الجَوْهريّ هذا البيت على النَّشوح: الماء القليل.

وقال: معناه أي أدخلت أَجْوافَها شرابًا غَيَّبَتْهُ فيه وقال الأزهريّ: وسمعت أعرابيًّا لأصحابه: ألا وانْشَحُوا خيلَكُم نَشْحًا، أي اسْقُوها سَقْيًا يَفْثَأُ غُلَّتَها وإنْ لم يُرْوِها؛ قال الرّاعي يذكر ماءً وَرَدَهُ:

نَشَحْتُ بها عَنْسًا تَجافى أَظَلُّها
عن الأُكْم إلّا ما وَقَتْها السَّرائِحُ

والنَّشْحُ: العَرَقُ؛ عن كراع.

وسِقاء نَشّاح: رَشّاح نَضّاح» ا. هـ. ابن منظور.

و(في مقاييس اللغة) «ن ش ح: أصل صحيح إلّا أنّه مختلِفٌ في تفسيره على التّضادّ».

ولم أجد في المراجع الحديثة وبين كُتّاب فصاح العوامّ ما يُساعِفُني على تتبّع تطوّرات هذا الفعل...

نَشَف و(تَجَفْجَف)[١]

في العامّيّات الدّارِجَة تُسْتَعمَل المادّة: (ن ش ف) بما فيها من أفعالٍ مُجَرَّدة وَمَزِيدَة ومُشْتَقّات... فإذا انْتَقَلُوا: إلى لغةِ الكتابةِ الفصيحةِ استبدلُوا بها كلّها الأفعالَ والمُشْتَقّاتِ من المادّة: (ج ف ف) التي لا يَسْتَعْمِلُها عوامُّنا إلّا في مِثْلِ التّعبير المَجازيّ الوارِد في قولهم. على سبيل المثال -: (تَجَفْجَفَ علينا فلانٌ وتناشَفَ معنا، فهو الآن مُتَناشِف ومُجَفْجَف، يُعامِلنا بالرَّسْميَّات، ويَظَلّ مَعَنا على الطَّوِيْل)؛ أي: لا يَوَدُّنا لا يُباسِطُنا، ويَبْقى على الحُدود التي تَفْصِلُ ما بَيْن انْعدام المَوَدَّة وبَيْن ابتداء العَداوة أو قُبَيْل ابتدائِها؛... أو عندَ حدودِ عَدَم التّعارُف... وعدم الرّغبة في توثيقِ العِشْرَة... الخ...

وفي كُتُبنا المَدْرَسيّة، وفي غيرها من الكتُب والكِتابات الحديثةِ تجدُ الأحاديث تستفيضُ في موضوع: جَفاف بيئاتنا الصّحراويّة، ولا أكادُ أتذكّر كاتبًا مُحْدَثًا استعمل (النَّشَف) أو ما في مادّة مُشتقّاته الوارِدة في العامّيّة الدّارجة على الألْسُن دونَ الأقلام والوَرَق... وكم أتعبَ أساتذتُنا أنفُسَهم وأتعبُونا منذُ طفولتنا وهم يعلِّمُوننا كيف نستبدلُ بِلَزِقَ: لَصِق، وَبِهَنْدَزَ: هَنْدَس، وببرْد قارِص: قارسٍ، وبِنَشِفَ: جَفَّ... و... بكلِّ ما هو عامّيّ دارِجٌ من فصاح الألفاظ فصاحًا أُخَر تبتعد بنا عن كلّ ما هو حيّ على الألْسنة من فصاحنا... من غير أنْ يتثبّتُوا من دقّة الاختيار وصوابه ومقدار مُوافَقَته المَقصود من التّعبير! أوَليست هذه الجهودُ التّربويّة والتّعليميّة المَهْدورة طاقةً ثمينةً تَسْتَحِقّ التّرْشيد؟ فالمعجماتُ وكُتُب اللغة تتناقَلُ مادّة: النّشف وممّا يدلّ على ما كان ذُكِر[٢] من الجَفاء بَيْن المُثَقَّفين وبينَ المُعْجَم أنّ مِنْهم مَنْ ظنّ العامّيّة المُبْتَذَلَة الرَّديئة في لغةِ جبران خليل جبران لأنّه قال في قصيدته (المواكب) التي غنّت منها فيروز:

هَلْ تَحَمَّمْتَ بِعِطْرٍ
وَتَنَشَّفْتَ بِنُورْ

وأذكرُ أنّي أَرَيْتُ الذي زَعَم هذا نَيِّفًا وعشرين مُعجمًا من تالدٍ وطريفٍ لم تَخْلُ كلّها من النَّشَف والتَّنْشيف أفعالًا ومُشْتَقّات... وسأَلْتُه أكانَ قرأَ في كتاب لُغَويّ ما حُكْمًا أو خِلافًا على عامِّيّة هذا التّعبير أو انتقاصًا من فصاحته؟ وهو يقول: لو قال: وتَجَفَّفْتَ بنُوْر، لَمَا اختلف الوَزْن!...

وأحمد رضا مُؤَلِّف كتاب (رَدّ العامّيّ إلى الفصيح) لم يكتبْ فيه عن النَّشَف، وإنّما فصّل القولَ في هذه المادّة في مُعْجَمه (متن اللغة) ولٰكنّه لم يُفْرِدْ لها حاشيةً من الحواشي التي كان يُخَصِّصُها لِعَلاقة العامّيّ بالفصيح أو الصّلة بينهما، وهي الحواشي التي بَدَأَت منها فكرة كتابه (ردّ العامّيّ...)، فكأنّه يجدُ فصاحةَ هذه المادّة: ن ش ف بديهيّة مُشْهورة ومَفْرُوغًا منها فلا تحتاجُ إلى أنْ تذكر في فصيح العامّيّ الذي يذكر منه ما قد يُجهل أو يُلْتَبَس - فقط - منه عليها. ولٰكن د. عبد المنعم سيّد عبدالعال من بعده وَجَدَ الحاجةَ إلى ذِكْرِ فصاحةِ هذه العبارة العامّيّة الدّارجة وتراكيب

(١) عدلت ممّا نشر في مجلة (التراث العربي) الصادرة بدمشق في صفر ١٤٠٨هـ تشرين الأول اكتوبر ١٩٨٧ - السنة الثامنة العدد ٢٩ ص٢٠١ - ٢٠٥.

(٢) انظر في فقرة بعنوان: (الجفاء بين المثقفين وبين المعجم) في مقالة بعنوان: (التربية اللغوية والمعجم المدرسي) في مجلة (المعلم العربي) التي تصدرها وزارة التربية العربية السورية بدمشق: العدد الثاني للسنة التاسعة والثلاثين سنة ١٩٨٦م. ص ٧٣. وكذلك فقرة بهذا العنوان في مقدمة هذا المؤلّف.

مادّتها وإلى وُرودها في (القاموس...).

ما الذي دَفَعَ هؤلاء المُثَقَّفين إلى اختيارِ الجفافِ دون النَّشف... في الكتابة دون اللفظ؟

خطر ببالي أوّلًا أنّ النَّشف وأُسْرَة مُشْتقّاته ممّا لم يَرِدْ في القرآن الكريم. ولكنّي لم أجدْ فيه الجفافِ وأُسْرَة مُشْتَقّاته أيضًا، فقد لاحظت أنّ الذِّكْر الحكيم يَسْتعمل (اليَبَس) كما في قوله - عَزَّ مِن قائِل وَجَلَّت قُدْرته ﴿ولا رَطْبٍ ولا يابِس﴾ السّورة ٦ الأنعام: الآية ٥٩ . وقوله -: ﴿طَرِيْقًا في البَحْرِ يَبَسًا﴾ السّورة ٢٠ طَهَ: الآية ٧٧. وقوله: ﴿وَأُخَرَ يابِسات﴾ السّورة ١٢ يُوسف: الآية ٤٣ و٤٦.

وقد يَرِد فيه التّعبير عن ذَهابِ الماء مثل: ﴿وَغِيضَ الماءُ﴾ السّورة ١١ هُود: الآية ٤٤. وقوله: ﴿إنْ أَصْبَحَ ماؤُكُم غَوْرًا﴾ السّورة ٦٧ المُلْك: الآية ٣٠.

فَلأُغَيِّر وِجْهَةَ البَحْث، ولْأسأَلْ: أَيّهما أدقّ وأوفق تعبيرًا؟ وللإجابة نحتاجُ إلى دراسةٍ لُغَويّة تقومُ على المُوازنة بَيْن مَعْنَيَيْهما واستعمالاتهما وهي موازنةٌ لَسْتُ واجدًا إيّاها جاهزةً حاضرةً في كُتُبِ اللغة ومُعجمات الألفاظ أو المعاني المُتوافرة، قديمةً أو مُعاصِرة، ولٰكنْ عَلَيَّ أن أعرضَ للقارئ النُّقولَ المُتاحَة في مَظَانّها من المَراجع اللغويّة؛ لِقَصِّ الموازنة المنشودةِ وتفصيلها وتجهيزها، ما أَمْكَنَ... فلقد خابَ أملي، حتّى في مُعجمات المعاني التي تُفَصّل القول في درجات المَحَبَّة - مثلًا - وتضع التَّسْميات لكُلِّ نَوْع أو درجةٍ من مِثْل هذا الفعل، ممّا جعلني أُطِيل النَّظر فيها: بَدْءًا من: (فِقْه اللغة) للثّعالبي، وإلى (الألفاظ الكتابيّة) لعبد الرحمن بن عيسى الهَمَذاني، و(التّلخيص في معرفة أسماء الأشياء) لأبي هلال العسكريّ، و(كتاب النّوادر) لأبي مِسْحَل الأعرابيّ، و(المُخصّص) لابن سِيْدَه الذي لَفَتَ نظري إلى أنّه خصّص عُنوانًا من عناوينه ل (نُضُوب الماء ونَشَفه)، ولم أكتفِ بهذا فخرجت إلى بعضِ مُعجماتِ المعلوماتِ العامّة (كالكلّيّات) لأبي البقاء أيّوب بن موسى الكَفَوِيّ... مثلًا...

... ولٰكنْ... بلا طائل...

وَعُدْتُ ألجأُ إلى كُتُب اللغة ومُعْجمات الألفاظ، أضعُ ما كَتَبُوا في (ن ش ف) وأوازِنُ وأقرنُ مع ما في (ج ف ف) وأعرض للقارئ قول أحمد بن فارس، من أقدمِ عُلماء فقهِ اللغة في (مُعجم مقاييس اللغة): «النّون والشّين والفاء أصل صحيحٌ يَدُلّ على وُلوجِ نَدًى في شيء يأخذه. منه: النَّشْف: دخولُ الماء في الثَّوْب والأَرْض حتّى ينتَشِفاهُ. والنِّشْفَة: حجر، سُمِّيَتْ لانتشافها الوَسَخَ عن مَواضِعِه. والجَمْع: النَّشَف. ويُقال إنّ النَّشْف في الحِياض كالنَّزْح في الرَّكايا. والنّاقةُ تُدِرُّ قبل نِتاجها ثمّ تذهب دِرَّتُها: مِنشافٌ ونَشُوف. [وله فيه قبله في الجيم]:

جفّ: الجيم والفاء أصلان: فالأوّل قولك: جَفَّ الشّيء جُفوفًا يَجِفّ. والثّاني: الجُفّ جُفّ الطَّلْعة، وهو وِعاؤُها. ويُقال: الجُفّ شيء يُنْقَر من جُذوعِ النّخل. والجُفُّ: نِصْفُ قُرْبَةٍ يُتَّخَذ دَلْوًا. وأمّا قَوْلُهم للجماعة الكثير من النّاس: جُفّ... فهو من هذا...... فكأنّ الجَماعة مَجْمَع مَن يأوي إليها.

فأمّا الجَفْجَف: الأرضُ المرتفِعة فهو من الباب الأوّل؛ لأنّها إذا كانت كذا كان أَقَلَّ لِنَداها...».
قلت: ولعلّ (جَفْجَفَة المُجَفَّف) لدى عوامِّنا مُتَطَوّرة من هذا مَجَازيًّا إلى تَرَفُّع المُتَرَفّع الذي تَقِلّ مَوَدَّتُه ويَتَزايَدُ جَفاؤه. وأَدَعُ الجُفّ...

لأعودَ إلى النَّشْف في (لسان العرب): «نَشَفَ الماءُ يَبِسَ.. ونَشِفَتْه الأرضُ نَشْفًا. والاسم: النَّشَف. وَنَشَفَ الماء يَنشِفه نَشْفًا ونِشفة: أخَذَه من غدير أو غيره بِخِرْقَة أو غيرها...

... وفي حديث طَلْق: أنّه - عليه السّلام - (قال لنا: اكْسِروا بِيعتَكم وانْضحُوا مكانها واتَّخِذُوه مَسْجِدًا، قلنا: البلد بعيدٌ والماء يَنْشَف)؛ قال ابن الأثير: أَصْلُ النَّشْف دخول الماء في الأرض والثوب... وفي حديث عَمّار: (أتى النبيَّ - صلّى الله عليه وسلّم - فَرَأىٰ به صُفْرة فقال: اغْسِلْها، فذهبتُ فأخذت نَشَفَة لنا فَدَلَكْت بها على تلك الصُّفْرَة حتّى ذَهَبَتْ) قال: النَّشْفة: بالتَّحريك وقد تُسَكَّن، واحدةُ النَّشَف وهي حجارة سُوْدٌ كأنّها أُحْرِقَت بالنّار، وإذا تُرِكَتْ على رأسِ الماء طَفَت ولم تَغُص فيه وهي التي يُحَكّ بها الوَسَخ عن اليَدِ والرِّجل... والنَّشْفَة: الصُّوفة التي يُنَشَّف بها الماءُ من الأرض. الصِّحاح: والنَّشّافة: التي يُنَشَّف بها الماء. وفي الحديث: (كان لرسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - نَشّافة يُنَشّف بها غُسالة وَجْهِه) يعني مِنديلًا يَمْسح به وُضُوءه...».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «نشَف الماء ينشُف نَشفًا: ذهب [كما في (أساس البلاغة)] وهَلَك. والثّوبُ العرقَ: شَرِبه... ونَشِفَ الثّوبُ العَرَق والحوض الماءَ... والعامّة تقول: نَشِفَ الثّوبُ؛ أي: جَفَّ عن بَلَلٍ كان فيه. وَتَنَشَّف الرَّجُلَ: مَسَحَ الماءَ عن جسدِهِ بِخِرْقَةٍ ونحوها... والعامّة تقولُ: خُبْزٌ ناشِفٌ؛ أي: بلا أدم...».

وفيه، وفي (المعجم الوسيط) و(المعجم المدرسيّ): «المِنْشَفَة: ما يُنَشَّف به الماءُ. والمِنْشَفَة: فُوْطة يُنَشَّفُ بها الوَجْه واليدَان ونحوهما... (مج) [أي: بقرار مَجْمَع القاهرة]. جَمْعُها: مَناشف».

نَطَر النّاطور

في (أساس البلاغة): «فَزِعُوا منه فَزَعَ العَصَافير، من أيدي النَّواطِيْر؛ قال ابنُ دُرَيْد: هو بالظّاء من النَّظَر، ولٰكنّ النَّبَط يَقْلِبُون الظّاء طاءً...»

وفي (اللسان... والقاموس... وتاج العروس...) ع ر ز ل:

«العِرْزال أيضًا مَوْضِعٌ يَتَّخِذُه النّاطِرُ والنّاطُور في أطرافِ النَّخْل وفَوْق أَطْرافِ الشَّجَر... وسَقِيْفَةُ النّاطُور تُسَمّىٰ عِرْزالًا».

قُلْتُ: ذَكَرْت هذا النَّصّ تحت عنوان: العِرْزَال. وقُلْت، وانْظُرْ في ن ط ر. في: (اللسان...): «النّاطِرُ والنّاطُورُ من كلامِ أَهْلِ السَّوَاد: حافِظُ الزَّرْعِ والتَّمْرِ والكَرْمِ، قال بعضُهم ليسَتْ بعربيّة مَحْضَة، وقال أبو حنيفة: هي عربيّة؛ قال الشّاعر:

ألا يا جارَتا بِأُباضَ، إنّي
رأيتُ الرّيحَ خيرًا منك جارا
تُغَذِّينا إذا هبَّتْ علينا
وتملأُ وَجْهَ ناطِرِكم غُبارا

وجَمْعُ النّاطر نُطّارٌ ونُطراءُ، وجَمْع النّاطور نواطير، والفِعْل النَّطْر والنِّطارة، وقد نَطَرَ يَنْطُر ابن الأعرابيّ: النَّظْرة: الحِفْظ بالعَيْنَيْن، بالطّاء، قال ومنه أُخِذَ النّاطور».

أمّا (القاموس...) فعدّه أعجميًّا ولٰكنّ شارِحَه الزّبيديّ في (التّاج...) أعادَهُ إلى النّظر اعْتِمادًا على ما نَقَلَه الزّمخشريّ في (الأساس...) عن ابن دُرَيْد صاحِب (الجَمْهَرة في اللغة) وهو تعديل (... العَيْن) للخَلِيْل، ففي (التّاج...) «ب ر ط

ل: ألَا تراهُم يقولُون: النّاطُور وإنّما هو النّاظُور» وفي: ن ط ر من (التّاج...): «... وقال الأزهريّ: رأيْتُ بالبَيْضاء من بلادِ بني جُذَيْمَةَ عَرَازِيْلَ سُوِّيَت لِمَنْ يَحْفَظُ ثَمَرَ النَّخِيْل وَقْتَ الصّرام فَسَأَلْتُ رجلًا عنها فقال: هي مظَالّ النَّواطير... والنَّطْر والنِطَارة؛ الفِعْل الأخير عن الصّاغانيّ وقد نَطَرَ يَنْطُرُ... والنُّطَّار – كَرُمّان – الخَيَال المَنْصُوب بَيْن الزَّرْع، قاله الصّاغانيّ». قلتُ: سَمِعْتُ من يَدْعُو النُّطَّار: الفَزّاعة. وقَرَأْتُ عنه باسْمِ حارسِ البُسْتانِ، وسَمِعْتُهم يُسَمُّونَهُ في مَسْرحِيَّة: (المَحَطَّة) للرَّحباني وفيروز: (خيال صَحْرَة).

ومن الفِعْل نَطَر؛ في عصرنا قال أحمد رضا العامِليّ مُعَقِّبًا في (ردّ العاميّ إلى الفصيح): «فَيَظْهَرُ... أنّها عَرَبيّة النِّجار. والقَوْل بأنّها سواديّة نَبَطِيّة أيْ يَسْتَعْمِلُها الأنباطُ لا يَدْفَعُ عُروبَتَها. وما العربيّة والنّبطيّة إلّا أُخْتانِ لِأُمٍّ واحدةٍ. وربّما كانت النّاطُور لغةَ الأُمِّ فَأَخَذَها منها ابْنتاها على السّواء».

قلتُ: وقد وَرَدَ الفِعْل نَطَر يَنْطُرُ والنّاطُور والنّاطِر والنُّطّار، في (المُعْجم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة، وفي المُعْجَم المَدْرَسِيّ لمحمّد خير أبي حرب ووزارة التّربية السّوريّة بدمشق. وقَبْلَهُما اسْتَشْهَدَ البُسْتانيّ في (مُحيط المُحيط) أيضًا بقَوْل ابنِ القطّاع في (كتاب الأفعال): «نَطَر نَطْرًا بِطاءٍ مُهْمَلَة: حَفِظ الكَرْمَ».

ولٰكنّ أحمد أبو سعد في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة) يقول: «واللّفْظ مُعَرَّب قديمٌ من اليونانيّة (نخلة: غرائب اللغة العربيّة ط. بيروت سنة ١٩٦٠م الصفحة ٢٠٨) وربّما كان من أَصْلٍ ساميّ مُشْتَرَك... ومن أقوالهم: (بدّك تأكل عِنَب ولّا تقتل النّاطور؟) وهو يُقال من الخَلْط بين الغاية والوسيلة».

واستفصحه محمّد العدنانيّ في (معجم الأغلاط اللغويّة المعاصرة) على ثلاثة أوجه: النّاطور والنّاظور والنّاطر، ثمّ استأنس ببيت المتنبّي:

نامَتْ نَوَاطِيْرُ مِصْر عَنْ ثَعَالِبِها
فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيْدُ

نَطّ

عوامّنا في الشّام ومصر وغيرِهما يستعملُون الفِعْل (نَطَّ يَنِطّ نَطًّا) بمعنى وَثَب وقَفَزَ واعْتلى عُلُوًّا وتَبَاعَد بعيدًا. وتحدّث في مَوْضوعات لا رابطَ بَيْنها فنطّ من موضوع إلى آخر...

و(المعجم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة يثبّت هذه المعاني المُسْتَعْمَلَة في العامّيّات على أنّها فصيحة تامّة الفَصَاحة فلا يَسِمُها بِوَسْم المُوَلَّدة ولا المُحْدَثَة إلّا في تَسْمِيَة ضَرْب من الْجَراد (النَّطّاط) فهي (مُحْدَثة). وفيه: «نَطّ يَنِطُّ نَطًّا ونطيطًا: وَثَبَ. ونَطَّ في الأرض: ذهب فيها. ونطّ في مَنْطِقِه: هذر. فهو نطّاط. ونَطَّ الشّيء يَنُطُّه نطًّا: مَدَّهُ أو شدّه.

سَفَرٌ أَنَطُّ: بعيد... وعقبة نَطّاء: بعيدة. النَّطّاط: المِهْذار الكثير الكلام... نَطْنَطَ الشّيءُ: بَعُدَ. وتَنَطْنَطَ: تباعَدَ والنُّطْنُط والنَّطْناط: المديد الطّويل...»

قُلْت: أخذ د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) بمعنَيَيْن القفز والذّهاب. وأخذ أحمد رضا بمعنى نطّ القَفْز والوَثْب فقط في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح). وَذَكَرَ الأمير أَرْسَلان عِدَّةَ مَعانٍ لِلنَّطِّ والنَّطْنَطَةِ في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل).

قلت: ووجدت هذه المعاني التي ساقها (. . . الوسيط) مذكورة كلّها في (القاموس المحيط) إلّا المعنى الأوّل: «نَطَّ وَثَبَ» فلعلّه يُعَدّ تطوُّرًا طبيعيًّا فصيحًا على المَجَاز ممّا في (القاموس. . . واللسان. . .):

«النّطّ: الشّدُّ والمَدُّ والتَّطيط الفِرار والبعيد. . .» الخ. . . ولم أجد في مُعْجَم المجازات: (أساس البلاغة) مادّة التّركيب ن ط ط. . . ولٰكنّي أجد تطوُّر المعنى نحو المَجاز في قَوْل ابن منظور في (اللسان. . .):

«والأَنَطُّ: السَّفَر البعيد، وعقَبة نَطَّاءُ وَأَرْضٌ نَطيطَة: بعيدة. ونَطْنَط الشّيءُ تباعد ونَطْنَطَ إذا باعَدَ سَفَرَه. والنُّطُطُ: الأسفار البعيدة. ونَطَّ في الأرض يَنِطُّ نطًّا: ذهب، وإنّه لَنَطَّاط. ورَجُل نطّاط: مِهْذار كثير الكلام والهَذْر؛ قال ابن أحمر:

فلا تَحْسَبَنّي مُسْتَعِدًّا لِنَفْرَةٍ

وإنْ كنت نَطّاطًا كثير المَجاهِلِ

ورَجُل نَطْناط: طويل، والجمع النَّطانِط. . .

وفي حديث أبي رُهْم، سأله النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – عمّن تَخَلَّف من غفار فقال: (ما فعل النَّفر الحُمْر والنَّطانِط؟) ويُرْوى. . . [الخ. . .] ونَطْنَطْتُ الشّيءَ: مَدَدْتُه».

وفي العصر الحديث يقول البُستانيّ في (محيط المحيط).

«. . . والعامّة تستعمل النّطّ للقَفْز أيضًا. . .». ولَعَلّ الذي يعدّ نطّ القَفْز فصيحًا قبل البُستانيّ بقَرْن أو أقلّ، أي قَبْله بسَبْعة عقود هو الزّبيديّ ففي (تاج العروس. . .): «النّطّ: الشّدّ يُقال نطّه وناطَهُ نَوْطًا و. . . وممّا يُسْتَدْرَك عليه: النَّطناط: المِهْذار. والنّطّاط – كشدّاد – الكثير الذّهاب في الأرض والقَفّاز والوَثّاب، والذي يَدّعي بما ليس فيه إنّما يَتَحامل تكلُّفًا، وهو مَجاز. وقول العامّة: نطّيت أصله: نَطَطْت إذا قَفَزَ في هوّة من الأرض».

نَعَمْ

في مَرْكَز وِلايَة (القبائل الكُبرى) إحدى ولاياتِ الجزائر، أيْ في مدينة تيزي أوزو وَجَدْتُهم يَسْتَبْدِلُون بعبارة الْجَوابِ بالمُوافَقَة، أيْ بكلمة نَعَمْ، طَقَّ الحَنَك؛ أي: نغمةً تَخْرُجُ من طَرْقِ أعْلىٰ مُقَدِّمَةِ اللِّسانِ بمُقَدِّمةِ الفَكِّ العُلْويِّ ثمّ السُّفليِّ. . . حتّى توهّمْتُ، في البِدَاية، أنّهم يَسْخَرُون، فإذا هم جادّون في إعطاءِ هذه الطَّرْقَةِ مَعنىٰ: (إيْ نَعَمْ) كما يَقُولُ أهلُ الجزائر العاصمة، وأمّا أهلُ قُسَنْطِيْنَة والشَّرْقُ الجزائريّ فيقولون (هيه) ويَمُدّون الياء، وفي وَهْدان والغَرْب الجزائريّ يقولون (وا) بمعنى نعم، وهي جُزْءٌ من عِبارة المغارِبَة (وَخّا)، ونَعْلَمُ أنّهم في دمشقَ يقولُون (إي) ياؤها مُمَالَة، ومُخْتَصَرَةٌ من الفصيحة (إي والله) وفي القاهرة (أَيْوَه) وهذه تقالُ أحيانًا عندنا في الشّام أيضًا[1]. . .

النُّغْنُغة

(النّغنغة): في عامّيّة الشّام – غير واضحة المعنىٰ، أو مُختلِفة المعاني على ألسنتهم، فقد يقول بعضهم: (فلان يعيش في نَغْنَغَة) ويقصد أنّه يستمتع بالرّغد ولِيْنِ العيش ورفاهيته والابتعاد عن الخُشونة والشّظَف و. . .

و(النَّغنوغ) في عامّيّة الشّام ومصر الضّعيف

(1) [illegible]

الأحمق، وهي في (القاموس...) النُّغْنُغ: الأحْمق الضّعيف.

وفي مصر: اللّغْلوغ وجَمْعُها اللّغاليغ، هي النُّغنُغ: لحمة في الحَلْق (القاموس...) في فصيح التُّراث اللغويّ... بالمعنى ذاته ولٰكنْ في اللفظ إبدال اللام بالنّون، ولعلّ سبب الإبدال أنّه في الفصيح اللّغنون وجَمْعُه اللّغانين بمعنى النُّغْنُغ.

وفي ن غ غ في (اللسان... والقاموس... والتّاج...):

(النُّغْنُغُ، بالضّمّ، والنُّغْنُغة: مَوْضع بَيْن اللَّهاةِ وشَوارِبِ الحُنْجور، فإذا عَرَض فيه داء قيل: نُغْنِغَ فُلان. وقِيْل: النَّغانِغُ لَحماتٌ تكون في الحَلْق عند اللَّهاة، واحدها نُغْنُغٌ، وهي اللَّغانِيْن، واحدها لُغنون؛ قال جرير:

غَمَز ابنُ مُرَّه يا فَرَزْدَقُ كَيْنَها
غَمْزَ الطَّبيبِ نَغانغَ المَعْذور

قال ابن بَرّيّ: واحدة النَّغانغ نُغْنُغة وهي لَحْم أصول الآذان في داخل الحَلْق تُصِيبُها العُذْرَة، ونُغْنِغَ: أصابه داء في النَّغانغ وكلّ وَرَمٍ فيه اسْتِرْخاء نُغْنُغة.

والنَّغْنَغَةُ، بالفتح: غُدَّة تكون في الحَلْقِ...

... ابن برّيّ: والنُّغْنُغ: الحَرَكةُ، قال رُؤْبَة:

فهي تُري الأعْلاقَ ذاتَ النُّغْنُغِ

وفي (القاموس... والتّاج...):

النُّغْنُغ، بالضَّمّ الأَحْمَق الضّعيف، كما في (العُباب...) عن بعضهم، وهي بهاء. وقال ابنُ عبّاد: النّغنغ: الفَرْج ذو الرَّبَلات... وقال ابن فارس: الزّوائد التي في باطن الأُذُنَيْن نغانغ...).

و(أساس البلاغة) ينسب الشّطر الثّاني من بيت جرير إلى الفَرَزْدق فقال: غَمَزَت العاذرةُ نَغانغ الصَّبيّ. قال الفَرَزْدَق: غَمَزَ الطّبيبُ نغانِغَ المَعْذور وهي لحماتٌ عند اللهاة.

النَّفْش

أصول معاني النَّفْش مُشْتَرَكة بين عوامّنا والفصيح؛ ثمّ ولّدُوا منه معنى: الفَخْر أو المَدْح؛ ويرى أحمد رضا في: (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) أنّ الاستعارة العامّيّة: «انْتَفَشَ فلان فهو نافش حاله أو أنّهم يريدُون: نافجًا نَفسَهُ... والنَّفّاج في اللغة: الذي يَتَمَدَّحُ بما ليس فيه من الانْتِفَاخ والارْتِفاع...».

وفي (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) يقول: د. عبد العال: «نقول في دارِجَتنا: نَفَشَ الخُبْزُ في الماء: انْتَشَر وكَبُرَ حجمُه، ونَفَشَ شَعْرَه: نَكَشَه وجعلَه أشْعَثَ...».

وفي (اللسان...): «النَّفَش: الصُّوف. والنَّفْش مَدُّك الصُّوف حتّىٰ يَنْتَفِش بَعْضُه عن بَعْض، وَعِهْنٌ منفوش، والتَّنْفيش مثلُه... ونفَش الصّوف وغيرَه يَنْفُشه نَفْشًا... وفي حديث ابن عبّاس: (... وإنْ أتاك مُنْتَفِشَ المَنْخِرين...)

... ويُقال نَفَشَت الإبِلُ تَنْفُشُ وَتَنْفِشُ ونَفِشَت تَنْفَش إذا تفرّقت فَرَعَتْ بالليل من غير عِلْم راعِيْها؛ الاسْم: النَّفَش... وخَصَّ بعضُهم به دخولَ الغَنَم في الزَّرْع».

وقال المجد في (القاموس المحيط): «النَّفْشُ تَشْعيثُ الشَّيْءِ بأصابعك حتّى ينتشرَ كالتَّنْفيش... والنَفَشُ الصُّوف والخِصب نَفَشْنا نُفوشًا أَخْصبنا... وكلّ مُنْتَبِرٍ رِخْوِ الجَوْف مُنْتَفِشٌ ومُتَنَفِّشٌ وأَمَةٌ مُنْتَفِشَةُ الشَّعْرِ: شَعْثاءُ... وَتَنَفَّشَتِ الهِرَّةُ: ازْبَأَرَّتْ والطّائرُ نَفَضَ ريشَه كَأَنَّهُ يَخاف أَوْ يُرْعَدُ».

وفي (أساس البلاغة): «نفش الصّوفَ والقُطنَ، فانتفش. وانْتَفَشَ الضّبعانُ والدّيكُ وَتَنَفّش، إذا نَفَشَ شعرَه أو ريشَه كأنّه يخاف أو يُرْعَدُ، وانْتَفَشَتِ الهِرّة وَتَنَفَّشَتْ: ازبأرّت، وَأَمَةٌ مُتَنَفِّشَةُ الشّعر. ونَفَشَتِ الغَنَمُ بالليلِ: انْتَشَرت، وأنفشها الرّاعي. قال:

أَجْرِسْ لها يا ابْنَ أَبِي كِبَاشِ
فما لَها اللَّيْلَةَ من إنْفاشِ
غير السُّرَى وسائقٍ نَجَّاشِ

ومن المَجاز: أنفُ مُتَنَفِّش: قصير المارِن مُنْبَسِط على الوَجْه كأنف الزّنْجيّ».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «... والعامّة تقول: نَفَشَ فلانٌ فلانًا أي مَدَحَه فَشَمَخَ بنفسه».

وفي (المُعجم الوسيط) لِمَجْمَع القاهرة: «النَّفّاش: المُتَكَبِّر؛ والنَّفّاش الذي يَفْخَر بما ليس عنده».

النَّقْد

أَنُفاجَأ إذا عَرَفْنا أنّ (النَّقْد) في العامّيّة الدّارجة قديمًا في الشّام، المقصود به مَهْرُ المَرْأة، أيْ صَداقها ممّن يَتَزوّجُها...؟ و«النَّقد إعطاءُ النَّقْد» كما قال عُلَماءُ اللغة... وكما في: (القاموس...): «والنَّقْد: خِلافُ النَّسِيئَة [تأجيل الدَّفْع] وتَمْيِيزُ الدَّراهم وغيرها، كالتَّنقاد والانْتِقاد والتَّنَقُّد. والنَّقْد: إعطاء النَّقْد. والنَّقْر بالإصْبَع في الجَوْز. وأنْ يَضْرِبَ الطّائرُ بِمِنْقارِه في الفَخّ. والوازِنُ من الدَّراهم واختلاسُ النَّظَرَ نحوَ الشَّيْء وَلَدغ الحَيَّة...».

وأصْلُ المعنى في (مقاييس اللغة): «ن ق د: أصْلٌ صحيح يَدُلُّ على إبْراز شَيْءٍ وبُروزِه، من ذلك: النَّقْدُ في الحافِر، وهو تَقَشُّره. حافِرٌ نَقِدٌ: مُتَقَشِّر. والنَّقَد في الضِّرْسِ: تَكَسُّرُهُ، وذلك يكون بِتَكَشُّفِ لِيْطِهِ عنه.

ومن الباب: نقد الدِّرهم... ودِرْهَمٌ نَقْد: وازن جيّد؛ كأنّه قد كُشِفَ عن حالِهِ فَعُلِمَ... وممّا شَذَّ عن الباب: صِغارُ الغَنَمِ...».

وكم تَصْغرُ المُفاجأة وتَنْعَدِمُ الدَّهْشَةُ أمامَ ما يُخَبِّئُهُ لك التَّفْكير في التَّطَوُّر اللُّغَوِيّ للنَّقْد... من النَّقْد الماليّ إلى النَّقْد الأدَبِيّ واللُّغَوِيّ والفِكْرِيّ والفَلْسَفِيّ والعِلْمِيّ والفَنِّيّ والاجْتماعِيّ والسِّياسيّ وغيرِ ذلك من أنواع النَّقْد والنُّقُود والانْتِقاد إلى أنْ تَعُودَ إلى إبرازِ النَّقْدِ الأصْلِيّ الذي يَظَلّ يَطْرُدُه من السُّوقِ إلى الصُّنْدُوقِ نَقْد مُزيَّف، كما نَعْلم... وهل المعنى المادّيّ الحِسّيّ الأصْليّ للنَّقْد من قَوْلِهم في (اللسان...): «ونَقَدَ الطّائرُ الفَخَّ يَنْقُدُه بِمِنْقاره أي يَنْقُرُه، والمِنْقادُ مِنْقارُه، وفي حديث أبي ذَرّ: كان في سَفَر فَقَرَّب أصْحابُهُ السُّفْرَةَ ودَعَوْه إليها، فقال: إنّي صائم، فلمّا فَرَغُوا منها جَعَلَ يَنْقُدُ شَيْئًا من طَعامِهم، أيْ يأْكل شَيْئًا يَسِيرًا [وهذا المعنى أيضًا ممّا يَرِدُ في عامّيّة الشّام، فهو يَنْقُدُ الطّعام بِيَدِه...].

وهو منْ نَقَدْت الشَّيْء بإصْبَعي أَنْقُدُه واحدًا واحدًا نَقْدًا الدَّراهم... ونَقَدَ الطّائِرُ الحَبّ يَنْقُده إذا كان يَلْقُطُه واحدًا واحدًا وهو مِثْلُ النَّقْر [وهذه أيضًا في عامّيّة الشّام].

ومنه حديثُ أبي هُرَيْرَة (وقد أَصْبَحْتُم تهذِرُون الدُّنيا، ونَقَدَ بإصْبَعِه أيْ نَقَرَ) وتَهْذِرُون: تَتَوسَّعُون فيها ونَقَدَ الرَّجُلُ الشّيءَ بِنَظَرِهِ... ونَقَدَ إليه: اخْتَلَسَ النَّظَرَ نَحْوَه... والإنسانُ يَنْقُد الشَّيءَ بِعَيْنِه وهو مخالَسَةُ النَّظَر لئلّا يُفْطَنَ له».

وفي (أساس البلاغة):

«نَقَدَه الثَّمَنَ، ونَقَدَ له فانْتَقَدَهُ... ونُقود جِياد وتُنوقِدَ الوَرِق، قال:

كما تنوقِدَ عند الجَهْبَذِ الوَرِق[1]

... وَنَقَدْت رأسَه بإِصْبَعي نَقْدَةً. قال خلَف بن خليفة:

وأرْنَـبَـة لـك مُـحْـمَـرَّة
تـكـاد تُـقَـطِّـرهـا نَـقْـدَة

ومن المَجَاز: هو من نُقّادة قَوْمه: من خيارهم. ونَقَدَ الكَلامَ وهو من نَقَدَةِ الشِّعْر ونُقّادِه. وتقولُ: هو أشبهُ بالنَّقاد [صاحب صِغَار الغَنَم] منه بالنُّقاد، من النَّقَد والنَّقْد. وتقولُ: النَّقَدَة إليهم كأنّهم النَّقَد وقد عاثَ فيها الذِّئب الأعقد... وهو يَنْقُدُ بِعَيْنِه إلى الشَّيْء: يُدِيْم النَّظَر باخْتِلاسٍ حتّى لا يُفْطَنَ له، وما زال بَصَرُه يَنْقُد إلى ذلك نُقودًا: شبّه بِنَظَرِ النَّاقد إلى ما يَنْقُدُه».

وللبُستانيّ في (مُحيط المُحيط):

«... ونَقْدُ العَروسِ لِصَدَاقها من كلام بَعْضِ العامّة».

النِّقار والمُناقَرة والنَّقْر والتَّنْقير

في مادّة الجَذْر: ن ق ر: نكادُ نجدُ في عامّيّتنا الدّارجة أغْلَبَ المعاني الكثيرة المُتَخالِفَة التي وَرَدَت في كُتُب اللُّغة كما في (لسان العرب) لابن منظور مَثَلًا:

«.. ونَقَرَ الرَّجُلَ يَنْقُرُه نَقْرًا: عابَه وَوَقَعَ فيه، والاسْم النَّقَرىٰ، قالَتِ امْرَأَةٌ في العَرَب لِبَعْلِها: مُرَّ بي على بَنِيْ نَظَرى ولا تَمُرّ بي على بنات نَقَرى: أيْ: مُرَّ بي على الرِّجالِ الذين يَنْظُرُونَ إليّ ولا تَمُرّ بي على النّساء اللّواتي يُعِبْنَني، ويُروىٰ: نَظَّرى ونَقَّرَى: مُشَدَّدَيْن. ويُقال إنّ الرّجال بنو النَّظَرى وإنّ النّساء بنو النَّقَرى أيْ: مرّ بي على مَنْ يَنْظُرُ إليّ ولا يُنَقِّر.

وفي حديث أبي ذَرّ: (.. فلمّا فَرَغُوا جَعَلَ يَنْقُرُ شَيْئًا من طَعامِهِم)؛ أي: يَأْخُذُ منهُ بإِصْبَعِه.

والمُناقَرَة: المُنازَعَة، وقد ناقَرَهُ: أيْ نازَعَهُ.

والمُناقَرَة: مُرَاجَعَةُ الكَلام، وبَيني وبَيْنَه مُنَاقَرَةٌ ونِقَار وناقِرَة ونِقْرَة: أيْ: كَلَامٌ. ويُقال: ما أَثَابَه نَقْرَةً: أيْ شَيْئًا، لا يُسْتَعْمَل إلّا في النَّفْي.. وجاء في الحديث: متى ما يَكْثُر حَمَلَةُ القُرآن يُنَقِّروا، ومتى ما يُنَقِّروا يَخْتَلِفُوا.

والتَّنْقِيْر: التَّفْتِيْشُ والبَحْث..

والمُناقَرَة: مُراجَعَةُ الكلامِ بَيْن اثْنَيْنِ وبَثّهما أحاديْثَهما وأمورَهما. ورَمَىٰ الرّامي الغَرَض فَنَقَره: أيْ: أصابَه ولم يُنْفِذْه، وهي سِهامٌ نواقِرُ. ورَماهُ بِنَواقِرَ: أيْ: بكَلِمٍ صَوائِب.

ورَجُلٌ نقّار: مُنَقِّر عن الأمورِ والأَخْبار.

ونقّر باسْمِه: سمّاه من بَيْنِهم، وَخَصَّهُ.

وإذا ضَرَبَ الرَّجُل رأسَ رَجُلٍ قُلْت: نَقَرَ رأسه.

والنَّقْر: صَوْت اللِّسان وهو إِلْزَاقُ طَرَفِهِ بِمَخْرَج النُّون ثمّ يُصَوَّتُ به فَيَنْقُر بالدّابّة لِتَسِيْر، وفي الصِّحاح: نَقَرَ بالفَرَس.

والنَّقْر أن يَضَعَ لِسَانَه فَوْق ثَناياهُ ممّا يَلِيْ الحَنَك ثمّ يَنْقُر. والنَّقْر صُوَيْتٌ يُسْمَع من قَرْعِ الإبهام على الوُسطىٰ».

والنُّقْرَة في القَفَا، والوَهْدَةُ المُسْتَدِيْرَةُ في الأَرْض.. ونُقرَةُ العَيْن: وَقْبَتُها، والنُّقْرة: السَّبِيْكَةُ من الذَّهَب والفِضّة.

والنَّقّار: النَّقّاش الذي يَنْقُشُ الرُّكُبَ واللُّجُمَ،

(١) الوَرِق: الدّراهم المضروبة: (القاموس...). أو: الفِضّة: (... الوسيط).

ونحوَها، وكذلك الذي يَنْقُر الرَّحَىٰ. والنَّقْرُ الكتاب في الحَجَر.

وَنَقَرَ الطّائر في المَوْضع: سَهَّلَهُ لِيَبِيْضَ فيه، قال طَرَفَة:

يـا لَـكِ مـن قُـبَّـرَةٍ بِـمَـعْـمَـرِ
خَلا لَكِ الجَوُّ فَبِيْضِي وَاصْفِرِي
وَنَـقِّـرِي مـا شِـئْـتِ أَنْ تُـنَـقِّـري

وقِيْل: النَّقِيْر مِثْلُ الصَّغِيْر. والمُنْقُرُ: الحَوْض وكذلك النُّقْرة: حُفْرَة يَسْتَنْقِعُ فيها الماء.

والنَّقْرُ ضَرْبُ الرَّحَىٰ والحَجَر وغيره بالمِنْقار وهو حَدِيْدَةٌ كالفَأْس يُنْقَرُ بها، وَنَقَرْتُ الشَّيْءَ أَنْقُرُهُ: ثَقَبْتُه، ومِنْقار الطّائر و.. مِنْقَار النَّجّار والْجَمْع مَنَاقِيْر. والمِنْقَر: المِعْوَل؛ وفي الحديث أنّه «نُهِيَ عن نَقْرَة الغُراب؛ يُرِيْد تَخْفِيْفَ السُّجود وأنّه لا يَمْكُثُ فيه إلّا قَدْرَ وَضْعِ الغُرَابِ مِنْقارَه فيما يُريد أَكْلَه..».

قُلْت: ما تَخَيَّرْت إلّا ما لا يزالُ على أَلْسِنة العامّة إلى اليوم، وقد تَجِدُه في أَغْلَبِ المَعاجِمِ (كالقاموس.. وأساس البلاغة.. والمِصْباح..).

وفي (تاج العروس..):

.. ومن المَجاز: نَقَّر باسْمِه تَنْقِيْرًا: سَمّاه من بَيْنِهم. وكذلك انْتَقَرَهُ إذا سَمّاهُ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ..

والتَّنقيرُ عن الأمر: البَحْثُ عنه والتَّعَرُّف..

ونَقِرَ عليه - كفَرِح - يَنْقَرُ نَقَرًا: غَضِبَ..

ونَقِرَت الشّاة نَقَرًا: أَصابَتْها النُّقَرَة - كَهُمَزَة - وهي داء.. [قُلْتُ: كأنّه الدّاءُ الذي تُسَمِّيْهِ عامَّتُنا: النَّقْرَزان؟!].

وممّا يُسْتَدْرَك عليه: نَقَرْتُ الشَّيْء: ثَقَبْته.. وإذا ضَرَبَ الرَّجُلُ رَأْسَ رَجُلٍ. قُلْت: نَقَرَ رَأْسَهُ، وكذا العُوْدَ والدَّفَّ بإصبَعِه.. والنَّقِيْر كأمير اسْمُ ذلك الصَّوْت..

وأصْلُ النَّقْر في (مقاييس اللغة) لابن فارس:

«أَصْلٌ صحيح يَدُلّ على قَرْع شَيْءٍ حتّى تُهْزَم فيه هَزْمَة، ثمّ يُتَوَسَّع فيه..».

وقد كَتَبَ أحمد رضا العامِلِيّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) سِتَّ عباراتٍ من فصيح العَوَامّ فيها:

النِّقار: مَصْدَر: ناقَرَه مُناقَرَةً، وَنَقَّرَ عليه، والنِّقارَةُ: النِّفايَةُ. والنَّقِيْر، والنَّقّار. والنَّقّارات.

وفي مصر أيضًا كَتَبَ د. عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة). عن الفعل نَقَّرَ، وعن النُّقْرة وعن النِّقّار.

نَقْزٌ مِن داء النُّقّاز (وليس النَّقْرَزان)

النَّقْز والتَّنْقيز بمعنى القَفْز والوَثْب والنّطّ من فصيح العَوَامّ المُتَفَشّي في كَلامهم فَيَتَجَنّبه الكُتّاب الفُصحاء والمُعاصِرُون، على أنّ أَحْمَد رِضا قَرَّرَ فَصاحَةَ النَّقْزَة؛ وقال في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «وَنَقَزَ وَقَفَزَ مِن وادٍ واحد».

أمّا داء (النَّقْرَزان) في العامّيّة فلعلّه من زيادة راءٍ على بِناءِ المَصْدر: النَّقْرزان لتوكيد المعنى، والفصيحُ منه: داء النُّقاز الذي يُمِيتُ الغَنَم كما في (اللسان..)

في (لسان العرب): ن ق ز:

«النَّقْزُ والنَّقَزان كالوَثَبان صُعُدًا في مكان واحد، نَقَزَ الظَّبْيُ، ولم يُخَصِّص ابن سِيْدَه شَيْئًا، بل قال: نَقَزَ يَنْقُزُ وينقِز نَقْزًا وَنَقَزانًا ونِقازًا. ونَقَزَ: وَثَبَ صُعُدًا، وقد غَلَب على الطّائر المُعْتادِ الوَثْبِ كالغُراب والعُصفور. والتَّنْقيزُ: التَّوْثيب.

والنَّقّاز والنُّقّاز كلاهما: العُصفور.. قال عَمْرو ابن بَحْرٍ: يُسَمَّىٰ العُصْفور نَقّازًا: وجَمْعُه النَّقاقيز؛ لِنَقَزانِهِ، أي: وَثْبِهِ إذا مَشى؛ والعُصْفورُ طَيَرانُهُ

نَقزانٌ أيضًا لأنّه لا يسمحُ بالطّيران كما لا يَسْمح بالمَشْي.

وفي حديث ابن مسعود – رضي الله عنه –: (كان يُصَلّي الظُّهْرَ والجَنادِبُ تَنْقُزُ من الرَّمْضاء) أي تَقْفِز وتَثِبُ من شدّة حرارة الأرض. ومنه الحديث: (فرأيتُ عَقِيصَتَيْ أبي عُبَيْدَةَ تَنْقُزانِ وهو خَلْفَه). وقد اسْتُعْمِل النَّقْزُ في بَقَرِ الوَحْشِ قال الرّاجز:

كَأَنَّ صيرانَ المَها المُنَقَّز

والنُّقازُ: داء يأخذ الغَنَم فَتَثْغُو الشّاة منه ثَغْوَةً واحدةً وَتَنْزُوْ وَتَنْقُزُ فتموت، مثل النُّزاء. وقد انْتَقَزَتِ الغَنَم. [قلت لعلّ هذا الذي تسمّيه العامّة داء النَّقْرزان].

والنَّواقز: القوائم لأنّ الدّابّة تَنْقُزُ بها... وكذلك وَقَعَ في شِعْر الشّماخ:

هَتوف إذا خالَطَ الظَّبْيَ سَهْمُها

وإنْ ريغ منها أَسْلَمَتْهُ النَّواقِزُ

وهذه أيضًا رِواية الزّمخشريّ في (أساس البلاغة)، ولٰكنّ النَّفز أيضًا كالنَّقْز وفي (اللسان..) وفي رواية: أَسْلَمَتْه النّوافز (بالفاء) بمعناها.

والنَّقَز، بالتّحريك: الخَسيسُ من الرُّذال من النّاس والمال [قلت: لعلّه لِما يَثِب من هُزاله وخِفَّته]... وأنشد الأصمعيّ:

أَخَذْتُ بَكْرًا نَقَزًا من النَّقَزْ

ونابَ سَوْءٍ قَمَزًا من القَمَزْ

ونَقَزَهُ عنهم: دَفَعَه.. وفي حديث ابن عبّاس: رضي اللهُ عنهما: (ما كان الله لِيُنْقِزَ عن قاتل المؤمن) أي: لِيُقْلِعَ وَيكُفَّ عنه حتّى يُهْلِكَهُ: وقد أَنْقَزَ عن الشّيء إذا كَفَّ وأَقْلَع... وأنقز إذا وَقَعَ في إِبِلِهِ داءُ النُّقاز، وأَنْقَزَ عَدُوَّه إذا قَتَلَه قَتْلًا وَحِيًّا [سريعًا] وأَنْقَزَ الرّجلُ إذا دام على شُرْب النَّقِز، وهو الماء العَذْب الصّافي [قلت: والعامّة تقول عن الماء العذب البارد: إنّه يُنَيْزِّ] وأَنْقَزَ إذا اقتنىٰ النَّقَزَ من رديء المال، ومثله: أَقْمَزَ وأغمَزَ» قلت: جُلّ هذه المعاني يفضي إليها تطوُّر معنى النَّقَزان والوَثَبان وما قارب ذلك أو نَتَج عنه بعلاقة السّببيّة أو غيرها من العلاقات المَجَازيّة بَيْن العبارات في مدارج الاستعمال.. وليس كذلك أصل المعنىٰ لدى ابن فارس في (مقاييس اللغة) وإنّما: «ن ق ز: أُصَيْلٌ يَدُلّ على دِقَّةٍ وخِفَّةٍ وصِغَرٍ». ولٰكنّي أجد ما يؤيّد ابن منظور إذِ الإبْدال واضِحٌ فيما في: (اللسان... ن ف ز) وأنّ الفعل نَفَزَ أيضًا بمعنى وَثَب؛ «وقال ابن دُرَيْد: القَفْزُ انْضِمام القَوائم في الوَثْب، والنَّفْزُ انْتِشارها. وقال الأصمعيّ: نَفَزَ الظَّبْيُ يَنْفِز وأَبَزَ يأبِزُ: إذا نزا في عَدْوه». وانْظُرْ في: أ ب ز: ويرجِّح ما في (اللسان..) على ما في (مقاييس اللغة) في معنى هذا التّركيب ما جاء في (القاموس.. والتّاج..) زيادة على ما ذكر «والتَّنْقيز: التَّرْقِيص؛ يُقال: نَقَّزَت المرأةُ صَبِيَّها: إذا رَقَّصَتْهُ».

في (محيط المحيط) للبُستانيّ: «والعامّة تقول: نَقِزَ فلان، أي: جَفَل».

نَكَشَ(١)

حينما كَتَبَ أحمد رضا عن (نَكَشَ) في كتاب (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) رآها: (مأخوذة من: نقث الأرض بِيَدِه إذا أثارها بفأسٍ أو مِسحاةٍ...) ... فالعامَّةُ جَعَلَتْ نكشَ مكانَ نَقَشَ في الكلام... ثمّ إنّ العامَّة اسْتعملَتْ النَّكْشَ في

(١) [نشرت في مجلّة (المعلم العربي) ص١١٩ من العدد الرابع لسنة سنة١٩٨٨ السنة الحادية والأربعون].

المعاني كما هو في الأعيان فقالُوا: نكّش عن الأمور إذا بَحَثَ عنها ويقولُ صاحب التّاج: (النّكْش = البَحْث في الأمور والنّقب عنها)[١].

ولٰكن حينما ألّف أحمد رضا مُعْجَمه (متن اللغة) ثمّ كِتَابه (ردّ العاميّ إلى الفصيح) سنة ١٩٤٦م = ١٣٦٥هـ، لم يَكُنْ قد طَبَع بعدُ (مُعْجم) أحمد بن فارس (مُعْجَم مقاييس اللغة) فقد طبعه وحقّقه عبد السّلام هارون سنة ١٣٦٦ - ١٣٧٠هـ وقد وَرَد فيه قولُ أحمدَ بنِ فارسٍ: (نكش: النُّون والكاف والشّين كلمةٌ تدلُّ على الأَتي على الشّيء. يُقال: أَتَوْا على عُشْبٍ وَنَكَشُوه. ويقولون: هو بحر لا يُنكش كما يقولون: لا يُنْزَف)[٢].

ولٰكنّ لويس معلوف في (المنجد) يقول: ..ونكشَ الأرضَ يَنْكُشُها: أثارها وقلبها، ويُقال أيضًا نكشها «عامّيّتان»[٣] الذي أورده ابن فارس يختلف، إذًا، عما وَرَد في المعنى الذي عدّه وصاحبُ (المُنْجد) عامّيًّا، فهذا المعنى العامّيّ المُعاصِر فصيح في (المُعْجم المدرسيّ) نَقْلًا عن (المعجم الوسيط) ومُؤَلِّف المَدْرسيّ يذكرُ مصدرَه حين يُلابس فصاحة المادّة أيُّ شَكٍّ.. أمّا (الوسيط) فلا يفعلُ ذلك. وَرَد في (المعجم المدرسيّ) بعنوان (نكش):

(نَكَشَ الشّيء يَنْكُش نَكْشًا: أَخْرَجَ ما فيه، ونكش العُشْبَ: أتى عليه وأفناه. ونَكَشَ الأمر: بحث فيه ونقّب عنه.

المنكوشُ: صندوقٌ منكوشٌ: أخرج ما فيه (ج) مناكيش.

المِنكاش: آلة يُنْكَشُ بها. (ج) مناكيش.

انتكش الشّيءَ: نكشه)[٤]..

يذكر (الوسيط) كلَّ ما نقلَهُ عنه (المدرسيُّ) ويَزيدُ عليه: (المنكش: النّقّاب عن الأمور. النَّكّاش: المنكش)[٥] بقيت في النَّفس منية لم تتحقّق: وهي معرفة المصدر الذي اعتمد عليه (الوسيط).

مُعْجم المَجْمع في مِصْر ومِثْله كذلك (أقرب الموارد) للشّرتونيّ في القول: (نكش الشّيء...: أخرج ما فيه[٦]..)، فالوسيط لا يهتمّ بالتّوثيق وذِكْرِ المَصْدر ولٰكنَّ الرُّجوعَ إلى المُعْجماتِ القديمةِ ومنها (لسان العرب) يدلُّنا على أنَّ هذا المعنى العامّيّ الذي يتبنّاه (الوسيط) و(المدرسيّ) مُتَطَوِّرٌ عن المعنى القديم الذي يذكره ابن فارسٍ وأكثر المعجمات، ويزيد عليها ابن منظور في (لسان العرب) قولَه: (وعنده شجاعةٌ ما تنكش. وقال رَجُل من قريشٍ في عليٍّ بن أبي طالبٍ، رضي الله عنه: عنده شجاعة ما تُنْكَشُ، فاستعاره في الشّجاعة، أي: ما تُسْتَخْرَج ولا تنزف لأنّها بعيدةُ الغايةِ، يُقال: هذه بئرٌ ما تُنْكَشُ؛ أي: ما تُنْزَحُ. وتقولُ: حَفَرُوا بئرًا فمَا نكشوا منها بعيدًا أي ما فرغوا منها.

(١) ص ٥٦٣ من ط٢ من كتاب أحمد رضا العاملي: (ردّ العامي إلى الفصيح).

(٢) ص ٤٧٧ من ج ٥ من معجم أحمد بن فارس بن زكريا المتوفي سنة ٣٩٥هـ: (معجم مقاييس اللغة) في ستة أجزاء ط. القاهرة سنة ١٣٦٦ - ١٣٧٠هـ بتحقيق عبد السلام هارون.

(٣) مادة: ن ك ش في معجم لويس معلوف: (المنجد) الطبعة ١٧ سنة ١٩٦٠ بيروت.

(٤) في (المعجم المدرسي): محمد خير أبو حرب. أصدرته وزارة التربية في القطر العربي السوري بتنضيد دار طلاس للنشر بدمشق سنة ١٤٠٦هـ = سنة ١٩٨٥ ص١٠٧٨.

(٥) في (المعجم الوسيط) ط١. أصدره مجمع اللغة العربية في مصر سنة ١٩٦٢ ج ٢ ص٩٦١.

(٦) سعيد الخوري الشرتوني: (أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد) ج٢ ص١٣٤٤ ط بيروت سنة ١٨٩٠م. و: (ذيل أقرب الموارد) ص٤١٢ ط. بيروت سنة ١٨٩٤م.

قال أبو منصور: لم يُجَوِّدْ الليث في تفسير النَّكْش: أنْ تستقي من البئرِ حتّى تنزحَ. وَرَجُلٌ مِنْكَشٌ: نقّاب عن الأمور) اهـ[١].

النَّوْء

يَلْفظ عَوامُّنا (النّوّ) بإعلال همزة النَّوْءِ فتصير عندهم واوًا ثانية تُدْغَمُ بالواو الأصليّة، فيسألون مثلًا: (كيف النَّوُّ اليوم)؟ أمّا المعنى فَيَسْتَعْمِلُونه كما هو في الفصيح حينًا، وَيَتَوسَّعُون في الاسْتِعمالات المَجازيَّة والصُّوَرِ البَيانِيَّة أحْيانًا فيقال: كيف كان النّوّ في سَهْرة الأَمْسِ؟ أو في اجْتماعِ البارحة؟ وهل صفا النّوّ حين أَمْسَيْتُم أم بقِي مُعَكّرًا وأَصْبَحْتم على ما أَمْسَيْتُم؟

والنَّوْء بِمَعْنى (حالة الجَوّ) هو مَجاز في الأَصْل الفَصيح.. لأنّ المَعْنَى الحَقِيقِيّ المَنْسيّ له كما في (القاموس.. والتّاج.. وأساس البلاغة. ولسان العرب) الذي أَتَخَيَّرُ منه ما يلي:

«النَّوْء: النَّجْم إذا مال للمَغِيب أو السُّقوط. والجَمْع أَنْواء ونُوآنٌ.. قال حسّانُ بنُ ثابت – رضي الله عنه –:

وَيَثْرِبُ تَعْلَمُ أنّا بِها
إذا قَحَطَ الغَيْثُ نُوآنُها

وإنّما سُمِّي نَوءًا لِأَنَّه إذا سَقَطَ الغارِب ناءَ الطّالِع، وذلك الطُّلوع هو النَّوْء. وبَعْضُهم يَجْعَل النَّوْء السُّقوط كَأَنَّه من الأَضْداد.. وكانَتِ العَرَب تُضِيف الأَمْطار والرِّياح والحَرَّ والبَرْد إلى السّاقِطِ منها، وقال الأَصْمعيّ: إلى الطّالِع منها في سُلْطانه، فتقول: مُطِرْنا بِنَوْء كذا... وكان ابْنُ الأَعْرابيّ يقول: لا يكون نَوْءٌ حتّى يكون معه مَطَرٌ، وإلّا فَلا نَوْءَ... وأمّا مَن قال: مُطِرنا بِنَوْء كذا وكذا.. ومُرادُه أنّا مُطِرْنا في هذا الوَقْت وَلَمْ يَقْصد إلى فِعْل النَّجْم فذلك – والله أعلم – جائز، قال أبو حنيفة: اسْتَنأوا الوَسْمِيَّ: نَظَرُوا إليه...

قال أبو منصور: وأصل النَّوْءِ: المَيْل في شِقٍّ وقيل لِمَن نَهَضَ بِحِمْلِهِ: ناءَ به. لِأَنَّه إذا نَهَضَ به، وهو ثقيل، أَناءَ النّاهضَ أي أَمالَهُ. وكذلك النَّجْم إذا سَقَط مائل نحو مَغِيْبه الذي يَغيب فيه، وفي بعض نُسَخ الإصلاح: ما بِالبادِيَةِ أَنْوَأُ من فلان، أي أَعْلَمُ بِأَنْواء النُّجُوم منه، ولا فِعْلَ له.

والنَّوْء نُهُوض الرَّجُل إلى كلّ شيء يَطْلُبُه...

وناوَأْتُ الرَّجُلَ مُناوَأَةً ونِواءً: فاخَرْتُه وعادَيْتُه والنَّوْء والمُناوَأَة: المُعاداةُ. وفي الحديث في الخيل: (ورجل رَبَطَها فخرًا ورِياءً وَنِواءً لأهل الإسلام)».

وفي (مقاييس اللغة): «ن و ء: كلمةٌ تَدُلّ على النُّهوض، وناء يَنُوء نَوْءًا: نَهَضَ؛ قال [جَعْفَر بن عُلْبَه الحارثيّ (في الحماسة / ١/ ١٠)].

فقُلْنا لهم تِلكُم إذًا بعد كَرَّةٍ
تُغادِرُ صَرْعَى نوؤُها مُتخاذِلُ

أي نُهُوضُها ضعيف. والنَّوْءُ من أنواء المَطَرِ كأنّه يَنْهَضُ بالمطر.. والمرأة تنوءُ بها عَجِيزَتها وهي تَنُوء بها؛ فالأُولى تُثْقِل بها، والثّانية تَنْهض. ومن الباب المناوءة تكون بَيْن القَوْم. يُقال: ناوَأَه، إذا عاداهُ؛ وهو قياس ما ذكرناه، لأنّها المُناهضة هذا ينوء إلى هذا وهذا ينوء إليه أي يَنْهَض».

قلت: فانظرْ في تناقُل المعاني بين الحقيقة والمَجَازات المُتباعِدة منذ القديم، وفي الحديث يقول البُستانيّ في (محيط المحيط): «..

(١) محمد جمال الدين بن منظور الإفريقي الأنصاري المتوفي سنة ٧١١هـ: (لسان العرب) ط. بيروت سنة ١٩٥٦م. في خمسة وستين جزءًا. ج ٢٧ ص ٣٩٥.

والملاّحون يُسَمُّون شدّة هبوبِ الرّياح واضطراب البَحْر بالنَّوّ. والعرب تقول: قد صدق النَّوْءُ؛ إذا كان فيه مَطَر ولم يَخْلِف..».

ولٰكنّ (المعجم العربيّ الأساسيّ) حذف واخْتَصَرَ من معاني ن و ء.

ولم أجدْ في كُتُب فصيح العَوَامّ ما أَرْويه...

النِّيْقَة

(هو نِيْقه عن الخَلِيْقَة) من الأمثالِ الدّارِجَةِ على أَلْسِنَةِ عوامّنا إذا تأنّق أو تَنَوَّق أو تخيّر هذا الشّخصُ المَوْصُوف ممّا يُخَالف آراءَ الآخرين وأذواقَهُم وخِياراتِهم.. وممّا يُذَكِّرُني بالمَثَل التّالد: (خَرْقاءُ ذات نِيْقَةٍ) وسَجْع الزّمخشريّ في (أساس البلاغة): «فلانٌ له نِيقةٌ وصِناعتُه أنيقةٌ».

ولم أَجِدْها لَدىٰ كُتّاب فِصاحِ العامّيّة.

وفي ن و ق من: (القاموس... واللسان.. والتّاج..):

«... وَتَنَوَّق في الأمر أيْ تأنَّق فيه.. والاسم منه النِّيْقَةُ. وفي المَثَلِ: خَرْقاءُ ذاتُ نِيْقَةٍ؛ يُضْرَبُ للجاهِلِ بالأَمْرِ وهو مع جَهْلِه يدَّعي المَعْرِفَة ويَتَأَنَّقُ في الإرادة... وقال جميلٌ في النِّيْقة:

إذا ابْتُذلَتْ لم يُزْرِها تَرْكُ زِينةٍ
وفيها إذا ازْدانَتْ لِذي نِيْقَةٍ حَسْبُ

النِّيْقَةُ من التَّنَوُّق، تَنَوَّقَ فُلانٌ إذا تَجَوَّدَ وبالَغَ، وتَنَيَّق لغة؛ قال ابن برّيّ: وشاهِدُ النِّيقَةَ قولُ الرّاجز:

كأنّها من نِيْقَةٍ وشارَهْ
والحَلْي بَيْن التِّبْنِ والحِجارَهْ
مَدْفَع مَيْثاءَ إلى قرارَهْ
لكِ الكلامُ، واسْمَعي يا جارَهْ

... ابن سِيْدَه: وانْتَاق كَتَنَوَّق، وقِيْل: انتاقَ الشَّيْءِ مَقْلُوبٌ من انْتَقاهُ. أبو عُبَيْد: والانْتِيَاق مِثْلُ الانْتِقاءِ؛ قال:

مثل القِياس انْتاقَها المُنَقِّي

يَعْني القِسيَّ، وكانَ الكِسَائيّ يقولُ: هو من النِّيقةِ. والاسْمُ من كلِّ ذلك النِّيْقَةُ»...

وفي: ن ي ق: «وَتَنَيَّق الرَّجُل في لِبْسِه وطُعْمه: بالَغَ، لُغَةٌ في تَنَوَّقَ. الليث: النِّيْقَةُ من النُّيوق»..

ولم يَذْكُرْه ابن فارس أجْوَفَ يائيًّا، بل أَوْرَدَه أَجْوَفَ واوِيًّا ففي (مقاييس اللغة): «ن و ق: أَصْلٌ يَدُلّ على سُمُوٍّ وارْتِفاع. وأرفعُ مَوْضِعٍ في الجَبَلِ نِيْقٌ.. ومُمْكِنٌ أنْ يكونَ النّاقَةُ من هذا القِياسِ لارْتِفاع خَلْقها.. و(اسْتَنْوَقَ الجَمَلُ) تشبيه بها، ويُضْرَب مَثَلًا لِمَنْ ذَلَّ بعد عِزٍّ...».. وهذا المَثَل مَجازٌ في (أساس البلاغة).

قُلْتُ: والمَثَلُ: اسْتَنْوَقَ الجَمَلُ معروفٌ عنه في كُتُبِ اللغةِ والأَدَبِ والأمثالِ أنّه من قَوْلِ طَرَفَة بنِ العَبْدِ وهو غلامٌ حاضرٌ لدىٰ المَلِك عَمْرو بن هِنْد حينَ أنشده المُسَيَّبُ بنُ عَلَس [أو المُتَلَمِّسُ خالُ طَرَفَةَ] من قصيدة:

وقد أَتَلافىٰ الهَمَّ عند احْتِضارِهِ
بناجٍ عليه الصَّيْعَرِيَّة يكْدَم

وذلك لأنّ الصَّيْعَرِيَّة من سِماتِ النُّوقِ دُون الفُحولِ.. ويقولُ البُستانيّ في (مُحيط المُحيط) في: اسْتَنْوَقَ الجَمَلُ:

«يُضرَبُ للرَّجُل يكونُ في حديث ثمّ يَخْلطُ بِغَيْرِهِ ويَنْتَقِلُ إليه».

النَّيّ

عَوامّنا في الشّام ومِصْر وغَيْرهما تَفْتَحُ نُون النَّيّ وتَحْذِف الهمزة وَحَذْفُها فَصيح اللَّفظ وصَحيح

المَعْنىٰ لِغَيْر المَطْبوخ وَغَيْر النّاضِج فهو بِكَسْرِ النُّون في لغة التُّراث التي خَصَّصَت فَتْح نُونِه للشَّحْم دون اللَّحم..

وكذٰلك نَجِد في مَجازات العامَّة قولَهم: فُلانة نَيّة: أي: بَطيئَة الحَرَكَة ضَعيفَة الحَماسَة أو قَليلَة الجاذِبِيَّة كأنّها بارِدَة لا تَغْلي حَماسَةً ولا تخفّ دَمًا...

وفي (اللسان.. والقاموس.. والتّاج..) ن ي أ:

«ناء الرَّجُلُ، مثل ناعَ، كَنَأَى، مَقْلُوب منه: إذا بَعُدَ؛ أو لُغَة فيه...

وناء الشّيءُ واللَّحْمُ يَنِيءُ نِيْئًا.. وأَنَأْتُهُ أَنا إِناءَةً إذا لم تُنْضِجْهُ. وكذلك نَهِئَ اللَّحمُ.. وفي الحديث: (نَهَىٰ عن أَكْل اللَّحْم النِّيءِ).. والعرب تقول: لحم نِيٌّ: فَيَحْذِفون الهمزَ وأَصْلُه الهَمْز. والعرب تقول لِلَّبَنِ المَحْضِ: نِيْءٌ، فإذا حَمُضَ فهو نَضِيج...

قال شَمِر: وَناءَ اللَّحْمُ يَنوء نَوْءًا وَنِيًّا، لم يَهْمِزْ نِيًّا، فإذا قالُوا النَّيُّ، بفتح النّون فهو الشَّحْمُ دُون اللَّحم. قال الهُذَليّ:

فَظَلْتُ وَظَلَّ أَصْحابِي، لَدَيْهِم
غَرِيْض اللَّحْم: نِيٌّ، أو نَضِيْجُ»

وكذٰلك في (مَقاييس اللُّغَة) لابن فارس:

«النّون والياء والهَمْزَة هي النِّيّ [.. بالكَسْر مع تَسْهيل الهمزة] مِنَ اللَّحْم: الذي لم يَنْضَج..».

قُلْت: فَابْنُ فارِس وشَمِر مِمَّنْ رَوَتْ عَنْهُم المَعاجِمُ القَدِيمَةُ تَخْفِيْفَ الهَمْزَة كما في عامِّيّاتنا. ولٰكنّ د. عبد العال في (مُعْجم الأَلْفاظ العامّيّة ذات الحَقيقة والأُصول العَرَبِيَّة) يَذْكُر تَخْفِيف الهَمْزَة وكَأَنَّه مَقْصور علىٰ العامّيّ دُون الفَصيح.

أمّا البُستانيّ في (مُحيط المُحيط) فيقول:

«ويجوز أنْ يُقال نِيٌّ بالإبْدال والإدْغام».

هـ

هَجَّ

مِنَ المُتَغَيِّر والمُتَطَوِّر في فصيح العَوامّ: (هَجَّجْته فَهَجّ..) بما هو قريب من معنى: نَفّرته فابْتَعَد نافِرًا..

ولٰكنّ الاختلافَ واقعٌ في تفسير تَصارِيفه ومعانيها في الفصيح؛ وأهمل هاهنا كثيرًا من معانيه البعيدة عمّا في عامّيّتنا...

وفي (محيط المحيط) للبُستانيّ: «هَجّ البيتَ يَهُجُّه هجًّا وهَجِيجًا: هَدَمَه والعَيْنُ هَجيجًا: غارَت. والنّارُ أَجَّت.

والعامّة تقول: هَجَّ فُلان مِن وَجْه فُلان من جَوْر فلان، أي: نَفَرَ وبايَن مقامَه وَأَوْغَل».

قلت: وفي كتاب (أخلاق الوزيرَيْن)[1]؛ أو «مثالبُ الوزيرَيْن: الصّاحب بن عَبّاد وابْنِ العميد». لأبي حَيّان التَّوْحِيدِيّ:

«وقال آخر:

فيا قَوْمَنا لا تَظْلِمونا فإنّنا
نَرىٰ الظُّلْمَ أَحْيانًا يُشِلُّ وَيُعْرِجُ
وَيَتْرُك أَعراضَ الرِّجالِ كأنّها
فَرِيسَةُ لَحْمٍ ليس عنها مُهَجْهِجُ

[وفي الحاشية]. هَجْهَجَ بِالسَّبُعِ: صاحَ به وزَجَرَه لِيَكُفّ عن فَرِيْسَتِه».

وفي: (هَجَّ) في (القاموس المحيط) يقول الفيروزاباديّ: «الهَجيج: الأَجِيج. والوادي العَمِيق كالإِهْجيج، والأَرْضُ الطَّوِيْلَة تَسْتَهِجُّ السَّائِرَة أي تَسْتَعْجِلُهم...

.. وهجاجِ وبفتح آخره رَكِبَ رأسَه.. والهَجاجَةُ: الهَبْوَةُ التي تَدْفن كلّ شيءٍ بالتّراب، والأَحْمَق كالهَجهاج.. والهَجْهاج النَّفور.. والجافي الأحمق والدّاهية.. والهَجْهَجَةُ حِكاية صَوْت الكُرْد عند القتال... وَهَجَّ البيتَ هجًّا وهجيجًا: هَدَمَه... وسَيْر هَجاجٌ شديد واسْتَهَجَّ: رَكِبَ رَأْسَهُ. واسْتَهَجَّ السّائرةَ: اسْتَعْجَلَها. واهتجّ فيه: تَمادَىٰ».

قلت: عامّتنا تقول: هَجَّجَه، بمعنى: نَفَّرَه فهي أقرب إلى قولهم: هَجْهَجَ بالسَّبُعِ: صاح به وَزَجَرَه لِيَكُفَّ عن الفريسة.

وفي (مقاييس اللغة) لابن فارس:

«الهاء والجيم: أَصْلٌ صحيح يَدُلُّ على غُموض في شيءٍ واخْتِلاط، ومنه ما يَدُلّ على حكاية صَوْت. فالأوّل قولهم: هَجَّت عَيْنه غارَت [.. وهَجْهَجَت عينه: غارت في رَأْسِه من جُوع أو عَطَش أو إعياء غير خِلْقة في (اللسان..)] وهو من باب الغُموض.

والهَجَاجة: الأَحْمَق الذي لا يَهْتَدي للأُمور،

[1] [illegible]

فكأنّها قد عُمِّيَت عليه.. وَرَكِبَ فلان هَجاجِ، على فَعالِ، إذا رَكِبَ العمياءَ المُظْلِمَة وأنشد [للمُتَمَرِّسِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الصُّحاري، كما في (اللسان..)]:

[فلا يَدَعُ اللِّئام سَبيلَ غيّ]
وَقَدْ رَكِبُوْا على لَوْمِي هَجاجِ

والهَجيج: الوادي العميق، وهو من الغُموض أيضًا.

والباب الآخر قولهم: هَجْهَجْتُ بالسَّبع: صحت[1] به. وهَجْهَجَ الفَحلُ في هديره».

ولأحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) بعنوان: الهجيج: «وقالوا: هَجَّ فلان هَجِيجًا إذا فَرَّ مُسْرِعًا لا يَلْوِي على شيء. وفي اللغة: الهَجاج من السّير: الشّديد. واستهَجَّ السّائرة: استعجلها.

أو هي من: هَجَّت النّار إذا أسْرعتْ في اشْتِعالها، أو من هَجَبَ هَجَبًا إذا أَسْرَع في مَشْيِه.

وفي أَصْل المادَّة مَأْخوذٌ مَعْنَى الإسْراع». ا.هـ رضا.

قلت: لم أَجِدْ في أَصْل الهَجّ والهَجْهَجَة: الإسراع ولٰكنّه قريب منه في (القاموس..): «واسْتَهَجَّ السّائرةَ: اسْتَعْجَلَها».

هَدَّ وهَدْهَد

تقول عوامُّنا في الشّام ومِصْر وغيرهما: (هدُّوا بيتي وهدّوا حَيْلي) فيُغَيِّرها الكُتّاب المُعاصرون إلى: (هَدَمُوا بَيْتي وأَضْعَفُوا قُوّتي) والهَدّ صحيح تليد لَفظًا ومعنًى: هدَّ يَهُدُّ وَيَهِدُّ (والمِهَدَّة آلة للمولّدين تُكْسَرُ بها الحجارة) كما في (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ.

وفي معجم (مقاييس اللغة) لابن فارس:

«الهاء والدّال أصلٌ صحيح يَدُلُّ على كَسْر وهَضْم وهَدْم. وَهَدَدْتُه هَدًّا: هَدَمْته.

ويُرْجَع الباب كلُّه إلى القياس. فالهَدُّ من الرِّجال: الضَّعيف؛ كأنّه هُدَّ و.. الهَدُّ من الرِّجال: الجواد الكريم.. الهادُّ لِمالِهِ.. والْجَبان هِدٌّ: أي مَهْدود...

وممّا يَجْري مَجْرى الأصوات: الهَدَّة: صَوْتُ وَقْع الحائط..».

وفي (أساس البلاغة): «هَدَّ البيتَ فانْهَدَّ، وهو هدم بشدَّةِ صوتٍ.

[وفي (المصباح المنير) للفيّوميّ:... كذلك ولٰكنّ (الأساس..) يزيد] وسمعت هدَّةً: صَوْت وَقْع حائط أو صخرة.. وَقَدْ هَدَّ يَهِدُّ. وهدّده وتهدّده: أَوْعَده. وهَدْهَدَت المرأةُ ولدَها: حَرَّكَتْه لِيَنام... ومن المَجاز: هَدَّني هذا الأمرُ وهدَّ رُكْني: إذا بلغ منك وكَسَرك؛ قال النَّمر:

علىٰ فاجِع هدَّ العَشيرةَ فَقْدُه
به أعلن النّاعي الحديثَ المُجَمْجَما

وهذا رَجُل هَدَّك من رَجُلٍ؛ أي: غَلَبَك وكَسَرك... وجاؤوا مُتَهادّين ومتسائلين؛ أي:

مُتابعين كأنّ بعضهم يَهُدُّ بعضا. .».

وفي (اللسان. .) كما في (القاموس. . والتّاج. . .):

«الهَدّ: الهَدْم الشَّديد والكَسْر. . قال كُثَيِّر عَزّة.

فَلَوْ كان ما بي بالجبال لَهَدَّها
وإنْ كان في الدُّنيا شديدًا هُدُوْدُها

. . . وَهَدّني الأَمْرُ وهَدَّ رُكْني. . وفي الحديث عن النّبيّ - ﷺ - أنّه كان يقول: (اللهمّ إنّي أعوذ بك من الهَدِّ والهَدَّةِ). . .

. . . ومَهْلًا هَدا دَيكَ أي: تَمَهَّلْ يَكْفِكَ.

والتَّهَدُّدُ والتَّهديد والتَّهْداد: من الوَعِيْد والتَّخَوُّف. . .

. . . وهَدْهَدَه: حَرّكه كما يُهَدْهَد الصّبِيُّ في المَهْد. وهَدْهَدَت المرأة ابنَها أي حرّكته لِيَنام، وفي الحديث عن النّبيّ - ﷺ - أنّه قال: (جاء شيطانٌ فَحَمَلَ بِلالًا فَجَعَل يُهَدْهِدُه كما يُهَدْهَدُ الصّبيّ) وذلك حين نام عن إيقاظه القوم للصّلاة.

وأزيد من (القاموس. .) و(التّاج. .):

. . وهَدْهَد: حَدَر الشّيء من عُلُوّ إلى سفل. . .

وفي النّوادر: يُهَدْهَد إليّ كذا ويُهَدّي إليّ كذا ويُسَوَّل إليّ كذا أي يُخَيَّل إليّ ولي ويخال لي، كذا تفسيرهُ إذا شبّه الإنسان في نفسه بالظَّنّ، ما لم يُثْبِتْه ولم يَعْقد عليه إلّا التَّشبيه. وهَدْهَد: هَدَر». وكتب د. عبد العال في (معجم العامّيّة ذات. .) في فصاحة الهَدّ. ولم يَذْكر الهَدْهَدَة.

هَرَّ وهَرْهَرَ

في عامّيّتنا: (هَرَّ القَشُّ اليابِس وهَرْهَرَ): سَقَطَ فَأَحْدَثَ صَوْتًا ضَعيفًا لا يَكاد يُسْمَع؛ بسبب خفّة وَزْنِهِ وهشاشَتِه. . .

وفي الفصيح: «هَرَّ الشَّوك إذا اشتدّ يُبْسُه» في قول ابن فارس في (مقاييس اللغة). «وهرّ بِسَلْحِهِ: رمى به» كما في (محيط المحيط): «والعامّة تقول: هَرَّ الثَّمَرُ والوَرَقُ أي تَناثَرَ وتَساقَطَ». ومن هذا تَغَيَّرَ المَعْنى عن أَصْله الفَصِيح بِسَبَب تطوُّر الاسْتِعْمال. . .

أمّا سائق الدّابة العامّيّ فَيَقول لها: (هِرّي. . .) وهذا فَصيح الأَصْل. . . وفي معجم (مقاييس اللغة):

«الهاء والرّاء أُصَيْل صحيح يَدُلّ على صَوْتٍ من الأصوات ويُقاس عليه. يقولون: الهِرّ: دُعاء الغَنَم. وذلك قولهم: (لا يَعْرِف هِرًّا من بِرّ) والبِرُّ: سَوْقُ الغَنَم.

والهِرَّة: السِّنَّورة وكأنّها سُمِّيَت لِصَوْتها إذا هَرَّتْ وَهَرَّ الشَّوْكُ؛ إذا اشْتَدَّ يُبْسُه، وله حينَئِذٍ هَرِير وزَجَل. قال:

رَعَيْنَ الشَّبْرِقَ الرَّيَّانَ حتّىٰ
إذا ما هَرَّ وامْتَنَع المَذاقا

قال: والهُرْهُور: الماءُ الكَثير الذي إذا جرى سَمِعْتُ له هَرْهَرَةً.

ويقولون: هَرَّ فُلانٌ الكأسَ: كَرِهَها، ولَعَلَّه أن يَكون قبل ذاك لأنّه يَهِرُّ في وَجْه مَنْ يَسْقيه» أ. هـ. ابن فارس.

قلت: فهل أخَذَتْ منه العامّة أنّه هَرّها، أي: أَسْقَطها لأنّه كَرِهَها؟

وَلِلزَّمَخْشريّ في (أَساس البَلاغة) مثل قول ابن فارس إلّا أنّ تفسيره «فلانٌ لا يعرف هِرًّا من بِرّ؛ أيْ: لا يُميّز فِعْل من يَهِرُّ في وَجْهِه من فعل مَن يَبَرُّ به».

وكذلك في (اللسان. . .) وأزيد منه: «ما يَعْرِف الهَرْهَرَة من البَرْبَرَة، الهَرْهَرَة: صَوْت الضَّأْن،

والبَرْبَرَة: صَوْت المِعْزَىٰ. . .

. . . والهَرْهَرة والغَرْغَرَة يحكي به بَعْضَ أَصْواتِ الهِنْد والسِّنْد في الحَرْب. . . والهَرْهَرَة: الضّحك في الباطل. . .».

وفي عَصْرِنا كتب أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «والعامّة تقول هَرَّ الحَبُّ من العُنْقود: إذا تَناثر، وَهَرَّ العِقْد: انْفَرط وتَناثَر حَبُّه. . . والهُرهور في اللغة - ما تَناثَرَ من حَبِّ العِنَب وهو الهُرور والهَرْوَرَة. فالعامّيّة فصيحة صحيحة».

وفي مصر يقول د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات. . .): «نقول في دارجتنا: هَرْهَرَت الملابس: اسْتَطالت فاحْتَكّت بالأرْض وأَحْدَثت صَوْتًا عند انْجرارِها وفي القاموس: هَرْهَر الشّيءُ: أَحْدَثَ صَوْتًا».

الهَزّ والهَزْهَزَة و(الزَّهْزَهَة)

(هُزَّ طُولَك وعَجِّلْ فأنا نُمْتُ بلا هَزّ مِن هَزّة بدني منك وأنت تُهَزْهِزُ وِعاءَ الماء المُزهْزِه من صفاء لَوْنه تُريد تَعْكيره بالهَزْهَزَة. . . ما لَكَ تُهَزْهِزُ رأسك ولا تجاوب؟) كذا يُقال في عامّيّتنا؛ وفي الدّارجة المِصْريّة حيث كَتَب د. عبد العال في (مُعجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارجتنا: هَزْهَزَ فلان رِجْلَيْه حرّكها جيئة وذهابًا».

ولم أكُنْ أنوي الكِتابة عن الهَزّ فهو معروف الفصاحة، ولٰكنّ الهَزْهَزَة أقلُّ شُهرةً بَيْن فُصحائنا أمّا عَوامّنا في الشّام ومِصْر وغيرهما فَقَلَبُوا منه اللونَ المُزَهْزِه، واسْتَعملُوه مَقْلُوبًا وبغير قَلْب أيضًا. . .

. . . فليسَ في (اللسان. . .) زَهْزَه وليس في (القاموس. . .) إلّا:

«الزَّهْزاه: المُخْتال في غير مَرآة [وفي الحاشية: مُرُوأة]»:

في (لسان العرب. . .)

«الهَزُّ تحريك الشَّيْء. . . وَهَزَّهُ يَهُزُّه هَزًّا وَهَزَّ به وَهَزَّزَه وقد اهتزّ. . . وفي التّنزيل العزيز: ﴿وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَة﴾ [السّورة ١٩ مريم الآية ٢٥] وفي حديث النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم-: (اهْتَزّ العرشُ لموت مُعاذ). . . واهتزّ النّبات: تحرّك وطال؛ والأرضُ أنْبَتَتْ، وفي التّنزيل العزيز: ﴿فإذا أَنْزَلنا عليها الماء اهْتَزَّت وَرَبَت﴾ [السّورة ٢٢ الحَجّ الآية ٥]. وفي الحديث: (إنّي سمعت هَزِيزًا كَهَزِيز الرّحَىٰ) أي صَوْت دَوَرَانِها. والهَزّ والهزيز في السَّيْر: تحريك الإبل في خِفَّتها. . .

. . . ابن سِيْده: الهِزَّة أنْ يَتحرّك المَوْكب. . . قال ابْنُ قَيْس الرُّقَيّات:

ألا هَـزِئَـت بـنـا قُـرَشِـ
يَّـةٌ يَـهْـتَـزُّ مَـوْكِـبـهـا

واهتزاز المَوْكب أيضًا وجَلَبَتُهم [عبارة الجوهريّ: والهِزَّة، بالكسر، النَّشاط والارتياح وَصَوْت غَلَيان القِدْر وَاهْتِزاز المَوْكب أيضًا الخ. . . عن الحاشية ثمّ يعيدها (اللسان. . .) أيضًا] وَهَزْهَزَه؛ أي: حَرَّكَهُ فَتَهَزْهَزَ. . . وهَزْهَزَ الشّيءَ: كَهَزَّهُ والهَزْهَزَةُ: تَحْريك الرَّأس. والهَزْهَزَة تحريك البلايا والحُروب للنّاس.

والهَزاهِز: الفِتَن يَهْتَزُّ فيها النّاس.

وسَيْف هَزْهاز وسَيْف هُزَهِز وهُزاهِز: صاف.

وماء هُزْهُزٌ وهُزَاهِز وهَزْهاز: يهتزّ من صفائه. . .

وَماء هُزَهِزٌ في اهتزازه إذا جرى [ولعلّ منه قَلَبَت

عوامّنا اللون المُزَهْزِه؛ أي الصّافي والزّاهي] وعَيْنٌ هُزْهُز... ونهر هُزْهُز... وبَعِير هُزاهِز: شديد الصَّوْت... أبو عَمرو: بئر هُزْهُز: بعيدة القَعْر، وأنشد:

وفَتَحَتْ للعَرْدِ بِئْرًا هُزْهُزا

وماء هزهاز: إذا كان كثيرًا يتهزهز، واهتزّ الكوكب في انقضاضه، وكوكب هازّ...

... ويُقال: تَهَزْهَزَ إليه قلبي؛ أي: ارتاحَ وهَشَّ؛ قال الرّاعي:

إذا فاطَنَتْنا بالحَديثِ تَهَزْهَزَت
إليها قُلوبٌ، دُونَهُنَّ الجَوانِحُ

والهزائز: الشّدائد؛ حكاها ثعلبُ قال: ولا واحدَ لها».

[قلت: ومنه اسْتعمل العَوَامّ قولهم: (أنا مهزوز منك) أي عاتب عليك، فبدّلوا المعنى بتبديل حرف الجرّ].

وفي (أساس البلاغة): «... وهَزَزْتُه وهزَزت منه... وامرأة هَزَّةٌ: نشيطة للشّرّ مُرتاحة له، ونساء هَزَّات».

هَزِقَ وهَزِئَ وهَزْرَقَ

الهُزْءُ فَصيح عامّيّ مَعروف لا أَحْتاجُ إلى تَعْريفه. ولٰكنْ أُفاجَأ بإبْدال الهمزة قافًا مع تَقارُب المَعاني في قَديم الفَصيح، وبِتَبادُل الإبْدالات والاشْتِقاق الكَبير أو الكُبّار.

وبعض المُعْجَمات المُتخصِّصة أهْمَلت الهَزَق بالقاف مُكْتَفِية بالمهموز كما فَعَلَ الزَّمَخْشَريّ في (أساس البلاغة) والفَيّوميّ في (المِصْباح المُنير)... ولٰكنّ المَعاجمَ الحديثة مثل (مُحيط المُحيط) و(المُعجم الوسيط) اهتَمّت بكلّ منهما دون أنْ تَتَحَدَّثَ في صِلة الإبْدال، كما لم تَتَحَدَّثْ كُتُب فَصِيح العَوَامّ في هذا الإبدال، ولعلّ ذلك لأنّ عوامّ الأرياف وَمُدُن الأَطْراف المُحافِظين على لَفْظِ القاف لم يَسْتَعْمِلوا هذا الفعل بالقاف... أو يجوز أن أكُون لا أَعْرِف الذين يَسْتَعْمِلونَه... وعلى كُلٍّ؛ إذا كان الهُزْء ضِحْكًا مع سُخْرِية فليس بمقطوع الصّلة مع الهَزَق.

هـ ز ق: في (اللسان... كالقاموس... والتّاج...).

«هزِقَ في الضَّحِك هَزَقًا وَأَهْزَقَ فلانٌ في الضّحك وَزَهْزَقَ وأَنْزَقَ وكَرْكَرَ: أكْثَرَ مِنْ. وَرَجُلٌ هَزِق ومِهْزاق: ضَحّاك خَفِيف غَيْرُ رَزِين. وامْرَأة هَزِقَةٌ بيِّنَة الهَزَقِ ومِهْزاق: ضَحّاكَة؛ وأَنْشَد ابنُ بَرّيّ للأَعْشَىٰ:

حُرَّة طَفْلَة الأَنامِل كالدُّمْـ
ـيَـةِ لا عابِسٌ ولا مِهْزاق

وحَكَى ابن خالَوَيْهِ: رَجُلٌ مِهْزاقٌ طَيّاش. والهَزَق: النّشاط وقد هَزِقَ يَهْزَق هَزَقًا؛ قال رُؤْبة:

وشَجَّ ظَهْرَ الأَرْضِ رَقّاص الهَزَقْ

والهَزَق: النَّزَق والخِفَّة. والهَزَق شِدّة صَوْت الرّعد...

هـ ز ر ق: الهَزْرَقَة من أَسْوَاءِ الضّحك؛ قال:

ظَلَلْنَ في هَزْرَقَةٍ وَقَهِ
يَهْزَأْنَ مِن كُلِّ عَيامٍ فَهِّ

... قال الأزهريّ:... والذي نَعْرِفه في باب الضّحك: زَهْزَق وَدَهْدَق زَهْزَقَةً ودَهْدَقَةً».

هُسّ

اسْكُت واخْفِ الكلامَ في النَّفس ولا تُهَسْهِس ولا يُسمَع هَسِيْسُك...

أَنْقَص العَوَامّ من المعاني الفصيحة في مادّة هـ س س، وذلك أنّهم في القديم كانوا يُفيْضُون فيها،

ولٰكنّ ما بقي من العامّيّة من هذه المادّة أَصْل من الفصيح... قال فيه أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح).

«إذا أَمَرُوْا أحدًا بالسُّكوت وإخْفاء الكَلام قالُوا له: هِسْ. وإذا عَمِل أحدُهم في خفيةٍ ولم يَدَعْ أحدًا يَشْعُر به قِيْل: عَمِلَه على الهِسَّة أي بِسُكُوتٍ وسُكُونٍ وخَفاء... ويُبْنىٰ فِعْل الأمر منه على صِيْغة هِسّ. فالعامّيّة فصيحة صحيحة».

وفي مِصْر يَذْكرها د. عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) بضمّ الهاء لأنّ أَصْلَها عنده من «زَجْر الغَنَم: ولا يُكْسَرُ...»

وفي (مقاييس اللغة): «الهاء والسّين: أُصَيْل يَدُلّ على أصواتٍ واخْتلاط كالهَسِيْس...».

في (لسان العرب):

«هَسَّ يَهِسُّ هَسًّا: حَدَّثَ نَفْسَه. وهَسَّ الكلامَ: أَخْفاه. وهَسُّوا الحديثَ هَسِيسًا وَهَسْهَسُوه: أَخْفَوْه.

والهَسِيْسُ والهَسْهاس: الكَلام الذي لا يُفْهم. وَسَمِعْت من القوم هَساهِسَ من نَجِيٍّ لم أَفْهَمْها وكذلك وَساوِسَ من قَوْل.

والهَساهِس: الوَساوِس. والهَساهِسُ: حديث النَّفْس وَوَسْوَسَتُها. قال الأَخْطَل:

والهَساهِس: الوَساوِس. والهَساهِسُ: حديث النَّفْس وَوَسْوَسَتُها؛ قال الأَخْطَل:

وَطَوَيْتَ ثَوْبَ بَشاشَةٍ أُلْبِسْتَهُ
فَلَهُنَّ مِنْكَ هَسَاهِسٌ وَهُمُومُ

والهَسَاهِس: الكلام الخَفِيُّ المُجَمْجَمُ. وسَمِعْت هسيسًا، وهو الهَمْس، وقِيْل الهَسْهَسَةُ عامّ في كلِّ شيء له صَوْتٌ خَفِيّ كهَساهِسِ الإبِل في سَيْرِها، وصوتُ الحَلْي، قال الرّاجز:

لَبِسْنَ مِنْ حُرِّ الثّياب مَلْبَسا
وَمُذْهَبِ الحَلْيِ إذا تَهَسْهَسَا

... الْجَوْهريّ: الهَسْهَسَة: صَوْتُ حَرَكَةِ الدِّرع والحَلْي وحَرَكة الرّجل بالليل ونحوه؛ قال الشّاعر:

ولله فرسان وخيل مُغِيرَة
لَهُنَّ بِشُبّاكِ الحَديدِ هَساهِسُ

والتَّهَسْهُس مِثْله... وَهَسْهَسَ لَيْلَته كُلَّها وقَسْقَسَ؛ إذا أَدْأَبَ السَّيْر. وفي النّوادر: الهَساهِس: المَشْي بالليل [قُلْت: كأنّه صَوْت حَرَكَة المَشْي]... أو كأنّه من قَوْلِهم: [هِسْ لا نوقظ أحدًا، وفي اللسان: المَشْي، ولم يقيّده]. قال:

إنْ هَسْهَسَت ليل التّمام هَسْهَسا

والهَسُّ: زَجْرُ الغَنَم.

وهُسْ وهِسْ: زَجْر للشّاة

والهَسِيس: المَدْقوق من كلّ شيء».

وفي (القاموس... والتّاج) صرّح بفعل الدّق: «هَسّه هسًّا: دَقَّهُ وكَسَرَهُ...

... والهَسْهَسَةُ: تَسَلْسُل الماء، نَقَلَه الصّاغانيّ، وهَساهِسُ الْجِنّ: عَزِيْفها في القَفْرِ. ومِنَ النّاس: الكَلامُ الخَفِيّ المُجَمْجَمُ. والهَسِيسُ: ضَرْب من المَشْي كالهَسْهَسَة».

قلت: هذه جملة المعاني المُسْتَعْملة في العامّيّات المُخْتلِفة ولٰكن على قلّة في الاستعمال، وقلّة في عدد العارفين بها كلّها منهم.

الهفْت والهَفْتان

تقولُ العَوَامُّ عِنْدنا: هذا الشَّيْءُ أو هذا الكلامُ (هَفَت) أيْ ضَعِيْف مُتَساقِطُ، وهذه حاجَةٌ (هَفَت)

أيْ: خَفِيفَة النَّوْع مُتَهافِتةٌ فهي (هَفْتانَة) لا تُساوي كثيرًا، في قَوْل عامَّتِنا.

ولدىٰ أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) «وقالُوا: هَفَتَ عليه السَّقْفُ وهَفَتَتِ الأرضُ من تحتِ رِجْلَيْه إذا انْهارَتْ أو خُسِفَتْ... إمّا من الهَفْتَة اللُّغويّة أو من الهَوْتَةِ من الأرض: الوَهْدَة العَمِيْقة». الهُوْتة: بِضَمّ الهاءِ أو فَتْحِها.

وللأمير أرسلان في (القول الفصل في ردّ العامّيّ إلى الأصل): «وبَعْض العامّة عِنْدنا في الشّام ومِصْر تقول: (هَفْتان من الجُوع) وهذا لا يُوجَدُ في اللغة، فقد أَخَذَتْه العامّةُ من: هَفَتَ...» ويُعَقِّبُ مُحَقِّقُه الباشا: «أو أنّها تحريف: هَفْيان، وهذه العامّيّة من وزن فَعْلان من القَوْل الفصيح: هَفَا ومَعْناه: جاعَ...».

وفي مصرَ يقول د. عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارِجَتِنا: فلانٌ هَفْتانٌ كَعَطشان وَجَوْعان: يَشْعُر بِضعْف وهُبوطٍ عامّيْن لإحساسه بمَرَضٍ أو تَعَبٍ أو جُوْعٍ...».

فقُلْتُ اسْتَعْمَل العَوَامّ الثّلاثيّ هَفَتَ، واسْتَعْمَلَ الفُصَحاءُ الخُماسِيّ تَهافَتَ، كما في عُنوان الغزالي: تَهافُتُ الفَلاسِفَة، وابنُ رشد في تَهافُت التَّهافُت ولم يُوْرِد الزّمخشريّ في (أساس البلاغة) إلّا الخُماسيّ تَهافَتَ ولٰكنّ الثُّلاثيّ هَفَتَ فصيحٌ أيضًا...

في (لسان العرب) كما في (القاموس... والتّاج...):

«هَفَتَ يَهْفِت هَفْتًا: دَقَّ. والهَفْتُ: تَساقُط الشَّيْء قِطْعَةً بعْدَ قِطْعَةٍ كما يَهْفِت الثَّلْجُ والرَّذاذ ونحوُهما؛ قال العجّاج:

كَأَنَّ هَفْتَ القِطْقِطِ المَنْثُور
بَعْدَ رَذاذِ الدِّيْمَة الدَّيْجُورِ
على قَراه فِلَق الشُّذورِ

والقِطْقِطُ: أَصْغَرُ المَطَر. وقَراه: ظَهْره، يَعْني الثَّوْر. والشُّذُور: جمع شَذْر، وهو الصّغير من اللؤلؤ، وقد تَهافَتَ.

وفي الحديث: (... يَتَهافَتُون في النّار...) أي يَتَساقَطُون، مِن الهَفْتِ، وهو السُّقوط.

... وتهافَتَ الثَّوْبُ تَهافُتًا: بَلِيَ... وأكثَرُ ما يُسْتَعْمَلُ التَّهافُتُ في الشّرّ... وهَفَتَ الشَّيءُ هَفْتًا وهُفاتًا؛ أي تَطايَرَ لِخِفَّتِهِ.

وكلُّ شَيْءٍ انْخَفَضَ واتَّضَعَ فقد هَفَتَ، وانْهَفَتَ...

... وكلامٌ هَفْتٌ إذا كَثُرَ بلا رَوِيّة فيه. والتَّهافُتُ: التَّساقُطُ قِطْعةً قِطْعةً. وتهافَتَ الفَرَاشُ في النّار: تساقَطَ [وهذا في أساس من البلاغة أيضًا] قال الرّاجز يَصف فَحْلًا:

يَهْفِتُ عَنْه زَبَدًا وَبَلْغَمًا

وتهافَتَ القَوْمُ تهافُتًا إذا تساقَطُوا مَوْتًا. وتهافَتُوا عليه: تتابعُوا.

ابن الأعرابيّ: الهَفْتُ: الحُمْق الجَيِّدُ.

والهَفَاتُ: الأَحْمَقُ» وفي (القاموس...) «والهَفْتُ: الحُمْقُ الوافِرُ، والمَهْفوتُ المُتَحيِّر». ويُضيفُ الزّبيديّ في (التّاج...) عن الجوهريّ في الصِّحاح: «الهَفاة اللَّفاة». أو يُضيفُ قولَ أبي اسحق النّجيرمي: «الهَفاة من الهَفْوَة بالهاء والتاء من الهَفْت... الأَحْمَقُ.. وعن الليث: حَبّ هَفُوتٌ إذا صار إلى أسْفَلِ القِدْر وانْتَفَخ سريعًا...»

وفي (أساس البلاغة): «وتهافَتَ النّاسُ في الأمْر».

وتَجِدُ في المَعاجِم الحَديثَةِ مثلَ هذه المعاني كما في (مُحيط المُحيط) و(المُعْجم الوسيط).

أمَّا قولُنا في الشّام ومِصْر (هَفْتان من الجُوع . . .) فأحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) يُسَجّل قولَهم: «هَفّتَ: إذا اشْتَدّ به الجُوع . . .» بتشديد الفاء، وهذا عنده مأخوذٌ من: الهَفْو: الجُوع في (اللسان . . .)

هَلَسَ

الهَلْس في عامّيّتنا في الشّام: الذي يَضْحك خِفْيَةً ضِحْكًا فيه تَخابُث، ولقد وَرَد في الفصيح: (هَلَسَ في الضّحك: أخفاه).

وفي مِصر يقول د. عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة):

«نقول في دارجتنا: هَلَّسَ فلان: انحرف عن الطّريق السّويّ، ورَجُل هَلْس، وَخَبَر هَلْس: لا أساسَ له ولا قوام، وهو يدعو إلى السُّخرية والضّحك منه . . .

والتّهليس: الضّعف والتَّخبُّط . . .». قُلْت: وفي عامّيّتنا في الشّام أيضًا كثير من المعاني الفصيحة الأخرى لها، كالمَهْلُوس الضّعيف العَقْل والمَسْلوبه، لٰكنْ يحصر أحمد رضا في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح): «الكلام الهَلْس عند العامّة الكلام الذي لا مُحَصّل له ولا معنى . . .

. . . وقالُوا: فلان هِلِس نجِس أي يُضْمِر الشّرّ ويُخْفيه تحت لَيِّن الكلام . . .». قلت: هذه العبارة أَسْمَعها بالحاء: (فلان حِلِس مِلِس نجِس). وأعود إلى الهاء: هـ ل س: في التّليد: في (مقاييس اللّغة):

«الهاء واللام والسّين على إخفاء شَيْء من كلام وغيره. يُقال: أهلس في الضّحك: أخفاه . . . وهالَسَ فلانًا: سارَّهُ. والمَهْلُوس: الضّعيف العَقْل، وهو القِياس . . .»

وفي (أساس البلاغة):

. . . وَأَهْلَسَت المَرْأَةُ: أَخْفَت ضحكها. قال:

تَضْحك منّي ضِحكًا إهْلاسَا
سِرًّا ولم تَعْلَمْ علينا باسا
إلّا كَلالًا خالَطَ النُّعاسا

وكذلك في (لسان العرب) بعد قوله: «الهَلْس والهُلاس شِبْهُ السُّلال، وفي (التّهذيب): شِدَّة السُّلال من الهُزال . . . والمَهْلوس . . . : الذي يأكل ولا يُرى أَثَرُ ذلك في جِسْمه . . . ومَهْلوسُ العَقْل ومُهْتَلَس العقل: ذاهِبُه . .

. . . والإهلاس ضَحِكٌ فيه فُتور: وَأَهْلَسَ في الضَّحِك: أَخْفاه . . . والهُلُس: الضُّعفاء . . . وَأَهْلَسَ إليه: أَسَرَّ إليه حديثًا. وهالَسَ الرَّجُلَ: سارَّه، قال حُمَيْد بن ثَوْر:

مُهالَسَةً، والسِّتْرُ بَيْني وبَيْنَهُ
بِدارًا كتحليل القَطا جَازَ بالضَّحْلِ».

وأَزيد من (القاموس . . . والتّاج . . .):

«. . . وأَهْلَس في الضَّحِك: أخفاه، وعبارة ابن القطّاع: أهلس الضَّحِكَ: أخفاه . . . والإهلاس أيضًا إسرار الحديث وإخفاؤه، يُقال أهلس إليه: إذا أسرّ إليه حديثًا . . .

. . . ورَجُلٌ مُهْتَلَسُ العَقْل ومَهْلُوسه: مَسْلُوبهُ؛ وقِيْل: ذاهِبُهُ. وقد هُلِسَ عقلُه. وقال الجوهريّ: ويُقال: السُّلاس في العَقْل والهُلاس في البَدَن.

قال الصّاغانيّ: والتّركيب يَدُلّ على إخفاء شَيْء من كلامٍ وغَيْرِه. وقد شَذَّ عنه: الهَلَس: الخَيْر الكثير؛ نَقله الصّاغانيّ عن ابن فارس.

وهَلَس الشّيخ هلسًا: يَبِس من الكِبَر.

ومن المَجاز: ظلام مُهْلس أي ضَعِيْف؛ قال المرّار بن سعيد:

طَرَق الخَيالُ فهَاجَني من مَهْجَعي
رَجْعُ التَّحِيَّةِ في الظَّلامِ المُهْلِس

ويُروى: كالحديث المُهْلِس.

والهَلَس - بالفتح - من الكلام الخُرافات؛ هكذا يَسْتَعملونه وكأنّه مهزول الكلام بضربٍ من المَجَاز».

هِلَّقْت

ما (هَلْوَقْت من الجوع هَلَّق) ولٰكن جوع هِلّقْت

يقول العامّيّ: (هَلْوَقْتُ من الجُوع فأنا مُهَلْوِق) وليسَ الفِعْل العامّيّ هَلْوَق وارِدًا في الفصيح. [و(القاموس... والتّاج..) أَوْرَدا: هَلَق بمعنى أَسْرَع في بَعْضِ اللُّغات وليسَ بثبت في (اللسان...)...].

ولٰكن لعلّها من الجوع الهِلّقْت

في (القاموس المحيط) و(تاج العروس من جواهر القاموس):

«جُوْعٌ هِلَّقْتٌ: بِكَسْر فتشديد كَجِرْدَحْلٍ -؛ أَهْمَلَه الجوهريّ وقال أبو عَمْرو: أي: شَدِيْدٌ مثل هلّقس؛ كذا في التَّكْمِلَة».

أمّا (هَلّق) فكما قال البُستانيّ في (محيط المحيط): «هَلّق تخفيف العَوَامّ لهذا الوقت».

وأَهْمَل هذه المادّة (المُعْجم العربيّ الأساسيّ)...

هَوَّتَ به تَهْوِيتًا

التَّهْويتُ في عامّيّتنا الدّمشقيّة هو الصِّياحُ لِزَجْر الطِّفْل وتَهْديْده بالضَّرْب تهديدًا مع عَدَمِ التَّنْفيذ، فتقول للمُرَبّي: لا تَضْرِبْه، حقًّا... ولٰكن هَوِّتْ وهَدِّدْه بالعَصا وهُزَّها له ولا تَصِلْ به إلى تنفيذِ الضَّرْب...

وفي (القاموس... والتّاج...): هـ و ت:

«... هَوَّت به تَهْويتًا: صاحَ» وأضاف (التّاج...): «لُغَةٌ في هَيَّتَ». وذَكَرَها ابن منظور في (اللسان...): هـ ي ت: «... وهَيَّتَ بالرَّجُل، وَهَوَّتَ به: صَوّت به وصاحَ، ودعاه، فقال له: هَيْتَ هَيْتَ...

... وفي الحديث: (أنّه لمّا نَزَل قولُه تعالى: ﴿وأَنْذِرْ عشيرتَك الأقربينَ﴾.

باتَ النّبيُّ - صلّى الله عليه وسلّم - يُفَخِّذُ عَشيرتَه [أي يَدْعُو عَشِيْرتَه فخذًا فخذًا]، فقال المُشْرِكُون: لقد بات يُهَوِّتُ، أي يُنادِيْ عشيرتَه).

ويُقال: هيّتَ بهم تَهْييتًا وَهَوَّتَ بهم تَهْوِيْتًا، إذا ناداهم... والأصل فيه حكايةُ الصَّوْت، كأنَّهم حَكَوْا في هَوَّتَ: هَوْتَ هَوْتَ، وفي هَيَّتَ: هَيْتَ هَيْتَ».

أمّا البُستانيّ ففي (مُحيط المُحيط): «... والعامّة تقول: هَوَّدَ...». فقُلْت: لعلّه قَوْلُ أهلِ زمانِه ومكانه وغيرهم...

وأَهْمَل: هـ و ت (المُعْجَم العربيّ الأساسيّ) للمُنَظَّمة العربيّة للتّربية والثّقافة والعلوم.

المُهاوَشة وهوش وهيش

حين سَمِعْت بالعِبَارة (المُهاوَشَة) في المُسَلْسَل الكُوَيتيّ (أبو مرزوق) الذي عُرِض في تلفزيون دمشق في حلقة ٢١/١٠/١٩٩٢ بِلَهْجة الكُوَيْت البلد الشّقيق... تذكَّرْت أنّ هذه (المُهاوَشَة) عبارة كثيرة الوُرود في العامّيّات الشّاميّة، والرّيفيّة منها بخاصّة، وعُدت إلى المُعْجم

العربيّ فوجَدْت أنّ المادّة في الجَذْرَين هَوَش وهَيَش تكادُ تكونُ كلّها ما تزال حيّة ومُسْتَعْملة في أغلب العامّيّات العربيّة تقريبًا، وإذا كانت بعض كُتُب المُعْجم العربيّ تميل إلى الاخْتِصار (كالقاموس المُحيط) الذي لم يكتب فيهما بعض المعاني التي تلتقي وفِصاح العامّيّة فقد كان اختصارًا مُخِلًّا، فلم يُبرز كثيرًا من المعاني التي ما تزال حيّة على الألسنة في شتّى الأقطار العربيّة... ولذلك وَجَدْتَني مُعْجَبًا - في هذه المادّة - بعمل ابن منظور في (لسان العرب) فأَكْثَر ما كَتَبَه في ذلك ما يزال واردًا في مُخْتَلِف العامّيّات العربيّة، بالشّيْن وبالْجِيْم، واويًّا ويائيًّا. أي في هـ و ش، و هـ ي ش، و هـ و ج، و هـ ي ج.

وفي مِصْر كَتَب د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (مُعْجم الألفاظ العامّيّة...) عن التّهويش في دَارِجَتِهم العامّيّة. كما كَتَب أحمد رضا في جَبَل عامِلَة في لبنان في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح)، عن الفِعْل: (هاش) في العامّيّة والفُصحىٰ فَلْنَتَبصَّرْ فيما عَرَض ابن منظور في مُعْجمه التُّراثيّ المَوْسوعيّ التّليد (اللسان...).

«هاشَتِ الإبِلُ هَوْشًا: نَفَرَت في الغارة فَتَبَدَّدت وتفرّقت وإبل هَوّاشَة: أخذت من هنا وهنا.

والهَوْشَةُ: الفِتْنَة والهَيْجُ والاضْطراب والهَرْجُ والاخْتِلاط...؛ قال ذو الرُّمَّة يَصِفُ المنازلَ وأنّ الرِّياح قد خَلَطَت بَعْضَ آثارها بِبَعْض:

تَعَفَّتْ لِتَهْتانِ الشِّتاءِ، وَهَوَّشَت
بها نائِجاتُ الصَّيْفِ شَرْقِيَّةً كُدْرا

وفي حديث الإسْراء: (... فإذا بَشَر كثير يَتَهاوشُون) أي يَدْخُل بعضهم في بعض وفي حديث قَيْس بن عاصم: (كنت أُهاوِشُهُم في الجاهليّة) أي: أُخالِطُهم على وَجْه الإفْساد.

والهَوْشة: الفَسادُ. وهاشَ القَوْمُ وهَوِشُوا هَوَشًا وَتَهوَّشوا: وَقَعُوا في فساد. وَتَهَوَّشوا عليه: اجتمعُوا. وَهَوَّشَ بَيْنهم أَفْسَد؛ وقول الرّاجز:

قد هَوَّشَتْ بُطونُها واحْقَوْقَفَتْ

أي اضْطَرَبت من الهُزال، وكذلك هاشَ القَوْمُ يَهوشُون هَوْشًا.

ويُقال لِلْعَدَدِ الكثير: هوش. والهُواشاتُ؛ بالضّمّ: الْجَماعات من النّاس ومن الإبِل إذا جَمَعُوها فاخْتَلط بعضُها ببعض. قال عرام: يُقال: رَأَيْت هُواشَةً من النّاس وهَوِيشةً؛ أي جماعة مُخْتَلِطة.

قال أبو عدنان: سَمِعْت التَّمِيْمِيَّات يَقُلْنَ: الهَوْش والبَوْش: كَثْرَة النّاس والدّوابّ؛ ودَخَلنا السُّوق فما كِدْنا نَخْرُجُ من هَوْشها وبَوْشها.

وقال: (اتَّقُوا هَوَشات السّوق) أيْ: اتّقُوا الضَّلال فيها وأنْ يُحتال عليكم فَتُسْرَقُوا.

وَهَوَشَات الليل: حَوَادِثه ومَكْروهه... وهَوَشَات السُّوق، قال ابنُ سِيْدَه، أراه اختلاطها وما يوكَسُ فيه الإنسانُ عندها وَيُغْبَن.

وفي حديث ابن مسعود: (إيّاكم وَهَوشَاتِ الليلِ وَهَوَشات الأسواق) ورواه بعضهم: وَهَيَشات، بالياء، أي فِتَنها وَهَيَجَها.

والهُواش؛ بالضّمّ: ما جُمِع من مال حرامٍ وحلالٍ... والمَهاوش: مكاسِب السّوء: ومنه الحديث: (مَن اكْتَسَب مالًا مِن مهاوِشَ أَذْهَبَه الله في نَهابِرَ)...

... ابن الأنباريّ: وقول العامّة: شَوَّش النّاسُ؛ إنّما صَوابهُ: هَوَّشَ. وَشَوَّشَ: خطأ.

الليث: إذا أُغِيْرَ على مال الحيّ فنفرت الإبل واختلط بعضُها ببعض؛ قيل: هاشَتْ تَهوش،

فهي هوائش.

وجاء بالهَوش والبَوش؛ أي: بالْجَمْع الكثير من النّاس.

والهَوْش: المُجتمِعُون في الحرب، والهَوْش: خلاء البطن». وكلّ ذلك في (تاج العروس...) ومنه أزيد: «... والهائِشة: الأفعى العظيمة... وهُشْت إلى فلان - بِضَمّ الهاء - إذا خَفَفْت إليه. وَتَقَدَّمْتُ أَهُوش هَوْشًا...».

وأَقْدم من هذه المصادر كتاب (النّوادر) الذي ألّفه أبو مِسْحَل الأعرابيّ؛ عبد الوهاب بن حَريش من أواخر القَرْن الثّاني أو أوائل القَرْن الثّالث الهِجْريّ وطَبَعه مَجْمَع دمشق سنة ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠م بتحقيق د. عزّة حسن. وفي ص ١٢٥ منه:

«ويُقال: هَوَّشْتُ الإبِلَ تهويشًا؛ إذا ساقها».

وهيش

وفي هـ ي ش في (اللسان...):

الهَيْشة: الجماعة؛ قال الطِّرِمّاح:

كأنّ الخِيمَ هاشَ إليه منه
نِعاجُ صَرائمٍ جُمّ القُرُون

وفي حديث ابن مسعود: (إيّاكم وَهَيْشات الليل وهَيْشات الأسواق) والهَيْشاتُ نَحْوٌ من الهَوْشات وهو كقولهم: رَجُلٌ ذو دَغَوَات وَدَغَيات.

وفي حديث آخر: (ليس في الهَيْشات قَوَد) عَنَىٰ به القتيلَ يُقْتَلُ في الفِتْنة لا يُدْرَىٰ مَن قَتَلَهُ، ويُقال بالواو أيضًا.

وهاشَ القَوْمُ بَعْضُهم إلى بعض وَتَهَيَّشُوا: وهو مِن أدنى القتال...

... هذا قتيل هَيْشٍ، إذا قُتِل وقد هاشَ بعضُهم إلى بعض.

والهَيْش الاختلاط. وهاش في القَوْم هَيْشًا: عاثَ وَأَفْسَدَ. الْجَوْهريّ: الهَيْشة مثل الهَوْشة. وهاشَ القوم يَهِيْشون هَيْشًا إذا تحرّكوا وهاجوا؛ قال الشّاعر:

هِشْتم عَلَيْنا، وكُنْتُم تَكْتَفُون بما
نُعطِيكُم الحَقَّ منا غير مَنْقوصِ.

وأزيد من (القاموس... والتّاج...): ...والهَيْش: الإكْثار من الكلام القبيح، نَقَلَه الصّاغانيّ.

والهَيْش: الإفساد والهَيْج.

و

الأَوْباش

(لا تُعاشِر الأوباش الذين لا نَعْرِف قَرْعة أبيهم مِنْ أَيْن).

هكذا يقول العامّيّ عندنا... والأَوْباش: أخلاط النّاس وأَوْشابُهم يتطابق اللفظ والمعنى بيْن العامّيّة والفُصحىٰ فيها...

في (مقاييس اللغة) لابن فارس: «و ب ش كَلِمَة تَدُلّ على اخْتلاط. يُقال: جاء أوباش من النّاس، أيْ: أخلاط. وأَوْبَشَتِ الأرضُ: اخْتَلَط نَباتُها».

وفي (لسان العرب) لابن منظور:

«الوَبْشُ والوَبَش: البَياض الذي يكون على الأظفار... ابن الأعرابيّ: هو الوَبْش والكَدِب والكَدَب والنِّمْنِم... وَوَبِشَتْ أظفاره وَوَبَّشَت: صار فيها ذلك الوَبْش.

والأوباش من النّاس: الأخْلاطُ مثل الأَوْشاب. ويُقال: هو جَمْع مقلوب من البَوْش. ابن سِيْده: أوباش النّاس: الضّروب المُتَفرّقون، واحدهم وَبْش وَوَبَش وبها أوباش من الشَّجَرِ والنَّبات وهي الضُّروب المُتَفَرِّقة»...

وفي الحديث: (إنّ قُرَيْشًا وَبَّشَتْ لِحَرْب النّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم - أوباشًا لها)؛ أيْ جَمَعَتْ له جُمُوعًا من قَبائلَ شَتّىٰ.

ابن شميل: الوَبَش: الرَّقَط من الجَرَب يَتَفَشّىٰ في جِلْد البَعير؛ يُقال جَمَلٌ وَبِشٌ وبه وَبَش وقد وَبِشَ جِلْدُه وَبَشًا وَوَبَشُ الكلامِ: رَدِيئُه.

وفي حديث كَعْب أَنّه قال: (أَجِدُ في التّوراة أنّ رَجُلًا من قريش أَوْبَشَ الثَّنايا يَحْجِلُ في الفِتْنة)، قال شمر: قال بعضهم: أَوْبَشَ الثّنايا يَعني ظاهرَ الثّنايا...

ولا أَجِد ما أَزِيْده من (القاموس... والتّاج...) سوى أنّ الزّبيديّ في (مُسْتَدْرَكه...) أَدْرَج الفِعْلَيْن: أَوْبَشَ... وَوَبَّش: «ومِمّا يُسْتَدْرَك عليه: وَبَّشَ للحرب توبيشًا: إذا جَمَع جُموعًا من قبائل شتّى...... وأَوْبَش الرَّجُل: زيّن فناءً لطعامه وشَرَابه؛ نقله ابن القطّاع...».

وفي (أساس البلاغة) مثل هذه العبارات والمعاني كذلك...

الوَبال

الوَبَال: من فِصاح المُتَدَيِّنِيْن من عَوامّنا يُحَذِّرونِ مِن وَبَال الأَخطاءِ أيْ عَواقِبِها السَّيِّئَةِ مَصْدَرُ وَبُلَ الشَّيْءُ يُوْبَل وَبَالًا وَوَبَالَةً فهو وَبِيْل: اشْتَدّ.

وفي السّورة / ٦٥/ الطلاق الآية / ٩/ ﴿فَذَاقَتْ وبالَ أَمْرِها وكانَ عاقبةُ أَمْرِها خُسْرا﴾ وَوَبُل المكانُ: وَخُمَ وثَقُلَ. والوَبالُ سُوءُ العاقِبَة! عن (المُعْجَم العربيّ الأساسيّ، و... الوسيط) [أمّا: وَبَلَتِ السّماءُ تَبِلُ وَبْلًا وَوُبولًا: فاشْتَدَّ مَطَرُها... ووبلَ الإنسانَ وغيره بالسَّوْط أو بالعَصَا: تَابَعَ عليه الضَّرْبَ].

ولم أَجِدْ لدىٰ كُتّاب فصاحِ العامّيّة مَنِ اهْتَمّ بها

سِوىٰ البُسْتانيّ.

وفي (مُحيط المُحيط): «الوَبَال مَصْدر والشِّدّة والثِّقل والوَخامة. ولمّا كان عاقِبَة المَرْعىٰ الوَخِيْم إلىٰ شَرٍّ قِيْل في سُوءِ العاقبةِ: وَبَالٌ؛ والعَمَل السَّيِّئُ وَبَالٌ على صاحِبِه».

وفي (أساس البلاغة): «... وأَخْذٌ وَبِيْل: شَدِيْدٌ، ومنه الوَبالُ لِسُوء العاقبة» ويَزِيْد (اللسان...): «والوَبالُ: الفَسادُ، اشْتِقاقُه من الوَبِيل؛ قال شمر: معناه: شَرُّه وَمَضَرَّتُه... والوَبَال: الشِّدَّة والثِّقَل. وفي الحديث: (كُلّ بِناءٍ وَبالٌ على صاحِبِه)... ويُريد به في الحديث: العذابُ في الآخرة».

وأصْل: و ب ل في (مقاييس اللغة): «أصْلٌ يَدُلُّ على شِدَّة في شَيْءٍ وتجمّع...».

إحالة: وَجَّت النار في: أ ج ج

انظر في: أَجَّ: أَجَّت النار و(ما وَجّت).

وَجَبَ وَوَجَّبَ

في عامِّيّتنا الشّاميّة: (وَجَّبَني) بمعنى: أَحْسَنَ وجوّد في أدائه الواجب بتكريمي وتقديري، وفي الحواريّات المِصْريّة يقولون بهذا المعنى (عَبَّرَني) والعبارتان لم تَرِدا بهذا المَعْنى في تليد الفصيح، ولٰكنّ العِبارة: (وجّب) يجوز أن تُفَسَّر على التَّطَوُّر....

قال ابن منظور في (لسان العرب):

(... وجَّبَ النّاقة، لم يحْلُبْها في اليوم والليلة إلّا مَرَّة).

قُلْتُ: لعلّ هذا أيضًا تَطَوَّر من المعنى الأصليّ السّابق للفِعْل: «وجَّب فلان نَفْسَه وعِيالَه وفَرَسَه؛ أي عَوَّدَهم أَكْلَةً واحدةً في النّهار» وقُلْتُ [ولٰكن في تَوْجيب النّاقَة تكْريمًا لها وصَوْنًا لها عن كَثْرَة الحَلْب]... ممّا أَدّىٰ بالعامّة إلى استعماله بمعنى التَّكْريم... وكلّ تكريم عندهم: توجيب... أو إنّهم قصدُوا تقديم واجِب التَّكريم...

ولٰكنّ المَعْنَىٰ الأَصْليّ القَديم للفِعْل وَجَّبَ في المُعْجمات. أَطْعَمَ الوَجْبَةَ، وهي الأَكْلَة الواحِدَة في اليَوْم واللَّيْلَة، وهذا المَعْنى من المَجاز لَدَىٰ الزَّمَخْشَرِيّ في (أساس البَلاغة).

ومن التَّحْرِيفات الشّائعة في عامّيّة فُصَحائنا المُعاصِرين يَتَوَجَّب على فلان... كذا، ويقصدون أنّه يَجِب عليه... ولم يَرِدْ في معجمات الفِصاح الفعل تَوَجَّب، على وزن الخُماسيّ تَفَعَّلَ إلّا لِمَعْنًى وَحيد: «أَكَلَ وَجْبَةً واحِدَةً في اليوم والليلة» ولٰكنّ هذه العِبارَة شائِعة في النُّصوص الحقوقيّة والقانُونِيَّة حيث اسْتَعْمَلُوا: يتوجَّب بمعنى: يَجِب أمّا قَوْلُهم في الدّارِجَة الشّامِيَّة والمِصْريَّة وغيرِهما: (وَجَب) بِمَعْنىٰ اسْتَوْجَب لَهُ الأَداء واسْتَحَقَّه فهو وارِدٌ في تليد الفصيح أيضًا، وذكره د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة)؛ وهو وارِدٌ في (أساس البلاغة): «وَجَبَ لي عليه كذا... وَوَجَبَ البَيْعُ... وفَعَلْتُ ذلك إيْجابًا لِحَقِّك...»

ويُفَسِّر ابن فارس تَطَوُّرَه عن الأَصْل في (مَقاييس اللُّغة): «و ج ب: أَصْلٌ واحد، يَدُلّ على سُقوط الشّيء وَوُقُوعِه، ثُمّ يَتَفَرَّع، وَوَجَبَ البَيْعُ وُجُوبًا: حَقّ وَوَقَع. وَوَجَبَ الميّت: سَقَط... الخ» قلت فتأمّلْ كم تَتَباعَد فُروعُ التَّطَوُّر في العِبارة الواحِدة، وراقِبْ تَفَرُّعات التَّراكيبِ في: و ج ب في معجم مثل (محيط المحيط) بعد (تاج العروس...)...

وَحَشَ به و (ما لَحَشَهُ)

لم أَجِدْ (لَحَشَ) في (اللسان... والقاموس...

والتّاج . . .) وَوَجَدْتُها لَدىٰ أحمد رضا العامِليّ في ص٥٢١ في ط٢ من (ردّ العامّيّ إلى الفصيح):

«يقولون: لَحَشَه لَحْشًا إذا رَمىٰ به.

وفي اللغة: وَحَشَ بِثَوْبِه (كَوَعَدَ) وكذا بِسَيْفِه إذا رمىٰ به مَخافةَ أنْ يُدْرَك ولِيُخَفِّفَ عن دابّته، كوحّش، وأنكَرَ التّشْديد ابن الأعرابيّ. والعَجَبُ منه كيف يُنْكِرُ التَّشْديد مع أنّه قد جاءَ في قَوْل ببنت عمْرُو بن وقدان وفي حَدِيثَيْن نَبَوِيَّيْنِ وحديثٍ لِعَلِيّ [نصّ عليها كلّها رضا]. . .

وقَدْ يَتَعاقَبُ الواو واللام في الفصيح كما في وَطئه ولَطَئَه إذا ضَرَبَه وربّما كانت لَحَشه مأخوذة من لَحَجَهُ يَلْحَجُه لَحْجًا بالعصا إذا ضَرَبَه بها. والوَجْهُ الأوَّل أوفى بالقبول.

وفي: (اللسان . . .): و ح ش: ووحش بِثَوْبِهِ وبِسَيْفِه وبِرُمْحِه . . . رَمىٰ عن ابن الأعرابيّ والنّاس يقولُون: وحّش . . . وفي الحديث: (كان بَيْن الأَوْسِ والخَزْرَج قِتالٌ فجاءَ النّبيُّ - صلّى الله عليه وسلّم - فلمّا رآهم نادى: ﴿أيُّها النّاس! اتَّقُوا الله حقَّ تُقاتِه . . .﴾ (الآيات . . .) فَوَحَّشُوا بأسْلِحَتهم واعْتَنَق بعضُهم بَعْضًا) أي رَمَوْها . ».

أمّا: (الوِحِش) في العامّيّة المصريّة الدّارجة فأصْلُها بالخاء: وَخَشَ كما قال د. عبد المُنْعم سيّد عبد العال في (مُعجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

المُوْحِشُ والوحْش

نحنُ في الشّام نَصِفُ بالمُوْحِش والمُسْتَوْحِشِ وما يُقارِبُها كما في الفصيح ونَسْتَعْمِل الفِعْل: تَوَحَّشَ بمعنى اسْتَوْحَشَ وشكّ في الأمرِ ولم يَطْمَئِنّ إليه، وهذا قريب من المعنى الفصيح وفي مصر يُقال: (وِحِش) بمعنى: بَشِع أو كما يقول: د. عبد العال في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

نقولُ في دارِجَتِنا: هذا الصِّنْف وِحِش: رَدِيْء قليلُ الجَوْدة . . . وفلان وحِش: رَذْلٌ سَيِّئُ التَّصَرُّفِ أو الخُلُق. والأصْلُ: وَخِشٌ وأُبْدِلَتِ الخاءُ حاءً . . .

وفي هذا يقول يزيد بن الطَّثَرِيَّةِ (٢٩٢٣ الأغاني).

فَأَلْقَيْتُ سَهْمي وسْطَهم حين أَوْخَشُوا
فما صار لي من ذاك إلّا ثمِيْنها

أمّا العامِليّ أحمد رضا في لبنان وفي (ردِّ العامّيّ إلى الفَصيح): «ويقولُ بَعْضُهم: هذا الشَّيْء وحيش، بالحاء المُهْمَلَة، أيْ: غير مَلِيْح، وفي الجَبَلِ العامِلِيّ يُقال: وَخِشَ (بالخاء المُعْجَمَة، وفي اللغة هو الوَخْش . . .)».

قلت: وفي قول العامّة: (أَوْحَشْتم . . .) لِمَن غابُوا عنهم من هَمٍّ اضْطَرَّهم إلى الخلوة . . . أجدُ في (اللسان . . .):

«والوَحْشَة: الخَلْوة والهَمُّ، وقد أَوْحَشْتُ الرَّجُلَ، فاسْتَوْحَشَ».

وَحْوَح

كأنّ أصحاب (اللسان . . . والقاموس . . . والتّاج . . .) في و ح و ح: يُشِيْرون إلى فَصيح العَوَامّ في لَهَجَاتنا وعامّيّاتنا الدّارجة؛ في التّعْبير عن الوَحْوَحة من البَرْد:

«الوَحْوَحَة: صَوْتٌ مَعَهُ بَحَحٌ والوَحْوَحَةُ: النَّفْخ في اليد من شِدّة البَرْد. وَوَحْوَحَ الثّوب: صَوَّت.

وَ وَحْ وَحْ: زَجْر للبَقَر. وَوَحْوَحَ البَقَرَ: زَجَرَها، وكذلك: وَحْوَحَ بها . . . ».

ثمّ: «وَوَحْوَحَ الرَّجُلُ من البَرْد: إذا ردَّد نَفَسَه في حَلْقه حتّى تَسْمع له صَوْتًا؛ قال الكُمَيْتُ:

وَوَحْوَحَ في حِضْنِ الفَتاةِ ضَجِيعُها
ولم يَكُ في النُّكْد المَقاليتِ مَشْخَبُ

وَوَحْوَح الرَّجُل إذا نَفَخ من شِدَّة البَرْد.

ورَجُل وَحْواح: خفيف؛ قال أبو الأسْوَد العِجْلي:

مُلازِمٍ آثارَها صَيْداح
واتَّسَقَت لزاجِرٍ وَحْواحِ

والصَّيداح والصَّيْدَح: الشّديد الصّوْت، وكذلك الوَحْوَحُ.

وَرَجُل وَحْوَحٌ: شديد القُوّة يَنْحِمُ عند عَمَله لنشاطه وشدّته؛ ورجال وَحاوِحُ والأصل في الوَحْوَحَة: الصَّوْت من الحَلْق؛ وكلب وَحْواحٌ وَوَحْوَحٌ.

وَتَوَحْوَح الظّليم فَوْق البَيْض: إذا رَئِمَها وأَظْهر وُلوعَهُ، وقال تميم بن مُقْبل:

كَبَيْضَةِ أُدْحِيٍّ تَوَحْوَح فَوْقها
هِجَفّانِ، مِرْعايا الضُّحىٰ وَحَدانِ

وَتَرَكَها تُوَحْوِحُ وَتَوَحْوَحُ: تُصَوِّتُ من البَرْد من الطَّلْقِ بين القوابل.

والوَحْوَح والوَحْواح: المُنْكَمِشُ الحديدُ النَّفَسِ... ابن الأثير: وفي شِعْر أبي طالب يَمْدح النَّبيّ - صلّى الله عليه وسلّم-:

حتّىٰ تُجالِدكم عنه وَحاوِحَةٌ
شِيْب صَناديدُ لا يَذْعَرْهُمُ الأَسَلُ

هو جَمْع وَحْواح وهو السّيّد.... ويجوز أنْ يكونَ من الوَحْوَحَة وهو صَوْت فيه بُحُوحَة كأنّه يَعْني أصحاب الجِدال والخِصام والشَّغب في الأسواق وغيرها. ومنه حديث عليّ: (ولقد شفىٰ وحَاوِحَ صَدْري حَسُّكم إيّاهم بالنّصال). وقال السُّهَيْلي في الرّوض: الوحاوح: الحُرَقُ والحرارات... والوَحْوَح أيضًا وسط الوادي عن أبي عُبَيْد».

وفي (مُحيط المُحيط) للبُستانيّ: «وَحْوَح... صاتَ بِصَوْت فيه بَحَحٌ. وَوَحْوَح فلان: نَفَخ في يَدِه من شِدّة البَرْد وقال: أَحْ أَحْ...».

أمّا أحمد رضا العامِليّ فعبارته العامّيّة: «تَوَحْوَحَ له: إذا هَدَّدَه بصَوْت خفيّ يَخْرُج من الْجَوْف ويُشْعِرُه بالتّهديد والوَعيد... وهو مأخوذ من الوِحْوِح وهو الذي يَتَنَحْنَح عند عَمَله لنشاطه وشدّته، وإذا تهدّد بالأذيَّة فهو يُرَدِّد نَفَسَه ويَتَوَحْوَح من شدّة غَيْظه».

لٰكنّ د. عبد العال يُعِيْدنا إلى الوَحْوَحَة من البَرْد في (معجم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) ويَسْتَشْهِد بِبَيْت عُروَة بن الوَرْد الوارد في (الأغاني ٩٢٦):

فَباتَتْ بِحَدّ المِرْفَقَيْنِ كليهما
تُوَحْوِحُ ممّا نالَها وتُوَلْوِلُ

الوَخْش و(الوِحِش)

يُقال في عامّيّتنا الشّاميّة: (تَوَخَّشْتُ منه وتَشَكَّكْتُ في نَواياه...) وبَعْضُهم يَسْتَبْدِلُ بها غَيْنًا ويُكَرِّرُ الواو (تَوَغْوَشْتُ...).

والوَخْشُ: الرَّدِيْءُ في الفَصِيْح، وهو بالحاء المُهْمَلَة في العامّيّة المِصْريّة الدّارِجَة (وِحِش) كما يقول د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) وهو بِمَعْنى البَشِع أيضًا...

وفي (اللسان...) «الوَخْش: رَذالَةُ النّاس وصغارهم وغيرهم، يكونُ للواحدِ والاثنَيْن

والجَمْع والمُؤَنّث بِلَفْظٍ واحدٍ. . . ويقال: وجاءني أوخاش من النّاس؛ أي: سُقاطُهم. . . وربّما أدخل النّون، وأنشد لِدَهْلَبِ بن قُرَيْع:

جاريةٌ ليسَتْ من الوَخْشَنِّ
كأنَّ مَجْرىٰ دَمْعِها المُسْتَنِّ
قُطُنَّة من أَجْوَدِ القُطُنِّ

وَوَخُشَ الشّيءُ، بالضّمّ، وَخاشَة ووُخُوشَة ووُخُوشًا: رَذُلَ. . . وأَوْخَشَ القَوْم أيْ ردُّوا السِّهامَ في الرِّبابة مرّةً أُخرى كأنّهم صارُوا إلىٰ الرَّذالة والوَخاشَةِ وأنشد أبو عُبَيْد في الإيخاشِ لَيَزيدَ بن الطَّثَرِيَّة وهي أمُّهُ واسْمُ أبيه سَلَمَة:

أَرَىٰ سَبْعةً يَسْعَوْنَ للوَصْل كلّهم
لَه عند رَيّادِينةٌ يَسْتَدينُها
وألقَيْتُ سَهْمي وَسْطَهم حين أَوْخَشوا
فما صار لي من القَسْم إلّا ثمينها

قال: أَوْخَشُوا: خَلَطُوا. وقولُه: إلّا ثَمِيْنها أيْ كُنْتُ ثامِنَ من ثمانية ممّن يَسْتَدِيْنها. . .».

وَدَّرَهُ

للفيروزاباديّ في (القاموس المحيط): «وَدَّرَهُ تَوْديرًا: أَوْقَعَه في مَهْلَكَةٍ، أو: أغراه حتّى تَكَلَّفَ ما وَقَع منه في مَهْلَكَةٍ. وودّر رسولَه: بَعَثه. وودّر الشَّرَّ: نَحّاه وَبَعَّدَهُ؛ وَوَدّر الرَّجل: أغواه. ووَدَّرَ مالَهُ: بَذَّرَهُ وأسرف فيه فتودَّرَ. . . وتودّر في الأمر: تورّط؛ وقد يكون التَّوَدُّرُ في الصّدق والكَذِب هو إيرادُك صاحبك مَهْلَكَةً».

وللزّمخشريّ في (أساس البلاغة):

«ودَّرْتُه توديرًا: إذا غَيَّبْتُهُ وسَمِعْتُهم يقولون: وُدِّر فلان. وَوَدَّرَهُ الأمير، وأَمَر به أنْ يُوَدَّر: يريدون تسييره وتغريبه وطردَه عن البلد. وعن النَّضْر: وَدَّرْتُ رسولي قِبَل ناحية كذا».

كلّ هذا كما في عامّيّة مِصر والشّام؛ وقد كتب عنها د. عبد المنعم سيّد عبد العال في (مُعجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة).

أمّا أحمد رضا العامليّ في (ردّ العامّيّ. . .) فقد قَصَرها على (ودّر المال) فقط: «ويقال: ودّرَ فلان ماله توديرًا: بَذَّرَهُ وَأَسْرفَ فيه، فَتَوَدَّر، نقله الصاغانيّ. أ. هـ.».

وأضاف أبو حرب في (المعجم المدرسيّ) من (اللسان. . . والأساس. . . والقاموس. . .): «. . . وَوَدَّرَ غيره: أوقعه في مَهْلَكَة».

إحالة: وُدّي وبِوُدّي: تجدها في الباء: (بِدّي: بِوُدّي).

وَدَعَ

يرى سِيْبَوَيْه أنّ ماضيَ الفِعْل: (يَدَعُ) لم يُسْتَعْمل، تجد هذا في (الكتاب: ٢: ٢٥٦).

ويقول الفيروزاباديّ في (القاموس المحيط): . . . دَعْهُ أي: اتْرُكْه، أصْلُه: وَدَعَ، كَوَضَع، وقد أُمِيْتَ ماضِيْه، وإنّما يُقال في ماضيه: تَرَكَهُ. . . وقُرِئَ شاذًّا ﴿ما وَدَعك﴾ الآية الثّالثة من السّورة ٩٣: الضُّحَىٰ. . .

وهي قِراءَتُه، صلّى الله عليه وسلّم.

فكيف يقولُ: «أُمِيْتَ ماضِيْه» ثمّ يَنْسب القراءة إلى الرسول صلّى الله عليه وسلّم؟ وقَبْلَه الجوهريّ في الصِّحاح يُمِيْتُ الماضي والمُشْتَقّات منه «فلا يُقال: وَدَعَ ولا وادِع. . .»

ولٰكنّ الفِعْل الذي قالُوا أُمِيْت ماضِيْه واسمُ فاعله و. . . وهو ما يزال حيًّا يُرْزَق للقائلين به والمُسْتَعْمِلِيْن له في عامّيّة دمشق وغيرِها اليوم اسْتِعْمالًا يوميًّا فاشِيًّا مُنْتَشِرًا أوسَع الانْتِشار. . . واسْتِعْمالًا صحيحًا لفظًا ومَعْنًى. كَمِثْل ما أوردت

المعاجم شواهده ومنها قولُ أبي الأسْوَد الدُّؤلي، وهو من أوائِل واضِعِيْ عِلْمِ النَّحْو؛ على ما نعلم:

لَيْتَ شِعْري عن خليلي ما الذي
غالَه في الحُبِّ حتّى وَدَعَه

وقد رَوَتْه كُتُبُ اللغة والمعاجمُ التّليدة (كلسان العرب وتاج العروس) وغيرهما ورَوَتْهُ مُقارِبًا لهذه الرِّوايةِ مَنْسُوبًا إلى أَنَسَ بن زُنَيْم الليثي، ثمّ في رِوايَةٍ مُقارِبَةٍ أُخرى منسوبًا إلى سُوَيْد بن أبي كاهل...

وهكذا نَجِدُ مَنْ يَزْعُمُ أنّ أَهْلَ اللغة كانُوا قد أماتُوا المصدر واسم الفاعل والماضيَ (وَدَعَ) بِمَعْنَى تَرَكَ؛ مَعَ أَنَّ (وَدَعَ) وَارِدٌ في قِراءَةٍ للآيَةِ الثّالثَةِ من السُّورَة: ٩٣ سُورَةِ الضُّحَىٰ ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وما قَلَىٰ﴾ بِتَخْفِيفِ الدّالِ، كما قَرَأَهَا عُرْوَةُ ابنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُهُ هِشام، وَقَرَأَهَا مُقاتِلٌ وَأَبُوْ حَيْوَةَ وَابْنُ أَبِيْ عَبْلَةَ وَيَزِيْدُ النَّحْوِيُّ كَمَا ذَكَرَتْ كُتُبُ القِراءاتِ والصَّاغانيّ في مُعْجَمِهِ (العُباب): أنّه «وَقَدِ اخْتارَ النَّبِيُّ – صلّى الله عليه وسلّم – أَصْلَ هَذِهِ اللُّغَةِ فيما رَوَى ابْنُ عَبّاسٍ أَنَّهُ قَرَأَ (ما وَدَعَكَ...) مُخَفَّفَةً وَكَذَلِكَ قَرَأَ عُرْوَةُ و...» وكَذَلِكَ تَجِدُ في (لِسانِ العَرَبِ) لابْنِ مَنْظُورٍ و(تاج العروس) للزّبيديّ، وأيْضًا في مُعْجَمِ الفَيّوميّ: (المِصْباح المُنير)[١] «وقالَ بَعْضُ المُتَقَدِّمِينَ: وَزَعَمَتِ النُّحاة أَنَّ العَرَبَ أماتَتْ ماضيَ يَدَعُ وَمَصْدَرَهُ وَاسْمَ الفاعِلِ، وَقَدْ قَرَأَ مُجاهِدٌ وَعُرْوَةُ ومُقاتِلٌ وَابْنُ أَبِيْ عَبْلَةَ وَيَزِيْدُ النَّحْوِيُّ: ﴿ما وَدَعَكَ رَبُّكَ﴾ بالتَّخْفِيفِ، وَفِي الحَدِيثِ: (لَيَنْتَهِيَنَّ قَوْمٌ عَنْ وَدْعِهِم الجُمُعَاتِ) أَيْ عَنْ تَرْكِهِمْ. فَقَدْ رُوِيَتْ هٰذِهِ الكَلِمَةُ عَنْ أَفْصَحِ العَرَبِ، وَنُقِلَتْ من طَرِيْقِ القُرّاءِ، فَكَيْفَ تكونُ إماتَةٌ؟ وَقَدْ جاءَ الماضِي مِن بَعْضِ الأَشْعارِ، وَما هٰذِهِ سَبِيلُهُ فَيَجوزُ القَوْلُ بِقِلَّةِ الاسْتِعْمَالِ، وَلَا يَجُوْزُ القَوْلُ بِالإماتَةِ». ويُضِيفُ ابْنُ مَنْظُورٍ في (لِسانِ العَرَبِ) أَنَّ استِعْمال وَدَعَ (مُراجَعَةُ أَصْلٍ) كما قالها ابن جنّي قبله.

قُلْتُ: وَمِثْلُ ذَلِكَ ما قالَهُ المُطَرِّزِيُّ في مُعْجَمِهِ / المُغْرِبِ.

الوَرِشُ والوَرْشَةُ

مِنْ تَطَوُّر معاني الفِعْل وَرَش يَرِش وَوَرِشَ يَوْرَش فهو وارِشُ وَوَرِشُ تقولُ عامَّتُنا: الوَرِشُ: النَّشِيْطُ الكثير الحَرَكَة مع السُّرْعة وقِلَّةِ التَّبَصُّرِ بالعَواقِبِ في سُرْعةِ حَرَكَتِهِ وشِدَّةِ حَماسَتِه... ولعلّ هذه الحَماسةَ التي يَتَمَيَّز بها الوَرِشُ خِلالَ عَمَلِه وانْشِغالِه ممّا جَعَلَهُم يَشْتَقُّون من الفِعْل وَرِش: الوَرْشَة على وَزْنِ اسْمِ المَرّة لِيَدُلُّوا به على مَكانِ العَمَلِ لِمَجْمُوعةٍ من العامِليْن في حِرْفَةٍ أو مِهْنَةٍ...

في (مقاييس اللغة): «ورش: كَلِمَتانِ مُتقارِبَتا القِياس. فالأُولىٰ قَوْلُهم للدّاخِل على القَوْم ولم يُدْعَ: الوارِش. والثّانية قولهم للدّابّة التي تَفَلَّتُ في الْجَرْي وصاحبُها يَكُفُّها: الوَرِشَة...».

وفي (أساس البلاغة): «جاء وَقَعَهُ وارِش كأنّه كَلْبٌ هارِش...»؛ وهو الطُّفَيْلِيّ، وفي مَثَلٍ: «لِعِلَّةِ الوَرَشان يَأْكُل رُطَبَ المِشان[٢]».

[illegible]

وفي (اللسان...): «الوارِش: الدّافعُ، والوَارِشُ الطُّفَيْلِيّ المُتَشَهّي للطّعام... والدّافِع في أيِّ شَيْءٍ وَقَعَ في شَرَابٍ أو طَعامٍ أو غيرِه، وقيل: الوَارِشُ في كلِّ شَيْءٍ أيضًا؛ وَوَرَشَ وَرْشًا وَوُرُوْشًا... أبو عَمْرو: الوارِش: النَّشيط وقد وَرِشَ وَرْشًا؛ وأنشد:

يَتْبَعْنَ زَيّافًا إذا زِفْنَ نجا
باتَ يُبادِيَ ورِشاتٍ كالقطا

... قال ورَجُلٌ وارِشٌ: نشيط.

والتَّوْريش: التّحْرِيش، يُقالُ: وَرَّشْتُ بَيْنَ القَوْم وأرشْتُ [راجِعْ آرَشَ وقارَشَ و...] والوَرِشَةُ من الدّوابّ: التي تَفَلَّتُ إلى الْجَرْيِ وصاحبُها يكُفُّها.

أبو عَمْرو: الوَرِشاتُ: الخِفافُ من النُّوق والوَرْشُ تناوُلُ شَيْءٍ من الطَّعام... وَرَشَ من الطّعام شيئًا: تناوَلَ منه قليلًا...».

وأُضِيْف من (القاموس... والتّاج...):

والوَرْشُ الأَكْلُ القليلُ والرَّوْشُ الأكْلُ الكثير.

وَوَرَشَ: طَمِعَ. وَوَرَشَ: أَسَفَّ لِمَداقّ الأُمورِ.

وَوَرِشَ فلانًا بفلان: أغراه. والتَّوْرِيْشُ: التَّحْرِيش والوَرَش بالتّحْريك وَجَعٌ في الْجَوْف...

والوَرِشُ: كَكَتِف: النَّشيطُ الخفيفُ من الإبِل وغيرِها، وهي وَرِشَةٌ ويُقال: لا تَرِشْ عليّ يا فلانُ أيْ لا تعرضْ لي في كلامي فتَقْطَعُه عليّ.

وفي (محيط المحيط): «... والوَرِش: النّشيْط الخفيفُ من الإبِل وغيره... والعامّة تقولُ: وَلَدٌ وَرِشٌ، أي كثيرُ الحَرَكَةِ لا يُكَفّ... الوَرْشَة: المَرَّة. وعند البَنّائين: جماعَةُ المُعَلِّمِيْن والفَعَلَة يَشْتَغِلُون».

ولم أَجِدِ (الوَرْشَة) في مُعْجَمِ مَجْمَعِ القاهرة (... الوسيط: ط٢).

وَوَجَدْت في (قاموس المُصْطَلَحات والتّعابير الشّعبيّة ص٢٨١):

«وَرْشِه: مكانُ اجْتماع العُمّال الذين يَعْمَلُون معًا في عَمَلٍ واحدٍ. وهي دَخِيْلَةٌ من الإنكليزيّة: WORK SHOP». وفي ٢٧٣ منه: «وِرِش: صِفَةُ الخفيفِ في حَرَكاتِه الكثير اللَّعِبِ المَوْفُور النَّشاط فيه، وهو في الأَصْل صِفَة الخفيفِ مِنَ الإبِلِ واسْتُعِير للإنسان».

ويجدُ محمّد العدنانيّ في (مُعْجَم الأغلاطِ اللغويّة المُعاصِرة) ط. مكتبة لبنان ١٩٨٤ ص٧١٨ أنّ: الوَرِش: فصيحة... وكذلك يَجِدُها أحمد رضا العامِليّ في (ردّ العامّيّ إلى الفصيح) «... نَقَلَه الأزهريّ عن أبي عَمْرو. ونَقَلَهُ الجَوْهريّ [مُؤَلِّف (الصِّحاح...)] وربّما كان المَصْدَرُ أيْ الوَرَش مَقلُوبًا من الرَّوَش وهو خِفّة العَقْل، وهو أَرْوَش وهي رَوْشاء». وفي الوَرْشَة لأحمد رضا: «يقولون: عَمِلَ لنا فلان وَرْشَة؛ أي: فِتْنَةٌ واخْتِلاط. وهي مِن وَرَشَهُ بِفُلانٍ إذا أغْرَاه به. وَوَرَّش بَيْن القَوْم وأَرَّش وَحَرَّش. ثمّ أَطْلَقَتْهُ العامّة على اجْتِماعِ العُمَّالِ على عَمَلٍ واحدٍ لِاخْتِلاطِهم وجلَبَتِهم، وَجَمْعُها وُرَش، فهو على المَعْنى الأوّل من المَجاز وعلى الثّاني من مَجاز المَجاز».

ولم أجدها لدى د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ...).

وَسَقَ يَسِق

كانت أُمّي تَقول: (أَطْعَمْتُه حتّى وَسَقْتُه بِالْأَكْل) أي مَلَأْتُه، وَمَلَأْت الأَحْمالَ وَوَسَقْتها فصارَتْ مَوْسُوقَة لا تَحْمِل أَكْثَر... وَوَسَقْتَنا كلامًا فَأَيْنَ الأعمال؟

وفي مِصْر أيضًا د. عبد العال في (مُعْجَم الألفاظ

العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة): «نقول في دارِجَتِنا: وَسَّقَ العَرَبَةَ أو الدّابّة وَنَحْوَهما: حَمَّلَها أَقْصَىٰ ما يُمْكِن أنْ تَحْتَمِلَه، والوَسْق: الحِمْل...».

وفي (النّهاية في غريب الحديث والأثَر) لابن الأثير - وهو الكتاب الذي اسْتَوْعَبَه كلٌّ من (اللسان... والتّاج...) (والعُباب... والتّكملة... وهما للصّغانيّ):

«في حديث الخُدْريّ: (الوَسْقُ سِتُّونَ مَخْتومًا) والأصْل في الوَسْق: الحَمْل؛ وكلّ شيء وسَقْته فقد حَمَلْته».

قلت: وكذلك في (مقاييس اللغة): «و س ق كلمةٌ تَدُلُّ على حَمْل الشّيء... وَوَسَقَتِ العَيْنُ الماءَ: حَمَلَتْه [وفي الحاشية: زاد في المُجْمل: (يقولون في النَّفي: لا أَفْعَلُه ما وَسَقَت عين الماء)]. قال الله سبحانه ﴿والَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ السّورة ٨٤ الانشقاق الآية ١٧. أي جَمَع وَحَمَل». وقال [ضابِئُ بن الحارِثِ البُرْجُمِيّ، في (اللسان...)]. في حَمْل الماء:

وإنّي وإيّاهُم وَشَوْقًا إِلَيْهِمُ
كَقابِضِ ماءٍ لَمْ تَسِقْهُ أَنامِلُهْ.

ورواية (اللسان...) و(أساس البلاغة):

وإنّي وإيّاكم وشوقًا إليكُمُ

وفي (أساس البلاغة): «عنده وِسْق من تَمْر وَوُسُوق وَأَوْساق. ووسَّق مَتاعَة: جَعَلَه وُسوقًا. وَأَوْسَقْتُ البعيرَ: حَمَّلْته الوِسْق... [بفتح الواو وكسرها].

... وَسَاق العَدُوُّ الوَسيقة والوَسائق وهي الطَّرِيدَة. وناقة واسق: حامِل... وقد أَوْسَقَت؛ قال لَبِيْد يَصِفُ الجنّة:

يومَ أَرْزاقُ مَن يُفَضِّلُ عُمٌّ
مُوسِقاتٌ وَحُفَّلٌ أبكارُ

... وهو لا يُواسِقُ فلانًا: لا يُعادِلُه...».

وكذلك في كثير من المعاجم القديمة والحديثة (كالقاموس... والتّاج... ومحيط المحيط... والمعجم الوسيط...) وفيها: «والوَسْق: ستّون صاعًا أو حَمْل بَعير أَوْ قَرْنَهُ...» وفي المِصْباح المُنير: «والكَسْر لغة [الوِسق]».

الوَكْس والتَّوْكيس

حِيْن نقولُ في الشّام ومِصْر وغيرِهما: (لا تُوَكِّسْ في قِيْمَة هذا الشَّيْء أو الأمْر) فَنَحْنُ نحافظُ على الفَصِيْح كما وَرَد، وكذلك تقولُ حين تَشْعُر بالخَيْبَة والخُسْران: يا وَكْستي!

والوَكْسُ في (القاموس...).

«النُّقْصان والتَّنْقيصُ، لازِمٌ مُتَعَدٍّ... والتَّوْكِيْس: التَّوْبيخ والنّقصُ ورَجُلٌ أَوْكَسُ: خَسِيْس...».

وفي (مقاييس اللُّغة): «و ك س: كلمة تَدُلّ على نَقْصٍ وخُسْران».

وفي (لسان العرب): «الوَكْسُ: النَّقْص.

وقد وَكَسَ الشَّيءُ: نَكَسَ وفي حديث ابن مسعود: (لها مَهْر مِثْلها؛ لا وَكْس ولا شَطَط) أي لا نُقصان ولا زِيادَة والشَّطَطُ: الجَوْر.

ووَكَسْتُ فلانًا: نَقَصتُه.

والوَكْس: اتّضاعُ الثَّمَن في البَيْع؛ قال:

بِثَمَنٍ من ذاكَ غيرِ وَكْسِ
دُون الغَلاءِ وفُوَيْق الرُّخصِ

ويُقال: لا تَكِسْ يا فلانُ الثّمن

أبو عَمْرو: الوَكْس: مَنْزِل القَمَر الذي

يُكْسَفُ فيه.

ووُكِسَ فلانٌ في تِجارَتِه وأوْكِسَ أيضًا - على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه فيهما - أي خَسِرَ».

وأزيدُ من (أساس البلاغة):

«ورَجُلٌ أَوْكسُ: قليل الحَظِّ، وأنْشَدَ الجاحظ لشبيل بن عزرة:

بنو كلبة هرّارة وأبوهم
خُرَيمة عَبْدٌ خامِلُ الذِّكْرِ أوكسُ

وهذه ليلةُ الوَكْسِ وهي لَيْلَة دُخولِ القَمَر في نَجْمٍ مَنْحوس. قال: هيجها قبل ليالي الوَكْسِ.

وبرئت الشَّجَّةُ على وَكْسٍ: على مِدَّة في جَوْفِها، ويُقال للطّبيب: انْظُرْ إنْ كان فيها وَكْسٌ فأَخْرِجْه».

وفي (مُعْجَم الألفاظ العامّيّة ذات الحقيقة والأصول العربيّة) للدكتور عبد المُنعم سيّد عبد العال:

(. . . وَكَسَه: بَخَسَه حقَّه وأَنْقَصَهُ من قَدْرِه. وباعَ بِضَاعَتَه بالوَكْس: باعَها بِخَسَارةٍ وَوُكِسَ وانْوَكَسَ: خَسِرَ. . .).

ي

اليمين واليسار والشِّمال والعسراوي

اليَساريّ واليَمِينيّ بلغةِ السِّياسَة في عصرِنا هل كان لها من لُغةِ القُرآن شبيهٌ؟ أم نكتفي بالقولِ إنّها من عصْرِ الثّورة الفرنسيّة ١٧٨٩ حينما كان أعضاء (البرلمان) المُحافظون يتجمّعون على كراسي الجانب الأيمن من قاعة المَجْلِس، والثّوْريّون المُتطرّفون على الجانب الأيسر...؟

والمَثَل عِنْدَنا في الشّام (العسْراوي لا يقْتل أي واوي) أي: الأعْسَر لا يَقْدِرُ... ولا على ابن آوى...

ولٰكنّ اليُسْر في القرآن ليس الشّمال. واليُسرُ فيه نقيض العُسْر وفي السّورة ٦٥ الطَّلاق الآية٧ ﴿... سيجعل الله بعد عسرٍ يُسرا﴾

وفي (أساس البلاغة): ي م ن:

«... وقالوا لليمين: اليَمْنَىٰ، كما قالوا للشّمال: الشُّؤْمَىٰ... ومن المَجَاز: هو عنده باليَمين: بمَنْزِلةٍ حَسَنَةٍ». وفي: ش م ل:

«... ليس من شِمالي أن أَعْمَلَ بِشِمالي... ومن المَجَاز: نوى مَشْمُولة: مُفَرِّقَة بَيْن الأحبة لأنّ الشِّمال تُفَرِّق السَّحاب... وزَجَرْتُ له طيرَ الشِّمال: طَيْر الشُّؤْم؛ قال الحارث بن حرجة الفَزاريّ:

وَهَوَّنَ وَجْدي أنّني لم أكنْ لهم
غُراب شِمال ينتِف الرّيشَ حاتِما

وفي سورة الحاقّة أي السّورة ٦٩ من كتاب الله... الآية ١٩: ﴿فَأَمَّا مَن أُوتيَ كتابَه بِيَمِينِه فيقول هاؤُم اقْرَؤُوْا كِتابِيَهْ﴾ وفي الآية ٢٥ من السّورة ٦٩ ذاتها: ﴿وأمّا من أوتي كتابَه بِشِماله فيقول: يا ليتني لم أُوتَ كتابِيَه ٢٦ ولم أَدْرِ ما حِسابِيَه ٢٧ يا ليتَها كانَتِ القاضِيَةَ﴾ وفي السّورة ٥٦ / الواقعة / من الآية ٧ حتّى ٥٦.

٨ ﴿فَأَصْحابُ المَيْمَنَة﴾ ٩ ﴿ما أصحابُ الميمنة﴾ ١٠ ﴿وأصحابُ المَشْأَمَة﴾ ١١ ﴿ما أصحابُ المَشْأَمَة...﴾

... ٣٦ ﴿فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكارًا﴾ ٣٧ ﴿عُرُبًا أَتْرابًا﴾ ٣٨ ﴿لأصحاب اليَمين...﴾

... ٤١ ﴿وَأَصْحاب الشِّمال ما أصحابُ الشّمال﴾ ٤٢ ﴿في سَمُومٍ وَحَميم﴾ ٤٣ ﴿وَظِلٍّ مِن يَحْموم﴾ ٤٤ ﴿لا باردٍ ولا كَريم...﴾

واليَسار هي اليدُ الشِّمال في (اللسان...): ي س ر:

«وفي الحديث: (كان عُمَر - رضي الله عنه - أَعْسَرَ أَيْسَر). ورُوِي: أَعْسَرَ يَسَرَ كما في كلام العرب؛ أي: يَعْمَلُ بيَدَيْه جميعًا. وقعد فلان يَسْرَةً أي شَأْمَةً. ويُقال: ذهب يَسْرَةً قال: وإذا كان أَعْسَرَ وليس بِيَسَرٍ كانت يَمِيْنُهُ أَضْعَفَ من يَساره... الليث: رجل أَعْسَرُ يَسَرٌ وامرأة عَسْراءُ يَسَرَةٌ...».

وكذلك في (اللسان...) ع س ر: ويَسْتَشْهِدُ بِبَيْتِ امرئ القَيْس دونَ أن يَذْكُرَ اسْمَه:

«لها مَنْسِمٌ مثل المَحارَةِ خُفُّهُ
كأنّ الحَصىٰ، من خَلْفِهِ حذف أعسرا

. . . ويُقالُ للمَرْأة عَسْراءُ يَسَرَةٌ إذا كانت تعملُ بِيَدَيها جميعًا.

والعُسْران جَمْع الأَعْسَرِ وهو الذي يَعْملُ بِيَدِه اليُسرىٰ. . .».

وأمّا في (مقاييس اللغة) ع س ر:

«. . . والعُسْرى هي الشِّمال؛ وإنّما سُمّيَت عُسْرىٰ لأنّه يَتَعَسَّرُ عليها ما يَتَيَسَّرُ على اليُمْنىٰ. فأمّا تسميتُهم إيّاها يُسْرَى فيُرَىٰ أنّه على طريقة التَّفاؤُل، كما يُقال للبَيْداء: مَفازَة، وكما يُقالُ لِلَّديغ: سليم».

مسرد لغوي

آ

الآدمي ١١٦

آذانُ ١١٩

الآزح ١٢٥

آيسَ ١٤٦

أ

الإجَّاص ١١٢

الإدام ١١٥

إصْطفل ١٣٠

إلْياس ١٣٧

الإوزُّ ١٤٤

إيْ ١٤٧

أبَّ ١٠١

أبالْبَالَة ٢٠٦

أبَجًا ١٠٣

أبَز ١٠٣

الأبْش ١٠٥

أبَض ١٠٦

أُبَهَة ١٠٧

أبي ١٠٨

الأبِيْلَة ١٠٧

أتَسْتَأْصِلُني ١٣١

أتَّىٰ ١١٠

أجَّت ١١٠

أخْأخَ ١١٢

أخّ ١١٣

أُخُوَّة ١١٣

أدَّى ١١٨

الأُرْبِيَّة ١٢٠

الأرْشُ ١٢١

أرم ١٢٣

الأرِيضَة ١٢٢

الأزْعَر ٣٣١

أزّهُ ١٢٦

الأسامي ١٢٧

أشَّ ١٢٨

أشَرَ ١٢٨

أشْوَىٰ ٣٨٥

أصَرهُ ١٢٩

أُغُّ ١٣٢

أفَرَك ١٣٢

أفَزَ ١٣٣

أفَف ١٣٤

الأكِيْلُ ١٣٤

ألَبَ ١٣٥

الألْس ١٣٦

أمَّرَ ١٢٨، ١٣٧

أمَعَ ١٣٨

أُمّي ١٣٩

أنَفَ ١٤٠

أنَّيْتُ ١٤١

أها ١٤٣

أهَرَ ١٤١

أهَّلَ ١٤٢

الأوْباش ٦٣٢

الأوتوستراد ٣٨٨

أوى ١٤٤

أيّ ١٤٥

أيَا ١٤٦

أيْش ١٤٧

أيْوَهْ ١٤٨

الاخْتِراعات ٢٧٥

اسْتَأْجَز ١١١

اسْتَوَىٰ ٣٥١

اصْطَفِل ٣٨٩

انْزَعَجَ ٣٣٠

انْفَطَشَ ٤٨٦

ب

بابا ١٤٩

الباب الخَوْخَة ٢٨٥

باخَ ١٩٨

باس ٢٠٠

الباع ٢٠٣

البال ٢٠٤

البَتُّ ١٥٠

بَجَّ ١٥١

البَجَاحَةُ ١٥٢

البَحّ ١٥٣

البَحْتَرَة ١٥٣

البَحْتُ ١٥٤

بَحَشَ ١٥٤

بَحْلَقَ ١٥٦

بَخْتَرَ ١٥٦

بَخصَ ١٥٧

بَخَعَ ١٥٨

بَدْرِي ١٦٠

بِدّي ١٥٩
بَدِيت ١٥٨
بَرّا ١٦٢
البَرَازِقُ ١٦٤
البَرْبَرَة ١٦١
البَرْجيس ١٦١
البَرْطَمَة ١٦٥
البِرْطيل ١٦٥
البُرْغُلُ ١٦٦
البُرْنُسُ ١٦٧
البِزّ ١٦٨
البَزْر ١٦٨
بَسّ ١٦٩
بِشّ ١٧٣
بَصَّ ١٧٤
بَطَحَ ١٧٥
بَطَّخَ ١٧٦
البُعاق ١٨٢
بَعْبَعَ ١٧٧
بَعَتَ ١٧٨
بَعَجَ ١٧٩
بَعَّدَ ١٨١
بَعْزَق ١٨٢
بَغَى ١٨٣
بَقَى ١٨٤
البَكْبَكَة ١٨٤
بَكَتَهُ ١٨٥
بَكَسَهُ ١٨٦
البَلاء ١٩٠
بَلَسَ ١٨٦
بَلَصَ ١٨٧
البَلْعُ ١٨٩
بَلَّمَ ١٨٩
البَنْدَرُ ١٩١
البَنْك ١٩١
بَهَتَهُ ١٩٣
بَهِجَ ١٩٤
البَهْدَلَة ١٩٥
بَهَرَهُ ١٩٦
بَهْلَلَ ١٩٧
البُوْر ١٩٩
البُوز ٢٠٠
بَوْش ٢٠١
البيت ٢٠٧

ت

تَأْتَأَ ٢١٠
التَّبْشِيْر ١٧٢
تَبَعَهُمْ ٢١٠
التبغيل ١٨٣
التحتاني ٢١١
تَخَّ ٢١١
تَدَمْشَقَ ٣٠٩
تَرَسَ ٢١٢
تَرَى ٢١٢
تَرَتَّبَتْ ٣٢٧
تَشَوَّفَ ٣٨٢
تَطَوَّر ٤٢١
تَعْتَعَهُ ٢١٦
التَّفارِيجُ ٢١٤
التَّكْتَكَة ٢١٥
تَكُنُّ ٥٣٤
التَّكَّة ٢١٥
التَّلْتَلَة ٢١٦
تَلَعَ ٤١٥
التَّنْبَلُ ٢١٧
التَّنُّور ٢٢٠
تَهْتَهَ ٢٢٠
التُّوَلَةُ ٢٢١
تَيَّسَ ٢٢١
التِّيْن ٢٢٢

ث

الثُّفْلُ ٢٢٣

ج

جَأْجَأَ ٢٢٥
جاكَرَ ٢٣٥
الجَخُّ ٢٢٧
الجَذَع ٢٢٩
الجَرْد ٢٣٠
الجُرْزَة ٢٣١
الجَرْشُ ٢٣٢
الجُرْن ٢٣٢
جَعَزَ ٢٣٣
جَفَرَ ٢٣٣
الجَفِس ٢٣٤
جَلأَ ٢٣٦
جَلَطَ ٢٣٨
جَلْفَطَ ٢٣٩
جَلْمَطَ ٢٣٩
الجُلَّنار ٢٤٠
جماش ٢٤٠
الجوّاني ٢٤٢
الجَوْب ٢٣١
جُبَّرَ ٢٢٥

ح

حاحَيْت ٢٦٥
حاوَطَ ٢٦٩
حايص ٢٦٨
حَبَّ ٢٤٣
حَرَّ ٢٤٦
الحَرامي ٢٥١
حَرِدَ ٢٤٥
الحردون ٢٥٢
حُرْمَةُ ٢٤٨
حَزَرَ ٢٥٢
الحَزّة ٢٥٢
الحَشْك ٢٥٤
الحَشْو ٢٥٤
حَفَّ ٢٥٧

حَقُّ ٢٥٧
حَكَشَ ٢٥٨
حَلأَ ٢٥٩، ٢٦٠
الحَلْفاء ٢٦١
حَمِشَ ٢٦١
حَنْتَرَ ٢٦٢
حَنْتَفَ ٢٦٣
الحَنَفِيَّة ٢٦٤
الحَواجِب ٢٤٥
حَوْشٌ ٢٦٦

خ

خاوَذَ ٢٨٦
خَبَّطَ ٢٧١
الخَبِيصَة ٢٧٠
خَدَشَهُ ٢٧٢
الخَرْبَقَة ٢٧٣
الخَرْطُ ٢٧٣
الخرْم ٢٧٦
خَسّ ٢٧٧
خشَّ ٢٧٩
خَشْخَشَ ٢٧٨
الخَضْخَضَة ٢٨٠
خَطْرَة ٢٨٢
خَفَأَ ٢٨٢
الخَفْس ٢٨٣
خَلِط ٢٨٣
خَلَف ٢٨٤
الخُنان ٢٨٤
الخَوْخُ ٢٨٤
الخُوَّةُ ٢٨٧

د

دَأْدَأَ ٢٨٨
داسَ ٣١١
الدالية ٣٠٨
دَبَّحَ ٢٨٩
دَجْوَن ٢٨٩
دَحَّ ٢٩٠
دَحَلَ ٢٩١
دَحَمَه ٢٩١
دَرْدَرَ ٢٩٢
دَرْز ٢٩٣
دَعَسَ ٢٩٤
دَعَك ٢٩٥
دَغْدَغَ ٢٩٦
الدَّغْري ٢٩٦
الدَّغْمَرَة ٢٩٧
الدَّفا ٣٠٠
دَفَرَ ٢٩٨
دَفْش ٢٩٨
الدَّقران ٣٠١
الدَّكّ ٣٠١
الدِّكْرُ ٣٠٣
دَكَّنَ ٣٠٤
الدّلاة ٣٠٨
الدَّلَع ٣٠٥
الدَّلْف ٣٠٥
دَلَقَ ٣٠٦
دَلَك ٣٠٧
دَمَسَ ٣٠٩
دَنْيَق ٣١٠
دَهْدَرَ ٣١١
الدَّهْوَرة ٣١١
الدَّوْشَة ٣١٣
دِيْسة ٣١٢

ذ

الذَّبْذَبَة ٣١٤
الذَّفر ٣١٤

ر

الرَّأْرَاء ٣١٦
الرَّداد ٣١٦
الرَّذالَة ٣١٧
رَزّ ٣١٨
رَفَسَ ٣١٩
رَكَّ ٣٢١
رَكَزَ ٣٢٠
رَوَّأَ ٣٢٢
الرّوب ٣٢٤
الرّوبة ٣٢٣
الرَّوْك ٣٢٤
رَيَّشَ ٣٢٥

ز

زَأْزَأَ ٣٢٧
الزَّبَطانَة ٣٢٨
زَخَّ ٣٢٩
الزَّعْبَرِيّ ٣٢٩
الزُّعْرُورُ ٣٣٠
زَعَقَ ٣٣١
الزَّغْبَر ٣٣٢
زَقّ ٣٣٢
زَلَقَ ٣٣٣
الزَّلَمَة ٣٣٣
زَنَأَ ٣٣٥
الزَّور ٣٣٧

س

سَأْسَأَ ٣٣٩
السّاقِطَة ٣٤٤
السَّبْتُ ٣٣٩
سِتٌّ ٣٤١
سَرَّحَ ٣٤٢
السَّطّام ٣٤٣
سَفَأَ ٣٤٣
سَكّر ٣٤٤
السُّكَّرَةُ ٣٤٥
سَلَتَ ٣٤٧
السِّلْعَة ٣٤٧
السِّلْق ٣٤٩
السَّمَيْذَع ٣٥١

السَّوالِفُ ٣٤٩
السِّياط ٣٤١

ش

الشَّأْفَة ٣٥٣
شاطَ ٣٨٠
الشّاطر ٣٦٤
الشُّبَّاك ٣٥٥
الشَّبْرِقَة ٣٥٤
شَبَل ٣٥٦
الشَّتْرَ ٣٥٦
الشَّحْطُ ٣٥٧
الشَّحْف ٣٥٨
الشخشخة ٣٥٨
شَرَّ ٣٥٩
شَرَطَ ٣٦٣
شَرْواك ٣٦٣
شَطَفَ ٣٦٦
الشِّعْرَة ٣٦٧
الشَّفْتَرةُ ٣٦٨
شَقَّ ٣٧٠
الشَّقَف ٣٦٩
الشُّلَّة ٣٧٤
الشَّلْح ٣٧٢
الشَّلْف ٣٧٣
شَمَطَهُ ٣٧٥
الشَّنَب ٣٧٦
الشَّنْتَرَة ٣٧٦
الشّهر ٣٧٧
الشَّوْب ٣٧٩
الشَّوْرَبَةُ ٣٥٨
الشّوم ٣٨٣

ص

الصُّفَّة ٣٨٩
صِفتك ٣٨٩
صَفَن ٣٩٠
صَلَّطَهُ ٣٩٠
صَلَعَ ٣٩١
الصَّمْغ ٣٩١
الصِّنْبَعْر ٣٣٦
صَنْبَعَهُ ٣٩٢

ض

ضَجّ ٣٩٥
الضَّرْبان ٤٢٥
الضَّنَىٰ ٣٩٥
ضَهَجَ ٣٩٦

ط

الطّاخ ٤٢٠
طازج ٤٠٥
طال ٤٢٣
طَبَخْنا ٣٩٧
طَبَسَ ٣٩٨
الطَّبْش ٣٩٩
طَبْطَب ٣٩٧
طَحَّ ٤٠٠
طَخَّ ٤٠٠
طَرَّ ٤٠١
الطَّرَشُ ٤٠٣
طَرْشَحَة ٣٦٢
طَرْطَرَ ٤٠٣
طَرَفَ ٤٠٤
طَسَّ ٤٠٦
طَشّ ٤٠٦
طَعَجَ ٤٠٧
طَعِمَ ٤١٠
طَفَّ ٤١٣
الطَّفَرُ ٤١١
الطَّفَس ٤١٢
طَفَشَ ٤١٢
الطَمّ ٤١٧
طَمَرَ ٤١٦
الطِّنْجيرُ ٤١٨
طَنْزُ ٤١٩
الطُّوبة ٤٢٠
الطّوشة ٤٢٢
طيز ٤٢٤

ع

عَبَّ ٤٢٦
عباية ٤٢٧
عبر ٤٢٦
العَتَبَة ٤٢٨
عتم ٤٢٩
العَجْن ٤٣١
العَجْوَة ٤٣٢
عَجَى ٤٣٢
العَراضَة ٤٣٤
العِرْزال ٤٣٣
العَزَب ٤٣٥
العَشا ٤٣٨
العَشَم ٤٣٧
العَشْوائيّة ٤٣٩
عَصَّدَ ٤٣٩
عَفَس ٤٤٠
عَفَطَ ٤٤٠
العُقْبَى ٤٤١
العَقْل ٤٤٢
العِكر ٤٤٤
العَلْك ٤٤٦
عَلَىٰ راحته ٣٢٥
عوكل ٤٤٥

غ

غَبِشَ ٤٤٨
الغَرْغَرَة ٤٤٨
غَضِر ٤٤٩
غَطَّ ٤٥٠
غَلَت ٤٥٢
غَلِتَ ٤٥١

ف

فَأْوت ٤٥٥
فاءَ ٤٩٦
فَأْتَحَهُ ٤٥٧
الفادِر ٤٥٩
فاش ٤٩٧
الفال ٤٩٨
فَتَقَ ٤٥٦
فَتَلَهُ ٤٥٧
فَخَتَ ٤٥٨
فَدَغَ ٤٦٠
فَرَتَ ٤٦٥
فَرْتَك ٤٦١
فَرْتَنَ ٤٦١
فَرَزْته ٤٦٢
فَرَزَ ٤٦٢
فرسح ٤٦٣
فَرْفَحَ ٤٦٩
فَرْفَرَ ٤٦٩
الفَرْقَعَةُ ٤٧٠
فَرَكَ ٤٧١
الفَرْكَحَة ٤٧٣
فَزَّ ٤٧٤
فَزَرَ ٤٧٣
فَزِعَ ٤٧٥
فشَّ ٤٧٩
فَشَحَ ٤٧٦
فَشَرَ ٤٧٨
فَشِلَ ٤٨١
فصَعَ ٤٨١
الفُصْعُلُ ٤٨٢
الفَضّ ٤٨٢
فَطَرَ ٤٨٤
فَطَسَه ٤٨٦
فَعَسَ ٤٨٧
الفَعْص ٤٨٨
فَقس ٤٨٨
الفَلْحَس ٤٨٩
فَلَّسَ ٤٩٠
فَلَسْطون ٤٩١
فَلْطَحَ ٤٩٢
فَلَعَ ٤٩٣
فَنَّش ٤٩٤
فَنَك ٤٩٤

ق

القازُوزَة ٥٠٦
القاموس ٥١٦
قُدَّام ٥٠٠
القراضة ٥٠١
قَرَشَ ٥٠١
قَرطَ ٥٠٢
القِرْق ٥٠٤
قَرْقَف ٥٠٣
قزّت ٥٠٦
قَشَّ ٥٠٧
قَشَطَ ٥٠٨
قِشمُه ٥٠٩
القصع ٥١٠
القضّ ٥١٢
القطر ٥١٣
قَفَشَ ٥١٣
القَفْلَطَة ٥١٥
القَمْز ٥١٥
قَمَشَ ٥١٧
القَنْزَعة ٥١٩
قَهْوَة ٥١٩
قَوَّر ٥٢٠

ك

كَبَسَ ٥٢٢
الكَبْل ٥٢٣
الكبّة ٥٢٢
كَخّ ٥٢٥
كَدّس ٥٢٦
الكَرْبَجَةُ ٥٢٧
كَرْكَرَ ٥٢٧
الكَرْمَشَة ٥٢٧
الكَشّ ٥٢٨
الكِشْك ٥٣٠، ٥٣١
الكَشْكَشَة ٥٢٩
كَعْبُهُ ٥٣١، ٥٣٢
الكَمْخ ٥٣٢
الكُنْدُرَة ٥٣٢
الكَنْفَشَة ٥٣٣
كَوَّث ٥٣٥
كَوَّم ٥٣٦
كِيت وكِيت ٥٣٧
الكَيْكة ٥٣٧
كيميا ٥٣٨

ل

لَأَطهُ ٥٤٠
لَأَفَ ٥٤١
لاشَ ٥٧١
لاص ٥٧١
لاكَ ٥٧٤
لَبَخَ ٥٤٢
لَبَدَ ٥٤٢
اللبش ٥٤٣
لَبَط ٥٤٣
اللَّبَكة ٥٤٥
لَبِيَ ٥٤٦
اللَّتُّ ٥٤٧
لَحِسَ ٥٤٨
لَحْلَحَهُ ٥٤٩
لَزَّ ٥٥٠
اللّزاقيّات ٥٥١
لَزِق ٥٥١
اللّسّ ٥٥٢
اللَّطْس ٥٥٢
لَطَعَ ٥٥٦

اللَّطم ٥٥٧
لَطَّه ٥٥٤
اللَّعْلَعَة ٥٥٧
اللَّعْي ٥٥٩
اللَّغوسة ٥٦٠
لَفّ ٥٦١
اللّقش ٥٦٢
لَكاعَة ٥٦٤
لَكَزَ ٥٦٣
اللكش ٥٦٣
اللّك ٥٦٥
اللَّمِظ ٥٦٦
اللَّهْسُ ٥٦٨
لَهَطَ ٥٦٨
اللّهوجة ٥٦٧
اللَّوْبِ ٥٦٩
لوّطه ٥٧٢
لَوْما ٥٧٥
اللّيفة ٥٧٥

م

ماش ٥٩٤
مَبْسُوط ١٧١
المُجاحَشَةُ ٢٢٦
المِخاخ ٥٧٧
مَدْيون ٣١٣
المَرْخُ ٥٧٨
المَرَس ٥٧٨
المَرَة ٥٧٧
المُزّ ٥٨٠
مَزَعَ ٥٨١
مُسْبِط ٣٣٨
المُشَبَّص ٣٥٥
المِشمِش ٥٨٢
المِشْوار ٣٧٩
المصّ ٥٨٣
المُصْطَكا ٥٨٤
مَصَعَ ٥٨٥
المَصْنَعُ ٣٩٣
مَطَق ٥٨٦
مَعَطَ ٥٨٧
مَعَك ٥٨٧
مَغِصَ ٥٨٨
مَغَطَ ٥٨٨
مَغْمَغَ ٥٨٩
المَقادِم ٥٠٠
مِلْحُهُ ٥٩٠
مَلَخَ ٥٩٢
مَلَطَ ٥٩٣
المُهاوَشة ٦٢٩
المُوْحِشُ ٦٣٤
المَيْش ٥٩٤

ن

نَأْنَأَ ٥٩٦
نَبَأَ ٥٩٧
نَبش ٥٩٨
نَبَغَ ٥٩٩
نَبَلَ ٦٠٠
نَتَرَ ٦٠٢
نَخَزَ ٦٠٣
نَدَهَ ٦٠٤
نزق ٦٠٥
النِّسوان ٦٠٥
النَّشْح ٦٠٦
نَشَفَ ٦٠٧
نَطّ ٦١٠
نَطَر ٦٠٩
نَعَمْ ٦١١
النُّغْنُغة ٦١١
النَّفْش ٦١٢
النِّقار ٦١٤
النَّقْد ٦١٣
نَقَزَ ٦١٥
نَكَشَ ٦١٦
النَّوْء ٦١٨
النِّيّ ٦١٩
النَّيْقَة ٦١٩

هـ

هَجَّ ٦٢١
هَدَّ ٦٢٢
هَرَّ ٦٢٣
الهَزّ ٦٢٤
هَزِقَ ٦٢٥
هُسّ ٦٢٥
الهفْت ٦٢٦
هَلَسَ ٦٢٨
هِلَّقْت ٦٢٩
هَوَّتَ ٦٢٩

و

الوَبال ٦٣٢
وَجَبَ ٦٣٣
وَحَشَ ٦٣٣
وَخْوَح ٦٣٤
الوَخْش ٦٣٥
وَدَّرَهُ ٦٣٦
وَدَعَ ٦٣٦
الوَرِشُ ٦٣٧
وَسَقَ ٦٣٨
الوَكْس ٦٣٩

ي

يا بلاش ١٨٧
يَتَحَنْدَلُ ٢٦٣
يَتَمَرْأَى ٥٧٨
يحبشُ ٢٤٤
يَرُفُّه ٣٢٠
اليمين ٦٤١

فهرس المُحتوَيات

منكم إهدائي وإليكم ٥
باللُّغة تقويم إنسانيّة الإنسان ٧
تَخالُف العَبِير في طَرائق التَّعْبير ٨
متى تخالفت اللُّغىٰ واللُّغَيّات ٩
اللُّغة الحيّة ١٠
مِن أزمات التَّطَوُّر اللُّغويّ المُتَخالف
بين الأقطار: ١٠
أ- المُناظَرَة. ب- (التّخت)
و(الدولاب) و(التُّرتَة) ١١
مشكلة تاريخ حياة العبارات ١٢
محاولات على طريق الوصول إلى
المعجم التاريخيّ للُّغة ١٢
لا يخلو المعجم من النَّقض ١٣
من عَين على (العين) إلى ما بعد
(الجاسوس على القاموس) ١٤
أَقْتَرح العملَ الجماعيّ العامّ وَلَسْت
أُجرِّح المُعْجَم ١٥
العرب والموسوعات ١٥
الجفاءُ بين المثقّفين وبين المعجم ١٦
عامّيّة ابْتَدَعَها بعضُ المُثَقَّفين ١٦
لغة الحياة والتَّرَفُّع عنها ١٧
ألف ونصف ألف من المعاجم؛
وأين المعجم الوافي؟ ١٧
تكاثر العامّيّات ١٨
من أين أتت العامّيّات المتخالفة؟ ١٩
معجم البحث عن الضّائع ٢٠
البَحْثُ في مُعْجَم البحث ٢٢
لعلّ اللَّفظَ الغريبَ عنك قريبٌ من غيرك ٢٢
البحثُ بين الإيجاز والاسْتيفاء ٢٣
بين لغة الكُتُب ولغة الحياة ٢٣
لا يُنْتَهىٰ من المعجم ٢٤
مَسَائل الخلاف والمعجم ٢٥
تَوْثيق الفِكْر العِلْمِيّ اللُّغويّ ٢٥
الخلافات المعجميّة أنجبَتِ الأخطاء
الشّائعة ٢٦
تصحيحُ العامّيّ الفصيح أم ملاحقةُ
الأخطاء الشّائعة؟ ٢٦
مَن يُخَطِّئ مَن؟ ٢٧
في نقد الأخطاء الشّائعة ٢٨
اللَّهَجَات العامِّيّة ومَجْمَع اللغة العربيّة ٢٩

(الفاخر) من ألسنة العامّة قبلَ اثني عشرَ قَرْنًا ٣٠
ما حدودُ البَحْث في العامّيّة؟ ٣٢
الحيادُ بين اللغات وعدم الانحياز اللغويّ ٣٤
أسلوبُ الدُّعاء على مَنْ نُبْدي إعجابنا به ٣٤
بلاغة الخروج والمخالفة والإدهاش ٣٥
الخَرْجة في الموشّحات الأندلسيّة ٣٦
ما التَّغَيُّرات اللُّغَوِيّة؟ ٣٩
دورةُ التَّنَقُّلاتِ بين الفصيح والعامّيّ ٤١
اختلاف لغات العرب ٤١
عِلْم اللَّهجات قديمًا وحديثًا ٤٢
مَواقِع اللَّهجات ٤٢
تسهيلُ الهَمْزة في لُغة قريش ٤٣
الإبْدالُ والخِلاف ٤٣
من الإبدال في اللَّهجات العربيّة ٤٤
القَلْبُ والإبدال بين البُروز والاخْتِفاء ٤٥
سُؤال في القَلْبِ والإبدال ٤٦
بَيْن الضّاد والظّاء ٤٦
اللُّغَيّات في المَعاجم ٤٧
الاحتجاج أم القِيَاس؟ ٤٧
الارْتِجال والقياس ٤٨
ابن جِنّيّ والقياس ٤٩
مَوْهبة القياس في اللغة ٥٢
لُغَة الطُّفولة ٥٣
الجَهْل بكنوز الطّفل يُضَيّعُها ٥٤
المُشْتَرَك اللَّفْظيّ في الفِصاح ٥٥
من المُشْتَرَك اللَّفظيّ لدىٰ الآخرين ٥٦
أوَلَيْسَت تجربةً مُهِمّة؟ ٥٧
ألم تكنِ الفُصْحىٰ عامّيّة؟ ٥٨
في تطوّر الدَّلالة ٦٠
أنَقِفُ ثابِتين على أصل المعنىٰ؟ ٦١
التَّطوُّر في الرّسم الإملائيّ ٦١
تعريبُ الدَّخيل ٦٢
تَرْجِمْ في ذِهْنِك ما تقرأ ٦٤
التَّوَسُّع في الاشْتقاق ٦٧
ما كُلُّ ما يُعْرَف يُبْحَث فيه أو عنه ٦٧
قَبَسٌ من نُور لُغَتِنا معنا ٦٩
كيف نرتّبُ هذا المُعْجم؟ ٧٠
بَيْن الجَذْرِيّة والألِفْبائيّة ٧٤
مُعجَمٌ لِفِصاح المعاني العامّيّة ٧٤
بَعْضُ كُتّابِنا والمُعْجَم ٧٥
وَلِلْمُعْجَم مُكْتَشَفاتُه أيضًا ٧٦
في رَحَلات الألفاظ ٧٧
ما القِصّة؟ ٧٨
أ- إغلاقُ أبوابِ اللغةِ. ب- الازْدِواجيّة اللغويّة. ج- صُعُوبة التّربية اللغويّة. د- التّربية اللُّغويّة بالسَّماع. هـ- حاجة الحضارة والفِكر. و- مثال: في تسهيل النَّحْو. ز- التّربية اللُّغويّة بالإعلام. ح- الهدف التَّرْبَويّ الرّاقي. ط- اللُّغة لِتَلْبِيَة العقل والحياة..

ما رأيُ كبارِ العُلماء؟ ٨٣
أَحَقّ الفصيح وأجدره بالرّعاية ٨٥
في صِحّةِ الحَرْف صِحّة الفِكْر ٨٥
هل يجدُ العربيّ لغته ٨٧
التّدقيق اللغويّ يوجّه نحو الفكر العلميّ ٩٠
ما الفصيح؟ ٩١
أ- انْزَعَجَ ب- المَبسوط ج- خبّط د- قدّامي هـ- بابا و- راح ز- المنزل والبيت ح- الشّبّاك ط- (وقد يؤذي في الحُبّ الحَبِيبُ) ي- جاهليّة القرن الحادي والعشرين ك- لا حُكْمَ لِفَرْدٍ على اللغة ر- وَدَعَ ش- فصح الفصيح.
في المسائل الخلافيّة ٩٦
التُّراث بَيْن التّقديس والتّخييس ٩٨
الأَبَأُ أم القَبَق أم الكَبَك؟ ٩٩

عناوين المداخل إلى فصاح العامِّيَّة

أَبَّ وقَبَّ ١٠١
أَبجًا - أَبَدًا ١٠٣
أَبَز وأَخَواتها ١٠٣
الأَبْشُ: تَأْبشني يا حبيبي ١٠٥
أَبَض وقَبَض ١٠٦
الأَبِيْلَة (لا الأَبِّلَة) ١٠٧
أُبَّهَة ١٠٧
يا أبي يا بيِّي ويابا ١٠٨
أتَّى له المرضَ وتَأَتّاهُ المرضُ وواتاهُ أكلُ الحِميةِ ١١٠
أَجَّتِ النَّارُ (وما وَجَّتْ) ١١٠
استَأْجَرَ الإجازةَ وأَيْش ١١١
الإجّاص (غيرُ الكُمَّثْرى والخوخ والمُشْمُش) ١١٢
أَحأَح وأَحَّ وتَنَحْنَحَ ١١٢
أَخّ ١١٣
أُخُوَّة الإخْوَانْ والإخْوَة والخُوَّة والخَيّ ١١٣
الإدَام ١١٥
الآدَمِي والأَوادِمْ ١١٦
يُؤَدِّي أَو يُقَدّي بِمَعنى يُكفِّي ويُوَفِّي ١١٨
آذان الحيطان ١١٩
الأربيَّة - القرابة ١٢٠
الأربيَّة - والأُرميَّة ١٢٠
الأَرْشُ والمُؤَارَشَةُ والمُحَارَشَةُ والمُقَارَشَةُ والمُهَارَشَةُ ١٢١
الأَرِيضَة أَمِ القَرِيضَة؟ ١٢٢
أَرَمَ وقَرَمَ ١٢٣
الآزح ١٢٥
أَزَّهُ (لا وَزَّهُ) ١٢٦
الأَسَامِي ١٢٧
أَشَرَ ١٢٨
أَمَّرَ ١٢٨
أَشَّ الأَشّ وأَشأَشَهُ؟ أم قشقشه؟ ١٢٨
أَصَرَهُ: حَبَسَهُ وحَصَرَهُ وقَصَرَهُ ١٢٩
إصطفِل: من الإصطفلين ١٣٠
أَتَستأْصِلني وأَصلُكَ أَصِيْل؟ ١٣١

أُغْ = أُغّ = كُغْ = انْكُغّا ١٣٢
أَفرَكَ يأفُرُكَ ١٣٢
أَفزَ: أَهو مُقارِب قَفَزَ وأَفَرَ؟ ١٣٣
تَأَفّف وَنَفَخَ أُفْ ١٣٤
الأَكِيلُ يَستأْكِلُ ١٣٤
أَلَبَ وقَلَبَ: أَلبي مَعَك ١٣٥
الأَلْسُ والمَأْلَسَةُ ١٣٦
إلْيَاس ١٣٧
أمر التُّؤمريّ وليس (الدُّومَرِيّ) ١٣٧
تَأَمَّعَ ١٣٨
أُمّي = مَامَا ١٣٩
أَتَأَنَّف وتَقَنَّفَ؟! والأَنفُ غير القَنفِ ١٤٠
أَنَّيتُ وتَأَنّى واسْتَأنَى ١٤١
أَهَرَ ١٤١
أَهَّل بالأَهَالي ويَستأهِلُ الجَائِزَة ١٤٢
أَها.. أو: أَهَىٰ: ضَحِكَ ١٤٣
الإوَزّ هو الوَزّ ١٤٤
تأوّى والأُوّة والتَّأَوُّه ١٤٤
أَيّ ١٤٥
أَيا ١٤٦
آيسَ مُؤايَسَةً ١٤٦
أَيْش ١٤٧
إيْ واللهِ.. ١٤٧
أَيْوه ١٤٨
بابا ١٤٩
البَتُّ بَتَاتًا ١٥٠
البَتْعُ ١٥١
بَجَّ وانْبَجَّ وتَبَجْبَجَ ١٥١
البَجَاحَةُ والتَبَجُّح ١٥٢
البَحْتَرَةُ مِنَ البَحثَرَةِ؟ ١٥٣
البَحُّ والبَحْبُوحَةُ ١٥٣
بَحَشَ وبَخَشَ ١٥٤
البَحْثُ عن البَحشِ ١٥٤
ما بَحْلَقَ ولٰكن حَمْلَقَ ١٥٦
البَخْتَرَةُ وليس المَخْتَرَة (يَتَبَخْتَرُ وَلا يَتَمَختَر) ١٥٦
بَخَصَ عيْنَهُ وبخسها وبخقها (أمّا بخش فيظنّ أنّه من السريانيّة) ١٥٧
بَخَعَ والبَخْعُ ١٥٨
بديت بمعنى بدأت والبادي والمُبدّاة ١٥٨
(بدّي) بِوُدّي ١٥٩
بَدري وبَكَّرتُ وبَكِّير ١٦٠
البَرْبَرَةُ ١٦١
البَرْجِيس ١٦١
امْبارحة أو مْبارح: البارِحَة ١٦١
بَرّا والبرَّاني والبَرِّيَّة ١٦٢
البَرَازِق ١٦٤
البِرْطِيْل ١٦٥
البَرْطَمَةُ ١٦٥
البُرْغُل والشَّكْلُ المُبَرْغِل ١٦٦
البُرْنُس ١٦٧
البَزْر ١٦٨

البِزّ والبِزْبازُ والبزبوز	١٦٨
بَسّ وبِيْس	١٦٩
مَبْسوط؛ اللهُ يُبسِطُك	١٧١
التَّبْشِيرُ وَالتَّبَاشِير	١٧٢
بِشّ	١٧٣
بَصَّ وبَصْبَصَ والبَصّاصَة	١٧٤
بطح البطحة	١٧٥
ما بَطَّخَ ولا تَبَطَّخَ.. ولا بَطّيخ	١٧٦
بَعْبَعَ والبُعْبُعْ	١٧٧
بَعَتَ وخَبُتَ	١٧٨
بعج	١٧٩
بَعَّدَ واسْتَبْعَدَ الأَبْعَد	١٨١
بَعْزَقَ	١٨٢
البُعاق والانْبِعاق	١٨٢
التَبْغيل	١٨٣
بَغَى البَغوَ	١٨٣
بَقَى: بَقِيَ	١٨٤
البَكْبَكْة	١٨٤
بَكَتَهُ	١٨٥
بَكَسَهُ وقَهَرَهُ	١٨٦
بَلَسَ والتَّلبَسة	١٨٦
يا بلاش	١٨٧
بلص	١٨٧
البَلعْ والبَلاليع وسَعْدُ بُلَعَ	١٨٩
بَلَّمَ	١٨٩
البَلاء.. ولا أُبالي.. البليَّة والبَلايا	١٩٠
البَنْدَرُ والبَنْديْرة	١٩١
البَنْك	١٩١
بَهَتَهُ فَلونُهُ باهِتٌ	١٩٣
بَهَجَ وبَهَشَ وبَشَّ وهَشَّ وبَشَرَ وبَسَمَ	١٩٤
البهدلة	١٩٥
بهرَهُ فهل تَبَهوَرَ	١٩٦
بَهلَلَ البُهلُول	١٩٧
باخَ يَبوخُ.. وبَّخَ	١٩٨
البُوْر والبائِر والبُورِي وما البوري	١٩٩
البُوز	٢٠٠
باس يَبُوس	٢٠٠
بَوْش و(خوش بُوش) وَأَوباش	٢٠١
الباع والبُوع والتَّبَوُّع	٢٠٣
البَال	٢٠٤
أَبالبَالة أَشْغَل بالي؟	٢٠٦
البيت والبايت والخبز البيّوت	٢٠٧
تَأْتَأَ	٢١٠
تبعهم	٢١٠
التحتاني والفوقاني	٢١١
تَخَّ.. وتختخ والتَّخّان	٢١١
(تَرَسَ البَابَ وتَرْبَسَهُ) أمْ تَرَصَ البَابَ وأَتْرَصَهُ	٢١٢
تَرَىٰ يا هَلْ تَرَىٰ	٢١٣
التَّفاريج والفرجة	٢١٤
التَّكتكة	٢١٥
التَّكَّة	٢١٥

تَعْتَعهُ وتَلْتَلَهُ ٢١٦
التَّلْتَلَةُ ٢١٦
التَّنْبَل ٢١٧
التَّنُّور والتَّنُّورَة ٢٢٠
تَهْتَه ٢٢٠
التُّولة ٢٢١
تَيَّس ٢٢١
التِّين ٢٢٢
الثُّفل ٢٢٣
جَأْجَأ ٢٢٥
جُبِّرَ أم جَائِر ٢٢٥
المُجَاحشَةُ والجَحشُ ٢٢٦
الجخّ ٢٢٧
الجذَع (فِصِيح : الكَدَع أو الغَدَع أو الجَدَع) ٢٢٩
الجَرْد والجُرودُ . . وجَرَدَ اللونُ وجَرَدَ
البِضاعَةَ ٢٣٠
الجرزة وليس (الجورسيه)! ٢٣١
الجَرْشُ والجَرِيش ٢٣٢
الجُرْنُ ٢٣٢
جَعَزَ المَجْعوز ٢٣٣
جَفَرَ الخُبْزُ الجافر ٢٣٣
الجَفِس وليس (الجِفِص) من الإبدال
بالمصاقبة ٢٣٤
جَاكَرَهُ فَهُوَ جَكَرٌ ٢٣٥
جَلَأَ وجَلَعَ ودَلَعَ وَجَلَقَ ٢٣٦
جَلَطَ وجَلَّطَ الجلّيط ٢٣٨
جَلْفَطَ وقَلْفَطَ وقَفْلَطَ ٢٣٩
ما جلمط؟ وما الجلاميط؟ ٢٣٩
الجُلَّنار ٢٤٠
فُلانٌ جماش ٢٤٠
الجَوْبُ: الخَرْقُ أو النَقْبُ أو القَطْعُ ٢٤١
الجوّاني ٢٤٢
حبَّ و(مَنْ حَبَّ طَبَّ) ٢٤٣
يَحْبِشُ ويَهْبِشُ مِنَ الحُبَاشَاتِ ٢٤٤
الحَوَاجِب ٢٤٥
حَرِدَ ٢٤٥
حَرَّ يَحُرُّ والحَرِيرَةُ والتَّحْرِيرُ والحرُّ ٢٤٦
حُرْمَةُ المُحْتَرَم (إن شاء الله لا نحترمك) ٢٤٨
الحَرَامِي ٢٥١
الحِرْدَوْنُ حَرَنَ ٢٥٢
الحَزَّة والحَزّ ٢٥٢
الحَشْك ٢٥٤
الحَشْو والحَشِي ٢٥٤
يَحُفُّني والحاف ٢٥٧
حَقُّ الحَاجَةِ وثَمَنُها وسَومَتُها ٢٥٧
حَكَشَ وبَحَشَ ٢٥٨
حَلَأَ يَحْلأُ ٢٥٩
حَلَأَ وحَلَّأَ يُحَلِّئُ ٢٦٠
الحَلْفَاءُ ٢٦١
حَمِشَ ٢٦١
حَنْتَرَ حَنْتَرَةً ٢٦٢
حَنْتَف ٢٦٣

يَتَحَنْدَلُ ويَتَمَنْدَلُ ٢٦٣
الحَنَفِيَّة ٢٦٤
حَاحَيْت ٢٦٥
حَوْشٌ وحاشَ أو يَحِيْشُ والتَّحْوِيْشُ ٢٦٦
حَايِص من حِيْص بِيْص ٢٦٨
حَاوَطَ ٢٦٩
الخَبِيصَةُ والتَّخْبيصُ (الخَلْبَصَةُ في اللغة) ٢٧٠
خَبَّطَ ٢٧١
خَدَشَهُ وخَرْبَشَهُ وَخَرْمَشَهُ وَخَرْفَشَهُ وَخَشْرَبَهُ وَخَرْشَبَهُ وَخَشَبَهُ ٢٧٢
الخَرْبَقَةُ (لا الخَرْبَطَةُ) ٢٧٣
الخَرْطُ والتَّخْريطُ ٢٧٣
الاختراعات ٢٧٥
الخَرْم ٢٧٦
خَسَّ وَزْنُهُ ٢٧٧
خَشْخَشَ وتَخَشْخَشَ ٢٧٨
خَشَّ ٢٧٩
الخَضْخَضَة والمضمضة ٢٨٠
خَطْرة ٢٨٢
خَفَأَ (بِمَعْنَى يَكَادُ يُقَارِبُ: خَفَقَ) ٢٨٢
الخَفْس ٢٨٣
خَلِطٌ مَلِطٌ ٢٨٣
خلف الله عليك ٢٨٤
الخُنَانُ والخَنْخَنَة ٢٨٤
الخَوْخُ والدّرّاق ٢٨٤
البَابُ الخَوْخَة ٢٨٥
خَاوَذَ وَما خَاوَزَ ٢٨٦
الخوَّة ٢٨٧
دَأْدَأَ وَ دَقْدَق ٢٨٨
دَبَّح ٢٨٩
(دَجْوَنَ) الملبوساتُ (المُدَجْوَنَة) ٢٨٩
دَحّ والدّحْدَاحُ ٢٩٠
دَحَلَ ودَحْلَبَ ٢٩١
دَحَمَهُ دحمًا ٢٩١
دَرْدَر ٢٩٢
درز ٢٩٣
دَعَسَ ٢٩٤
دَعَك ٢٩٥
دَغْدَغ ٢٩٦
الدّغري ٢٩٦
الدّغمرة ٢٩٧
دَفَرَ ودَفْر ٢٩٨
لا دَفْشَ ولا تَدْفيش ولا دحش ٢٩٨
الدَّفا: أَدْفَيْتُهُ واستَدْفَيْت بِهِ ٣٠٠
الدّفران ٣٠١
الدَّكُّ والدَّكَّةُ والدُّكَّان ٣٠٢
الدِّكْرُ والتّدكير ٣٠٣
دَكَّنَ والدُّكَّان ٣٠٤
الدَّلَع والدَّلِع ٣٠٥
الدَّلف ٣٠٥
دلئ يدلُئ، واندلئ، والمَدْلُوئة ٣٠٦

دَلَك ٣٠٧
الدَّلاةُ و(دَلَّة القَهْوَة) ٣٠٨
الدَّالية ٣٠٨
دَمَسَ ٣٠٩
تَدَمْشَقَ ٣٠٩
دَنِيقٌ من البَرْد ٣١٠
دهدر ٣١١
الدَّهْورة ٣١١
دَاسَ وما دَهَسَ ٣١١
دِيْسة ٣١٢
الدَّوْشَة ٣١٣
مديون ٣١٣
الذَّبْذَبَةُ والزَّبْزَبَةُ ٣١٤
الذَّفَرُ والزَّفَرُ ٣١٤
الرَّأْرَاء ٣١٦
الرَّدَادُ والمَرْدُودَة ٣١٦
الرَّذالَة والرَّذِيل ٣١٧
رُزّ الرُّزّ والرِّزّ ورَزَّة القُفْلِ ٣١٨
رَفَسَ ٣١٩
يُرِقُّهُ ٣٢٠
رَكَزَ عقلُه ٣٢٠
رَكَّ يَرُكُّ وتَرَكّى ٣٢١
رَوَّأَ ورَوَّق ٣٢٢
الرَّوبَةُ والرَّوبُ ٣٢٣
الرَّوك (خَيط مُطَّهُ) ٣٢٤
عَلَى رَاحَتِهِ (أريَحُ) يا أَبَا رِيَاح ٣٢٥
رَيَّشَ ٣٢٥
زَأْزَأَ وزَقْزَقَ ٣٢٧
تَزَتَّتْ سَيِّدَتي (وما تَسَتَّتَت سِتّي) ٣٢٧
الزَّبَطانة والسَّبَطانة ٣٢٨
زَخَّ ٣٢٩
الزَّعْبَرِيّ والزِّبَعْرَىٰ ٣٢٩
انْزَعَجَ ٣٣٠
الزّعْرور (والزَّعْبوب) ٣٣٠
الأزعر ٣٣١
زَعَق (وما زَعْوَط) ٣٣١
الزَّغْبَر ٣٣٢
زَقَّ ٣٣٢
زَلَق وَسَحَط (وليس زَحَطَ ولٰكن
هل زحلط؟) ٣٣٣
الزَّلَمَة ٣٣٣
زَنَأَ وَزَنَق ٣٣٥
الصِّنْبَعْر (وليس الزِّنْبَعرة) ٣٣٦
الزَّوَر والزَّوْر ٣٣٧
(سَأْسَأَ) أو سَعْسَعَ ٣٣٩
السَّبْت: الصَّبَّاط: (الحِذاء) ٣٣٩
مُسْبِط وشَعْره سَبِط ٣٤٠
السِّيباط أم السَّاباط؟ ٣٤١
سِتّ ٣٤١
أُسَرِّح شَعْري وَلُغَتي وشِعري ٣٤٢
السَّطّام والمَسْطُوم ٣٤٣
سَفَأ وسَفَعَ وَصَفَعَ وَصَقَعَ أم صفق؟ ٣٤٣

الساقطة واللاقطة ٣٤٤
سَكَّرَ = سَدَّ أو سَكَّ أو صَكَّ ٣٤٤
السُّكَّرَة والشَّمَنْدَر والقَصَب ٣٤٥
سَلَتَ ٣٤٧
السِّلْعة ٣٤٧
السَّوالِف والسَّلائِف ٣٤٩
السِّلْق والشَّوَنْدَر والشَّمَنْدُوْر والقِنْدَة ٣٤٩
السَّمَيْذَع (الصَّمَيْدَع) ٣٥١
اسْتَوَى الطَّعام ٣٥١
(الشّأفة والشّحفة والشّقفة) الشُّذْفَة ٣٥٣
الشُّبْرِقَةُ والشَّبارِق ٣٥٤
المُشَبَّص: المُخَبَّص ٣٥٥
الشُّبّاك ٣٥٥
شَبَل يَشْبُل ٣٥٦
الشَّتْر ٣٥٦
الشَّحْط ٣٥٧
الشَّحْف ٣٥٨
الشَّخْشَخة والخَشْخَشَة والشَّخّ ٣٥٨
الشَّوْرَبَة أم الشُّرْبَة ٣٥٨
شَرّ وشَرْشَرَ ٣٥٩
(لا: شَرْشَحَة) بل: طَرْشَحَة ٣٦٢
شَرَط: قَطَع و(شَرَّط) وشَارَطه شَرْط الحَقْلَة ٣٦٣
شَرْواك ٣٦٣
الشّاطِر ٣٦٤
شَطَف ٣٦٦
الشّعرَة ٣٦٧
الشَّفْتَرةُ ٣٦٨
الشَّقَف ٣٦٩
الشَّقَف ٣٦٩
شَقَّ وشَقَّرَ (شَقَّر عليه: أم شَقَّ عليه؟) ٣٧٠
الشَّلْح والتَّشليح ٣٧٢
الشَّلْف والشَّلِيْف ٣٧٣
أتكون الثلّة لا الشلّة؟ ٣٧٤
شَمَطَهُ الشَّامِط طولًا ٣٧٥
الشَّنَب غير الشّارِب ٣٧٦
الشَّنْتَرة والشَّنْتيرة ٣٧٦
الشهر و(كانون) والكِنُّ ٣٧٧
أسماء الأشهر العربيّة ٣٧٨
الشَّوْب: أفي الحرِّ شَوْب؟ ٣٧٩
المِشْوار المُشاوَرَة ٣٧٩
شَاطَ الشَوطَ وشَاطَ الشَيط والشَيطَان (لا شَفَطَ ولا شَلْوَطَ) ٣٨٠
تَشَوَّف وشَافَ ٣٨٢
الشّوم.. والشّام ٣٨٣
أَشْوَى شَوِيَّة ٣٨٥
الأوتوستراد والصِّراط ٣٨٨
صِفتك نَعْتك ٣٨٩
الصُّفَّة والمَطْرحُ والطَّزَر والديوان والمَرْتَبَة ٣٨٩
اصْطَفِل ٣٨٩
صَفَنَ ٣٩٠

صَلَّطَهُ والصَّوْط	٣٩٠	طَقّ وطَقْطَق	٤١٣
صلع رأسه	٣٩١	تَلَعَ النَّهار وَطَلَع وارتفع	٤١٥
الصَّمْغ والصَّمْخ والصِّماغان	٣٩١	طَمَرَ	٤١٦
صَنْبَعهُ صَنْبَعَةً	٣٩٢	الطَّمّ والطُّمّ (وما الطَّماطم؟)	٤١٧
المَصْنَعُ: الصِّهْريج	٣٩٣	الطِّنْجيرُ والطَّنْجَرَة والطّاجنُ	٤١٨
ضَجّ لا (ضَاجَ ضَوْجَة)	٣٩٥	طَنْزُ الطَّنَّاز	٤١٩
الضَّنَى أو الضّناء: الضَّنْءُ	٣٩٥	الطُّوبة	٤٢٠
ضَهَجَ	٣٩٦	الطّاخ والطِّيخ	٤٢٠
طَبْطَبَ	٣٩٧	تَطَوُّر التَّطوُّر	٤٢١
طبخنا والحرّ طبّاخ	٣٩٧	الطّوشة والطَّيْش	٤٢٢
طَبَسَ أو طَبَنَ	٣٩٨	طالَ المِطال	٤٢٣
الطَّبْش هو الطَّبْج	٣٩٩	طيز	٤٢٤
طَحَّ وَتَطحْطح	٤٠٠	الضَّرْبان والظَّربان	٤٢٥
طَخَّ	٤٠٠	عَبّ وعَبْعَبَ وتَعَبْعَبَ	٤٢٦
طَرَّ والطُّرَّة والطُّغَراء	٤٠١	عبر العبور والاستعبار	٤٢٦
الطَّرَشُ	٤٠٣	عباية وعبَّاها	٤٢٧
طرطر الطّرطور	٤٠٣	العتبة والعِتَاب	٤٢٨
طرف عيني	٤٠٤	عتم	٤٢٩
طارج	٤٠٥	العَجْن واللَّتّ	٤٣١
طَسَّ والطِّسْت والطّشْت	٤٠٦	العَجْوَة	٤٣٢
طَشَّ	٤٠٦	عَجَى العَجِيَّ عَجْيًا وعَجَاهُ عَجْوًا	٤٣٢
طَعَجَ يَطْعَجُ	٤٠٧	العرزال	٤٣٣
طَعِمَ واسْتَطْعَمَ وما لَهُ طَعم	٤١٠	العَراضَة	٤٣٤
الطَّفَر والتَّفَر	٤١١	المُعَزَّب والعَزَب	٤٣٥
الطَّفَس	٤١٢	العَشَم	٤٣٧
طَفَشَ	٤١٢	العَشا والعِشا	٤٣٨

العَشْوائِيَّة ٤٣٩
عصَّد والعَصِيدَة ٤٣٩
عَفَسَ ٤٤٠
عَفَطَ ٤٤٠
العُقْبىٰ والعَقَابِيْل ٤٤١
العَقْل ٤٤٢
العِكر ٤٤٤
عوكل والعِكال ٤٤٥
العَلك والعِلْك والعِلكة ٤٤٦
غَبِشَ ٤٤٨
الغَرْغَرَة ٤٤٨
غَضِرَ ٤٤٩
غطَّ وغَطَّسَ وغَمَسَ ٤٥٠
غَلِتَ وغَلِطَ ٤٥١
غَلَتِ الغالية ٤٥٢
فَأَوْت وَفَأَيْت ٤٥٥
فَتَقَ وتفتَّق ٤٥٦
فَاتَحَهُ وَتَفَاتَحا ٤٥٧
فَتَلَهُ ٤٥٧
فَخَتَ وانْفَخَتَ والسَّمَرُ والسُّمّار ٤٥٨
الفادر والفدرة ٤٥٩
فَدَغَ وفَدَشَ ٤٦٠
فَرْتَك ٤٦١
فَرْتَنَ ٤٦١
فَرَزْتُهُ ٤٦٢
فَرَزَ الإفريز و(البِرواز) وفيروز ٤٦٢
فرسح وفرشح وفَرْشَخَ ٤٦٣
فَرَتَ وفَرَطَ ٤٦٥
فَرْفَحَ ٤٦٩
فَرْفَرَ الفَرْفُور ٤٦٩
الفَرْقَعَةُ والفَقْع ٤٧٠
فَرَكَ وسَبَلَ ٤٧١
الفركحة وليس (الفَرْكَشَة) ٤٧٣
فَزَرَ وفَلَقَ ٤٧٣
فَزَّ ٤٧٤
فَزِعَ له وفَزِعَ منه ٤٧٥
فَشَحَ وفَشَجَ وما (فَشَخَ ولا فَشَرَ) ٤٧٦
فَشَرَ وفَشَخَ والفَشّار ٤٧٨
فشَّ وفشفش ٤٧٩
فَشِلَ ٤٨١
فَصَعَ ٤٨١
الفُصْعُل والفِصْعِل (وليس الفَصْعُون) ٤٨٢
الفضّ والفضفضة ٤٨٢
فَطَرَ وأَفْطَر والفَطير والفُطور والفُطْر
غير الفِطر والفَطْر ٤٨٤
فَطَسَه الأفْطَس وَفَطَّسه ٤٨٦
انْفَطَشَ وفَطْرَش وفَرْطَشَ وَفَقَشَ وبطّش ٤٨٦
فَعَسَ ٤٨٧
الفَعْصُ والمَفْعُوص ٤٨٨
فَقَسَ الفَقّوس ٤٨٨
الفلحس وليس الفلحوس ٤٨٩
فلّس وأَفْلَسَ؛ والفلس ٤٩٠

فِلَسْطُون والفِلَسطِيّون ٤٩١
فَلْطَحَ وفَرْطَحَ وطَلْفَحَ وَصَلطَحَ ٤٩٢
فَلَعَ وتَفَلَّعَ وفَلَغَ ٤٩٣
فَنَّشَ ٤٩٤
فنَّك ٤٩٤
فاء و(فاقَ من نومه) والفيء ٤٩٦
فاش يَفِيش ٤٩٧
الفال والفول و(المُفَاوَلةُ) ٤٩٨
قُدَّام: أمام ٥٠٠
المَقَادم ٥٠٠
قَرَشَ وقَرْمَشَ و(ما قرقش) ٥٠١
القَراضة والاستقراض و(القَرْطُ) ٥٠١
قرط وقرَّط والقاروط والقيراط ٥٠٢
قرقف يُقَرْقِفُ من البرد ٥٠٣
القِرْق والمَقْروق ٥٠٤
القَازُوزَة والقَزاز ٥٠٦
قُزّت نفسي ٥٠٦
قَشَّ وقَشْقَشَ ٥٠٧
قَشَطَ وكَشَطَ والقشدة ٥٠٨
قُشْمُه نحيف ٥٠٩
القصع والقصعة ٥١٠
القَضّ ٥١٢
القطر ٥١٣
قَفَشَ والقَفْشُ ٥١٣
القفلطة والقلفطة ٥١٥
القمز ٥١٥
(القاموس) و(المحيط) و(المنجد) ٥١٦
قَمَشَ وكَمَشَ بالكمّاشة وكَوّشَ ٥١٧
القَنْزَعة والقُنْزُعَة ٥١٩
قهوة الراووق وقهوة البُنّ ٥١٩
قوَّر ٥٢٠
الكبّة ٥٢٢
كبس ٥٢٢
الكبْل ٥٢٣
كخّ ٥٢٥
كدّس وكردس ٥٢٦
(الكَرْبَجَةُ) والكَرْبَشَةُ والعكبشة ٥٢٧
كَرْكَرَ ٥٢٧
الكَرْمَشَة والتَّكَرمُش ٥٢٧
الكشُّ والكشكشة ٥٢٨
الكشكشة اللغويّة ٥٢٩
الكشك ٥٣٠
الكشك والكعك والكيك ٥٣١
كعبُهُ مُدوَّرٌ ٥٣١
كَعْبُهُ مُبارَك ٥٣٢
الكَمخ ٥٣٢
الكُنْدُرَة ٥٣٢
الكنفشة ٥٣٣
تَكُنُّ الكَنَّةُ في الكِنّ ٥٣٤
كوّث و(كوّش) ٥٣٥
كوّم الأكْوام ٥٣٦
كِيت وكِيت ٥٣٧

الكَيْكة (أهي الكيك؟) ٥٣٧
كيميا ٥٣٨
لَأَطَهُ ولقَطَهُ ٥٤٠
لَأَفَ ولَقِفَ وما لَهَفَ ٥٤١
لَبَخَ يَلْبخ اللَبْخَة ٥٤٢
لَبَدَ ٥٤٢
اللبش ٥٤٣
لبط اللَّبطة ٥٤٣
اللَّبَكَة واللَّبَا ٥٤٥
لَبِيَ يَلْبي وَلَبَّى يُلَبّي ٥٤٦
اللَّتُّ واللَّتلتة أم اللَّثلثة؟ ٥٤٧
لَحِسَ ٥٤٨
لَحْلَحَهُ وتَلَحْلَحَ وَتَحَلْحَلَ ٥٤٩
لَزَّ المُلَزِّزُ ٥٥٠
لَزِقَ ولَسِقَ ولَصِقَ ٥٥١
اللّزاقيّات والفُرنيَّة ٥٥١
اللَّسّ ٥٥٢
اللّطْس واللّطش ٥٥٢
لَطَّهُ يلطّه ويَلِطُّه ٥٥٤
لَطَعَ ٥٥٦
اللَّطم ٥٥٧
اللَّعْلَعَة واللَّعْو واللاعي ٥٥٧
اللَّعي ٥٥٩
اللَّغْوَسَةُ ٥٦٠
لفَّ ولَفْلَفَ ٥٦١
اللَّقْش والملاقشة ٥٦٢
لَكَزَ ولَكَثَ (وما لَكَشَ ولا كَلَشَ ولا التَكَشَه) ٥٦٣
اللكش ٥٦٣
لَكاعَة اللُّكع ٥٦٤
اللّك ٥٦٥
اللّمظ تَلَمَّظَ ٥٦٦
اللّهوجة ٥٦٧
اللَّهْسُ بِمَعنى اللّحْس ٥٦٨
لَهَطَ ٥٦٨
اللَّوْبُ على اللُّوبي ٥٦٩
لاشَ ولوَّش واللوش ٥٧١
لاص يلوص ويليص لَوْصًا ولَيْصًا وتلوَّص ٥٧١
لوّطه اللِّيطة ٥٧٢
لاكَ يَلُوك ٥٧٤
لَوْما = لولا ٥٧٥
اللّيفة ٥٧٥
المِخاخ والمَخْمَخَة ٥٧٧
المَرَة ومُرِأَ يَمْرَأُ والمُرُوّة ٥٧٧
يَتَمَرْأَى ويتمرَّأ ٥٧٨
المَرْخُ والتَّمريخ بالدّهْن ٥٧٨
المَرَس والمُمارَسَة والتَّمرُّس ٥٧٨
المُزّ والتَّمزُّزُ والمَزْمَزَة ٥٨٠
مَزَعَ ومَزَّعَ ومَزَّقَ ٥٨١
المُشْمُش ٥٨٢
المصّ والمصْمَصَةُ ٥٨٣

المصطكا ٥٨٤
مَصَعَ ٥٨٥
مَطَقَ وتَمَطَّقَ ٥٨٦
مَعَط ومَغَط ٥٨٧
مَعَك ٥٨٧
مَغَصَ يَمغص ٥٨٨
مَغَطَ: مَطَّ ٥٨٨
مَغْمَغَ.. وغمغم ٥٨٩
مِلْحُه ٥٩٠
مَلَخ ٥٩٢
مَلَط الأملط ٥٩٣
ماشَ يَموش وماش يميش ٥٩٤
المَيْش والتَّمْوِيش ٥٩٤
نَأْنَأَ ٥٩٦
نَبَأَ ونَبَعَ وَنَبَق ٥٩٧
نَبِشَ وفَتَّش وَنَبَّش ٥٩٨
نَبَغَ ٥٩٩
نَبَلَ وتَنَبَّلَ ٦٠٠
نَتَرَ يَنْتُرُ كَنَتَش يَنْتُشُ ٦٠٢
نَخَزَ وَنَخَسَ وَنَغَزَ وَنَزَغَ وَنَسَغَ ٦٠٣
نَدَهَ يَنْدَهُ ٦٠٤
نزَق ٦٠٥
النِّسْوان ٦٠٥
النَّشْح ٦٠٦
نَشِفَ (وتجفجف) ٦٠٧
نَطَرَ النّاطُور ٦٠٩
نَطَّ ٦١٠
نَعَمْ ٦١١
النُّغنغة ٦١١
النَّفْش ٦١٢
النَّقْد ٦١٣
النِّقار والمُناقرة والنَّقر والتَّنقير ٦١٤
نقر من داء النُّقَاز (وليس النَّقْرَزان) ٦١٥
نَكَش ٦١٦
النَّوْء ٦١٨
النِّيقة ٦١٩
النِّيّ ٦١٩
هَجَّ ٦٢١
هَدَّ وهَدْهَدَ ٦٢٢
هَرَّ وَهَرْهَرَ ٦٢٣
الهزّ والهزهزة (والزَّهْزَهَة) ٦٢٤
هَزِقَ وهَزِئَ وَهَزْرَق ٦٢٥
هُسّ ٦٢٥
الهَفْتُ والهَفْتان ٦٢٦
هَلَسَ ٦٢٨
هِلَّقْت (ما هَلْوَقت من الجوع هَلَّق)
ولكن: جُوع هِلَّقْت ٦٢٩
هَوَّت به تهويتًا ٦٢٩
المُهاوَشَةُ وَهَوْش وَهَيْش ٦٢٩
الأَوْباش ٦٣٢
الوَبال ٦٣٢
وَجَبَ ووَجَّبَ ٦٣٣

وَحَش به (وما لَحَشَه) ٦٣٣
المُوْحِشُ والوحْش ٦٣٤
الوَخْش والوِحِش ٦٣٤
وَحْوَح ٦٣٥
وَدَّرَهُ ٦٣٦
وَدَعَ ٦٣٦
الوَرِشُ والوَرْشَة ٦٣٧
وَسَقَ يَسِق ٦٣٨
الوَكْسُ والتَّوْكِيس ٦٣٩
اليمين واليسار والشِّمال
والعِسْراوي ٦٤١
عناوين البحث في فصاح العامِّيَّة ٦٤٩
عناوين المداخل إلى ألفاظ فصاح
العامِّيَّة ٦٥١

Hishām Naḫās

A Dictionary of Classical Words in Colloquial Arabic

(with citations from source books
and modern references)

Librairie du Liban *Publishers*